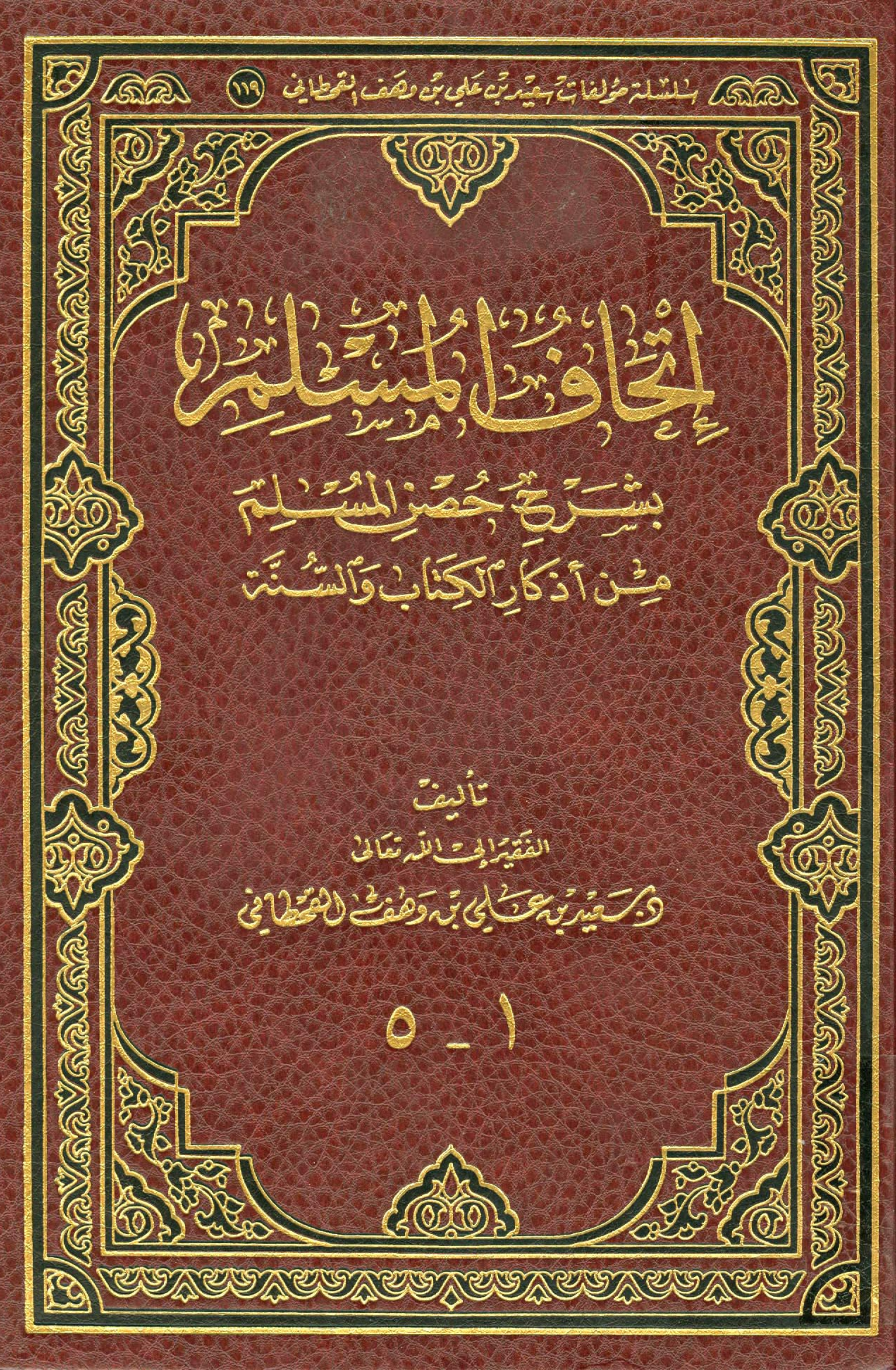

سلسلة مؤلفات سعيد بن علي بن وهف القحطاني (١١٩)
إتحاف المسلم
بشرح حصن المسلم
من أذكار الكتاب والسنة
تأليف
الفقير إلى الله تعالى
د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني
١ _ ٥

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القحطاني ، سعيد بن علي بن وهف
اتحاف المسلم بشرح حصن المسلم من اذكار الكتاب والسنة. /سعيد بن علي بن وهف القحطاني - الرياض، 1435 هـ
2064 ص 17x24 سم
ردمك 9-1541-01-603-978

1- الأدعية والأذكار 2- الآداب الإسلامية أ. العنوان
ديوي 212.93 1434/1818

رقم الإيداع: 1434/1818
ردمك: 9-1541-01-603-978

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلّى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد.

فهذا شرح موسَّع لحصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة، شرحت فيه الأحاديث التي ذكرتها في حصن المسلم، وعددها **مائتان وسبعة وستون حديثاً**، إضافة إلى تسعة أحاديث في فضل الذكر في المقدمة، فكانت مئتين وستة وسبعين حديثاً، وقد كان عملي في هذا الشرح على النحو الآتي:

١-ذكرت متن الحديث في حصن المسلم في أعلى الصفحة، ثم خرَّجت الحديث في الحاشية، وذكرت من صححه أو حسنه من أهل العلم إذا لم يكن في صحيح البخاري، أو مسلم، أو فيهما.

٢-كتبت كلمة «الشرح» بين المتن والشرح.

٣-ذكرت لفظ الحديث في الشرح ابتداء من الصحابي إلى نهاية الحديث، وذلك في جميع أحاديث الشرح، ثم ذكرت جميع الروايات للحديث بألفاظها إذا كان فيها زيادات مفيدة، ثم ذكرت تخريج كل رواية باختصار، ومن تكلم عليها من أهل العلم، وأحلت إلى تخريجها في تخريج حديث المتن تخريجاً موسعاً، وقد بلغت هذه الروايات ١٠٨١ حديثاً.

٤-شرحت جميع مفردات هذه الروايات سواء كانت غريبة، أو غير غريبة، وقد نقلت شروحاتها من أمهات شروح كتب السنة، وكتب اللغة، وكتب التفاسير المعتمدة عند أهل السنة، مع الإحالة إلى مواضعها في هذه المصادر، ثم إذا جاءت مفردات سبق شرحها، أعدت شرحها باختصار، مع ذكر المراجع، ثم أحلت إلى شرحها السابق الموسَّع، واستفدت كثيراً من مؤلفات، وتعليقات،

وتقريرات شيخنا الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله، ومن مؤلفات العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، ومن بعض شروح حصن المسلم السابقة(١).

٥-ترجمت للصحابي راوي الحديث في أحاديث الشرح ترجمة مختصرة، ثم إذا ورد اسمه بعد ذلك أحلت إلى مكان ترجمته السابقة.

٦-ذكرت الفوائد المستنبطة من الروايات التي ذكرتها، ونقلت ما ذكره بعض أهل العلم من فوائدها، على حسب توفيق الله عز وجل.

٧-عملت سبعة فهارس علمية: للأحاديث والآثار الواردة في متن حصن المسلم، والأحاديث والآثار الواردة في الشرح، ومفردات الأحاديث، والأعلام المترجم لهم، وقوافي الأشعار، والمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

٨-سميته: «**إتحاف المسلم بشرح حصن المسلم** من أذكار الكتاب والسنة».

والله تعالى أسأل أن ينفع بهذا الشرح، وبأصله، وبالشروح الأخرى، وأن يجعله شرحاً مباركاً نافعاً، خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في حياتي، وبعد مماتي، وأن ينفع به كل من انتهى إليه، فإنه خير مسؤول، وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم، وبارك على عبده، ورسوله، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه: نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المؤلف أبو عبد الرحمن

سعيد بن علي بن وهف القحطاني

حرر يوم الثلاثاء الموافق ٢/ ٧/ ١٤٣٦هـ

---

(١) والذي اطلعت عليه منها أربعة شروح: ١- شرح حصن المسلم، لمجدي بن عبد الوهاب أحمد، بتصحيحي وتعليقي، توزيع مؤسسة الجريسي. ٢- تحفة المسلم شرح حصن المسلم، لهاني الحاج، وأسامة بن عبد الفتاح، توزيع دار إيلاف الدولية بالكويت، وهو مختصر جداً. ٣- شرح حصن المسلم، لأسامة بن عبد الفتاح. ٤- فتح المنعم في التعليق على حصن المسلم، للسبتي بن العربي، الجزائري، وهو أحسن الشروح المتقدم ذكرها؛ لامتيازه بكثرة النقول في شرحه عن الأئمة الأعلام، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وتلميذه العلامة ابن القيم رحمه الله.

مقدمة حصن المسلم

إن الحمدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونَسْتَعينهُ، ونَستَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا، وسَيّئَاتِ أعمَالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضلِلْ فلا هَادِيَ لهُ، وأشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ، وأشْهَدُ أنَّ مُحمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ، وأصْحَابِهِ، ومَن تَبِعَهُمْ بإحْسانٍ إلى يَومِ الدِّينِ، وسَلَّم تسْليمًا كَثيرًا. **أمَّا بَعْدُ؛**

فهَذا مُخْتصرٌ اخْتَصَرتُهُ منْ كِتَابي: «**الذِّكْرُ والدُّعاءُ والعِلاجُ بالرُّقَى مِنَ الكِتَابِ والسُّنَّة**» اخْتصَرْتُ فيهِ قِسْمَ الأذْكَار؛ ليَكُونَ خَفيفَ الحَمْلِ في الأسْفَارِ.

وقَدِ اقْتَصَرْتُ عَلَى مَتْنِ الذِّكْرِ، واكْتَفَيْتُ في تَخْريجِهِ بِذِكْرِ مَصْدَرٍ أو مَصْدَرَيْنِ مِمَّا وُجِدَ في الأصْلِ، ومَنْ أرادَ مَعْرِفَةَ الصَّحابِيّ أوْ زِيَادَةً في التَّخْرِيجِ فَعَلَيْهِ بالرُّجُوعِ إلَى الأصْلِ.

وأسْألُ اللهَ ﷻ بأسْمَائِهِ الحُسْنَى، وصِفَاتِهِ العُلَى أنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لوجههِ الكَريمِ، وأنْ يَنْفعَني بهِ في حَيَاتي وبَعْدَ مماتِي، وأنْ يَنْفَعَ بهِ مَنْ قَرَأهُ، أوْ طَبَعَهُ، أوْ كَانَ سَبَبًا في نَشْرِهِ؛ إنَّهُ سُبْحَانَهُ وَليُّ ذلِكَ والقَادِرُ عَلَيْهِ.

وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ عَلَى نَبيِّنَا مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِهِ، وأصْحَابِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحْسَانٍ، إلَى يَوْمِ الدِّينِ.

المؤلف
حرر في شهر صفر ١٤٠٩هـ

فضل الذكر

أولاً: قال الله تَعَالى:﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[(١)].

الشرح:

١- قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللهُ: اذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء[(٢)].

٢- وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: عن سعيد بن جبير قال: اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي، وفي رواية: برحمتي[(٣)].

٣- وقال العلامة الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: وأفضل الذكر هو ما تواطأ عليه القلب واللسان، وهو الذي يثمر معرفة الله ومحبته وكثرة ثوابه والذكر هو رأس الشكر؛ فلهذا أمر به خصوصًا ثم من بعده أمر بالشكر عمومًا؛ لأن الشكر؛ فيه بقاء للنعمة الموجودة وزيادة في النعم المفقودة، قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[(٤)][(٥)].

* * *

ثانياً: وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[(٦)].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٢) تفسير البغوي «معالم التنزيل» ص (١٦٦).

(٣) تفسير ابن كثير، ٢/ ٢٥٨.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٥)انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١/ ٧٨

(٦) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١- ٤٢.

الشـــرح:

١- قـال الإمـام البغـوي رحمه الله: أي بالليـل والنهـار فـي البر والبحـر وفـي الصحة والسقم وفي السر والعلانية[١].

٢- وقـال الإمـام ابـن كثيـر رحمه الله: أمـر الله عبـاده المـؤمنين بكثـرة ذكـرهم لربهم تبارك وتعالى المنعم عليهم بأنواع النعم وصنوف المنن لما في ذلك من جزيل الثواب وجميل المآب[٢].

٣- وقال العلامة الشيخ السعدي رحمه الله: يأمر تعالى المؤمنين بذكره ذكرًا كثيرًا، من تهليل، وتحميد، وتسبيح، ومن كل قول فيه قربة إلى الله، وأقل ذلك أن يلازم الإنسان أوراد الصباح والمساء، وأدبار الصلوات الخمس وعند العوارض والأسباب، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل وهو مستريح وكف اللسان عن الكلام القبيح[٣].

* * *

ثالثاً: وقال ﷻ: ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾[٤].

الشـــرح:

١- قـال الإمـام البغـوي رحمه الله: لا يكـون العبـد مـن الـذاكرين الله كثيـرًا حتـى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا[٥].

٢- وقـال الإمـام ابـن كثيـر رحمه الله: هيـأ الله لمـن هـذه صـفاتهم مغفـرة منـه

---

(١) تفسير البغوي «معالم التنزيل» ٦/٣٦٠.
(٢) تفسير ابن كثير، ٣/ ٢٧٢.
(٣)انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص (٩٣٣).
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.
(٥) تفسير البغوي، ٦/ ٣٥٢.

لذنوبهم وأجرًا عظيمًا وهو الجنة[١].

٣- وقال العلامة الشيخ السعدي رحمه الله: فمن وفقه الله لهذه الصفات الجميلة والمناقب الجليلة[٢]، فقد قام بالدين كله ظاهره وباطنه: بالإسلام والإيمان والإحسان[٣].

* * *

رابعاً: وقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾[٤].

الشـــرح:

١-قال الإمام البغوي رحمه الله: أمر الله بذكره في الصدور وبالتضرع إليه في الدعاء والاستكانة دون رفع الصوت والصياح في الدعاء[٥].

٢-وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: أي: اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة، وبالقول لا جهرًا، وهكذا يستحب أن يكون الذكر[٦].

٣-وقال العلامة الشيخ السعدي رحمه الله: الذكر لله تعالى يكون بالقلب ويكون باللسان ويكون بهما وهو أكمل أنواع الذكر، فأمر الله عبده ورسوله محمدًا أصلًا وغيره تبعًا، والغدو والآصال هما أول النهار وآخره[٧]، ولا شك أن العمل بالأذكار المشروعة في

---

(١)انظر: تفسير ابن كثير، ٣/ ٢٦٦.

(٢) الصفات الجميلة التي يعنيها رحمه الله هو قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٣)انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص (٩٣٠.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

(٥)انظر: تفسير البغوي، ٣/ ٢٣١.

(٦)انظر: تفسير ابن كثير، ٢/ ٣٣٠.

(٧)انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ٤٢١.

سعادة في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[(١)]، قال العلامة السعدي رحمه الله: «أي: حقيق بها، وحريٌّ أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره؛ فإنه لا شيء ألذ للقلوب، ولا أشهى، ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به، ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله، ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، ذكر العبد لربه، من تسبيح، وتهليل، وتكبير وغير ذلك، وقيل: إن المراد بذكر الله كتابه الذي أنزله ذكرى للمؤمنين، فعلى هذا معنى طمأنينة القلوب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن، وأحكامه تطمئن لها، فإنها تدل على الحق المبين، المؤيد بالأدلة، والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب؛ فإنها لا تطمئن القلوب إلا باليقين، والعلم، وذلك في كتاب الله، مضمون على أتم الوجوه، وأكملها، وأما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه، فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة، وتضاد الأحكام»[(٢)].

والبعد عن ذكر الله عز وجل فيه الغفلة، والخسارة في الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[(٣)] قال العلامة السعدي رحمه الله: «أخبر تعالى عن عقوبته البليغة، لمن أعرض عن ذكره، فقال: ﴿وَمَنْ يَعْشُ﴾ أي: يعرض، ويصدُّ ﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ الذي هو القرآن العظيم، الذي هو أعظم رحمة رحم بها الرحمن عباده، فمن قبلها، فقد قبل خير المواهب، وفاز بأعظم المطالب، والرغائب، ومن أعرض عنها، وردّها، فقد خاب، وخسر خسارة لا يسعد بعدها أبداً، وقيّض له الرحمن شيطاناً مريداً، يقارنه، ويصاحبه، ويعده، ويمنّيه، ويؤزّه إلى المعاصي أزّاً»[(٤)]. ومن تمام عدله أن

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ٤١٧.
(٣) سورة الزخرف، الآية: ٣٦.
(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص ٧٦٦.

جعل الجزاء من جنس العمل.

وينبغي للعبد المسلم أن يُعْنى بالأذكار المشروعة عنائة فائقة؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن أشد الناس عيبًا من يتخذ حزبًا ليس بمأثور عن النبي ﷺ، وإن كان حزبًا لبعض المشايخ، ويدع الأحزاب النبوية التي كان يقولها سيد بني آدم، وإمام الخلق، وحجة الله على عباده ﷺ»[١].

مع الحرص على ألا يحدِّث المسلم إلا بأذكار ثابتة، ويحذر من القول على النبي ﷺ بغير علم لقوله ﷺ: «**من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»[٢]، وقوله ﷺ: «**من حَدَّث عني حديثًا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**»[٣].

***

١- قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»[٤].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١-عَنْ أَبِي مُوسَى[٥] رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي

---

(١) مجموع الفتاوى، ٢٢/ ٥٢٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، برقم ١١٠، ومسلم، المقدمة، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، برقم ٣.

(٣) أخرجه مسلم في الباب الأول من المقدمة: باب وجوب الرواية عن الثقات، وترك الكذابين، والتحذير من الكذب على رسول الله ﷺ، وهو في مسند أحمد، ٢/ ٢٣٥، برقم ٩٠٣، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء فيمن روى حديثاً وهو يرى أنه كذب، برقم ٢٦٦٢، وابن ماجه، المقدمة، باب من حدث عن رسول الله ﷺ حديثاً، وهو يرى أنه كذب، برقم ٣٩، وصححه العلامة الألباني في صحيح ابن ماجه، ص٨، برقم ٣٩.

(٤) البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، برقم ٦٤٠٧، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، وجوازها في المسجد، برقم ٧٧٩.

(٥) هو أبو موسى الأشعري: عبدالله بن قيس بن سليم الأشعري، مشهور باسمه وكنيته معاً، أسلم

لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ» وهذا لفظ البخاري[١].

٢-ولفظ مسلم: عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»[٢].

٣-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٣]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «مثل الذي يذكر ربه»: قال العيني: «...وقد يطلق ذكر الله ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه الله تعالى، أو ندب إليه، كقراءة القرآن، وقراءة الحديث، ومدارسة العلم، والتنفل بالصلاة، وقال الرازي ﷺ: المراد بذكر اللسان: الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد، والذكر بالقلب: التفكر في أدلة الذات والصفات، وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي حتى يطّلع على أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله تعالى، والذكر بالجوارح: هو أن تصير مستغرقة في الطاعات»[٥].

=

بمكة، وهاجر إلى الحبشة، وهاجر إلى المدينة، فهو ذو الهجرتين، وبقي بالحبشة مع جعفر بن أبي طالب حتى قدم معه زمن خيبر، من علماء الصحابة وفقهائهم، بعثه النبي ﷺ مع معاذ إلى اليمن، وكان حسن الصوت بالقرآن، مات سنة ٥٢هـ وقيل ٤٤هـ. انظر: الإصابة لابن حجر، ٢/٣٥٩، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم، ٤/١٧٤٩.

(١) البخاري، برقم ٦٤٠٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، برقم ٧٧٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) أبو هريرة: اسمه: عبد الرحمن بن صخر على أرجح الأقوال، الدوسي اليماني ﷺ. سيد الحفاظ والأثبات، حدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين بلغوا ثمانمائة نفس، أسلم عام خيبر في السنة السابعة وكان يتتبع رسول الله ﷺ على ملء بطنه، مناقبه كثيرة جدًّا. مسنده خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثًا. مات سنة (٥٧) وله ثمان وسبعون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء، ٢/ ٥٨٧، ترجمة رقم ١٢٦.

(٤) مسلم كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، برقم ٧٨٠.

(٥) عمدة القاري، ٢٣/ ٢٦.

٢-وقوله: «والذي لا يذكر ربه»: هو الذي ظاهِره عاطِل وباطِنه باطِل[١].

٣-قوله: «مثل الحي والميت».: **وجه التشبيه بين الذاكر والحي الاعتداد به، والنفع، والنصرة ونحوها، وبين تارك الذكر والميت التعطيل في الظاهر، والبطلان في الباطن**[٢].

٤-قوله: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه»: **قال الإمام الصنعاني** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**البيت الذي فيه الذكر كالإنسان الحي، مشرق الباطن بالإيمان، منطلق اللسان بالخير، محبوب قربه، والذي لا ذكر فيه، كالميت جيفة، يُنفر عنها، لا خير عندها، وفيه حث على ذكر الله في البيوت، وقد سلف الأمر بالصلاة فيها، وأنها تنور البيوت، ويحتمل أن المراد: مثل أهل البيت الذين لا يذكرون الله كالأموات، والذين يذكرون كالأحياء؛ فإن الحياة الحقيقية إنما هي بذكر الله الذي به تشرق أنوار القلوب**»[٣].

٥-قوله: «**لا تَجعَلُوا بيوتكم مَقَابِرَ**» أي: لا تَجعلوها لكم كالقُبور، فلا تُصَلُّوا فيها؛ لأنّ العبد إذا مات، وصار في قَبْره لم يُصَلّ، ويَشْهَد له قوله: «**اجْعَلوا من صلاتِكم في بيوتِكم، ولا تَتَّخِذوها قُبوراً**»[٤]، وقيل: معناه: لا تَجعلوها كالمَقابر التي لا تجوز الصلاة فيها، والأوّل أوْجَه»[٥].

٦-قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: معنى ذلك لا تتركوا الصلاة فيها، يعني صلوا في بيوتكم، وإنما سمّى البيوت في حال عدم

---

(١) انظر: فتح الباري، ١١/ ٢١٠.

(٢) عمدة القاري، ٢٣/ ٢٧، وانظر: فتح الباري، ١١/ ٢١٠.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، (٩/ ٥٢٠.

(٤) البخاري، كتاب الصلاة، باب كراهية الصلاة في المقابر، برقم ٤٣٢، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، برقم ٧٧٧،

(٥) عمدة القاري، ٢٣/ ٢٧، وانظر: فتح الباري، ١١/ ٢١٠.

الصلاة فيها مقابر؛ لأن المقبرة لا تصح الصلاة فيها»[١].

٧-قوله: «**إن الشيطان ينفر**»: نفر ينفر، ونفاراً إذا فر، وذهب، ومن يلقى الناس بالغلظة والشدة، فينفرون من الإسلام والدين[٢]، والشيطان: من الشطن: البعد، أي بَعُد عن الخير، أو من الحبل الطويل، كأنه طال في الشر، أو من شاط يشيط إذا هلك، أو من استشاط غضباً إذا احتدّ في غضبه، والتهب، والأول أصح[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-قال الإمام النووي رحمه الله: «قَوْلُهُ ﷺ: «**مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ وَالْبَيْتُ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ**»: فِيهِ النَّدْبُ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْبَيْتِ وَأَنَّهُ لَا يُخْلَى مِنَ الذِّكْرِ، وَفِيهِ جَوَازُ التَّمْثِيلِ، وَفِيهِ أَنَّ طُولَ الْعُمْرِ فِي الطَّاعَةِ فَضِيلَةٌ، وَإِنْ كَانَ الْمَيِّتُ يَنْتَقِلُ إِلَى خَيْرٍ؛ لِأَنَّ الحي يستلحق بِهِ، وَيَزِيدُ عَلَيْهِ بِمَا يَفْعَلُهُ مِنَ الطَّاعَاتِ»[٤].

٢-قال الحافظ ابن حجر: فشبه النبي ﷺ الذاكر بالحي الذي ظاهره متزين بنور الحياة وباطنه بنور المعرفة، وقيل موقع التشبيه بالحي والميت لما في الحي من النفع لمن يواليه والضر لمن يعاديه وليس ذلك في الميت[٥].

٣-وقال أيضاً: «وقالَ ابن التِّين: تَأَوَّلَهُ البُخارِيّ عَلَى كَراهَة الصَّلاة فِي

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٠١٩.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٩٠، مادة (نفر).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٧٤، مادة (شطن).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٦٨.

(٥) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ٢٣٩، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٤/ ٦، مادة (قبر).

المَقابِر، وتَأَوَّلَهُ جماعَة عَلَى أَنَّهُ إِنَّما فِيهِ النَّدب إِلَى الصَّلاة فِي البُيُوت؛ إِذ المَوتَى لا يُصَلُّونَ، كَأَنَّهُ قالَ: «لا تَكُونُوا كالمَوتَى الَّذِينَ لا يُصَلُّونَ فِي بُيُوتهم، وهِيَ القُبُور»، قالَ: فَأَمّا جَواز الصَّلاة فِي المَقابِر، أَو المَنع مِنهُ فَلَيسَ فِي الحَدِيث ما يُؤخَذ مِنهُ ذَلِكَ، قُلتُ أي ابن حجر: إِن أَرادَ أَنَّهُ لا يُؤخَذ مِنهُ بِطَرِيقِ المَنطُوق فَمُسَلَّمٌ، وإِن أَرادَ نَفي ذَلِكَ مُطلَقًا فَلا، فَقَد قَدَّمنا وجه استِنباطه، وقالَ فِي النِّهايَة تَبَعًا لِلمَطالِع: إِن تَأوِيل البُخارِيّ مَرجُوح، والأَولَى قَول مَن قالَ: مَعناهُ إِنَّ المَيِّت لا يُصَلِّي فِي قَبره، وقَد نَقَلَ ابن المُنذِر عَن أَكثَر أَهل العِلم أَنَّهُم استَدَلُّوا بِهَذا الحَدِيث عَلَى أَنَّ المَقبَرَة لَيسَت بِمَوضِع الصَّلاة»[(١)].

٤-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «فالمقبرة لا تصح فيها صلاة النافلة، ولا الفريضة، ولا سجدة التلاوة، ولا سجدة الشكر، ولا أي شيء من الصلوات إلا صلاة واحدة وهي صلاة الجنازة إذا صلَّى على الجنازة في المقبرة فلا بأس سواء كان ذلك قبل الدفن أم بعده، لكن بعد الدفن لا يصلى عليها في أوقات النهي يعني مثلا لو جئت لحضور جنازة بعد صلاة العصر ووجدت أنهم قد دفنوها فلا تصل عليها لأنه يمكنك أن تصلي في وقت آخر غير وقت النهي كالضحى مثلا وأما إذا جئت وهم لم يدفنوها لكن قد وضعت في الأرض للدفن فلا بأس أن تصلي عليها ولو كان ذلك بعد العصر؛ لأنه في هذه الحال تكون صلاة لها سبب والصلاة التي لها سبب ليس عنها وقت نهي»[(٢)].

٥-وقال العلامة بن عثيمين رحمه الله أيضاً: «وفي هذا الحديث فضل كبير لسورة البقرة، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «إذا قرأت في بيتك سورة

(١) فتح الباري لابن حجر، ١/ ٥٢٩.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث: ١٠١٩.

البقرة فإن الشيطان يفر منها ولا يقرب البيت والسبب أن في سورة البقرة (آية الكرسي)، ويدل لهذا ما بعد الحديث الذي ذكره المؤلف حديث أبي بن كعب ﷺ أن النبي ﷺ سأله: **أي آية في كتاب الله أعظم؟** قال: «آية الكرسي»، فضرب النبي ﷺ على صدره، وقال: «**ليهنك العلم يا أبا المنذر**»[١] يعني هنأه حيث علم أن أعظم آية في كتاب الله (آية الكرسي)؛ لأن هذه الآية مشتملة على عشر صفات من صفات الله ﷻ»[٢].

* * *

٢- وَقَالَ ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُم بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُم»؟قَالُوا بَلَى، قال: «ذِكْرُ اللَّه تَعَالَى»[٣].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤-لفظ الترمذي: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ[٤]، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ

---

(١) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، برقم ٨١٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث: ١٠١٩.

(٣) الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه حدثنا الحسين بن حريث، برقم ٣٣٧٧، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الذكر، برقم ٣٧٩٠، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣١٦، وصحيح الترمذي، ٣/ ١٣٩.

(٤) أبو الدرداء هو: عويمر بن زيد بن عمر، ويقال: عويمر بن عامر الأنصاري الخزرجي أبو الدرداء ﷺ الإمام القدوة قاضي دمشق وسيد القراء فيها. وهو أحد أربعة جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ البخاري، برقم (٥٠٠٤)، وذكر الحافظ في الفتح ٨/٧٤٥ إنما خص أنس راوي الحديث هؤلاء الأربعة دون غيرهم لشدة تعلقه بهم، وإلا فالعدد أكبر من ذلك بكثير، فقد قتل من القراء يوم بئر معونة سبعون، =

بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ؟ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى» قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ[١]: مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ[٢].

٥-ولفظ ابن ماجه: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْضَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا : وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ».

وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ: «مَا عَمِلَ امْرُؤٌ بِعَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﷻ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «**ألا**»: كلمة تنبيه، كأن المتكلم ينبه المخاطب على أمر عظيم الشأن، ظاهر البرهان[٤].

=

وقتل يوم اليمامة مثلهم. والمراد بالجمع هو الحفظ. ومن أجمل ما كان يقول: «من أكثر من ذكر الموت قل فرحه وقل حسده» وقد مات عام اثنين وثلاثين. وقد روى له الجماعة. انظر: سير أعلام النبلاء، ٢/ ٣٣٥ ترجمة رقم ٦٨.

(١) معاذ بن جبل ﷺ: هو أبو عبد الرحمن الأنصاري المدني، أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة وشهد بدرًا والعقبة والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو أحد الأربعة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «استقرئوا القرآن من أربعة» البخاري، برقم ٣٧٥٨، وله قدم راسخ في العلم والفهم حتى قال فيه النبي ﷺ: «معاذ بن جبل أمام العلماء يوم القيامة برتوة» المعجم الكبير للطبراني، ٢٠/ ٢٩، برقم ٤٠، ورقم ٤١، وأبو نعيم في الحلية ٢٢٩/١، وانظر: صحيح الجامع (٥٨٧٩) للألباني، والرتوة: هي الدرجة والمنزلة أو الخطوة، قال فيه رسول الله ﷺ: «نعم الرجل معاذ بن جبل» الترمذي، برقم ٣٧٩٥، وانظر الصحيحة، ٥٣٤، وقال أيضًا ﷺ: «معاذ بن جبل أعلم الناس بحلال الله وحرامه» مات في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ وعمره ثلاث وثلاثون عامًا انظر الاستيعاب، ٢٤٤٥/٣، وأسد الغابة، ٤٩٥٣/٥، والإصابة، ٨٠٤٣/٦.

(٢) الترمذي، برقم ٣٣٧٧، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٣٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) ابن ماجه، برقم ٣٧٩٠، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣١٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب للإمام العيني، ص ٥٢.

٢- قوله: «أنبئكم»: من النبأ وهو الخبر ومنه النبي ﷺ لأنه مخبر من الله[1].

٣- قوله: «بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ»: قال الزرقاني رحمه الله: «أَيْ أَفْضَلِهَا لَكُمْ»[2]؛ لأن لفظة «خير وشر» يستعملان في موضع أفضل للتفضيل على صيغتهما هكذا[3].

٤- قوله: «وأزكاها» أي: أطهر من الزكاة وهي الطهارة، قال الله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾[4] أي: تطهر[5].

٥- قوله: «عند مليككم»: المليك: من أسماء الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[6]، وكذلك المالك والملك[7].

٦- قوله: «وأرفعها في درجاتكم»: قال الصنعاني رحمه الله: «وأرفعها أي: أكثرها رفعة»[8]، وقال الزرقاني رحمه الله: «درجاتكم: أَيْ مَنَازِلِكُمْ فِي الْجَنَّةِ»[9].

٧- قوله: «وخير لكم من إنفاق الذهب والورق » أي: بذله في سبيل الله عز وجل، والورق: بكسر الراء أي: الفضة، كقوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ...﴾[10]، قال البغوي رحمه الله: «وهي الْفِضَّةُ مَضْرُوبَةٌ كَانَتْ أَوْ غَيْرُ مَضْرُوبٍ»[11].

٨- قوله: «وخير لكم من أن تلقوا عدوكم»: أي أعداءكم من الكفار[12]، بجهادهم

---

(١) العلم الهيب، ص ٥٢.
(٢) شرح الزرقاني على الموطأ، ٢/ ٣٦.
(٣) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب للإمام العيني، ص ٥٢.
(٤) سورة الأعلى، الآية: ١٤.
(٥) العلم الهيب، ص ٥٢.
(٦) سورة القمر، الآيتان: ٥٤-٥٥.
(٧) العلم الهيب، ص ٥٢.
(٨) التنوير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٣٨١.
(٩) شرح الزرقاني على الموطأ، ٢/ ٣٦.
(١٠) سورة الكهف، الآية: ١٩.
(١١) تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل، ٥/ ١٦٠.
(١٢) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٣/ ١٤٩.

وقتالهم وجهاً لوجه، فاللقاء: الملاقاة، وتوافي الاثنين متقابلين، ولقيته لقوة أي مرة واحدة، ولقاءة، ولقيته لقياً ولقياناً، واللقية فعلة من اللقاء، الجمع لُقى[١].

٩- قوله: «**فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم**» أي: رقابهم، قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني تقتلوهم، ويقتلونكم بسيف أو غيره»[٢].

١٠- قوله: «**قالوا**» أي: الصحابة الحاضرون هذا المجلس رضي الله عنهم[٣].

١١-قوله: «**بلى**» أي: بلى أخبرنا[٤].

١٢-قوله: «**ذكر الله**»: قال العلامة الزرقاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأن سائر العبادات من الأنفال، وقتال العدو، وسائل، ووسائط يتقرّب بها إلى الله تعالى، والذكر هو المقصود الأسنى، ورأسه لا إله إلا الله، وهي الكلمة العليا، والقطب الذي تدور عليه رحى الإسلام»[٥].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

بيان فضل ذكر الله عز وجل وأنه أزكى الأعمال وأرفعها درجة فهو أفضل من إنفاق الذهب والفضة وما دون ذلك من نفائس الأموال في سبيل الله، بل هو أفضل من الجهاد وضرب أعناق أعداء الله، بل أفضل من الشهادة في سبيل الله تعالى؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «**ويضربوا أعناقكم**» وهذا الذكر هو الذي يقوله العبد بلسانه مع مواطأة قلبه عليه وهو الذي يدفعه إلى الاستقامة على الشرع ولابد فيه من الإخلاص، وأن يكون على طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن أحاديث أفضل الأعمال مختلفة وقد ذكر أهل العلم في التوفيق بينها وجوهًا منها أن الاختلاف

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ٥/ ٢٦١، مادة (لقي).
(٢) فيض القدير، ٣/ ١١٥.
(٣) انظر: العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، ص ٥٣.
(٤) انظر: العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، ص ٥٣.
(٥) شرح الزرقاني على موطأ مالك، ٢/ ٤٠.

إنما يكون على حسب حال المخاطب. والله أعلم[(١)].

* * *

٣- وَقَالَ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[(٢)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[(٣)]، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»، وهذا لفظ البخاري[(٤)].

٧-ولفظ آخر للبخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: رُبَّمَا ذَكَرَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، أَوْ بُوعًا**»، وَقَالَ مُعْتَمِرٌ: «**سَمِعْتُ أَبِي، سَمِعْتُ أَنَسًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ**

---

(١) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة عبد الفتاح، ص ١٨.

(٢) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، برقم ٧٤٠٥، وكتاب التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه، برقم ٧٥٣٧ ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، برقم ٢-(٢٦٧٥)، ورقم ٣-(٢٦٧٥)، واللفظ للبخاري.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٤) البخاري، برقم ٧٤٠٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ ﷻ»[١].

٨-ولفظ مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، وَاللَّهِ لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي، أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ**»[٢].

٩-وفي لفظٍ لمسلم: عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ - فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا - وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: إِذَا تَلَقَّانِي عَبْدِي بِشِبْرٍ، تَلَقَّيْتُهُ بِذِرَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِذِرَاعٍ، تَلَقَّيْتُهُ بِبَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِبَاعٍ أَتَيْتُهُ بِأَسْرَعَ**»[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**يقول الله تعالى**» أي في الحديث القدسي، قال الطيبي رحمه الله: «هذا الحديث كلام قدسي، والفرق بينه وبين القرآن هو اللفظ المنزل به جبريل عليه السلام للإعجاز عن الإتيان بسورة من مثله، والحديث القدسي إخبار الله تعالى نبيه ﷺ معناه بإلهام، أو بالمنام، فأخبر النبي ﷺ أمته عن ذلك المعنى بعبارة نفسه، وسائر الأحاديث لم يضفه إلى الله تعالى ولم يروه عنه، كما أضاف وروى القدسي، أقول [القائل هو الطيبي]: فضل القرآن على الحديث القدسي هو أن القدسي نص إلهي في الدرجة الثانية، وإن كان من غير واسطة ملك غالباً؛ لأن المنظور فيه المعنى دون اللفظ، وفي التنزيل اللفظ والمعنى منظوران، فعلم من هذا مرتبة بقية الأحاديث»[٤].

٢-قوله: «**أنا عند ظن عبدي بي**» أي قادِر عَلَى أَن أَعمَلَ بِهِ ما ظَنَّ أَنّي

(١) البخاري، برقم ٧٥٣٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، برقم ٢-(٢٦٧٥)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسلم، برقم ٣-(٢٦٧٥)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٢/ ٤٧٠.

عامِل بِهِ، وفِيه إشارَة إلَى تَرجِيح جانِب الرَّجاء عَلَى الخَوف؛ فَإِنَّ العاقِل إِذا سَمِعَ ذَلِكَ لا يَعدِل إِلَى ظَنِّ إِيقاع الوعِيد، وهُو جانِب الخَوف؛ لأَنَّهُ لا يَختارهُ لِنَفسِهِ، بَل يَعدِل إِلَى ظَنّ وُقُوع الوعد، وهُو جانِب الرَّجاء[1].

٣-قوله: «**وأنا معه إذا ذكرني**» أي:أن الله مع عبده الذي يذكره،معه بحفظه وتوفيقه ورعايته له،وهذا كقوله:﴿**إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾[2]، وهذه المعية خاصة بأهل الإيمان وهي غير المعية العامة للخلق جميعًا، مثل قوله ﷻ: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا**﴾[3] أي: معهم بعلمه بهم وإحاطته لهم.

٤-قوله: «**فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه**» قال العلامة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: يعني: إذا ذكرت ربك في نفسك –إما أن تنطق بلسانك سرًّا ولا يسمعك أحد، أو تذكر الله في قلبك، فإن الله تعالى يذكرك في نفسه، وإذا ذكرته في ملأ، أي: عند جماعة فإن الله يذكرك في ملأ خير منهم، أي: في ملأ من الملائكة يذكرك عندهم، ويعلي ذكرك ويثني عليك جل وعلا، فإن خاف الإنسان على نفسه الرياء من الجهر فلا يجهر[4].

٥-قوله: «**وإن تقرب إليّ شبراً**» الشِّبْرُ: مَا بَيْنَ أَعلى الإِبهام وأَعلى الخِنصر مُذَكَّرٌ، وَالْجَمْعُ أَشْبارٌ، والشَّبْرُ- بِالْفَتْحِ-: الْمَصْدَرُ، مَصْدَرُ شَبَرَ الثوبَ وغيرَهُ، يَشْبُرُه ويَشْبِرُه شَبْراً: كَالَهُ بِشِبْرِه، وَهُوَ مِنَ الشِّبْرِ، كَمَا يُقَالُ بُعْتُه

(١) انظر: فتح الباري، ١٣/ ٣٨٥.
(٢) سورة طه، الآية: ٤٦.
(٣) سورة المجادلة، الآية: ٧.
(٤) شرح رياض الصالحين، حديث رقم ١٤٣٥.

مِنَ الْبَاعِ، وَهَذَا أَشْبَرُ مِنْ ذَاكَ، أَي أَوسَعُ شِبْراً[١]، وَمَعْنَاهُ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِطَاعَتِي تَقَرَّبْت إِلَيْهِ بِرَحْمَتِي[٢]، وَالتَّوْفِيق وَالْإِعَانَة، وَإِنْ زَادَ زِدْت، فَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي، وَأَسْرَعَ فِي طَاعَتِي، أَتَيْته هَرْوَلَةً، أَيْ صَبَبْت عَلَيْهِ الرَّحْمَة، وَسَبَقْته بِهَا، وَلَمْ أُحْوِجْه إِلَى الْمَشْي الْكَثِير فِي الْوُصُول إِلَى الْمَقْصُود، وَالْمُرَاد أَنَّ جَزَاءَهُ يَكُون تَضْعِيفه عَلَى حَسَب تَقَرُّبه[٣]،

٦-قوله: «**وإن تقرب إلي باعاً**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الباع: هو قَدْر مَدِّ الْيَدَيْنِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْبَدَنِ، وَهُوَ هاهنا مَثَلٌ لقُرْب أَلطاف اللهِ مِنَ الْعَبْدِ إِذا تقرَّب إِليه بالإِخْلاصِ والطاعةِ»[٤].

٧-قوله: «**وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»،قال الْجَوْهَرِيُّ: الهَرْوَلَة ضَرْب مِنَ العَدْو وَهُوَ بَيْنَ الْمَشْي والعَدْو، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَن أَتاني يَمْشِي أَتَيْته هَرْوَلَة»، وَهُوَ كِنايَةٌ عَنْ سُرْعَةِ إجابة اللهِ عَجَّلَ، وَقَبُولِ تَوْبَةِ الْعَبْدِ ولُطْفه وَرَحْمَتِه، هَرْوَلَ الرجلُ هَرْوَلَةً: بَيْنَ الْمَشْي والعَدْو، وَقِيلَ: الهَرْوَلَة فَوْقَ الْمَشْي وَدُونَ الْخَبَبِ، والخَبَبُ دُونَ العَدْو»، ولكن صفات الله تليق بجلاله، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير»[٥]. قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي وَأَسْرَعَ فِي طَاعَتِي أَتَيْته هَرْوَلَة، أَيْ صَبَبْت عَلَيْهِ الرَّحْمَة، وَسَبَقْته بِهَا، وَلَمْ أُحْوِجْه إِلَى الْمَشْي الْكَثِير فِي الْوُصُول إِلَى الْمَقْصُود، وَالْمُرَاد أَنَّ جَزَاءَهُ يَكُون تَضْعِيفه عَلَى حَسَب تَقَرُّبه»[٦].

---

(١) لسان العرب، ٤/ ٣٩١، مادة (شبر).

(٢) وانظر: شرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٤١٣.

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣.

(٤) لسان العرب، ٨/ ٢١، مادة (بوع).

(٥) لسان العرب، ١١/ ٦٩٦، مادة (هرول).

(٦) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-قال الحافظ ابن حجر: «قال القرطبي: وقيل معنى: «**ظن عبدي بي**» أي: ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكًا بصادق وعده، ويؤيده قوله في الحديث الآخر: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**»[١]، ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقنًا بأن الله يقبله ويغفر له لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر»[٢].

٢-قوله: «**وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»: أما الإتيان والمشي فهما من صفات الأفعال، ومثل ذلك صفة الاستواء، وصفة الكتابة، وصفة التجلي، وصفة النزول، وغير ذلك من صفات الأفعال التي نثبتها لله ﷻ على الوجه الذي يليق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وكذا الصفات الذاتية لله ﷻ كصفة اليد، وصفة الوجه، وصفة العين، وغير ذلك من الصفات التي أثبتها الله لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ، والأصل في هذا الباب قول الله ﷻ: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[٣].

٣-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «معنى الحديث: من تقرب إلي بطاعتي، تقربت إليه برحمتي، وإن زاد زدت، فإن أتاني يمشي، وأسرع في طاعتي، أتيته هرولة، أي صببت عليه الرحمة، وسبقته بها، ولم أُحْوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود، وقُراب الأرض - بضم القاف، ويقال بكسرها، والضم

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا عبد الله بن معاوية، برقم ٣٤٧٩، وقال: «حديث غريب» والحاكم، ١/٦٧٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٤٥).

(٢) فتح الباري ١٣/ ٤٦٠.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

أصحُّ وأشهر – ومعناه: ما يقارب ملأها، والله أعلم»[١].

٤-قوله: «**وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِن أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيتُه هَرْولَةً** »: قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: «ومن فهم شيئاً من هذه النصوص تشبيهاً، أو حلولاً، أو اتحاداً، فإنما أتى من جهله، وسوء فهمه عن الله عز وجل، وعن رسوله، والله ورسوله بريئان من ذلك كله، فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، قال بكر المزني: مَن مثلك يا ابن آدم، خُلِّيَ بينك وبين المحراب وبين الماء، كلما شئت دخلت على الله عز وجل ليس بينك وبينه ترجمان، ومن وصل إلى استحضار هذا في حال ذكر الله وعبادته، استأنس بالله، واستوحش من خلقه ضرورة، قال ثور بن يزيد: قرأت في بعض الكتب أن عيسى عليه السلام قال: يا معشر الحواريين، كلّموا الله عز وجل كثيراً، وكلّموا الناس قليلاً، قالوا: كيف نكلم الله كثيراً؟ قال: ادخلوا بمناجاته، اخلوا بدعائه»[٢].

❋ ❋ ❋

٤- وَعَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ. قَالَ: «**لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ اللَّه**»[٣].

(١) شرح رياض الصالحين، ص ٤٧٤، حديث رقم ٤١٣.

(٢) جامع العلوم والحكم، ص ٣٨.

(٣) الترمذي، كتاب الدعوات، باب في فضل الذكر، برقم ٣٣٧٥، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الذكر، برقم ٣٧٩٣، وصححه الألباني في: صحيح الترمذي، ١٣٩/٣، وصحيح ابن ماجه، ٣١٧/٢.

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠-عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ ﷺ[١]، أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ». وهذا لفظ الترمذي[٢].

١١-ولفظ ابن ماجه: عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ ﷺ أَنَّ أعرابياً قَالَ: لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَنْبِئْنِي مِنْهَا بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﷻ»[٣].

ثانياً: شرح المفردات:

١-قوله: «**لا يزال لسانك رطبًا**» أي: منشغلًا بذكر الله والمعنى: أن اللسان إن لم يكن كذلك صار كالأرض الميتة؛ لأن الذكر به حياته فضلًا عن حياة القلب[٤]، وقال المباركفوري رحمه الله: «أَيْ طَرِيًّا مُشْتَغِلًا قَرِيبَ الْعَهْدِ مِنْهُ وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْمُدَاوَمَةِ عَلَى الذِّكْرِ»[٥]، وقال الإمام العيني رحمه الله: «يعني: لا تزال رطوبة لسانك مستمرة من الذكر، وإنما قلنا هكذا؛ لأن هذا الفعل من الأفعال التي وضعت لدلالة استمرار خبرها لاسمها، فرطوبة اللسان كناية عن اشتغاله بالذكر، وأن حياته به، فأشار ﷺ أن الذكر يحيي كل موضع يوجد

---

(١) عبد الله بن بسر المازني، من مازن بن منصور، يُكنى أبا بسر، له صحبة، مات بالشام سنة ثمانين، وهو ابن أربع وتسعين، وهو آخر من مات بالشام بحمص من أصحاب رسول الله ﷺ، ويقال: إنه ممن صلى القبلتين. انظر: الاستيعاب، ٣/ ٨٧٤، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ٢٤.

(٢) الترمذي، برقم ٣٣٧٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٣٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) ابن ماجه، برقم ٣٧٩٣، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣١٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) انظر: العلم الهيب، ص٩٠.

(٥) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٢٢.

فيه، فكأن اللسان ما لم يذكر الله يابس كالأرض اليابسة، فإذا ذكره رَطُب وحَيِي، كالمطر إذا نزل على الأرض اليابسة يحييها بعد موتها، فقوله ﷺ: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله»: أبْلَغُ من أن يُقال: لا يزال لسانك ذاكراً، يقف عليه من يمعن نظره»[(١)].

٢-قوله: «**من ذكر الله**»، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «والذكر ذكران: ذكر الله بالقلب: وهو الذكر الخفي، وذكر القلب - أيضاً - عند أوامره ونواهيه، وذكر باللسان: كما جاء عن عمر بن الخطاب، فذكره بالقلب، وهو الذكر الخفي، وهو أرفع الأذكار، الفكرة في عظمة الله، وجلاله، وجبروته، وملكوته، وآياته في أرضه وسماواته»[(٢)].

٣-قوله: «**شرائع الإسلام**» أي: أمور الإسلام مثل الصلاة، والزكاة، والصوم، والجهاد، والحج، وغير ذلك من العبادات المالية والبدنية، والكف عن المحظورات، والامتناع عما فيه من العقوبات، والكفارات، ونحو ذلك[(٣)].

٤-قوله: «**كثرت عليَّ**» أي: تزاحمت علي، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولم يرد بقوله: «كثرت عليَّ» أنه يترك ذلك رأساً، ويشتغل بغيره فحسب، وإنما أراد أنه بعد أداء ما افتُرض عليه، يتشبث بما يَستغني به عن سائر ما لم يُفترض عليه، وعدَّى (كثُرت) بـ(على) تضميناً لمعنى غلبتها إياه، وعجزه عنها»[(٤)].

٥-قوله: «**أتشبث به**» أي: أتعلق به، ويَثْقُل به ميزاني، مع يسره عليّ، وأتمسّك به[(٥)].

---

(١) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، ص ٩٠.
(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٨/ ١٨٩.
(٣) انظر: العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، ص ٨٩.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٧٣٩.
(٥) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، ص ٨٩.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

فيه بيان لعظيم فضل الذكر على الوجه المبين سابقًا، فرغم أنه عمل يسير جدًّا إلا أنه يترتب عليه الفضل الكبير عند الله تعالى، وقد قال النبي ﷺ: «**سبق المفردون**» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**»[(١)]، ولا يفهم من ذلك أن العبد يقتصر على الذكر، ويضيع ما فرضه الله عليه، وينشغل بذلك عن تعلم ما تصح به عقيدته وعبادته[(٢)].

٥- وَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ: ﴿الم﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيْمٌ حَرْفٌ»[(٣)].

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٢-قال مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ الْقُرَظِيَّ سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ ﷺ[(٤)]، يَقُولُ:

---

(١) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، برقم ٢٦٧٥.

(٢) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٢١.

(٣) الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في من قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، برقم ٢٩١٠، وصححه الألباني: في صحيح الترمذي، ٣/٩، وفي صحيح الجامع الصغير، برقم ٦٤٦٩، وفي المشكاة، برقم ٢١٣٧ .

(٤) عبد الله بن مسعود ﷺ: الإمام الحبر، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن الهذلي، كان من السابقين الأولين، شهد بدرًا، وهاجر الهجرتين، من مناقبه التي تطول قول حذيفة: «ما أعرف أحدًا أقرب سمتًا وهديًا ودلًّا بالنبي ﷺ من ابن أم عبد»البخاري، برقم ٣٧٦٢، وكان كثير الدخول على النبي ﷺ بإذن من رسول الله ﷺ البخاري، برقم ٣٧٦٣، وهو صاحب النعل لرسول الله ﷺ حيث كان يلبسه إياها إذا قام، البخاري، برقم ٣٧٦١، فإذا جلس ادخلهما في ذراعه طبقات ابن سعد، ٣ / ١ / ١٠٨، أقسم النبي ﷺ أن ساقيه أثقل في الميزان من أحد مسند أحمد، ٢/ ٢٤٤، برقم ٩٢٠، وكان دقيق الساقين، وقد أخذ من في الرسول ﷺ بضعًا وسبعين سورة، مات ودفن بالمدينة عام ٣٢ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ١/ ٤٦١، ترجمة رقم ٨٧.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»[1].

ثانياً: مفردات الحديث:

١-قوله: «من قرأ حرفاً» واحد حروف التهجي[2]، وقال المباركفوري رحمه الله: «المراد بالحرف حرف البناء المعبر عنه بحرف الهجاء»[3].

٢-قوله: «مِنْ كِتَابِ اللهِ» أَي: الْقُرْآنِ الكريم[4].

٣-قوله: «فله به حسنة»: قال الإمام النووي رحمه الله: «الْحَسَنَة فِي الدُّنْيَا أَنَّهَا: الْعِبَادَة، وَالْعَافِيَة، وَفِي الْآخِرَة: الْجَنَّة، وَالْمَغْفِرَة، وَقِيلَ: الْحَسَنَة تَعُمّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة»[5].

٤-قوله: «وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا» أَيْ مُضَاعَفَةٌ بِالْعَشْرِ، وَهُوَ أَقَلُّ التَّضَاعُفِ الْمَوْعُودِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[6] والله يضاعف لمن يشاء»[7].

٥-قوله: «لاَ أَقُولُ: ﴿الم﴾ حَرْفٌ» وَالْحَرْفُ يُطْلَقُ عَلَى حَرْفِ الْهِجَاءِ، وَالْمَعَانِي، وَالْجُمْلَةِ الْمُفِيدَةِ، وَالْكَلِمَةِ الْمُخْتَلَفِ فِي قِرَاءَتِهَا، وَعَلَى مُطْلَقِ الْكَلِمَةِ»[8].

٦-قوله: «ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»: قال الشيخ أحمد حطيبة: «كانت عادة العرب: أنهم يطلقون على الكلمة: (حرفاً)، ويطلقون

---

(١) الترمذي، برقم ٢٩١٠، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) القاموس المحيط، ص: ١٠٣٣.
(٣) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٧/ ٢١٢.
(٤) تحفة الأحوذي، ٨/ ١٨٢.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ١٤.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.
(٧) تحفة الأحوذي، ٨/ ١٨٢.
(٨) المرجع السابق.

على الجملة والخطبة: (كلمة)، فحتى لا يظن السامع أن النبي ﷺ يقصد أن الكلمة حرف، وضح ذلك وقال: «**لا أقول: (الم) حرف**»، أي: إنما هذه ثلاثة أحرف، وليست حرفاً واحداً: «**ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»، وفي هذا الحديث بيان أن لك بكل حرف تقرؤه من القرآن عشر حسنات، فقد قال ﷺ فيه: «**فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها**»، فإذا قرأت بفاتحة الكتاب مثلاً، وقرأت: «**بسم الله الرحمن الرحيم**»، فإنك تأخذ حسنات كثيرة، بعدد حروف الكلمة التي تقرؤها فضلاً من الله سبحانه»[1].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-فيه بيان لسعة رحمة الله وأنه يضاعف الحسنة إلى عشر أمثالها كما قال ﷻ: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾[2].

٢-والحث على الازدياد من تلاوة القرآن.

٣- وفيه إثبات أن كلام الله بحرف وصوت إلا أنه ﷻ منزه عن مشابهة المخلوقين ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[3].

***

٦- وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطِيعَةِ رَحِمٍ؟**» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ

---

(١) شرح رياض الصالحين، لأحمد حطيبة، ٩٤/٥.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.
(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: «أَفَلاَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى المَسْجِدِ فَيَعْلَمَ، أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَجَّلَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ»(١).

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٣-عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه(٢) قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطِيعَةِ رَحِمٍ؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَجَّلَ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**ونحن في الصُّفّة**»: خصه النبي ﷺ في مؤخرة مسجده بالمدينة لفقراء المهاجرين الذين هم أضياف الإسلام، وكانوا ينامون في المسجد؛ إذ لا مأوى لهم غيره، وكان الرسول ﷺ يخصهم بما يأتيه من الصدقة، ويشركهم فيما يأتيه من الهدية(٤).

٢-قوله: «**أيكم يحب**» قال الطيبي رحمه الله: «في هذا الاستفهام إرشاد منه ﷺ

---

(١) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه، برقم ٨٠٣.

(٢) عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه : الإمام المقرئ أبو عامر، وقيل: غير ذلك، كان عالمًا فقيهًا شاعرًا، كبير الشأن، وقد كان هو البريد إلى عمر رضي الله عنه بفتح دمشق، شهد فتح مصر، وكان واليًا على الجند في مصر لمعاوية رضي الله عنه، وكانت وفاته عام ٥٨ هـ. سير أعلام النبلاء، ٢/ ٤٦٧، ترجمة رقم ٩٠.

(٣) مسلم، برقم ٨٠٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) انظر: فتح الباري، ١١/ ٢٨٦.

وتنبيه، ينبههم ﷺ على إلقاء السمع للخطاب»[١].

٣-قوله: «**أن يغدو كل يوم**» أي: يذهب مبكرًا في أول النهار، قال القرطبي في في المفهم: «يغدو: يبكِّر»[٢].

٤-قوله: «**بُطحان أو العقيق**» هما من أودية المدينة النبوية، وكانا يعرفان باتساعهما، وإقامة أسواق الإبل فيهما، وقال القرطبي رحمه الله: «واديان بينهما وبين المدينة قريب من ثلاثة أميال، أو نحوها»[٣].

٥-قوله: «**فيأتي منه بناقتين كوماوين**» الناقة الكوماء هي: عظيمة السنام، وهذا النوع من أنفس النوق عند العرب، قال ابن الأثير رحمه الله: «الكوماء: الناقة العظيمة السنام، وكوماوان: تثنيتها»[٤]، وقال القاضي عياض رحمه الله: «الكوماء من الإبل: العظيمة السنام، كأنهم - والله أعلم - شبهوا سنامها لعظمه بالكوم، وهو الموضع المشرف، وهو بمعنى: عظام سمان»[٥]، وقال الطيبي رحمه الله: «وإنما ضرب المثل بها؛ لأنها من خيار مال العرب»[٦].

٦-قوله: «**في غير إثم**» أي: كسرقة أو معصية لله ﷻ، وقال الطيبي رحمه الله: «أي في غير ما يوجب إثمًا، كسرقة، وغصب، سمي موجب الإثم إثمًا مجازًا»[٧].

٧-قوله: «**ولا قطيعة رحم**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «القَطيعة: الْهِجْرَانُ وَالصَّدُّ، وَهِيَ فَعِيلة، مِنَ القَطْع، ويُرِيد بِهِ تَرْكَ البرِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْأَهْلِ

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠/ ٣٢٧٢.
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٦١.
(٣) المفهم، ١/ ٤٧٥.
(٤) جامع الأصول، ٨/ ٤٩٨.
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ١٧٢.
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٦٣٤.
(٧) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٦٣٤.

وَالْأَقَارِبِ، وَهِيَ ضِدُّ صِلَةِ الرَّحِمِ»[١]. قال الصنعاني رحمه الله: القطيعة ضدها وهي ترك الإحسان، وعدوا قطع الرحم من الكبائر وضبطوا ذلك بترك ما ألفه من إحسان أو نحوه كمكاتبة ومراسلة ونحوها»[٢].

٨-قوله: «فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ»، «فيعلّم بالتشديد، وفي نسخة صحيحة بالتخفيف، أو يقرأ بالرفع والنصب فيهما ... هذه الكلمة يحتمل أن تكون عرضاً أو نفياً، وفيه أن الفاء مانعة من كونها للعرض، ... ويعلم من التعليم في أكثر نسخ المشكاة، وصحح في جامع الأصول من العلم، وكلمة: (أو) يحتمل الشك والتنويع»[٣].

٩-قوله: «آيتين من كتاب الله عز وجل» يحتمل أن يراد أن الآيتين خَيْرٌ مِنْ نَاقَتَيْنِ وَمِنْ أَعْدَادِهِمَا مِنَ الْإِبِلِ وَثَلَاثٌ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ وَكَذَا أَرْبَعٌ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْآيَاتِ تُفَضَّلُ عَلَى أَعْدَادِهِنَّ مِنَ النُّوقِ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ، وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ ﷺ أَرَادَ تَرْغِيبَهُمْ فِي الْبَاقِيَاتِ، وَتَزْهِيدَهُمْ عَنِ الْفَانِيَاتِ، فَذِكْرُهُ هَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ وَالتَّقْرِيبِ إِلَى فَهْمِ الْعَلِيلِ، وَإِلَّا فَجَمِيعُ الدُّنْيَا أَحْقَرُ مِنْ أَنْ يُقَابَلَ بِمَعْرِفَةِ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ بِثَوَابِهَا مِنَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا»[٤].

١٠-قوله: «خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ وثلاث»، «وَالْمَعْنَى أَنَّ الْآيَتَيْنِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ مِنَ الْآيَاتِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ مِنَ الْإِبِلِ»[٥].

١١-قوله: «مِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ» «وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ مِنَ الْإِبِلِ (مِثْلَ أَعْدَادِهِنَّ) جَمْعُ عَدَدٍ (مِنَ الْإِبِلِ) بَيَانٌ لِلْأَعْدَادِ فَخَمْسُ آيَاتٍ خَيْرٌ مِنْ خَمْسِ إِبِلٍ»[٦].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٨٢، مادة (قطع).
(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ٦/ ٥٨٧.
(٣) مرقاة المفاتيح، ٣/ ٤٨٤.
(٤) انظر: عون المعبود، ٤/ ٢٣١.
(٥) عون المعبود، ٤/ ٢٣١.
(٦) عون المعبود، ٤/ ٢٣١.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-من فوائد الحديث بيان واضح إلى فضل قراءة القرآن وتعلمه.

٢-وأن ذلك أفضل من متاع الدنيا الزائل.

٣-وفيه إشارة إلى أن قارئ القرآن ذاكر لربه ﷻ لاسيما إذا كان المسلم متدبرًا متأملًا لمراد ربه.

***

٧- وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ قَعَدَ مَقْعَدَاً لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضْجِعاً لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ**»[(١)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٤-**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ**[(٢)]، **عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ**: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضْجِعاً لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ»[(٣)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «**من قعد مقعدًا**» أي: مجلسًا، وقال الإمام العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «مقعداً: بأن

---

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله ﷻ، برقم ٤٨٥٦، السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، من جلس مجلساً لم يذكر الله تعالى فيه، وذكر الاختلاف على سعيد بن أبي سعيد في خبر أبي هريرة، برقم ١٠٢٣٧، والطبراني في مسند الشاميين، ٢/٢٧٢، برقم ١٣٢٤، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم ٧٤، وفي صحيح الجامع، برقم ٥٦٠٧، وفي صحيح أبي داود، برقم ٤٨٥٦.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٤٨٥٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٤٨٥٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

يكون ذلك المجلس محتوياً: على فسق، ومعصية، ولم يُذكر الله فيه ﷻ»[١].

٢-قوله: «لم يذكر الله فيه» ذَهَبَ بعض العلماء إِلَى أَنَّهُ تَجِبُ الصَّلَاةُ عَلَى النبيّ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ مَرَّةً وَاحِدَةً، ثُمَّ لَا تَجِبُ فِي بَقِيَّةِ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ بَلْ يُسْتَحَبُّ[٢].

٣- قوله: «كانت عليه من الله ترة» أي: نقص كقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾[٣]، أي: لن ينقصكم ثواب أعمالكم، وكقوله ﷺ: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله»[٤]، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «ترة: أصل الترة: النقص، ومعناها هاهنا: التبعة، يقال: وترت الرجل ترة على وزن وعدته عدة»[٥]، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: حسرة، والموتر الذي قتل له قتيل، ولم يدرك بدمه، وكذلك وتره حقه، أي نقصه، وكلا الأمرين معقب للحسرة»[٦].

٤- قوله: «من اضطجع مضجعًا لم يذكر الله فيه»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «واضْطَجَع: نَامَ وَقِيلَ: اسْتَلْقَى وَوَضَعَ جَنْبَهُ بالأَرض... والمَضاجِعُ: جَمْعُ المَضْجَعِ؛ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿تتجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[٧]؛ أَي: تَتَجافى عَنْ مضاجِعِها الَّتِي اضْطَجَعَتْ فِيهَا»[٨].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

الترهيب من الغفلة عن ذكر الله ﷻ، والتي سببها مرض القلب أو موته بالكلية

---

(١) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، ص ٩٤.
(٢) انظر: تحفة الأحوذي، ٩/ ٣٧٣.
(٣) سورة محمد، الآية: ٣٥.
(٤) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب التغليظ في تفويت صلاة العصر، برقم ٦٢٦.
(٥) جامع الأصول، ٤/ ٤٧٢.
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٧٣٥.
(٧) سورة السجدة، الآية: ١٦.
(٨) لسان العرب، ٨/ ٢١٩، مادة (ضجع).

عافانا الله من ذلك؛ لأن العبد متى علم أن عمره هو رأس ماله فالواجب عليه أن يستغرقه ما أمكن في التجارة الرابحة مع الله تعالى وحتى لا يأتي إلى الله يوم القيامة بالفلس فتكون الحسرة والندامة يوم لا ينفع الندم كما قال تعالى: ﴿فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[(١)] أي: وليس الوقت، وقت خلاص مما وقعوا فيه، ولا فرج لما أصابهم، فَلْيَحْذَرْ هؤلاء أن يدوموا على عزتهم، وشقاقهم، فيصيبهم ما أصابهم»[(٢)].

***

٨- وقال ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»[(٣)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٥-**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه[(٤)]، **عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:** «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ» **وهذا لفظ الترمذي**[(٥)].

١٦-**ولفظ أحمد: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه، **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:** «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، وَمَا مَشَى أَحَدٌ مَمْشًى لَمْ

---

(١) سورة ص، الآية: ٣.

(٢) تفسير السعدي، ص ٧٠٩.

(٣) الترمذي، كتاب الدعوات، باب في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، برقم ٣٣٨٠، وأحمد، ١٦/ ١٩٣، برقم ١٠٢٧٧، وقال عنه محققو المسند، ١٦/ ١٩٤: «حديث صحيح» وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/١٤٠، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٧٤، وصحيح الجامع، برقم ٥٦٠٧.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) الترمذي، برقم ٣٣٨٠، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٤٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً، وَمَا أَوَى أَحَدٌ إِلَى فِرَاشِهِ وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةً»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه**»: قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «قال مجاهد: ما جلس قوم مجلساً فتفرقوا قبل أن يذكروا الله إلا تفرقوا عن أنتن من ريح الجيفة، وكان مجلسهم يشهد عليهم بغفلتهم»[٢]، قال المناوي: «فيتأكد ذكر الله، والصلاة على رسوله عند إرادة القيام من المجلس، وتحصل السنة في الذكر، والصلاة بأي لفظ كان، لكن الأكمل في الذكر: سبحانك اللهمّ، وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وفي الصلاة على النبي ﷺ»[٣].

٢-قوله: «**ولم يصلوا على نبيهم**»: قال السخاوي رحمه الله: «قولنا: اللهم صلّ على محمد: صلاة منا عليه لنا، لا نملك إيصال ما يعظم به أمره، ويعلو به قدره إليه، إنما ذلك بيد الله تعالى، فصحَّ أن صلاتنا عليه الدعاء بذلك، وابتغاؤه من الله جل ثناؤه»[٤]، ومعنى دعائنا بالصلاة على النبي ﷺ: سؤالنا الله تعالى أن يثني عليه في الملأ الأعلى.

٣-قوله: «**كانت عليه من الله ترة**»: قال الطيبي رحمه الله: «أي: حسرة، والموتر الذي قتل له قتيل، ولم يدرك بدمه»[٥]، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «كان

---

(١) أحمد، ١٥/ ٣٥٧، برقم ٩٥٨٣، وصحيح ابن حبان، ٣/ ١٣٣، برقم ٨٥٣، وصححه محققو المسند وابن حبان، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) جامع العلوم والحكم، ص ١٣٥.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ٥٥٩.

(٤) القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، للسخاوي، ص ٢٢.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٧٣٥، وتقدمت في شرح المفردة رقم ٥ =

عليهم من الله ترة يعني: قطيعة وخسارة»[١].

٤- قوله: «**فإن شاء عذبهم**» أي: على عدم ذكرهم لربهم، والصلاة على نبيهم، والانشغال بما لا طائل من ورائه، قال القاري: «فإن شاء عذبهم، أي بذنوبهم السابقة، وتقصيراتهم اللاحقة، وقال الطيبى رحمه الله دل على أن المراد بالترة التبعة، قال الطيبى: قوله: فإن شاء عذبهم من باب التشديد، والتغليظ، ويحتمل أن يصدر من أهل المجلس ما يوجب من حصائد ألسنتهم»[٢]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إِنَّ أَهْلَ الْكَبَائِرِ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ، إِذَا مَاتُوا إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، ثُمَّ غَفَرَ لَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ مِنْ غَيْرِ تَعْذِيبٍ»[٣].

٥- قوله: «**وإن شاء غفر لهم**» أي: تفضلًا منه ورحمة بهم، قال المباركفوري: «وَفِيهِ إِيمَاءٌ بِأَنَّهُمْ إِذَا ذَكَرُوا اللَّهَ لَمْ يُعَذِّبْهُمْ حَتْمًا بَلْ يَغْفِرُ لَهُمْ جَزْمًا»[٤].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث[٥]:

١-فيه بيان لقدرة الله عز وجل، وأنه يفعل ما يشاء وأنه تعالى إذا عذب خلقه بذنوبهم أو رحمهم برحمته فلا راد لفضله ولا معقب لحكمه، قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[٦] أما غيره فيسأل عن فعله وعمله لأنه عاجز وجاهل ومربوب.

=

من مفردات حديث متن المقدمة، رقم٧ في فضل الذكر.

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٨٣٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث متن المقدمة، رقم ٧ في فضل الذكر.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣٧.

(٣) مجموع الفتاوى، ٦/ ١٧٥.

(٤) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٢٨.

(٥) انظر: فوائد الحديث السابق، رقم ٧ من أحاديث متن المقدمة.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

٢-قال الطيبي رحمه الله: «المثل يراد به الكلام الذي يجري بين الناس في المجالس من الأمور الدنيوية، والهفوات، والسقطات، فإذا لم تجر باسم الله تعالى يكون كجيفة يعافها الناس»(١).

٣-وفيه كذلك التحذير من الغفلة عن الصلاة على النبي ﷺ. قال العلامة الصنعاني: «والحديث دليل على وجوب الذكر، والصلاة على النبي ﷺ في المجلس، سيما مع تفسير الترة بالنار، أو العذاب، فقد فسرت بهما؛ فإن التعذيب لا يكون إلا لترك واجب، أو فعل محظور، وظاهره أن الواجب هو الذكر، والصلاة عليه ﷺ معاً، وقد عدّت مواضع الصلاة عليه ﷺ، فبلغت ستة وأربعين موضعاً»(٢).

٤-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله:«ويتحقق ذكر الله عز وجل في المجالس بصور عديدة، فمثلاً: إذا تحدث أحد الأشخاص في المجلس عن آية من آيات الله عز وجل؛ فإن هذا من ذكر الله، مثل أن يقول: نحن في هذه الأيام في دفء كأننا في الربيع، وهذا من آيات الله؛ لأننا في الشتاء، وفي أشد ما يكون من أيام الشتاء برداً، ومع ذلك فكأننا في الصيف، فهذا من آيات الله، ويقول مثلاً: لو اجتمع الخلق على أن يدفئوا هذا الجو في هذه الأيام التي جرت العادة أن تكون باردة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وما أشبه ذلك، أو مثلاً يذكر حالة من أحوال النبي عليه الصلاة والسلام مثل أن يقول: كان النبي عليه الصلاة والسلام أخشى الناس لله، وأتقاهم لله، فيذكره عليه الصلاة والسلام، ثم يصلي عليه، والحاضرون يكونون إذا استمعوا إليه مثله في الآجر، هكذا يكون ذكر الله عز وجل، والصلاة على رسول الله ﷺ، وإن شاء الله من

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٧٣٦.

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام، ٣/ ٣٤٤، وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله: جميع المواطن التي يصلى على النبي ﷺ فيها في كتابه: «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام» وسيأتي لذلك مزيد عناية أثناء شرح أحاديث المتن، رقم ٢٢٩، ٢٢٣ إن شاء الله تعالى.

الأصل إذا جلس قال: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، وما أشبه ذلك، المهم أن الإنسان العاقل يستطيع أن يعرف كيف يذكر الله، ويصلي على النبي ﷺ في هذا المجلس، ومن ذلك أيضاً: أنه إذا انتهى المجلس، وأراد أن يقوم يقول: «سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»(١).

٥-وقال أيضاً: «ينبغي للإنسان ألا يفوت عليه مجلساً، ولا مضطجعاً، إلا يذكر الله، حتى يكون ممن قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾(٢)»(٣).

٦-قال العلامة الشوكاني رحمه الله: «وَفِي هَذَا الحَدِيث دَلِيل على أَن الْمجْلس الَّذِي لم يُذكرِ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ، وَلم يُصلَّ على رَسُوله فِيهِ، يكون حسرةً يَوْم الْقِيَامَة على أَهله؛ لما فاتهم من الْأجر، وَالثَّوَاب، وَإِن دخلُوا الْجنَّة للثَّواب على أَعْمَالهم، مَعَ تفضُّلِ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِم بِدُخُولِهَا؛ فَإِنَّهُ قد فاتهم مَا فِيهِ زِيَادَة فِي الدَّرَجَات، وَكَثْرَة فِي المثوبات؛ وَلِهَذَا كَانَ عَلَيْهِم حسرةً يَوْم الْقِيَامَة، أَي بِفَوَات الثَّوَاب بترك الذّكر وَالصَّلَاة»(٤).

* * *

٩- وَقَالَ ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلاَّ قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً»(٥).

---

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٨٣٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٨٣٧.

(٤) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، للإمام الشوكاني، ص ٤٠.

(٥) أبو داود، كتاب الأدب، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله، برقم ٤٨٥٥، وأحمد، ١٦/٤٠٠، برقم ١٠٦٨٠، وصحح إسناده محققو المسند، ١٦/ ٤٠٠، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم ٧٧، وفي الكلم الطيب، برقم ٢٢٤، وفي صحيح الجامع، ٥/١٧٦، برقم ٧٧٩٤، وفي صحيح سنن أبي داود، ٣/ ١٩٢ .

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٧-**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** ﷺ[١] **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلاَّ قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً». **هذا لفظ أبي داود**[٢].

١٨-**ولفظ أحمد: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** ﷺ، **عَنْ النَّبِيِّ** ﷺ **قَالَ**: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا فَتَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرٍ، إِلَّا تَفَرَّقُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**ما من قوم**»: قال الفيومي رحمه الله: «الْقَوْمُ: جَمَاعَةُ الرِّجَالِ، لَيْسَ فِيهِمْ امْرَأَةٌ، الْوَاحِدُ رَجُلٌ وَامْرُؤٌ مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ... وَرُبَّمَا دَخَلَ النِّسَاءُ تَبَعًا؛ لِأَنَّ قَوْمَ كُلِّ نَبِيٍّ: رِجَالٌ وَنِسَاءٌ»[٤].

٢-قوله: «**يقومون من مجلس**»: قال القاري رحمه الله: «أي: ما يقومون قياماً إلا هذا القيام»[٥].

٣-قوله: «**لا يذكرون الله فيه**»: قال المناوي: «فيتأكد ذكر الله، والصلاة على رسوله عند إرادة القيام من المجلس، وتحصل السنة في الذكر، والصلاة بأي لفظ كان»[٦].

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٢) أبو داود، برقم ٤٨٥٥، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم ٧٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) أحمد، برقم ١٠٦٨٠، وصححه محققو المسند، ١٦/ ٤٠٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢/ ٥٢٠، مادة (قوم).

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣٧.

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ٥٥٩، وتقدم في شرح المفردة الثانية من مفردات حديث متن المقدمة في فضل الذكر، رقم ٨.

٤-قوله: «قاموا»: أي: من مجلسهم الذي كانوا فيه، قال الطيبي رحمه الله: «وضمن قاموا معنى التجاوز، فعدى بـ«عن»، والمثل يراد به الكلام الذي يجري بين الناس في المجالس من الأمور الدنيوية، والهفوات، والسقطات»[(١)].

٥-قوله: «جيفة حمار» أي: في القذارة والنتانة؛ لأن الجيفة هي الميت إذا أنتن، وتكون أقذر وأبلغ في البشاعة إذا كانت لجثة حمار، قال ابن الأثير: «يقال: جَافَتِ المَيْتَة، واجْتَافت، والجِيفَة: جُثة الميت إذا أَنْتَن»[(٢)]، وقال المناوي: «أي مثلها في النتن والقذارة والبشاعة؛ لما صدر منهم من رديء الكلام ومذمومه شرعاً، إذ المجلس الخالي من ذكر الله إنما يعمر بما ذكر، ونحوه ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ﴾[(٣)] فحيث لم يختموه بما يكفر لغطه قاموا عن ذلك»[(٤)].

٦-قوله: «وكان لهم حسرة»: أَيْ نَدَامَةٌ لَازِمَةٌ لَهُمْ؛ لِأَجْلِ مَا فَرَّطُوا فِي مَجْلِسِهِمْ ذَلِكَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى[(٥)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-التخويف من مجالس الغفلة والتي يكثر فيها اللغط والخوض في أعراض الناس بالغيبة والنميمة، وهذه المجالس مما عمت به البلوى في هذا الزمان إلا من رحم الله، فعلى العاقل أن يغتنم أنفاسه فيما ينفعه يوم العرض الأكبر على الله تعالى، وليعلم أن الليل والنهار مطيتان فيجب عليه أن يحسن بهما سيره إلى الله تعالى، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٧٣٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣٢٥، مادة (جيف).

(٣) سورة يونس، الآية: ٣٢.

(٤) فيض القدير، ٥/ ٦٣٠.

(٥) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ١٣/ ١٣٨.

فضل مجالس الذكر، وحلقات العلم، ثبت في ذلك أحاديث كثيرة، منها الأحاديث الآتية:

١٩-الحديث الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ»، قَالَ: «فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» **قَالَ:** «فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ» **قَالَ:** «فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟، قَالَ: فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ مَا رَأَوْكَ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ» قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»[٢].

٢٠-الحديث الثاني: لفظ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٣]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.
(٢) البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله ﷻ، برقم ٦٤٠٨، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل مجالس الذكر، برقم ٢٦٨٩.
(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ ﷻ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»[1].

٢١-الحديث الثالث: عَنِ الْأَغَرِّ أَبِي مُسْلِمٍ[2]، أَنَّهُ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ[3]، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ[4] رضي الله عنهما أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ[5]، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[1].

---

(١) مسلم، برقم ٢٦٩٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه، ويقال: الجهني، له صحبة، وهو من المهاجرين، روى عنه أهل البصرة، وقد روى عنه عبد الله بن عمر، ومعاوية بن قرة المزني رضي الله عنه، وقد أخرج له مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي. انظر: الاستيعاب، ١/ ١٠٢، والإصابة ١/ ٥٥.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٤) أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، الإمام المجاهد مفتي المدينة سعد بن مالك بن سنان الخدري، هو وأبوه صحابيان، واستشهد أبوه يوم أحد، وكان سعد بن مالك أحد الفقهاء المجتهدين، حدث عن النبي ﷺ فأكثر وأطال، ويلغ مسنده ألفاً ومائة وسبعين حديثاً، وحدث عن أبي بكر وعمر وطائفة، وتوفي رضي الله عنه عام ٧٤ هـ. سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣/ ١٦٨، ترجمة رقم (٢٨).

(٥) قال القرطبي في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٦٩: «والسكينة: مأخوذة من السكون، وهو الوقار والطمأنينة، وهي ها هنا اسم للملائكة؛ كما فسرها في الرواية الأخرى، وسمّاهم بذلك لشدّة وقارهم وسكونهم».

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم، ٦/ ٨٢: «فقال النبي ﷺ: (تلك السكينة نزلت للقرآن)، =

٢٢-الحديث الرابع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٢]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[٣].

٢٣-الحديث الخامس: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ[٤]، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ قَوْمٍ

=

في الرواية الأخيرة: (تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم)، قد قيل في معنى السكينة هنا أشياء، المختار منها: أنها شيء من مخلوقات الله تعالى فيه طمأنينة ورحمة، ومعه الملائكة، والله أعلم، وفي هذا الحديث جواز رؤية آحاد الأمة الملائكة، وفيه فضيلة القراءة، وأنها سبب نزول الرحمة، وحضور الملائكة، وفيه فضيلة استماع القرآن لقوله ﷺ: (اقرأ فلان)، وفي الرواية الأخرى: (اقرأ) ثلاث مرات معناه: كان ينبغي أن تستمر على القرآن، وتغتنم ما حصل لك من نزول السكينة، والملائكة، وتستكثر من القراءة التي هي سبب بقائها».

قاله النووي تعليقاً على حديث الْبَرَاءِ ﷺ، قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدُورُ وَتَدْنُو، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ مِنْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ»» رواه مسلم، برقم ٧٩٥.

وأما قول النبي ﷺ: «اذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، وأتوها تمشون، وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا، فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة» مسلم، برقم ٦٠٢ فيه الندب الأكيد إلى إتيان الصلاة بسكينة ووقار، والنهي عن إتيانها سعياً، سواء فيه صلاة الجمعة وغيرها، سواء خاف فوت تكبيرة الإحرام أم لا. شرح النووي على صحيح مسلم، ٥/ ٩٨.

وأما قول النبي ﷺ: «السكينة السكينة» مرتين منصوباً مسلم، برقم ١٢١٨، أي: الزموا السكينة، وهي الرفق والطمأنينة. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٨/ ١٨٦.

(١) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، برقم ٢٧٠٠.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، برقم ٢٦٩٩.

(٤) أنس بن مالك ﷺ: الإمام، المفتي، المحدث، أبو حمزة الأنصاري، خادم رسول الله ﷺ وآخر الصحابة موتًا بالمدينة، شهد بدرًا مع النبي ﷺ وهو غلام يخدمه، دعا له رسول الله ﷺ بقوله: «اللّهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيه» مسلم، كتاب المساجد، باب جواز الجماعة في النافلة، برقم ١٤٩٩، فكان نخله يحمل في السنة مرتين، ورزقه الله من صلبه

=

اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ، لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ، إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ»[١].

٢٤-الحديث السادس: عَنْ سهْلِ بن الحَنْظَلِيّةِ[٢] ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ ﷻ فِيهِ، فَيَقُومُونَ حَتَّى يُقَالَ لَهُمْ قُومُوا، قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وبُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ»[٣].

٢٥-الحديث السابع: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ[٤]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ[٥]، فَارْتَعُوا[٦]» **قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ:** «حِلَقُ الذِّكْرِ»[٧].

=

مائة وستة نفس، أمه هي أم سليم الصحابية المشهورة، مسنده ألفان ومئتان وستة وثمانون حديث، توفي عام ٩٣ هـ وقد جاوز المائة بثلاث وقيل: بسبع سنين.سير أعلام النبلاء، ٢/ ٣٩٥، ترجمة رقم (٦٢).

(١) أخرجه أحمد، ١٩/ ٤٣٧، برقم ١٢٤٥٣، وأبو يعلى، ١٦٧/٧، برقم ٤١٤١، وشعب الإيمان للبيهقي، ١/ ٤٠١، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي، ٧/ ٢٣٥، برقم ٢٦٧٧، وحسّنه، وصححه لغيره محققو المسند، ١٩/ ٤٣٧، وصححه لغيره أيضاً الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٩٨، برقم ١٥٠٤.

(٢) في شعب الإيمان للبيهقي، وبعض نسخ الطبراني ذكر أنه سهيل بن الحنظلية، وبعضها: الحنظلة، والذي في صحيح الترغيب، ونسخ أخرى للمعجم الكبير: سهل، وهذا ماذكره الحافظ في التقريب عند ذكره في الرجال، وقال في ترجمته: سهل بن الحنظلية، صحابي، أنصاري أوسي، والحنظلية أمه، أو من أمهاته. انظر: تقريب التهذيب، ٢/ ١٨١.

(٣) المعجم الكبير، للطبراني، ٦/ ٢١٢، برقم ٦٠٣٩، وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٩٩، برقم ١٥٠٦.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٥) الرياض: جمع مفرده: روضة، والروضة: الموضع المعْجِبُ بالزهور. انظر: المصباح المنير، ١/ ٢٤٥، مادة(روض).

(٦) قال الإمام ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٧٢، مادة (رتع): «ومنه الحديث: «إذا مَرَرْتُم برياض الجنة فارتَعُوا» أراد برياض الجنة: ذِكرَ الله، وشبَّه الخوض فيه بالرَّتع في الخِصْب... يطُوف به ويدُور حَوله... حتى يَشْبَعوا في المَرْتع».

(٧) أخرجه أحمد (٤٩٨/١٩، برقم ١٢٥٢٣، والترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا إبراهيم بن يعقوب، برقم ٣٥١٠، وأبو يعلى، ١٥٥/٦، برقم ٣٤٣٢، والبيهقي في شعب الإيمان، ٣٩٨/١ والطبراني في الدعاء، ٥٢٨/١، برقم ١٨٩٠، وأبو نعيم في الحلية، ٢٦٨/٦، ، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٠٠، برقم ١٥١١. وفي رواية في المعجم الكبير للطبراني، ١١/ ٩٥، برقم ١٥٨، عن ابن عباس بلفظ: «مجالس العلم» وهي ضعيفة.

٢-ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه «مدارج السالكين»[(١)]: أن الذكر ورد في القرآن الكريم على عشرة أوجه ودلل على ذلك فقال ما ملخصه:

الأول: الأمر به مطلقًا ومقيدًا. كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾[(٢)].

الثاني: النهي عن ضدِّه من الغفلة والنسيان، كقوله: ﴿**وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**﴾[(٣)].

الثالث: تعليق الفلاح بكثرته واستدامته، كقوله: ﴿**وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[(٤)].

الرابع: الثناء على أهله والجزاء على ذلك. كقوله: ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾[(٥)].

الخامس: الإخبار عن خسران من لها عنه بغيره، كقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[(٦)].

السادس: أن الله جعل ذكره لهم جزاءًا لذكرهم له. قال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾[(٧)].

السابع: الإخبار أن ذكر الله أكبر من كل شيء. كقوله: ﴿**وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾[(٨)].

الثامن: أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها قال الله تعالى في شأن

---

(١) ٢/ ٤٢٤ وما بعدها.
(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١- ٤٢.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.
(٤) سورة الجمعة، الآية: ١٠.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.
(٦) سورة المنافقون، الآية: ٩.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.
(٨) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

الصيام: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[(١)].

وفي شأن الحج قال جل ذكره: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[(٢)].

وفي شأن الصلاة قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾[(٣)].

وفي شأن صلاة الجمعة قال ﷻ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[(٤)].

التاسع: الإخبار عن أهله أنهم أهل الانتفاع بآياته. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[(٥)].

العاشر: أن ذكر الله هو قرين الأعمال الصالحة وروحها فمتى عدمته كانت كالجسد بلا روح. قال تعالى في شأن الصلاة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[(٦)]، وفي الجهاد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[(٧)].

فوائد الذكر وثمراته، ومنافعه في الدين والدنيا والآخرة:

للذكر فوائد، وثمرات، ومنافع، ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله منها ثلاثاً وسبعين فائدة، وملخصها على النحو الآتي:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٠.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٠٣.
(٤) سورة الجمعة، الآية: ١٠.
(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠- ١٩١.
(٦) سورة طه، الآية: ١٤.
(٧) سورة الأنفال، الآية: ٤٥.

١-يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.
٢-يرضي الرحمن ﷻ.
٣-يزيل الهم والغم عن القلب.
٤-يجلب للقلب: الفرح، والسرور، والبسط.
٥-يقوّي القلب والبدن.
٦-ينوّر الوجه والقلب.
٧-يجلب الرزق.
٨-يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنُّضْرَة.
٩-يورث محبة الله للعبد التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين.
١٠-يجلب مراقبة العبد لربه حتى يدخله في باب الإحسان.
١١-يورث الإنابة، وهي: الرجوع إلى الله ﷻ، فيبقى الله ﷻ مفزعه وملجأه.
١٢-يورث قرب الذاكر من ربه، فعلى قدر ذكره لله ﷻ يكون قربه منه.
١٣-يفتح الله به للذاكر باباً عظيماً من أبواب المعرفة.
١٤-يورث الهيبة لربه ﷻ وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله ﷻ.
١٥-يورث ذكر الله تعالى للذاكر، ولو لم يكن فيه إلا هذه لكفى بها فضلاً وشرفاً.
١٦-يجلب حياة القلب، وهو مثل الماء للسمك.
١٧-الذكر قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.
١٨-يورث جلاء القلب من صدئه، وصدأ القلب هو: الغفلة، والذنب.
١٩-يحط الخطايا ويذهبها؛ فإنه من أعظم الحسنات والحسنات يذهبن السيئات.
٢٠-يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه ﷻ، فالغفلة وحشة تزول بالذكر.
٢١-الذكر يُذْكَرُ بِه صاحبه حول العرش.
٢٢-إذا تعرّف العبد إلى الله بذكره في الرخاء عرفه الله في الشده.

٢٣-ينجي من عذاب الله تعالى، فما عمل آدمي عملاً أنجى من عذاب الله ﷻ من ذكر الله.
٢٤-يسبب تنزيل السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بالذاكر.
٢٥-يشغل اللسان عن: الغيبة، والنميمة، والكذب، والفحش، والباطل.
٢٦-مجالس الذكر: مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة: مجالس الشياطين.
٢٧-يسعد الذاكر بذكره، ويسعد به جليسه، وهذا هو المبارك أين ما كان.
٢٨-يؤمِّن العبد من الحسرة يوم القيامة، فإن كل مجلس لا يذكر الله فيه يكون حسرة على صاحبه.
٢٩-الذكر مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله العبد في ظله يوم الحر الأكبر.
٣٠-الاشتغال بالذكر سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين.
٣١-الذكر أيسر العبادات، وهو من أفضلها؛ فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح.
٣٢-الذكر غراس الجنة، فالجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وغراسها الذكر.
٣٣-العطاء والفضل الذي رتب على الذكر لم يرتب على غيره من الأعمال.
٣٤-دوام ذكر الرب يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد.
٣٥-الذكر يُسيِّر العبد وهو قاعد في فراشه وفي حال صحته وسقمه وفي حال نعيمه ولذته.
٣٦-الذكر نور للذاكر في الدنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده.
٣٧-الذكر رأس الأمور فمن فُتِح له فيه فقد فُتِحَ له باب الدخول على الله ﷻ.
٣٨-في القلب خَلَّة وفاقة لا يسدها شيء البته إلا ذكر الله ﷻ.
٣٩-الذكر يجمع المتفرق، فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه، وإرادته وهمومه.
٤٠-الذكر ينبِّه القلب من نومه، ويوقظه من سنته، والقلب إذا كان نائماً فاتته الأرباح.
٤١-الذكر شجرة تثمر المعارف، والأحوال التي شمر إليها السالكون.
٤٢-الذاكر قريب من الله، والله معه، وهذه المعية معية خاصة بالقرب، والمحبة، والنصرة.
٤٣-الذكر يعدل: عتق الرقاب، ونفقة الأموال، والحمل على الخيل في سبيل الله ﷻ.
٤٤-الذكر رأس الشكر، فما شكر الله تعالى من لم يذكره.

٤٥-أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطباً بذكره.

٤٦-في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله، فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى.

٤٧-الذكر شفاء القلب، ودواؤه، والغفلة مرضه.

٤٨-الذكر أصل موالاة الله ﷻ، ورأسها، والغفلة أصل معاداته، ورأسها.

٤٩-ما استجلبت نعم الله ﷻ واستدفعت نقمة بمثل ذكر الله تعالى.

٥٠-الذكر يوجب صلاة الله ﷻ، وملائكته على الذاكر.

٥١-من أراد أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليجلس في مجالس الذكر.

٥٢-مجالس الذكر:مجالس الملائكة، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر الله تعالى فيه.

٥٣-إن الله ﷻ يباهي بالذاكرين ملائكته.

٥٤-مدمن الذكر يدخل الجنة...

٥٥-جميع الأعمال إنما شُرِعَتْ إقامة لذكر الله تعالى.

٥٦-أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكراً لله ﷻ...

٥٧-إدامة الذكر تنوب عن التطوعات، وتقوم مقامها؛ سواء كانت بدنية أو مالية.

٥٨-ذكر الله ﷻ من أكبر العون على طاعته، فإنه يحببها إلى العبد، ويُلَذِّذُها له.

٥٩-ذكر الله ﷻ يسهّل الصعب، وييسر العسير، ويُخَفِّفُ المشاق.

٦٠-ذكر الله ﷻ يُذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن.

٦١-الذكر يُعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يطق فعله بدونه.

٦٢-عُمَّال الآخرة كلهم في مضمار السباق، والذاكرون هم أسبقهم.

٦٣-الذكر سبب لتصديق الرب ﷻ عبده؛ فإنه أخبر عن الله بأوصاف كماله.

٦٤-دُور الجنة تبنى بالذكر.

٦٥-الذكر سدٌّ بين العبد وبين جهنم.

٦٦-الملائكة تستغفر للذاكر.

٦٧-الجبال، والقفار تتباهى، وتستبشر بمن يذكر الله ﷻ عليها.

٦٨-كثرة ذكر الله ﷻ أمان من النفاق، فإن المنافقين قليلو الذكر لله ﷻ.

٦٩-للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء.

٧٠-الذكر يكسو الوجه نُضْرةً في الدنيا، ونوراً في الآخرة.

٧١-في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة.

٧٢-في الاشتغال بالذكر اشتغال عن الكلام الباطل من الغيبة، واللغو.

٧٣-الذكر يطرد الشياطين عن العبد[1]، فعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إني رَأَيْتُ البارِحَةَ عَجَباً رَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قَدِ احْتَوشَتْهُ ملائِكَةُ العَذابِ، فَجاءَهُ وُضوءُهُ فاسْتَنقذَهُ مِنْ ذلِكَ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قَدْ بُسِطَ عَلَيْهِ عَذابُ القَبْرِ، فَجاءَتْهُ صلاتُهُ فاسْتَنْقَذَتْهُ مِنْ ذلكَ، ورَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قَدِ احْتَوَشَتْهُ الشَّياطِينُ، فجاءَهُ ذِكْرُ الله فَخَلَّصَهُ مِنْهُمْ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي يَلْهَثُ عَطَشاً، فَجاءَهُ صِيامُ رَمَضانَ، فَسَقاهُ، وَرَأَيْتُ رَجلاً مِنْ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ظُلْمَةٌ، ومِنْ خَلفِهِ ظُلْمَةٌ، وعَنْ يَمِينِه ظُلْمَةٌ، وعَنْ شِمالِهِ ظُلْمَةٌ، ومِنْ فَوْقِهِ ظُلْمَةٌ، ومِنْ تَحْتِهِ ظُلْمَةٌ، فَجاءَتْهُ حَجَّتُهُ وعُمْرَتُه، فاسْتَخْرَجاهُ مِنَ الظُّلْمَةِ، ورَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي جاءَهُ مَلَكُ الموْتِ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَجاءَهُ بِرُّهُ لِوالِدَيْهِ، فَرَدَّهُ عَنْهُ، وَرَأَيْت رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي يُكلِّمُ المُؤْمِنِينَ، ولا يُكَلِّمونَهُ، فَجاءَتْهُ صِلَةُ الرَّحِمِ، فَقالَتْ: إن هذا كانَ واصِلاً لِرَحِمِهِ، فكلِّمَهُمْ وكَلَّمُوهُ، وصارَ مَعَهُمْ، ورَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي يأْتِي النَّبِيِّينَ، وهُمْ حِلَقٌ كُلَّما مَرَّ على حَلْقَةٍ طُرِدَ، فَجاءَهُ اغْتِسالُهُ مِنَ الجَنابَةِ فأخَذَ بِيَدِهِ، فأجْلَسَهُ إلى جَنْبِي، ورَأَيْت رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي يَتَّقِي وَهَجَ النَّارِ بِيَدَيْهِ عَنْ وَجْهِهِ، فَجاءَتْهُ صَدَقَتُهُ فصارَتْ ظِلاً على رَأْسِهِ، وَسِتْراً عَنْ وَجْهِهِ، ورَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي جاءَتْهُ زَبانِيَةُ العَذابِ، فَجاءَهُ أَمْرُهُ بالمَعْرُوفِ، ونَهْيُهُ عَنِ المُنْكَرِ فاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذلِكَ، ورَأَيْتُ رَجُلاً**

---

(١) انظر: الوابل الصيب، للإمام ابن القيم رحمه الله، ص ٨٤- ١٦٩.

مِنْ أُمَّتِي هَوَى في النَّار، فَجاءَتْهُ دُمُوعُهُ اللاّتِي بَكَى بها في الدُّنْيا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، فأَخْرَجَتْهُ مِنَ النَّارِ، ورَأَيْتُ رَجلاً مِنْ أُمَّتِي قَدْ هَوَتْ صَحِيفَتُهُ إلى شِمالِهِ، فجاءَهُ خَوْفُهُ مِنَ اللَّه تَعالى، فأَخَذَ صَحِيفَتَهُ فَجَعَلَها في يَمِينِهِ، ورَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي قَدْ خَفَّ مِيزَانُهُ، فَجَاءَهُ أَفْرَاطُهُ فَثَقَّلُوا مِيزَانَهُ، ورَأَيْتُ رَجلاً مِنْ أُمَّتِي على شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فجاءَهُ وَجَلُهُ مِنَ اللهِ تعالى، فاسْتَنْقَذَهُ مِنْ ذلِكَ، وَرَأَيْتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي يَرْعَدُ كما تَرْعَدُ السَّعْفَةُ، فجاءَهُ حُسْنُ ظَنِّهِ باللَّه تَعالى، فَسَكَنَ رِعْدَتَهُ، ورَأَيْتُ رَجلاً مِنْ أُمَّتِي يَزْحَفُ على الصِّرَاطِ مرَّةً، ويَحْبُو مَرَّةً، فَجاءَتْهُ صلاتُهُ عَلَيَّ فأَخَذَتْ بِيَدِهِ، فأَقامَتْهُ على الصِّرَاطِ حَتّى جازَ، ورَأَيْتُ رَجلاً مِنْ أُمَّتِي انْتَهَى إلى أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَغُلِّقَتِ الأَبْوَابُ دُونَهُ، فَجاءَتْهُ شَهادَةُ أن لا إله إلاَّ اللهُ فأَخَذَتْ بِيَدِهِ، فأَدْخَلَتْهُ الجَنَّةَ»[(1)].

فالذكر له فوائد، وثمرات، ومنافع لا تحصى، ومما يدل على ذلك إضافة إلى ما تقدم من الآيات والأحاديث: حديث الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ: أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ تَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ، وَإِمَّا أُبَلِّغُهُنَّ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي،

---

(١) أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال، ص ٨٤، برقم ٣٩، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، ٣/ ١٥١، وابن عساكر في تاريخ دمشق، ٣٤/ ٤٠٥، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد، ٧/ ١٨٠، والألباني في ضعيف الجامع الصغير، برقم ٢٠٨٤. واستشهد به الإمام ابن القيم في عدة مواضع من كتبه، فقال في الوابل الصيب، طبعة المؤيد، تحقيق بشير عيون، ص ١٦٩: «رواه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب الترغيب في الخصال المنجية، والترهيب من الخلال المردية، وبنى كتابه عليه، وجعله شرحاً له، وقال: هذا حديث حسن جداً، رواه عن سعيد بن المسيب عمرو بن آزر، وعلي بن زيد بن جدعان، وهلال أبو جبلة، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يعظم شأن هذا الحديث، وبلغني عنه أنه كان يقول : شواهد الصحة عليه» وقال ابن القيم في كتابه الروح، ص ٨٣: «وسمعت شيخ الإسلام يعظم أمر هذا الحديث وقال: أصول السنة تشهد له، وهو من أحسن الأحاديث» وأيد ذلك العلامة العيني في عمدة القاري، ١١/ ١٨٠، وقال الإمام الصنعاني رحمه الله في التنوير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٢٣١: «قال ابن القيم: كان شيخنا -يعني ابن تيمية- يعظم أمر هذا الحديث، ويفخم شأنه، ويعجب به، ويقول: أصول السنة تشهد له، ورونق كلام النبوة يلوح عليه، وهو من أحسن الأحاديث، وقال القرطبي: هو حديث عظيم ذكر فيه أعمال خاصة».

إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ، أَوْ يُخْسَفَ بِي، قَالَ: فَجَمَعَ يَحْيَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، حَتَّى امْتَلأَ الْمَسْجِدُ، وَقُعِدَ عَلَى الشُّرَفِ ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ:

أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِوَرِقٍ، أَوْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي عَمَلَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَسُرُّهُ، أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ، وَإِنَّ اللهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، فَاعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.

وَأَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا.

وَأَمَرَكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِنْ مِسْكٍ فِي عِصَابَةٍ، كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ، وَإِنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ.

وَأَمَرَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ، فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ، وَقَرَّبُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ، فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ، وَالْكَثِيرِ، حَتَّى فَكَّ نَفْسَهُ.

وَأَمَرَكُمْ بِذِكْرِ اللهِ كَثِيرًا، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ ، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا، فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللهِ» قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ، اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، إِلَى أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟ قَالَ: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِمَا سَمَّاهُمُ اللهُ: الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ»[1].

---

(١) مسند أحمد، ٢٩/ ٣٣٥، برقم ١٧٨٠٠، والترمذي، كتاب الأمثال، باب ما جاء مثل الصلاة والصيام والصدقة، برقم ٢٨٦٧، و٢٨٦٨، وقال: حديث حسن صحيح، وصحح إسناده محققو المسند، ٢٩/ ٣٣٦، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ١٣٢، برقم ٥٥٢، واستشهد به ابن القيم في كتابه: الوابل الصيب، ص ٨٣.

١- أَذْكَارُ الاسْتِيْقَاظِ مِنَ النَّوْمِ

١ - (١) «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»[١].

الشـــرح:

أولا: لفظ الحديث:

٢٦-عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ ﷺ[٢]،قالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا» وَإِذَا قَامَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» وهذا لفظ البخاري[٣].

٢٧-وفي لفظ آخر للبخاري: عن حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَان ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ، وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا» وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»[٤].

٢٨-ولفظ الحديث عند مسلم عن البراء بن عازب ﷺ[٥]، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ: «اللهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا، وَبِاسْمِكَ أَمُوتُ» وَإِذَا

---

(١) البخاري كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، برقم ٦٣١٢، وباب وضع اليد اليمنى تحت الخد اليمنى، برقم ٦٣١٤.

(٢) حذيفة بن اليمان، هو وأبوه صحابيان ﷺ، واسم اليمان: حسل، ويقال: حسيل، وقد قُتل اليمان غلطًا يوم أحد على أيدي الصحابة ﷺ وحذيفة هو صاحب سر رسول الله ﷺ؛ لأن النبي ﷺ كان يُسر له بأسماء المنافقين وبأمور الفتن التي أطلعه الله عليها، وقد ندبه النبي ﷺ ليلة الأحزاب ليجس له خبر العدو. ولي إمارة المدائن لعمر ﷺ فبقى عليها إلى ما بعد مقتل عثمان، وتوفى بها بعد مقتل عثمان بأربعين ليلة سنة ستة وثلاثين. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٢/ ٣٦١، ترجمة رقم ٧٦.

(٣) البخاري، برقم ٦٣١٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري، برقم ٦٣١٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) البراء بن عازب ﷺ: أبو عمارة الأنصاري، هو وأبوه صحابيان ﷺ، وهو من أعيان الصحابة ﷺ، غزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة، ومسنده ثلاثمائة، وخمسة أحاديث، توفي سنة اثنتين. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/ ١٩٤، ترجمة رقم ٣٩.

اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**الحمد لله**»: هو الثناء على الله بصفات الكمال ونعوت الجلال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل. قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: ... فهو جلّ وعلا محمود في ابتداء الخلق، وانتهاء الخلق، واستمرار الخلق، ومحمود على ما أنزل على عبده من الشرائع، محمود على كل حال؛ ولهذا كان النبي ﷺ يحمد الله على كل حال، وما يقوله بعض الناس اليوم الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه فهو خطأ غلط؛ لأنك إذا قلت: الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، فهو عنوان على أنك كاره لما قدره عليك، وقد حمد الله نفسه، وأمر بحمده، فأمرنا أن نحمده جل وعلا، بل جعل حمدنا إياه من أركان الصلاة، لا تتم الصلاة إلا به، فحمد الله تعالى واجب على كل إنسان، وكذلك الشكر: الشكر على إنعامه، كم أنعم عليك من نعمة عقل، وسلامة بدن، ولو لم يكن من نعمته عليك إلا هذا النَّفَس الذي لو منعته لفقدت الحياة، مع أنه يخرج بدون أي كلفة، وبدون أن تتعب له، وانظر الذين ابتلوا بضيق النفس، كيف يتكلفون عند إدخال النفس، ونعمه لا تحصى أبداً: العقل، والأولاد، والمال، والدين كل هذه نعم عظيمة، يستحق جل وعلا أن يشكر عليها، والشكر قال أهل العلم: هو القيام بطاعة المنعم، ولاسيما جنس هذه النعمة، فإذا أنعم الله عليك بمال، فليكن عليك أثر هذا المال في لباسك في بيتك، في مركوبك، في صدقاتك، في نفقاتك، ليرى أثر نعمة الله عليك في هذا المال، في العلم إذا أنعم الله عليك بعلم، فيرى عليك أثر هذا العلم، من نشره بين الناس: تعليمه الناس، والدعوة إلى الله عز وجل، وغير ذلك، فالشكر يكون من جنس النعمة التي أنعم الله بها عليك

(١) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم ٢٧١١.

أو بأعم، إذاً فمن عصى الله فإنه لم يقم بشكر نعمة الله، كافر بنعمة الله والعياذ بالله، فالعاصي لم يقم بشكر نعمة الله ﷻ، وينقص من شكره بقدر ما أتى من المعصية، حتى لو قال الإنسان بلسانه أشكر الله، الشكر لله وهو يعصي الله! فإنه لم يصدق فيما قال، فالشكر القيام بطاعة المنعم، والشكر له فائدتان عظيمتان: **منها الاعتراف بالله** تعالى في حقه، وفضله، وإحسانه، **ومنها أنه سبب لمزيد النعمة**، كلما شكرت زادت نعم الله عليك، قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾[(١)]، إذا شكر الإنسان زاده الله، وإذا كفر عرض نفسه لعذاب الله، وعذاب الله تعالى شديدٌ، وشكر الله تعالى على النعم التي أنعمها، وسهل الوصول إليها، فوصلت إلينا من غير حول ولا قوة منّا، هذه الطيبات التي نأكلها، لو شاء الله تعالى لم نقدر عليها، إما لعسر فينا، وإما لفقد لهذه النعم، فالمهم علينا أن نشكر نعمة الله، ويكون الشكر من جنس النعمة، فنبذل من العلم والمال بحسب ما أعطانا الله ﷻ[(٢)].

٢-قوله: «**الذي أحيانا**» أي: قدر لنا أن نستيقظ بعد الموتة الصغرى وهي: النوم، وقال الصنعاني رحمه الله: «أيقظنا بعد نومنا، وردّ أرواحنا بعد قبضها؛ فإن النوم هو الموت الأصغر»[(٣)].

٣-قوله: «**بعد ما أماتنا**»: سُمي النوم موتًا لاشتراكهما في انقطاع تعلق الروح بالبدن، وقال الطيبي رحمه الله: «سمي النوم موتاً؛ لأنه يزول معه العقل والحركة، تمثيلاً وتشبيهاً، وقيل: الموت في كلام العرب يطلق علي السكون، يقال: ماتت الريح إذا سكنت، ويستعمل في زوال القوة العاقلة»[(٤)]، وقال القاضي عياض رحمه الله: «يريد بالموت هنا: النوم. وأصل الموت فى كلام العرب: السكون، فنبه ﷺ

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، بعد شرح الحديث ١٣٩٢ في بدء شرح كتاب الحمد والشكر.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣١٤.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٣.

بإعادة اليقظة بعد النوم على إثبات البعث بعد الموت»[١].

٤-قوله: «**وإليه النشور**»: إعادة الأرواح إلى الأجساد للعرض والحساب. ونشرَ المّيتُ يَنْشُر نُشوراً: إذا عاش بعد الموت، وأنْشَره الله: أي أحياه، وأرضِ المَنْشَر: أي موضع النُّشور، وما أنْشَر اللحم وأنْبَتَ العظم، أي: شَدّه وقوّاه من الإنْشار: الإحْياء[٢]، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «فتحمد الله الذي أحياك بعد الموت، وتذكر أن النشور يعني من القبور، والإخراج من القبور يكون إلى الله عز وجل، فتتذكر ببعثك من موتتك الصغرى، بعثك من موتتك الكبرى، وتقول: الحمد لله الذي أحيانا بعد إذ أماتنا، وإليه النشور...وهذا يزيدك إيماناً بالبعث، والإيمان بالبعث أمر مهم، لولا أن الإنسان يؤمن بأنه سوف يبعث ويجازى على عمله ما عمل؛ ولهذا نجد كثيراً أن الله يقرن الإيمان باليوم الآخر بالإيمان به عز وجل»[٣].

٥-قوله: «**إذا أوى إلى فراشه**»: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «إِذا أَوى إِلَى فِراشه: أَي: دَخَلَ فِيهِ»[٤].

٦-قوله: «**اللهم**»: «قَالَ الخليل، وسيبويه، وَجَمِيعُ النَّحْوِيِّينَ الْمَوْثُوقِ بِعِلْمِهِمْ: اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، وَإِنَّ الْمِيمَ الْمُشَدَّدَةَ عِوَضٌ مِنْ يَا؛ لأَنهم لَمْ يَجِدُوا يَا مَعَ هَذِهِ الْمِيمِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَوَجَدُوا اسْمَ اللَّهِ مُسْتَعْمَلًا بِيَا، إِذَا لَمْ يَذْكُرُوا الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ، فَعَلِمُوا أَن الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ، وَالْمِيمُ مَفْتُوحَةٌ لِسُكُونِهَا وَسُكُونِ الْمِيمِ قَبْلَهَا؛ قال الْفَرَّاءُ: وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ إِذَا طَرَحَ الْمِيمَ: يَا أَللَّهُ اغْفِرْ لِي، بِهَمْزَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: يَا اللهُ بِغَيْرِ هَمْزٍ، فَمَنْ حَذَفَ الْهَمْزَةَ فَهُوَ عَلَى السَّبِيلِ،

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٨/ ٢١٢.
(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ١٢٨، مادة (نشر).
(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٤٦.
(٤) فتح الباري، ١١/ ١١٣.

لأنها أَلِف وَلَامٌ مِثْلُ لام الحرث مِنَ الأَسماء وأَشباهه، وَمَنْ هَمَزَهَا تَوَهَّمَ الْهَمْزَةَ مِنَ الْحَرْفِ إِذْ كَانَتْ لَا تَسْقُطُ مِنْهُ الْهَمْزَةُ»[١]، وقال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا خلاف أن لفظة: (اللهمّ) معناها يا اللَّه؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب، فلا يقال اللَّهمَّ غفور رحيم، بل يقال: اللّهمّ اغفر لي وارحمني، واختلف النحاة في الميم المشددة من آخر الاسم، فقال سيبويه: زيدت عوضاً من حرف النداء؛ ولذلك لا يجوز عنده الجمع بينهما في اختيار الكلام، فلا يقال يا اللهم إلا فيما ندر... ويُسمَّى ما كان من هذا الضرب عوضاً إذ هو في غير محل المحذوف، فإن كان في محله سمي بدلاً، كالألف في قام وباع، فإنها بدل عن الواو والياء، ولا يجوز عنده أن يوصف هذا الاسم أيضاً، فلا يقال: يا اللّهمّ الرحيم ارحمني، ولا يبدل منه، والضمة التي على الهاء ضمة الاسم المنادى المفرد، وفتحت الميم لسكونها، وسكون الميم التي قبلها، وهذا من خصائص هذا الاسم، كما اختص بالتاء في القَسَم، وبدخول حرف النداء عليه مع لام التعريف، وبقطع همزة وصله في النداء، وتفخيم لامه وجوباً، غير مسبوقة بحرف إطباق، هذا ملخص مذهب الخليل وسيبويه.

وقيل الميم عوض عن جملة محذوفة، والتقدير: يا اللَّه أُمَّنَا بخير، أي اقصدنا، ثم حذف الجار والمجرور، وحذف المفعول فبقي في التقدير: يا اللَّه أمّ، ثم حذفوا الهمزة لكثرة دوران هذا الاسم في الدعاء على ألسنتهم، فبقي: يا اللهمّ، وهذا قول الفراء، وصاحب هذا القول يجوّز دخول (يا) عليه... ورد البصريون هذا بوجوه»[٢]، ثم ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ منها عشرة وجوه، ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقيل: زيدت الميم للتعظيم والتفخيم»، ثم اختار ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن الميم في «اللهم» تكون علماً

---

(١) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله).

(٢) جلاء الأفهام، ص ١٤٤.

على الجمع، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «... الميم حرف شفهي، جمع الناطق به شفتيه، فوضعته العرب عَلَماً على الجمع، فقالوا للواحد: أنت، فإذا جاوزوه إلى الجمع قالوا: أنتم، وقالوا للواحد الغائب: هو، فإذا جاوزوه إلى الجمع قالوا: هم، وكذلك في المتصل، يقولون: ضربتَ، وضربتُم، وإيّاكَ، وإيّاكُم، وإيّاهُ، وإيّاهُم ...» إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا عُلم هذا من شأن الميم، فهم ألحقوها في آخر هذا الاسم الذي يُسأل الله سبحانه به في كل حاجة، وكل حال، إيذاناً بجميع أسمائه، وصفاته، فالسائل إذا قال: اللَّهُمَّ إني أسألك، كأنه قال: أدعو الله الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العُلا بأسمائه، وصفاته، فأتى بالميم المؤذِنة بالجمع في آخر هذا الاسم، إيذاناً بسؤاله تعالى بأسمائه كلِّها، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**ما أصاب عبداً قطُّ هَمٌّ، ولا حُزْنٌ، فقال: اللَّهُمَّ إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمَتِكَ، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكْمُكَ، عَدْلٌ فيَّ قَضاؤُكَ، أسألُك بكلِّ اسمٍ هوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أو أنْزَلْتَهُ في كِتَابِكَ، أو عَلَّمْتَه أحداً مِن خَلْقِكَ، أو اسْتَأْثَرْتَ بِه فِي عِلْمِ الغَيبِ عِندَكَ، أن تَجعلَ القرآنَ ربيعَ قَلْبي، ونُورَ صَدري، وجَلاءَ حُزْنِي، وذهَابَ هَمِّي وَغَمِّي، إلا أذهبَ اللهُ هَمَّهُ، وغَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكانَهُ فَرَحاً**»، قالوا: يا رسول الله، أفلا نَتعلَّمَهنَّ؟ قال: «بَلَى، ينبغي لمَنْ سَمِعَهُنَّ أنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ»[(١)].

فالداعي مندوب إلى أن يسأل الله تعالى بأسمائه، وصفاته، كما في الاسم الأعظم: «اللهُمَّ إني أسأَلُكَ بأنَّ لَكَ الحمْدَ، لا إلهَ إلا أنتَ الحنّان، المنَّان، بديعُ السموات والأرض، يا ذا الجلال، والإكرام، يا حيُّ، يا قيُّوم»[(٢)]،

---

(١) أخرجه أحمد، برقم ٣٧١٢، وابن حبان، برقم ٢٣٧٢، والحاكم، ١/ ٥٠٩، من حديث ابن مسعود، قال شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام: «إسناده صحيح».

(٢) أخرجه أبو داود، برقم ١٤٩٥، والنسائي، ٣/ ٥٢، وابن ماجه، برقم ٣٨٥٨، من حديث أنس بن مالك، وصححه ابن حبان، برقم ٢٣٨٢ (موارد)، والحاكم، ١/ ٥٠٣، ٥٠٤، ووافقه الذهبي، وقال شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط: «إسناده صحيح» وقال الألباني في التعليقات الحسان =

وهذه الكلمات تَتَضَمَّنُ الأسماءَ الحُسنى، كما ذُكِر في غير هذا الموضع.

والدعاء ثلاثة أقسام:

أحدها: أن يسأل الله تعالى بأسمائه، وصفاته، وهذا أحد التأويلين في قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾[1].

والثاني: أن تسأله بحاجتك، وفقرك، وذُلِّكَ، فتقول: أنا العبد، الفقير، المسكين، البائس، الذليل، المستجير، ونحو ذلك.

والثالث: أن تسأل حاجَتَكَ، ولا تذكر واحداً من الأمرين، فالأول أكمل من الثاني، والثاني أكمل من الثالث؛ فإذا جمع الدعاء الأمور الثلاثة، كان أكمل، وهذه عامة أدعية النبي ﷺ»[2].

٧-قَولُه: «**بِاسمِك أَمُوت وأَحيا**»: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «أَي: بِذِكرِ اسمك أَحيا ما حَيِيت، وعَلَيهِ أَمُوت... وقَولُه: «**بِاسمِك أَمُوت**» يَدُلّ عَلَى أَنَّ الاسم هُو المُسَمَّى، وهُو كَقَولِهِ تَعالَى: ﴿**سَبِّح اسم رَبِّك الأَعلَى**﴾[3]، أَي: سَبِّح رَبّك، ومَعنًى آخَر وهُو أَنَّ اللَّه تَعالَى سَمَّى نَفسه بِالأَسماءِ الحُسنَى، ومَعانِيها ثابِتَة لَهُ، فَكُلّ ما صَدَرَ فِي الوُجُود فَهُو صادِر عَن تِلكَ المُقتَضَيات، فَكَأَنَّهُ قالَ: بِاسمِك المُحيِي أَحيا، وبِاسمِك المُمِيت أَمُوت»[4].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-حرص النبي ﷺ على ذكر الله في جميع أحواله، حتى عند النوم واليقظة؛

=

على صحيح ابن حبان، ٢/ ٢٤٩: «صحيح لغيره، (صحيح أبي داود) ١٣٤٢، (الصحيحة)، برقم ٣٤١١، دون اسم (الحنان)، وقوله: (ياحي يا قيوم)».

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) جلاء الأفهام، ص ١٥٣.

(٣) سورة الأعلى، الآية: ١.

(٤) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١١٤.

ولهذا قَالَتْ عَائِشَةُ ﷺ: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ**»[1].

٢-استسلام النبي ﷺ لله رب العالمين، وأنه سبحان الذي بيده كل شيء: الحياة، والموت، وغير ذلك؛ ولهذا قال: «**باسمك أموت وأحيا**».

٣-النوم من أعظم الآيات الدالة على لطف الله بخلقه.

قال تعالى: ﴿**وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[2].

٤-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «الحمد لله الذي أحيانا بعد إذ أماتنا، وإليه النشور، وفي هذا دليل على الحكمة العظيمة في هذا النوم الذي جعله الله راحة للبدن عما سبق، وتنشيطاً للبدن فيما يستقبل، وأنه يذكّر أيضاً بالحياة الأخرى، تذكر بذلك إذا قمت من قبرك بعد موتك حياً إلى الله ﷻ، وهذا يزيدك إيماناً بالبعث، والإيمان بالبعث أمر مهم لولا أن الإنسان يؤمن بأنه سوف يبعث ويجازى على عمله ما عمل؛ ولهذا نجد كثيراً أن الله يقرن الإيمان باليوم الآخر بالإيمان به ﷻ كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾[3]، وآيات كثيرة في هذا، فالمهمّ أنه ينبغي لك إذا أويت إلى فراشك أن تقول باسمك اللهمّ أحيا، وأموت، وإذا استيقظت تقول: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا، وإليه النشور والله الموفق»[4].

٥- حاجة الخلق إلى النوم الذي هو صفة نقص دليل على استحقاق إفراد الله بالعبادة فهو حي لا يموت، قيُّوم لا ينام.

---

(١) مسلم، كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها، برقم ٣٧٣، وأورده البخاري معلقاً في كتاب الحيض، باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت، قبل الحديث رقم ٣٠٥، فقال: «وكان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه».

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٣.

(٣) سورة التوبة، الآية ٤٤.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٤٦.

٦- النوم يشبه الموت لتوقف الحركة وذهاب التميز فيهما، ولذلك رفع القلم عن النائم حتى يستيقظ.

٧- الاستيقاظ بعد النوم برهان على قدرة الله ﷻ على الإحياء بعد الموت والفناء.

٨- الأرواح بيد الله وحده فإن شاء أمسكها وإن شاء أرسلها، فله الحكمة البالغة.

٩-جاء ذكر الوفاتين الكبرى ثم الصغرى في سورة الزمر من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾(١).

وجاء ذكر الوفاتين الصغرى ثم الكبرى في سورة الأنعام من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾(٢).

***

٢- (٢)«لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْـدَهُ لاَ شَـرِيكَ لَـهُ، لَـهُ الْمُلْـكُ وَلَـهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ للَّهِ، وَلاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، رَبِّ اغْفرْ لِي»(٣).

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٠.

(٣) من قال ذلك غُفِرَ له، فإن دعا استجيب له، فإن قام فتوضأ ثم صلى قُبلت صلاته، البخاري، أبواب التهجد، باب فضل من تعارّ من الليل فصلَّى، برقم ١١٥٤، وغيره، واللفظ لابن ماجه، أبواب الدعاء، باب ما يدعو به إذا انتبه من الليل، برقم ٣٨٧٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/٣٣٥ .

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٩-عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ(١)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاَتُهُ» وهذا لفظ البخاري(٢).

٣٠-ولفظ ابن ماجه: عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ حِينَ يَسْتَيْقِظُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، ثُمَّ دَعَا: رَبِّ اغْفِرْ لِي، غُفِرَ لَهُ». قَالَ الْوَلِيدُ: أَوْ قَالَ: «دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى، قُبِلَتْ صَلاَتُهُ»(٣).

٣١-عَنْ مُعَاوِيَةَ بن أَبِي سُفْيَانَ ﷺ(٤)، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ

---

(١) عبادة بن الصامت ﷺ: الإمام القدوة أبو الوليد الأنصاري، أحد النقباء ليلة العقبة ومن أعيان البدريين، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وهو واحد من خمسة من الأنصار جمعوا القرآن في زمن النبي ﷺ، مسنده مائة وواحد وثمانين حديثًا. مات بالرملة سنة أربع وثلاثين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء، ٢/ ٥، ترجمة رقم (١).

(٢) البخاري، برقم ١١٥٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) ابن ماجه، برقم ٣٣٧٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٣٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) معاوية بن أبي سفيان ﷺ، واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، كان هو وأبوه وأخوه من مسلمة الفتح، وقد روي عنه أنه قال: أسلمت يوم القضية، ولقيت النبي ﷺ مسلماً، وقيل كان وأبوه من المؤلفة قلوبهم، وهو أحد الذين كتبوا لرسول الله ﷺ، وولاه عمر على الشام عند موت أخيه يزيد سنة تسع عشرة، بعد غزوة قيسارية، وكتب إليه بولايته الشام، فأقام أربع سنين ومات عمر ﷺ، فأقره عثمان عليها اثنتي عشرة سنة إلى أن مات عثمان ﷺ، ثم كانت الفتنة فحارب معاوية علياً خمس سنين، والصواب أربع سنين ، وتوفي معاوية ﷺ سنة ستين، وقيل إنه أول من جعل ابنه ولي العهد خليفةً بعده في
=

دَعَا بِهَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ الْخَمْسِ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ شَيْئًا إِلا أَعْطَاهُ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**لا إله إلا الله**»: لا معبود بحق إلا الله، وقال المناوي في تعليقه على حديث من قال: «**لا إله إلا الله: من مات معتقداً لها، فهو الذي مات لا يشرك بالله شيئاً**»[٢]، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني: لا معبود بحق إلا الله تعالى، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله لله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لابد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات؛ ولهذا تجد الذين ينكرون صفات الله عز وجل عندهم نقص عظيم في العبودية؛ لأنهم يعبدون لا شيء، فالرب لابد أن يكون كامل الصفات، حتى يعبد بمقتضى هذه الصفات؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾[٣]، أي: تعبّدوا له، وتوسّلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»[٤].

=

صحته، وهو أول من اتخذ ديوان الخاتم، واتخذ المقاصير في الجوامع، وأول من أقام على رأسه حرساً، وأول من بلغ درجات المنبر خمس عشرة مرقاة، وكان يقول أنا أول الملوك روى عنه من الصحابة طائفة، وجماعة من التابعين بالحجاز والشام والعراق، قال الأوزاعي: أدركت خلافة معاوية جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ لم ينزعوا يداً من طاعة، ولا فارقوا جماعة، وكان زيد بن ثابت يأخذ العطاء من معاوية رضي الله عنه. انظر: الاستيعاب، ٣/ ١٤١٦، الإصابة، ٦/ ١٥١.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ١٩/ ٣٦١، برقم ٨٤٩، وفي المعجم الأوسط، ٨/ ٢٧٩، برقم ٨٦٣٤، وذكره في (مجمع البحرين)، ٨/ ١٩، برقم ٤٦٣٨، والطبراني أيضاً في الدعاء، برقم ١٢٥، وحسن إسناده المنذري في الرغيب والترهيب، برقم ٢٥٤، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ١٥٦-١٥٧: «وإسناده حسن» وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب، برقم ١٠٢١.

(٢) فيض القدير، ١/ ١٣٦.

(٣) سورة الأعراف، الاية: ١٨٠.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠.

٢-قوله: «**وحده لا شريك له**»: تأكيد للوحدانية، وأنه المتفرد بالخلق، والرزق، والتدبير، والمستحق للعبادة وحده لا شريك له، قال المناوي رحمه الله: «وحده: نصب على الحال، أي لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً، وأما الأول: فلأن وجود إلهين محال، كما تقرر في الأصول، وأما الثاني: فلقوله تعالى: ﴿**أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾[١]، وذلك يقتضي أن لا شريك له، وهو تأكيد لقوله: «وحده»؛ لأن المتصف بالوحدانية لا شريك له»[٢].

٣-قَوْلُهُ: «**لَهُ الْمُلْكُ**»: في جميع العوالم العلوية منها، والسفلية، ويملك كل شيء، وقال الباجي رحمه الله: «تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدِ، لِأَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْجِنْسِ، فَجُعِلَ جِنْسُ الْمُلْكِ، وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ»[٣].

٤- قوله: «**وله الحمد**» أي: في الأولى والآخرة؛ لأنه الحميد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»[٤].

٥- قوله: «**وهو على كل شيء قدير**» أي: يفعل ما يريد من غير ممانع، ولا معارض، قال ابن جرير: «وهو على كل شيء ذو قدرة، لا يتعذّر عليه شيء أراده، من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من الأمور»[٥]، وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «يسوق الأقدار إلى مواقيتها، ويجريها على نظامها، ويقدم ما يشاء تقديمه، ويؤخر ما يشاء تأخيره، فأزمّة الأمور كلها بيده، ومدار تدبير

---

(١) سورة الكهف، الاية: ١١٠.
(٢) فيض القدير، ٥/ ٢٠٠.
(٣) المنتقى، شرح الموطأ للباجي، ٣ / ٧٧.
(٤) بدائع الفوائد، ٢/٥٣٧.
(٥) تفسير الطبري، ٢٣/ ١٦٥.

الممالك كلها عليه، وهذا مقصود الدعوة، وزبدة الرسالة»[١].

٦- قوله: «**سبحان الله**» أي: تنزه وتقدس عن كل عيب ونقص، فهو صاحب الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وقال ابن الأثير رحمه الله: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً...، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله»[٢].

٧- قوله: «**الحمد لله**»: على نعمه التي لا تعد، ولا تحصى، قال النووي رحمه الله: «التَّحْمِيد: الثَّنَاء بِجَمِيلِ الْفِعَال، وَالتَّمْجِيد الثَّنَاء بِصِفَاتِ الْجَلَال، وَيُقَال: أَثْنَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ كُلِّه»[٣]، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: ... فهو جلّ وعلا محمود في ابتداء الخلق، وانتهاء الخلق، واستمرار الخلق، ومحمود على ما أنزل على عبده من الشرائع، محمود على كل حال»[٤]، وقال أيضاً: «إذاً فنعم الله عظيمة كثيرة، لا تعدُّ، ولا تحصى؛ لذلك يجب علينا أن نحمد الله تعالى، وأن نشكره على نعمه التي أسبغها علينا»[٥]، وهو يحمد سبحانه وتعالى، على أسمائه، وصفاته، وأفعاله[٦].

٨- قوله: «**والله أكبر**» أي: أكبر ممن سواه تعظيمًا، وإجلالًا، ومحبة، وثناء، ورغبة، ورهبة. قال ابن الأثير رحمه الله: «معناه الله الكَبِير، وقال النحويون: معناه الله أكبر من كل شيء»[٧].

٩- قوله: «**ولا حول ولا قوة إلا بالله**» أي: لا حيلة لأحد في جلب نفع

---

(١) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ٣/ ٣٤٩.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠.
(٣) شرح النووي على مسلم، ٤/ ١٠٤.
(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، بعد شرح الحديث ١٣٩٢، وبدء شرح كتاب الحمد والشكر، وتقدم في شرح حديث المتن السابق، برقم ١ في المتن، المفردة رقم ١، بتوسّع فانظره هناك.
(٥) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث ١٣٩٦.
(٦) انظر: عدة الصابرين، للإمام ابن قيم الجوزية، ص ١٢٤.
(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤/ ٥٢، مادة (كبر).

أو دفع ضر إلا بإرادته وتوفيقه، وإحسانه، وكرمه، وجوده، وقال العلامة ابن رجب رحمه الله: «لا تحول للعبد من حال إلى حال، ولاقوة له على ذلك إلا بالله، وهذه كلمة عظيمة، وهي كنز من كنوز الجنة، فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وترك المحظورات والصبر على المقدورات كلها في الدنيا، وعند الموت، وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله عز وجل، فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه»[(١)].

١٠- قوله: «**العلي**» أي: أنه عز وجل عالٍ على جميع خلقه، بائن منهم، رقيب عليهم فله علو: الذات، وعلو الصفات، وعلو القدر، وقال البغوي رحمه الله: «الْعَلِيُّ: الرَّفِيعُ فَوْقَ خَلْقِهِ»[(٢)].

١١- قوله: «**العظيم**»: الذي اتصف بجميع معاني الجلال والكمال، والعظمة، وقال البغوي رحمه الله: «الْعَظِيمُ: الْكَبِيرُ الَّذِي لَا شَيْءَ أَعْظَمُ منه»[(٣)].

١٢-قوله: «**رب اغفر لي**»: أي استرني بمحو ذنوبي مع التجاوز عن المؤاخذة ومناقشة الحساب، قال ابن منظور: «الغَفُورُ الغَفّارُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، ... وَمَعْنَاهُمَا: السَّاتِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ، يُقَالُ: اللهمَّ اغْفِرْ لَنَا مَغْفِرة، وغَفْراً، وغُفْراناً، وَإِنَّكَ أَنت الغَفُور الغَفَّار، يَا أَهل المَغْفِرة، وأَصل الغَفْر: التَّغْطِيَةُ، وَالسَّتْرُ، غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ: أَي: سَتَرَهَا ... وَقَدْ غَفَرَه يَغْفِرُه غَفراً: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْته؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا ... والغَفْرُ، والمَغْفِرةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ، والعفوُ عَنْهَا»[(٤)].

---

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ١٩٢.
(٢) تفسير البغوي، ١/ ٣٤٩.
(٣) تفسير البغوي، ١/ ٣٤٩.
(٤) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر).

١٣-قوله: «**تعار من الليل**»: تقلب على فراشه مع كلام، وقيل: استيقظ من نومه، وقال ابن الأثير: «تعار: الرجل من نومه: إذا انتبه وله صوت»[١]، وقال القاضي عياض: «قوله: «**كان إذا تعار من الليل**»: مشدد الراء، قيل: استيقظ، وقيل: تكلم، وقيل: تمطَّى وأنَّ، وقيل: انتبه، وفي البارع: التعارّ: هو السهر، والتقلب في الفراش، قال الحربي: ولا يكون إلا ومعه كلام، أو دعاء، قال غيره: أو صوت، يقال: تعارّ في نومه، يتعارّ تعاراً، وجعله بعضهم من عرار الظليم؛ لأنه يشبه صوت القائم من النوم، وقال بعضهم: معناه: تمطّى بصوت، وهو أبين وأشبه بالمعنى، والتفسير، والعادة»[٢].

١٤-قوله: «**ثم دعا**»: قال القرطبي في المفهم رَحِمَهُ اللهُ: «أي: إظهارًا للعجز والافتقار، وعلمًا منه: بأن الله هو الكاشف للكرب، والأضرار، وقيامًا بعبادة الدعاء عند الاضطرار»[٣].

١٥-قوله: «**غُفر له**»: قال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «أي: الصغائر المتعلقة بحق الله بالعفو عنها، وعدم المؤاخذة بها»[٤].

١٦-قوله: «**فإن قام فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته**»: قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وعَدَ الله عَلَى لِسان نَبِيّه أَنَّ مَن استَيقَظَ مِن نَومه لَهِجًا لِسانه بِتَوحِيدِ رَبّه، والإِذعان لَهُ بِالمُلكِ، والاعتِراف بِنِعمَةٍ يَحمَدهُ عَلَيها، ويُنَزِّههُ عَمّا لا يَلِيق بِهِ بِتَسبِيحه، والخُضُوع لَهُ بِالتَّكبِيرِ، والتَّسلِيم لَهُ بِالعَجزِ عَن القُدرَة إِلاَّ بِعَونِهِ، أَنَّهُ إِذا دَعاهُ أَجابَهُ، وإِذا صَلَّى قُبِلَت صَلاته، فَيَنبَغِي لِمَن بَلَغَهُ هَذا الحَدِيث أَن يَغتَنِم العَمَل بِهِ ويُخلِص نِيَّته لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»[٥].

---

(١) جامع الأصول، لابن الأثير، ٤/ ٢٧٠.
(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض بن موسى، ٢/ ٧٢.
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٨/ ٥٩.
(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحينط، ٧/ ١٠.
(٥) فتح الباري، لابن حجر، ٣/ ٤١.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث :

١- من اجتهد في ذكر ربه حال اليقظة وفقه الله لذكره في جميع الأحوال، وعن أبي هريرة رضي الله عنه[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أعْجَزَ النَّاس من عَجَزَ عنِ عـنِ الـدُّعاءِ، وأبْخَـلَ النَّـاسِ مَـنْ بَخِـلَ بِالسَّـلامِ**»[٢]، ولفـظ عبـد الله بـن مغفل رضي الله عنه[٣] مرفوعاً: «**أعْجَزُ النَّاسِ من عَجَزَ في الدُّعَاءِ، وأبْخَلُ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلامِ**»[٤].

٢- الإشارة إلى أهمية التوحيد الذي هو دعوة جميع الرسل.

٣- الإرشاد إلى الاستعانة بالله وحده وتفويض الأمر إليه في قوله: «ولا حول ولا قوة إلا بالله».

٤- الحث على الاجتهاد في الطاعة وإسراع المسير إلى الله وذلك يتحقق إذا قام المسلم للصلاة والدعاء بعد قوله هذا الذكر.

٥-قال أبو عبد الله الفربري الراوي عن البخاري[٥]: أجريت هذا الذكر على لساني عند انتباهي، ثم نمت فأتاني آت – أي: في المنام فقرأ: ﴿**وَهُدُوا إِلَى**

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء مرفوعاً، ٢/ ٨١١، برقم ٦٠، وأبو يعلى موقوفاً، برقم ٦٦٤٩، وابن حبان موقوفاً، برقم ٤٤٩٨، وعبد الغني المقدسي في الترغيب في الدعاء مرفوعاً، برقم ٢٠، وصححه الألباني مرفوعاً في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/ ١٥٢، برقم ٦٠١.

(٣) عبد الله بن مغفل -بضم الميم، وفتح الغين المعجمة، والفاء المشددة، الصحابي رضي الله عنه، أبو سعيد، وقيل: أبو عبد الرحمن، وغيره، من أهل بيعة الرضوان، سكن المدينة، ثم تحول إلى البصرة، وكان أحد البكائين، وأحد العشرة الذين بعثهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلى البصرة يفقهون الناس، روى عنه جماعات من التابعين، وتوفي بالبصرة سنة ستين، وقيل: سنة تسع وخمسين. انظر: الاستيعاب، ٣/ ٦٩٦، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، ١/ ٤١٢، وسير أعلام النبلاء، ٢/ ٤٨٣، ترجمة رقم ٩٩.

(٤) أخرجه الطبراني في الدعاء، ٢/ ٨١١، برقم ٦١، وقال محقق الدعاء للطبراني محمد بن سعيد البخاري: «إسناده حسن...» قلت: هذا شاهد لحديث أبي هريرة السابق.

(٥) فتح الباري، ٣/ ٤٩.

الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾[١].

٦-قال ابن بطال: وعد الله على لسان نبيه أن من استيقظ من نومه لهجًا لسانه بالتوحيد، والحمد، والتسبيح، والتسليم له بالعجز عن القدرة إلا بعونه، أنه إذا دعاه أجابه، وإن صلى قبلت صلاته، فينبغي لمن بلغه هذا الحديث أن يغتنم العمل به ويخلص النية لربه تعالى[٢].

٧-لو تسوك بعد قول هذا الذكر كان أفضل لقول ابن عمر رضي الله عنهما: «**كان رسول الله ﷺ لا يتعار من الليل إلا أجرى السواك على فيه**»[٣].

* * *

٣-(٣)«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ»[٤].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٢-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[٥]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فِرَاشِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ، فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ إِزَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدُ، فَإِذَا اضْطَجَعَ فَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّي، وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ

---

(١) سورة الحج، الآية: ٢٤.

(٢) انظر: فتح الباري، ٣/ ٤٩.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ١٢/ ٤٣٨، برقم ١٣٥٩٨، وأبو يعلى، ١٠/ ٣٣، برقم ٥٦٦١، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٣/ ٢٦، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٨٤٢.

(٤) الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه، برقم ٣٤٠١، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/١٤٤.

(٥) أبو هريرة: عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه، تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**الحمد لله**»: قال النووي رحمه الله: «التَّحْمِيد: الثَّنَاء بِجَمِيلِ الْفِعَال، وَالتَّمْجِيد الثَّنَاء بِصِفَاتِ الْجَلَال، وَيُقَال: أَثْنَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ كُلّه»[٢].

٢- قوله: «**الذي عافاني في جسدي**» أي: كتب لي العافية من الأوجاع والأسقام، وحفظني في فراشي من لسع حية أو لدغ عقرب أو غيره من المهلكات.

٣- قوله: «**ورد علي روحي**»: قال المناوي: «رد عليّ روحي: إحساسي وشعوري، والنوم أخو الموت، قال الله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا**﴾[٣] الآية، ومن ثم قيل النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل»[٤].

٤-قوله: «**أذن لي بذكره**» أي: قدره، ويسره لي فضلًا منه ونعمة، والإذن هو الرخصة والإباحة بالشيء «أَذِنَ بالشيء إِذْناً، وأَذَناً، وأَذانةً، عَلِم ... وآذَنَه الأَمرَ، وآذَنه به أَعْلَمَه...وأَذِنَ له في الشيءِ إِذْناً، أَباحَهُ له، واسْتَأْذَنَه طَلَب منه الإِذْنَ، وأَذِنَ له عليه أَخَذَ له منه الإِذْنَ»[٥]، وقال العلامة الشوكاني: «رَخَّصَ لَنَا عَنْ أَذِنَ لَا أَنَّهُ أَرَادَ الرُّخْصَةَ الِاصْطِلَاحِيَّةَ الْحَادِثَةَ بَعْدَ زَمَنِ الصَّحَابَةِ ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْعِبَارَتَيْنِ (أَذِنَ) وَ (رَخَّصَ) فِي لِسَانِ الصَّحَابَةِ»[٦].

---

(١) الترمذي، برقم ٣٤٠١، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٤٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) شرح النووي على مسلم، ٤/ ١٠٤، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من حديث المتن رقم ٢.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٤٢.
(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٣٥٩.
(٥) لسان العرب، ١٣/ ٩، مادة (أذن).
(٦) نيل الأوطار، للشوكاني، ٣/ ١٢.

٥- قوله: «فلينفضه»: النَّفْضُ: مَصْدَرُ نفَضْتُ الثوبَ والشجرَ وَغَيْرَهُ، أَنْفُضُه نَفْضاً إِذا حرَّكْتَه ليَنْتَفِضَ، ونَفَّضْتُه شُدِّد لِلْمُبالَغَةِ، والنَّفَضُ - بِالتَّحْرِيكِ-: مَا تَساقَط مِنَ الْوَرَقِ والثَّمر، وَهُوَ فَعَلٌ بِمَعْنَى مفْعُول، كالقَبَضِ بِمَعْنَى المَقْبُوضِ، والنَّفَضُ: مَا وقَع مِنَ الشَّيْءِ إِذا نَفَضْتَه. والنَّفْضُ: أَن تأْخذ بِيَدِكَ شَيْئًا فتَنْفُضَه: تُزَعْزِعُه، وتُتَرْتِرُه، وتَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ[(١)].

٦-قوله: «بصنفة إزاره»: صنِفة الإزارِ - بكسر النون -: طَرَفه مَّما يَلِي طُرَّته[(٢)]، وقال ابن منظور: «وصَنِفَةُ الإِزارِ - بِكَسْرِ النُّونِ -: طُرَّتُه الَّتِي عَلَيْهَا الهُدْبُ، وَقِيلَ: هِيَ حَاشِيَتُهُ، أَيَّةً كَانَتْ، الْجَوْهَرِيُّ: صِنْفَةُ الإِزارِ - بِالْكَسْرِ-: طُرَّتُه، وَهِيَ جَانِبُهُ الَّذِي لَا هُدْبَ لَهُ، وَيُقَالُ: هِيَ حَاشِيَةُ الثَّوْبِ، أَيَّ جَانِبٍ كَانَ. وَفِي الْحَدِيثِ: «فلْيَنْفُضْه بِصَنِفَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَه عَلَيْهِ»، وصَنِفَةُ الثَّوْبِ: زَاوِيَتُهُ، وَالْجَمْعُ صَنِفٌ، وَلِلثَّوْبِ أَربع صَنِفاتٍ، وسُمِّي الإِزارُ إِزَارًا لِحِفْظِهِ صاحِبَه وصِيانتِه جَسَده، أُخذَ مِنْ آزَرْتُه أَي عاوَنْتُه، وَيُقَالُ إِزارٌ وإِزارةٌ. اللَّيْثُ: الصَّنِفَةُ والصِّنْفَةُ قِطعةٌ مِنَ الثَّوْبِ»[(٣)].

٧-قوله: «فإنه لا يدري ما خلفه عليه بعد»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما خلفه: ما: مبتدأ، ويدري معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام، خلفه: أي: أقام مقامه بعده على الفراش، يعني لا يدري ما وقع في فراشه بعد ما خرج هو منه، من: تراب، أو قذاة، أو هوام»[(٤)].

٨-قوله: «اضطجع»: الاضْطِجاع: وهو النَّوم، كالجِلْسة من الجُلُوس، وبفتحها المرَّةُ الواحدةُ[(٥)]، وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «واضْطَجَع: نَامَ، وَقِيلَ: اسْتَلْقَى، وَوَضَعَ جَنْبَهُ بالأَرض... والمَضاجِعُ: جَمْعُ المَضْجَعِ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ

---

(١) لسان العرب، ٧/ ٢٤٠، مادة (نفض).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٣/ ٥٦، مادة (صنف).
(٣) فتح الباري، لابن حجر، ١٣/ ٣٨٠، ولسان العرب، ٩/ ١٩٨، مادة (صنف).
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٣.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٧٣، مادة (ضطجع).

الْمَضَاجِعِ﴾(١)؛ أَي: تَتَجافى عَنْ مضاجِعِها الَّتِي اضْطَجَعَتْ فِيهَا»(٢).

٩-قوله: «**باسمك ربي وضعت جنبي**»: «بإقدارك إياي على وضع جنبي وضعته، وبإقدارك إياي على رفعه أرفعه... ثم قال: «وبك أرفعه»، فذكر الاسم مرة، ولم يذكره أخرى، فدلّ أن معنى قوله: باسمك معنى قوله: بك»(٣).

١٠-قوله: «**وضعت جنبي وبك أرفعه**» قالَ ابن بَطّال: أَضافَ الوضع إِلَى الاسم، والرَّفع إِلَى الذّات، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ المُراد بِالاسمِ الذّات، وبِالذّاتِ يُستَعان فِي الرَّفع والوضع، لا بِاللَّفظِ(٤).

١١-قوله: «**أمسكت نفسي فارحمها**»: أي: لَا أَسْتَغْنِي عَنْكَ بِحَالٍ؛ فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي، أَيْ قَبَضْتَ رُوحِي فِي النَّوْمِ (فَارْحَمْهَا) أَيْ بِالْمَغْفِرَةِ وَالتَّجَاوُزِ عَنْهَا(٥).

١٢-قوله: «**وإن أرسلتها فاحفظها**»: وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا بِأَنْ رَدَدْتَ الْحَيَاةَ إِلَيَّ وَأَيْقَظْتَنِي مِنَ النَّوْمِ فَاحْفَظْهَا أَيْ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَالْمُخَالَفَةِ بِمَا تَحْفَظُ بِهِ أَيْ: مِنَ التَّوْفِيقِ وَالْعِصْمَةِ وَالْأَمَانَةِ(٦).

١٣-قوله: «**بما تحفظ به عبادك الصالحين**»: قال الطيبي رحمه الله: «الباء [في كلمة به] مثلها في: كتبت بالقلم، و(ما) موصولة مبهمة، وبيانها ما دل عليه صلتها؛ لأن الله تعالى إنما يحفظ عباده الصالحين من المعاصي، ومن أن لا يهنوا في طاعته، وعبادته، بتوفيقه ولطفه»(٧)، وقال المناوي رحمه الله: «أي:

(١) سورة السجدة، الآية: ١٦.
(٢) لسان العرب، ٨/ ٢١٩، مادة (ضجع)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٤، من حديث متن المقدمة رقم ٧.
(٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ١٠/ ٤٢٣.
(٤) فتح الباري، لابن حجر، ١٣/ ٣٨٠.
(٥) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٤٥.
(٦) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٤٥.
(٧) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٤، وانظر: فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٢٧.

القائمين بحقوقك، وذكر المغفرة للميت، والحفظ عند الإرسال لمناسبته له... لأنه تعالى إنما يحفظ عباده الصالحين من المعاصي، وأن لا يهنوا في طاعته بتوفيقه، وفيه ندب هذه الأذكار عند الأوي إلى الفراش ليكون نومه على ذكر، وتختم يقظته بعبادة»[(١)]، وقال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «المراد: إن رددتها فاحفظها عند الرد وبعده من كل آفة من آفات الأبدان، والحديث مشتق من الآية: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا**﴾[(٢)]. الآية»[(٣)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- من علامات التوفيق أن يبدأ المسلم يومه بحمد ربه والإقرار له بالعبودية.

٢- الحمد لله أفضل من «حمدًا لله» لأن الإتيان باللام دليل على استحقاق الله للحمد المطلق الكامل[(٤)].

٣- من تمام يقظة العبد وعلو همته أن يستثمر نعمة المعافاة في الجسد فيما ينفعه يوم القيامة.

٤- «**وأذن لي بذكره**» هو الإذن القدري؛ لأن الإذن الوارد في نصوص الكتاب وصحيح السنة على قسمين:

أ – الإذن القدري وهو الكوني ويراد به مشيئة الله السابقة وإرادته النافذة التي لا يخرج عنها أحد البتة.

دليل ذلك قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**﴾[(٥)].

ب – الإذن الشرعي وهو الديني والذي يتعلق بما يحبه الله ويرضاه.

---

(١) فيض القدير، للمناوي، ١/ ٣٠٩.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ١/ ٦١٠.

(٤) انظر: فقه الأدعية والأذكار، تأليف/ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ص ٨٥، القسم الثالث.

(٥) سورة البروج، الآية: ١٦.

دليل ذلك قوله: ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[(١)].

***

٤ - [(٤)] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ * فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ * لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ * وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾)[(٢)].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٦.

(٢) الآيات من سورة آل عمران، ١٩٠-٢٠٠، والحديث أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، برقم ٤٥٦٩، وفي كتاب الوضوء، باب قراءة القرآن بعد الحدث وغيره، برقم ١٨٣. ومسلم، كتاب الطهارة، باب السواك، برقم ٢٥٦.

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٣-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[١]، قَالَ: بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً، ثُمَّ رَقَدَ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾، ثُمَّ «قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنَّ فَصَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً» ثُمَّ أَذَّنَ بِلاَلٌ، «فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ» وهذا لفظ البخاري[٢].

٣٤-وفي لفظ آخر للبخاري: عنْ كُرَيْبٍ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[٣] أَخْبَرَهُ أَنَّهُ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهِيَ خَالَتُهُ، فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الوِسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ، أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ، أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ العَشْرَ الآيَاتِ الخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَ

---

(١) عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: حبر الأمة، وإمام التفسير وابن عم رسول الله ﷺ، أمه أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية وهي أخت أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها. دعا له النبي ﷺ بقوله: «اللَّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» مسند الإمام أحمد، ٤/ ٢٢٥، برقم ٢٣٩٧، وصحيح ابن حبان، ١٥/ ٥٣١، برقم ٧٠٥٥، والحاكم، ٣/ ٥٣٤، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»» ووافقه الذهبي، وفي لفظ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ضمني رسول الله ﷺ وقال: «اللَّهم! علمه الحكمة وتأويل الكتاب»» وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، برقم ١٦٦، وفي رواية: «اللَّهم علمه الحكمة» البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: «اللهم علمه الكتاب» برقم ٣٧٥٦. قال الحافظ: والحكمة هي الإصابة من غير نبوة. كان عمر يدخله مع أشياخ بدر وهو شاب تقديرًا له، وكان ذا علم غزير، وناقش الخوارج فبهتهم. مسنده (١٦٦٠) حديثًا. توفي عام (٦٨ هـ). وكان عمره (٧١) سنة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ترجمة رقم (٢٧٤).

(٢) البخاري، برقم ٤٥٦٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٢ من أحاديث الشرح.

ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي، وَأَخَذَ بِأُذُنِي الْيُمْنَى يَفْتِلُهَا، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْتَرَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ، فَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ»[(١)].

٣٥-ولفظ مسلم عن ابْنِ عَبَّاسٍ بِأَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَخَرَجَ فَنَظَرَ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ فِي آلِ عِمْرَانَ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى، ثُمَّ اضْطَجَعَ، ثُمَّ قَامَ، فَخَرَجَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَتَلاَ هَذِهِ الآيَةَ ، ثُمَّ رَجَعَ فَتَسَوَّكَ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى[(٢)].

ثانياً: شرح مفردات الآيات الكريمات والحديث:

١-قوله: «إن في خلق السموات والأرض»: أي: إيجادهما من العدم، وقال ابن كثير رحمه الله: «تِلْكَ فِي لَطَافَتِهَا، وارْتِفَاعِهَا وَاتِّسَاعِهَا، وَكَوَاكِبِهَا السَّيَّارَةِ، وَالثَّوَابِتِ، وَدَوَرَانِ فَلَكِهَا، وَهَذِهِ الْأَرْضُ فِي كَثَافَتِهَا، وَانْخِفَاضِهَا، وَجِبَالِهَا، وَبِحَارِهَا، وَقِفَارِهَا، وَوِهَادها، وعُمْرانها، وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ»[(٣)].

٢- قوله: «واختلاف الليل والنهار»: تعاقب الليل بظلامه والنهار بنوره، قال ابن كثير رحمه الله: «أَيْ: تَعَاقُبُهُمَا، وتقَارضهما الطُّولَ وَالْقِصَرَ، فَتَارَةً يطُول هَذَا، وَيَقْصُرُ هَذَا، ثُمَّ يَعْتَدِلَانِ، ثُمَّ يَأْخُذُ هَذَا مِنْ هَذَا، فَيَطُولُ الَّذِي كَانَ قَصِيرًا، وَيَقْصُرُ الَّذِي كَانَ طَوِيلًا»[(٤)].

٣- قوله: «لآيات لأولي الألباب» أي: دلائل واضحة على قدرة الله يفهمها أصحاب العقول، قال ابن كثير رحمه الله: «﴿لأولِي الألْبَابِ﴾: أَيِ: الْعُقُولِ التَّامَّةِ الذَّكِيَّةِ

(١) البخاري، برقم ١٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) مسلم، برقم ٢٥٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ٤٧٤.
(٤) تفسير ابن كثير، ٢/ ١٨٤.

الَّتِي تُدْرِكُ الْأَشْيَاءَ بِحَقَائِقِهَا عَلَى جَلِيَّاتِهَا، وَلَيْسُوا كَالصُّمِّ الْبُكْمِ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ»[١].

٤- قوله: «الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم»: يدخل في ذلك الصلاة قائمًا فإن لم يستطع فقاعدًا فإن لم يستطع فعلى جنب[٢].

٥-قوله: «ويتفكرون في خلق السموات والأرض»: قال العلامة السعدي رحمه الله: «أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودلّ هذا على أن التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا بها، عرفوا أن الله لم يخلقها عبثاً»[٣].

٦-قوله: «ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك»: قال العلامة السعدي رحمه الله: «عن كل ما لا يليق بجلالك، بل خلقتها بالحق وللحق، مشتملة على الحق»[٤].

٧-قوله: «فقنا عذاب النار»: قال العلامة السعدي رحمه الله: «بأن تعصمنا من السيئات، وتوفقنا للأعمال الصالحات، لننال بذلك النجاة من النار، ويتضمن ذلك سؤال الجنة؛ لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة، ولكن لما قام الخوف بقلوبهم، دعوا الله بأهم الأمور عندهم»[٥].

٨-، قوله: « ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته» أي: فضحته وأشقيته، وقال ابن كثير رحمه الله: «أَيْ: أَهَنْتَهُ، وَأَظْهَرْتَ خِزْيَهُ لِأَهْلِ الْجَمْعِ»[٦]، وقال العلامة السعدي رحمه الله: «أي: لحصوله على السخط من الله، ومن ملائكته، وأوليائه، ووقوع الفضيحة التي لا نجاة منها، ولا منقذ منها»[٧].

٩-قوله: «وما للظالمين من أنصار»: قال السعدي رحمه الله: «ينقذونهم من

---

(١) تفسير ابن كثير، ٢/ ١٨٤.
(٢) انظر: تفسير السعدي، ص ١٦١.
(٣) تفسير السعدي، ص ١٦١.
(٤) تفسير السعدي، ص ١٦١.
(٥) تفسير السعدي، ص ١٦١.
(٦) تفسير ابن كثير، ٢/ ١٨٤.
(٧) تفسير السعدي، ص ١٦١.

عذابه، وفيه دلالة على أنهم دخلوها بظلمهم»[١]..

١٠- قوله: «**ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان**»: هو محمد ﷺ يدعو الناس للقرآن، قال السعدي رحمه الله: «وهو محمد ﷺ، أي: يدعو الناس إليه، ويرغبهم فيه، في أصوله وفروعه»[٢].

١١-قوله: «**أن آمنوا بربكم فآمنا**»: قال السعدي رحمه الله: «أي: أجبناه مبادرة، وسارعنا إليه، وفي هذا إخبار منهم بمنة الله عليهم، وتبجح بنعمته، وتوسل إليه بذلك، أن يغفر ذنوبهم، ويكفر سيئاتهم؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات، والذي من عليهم بالإيمان، سيمنّ عليهم بالأمان التام»[٣].

١٢- قوله: «**رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتِنا**»: أي: استرها وامحها بفضلك، وقال القرطبي رحمه الله: «تَأْكِيدٌ، وَمُبَالَغَةٌ فِي الدُّعَاءِ، وَمَعْنَى اللَّفْظَيْنِ وَاحِدٌ، فَإِنَّ الْغَفْرَ وَالْكَفْرَ: السَّتْرُ»[٤].

١٣- قوله: «**وتوفنا مع الأبرار**»: الأبرار: هم المتمسكون بالشريعة: قولًا، وعملًا، واعتقادًا، وقال السعدي رحمه الله: «**الأبْرَارِ**: وهم الذين برت قلوبهم بما فيها من محبة الله ومعرفته، والأخلاق الجميلة، فبرت جوارحهم، واستعملوها بأعمال البر»[٥]، وقال السعدي رحمه الله أيضاً: «**وتوفنا مع الأبرار**: يتضمن هذا الدعاء التوفيق لفعل الخير، وترك الشر، الذي به يكون العبد من الأبرار، والاستمرار عليه، والثبات إلى الممات»[٦].

١٤- قوله: «**ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك**» أي: من النصر والتأييد

(١) تفسير السعدي، ص ١٦١.
(٢) انظر: تفسير السعدي، ص ١٦١.
(٣) تفسير السعدي، ص ١٦١.
(٤) تفسير القرطبي، ٤/ ٣١٧.
(٥) تفسير السعدي، ص ٩٠.
(٦) تفسير السعدي، ص ١٦١.

والتمكين، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فهذا طلب للخير المعدوم أن يؤتيهم إياه»(١)، وقال العلامة السعدي رحمه الله: «ولما ذكروا توفيق الله إياهم للإيمان، وتوسلهم به إلى تمام النعمة، سألوه الثواب على ذلك، وأن ينجز لهم ما وعدهم به على ألسنة رسله من النصر، والظهور في الدنيا، ومن الفوز برضوان الله وجنته في الآخرة، فإنه تعالى لا يخلف الميعاد »(٢).

١٥-قوله: «**ولا تُخْزِنا يَوْمَ الْقِيامَةِ**»: قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «فهذا طلب أن لا يوقع بهم الشر المعدوم، وهو خزي يوم القيامة»(٣).

١٦- قوله: «**إنك لا تخلف الميعاد**»: قال العلامة السعدي رحمه الله: «فأجاب الله دعاءهم، وقبل تضرعهم »(٤).

١٧-قوله: «**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أنثى**»: قال السعدي رحمه الله: «أي: أجاب الله دعاءهم، دعاء العبادة، ودعاء الطلب، وقال: إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى، فالجميع سيلقون ثواب أعمالهم كاملاً موفراً»(٥).

١٨-قوله: «**بعضكم من بعض**»: قال السعدي رحمه الله: «أي: كلكم على حد سواء في الثواب والعقاب»(٦).

١٩- قوله: « **فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا**»: أي: تركوا الديار والأموال فرارًا بدينهم، وقال السعدي رحمه الله:

(١) تفسير القرآن الكريم لابن قيم الجوزية، ص ٦١٢.
(٢) تفسير السعدي، ص ١٦١.
(٣) تفسير القرآن الكريم لابن قيم الجوزية، ص ٦١٢.
(٤) تفسير السعدي، ص ١٦٢.
(٥) تفسير السعدي، ص ١٦٢.
(٦) تفسير السعدي، ص ١٦٢.

«فجمعوا بين الإيمان، والهجرة، ومفارقة المحبوبات من الأوطان، والأموال، طلباً لمرضاة ربهم وجاهدوا في سبيل الله»[١].

٢٠-قوله: «لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»: قال العلامة السعدي رحمه الله: «لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله} الذي يعطي عبده الثواب الجزيل على العمل القليل»[٢].

٢١-قوله: «وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ» قال السعدي رحمه الله: «مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فمن أراد ذلك، فليطلبه من الله بطاعته، والتقرب إليه، بما يقدر عليه العبد»[٣].

٢٢- قوله: « لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ » أي: تصرفهم فيها بالتجارة، والزراعة، وغير ذلك، وقال السعدي رحمه الله: «هذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا، وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات، والمكاسب، واللذات، وأنواع العز، والغلبة في بعض الأوقات»[٤].

٢٣-قوله: «مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ»: قال العلامة السعدي رحمه الله: «فإن هذا كله متاع قليل: ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتعون به قليلا ويعذبون عليه طويلا هذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تؤول إليه»[٥].

٢٤-قوله: «لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ»، قال السعدي رحمه الله:

---

(١) تفسير السعدي، ص ١٦٢.
(٢) تفسير السعدي، ص ١٦٢.
(٣) تفسير السعدي، ص ١٦٢.
(٤) تفسير السعدي، ص ١٦٢.
(٥) تفسير السعدي، ص ١٦٢.

«أما المتقون لربهم، المؤمنون به- فمع ما يحصل لهم من عز الدنيا ونعيمها «**لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها**»، فلو قدر أنهم في دار الدنيا، قد حصل لهم كل بؤس، وشدة، وعناء، ومشقة، لكان هذا بالنسبة إلى النعيم المقيم، والعيش السليم، والسرور، والحبور، والبهجة نزراً يسيراً، ومنحة في صورة محنة؛ ولهذا قال تعالى: «**وما عند الله خير للأبرار**» وهم الذين برت قلوبهم، فبرت أقوالهم وأفعالهم، فأثابهم البر الرحيم من بره أجراً عظيماً، وعطاء جسيماً، وفوزاً دائماً»[١].

٢٥-قوله: «**وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ**»: القرآن والسنة، وقال ابن كثير رحمه الله: «**يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ حَقَّ الْإِيمَانِ، وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**»[٢]، وقال الشوكاني رحمه الله: «**يجمعون بين الإيمان بالله، وبما أنزل الله على نبينا محمد ﷺ وما أنزله على أنبيائهم**»[٣]، وقال العلامة السعدي رحمه الله: «أي: وإن من أهل الكتاب طائفة موفقة للخير، يؤمنون بالله، ويؤمنون بما أنزل إليكم، وما أنزل إليهم، وهذا الإيمان النافع لا كمن يؤمن ببعض الرسل والكتب، ويكفر ببعض»[٤].

٢٦-قوله: «**وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ**»: التوراة والإنجيل قبل التحريف، وقال ابن كثير رحمه الله: «**يُؤْمِنُونَ بِهِ مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ**»[٥].

٢٧-قوله: «**خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**»: قال اعلامة السعدي رحمه الله: «ولهذا -لما كان

---

(١) تفسير السعدي، ص ١٦٢.
(٢) تفسير ابن كثير، ٢/ ١٩٣.
(٣) تفسير فتح القدير، ١/ ٤١٤.
(٤) تفسير السعدي، ص ١٦٢.
(٥) تفسير ابن كثير، ٢/ ١٩٣.

إيمانهم عاماً حقيقياً- صار نافعاً، فأحدث لهم خشية الله، وخضوعهم لجلاله الموجب للانقياد لأوامره ونواهيه، والوقوف عند حدوده، وهؤلاء أهل الكتاب والعلم على الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[(١)]، ومن تمام خشيتهم لله، أنهم «لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلاً» فلا يقدمون الدنيا على الدين كما فعل أهل الانحراف الذين يكتمون ما أنزل الله، ويشترون به ثمناً قليلاً، وأما هؤلاء فعرفوا الأمر على الحقيقة، وعلموا أن من أعظم الخسران، الرضا بالدون عن الدين، والوقوف مع بعض حظوظ النفس السفلية، وترك الحق الذي هو: أكبر حظ وفوز في الدنيا والآخرة، فآثروا الحق وبينوه، ودعوا إليه، وحذروا عن الباطل، فأثابهم الله على ذلك بأن وعدهم الأجر الجزيل، والثواب الجميل، وأخبرهم بقربه، وأنه سريع الحساب، فلا يستبطئون ما وعدهم الله، لأن ما هو آت محقق حصوله، فهو قريب»[(٢)].

٢٨- قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا»: احبسوا أنفسكم على الطاعة، وقال ابن كثير رحمه الله: «أُمِرُوا أَنْ يَصْبِرُوا عَلَى دِينِهِمُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ لَهُمْ، وَهُوَ الإِسْلَامُ، فَلَا يَدْعُوهُ لِسَرَّاءَ، وَلَا لضرّاءَ، وَلَا لِشِدَّة، وَلَا لرِخَاء، حَتَّى يَمُوتُوا مُسْلِمِينَ»[(٣)]، وقال العلامة السعدي رحمه الله: «ثم حض المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح - وهو: الفوز والسعادة والنجاح، وأن الطريق الموصل إلى ذلك لزوم الصبر، الذي هو حبس النفس على ما تكرهه، من ترك المعاصي، ومن الصبر على المصائب، وعلى الأوامر الثقيلة على النفوس، فأمرهم بالصبر على جميع ذلك»[(٤)].

٢٩-قوله: «وَصَابِرُوا» اثبتوا أمام العدو، وقال ابن كثير رحمه الله: «وَأَنْ يُصَابِرُوا

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.
(٢) تفسير السعدي، ص ١٦٢.
(٣) تفسير ابن كثير، ٢/ ١٩٥.
(٤) تفسير السعدي، ص ١٦٢.

الْأَعْدَاءَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ دِينَهُمْ»[١]، وقال السعدي رحمه الله: «والمصابرة: أي: الملازمة، والاستمرار على ذلك، على الدوام، ومقاومة الأعداء في جميع الأحوال»[٢].

٣٠-قوله: «**وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**»: أي: الزموا الثغور منعًا للعدو من التسرب لديار المسلمين، ويدخل في ذلك انتظار الصلاة بعد الصلاة، «**وَاتَّقُوا اللَّهَ**»: قال ابن كثير رحمه الله: «أَيْ: فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ»[٣]، وقال ابن كثير رحمه الله أيضاً: «الْمُرَادُ بِالْمُرَابَطَةِ هَاهُنَا مُرَابَطَةُ الْغَزْوِ فِي نُحور الْعَدُوِّ، وَحِفْظُ ثُغور الْإِسْلَامِ وَصِيَانَتُهَا عَنْ دُخُولِ الْأَعْدَاءِ إِلَى حَوْزَةِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ»[٤]، وقال العلامة السعدي رحمه الله: «والمرابطة: وهي لزوم المحل الذي يخاف من وصول العدو منه، وأن يراقبوا أعداءهم، ويمنعوهم من الوصول إلى مقاصدهم، لعلهم يفلحون: يفوزون بالمحبوب الديني والدنيوي والأخروي، وينجون من المكروه كذلك، فعلم من هذا أنه لا سبيل إلى الفلاح بدون الصبر والمصابرة والمرابطة المذكورات، فلم يفلح من أفلح إلا بها، ولم يفت أحداً الفلاح إلا بالإخلال بها أو ببعضها»[٥].

٣١-قوله: «**شن معلقة**»: الشَّنّ القِربَة الَّتِي تَبَدَّت لِلبَلاءِ، ولِذَلِكَ قالَ فِي هَذِهِ الرِّوايَة «مُعَلَّقَة»، فَأَنَّثَ لِإرادَةِ القِربَة[٦].

٣٢- قوله: «**سواك**» –بالكسر –، والمسواك ما تُدلك به الأسنان من العيدان، يقال ساك فاه يسوكه، إذا دلكه بالسوك، فإذا لم تذكر الفم قلت استاك، وتسوّك[٧].

---

(١) تفسير ابن كثير، ٢/ ١٩٥.
(٢) تفسير السعدي، ص ١٦٢.
(٣) تفسير ابن كثير، ٢/ ٢٠٣.
(٤) تفسير ابن كثير، ٢/ ١٩٧.
(٥) تفسير السعدي، ص ١٦٢.
(٦) فتح الباري، ١/ ٢٨٨.
(٧) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٢٤، مادة (سوك).

٣٣-قوله: «**يفتلها**»: أَخَذَ بِأُذُنِهِ أَوَّلاً لإدارَتِهِ مِن الجانِبِ الأَيسَرِ إِلَى الجانِبِ الأَيمَنِ ، وذَلِكَ مِن مَصلَحَة الصَّلاة. ثُمَّ أَخَذَ بِها أَيضًا لِتَأنِيسِهِ لِكَونِ ذَلِكَ لَيلاً كَما تَقَدَّمَ تَقرِيره فِي أَبوابِ الصُّفُوفِ[1].

٣٤-قوله: «**فاستنّ**»: يَستَنُّ بِفَتحِ أَوَّله، وسُكُونِ المُهمَلَةِ، وفَتحِ المُثَنّاة وتَشدِيدِ النُّونِ مِنَ السِّنّ بِالكَسرِ أَو الفَتحِ إِمّا لأَنَّ السِّواكَ يَمُرُّ عَلَى الأَسنانِ أَو لأَنَّهُ يَسُنُّها أَي يُحَدِّدُها[2].

٣٥-قوله: «**فخرج فنظر إلى السماء**»، أي: عندما يستيقظ في الليل يفعل ذلك؛ ولهذا علق الإمام النووي رحمه الله على هذه الجملة: «يُسْتَحَبّ قِرَاءَتهَا أي: آيات آل عمران عِنْد الِاسْتِيقَاظ فِي اللَّيْل مَعَ النَّظَر إِلَى السَّمَاء لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ عَظِيم التَّدَبُّر ، وَإِذَا تَكَرَّرَ نَوْمه وَاسْتِيقَاظه وَخُرُوجه اُسْتُحِبَّ تَكْرِيره قِرَاءَة هَذِهِ الْآيَات كَمَا ذُكِرَ فِي الْحَدِيث . وَاَللَّه سبحانه وتعالى أَعْلَم»[3].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث والآيات:

١-قال العلامة السعدي رحمه الله: في هذه «الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية، فأما تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن لمخلوق أن يحصره، ويحيط ببعضه، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسعة، وانتظام السير والحركة، يدل على عظمة خالقها، وعظمة سلطانه وشمول قدرته، وما فيها من الإحكام والإتقان، وبديع الصنع، ولطائف الفعل، يدل على حكمة الله ووضعه الأشياء مواضعها، وسعة علمه، وما فيها من المنافع للخلق، يدل

---

(١) فتح الباري، ٣/ ٧٢.

(٢) فتح الباري، ١/ ٣٥٥.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٣/ ١٤٥.

على سعة رحمة الله، وعموم فضله، وشمول بره، ووجوب شكره»[(١)].

٢- مشروعية رفع البصر إلى السماء، و قراءة هذه الآيات عند الاستيقاظ من النوم للتهجد في آخر الليل.

٣- مشروعية التوسل إلى الله بالإيمان والعمل الصالح.

٤- المساواة بين المؤمن والمؤمنة في العمل والجزاء.

٥- استحباب طلب الوفاة بين الأبرار والصدق في طلب ذلك.

٦- بسط الدنيا للكفار ليس دليلًا على محبة الله لهم؛ لأن الله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ولكنه لا يعطي الدين إلا لمن أحب.

٧- شرف مؤمني أهل الكتاب وبشارة القرآن لهم بالجنة وعلى رأسهم عبد الله بن سلام والنجاشي[(٢)].

٨- جواز نوم الرجل مع امرأته من غير مواقعة بحضرة بعض محارمها وإن كان مميزًا[(٣)].

٩- استحباب مسح أثر النوم من الوجه باليد وأن هذا من السنة.

١٠- جواز قراءة القرآن للمحدث الحدث الأصغر؛ لأن النبي ﷺ قرأ قبل الوضوء[(٤)].

١١- مما حث عليه رسول الله ﷺ حال استيقاظ المسلم من نومه بعد ذكر الله الوضوء والصلاة، وذلك لحديث: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطًا طيب النفس،**

---

(١) تفسير السعدي، ص ١٦١.

(٢) انظر: تفسير الجزائري، ص ٢٧٤.

(٣) قال النووي: «قال القاضي: وجاء في بعض روايات الحديث أن ابن عباس قال: بت عند خالتي ميمونة في ليلة كانت فيها حائضًا وهذه الكلمة وإن لم تصح إلا أنها حسنة المعنى جدًا إذ لم يكن لابن عباس أن يطلب المبيت في ليلة للنبي ﷺ فيها حاجة لأهله، ولا أن يرسله أبوه إلا إذا علم عدم حاجه النبي لأهله في هذه الليلة، انظر: شرح النووي، ٦/ ٢٩٨.

(٤) انظر: المصدر السابق، صحيح مسلم بشرح النووي، ٤/ ٦٨.

وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»[١].

١٢- ويستحب الاستنثار ثلاث مرات لحديث: «إذا استيقظ أحدكم من منامه، فتوضأ فليستنثر ثلاثاً، فإن الشيطان يبيت على خيشومه[٢]»[٣].

١٣- اعلم أن المستيقظ بالليل على حالين:

أحدهما: من لا ينام بعده. وهذا يستحب له قول: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[٤]، وكذلك: «الحمد لله الذي عافاني في جسدي ورد علي روحي، وأذن لي بذكره»[٥].

والثاني: من يريد النوم بعده كأن يتقلب في فراشه أو يتعار من الليل فهذا يسن له قول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له...» إلى آخره[٦]، [٧].

١٤-الخروج من البيت، والنظر إلى السماء بعد الاستيقاظ من النوم ليلاً، وقراءة أواخر سورة آل عمران سُنّة مهجورة؛ حيث أشار الإمام النووي رحمه الله إلى استحباب قراءة آيات آل عمران، مع النظر إلى السماء بعد الاستيقاظ[٨].

***

(١) البخاري، أبواب التهجد، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل، برقم ١١٤٢، واللفظ له، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، برقم ٧٧٦.

(٢) الخيشوم هو الأنف وقيل: المنخر.

(٣) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٩٥، ومسلم، كتاب الطهارة، باب الإيتار في الاستنثار والاستجمار، برقم ٢٣٨.

(٤) البخاري، برقم ٦٣١٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ١.

(٥) الترمذي، برقم ٣٤٠١، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/١٤٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٣.

(٦) البخاري، برقم ١١٥٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٢، وانظر: كتاب الأذكار للإمام النووي، ص ١٣٧.

(٧) انظر: كتاب الأذكار للإمام النووي، ص ١٣٧.

(٨) انظر: ما سبق نقله في شرح مفردات هذا الحديث: آخر مفردة رقم ٢٥ عن الإمام النووي في شرح صحيح مسلم، ٣/ ١٤٥.

٢- دُعَاءُ لُبْسِ الثَّوْبِ

٥- «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا (الثَّوْبَ) وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّة...»[1].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٦-لفظ أبي داود: عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ[2]، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه[3]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**» قَالَ: وَمَنْ لَبِسَ ثَوْبًا فَقَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي، وَلَا قُوَّةٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**»[4].

٣٧-ولفظ الترمذي:عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب اللباس، باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً، برقم ٤٠٢٣، واللفظ له، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢/ ٥٠٢ دون زيادة «وما تأخر» وبنحوه الترمذي، كتاب الدعوات، باب إذا فرغ من الطعام، برقم ٣٤٥٨، ولفظه: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»بدون دعاء لبس الثوب، وابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب إذا فرغ من الطعام، برقم ٣٢٨٥، ولفظه مثل لفظ الترمذي، وحسنه الألباني في: إرواء الغليل، ٤٧/٧ .

(٢) سهل بن معاذ بن أنس الجهني، روى عن أبيه معاذ، نزيل مصر، لا بأس به، إلا في روايات زبان عنه من الرابعة. انظر: تهذيب الكمال للحافظ المزي، ١٠/ ١٦٨ ذكره في ترجمة أبيه، وتقريب التهذيب، ٢/ ١٨٤.

(٣) معاذ بن أنس الجهني معدود في أهل مصر وهو والد سهل بن معاذ، حليف الأنصار، صحابي كان بمصر والشام ، روى عن النبي ﷺ أحاديث، وله رواية عن أبي الدرداء، وكعب الأحبار، روى عنه ابنه سهل بن معاذ وحده، بقي إلى خلافة عبد الملك بن مروان. انظر: الاستيعاب، ٣/ ١٤٠٢، والإصابة في تمييز الصحابة، ٦/ ١٣٦.

(٤) أبو داود، برقم ٤٠٢٣، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٢/ ٥٠٢ دون زيادة «وما تأخر» وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ. غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[١].

٣٨-ولفظ ابن ماجه: عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي، وَلاَ قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**الحمد لله**»: الحمد هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له، وهذه اللفظة لا تصلح على هذا الوجه، ولا تنبغي إلا للحميد المجيد[٣]، وقال النووي رحمه الله: «التَّحْمِيد: الثَّنَاء بِجَمِيلِ الْفِعَال، وَالتَّمْجِيد الثَّنَاء بِصِفَاتِ الْجَلَال، وَيُقَال: أَثْنَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ كُلّه»[٤].

٢-قوله: «**الذي كساني**» أي: ألبسني، قال ابن منظور رحمه الله: «الكِسْوَةُ والكُسْوَةُ: اللِّبَاس، ... يُقَالُ: كَسَوْت فُلاَنًا، أَكْسُوه كِسْوَةً: إِذا أَلبسته ثَوْبًا، أو ثِيَابًا، فاكْتَسَى، واكْتَسَى فُلاَنٌ إِذا لبَس الكِسْوَة»[٥].

٣-قوله: «**هذا الثوب**» أي: يسميه باسمه، فإن كان قميصًا قال: القميص، وهكذا، وقال الطيبي رحمه الله: «بأن يقال: عمامة، أو قميصاً، أو رداء، أي هذه العمامة»[٦].

٤-قوله: «**ورزقنيه**» أي: أنعم به علينا؛ لأنه هو المتكفل بالرزق لجميع خلقه، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فضرورة الخلق إلى الرزق دائمًا أمرٌ باهرٌ علمًا، وذوقًا ووجدًا... فلا يطعمه أحدٌ بوجهٍ من الوجوه، فلا يكون

(١) الترمذي، برقم ٣٤٥٨، وحسنه الألباني في إرواء الغليل، ٧/ ٤٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) ابن ماجه، برقم ٣٢٨٥، وحسنه الألباني في إرواء الغليل، ٧/ ٤٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) انظر: بدائع الفوائد، ٢/ ٥٣٧.

(٤) شرح النووي على مسلم، ٤/ ١٠٤، وتقدم في شرح المفردة رقم ٤ من حديث المتن رقم ٢.

(٥) لسان العرب، ١٥/ ٢٢٣، مادة (كسا).

(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٩/ ٢٨٩٩.

أحدٌ محسنًا إليه، ولا مكافئًا له على هذه النعمة»[١].

٥-قوله: «**من غير حول مني**» أي: طاقة وحيلة، قال الإمام النووي رحمه الله: «الحول: الحركة، والحيلة، أي: لا حركة، ولا استطاعة، ولا حيلة إلا بمشيئة الله تعالى، وقيل: معناه: لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله وقيل: لا حول عن معصية الله إلا بعصمته ولاقوة على طاعته «إلا به» عز وجل»[٢].

٦-قوله: «**ولا قوة**»: قال ابن العربي رحمه الله: « ليس في حَوْلي، ولا قُوَّتي ... إلَّا بحَوْلكَ، وقُوَّتك، وأنّ ذلك ليس من حَوْلِي ولا قوّتي»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-استحقاق الله عز وجل لجميع أنواع المحامد والثناء؛ لأنه أهل لها فهو صاحب النعم المتوالية، قال الله عز وجل: ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾[٤]، ورغم ذلك فهو يرضى من عباده باليسير من الحمد.

٢- اللباس من جملة النعم التي أنعم الله عز وجل بها على خلقه فالواجب شكر هذه النعمة، ومن ذلك عدم الإسبال، وعدم لبس الحرير للرجال، وعدم لبس ثوب الشهرة، ونحو ذلك.

٣- الاعتراف بالعجز والتقصير، وعدم القدرة على تحصيل نعمة اللباس، ونحوها لولا توفيق الله لعبده وتفضله عليه.

٤-من تمام فضل الله عز وجل وجميل إحسانه إلى خلقه أن ينعم عليهم بأنواع النعم، ثم يحثهم على حمده وشكره، ويرتب على ذلك الأجور العظيمة، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في نهاية هذا الحديث: «**غفر له ما تقدم من ذنبه**» أي: لقائله، فسبحان الشكور الودود»[٥].

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية، ١/ ١٢٠.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٢٦، أضفت كلمة «إلا به عز وجل» لإتمام المعنى.
(٣) المسالك في شرح موطأ مالك، ٢/ ٣١٦.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.
(٥) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٤٢.

٣- دُعَاءُ لُبْسِ الثَّوْبِ الجَدِيد

٦- «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث

٣٩-لفظ أبي داود: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ[٢]، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ إِمَّا قَمِيصًا، أَوْ عِمَامَةً ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ، وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ» قَالَ أَبُو نَضْرَةَ: «فَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا لَبِسَ أَحَدُهُمْ ثَوْبًا جَدِيدًا قِيلَ لَهُ: تُبْلِي وَيُخْلِفُ اللَّهُ تَعَالَى»[٣].

٤٠-ولفظ الترمذي: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ: عِمَامَةً، أَوْ قَمِيصًا، أَوْ رِدَاءً، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ»[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «اللهم»: «بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، وَالْمِيمُ الْمُشَدَّدَةُ عِوَضٌ مِنْ يَا؛ لأَنهم لَمْ

---

(١) أبو داود، كتاب اللباس، باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً، برقم ٤٠٢٠، والترمذي، كتاب اللباس، باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً، برقم ١٧٦٧، والبغوي، ١٢/ ٤٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٦٦٤، وفي مختصر شمائل الترمذي للألباني، ص٤٧، وفي صحيح سنن أبي داود، ٢/ ٥٠١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح

(٣) أبو داود، برقم ٤٠٢٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٦٦٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الترمذي، برقم ١٧٦٧ ،وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٦٦٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

يَجِدُوا يَا مَعَ هَذِهِ الْمِيمِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَوَجَدُوا اسْمَ اللهِ مُسْتَعْمَلًا بِيَا...»[١]، وقال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا خلاف أن لفظة: (اللهمّ) معناها يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب»[٢].

٢-قوله: «**لك الحمد**»: الحمد: الثناء على صفات الله، وعطائه، قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى: الحميد، أي: المحمود على كل حال، والحمد والشكر مُتَقاربان، والحمد أعَمُّها، لأنَّك تحمَد الإنسان على صِفاته الذَّاتيَّة، وعلى عطائه، ولا تَشْكُره على صِفاته، والشُّكر فيه إظهار النّعْمة، والإشادة بها؛ ولأنه أعم منه، فهو شُكْر وزيادة[٣].

٣-قوله: «**أنت كسوتنيه**»: أي أنت يا ربي كسوتني هذا الملبوس الجديد، فلك كل حمدي وشكري، «كما كسوتنيه: مرفوع المحل مبتدأ، وخبره: أسألك من خيره، وهو المشبه، أي: مثل ما كسوتنيه»[٤]، أي: كما أنعمت علي بلبسه وارتدائه، والكاف في كما للتشبيه، كما هو الظاهر، يعني اختصاص الحمد كاختصاص الكسوة بك، أو لك الحمد منا كالكسوة لنا، بمعنى كما أن كسوتنا لا لغرض، ولا لعوض؛ بل لاستحقاقنا إليك بفقرنا، وحاجتنا لك نحمدك، ولا نستغني عنك[٥].

٤-قوله: «**أسألك من خيره وخير ما صنع له**» أي: باستعماله في طاعة رازقه ومعطيه وهو الله ﷻ، قال المباركفوري: «خَيْرُ الثَّوْبِ بَقَاؤُهُ، وَنَقَاؤُهُ، وَكَوْنُهُ مَلْبُوسًا لِلضَّرُورَةِ، وَالْحَاجَةِ، وَخَيْرُ مَا صُنِعَ لَهُ: هُوَ الضَّرُورَاتُ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يصنع اللباس: من الحر، والبرد، وَسَتْرِ الْعَوْرَةِ، وَالْمُرَادُ سُؤَالُ الْخَيْرِ فِي هَذِهِ

---

(١) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله).

(٢) جلاء الأفهام، ص ١٤٣، وتقدم شرح المفردة مستوفى في المفردة رقم ٦ من الحديث رقم ١ من أحاديث المتن.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤٣٥، مادة (حمد).

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ١٢٤.

(٥) انظر: دستور العلماء، للقاضي النكري، ٣/ ١٠٤.

الْأُمُورِ، وَأَنْ يَكُونَ مُبَلِّغًا إِلَى الْمَطْلُوبِ الَّذِي صُنِعَ لِأَجْلِهِ الثَّوْبُ: مِنَ الْعَوْنِ عَلَى الْعِبَادَةِ، والطاعة لموليه»(١).

٥-قوله: «**وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له**» أي: باستخدامه في معصية الله، ومخالفة أمره، والتخصيص للتمثيل، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وأعوذ بك من شره، وشر ما صنع له: فربما يكون هذا سبب شر عليك، ربما تأكل النار طرفه، ثم تتقد حتى تشمل هذا اللباس، وتقضي عليك أنت أيضاً، و ربما تكون فيه أشياء سامة، ما تعلم عنها شيئاً، فالمهم أنك تقول: اللهم إني أعوذ بك من شره، وشر ما صُنع له؛ لأنه قد يصنع ويكون سبباً للشر، كأن يحمل صاحبه على الكبر، والترفع على الناس، أو قد يكون سبباً للفتنة، وهي من أعظم الشر والفساد، كتلك الألبسة التي تتفنن النساء في صنعها؛ مضاهاة لغيرهن من نساء الغرب الكافرات»(٢).

٦-قوله: «**استجد ثوباً**» أي: لبس ثوبًا جديدًا، «جَدَّ الشيء، يَجِدّ،بالكسر جِدَّةً، فهو جَدِيدٌ، وهو خلاف القديم، وجَدَّدَ فلان الأمر، وأَجَدَّهُ، واسْتَجَدَّهُ، إذا أحدثه فَتَجَدَّدَ»(٣).

٧-قوله: «**سماه باسمه**» أي: الثوب والمراد به الجنس، فيستحب أن يذكر اسم ما يلبس، قال العلامة بن عثيمين رحمه الله: «فإذا من الله عليك بلباس جديد: قميص ،أو سروال، أو غترة، أو مشلح، أو نحوها، ولبستها، فقل: اللهم لك الحمد، أنت كسوتنيه، وتسميه باسمه: اللهم لك الحمد أنت كسوتني هذا القميص، أنت كسوتني هذا السروال، أنت كسوتني هذه الغترة، أنت كسوتني

---

(١) تحفة الأحوذي في شرح الترمذي، ٥/ ٣٧٦.
(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٨١٣.
(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٩٢، مادة (جدّ).

هذه الطاقية، أنت كسوتني هذا المشلح، أي شيء تلبسه وهو جديد»[(١)].

٨-قوله: «**عمامة**»: قال ابن منظور: «والعِمامةُ: مِنْ لِبَاسِ الرأْس، مَعْرُوفَةٌ، وَرُبَّمَا كُنِيَ بِهَا عَنِ البَيْضة، أَو المِغْفَر، وَالْجَمْعُ عَمائِمُ، وعِمامٌ؛ ...قَالَ: وَالْعَرَبُ تَقُولُ لَمّا وَضَعوا عِمامَهم عَرَفْناهم»[(٢)].

٩-قوله: «**قميص**»: نوع من الألبسة، وهو دون الثوب في الطول، قال ابن منظور: «الْقَمِيصُ الَّذِي يُلْبَسُ، مَعْرُوفٌ مُذَكَّرٌ، وَقَدْ يُعْنى بِهِ الدِّرْعُ»[(٣)]، وقال الزبيدي: «القَمِيصَ: ثَوْبٌ مَخيطٌ بكُمَّيْنِ، غَيْرُ مُفرجٍ، يُلْبَس تَحْتَ الثِّيَاب، أَوْ لاَ يَكُونُ إِلاَّ من قُطْن، أَو كَتَّانٍ... وأَمَّا منَ الصُّوفَ فَلا»[(٤)].

١٠-قوله: «**أو رداء**»: الرداء ما يلبس فوق الثياب، قال ابن الأثير: «الرِّداء: وهو الثَّوب، أو البُرْد الذي يَضَعُه الإنسان على عاتِقَيْه، وبين كَتِفَيْه فوق ثيابه»[(٥)].

١١-قوله: «**تُبلِي، ويخلف الله تعالى**»: قال العظيم أبادي رحمه الله: «تُبلِي: من الإبلاء، بمعنى الإخلاق، وهذا دعاءٌ للابس بأن يعمَّر، ويلبس ذلك الثوب حتى يبلى، ويصير خَلَقاً، ويخلف الله تعالى عطف على تبلي، من أخلف الله عليه، أي: أبدلهما: ذهب عنه، وعوّضه عنه، والمقصود الدعاء بطول الحياة»[(٦)].

ثالثا: ما يستفاد من الحديث:

١- استحباب حمد الله عند لبس الثوب الجديد ونحوه وقد امتن الله على خلقه بهذه النعمة بقوله عز وجل: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ**

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٨١٣.
(٢) لسان العرب، ١٢/ ٤٢٤، مادة (عمم).
(٣) تاج العروس، ١٨/ ١٢٧، مادة (قمص).
(٤) لسان العرب، ٧/ ٨٢، مادة (قمص).
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٢١٦، مادة (ردا).
(٦) عون المعبود، ١١/ ٤٤.

وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[١].

٢- من عظيم شر اللباس أن يلبسه صاحبه على وجه الكبر والتعالي على خلق الله، قال النبي ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**» قالها ثلاثًا قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: «**المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**» وفي رواية: «**والمسبل إزاره**»[٢] وقوله ﷺ: «**من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»[٣].

٣-خير الثوب بقاؤه ونقاؤه وكونه ملبوسًا للضرورة والحاجة، وخير ما صنع له هو الضرورات التي من أجلها يصنع اللباس من الحر والبرد وستر العورة، والمراد سؤال الخير في هذه الأمور، وأن يكون مبلغًا إلى المطلوب الذي صنع لأجله الثوب من العون على العبادة والطاعة لمولاه وفي الشر عكس هذه المذكورات[٤].

***

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، برقم ١٠٦، و١٠٧.

(٣) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» برقم ٣٦٦٥.

(٤) عون المعبود، ٦/ ١٢٥.

٤- الدُّعَاءُ لِمَنْ لَبِسَ ثَوْبًا جَدِيدًا

٧- (١) «تُبْلِي وَيُخْلِفُ اللَّهُ تَعَالَى»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤١-عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ[٢] قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ إِمَّا قَمِيصًا أَوْ عِمَامَةً ثُمَّ يَقُولُ: « **اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ**» قَالَ أَبُو نَضْرَةَ **فَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا لَبِسَ أَحَدُهُمْ ثَوْبًا جَدِيدًا قِيلَ لَهُ: تُبْلِي وَيُخْلِفُ اللَّهُ تَعَالَى**، هذا لفظ أبي داود[٣].

٤٢-ولفظ البخاري: عَنْ أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدٍ رضي الله عنها[٤]: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ، فَقَالَ: «**مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هَذِهِ؟**» فَسَكَتَ الْقَوْمُ، قَالَ: «**ائْتُونِي بِأُمِّ خَالِدٍ**» فَأُتِيَ بِهَا تُحْمَلُ، فَأَخَذَ الْخَمِيصَةَ بِيَدِهِ فَأَلْبَسَهَا، وَقَالَ: «**أَبْلِي وَأَخْلِقِي**» وَكَانَ فِيهَا عَلَمٌ أَخْضَرُ أَوْ أَصْفَرُ، فَقَالَ: «**يَا أُمَّ خَالِدٍ، هَذَا سَنَاهْ**» وَسَنَاهْ بِالْحَبَشِيَّةِ حَسَنٌ[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب اللباس، باب في ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً، برقم ٤٠٢٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٢/٧٦٠،وقد جاء بنحوه عند البخاري مرفوعاً، كتاب اللباس، باب الخميصة السوداء، برقم ٥٨٢٣.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٤٠٢٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢/ ٥٠١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أم خالد بنت أبي خالد هي: أَمَة بنت خالد بن سعيد بن العاص، تكنى أم خالد، مشهورة بكنيتها، ولدت بأرض الحبشة مع أخيها سعيد بن خالد بن سعيد بن العاص، وأمها أميمة، الخزاعية، تزوج أمة بنت خالد الزبير بن العوام، وولدت له عمرو بن الزبير، وخالد بن الزبير وبه كانت تكنى، روت عن النبي ﷺ، وروى عنها موسى وابراهيم ابنا عقبة، وقال البخاري: «لم تعش امرأة ما عاشت هذه» أي لدعاء النبي ﷺ لها. انظر: الاستيعاب، ٤/ ١٧٩٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ٧/ ٥٠٦.

(٥) البخاري، كتاب اللباس، باب الخميصة السوداء، برقم ٥٨٢٣.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «**تبلي**»: من الإبلاء، بمعنى الإخلاق، وهذا دعاء للابس الثوب بأن يعمر، ويلبس ذلك الثوب حتى يبلى، ويصير خلقًا[١].

٢- قوله: «**ويخلف الله تعالى**» أي: يبدلك بعد ذهاب هذا الثوب ويعوضك عنه، والمقصود هو الدعاء بطول الحياة[٢].

٣-قوله: «**خميصة سوداء**»، نوع من الألبسة والأردية، قال ابن الأثير: «الخميصة: كساء أسود له علم، فإن لم يكن له علم، فليس بخميصة»[٣]، والسواد لون من الألوان.

٤- قوله: «**علم أخضر**»: العلم إشارات ورسوم مما يوضع على الأقمشة والثياب، وحدد هنا لون هذه الرسوم بالأخضر، قال ابن منظور: «العَلَمُ: رَسْمُ الثوبِ، وعَلَمهُ رَقْمُه فِي أَطْرَافِهِ، وَقَدْ أَعْلَمَه: جَعَلَ فِيهِ عَلامةً، وجعَلَ لَهُ عَلَماً، وأَعلَمَ القَصَّارُ الثوبَ، فَهُوَ مُعْلِمٌ، والثوبُ مُعْلَمٌ»[٤].

ثالثا: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية قول هذا الدعاء للمسلم إذا لبس شيئًا جديدًا؛ لما في ذلك من أشاعة المحبة بين المسلمين.

٢- المسلم اللبيب هو الذي يقصد بعمله وجه الله ويحوِّل العادة إلى عبادة فيقصد بلبس ثوبه الجديد أو غيره إظهار آثار نعمة الله عليه، وغير ذلك من النيات الصالحة. قال النبي ﷺ: «**إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»[٥].

---

(١) عون المعبود، ٦/ ١٢٥.
(٢) عون المعبود، ٦/ ١٢٥.
(٣) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠/ ٦٧٧.
(٤) لسان العرب، ١٢/ ٤٢٠، مادة (علم).
(٥) أخرجه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء أن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، برقم ٢٨١٩، والحاكم، ٤/ ١٣٥، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٨٧).

٣- يستحب أن يُدعى بهذا الدعاء لمن لبس شيئاً جديداً.

٤- تلطفه ﷺ مع الصغار، ورحمته بهم، وجواز تكنية الصغير، والخميصة ثوب من صوف وقيل: غير ذلك.

***

٨- (٢) «الْبَسْ جَدِيداً وَعِشْ حَمِيداً وَمُتْ شَهِيداً»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٣-عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما[٢]، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: رَأَى عَلَى عُمَرَ قَمِيصًا أَبْيَضَ فَقَالَ: «**ثوبك هذا غسيل أم جديد؟**» قَالَ: لاَ، بَلْ غَسِيلٌ، قَالَ: «الْبَسْ جَدِيدًا، وَعِشْ حَمِيدًا، وَمُتْ شَهِيدًا»[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «**البس جديدًا**»: دعاء في صيغة الأمر أن يلبسه الله ثوبًا جديدًا. «**جديد**» أي: لبس ثوبًا جديدًا، «الجَدِيدُ، هو خلاف القديم، وجَدَّدَ فلان الأمر، وأَجَدَّهُ، واسْتَجَدَّهُ، إذا أحدثه فَتَجَدَّدَ»[٤].

---

(١) ابن ماجه، كتاب اللباس، باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً، برقم ٣٥٥٨، والبغوي، ١٢/٤١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/٢٧٥ .

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، الإمام القدوة، أبو عبد الرحمن القرشي، أسلم وهو صغير، وهاجر مع أبيه وهو لم يحتلم، واستُصغر يوم أحد، وكانت أول غزواته الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة، مسنده ألفان وستمائة وثلاثون حديثاً، قال عنه مولاه نافع: كان يحيي الليل صلاةً ثم يقول: يا نافع، أسحرنا فأقول لا، فيعاود الصلاة والاستغفار حتى يصبح، وكان يحيي بين الظهر إلى العصر بالصلاة، توفي عام ٧٣ وهو ابن سبع وثمانين سنة. سير أعلام النبلاء للذهبي، ترجمة رقم (٢٦٨).

(٣) ابن ماجه، برقم ٣٥٥٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٢٧٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٩٢، مادة (جدّ)، وتقدم شرحه مفصلاً في شرح مفردات حديث المتن رقم ٦، مفردة رقم ١.

٢- قوله: «وعش حميدًا» أي: حامدًا لربك على نعمه، ومحمودًا عند ربك بتقواه، وعند الناس بالإحسان إليهم، وقال ابن منظور رحمه الله: «أَحْمَدَ الرجلَ إذا رَضِيَ فِعْلَهُ، وَمَذْهَبَهُ، وَلَمْ يَنْشُرْهُ... حَمِدَه جَزَاهُ، وَقَضَى حَقَّهُ، وأَحْمَدَه اسْتَبَانَ أنه مُسْتَحِقٌّ لِلْحَمْدِ... وأَحْمَد الرجلُ: فَعَلَ مَا يُحْمد عَلَيْهِ، وأَحْمَدَ الرجلُ: صَارَ أَمره إلى الْحَمْدِ، وأَحمدته: وَجَدْتُهُ مَحْمُودًا»[(١)].

٣- قوله: «ومت شهيدًا»: دعاء بنيل الموت شهيدًا في سبيل الله عز وجل، قال ابن منظور رحمه الله: «الشهيدُ فِي الأَصل مَنْ قُتِلَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ... وسُمِّيَ شَهيداً لأَن مَلَائِكَتَهُ شُهُودٌ لَهُ بِالْجَنَّةِ؛ وَقِيلَ: لأَنه حَيٌّ لَمْ يَمُتْ، كأَنه شَاهِدٌ أَي حَاضِرٌ، وَقِيلَ: لأَن مَلَائِكَةَ الرَّحْمَةِ تَشْهَدُه، وَقِيلَ: لِقِيَامِهِ بشهادَة الْحَقِّ فِي أَمْرِ اللَّهِ حَتَّى قُتِلَ»[(٢)].

٤- قوله: «قميص»: «القَمِيصَ: ثَوْبٌ مَخيطٌ بكُمَّيْنِ، غَيْرُ مُفرجٍ، يُلْبَس تَحْتَ الثِّيَاب»[(٣)].

٥-قوله: «ثوبك هذا غسيل»: الثوب هو: «ما يلبسه الناس من: كتان، وحرير، وخزّ، وصوف، وفرو، ونحو ذلك»[(٤)]، والغسيل: هو المغسول بالماء، والمطهر به، قال الفيومي: «الغُسْلُ: تمام الطهارة، وهو اسم من الاغْتِسَالِ، وغَسَلْتُ الميت...فهو مَغْسُولٌ، وغَسِيلٌ»[(٥)].

٦-قوله: «أم جديد»: قال الزبيدي رحمه الله: «جَدِيدٌ، وجَدِيدةٌ، وثَوْبٌ جَدِيدٌ: كما جَدَّهُ الحائكُ، وهو في معنى مَجدود، يُرَاد به حين جَدّه الحائكُ، أَي قَطَعه، ويقال: ثَوبٌ جَدِيدٌ: قُطِعَ حَديثاً»[(٦)].

---

(١) لسان العرب، ٣/ ١٥٦، مادة (حمد).
(٢) لسان العرب، ٣/ ٢٤٢، مادة (شهد).
(٣) لسان العرب، ٧/ ٨٢، مادة (قمص)، وتقدم شرحه مفصلاً في شرح مفردات حديث المتن رقم ٦، مفردة رقم ٩.
(٤) المصباح المنير، ١/ ٨٧، مادة (ثوب).
(٥) المصباح المنير، ٢/ ٤٤٧، مادة (غسل).
(٦) تاج العروس، ٧/ ٤٧٤، مادة (جدد).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- حسن خلق النبي ﷺ، وتواضعه مع أصحابه، والدعاء لهم بخيري الدنيا والآخرة، وهكذا يكون المسلم.

٢-قال ابن العربي: «ويخرج من هذا الحديث ما يدل على أن الزهد في الدنيا والعبادة ليس بلباس الخشن الوسخ من الثياب، وفي رسول الله ﷺ وما ندب اليه الأسوة الحسنة»[١].

٣- اقتداء الصحابة ﷺ بالنبي ﷺ وذلك بلبسهم الأبيض من الثياب لقوله ﷺ: «**البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا فيها موتاكم**»[٢]، وهو أحب اللباس إلى النبي ﷺ وقد ثبت أنه لبس غيره من الألوان.

٤- الإسلام يربط أتباعه بالآخرة في كافة شؤونهم، ويُذكِّرهم بأسباب رضوان الله عليهم.

***

(١) المسالك في شرح موطأ مالك، للقاضي ابن العربي، ٧/ ٢٧٦.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في لبس البياض، برقم ٢٨١٠، والنسائي، كتاب الزينة، الأمر بلبس البيض من الثياب، برقم ٥٣٢٢، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢١٨، برقم ٢٠٢٧.

٥ – مَا يَقُولُ إذَا وَضَعَ ثَوْبَهُ

٩-((بِسْمِ اللَّهِ))[١].

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٤-لفظ الطبراني: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه[٢]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((**سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا وَضَعُوا ثِيَابَهُمْ - أَنْ يَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ**))[٣].

٤٥-وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه[٤]، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((**سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الجِنِّ**

---

(١) الترمذي، أبواب السفر والكسوف، باب ما ذُكر في التسمية عند دخول الخلاء، برقم ٦٠٦، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء، برقم ٢٩٧، والطبراني في الأوسط، ٣/ ٦٧، برقم ٢٥٠٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٦١٠، والعظمة لأبي الشيخ، ٥/ ١٦٦٨، والدعاء لابن فضيل، ص ٢٩٠، وصححه الألباني في إرواء الغليل، برقم ٥٠، وفي صحيح الجامع، ٣/٢٠٣، وفي مشكاة المصابيح، برقم ٣٥٨.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٣) الطبراني في الأوسط، ٣/ ٦٧، برقم ٢٥٠٤، و٧/١٢٨، برقم ٧٠٦٦، وأبو الشيخ في العظمة، ٥/١٦٦٧، وابن عدي في الكامل، ٣/ ١٩٨، برقم ٦٩٩، وتمام في فوائده، ٢/٢٦٨، برقم ١٧١٠، والبيهقي في الدعوات الكبير، ١/ ١١٣، برقم ٥٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، ٢/ ١٢٢، برقم ٣٦١٠.

(٤) علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عم النبي ﷺ: أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين أبو الحسن القرشي الهاشمي ويكنى أيضًا بأبي تراب وهو أحب إليه من غيره، وذلك لأنه لما كان بينه وبين زوجته فاطمةشيء، ذهب إلى المسجد ونام فأتاه النبي ﷺ وقال له: ((قم أبا تراب)) البخاري، كتاب الصلاة، باب نوم الرجال في المسجد، برقم ٤٤١؛ لأنه كان نائمًا على التراب فلصق بجنبه رضي الله عنه، ومناقبه تطول منها أنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وقد أخبر النبي ﷺ عليًا بذلك يوم خيبر البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، برقم ٣٧٠٢، وقوله ﷺ: ((أنت مني وأنا منك)) البخاري، كتاب المغازي، باب عمرة القضاء، برقم ٤٢٥١. وقوله ﷺ: ((أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي)) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، وهي غزوة العشيرة، برقم ٤٤١٥، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي رضي الله عنه، برقم ٢٤٠٤. قتله الخارجي عبد الرحمن بن ملجم سنة ٤٠ هـ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر، ١/٣٤٨، وسير أعلام النبلاء طبعة بيت الأفكار الدولية، ١/ ٤٣١، ترجمة رقم ٤٠، والإصابة لابن حجر، ١/ ٣٠٠.

وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ: إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الخَلاَءَ، أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ»[١].

٤٦-ولفظ ابن ماجه: عَنْ عَلِيٍّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سِتْرُ مَا بَيْنَ الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ الْكَنِيفَ أَنْ يَقُولَ بِسْمِ اللَّهِ»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «**بسم الله**»: قال السعدي رحمه الله: «أي: أبتدئ بكل اسم لله تعالى، لأن لفظ «اسم» مفرد مضاف، فيعم جميع الأسماء الحسنى»[٣].

٢-قوله: «ستر»: الستر هو الحجاب والمانع، قال الشوكاني رحمه الله: «بالكسر: الحجاب، وبالفتح مصدر سترت الشيء أستره: إذا غطيته»[٤].

٣-قوله: «**وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ**»، «بِسُكُونِ الْوَاوِ، (**إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمْ الْخَلَاءَ**) أَيْ وَقْتَ دُخُولِ أَحَدِ بَنِي آدَمَ الْخَلَاءَ (**أَنْ يَقُولَ بِسْمِ اللَّهِ**) خَبَرٌ لِقَوْلِهِ سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ، قَالَ الْمُنَاوِيُّ: وَذَلِكَ لِأَنَّ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى كَالطَّابَعِ عَلَى بَنِي آدَمَ، فَلَا يَسْتَطِيعُ الْجِنُّ فَكَّهُ، وَقَالَ: قَالَ بَعْضُ أَئِمَّتِنَا الشَّافِعِيَّةِ: وَلَا يَزِيدُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ لِأَنَّ الْمَحَلَّ لَيْسَ مَحَلَّ ذِكْرٍ، وَوُقُوفًا مَعَ ظَاهِرِ هَذَا الْخَبَرِ انْتَهَى»[٥].

٤-قوله: «**الكنيف**»: هو موضع قضاء الحاجة، قال الصنعاني رحمه الله: «محل قضاء الحاجة سمي به لما فيه من الستر إذ معنى الكنيف الساتر»[٦].

٥-قوله: «**الخلاء**»: قال ابن منظور: «يقال لموضع قضاء الحاجة الخلاء بالمد وأصله المكان الخالي، ثم نقل إلى موضع قضاء الحاجة»[٧].

---

(١) الترمذي، برقم ٦٠٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٦١٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) ابن ماجه، برقم ٢٩٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٦١٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) تفسير السعدي، ص ٣٩.
(٤) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ٢٦٨.
(٥) تحفة الأحوذي، ٣/ ١٨٤.
(٦) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣٨٢.
(٧) تاج العروس، للزبيدي، ٣٨/ ١٣، مادة (خلو).

٦-قوله: «**إذا وضعوا ثيابهم**»: الوَضْعُ: الإلقاء والرمي، قال ابن منظور: «الوضعُ: ضِدُّ الرَّفْعِ، وضَعَه يَضَعُه وَضْعاً ومَوْضُوعاً... وضَعَ الشيءَ مِنْ يَدِهِ يَضَعُه وَضْعاً إذا أَلقاه... وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُناحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجاتٍ بِزِينَةٍ**﴾[١]، قَالَ الزَّجَّاجُ: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ مَعْنَاهُ أَن يَضَعْنَ المِلْحَفةَ والرِّداءَ»[٢].

٧-قوله: «**أعين الجن**»: قال المناوي رحمه الله: «عنى الشيء الذي يحصل به عدم قدرتهم على النظر إليها»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية قول هذا الذكر عند إرادة دخول الكنيف، وعند رفع الثوب لقضاء الحاجة في الخلاء، كما في حديث علي رضي الله عنه، والحكمة من ذلك هو الاستعانة بالله؛ كي لا يطلع الشيطان على عورة العبد حال قضائه لحاجته.

٢- المسلم عبد لله في كل أحواله، وهذا من كمال هذا الشرع الحنيف، فحري للمسلم أن يتعلم آداب هذا الدين الذي تستوعب سنته الليل والنهار.

٣- إثبات وجود الجن والشياطين وأنهم يطلعون على بني آدم وبنو آدم لا يرونهم قال الله تعالى: ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[٤].

٤- ويقال هذا الذكر عند وضع الثوب كما في حديث أنس رضي الله عنه.

***

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٠.
(٢) لسان العرب، لابن منظور، ٨/ ٣٩٦، مادة (وضع).
(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤/ ١٢٨.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

٦ - دُعَاءُ دُخُولِ الْخَلَاءِ

١٠- «بِسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبائِثِ»[١].

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٧-عن أَنَسٍ ﷺ[٢]، قالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ **إِذَا دَخَلَ الخَلَاءَ** قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ**» تَابَعَهُ ابْنُ عَرْعَرَةَ، عَنْ شُعْبَةَ، وَقَالَ غُنْدَرٌ، عَنْ شُعْبَةَ «**إِذَا أَتَى الخَلَاءَ**» وَقَالَ مُوسَى عَنْ حَمَّادٍ «**إِذَا دَخَلَ**» وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ «**إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ**»، وهذا لفظ البخاري[٣].

٤٨-وفي لفظ مسلم:عَنْ أَنَسٍ ﷺ، حَدِيثِ حَمَّادٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ وَحَدِيثِ هُشَيْمٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْكَنِيفَ قَالَ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ**»[٤].

٤٩-وفي لفظ آخر لمسلم: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ**»[٥].

٥٠-ولفظ ابن ماجه: عَنْ عَلِيٍّ ﷺ[٦]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**سِتْرُ مَا بَيْنَ**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب ما يقول عند الخلاء، برقم ١٤٢، ومسلم، كتاب الحيض، باب ما يقول إذا دخل الخلاء، برقم ٣٧٥، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء، برقم ٢٩٧، وزيادة: «بسم الله» في أوله أخرجها سعيد بن منصور. انظر فتح الباري، ١/ ٢٤٤، وفي مصنف ابن أبي شيبة، ١/ ١١، برقم ٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٧١٤.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ١٤٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ١٢٢ - (٣٧٥)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) مسلم، برقم (٠٠٠)- ٣٧٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ، إِذَا دَخَلَ الْكَنِيفَ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ»(١).

٥١-وفي لفظ لابن ماجه أيضاً: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ﷺ(٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الْحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ، فَإِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ»(٣).

٥٢-وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ(٤)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ يَعْجِزْ أَحَدُكُمْ إِذَا دَخَلَ مِرْفَقَهُ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الرِّجْسِ النَّجِسِ، الْخَبِيثِ الْمُخْبِثِ، الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»(٥).

٥٣-ولفظ ابن أبي شيبة: عَنْ أَنَسٍ ﷺ(٦)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْكَنِيفَ، قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ»(٧).

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء، برقم ٢٩٧، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٢٤٣، ٢٩٩، وفي إرواء الغليل، برقم ٥١.

(٢) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان الأنصاري الخزرجي، غزا مع النبي ﷺ سبع عشرة غزوة، نزل الكوفة وسكنها، وفيها كانت وفاته في سنة ثمان وستين، شهد صفين مع علي ﷺ، وهو معدود في خاصة أصحابه، وروى عن زيد بن أرقم جماعة، منهم أبو إسحاق السبيعي، ومحمد بن كعب القرظي، وأبو حمزة مولى الأنصار. انظر: الاستيعاب، ٢/ ٥٣٥، والإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٥٨٩)

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء، برقم: ٢٩٦، صححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٢٤١.

(٤) صدي بن عجلان الباهلي ﷺ، أبو أمامة، سكن حمص، روي له عن رسول الله ﷺ مائتا حديث وخمسون حديثًا، مات بالشام سنة إحدى وثمانين، وقيل ست وثمانين، وقيل إنه هو آخر الصحابة موتًا بالشام، روى له الجماعة.أسد الغابة، ٢٤٩٥/٣، والإصابة ٢٨٨٢/٤.

(٥) أخرجه ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء، برقم ٢٩٩، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه، برقم ٥٩، وكذلك أحمد شاكر في تفسير الطبري، ٢/ ٢١٧، عن ابن عباس، وهو عند ابن ماجه عن أبي أمامة، ولكن الطبري بعد أن أورده عن ابن عباس أورد له سنداً عن أنس ﷺ، فقال أحمد شاكر معلقاً: «وهذا إسناد صحيح، ولكني لم أجد هذا الخبر في حديث أنس، في المسند أو غيره، ووجدته بهذا اللفظ في حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف». ا.هـ.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة، ١/ ١١، برقم ٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٧١٤، وقال الحافظ في فتح الباري، ١/ ٢٤٤: «وقَد رَوى العُمَرِيُّ هَذا الحَدِيث مِن طَرِيق عَبد العَزِيز بن المُختار
=

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**بسم الله**»: قال السعدي رحمه الله: «أي: ابتدئ بكل اسم لله تعالى»[١].

٢-قوله:«**إِذَا دَخَلَ**»: «مَعْنَاهُ إِذَا أَرَادَ الدُّخُول، وَكَذَا جَاءَ مُصَرِّحًا بِهِ فِي رِوَايَة الْبُخَارِيّ، قَالَ: كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُل»[٢]. ».

٣-قوله: «**اللَّهم**»: يا الله حذف حرف النداء «يا» وعوض عنه الميم المشددة وهو خاص بنداء الله تعالى[٣] وهي تجمع الدعاء.

٤-قوله: «**إني أعوذ بك**» أي: ألجأ وأستجير وأتحصن بالله وحده.

٥-قوله: «**من الخُبُث**»: جمع خبيث يريد ذكران الشياطين[٤]، وقال القرطبي في المفهم: قال ابنُ الأعرابي: الخبيث في كلام العرب: المكروه، وهو ضد الطيب، و**الْخُبُث** - بالضم -: جمع خبيث، وهو الذَّكرُ من الشياطين، والخبائث: جمع الخبيثة، وهي الأنثى منهم، يعني: أنه تعوذ من ذكورهم وإناثهم، ونحوه، وأيضاً: الخبيث: الشيطان، والخبائث: المعاصي، وأما [**الخُبْث**] بسكون الباء فقيل فيه: إنه المكروه مطلقًا، وقيل: إنه الكفر، والخبائث: الشياطين، وقيل: الخبائث: البول والغائط[٥]، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «الخبث والخبائث: يعني: الشياطين، والشر، فالمهم أن الإنسان يكره له أن يطلق ألفاظاً مكروهة على معانٍ صحيحة؛

=

عَن عَبد العَزِيز بن صُهَيب بِلَفظِ الأَمر قالَ: «إِذا دَخَلتُم الخَلاء فَقُولُوا: بِسمِ الله، أَعُوذ بِاللهِ مِنَ الخُبث والخَبائِث» وإِسناده عَلَى شَرط مُسلِم، وفِيهِ زِيادَة التَّسمِيَة، ولَم أَرَها فِي غَير هَذِهِ الرِّوايَة».

(١) تفسير السعدي، ص ٣٩، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٩.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٧٠.

(٣) تفسير الجزائري: أيسر التفاسير، ١/ ٣٠٣.

(٤) عمدة الأحكام من كلام خير الأنام عليه الصلاة والسلام، ص: ٧.

(٥) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأحمد القرطبي، ٤/ ٣٠.

بل يبدلها بألفاظ محبوبة للنفوس»[١].

٦-قوله: «**والخبائث**»: جمع خبيثة يريد إناث الشياطين[٢].

٧-قوله: «**الخلاء**»: وهو المكان المستتر، البعيد عن الناس، والمكان الذي لا شيء به[٣]، وقال ابن الأثير: «الخلاء: وهو قضاء الحاجة، يعني يستحيون أن ينكشفوا عند قضاء الحاجة تحت السماء»[٤].

٨-قوله: «**الحشوش**»: يكنى بالحشوش عن موضع الغائط[٥].

٩-قوله: «**محتضرة**»: محضورة، أي: إن هذه الحشوش محتضرة، أي: يحضرها الجن والشياطين[٦].

١٠-قوله: «**مرفقه**»: يريد الكنف والحشوش واحدها مرفق بالكسر[٧].

١١-قوله: «**الرجس**»: القذر، وقد يعبر به عن الحرام، والفعل القبيح، والعذاب، واللعنة، والكفر، ومنه الحديث: نهى أن يستنجى بروثة، وقال إنها رجس أي مستقذرة[٨].

١٢-قوله: «**النجس**»: الرجس، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «النَّجْسُ، والنِّجْسُ، والنَّجَسُ: القَذِرُ مِنَ النَّاسِ، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَذِرْتَه ...إذا بدؤوا بِالنَّجِسِ وَلَمْ يَذْكُرُوا الرِّجْسَ فَتَحُوا النُّونَ وَالْجِيمَ، وإِذا بدؤوا بِالرِّجْسِ ثُمَّ أَتبعوه بِالنَّجِسِ كَسَروا النُّونَ»[٩].

---

(١) شرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، شرح الحديث رقم ١٧٤١.
(٢) عمدة الأحكام من كلام خير الأنام عليه الصلاة والسلام، ص: ٧.
(٣) انظر: مختار الصحاح، ص ١٩٦، مادة (خلا).
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٧٥، مادة (خلو) .
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣٨٩، مادة (حشش).
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣٩٨، مادة (حضر).
(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٢٤٦، مادة (رفق).
(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ١٩٩، مادة (رجس).
(٩) لسان العرب، ٦/ ٢٢٦، مادة (نجس).

١٣- قوله: «**الخبيث المخبث**»: الخبيث هو ذو الخبث في نفسه؛ والمخبث هو الذي أصحابه وأعوانه خبثاء، وهو مثل قولهم: فلان قوي مُقوٍ، فالقوي في بدنه، والمقوى أن يكون دابته قوية - قال ذلك الأحمر، وقد يكون أيضاً: المخبث أن يخبث غيره - أي يعلمه الخبث ويفسده[١].

١٤-قوله: «**الكنيف**»: هو محل قضاء الحاجة[٢].

١٥-قوله: «**ستر ما بين الجن وعورات بين آدم**»: أي «أن اسمه تعالى كالطابع على ابن آدم فلا تستطيع الجن فك ذلك الطابع قالوا : ويتأكد للنساء عند دخول الخلاء وفي كل خلاء فإن الجن يشركون الإنس فيهن فيتعين طردهم بالمحافظة على التسمية»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- تمام حرص النبي ﷺ ورعايته لأمته بتعليمهم هذه الآداب.

٢- إظهار العبودية لله رب البرية في كافة الحركات والسكنات.

٣- استحباب قول هذا الذكر جهرًا قبل دخول المكان المعد لقضاء الحاجة كالحمام والكنيف ونحوهما.

٤- إذا كان قضاء الحاجة في صحراء أو مكان غير مُعد لذلك فإن الذكر يقال حال تشمير الثياب وهو مذهب الجمهور[٤].

٥- الشياطين لا تسكن إلا الأماكن المتسقذرة التي لا يذكر فيها اسم الله.

٦- ذكر الحافظ في «الفتح» رواية بلفظ الأمر: «**إذا دخلتم الخلاء فقولوا:**

(١) غريب الحديث لابن سلام، ٢/ ١٩٢، مادة (نجس).
(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، للإمام الصنعاني، ٨/ ٣٨٢.
(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤/ ١٢٧.
(٤) فتح الباري، ١/ ٣٠٨.

بسم الله، أعوذ بالله من الخبث والخبائث» وإسناده على شرط مسلم، وفيه زيادة التسمية، ولم أرها في غير هذه الرواية[١].وقال القاضي ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يحض على الاستعاذة في هذا الموضع لمعنيين أحدهما أنه خلاء وللشيطان قدرة في الخلاء ليست له في الملأ يصل بها إلى العبد قال رسول الله ﷺ: «**الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب**»[٢][٣].

٧- قولك: أعوذ بالله: يكون للاستجارة بالله من المكروه.

وقولك: ألوذ بالله: يكون لطلب المحبوب.

ويشهد لهذا قول الشاعر:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به مما أحذره
لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره ولا يهيضون عظمًا أنت جابره[٤]

***

(١) أخرجها سعيد بن منصور. انظر فتح الباري، ١/٢٤٤.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، ٥/ ١٤٢٥، برقم ٣٥٨٦، وأحمد، ١١/٣٦٠، برقم ٦٧٤٨، وأبو داود، في كتاب الجهاد، باب في الرجل يسافر وحده، برقم ٢٦٠٧، والترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في كراهية أن يسافر الرجل وحده، برقم ١٦٧٤، وحسنه محققو المسند، ١١/ ٣٦٠، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/ ١١٢.

(٣) المسالك في شرح موطأ مالك، لابن العربي، ٢/ ٥٨٩.

(٤) تفسير الجزائري، سورة الفاتحة، ص ١٠.

٧ — دعاء الْخُرُوجِ مِنَ الْخَلاَءِ

١١- «غُفْرَانَكَ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٤-عَـنْ عَائِشَـةُ رضي الله عنها[٢]، أَنَّ النَّبِـيَّ ﷺ كَـانَ إِذَا خَـرَجَ مِـنَ الغَـائِطِ قَـالَ: «غُفْرَانَكَ». وهذا لفظ أبي داود[٣].

٥٥-ولفظ الترمذي: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلاَءِ، قَالَ: «غُفْرَانَكَ»[٤].

٥٦-ولفظ النسائي: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: مَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ

---

(١) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي، فقد أخرجه في السنن الكبرى، عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا خرج من الخلاء، برقم ٩٩٠٧: أبو داود، كتاب الطهارة، باب ما يقول الرجل إذا خرج من الخلاء، برقم ٣٠، واللفظ له، والترمذي، أبواب الطهارة عن رسول الله ﷺ، باب ما يقول إذا خرج من الخلاء، برقم ٧، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ما يقول إذا خرج من الخلاء، برقم ٣٠٠، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/ ١٩.

(٢) عائشة بنت الصديق رضي الله عنها: أم المؤمنين، وأفقه نساء الأمة، هاجرت مع أبويها وهي صغيرة، تزوجها النبي ﷺ قبل الهجرة بعامين بعد وفاة خديجةودخل بها في شوال بعد منصرفه من غزوة أحد سنة اثنتين للهجرة، وهي ابنة تسع، مناقبها كثيرة جدًّا. منها أنها كانت أحب الناس إلى رسول الله ﷺ البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات السلاسل، برقم ٤٣٥٨، وأن جبريل أقرأها السلام البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها، برقم ٣٧٦٨، ونزلت من أجلها آية التيمم البخاري، كتاب التيمم، باب حدثنا عبد الله بن يوسف، برقم ٣٣٤، وأن الله برأها من الإفك في القرآن البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً...﴾، برقم ٤٧٥٠، ومات النبي ﷺ بين سحرها ونحرها البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٥١، والمراد أن النبي مات ورأسه بين حنكها وصدرها، ماتت بالمدينة سنة ٥٧ هـ وصلى عليها أبو هريرة. انظر: سير أعلام النبلاء ترجمة، ٢/ ١٣٥ (١٩).

(٣) أبو داود، برقم ٣٠، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/ ١٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الترمذي، برقم ٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/ ١٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

الْغَائِطِ إِلَّا قَالَ: «غُفْرَانَكَ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**غفرانك**» أي: أسألك غفرانك الذي يترتب عليه ستر الذنب، والتجاوز عنه، وقال الإمام النووي رحمه الله: «أي: أسألك غفرانك، أو اغفرْ غفرانك، والغفران: مصدر بمعنى المغفرة، وأصله السّتر، والمراد بغفران الذنب: إزالته وإسقاطه، قال الخطابي وغيره: في سبب قوله ﷺ هذا الذكر في هذا الموطن قولان:

أحدهما: إنه استغفر من ترك ذكر الله تعالى حال لبثه على الخلاء، وكان لا يهجر ذكر الله تعالى إلا عند الحاجة ونحوها.

والثاني: إنه استغفر خوفًا من تقصيره في شكر نعمة الله التي أنعمها عليه، فأطعمه، ثم هضمه، ثم سهّل خروجه، فرأى شكره قاصرًا عن بلوغ حق هذه النِّعم، فاستغفر»[٢].

٢-قوله: «**كان ﷺ إذا خرج من الخلاء**»: أي إذا خرج من قضاء حاجته في الخلاء المستتر، «وَلَفْظَةُ (خَرَجَ) تُشْعِرُ بِالْخُرُوجِ مِنْ الْمَكَانِ كَمَا سَلَفَ فِي لَفْظِ دَخَلَ، وَلَكِنَّ الْمُرَادَ أَعَمُّ مِنْهُ، وَلَوْ كَانَ فِي الصَّحْرَاءِ»[٣].

٣-قوله: «**الغائط**»: الغائط المطمئن من الأرض ثم صار عبارة عن الخارج المعروف من دبر الآدمي[٤].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- ما كان عليه النبي ﷺ من تمام تعلق قلبه بذكر الله ومحبته وطلب مغفرته.

---

(١) النسائي، في السنن الكبرى، برقم ٩٩٠٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/ ١٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) الإيجاز في شرح سنن أبي داود للنووي، ص ١٦٧.
(٣) نيل الأوطار للشوكاني، ١/ ٢٤٩.
(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٣/ ١٥٤.

٢- تنزيه الله ﷻ من أن يذكر في مثل هذه الأماكن ولو بردِّ السلام[١].

٣- إثبات صفة «المغفرة» لله تعالى، وأن المغفرة هي على الوجه اللائق به ﷻ.

٤- يسن لمن أراد قضاء حاجته أن يدخل باليسرى ويخرج باليمنى عكس المسجد ولبس النعل وغيره.

٥- مناسبة قول النبي ﷺ: «**غفرانك**» هي أن الإنسان لما تخفف من أذية الجسم، تذكر أذية الإثم، فدعا الله أن يخفف عنه أذية الإثم، كما منَّ عليه بتخفيف أذية الجسم، أما من قال: إن النبي ﷺ سأل المغفرة لانقطاعه عن الذكر ففيه نظر؛ لأنه انقطع عن الذكر بأمر الله ولذلك فإن الحائض لا تصلي ولا تصوم ولا يسن لها الاستغفار بتركها الصوم والصلاة[٢].

٦- قال العلامة الشوكاني رحمه الله: «مَعْنَى الِاسْتِغْفَارِ: قِيلَ: وَاسْتِغْفَارُهُ ﷺ مِنْ تَرْكِهِ لِذِكْرِ اللهِ وَقْتَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ، فَجَعَلَ تَرْكَهُ لِذِكْرِ اللهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ تَقْصِيرًا، وَعَدَّهُ عَلَى نَفْسِهِ ذَنْبًا، فَتَدَارَكَهُ بِالِاسْتِغْفَارِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ التَّوْبَةُ مِنْ تَقْصِيرِهِ فِي شُكْرِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِ، فَأَطْعَمَهُ ثُمَّ هَضَمَهُ، ثُمَّ سَهَّلَ خُرُوجَ الْأَذَى مِنْهُ، فَرَأَى شُكْرَهُ قَاصِرًا عَنْ بُلُوغِ حَقِّ هَذِهِ النِّعْمَةِ، فَفَزِعَ إِلَى الِاسْتِغْفَارِ مِنْهُ، وَهَذَا أَنْسَبُ»[٣].

٧- حديث: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الْأَذَى وَعَافَانِي**»[٤] حديث ضعيف سندًا، ومعناه صحيح، ولم يثبت عن النبي ﷺ غير قوله: «**غفرانك**» بعد قضاء الحاجة.

---

(١) مسلم (٨٢١)، لقول ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلًا مر، ورسول الله ﷺ يبول، فسلم، فلم يرد عليه.
(٢) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع لابن عثيمين ١/ ١١٦.
(٣) نيل الأوطار، للعلامة الشوكاني، ١/ ٢٤٩.
(٤) أخرجه النسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا خرج من الخلاء، برقم ٩٨٢٥، وابن ماجه، أبواب الطهارة وسننها، باب ما يقول إذا خرج من الخلاء، برقم ٣٠١، وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح، برقم ٣٧٤، وفي ضعيف الجامع، برقم ٤٣٧٨.

٨- يكره إطالة المكث بعد قضاء الحاجة لسببين:

أ – أن في ذلك كشفًا للعورة بلا حاجة.

ب – أن المراحيض مأوى للشياطين والنفوس الخبيثة[1].

* * *

(١) انظر: الشرح الممتع، ١/ ١١٧.

٨ - الذِّكْرُ قَبْلَ الْوُضُوءِ

١٢- «بِسْمِ اللَّهِ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٧-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[٢]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ، وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ»[٣].

٥٨-عن أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه[٤] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لاَ وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ»[٥].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «بسم الله» أي: أبتدئ وضوئي متبركًا باسم الله راجيًا القبول والسداد، قال السعدي رحمه الله: «أي: أبتدئ بكل اسم لله تعالى، لأن لفظ «اسم» مفرد مضاف، فيعم جميع الأسماء الحسنى»[٦].

---

(١) أبو داود، كتاب الطهارة، باب في التسمية على الوضوء، برقم ١٠١، وابن ماجه، أبواب الطهارة وسننها، باب ما جاء في التسمية في الوضوء، برقم ٣٩٩، وأحمد، ١٥/ ٢٤٣، برقم ٩٤١٨، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ١٠١، وفي إرواء الغليل ١/ ١٢٢.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أخرجه أحمد، ١٥/ ٢٤٣، برقم ٩٤١٨، وأبو داود، كتاب الطهارة، باب في التسمية على الوضوء، برقم ١٠١، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في التسمية في الوضوء، برقم ٣٩٩، والحاكم، ١/ ٢٤٥، برقم ٥١٨، وقال: «صحيح الإسناد» وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٤٨، برقم ٢٠٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

(٥) ابن ماجه، أبواب الطهارة وسننها، باب ما جاء في التسمية في الوضوء، برقم ٣٩٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ١٠١، وإرواء الغليل ١/ ١٢٢.

(٦) تفسير السعدي، ص ٣٩، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ٩.

٢- قوله: «**لا صلاة لمن لا وضوء له**»: قال المناوي: «لا صلاة صحيحة لمن لا وضوء له، وفي لفظ: «لا صلاة إلا بوضوء»،... هذه الصيغة حقيقة في نفي الشيء، ... لا صلاة إلا بطهور، أو كماله»[١]، وبمثله قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هُوَ لِنَفْيِ الْفِعْلِ، فَلَا يُجْزِئُ مَعَ هَذَا النَّفْيِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ لِنَفْيِ الْكَمَالِ، يُرِيدُونَ نَفْيَ الْكَمَالِ الْمَسْنُونِ، وَأَمَّا تَفْسِيرُهُ بِمَا كَمُلَ بِالْوَاجِبِ فَهُوَ فِي عُرْفِ الشَّارِعِ، لَكِنْ الْمَوْجُودُ فِيهِ كَثِيرًا لَفْظُ التَّمَامِ، هُوَ أَمْرٌ مُطْلَقٌ بِالْإِتْمَامِ وَاجِبُهُ وَمُسْتَحَبُّهُ، فَمَا كَانَ وَاجِبًا فَالْأَمْرُ بِهِ إيجَابٌ، وَمَا كَانَ مُسْتَحَبًّا فَالْأَمْرُ بِهِ اسْتِحْبَابٌ»[٢].

٣-قوله: «**ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**»: قال النووي: «إنه الذي يتوضأ ويغتسل، ولا ينوي وضوءًا للصلاة، ولا غسلاً للجنابة»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-التسمية عند الوضوء مستحبة وهو مذهب الجمهور، وعند الإمام أحمد تجب مع الذكر، وتسقط مع النسيان قال ابن قدامة: « وَإِنْ قُلْنَا بِوُجُوبِهَا فَتَرَكَهَا عَمْدًا، لَمْ تَصِحَّ طَهَارَتُهُ؛ لِأَنَّهُ تَرَكَ وَاجِبًا فِي الطَّهَارَةِ، أَشْبَهَ مَا لَوْ تَرَكَ النِّيَّةَ، وَإِنْ تَرَكَهَا سَهْوًا صَحَّتْ طَهَارَتُهُ، نَصَّ عَلَيْهِ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُد فَإِنَّهُ قَالَ: سَأَلْت أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ: إذَا نَسِيَ التَّسْمِيَةَ فِي الْوُضُوءِ ؟ قَالَ: أَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَهَذَا قَوْلُ إِسْحَاقَ، فَعَلَى هَذَا إذَا ذَكَرَ فِي أَثْنَاءِ طَهَارَتِهِ أَتَى بِهَا حَيْثُ ذَكَرَهَا؛ لِأَنَّهُ لَمَّا عُفِيَ عَنْهَا مَعَ السَّهْوِ فِي جُمْلَةِ الْوُضُوءِ فَفِي بَعْضِهِ أَوْلَى، وَإِنْ تَرَكَهَا عَمْدًا حَتَّى غَسَلَ عُضْوًا لَمْ يَعْتَدَّ بِغَسْلِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ مَعَ الْعَمْدِ»[٤].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٦/ ٤٢٩.
(٢) مجموع الفتاوى، ١٩/ ٢٩٢.
(٣) الإيجاز في شرح سنن أبي داود للنووي، ص ٣٩٢.
(٤) المغني شرح مختصر الخرقي، ١/ ٧٣.

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «وتجبُ التَّسميةُ في الوُضُوءِ مع الذِّكر»، أي يقول: بسم الله، ويكون عند ابتدائه؛ لقوله ﷺ: «**لا وُضُوء لِمَنْ لم يَذكرِ اسم الله عليه**»، فدلَّ هذا على أنَّها واجبةٌ، وأنها في البداية، وهذا المشهور؛ لأن التَّسمية على الشيء تكون عند فعله... وهذا المشهور من المذهب؛ بناء على القاعدة المعروفة: «أن النَّفي يكون أولاً لنفي الوجود، ثم لنفي الصِّحة، ثم لنفي الكمال»، فإذا جاء نصٌّ في الكتاب أو السُّنَّة فيه نفيٌ لشيء؛ فالأصل أن هذا النفيَ لنفي وجود ذلك الشيء، فإن كان موجوداً فهو نفي الصِّحَّة، ونفيُ الصِّحَّة نفيٌ للوجود الشَّرعي، فإنْ لم يمكن ذلك بأن صحَّت العبادة مع وجود ذلك الشيء، صار النَّفيُ لنفي الكمال لا لنفي الصِّحَّة:

- مثالُ نفي الوجود: «لا خالق للكون إلا الله».
- مثال نفي الصِّحة: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بأمِّ الكتاب**»[1].
- ومثال نفي الكمال: «**لا يُؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه**»[2].

فإذا نزَّلنا حديث التَّسمية في الوُضُوء على هذه القاعدة فإنَّها تقتضي أن التسمية شرطٌ في صِحَّة الوُضُوء، لا أنَّها مجرَّد واجب؛ لأن نفيَ الوُضُوء لانتفاء التَّسمية معناه نفي الصِّحَّة، وإذا انتفت صحَّة العبادة بانتفاء شيء كان ذلك الشيء شرطاً فيها، ولكنَّ المذهب أنها واجبة فقط وليست شرطاً، وكأنهم عَدَلُوا عن كونها شرطاً لصحَّة الوُضُوء؛ لأنَّ الحديث فيه نظر؛ ولهذا ذهب الموفق رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أنها ليست واجبة بل سُنَّة؛ لأن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ قال:

---

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم، برقم ٧٥٦، ومسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، برقم ٣٩٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، برقم ١٣، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، برقم ٤٥.

«لا يثبت في هذا الباب شيء»، وإذا لم يثبت فيه شيء فلا يكون حُجَّة؛ ولأن كثيراً من الذين وصفوا وُضُوء النبيّ ﷺ لم يذكروا فيه التَّسمية، ومثل هذا لو كان من الأمور الواجبة التي لا يصحُّ الوُضُوء بدونها لذُكِرَت»[١].

٢-من نسي التسمية في أول الوضوء ثم ذكرها في أثنائه سمى ولا إعادة عليه.

٣-ذهب بعض أهل العلم إلى القول بالوجوب إذا كان المتوضئ عالمًا بالحكم والذكر[٢]، فعلى هذا تستحب مع الذكر، وتسقط مع النسيان، والله ﷻ أعلم.

٤-من تمام الوضوء وكماله المحافظة على التسمية في أوله.

لقول النبي ﷺ: «**لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**»[٣]، وهذا محمول على التمام والكمال وإلا فإن الوضوء صحيح لمن لم يأتِ بالتسمية.

٥- الدعاء عند غسل أعضاء الوضوء لم يثبت فيه شيء عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ﷺ، بل هو من البدع المنكرة مثل قولهم:

أ – عند غسل الوجه: «اللَّهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه».

ب – قولهم عند غسل اليدين: «اللَّهم أعطني كتابي بيميني».

ج – قولهم عند غسل الرجلين: «اللَّهم ثبت قدمي على الصراط» ونحوه[٤].

---

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ١/ ١٥٨.

(٢)انظر: مجموع فتاوى الشيخ: عبد العزيز بن باز رحمه الله، ٧/١٠٠ .

(٣) أخرجه أحمد، ١٥/ ٢٤٣، برقم ٩٤١٨، وأبو داود، كتاب الطهارة، باب في التسمية على الوضوء، برقم ١٠١، وابن ماجه، أبواب الطهارة وسننها، باب ما جاء في التسمية في الوضوء، برقم ٣٩٩، والحاكم، ١/٢٤٥، وقال: «صحيح الإسناد» وقد جاء الحديث عن ستة من الصحابة ﷺ، لا يخلو شيء منها من ضعف، وليس في هذه الطرق متهم ولا متروك؛ ولذا فقد صححه ابن القيم، وابن الصلاح، وابن كثير، والعراقي، والألباني وغيرهم، وانظر: صحيح الجامع، برقم ٧٥١٤.

(٤)انظر: فقه الأدعية والأذكار، ص (١١٤).

٦- قال بعض الفقهاء بالتسمية عند الغسل؛ لأنه طهارة كبرى والوضوء طهارة صغرى[١].

٧- التسمية في الشريعة تأتي على معان:

أ – شرط لصحة الفعل كالتسمية عند الذبح لقوله: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ**﴾[٢].

ب – مستحبة: مثل التسمية عند الوضوء والطعام.

جـ – بدعة: مثل التسمية قبل قراءة التشهد في الصلاة.

***

---

(١) الشرح الممتع لابن عثيمين، ١/ ١٦٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

٩ — الذِّكْرُ بَعْدَ الفَرَاغِ مِنَ الوُضُوءِ

١٣- (١) «أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ...»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٩-عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ[٢]، قَالَ: كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ، فَجَاءَتْ نَوْبَتِي، فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ، فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**» قَالَ فَقُلْتُ: مَا أَجْوَدَ هَذِهِ! فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ: الَّتِي قَبْلَهَا أَجْوَدُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ، قَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ جِئْتَ آنِفًا، قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**»[٣].

٦٠-وفي لفظ لمسلم: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَذَكَرَ مِثْلَهُ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «أشهد» أي: أقر وأعترف قولًا باللسان واعتقادًا بالجنان - وهو القلب -

---

(١) مسلم، كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، برقم ٢٣٤.
(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٣ من أحاديث الشرح.
(٣) مسلم، برقم ٢٣٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) مسلم، برقم (...) -٢٣٤ ، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وعملًا بالجوارح والأركان، وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «مَعْنَاهُ، أَعْلَمُ وَأُبَيِّنُ،...وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ هُوَ تَيَقُّنُ الشَّيْءِ وَتَحَقُّقُهُ مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيْ: حُضُورِهِ[١]».

٢-قوله: «**أن لا إله إلا الله**»: نفي الألوهية عن غيره ثم أثبتها له وحده، فلا معبود بحق إلا هو، قال المناوي رحمه الله: «من مات معتقداً لها، فهو الذي مات لا يشرك بالله شيئاً»[٢]، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «ألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله لله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لابد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات...، حتى يعبد بمقتضى هذه الصفات»[٣].

٣-قوله: «**وحده لا شريك له**»، قال المناوي: «وحده: نصب على الحال، أي لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً، وأما الأول: فلأن وجود إلهين محال، كما تقرر في الأصول، وأما الثاني: فلقوله تعالى: ﴿**أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾[٤]، وذلك يقتضي أن لا شريك له، وهو تأكيد لقوله: «وحده»؛ لأن المتصف بالوحدانية لا شريك له»[٥].

٤-قوله: «**وأشهد أن محمداً**»: قال العيني رحمه الله: «أي: وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، وهو اسم مأخوذ من الحمد، يقال: حمدت الرجل فأنا أحمده إذا أثنيت عليه بجلائل خصاله، وأحمدته، وحمدته محموداً، ويقال: رجل محمود، فإذا بلغ النهاية في ذلك وتكامل فيه المناقب والمحاسن فهو محمد، وهذا البناء أبداً يدل على الكثرة، وبلوغ النهاية، فتقول في المدح: محمد، وفي الذم: مذمم، وفعلك المحمود منك غير المذموم أن تفعل كذا،

---

(١) عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ٢/ ١٢٠.
(٢) فيض القدير، ١/ ١٣٦.
(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠.
(٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠.
(٥) فيض القدير، ٥/ ٢٠٠.

والفرق بين محمد وأحمد: أن الأول مفعول، والثاني اسم تفضيل، والمعنى: إذا حمدتُ أحداً فأنت محمدٌ، وإذا حمدني أحدٌ فأنت أحمدُ»[١].

٥-قوله: «**عبده**»: أي الذي حقق العبودية على أكمل الوجوه وجاهد في دعوة الناس إليها، وقال العيني رحمه الله: «العبدُ: الإنسان حراً كان أو رقيقاً... وجعل بعضهم العبادَ لله، وغيره من الجَمع لله والمخلوقين... ليْس شيء أشرف من العبودية، ولا اسم أتم للمؤمن من الوصف بالعبودية»[٢].

٦-قوله: «**رسوله**»: أي الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وهو رسول الله ﷺ للجن والإنس، لا نبي بعده ﷺ، وقال العيني رحمه الله: «الرسول الذي أرسل لتبليغ رسالات الله»[٣]، وقال الزين العراقي رحمه الله: «الذي دعانا إلى الملة الزهراء الحنفية وتركنا على محجة بيضاء نقية ﷺ وعلى آله وأصحابه ذوي المقادر العلية والمآثر الجلية»[٤].

٧-قوله: «**كانت علينا رعاية الإبل، فجاءت نوبتي**»: قال النووي رحمه الله: «كَانُوا يَتَنَاوَبُونَ رَعْي إِبِلِهِمْ، فَيَجْتَمِع الْجَمَاعَة، وَيَضُمُّونَ إِبِلهمْ بَعْضهَا إِلَى بَعْض، فَيَرْعَاهَا كُلّ يَوْم وَاحِد مِنْهُمْ لِيَكُونَ أَرْفَق بِهِمْ، وَيَنْصَرِف الْبَاقُونَ فِي مَصَالِحهمْ، وَالرِّعَايَة بِكَسْرِ الرَّاء وَهِيَ: الرَّعْي»[٥].

٨-قوله: «**روّحتها بعشي**»: أَيْ: رَدَدْتُهَا إِلَى مَرَاحهَا فِي آخِر النَّهَار، وَتَفَرَّغْتُ مِنْ أَمْرهَا، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى مَجْلِس رَسُولِ اللَّه ﷺ[٦].

---

(١) شرح سنن أبي داود للعيني، ١/ ٣٩٤.
(٢) شرح سنن أبي داود للعيني، ٤/ ٢٣٩.
(٣) شرح سنن أبي داود للعيني، ١/ ٣٩٥.
(٤) طرح التثريب في شرح التقريب، ١/ ١٧.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ٣٨٥.
(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ٣٨٥.

٩-قوله: «**مُقْبِل عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهه**»: هَكَذَا هُوَ فِي الْأُصُول (مُقْبِل) أَيْ: وَهُوَ مُقْبِل، وَقَدْ جَمَعَ ﷺ بِهَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ أَنْوَاع الْخُضُوع وَالْخُشُوع؛ لِأَنَّ الْخُضُوع فِي الْأَعْضَاء، وَالْخُشُوع بِالْقَلْبِ عَلَى مَا قَالَهُ جَمَاعَة مِنْ الْعُلَمَاء[١].

١٠-قوله: «**وجبت له الجنة**»: أي لزمت، وصارت له حقاً بناء على عمله، قال ابن الأثير: «وجَب الشَّيء يَجِبُ وُجُوبا إذا ثَبت ولَزِم ، ... يقال : أَوْجَب الرجلُ إذا فَعل فِعْلاً وجَبَت له به الجنَّة أو النَّار»[٢]، وقال القرطبي صاحب المفهم: «أي: من مات على ذلك، فلا بدَّ له من دخول الجنَّة قطعًا، ولو أُدخل النار في كبائر عليه، فمآله إلى الجنة على كل حال»[٣].

١١-قوله: «**ما أجود هذه**»: يَعْنِي: هَذِهِ الْكَلِمَة، أَوْ الْفَائِدَة، أَوْ الْبِشَارَة، أَوْ الْعِبَادَة، وَجَوْدَتهَا مِنْ جِهَات، مِنْهَا: أَنَّهَا سَهْلَة مُتَيَسِّرَة، يَقْدِر عَلَيْهَا كُلّ أَحَد بِلَا مَشَقَّة، وَمِنْهَا: أَنَّ أَجْرهَا عَظِيم[٤].

١٢-قوله: «**جئت آنفاً**»: أَيْ قَرِيبًا ، وَهُوَ بِالْمَدِّ عَلَى اللُّغَة الْمَشْهُورَة وَبِالْقَصْرِ عَلَى لُغَة صَحِيحَة قُرِئَ بِهَا فِي السَّبْع[٥].

١٣-قوله: «**فيبلغ أو فيسبغ الوضوء**»: هُمَا بِمَعْنًى وَاحِد أَيْ : يُتِمّهُ وَيُكْمِلهُ فَيُوَصِّلهُ مَوَاضِعه عَلَى الْوَجْه الْمَسْنُون[٦].

١٤-قوله: «**فتحت له أبواب الجنة**»: أي أن الجنة لها أبواب تفتح لطالبيها إكراماً لهم، قال الإمام ابن القيم رحمه الله فتحها الله لهم «وهذا أبلغ وأعظم في تمام

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ٣٨٥.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٣٣١، مادة (وجب).
(٣) المفهم ، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٢/ ٢٨.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ٣٨٥.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ٣٨٥.
(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ٣٨٥.

النعمة، وحصول الفرح والسرور، مما يقدر بخلاف ذلك؛ لئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان الذي يدخله من شاء، فجنة الله غالية، بين الناس وبينها من العقبات والمفاوز والأخطار ما لا تنال إلا به»[١].

١٥-قوله: «**أبواب الجنة**»: وَدُخُوله مِنْ أَيِّ أَبْوَاب الْجَنَّة شَاءَ يَكُون خُصُوصًا لِمَنْ قَالَ مَا ذَكَرَهُ النَّبِيّ ﷺ وَقَرَنَ بِالشَّهَادَتَيْنِ حَقِيقَة الْإِيمَان وَالتَّوْحِيد الَّذِي وَرَدَ فِي حَدِيثه، فَيَكُون لَهُ مِنْ الْأَجْر مَا يَرْجَح عَلَى سَيِّئَاته، وَيُوجِب لَهُ الْمَغْفِرَة وَالرَّحْمَة، وَدُخُول الْجَنَّة لِأَوَّلِ وَهْلَة، إِنْ شَاءَ اللَّه تَعَالَى[٢].

ثالثا: ما يستفاد من الحديث:

١-حرص الصحابة على ملازمة رسول الله ﷺ وتفريغ الوقت لذلك.

٢-إسباغ الوضوء ثم صلاة ركعتين بخشوع القلب وخضوع الأعضاء من موجبات الجنة فضلًا من الله ومنَّة.

٣-فرح عقبة رضي الله عنه بهذه البشرى وعبر عن ذلك بقوله: «ما أجود هذه»، وهي كلمة محمودة.

٤-كلمة التوحيد هي مجموع الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله، ومعناها: الاعتقاد الجازم أن محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي، هو رسول الله حقاً للجن والإنس لا نبي بعده، فلا تغني واحدة عن الأخرى.

٥-فضل هذا الذكر بعد الوضوء الكامل وأنه سبب لدخول الجنة من أي باب من أبوابها الثمانية.

٦- الصواب والمسنون قول هذا الذكر مرة واحدة خلافًا لمن قال بقوله ثلاث

---

(١) حادي الأرواح إلأى دار الأفراح، لابن القيم، ص ٣٨.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ١٠٠.

مرات؛ لأن الحديث الوارد في الثلاث ضعيف جدًّا(١).

٧- هل من المسنون أن يرفع المسلم نظره إلى السماء بعد وضوئه ويقول هذا الذكر يحتاج إلى تأمل (٢).

١٤- (٢)«اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ»(٣).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦١-عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﵁(٤)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ

---

(١) ابن ماجه، أبواب الطهارة وسننها، باب ما يقال بعد الوضوء، برقم ٤٦٩، وقد ضعفه النووي والألباني وغيرهما.

(٢) أخرج الإمام أحمد، ١/ ٢٧٤، برقم ١٢١: «عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا يُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ: «مَنْ قَامَ إِذَا اسْتَقَلَّتِ الشَّمْسُ فَتَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، غُفِرَ لَهُ خَطَايَاهُ فَكَانَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»، قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ ﵁: فَقُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَزَقَنِي أَنْ أَسْمَعَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﵁، وَكَانَ تُجَاهِي جَالِسًا: أَتَعْجَبُ مِنْ هَذَا؟ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْجَبَ مِنْ هَذَا قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ، فَقُلْتُ: وَمَا ذَاكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ فَقَالَ عُمَرُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ رَفَعَ نَظَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»، وصححه لغيره محققو المسند، ١/ ٢٧٤.

(٣) الترمذي، أبواب الطهارة، باب فيما يقال بعد الوضوء، برقم ٥٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/١٨.

(٤) عمر بن الخطاب ﵁: أمير المؤمنين –أبو حفص القرشي العدوي، الفاروق، أسلم في السنة السادسة من الهجرة وله سبع وعشرون سنة، وله فضائل كثيرة، منها: دعوة النبي ﷺ له أن يعزّ به الإسلام الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب ﵁، برقم ٣٦٨١، قال العدوي في «الصحيح المسند من فضائل الصحابة»: صحيح لشواهده، كان صمام أمان للأمة من الفتن البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة، برقم ٥٢٥، مات عنه النبي ﷺ وهو عنه راض البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب ﵁، برقم ٣٦٩٢، الشيطان يخاف ويفر منه هيبة له البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب ﵁، برقم ٣٦٨٣، له موافقات مع ربه ﷻ مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﵃، باب من فضائل عمر بن الخطاب ﵁، برقم ٢٣٩٩، محدث هذه الأمة وملهمها البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب ﵁، برقم ٣٦٨٩، عبقري هذه الأمة البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب ﵁، برقم ٣٦٨٢، أشد الأمة في دين الله مسند أحمد، ٢١/ ٤٠٦، برقم ١٣٩٩٠، والترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، =

الوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ، فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»[(١)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللهمّ اجعلني**»: قال العلامة الشوكاني رحمه الله: «طَلَبُ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى غَايَةُ الْمُنَاسَبَةِ فِي طَلَبِ أَنْ يَكُونَ السَّائِلُ مَحْبُوبًا بِاللَّهِ، وَفِي زُمْرَةِ الْمَحْبُوبِينَ لَهُ»[(٢)].

٢-قوله: «**من التوابين**» أي: من الذين إذا أذنبوا سارعوا بالعودة والإنابة إلى ربهم، و(التوابين) صفة مبالغة، وهي جمع توّاب، وقال المناوي رحمه الله: «التوَّاب: أي: الكثير التوبة، أي: الذي يتوب، ثم يعود، ثم يتوب، ثم يعود، ثم يتوب وهكذا... وهذا تأنيس لقلوب المجروحين من معاودة الذنب بعد التوبة منه»[(٣)].

٣-قوله: «**من المتطهرين**»: جمع متطهر وهم الذين يطهرون أنفسهم من الخبث الحسي والمعنوي، وقال المباركفوري رحمه الله: «لما كانت التوبة طهارة الباطن عن أدران الذنوب، والوضوء طهارة الظاهر عن الأحداث المانعة عن التقرب إليه تعالى، ناسب الجمع بينهما»[(٤)].

٤-قوله: «**من توضأ فأحسن الوضوء**»: أي أتى به على خير وجه، وأتمه، قال

=

وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، برقم ٣٧٩٠، وابن ماجه، المقدمة، باب فضائل خباب، برقم ١٥٤، وصحح إسناده محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١٢٥، قتله أبو لؤلؤة المجوسي عام ٢٣ هـ بعد ما عاد من الحج وهو يؤم المسلمين في صلاة الفجر. الاستيعاب، ٣/ ١١٤٤، وسير أعلام النبلاء، مجلد الخلفاء الراشدين، ص ٧١، والإصابة، ٤/ ٥٨٨.

(١) الترمذي، برقم ٥٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٨/١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) نيل الأوطار، للعلامة الشوكاني، ١/ ١٦٣.

(٣) فيض القدير، ٢/ ٣٦٧.

(٤) تحفة الأحوذي، ١/ ١٥٠.

الباجي: «يُقَالُ أَحْسَنَ فُلَانٌ كَذَا بِمَعْنَيَيْنِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ أَتَى بِهِ عَلَى أَكْمَلِ هَيْئَةٍ وَالثَّانِي أَنَّهُ عَلِمَ كَيْفَ يَأْتِي بِهِ يُقَالُ فُلَانٌ يُحْسِنُ صَنْعَةَ كَذَا أَيْ يَعْلَمُ كَيْفَ يَصْنَعُ»[١].

٥- قوله: «**أشهد أن لا إله إلا الله**»: وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَعْنَاهُ، أَعْلَمُ وَأُبَيِّنُ،... وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ هُوَ تَيَقُّنُ الشَّيْءِ وَتَحَقُّقُهُ مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيْ: حُضُورِهِ[٢].

٦- قوله: «**وحده لا شريك له**»: تأكيد وحدانيته جل وعلا، وأنه لا مشارك له في ألوهيته[٣].

٧-قوله: «**وأن محمداً عبده ورسوله**»: هو عبد كغيره من العباد مربوب، والله هو المعبود، وهو الرب ﷻ[٤].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الحث على أن يطهر المسلم نفسه من كل ذنب وإن كان صغيرًا.

٢-دعوة الإسلام إلى التطهر من الأنجاس والأحداث؛ لأنه دين النظافة، والنزاهة: الحسية، والمعنوية.

٣-محبة الله لمن اتصف بمثل هذه الصفات لقوله ﷻ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾[٥].

٤-استحباب جمع هذا الذكر مع الذي قبله بعد الوضوء.

٥-مناسبة قول هذا الذكر بعد الوضوء، هو أن الوضوء تطهير للبدن، وهذا الذكر تطهير للقلب، فناسب الجمع بين طهارة القلب وطهارة البدن بقول هذا الدعاء.

٦-معنى التواب: الذي يتوب على عبده ويقبل توبته، كلما تكررت التوبة تكرر

---

(١) المنتقى شرح الموطأ، للباجي، ١/ ٢١٨.
(٢) عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ٢/ ١٢٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ١٣.
(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤١٧.
(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

القبول. ومعنى التوبة: عود العبد إلى الطاعة بعد المعصية(١).

٧- قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: ومراتب التوبة ثلاثة:

أ – التوبة من الكفر إلى الإيمان.

ب – التوبة من كبائر الذنوب.

ج – التوبة من صغائر الذنوب(٢).

***

١٥-(٣)«سُبْحانَكَ اللَّهُـمَّ وَبِحَمْـدِكَ، أَشْـهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إلاَّ أَنْـتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتوبُ إِلَيْكَ»(٣).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٢-عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه(٤) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ: سُبْحَانَكَ اللهُمَّ، وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ،

---

(١) شأن الدعاء للخطابي، ص (٩٠).

(٢)انظر: شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٤٣.

(٣) النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا فرغ من وضوئه، برقم ٩٩٠٩، ومصنف عبد الرزاق، ١/ ١٨٦، برقم ٧٣٠، ومصنف ابن أبي شيبة، ١/ ١٣، برقم ١٩، ورواه مرفوعاً البيهقي في الدعوات الكبير، ١/ ٢١٨، برقم ٥٩، والطبراني في الدعاء، ص ١٤٠، وقال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٥٤، برقم ٢٢٥: «رواه الطبراني في الأوسط، ورواته رواة الصحيح، واللفظ له، والطحاوي في شرح معاني الآثار، ١/ ٢٣٤، والطبراني في المعجم الصغير، ١/ ٣٧٠، وفي كتاب الدعاء، ١/ ١٤٠، برقم ٣٨٨، والحاكم، ١/ ٥٦٤، وشعب الإيمان للبيهقي، ٤/ ٢٦٨، برقم ٥٤٩٩، وهو في مسند أحمد،٣٣/ ١٥، برقم ١٩٧٦٩، وصححه محققو المسند، ٣٣/ ١٥، وصحح إسناده الألباني في إرواء الغليل، ٣/٩٤، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/ ٤٤٠.

(٤) سبقت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

كُتِبَ فِي رَقٍّ ثُمَّ طُبِعَ بِطَابَعٍ فَلَمْ يُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، هذا لفظ النسائي[١].

٦٣-وفي لفظ آخر للنسائي: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَفَرَغَ مِنْ وَضُوئِهِ، ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِطَابَعٍ، ثُمَّ رُفِعَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ فَلَمْ تُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٢].

٦٤-ولفظ الحاكم: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ كَمَا أُنْزِلَتْ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ مَقَامِهِ إِلَى مَكَّةَ، وَمَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا ثُمَّ خَرَجَ الدَّجَّالُ لَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ، وَمَنْ تَوَضَّأَ ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، وَبِحَمْدِكَ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ، وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، كُتِبَ فِي رَقٍّ، ثُمَّ طُبِعَ بِطَابَعٍ فَلَمْ يُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٣].

٦٥-ولفظ الطبراني: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ إِذَا تَوَضَّأَ: بِسْمِ اللَّهِ، وَإِذَا فَرَغَ قَالَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ، وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، طُبِعَ عَلَيْهَا بِطَابَعٍ ثُمَّ وُضِعَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَلَمْ تُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٤].

---

(١) النسائي في السنن الكبرى، برقم ٩٩٠٩، وصحح إسناده الألباني في إرواء الغليل، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) النسائي في السنن الكبرى، برقم ٩٩١١، هكذا رواه موقوفاً، وقال الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٥٤: «ورواته رواة الصحيح... ورواه النسائي وقال في آخره: «ختم عليها بخاتم، فوضعت تحت العرش فلم تكسر إلى يوم القيامة» وصوّب وقفه على أبي سعيد، وله حكم المرفوع»، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) الحاكم، ١/ ٥٦٤، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/ ٣٣٢، برقم ٢٣٣٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الصغير، ١/ ٣٧٠، وفي كتاب الدعاء، ١/ ١٤٠، برقم ٣٨٨، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٥٤، برقم ٢٢٥، وتقدم تخريجه في حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**سبحانك اللهمّ**» أي: أنزهك عن كل نقص وعيب فأنت صاحب الأسماء الحسنى والصفات العُلا، قال الإمام الطبري رحمه الله: تنزيهاً لك، يا رب، مما أضاف إليك أهل الشرك بك، من الكذب عليك والفِرْية... وإبراء الله عن السوء، وهي كلمة رضيها الله لنفسه، وهي تنزيهه من كل سوء[١]، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فَهُوَ مُتَعَالٍ عَنْ الشُّرَكَاءِ وَالْأَوْلَادِ، كَمَا أَنَّهُ مُسَبَّحٌ عَنْ ذَلِكَ، وَتَعَالِيهِ سُبْحَانَهُ عَنْ الشَّرِيكِ هُوَ تَعَالِيهِ عَنْ السَّمِيِّ، وَالنِّدِّ، وَالْمِثْلِ، فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ مِثْلَهُ...وَنَفْيُ الْمِثْلِ عَنْهُ يَقْتَضِي أَنَّهُ أَعْلَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا شَيْءَ مِثْلَهُ، وَهُوَ يَتَضَمَّنُ أَنَّهُ أَفْضَلُ، وَخَيْرٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، كَمَا أَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»[٢].

٢-قوله: «**وبحمدك**» أي: لك الثناء الجميل الخالص على نعمائك التي لا تحصى، قال النووي رحمه الله: «وقوله: «سبحانك اللهم وبحمدك»، قال الخطابي: أخبرني ابن خلاد قال: سألت الزجاج عن الواو في قوله: وبحمدك، فقال: معناه سبحانك اللهمّ، وبحمدك: سبحتك»[٣]. وقال في موضع آخر: «وقوله: «**وبحمدك**»: أي: وبحمدك سبحتك، ومعناه بتوفيقك لي، وهدايتك، وفضلك عليّ سبحتك، لا بحولي وقوتي، ففيه شكر الله تعالى على هذه النعمة، والاعتراف بها، والتفويض إلى الله تعالى، وأن كل الأفعال له»[٤].

٣-قوله: «**أشهد أن لا إله إلا أنت**»: وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «مَعْنَاهُ، أَعْلَمُ وَأُبَيِّنُ،...وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ هُوَ تَيَقُّنُ الشَّيْءِ وَتَحَقُّقُهُ مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيْ حُضُورِهِ[٥]، أي: لا معبود بحقٍّ إلا أنت.

---

(١) انظر: تفسير الطبري، ١٥/ ٣٠.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٦/ ١٢٠.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١١٢.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٢٠٢.

(٥) عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ٢/ ١٢٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ١٣.

٤-قوله: «**أستغفرك**»: أطلب منك مغفرة الذنوب صغيرها وكبيرها فأنت غافر الذنب وقابل التوب، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاستغفار استفعال من الغفران، وأصله من الغفر، وهو إلباس الشيء بما يصونه عن الدنس... الغفران والمغفرة من الله، هو أن يصون العبد من أن يمسَّهُ العذاب»[1].

٥-قوله: «**أتوب إليك**» أي: أعود إليك نادمًا على اقتراف الذنب مقلعًا عنه غير مصر على العودة إليه، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوبة: ترك الذنب على أحمد الوجوه، وهو أبلغ ضروب الاعتذار،... ثم التوبة في الشرع ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال بالإعادة؛ فمتى اجتمع هذه الأربع فقد كمل شرائط التوبة، وتاب إلى الله... وإن كان الذنب يتعلق ببني آدم، فلها شرط آخر، وهو رد الظلامة إلى صاحبها، أو تحصيل البراءة منه، والتوبة أهم قواعد الإسلام»[2].

٦-وقوله: «**كتبت في رقٍّ**»: الرق: جلد رقيق يكتب فيه[3].

٧-قوله: «**ثم طُبِعَ بِطَابَعٍ**» الطابَعُ -بالفتح-: الخاتَم، يريدُ أنه يُخْتم عليها، وتُرْفع كما يَفعل الإنسانُ بما يَعزُّ عليه»[4].

٨-قوله: «**فلم يُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»: قال الزبيدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأن الذي يُطبعُ يبقى مُقفلاً، فالطبع: «الختْم، يقال: طَبَعَ اللهُ على قلبِ الكافِرِ، أَي خَتَمَ فلا يَعي، ولا يُوَفَّقُ لِخَيْرٍ... الطَّبْعُ والخَتْمُ واحِدٌ، وهو التَّغطِيَةُ على الشيءِ، والاستيثاقُ مِن أَن يَدخُلَهُ شيءٌ، كما قال الله تعالى: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن (٦/ ١٨٣٤)
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن (٦/ ١٨٣٤)
(٣) القاموس المحيط، ص: ١١٤٥، مادة (رقق).
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ١١١، مادة (طبع).

أَقفالُها﴾[١]، وقال ﷻ: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[٢] مَعناهُ: غَطَّى على قُلوبِهِم، قال ابنُ الأَثيرِ: كانوا يَرَوْنَ أَنَّ الطَّبْعَ هو الرَّيْنُ، قال مُجاهِدٌ: الرَّيْنُ أَيسر من الطَّبع، والطَّبْعُ أَيسرُ من الإِقفالِ، والإِقفال: أَشَدُّ من ذلكَ كُلِّه، قلتُ [القائل الزبيدي]: والّذي صَرَّحَ به الرَّاغِبُ أَنَّ الطَّبْعَ أَعَمُّ من الخَتْمِ»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الله ﷻ هو المستحق للتسبيح لذاته؛ لأنه منزه عن الصاحبة والولد والشريك، وعن كل نقص وعيب، المتصف بصفات الكمال والجلال.

٢-الله تعالى هو الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، قال ابن القيم رحمه الله:

وهو الحميد فكل حمد واقع ... أو كان مفروضًا مدى الأزمان

ملأ الوجود جميعه ونظيره ... من غير ما عدٍّ ولا حسبان

هو أهله سبحانه وبحمده ... كل المحامد وصف ذي الإحسان[٤]

٣-استحباب قول هذا الذكر مع ما قبله بعد الفراغ من الوضوء.

٤-فضل هذا الذكر فضل عظيم؛ ولأهميته أنه يكتب في رقٍ، ثم يطبع بطابع، وهو الخاتم، فلا يكسر إلى يوم القيامة.

***

(١) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٢) سورة المطففين، الآية: ١٤.

(٣) انظر: تاج العروس، ٢١/ ٤٣٧، مادة (طبع).

(٤) الكافية الشافية، لابن القيم، ص (٢٠٧).

١٠ - الذِّكْرُ عِنْدَ الخُرُوجِ مِنَ المَنْزِلِ

١٦-(١) «بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٦-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ[٢]، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ، وَكُفِيَ، وَوُقِيَ؟» هذا لفظ أبي داود[٣].

٦٧- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٤] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ كَانَ مَعَهُ مَلَكَانِ مُوَكَّلانِ بِهِ، فَإِذَا قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، قَالاَ: هُدِيتَ، فَإِذَا قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، قَالاَ: وُقِيتَ، فَإِذَا قَالَ: تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، قَالاَ: كُفِيتَ، فَتَلَقَّاهُ قَرِينَاهُ فَيَقُولانِ: مَا نُرِيدُ مِنْ رَجُلٍ قَدْ هُدِيَ، وَوُقِيَ، وَكُفِيَ»[٥].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «بسم اللَّه»: «أي: خرجتُ، أو أستعينُ به، وبذكره في حكمه،

---

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته، برقم ٥٠٩٥، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج من بيته، برقم ٣٤٢٦، ورواه المقدسي في الأحاديث المختارة، ٢/ ٢٣٨، وابن المنذر في الأوسط، ٣/ ٦٨، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/ ١٨، وفي تحقيق الكلم الطيب، برقم ٤٣.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٥٠٩٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/ ١٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) الطبراني في الدعاء، ١٤٦، برقم ٤٠٩. وأشار الألباني إلى صحته في السلسلة الصحيحة، برقم ٣١٦٣.

وأمره، وقضائه، وقدره»[١].

٢-قوله: «**توكلت على الله**»، أي اعتمدت عليه في جميع أموري»[٢]، أي: «**توكلت على الله**» أي: اعتمدت عليه وحده بالقلب مع تفويض الأمر إليه، وعملت بالأسباب المشروعة، وقال النووي رحمه الله: «التوكل: الاعتماد، يقال توكلت على الله تعالى، أو على فلان توكلاً، أي: اعتمدت عليه، ...وهذا الأمر موكول إلى فلان، ووكلت الأمر إليه وكلاً، ووكولاً: إذا فوَّضته إليه، وجعلته نائباً»[٣].

٣-قوله: «**ولا حول ولا قوة إلا بالله**» أي: لا حول لي في جلب منفعة ولا قوة لي في دفع مضرة إلا بالله وهي كلمة إسلام واستسلام، وقال العلامة ابن رجب رحمه الله: «لا تحول للعبد من حال إلى حال، ولاقوة له على ذلك إلا بالله ... فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله ... فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه»[٤].

٤- قوله: «**إذا خرج من بيته**»: أي: إذا بدأ بالخروج من الباب، قال الخطابي رحمه الله: «إذا خرج من بيته غادياً في بعض حاجته»[٥].

٥-قوله: «**يقال**»: يجوز أن يكون القائل هو الله ويجوز أن يكون ملك من الملائكة[٦].

٦-قوله: «**كفيت**» أي: من كل مكروه وسوء، قال الفيومي رحمه الله: «كَفَى الشيءُ، يَكْفي كِفَايَةً، فهو كَافٍ، إذا حصل به الاستغناء عن غيره، واكتَفَيتُ بالشيء: استغنيت به، أو قنعت به»[٧].

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لملا علي القاري، ٨/ ٣٣١.
(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ١٥٦.
(٣) تهذيب الأسماء واللغات، ٤/ ١٩٥.
(٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ١٩٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٩ من مفردات حديث المتن رقم ٢.
(٥) معالم السنن، للخطابي، ٤/ ٢٨٥.
(٦) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب للإمام العيني، ص ٢٢٠.
(٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢/ ٥٣٧، مادة (كفي).

٧-قوله: «**ووقيت**» أي: من شر الشياطين الإنسية والجنية، قال ابن علان رحمه الله: «ووقيت: أي: حفظت من شرّ كل عدوّ، وبواسطة صدقك في تفويض جميع الأمر لبارئه، وسلبك الحول والقوّة عن كل أحد، وإثباتهما له تعالى»(١).

٨-قوله: «**هديت**» أي: إلى الطريق الموصلة إلى محبة الله، قال الطيبي رحمه الله: «إذا استعان العبد بالله، وباسمه المبارك، فإن الله تعالى يهديه، ويرشده، ويعينه في الأمور الدينية والدنياوية»(٢).

٩- قوله: «**تنحى**» أي: ابتعد عنه، فلا سلطان له عليه، قال ابن منظور رحمه الله: «نَحَّاه فتَنَحَّى: أزاله...نَحَتْهُ، عَنْ يَدَيْهِ...أي: باعَدَتْه، ونَحَّيْته عَنْ مَوْضِعِهِ تَنْحِيَةً فتَنَحَّى»(٣).

١٠-قوله: «**ملكان موكلان**»: الملكان وكلا بالآدمي عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ، أحدهما: وهو ذو اليمين يهديه، والآخر يقويه على رد جند باعث الشهوة(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-بيان أن من أسماء الله الوكيل ومعناه الحافظ الذي توكل بالقيام بأمر الخلق جميعًا.

٢-التوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب التي أباحها الله لخلقه.

٣-الحول والطول والقوة والرعاية والعناية أمور لا يملكها إلا رب البرايا.

٤-كفالة الله وحفظه لمن فوّض الأمر إليه ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾(٥).

٥-الشيطان لا يقوى على إغواء عبد استعصم بالله والتجأ إليه ﴿**إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً**﴾(٦).

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١/ ٣٤٦.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٥.
(٣) لسان العرب، ١٥/ ٣١٢، مادة (نحا).
(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٢٥٠.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٣٦.
(٦) سورة النساء، الآية: ٧٦.

٦-التوكل على الله هو الاعتماد عليه والتفويض إليه مع الأخذ بالأسباب، وهو من أعمال القلوب وليس من أعمال الجوارح ولا يجوز أن يصرف لغير الله بل يخلص فيه لله وحده وهو شرط الإيمان لقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١).

٧-التوكل على الله هو أجمع أنواع العبادة وأعلى مقامات التوحيد، فمن صحّ توكله وإخلاصه ومتابعته للرسول ﷺ كفاه الله كل الهموم، وكل شر؛ لقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾(٢).

٨- فضل هذا الذكر، وأن من قاله عند خروجه من منزله: كفاه الله، وهداه، ووقاه.

١٧-(٢)((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ))(٣).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٨-عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها(٤)، قَالَتْ: مَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا رَفَعَ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٣) أخرجه أهل السنن: أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته، برقم ٥٠٩٤، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج من بيته، برقم ٣٤٢٧، والنسائي، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من الضلال، برقم ٥٥٠١، وابن ماجه، أبواب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا خرج من بيته، برقم ٣٨٨٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٥٢، وفي صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٣٦ .

(٤) أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: السيدة الطاهرة، هند بنت أبي أمية المخزومية، توفي عنها زوجها أبو سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة، وله منها أربعة أولاد: سلمة، وعُمَر، ودُرَّة ، وزينب، وهي بنت عم خالد بن الوليد رضي الله عنه، من المهاجرات الأول، دخل بها النبي ﷺ سنة أربع من الهجرة، وكانت من أجمل النساء، وأشرفهن نسبًا، وقالت للنبي ﷺ عندما طلبها للزواج: ((إني امرأة قد أدبر مني سني، وإني أم أيتام)) وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين، وكان السبب في وفاتها مقتل الحسين رضي الله عنه، فوجمت لذلك، ولها أولاد صحابيون: عمرو، وسلمة، وزينب رضي الله عنهم، وكانت وفاتها عام إحدى وستين، وقد عاشت نحوًا من تسعين عامًا. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ٨/ ٩٠، وأسد الغابة لابن الأثير، ٧/ ٣٧١، وسير أعلام النبلاء، ٢/ ٢٠١، ترجمة رقم (٢٠).

طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ». هذا لفظ أبي داود وغيره[١].

٦٩-ولفظ الترمذي: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نَزِلَّ، أَوْ نَضِلَّ، أَوْ نَظْلِمَ، أَوْ نُظْلَمَ، أَوْ نَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيْنَا»[٢].

٧٠-ولفظ النسائي: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَزِلَّ، أَوْ أَضِلَّ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ »[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم إني أعوذ بك**»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»[٤]، والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به. يقال: عاذ فلان بفلان، ... وأعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك، فإن ذلك سوء أتحاشى من تعاطيه[٥]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ الَّذِي لَمْ يُوجَدْ بَعْدُ، وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛ فَإِنَّ نَفْسَ وُجُودِهِ ضَرَرٌ، مِثَالُ الْأَوَّلِ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، وَمِثْلُ الثَّانِي: التعوذ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وأَعُوذُ بك أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أزل، ... ويُسْتَعَاذُ مِنَ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يُضَرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنْ

---

(١) أبو داود، برقم ٥٠٩٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٥٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) الترمذي، برقم ٣٤٢٧، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٥٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) النسائي، برقم ٥٥٠١، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/ ١٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.
(٥) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.

الشَّرِّ الضَّارِّ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يُوجَدَ»[١].

٢-قوله: «أن أضل» أي: أضل عن طريق الهداية وأنسلخ عنه، قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «من الضلالة أي عن الهدى»[٢].

٣-قوله: «أو أُضل» أي: بتزيين القبيح وتجميل المنكر من قرناء السوء.

٤-قوله: «أو أزل»: أنزلق إلى المعصية من غير قصد وعمد، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الزلة في الأصل: استرسال الرجل من غير قصد، يقال: زلت رجله تزل، والمزلة المكان الزلق، وقيل للذنب من غير قصد له: زلة تشبيهاً بزلة الرجل»[٣].

٥-قوله: «أو أُزل»: أن يوقعني غيري في الزلل بسبب غفلة أو شهوة محرمة، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: يحمَلني عَلَى الزَّلَلِ، وَهُوَ الخَطَأ والذَّنْب[٤].

٦-قوله: «أو أظلم» قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: أظلم غيري بأي أنواع الظلم الذي هو وضع الشيء في غير موضعه»[٥].

٧-قوله: «أو أُظلم» قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «أو أظلم - بضم الهمزة وفتح اللام- أي: أو يظلمني غيري، والمعنى: وأعوذ بك من أن كون ظالماً، أو مظلوما»[٦].

٨-قوله: «أو أجهل» أي: أكون جاهلًا بحق الله علي من توحيده والاستقامة على شرعه، وكذا حقوق الخلق، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي نفعل بالناس فعل الجهال من الإيذاء، وإيصال الضرر إليهم»[٧].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، ١٨/ ٢٨٨.
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣٣٣.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٤.
(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣١٠، مادة (زلل).
(٥) انظر: شرح أبي داود للعيني، ٥/ ٤٥٥.
(٦) شرح أبي داود للعيني، ٥/ ٤٥٥.
(٧) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٤.

٩-قوله: «**أو يُجهل علي**» أي: من قبل السفهاء وأهل الجدل بالباطل، والبدع، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يفعل الناس بنا فعل الجهال من إيصال الضرر إلينا»(١).

١٠-قوله: «**ما خرج من بيتي قط**»: قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ الطِّيبِيُّ: إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ لَا بُدَّ أَنْ يُعَاشِرَ النَّاسَ، وَيُزَاوِلَ الْأَمْرَ، فَيَخَافُ أَنْ يَعْدِلَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي أَمْرِ الدِّينِ، فَلَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَضِلَّ، أَوْ يُضَلَّ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا، فَإِمَّا بِسَبَبِ جَرَيَانِ الْمُعَامَلَةِ مَعَهُمْ، بِأَنْ يَظْلِمَ، أَوْ يُظْلَمَ، وَإِمَّا بِسَبَبِ الِاخْتِلَاطِ وَالْمُصَاحَبَةِ، فَإِمَّا أَنْ يَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ، فَاسْتُعِيذَ مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ كُلِّهَا بِلَفْظٍ سَلِسٍ، مُوجَزٍ، وَرُوعِيَ الْمُطَابَقَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ، وَالْمُشَاكَلَةُ اللَّفْظِيَّةُ»(٢).

١١-قوله: «**إلا رفع طرفه إلى السماء**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الطَّرْفُ طرْفُ العين، والطرْفُ إطْباقُ الجَفْنِ على الجفْن... الطَّرْفُ اسم جامع للبصر لا يثنى ولا يُجمع»(٣)، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ فِي شَرْحِ الإمام: رَفْعُ الطَّرْفِ إِلَى السَّمَاءِ لِلتَّوَجُّهِ إِلَى قِبْلَةِ الدُّعَاءِ، وَمَهَابِطِ الْوَحْيِ، وَمَصَادِرِ تَصَرُّفِ الْمَلَائِكَةِ»(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-المسلم الصادق يعلم علم اليقين أنه لا غنى له عن الله طرفة عين.

٢-أهمية الاستعاذة التي هي في حقيقتها اعتصام بالله والتجاء إليه.

٣-التحذير من الوقوع في مثل هذه الأمور أو مباشرة أسبابها.

٤-أهمية المواظبة على هذا الدعاء؛ لأن الإنسان إذا خرج من بيته معرض

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٤.
(٢) تحفة الأحوذي شرح الترمذي، ٩/ ٢٧٢.
(٣) لسان العرب، لابن منظور، ٩/ ٢١٣، مادة (طرف).
(٤) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير (١/ ٣٠٠)

لمخالطة من لا أمان لهم.

٥-مشروعية رفع النظر إلى السماء عند قول هذا الذكر؛ لِمَا جاء في رواية أبي داود: أن النبي ﷺ كان يرفع طرفه - أي: نظره - إلى السماء ثم يقول هذا الدعاء(١)، وهذا دليل على علو الله وأنه مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله بائن من خلقه ﷻ.

٦-مواظبة النبي ﷺ على التعوذ من هذه الأمور، رغم عصمته منها يحمل على أمرين(٢):

أ - أن المراد منه الدوام والثبات على ما هو عليه من العصمة.

ب - تعليم للأمة لأنه كما قال: «**إنما أنا لكم بمنزلة الوالد، أعلمكم...**»(٣).

***

(١) أبو داود، برقم ٥٠٩٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٥٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢)انظر: العلم الهيب للإمام العيني، ص (٢٢٣).
(٣) أبو داود، كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة، برقم ٨، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٣٤٦).

١١ – الذِّكْرُ عِنْدَ دُخُولِ الْمَنْزِلِ

١٨-«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ، وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ، بِسْمِ اللهِ وَلَجْنَا، وَبِسْمِ اللهِ خَرَجْنَا، وَعَلَى اللهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِهِ»[١].

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧١-عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ[٢]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «إِذَا وَلَجَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ، وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ، بِسْمِ اللهِ وَلَجْنَا، وَبِسْمِ اللهِ خَرَجْنَا، وَعَلَى اللهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِهِ».، هذا لفظ أبي داود[٣].

٧٢-وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ[٤] أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا دخل بيته، برقم ٥٠٩٦، والبيهقي في الدعوات الكبير، ٢/ ٧١، والطبراني في المعجم الكبير، ٣/٢٩٦، برقم ٣٤٥٢، وفي مسند الشاميين، ٢/٤٤٧، برقم ١٦٧٤، وحسنه ابن مفلح في الآداب الشرعية، ١/ ٤٢٦، وصحح إسناده العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/ ٣٩٤، ثم ضعفه في ضعيف سنن أبي داود، برقم ١٠٩١، وحسّن إسناده العلامة الإمام ابن باز في تحفة الأخيار، ص٢٨.

(٢) أبو مالك الأشعري ﷺ: ممن قدم في السفينة مع الأشعريين على النبي ﷺ، واختلف في اسمه فقيل: كعب بن مالك، وقيل: ابن عاصم، وقيل غير ذلك، وهو معدود في الشاميين. تهذيب الكمال، ٦/ ٢٦٧.

(٣) أبو داود، برقم ٥٠٩٦، وحسنه العلامة ابن باز في تحفة الأخيار، ص ٢٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ، الإمام الكبير، المجتهد الحافظ، أبو عبد الله من أهل بيعة الرضوان وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتًا، وكان والده من النقباء البدريين واستشهد يوم أحد وأحياه الله تعالى وكلمه كفاحاً مسند أحمد، ٢٣/١٦٣، برقم ١٤٨٨١، وحسن إسناده محققو المسند، وحسنه الألباني في التعليق الرغيب، ٢/١٩٠، ١٩١، شهد جابر الخندق بعد ما أطاع أباه يوم أحد وقعد لأجل إخوته، وتوفي عام ٧٨ هـ بعد ما شاخ، وذهب بصره، وقد قارب التسعين. سير أعلام النبلاء، ٣/ ١٨٩ ترجمة (٣٨).

عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج**»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»[٢]، قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به. يقال: عاذ فلان بفلان، ... وأعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك، فإن ذلك سوء أتحاشى من تعاطيه»[٣]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ الَّذِي لَمْ يُوجَدْ بَعْدُ، وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛ فَإِنَّ نَفْسَ وُجُودِهِ ضَرَرٌ، مِثَالُ الْأَوَّلِ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، وَمِثْلُ الثَّانِي: التعوذ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وأَعُوذُ بِك أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أزل، ... ويُسْتَعَاذُ مِنْ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يُضَرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنْ الشَّرِّ الضَّارِّ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يُوجَدَ»[٤]. قال القاري: إذا دخل، أو أراد أن يدخل بيته، فليقل: «**اللهمَّ إنّي أسألك خير المولج**»: بفتح الميم، وكسر اللام، كالموعِد، ويفتح «**وخير المخرج**» كذلك، وفيه إيماء إلى قوله تعالى تعليماً له: ﴿**وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ**﴾[٥]، وهو يشمل كل دخول وخروج حتى الدخول في القبر، والخروج عنه، قال الطيبي على ما في الخلاصة: المولِج بكسر اللام، ومن الرواة من فتحها،

---

(١) مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، برقم ٢٠١٨.
(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.
(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.
(٤) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ١٨/ ٢٨٨.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٨٠.

والمراد المصدر، أي الولوج والخروج، أو الموضع، أي: خير الموضع الذي يولج فيه، ويخرج منه، والمولج بفتح الميم، وإسكان الواو، وكسر اللام، ومن فتح هنا فإما أنه سها، أو قصد مزاوجته للمخرج، وإرادة المصدر بهما أتم من إرادة الزمان والمكان؛ لأن المراد الخير الذي يأتي من قبل الولوج والخروج»[(١)].

٢-قوله: «**بسم الله**»: أي نبدأ عملنا هذا، أو ابتداء عملنا هذا باسم الله، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «من قدّره باسم، تقديره: باسم الله ابتدائي، ومن قدره بالفعل أمرًا، وخبرًا نحو: أبدَأ ببسم الله أو ابتدأت ببسم الله، فكلاهما صحيح، فإن الفعل لا بُدّ له من مصدر، فلك أن تقدر الفعل ومصدره، فالمشروع ذكر اسم الله في كل أمر، تبركًا، وتيمنًا، واستعانة على الإتمام والتقبل»[(٢)].

٣-قوله: «**ولجنا**» أي: دخلنا، والمولج هو الدخول. قال الله تعالى: ﴿**تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ**﴾[(٣)]، والوُلُوجُ الدخولُ. وَلَجَ البيتَ وُلُوجاً ولِجَةً»[(٤)].

٤-قوله: «**وبسم الله خرجنا**» أي: من بيوتنا للسعي في الأرض، وطلب الرزق وإعمال كل سبب شرعي، قال ابن منظور رحمه الله: «الخُروج: نَقِيضُ الدُّخولِ، خَرَجَ يَخْرُجُ خُرُوجاً ومَخْرَجاً، فَهُوَ خارِجٌ وخَرُوجٌ وخَرَّاجٌ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ وخَرَجَ بِهِ، الْجَوْهَرِيُّ: قَدْ يَكُونُ المَخْرَجُ موضعَ الخُرُوجِ. يُقَالُ: خَرَجَ مَخْرَجاً حَسَناً، وَهَذَا مَخْرَجُه»[(٥)]، وقال الحجاوي رحمه الله: «ولو لغير الصلاة»[(٦)].

---

(١) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لملا علي القاري، ١/ ٣٥٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ١٢١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٧.
(٤) لسان العرب، ٢/ ٣٩٩، مادة (ولج).
(٥) لسان العرب، ٢/ ٢٤٩، مادة (خرج).
(٦) الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ١/ ١١٠.

٥-قوله: «**وعلى الله ربنا توكلنا**» أي: بقلوبنا؛ لأن التوكل عمل قلبي: كالخشية والإنابة، وغيرهما، ولا بد من عمل الأسباب، وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوكل: الاعتماد، يقال توكلت على الله تعالى، أو على فلان توكلاً، أي: اعتمدت عليه، ... ، ووكلت الأمر إليه وكلاً، ووكولاً: إذا فوَّضته إليه، وجعلته نائباً»[١].

٦-قوله: «**يسلم على أهله**»: أي بقوله تحية الإسلام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «المراد الذي يسلم على أهله إذا دخل بيته، والمضمون به أن يبارك عليه، وعلى أهله»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-دوام ذكر الله سبب لحفظ العبد من مكر الشيطان وكيده، وكذا من الهواجس، والوساوس.

٢-الغفلة عن الذكر طريق مواصلة لمشاركة الشيطان: في المال، والأهل، والولد.

٣-مشروعية إلقاء السلام عند دخول المنزل – منزله أو منزل غيره – لعموم قوله عَجَّلَ: ﴿**فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً**﴾[٣].

٤-تحية الإسلام كلها خير؛ لأن الله وصفها بأوصاف جميلة وهي:

أ – أن هذه التحية من عنده عَجَّلَ.

ب – أنها مباركة؛ لاشتمالها على السلام والرحمة والبركة.

جـ - أنها طيبة أي: تطيب بها النفوس، وتجلب المودة، والحب بين المسلمين[٤].

٥-ذهب البعض إلى قول: (**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**) عند

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات، ٤/ ١٩٥، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ١٦.
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/ ٢١٤.
(٣) سورة النور، الآية: ٦١.
(٤)انظر: تفسير السعدي، ص ٥٧٥.

دخول البيت إذا كان غير مسكون[١].

٦-من بركة قول هذا الذكر أن قائله ضامن على الله أي: صاحب ضمان أن يحفظه الله ويرعاه – فضلًا منه وكرمًا – جاء في الحديث: «**ثلاثة كلهم ضامن على الله، إن عاش رُزِقَ وكُفِيَ، وإن مات أدخله الجنة: من دخل بيته فسلم هو ضامن على الله، ومن خرج إلى المسجد فهو ضامن على الله، ومن خرج في سبيل الله فهو ضامن على الله**»[٢].

٧-إذا كان في البيت أيقاظ ونيام، فعلى الداخل أن يسلم سلامًا متوسطًا في

---

(١) أخرجه في الموطأ بلاغاً، ٥/ ١٤٠١، برقم ٣٥٣٥، وفي مصنف عبد الرزاق، ١٠/ ٣٨٩، برقم ١٩٤٥١، : عن مجاهد، وعن قتادة قالا: «إذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد، فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين؛ فإن الملائكة ترد عليك»، وفي مصنف ابن أبي شيبة، ٨/ ٤٦٠، عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: «إِذَا دَخَلْت بَيْتًا لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ فَقُلْ: السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ»، برقم ٢٦٣٥٢، وبرقم ٢٦٣٥٣، و «عَنِ ابْنِ عُمَرَ؛ فِي الرَّجُلِ يَدْخُلُ فِي الْبَيْتِ، أَوْ فِي الْمَسْجِدِ لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، قَالَ: يَقُولُ: السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ»، وفيه أيضاً عدة روايات أخرى، رواية ابن عمر في الأدب المفرد، ص ٣٦٣، برقم ١٠٥٥، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٤١٧، برقم ٨١٠، وقد ذكر الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ١٣/ ٤٠٩، قائلاً: «روى البخاري في الأدب المفرد، ١٠٥٥ بسند حسن عَنْ ابْنِ عُمَرَ قال: «إذا دخل البيت غير المسكون، فليقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»، ورواه ابن أبي شيبة أيضاً، ٥٨٨٦/٦٤٨/٨، وحسَّن إسناده الحافظ في الفتح، ٢٠/١١. قلت أي الشيخ الألباني: ففي هذه الآثار مشروعية السلام ممن دخل بيتاً ليس فيه أحد؛ وهو من إفشاء السلام المأمور به في بعض الأحاديث الصحيحة، ولظاهر قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾، وقد استدل الحافظ بها، وبأثر ابن عمر على ما ذكرت، فقال عقبهما: «فيستحب إذا لم يكن أحد في البيت؛ أن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين »، وأما قول: (بسم الله) عند دخول البيت، فثابت من حديث جابر مرفوعاً: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله، وعند طعامه؛ قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء ... »، الحديث أخرجه مسلم، ١٠٨/٦، والبخاري في الأدب المفرد، ١٠٩٦ وغيرهما، وقد صرح ابن جريج بالتحديث عن أبي الزبير، وهذا كذلك عن جابر في رواية لمسلم، وكذا الأول عند النسائي في عمل اليوم والليلة، رقم (١١٨).

(٢) أخرجه ابن حبان، ٢/ ٢٥١، برقم ٤٩٩، وبنحوه أبو داود، كتاب الجهاد، باب فضل الغزو في البحر، برقم ٢٤٩٤، وصححه محقق ابن حبان، ٢/ ٢٥١، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٢١.

الصوت، فيسمع به اليقظان، ولا يزعج به النائم، وهذا من هديه عليه الصلاة والسلام؛ لما ثبت في صحيح مسلم عَنِ الْمِقْدَادِ، قَالَ: أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْدِ، فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا، فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا ثَلَاثَةُ أَعْنُزٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**احْتَلِبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا**»، قَالَ: فَكُنَّا نَحْتَلِبُ فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ، وَنَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَصِيبَهُ، قَالَ: فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ، قَالَ: ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ فَيُصَلِّي، ثُمَّ يَأْتِي شَرَابَهُ فَيَشْرَبُ، فَأَتَانِي الشَّيْطَانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ شَرِبْتُ نَصِيبِي، فَقَالَ: مُحَمَّدٌ يَأْتِي الْأَنْصَارَ فَيُتْحِفُونَهُ، وَيُصِيبُ عِنْدَهُمْ مَا بِهِ حَاجَةٌ إِلَى هَذِهِ الْجُرْعَةِ، فَأَتَيْتُهَا فَشَرِبْتُهَا، فَلَمَّا أَنْ وَغَلَتْ فِي بَطْنِي، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ، قَالَ: نَدَّمَنِي الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ، مَا صَنَعْتَ أَشَرِبْتَ شَرَابَ مُحَمَّدٍ، فَيَجِيءُ فَلَا يَجِدُهُ فَيَدْعُو عَلَيْكَ فَتَهْلِكُ فَتَذْهَبُ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ، وَعَلَيَّ شَمْلَةٌ إِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى قَدَمَيَّ خَرَجَ رَأْسِي، وَإِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي خَرَجَ قَدَمَايَ، وَجَعَلَ لَا يَجِيئُنِي النَّوْمُ، وَأَمَّا صَاحِبَايَ فَنَامَا وَلَمْ يَصْنَعَا مَا صَنَعْتُ، قَالَ: فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى شَرَابَهُ فَكَشَفَ عَنْهُ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقُلْتُ: الْآنَ يَدْعُو عَلَيَّ فَأَهْلِكُ، فَقَالَ: «**اللهُمَّ، أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي**»، قَالَ: فَعَمَدْتُ إِلَى الشَّمْلَةِ فَشَدَدْتُهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ الشَّفْرَةَ فَانْطَلَقْتُ إِلَى الْأَعْنُزِ أَيُّهَا أَسْمَنُ، فَأَذْبَحُهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِذَا هِيَ حَافِلَةٌ، وَإِذَا هُنَّ حُفَّلٌ كُلُّهُنَّ، فَعَمَدْتُ إِلَى إِنَاءٍ لِآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا كَانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ يَحْتَلِبُوا فِيهِ، قَالَ: فَحَلَبْتُ فِيهِ حَتَّى عَلَتْهُ رَغْوَةٌ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَشَرِبْتُمْ شَرَابَكُمُ اللَّيْلَةَ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اشْرَبْ، فَشَرِبَ، ثُمَّ نَاوَلَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اشْرَبْ، فَشَرِبَ، ثُمَّ نَاوَلَنِي، فَلَمَّا عَرَفْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَوِيَ وَأَصَبْتُ دَعْوَتَهُ، ضَحِكْتُ حَتَّى أُلْقِيتُ إِلَى الْأَرْضِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِحْدَى سَوْآتِكَ يَا مِقْدَادُ**»، فَقُلْتُ: يَا

رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ مِنْ أَمْرِي كَذَا وَكَذَا وَفَعَلْتُ كَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا هَذِهِ إِلَّا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ، أَفَلَا كُنْتَ آذَنْتَنِي فَنُوقِظَ صَاحِبَيْنَا فَيُصِيبَانِ مِنْهَا**»، قَالَ: فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أُبَالِي إِذَا أَصَبْتَهَا وَأَصَبْتُهَا مَعَكَ مَنْ أَصَابَهَا مِنَ النَّاسِ [١].

***

(١) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، برقم ٢٠٥٥.

١٢- دُعَاءُ الذَّهَابِ إِلَى المَسْجِدِ

١٩ -«اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوراً، وَفِي لِسَانِي نُوراً، وَفِي سَمْعِي نُوراً، وَفِي بَصَرِي نُوراً، وَمِنْ فَوْقِي نُوراً، وَمِنْ تَحْتِي نُوراً، وَعَنْ يَمِينِي نُوراً، وَعَنْ شِمَالِي نُوراً، وَمِنْ أَمَامِي نُوراً، وَمِنْ خَلْفِي نُوراً، وَاجْعَلْ فِي نَفْسِي نُوراً، وَأَعْظِمْ لِي نُوراً، وَعَظِّم لِي نُوراً، وَاجْعَلْ لِي نُوراً، وَاجْعَلْنِي نُوراً، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُوراً، وَاجْعَلْ فِي عَصَبِي نُوراً، وَفِي لَحْمِي نُوراً، وَفِي دَمِي نُوراً، وَفِي شَعْرِي نُوراً، وَفِي بَشَرِي نُوراً»[(١)]، اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِى نُورًا فِي قَبْرِي... وَنُورًا فِي عِظَامِي[(٢)]، وَزِدْنِي نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا [(٣)]، وهَبْ لِي نُوراً عَلَى نُورٍ»[(٤)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٣-عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[(٥)]، قَالَ: بِتُّ عِنْدَ مَيْمُونَةَ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَى حَاجَتَهُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ، فَأَتَى القِرْبَةَ فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا، ثُمَّ

---

(١) انظر جميع هذه الألفاظ في البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل، برقم ٦٣١٦، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٦٣ .

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، برقم ٣٤١٩، وهو عند الطبراني في المعجم الكبير، ١٠/ ٢٨٣، برقم ١٠٦٦٨.

(٣) البخاري في الأدب المفرد، برقم ٦٩٦، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٢٥٨: «صحيح الإسناد» وقال في الحاشية: «سكت عنه الحافظ في الفتح، ١١/ ١١٧، إشارة منه إلى توثيقه كما في قاعدته».

(٤) ذكره ابن حجر في فتح الباري، ١١/ ٦١٨، وعزاه إلى ابن أبي عاصم في كتاب الدعاء، قال الحافظ في فتح الباري، ١١/ ١١٨: «ويجتمع من اختلاف الروايات، كما قال ابن العربي: خمس وعشرون خصلة».

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

تَوَضَّأَ وُضُوءًا بَيْنَ وُضُوءَيْنِ لَمْ يُكْثِرْ وَقَدْ أَبْلَغَ، فَصَلَّى، فَقُمْتُ فَتَمَطَّيْتُ، كَرَاهِيَةَ أَنْ يَرَى أَنِّي كُنْتُ أَتَّقِيهِ، فَتَوَضَّأْتُ، فَقَامَ يُصَلِّي، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ بِأُذُنِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَتَتَامَّتْ صَلاَتُهُ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ، فَآذَنَهُ بِلاَلٌ بِالصَّلاَةِ، فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ، وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا**» **قَالَ كُرَيْبٌ: وَسَبْعٌ فِي التَّابُوتِ، فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ وَلَدِ العَبَّاسِ، فَحَدَّثَنِي بِهِنَّ، فَذَكَرَ عَصَبِي، وَلَحْمِي، وَدَمِي، وَشَعَرِي، وَبَشَرِي**، وَذَكَرَ خَصْلَتَيْنِ. هذا لفظ البخاري[١].

٧٤-ولفظ مسلم: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَتَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ فَأَتَى الْقِرْبَةَ، فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءًا بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ، وَلَمْ يُكْثِرْ، وَقَدْ أَبْلَغَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى، فَقُمْتُ فَتَمَطَّيْتُ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَرَى أَنِّي كُنْتُ أَنْتَبِهُ لَهُ، فَتَوَضَّأْتُ، فَقَامَ فَصَلَّى، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَتَتَامَّتْ صَلاَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ ثَلاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ، فَأَتَاهُ بِلَالٌ فَآذَنَهُ بِالصَّلَاةِ، فَقَامَ فَصَلَّى، وَلَمْ يَتَوَضَّأْ، وَكَانَ فِي دُعَائِهِ: «**اللهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَعَظِّمْ لِي نُورًا**». **قَالَ كُرَيْبٌ: وَسَبْعًا فِي التَّابُوتِ، فَلَقِيتُ بَعْضَ وَلَدِ الْعَبَّاسِ، فَحَدَّثَنِي بِهِنَّ، فَذَكَرَ: عَصَبِي، وَلَحْمِي، وَدَمِي، وَشَعْرِي، وَبَشَرِي» وَذَكَرَ خَصْلَتَيْنِ**[٢].

(١) البخاري، برقم ٦٣١٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) مسلم، برقم ١٨١- (٧٦٣)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٧٥-وفي لفظ آخر لمسلم: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[(١)]، قَالَ: بِتُّ فِي بَيْتِ خَالَتِي مَيْمُونَةَ فَبَقَيْتُ كَيْفَ يُصَلِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَقَامَ فَبَالَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الْقِرْبَةِ فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا، ثُمَّ صَبَّ فِي الْجَفْنَةِ، أَوِ الْقَصْعَةِ، فَأَكَبَّهُ بِيَدِهِ عَلَيْهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءًا حَسَنًا بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَجِئْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَأَقَامَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَتَكَامَلَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ نَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكُنَّا نَعْرِفُهُ إِذَا نَامَ بِنَفْخِهِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ فَصَلَّى، فَجَعَلَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ، أَوْ فِي سُجُودِهِ: **«اللهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا»** أَوْ قَالَ: **«وَاجْعَلْنِي نُورًا»**[(٢)].

٧٦-وفي لفظ لمسلم أيضاً: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ، وَلَمْ يَذْكُرْ غَسْلَ الْوَجْهِ وَالْكَفَّيْنِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: ثُمَّ أَتَى الْقِرْبَةَ فَحَلَّ شِنَاقَهَا فَتَوَضَّأَ وُضُوءًا بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ، ثُمَّ أَتَى فِرَاشَهُ فَنَامَ، ثُمَّ قَامَ قَوْمَةً أُخْرَى، فَأَتَى الْقِرْبَةَ فَحَلَّ شِنَاقَهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءًا هُوَ الْوُضُوءُ، وَقَالَ: **«أَعْظِمْ لِي نُورًا»** وَلَمْ يَذْكُرْ **«وَاجْعَلْنِي نُورًا»**[(٣)].

٧٧-وفي لفظ لمسلم أيضاً: عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[(٤)]، أنه بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْقِرْبَةِ، فَسَكَبَ مِنْهَا فَتَوَضَّأَ وَلَمْ يُكْثِرْ مِنَ الْمَاءِ، وَلَمْ يُقَصِّرْ فِي الْوُضُوءِ وَسَاقَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ قَالَ: وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَتَئِذٍ تِسْعَ عَشْرَةَ كَلِمَةً، قَالَ سَلَمَةُ: حَدَّثَنِيهَا كُرَيْبٌ، فَحَفِظْتُ

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.
(٢) مسلم، برقم ١٨٧- (٧٦٣)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) مسلم، برقم ١٨٨- (٧٦٣)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

مِنْهَا ثِنْتَيْ عَشْرَةَ، وَنَسِيتُ مَا بَقِيَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللهُمَّ اجْعَلْ لِي فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَمِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا، وَمِنْ بَيْنِ يَدَيَّ نُورًا، وَمِنْ خَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي نَفْسِي نُورًا، وَأَعْظِمْ لِي نُورًا»[١].

٧٨-وفي لفظ لمسلم أيضاً: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّهُ رَقَدَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَيْقَظَ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٢]، فَقَرَأَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَأَطَالَ فِيهِمَا الْقِيَامَ وَالرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ سِتَّ رَكَعَاتٍ، كُلَّ ذَلِكَ يَسْتَاكُ وَيَتَوَضَّأُ وَيَقْرَأُ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ، ثُمَّ أَوْتَرَ بِثَلَاثٍ، فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، اللهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا»[٣].

٧٩-ولفظ الترمذي: عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[٤]، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَيْلَةً حِينَ فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي، وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي، وَتَلُمُّ بِهَا شَعَثِي، وَتُصْلِحُ بِهَا غَائِبِي، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي، وَتُزَكِّي بِهَا عَمَلِي، وَتُلْهِمُنِي بِهَا رُشْدِي، وَتَرُدُّ بِهَا أُلْفَتِي، وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي إِيمَانًا، وَيَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ، وَرَحْمَةً أَنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الفَوْزَ فِي الْقَضَاءِ، وَنُزُلَ الشُّهَدَاءِ، وَعَيْشَ السُّعَدَاءِ، وَالنَّصْرَ عَلَى الأَعْدَاءِ، اللَّهُمَّ

---

(١) مسلم، برقم ١٨٩- (٧٦٣)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.
(٣) مسلم، برقم ١٩١- (٧٦٣)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

إِنِّي أُنْزِلُ بِكَ حَاجَتِي، وَإِنْ قَصُرَ رَأْيِي، وَضَعُفَ عَمَلِي، افْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ، فَأَسْأَلُكَ يَا قَاضِيَ الأُمُورِ، وَيَا شَافِيَ الصُّدُورِ، كَمَا تُجِيرُ بَيْنَ البُحُورِ أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ، وَمِنْ دَعْوَةِ الثُّبُورِ، وَمِنْ فِتْنَةِ القُبُورِ، اللَّهُمَّ مَا قَصُرَ عَنْهُ رَأْيِي، وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي، وَلَمْ تَبْلُغْهُ مَسْأَلَتِي مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ، فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ، وَأَسْأَلُكَهُ بِرَحْمَتِكَ رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ ذَا الحَبْلِ الشَّدِيدِ، وَالأَمْرِ الرَّشِيدِ، أَسْأَلُكَ الأَمْنَ يَوْمَ الوَعِيدِ، وَالجَنَّةَ يَوْمَ الخُلُودِ، مَعَ الْمُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ الرُّكَّعِ، السُّجُودِ الْمُوفِينَ بِالعُهُودِ، إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ، وَإِنَّكَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هَادِينَ مُهْتَدِينَ، غَيْرَ ضَالِّينَ وَلاَ مُضِلِّينَ، سِلْمًا لأَوْلِيَائِكَ، وَعَدُوًّا لأَعْدَائِكَ، نُحِبُّ بِحُبِّكَ مَنْ أَحَبَّكَ، وَنُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ، اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعَاءُ، وَعَلَيْكَ الإِجَابَةُ، وَهَذَا الجُهْدُ وَعَلَيْكَ التُّكْلاَنُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَلْبِي، وَنُورًا فِي قَبْرِي، وَنُورًا مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَنُورًا مِنْ خَلْفِي، وَنُورًا عَنْ يَمِينِي، وَنُورًا عَنْ شِمَالِي، وَنُورًا مِنْ فَوْقِي، وَنُورًا مِنْ تَحْتِي، وَنُورًا فِي سَمْعِي، وَنُورًا فِي بَصَرِي، وَنُورًا فِي شَعْرِي، وَنُورًا فِي بَشَرِي، وَنُورًا فِي لَحْمِي، وَنُورًا فِي دَمِي، وَنُورًا فِي عِظَامِي، اللَّهُمَّ أَعْظِمْ لِي نُورًا، وَأَعْطِنِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا، سُبْحَانَ الَّذِي تَعَطَّفَ العِزَّ وَقَالَ بِهِ، سُبْحَانَ الَّذِي لَبِسَ الْمَجْدَ وَتَكَرَّمَ بِهِ، سُبْحَانَ الَّذِي لاَ يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلاَّ لَهُ، سُبْحَانَ ذِي الفَضْلِ وَالنِّعَمِ، سُبْحَانَ ذِي الْمَجْدِ وَالكَرَمِ، سُبْحَانَ ذِي الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ»(١).

٨٠- ولفظ البخاري في الأدب المفرد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّى فَقَضَى صَلاَتَهُ، يُثْنِي عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ كَلاَمِهِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَلْبِي، وَاجْعَلْ لِي

(١) الترمذي، برقم ٣٤١٩، قال أبو عيسى الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي ليلى من هذا الوجه» والطبراني في الكبير ١٠/ ٢٨٣، برقم ١٠٦٦٨، وسكت عنه الحافظ ابن حجر عندما ذكره في فتح الباري، ١١/ ١١٨، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، برقم ١١٩٥، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير، برقم ١٥٧٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

نُورًا فِي سَمْعِي، وَاجْعَلْ لِي نُورًا فِي بَصَرِي، وَاجْعَلْ لِي نُورًا عَنْ يَمِينِي، وَنُورًا عَنْ شِمَالِي، وَاجْعَلْ لِي نُورًا مِنْ بَيْنَ يَدَيَّ، وَنُورًا مِنْ خَلْفِي، وَزِدْنِي نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا، وَزِدْنِي نُورًا»[(١)].

٨١-وعِند ابن أَبِي عاصِم فِي كِتاب الدُّعاء مِن طَرِيق عَبد الحَمِيد بن عَبدالرَّحمَن عَن كُرَيب فِي آخِر الحَدِيث «وهَب لِي نُورًا عَلَى نُور»[(٢)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم اجعل في قلبي نورًا**» أي: نور الإيمان في قلبي واشرح للإسلام صدري، قال ابن قرقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: هداية، وبيانًا، وضياء للحق، ويحتمل أن يريد الرزق الحلال حتى تقوى به هذه الأعضاء المذكورة للطاعة»[(٣)].

٢-قوله: «**وفي لساني نورًا**» أي: بقول الحق ودوام الذكر وعدم الغفلة، وقال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي لساني: يعني نطقي، نوراً: استعارة للعلم والهداية»[(٤)]، وقال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا ينطق إلا بما ترضاه»[(٥)].

٣-قوله: «**وفي سمعي نورًا**» أي: أسمع ما أنتفع به ويصل إلى قلبي، وقال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليصير مظهراً لكل مسموع، ومدركاً لكل كمال، لا مقطوع ولا ممنوع»[(٦)].

٤-قوله: «**وفي بصري نورًا**»: لأتأمل في بديع لي نوراً شاملاً صنعك وأدل الناس به على توحيدك، قال القسطلاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «يكشف الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ»

---

(١) البخاري في الأدب المفرد، برقم ٦٩٦، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٢٥٨: «صحيح الإسناد» وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) ابن أبي عاصم في كتاب الدعاء، كما في فتح الباري، ١١/ ١١٨، وابن أبي الدنيا في كتاب التهجد وقيام الليل، ٢٨٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ٤/ ٢٣٣.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٧٢.

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٣/ ١٥٢.

(٦) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي، ١/ ٤٤١.

المبصرات»[١]، وقال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «لِأَنَّهُمَا آلَتَا و أطناب المفاصل[٢].

٥-قوله: «**وفي بشري نورًا**»: البشر هو ظاهر [٣].

٦-قوله: «**واجعل في نفسي نورًا**» أي: نور الإيمان والمعرفة حتى أصل إلى مرضاتك، قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: اجعل للأنوار السابقة، وغيرها»[٤].

٧-قوله: «**واجعل في عصبي نورًا**»: العصب ه

٨- الجسد ويكون ذلك بالتمسك بالسنة، قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو ظاهر الجسد... فإن قلت ما المراد بالنور هنا قلت بيان الحق والتوفيق في جميع حالاته وقال الطيبي معنى طلب النور للأعضاء عضواً عضواً أن تتحلى بأنوار المعرفة، والطاعة، وتتعرّى عما عداهما، فإن الشياطين تحيط بالجهات الست بالوساوس، فكان التخلص منها بالأنوار السادّة لتلك الجهات»[٥].

٩-قوله: «**وفي قبري نورًا**»: أي اجعله روضة من رياض الجنة حتى أنام فيه نومة العروس، وقال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أستضيء به في ظلمة اللحد»[٦].

١٠-قوله: «**اللهم اجعل لي في قلبي نوراً**»: أي عظيما كما يفيده التنكير، «**وفي لساني**»: نطقي «**نوراً**»: استعارة للعلم والهدى، «**وفي بصري نوراً**»: ليتحلى بأنوار المعارف ويتجلى له صنوف الحقائق، «**وفي سمعي نوراً**»: ليصير مظهر الكل مسموع، ومدركاً لكل كمال لا مقطوع، ولا ممنوع، «**وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً**»: خصّهما بـ(عن) إيذاناً بتجاوز الأنوار عن قلبه، وسمعه، وبصره إلى

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٩/ ١٨٤.
(٢) فتح الباري، ١١/ ١١٨.
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/ ٩٠٤.
(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٧٢.
(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٣/ ٦٦.
(٦) فيض القدير، ٢/ ١٤٥.

من عن يمينه، وشماله من أتباعه، «**ومن فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، ومن أمامي نوراً، ومن خلفي نوراً**»: لأكون محفوفاً بالنور من جميع الجهات، «**واجعل لي في نفسي نوراً**»: أي: اجعل لي نوراً شاملاً للأنوار السابقة وغيرها، «**وأعظم لي نوراً**»: أي: أجزل لي من عطائك نوراً عظيماً لا يكتنه كنهه لأكون دائم السير والترقي في درجات المعارف»[١]، وقال ابن الأثير رحمه الله: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوراً**» وَبَاقِي أَعْضَائِهِ، أَرَادَ ضِياءَ الْحَقِّ وبيَانَه، كَأَنَّهُ قَالَ: اللهمَّ استعمِل هَذِهِ الأعضاءَ مِنّي فِي الْحَقّ، وَاجْعَلْ تَصَرُّفي وتَقَلُّبي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ الصَّوَابِ وَالْخَيْرِ»[٢]، وقال ابن قرقول رحمه الله: «أي: هداية، وبيانًا، وضياء للحق، ويحتمل أن يريد الرزق الحلال حتى تقوى به هذه الأعضاء المذكورة للطاعة»[٣]، وقال النووي رحمه الله: «سَأَلَ النُّورَ فِي أَعْضَائِهِ، وَجِهَاتِهِ، وَالْمُرَادُ بِهِ بَيَانُ الْحَقِّ، وَضِيَاؤُهُ، وَالْهِدَايَةُ إِلَيْهِ، فَسَأَلَ النُّورَ فِي جَمِيعِ أَعْضَائِهِ، وَجِسْمِهِ، وَتَصَرُّفاتِهِ، وَتَقَلُّبَاتِهِ، وَحَالَاتِهِ، وَجُمْلَتِهِ فِي جِهَاتِهِ السِّتِّ، حَتَّى لَا يَزِيغَ شَيْءٌ مِنْهَا عَنْهُ»[٤].

١١-قوله: «**شناقها**»: - بِكَسرِ المُعجَمَة، وتَخفِيف النُّون، ثُمَّ قاف -: هُو رِباط القِربَة يَشُدّ عُنُقها، فَشُبِّهَ بِما يُشنَق بِهِ، وقِيلَ: هُو ما تُعَلَّق بِهِ[٥].

١٢-قوله: «**أبلغ**»: يقال بالغ يبالغ مبالغة وبلاغاً، إذا اجتهد في الأمر، والبلاغ ما يتبلغ ويتوصل به إلى الشيء المطلوب[٦].

١٣-وقوله: «**فبقيتُ كيف يُصلِّي رسول الله ﷺ**»: أي: رقبتُ، ونظرتُ، يقال:

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي، ١/ ٤٤١.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، (/ ١٢٥، مادة (نور).
(٣) مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ٤/ ٢٣٣.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ٤٥)
(٥) فتح الباري، ١١/ ١١٧.
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ١٥٢، مادة (بلغ).

بقيتُ، وبقوتُ، بمعنى: رقبتُ، ورمقت[١].

١٤-قوله: «**فتمطيت**»: قال ابن منظور رحمه الله: «وتَمَطَّى الرَّجُلُ: تَمدَّد، والتَّمَطِّي: التَّبَخْتُرُ، ومَدُّ الْيَدَيْنِ فِي الْمَشْيِ، وَيُقَالُ: التَّمَطِّي مأْخوذ مِنَ المَطِيطةِ، وهو الماءُ الخاثر فِي أَسفل الْحَوْضِ؛ لأَنه يَتَمَطَّطُ أَي يتمَدَّد»[٢].

١٥-قوله: «**كراهية أن يرى أني كنت أَتَّقِيه**»: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «أَتَّقِيه - بِمُثَنَّاةٍ ثَقِيلَة، وقاف مَكسُورَة - كَذا لِلنَّسَفِيّ وطائِفَة، قالَ الخَطّابِيُّ: أَي أَرتَقِبهُ، وفِي رِوايَة بِتَخفِيفِ النُّون، وتَشدِيد القاف، ثُمَّ مُوحَّدَة [أُنَقِّبه] مِنَ التَّنقِيب، وهُو التَّفتِيش، وفِي رِوايَة القابِسِيّ (أَبغِيه) بِسُكُونِ المُوحَّدَة، بَعدها مُعجَمَة مَكسُورَة، ثُمَّ تَحتانِيَّة أَي: أَطلُبهُ، ولِلأَكثَرِ (أَرقُبهُ)، وهِيَ أَوجَه»[٣]، وقال النووي رحمه الله: «أَنْتَبِه: بِنُونٍ ثُمَّ مُثَنَّاة فَوْق ثُمَّ مُوَحَّدَة، وَوَقَعَ فِي الْبُخَارِيّ (أَبْقِيه) بِمُوَحَّدَةٍ ثُمَّ قَاف، وَمَعْنَاهُ: أَرْقُبهُ، وَهُوَ مَعْنَى أَنْتَبِه لَهُ»[٤].

١٦-قوله: «**فتتامت**»: بِمُثَنّاتَينِ أَي تَكامَلَت[٥].

١٧- قوله: «**فَآذَنَهُ**» - بِالمَدِّ-: أَي أَعلَمهُ، ولِلمُستَملِيّ فَناداهُ[٦].

١٨-قوله: «**التابوت**»: أراد بالتابوت الأضلاع، وما تحويه كالقلب، والكبد وغيرهما، تشبيهاً له بالصندوق الذي يحرز فيه المتاع، أي أنه مكنون موضوع في الصندوق[٧].

١٩-قوله: «**خصلتين**»: أُخذ من خُصَل الشعر، ومن خُصَل الشجر، وهي ما تدلى من أطرافه، والخصيلة: كل لحمة فيها عصب، وأحرز فلان خصلة إذا

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٢٩٥.
(٢) لسان العرب، ١٥/ ٢٨٤، مادة (مطا).
(٣) فتح الباري، ١١/ ١١٧.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٤٤.
(٥) فتح الباري، ١١/ ١١٧.
(٦) فتح الباري، ١/ ٢٣٩.
(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ١٧٩، مادة (تبت).

غلب، ومنه: خصلة حسنة، وخصال وخصلات كرام[(١)].

٢٠- قوله: «**فنام حتى نفخ**»: قال القاري رحمه الله: «أي تنفس بصوت حتى يسمع منه صوت النفخ بالفم، كما يسمع من النائم،... وهو صوت يسمع من تردد النَّفَس، أو النفخ عند الخفقة، أي تحريك الرأس»[(٢)].

٢١-قوله: «**الجفنة**»: إناء الطعام، وكانت العرب تدعو السيد المطعام جفنة؛ لأنه يضعها ويطعم الناس فيها[(٣)].

٢٢-قوله: «**القصعة**»: إناءٌ مِن خَشَب، وهِيَ قَصعَةٌ مَبسُوطَةٌ، وتَكُونُ مِن غَيرِ الخَشَبِ[(٤)].

٢٣-قوله: «**سِواك**» – بالكسر –، والمسواك ما تُدلك به الأسنان من العيدان، يقال ساك فاه يسوكه، إذا دلكه بالسواك، فإذا لم تذكر الفم قلت استاك، وتسوّك[(٥)].

٢٤-قوله: «**وتلم بها شعثي** » أي تجمع، وتضم ما تفرق من أمري، ملتئماً غير متفرق، وهو من اللم: الجمع، يقال: لممت الشيء جمعته[(٦)].

٢٥-قوله: «**وتجمع بها أمري**» أي تضمه بحيث لا أحتاج إلى أحد غيرك[(٧)].

٢٦-قوله: «**وتصلح بها غائبي**» أي ما غاب عن باطني بالإيمان، والأخلاق المرضية، والملكات الرضية[(٨)].

٢٧-قوله: «**وترفع بها شاهدي**» أي ظاهري بالأعمال الصالحة، والهيئات المطبوعة،

---

(١) انظر: أساس البلاغة للزمخشري، (ص: ١٦٥)، مادة (خصل).
(٢) انظر: مرقاة المفاتيح، ١/ ٣٠١.
(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٧٩، مادة (جفن).
(٤) انظر: فتح الباري، ٥/ ١٢٥.
(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٢٤، مادة (سوك).
(٦) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٤٢.
(٧) المرجع السابق.
(٨) فيض القدير ضرح الجامع الصغير، ٢/ ١٤٢.

والخلال الجميلة: فالمراد تعميم الباطن، وإصلاح الظاهر، أو أراد بها في الأخرى بالرضا، والكون مع الملأ الأعلى، وفي الدنيا بالفوز والنصر على الأعداء[١].

٢٨-قوله: «**وترد بها أُلفتي**» بضم الهمزة وكسرها، مصدر بمعنى اسم مفعول: أي: أليفي، أو مألوفي: أي: ما كنت آلفه[٢].

٢٩-قوله: «**وَمِنْ دَعْوَةِ الثُّبُورِ**» بِضَمِّ الْمُثَلَّثَةِ، هُوَ الْهَلَاكُ، أَيْ أَجِرْنِي مِنْ أَنْ أَدْعُوَ ثُبُورًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ النَّارِ: ﴿**وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً**﴾[٣]»[٤].

٣٠-قوله: «**وَمِنْ فِتْنَةِ الْقُبُورِ**»: قال المباركفوري رحمه الله: «بِأَنْ تَرْزُقَنِي الثَّبَاتَ عِنْدَ سُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ»[٥].

٣١-قوله: «**سَلْمًا**» بِكَسْرِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ، وَفَتْحِهَا، وَسُكُونِ اللَّامِ، أَيْ صُلْحًا لِأَوْلِيَائِكَ، أَيْ حِزْبِكَ، وقال الطيبي رحمه الله: «سلماً لأهل الإسلام، ساعيًا في ذبّ المضار، ودفع المعاطب عنهم، ومسلّماً عن كل من يراه عرفه، أو لم يعرفه»[٦].

٣٢-قوله: «**وعدواً لأعدائك**»: لِأَعْدَائِكَ مِمَّنِ اتَّخَذَ لَكَ شَرِيكًا، أَوْ نِدًّا، وقال المناوي رحمه الله: «ممن اتخذ لك شريكاً، أو نداً، أو فعل معك ما لا يليق بكمالك»[٧].

٣٣-قوله: «**نُحِبُّ بِحُبِّكَ من أحبك**»: أَيْ: بِسَبَبِ حُبِّنَا لَكَ نحب من أحبك، وقال المناوي رحمه الله: «أي: بحسب حبك من أحبك حباً خالصاً، وفي رواية

---

(١) المرجع السابق.
(٢) فيض القدير ضرح الجامع الصغير، ٢/ ١٤٣.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ١٣.
(٤) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٦٠.
(٥) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٦٠.
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٧٧٤.
(٧) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٤٥.

البيهقي: نحب بحبك الناس»[١].

٣٤-قوله:«**نعادي بِعَدَاوَتِكَ من خالفك**»، أَيْ: بِسَبَبِ حبنا لك نعادي بعَدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَ أَمْرَكَ[٢].

ثالثا: ما يستفاد من الحديث:

١-قال القرطبي صاحب المفهم: هذه الأنوار التي دعا بها رسول الله ﷺ يمكن حملها على ظاهرها، فيكون سأل الله أن يجعل له في كل عضو من أعضائه نورًا يستضيء به يوم القيامة[٣].

٢-قال النووي: قال العلماء: سأل النور في أعضائه وجهاته والمراد به بيان الحق وضياؤه والهداية إليه[٤].

٣-التضييق على الشيطان من جميع المنافذ التي يسلك بها للعبد. وهذا إشارة إلى قوله: ﴿**ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾[٥].

٤-هذا الدعاء له ارتباط وثيق بقول النبي ﷺ: «**والصلاة نور**»[٦]؛ لأن المسلم يقول هذا الدعاء في أثناء توجهه إلى المسجد لأداء الصلاة في جماعة وهو يرجو بذلك أن تكون هذه الصلاة له نورًا. كما قال النبي ﷺ: «**من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة...**»[٧].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٤٥.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٧٠ .

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، لأحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي، ٧/ ٢٩.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، ٦/ ٢٨٧.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٧.

(٦) مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، برقم ٢٢٣.

(٧) مسند أحمد، ١٤١/١١، برقم ٦٥٧٦، وصحيح ابن حبان، ٤/ ٣٢٩، برقم ١٤٧٦، وصحح إسناده محققو المسند، ١١/ ١٤٢، وحسن إسناده الشيخ ابن باز في مجموع فتاواه، ٢٧٨/١.

١٣ - دُعَاءُ دُخُولِ الْمَسْجِدِ

٢٠- «يَبْدَأُ بِرِجْلِهِ الْيُمْنَى»[١]، وَيَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»[٢]، بِسْمِ اللَّهِ، وَالصَّلَاةُ[٣] وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ[٤] «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، و[٥] افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»[٦].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٨٢-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ[٧] أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «مِنَ السُّنَّةِ إِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ أَنْ تَبْدَأَ بِرِجْلِكَ الْيُمْنَى، وَإِذَا خَرَجْتَ أَنْ تَبْدَأَ بِرِجْلِكَ الْيُسْرَى[٨]، هذا لفظ الحاكم[١].

---

(١) أخرجه الحاكم، ١/ ٢١٨، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي، ٢/ ٤٤٢، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/ ٦٢٤، برقم ٢٤٧٨.

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل عند دخول المسجد، برقم ٤٦٦، وصححه الألباني وفي صحيح سنن أبي داود، ١/ ٩٣، برقم ٤٤١، وفي صحيح الجامع، برقم ٤٥٩١ .

(٣) رواه ابن السني، برقم ٨٨، وحسنه الألباني في الثمر المستطاب، ص ٦٠٧.

(٤) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل عند دخول المسجد، برقم ٤٦٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٤٤٠، وفي صحيح ابن ماجه، برقم ٦٢٥.

(٥) ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، برقم ٧٧١، وأخرجه إسماعيل القاضي، في فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٢، برقم ٨٢، ولفظه: «عن فاطمة بنت النبي ﷺ قالت: قال لي رسول الله ﷺ: إذا دخلت المسجد فقولي: بسم الله، والسلام على رسول الله، اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، واغفر لنا، وسهّل لنا أبواب رحمتك، فإذا فرغت فقولي مثل ذلك، غير أن قولي: وسهل لنا أبواب فضلك» وقال الألباني في تحقيقه: «حديث صحيح في شواهده» وصححه الألباني أيضاً في صحيح سنن ابن ماجه، ١/ ١٢٨- ١٢٩.

(٦) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يقول إذا دخل المسجد، برقم ٧١٣.

(٧) تقدمت ترجمته في حديث الشرح رقم ٢٣.

(٨) أخرجه الحاكم، ١/ ٢١٨، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي، =

٨٣-ولفظ أبي داود: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما[٢]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «**أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**» **قَالَ: أَقَطْ؟. قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ**»[٣].

٨٤-ولفظ ابن السني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال: «**بسم الله، اللَّهمّ صلّ على محمّد**» **وإذا خرج قال:** «**بسم الله، اللَّهمّ صلّ على محمّد**»[٤].

٨٥-ولفظ ابن السني عن أبي هريرة رضي الله عنه[٥] أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دخل أحدكم المسجد - أو أتى إلى المسجد - فليسلم على النبي ﷺ، وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ، وليقل: اللهم أعذني من الشيطان الرجيم**». وقال ابن مكرم في حديثه: «**واعصمني**»[٦].

=
٢/ ٤٤٢، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/ ٦٢٤، برقم ٢٤٧٨.السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي (٢/ ٤٤٢)

(١) الحاكم، ١/ ٢١٨، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٤٧٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أبو محمد، وقيل أبو عبد الرحمن؛ الإمام، الحبر، العابد، صاحب رسول الله ﷺ، وابن صاحبه، لم يكن بينه وبين أبيه كبير فرق في السن، وليس أبوه أكبر منه إلا بإحدى عشرة سنة، أو نحوها، استأذن النبي ﷺ أن يكتب عنه سوى القرآن فأذن له وكان الصحابة قد كرهوا ذلك مخافة الالتباس ثم زال المانع فكتبوا. له مقام راسخ في العلم والعمل والعبادة وكان يصوم النهار ويقوم الليل فنهاه النبي ﷺ عن ذلك وأرشده إلى صيام داود وأخبره «أن لجسدك عليك حقًّا ولزوجك عليك حقًّا... » البخاري، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، برقم ١٩٧٥، قال الإمام أحمد: مات ليالي الحرة سنة ٦٣ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ترجمة رقم (٢٤٠).

(٣) أبو داود، برقم ٤٦٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٥٩١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) عمل اليوم والليلة لابن السني، ص ١٦٧، برقم ٨٨، وصححه الألباني في الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب، ص ٦٠٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٦) عمل اليوم والليلة لابن السني، ص ١٦٣، برقم ٨٦، وهو في الحاكم، ١/ ٣٢٥، وحسنه الألباني في
=

٨٦-ولفظ أبي داود، في الرواية الثانية له: عن أَبي حُمَيْدٍ[١]، أَوْ أَبي أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه[٢]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، فَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»[٣].

٨٧-ولفظ مسلم، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ، أَو عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»[٤].

٨٨-وعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رضي الله عنها[٥]، قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا

= الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب، ص ٦٠٨.

(١) أبو حميد الساعدي الأنصاري المدني، قيل: اسمه: عبد الرحمن، وقيل المنذر بن سعد، من فقهاء أصحاب النبي ﷺ وقع له في «مسند بقية بن مخلد» ستة وعشرون حديثًا، له حديث في وصف هيئة صلاة رسول الله ﷺ وقد توفي سنة ٦٠ هـ وقيل سنة بضع وخمسين. سير أعلام النبلاء، ٢/ ٤٨١، ترجمة رقم (٩٧).

(٢) أبو أسيد: مالك بن ربيعة بن البدن بن عامر بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، أبو أسيد الأنصاري الساعدي، مشهور بكنيته، شهد بدراً، وأحداً، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ومات بالمدينة سنة ستين، وقيل توفي سنة ثلاثين، ذكر ذلك الواقدي وخليفة، وهذا خلاف متباين جداً، وقيل مات وهو ابن خمس وسبعين سنة، وقيل بل كان أبو أسيد إذ مات ابن ثمان وسبعين سنة. انظر: الاستيعاب، ٣/ ١٣٥١، وأسد الغابة، ١/ ١٣٨.

(٣) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل عند دخوله المسجد، برقم ٤٦٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٤٤٠.

(٤) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يقول إذا دخل المسجد، برقم ٧١٣.

(٥) فاطمة الزهراء بنت إمام المتقين؛ رسول الله محمد بن عبد الله، صلى الله على أبيها، وآله وسلم، ورضي عنها، كانت تكنى أم أبيها، سيدة نساء العالمين، كانت هي وأختها أم كلثوم أصغر بنات رسول الله ﷺ، ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ، وأنكحها رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب بعد وقعة أحد، وقيل إنه تزوجها بعد أن ابتنى رسول الله ﷺ بعائشة بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها بعد تزويجه إياها بتسعة أشهر ونصف، وكان سنها يوم تزويجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصفاً، وكانت سن علي إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر، روي أنه أمهرها درعه، وأنه لم يكن له في ذلك الوقت صفراء ولا بيضاء، وقيل: على أربعمائة وثمانين، وتوفيت بعد رسول الله ﷺ بيسير، وقيل بعد رسول الله ﷺ بثمانية أشهر، وقيل غير ذلك، وكانت أول أهله لحوقاً به، وصلى عليها علي بن أبي طالب، وهو الذي غسلها مع أسماء =

دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَقُولُ: «بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»، وَإِذَا خَرَجَ، قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ»[(١)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**يبدأ برجله اليمنى**»: قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**يبدأ**»: أي: في دخول المسجد»[(٢)].

٢-قوله: «**أعوذ بالله**» أي: ألجأ إليه وأتحصن به»[(٣)].

٣-قوله: «**العظيم**» أي: الموصوف بصفة العظمة فلا شيء أعظم منه: لا

=

بنت عميس، وهي سيدة نساء هذه الأمة، أو نساء العالمين، ولها فضائل كثيرة رضي الله عنها، وإليك طرفاً منها

أ- قول النبي ﷺ: «نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكٌ، فَاسْتَأْذَنَ اللهَ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ لَمْ يَنْزِلْ قَبْلَهَا ، فَبَشَّرَنِي أَنَّ فَاطِمَةَ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ». أخرجه الحاكم، ٣/ ١٥١، وصححه، ووافقه الذهبي، وذكره الحافظ في الفتح، ٦/ ٤٧١: وجوّده.

ب- أول أهله لحوقًا به في الجنة أخرج البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٣٣، ولفظه: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَضَحِكَتْ، فَسَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ: «سَارَّنِي النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِهِ يَتْبَعُهُ فَضَحِكْتُ» حيث ماتت بعده بستة أشهر فقط.

ج- قول النبي ﷺ: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي». البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب فاطمة عليها السلام، برقم ٣٧٦٧.

د- قول عائشة رضي الله عنها: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلاً بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَاطِمَةَ» أي من النساء سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في القيام، برقم ٥٢١٧ وأن الرسول ﷺ كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها فقبلها سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في القيام، برقم ٥٢١٧، وسنن النسائي الكبرى، كتاب المناقب، عبد الله بن مسعود، برقم ٨٢٦٥، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، ٣/ ١٤، برقم ٤٦٨٩، وهو جزء من الحديث السابق، وذكره في سير أعلام النبلاء، ٢/ ١٢٠.

قال الذهبي: وقد ماتت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة وهي بنت سبع وعشرين سنة أو نحوها ودفنت ليلًا سير أعلام النبلاء، ٢/ ١٢٧. انظر: الاستيعاب، ٤/ ١٨٩٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ٨/ ٥٣.

(١) ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، برقم ٧٧١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/١٢٨-١٢٩.

(٢) عمدة القاري، ٤/ ١٧٠.

(٣) عمدة القاري، ٤/ ١٧٠.

في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وقال البغوي رحمه الله: «الْعَظِيمُ: الْكَبِيرُ الَّذِي لَا شَيْءَ أَعْظَمُ منه»[(١)].

٤-قوله: «وبوجهه الكريم»: وجه الله من الصفات الذاتية الثابتة له عز وجل كالسمع والبصر وغير ذلك مما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، ونحن نؤمن بهذه الصفات كما جاءت ونفوض كيفيتها إلى الله تعالى، وقال العيني رحمه الله: «معنى الكريم: الجواد، المُعطي الذي لا ينفد عطاؤه؛ وهو الكريم المُطلق، والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل»[(٢)].

٥-قوله: «وسلطانه القديم»: لأن من صفاته السلطان الموصوف بالقدم وهو الأول الذي ليس قبله شيء[(٣)].

٦-قوله: «من الشيطان» والشيطان: من الشطن: البعد، أي بَعُد عن الخير»[(٤)].

٧-قوله: «الرجيم» أي: الطريد المبعد عن رحمة الله عز وجل، وقال الطبري رحمه الله: «وأما الرجيم، فهو: فَعيل بمعنى مفعول...: ملعون. وتأويل الرجيم: الملعون المشتوم، وكل مشتوم بقولٍ رديء، أو سبٍّ، فهو مَرْجُوم، وأصل الرجم الرَّميُ، بقول كان أو بفعل»[(٥)].

٨-قوله: «بسم الله»: الباء للاستعانة وكل فاعل يقدر الفعل المناسب لحاله عند البسملة والتقدير هنا بسم الله أدخل المسجد طالبًا منه العون والإخلاص والقبول، وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: «من قدّره باسم، تقديره: باسم الله ابتدائي، ومن قدره بالفعل أمرًا، وخبرًا نحو: أبدأ ببسم الله، أو ابتدأت ببسم الله، فكلاهما صحيح ...

---

(١) تفسير البغوي، ١/ ٣٤٩، وتقدم في شرح المفردة رقم ١١ من حديث المتن رقم ٢.

(٢) شرح أبي داود للعيني، ٢/ ٣٧٥.

(٣) فقه الأدعية والأذكار للشيخ/ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ٣/ ١٢٢.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٧٤، مادة (شطن)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من مفردات أحاديث متن المقدمة في فضل الذكر رقم ١.

(٥) تفسير الطبري، ١/ ١١٢.

فالمشروع ذكر اسم الله في كل أمر، تبركًا، وتيمنًا، واستعانة على الإتمام والتقبل»[(١)].

٩-قوله: «**والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ**» أي: أصلي وأسلم حال دخولي المسجد على رسول الله ﷺ وهذا من المواضع التي تستحب فيها الصلاة والسلام عليه ﷺ، ويدخل هذا في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[(٢)]، وصلاة الله على رسوله: هي الثناء عليه في الملأ الأعلى، كما قال أبو العالية: «صَلَاةُ اللهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ»[(٣)].

١٠-قوله: «**اللهم اغفر لي ذنوبي**»: قال ابن منظور رحمه الله: «اللهم: بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، وَالْمِيمُ الْمُشَدَّدَةُ عِوَضٌ مِنْ يَا ... وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ إِذَا طَرَحَ الْمِيمَ: يَا أَللَّهُ اغْفِرْ لِي»[(٤)]، وقال: «الغَفُورُ الغَفّارُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، ... وَمَعْنَاهُمَا: السَّاتِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ... غَفَرَه يَغْفِرُه غَفراً: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْته؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا»[(٥)].

١١-قوله: «**اللهم افتح لي أبواب رحمتك**» أي: أنواع رحمتك التي وسعت كل شيء وعمت كل حي، وقال الشنقيطي رحمه الله: «ومعنى ذلك: أن هذا المسجد محل الرحمة، وليست رحمة واحدة، وذلك أنك عندما تقول: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، فأبواب الرحمة كثيرة: باب العلم، باب العمل»[(٦)].

١٢-قوله: «أَقَطْ؟»: بألف الاستفهام : أي أَحَسْب؟[(٧)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ١٢١، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ١٨.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.
(٣) صحيح البخاري،٦/ ١٢٠، قبل الحديث رقم ٤٧٩٧.
(٤) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ١.
(٥) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من حديث المتن رقم ٢.
(٦) شرح زاد المستقنع للشنقيطي، ٣/ ٣٨٣.
(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٧٩، مادة (قطط).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عامة وفي هذا الموضع خاصة؛ لأن عدو الله يجتهد مع أعوانه على المصلي الذي يناجي ربه فيشوش عليه ليفوت عليه عظيم الأجور حتى يخرج من صلاته ولم يكتب له منها شيء.

٢-إثبات صفة الوجه لله ﷻ من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، قال الله ﷻ: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾(١). وقد جاء وصف الوجه في القرآن بأجمل الصفات من قوله ﷻ: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾(٢). وجاء وصفه في السنة بالبهاء والعظمة من قوله ﷺ: «**حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه**(٣) **ما انتهى إليه بصره من خلقه**»(٤)، وسبحات وجهه: هي عظمته وبهاؤه وجلاله ونوره ﷻ(٥).

٣-يستحب للمسلم أن يتحلى بآداب الذهاب إلى المسجد ودخوله والمكوث فيه والخروج منه؛ لأن المساجد هي بيوت الله وهي أولى بالاحترام والتوقير، قال الله ﷻ: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ**﴾(٦).

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦- ٢٧.
(٣) قال العلامة ابن عثيمين في شرح العقيدة الواسطية، ص ٢٨٤: «سبحات وجهه، يعني: بهاءه وعظمته وجلاله ونوره».
(٤) مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام، وفي قوله: حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، برقم ١٧٩.
(٥) انظر: شرح العقيدة الواسطية للعلامة ابن عثيمين، ص ٢٨٤.
(٦) سورة النور، الآيتان: ٣٦- ٣٧.

١٤ — دُعَاءُ الخُرُوجِ مِنَ المَسْجِدِ

٢١- «يَبْدَأُ بِرِجْلِهِ الْيُسْرَى»[(١)]، وَيَقُولُ: «بِسْمِ اللَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي[(٢)] اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ، اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»[(٣)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٨٩-لفظ الحاكم: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه[(٤)]، أَنَّهُ كَانَ، يَقُولُ: «مِنَ السُّنَّةِ إِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ أَنْ تَبْدَأَ بِرِجْلِكَ الْيُمْنَى، وَإِذَا خَرَجْتَ أَنْ تَبْدَأَ بِرِجْلِكَ الْيُسْرَى»[(٥)].

٩٠-ولفظ ابن ماجه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[(٦)] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»[(٧)].

---

(١) الحاكم، ١/ ٢١٨، والبيهقي، ٢/ ٤٤٢، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/ ٦٢٤، برقم ٢٤٧٨، وتقدم تخريجه في الحديث رقم ٢٠ من متن حصن المسلم.

(٢) ابن ماجه، كتاب المساجد، والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، برقم ٧٧١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/ ١٢٨- ١٢٩.

(٣) انظر تخريج روايات الحديث السابق في دعاء دخول المسجد، حديث المتن رقم (٢٠) وزيادة: «اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم» لابن ماجه، أبواب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، برقم ٧٧٤. وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١٢٩/١ .

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٥) الحاكم،١/ ٢١٨، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٤٧٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٧) ابن ماجه، برقم ٧٧٤، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/ ١٢٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٩١-ولفظ مسلم، عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ[(١)]، أَو عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ[(٢)]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ**»[(٣)].

٩٢-وعَنْ فَاطِمَةَ رضي الله عنها[(٤)] بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَقُولُ: «**بِسْمِ اللهِ، وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ**» **وَإِذَا خَرَجَ، قَالَ**: «بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ»[(٥)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**بسم الله**»: قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «من قدّره باسم، تقديره: باسم الله ابتدائي، ومن قدره بالفعل أمرًا، وخبرًا نحو: أبدأ ببسم الله، أو ابتدأت ببسم الله، فكلاهما صحيح ... فالمشروع ذكر اسم الله في كل أمر، تبركًا، وتيمنًا، واستعانة على الإتمام والتقبل»[(٦)].

٢-قوله: «**والصلاة والسلام على رسول الله**» أي: اللهم أثنِ عليه، واذكره في الملأ الأعلى، وقيل تعظيم الشرع الذي جاء به وإعلاء دعوته في الدنيا وفي الآخرة، وإعطائه المقام المحمود، والصواب كما قال أبو العالية: «صَلَاةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ»[(٧)].

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٦ من أحاديث الشرح.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٦ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يقول إذا دخل المسجد، برقم ٧١٣.

(٤) فاطمة رضي الله عنها تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٨٨ من أحاديث الشرح.

(٥) ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، برقم ٧٧١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/١٢٨-١٢٩.

(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ١٢١، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ١٨.

(٧) صحيح البخاري، قبل الحديث رقم ٤٧٩٧، وتقدم تخريجه.

وقال العلامة السخاوي رحمه الله: «وأولى الأقوال ما تقدم عن أبي العالية أن معنى صلاة الله تعالى على نبيه: ثناؤه، وتعظيمه، وصلاة الملائكة وغيرهم: طلب ذلك له من الله تعالى، والمراد: طلب الزيادة، لا طلب أصل الصلاة، وقيل: صلاة الله على خلقه تكون عامة، فصلاته على أنبيائه: هي ما تقدم من الثناء، والتعظيم، وصلاته على غيرهم الرحمة، فهي التي وسعت كل شيء، ونقل عياض عن بكر القشيري قال: الصلاة على النبي من الله تشريف، وزيادة تكرمة، وعلى من دون النبي رحمة»[(١)].

٣-قوله: «**اللهم اغفر لي ذنوبي**»: قال ابن منظور رحمه الله: «اللهم: بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، وَالْمِيمُ الْمُشَدَّدَةُ عِوَضٌ مِنْ يَا ... وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ إِذَا طَرَحَ الْمِيمَ: يَا أَللهُ اغْفِرْ لِي»[(٢)]، وقال: «الغَفُورُ الغَفّارُ، جَلَّ ثَناؤُه، ... وَمَعْنَاهُمَا: السَّاتِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ... غَفَرَه يَغْفِرُه غَفراً: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْته؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا»[(٣)].

٤-قوله: «**اللهم إني أسألك من فضلك**»: أي من عظيم عطائك الواسع الذي لا حد له، فالفضل هو الزيادة. والتَّفَضُّل: التَّطوُّل عَلَى غَيْرِكَ، والمِفْضَال: كَثِيرُ الفَضْل وَالْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ،وفَضَلَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ إِذا غَلَبَ عَلَيْهِ، ومَنْ كَانَ ذَا فَضْل فِي دِينِهِ فَضَّلَه اللهُ فِي الثَّوَابِ، وفَضَّلَه فِي الْمَنْزِلَةِ فِي الدُّنيا بالدِّين، كَمَا فَضَّل اللهُ ﷻ النبيَّ ﷺ وأَصحابَ رَسُولِهِ ﷺ[(٤)]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «إِشارَة إِلَى أَنَّ إِعطاء الرَّبّ فَضل مِنهُ ، ولَيسَ لأَحَدٍ عَلَيهِ حَقّ فِي نِعَمه كَما هُو مَذهَب أَهل السُّنَّة»[(٥)].

---

(١) القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، للعلامة السخاوي، ص ٢١.
(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ١.
(٣) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من حديث المتن رقم ٢.
(٤) انظر: لسان العرب، ١١/ ٥٢٥، مادة (فضل).
(٥) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ١١/ ١٨٦.

٥-قولـه: «**اللهـم اعصـمني مـن الشـيطان**»: أي احفظنـي مـن كيـده ووسوسته، ومَن عَصَمَهُ اللَّه حَماهُ مِنَ الوُقُوع فِي الهَلاك، أَو ما يَجُرُّ إِلَيهِ، يُقال: عَصَمَهُ اللَّه مِنَ المَكرُوه: وقاهُ، وحَفِظَهُ[1].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية قول «**بسم اللَّه**» عند دخول المسجد وعند الخروج منه، والحكمة من هذا هو طلب العون من اللَّه بالتوفيق والقبول.

٢-إثبات أن الفضل بيد اللَّه يؤتيه من شاء من عباده.

٣-طلب التحصن من العدو الأعظم عند دخول المسجد وعند الخروج منه؛ لأن الشيطان قاعد للطائع ليصده عن كل خير.

٤-طلب الرحمة عند دخول المسجد بيان لحاجة المصلي إلى رحمة اللَّه بقبول صلاته، وأن تكون منهاة له عن الفحشاء والمنكر وطلبه الفضل من اللَّه عند الخروج إشارة إلى حاجة العبد إلى الرزق الحلال. وهو إشارة إلى قوله: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ**﴾[2].

٥- يستحب للمسلم أن يواظب على هذه الآداب العظيمة عند دخول المسجد، والخروج منه؛ ليحصل على الثواب العظيم.

***

---

(١)فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ٥٠١.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

١٥ – أذْكَارُ الأذَانِ

٢٢-(١) يَقُولُ مِثْلَ مَا يَقُولُ المُؤَذِّنُ إلاَّ فِي «حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ وَحَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ» فَيقُولُ: «لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّهِ»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٣-لفظ البخاري: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه(٢): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ المُؤَذِّنُ**»(٣).

٩٤-وفي لفظ آخر للبخاري: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ رضي الله عنه(٤)، قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى المِنْبَرِ، أَذَّنَ المُؤَذِّنُ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ مُعَاوِيَةُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ»، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: «وَأَنَا»، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: «وَأَنَا»، فَلَمَّا أَنْ قَضَى التَّأْذِينَ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى هَذَا المَجْلِسِ، «**حِينَ أَذَّنَ المُؤَذِّنُ، يَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ مِنِّي مِنْ مَقَالَتِي**»(٥).

---

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب ما يقول إذا سمع المنادي، برقم ٦١١، ورقم ٦١٣، وكتاب الجمعة، باب يجيب الإمام على المنبر إذا سمع النداء، برقم ٩١٤، عن أبي أمامةبن سهل بن حنيف.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٦١١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أسعد بن سهل بن حنيف الأنصاري المدني، أبو أمامة، أمه حبيبة بنت أبى أمامة أسعد بن زرارة النقيب، و كانت من المبايعات، ولد سنة ٨ هـ، مختلف في صحبته، توفي سنة ١٠٠ هـ، قال الحافظ ابن حجر: «له رؤية ولم يسمع من النبي ﷺ». انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ١/ ٢٣٨، وتقريب التهذيب، ١/ ١٥٧.

(٥) البخاري، كتاب الجمعة، باب يجيب الإمام على المنبر إذا سمع النداء، برقم ٩١٤.

٩٥-ولفظ مسلم: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه[١]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**يقول مثل ما يقول المؤذن**»، والمثلية هنا ليست في الهيئة والكيف، ولكن في اللفظ فقط؛ لأن المؤذن يقول بصوت مرتفع ليسمع الآخرين، ولكن نحن إذا كنا في المسجد أو في الطريق أو في البيت أو في أي مكان إنما نحكي قول المؤذن لأنفسنا لا للغير؛ لأننا لا نادي أحداً يأتي إلينا[٣].

٢-قوله: «**حي على الصلاة**» أي: هلموا إلى إقامة الصلاة بخشوع في قلوبكم وقوالبكم، وقال الطيبي رحمه الله: «والمعنى: هلموا إليها، وأقبلوا، وتعالوا مسرعين... لما قيل: حي، أي أقبل، قيل له: علي أي شيء؟ أجيب: على الصلاة»[٤].

٣-قوله: «**حي على الفلاح**» أي: أسرعوا إلى الفوز العاجل والنعيم الآجل، وقال ابن الأثير رحمه الله: «"حي" بمعنى: هَلُمَّ، وأَقْبِلْ، وهي اسم لفعل الأمر، والفلاح: الفوز، وقيل البقاء»[٥].

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٦١ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يسأل له الوسيلة، برقم ٣٨٥.

(٣) شرح بلوغ المرام، للشيخ عطية محمد سالم، ٥/ ٤٤.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٠٥.

(٥) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٥/ ٢٧٧.

٤-قوله: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»: هي كلمة استسلام وتفويض؛ لأن العبد لا يملك من أمره شيئًا فللِّه الحول والقوة، فلا تحوّل من حال إلى حال إلا بالله، وقال العلامة ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تحول للعبد من حال إلى حال، ولاقوة له على ذلك إلا بالله ... فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله ... فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه»(١).

٥-قوله: «**إذا سمعتم المؤذن**»: السمع: قوة في الأذن به يدرك الأصوات، وفعله يقال له السمع أيضا(٢)، والمؤذن: كل من يعلم بشيء نداءً(٣)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كَانَ هَذَا مُجْمَلًا، وَفَسَّرَهُ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ «أَنَّهُ يَقُولُ عِنْدَ الْحَيْعَلَةِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاَللَّهِ»، فَإِنَّ الْخَاصَّ الْمُفَسَّرَ يَقْضِي عَلَى الْعَامِّ الْمُجْمَلِ(٤).

٦-قوله: «**الله أكبر**» قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «معناه الله الكبير، وقال النحويون: معناه الله أكبر من كل شيء»(٥).

٧-قوله: «**أشهد أن لا إله إلا الله**»: أي أشهد أن لا شريك لله، ولا رب غيره، فأشهد: «مَعْنَاهُ، أَعْلَمُ وَأُبَيِّنُ، وأقضي، وحَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ هُوَ تَيَقُّنُ الشَّيْءِ، وَتَحَقُّقُهُ مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيْ حُضُورِهِ »(٦)، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله عَزَّوَجَلَّ.

٨-قوله: «**أشهد أن محمداً رسول الله**»: القطع الجازم أن محمداً عبدٌ مُرسلٌ من قبل الله، ختم الله به الرسل، وأنه بلغ ما أرسله الله به، وما كتم من ذلك شيئاً، وأن رسالته عامة: للجن والإنس إلى قيام الساعة، قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ١٩٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٩ من مفردات حديث المتن رقم ٢.
(٢) مفردات ألفاظ القرآن، لعبد الحميد الفراهي، ١/ ٤٩٩، مادة (سمع).
(٣) مفردات ألفاظ القرآن، لعبد الحميد الفراهي، ١/ ٢٣، مادة (أذن).
(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢١/ ١٢٦.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤/ ٥٢، مادة (كبر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨ من مفردات حديث المتن رقم ٢.
(٦) عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ٢/ ١٢٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ١٣.

«أي: وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، وهو اسم مأخوذ من الحمد، يقال: حمدت الرجل فأنا أحمده إذا أثنيت عليه بجلائل خصاله، فإذا بلغ النهاية في ذلك وتكامل فيه المناقب والمحاسن فهو محمد، ... والمعنى: إذا حمدتُ أحداً فأنت محمدٌ، وإذا حمدني أحدٌ فأنت أحمدُ»(١).

٩-قوله: «**ثم قال: لا إله إلا الله، قال: لاإله إلا الله من قلبه دخل الجنة**»: قال القاضي عياض رحمه الله: «لأن في حكايته لما قال المؤذن من التوحيد والإعظام، والثناء على الله، والاستسلام لطاعته، وتفويض الأمور إليه بقوله عند الحيعلتين: «**لا حول ولا قوة إلا بالله...**»، وإذ هي دعاء وترغيب لمن سمعها، فإجابتها لا تكون بلفظها، بل بما يُطابقها من التسليم والانقياد، بخلاف إجابة غيرها من الثناء والتشهدين بحكايتهما، وإذا حصل هذا للعبد فقد حاز حقيقة الإيمان، وجماع الإسلام، واستوجب الجنة»(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-استحباب إجابة المؤذن بالقول مثل قوله لكل من سمعه من متطهر، ومحدث، وجنب، وحائض مما لا مانع له من الإجابة كأن يكون في الخلاء أو في الصلاة.

٢-الأصل أن من سمع النداء من المكلفين من الرجال غير أولي الأعذار أن يسارعوا لأداء الصلاة في المسجد وفي الجماعة الأولى مع الإمام الراتب.

٣-إذا قال المؤذن في أذان الفجر: «الصلاة خير من النوم» أجابه السامع والمستمع بمثل ما يقول؛ لعموم الحديث ولا يقول صدقت وبررت كما يقول بعضهم؛ لعدم الدليل الصحيح.

٤-وكذلك عند إقامة الصلاة يكرر ألفاظ الإقامة لقول النبي ﷺ: «**بين كل**

---

(١) شرح سنن أبي داود للعيني، ١/ ٣٩٤، وتقدم في المفردة رقم ٤ من أحادي المتن رقم ١٣.
(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٢٥٣.

أذانين صلاة» ثم قال في الثالثة: «**لمن شاء**»[١]، وهذا رد على من يقول عند الإقامة: «أقامها الله وأدامها» لضعف الحديث الوارد في ذلك[٢].

٥- اتفق العلماء على استحباب الإنصات عند سماع الأذان ومشروعية إجابة المؤذن. وقال بعضهم بالوجوب والصحيح أنه سنة؛ لأن النبي ﷺ سمع مؤذنًا، فلما كبر قال: «**على الفطرة**» فلما تشهد قال: «**خرج من النار**»[٣]، فلما قال غير ما قال المؤذن كان الأمر مستحبًا.

٦- ذكر بلال ﷺ أنه أتى النبي ﷺ يؤذنه بصلاة الفجر. فقيل: هو نائم. فقال: الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم. فأقرت في تأذين الفجر، فثبت الأمر على ذلك[٤].

٧- قول المؤذن: «**الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم**» يعرف بـ«التثويب»، وهو في اللغة[٥]: العود ومنه الثواب، لأن منفعة عمله تعود إليه ومنه ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ**﴾[٦]؛ لأن الناس يعودون إليه وسميت المرأة ثيبًا؛ لأنها ترجع إلى أهلها بوجه غير الأول.

وفي الاصطلاح: هو العود إلى الإعلام بعد الإعلام.

---

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب بين كل أذانين صلاة لمن شاء، برقم ٦٢٧، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بين كل أذانين صلاة، برقم ٨٣٨.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا سمع الإقامة، برقم ٥٢٨، وابن السني، ص ٤٩، برقم ١٠٢، والبيهقي، ٤١١/١، برقم ١٧٩٧، قال الحافظ في التلخيص الحبير، ٢١١/١: «هو ضعيف»، وضعفه الألباني في إرواء الغليل، برقم ٢٤١.

(٣) مسلم، كتاب الصلاة، باب: الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان، برقم ٣٨٢.

(٤) ابن ماجه، أبواب الأذان والسنة فيها، باب بدء الأذان، برقم ٧٠٧، وصححه الألباني في تخريج فقه السيرة، ٢٠٣، وفي غيره.

(٥) انظر لسان العرب (١٤٤/٢)، والصحاح (١٤٦/١).

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

٨- ويطلق التثويب على الإقامة لقوله: «**حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر، حتى إذا قضي التثويب أقبل**»[(١)]، فَسمَّى الإقامة تثويبًا.

٩- إذا كان الجو ممطرًا مطراً شديداً يشق على الناس، أو شديد البرد، يسن للمؤذن أن يقول: «الصلاة في الرحال أو صلوا في بيوتكم مكان حي على الصلاة. وهذا هو فعل ابن عباس مع مؤذنه، ولما استغرب الناس ذلك قال لهم: فعله من هو خير مني ﷺ»[(٢)].

***

٢٣-[(٢)] يَقُولُ: «وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبَّاً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالْإِسْلاَمِ دِيناً»[(٣)]، «يَقُولُ ذَلِكَ عَقِبَ تَشَهُّدِ الْمُؤَذِّنِ»[(٤)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٦-عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍﷺ[(٥)]**، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ**

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الأذان، باب فضل التأذين، برقم ٦٠٨، ومسلم، كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، برقم ٣٨٩.

(٢) البخاري، كتاب الأذان، باب الكلام في الأذان، برقم ٦١٦.

(٣) مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يسأل الله له الوسيلة، برقم ٣٨٦.

(٤) ابن خزيمة، ١/٢٢٠، برقم ٤٢١، وقال محقق ابن خزيمة: «إسناده جيد».

(٥) سعد بن أبي وقاص ﷺ؛ أبو إسحاق القرشي: أحد العشرة المبشرين بالجنة وآخرهم موتًا، وأحد السابقين الأولين، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد من شهد بدرًا والحديبية، ومن مناقبه أن فتح العراق كان على يديه واستأصل الله به الأكاسرة يوم جلولاء، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري، برقم ٣٧٢٨، =

يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ» قَالَ ابْنُ رُمْحٍ فِي رِوَايَتِهِ:«مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: وَأَنَا أَشْهَدُ» هذا لفظ مسلم[1].

٩٧- ولفظ ابن خزيمة: عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: وَأَنا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»[2].

٩٨-ولفظ آخر لابن خزيمة أيضاً: عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ يَتَشَهَّدُ فَالْتَفَتَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[3].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «وأنا أشهد أن لا إله إلا الله»: مَعْنَاهُ، أَعْلَمُ وَأُبَيِّنُ، وَمِنْ ذَلِكَ شَهِدَ

=

وفداه رسول الله ﷺ بأبويه يوم أحد البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري، برقم ٣٧٢٥، وكان مستجاب الدعوة ابن حبان، ١٥/ ٤٥٠، برقم ٦٩٩٠، وطبقات ابن سعد، ٣/ ١٤٢، والحاكم، ٣/ ٤٩٩، وصححه، وصحح إسناده محقق صحيح ابن حبان، وصححه الألباني في التعليقات الحسان،برقم ٦٩٥١، وفيه نزلت: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا...﴾ سورة العنكبوت، الآية: ٨، وهو عند مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ، برقم ١٧٤٨، وقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ...﴾ سورة الأنعام: ٥٢، وانظر: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ، برقم ٢٤١٣، وكان ممن اعتزل الفتنة، توفي عام ٥٥ هـ ، وكان آخر من مات من المهاجرين. سير أعلام النبلاء، ١/ ٩٢، ترجمة رقم (٥).

(١) مسلم، برقم ٣٨٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) ابن خزيمة، برقم ٤٢١، وجوّد إسناده محقق ابن خزيمة، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) ابن خزيمة، ١/ ٢٢٠، برقم ٤٢٢، وقال محقق ابن خزيمة: «إسناده جيد» وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

الشَّاهِدُ عند الحاكم، معناه: قدبيّن لَهُ، وَأَعْلَمَهُ الْخَبَرَ الَّذِي عِنْدَهُ، وَقَالَ أَبُو عبيدة: معناه أقضي كما في شهدالله مَعْنَاهُ قَضَى اللَّهُ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ لَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ هُوَ تَيَقُّنُ الشَّيْءِ وَتَحَقُّقُهُ مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيْ حُضُورِهِ[١]، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله.

٢- قوله: «وحده لا شريك له»: قال فضيلة الشيخ العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «هذا من باب التأكيد؛ تأكيد وحدانيته جل وعلا، وأنه لا مشارك له في ألوهيته»[٢].

٣-قوله: «وأن محمداً عبده ورسوله»: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «فهو عبد كغيره من العباد مربوب، والله هو المعبود، وهو الرب، إذاً نقول لهؤلاء الذين نجدهم يغلون برسول الله ﷺ، وينزلونه فوق منزلته التي أنزله الله، نقول لهم: إنكم لم تحققوا لا شهادة أن لا إله إلا الله، ولا شهادة أن محمداً رسول الله، فالمهم أن هاتين الشهادتين عليهما كل الإسلام؛ لذلك لو أراد الإنسان أن يتكلم على ما يتعلق بهما منطوقاً، ومفهوماً، ومضموناً، وإشارة، لاستغرق أياماً، ولكن نحن أشرنا إشارة إلى ما يتعلق بهما، ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يحققهما عقيدة، وقولاً، وفعلاً»[٣].

٤-قوله: ﴿رضيت بالله ربًّا﴾ أي: متفردًا بالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة، لا منازع له في ذلك كله، وهو المستحق للعبادة وحده، قال الإمام النووي :: «مَعْنَى رَضِيت بِالشَّيْءِ قَنَعْت بِهِ، وَاكْتَفَيْت بِهِ، وَلَمْ أَطْلُب مَعَهُ غَيْره، فَمَعْنَى الْحَدِيث لَمْ يَطْلُب غَيْر اللَّه تَعَالَى»[٤]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :: «والرضا بربوبية الله تتضمن الرضا بعبادته وحده، لا شريك له،

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ٢/ ١٢٠.
(٢) شرح رياض الصالحين، الحديث رقم ١٤١٧.
(٣) شرح رياض الصالحين، الحديث رقم ٦٠.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢.

وبالرضا بتدبيره للعبد، واختياره له»[(١)].

٥- قوله: «**وبالإسلام دينًا**» أي: دينًا قيمًا ارتضاه الله لصلاح الخلق في كل زمان ومكان، قال الإمام النووي :: «وَلَمْ يَسْلُكْ إِلَّا مَا يُوَافِق شَرِيعَة مُحَمَّد ﷺ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَته، فَقَدْ خَلَصَتْ حَلَاوَة الْإِيمَان إِلَى قَلْبه، وَذَاق طَعْمه، وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاض :: مَعْنَى الْحَدِيث صَحَّ إِيمَانه، وَاطْمَأَنَّتْ بِهِ نَفْسه، وَخَامَرَ بَاطِنه؛ لِأَنَّ رِضَاهُ بِالْمَذْكُورَاتِ دَلِيل لِثُبُوتِ مَعْرِفَته، وَنَفَاذ بَصِيرَته، وَمُخَالَطَة بَشَاشَته قَلْبه؛ لِأَنَّ مَنْ رَضِيَ أَمْرًا سَهُلَ عَلَيْهِ، فَكَذَا الْمُؤْمِن إِذَا دَخَلَ قَلْبه الْإِيمَان سَهُلَ عَلَيْهِ طَاعَات الله تَعَالَى، وَلَذَّتْ لَهُ، وَاَللَّه أَعْلَم»[(٢)].

٦- قوله: «**وبمحمد رسولًا**» أي: للإنس والجن وخاتمًا للرسل لا نبي بعده ﷺ، وأنه ما مات إلا وقد أتم الله به الدين، وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «الرضا بمحمد رسولاً يتضمن الرضا بجميع ما جاء به من عند الله، وقبول ذلك بالتسليم والانشراح»[(٣)].

قوله: «**يقول ذلك عقب تشهد المؤذن**»: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «دليلٌ على أنه يقولها عقب قول المؤذِّن: «**أشهد أنْ لا إله إلا الله**»، لأنَّ الواو حرف عطف، فيعطف قولَه على قولِ المؤذّن. فإذاً؛ يوجد ذِكْرٌ مشروع أثناء الأذان»[(٤)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- من لوازم الرضا بالله ربًّا تحقيق العبودية له وحده في: الأقوال، والأفعال، والمعتقدات.

---

(١) كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية، ص ٥٩.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢.

(٣) جامع العلوم والحكم، ١/ ٣٣.

(٤) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٢/ ٧٠.

٢- حقيقة دين الإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، مع الخلوص من الشرك الأكبر والأصغر، وأهله.

٣- من تمام الإيمان بالرسول محمد ﷺ هو طاعته في كل ما جاء به، وتحكيمه فيما يشجر من خلاف مع التسليم لحكمه بانشراح الصدر وطمأنينة النفس والانقياد ظاهرًا وباطنًا، قال الله تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[1].

٤- من بركة قول هذا الذكر هو مغفرة ذنوب قائله كما جاء في نهاية الحديث وهذه الذنوب يراد بها الصغائر أما الكبائر فتحتاج إلى توبة أو إقامة الحدود.

٥- الحكمة من قول هذا الدعاء أثناء الأذان: أن الأذان مشتمل على معانٍ عظام فأوله اعتراف بعظمة الله، وأنه يصغر دون جلاله كل كبير، ثم الشهادتين اللتين هما مفتاح كل خير ومغلاق كل شر، ثم الدعوة إلى الصلاة التي شرعت لذكر الله، ثم الدعوة إلى الفلاح والفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب، ثم ختمت بالتكبير وإظهار التوحيد الخالص، والله تعالى أعلم.

٢٤-(٣) «يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ إِجَابَةِ الْمُؤَذِّنِ»[2].

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٩- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما[3]، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥، وراجع تفسير السعدي، ص ٧٠.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يسأل الله له الوسيلة، برقم ٣٨٤.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

«إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»[1].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «**يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ إِجَابَةِ الْمُؤَذِّنِ**»: قال الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله: «السنة بعد أن ينتهي سامع الأذان من حكاية المؤذن أن يصلي، ويسلم على النبي ﷺ سراً، كما حكى ألفاظ المؤذن، وكذلك المؤذن حينما يفرغ من الأذان بصوته العالي الذي ينادي به الناس، يصلي على النبي ﷺ سراً ليكون ممتثلاً، وكما يقول السامع للأذان ذلك، كذلك أيضاً المؤذن»[2].

٢- قوله: «**إذا سمعتم المؤذن**»: السمع: قوة في الأذن به يدرك الأصوات، وفعله يقال له السمع أيضا[3]، والمؤذن: كل من يعلم بشيء نداءً[4].

٣-قوله: «**يقول مثل ما يقول المؤذن**»، والمثلية هنا ليست في الهيئة والكيف، ولكن في اللفظ فقط؛ لأن المؤذن يقول بصوت مرتفع ليسمع الآخرين، ولكن نحن إذا كنا في المسجد أو في الطريق أو في البيت أو في أي مكان إنما نحكي قول المؤذن لأنفسنا لا للغير؛ لأننا لا نادي أحداً يأتي إلينا[5].

٤-«**ثم صلوا عليّ**» أي: بقولكم: اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما

(١) مسلم، برقم ٣٨٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) شرح بلوغ المرام، ٩/ ٤٤، مفرغ من محاضراته في المسجد النبوي.
(٣) مفردات ألفاظ القرآن، لعبد الحميد الفراهي، ١/ ٤٩٩، مادة (سمع).
(٤) مفردات ألفاظ القرآن، لعبد الحميد الفراهي، ١/ ٢٣، مادة (أذن) ، وقد تقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٢٢.
(٥) شرح بلوغ المرام، للشيخ عطية محمد سالم، ٥/ ٤٤، وقد تقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٢٢.

صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللَّهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد[١].

٥-قوله: «**فإنه من صلّى عليَّ**»: قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو - والله أعلم - لمن صلّى عليه مُحتسباً، مخلصاً، قاضياً حقه بذلك، إجلالاً لمكانه، وحُباً فيه، لا لمن قصد بقوله ودعائه ذلك مجرد الثواب، أو رجاء الإجابة لدعائه بصلاته عليه، والحظ لنفسه، وهذا فيه عندي نظر»[٢].

٦- قوله: «**صلى الله عليه بها عشرًا**»: والصواب كما قال أبو العالية: «صَلَاةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ»[٣]، وقال العلامة السخاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثواب الصلاة على رسول الله ﷺ لمن صلَّى عليه من صلاة الله عَزَّ وَجَلَّ، وملائكته، ورسوله، وتكفير الخطايا، وتزكية قيراط مثل أحد من الأجر، والكيل بالمكيال الأوفى، وكفاية أمر الدنيا والآخرة؛ لمن جعل صلاته كلها صلاة عليه، ومحو الخطايا، وفضلها على عتق الرقاب، والنجاة بها من الأهوال وشهادة الرسول بها»[٤].

٧- قوله: «**الوسيلة**»: قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «فسَّرها في الحديث أنها منزلةٌ للنبي ﷺ فى الجنة، قال أهل اللغة: الوسيلة: المنزلة عند الملك، وهي مشتقة - والله أعلم - من القرب، توسَّل الرجلُ للرجل بكذا إذا تقَرَّب إليه، وتوسَّل إلى ربه بطاعته تقَرَّب إليه بها»[٥].

٨-قوله: «**فإنها منزلة في الجنة**»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأن الواصل إليها يكون قريباً

---

(١) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ... ﴾، برقم ٤٧٩٧، وهذه هي أفضل الصيغ وتعرف بالصلاة الإبراهيمية وهي التي تقال في النصف الثاني من التشهد الأخير وتجزئ صيغ أخرى، راجع ذلك في موطنه مثل جلاء الأفهام لابن القيم وغيره.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٢٥٣.

(٣) صحيح البخاري، قبل الحديث رقم ٤٧٩٧، وتقدم تخريجه.

(٤) القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، للإمام السخاوي، ص ١٠٩.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٢٥٢.

من الله تعالى، فائزاً بلقائه، مخصوصاً من بين سائر الدرجات بأنواع المكرمات»[١].

٩- قوله: «**أرجو أن أكون أنا هو**»: قال ذلك تواضعًا، وتذللًا لربه ﷻ، قال المناوي رحمه الله: «أي أنا ذلك العبد، وذكره على طريق الترجي، تأدباً، وتشريعاً؛ لأنه إذا كان أفضل الأنام، فلمن يكون ذلك المقام، قال الطيبي: قيل إن هو: خبر كان وضع بدل إياه، ويحتمل أن لا يكون أنا للتأكيد؛ بل مبتدأ، وهو خبر والجملة خبر أكون، ويمكن أن هذا الضمير وضع موضع اسم الإشارة: أي أن أكون أنا ذلك العبد»[٢].

١٠- قوله: «**حلت**» أي: وجبت من غير إلزام على الله ﷻ، قال ابن الأثير رحمه الله: «هِيَ بِمَعْنَى غَشِيَتْه ونَزَلت بِهِ»[٣].

١١-قوله: «**ثم سلوا الله لي الوسيلة**»: قال ابن الملقن رحمه الله: «قيل: إنها الشفاعة، وقيل: القرب من الله تعالى»[٤].وقال العيني رحمه الله: «سلوا الله لأجلي الوسيلة؛ الوسيلة: فعيلة؛ وهو في اللغة: ما يتقرب به إلى الغير؛ وجمعها: وسُل ووسائلُ؛ يقال: وَسَل فلان إلى ربّه وَسيلةً وتوسل إليه بوَسيلة إذا تقرب إليه بعملٍ»[٥].

١٢-قوله: «**لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله**»: قال العيني رحمه الله: «تَنبغي، ويَنبغى من أفعال المُطاوعة يقولُ: بغَيته فانبغى، من بغيتُ الشيء طلبتُه، ويقال: انبغى لك أن تفعل كذا، أي: طاوعك وانقادَ لك فعلُ كذا، ...لا يَنبَغي... أي: لا يحصل ولا يتأتى؛ ولا يُستعملُ فيه غيرُ هذين اللَفظين، ويُقال: معنى لا ينبغي: لا يَسهلُ ولا يكون»[٦].

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩١١.
(٢) فيض القدير، ١/ ٣٨٤.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤٣٢، مادة (حل).
(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٦/ ٣٤٠.
(٥) شرح سنن أبي داود للعيني، ٢/ ٤٨٢.
(٦) شرح سنن أبي داود للعيني، ٢/ ٤٨٢.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- استحباب الصلاة على النبي ﷺ بعد متابعة ألفاظ الأذان مع المؤذن على النحو السابق ذكره.

٢- صلاة العبد على نبيه تشريف وتعظيم لشأنه، ويدخل في ذلك نصر سنته بعد موته وإظهارها في زمن الغربة.

٣- مضاعفة الحسنات بالأعمال اليسيرة التي يصاحبها الإخلاص والمتابعة.

٤- إثبات شفاعة النبي ﷺ للخلق، والرد على من أنكرها من أهل الزيغ والأهواء والبدع.

٥-قول بعض المؤذنين أشهد أن سيدنا محمد رسول الله، وكذا قول بعضهم حي على خير العمل مرتين بعد الحيعلتين، كل هذا لا أصل له، وهو من المحدثات والبدع.

٦-صلاة الله على نبيه: هي ثناؤه ورضوانه عليه، وصلاة الملائكة على النبي ﷺ: هي دعاء له ورفع لذكره.

٧-صلاة المسلم على نبيه: اقتداءً بالله وملائكته[1]، وجزاء له على بعض حقوقه على المسلمين، وتكميلاً لإيمانهم، وزيادة في حسناتهم، وتكفيراً لسيئاتهم[2].

٨-بصلاة الله وملائكته على النبي ﷺ في الملأ الأعلى، وبصلاة أهل التوفيق من المسلمين والمؤمنين في الأرض يجتمع للنبي ﷺ الثناء عليه في العالَمَيْن: السفلي والعلوي، وقال العلامة السخاوي رحمه الله: «فيظهر أن المراد به الملأ الأعلى، وهم الملائكة؛ لأنهم يسكنون السموات، والجن هو الملأ الأسفل؛ لأنهم سكان الأرض، وأما المصطفين... فهم المختارون من أبناء جنسهم، فعلى هذا هم من الرسل أربعة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى،

(١) إشارة إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ الأحزاب: ٥٦.
(٢) انظر: تفسير السعدي، ص ٦٧١.

أولوا العزم، وهو أعني محمداً ﷺ سيدهم ومن الملائكة جماعة كثيرون كحملة العرش، وجبرئيل، وميكائيل، ومن شهد بدراً وغيرهم.

وقيل: المصطفون هم الذين اتخذهم صفوة، فصفّاهم من الأدناس، وقيل: هم الذين وحّدوه، وآمنوا به، قاله ابن عباس، وقيل: هم أصحابه، وقيل: هم أمته، أما المقربون فالمراد بهم: الملائكة، واختلف فيهم، فعن ابن عباس هم حملة العرش... وقيل: هم السابقون إلى الإسلام، وعن مقاتل: السابقون هم من سبق إلى الأنبياء بالإيمان، وقيل: هم الصديقون، والله أعلم»[١]، والسابقون من أمة النبي ﷺ هم الذين قاموا بالواجبات، وابتعدوا عن المحرمات، وعملوا المستحبات، وتركوا المكروهات[٢].

***

٢٥-[٤] يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ، [إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ]»[٣].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٠-عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ[٤]: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ

---

(١) القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، ص ١٠٤.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، على قوله ﷻ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾.

(٣) البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، برقم ٦١٤، وما بين المعقوفين للبيهقي، ١/٤١٠، وحسَّن إسناده العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، في تحفة الأخيار؛ لأنها زيادة ثقة، ص٣٨، وهو في الدعوات الكبير للبيهقي أيضاً، ١/ ١٠٨، برقم ٤٩.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧٢ من أحاديث الشرح.

يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ» هذا لفظ البخاري[1].

١٠١-ولفظ البيهقي: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ، إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي»[2].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ رَبَّ»: الرب هنا بمعنى صاحب الدعوة التي شرعها؛ لأنها لو جاءت بمعنى خالق أشكل علينا؛ لأن هذه الدعوة فيها أسماء الله، وهي غير مخلوقة؛ لأنها من الكلام الذي أخبر به عن نفسه وكلامه غير مخلوق[3].

٢-قوله: «هذه الدعوة»: هي دعوة التوحيد، وقيل: إنها كلمات الأذان، قال ابن الملقن رحمه الله: «والمراد بالدعوة التامة: دعوة الأذان؛ سميت بذلك؛ لكمالها وعظم موقعها، فلا نقص فيها ولا عيب؛ لانتفاء الشركة فيه»[4].

٣- قوله: «التامة»: لأن فيها أتم القول وهي الشهادتان وتعظيم الله والدعوة إلى الخير، قال الطيبي رحمه الله: «إنما وصف الدعوة بالتمام؛ لأنها ذكر الله عز وجل يدعى بها إلى عبادته، وهذه الأشياء وما والاها هي التي تستحق صفة الكمال والتمام، وما سوى ذلك من أمور الدنيا يعرض النقص والفساد، ويحتمل أنها وصفت

---

(١) البخاري، برقم ٦١٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) الدعوات الكبير للبيهقي، برقم ٤٩، وحسن إسناده العلامة ابن باز في تحفة الأخيار، ص ٣٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٢/ ٨٧.
(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٦/ ٣٣٩.

بالتمام؛ لكونها محمية عن النسخ والإبدال، باقية إلي يوم التناد»[١].

٤- قوله: «**والصلاة القائمة**» أي: التي ستقام فهي قائمة باعتبار ما سيكون وقيل أي الدائمة التي لا تتغير ولا تنسخ، قال ابن الملقن رحمه الله: «أي: التي تقوم، أي: تقام وتفعل بصفاتها، وقيل: إنها الدعاء بالنداء؛ لأن الدعاء يُسمى صلاة»[٢].

٥- قوله: «**آت**» أي: أعط فضلًا منك ونعمة، قال العيني رحمه الله: «آتِ: -بفتح الهمزة- أمرٌ من آتى يؤتي إيتاء، كأعطى يعطي إعطاء؛ وأصله: «أت»؛ لأنه من تُوأتي بهمزتين، فحذفت حرف الخطاب علامة للأمر، وحذفَت الياء علامة للجزم»[٣].

٦-قوله: «**محمداً**»: قال العيني رحمه الله: «اسم مأخوذ من الحمد، يقال: حمدت الرجل فأنا أحمده إذا أثنيت عليه بجلائل خصاله، وأحمدته، وحمدته محموداً، ويقال: رجل محمود، فإذا بلغ النهاية في ذلك وتكامل فيه المناقب والمحاسن فهو محمد، وهذا البناء أبداً يدل على الكثرة، وبلوغ النهاية»[٤]، وقال الطيبي رحمه الله: «طلب ﷺ من أمته الدعاء له بطلب الوسيلة افتقاراً إلى الله، وهضماً لنفسه؛ أو لتنفع أمته، وتثاب به، أو يكون إرشاداً لهم في أن يطلب كل منهم من صاحبه الدعاء له»[٥].

٧-قوله: «**الوسيلة**»: هي أعلى منزلة في الجنة، أعطاها الله لنبيه محمد ﷺ، قال ابن الملقن رحمه الله: «والوسيلة: القربة... منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله...وقيل: إنها الشفاعة، وقيل: القرب من الله تعالى»[٦].

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩١٣.
(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٦/ ٣٣٩.
(٣) شرح أبي داود للعيني، ٢/ ٤٩٢.
(٤) شرح سنن أبي داود للعيني، ١/ ٣٩٤، وتقدم مستوفي في شرح المفردة رقم ٤ من حديث المتن رقم ١٣.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١١/ ٣٦٥٠.
(٦) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٦/ ٣٤٠.

٨-قوله: «**والفضيلة**» أي: المرتبة الزائدة على سائر الخلائق، ويحتمل أن تكون تفسير للوسيلة[١].

٩-قوله: «**وابعثه**»: قال القاري رحمه الله: «وابعثه: أي: أرسله، وأوصله مقاماً محموداً، أي مقام الشفاعة الذي وعدته»[٢].

١٠- قوله: «**مقامًا محمودًا الذي وعدته**»: فسره النبي ﷺ بقوله: «**هي الشفاعة**»[٣]، وإنما وصف بأنه محمود؛ لأن القائم فيه يحمده الأولون والآخرون، وإنما نكر للتفخيم وهذا إشارة إلى قوله: ﴿**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾[٤]، وقال العيني رحمه الله: «يعني: المقام المحمود الذي يحمدُه القائم فيه، وكل من رآه وعرفه؛ وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات، وقيل: المرادُ: الشفاعة؛ وهي نوعٌ مما يتناوله... مقاماً يحمدك فيه الأولون والآخرون، وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتُعطَى، وتشفَعُ فتُشَفَّعُ، ليس أحد إلا تحت لوائك»[٥].

١١- قوله: «**إنك لا تخلف الميعاد**»: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «فهو جل وعلا لا يخلف الميعاد؛ لكمال صدقه، وكمال قدرته جل وعلا، وإخلاف الوعد إما أن يكون عن كذب من الوعد، وإما أن يكون عن عجز منه، والله جل وعلا أصدق القائلين، وأقدر القادرين، فهو سبحانه وتعالى وعد نبيه في قوله: ﴿**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾، وهو جل وعلا صادق في وعده، قادر على تنفيذه»[٦].

---

(١) فتح الباري، ٢/ ١١٩.
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/ ١١٣.
(٣) انظر: سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل، برقم ٣١٣٧، وابن جرير في التفسير موقوفاً على سلمان، ١٧/ ٥٢٨، وحسنه الزيلعي في تخريج الكشاف، ٢/ ٢٨٥، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: «قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا» برقم ٢٦٣٩، و٢٣٧٠.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.
(٥) شرح أبي داود للعيني، ٢/ ٤٩٣.
(٦) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٠٤١.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- استحباب الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان وسؤال الله له الوسيلة لما في ذلك من الأجر العظيم، وهو حلول شفاعة النبي ﷺ له، وذلك ثابت بالوعد الصادق.

٢- رسولنا الكريم مع كونه سيد ولد آدم ولا فخر إلا أنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا ولذلك حثنا بالدعاء له، فهو لا يُدعى مع الله ﷻ.

٣- قولنا بعد الأذان: «**آت محمدًا**» وليس آت رسول الله لا يعارض قول الله: ﴿**لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا**﴾ لأن ذلك من باب الإخبار، أما مفهوم الآية فهو على قولين:

أ – لا تنادوه باسمه كما ينادي بعضكم بعضًا.

ب – أنه إذ دعاكم يجب إجابته ولا خيار لكم في ذلك[١].

٤-معنى: «**اللَّهم ربَّ**» الرب هنا بمعنى صاحب الدعوة التي شرعها؛ لأنها لو جاءت بمعنى خالق أشكل علينا؛ لأن هذه الدعوة فيها أسماء الله وهي غير مخلوقة؛ لأنها من الكلام الذي أخبر به عن نفسه وكلامه غير مخلوق[٢].

٥-شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة لا تكون إلا بإذن الله لقوله ﷻ: ﴿**وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**﴾[٣].

٦-من أنواع الشفاعات للنبي:

أ – الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود، وهي خاصة بالنبي ﷺ، لا يشاركه فيها أحد، وتقدمت أدلتها.

---

(١) انظر: الشرح الممتع لابن عثيمين، ٢/ ٩١.
(٢) انظر: المصدر السابق.
(٣) سورة سبأ، الآية: ٢٣.

ب- الشفاعة في استفتاح باب الجنة فيكون هو أول من يدخلها[١]، وهذه الشفاعة خاصة به ﷺ.

ج – شفاعته في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب[٢]، وهذه خاصة به ﷺ.

وهذه الثلاث الشفاعات السابقة خاصة بالنبي ﷺ، وأما الشفاعات الآتية، فيشاركه فيها غيره ﷺ.

د - شفاعته في رفع درجات أقوام من أمته[٣].

هـ – شفاعته للعصاة من أهل التوحيد من أمته ولا يكون ذلك دفعة واحدة[٤]، بل أربع مرات، ويشاركه في الشفاعة العامة: الأنبياء، والملائكة، والصالحون، والأفراط وغيرهم.

٧–قول بعضهم في هذا الدعاء آت سيدنا محمدًا وقولهم بعد آت محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة أو العالية الرفيعة لم يثبت فيه شيء عن النبي ﷺ[٥].

* * *

٢٦-(٥) «يَدْعُو لِنَفسِهِ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ فَإِنَّ الدُّعَاءَ حِينَئِذٍ لاَ يُرَدُّ»[٦].

---

(١) انظر كتاب ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة للحكمي – أبواب الشفاعة وكلها في الصحيحين.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.
(٥) انظر إرواء الغليل للألباني، ١/ ٢٦١.
(٦) الترمذي، كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية، برقم ٣٥٩٤، ورقم ٣٥٩٥، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب باب ما جاء في الدعاء بين الأذان والإقامة، برقم ٥٢١، وأحمد، ١٩/ ٢٣٤، برقم ١٢٢٠٠، وصححه الألباني في: إرواء الغليل، ٢٦٢/١، وصحيح الترمذي، برقم ٢١٢، و٢٨٤٣ .

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٢-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁[١]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الدُّعَاءُ لاَ يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ**»، هذا لفظ الترمذي، والإمام أحمد[٢].

١٠٣-وفي لفظ آخر للترمذي: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الدُّعَاءُ لاَ يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ**»، قَالُوا: فَمَاذَا نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**سَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**يدعو لنفسه**»: قال العلامة ابن القيم ﵀: « يَدْعُوَ لِنَفْسِهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَيَسْأَلَ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهُ يُسْتَجَابُ لَهُ»[٤].

٢-قوله: «**بين الأذان والإقامة**»: قال العيني ﵀: «الأذان إعلام الغائبين؛ ولهذا لا يكون إلا على المواضع العالية، كالمنائر ونحوها، والإقامة إعلام الحاضرين من الجماعة للصلاة»[٥].

٣-قوله: «**الدعاء**» أي: مطلق الدعاء، ما لم يكن فيه إثم، ولا تعدٍ، ولا قطيعة رحم، قال الفيومي ﵀: «دَعَوْتُ اللَّهَ أَدْعُوهُ دُعَاءً: ابْتَهَلْتُ إِلَيْهِ بِالسُّؤَالِ، وَرَغِبْتُ فِيمَا عِنْدَهُ مِنْ الْخَيْرِ... وَدَعَا الْمُؤَذِّنُ النَّاسَ إلَى الصَّلَاةِ، فَهُوَ دَاعِي اللَّهِ... وَالنَّبِيُّ

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٢) الترمذي، برقم ٣٥٩٤، واحمد، برقم ١٢٢٠٠، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢١٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) الترمذي، برقم ٣٥٩٣، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٨٤٣ وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢/ ٣٥٨.

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٨/ ٧٠.

دَاعِي الْخَلْقِ إِلَى التَّوْحِيدِ»[١].

٤-قوله: «**لا يرد**» أي: إذا تحققت فيه أسباب الإجابة وانتفت الموانع، قال الطيبي رحمه الله: «لا يرد بينهما لشرف ذلك الوقت، وإذا كان الوقت أشرف كان ثواب العبادة فيه أكثر»[٢].

٥-قوله: «**سَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»: قال النووي رحمه الله: «الْأَمْرِ بِسُؤَالِ الْعَافِيَةِ، وَهِيَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْعَامَّةِ الْمُتَنَاوِلَةِ لِدَفْعِ جَمِيعِ الْمَكْرُوهَاتِ: فِي الْبَدَنِ، وَالْبَاطِنِ فِي الدِّينِ، وَالدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ الْعَامَّةَ لِي، وَلِأَحِبَّائِي، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- أهمية الدعاء، وأنه من أفضل العبادات؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»[٤].

٢- استحباب الصلاة على النبي ﷺ قبل الدعاء لقوله: «**كل دعاء محجوب حتى يُصلَّى على النبي**»[٥].

٣- على المسلم أن يتحرى أوقات الإجابة ومنها بين الأذان والإقامة.

٤- التبكير إلى المسجد لصلاة الجماعة، حتى يتسنى له الدعاء بخشوع وتضرع وتذلل؛ لأن الدعاء بمنزلة السلاح بيد صاحبه. والسلاح بضاربه.

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ١٩٤، مادة (دعو).

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ٩١٥)

(٣) شرح النووي على صحيح سلم، ١٢/ ٤٦.

(٤) الترمذي، كتاب الدعوات، باب فضل الدعاء، برقم ٣٣٧٢، وصححه الألباني، أما حديث «الدعاء مخ العبادة» فهو حديث ضعيف وانظر المشكاة (٢٢٣١).

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط، ١/٢٢٠، برقم ٧٢١، موقوفاً ، والبيهقي في شعب الإيمان، ٢/٢١٦، برقم ١٥٧٥ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/١٦٠: «رجاله ثقات» وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/ ٣٤، برقم ٢٠٣٥: «وخلاصة القول: إن الحديث بمجموع هذه الطرق، والشواهد لا ينزل عن مرتبة الحسن».

٥- من أوقات الإجابة التي غفل عنها كثير من الناس غير ما مضى:

١ – الثلث الأخير من الليل[١].

٢ – الساعة التي في يوم الجمعة[٢].

٣ – الدعاء في السجود[٣].

٤ – عند الخروج للجهاد في سبيل الله واشتداد البأس[٤].

٦- شروط إجابة الدعاء:

١ – الإخلاص: لقوله: ﴿**فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[٥].

٢ – أن يكون الدعاء لا عدوان فيه. لقوله: ﴿**ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾[٦].

٣ – أن تدعو وأنت موقن بالإجابة وليس على سبيل التجربة لقول النبي ﷺ: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**»[٧].

٤ – اجتناب الحرام لقول النبي ﷺ: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا...**»[٨].

٥ – ألا يستعجل في الإجابة، ولا ييأس من ذلك؛ لقول النبي ﷺ:

---

(١) البخاري، أبواب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، برقم ١١٤٥.

(٢) البخاري، كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة، برقم ٩٣٥.

(٣) مسلم، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، برقم ٤٧٩.

(٤) أخرجه ابن حبان، ٥/٥، برقم ١٧٢٠، والطبراني في الكبير، ١٥٩/٦، برقم ٥٨٤٧، وابن أبي شيبة، ٣٠/٦، برقم ٢٩٢٤٢، وعبد الرزاق، ٤٩٥/١، برقم ١٩١٠، والبيهقي، ٤١١/١، برقم ٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٥٨٧.

(٥) سورة غافر، الآية: ١٤.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٥٥.

(٧) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا عبد الله بن معاوية، برقم ٣٤٧٩، والحاكم، ٦٧٠/١، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٢٤٥.

(٨) مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، برقم ١٠١٥.

«يستجاب لأحدكم ما لم يعجل»[١].

٧- الدعاء على قسمين:

أ – دعاء عبادة: وهي طلب رضا الله في فعله من الطاعات: كالصلاة والصيام والحج، وغير ذلك من العبادات؛ لأنه لم يعمل هذه الطاعات إلا طلباً للثواب من الله تعالى.

ب – دعاء مسألة: وهو سؤال العبد لربه أمورًا يسعى إليها كالرزق والمغفرة والرحمة، وغير ذلك.

٨- الدعاء في القرآن يأتي على معانٍ[٢]:

١ – التوحيد لقوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[٣].

٢ – العبادة لقوله: ﴿وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ﴾[٤].

٣ – الاستغاثة لقوله: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[٥].

٤ – السؤال والطلب لقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٦].

٥ – النداء لقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾[٧].

٦ – الثناء لقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[٨].

٧ – القول لقوله: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ...﴾[٩].

---

(١) مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ يُسْتَجَابُ لِلدَّاعِي مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي، برقم ٢٧٣٤.

(٢) انظر بهجة الناظرين في شرح رياض الصالحين للهلالي، ٢/ ٤٨٢.

(٣) سورة الجن، الآية: ١٨.

(٤) سورة يونس، الآية: ١٠٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٣.

(٦) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٧) سورة الإسراء، الآية: ٥٢.

(٨) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

(٩) سورة يونس، الآية: ١٠.

١٦- دُعَاءُ الاسْتِفْتَاحِ

٢٧-(١) «اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ، بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرَدِ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٤-عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٢]، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ الْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً - قَالَ أَحْسِبُهُ قَالَ: هُنَيَّةً - فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، إِسْكَاتُكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: «**أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ**» هذا لفظ البخاري[٣].

١٠٥-ولفظ مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا كَبَّرَ فِي الصَّلَاةِ، سَكَتَ هُنَيَّةً قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ، مَا تَقُولُ؟ قَالَ: «**أَقُولُ: اللهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرَدِ**»[٤].

---

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب ما يقول بعد التكبير، برقم ٧٤٤، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، برقم ٥٩٨.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٧٤٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ٥٩٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**إِسكاتَةً**»: - بِكَسر أَوَّله - بِوزن إِفعالَة: مِنَ السُّكُوتِ، وهُو مِنَ المَصادِرِ الشّاذَّةِ، نَحو: أُثبِتُهُ إِثباتَة، قالَ الخَطّابِيّ: مَعناهُ: سُكُوت يَقتَضِي بَعدَهُ كَلامًا مَعَ قِصرِ المُدَّةِ فِيهِ، وسِياق الحَدِيثِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَرادَ السُّكُوت عَن الجَهرِ، لا عَن مُطلَقِ القَولِ، أَو السُّكُوتَ عَن القِراءَةِ لا عَن الذِّكر[(١)].

٢-قوله: «**هُنَيَّة**» - بِتَشْدِيدِ الْيَاء غَيْر مَهْمُوز -: وَفِي بَعْض الروايات: (**هُنَيْهَة**) - بِتَخْفِيف الْيَاء، وَزِيَادَة هَاء -: أَيْ شَيْئًا يَسِيرًا[(٢)].

٣-قوله: «**اللهم باعد**»: والمراد بالمباعدة محو ما مضى من الذنوب السابقة، وعدم الوقوع في ذنوب لاحقة، قال ابن منظور رحمه الله: «اللهم: بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، وَالْمِيمُ الْمُشَدَّدَةُ عِوَضٌ مِنْ يَا ... »[(٣)].

٤-قوله: «**بيني وبين خطاياي**»: جمع خطيئة، وهو الذنب وهو ما له تبعة دنياوية، أو أخراوية[(٤)]. قال الصنعاني رحمه الله: «أي باعد بيني وبين جزائها، ويحتمل حل بيني وبين مواقعة الذنوب بألطافك، حتى لا أقربها»[(٥)].

٥-قوله: «**كما باعدت بين المشرق والمغرب**» أي: باعد بيني وبين الذنوب ما أحييتني، وإنما عبر بذلك لاستحالة التقاء المشرق والمغرب، قال الصنعاني رحمه الله: «أي: لا يبقى لها اتصال بي كما لا يتصل المشرق بالمغرب»[(٦)].

٦-قوله: «**اللهم نقني**»: هو مجاز عن زوال الذنوب ومحو آثارها، قال

---

(١) فتح الباري، ٢/ ٢٢٩.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٠/ ١٢٥.

(٣) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ١.

(٤) انظر: العلم الهيب، ص ٢٥٨.

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٣/ ١٣٦.

(٦) التنوير شرح الجامع الصغير، ٣/ ١٣٦.

ابن الأثير رحمه الله: «التَّنْقِية: وهو إفراد الجَيّد من الرَّديء»[١].

٧-قوله: «**من خطاياي**»: قال الطيبي رحمه الله: «الخطايا: الصغائر»[٢]، وقال العيني رحمه الله: «قوله: خطاياي جمع خطيئة، وأصل خطاياي خطائتي على وزن فعائل»[٣].

٨- قوله: «**الثوب الأبيض**»: إنما خص النبي ﷺ الثوب الأبيض؛ لأنه يظهر فيه من الدنس ما لا يظهر في غيره، قال ابن الأثير رحمه الله: «إشباع في بيان التطهير، وتأكيد له»[٤]؛ لأن التنقية هي تنظيف الإنسان من ذنوبه وخطاياه، كما يُفعل ذلك بالثوب الذي دنسته الأدناس، والأقذار، وإذا كان الثوب بلون أبيض فتظهر فيه الأقذار أوضح ما يكون، خلاف غيره من الألوان، فـ«التَّنْقِية: وهو إفراد الجَيّد من الرَّديء»[٥].

٩-قوله: «**الدنس**»: - بفتح الدال والنون -: والمراد به الأدران، والأوساخ فـ«الدَّنَس فِي الثِّيَابِ: لَطْخُ الْوَسَخِ وَنَحْوِهِ، حَتَّى فِي الأَخلاق، ...ودَنَّس الرجلُ عِرْضَه إذا فَعَلَ ما يَشِينُه»[٦].

١٠-قوله: «**اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبَرَد**»: البرد: هو حَبّ الغمام[٧]، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «جَعَلَ الخَطايا بِمَنزِلَةِ النّار لِكَونِها تُؤَدِّي إِلَيها، فَعَبَّرَ عَن إِطفاء حَرارَتها بِالغَسلِ تَأكِيدًا فِي إِطفائِها، وبالَغَ فِيهِ بِاستِعمالِ المُبَرِّدات تَرَقِّيًا عَن الماء إِلَى أَبرَد مِنهُ، وهُو الثَّلج، ثُمَّ إِلَى أَبرَد مِنهُ، وهُو البَرَد، بِدَلِيلِ أَنَّهُ قَد يَجمُد ويَصِير جَلِيدًا، بِخِلافِ الثَّلج فَإِنَّهُ يَذُوب»[٨].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ١١٠، مادة (نقي).
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١١٢٠.
(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣٣/ ١٢٣.
(٤) جامع الأصول، ٤/ ٣٤٥.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ١١٠، مادة (نقي).
(٦) لسان العرب، ٦ / ٨٨، مادة (دنس).
(٧) مختار الصحاح، ص ١٩، مادة (برد).
(٨) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٧٨.

ثالثا: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية قول هذا الدعاء وغيره من أدعية الاستفتاح الثابتة عن النبي ﷺ في صلاة الفريضة والنافلة على حد سواء.

٢-حرص الصحابة ﷺ على تتبع أحوال النبي ﷺ ونشرها؛ ليحققوا بذلك حسن الاقتداء به في كل الأمور.

٣-ذكر الماء والثلج والبرد: هو لطلب المبالغة في التطهر من الذنوب، والمعنى: كما جعلتها سببًا لحصول الطهارة فاجعلها سببًا لحصول المغفرة.

٤- قال بعض السلف – رحمهم الله تعالى -: لما كانت الذنوب لها حرارة ووهج وهي سبب لحرارة العذاب ناسب أن تغسل بما يبردها ويطفي حرارتها وهو الثلج والماء والبرد.

٥- الثوب الذي يتكرر غسله بثلاثة أشياء منقية يكون في غاية النظافة وهكذا كتكرار طلب المغفرة بقولنا: ﴿**وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا**﴾[١].

٦- قال الكرماني فيما نقله الحافظ في الفتح[٢]: يحتمل أن يكون في الدعوات الثلاث إشارة إلى الأزمنة الثلاث. فالمباعدة للمستقبل، والتنقية للحال، والغسل للماضي، والله تعالى أعلم.

٧- لا يستفتح بأي نوع من الاستفتاحات في صلاة الجنازة؛ لأنها مبنية على التخفيف فلا ركوع فيها ولا سجود ولا تشهد[٣].

***

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٢) فتح الباري، ٢/ ٢٨٦.
(٣) انظر: الشرح الممتع للشيخ/ ابن عثيمين، ٣/ ٥٣.

٢٨-[٢] «سُبْحانَكَ اللَّهُـمَّ وَبِحَمْـدِكَ، وَتَبـارَكَ اسْـمُكَ، وَتَعـالَى جَدُّكَ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ»[١].

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٦-عَـنْ عُمَـرَ بْـنِ الْخَطَّـابِ رضي الله عنه[٢]، كَـانَ يَجْهَـرُ بِهَـؤُلاَءِ الْكَلِمَـاتِ يَقُـولُ: «سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، تَبارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»[٣].

١٠٧-وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه[٤]، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ، ثُمَّ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرَكَ» ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ثَلَاثًا، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا» ثَلَاثًا، «أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ» ثم يقرأ، هذا لفظ أبي داود[٥].

١٠٨-وفي لفظ أبي داود: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها[٦]، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ، قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرَكَ»[٧].

---

(١) مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة، برقم ٥٢- (٣٩٩)، وأصحاب السنن الأربعة: أبو داود، كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك الله وبحمدك، برقم ٧٧٥، واللفظ له، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة، برقم، ٢٤٢ و٢٤٣، وابن ماجه، كتاب لصلاة، باب افتتاح الصلاة، برقم ٨٠٦، والنسائي، كتاب الافتتاح، باب نوع آخر من الذكر بين افتتاح الصلاة وبين القراءة، برقم ٨٩٩، وصححه الألباني في صحيح الترمذي،١/ ١٤٩، وفي صحيح ابن ماجه، ١/ ١٣٥.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٦١ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٥٢- (٣٩٩)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن..

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

(٥) أبو داود، برقم ٧٧٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/ ١٤٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) تقدمت ترجمتها في الحديث ٥٣ من أحاديث الشرح.

(٧) أبو داود، كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك، برقم، ٧٧٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٧٠٢.

١٠٩-ولفظ الترمذي: عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا افْتَتَحَ الصَّلاَةَ قَالَ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ**»(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**سبحانك اللَّهم**»: أي أنزهك يا الله عن الندّ، والشّبيه، والنظير، فأنت منزه عن كل عيب سالم من كل نقص، مستحق لكل ثناء وحمد، فقوله: «**سبحانك**»: قال الإمام الطبري ﵀: «تنزيهاً لك يا رب، مما أضاف إليك أهل الشرك بك، من الكذب عليك والفِرْية... وإبراء الله عن السوء، وهي كلمة رضيها الله لنفسه، وهي تنزيهه من كل سوء»(٢).

٢-قوله: «**وبحمدك**»: الواو للعطف، والمعنى أن هذا التسبيح الذي أسبحك به هو محض جود منك، وتوفيق لي بفعله، قال القاضي عياض ﵀: «أي: بحمدك سبحتك، ومعنى هذا: أي: بفضلك، وهدايتك لذلك التي توجب حمدك سبحتُك، واستعملتني لذلك، لا بحولي وقوتي»(٣).

٣-قوله: «**وتبارك اسمك**»: أي كثرت بركته في السموات والأرض؛ فبه تجلب النعم وترفع النقم، فـ«يراد به أن البركة في اسمك وفيما سمي عليه يدل على أن ذلك صفة لمن تبارك فإن بركة الاسم تابعة لبركة المسمى ولهذا كان قوله تعالى: ﴿**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**﴾(٤) دليلاً على أن الأمر بتسبيح الرب بطريق الأولى فإن تنزيه الاسم من توابع تنزيه المسمى»(٥).

٤-قوله: «**وتعالى جدك**»: جدُّ الله هو عظمته ﷻ أي: تعالت عظمته فوق

---

(١) الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة، برقم ٢٤٣، وصححه الألباني في صحيح الترمذي،١/ ١٤٩.
(٢) انظر: تفسير الطبري، ١٥/ ٣٠، وتقدم شرحها مستوفى في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٥.
(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٣٩٩.
(٤) سورة الحاقة، الآية: ٥٢.
(٥) جلاء الأفهام، للإمام ابن القيم، ص ٣٠٧.

كل عظمة، وتقدست أسماؤه من اتخاذ الصاحبة أو الولد. وهذا كقول مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾(١)، قال ابن قتيبة رحمه الله: «أي عظَمَتُك على كلِّ شيء والجدُّ العظمَة يقال جدَّ فلان في الناس أي عظُمَ في عيونهم وجلَّ في صُدورهم»(٢).

٥-قوله: «**ولا إله غيرك**»: أي: لا معبود بحق إلا أنت. قال الطيبي رحمه الله: «إثبات للإلهية المطلقة لله تعالى على سبيل الحصر، بعد إثبات الملك له»(٣).

٦- قوله: «**إذا قام من الليل كبر**»: كانَ يَقُولهُ أَوَّل ما يَقُوم إِلَى الصَّلاة ، وتَرجَمَ عَلَيهِ ابن خُزَيمَةَ: الدَّلِيل عَلَى أَنَّ النَّبِيّ ﷺ كانَ يَقُول هَذا التَّحمِيد بَعد أَن يُكَبِّر...، عَن طاوُوسٍ عَن ابن عَبّاس رضي الله عنهما قالَ: «كانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إِذا قامَ لِلتَّهَجُّدِ قالَ بَعد ما يُكَبِّرُ....(٤).

ثالثا: ما يستفاد من الحديث:

١-ما كان عليه النبي ﷺ من تمام تحقيق العبودية، والثناء على ربه بما يليق به.

٢-تَضمَّن هذا الدعاء أنواع التوحيد الثلاثة وهي:

توحيد الربوبية – وتوحيد الألوهية – وتوحيد الأسماء والصفات.

٣-دحض وإبطال من دعا غير الله؛ سواء كان المدعو نبيًا مرسلًا، أو ملكًا مقربًا، أو عبدًا صالحًا على زعمهم، قال الله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾(٥).

---

(١) سورة الجن، الآية: ٣.

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة، ص ١٧٠.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠.

(٤) فتح الباري، ٣/ ٣.

(٥) سورة الحج، الآية: ٦٢.

٤-قال ابن القيم رحمه الله[1]: «صَحَّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَسْتَفْتِحُ بِهِ فِي مَقَامِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَجْهَرُ بِهِ وَيُعَلِّمُهُ النَّاسَ»، فهو في حكم المرفوع[2].

٥-قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الاستفتاحات الثابتة كلها سائغة باتفاق المسلمين، ولم يكن النبي ﷺ يداوم على استفتاح واحد قطعًا، والأفضل أن يأتي بالعبارات المتنوعة على وجوه متنوعة، كل نوع منها على حدته، ولا يستحب الجمع بينها[3].

٦-لا يجمع بين هذه الأنواع جميعاً؛ لأن النبي ﷺ أجاب أبا هريرة حين سأله بأنه يقول: «**اللَّهم باعد بيني وبين خطاياي...**» ولم يذكر: «**سبحانك اللَّهم وبحمدك**» فدل على أنه لا يجمع بينها[4].

***

٢٩-(٣) «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفَاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلاَتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ المَلِكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعَاً إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الأَخْلاقِ لاَ يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ، لَبَّيْكَ

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ١/ ١٩٨.
(٢) أخرجه ابن خزيمة، ١/ ٢٤٠، برقم ٤٧١، وصححه، والطحاوي في شرح معاني الآثار، ١/ ١٩٨، والحاكم، ١/ ٢٣٥، وغيرهم، وبنحوه مسلم، برقم ٣٩٩، وصححه الألباني في الإرواء (٣٤٠).
(٣) انظر فتاوى شيخ الإسلام، ٢٢/ ٣٤٣.
(٤) الشرح الممتع لابن عثيمين، ٣/ ٥٢.

وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبارَكْتَ وَتَعالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١١٠-عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ(٢)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» وَإِذَا رَكَعَ، قَالَ: «اللهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي» وَإِذَا رَفَعَ، قَالَ: «اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ» وَإِذَا سَجَدَ، قَالَ: «اللهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٧١.
(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥، من أحاديث الشرح.
(٣) أخرجه مسلم، برقم ٢٠١- (٧٧١)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

١١١-وفي لفظ آخر لمسلم: عن علي ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ كَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «**وَجَّهْتُ وَجْهِي**» وَقَالَ: «**وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**» وَقَالَ: وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، قَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**» وَقَالَ: «**وَصَوَّرَهُ فَأَحْسَنَ صُورَهُ**» وَقَالَ: وَإِذَا سَلَّمَ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ**» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَلَمْ يَقُلْ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ[١].

ثانيًا: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**وجهت وجهي**»: أي أخلصت ديني، وعملي، وقصدي لله وحده، قال القرطبي رحمه الله: «أي: صوَّبت وجهي، وأخلصت في عبادتي»[٢]، وقال الرافعي رحمه الله: «وجهت وجهي: أي: قصدت بعبادتي وتوحيدي، قال تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ**﴾[٣] أي: قصدك، ويقال: وجهي إليه أي: قصدي إليه»[٤].

٢-قوله: «**للذي فطر السموات والأرض**»: أي خلقهن، والمراد بذلك أنه خلق العالم كله[٥]، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «أَيْ: خَلَقَهُمَا وَابْتَدَعَهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ»[٦].

٣-قوله: «**حنيفًا**»: أصل الحنف الميل، والمراد هنا مائلًا إلى الدين الحق، وهو الإسلام، والحنيف عند العرب هو من كان على دين إبراهيم عليه السلام، قال ابن كثير رحمه الله: «حَنِيفًا: أَيْ: فِي حَالِ كَوْنِي حَنِيفًا، أَيْ: مَائِلًا عَنِ الشِّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ»[٧].

٤-قوله: «**وما أنا من المشركين**»: هذا إيضاح لمعنى الحنيف، وهذه

---

(١) أخرجه مسلم، برقم ٢٠٢- (٧٧١)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) المفهم ، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٤.
(٣) سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٤) شرح مسند الشافعي، ١/ ٣١٤.
(٥) انظر: أيسر التفاسير مع نهر الخير للجزائري، ص ١٤٥٢.
(٦) تفسير ابن كثير، ٣/ ٢٩١.
(٧) تفسير ابن كثير، ٣/ ٢٩١.

الكلمة أي: كلمة المشرك تطلق على كل كافر من عابد وثن، وصنم، ويهودي، ونصراني، ومجوسي، ومرتد، وزنديق، وغيرهم[(١)].

٥-قوله: «**إن صلاتي ونسكي**»: صلاتي: أي عبادتي: الفريضة، والنافلة، ويدخل في ذلك الدعاء: دعاء العبادة، ودعاء المسألة، قوله: «**ونسكي**»: ذبحي، وقيل مناسك الحج، ويطلق النسك على الذبح، وعلى مناسك الحج، على حسب ورود الكلام المراد، قال ابن كثير رحمه الله: «أَمَرَهُ تَعَالَى أَنْ يُخْبِرَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ، وَيَذْبَحُونَ لِغَيْرِ اسْمِهِ، أَنَّهُ مُخَالِفٌ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ صَلَاتَهُ لِلَّهِ، وَنُسُكَهُ عَلَى اسْمِهِ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[(٢)] أَيْ: أَخْلِصْ لَهُ صَلَاتَكَ، وَذَبِيحَتَكَ، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، وَيَذْبَحُونَ لَهَا، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تعالى بِمُخَالَفَتِهِمْ، وَالِانْحِرَافِ عَمَّا هُمْ فِيهِ، وَالْإِقْبَالِ بِالْقَصْدِ، وَالنِّيَّةِ، وَالْعَزْمِ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى»[(٣)].

٦-قوله: «**ومحياي ومماتي**»: أي وما آتيه في حياتي، وأموت عليه من الإيمان، والعمل الصالح، قال الألوسي رحمه الله: «مَحْيايَ وَمَماتِي: أي: ما يقارن حياتي وموتي من الإيمان، والعمل الصالح، وقيل: يحتمل أن يكون المراد بالمحيا والممات ظاهر، والأول هو المناسب؛ لقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ إذ المراد به الخلوص بحسب الظاهر، وقيل: المراد به نظراً لهذا الاحتمال أن ذلك له تعالى ملكاً، وقدرة، لا شَرِيكَ لَهُ، أي: في عبادتي، أو فيها، وفي الإحياء، والإماتة»[(٤)].

٧-قوله: «**لله رب العالمين**»: أي أن هذه الأعمال خالصة لرب العوالم

(١) انظر شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٣٠٠.
(٢) سورة الكوثر، الآية: ٢.
(٣) تفسير ابن كثير، ٣/ ٣٨١.
(٤) تفسير الألوسي: روح المعاني، ٤/ ٣١٢.

كلها، ومدبر شأنها، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والعالمين: الخلق، وأصله من العلم، وقيل: من العلامة»(١)، وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «على انفراده بالخلق، والتدبير، والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار»(٢).

٨-قوله: «**لا شريك له**»: أي في الملك، والخلق، والتصريف، والتدبير ولا معبود بحقٍّ سواه، ولا شريك له في ذلك كله، قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً، وأما الأول: فلأن وجود إلهين محال، كما تقرر في الأصول، وأما الثاني: فلقوله تعالى: ﴿**أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾(٣)، وذلك يقتضي أن لا شريك له»(٤).

٩-قوله: «**وبذلك أمرت**»: أي من خلال الوحيين القرآن الكريم والسنة الصحيحة: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾(٥).

١٠-قوله: «**وأنا من المسلمين**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما قوله: «**من المسلمين**»، فذلك يقوله من هو بعد إبراهيم، لأن كل من دان بدين الإسلام كان من جملة المسلمين، وقد جاء في إحدى الروايات «**أول المسلمين**» وفي بعضها «**من المسلمين**» فجائز أن يكون النبي ﷺ لما قال: «**وأنا أول المسلمين**» حكى لفظ القرآن العزيز الذي أخبر به عن إبراهيم، فقال مثل إبراهيم محافظة على لفظ القرآن، وجائز أن يكون أراد أنه ﷺ هو أول المسلمين؛ لأنه الذي شرع الإسلام وأرسل به، وأما «**من المسلمين**» فلا لبس في أنه يريد أنه واحد

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٤.
(٢) تفسير السعدي، ص ٣٩.
(٣) سورة الكهف، الاية: ١١٠.
(٤) فيض القدير، ٥/ ٢٠٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من حديث المتن رقم ٢.
(٥) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢- ١٦٣.

منهم، والمسلم: اسم فاعل من أسلم يسلم، إذا انقاد وخضع، هذا هو الأصل، ثم جعل اسمًا جامعًا لأوصاف مخصوصة اشترطها الشارع، أولها: الإتيان بالشهادتين لفظًا»[١]، وقال القرطبي رحمه الله: «أي: مسلم من المسلمين المتمكنين في الاستسلام...وفوّضوا جميع أمورهم للرحمن»[٢].

١١-قوله: «**اللهم أنت الملك**»: قال ابن منظور رحمه الله: «اللهم: بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، وَالْمِيمُ الْمُشَدَّدَةُ عِوَضٌ مِنْ يَا ... »[٣]، وقال الطيبي رحمه الله: «أنت الملك: لما دل عليه تعريف الخبر باللام، ترقياً من الأدنى إلى الأعلى، طبق قوله تعالى: ﴿**ملك الناس * إله الناس**﴾[٤]»[٥].

١٢-قوله: «**لا إله إلا أنت**»: أي: لا معبود بحقٍّ غيرك ، ولا معروف بهذه المعرفة سواك[٦]، قال الطيبي رحمه الله: «إثبات للإلهية المطلقة لله تعالى علي سبيل الحصر، بعد إثبات الملك له»[٧]، وقال المناوي في تعليقه على حديث من قال: «**لا إله إلا الله**»: من مات معتقداً لها، فهو الذي مات لا يشرك بالله شيئاً»[٨].

١٣-قوله: «**أنت ربي وأنا عبدك**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «والرب: المالك، والسيد، والصاحب، والمدبر، والخالق وغير ذلك إلا أنه لا يرد مطلقًا إلا على الله عز وجل غالبًا، فأما غير الله فيقال فيه: رب كذا، على أنه قد جاء في الشعر على

---

(١) الشافي في شرح مسند الشافعي، ١/ ٥٣٢.
(٢) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢/ ٤٠١.
(٣) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ١.
(٤) سورة الناس، الآيتان: ٢-٣.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠.
(٦) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٣.
(٧) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠.
(٨) فيض القدير، ١/ ١٣٦.

غير الله تعالى مطلقًا، والعبد: ضد الحر، وأصله الذل والخضوع، ومنه طريق مُعَبَّد أي مذلَّل»[١]، وقال الطيبي رحمه الله: «وإنما أخر الربوبية في قوله: «**أنت ربي**» لتخصيص الصفة، وتقييدها بالإضافة إلى نفسه، وإخراجها عن الإطلاق»[٢].

١٤-قوله: «**ظلمت نفسي**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «والظلم: الجور، ومجاوزة الحد، وأخذ ما ليس لك، وأصله وضع الشيء في غير موضعه والنفس في اللغة: الروح يقال: خرجت نفسه إذا مات، وقد يطلق على الدم: سألت نفسه، وفي الحديث «ما ليس له نفس سائلة»[٣] أي: ما لا دم له، وقد يطلق على الجسد، وجاء في الشعر، ومعنى «ظلمه نفسه»: يريد: بما ارتكبه من الذنوب والمعاصي، فإنه ظلمها، حيث قلدها الآثام، والأوزار، وأخرجها إلى أن تعاقب»[٤].

١٥-قوله: «**واعترفت بذنبي**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «يريد ظلمه نفسه، فإنه ذنب واحد؛ وإن كان قد ظلمها مرات كثيرة، إلا أنه يطلق على تلك المرات لفظة الظلم لجمعه إياها؛ ولأن الذنب معصية، والاعتراف به يورث الخجل، والفضيحة، لكنه لما علم أن الاعتراف بالذنب يمحوه، ويوجب العفو، والمغفرة، وأراد أن يعترف؛ وَحَّدَ الذنب؛ لئلا يكون معترفًا بذنوب كثيرة؛ فتكبر فضيحته، على أن الذنب قد يقع على القليل والكثير»[٥].

١٦-قوله: «**فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»: قال ابن منظور: «الغَفُورُ الغفّارُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، ... وَمَعْنَاهُمَا: السَّاتِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ... غَفَرَه يَغْفِرُه غَفراً: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ

---

(١) الشافي في شرح مسند الشافعي، ١/ ٥٣٢.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠.
(٣)السنن الكبرى للبيهقي، ١/ ٣٨٤ موقوفاً على إبراهيم النخعي رحمه الله.
(٤) الشافي في شرح مسند الشافعي، ١/ ٥٣٣.
(٥) الشافي في شرح مسند الشافعي، ١/ ٥٣٣.

سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْته؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا»[١]، وقال ابن الأثير رحمه الله: «**لا يغفر الذنوب إلا أنت**»: إقرارًا منه، واعترافًا أنه قد قطع أمله، ورجاءه عن كل أحد سواه، وصرف رغبته إلى من لا توجد المغفرة إلا عنده»[٢]، وقال المناوي رحمه الله: «لا رب غيرك، و(إنه): أي الشأن أنه «**لا يغفر الذنوب إلا أنت**» لأنك السيد المالك، إن غفرت فبفضلك، وإن عاقبت فبعدلك، وإنما كان هذا أوفق الدعاء لما فيه من الاعتراف بالظلم، وارتكاب الجرم، ثم الإلتجاء إليه تعالى مضطراً، لا يجد لذنبه غافراً غير ربه»[٣].

١٧-قوله: «**واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت**»: قال ابن منظور رحمه الله: «من أَسماء اللَّه تعالى سبحانه: (الهادي) قال ابن الأَثير: هو الذي بَصَّرَ عِبادَه، وعرَّفَهم طَريقَ معرفته حتى أَقَرُّوا برُبُوبيَّته، وهَدى كل مخلوق إِلى ما لا بُدَّ له منه في بَقائه، ودَوام وجُوده، الهُدى: ضدّ الضلال، وهو الرَّشادُ، ... الهُدَى: أَي الصِّراط الذي دَعا إِليه هو طَرِيقُ الحقّ»[٤]، وقال القرطبي رحمه الله: «**واهدني لأحسن الأخلاق**» أي: لأكملها، وأفضلها، وهي: الخُلق الصحيح، والكفَّ عن القبيح، وقيل: القيام بالحقوق، والعفو عن العقوق؛ كما قال: أن تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو»[٥]، وقال ابن الأثير رحمه الله: «و(الأخلاق): واحدها خُلُق -بضم اللام وبسكونها- وهي السجية التي جُبِلَ الإنسان عليها من حسن وقبح، ولذلك طلب الهداية لأحسنها»[٦].

---

(١) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من حديث المتن رقم ٢.
(٢) الشافي في شرح مسند الشافعي، ١/ ٥٣٤.
(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٣/ ١٠٣.
(٤) لسان العرب، ١٥/ ٣٥٣، مادة (هدي)
(٥) المفهم ، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٥.
(٦) الشافي في شرح مسند الشافعي، ١/ ٥٣٤.

١٨-قوله: «**واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت**»: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: الصَّادُ وَالرَّاءُ وَالْفَاءُ مُعْظَمُ بَابِهِ يَدُلُّ عَلَى رَجْعِ الشَّيْءِ، مِنْ ذَلِكَ صَرَفْتُ الْقَوْمَ صَرْفًا، وَانْصَرَفُوا، إِذَا رَجَعْتَهُمْ فَرَجَعُوا»[١]، وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «صرف: الصَّرْفُ: رَدُّ الشَّيْءِ عَنْ وَجْهِهِ، صَرَفَه يَصْرِفُه صَرْفاً فانْصَرَفَ. وصَارَفَ نفْسَه عَنِ الشَّيْءِ: صَرَفَها عَنْهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**ثُمَّ انْصَرَفُوا**﴾؛ أَي: رَجَعوا عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي استمعُوا فِيهِ، وَقِيلَ: انْصَرَفُوا عَنِ الْعَمَلِ بِشَيْءٍ مِمَّا سَمِعُوا، ﴿**صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ**﴾[٢]: أَي: أَضَلَّهُم اللَّهُ مُجازاةً عَلَى فِعْلِهِمْ؛ وصَرفْتُ الرَّجُلَ عَنِّي فانْصَرَفَ... وصَرَفْتُ الصِّبْيان: قَلَبْتُهم، وصَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ الأَذى، واسْتَصْرَفْتُ اللَّهَ المَكارِهَ»[٣]، قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «واصرف عني سيئها: أي: قبيحها»[٤]، وقال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يَصْرِفُ عَنِّي: ولَا عَنْ غَيْرِي «سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»: فَإِنَّ غَيْرَكَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى شَيْءٍ»[٥].

١٩-قوله: «**لبيك**»: أي استجابة لندائك، وامتثالًا لأمرك إجابة بعد إجابة، وإقامة على طاعتك إقامة بعد إقامة، قال الفيروزأبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَبَّيْكَ، أي: أنا مُقيمٌ على طاعَتك إلْباباً بَعْدَ إلْبابٍ، وإجابَةٍ، أو مَعْناهُ: اتِّجَاهي وقَصْدِي لَكَ»[٦]، وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «معناه إجابة لك... كأنه قال: إجابة لك بعد إجابة تأكيداً... ومعناه: إجابتي لك يا رب لازمة... من لب بالمكان وألب به إذا أقام، وقيل: معناه: قرباً منك، وطاعة... وقيل طاعة لك، وخضوعاً من قولهم: أنا

---

(١) مقاييس اللغة، ٣/ ٣٤٢، مادة (صرف).
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٧.
(٣) لسان العرب، ٩/ ١٨٩، مادة (صرف).
(٤) شرح أبي داود للعيني، ٣/ ٣٦١.
(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢/ ٦٧٣.
(٦) القاموس المحيط، ص ١٣٣، مادة (لبب).

ملب بين يديك، أي: خاضع، وقيل: اتجاهي لك وقصدي»[١].

٢٠-قوله: «**وسعديك**»: أي ألزم طاعتك طاعة بعد طاعة حتى ألقاك، قال ابن الأثير رحمه الله: «سعديك: من الألفاظ المقرونة بلبيك، ومعناها: إسعاداً بعد إسعاد، والمراد: ساعدت على طاعتك مُساعدة بعد مساعدة»[٢]، وقال الطيبي رحمه الله: «ومعنى (سعديك) ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة»[٣].

٢١-قوله: «**والخير كله في يديك**»: أي أن خزائنه عندك تتصرف فيها كيف تشاء، وهو بيديك: تعطيه من تشاء، وتحرمه من تشاء، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، قال القاضي عياض رحمه الله: «معنى هذا الكلام: الإرشاد إلى استعمال الأدب في الثناء على الله، والمدح له بأن تضاف محاسن الأمور إليه دون مساوئها ومذامها»[٤].

٢٢-قوله: «**والشر ليس إليك**»: أي لا ينسب إليك الشر بأي وجه؛ فإنه لا يحصل منك إلا كل خير، وأنت خالق كل شيء، وقال ابن الأثير رحمه الله: «**والشر ليس إليك**: معنى هذا الكلام الإرشاد إلى استعمال الأدب في الثناء على الله تعالى، ومدحه بأن تضاف محاسن الأشياء إليه دون مساوئها، وليس المقصود نفي شيء عن قدرته، وإثباته لها، فإن محاسن الأمور تضاف إلى الله عز وجل عند الثناء عليه دون مساوئها»[٥]، وقال الرافعي رحمه الله: «والشر ليس إليك: قيل: لا يتقرب به إليك، وقيل: لا يصعد إليك؛ إنما يصعد الكلم الطيب، وقيل: لا يفرد

---

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ١/ ٣٥٣.
(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٣/ ٩١.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٢/ ٤٧٤.
(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ١٣٤.
(٥) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٤/ ٢٠٩.

بالإضافة إليك، كما لا يقال: يا خالق الحيات والحشرات»[١]، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الشر المحض لا يكون بفعل الله أبداً، الشر المحض الذي ليس فيه خير لا حالاً، ولا مآلاً، هذا لا يمكن أن يوجد في فعل الله أبداً، هذا من وجه؛ لأنه حتى الشر الذي قدّره الله شراً، لابد أن يكون له عاقبة حميدة، ويكون شراً على قوم، وخيراً على آخرين، أرأيت لو أنزل الله المطر: مطراً كثيراً، فأغرق زرع إنسان؛ لكنه نفع الأرض، وانتفعت به أمة، لكان هذا خيراً بالنسبة لمن انتفع به، شراً بالنسبة لمن تضرر به، فهو خير من وجه، وشر من وجه، ثانياً: حتى الشر الذي يقدّره الله على الإنسان، هو خير في الحقيقة؛ لأنه إذا صبر، واحتسب الأجر من الله نال بذلك أجراً، أكثر بأضعاف مضاعفة مما ناله من الشر؛ ولهذا ذُكر عن بعض العابدات أنها أصيبت في إصبعها، أو يدها، فانجرحت، فصبرت، وشكرت الله على هذا، وقالت: «إن حلاوة أجرها أنستني مرارة صبرها»، ثم نقول: إن الشر حقيقة ليس في فعل الله نفسه؛ بل في مفعولاته، المفعولات هي التي فيها خير وشر، أما الفعل نفسه، فهو خير؛ ولهذا قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾[٢]، أي من شر الذي خلقه الله، يدلك لهذا أنه لو كان عندك مريض، وقيل له: إن من شفائه أن تكويه النار، فكويته بالنار مؤلمة بلا شك، لكن فعلك هذا ليس بشر، بل هو خير للمريض؛ لأنك إنما تنتظر عاقبة حميدة بهذا الكي، كذلك فعل الله للأشياء المكروهة، والأشياء التي فيها شر، هي بالنسبة لفعله وإيجاده خير؛ لأنه يترتب عليه خير كثير، فإن قال قائل: كيف تجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ**﴾[٣].... نقول: ﴿ **مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** ﴾ يعني من فضله، هو

---

(١) شرح مسند الشافعي، ١/ ٣١٤.
(٢) سورة الفلق، الآيتان: ١- ٢.
(٣) سورة النساء، الآية: ٧٩.

الذي منَّ عليك بها أولاً وآخراً ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ أي: أنت سببها، وإلاّ فالذي قدرها هو الله، لكن أنت السبب، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[(١)]، وخلاصة الكلام: أن كل شيء واقع؛ فإنه بقدر الله، سواء كان خيراً أم شراً، أما الخير فأمره واضح أنه من الله، وأما الشر فإننا نقول: إن الشر ليس في فعل الله، بل في مفعولاته، ونقول أيضاً: هذه المفعولات التي فيها الشر، قد تكون خيراً من وجه آخر، إما للشخص المصاب بها نفسه، وإما لغيره... أو نقول هو شر لك من وجه، وخير لك من وجه آخر؛ لأن هذا الشر إن أصابك لك فيه أجر كثير، وربما يكون سبباً لاستقامتك، ومعرفتك قدر نعمة الله عليك، فتكون العاقبة حميدة»[(٢)].

٢٣-قوله: «**أنا بك وإليك**»: أي قائم بك راجع إليك معتمد عليك في كل شيء- وقال الرافعي رحمه الله: «أنا بك وإليك: أي: بقدرتك حُدِثْتُ، وإليك أعود»[(٣)]، وقال الطيبي رحمه الله: «**وأنا بك وإليك**»: أي: بك وُجِدْتُ، وإليك أنتهي، أي أنت المبتدأ والمنتهى»[(٤)].

٢٤-قوله: «**تباركت وتعاليت**»: قال الطيبي رحمه الله: «تباركت: تعاظمت، وتمجدت، أو جئت بالبركة، وأصل الكلمة الدوام والثبات، ولا تستعمل هذه الكلمة إلا لله تعالى، وتعاليت: عما تتوهمه الأوهام، وتتصوره العقول»[(٥)].

٢٥-قوله: «**أستغفرك وأتوب إليك**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «والاستغفار: طلب المغفرة، (والتوبة): الرجوع من الذنب والإخلاص في الترك، والندم

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٠.
(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠.
(٣) شرح مسند الشافعي، ١/ ٣١٤.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠.

على الفائت»[1]، قوله: «تباركت» أي: استحققت الثناء عليك. وقيل: ثبت الخير عندك. وقال ابن الأنباري: تبارك العباد بتوحيدك، وقوله: «وتعاليت» أي: تعاظمتَ عن متوهم الأوهام، ومتصور الأفهام»[2].

ثالثا: ما يستفاد من الحديث:

١-خص النبي ﷺ في قوله: «**صلاتي ونسكي**» بين عبادتين عظيمتين، هما الصلاة التي هي عمود الإسلام، وبين النسك، وهو الذبح بإراقة الدم؛ ابتغاء مرضاة الله، ويفهم من هذا أنه من أخلص لله في صلاته ونسكه، كان يسيرًا عليه أن يخلص في باقي عمله، وهذا إشارة إلى قوله: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾[3].

٢-قول النبي ﷺ: «**لله رب العالمين**» الرب: هو المربي جميع العالمين، وهم من سوى الله، وتربية الله لخلقه نوعان عامة، وخاصة:

أ – عامة: وهي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم؛ لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

ب – الخاصة: تربية لأوليائه، وحقيقتها تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر، وهذا هو السر في كون أدعية الأنبياء بلفظ الرب[4].

٣-جاء في رواية صحيحة لفظ: «**وأنا أول المسلمين**»[5]، والنبي بالفعل هو أول المسلمين، فحق له أن يقولها، أما غيره فليقل: وأنا من المسلمين، والله أعلم.

٤-حسن مناجاة النبي ﷺ لربه يظهر من قوله: «**ظلمت نفسي**» فقدم

---

(١) الشافي في شرح مسند الشافعي، ١/ ٥٣٦.

(٢) شرح أبي داود للعيني، ٣/ ٣٦٢.

(٣) سورة الكوثر، الآية: ٢.

(٤)انظر: تفسير السعدي سورة الفاتحة، ص٣٣.

(٥) انظر: مسند الشافعي، ص: ٥٩، صحيح ابن خزيمة، ١/ ٢٣٥، برقم ٤٦٢، وابن حبان، ٥/ ٧٠، برقم ١٧٧٢، وصححها الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٣٤٢١.

الاعتراف بالذنب – مع عصمته عنه ﷺ– على سؤال المغفرة تأدبًا مع خالقه، وهذا كقوله ﷻ في شأن آدم وحواء: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(١).

٥-تمام أدب النبي ﷺ مع ربه يظهر في قوله: «**والشر ليس إليك**» فلم ينسب إلى الله ما يكرهه، وإن كان هو خالق كل شيء، فالشر لا يتقرب به إلى الله، ولا يصعد إليه، والشر لا يكون من الله ﷻ، وما يحصل من المرض، وغيره مما يكرهه الإنسان؛ فإن الله يعطي عليه الثواب العظيم، والأجر الكبير، والشر في المقضي لا في القضاء، وهذا كقول الله حكاية عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾(٢). قال الحكمي: «وأفعال الله كلها خير محض من حيث اتصافه بها وصدورها عنه وهو الحكم العدل، وما كان في نفس المقدور من شر فمن جهة إضافته إلى العبد لما يلحق به من المهالك بما كسبته يداه، جزاءً وفاقًا، كما قال الله: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾(٣)»(٤).

***

٣٠-(٤) «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيْكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.
(٢) سورة الجن، الآية: ١٠.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٣٠.
(٤) انظر: ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة: س ١٥٢.

إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»(١).

الشـــرح:

أولا: لفظ الحديث:

١١٢-عن أَبي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ(٢)، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها(٣)، بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «**اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللهم**»: قال ابن منظور رحمه الله: «اللهم: بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، وَالْمِيمُ الْمُشَدَّدَةُ عِوَضٌ مِنْ يَا ... »(٥).

٢-قوله: «**رب جبريل وميكائيل وإسرافيل**»: جبريل: هو روح القدس الموكل بالوحي، يتنزل به على رسل الله إلى خلقه، قال ابن الأثير رحمه الله: «والرب: المالك، والسيد، والصاحب، والمدبر، والخالق وغير ذلك إلا أنه لا يرد مطلقًا إلا على الله عز وجل غالبًا، فأما غير الله فيقال فيه: رب كذا»(٦)،

---

(١) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٧٠ .

(٢) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني، قيل: اسمه عبد الله، وقيل: إسماعيل، ثقة، مكثر، مات سنة أربع وتسعين، أو أربع ومائة. انظر: تقريب التهذيب، ٤/ ٤٦٨.

(٣) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٤) مسلم، برقم ٧٧٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ١.

(٦) الشافي في شرح مسند الشافعي، ١/ ٥٣٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٣ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.

وقوله: «**وميكائيل**»: هو الملك الموكل بنزول المطر من السماء، فلا تسقط قطرة إلا بعد أن يستأذن ربه، ويقال له: ميكال، قوله: «**وإسرافيل**»: هو الملك الموكل بالنفخ في الصور، وحينئذ تقوم القيامة إذا أذن الله وأمره بالنفخ في الصور، وقال الفيومي رحمه الله :«**جبريل، وميكائيل**»: هما من الملائكة، جبريل: عليه السلام فيه لغات: كسر الجيم والراء، وبعدها ياء ساكنة، والثانية كذلك إلا أن الجيم مفتوحة، والثالثة فتح الجيم والراء، وبهمزة بعدها ياء، يقال: هو اسم مركب من (جبر)، وهو العبد، و(إيل)، وهو الله تعالى، وفيه لغات غير ذلك[1]، وقال ابن منظور رحمه الله: «إِسْرَافِيلُ، وإِسْرافِينُ، وَكَانَ القَنانيُّ يَقُولُ: سَرافِيل، وسَرافِين، وإِسْرائيل وإِسْرائِينُ، وَزَعَمَ يَعْقُوبُ أَنه بدلٌ: اسمُ مَلَكٍ، قَالَ: وَقَدْ تكُونُ هَمْزَةُ إِسْرافِيل أَصلًا فَهُوَ عَلَى هذا خُماسيٌّ»[2]، وقال القاضي عياض رحمه الله: «رب جبريل، وإسرافيل، وميكائيل»: وتخصيصهم بربوبيته، وهو رب كل شيء، وجاء مثل هذا كثير من إضافة كل عظيم الشأن له، دون ما يستحضر عند الثناء والدعاء، مبالغة في التعظيم، ودليلاً على القدرة والملك، فيقال: رب السموات والأرض، ورب النبيين والمرسلين، ورب المشرق والمغرب، ورب العالمين، ورب الجبال والرياح، ورب البحار، ورب الناس، ومثله مما جاء في القرآن وفي الحديث»[3]، وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «فجبرائيل مُوَكَّلٌ بِالْوَحْيِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ حَيَاةِ الْقُلُوبِ، وَمِيكَائِيلُ بِالْقَطْرِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ حَيَاةِ الْأَبْدَانِ وَسَائِرِ الْحَيَوَانِ، وَإِسْرَافِيلُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ حَيَاةِ الْعَالَمِ وَعَوْدِ الْأَرْوَاحِ إِلَى أَجْسَادِهَا، فَالتَّوَسُّلُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ بِرُبُوبِيَّةِ هَذِهِ الْأَرْوَاحِ الْعَظِيمَةِ الْمُوَكَّلَةِ بِالْحَيَاةِ، لَهُ تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ فِي حُصُولِ الْمَطْلُوبِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ»[4].

---

(١) انظر: المصباح المنير، ١/ ٩٠، مادة (جبر).

(٢) لسان العرب، ١١/ ٣٣٥، مادة (سرف).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ١٣٣.

(٤) شرح الطحاوية، ص ٢١٠.

٣-قوله: «**فاطر السموات والأرض**»: قال الطيبي رحمه الله: «وفاطر السموات والأرض»: أي مبدعهما ومخترعهما»[(١)]، وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: «أَيْ: خَلَقَهُمَا وَابْتَدَعَهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ»[(٢)].

٤-قوله: «**عالم الغيب والشهادة**»: أي: إنه يعلم ما غاب عن العباد من الجنود والمخلوقات التي لا يعلمها إلا هو وما يشاهدونه من المخلوقات[(٣)]. قال الطيبي رحمه الله: «الغيب»: ما غاب عنك، والشاهد: ما حضر لديك»[(٤)].

٥-قوله: «**أنت تحكم بين عبادك**»: قال القرطبي رحمه الله: «تقضي وتبيّن الحق»[(٥)]، أنت تحكم بين عبادك يوم القيامة بالتمييز بين المحق والمبطل بالثواب والعقاب «**فيما كانوا فيه يختلفون**» من أمر الدين في أيام الدنيا»[(٦)]، قال القاري رحمه الله: «أنت تحكم بين عبادك في يوم معادك بموجب ميعادك بعد تقديرك وقضائك بالتمييز بين المحق والمبطل بالثواب والعقاب فيما كانوا فيه يختلفون أي من أمر الدين في أيام الدنيا»[(٧)].

٦-قوله: «**اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك**»: أي: أقمني على الحق وثبتني عليه، وهذا كقوله: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[(٨)]، قال العيني رحمه الله: «أي: أرشدني لصوابها، ووفقني للتخلق به»[(٩)].

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١١٩٧.
(٢) تفسير ابن كثير، ٣/ ٢٩١، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.
(٣) تفسير السعدي، ص ٨٦٨.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١١٩٧.
(٥) عون المعبود، ٢/ ٣٣٤.
(٦) المفهم ، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٤.
(٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٣٢٤.
(٨) سورة الفاتحة، الآية: ٦.
(٩) شرح أبي داود للعيني، ٣/ ٣٦١.

٧-قوله: «**لما اختلف فيه**»: قال الطيبي رحمه الله: «اللام بمعنى (إلى)، يقال: هداه إلى كذا، ولكذا، و(ما) موصولة، والذي اختلف فيه عند مجيء الأنبياء، وهو الطريق المستقيم الذي دعوا إليه، فاختلفوا فيه... كأنه قيل: اهدني إلي الصراط المستقيم، وطلب الهداية- وهو فيها طلب للثبات عليها، أو الزيادة على ما منح من الألطاف، أو حصول المطالب المترتبة عليها»[١].

٨-قوله: «**بإذنك**»: أي: بفضلك ومنّتك، فأنت صاحب كل الأفضال وجميع المنن، قال الطيبي رحمه الله: «ومعنى (الإذن) التيسير والتسهيل علي سبيل التمثيل؛ فإن الملك المحتجب إذا رفع الحجاب كان إذناً منه بالدخول»[٢]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فَهُوَ ﷺ يَسْأَلُ رَبَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ لِمَا اُخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَكَيْفَ يَكُونُ مَحْبُوبُ اللَّهِ عَدَمَ الْهُدَى فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِ؟ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٣]، وَمَا يَذْكُرُهُ بَعْضُ النَّاسِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «زِدْنِي فِيك تَحَيُّرًا» كَذِبٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِحَدِيثِهِ ﷺ، بَلْ هَذَا سُؤَالُ مَنْ هُوَ حَائِرٌ، وَقَدْ سَأَلَ الْمَزِيدَ مِنَ الْحَيْرَةِ، وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَسْأَلَ وَيَدْعُوَ بِمَزِيدِ الْحَيْرَةِ إذَا كَانَ حَائِرًا؛ بَلْ يَسْأَلُ: الْهُدَى، وَالْعِلْمَ؛ فَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ هَادِي الْخَلْقِ مِنْ الضَّلَالَةِ؟ وَإِنَّمَا يُنْقَلُ مِثْلُ هَذَا عَنْ بَعْضِ الشُّيُوخِ الَّذِينَ لَا يُقْتَدَى بِهِمْ فِي مِثْلِ هَذَا، إنْ صَحَّ النَّقْلُ عَنْهُ»[٤].

٩-قوله: «**إنك تهدي من نشاء**»: قال ابن منظور رحمه الله: «من أَسماء الله تعالى سبحانه: (الهادي) قال ابن الأَثير: هو الذي بَصَّرَ عِبادَه، وعرَّفَهم طَرِيقَ معرفته حتى

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١١٩٧.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١١٩٧.

(٣) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٤) مجموع الفتاوى، ٥/ ١٧٩.

أَقرُّوا برُبُوبيَّته، وهَدى كل مخلوق إِلى ما لا بُدَّ له منه في بَقائه، ودَوام وجُوده، الهُدى: ضدّ الضلال، وهو الرَّشادُ، ... الهُدَى: أَي الصِّراط الذي دَعا إِليه هو طَرِيقُ الحقّ»[١].

١٠-قوله: «**إلى صراط مستقيم**»: هو الطريق القويم الذي يوصلنا إلى جنتك وهو: معرفة الحق، والعمل به، والدعوة إليه، وقال العلامة القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الصراط المستقيم**» هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره، وقال عاصم الأحول عن ابي العالية : «**الصراط المستقيم**» رسول الله ﷺ وصاحباه من بعده، قال عاصم: فقيل للحسن: إن أبا العالية يقول: الصراط المستقيم رسول الله ﷺ وصاحباه! قال: صدق ونصح»[٢]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصِّراط المُستَقِيم المُتَضَمِّن: كَمال مَعرِفَته، وتَوحِيده، وعِبادَته بِفِعلِ ما أَمَرَ بِهِ واجتِناب ما نَهَى عَنهُ، والاستِقامَة عَلَيهِ»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية التوسل إلى الله بالربوبية العامة والخاصة لأفضل ملائكته، وهم على الترتيب: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل.

٢-إثبات صفة العلم لله تعالى، وهي من الصفات الذاتية، والإقرار بأن علم الله علم أزلي أبدي، لم يُسبق بجهل، ولا يطرأ عليه نسيان، قال تعالى: ﴿**قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى**﴾[٤].

٣-الإقرار بأن الله هو الحكم بين الخلق يوم العرض الأكبر ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ**﴾[٥]، وهذا الحكم مبني على القسط، والعدل، والحمد، فلا سبيل إلى القدح

(١) لسان العرب، ١٥/ ٣٥٣، مادة (هدي)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٧ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.
(٢) تفسير القرطبي، ١/ ١٩١.
(٣) فتح الباري، لابن حجر، ١٠/ ١٩٨.
(٤) سورة طه، الآيتان: ٥١- ٥٢.
(٥) سورة التين، الآية: ٨.

في حكمه ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾[(١)].

٤-طلب الهداية من الله وحده؛ لأنه هو الهادي الذي يهدي القلوب إلى معرفته، ويهدي النفوس إلى طاعته.

٥-هذا الدعاء هو أحد الأدعية التي كان يستفتح بها النبي ﷺ صلاته بالليل، كما أخبرت بذلك عائشة رضي الله عنها في أول حديث الباب.

٦- خصّ النبي ﷺ هؤلاء الملائكة لعظيم فضلهم، وأنهم أشراف الملائكة؛ فجبريل ينزل بالوحي الذي به حياة القلوب، وميكائيل موكل بالمطر الذي به حياة الأرض، وإسرافيل موكل بالنفخ؛ حيث الجمع والحساب.

٧- إسرافيل الملك الكريم الموكل بالنفخ في الصور في حالة تأهب دائم، ينتظر أمر ربه؛ قال النبي ﷺ: «**إن طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش، مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان**»[(٢)].

٨- وقال النبي ﷺ: «**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له**» قالوا: كيف نقول يا رسول الله؟ قال: «**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا**»[(٣)].

٩- أما ميكائيل، ففي حالة خوف وحزن دائمين، قال النبي ﷺ لجبريل عليه السلام: «**ما لي لم أرَ ميكائيل ضاحكًا قط؟ فقال جبريل: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار**»[(٤)].

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٤١.

(٢) أخرجه الحاكم ٤/ ٥٥٩، وقال: «صحيح الإسناد» وحلية الأولياء، ٤/ ٩٩، وقال الحافظ في فتح الباري، ١١/٣٦٨: «سنده حسن» وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٠٧٨).

(٣) أحمد، ٥/ ١٤٥، برقم ٣٠٠٨، والترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق، باب ما جاء في الصور، برقم ٢٤٣١، والحاكم، ٤/ ٥٥٩، وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٥٧١.

(٤) أحمد، ٢١/ ٥٥، برقم ١٣٣٤٣، وصفة النار لابن أبي الدنيا، ص ٢٣٠، والعظمة، لأبي الشيخ، ٣/ ٨١٥، وحسنه لغيره الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٥١١.

١٠- وهذا هو حال الملائكة كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[١].

١١- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَهَذِهِ أَدْعِيَةٌ كَثِيرَةٌ، تَتَضَمَّنُ افْتِقَارَ الْعَبْدِ إِلَى اللهِ فِي أَنْ يُعْطِيَهُ الْإِيمَانَ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ، فَهَذَا افْتِقَارٌ، وَاسْتِعَانَةٌ بِاللَّهِ قَبْلَ حُصُولِ الْمَطْلُوبِ، فَإِذَا حَصَلَ بِدُعَاءٍ، أَوْ بِغَيْرِ دُعَاءٍ، شَهِدَ إِنْعَامَ اللهِ فِيهِ، وَكَانَ فِي مَقَامِ الشُّكْرِ، وَالْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ، وَأَنَّ هَذَا حَصَلَ بِفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، لَا بِحَوْلِ الْعَبْدِ وَقُوَّتِهِ، فَشُهُودُ الْقَدَرِ فِي الطَّاعَاتِ مِنْ أَنْفَعِ الْأُمُورِ لِلْعَبْدِ، وَغَيْبَتُهُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ أَضَرِّ الْأُمُورِ بِهِ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدَرِيًّا مُنْكِرًا لِنِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ بِالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَدَرِيَّ الِاعْتِقَادِ، كَانَ قَدَرِيَّ الْحَالِ، وَذَلِكَ يُورِثُ الْعُجْبَ، وَالْكِبْرَ، وَدَعْوَى الْقُوَّةِ وَالْمِنَّةِ بِعَمَلِهِ، وَاعْتِقَادِ اسْتِحْقَاقِ الْجَزَاءِ عَلَى اللهِ بِهِ، فَيَكُونُ مَنْ يَشْهَدُ الْعُبُودِيَّةَ مَعَ الذُّنُوبِ، وَالِاعْتِرَافِ بِهَا - لَا مَعَ الِاحْتِجَاجِ بِالْقَدَرِ - عَلَيْهَا، خَيْرًا مِنْ هَذَا الَّذِي يَشْهَدُ الطَّاعَةَ مِنْهُ، لَا مِنْ إِحْسَانِ اللهِ إِلَيْهِ، وَيَكُونُ أُولَئِكَ الْمُذْنِبُونَ بِمَا مَعَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ، أَفْضَلَ مِنْ طَاعَةٍ بِدُونِ هَذَا الْإِيمَانِ»[٢].

***

٣١-(٥)«اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيراً، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيراً، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيراً، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً» ثلاثاً «أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ: مِنْ نَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ، وَهَمْزِهِ»[٣].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٢) مجموع الفتاوى، ٨/ ٣٣١.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، برقم ٧٦٤، قال الشيخ الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ٢/ ٥٥: «لعله يتقوى بالطريق الأخرى التي ذكرها ابن حبان، وإن كنت لم أعرف ابن حمزة هذا، ولكنه على كل حال هو شاهد جيد» وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب الاستعاذة في الصلاة، =

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١١٣-عَنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ[١]، أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي صَلَاةً - قَالَ عَمْرٌو: لَا أَدْرِي أَيَّ صَلَاةٍ هِيَ - فَقَالَ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ثَلَاثًا، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ مِنْ نَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ، وَهَمْزِهِ**» قَالَ: **نَفْثُهُ الشِّعْرُ، وَنَفْخُهُ الْكِبْرُ، وَهَمْزُهُ الْمُوتَةُ**» وهذا لفظ أبي داود[٢].

١١٤- ولفظ ابن ماجه: عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ، قَالَ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا - ثَلَاثًا - الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا** - ثَلَاثًا - **سُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ: هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ**». قَالَ عَمْرٌو: هَمْزُهُ الْمُوتَةُ، وَنَفْثُهُ الشِّعْرُ، وَنَفْخُهُ الْكِبْرُ[٣].

= برقم، ٨٠٧، وأحمد، ٢٧/ ٣٠٢، برقم ١٦٧٣٩، وقد صححه، بعد أن ذكر كتب السنة التي خرجته، ابن الملقن في البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، ٣/ ٥٣٤، وقال عنه محققو المسند: «حسن لغيره» ٢٧/ ٣٠٢، وقال عبد القادر الأرناؤوط في تخريجه للكلم الطيب لابن تيمية، برقم ٧٨: «وهو حديث صحيح بشواهده» وذكره الألباني في صحيح الكلم الطيب، برقم ٦٢، وأخرجه مسلم عن ابن عمر ﵄ بنحوه، وفيه قصة، ١/ ٤٢٠، برقم ٦٠١، ويأتي لفظه وتخريجه في أحاديث شرح حديث هذا المتن.

(١) جبير بن مطعم بن عدي ﷺ، شيخ قريش في زمانه، أبو محمد، ويقال أبو عدي القرشي النوفلي ابن عم الرسول ﷺ، وهو من الطلقاء الذين حسن إسلامهم، وقد قدم المدينة في فداء الأسارى من قومه، وكان موصوفًا بالحلم، ونبل الرأي، كأبيه الذي قام في نقض الصحيفة، وأجار النبي ﷺ حين رجع من الطائف، توفي جبير بن مطعم عام ٥٩ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/ ٩٥، ترجمة رقم ١٨.

(٢) أبو داود، برقم ٧٦٤، وقواه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ٢/ ٥٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) ابن ماجه، برقم، ٨٠٧، وقواه بشواهده ومتابعاته في شرح ابن ماجه لمغلطاي، ص ١٣٧٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

١١٥-ولفظ أحمد: عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي التَّطَوُّعِ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا**» - ثَلَاثَ مِرَارٍ - «**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا**» - ثَلَاثَ مِرَارٍ - «**وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**» - ثَلَاثَ مِرَارٍ - «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ، وَنَفْثِهِ، وَنَفْخِهِ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هَمْزُهُ وَنَفْثُهُ وَنَفْخُهُ ؟ قَالَ: «**أَمَّا هَمْزُهُ، فَالْمُوتَةُ الَّتِي تَأْخُذُ ابْنَ آدَمَ، وَأَمَّا نَفْخُهُ الْكِبْرُ، وَنَفْثُهُ الشِّعْرُ**»[١].

١١٦-وفي لفظ آخر لمسلم عن عبدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما[٢]، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مِنَ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟**» قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**عَجِبْتُ لَهَا، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ**» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ»[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّه أكبر كبيرًا**»: أي أُعظِّم اللَّه وأجلّه بعبادته وتوحيده وتقديسه، وقال ابن الأثير رحمه الله: «**اللَّه أكبر**» معناه اللَّه الكبير، وقال النحويون: معناه اللَّه أكبر من كل شيء»[٤].

٢-قوله: «**الحمد لله كثيراً**»: أي أحمده حمداً كثيراً يليق بجلاله، فله الحمد في الأولى والآخرة، وقال النووي رحمه الله: «التَّحْمِيد: الثَّنَاء بِجَمِيلِ الْفِعَال، وَالتَّمْجِيد الثَّنَاء بِصِفَاتِ الْجَلَال، وَيُقَال: أَثْنَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ كُلّه»[٥].

٣- قوله: «**وسبحان اللَّه**»: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص،

---

(١) أحمد، برقم ١٦٧٣٩، وقال عنه محققو المسند: «حسن لغيره» وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، كتاب المساجد، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، برقم ٦٠١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤/ ٥٢، مادة (كبر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٥) شرح النووي على مسلم، ٤/ ١٠٤، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من حديث المتن رقم ٢.

ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً...، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله»[١].

٤-قوله: «بكرة وأصيلًا»: أي في الغداة والعشي، وإنما خص هذين الوقتين لاجتماع ملائكة الليل والنهار فيهما، قال العيني رحمه الله: «بكرة: أي: غدوة، وأصيلا: أي: عشياً...وخص هذين الوقتين لاجتماع ملائكة الليل، والنهار فيهما»[٢].

٥-قوله: «أعوذ بالله» أي: ألجأ إليه وأتحصن به»[٣].

٦-قوله: «من الشيطان» والشيطان: من الشطن: البعد، أي بَعُد عن الخير»[٤].

٧-قوله: «من نفخه»: النفخ هو الكبر؛ لأن العبد إذا غفل عن الذكر وسوس له الشيطان وتعاظم عليه، قال ابن الأثير رحمه الله: «نفخه الكبر، وذلك لأن المتكبر ينتفخ، ويتعاظم، ويجمع نفْسه ونفَسه، فيحتاج إلى أن ينفخ»[٥]، وقال الطيبي رحمه الله: «النفخ كناية عن الكبر، كأن الشيطان ينفخ بالوسوسة، فيعظمه في عينه، ويحقر الناس عنده»[٦].

٨-قوله: «ونفثه»: هو الشعر: وهو إشارة إلى ذم من يهيم في أودية الشعر، فتارة يمدح، وتارة يقدح، وتارة يمرح، وأخرى يتغزل، وهذا من تلاعب الشياطين، وقال ابن الأثير رحمه الله: «نفْثه: الشعر؛ لأن الشعر مما يخرج من الفم، ويلفظ به اللسان، وينفثه كما ينفث الريق»[٧]، وقال الطيبي رحمه الله: «والنفث عبارة عن الشعر؛ لأنه ينفثه

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ٢.
(٢) شرح أبي داود للعيني، ٣/ ٣٧٢.
(٣) عمدة القاري، ٤/ ١٧٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٠.
(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٧٤، مادة (شطن)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من مفردات أحاديث متن مقدمة فضل الذكر، رقم ١.
(٥) جامع الأصول، ٤/ ١٨٦.
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٤.
(٧) جامع الأصول، ٤/ ١٨٦.

الإنسان من فيه كالرقية، قال: إن كان هذا التفسير من متن الحديث فلا معدل عنه، وإن كان من بعض الرواة، فالأنسب أن يراد بالنفث السحر»[(١)].

٩-قوله: «وهمزه»: هي المؤتة أي الصرع والجنون الذي يعتري الإنسان وإنما سمي بذلك لأن كل شيء غمزته ودفعته فقد همزته، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهمزه: الموتة، والموتة: الجنون؛ لأن المجنون ينخسه الشيطان، والهمز والنخس أخوان»[(٢)]، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يراد بالهمز الوسوسة، لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾[(٣)]، وهمزات الشياطين خطراتها، وهي جمع الهمزة من الهمز، وفسرت الآية بأن الشياطين يحثون أولياءهم على المعاصي، ويغرونهم عليها، كما يهمز الركضة الدواب المهماز حثاً لها على المشي، قال أبو عبيدة: والموتة الجنون، سماها همزاً؛ لأنه جعل من النخص، والهمز، وكل شيء دفعته، فقد همزته»[(٤)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-تكبير العبد لخالقه بعد دخوله في الصلاة، مع حمده، وتسبيحه، إقرار بأن الله هو الموصوف بالجلال، وأنه يصغر أمام عظمته كل شيء.

٢-الاستعاذة قبل القراءة عنوان، وإعلام بأن ما بعدها هو قرآن كريم.

٣-الاستعاذة بالله حصن حصين، وركن ركين، لاسيما قبل قراءة القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور، فطرد الشيطان يجعل القلب محلًّا خاليًا لاستقبال الرحمات، ويقطع على الشيطان أن يجلب بخيله ورجله على العبد أثناء صلاته.

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٤.
(٢) جامع الأصول، ٤/ ١٨٦.
(٣) سورة الْمُؤْمِنُونَ، الآية: ٩٧.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٤.

٤- قال الألباني رحمه الله: تفسير الهمز بالمؤتة، والنفخ بالكبر، والنفث بالشعر، هو من كلام رسول الله ﷺ[١]. وقال أيضًا: وزيادة «السميع العليم» في الاستعاذة زيادة صحيحة[٢].

***

٣٢-(٦)«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ[٣]، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَنْتَ إِلَهِي، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ»[٤].

---

(١) إرواء الغليل، حديث رقم (٣٤٢).
(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة للألباني، ١٤/ ٥١.
(٣) كان النبي ﷺ يقوله إذا قام من الليل يتهجد.
(٤) البخاري، أبواب التهجد، باب التهجد من الليل، برقم ١١٢٠، ورقم ٦٣١٧، ورقم ٧٣٨٥، ورقم ٧٤٤٢، ورقم ٧٤٩٩، ومسلم مختصراً بنحوه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٦٩.

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١١٧-عَنِ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[١]، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو مِنَ اللَّيْلِ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، قَوْلُكَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لاَ إِلَهَ لِي غَيْرُكَ**». هذا لفظ البخاري[٢].

١١٨-وفي لفظ آخر للبخاري: عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْد، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ**» قَالَ سُفْيَانُ: وَزَادَ عَبْدُ الْكَرِيمِ أَبُو أُمَيَّةَ: «**وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**»[٣].

١١٩-وفي لفظ للبخاري أيضاً: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو مِنْ اللَّيْلِ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَكَ الْحَمْدُ،**

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٢) البخاري، برقم ٧٣٨٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) البخاري، برقم ١١٢٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ لِي غَيْرُكَ». حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بِهَذَا وَقَالَ: «أَنْتَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ»[١].

١٢٠-وفي لفظ للبخاري أيضاً: عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[٢] يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[٣].

١٢١-وفي لفظ آخر للبخاري أيضاً: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَهَجَّدَ مِنْ اللَّيْلِ قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا

---

(١) البخاري، برقم ٧٣٨٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٦٣١٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[(١)].

١٢٢-ولفظ مسلم: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ يَقُولُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ: «اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[(٢)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللهم**»: قال ابن منظور رحمه الله: «اللهم: بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، وَالْمِيمُ الْمُشَدَّدَةُ عِوَضٌ مِنْ يَا ... »[(٣)].

٢-قوله: «**لك الحمد**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «في أسماء الله تعالى: الحميد، أي: المحمود على كل حال، والحمد والشكر مُتقاربان، والحمد أعمُّها، لأنَّك تحمَد الإنسان على صِفاته الذَّاتيَّة، وعلى عطائه، ولا تَشْكُره على صِفاته، والشُّكر فيه إظهار النّعْمة، والإشادة بها؛ ولأنه أعم منه، فهو شُكْر وزيادة»[(٤)].

٣-قوله: «**أنت نور السموات والأرض**»: أي بنوره يهتدي أهل السموات والأرض مع كونه عز وجل هو نور السموات والأرض ومن فيهن، قال ابن الملقن رحمه الله: «أي: بنورك يهتدي من في السموات والأرض، قاله ابن بطال، وقال ابن التين: يحتمل أن يكون

---

(١) البخاري، برقم ٧٤٤٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، برقم ٧٦٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ١.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤٣٥، مادة (حمد)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من حديث المتن رقم ٦.

من قولـه تعـالى: ﴿**اللهُ نُـورُ السَّـمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[١]، قيـل: معنـاه: ذو نـور السـموات والأرض، وروي عن ابن عباس معناه: هادي أهلهما»[٢]، قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسير: «نور السموات والأرض» [أي: النور]: «الحسي، والمعنوي، وذلك أنه تعالى بذاته نور، وحجابه -الذي لولا لطفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه- نور، وبه استنار العرش، والكرسي، والشمس، والقمر، والنور، وبه استنارت الجنة، وكذلك النور المعنوي يرجع إلى الله، فكتابه نور، وشرعه نور، والإيمان والمعرفة في قلوب رسله وعباده المؤمنين نور، فلولا نوره تعالى، لتراكمت الظلمات؛ ولهذا: كل مَحلٍّ، يفقد نوره، فثَمَّ الظلمة، والحصر»[٣].

٤-قولـه: «**قيم السموات والأرض**»: أي القـائم بتـدبير الكـون كلـه: العلـوي منـه، والسفلي، مع قيامه على كل نفس بما كسبت، والقيوم: هو القائم الدائم بلا زوال، وقال ابن الملقن رحمه الله: «أي: أنت القائم على كل نفسٍ بما كسبت، وخالقها، ورازقها، ومميتها، ومحييها، وقيل في معنى: ﴿**أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ**﴾[٤]، أفمن هو حافظ على كل نفس لا يغفل ولا يمل، فالمعنى: الحافظ لهما ومن فيهن»[٥].

٥-قوله: «**رب السموات والأرض**»: قال العيني رحمه الله: «خصهما بالذكر لأنهما من أعظم المشاهدات، ومعنى الرب في اللغة يطلق على: المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والمتمم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى»[٦].

٦-قوله: «**أنت مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**»: أي: أن الله هو الملك، والمالك

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.
(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٩/ ١٧.
(٣) تفسير السعدي، ص ٥٦٨.
(٤) سورة الرعد، الآية: ٣٣.
(٥) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٩/ ١٧.
(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٣/ ٩٧.

على الحقيقة، وهذا يقتضي تصرفه كما يشاء ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[١]، أما غيره فيسأل لجهله، وعجزه، وكونه مربوبًا، قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: مالكهما، ومالك من فيهما، وخالقهما وما فيهما»[٢].

٧-قوله: «**أنت الحق**»: قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: الحق في أسمائه معناه: المتحقق وجوده، وكل شيء صح وجوده، وتحقق فهو حق[٣]، قال تعالى: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾[٤]، قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنت الحق: فالحق اسم من أسمائه، وصفة من صفاته»[٥].

٨-قوله: «**وقولك الحق**»: أي لا عبث فيه، ولا مرية في صدقه: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[٦]، قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَوْلُكَ حَقٌّ: أي: صدق وعدل، وقال ابن التين: يقول: ووعدك صدق»[٧]، وقال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني قولك الصدق والعدل»[٨].

٩-قوله: «**ووعدك الحق**»: أي أن ما وعدت به في كتابك، وعلى ألسنة رسلك، واقع لاشك في ذلك، ولا مرية فيه، قال الله: ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾[٩]، وقال ا بن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني لا تخلف الميعاد، وتجزي الذين أساؤوا بما عملوا، إلا ما تجاوز عنه، وتجزي الذين أحسنوا بالحسنى»[١٠].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.
(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٩/ ١٨.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ، ٦/ ٢٩٧.
(٤) سورة يونس، الآية: ٣٢.
(٥) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٣/ ١٠٩.
(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٤.
(٧) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٩/ ١٩.
(٨) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٣/ ١٠٩.
(٩) سورة يونس، الآية: ٥٥.
(١٠) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٣/ ١٠٩.

١٠-قوله: «**ولقاؤك الحق**»: أي على الوجه اللائق به ﷻ، فنثبت اللقاء ونفوض كيفيته إلى الله وحده، قال شيخ الإسلام[(١)] ابن تيمية ﷺ: «أما اللقاء، فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة، والمشاهدة بعد السلوك والمسير، وهو متضمن رؤيته كقول الله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ**﴾[(٢)].

١١-قوله: «**والجنة حق والنار حق**»: هذا دليل على أنهما موجودتان، مخلوقتان، باقيتان بإبقاء الله لهما، لا تفنيان أبدًا، قال العيني رحمه الله: «قوله: «**والجنة حق والنار حق**»: فيه الإقرار بهما، وبالأنبياء، وقال ابن التين: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أن خبره بذلك لا يدخله كذب، ولا تغيير، ثانيها: أن خبر من أخبر عنه بذلك، وبلَّغه حق، ثالثها: أنهما قد خلقتا»[(٣)]، وقال ابن بطال رحمه الله: «وقوله [والجنة حق، والنار حق]: «فيه الإقرار بالبعث بعد الموت، والإقرار بالجنة والنار، والإقرار بالأنبياء عليهم السلام»[(٤)].

١٢-قوله «**والنبيون حق**»: لأنهم جميعًا صادقون، وبالوحي مؤيدون، وأنهم بلَّغوا أمر الله وشرعه على أكمل وجه، فلم يكتموا، أو يغيروا، وأنهم اتفقوا جميعًا على الدعوة إلى التوحيد: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[(٥)]، قال العيني رحمه الله: «بأنهم من عند الله»[(٦)]، وقال ابن الملقن رحمه الله: «إنهم رسل الله»[(٧)].

---

(١) مجموع الفتاوى، ٦/ ٤٦١- ٤٧٥.
(٢) سورة الانشقاق، الآية: ٦.
(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١١/ ٢٤٤.
(٤) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٣/ ١٠٩.
(٥) سورة النحل، الآية: ٣٦.
(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١١/ ٢٤٤.
(٧) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٩/ ٢٠.

١٣-قوله: «**ومحمد حق**»: خصه بالذكر تعظيمًا له، وعطفه على النبيين إيذانًا بالتغاير بأنه فائق عليهم بأوصاف مختصة، وجردته عن ذاته مبالغة في إثبات نبوته، كما في التشهد[١]، وقال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومحمد حق: إنما خصّ محمداً من النبيين، وإن كان داخلاً فيهم، وعطفه عليهم، إيذاناً بالتغاير، وأنه فائق عليهم بأوصاف مختصة به؛ فإن تغير الوصف ينزل منزلة تغيير الذات، ثم جرده عن ذاته كأنه غيره، فوجب عليه الإيمان به، وتصديقه، وهذا مبالغة في إثبات نبوته»[٢].

١٤-قوله: «**والساعة حق**»: أي يوم القيامة، وأصل الساعة القطعة من الزمان، وإطلاق اسم الحق على ما ذكر معناه أنه متحقق لا محالة[٣].

١٥-قوله: «**لك أسلمت**»: أي استسلمت، وانقدت لحكمك، قال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: استسلمت، وانقدت لأمرك، ونهيك، وسلمت، ورضيت، وأطعت، من قولهم: أسلم فلان لفلان: إذا انقاد، وعطف عليه»[٤].

١٦-قوله: «**وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ**»: قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تبرأ إليه من الحول، والقوة، وصرف أموره إليه، قال الفراء: الوكيل: الكافي»[٥]، وقال الزرقاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَيْ: فَوَّضْتُ أُمُورِي تَارِكًا النَّظَرَ فِي الْأَسْبَابِ الْعَادِيَّةِ»[٦].

١٧-قوله: «**وبك آمنت**»: أي آمنت بك، وبكل ما أخبرت به على ألسنة رسلك الكرام، قال البيضاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبك آمنت: أي: صدقت، أو بك آمنت نفسي من عذابك»[٧]، ولا شك

---

(١)انظر: فتح الباري، ٣/ ٥.
(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١١/ ٢٤٤.
(٣)انظر: فتح الباري، ٣/ ٥.
(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٩/ ٢٠.
(٥) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٣/ ١٠٩.
(٦) شرح الزرقاني على الموطأ، ٢/ ٥٥.
(٧) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبيضاوي، ١/ ٣٦٠.

أن الإيمان: اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

١٨-قوله: «**وإليك أنبت**»: أي رجعت إليك في تدبير أمري مع تفويض الأمر إليك، قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنبت: الإنابة: الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة»[(١)].

١٩-قوله: «**وبك خاصمت**»: أي بما أعطيتني من البرهان والحجة، قال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَبِكَ خَاصَمْتُ: أي: بما آتيتني من البراهين، احتججت على من عاند فيك، وكفر، وجمعته بالحجة، وسواء خاصم فيه بلسان، أو سيف»[(٢)].

٢٠-قوله: «**وإليك حاكمت**»: أي كل من جحد الحق جعلتك حكمًا بيننا خلافًا لأهل الجاهلية الذين كانوا يتحاكمون إلى الأصنام والكهنة والشياطين، قال القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإليك حاكمت: أي: كل من جحد الحق حاكمته إليك، وجعلتك الحاكم بيني وبينه، لا غيرك، مما كانت تحاكم إليه الجاهلية، من: صنم، وكاهن، ونار، ونحو ذلك، والمحاكمة: رفع القضية إلى الحاكم، وقيل: ظاهره أن لا يحاكمهم إلا الله، ولا يرضى إلا بحكمه»[(٣)].

٢١-قوله: «**فَاغْفِر لي**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الْمَغْفِرَة: تَغْطِيَة الذَّنب وكل مَا غطى فقد غفر وَمِنْه: المغفر.«الغَفُورُ الغَفّارُ، جَلَّ ثَناؤُهُ، ... وَمَعْنَاهُمَا: السَّاتِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ... غَفَرَه يَغْفِرُه غَفراً: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْتَه؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا»[(٤)]، وقال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّمَا قَالَ ذَلِك ﷺ مَعَ أَنه مغْفُور لَهُ لوَجْهَيْنِ: أَحدهمَا: للتواضع، وهضم النَّفس، والإجلال لله تَعَالَى، والتعظيم لَهُ ﷻ، الثَّانِي: للتعليم لأمته؛ ليقتدوا بِهِ

---

(١) جامع الأصول، ٤/ ٢٣٤.
(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٩/ ٢١.
(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١١/ ٢٤٥.
(٤) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من حديث المتن رقم ٢.

فِي أصل الدُّعَاء، والخضوع، وَحسن التضرع، وَالرَّغْبَة والرهبة»[(١)].

٢٢-قوله: «**ما قدمت، وما أخرت**»: قال ابن هبيرة رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي من ذنوبي، أو ما قدمت من شهواتي على حقوقك، وما أخرت من الحقوق التي تجب لك»[(٢)]، وقال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَا أخرت عَنهُ أَمر الْأَنْبِيَاء، عَلَيْهِم الصَّلَاة وَالسَّلَام، بالإشفاق، وَالدُّعَاء إِلَى الله تَعَالَى، وَالرَّغْبَة إِلَيْهِ أَن يغْفر مَا يكون من غَفلَة تعتري الْبشر، وَمَا قدم: مَا مضى، وَمَا أخر: مَا يسْتَقْبل»[(٣)].

٢٣-قوله: «**وَمَا أسررت، وَمَا أعلنت**»: أَي: وَمَا أخفيت، وما أعلنت: أَي: وَمَا أظهرت، أَو الْمَعْنى: مَا حدثت بِهِ نَفسِي وَمَا تحرّك بِهِ لساني»[(٤)].

٢٤-قوله: «**وما أنت أعلم به مني**»: قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «قيل: إنه قاله تواضعًا وعد على نفسه فوات الكمال ذنبًا، وقيل: أراد ما كان عن سهو، وقيل: ما كان قبل النبوة، وعلى كل حال فهو مغفور له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، فدعا بهذا وغيره؛ تواضعًا؛ لأن الدعاء عبادة»[(٥)]، وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا التَّعْمِيمُ وَهَذَا الشُّمُولُ لِتَأْتِيَ التَّوْبَةُ عَلَى مَا عَلِمَهُ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ وَمَا لَمْ يَعْلَمْهُ»[(٦)].

٢٥-قوله: «**أنت المقدم وأنت المؤخر**»: أي: أن الله قدم بعضًا من مخلوقاته على بعض في الخلق، والإيجاد ومن ذلك:

أ – تقديم خلق القلم[(٧)].

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري/ ٧/ ١٦٧.
(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٣/ ١٩.
(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٧/ ١٦٧.
(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٧/ ١٦٧.
(٥) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٩/ ٣٤٧.
(٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ١/ ٢٨٣.
(٧) لحديث عبادة بن الصامت ﷺ عند أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر، برقم ٤٧٠٠: «إِنَّ أَوَّلَ =

ب – تقديم خلق الملائكة على خلق الجن والإنس[(١)].

ج – تقديم خلق الجن على خلق الإنس ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾[(٢)].

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: المقدم لما شئت تقديمه، والمؤخر لما شئت تأخيره»[(٣)].

٢٦-والتقديم والتأخير صفتان بين صفات الأفعال التابعة لمشيئة الله ﷻ، وحكمته هما أيضًا صفتان للذات؛ إذ قيامهما بالذات لا بغيرهما، ولا يجوز إفراد أحدهما عن الآخر[(٤)]، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: «**أنت المقدم**»: أي: تقدم من تشاء من خلقك، بتوفيقك إلي رحمتك، وتؤخر من تشاء عن ذلك»[(٥)].

٢٧-قوله: «**لا إله إلا أنت**»: أي: لا معبود بحقٍّ غيرك، ولا معروف بهذه المعرفة سواك[(٦)]، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إثبات للإلهية المطلقة لله تعالى على سبيل الحصر، بعد إثبات الملك له»[(٧)].

٢٨-قوله: «**أنت إلهي**»: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله لله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لابد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات؛ ولهذا تجد الذين ينكرون صفات الله ﷻ عندهم نقص عظيم في العبودية؛ لأنهم يعبدون لا شيء، فالرب لابد أن يكون كامل الصفات،

مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، يَا بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي» وصححه الألباني في المشكاة، برقم (٩٤).

(١) لقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ البقرة: ٣٠.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٧.

(٣) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ١٨٧.

(٤) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للنجدي، ٣/ ٥٨.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٢٤.

(٦) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٣.

(٧) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.

حتى يعبد بمقتضى هذه الصفات؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[١]، أي: تعبّدوا له، وتوسّلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»[٢].

٢٩-قوله: «إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ»: كان النبي ﷺ يدعو الله ﷻ في أوقات ليله، ونهاره، وعند نومه، ويقظته بنوع من الدعاء يصلح لحاله تلك ولوقته[٣].

٣٠-قوله: «أنت قيّام السموات والأرض»: قال النووي رحمه الله: «وفي الرواية الثانية: «قيّم» قال العلماء من صفاته القيّام، والقيّم كما صرح به هذا الحديث، والقيّوم بنص القرآن، وقائم، ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ﴾[٤]، قال الهروي ويقال قوام قال ابن عباس: القيوم الذي لايزول، وقال غيره: هو القائم على كل شيء، ومعناه مدبر أمر خلقه، وهما سائغان في تفسير الآية والحديث...»[٥]، وقال ابن الأثير رحمه الله: «القيام: القيم، والقيوم، والقيام والقائم: بمعنى واحد، أي: حافظ السموات والأرض»[٦].

٣١-قوله: «ولا حول ولا قوة إلا بالله»: إشارة إلى أنه لا توجد قابضة حركة، ولا قابضة سكون في خير وشر إلا بأمر الله التابع لمشيئته ﷻ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٧]»[٨].

---

(١) سورة الأعراف، الاية: ١٨٠.
(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠.
(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ١٠/ ٨٥.
(٤) سورة الرعد، الآية: ٣٣.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٥٤.
(٦) جامع الأصول (٤/ ٢٣٤)
(٧) سورة يس، الآية ٨٢، وانظر: شرح المفردة رقم ٩ من مفردات حديث المتن رقم ٢.
(٨) فيض القدير للمناوي، ٢/ ١٥١.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-استحباب تقديم الحمد والثناء قبل المسألة اقتداءً بالرسول الكريم ﷺ.

٢-عظيم معرفة النبي ﷺ بربه وتحقيقه لأعلى درجات العبودية والتسليم.

٣-وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل جميعًا، فمن كذَّب بواحد منهم فقد كفر بالجميع. قال الله ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[1]، ونوح هو أول رسول، فلما كذبوا حكم الله عليهم بأنهم كذبوا الجميع.

٤-اشتمل هذا الحديث على صفات الربوبية، والقيومية، والنور، وهي صفات قائمة له لا تفارقه، وآثارها منفصلة عنه وهي مخلوقة[2] أي آثار هذه الصفات.

٥-واشتمل على توحيد الألوهية، والإقرار به، لقوله: «**وأنت إلهي، لا إله إلا أنت**».

٦-النور: صفة لله ﷻ وهذا النور على نوعين:

أ – نور حسي.

ب – نور معنوي.

أما الحسي فهو ما اتصف به من النور العظيم الذي لا يفارق ذات الرب ﷻ وهو على ثلاثة أنواع:

١-يضاف إليه كما قال: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[3]. فإن إشراق الأرض يوم القيامة لا يكون بشمس ولا بقمر؛ لأن الشمس تكور والقمر يخسف ويذهب نورهما[4].

٢ – إضافة نوره إلى السموات والأرض: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[5].

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٠٥.
(٢)انظر: مختصر الصواعق المرسلة، ١٠٣٦/٣.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٩.
(٤)انظر: الوابل الصيب ص ١١٧.
(٥) سورة النور، الآية: ٣٥.

قال ابن القيم: «وَمَنْ تَعَدَّى أَنْ يَقُولَ: اللهُ نُورٌ، فَقَدْ تَعَدَّى إِلَى غَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ يُسَمِّي نَفْسَهُ لِعِبَادِهِ بِمَا لَيْسَ هُوَ بِهِ»[١].

٣ – قول النبي ﷺ: «**حجابه النور**»[٢]. وهذا النور لا يعبر عنه إلا بمثل هذه العبارة؛ لأن جميع المخلوقات لا تثبت أمام نوره في الدنيا، أما أهل الجنة فيعطيهم الله حياة كاملة حتى يتمكنوا من رؤيته، ويقوِّي أبصارهم لذلك.

وأما النوع الثاني من النور - وهو المعنوي - فهو نور معرفته ومحبته الذي أكرم الله به رسله وأولياءه وأصفياءه.

٧- من الأدلة على أن الجنة والنار موجودات الآن قوله تعالى في شأن الجنة: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[٣]. وقوله في شأن النار: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾[٤]. ومن الأدلة العامة قول النبي ﷺ: «**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**»[٥]. والأدلة على ذلك كثيرة جدًّا، تراجع في مظانها من كتب عقيدة أهل السنة والجماعة وهي الفرقة الناجية والطائفة المنصورة بإذن الله تعالى.

***

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة، ١/ ٤٢٥.

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، بَابٌ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللهُ لَا يَنَامُ، وَفِي قَوْلِهِ: حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ، برقم ١٧٩ عن أبي موسى رضي الله عنه.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣١.

(٥) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، برقم ٣٠٦٩.

١٧ – دُعَاءُ الرُّكُوعِ

٣٣-(١) «سُبْحانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ». ثلاث مرَّاتٍ(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٢٣-عَنْ حُذَيْفَةَ بن اليمان رضي الله عنه(٢)، أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ» وَفِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى» وَمَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ عِنْدَهَا فَسَأَلَ، وَلَا بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ عِنْدَهَا، فتعوّذ، هذا لفظ أبي داود(٣).

١٢٤-ولفظ مسلم عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ» فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا

(١) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، برقم ٧٧٢ بذكر التسبيح في الركوع والسجود مرة واحدة، وأحمد، ٣٨/ ٣٩٢، برقم، ٢٣٣٧٥، بذكر التسبيح في الركوع والسجود مرتين، ، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم ٨٧١ بذكر التسبيح في الركوع والسجود مرة واحدة، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود، برقم ٢٦٢، بذكر التسبيح في الركوع والسجود مرة واحدة، والنسائي، كتاب التطبيق، باب الذكر في الركوع، برقم ١٠٤٦ بذكر التسبيح في الركوع والسجود مرة واحدة، وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب التسبيح في الركوع والسجود، برقم ٨٨٨ بلفظ التسبيح في الركوع والسجود ثلاث مرات، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/ ٨٣ ، وفي صحيح ابن ماجه، ١/ ١٦٨، وفي إرواء الغليل، برقم ٣٣٣، وصححه محققو المسند، ٣٨/ ٣٩٢.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٦ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٨٧١، وصححه الألباني في الإرواء، برقم ٣٣٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**» ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى**»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ. قَالَ: وَفِي حَدِيثِ جَرِيرٍ مِنَ الزِّيَادَةِ، فَقَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ**»(١).

١٢٥-ولفظ أحمد عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ قَالَ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ، وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ**» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ الْبَقَرَةَ، ثُمَّ رَكَعَ، وَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**» ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْوًا مِنْ رُكُوعِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «**لِرَبِّيَ الْحَمْدُ، لِرَبِّيَ الْحَمْدُ**» ثُمَّ سَجَدَ، فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى**» ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَكَانَ مَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنَ السُّجُودِ، وَكَانَ يَقُولُ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي**» قَالَ: حَتَّى قَرَأَ الْبَقَرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءَ، وَالْمَائِدَةَ، وَالْأَنْعَامَ، شُعْبَةُ الَّذِي يَشُكُّ فِي الْمَائِدَةِ وَالْأَنْعَامِ»(٢).

١٢٦-ولفظ آخر لأبي داود عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَكَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ** - ثَلَاثًا - **ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ**» ثُمَّ اسْتَفْتَحَ فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ، ثُمَّ رَكَعَ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**» ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْوًا مِنْ رُكُوعِهِ، يَقُولُ: لِرَبِّيَ الْحَمْدُ، ثُمَّ سَجَدَ، فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، فَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى**» ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ، وَكَانَ يَقْعُدُ فِيمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنْ سُجُودِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي**» فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَقَرَأَ فِيهِنَّ الْبَقَرَةَ،

---

(١) أخرجه مسلم، برقم ٧٧٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) أحمد، برقم ٢٣٣٧٥، وصححه محققو المسند، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وَآلَ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءَ، وَالْمَائِدَةَ، أَوِ الْأَنْعَامَ، شَكَّ شُعْبَةُ»[١].

١٢٧-ولفظ الترمذي عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّىَ الْعَظِيمِ**» وَفِي سُجُودِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّىَ الأَعْلَى**» وَمَا أَتَى عَلَى آيَةِ رَحْمَةٍ إِلاَّ وَقَفَ وَسَأَلَ، وَمَا أَتَى عَلَى آيَةِ عَذَابٍ إِلاَّ وَقَفَ وَتَعَوَّذَ»[٢].

١٢٨-ولفظ ابن ماجه: عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ[٣] ﷺ، **أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ** ﷺ يَقُولُ إِذَا رَكَعَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ**»[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**سبحان ربي**»: أي أنزه ربي وأجله عن كل عيب أو نقص، قال ابن الأثير رحمه الله: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً، يقال: سبحته أسبحه تسبيحاً، وسبحاناً، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله، وهو نصب على المصدر بفعل مضمر، كأنه قال: أبرئ الله من السوء براءة»[٥]، وفي قوله: «**ربي**»: قال ابن الأثير رحمه الله أيضاً: «الرب يطلق في اللغة على: المالك، والسيد المدبر، والمربي، والقيم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى وإذا أطلق على غيره أضيف فيقال رب كذا»[٦].

٢-قوله: «**العظيم**»: أي الموصوف بكل صفة كمال؛ لأنه المستحق

---

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، بَابُ مَا يَقُولُ الرَّجُلُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ، برقم ٨٧٤، وذكر فيه: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة أو الأنعام بالشك، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/ ١٦٦، برقم ٧٧٧.

(٢) الترمذي، برقم ٢٦٢، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/٨٣ ، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٦ من أحاديث الشرح.

(٤) ابن ماجه، برقم ٨٨٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/ ١٦٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ١٧٨.

للتعظيم المطلق، قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «العظيم، كامل الأسماء والصفات، كثير الإحسان والخيرات، واحمده بقلبك ولسانك، وجوارحك، لأنه أهل لذلك، وهو المستحق لأن يشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى، ويطاع فلا يعصى»(١).

٣-قوله: «**الأعلى**»: هي صفة للرب العلي، وهي تدل على علوه على جميع خلقه، فالكل خاضع لأمره، وهو قاهر لهم، لا يخرج أحد عن قبضته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَذَلِكَ أَنَّ السُّجُودَ غَايَةُ الْخُضُوعِ وَالذُّلِّ مِنَ الْعَبْدِ، وَغَايَةُ تَسْفِيلِهِ وَتَوَاضُعِهِ: بِأَشْرَفِ شَيْءٍ فِيهِ لِلَّهِ - وَهُوَ وَجْهُهُ - بِأَنْ يَضَعَهُ عَلَى التُّرَابِ، فَنَاسَبَ فِي غَايَةِ سُفُولِهِ أَنْ يَصِفَ رَبَّهُ بِأَنَّهُ الْأَعْلَى، وَالْأَعْلَى أَبْلَغُ مِنَ الْعَلِيِّ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ لَيْسَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْءٌ؛ هُوَ بِاعْتِبَارِ نَفْسِهِ عَدَمٌ مَحْضٌ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ الْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ نَصِيبٌ، وَكَذَلِكَ فِي الْعُلُوِّ فِي الْأَرْضِ لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِيهِ حَقٌّ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ ذَمَّ مَنْ يُرِيدُ الْعُلُوَّ فِي الْأَرْضِ: كَفِرْعَوْنَ، وَإِبْلِيسَ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَحْصُلُ لَهُ الْعُلُوُّ بِالْإِيمَانِ؛ لَا بِإِرَادَتِهِ لَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾(٢)، فَلَمَّا كَانَ السُّجُودُ غَايَةَ سُفُولِ الْعَبْدِ، وَخُضُوعِهِ، سَبَّحَ اسْمَ رَبِّهِ الْأَعْلَى، فَهُوَ سُبْحَانَهُ الْأَعْلَى، وَالْعَبْدُ الْأَسْفَلُ، كَمَا أَنَّهُ الرَّبُّ، وَالْعَبْدُ الْعَبْدُ، وَهُوَ الْغَنِيُّ وَالْعَبْدُ الْفَقِيرُ، وَلَيْسَ بَيْنَ الرَّبِّ وَالْعَبْدِ إِلَّا مَحْضُ الْعُبُودِيَّةِ، فَكُلَّمَا كَمَّلَهَا قَرُبَ الْعَبْدُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ بَرٌّ، جَوَادٌ، مُحْسِنٌ، يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُنَاسِبُهُ، فَكُلَّمَا عَظُمَ فَقْرُهُ إِلَيْهِ كَانَ أَغْنَى؛ وَكُلَّمَا عَظُمَ ذُلُّهُ لَهُ كَانَ أَعَزَّ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ - لِمَا فِيهَا مِنْ أَهْوَائِهَا الْمُتَنَوِّعَةِ، وَتَسْوِيلِ الشَّيْطَانِ لَهَا - تَبْعُدُ عَنْ اللَّهِ حَتَّى تَصِيرَ مَلْعُونَةً بَعِيدَةً مِنْ الرَّحْمَةِ»(٣).

٤-قوله: «**يقرأ مترسلاً**» غير مستعجل(٤).

٥-قوله: «**إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ**

---

(١) انظر: تفسير السعدي، ص ٨٣٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٣٩.
(٣) مجموع الفتاوى، ٥/ ٢٣٨.
(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٠٢.

تعوذ»، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويستعيذ عند آية الوعيد، ويسأل عند آية الرحمة، ويسبح عند آية التسبيح»[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-وجوب تعظيم الله في حالة الركوع؛ لقول النبي ﷺ: «**أما الركوع فعظموا فيه الرب**»[٢]، وذكر الثلاث تسبيحات القصد منه الطمأنينة فعلًا، لا كمن ينقر الصلاة وهو لاهٍ قلبه، عابث في ثيابه وأعضائه.

٢-تعظيم الله من المصلي: يكون بالقلب، واللسان، والجوارح، وذلك ببذل الجهد في التعرف عليه للوصول إلى مرضاته.

٣-إبطال أفعال الجاهلين بشرع الله من: الانحناء للأشخاص على سبيل التحية، وهذا يجرهم إلى الركوع، أو السجود لغير الله.

٤-السنة أثناء الركوع أن يكون ظهر المصلي مستويًا، وهذا يشمل استواء الظهر في المد، واستواءه في العلو والنزول، قال وابصة بن معين رضي الله عنه: «رأيت رسول الله ﷺ يصلي، فكان إذا ركع سوَّى ظهره، حتى لو صب عليه الماء لاستقر»[٣].

٥-من السنة أثناء الركوع وضع الكفين على الركبتين مع تفريج أصابع اليدين[٤].

٦- قولنا: «**سبحان ربي العظيم**» يتضمن أمورًا:

أ- تنزيه الله عن مطلق النقص: كالجهل، والعجز، والضعف، والموت، والنوم، وما أشبه ذلك.

---

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٠٢.
(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، برقم ٤٧٩.
(٣) ابن ماجه، كتاب إقامة الصلوات، باب الركوع في الصلاة، رقم ٨٧٢، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٧١٢، وفي الروض النضير، ص ٧٨.
(٤) انظر ما ترجم له البخاري قبل الحديث رقم (٧٩٠).

ب – تنزيه الله عن النقص في كماله: فينزه عن التعب فيما يفعله، قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾[1]؛ لأن التعب والإعياء نقص في الكمال.

جـ – التنزيه عن مماثلة المخلوقين؛ لأن مقارنة الكامل بالناقص يجعله ناقصًا.

قال الشاعر:

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل إن السيف أمضى من العصا[2]

٧- حديث عقبة بن عامر عند أبي داود وغيره أنه لما نزلت: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قال النبي ﷺ: «**اجعلوها في ركوعكم**» فلما نزلت ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: «**اجعلوها في سجودكم**»[3].

***

٣٤-(٢)«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»[4].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٢٩-لفظ البخاري: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها[5]، قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي

---

(١) سورة ق، الآية: ٣٨.

(٢) انظر: الشرح الممتع لابن عثيمين. كتاب الصلاة، ص ٩٢ .

(٣) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم ٨٦٩، وصحيح ابن خزيمة، ١/ ٣٠٣، برقم ٦٠٠، ومسند أحمد، ٢٨/ ٦٣٠، برقم ١٧٤١٤، والحاكم وصححه، ١/ ٢٢٥، ورأى محققو المسند أنه يحتمل التحسين، وانظر: إرواء الغليل، برقم ٣٣٤، حيث أطال الحديث عنه.

(٤) البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء في الركوع، برقم، ٧٩٤، ومسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع، برقم ٤٨٤.

(٥) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»(١).

١٣٠-وفي لفظ للبخاري عنْ عَائِشَةَ ﭬ، قَالَتْ: مَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلاَةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ**﴾(٢) إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: «**سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»(٣).

١٣١-وفي لفظ مسلم: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي**» يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ(٤).

١٣٢-وفي لفظ لمسلم: عَنْ عَائِشَةَ ﭬ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: «**سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**» قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَرَاكَ أَحْدَثْتَهَا تَقُولُهَا؟ قَالَ: «**جُعِلَتْ لِي عَلاَمَةٌ فِي أُمَّتِي إِذَا رَأَيْتُهَا قُلْتُهَا**» ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ**﴾(٥) إِلَى آخِرِ السُّورَةِ(٦).

١٣٣-ولفظ آخر لمسلم: عَنْ عَائِشَةَ ﭬ، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُنْذُ نَزَلَ عَلَيْهِ: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ**﴾(٧) يُصَلِّي صَلاَةً إِلَّا دَعَا. أَوْ قَالَ فِيهَا: «**سُبْحَانَكَ رَبِّي وَبِحَمْدِكَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي**»(٨).

١٣٤-وفي لفظ لمسلم عَنْ عَائِشَةَ ﭬ قَالَتْ: افْتَقَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَتَحَسَّسْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ، فَإِذَا هُوَ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ يَقُولُ: «**سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**» فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي،

---

(١) البخاري، برقم، ٧٩٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) سورة النصر، الآية: ١.
(٣) البخاري، كتاب التفسير، باب سورة النصر، برقم، ٤٩٦٧.
(٤) مسلم، برقم،٢١٦- (٤٨٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٥) سورة النصر، الآية: ١.
(٦) مسلم، برقم، ٢١٨- (٤٨٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٧) سورة النصر، الآية: ١.
(٨) مسلم، برقم، ٢١٩- (٤٨٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

إِنِّي لَفِي شَأْنٍ وَإِنَّكَ لَفِي آخَرَ[(١)].

١٣٥-وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ[(٢)]، قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾، كَانَ يُكْثِرُ إِذَا قَرَأَهَا وَرَكَعَ أَنْ يَقُولَ «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**» ثَلَاثًا[(٣)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**سبحانك اللَّهم ربنا وبحمدك**»: أي سبحتك، ونزهتك بحمدك، وتوفيقك لي، لا بحولي وقوتي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ التَّسْبِيحَ قَدْ خُصَّ بِهِ حَالُ الِانْخِفَاضِ كَمَا خُصَّ حَالُ الِارْتِفَاعِ بِالتَّكْبِيرِ، فَذَكَّرَ الْعَبْدَ فِي حَالِ انْخِفَاضِهِ وَذُلِّهِ مَا يَتَّصِفُ بِهِ الرَّبُّ مُقَابِلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ فِي السُّجُودِ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى**»، وَفِي الرُّكُوعِ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**»، و«**الْأَعْلَى**» يَجْمَعُ مَعَانِيَ الْعُلُوِّ جَمِيعَهَا وَأَنَّهُ الْأَعْلَى بِجَمِيعِ مَعَانِي الْعُلُوِّ، وَقَدْ اتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ عَلَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، بِمَعْنَى أَنَّهُ قَاهِرٌ لَهُ، قَادِرٌ عَلَيْهِ مُتَصَرِّفٌ فِيهِ»[(٤)].

٢-قوله: «**اللَّهم اغفر لي**»: طلب المغفرة منه لربه رغم مغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر، تعليم للأمة وإظهار لأكمل مراتب العبودية.

---

(١) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم، ٤٨٥.
(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح.
(٣) مسند أحمد، ٦/ ٢٠٧، برقم ٣٦٨٣، وأبو يعلى، ٩/ ١٤٨، برقم ٥١٢٣٠، ومختصر قيام الليل للمروزي، ص ١٨٢، وحسّن إسناده لغيره محققو المسند، وقال الحافظ ابن رجب عن رواية الإمام أحمد هذه في فتح الباري، ٥/ ٦٠: «وأبو عبيدة، لم يسمع من أبيه، لكن رواياته عنه صحيحة» وقال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/ ٨٣، برقم ٢٠٨٤: «قلت: ورجاله ثقات، رجال الشيخين غير أبي عبيدة، وهو ثقة، لكنه لم يسمع من أبيه على الراجح كما قال الحافظ، وقد صرح أبو إسحاق بسماعه من أبي عبيدة، في رواية شعبة عنه به نحوه».
(٤) مجموع الفتاوى، ١٦/ ١١٨.

٣-قوله: «**يتأول القرآن**»: أي يعمل ما أمر به في قوله الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[١][٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية هذا الذكر في الركوع، مع ضمه إلى «**سبحان ربي العظيم**».

٢-مشروعية الدعاء بهذا الدعاء في الركوع، والذي يتضمن طلب المغفرة يفهم منه الرد على من كره الدعاء في الركوع مطلقًا، ولذلك أورده البخاري تحت باب قال فيه: باب: الدعاء في الركوع.

٣-لما نزلت سورة النصر فهم النبي ﷺ أن أجله قد دنا؛ ولذلك كان يتهيأ للقاء ربه بكثرة قول هذا الدعاء، وقد تضمنت هذه السورة المباركة بشارة وإشارة: أما البشارة فهي النصر والتمكين، وأما الإشارة فهي استمرار هذا النصر بعد موته إذا أدى من جاء بعده شكر هذه النعمة بالاستغفار والتسبيح، وقد وقع هذا وعم الإسلام معظم العالم، ولله الحمد.

٤- تأويل القرآن: تارة يراد به تفسير معناه بالقول، وتارة يراد به امتثال أوامره بالفعل، وبهذا يقال: من ارتكب شيئاً من الرخص لتأويل سائغ أو غيره: أنه فعله متأولاً[٣].

٣٥- (٣)«سُبُّوحٌ، قُدُّوسٌ، رَبُّ المَلائِكَةِ وَالرُّوحِ»[٤].

---

(١) سورة النصر، الآية: ٣.

(٢) انظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن رجب، ٥/ ١٣٠.

(٣) انظر: فتح الباري، لابن رجب، ٥/ ١٣٠.

(٤) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم ٤٨٧، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم ٨٧٢، وأحمد، برقم ٢٥٦٠٦، وصحح إسناده محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١/ ١٦٥، برقم ٧٧٥.

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٣٦-عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ(١)، أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها(٢)، نَبَّأَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ**»، هذا لفظ مسلم(٣).

١٣٧-وفي لفظ للإمام أحمد عَنْ عَائِشَةَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**»، ثُمَّ شَكَّ يَحْيَى فِي ثَلَاثٍ(٤).

١٣٨-ولفظ أبي داود: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبُّوحٌ، قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ**»(٥).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**سبوح قدوس**»: سبوح: أي المبرأ، والمنزه عن النقائص والشريك، وكل ما لا يليق به تعالى، وقوله: «**قدوس**»: أي المُطهر من كل ما لا يليق به عز وجل؛ لأنه يُسبَّح، وُيقدَّس، وهو المستحق لذلك، قال القاضي عياض رحمه الله: «وقوله: «سُبُّوحٌ قدوس»: بضم السين والقاف فيهما وفتحهما أيضًا، فسبوح من البراءة من النقائص والشريك: وما لا يليق بالإلهية والتنزيه عن

(١) مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير - بكسر الشين المعجمة، وتشديد الخاء المعجمة المكسورة، بعدها تحتانية ساكنة، ثم راء- العامري الحَرَشي - بمهملتين مفتوحتين، ثم معجمة-: أبو عبد الله البصري، ثقة، عابد، لَهُ فَضْلٌ، وَوَرَعٌ، وَعَقْلٌ، وَأَدَبٌ، مات سنة خمس وتسعين. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤/ ١٧٧، ترجمة (٧٧)، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ص ٥٣٤.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٤٨٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أحمد، ٤٢/ ٣٨٨، برقم ٢٥٦٠٦، وصحح إسناده محققو المسند، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) أبو داود، برقم ٨٧٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٧٧٥ وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ذلك، وقدوس من التطهير عما لا يليق به، ومنه الأرض المقدسة، وهو بمعنى سُبّوح، قال الهروي: وجاء في التفسير: القدوس: المباركَ»[١].

٢-قوله: «**رب الملائكة**»: قال القرطبي صاحب المفهم: «أي: مالكهم وخالقهم وراَبّهم؛ أي: مصلح أحوالهم»[٢]. وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «رب الملائكة، وهم جند الله عَزَّوَجَلَّ عالم لا نشاهدهم»[٣].

٣-قوله: «**والروح**»: هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهذا كقوله: ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا**﴾[٤]. وقال ابن الأثير: «والروح : قيل : هو اسم ملك من الملائكة عظيم الشأن والخلق ، وقيل : هو اسم جبريل ، وقيل: هو روح الخلائق التي بها حياتهم وبقاؤهم»[٥].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الكون كله مسبح لخالقه ﴿**يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾[٦]، وهذا التسبيح إما بلسان الحال، أو لسان المقال.

٢-إثبات أن القدوس من أسماء الله التي تعرّف بها إلى عباده، وهذا الاسم هو صفة لله يستحقها لذاته، قال ابن القيم:

هذا ومن أوصافه القدوس التنزيه بالتعظيم للرحمن[٧]

٣-في الحديث بيان لربوبية الله للملائكة عمومًا، وإنما خص جبريل لأنه

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٤٠٢.
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٥/ ٢١.
(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٢٧.
(٤) سورة القدر، الآية: ٤.
(٥) جامع الأصول، لابن الأثير، ٤/ ١٩٢.
(٦) سورة الجمعة، الآية: ١.
(٧) النونية، ٢/٢٣٣.

أفضلهم، فهو الروح الأمين؛ لقوله ﷻ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾[(١)] وهو أيضًا روح القدس؛ لقول النبي ﷺ: «**إن روح القدس قد نفث في روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب...**»[(٢)].

٤- ذكر الملائكة والروح بعد قوله: «سبوح قدوس» إشارة إلى تسبيح الملائكة لخالقهم ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[(٣)]، وقال الله ﷻ: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[(٤)]، وهذا بيان لجلال سلطان الله، وسعة ملكه، وكمال علمه ﷻ.

٥- ليس معنى تنزيه الله هو تعطيل صفاته، ونفي معاني أسمائه، كما قال أهل البدع؛ لأن تنزيه أهل السنة ليس فيه تعطيل، وإثباتهم ليس فيه تشبيه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[(٥)].

***

٣٦- (٤)«اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي، وَمَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ قَدَمِي»[(٦)].

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٩٣.

(٢) ابن أبي شيبة (٧/ ٧٩ ، رقم ٣٤٣٣٢، وهناد في الزهد، ١/ ٢٨١، برقم ٤٩٤، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٠/ ٢٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ١/ ١٩٩، برقم ٢٠٨٥، وهو من حديث أبي أمامة ﷺ.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٠.

(٥) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٦) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٧١، والأربعة إلا ابن ماجه: أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، برقم ٧٦٠، ورقم ٧٦١، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل، برقم ٣٤٢١، والنسائي، كتاب التطبيق، باب نوع آخر من الذكر في الركوع، برقم ١٠٤٩، وما بين المعقوفين لفظ ابن خزيمة، ١/ ٣٠٦، برقم ٦٠٧، وابن حبان، ٥/ ٢٢٨، برقم ١٩٠١.

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٣٩-عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ[١]، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»، وَإِذَا رَكَعَ، قَالَ: «**اللهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي**»، وَإِذَا رَفَعَ، قَالَ: «**اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**»، وَإِذَا سَجَدَ، قَالَ: «**اللهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**» ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**» هذا لفظ مسلم[٢].

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، برقم ٧٧١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

١٤٠-ولفظ ابن خزيمة: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه[(١)]، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَكَعَ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، أَنْتَ رَبِّي، خَشَعَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي، وَمَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ قَدَمَيَّ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**»، جَمِيعُهُمَا لَفْظًا وَاحِدًا، غَيْرَ أَنَّ مُحَمَّدًا، قَالَ: قَالَ: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، وَقَالَ: «**وَعِظَامِي**»[(٢)].

١٤١-ولفظ ابن حبان: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَكَعَ قَالَ: «**اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، أَنْتَ رَبِّي، خَشَعَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي، وَمَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ قَدَمِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**»[(٣)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم لك ركعت**»: الركوع الانحناء في الظهر، والمقصود منه تعظيم الله عز وجل، وفيه يجتمع التعظيم القولي والفعلي، قال العيني رحمه الله: «تأخير الفعل [ركعت] للاختصاص، والركوع: الميلان والخرور، يقال: ركعت النخلة إذا مالت، وقد يذكر ويراد به الصلاة من إطلاق اسم الجزء على الكل»[(٤)].

٢-قوله: «**وبك آمنت**»: معنى الإيمان بالله هو التصديق الجازم بوجود الله، وأنه لم يسبق بضد، ولم يعقب به، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وتوحيده بإلهيته، وربوبيته، وأسمائه ،وصفاته، والإيمان بما أنزل من الكتب، وأرسل من الرسل والإيمان بكل ما أخبر به سبحانه وتعالى، قال البيضاي رحمه الله: «وبك آمنت: أي: صدقت، أو بك

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.
(٢) صحيح ابن خزيمة، ١/ ٣٠٦، برقم ٦٠٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) صحيح ابن حيان، ٥/ ٢٢٨، برقم ١٩٠١، وصححه محقق ابن حبان، والألباني في التعليقات الحسان، ٦/ ١٢٢١، برقم ١٨٩٨.
(٤) شرح أبي داود للعيني، ٣/ ٣٦٢.

آمنت نفسي من عذابك»[١]، والإيمان: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة.

٣-قوله: «**ولك أسلمت**»: معنى الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، مع الخلوص التام من الشرك[٢]، قال الله تعالى: ﴿**فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ**﴾[٣].قال ابن الملقن رحمه الله: «أي: استسلمت، وانقدت لأمرك، ونهيك، وسلمت، ورضيت، وأطعت، من قولهم: أسلم فلان لفلان: إذا انقاد، وعطف عليه»[٤].

٤-قوله: «**خشع لك سمعي وبصري**»: الخشوع في الصلاة هو حضور القلب بين يدي الله، وهذا يترتب عليه سكون الحركات، وقلة الالتفات، وتدبر الأقوال، والأفعال، و على قدر الخشوع يكون الأجر، وقال ابن الأثير رحمه الله: «خشع: الخشوع: الخضوع والذل[٥]، وقال الرافعي رحمه الله: «يمكن أن يراد به: خشعت لك بجملتي أجزائي: كالعظام، والشعر، وصفاتي: كالسمع، والبصر، وبأصول أعضائي: كالعظم، والعصب، وبزوائدها كالشعر، وبالبادي مني، وهو البشرة، وبالباطن كالمخ والعظم»[٦].

قوله: «**ومخي وعظمي وعصبي**»: قال العيني رحمه الله: «وأما تخصيص المخ والعظم والعصب فلأن ما في أقصى قعر البدن المخ، ثم العظم، ثم العصب؛ لأن المخ يمسكه العظم، والعظم يمسكه العصب، وسائر أجزاء البدن مركبة

---

(١) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبيضاوي، ١/ ٣٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٧ من مفردات حديث المتن رقم ٣٢.
(٢) انظر: ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة للحكمي، ص ٢٣.
(٣) سورة الحج، الآية: ٣٤. وتقدم في شرح المفردة رقم ١٥ من مفردات حديث المتن رقم ٣٢.
(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٩/ ٢٠.
(٥) جامع الأصول، ٤/ ١٩٤.
(٦) شرح مسند الشافعي، ١/ ٣٣٦.

عليها...وأما انقياد السمع، فالمراد به قبول سماع الحق، والإعراض عن سماع الباطل، وأما انقياد البصر فالمراد به صرف نظره إلى كل ما ليس فيه حرمة، والاعتبار به في المشاهدات العلوية والسفلية، وأما انقياد المخ، والعظم، والعصب، فالمراد به انقياد باطنه كانقياد ظاهره؛ لأن الباطن إذا لم يوافق الظاهر لا يكون انقياد الظاهر مفيداً معتبراً، وانقياد الباطن عبارة عن تصفيته عن دنس الشرك والنفاق، وتزيينه بالإخلاص والعلم والحكمة، وترك الغل، والغش، والحقد، والحسد، والظنون، والأوهام الفاسدة، ونحو ذلك من الأشياء التي تخبث الباطن، وانقياد الظاهر عبارة عن استعمال الجوارح بالعبادات، كل جارحة بما يخصها من العبادة التي وضعت لها»[1].

٥-قوله: «**وما استقلت به قدمي**»: أي: جميع بدني، وهو من باب عطف العام على الخاص، وقال الإمام النووي رحمه الله: «أي: قامت به وحملته ومعناه جميع جسمي وإنما أتى بهذا بعد قوله خشع سمعي وبصري وعظامي وشعري وبشري للتوكيد»[2].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-من علامات التوفيق استعمال الجوارح في طاعة الله، وكفها عن المعاصي التي بها تزول النعم، كما أن شكرها يبارك في النعمة الموجودة ويأتي بالنعمة المفقودة.

٢-تدبر هذه الأذكار وأمثالها يبعث في القلب خشية الله، ومراقبته، ويزيد الإيمان عند المسلم؛ لأن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، وهو يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة.

٣- خص النبي ﷺ من الحواس السمع والبصر؛ لأن أكثر الآفات تقع بهما،

(١) شرح أبي داود للعيني، ٣/ ٣٦٣.
(٢) تحرير ألفاظ التنبيه، للنووي، ص ٦٧.

فإذا خشعتا قلت الهواجس والوساوس، وخص المخ والعظم والعصب؛ لأن سائر أجزاء البدن مركبة عليها، فإذا حصل الانقياد لها كان الباقي من باب أولى، وهذا انقياد باطن كما أن خشوع السمع والبصر انقياد ظاهر[1].

***

٣٧-(٥) «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ، وَالْمَلَكُوتِ، وَالْكِبْرِيَاءِ، وَالْعَظَمَةِ»[2].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٤٢-عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ رضي الله عنه[3]، قَالَ: قُمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً، فَقَامَ فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ، قَالَ: ثُمَّ رَكَعَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ، يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «**سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ**»، ثُمَّ سَجَدَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ فِي سُجُودِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَامَ فَقَرَأَ بِآلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَرَأَ سُورَةً سُورَةً» هذا لفظ أبي داود[4].

١٤٣-ولفظ النسائي: عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قُمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً، فَقَامَ فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ،

---

(١) انظر العلم الهيب للإمام العيني، ص ٢٨٠، ٢٨١.

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم ٨٧٣، والنسائي، كتاب التطبيق، باب الدعاء في السجود، ٧٥ نوع آخر، برقم ١١٣١، وأحمد، ٣٩/ ٤٠٥، برقم ٢٣٩٨٠، وقوّى إسناده محققو المسند، وحسّن إسناده الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٨٧٣.

(٣) عوف بن مالك الأشجعي: من نبلاء الصحابة رضي الله عنه وممن شهد فتح مكة، وقبل ذلك غزوة مؤتة، نزل الشام، وسكن دمشق، روى عن رسول الله ﷺ سبعة وستين حديثًا، وروى له البخاري حديثًا واحدًا، ومسلم خمسة أحاديث. مات سنة ثلاث وسبعين، انظر: أسد الغابة، ٤/٤١٢٤، والإصابة، ٤/٦١٠٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ٢/ ٤٨٧ ترجمة رقم ١٠١.

(٤) أبو داود، برقم ٨٧٣، وحسّن إسناده الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٨٧٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ، قَالَ: ثُمَّ رَكَعَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ، يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»، ثُمَّ سَجَدَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ فِي سُجُودِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَامَ فَقَرَأَ بِآلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَرَأَ سُورَةً سُورَةً، ففعل مثل ذلك[1].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ**»: أي سأل الرحمة، أو طلب الجنة، وتعوذ بالله من العذاب، ومن النار، قال الكاساني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَوْ مَرَّ الْمُصَلِّي بِآيَةٍ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ، فَوَقَفَ عِنْدَهَا، وَسَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ، أَوْ بِآيَةٍ فِيهَا ذِكْرُ النَّارِ، فَوَقَفَ عِنْدَهَا، وَتَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِنْ النَّارِ؛ فَإِنْ كَانَ فِي صَلَاةِ التَّطَوُّعِ، فَهُوَ حَسَنٌ إذَا كَانَ وَحْدَهُ»[2].

٢-قوله: «**سبحان ذي الجبروت**»: أي الذي تنفذ مشيئته على سبيل الإجبار في كل أحد ولا تنفذ فيه مشيئة أحد ولا يخرج أحد من قبضته؛ لأنه هو الجبار المطلق، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص ... فمعنى سبحان الله: تنزيه الله... فكأنه قال: أبرئ الله من السوء براءة»[3]، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الجبروت: يقال فيه : جبروة، وجبرية، وجبروت، أي: كِبْر»[4].

٣-قوله: «**والملكوت**»: أي أنه مالك كل شيء ومن تمام ملكه أنه قد دانت له الخلائق، واستسلمت له السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، من غير ممانعة ولا مدافعة، وقال ابن الأثير: «الملكوت: من الملك ، كالرهبوت من الرهبة ،

---

(١) النسائي، برقم ١١٣١، وحسّن إسناده الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٨٧٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ٢/ ٤١٩.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١، من مفردات حديث المتن رقم ٣٣.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠.

والجبروت من الجبر»[1]، والمَلَكُوتُ مُحَرّكَةً من المُلْكِ كرَهَبُوتٍ من الرّهبة مُخْتَصٌّ بمُلْكِ الله ﷻ قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿**وكَذلِكَ نُرِي إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَواتِ والأَرْضِ**﴾[2]، ويُقالُ للمَلَكُوتِ مَلْكُوَةٌ مثل تَرقُوَةٍ بمَعْنَى العِزّ والسُّلْطان يُقال: له مَلَكُوتُ العِراقِ، ومَلْكُوَتُه؛ أي: عِزُّه ومُلْكُه عن اللِّحْياني وقولُه تعالَى: ﴿**بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيءٍ**﴾[3] أي: سُلْطانُه وعَظَمَتُه وقال الزَّجّاجُ: أي تَنْزِيه الله عن أَنّ يُوصَفَ بغَيرِ القُدْرَةِ قالَ: ومَلَكُوتُ كُلِّ شيء أي: القُدْرَةُ عَلَى كلِّ شيء»[4].

٤-قوله: «**والكبرياء والعظمة**»: هما وصفان متقاربان خاصان بالله تعالى لا يستحقهما أحد سواه؛ قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار**»[5]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فَجَعَلَ الْعَظَمَةَ كَالإِزَارِ، وَالْكِبْرِيَاءَ كَالرِّدَاءِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الرِّدَاءَ أَشْرَفُ، فَلَمَّا كَانَ التَّكْبِيرُ أَبْلَغَ مِنْ التَّعْظِيمِ صَرَّحَ بِلَفْظِهِ، وَتَضَمَّنَ ذَلِكَ التَّعْظِيمَ، وَفِي قَوْلِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، صَرَّحَ فِيهَا بِالتَّنْزِيهِ مِنْ السُّوءِ الْمُتَضَمِّنِ لِلتَّعْظِيمِ، فَصَارَ كُلٌّ مِنْ الْكَلِمَتَيْنِ مُتَضَمِّنًا مَعْنَى الْكَلِمَتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ مِنْ إذَا أُفْرِدَتَا، وَعِنْدَ الِاقْتِرَانِ تُعْطِي كُلُّ كَلِمَةٍ خَاصِّيَّتَهَا. وَهَذَا كَمَا أَنَّ كُلَّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَسْتَلْزِمُ مَعْنَى الْآخَرِ؛ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الذَّاتِ، وَالذَّاتُ تَسْتَلْزِمُ مَعْنَى الِاسْمِ الْآخَرِ، لَكِنَّ هَذَا بِاللُّزُومِ. وَأَمَّا دَلَالَةُ كُلِّ اسْمٍ عَلَى خَاصِّيَّتِهِ

---

(١) جامع الأصول، ٤/ ١٩٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٧٥.

(٣) سورة يس، الآية ٨٣.

(٤) تاج العروس، ٢٧/ ٣٤٩، مادة (ملك)

(٥) أبو داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، برقم ٤٠٩٠، وانظر السلسلة الصحيحة، برقم ٥٤١، ولفظ مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، برقم ٢٦٢٠: عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ».

وَعَلَى الذَّاتِ بِمَجْمُوعِهِمَا فَبِالْمُطَابَقَةِ، وَدَلَالَتُهَا عَلَى أَحَدِهِمَا بِالتَّضَمُّنِ»(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-معرفة الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا طريق موصلة إلى الخشية ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾(٢).

٢-ما كان عليه الرسول الكريم ﷺ من الصبر على طاعة ربه وطول القيام بين يديه راجيًا داعيًا مفتقرًا متذللًا.

٣-الجبار له معنيان: قال الإمام البيهقي رحمه الله: «والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمه، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله هذه صفته، لا تنبغي إلا له، ليس له كفو، وليس كمثله شيء، فسبحان الله الواحد القهار»(٣)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَالْجَبَّارُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي جَبَرُوتِهِ، وَالْعَالِمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عِلْمِهِ، وَالْحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِلْمِهِ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدُدِ، وَهُوَ اللَّهُ عز وجل هَذِهِ صِفَةٌ لَا تَنْبَغِي إلَّا لَهُ، لَيْسَ لَهُ كُفُؤٌ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، وَهَذَا التَّفْسِيرُ ثَابِتٌ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الوالبي، لَكِنْ يُقَالُ: إنَّهُ لَمْ يُسْمَعْ التَّفْسِيرُ مِن ابْنِ عَبَّاسٍ، وَلَكِنْ مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ ثَابِتٌ عَنِ السَّلَفِ»(٤)، فالجبار له معانٍ على النحو الآتي:

أ- الله هو العالي على خلقه، وبهذا المعنى يكون الجبار من الصفات الذاتية.

---

(١) الفتاوى الكبرى، ٥/ ٢٣١.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٨.
(٣) الأسماء والصفات للبيهقي، ١/ ١٥٦.
(٤) مجموع الفتاوى، ٨/ ١٥٠.

ب- الله هو المصلح للأمور: من جبر الكسر إذا أصلحه، وجبر الفقير إذا أغناه.

جـ- الله القاهر خلقه على ما أراد من أمر أو نهي، وعلى المعنى الثاني والثالث يكون «الجبار» صفة فعلية لله تعالى[1].

٤- ورد اسم الجبار في القرآن مرة واحدة ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾[2].

٥- ذي الملكوت: هو الملك والمالك والمليك.

- أما الملك فلقوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾[3].
- وأما المالك فلقوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[4].
- وأما المليك فلقوله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[5].

***

(١) النهج الأسمى للنجدي، برقم (١٢).
(٢) سورة الحشر، الآية: ٢٣.
(٣) سورة طه، الآية: ١١٤.
(٤) سورة الفاتحة، الآية: ٤.
(٥) سورة القمر، الآية: ٥٥.

١٨ – دُعَاءُ الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ

٣٨- (١) «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»[١].

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٤٤–عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[٢]: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَالَ الإِمَامُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلاَئِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»، هذا لفظ البخاري[٣].

١٤٥–وفي لفظ لمسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» قَالَ ابْنُ شِهَابٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**آمِينَ**»[٤].

١٤٦–وفي لفظ آخر لمسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ: آمِينَ، وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ: آمِينَ. فَوَافَقَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[٥].

١٤٧–وفي لفظ للبخاري عَن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ يُكَبِّرُ حِينَ يَقُومُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْكَعُ، ثُمَّ يَقُولُ: «**سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**» حِينَ يَرْفَعُ صُلْبَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ، ثُمَّ يَقُولُ وَهُوَ قَائِمٌ: «**رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ**»، قَالَ

---

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب فضل اللهم ربنا ولك الحمد، برقم ٧٩٦، ومسلم، كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين، برقم ٤٠٩.

(٢) سبقت ترجمته في رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٧٩٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ٤٠٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) مسلم، برقم ٧٤- (٤١٠)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، عَنِ اللَّيْثِ: «**وَلَكَ الحَمْدُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَهْوِي، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَسْجُدُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي الصَّلاَةِ كُلِّهَا حَتَّى يَقْضِيَهَا، وَيُكَبِّرُ حِينَ يَقُومُ مِنَ الثِّنْتَيْنِ بَعْدَ الجُلُوسِ**»(١).

١٤٨-وفي لفظ آخر عند مسلم عن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ، يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ يُكَبِّرُ حِينَ يَقُومُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْكَعُ، ثُمَّ يَقُولُ: «**سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**» حِينَ يَرْفَعُ صُلْبَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، ثُمَّ يَقُولُ: وَهُوَ قَائِمٌ «**رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**»، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَهْوِي سَاجِدًا، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَسْجُدُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ كُلِّهَا حَتَّى يَقْضِيَهَا وَيُكَبِّرُ حِينَ يَقُومُ مِنَ الْمَثْنَى بَعْدَ الْجُلُوسِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَبُو هُرَيْرَةَ «إِنِّي لَأَشْبَهُكُمْ صَلَاةً بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ»(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**سمع الله لمن حمده**»: أي أجاب دعاء من حمده، ومعنى يسمع الله لكم يستجب دعاءكم(٣).

٢-قوله: «**لمن حمده**»: الحمد هو وصف المحمود بصفات الكمال مع المحبة والتعظيم، وقال ابن الأثير رحمه الله: «في أسماء الله تعالى: الحميد، أي: المحمود على كل حال، والحمد والشكر مُتقاربان، والحمد أعمُّها، لأنَّك تحمَد الإنسان على صِفاته الذَّاتيَّة، وعلى عطائه، ولا تَشْكُره على صِفاته، والشُّكر فيه إظهار النّعْمة، والإشادة بها؛ ولأنه أعم منه، فهو شُكْر وزيادة»(٤).

٣-قوله: «**من وافق قوله قول الملائكة**»، ومن وافق تأمينه تأمين الملائكة

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب التكبير إذا قام من السجود، برقم ٧٨٩.
(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب إثبات التكبير في كل خفض ورفع في الصلاة إلا رفعه من الركوع، برقم ٣٩٢
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١٢١.
(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤٣٥، مادة (حمد)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من حديث المتن رقم ٦.

معناه: وافقهم في وقت التأمين، فأمّن مع تأمينهم، فهذا هو الصحيح، والصواب، وحكى القاضي عياض قولاً أن معناه: وافقهم في الصفة، والخشوع، والإخلاص، واختلفوا في هؤلاء الملائكة، فقيل: هم الحفظة، وقيل غيرهم؛ لقوله ﷺ: «**فوافق قوله قول أهل السماء**»[1]، وأجاب الأولون عنه بأنه إذا قالها الحاضرون من الحفظة، قالها من فوقهم حتى ينتهي إلى أهل السماء[2].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية قول هذا الذكر حال الرفع من الركوع، فلا يقال قبل الرفع، أو بعده.

٢-هذا الذكر يقوله المصلي إذا كان إمامًا، أو كان يصلي منفردًا، أما المأموم فيقول: «**ربنا ولك الحمد...**»[3].

٣-يُسن عند قول هذا الذكر رفع اليدين حذو المنكبين، كما يفعل عند تكبيرة الإحرام[4].

٤-قال ابن القيم رحمه الله: «فعل السمع يراد به أربعة معانٍ:

الأول: سمع الإدراك ودليله: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا...**﴾[5]. وقوله: ﴿**لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا...**﴾[6].

الثاني: سمع فهم وعقل: ودليله قوله: ﴿**لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا**﴾[7]. فليس المراد سمع مجرد الكلام بل سمع الفهم والعقل ومنه قوله: ﴿**سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**﴾[8].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين، برقم ٤١٠.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١٣٠.
(٣) انظر: تخرج حديث الباب.
(٤) انظر البخاري، كتاب الأذان، باب رفع اليدين في التكبيرة الأولى مع الافتتاح سواء، برقم ٧٣٥، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٥) سورة المجادلة، الآية: ١.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٨١.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٠٤.
(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

الثالث: سمع إجابة وإعطاء ما سئل ودليله: «**سمع الله لمن حمده**»(١).

الرابع: سمع قبول وانقياد ﴿**سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ**﴾(٢). أي قابلون له ومنقادون غير منكرين(٣).

***

٣٩- (٢) «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبارَكاً فِيهِ»(٤).

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٤٩-عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ ﷺ(٥)، قَالَ: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: «**مَنِ المُتَكَلِّمُ**» قَالَ: أَنَا، قَالَ: «**رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ**»، هذا لفظ البخاري(٦).

١٥٠-وفي لفظ آخر للبخاري: عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٧)، يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ يُكَبِّرُ حِينَ يَقُومُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْكَعُ، ثُمَّ يَقُولُ:

---

(١) هو حديث الباب.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم، ٢/٧٥، ٧٦.

(٤) البخاري، كتاب الأذان، باب حدثنا معاذ بن فضالة، برقم ٧٩٩، وكتاب الأذان، باب التكبير إذا قام من السجود، برقم ٧٨٩، وباب ما يقول الإمام ومن خلفه إذا رفع رأسه من الركوع، برقم ٧٩٤، ومسلم، كتاب الصلاة، باب ائتمام المأموم بالإمام، برقم ٤١١، ورقم ٤١٣.

(٥) رفاعة بن رافع الزرقي؛ أبو معاذ: شهد بدرًا مع النبي ﷺ هو وأبوه، وكان أبوه نقيبًا. روي له عن رسول الله ﷺ أربعة وعشرون حديثًا، روى له البخاري ثلاثة أحاديث، وروى له الجماعة إلا مسلم، مات في أول خلافة معاوية ﷺ. انظر الاستيعاب، ٢/٧٧٦، والإصابة، ٢/٢٦٦٦.

(٦) البخاري، برقم ٧٩٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٧) سبقت ترجمته في رقم ٣ من أحاديث الشرح.

«سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، حِينَ يَرْفَعُ صُلْبَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ، ثُمَّ يَقُولُ وَهُوَ قَائِمٌ: «رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ»، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، عَنِ اللَّيْثِ: «وَلَكَ الحَمْدُ»، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَهْوِي، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَسْجُدُ، ثُمَّ يُكَبِّرُ حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي الصَّلاَةِ كُلِّهَا حَتَّى يَقْضِيَهَا، وَيُكَبِّرُ حِينَ يَقُومُ مِنَ الثِّنْتَيْنِ بَعْدَ الجُلُوسِ»[١].

١٥١-وفي لفظ للبخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، قَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ»، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَكَعَ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ يُكَبِّرُ، وَإِذَا قَامَ مِنَ السَّجْدَتَيْنِ، قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ»[٢].

١٥٢-وفي لفظ لمسلم: عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ[٣]، يَقُولُ: سَقَطَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ فَرَسٍ، فَجُحِشَ شِقُّهُ الأَيْمَنُ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ نَعُودُهُ، فَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَصَلَّى بِنَا قَاعِدًا، فَصَلَّيْنَا وَرَاءَهُ قُعُودًا، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ: «إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِذَا رَفَعَ فَارْفَعُوا وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. فَقُولُوا: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، وَإِذَا صَلَّى قَاعِدًا، فَصَلُّوا قُعُودًا أَجْمَعُونَ»[٤].

١٥٣-وفي لفظ آخر لمسلم، عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعُونَ»[٥].

---

(١) البخاري، برقم ٧٨٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) البخاري، برقم ٧٩٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.
(٤) مسلم، برقم ٤١١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٥) مسلم، برقم ٨٦-(٤١٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**ربنا ولك الحمد**»، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بإثبات الواو وبحذفها، وكلاهما جاءت به روايات كثيرة، والمختار أنه على وجه الجواز، وأن الأمرين جائزان ولا ترجيح لأحدهما على الآخر(١)، وقال ابن الأثير رحمه الله: «في أسماء الله تعالى: الحميد، أي: المحمود على كل حال... والحمد والشكر متقاربان، والحمد أعمّها؛ لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية، وعلى عطائه، ولا تشكره على صفاته، ... والحمد رأس الشكر، ما شكر اللَّهَ عبدٌ لا يحمده، كما أن كلمة الإخلاص رأس الإيمان، وإنما كان رأس الشكر لأن فيه إظهار النعمة، والإشادة بها؛ ولأنه أعمّ منه، فهو شكر وزيادة»(٢).

٢-قوله: «**حمداً كثيرًا**»: أي لا حصر له ولا عدد؛ لأن الله هو المستحق للمحامد كلها، وقال القاري رحمه الله: «أي: يترادف مَدَده، ولا تنتهي مُدَده»(٣).

٣-قوله: «**طيبًا**»: أي: حمدًا لا نقص فيه ولا عيب؛ لأن الله طيب في: أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وقال العيني رحمه الله: «ومعنى طيباً: خالصاً، صالحاً، أو نظيفا من الرياء»(٤).

٤-قوله: «**مباركًا فيه**»: أي: دائمًا متواصلًا؛ لأن كل خير في الدارين هو من آثار بركته، وقال العظيم أبادي رحمه الله: «مُبارَكًا: بفتح الراء: هو وما قبله صفات لـ(حمداً) مقدراً (فِيهِ) الضَّمِيرُ رَاجِعٌ إِلَى الْحَمْدِ، أَيْ حَمْدًا ذَا بَرَكَةٍ، دَائِمًا لَا يَنْقَطِعُ؛ لِأَنَّ نِعَمَهُ لَا تَنْقَطِعُ عَنَّا، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَمْدُنَا غَيْرَ مُنْقَطِعٍ

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١٢١.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤٣٥، مادة (حمد).
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/ ٣٤٢.
(٤) شرح أبي داود للعيني، ٣/ ٣٦٩.

أَيْضًا، وَلَوْ نِيَّةً وَاعْتِقَادًا»[(١)].

٥-قوله: «**بضعة وثلاثين** »: البضع: ما بين الثلاث إلى التسع، في الأشهر، وقال أبو عبيدة: ما بين الثلاث إلى الخمس، وقيل غير ذلك[(٢)]، قوله بضعة وثلاثين: فيه رد على من زعم كالجوهري أن البضع يختص بما دون العشرين[(٣)].

٦-قوله: «**يبتدرونها أيهم يكتبها**»: أَيّهم يَرفَعها[(٤)]، يعني يسبق بعضهم بعضاً في كَتْب هذه الكلمات، ورفْعِها إلى الله تعالى؛ لعظمها، وعِظم قدرها (أيهم يرفعها) مبتدأ وخبر، والجملة في موضع النصب، أي يبتدرونها، ويستعجلون أيهم يرفعها[(٥)].

٧-قوله: «**جُحِشَ**»: هُوَ بِجِيمٍ مَضْمُومَة ثُمَّ حَاء مُهْمَلَة مَكْسُورَة أَيْ خُدِشَ[(٦)].

٨-قوله: «**يعُودُه**»: أي: يزُورُه، وكلُّ مَن أتاك مرَّة بعد أُخْرى فهو عائِدٌ، وإن اشْتَهر ذلك في عِيادَة المريض، حتى صار كأنَّه مُخْتَصٌّ به، وقد تكررت الأحاديث في عِيادة المريض[(٧)].

ثالثا: ما يستفاد من الحديث:

١-على المأموم أن يبادر إلى قول: «**ربنا ولك الحمد**» عقب تسميع الإمام؛ لقوله: «**فقال رجل وراءه**». والفاء للتعقيب.

٢- مسابقة الملائكة ومنافستهم في الخير، ومحبتهم لأهله.

---

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ١٠/ ٢٣٥.
(٢) فتح الباري، لابن رجب، ٥/ ٨٠.
(٣) فتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٢٨٦.
(٤) فتح الباري لابن حجر، ١٠/ ٦٠٠.
(٥) عون المعبود، ٢/ ٣٣٢.
(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١٣٢.
(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٣١٦، مادة (عود).

٣-كتابة بعض الملائكة للطاعات، وإن كانوا غير الملائكة الحفظة، ويشهد لهذا قول النبي ﷺ: «**إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم...**» الحديث[١].

٤-خصوصية النبي ﷺ برؤيته لهؤلاء الملائكة دون من معه من الصحابة.

٥-إقرار الرسول ﷺ لقول هذا الرجل، وجعله من أذكار الرفع من الركوع هو أمر خاص بزمنه؛ لأن الوحي قد انقطع بعد موته بعد ما أتم الله به الشرع وأكمله.

٦- الثابت عن النبي ﷺ في الذكر بعد الرفع من الركوع أربع صفات، وهي على النحو الآتي:

أ – **ربنا ولك الحمد**[٢].

ب – **ربنا لك الحمد**[٣].

جـ - **اللَّهم ربنا لك الحمد**[٤].

د – **اللَّهم ربنا ولك الحمد**[٥].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: وكل واحدة من هذه الصفات مجزئة، ولكن الأفضل أن يقول هذا أحيانًا، وهذا أحيانًا[٦].

٧- قال الحافظ في الفتح: قال ابن بشكوال: هذا الرجل هو رفاعة بن رافع راوي الخبر،

---

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله ﷻ، برقم ٦٤٠٨.

(٢) البخاري، كتاب الأذان، باب حدثنا معاذ بن فضالة، برقم ٧٩٩، ومسلم، كتاب الصلاة، باب ائتمام المأموم بالإمام، برقم ٤١١.

(٣) البخاري، كتاب الأذان، باب التكبير إذا قام من السجود، برقم ٧٨٩.

(٤) البخاري، كتاب الأذان، باب فضل اللهم ربنا ولك الحمد، برقم ٧٩٦، ومسلم، كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين، برقم ٤٠٩.

(٥) البخاري، كتاب الأذان، باب ما يقول الإمام ومن خلفه إذا رفع رأسه من الركوع، برقم ٧٩٥.

(٦)انظر: الشرح الممتع، ٣/ ٩٨.

وإنما كنى عن نفسه بقصد إخفاء عمله، وكان ذلك في صلاة المغرب(١).

٨- قال الحافظ: قيل الحكمة في اختصاص العدد المذكور من الملائكة بهذا الذكر أن عدد حروفه مطابق للعدد المذكور، فإن البضع من الثلاث إلى التسع، وعدد الذكر المذكور ثلاثة وثلاثون حرفًا، ويُعَكِّر عَلَى هَذا الزِّيادَة المُتَقَدِّمَة فِي رِوايَة رِفاعَة بن يَحيَى، وهِيَ قَولُهُ: «مُبارَكًا عَلَيهِ كَما يُحِبّ رَبّنا ويَرضَى»، بناء عَلَى أَنَّ القِصَّة واحِدَة، ويُمكِن أَن يُقال: المُتَبادَر إِلَيهِ هُو الثَّناء الزّائِد عَلَى المُعتاد، وهُو مِن قَوله: «حَمدًا كَثِيرًا »... إِلَخ، دُون قَوله: «مُبارَكًا عَلَيهِ»؛ فَإِنَّهُ كَما تَقَدَّمَ لِلتَّأكِيدِ، وعَدَد ذَلِكَ سَبعَة وثَلاثُونَ حَرفًا(٢).

***

٤٠-(٣)«مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيءٍ بَعْدُ، أَهلَ الثَّناءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ»(٣).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٥٤-عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه(٤)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: «رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ

(١)انظر: فتح الباري، ٢/ ٢٨٧.
(٢)انظر: فتح الباري، ٢/ ٢٨٧.
(٣) مسلم، كتاب كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، برقم ٤٧٧، ورقم ٤٧٨.
(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ: اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»[١].

١٥٥-وفي لفظ لمسلم: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[٢]، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، قَالَ: «اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءُ السَّمَوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»[٣].

١٥٦-وفي مسلم أيضاً عن عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى[٤] يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاءِ، وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الْوَسَخِ» وفِي رِوَايَةِ مُعَاذٍ «كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّرَنِ». وَفِي رِوَايَةِ يَزِيدَ «مِنَ الدَّنَسِ»[٥].

١٥٧-ولأبي داود عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه[٦]، أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَكَانَ يَقُولُ: «اللهُ أَكْبَرُ - ثَلَاثًا - ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ، ثُمَّ رَكَعَ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْوًا مِنْ رُكُوعِهِ،

---

(١) مسلم، برقم ٤٧٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، ورقم ٤٧٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه من أهل بيعة الرضوان، وخاتمة من مات بالكوفة من الصحابة رضي الله عنهم، وكان أبوه صحابيًّا، واسم أبي أوفى علقمة بن خالد بن الحارث، وقد فاز عبد الله بالدعوة النبوية؛ حيث أتى النبي ﷺ بزكاة والده، فقال النبي ﷺ: «اللَّهم صلِّ على آل أبي أوفى» وهذا دعاء لهم بالرحمة، وقد غزا مع النبي ﷺ سبع غزوات وهم يأكلون الجراد مسلم، برقم ١٩٥٢، وقد توفي رضي الله عنه سنة سبع وثمانين وقد قارب مائة سنة. انظر: الاستيعاب، ٣/ ٨٧٠، برقم ١٤٧٨، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٢٨، ترجمة رقم (٧٦).

(٥) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، برقم ٢٠٢- (٤٧٦).

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٦ من أحاديث الشرح.

يَقُولُ: «لِرَبِّيَ الْحَمْدُ»، ثُمَّ سَجَدَ، فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، فَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ، وَكَانَ يَقْعُدُ فِيمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنْ سُجُودِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَقَرَأَ فِيهِنَّ الْبَقَرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءَ، وَالْمَائِدَةَ، أَوِ الْأَنْعَامَ، شَكَّ شُعْبَةُ[1].

١٥٨-وفي لفظ لأحمد عن حُذَيْفَةَ ﷺ، أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ، وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ الْبَقَرَةَ، ثُمَّ رَكَعَ، وَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْوًا مِنْ رُكُوعِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «لِرَبِّيَ الْحَمْدُ، لِرَبِّيَ الْحَمْدُ»، ثُمَّ سَجَدَ، فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَكَانَ مَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنَ السُّجُودِ، وَكَانَ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»، قَالَ: حَتَّى قَرَأَ الْبَقَرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءَ، وَالْمَائِدَةَ، وَالْأَنْعَامَ، شُعْبَةُ الَّذِي يَشُكُّ فِي الْمَائِدَةِ وَالْأَنْعَامِ»[2].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**ملء السموات وملء الأرض وما بينهما**»: أي أن الله ﷻ محمود على كل مخلوق يخلقه، وعلى كل فعل يفعله، ومعلوم أن السموات والأرض بما فيهما كلها من خلق الله، فيكون الحمد حينئذٍ مالئًا للسموات والأرض[3].

٢-قوله: «**وملء ما شئت من شيء بعد**»: أي حمدًا يملأ ما يخلقه الله تعالى بعد ذلك، وما يشاؤه ﷻ، والمعنى أن حمد الله ملأ كل موجود، وملأ ما سيوجد[4].

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم ٨٧٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) مسند أحمد، ٣٨/ ٣٩٢، برقم ٢٣٣٧٥، وصحح إسناده محققو المسند.
(٣) الشرح الممتع لابن عثيمين، ٣/ ١٠١.
(٤)انظر: كتاب الصلاة لابن القيم، ص ١٧٧.

٣-قوله: «**أهل الثناء والمجد**»: الثناء هو المدح بكل وصف كامل، والمجد هو غاية الرفعة، والشرف، والسؤدد، وقال النووي رحمه الله: «أَمَّا قَوْلُهُ أَهْلَ: فَمَنْصُوبٌ عَلَى النِّدَاءِ، هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ، وَجَوَّزَ بَعْضُهُمْ رَفْعَهُ عَلَى تَقْدِيرِ: أَنْتَ أهل الثناء، والمختار النصب، والثنا: والوصف الْجَمِيلُ، وَالْمَدْحُ، وَالْمَجْدُ: الْعَظَمَةُ، وَنِهَايَةُ الشَّرَفِ»(١).

٤-قوله: «**أحق ما قال العبد**»: هذا من باب التقرير، والتأكيد لحمد الله وتمجيده، والثناء عليه، وبيان أن هذا حق واجب لصاحب العزة والجلال، وقال النووي رحمه الله: «لفظ أحق في كلام العرب له معنيان: أحدهما: استيعاب الحق كله، كقولك: فلان أحق بماله، أي: لا حق لأحد فيه غيره، والثاني: على ترجيح الحق، وإن كان للآخر فيه نصيب، كقولك: فلان أحسن وجهاً من فلان، لا تريد به نفي الحسن عن الأول، بل تريد الترجيح»(٢)، وقال الإمام النووي رحمه الله أيضاً: «أَحَقُّ قَوْلِ الْعَبْدِ: لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ إِلَى آخِرِهِ... وَإِنَّمَا كَانَ أَحَقَّ مَا قَالَهُ الْعَبْدُ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّفْوِيضِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَالْإِذْعَانِ لَهُ، وَالِاعْتِرَافِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَالتَّصْرِيحِ بِأَنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ، وَأَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ مِنْهُ، وَالْحَثَّ عَلَى الزَّهَادَةِ فِي الدُّنْيَا، وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ»(٣).

٥-قوله: «**وكلنا لك عبد**»: اعتراف، وإقرار بالعبودية، وأن الكل مربوب له، مسخر بتسخيره، مدبر بتدبيره، قال الله عز وجل: ﴿**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا**﴾(٤)، وقال الشيخ الجمل رحمه الله: «قال السبكي ولم يقل عبيد مع عود الضمير على جمع؛ لأن القصد أن يكون الخلق أجمعون بمنزلة

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١٩٤.
(٢) تهذيب الأسماء واللغات، ٣/ ٦٨.
(٣) شرح النووي على مسلم، ٤/ ١٩٦.
(٤) سورة مريم، الآية: ٩٣.

عبد واحد، وقلب واحد»(١).

٦-قوله: «**اللَّهم لا مانع لما أعطيت**»: أي إن الله هو المتفرد بالعطاء، فلا راد له في ذلك، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهذا تحقيق لوحدانيته لتوحيد الربوبية خلقاً، وقدراً، وبداية، وهداية، هو المعطي المانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع؛ ولتوحيد الإلهية شرعاً، وأمراً ونهياً»(٢).

٧-قوله: «**ولا معطي لما منعت**»: أي لا أحد يستطيع إعطاء من حرمته بحكمتك وعدلك، قال الإمام البيهقي رحمه الله: «قَالَ الْحَلِيمِيُّ: فَالْمُعْطِي هُوَ الْمُمَكِّنُ مِنْ نِعَمِهِ، وَالْمَانِعُ هُوَ الْحَائِلُ دُونَ نِعَمِهِ، قَالَ: وَلَا يُدْعَى اللَّهُ ﷻ بِاسْمِ الْمَانِعِ حَتَّى يُقَالُ مَعَهُ الْمُعْطِي، كَمَا قُلْتُ فِي الضَّارِّ وَالنَّافِعِ، قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ [الخطابي]: فَهُوَ يَمْلِكُ الْمَنْعَ وَالْعَطَاءَ، وَلَيْسَ مَنْعُهُ بُخْلًا مِنْهُ، لَكِنَّ مَنْعَهُ حِكْمَةٌ، وَعَطَاءَهُ جُودٌ، وَرَحْمَةٌ»(٣).

٨-قوله: «**ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»: الجد - بفتح الجيم في اللغة - بمعنى الحظ والسعادة، والمعنى أنه لا ينفع ذا الغنى والمال غناه وماله، وغير ذلك من حظوظ الدنيا، وإنما النافع هو التقرب إلى الله، وإيثار طاعته، ومرضاته على كل الحظوظ، قال ابن الأثير رحمه الله: «لا ينفع ذا الجد منك الجد: الجد: البخت، وقيل: الغنى، أي: لا ينفع المحبوب المسعود، أو الغني حظه وغناه اللذان هما منك، إنما ينفعه العمل والطاعة والإخلاص»(٤)، وقال النووي رحمه الله: «لَا يَنْفَعُ ذَا الْغِنَى وَالْحَظِّ مِنْكَ غِنَاهُ»(٥).

---

(١) حاشية الجمل على المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ٢/ ٢٨٠.
(٢) الحسنة والسيئة، ص ١٢٥.
(٣) الأسماء والصفات للبيهقي، ١/ ١٩٢.
(٤) جامع الأصول، ٤/ ٢٠٠)
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٥/ ٩٠، وانظر: فتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٣٣٢.

٩-قوله: «اللَّهم طهرني بالثلج، والبرد، والماء البارد»: قال ابن الجوزي رحمه الله: «إنما خص الثلج، والبرد؛ لأنهما ماءان مفطوران على الطهارة الأولى، لم يمرسا بيد، ولم يخاضا برجل، وذلك أوفى لصفة الطهارة، وأبعد لها من مخالطة شيء من أنواع النجاسة، وقال غيره: هذه المذكورات صافية، فهي تنفي الأوساخ أكثر من الماء الكدر»[1].

١٠-قوله: «اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا»: قال النووي رحمه الله: «يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا كَمَا قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إثما قَالَ الْخَطِيئَةُ الْمَعْصِيَةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى وَالْإِثْمُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْآدَمِيِّ»[2].

١١-قَوْلُهُ: «كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْوَسَخِ»: قال النووي رحمه الله: «وَفِي رِوَايَةٍ: «مِنَ الدَّرَنِ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «مِنَ الدَّنَسِ»: كُلُّهُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَمَعْنَاهُ: اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي طَهَارَةً كَامِلَةً مُعْتَنًى بِهَا، كَمَا يُعْتَنَى بِتَنْقِيَةِ الثَّوْبِ الْأَبْيَضِ مِنَ الْوَسَخِ»[3].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الحث على حمد الله بما هو أهله من صفات الكمال، والجلال والعظمة.

٢-فيه دليل ظاهر على فضيلة قول هذا الثناء والتمجيد؛ لإخبار النبي ﷺ أن هذا الدعاء هو أحق ما قاله العبد.

٣-الإقرار والإذعان بالعبودية لرب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك.

٤-تمام التسليم والتفويض لله في كل الأمور، وأن كل شيء من قضاء الله وقدره، وأنه لا يكون في ملك الله إلا ما يريد، قال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[4].

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٤٤٦.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١٩٤.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١٩٤.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٨.

٥- قال النووي[(١)] في قوله: «**ذا الجَدّ**» ومنهم من قرأها بكسر الجيم الجِدّ، وهو قول ،ضعيف ومعناه لا ينفع ذا الاجتهاد منك اجتهاده، وإنما ينفعه وينجيه رحمتك، والصحيح فتح الجيم، وهو بمعنى الغنى والسلطان، وهذا كقوله ﷻ: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ**﴾[(٢)].

***

(١)انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٤١٨.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

١٩ – دُعَاءُ السُّجُودِ

٤١-(١) «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى» ثلاث مرَّاتٍ(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٥٩-عَنْ حُذَيْفَةَ بن اليمان ﷺ(٢)، أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، وَفِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، وَمَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ عِنْدَهَا فَسَأَلَ، وَلَا بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ عِنْدَهَا فَتَعَوَّذَ، وهذا لفظ أبي داود، والترمذي(٣).

١٦٠-وفي لفظ آخر لأبي داود: عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَكَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ – ثَلَاثًا – ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ» ثُمَّ اسْتَفْتَحَ فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ، ثُمَّ رَكَعَ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ**: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْوًا مِنْ رُكُوعِهِ، يَقُولُ: «لِرَبِّيَ الْحَمْدُ»، ثُمَّ سَجَدَ، فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، فَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم ٨٧١، ورقم ٨٧٤، وعند مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، برقم ٧٧٢، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود، برقم ٢٦٢، والنسائي، كتاب الافتتاح، تعوذ القارئ إذا مر بآية عذاب، برقم ١٠٠٨، وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب التسبيح في الركوع، برقم ٨٨٨، وأحمد، ٥/ ٤٥٩، برقم، ٣٥١٤، وحسّن إسناده محققو المسند، ٥/ ٤٦٠، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/٨٣ ، وانظر تخريج حديث المتن رقم ٣٣.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٦ من أحاديث الشرح.

(٣) أخرجه أبو داود، برقم ٨٧١، والترمذي، برقم ٢٦٢، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/ ٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

السُّجُودِ، وَكَانَ يَقْعُدُ فِيمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنْ سُجُودِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي**»، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَقَرَأَ فِيهِنَّ الْبَقَرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءَ، وَالْمَائِدَةَ، أَوِ الْأَنْعَامَ، شَكَّ شُعْبَةُ(١).

١٦١-وفي لفظ مسلم عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى**»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ. قَالَ: وَفِي حَدِيثِ جَرِيرٍ مِنَ الزِّيَادَةِ، فَقَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ**»(٢).

١٦٢-ولفظ أحمد عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ، أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ قَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ، وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ**»، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ الْبَقَرَةَ، ثُمَّ رَكَعَ، وَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْوًا مِنْ رُكُوعِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «**لِرَبِّيَ الْحَمْدُ، لِرَبِّيَ الْحَمْدُ**»، ثُمَّ سَجَدَ، فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى**»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَكَانَ مَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنَ السُّجُودِ، وَكَانَ يَقُولُ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي**»، قَالَ: حَتَّى قَرَأَ الْبَقَرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءَ، وَالْمَائِدَةَ، وَالْأَنْعَامَ، شُعْبَةُ الَّذِي يَشُكُّ فِي الْمَائِدَةِ وَالْأَنْعَامِ»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود، ورقم ٨٧٤، وصححه الألباني، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، برقم ٨٧٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) أخرجه أحمد، برقم، ٣٥١٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

١٦٣-ولفظ ابن ماجه: عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ [١] رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا رَكَعَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**سبحان**»: التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً، يقال: سبحته أسبحه تسبيحاً، وسبحاناً، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله، وهو نصب على المصدر بفعل مضمر، كأنه قال: أبرئ الله من السوء براءة[٣].

٢-قوله: «**ربي**»: الرب يطلق في اللغة على: المالك، والسيد المدبر، والمربي، والقيم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى وإذا أطلق على غيره أضيف فيقال رب كذا[٤].

٣-قوله: «**الأعلى**»: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَذَلِكَ أَنَّ السُّجُودَ غَايَةُ الْخُضُوعِ وَالذُّلِّ مِنَ الْعَبْدِ، وَغَايَةُ تَسْفِيلِهِ وَتَوَاضُعِهِ: بِأَشْرَفِ شَيْءٍ فِيهِ لِلَّهِ - وَهُوَ وَجْهُهُ - بِأَنْ يَضَعَهُ عَلَى التُّرَابِ، فَنَاسَبَ فِي غَايَةِ سُفُولِهِ أَنْ يَصِفَ رَبَّهُ بِأَنَّهُ الأَعْلَى، وَالأَعْلَى أَبْلَغُ مِنْ الْعَلِيِّ؛ ... فَلَمَّا كَانَ السُّجُودُ غَايَةَ سُفُولِ الْعَبْدِ، وَخُضُوعِهِ... فَهُوَ سُبْحَانَهُ الأَعْلَى، وَالْعَبْدُ الأَسْفَلُ»[٥].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-ذكر العلو في السجود في غاية المناسبة؛ لأن لكل مقام مقال؛ ولأن

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٦ من أحاديث الشرح.

(٢) أخرجه ابن ماجه، برقم ٨٨٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/ ١٦٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ١٧٨.

(٥) مجموع الفتاوى، ٥/ ٢٣٨، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ٣٣.

الله منزه عن السفول، فهو سبحانه في العلو على العرش، مستوٍ عليه على الوجه اللائق به، فالاستواء معلوم، والإيمان به واجب، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة.

٢-إثبات صفة العلو لله ﷻ وعلوه على أقسام وكلها متلازمة:

أ – علو الذات: وهو أنه مستوٍ على عرشه، مطلع على أحوال العباد، ومدبر لأمورهم الظاهرة والباطنة، قال الله ﷻ: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[(١)].

ب – علو القهر: أي إن نواصي الخلق كلهم بيده، لا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، قال الله ﷻ: ﴿**سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾[(٢)].

جـ – علو القدر: أي أن صفاته كلها عُليا، ليس فيها نقص، ولا عيب، قال الله ﷻ: ﴿**وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[(٣)].

قال ابن القيم:

وهو العلي فكل أنواع العلو ... له فثابتة بلا نكران[(٤)]

٣-وقد ورد ذكر الأعلى في القرآن في موضعين:

١ – ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**﴾[(٥)].

٢ – ﴿**إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى**﴾[(٦)].

وجاء المتعال مرة واحدة: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**﴾[(٧)].

---

(١) سورة طه، الآية: ٥.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٤.
(٣) سورة النحل، الآية: ٦٠.
(٤) النونية، ٢/٢١٣، ٢١٤.
(٥) سورة الأعلى، الآية: ١.
(٦) سورة الليل، الآية: ٢٠.
(٧) سورة الرعد، الآية: ٩.

وجاء اسم العلي في أربعة مواضع:

١ - ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[١].

٢ - ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[٢].

٣ - ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾[٣].

٤ - ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٤][٥].

٤- الحكمة من السجود أنه من كمال التعبد لله، والذل له؛ فإن الإنسان يضع أشرف ما فيه، وهو وجهه، بحذاء أسفل ما فيه، وهو قدمه، ومع هذا النزول يكون أقرب لله تعالى؛ لقول النبي ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**»[٦]، وقول النبي ﷺ: «**فما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»[٧]؛ ولهذا ينبغي لنا أن تسجد قلوبنا قبل أن تسجد جوارحنا؛ ليتحقق المقصود من الصلاة[٨].

٥- من فضائل السجود ما ذكره النبي ﷺ: «**إن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود**»[٩]، وهذا في حق من دخل النار من عصاة المؤمنين لكي يتطهروا من ذنوبهم قبل دخول الجنة، وهذا يقع إذا لم يتب عليهم ربهم، ويعفو عنهم،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٢) سورة الحج، الآية: ٦٢.
(٣) سورة غافر، الآية: ١٢.
(٤) سورة الشورى، الآية: ٥١.
(٥) انظر النهج الأسمى للنجدي، ١/٣٢٣.
(٦) مسلم، كتاب الصلاة، بَابُ مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، برقم ٤٨٢.
(٧) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ، برقم ٢٥٨٨.
(٨)انظر: الشرح الممتع، ٣/ ١١٨.
(٩) البخاري، كتاب الأذان، باب فضل السجود، برقم ٨٠٦، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم ١٨٢.

إلا أنهم إذا دخلوا فلا تؤثر النار في أعضاء السجود كرامة لهذه الأعضاء.

قال بعضهم:

يا رب أعضاء السجود أعتقتها ... من فضلك الوافي وأنت الباقي

والعتق يسري في الغنى يا ذا الغنى ... فامنن على الفاني بعتق الباقي

وهذا الشاعر توسل إلى الله بعتق أعضاء السجود إلى أن يعتق جميع البدن لسريان العتق إليه[١].

٤٢ ـ[٢] «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»[٢].

* تقدم شرحه كاملاً في حديث المتن رقم ٣٤، وهو من حديث عائشة رضي الله عنها.

***

٤٣ ـ[٣] «سُبوحٌ، قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»[٣].

* تقدم شرحه كاملاً في حديث المتن رقم ٣٥، وهو من حديث عائشة رضي الله عنها.

***

٤٤ ـ[٤] «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِيَ لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»[٤].

---

(١) الشرح الممتع لابن عثيمين، ٣/ ١١٩، ١٢٠.

(٢) البخاري، برقم، ٧٩٤، ومسلم، برقم ٤٨٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٣٤.

(٣) مسلم، برقم ٤٨٧، وأبو داود، برقم ٨٧٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٣٥.

(٤) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم ٧٧١، وغيره.

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٦٤-عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ(١)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»، وَإِذَا رَكَعَ، قَالَ: «**اللهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي**»، وَإِذَا رَفَعَ، قَالَ: «**اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**»، وَإِذَا سَجَدَ، قَالَ: «**اللهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**»، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»(٢).

١٦٥-وفي لفظ لمسلم: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ كَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ:

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، برقم ٢٠١- (٧٧١)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

«وَجَّهْتُ وَجْهِي»، وَقَالَ: «وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ»، وَقَالَ: وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ»، وَقَالَ: «وَصَوَّرَهُ فَأَحْسَنَ صُورَهُ»، وَقَالَ: وَإِذَا سَلَّمَ، قَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَلَمْ يَقُلْ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ[1].

١٦٦–وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ[2] قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «سَجَدَ لَكَ سَوَادِي، وَخَيَالِي، وَآمَنَ بِكَ فُؤَادِي، أَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، هَذِهِ يَدَايَ، وَمَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي، أَوْ بِمَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي»[3].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١–قوله: «**اللهم**»: قال ابن منظور رحمه الله: «اللهم: بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، وَالْمِيمُ الْمُشَدَّدَةُ عِوَضٌ مِنْ يَا ... »[4].

٢–قوله: «**اللهم لك سجدت**»: أي يَتطامَن العبد ويَنْحني، ويَخْفِض رأسَه، يقال: أسْجَد الرجُل: طأطأَ رَأسَه وانْحنَى، أي خَضَع، ومنه سُجُود الصلاة، وهو وضْع الجَبْهة على الأرض، ولا خُضُوع أعْظَم منه[5].

٣–قوله: «**وبك آمنت**»: أي صدقت بك، وبكل ما أخبرت، وأمرت، ونهيت[6]، والمعنى: وبك صدقت تصديقاً جازماً بالقلب، واللسان، وعملت بما أوجبت.

---

(١) مسلم، برقم ٢٠٢– (٧٧١)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح.

(٣) مسند البزار، ٥/ ٤٠٣، برقم ٢٠٣٤، وابن نصر المروزي في مختصر قيام الليل، ص ١٨٢، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، ٤/ ١١٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٢/ ١٥٢: «رواه البزار، ورجاله ثقات» وقال الألباني في صفة الصلاة، ص ١٤٦: «ابن نصر، والبزار، والحاكم، وصححه، وردَّه الذهبي، لكن له شواهد مذكورة في الأصل».

(٤) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ١.

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٢٤١، مادة (سجد).

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٥٥.

٤-قوله: «**ولك أسلمت**»: استسلمت، وانقدت لأمرك ونهيك(١).

٥-قوله: «**سجد وجهي**»: خص الوجه بالسجود لأنه أشرف الأعضاء.قال ابن العربي رحمه الله: «والمراد في هذا الحديث: سجدَت جُملتي ورأسي، وقد يكنى بالوجه عن الجملة، فكيف عن الرّأس، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾(٢) قالوا في أحد التأويلات: إلّا هو، أي ذاته»(٣).

٦-قوله: «**للذي خلقه وصوره**»: أي جعله في صورة كريمة في أحسن شكل وأجمل هيئة، وهذا داخل في قوله: ﴿**الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ**﴾(٤)، قال الفيومي رحمه الله: «خَلَقَ اللهُ الْأَشْيَاءَ خَلْقًا، وَهُوَ الْخَالِقُ وَالْخَلَّاقُ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ وَلَا تَجُوزُ هَذِهِ الصِّفَةُ بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى، وَأَصْلُ الْخَلْقِ التَّقْدِيرُ ... وَالْخَلْقُ الْمَخْلُوقُ»(٥).

٧-قوله: «**وشق سمعه وبصره**»: أي فلق وهو من الشق بفتح الشين، أما الشِق بكسرها فهو نصف الشيء، قال القرطبي رحمه الله: «أي: خلق فيه السمع والبصر»(٦).

٨-قوله: «**وصوّره**»: في أسماء الله تعالى: المصوِّر، وهو الذي صوَّر جميع الموجودات، ورتَّبها، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة، وهيئة منفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها(٧).

٨- قوله: «**تبارك الله أحسن الخالقين**»: تَبَارَكَ اللهُ، أي: تعالى وتعاظم وكثر

---

(١) المرجع السابق.
(٢) سورة القصص، الآية: ٨٨.
(٣) المسالك في شرح موطأ مالك، ٢/ ١٣٢.
(٤) سورة الانفطار، الآية: ٧.
(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ١٨٠، مادة (خلق).
(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٧.
(٧) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٥٧، مادة (صور).

خيره، ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ... فخلقه كله حسن، والإنسان من أحسن مخلوقاته، بل هو أحسنها على الإطلاق؛ ولهذا كان خواصه أفضل المخلوقات وأكملها، أي أن خلق الله كله حسن، والإنسان هو أفضل مخلوقاته ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[(١)] أي تام الخلق متناسب الأعضاء، منتصب القامة لم يفقد مما يحتاج إليه شيئًا ظاهرًا وباطنًا[(٢)]، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾: «أي: أحسن المصورين والمقدّرين، والعرب تقول: قدّرت الأديم، وخلقته، إذا قسته لتقطع منه مزادة، أو قربة ونحوها، قال مجاهد: يصنعون، ويصنع الله، والله خير الصانعين، وقال الليث: رجل خالق: أي صانع، وهن الخالقات: للنساء، وقال مقاتل: يقول تعالى هو أحسن خلقاً من الذين يخلقون التماثيل وغيرها، التي لا يتحرك منها شيء، وأما البارئ، فلا يصح إطلاقه إلا عليه سبحانه؛ فإنه الذي برأ الخليقة، وأوجدها بعد عدمها، والعبد لا تتعلق قدرته بذلك، إذ غاية مقدوره التصرف في بعض صفات ما أوجده الرب تعالى، وبراه، وتغييرها من حال إلى حال على وجه مخصوص، لا تتعداه قدرته، ليس من هذا: بريت القلم؛ لأنه معتل لا مهموز، ولا برأت من المرض؛ لأنه فعل لازم غير متعدٍّ»[(٣)].

وقال الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «ففي خلق آدم وذريته آيات بينات على قدرةالخالق سبحانه، وأنه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، وأنه سبحانه لا يعجزه شيء، ومن المشاهد المعلوم - أيضاً - البيضة، فإنها مخلوق جماد، ثم يجعل الله في ذلك الجماد الذي في داخلها - بالأسباب التي قدرها، وعلّمها عباده - طائراً حياً سميعاً بصيراً، والشواهد من

(١) سورة التين، الآية: ٤.
(٢) انظر: تفسير السعدي، ص ٥٤٨، وص ٩٢٩.
(٣) شفاء العليل، ص ١٣١.

مخلوقاته ﷻ على قدرته العظيمة، وحكمته، وعلمه الشامل كثيرة لا تحصى، وبما ذكرنا يتضح - لطالب الحق - بطلان هذه الشبهة التي شبه بها القائل في الكلام المنسوب إليه، ويعلم ذلك أنها من أبطل الباطل نقلاً وعقلاً، ومن الدلائل القطعية على بطلانها أن الله سبحانه قد خلق السموات والأرض، وخلق جميع المخلوقات الجامدة والمتحركة بقدرته العظيمة، وذلك أعظم وأكبر من جعل عصا موسى حية تسعى»[1].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «غير الله - تعالى - لا يخلق كخلق الله، فلا يمكنه إيجاد معدوم، ولا إحياء ميت، وإنما خلق غير الله - تعالى - يكون بالتغيير، وتحويل الشيء من صفة إلى صفة أخرى، وهو مخلوق لله ﷻ، فالمصور مثلاً، إذا صور صورة؛ فإنه لم يحدث شيئاً، غاية ما هنالك أنه حول شيئاً إلى شيء، كما يحول الطين إلى صورة طير، أو صورة جمل، وكما يحول بالتلوين الرقعة البيضاء إلى صورة ملونة، فالمداد من خلق الله ﷻ، والورقة البيضاء من خلق الله ﷻ، هذا هو الفرق بين إثبات الخلق بالنسبة إلى الله ﷻ، وإثبات الخلق بالنسبة إلى المخلوق، وعلى هذا يكون الله ﷻ منفرداً بالخلق الذي يختص به»[2].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-السجود لله تعالى، والإذعان لكبريائه، ثمرة من ثمار الإيمان الصادق، والذي هو نتاج لحقيقة الاستسلام بالقلب والقالب.

٢-استحضار المسلم لبديع خلق الله، وأنه شق لعباده: سمعًا، وأبصارًا، وأفئدة، وأن العبد مسؤول عن هذه النعم ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾[3].

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز، ١/ ١٠٨.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، ١/ ١٩.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

٣-خلق الله هو: إيجاد من عدم، وخلق غيره صناعةٌ، وليس إنشاءً أصلًا، قال الله تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[1].

٤-تقرير أن الله هو: الخالق، البارئ، المصور، وأن هذه الأسماء متعلقة بالخلق، والتدبير، والتقدير، وكل ذلك لا منازع للهِ فيه.

٥- الفرق بين الخالق، والبارئ، والمصور:

● الخالق: قال الخطابي[2]: هو المبدع للخلق، والمخترع له على غير مثال سابق، قال الله: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾[3]، أما في نعوت الآدميين فمعنى الخلق هو التقدير؛ كقوله ﷻ: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾[4].

● البارئ: قال ابن كثير: والبرء هو الفري، وهو التنفيذ، وإبراز ما قدره، وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئًا، ورتبه يقدر على تنفيذه، وإيجاده سوى الله ﷻ.

● المصوِّر: هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة، وهيئات متباينة من: الطول، والقصر، والحسن، والقبح، والذكورة، والأنوثة، كل واحد بصورته الخاصة.

٦- معتقد أهل السنة والجماعة أن الله لم يزل خالقًا متى شاء، وكيف شاء، ولا يزال؛ لقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾[5]، وأنه له صفة الخلق قبل أن يخلق، قال الطحاوي رحمه الله[6]: وليس بعد الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم البارئ، وذلك من كماله، ولا يجوز

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.
(٢) شأن الدعاء، ص ٤٩.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٣.
(٤) ، سورة آل عمران، الاية: ٤٩.
(٥) سورة القصص، الآية: ٦٨.
(٦) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٣٧.

أن يكون فاقدًا لهذا الكمال، أو معطلًا له في وقت من الأوقات، قال الله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[(١)].

ويدخل في جملة مخلوقاته أفعال العباد، وأنهم مؤاخذون عليها، وهي واقعة بمشيئته وقدرته ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[(٢)]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[(٣)]، وقال ﷻ: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[(٤)].

***

٤٥-(٥) «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ، وَالْمَلَكُوتِ، وَالْكِبْرِيَاءِ، وَالْعَظَمَةِ»[(٥)].

* تقدم شرحه كاملاً في حديث المتن رقم (٣٧) وهو من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

***

٤٦-(٦) «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ: دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ»[(٦)].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٧.
(٢) سورة الصافات، الآية: ٩٦.
(٣) سورة الإنسان، الآية: ٣٠.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٦٢.
(٥) أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء في الركوع والسجود، برقم ٨٧٣، والنسائي، برقم ١١٣١، وأحمد، برقم ٢٣٩٨٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١/ ١٦٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن برقم ٣٧.
(٦) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم ٤٨٣.

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٦٧-عَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ ﷺ(١)، أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ كَـانَ يَقُـولُ: فِـي سُـجُودِهِ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ: دِقَّهُ، وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ**»(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللهم اغفر لي**»: قال ابن منظور رحمه الله: «اللهم: بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، وَالْمِيمُ الْمُشَدَّدَةُ عِوَضٌ مِنْ يَا ... »(٣)، وقال ابن منظور: «الغَفُورُ الغَفّارُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، ...وَمَعْنَاهُمَا: السَّاتِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ، يُقَالُ: اللهمَّ اغْفِرْ لَنَا مَغْفرة، وغَفْراً، وغُفْراناً، وَإِنَّكَ أَنت الغَفُور الغفّار، يَا أَهل المَغْفِرة، وأَصل الغَفْرِ: التَّغْطِيَةُ، وَالسَّتْرُ، غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ: أَي: سَتَرَهَا... وَقَدْ غَفَرَه يَغْفِرُه غَفراً: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْته؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا... والغَفْرُ، والمَغْفِرةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ، والعفوُ عَنْهَا»(٤).

٢-قوله: «**ذنبي كله**»: قال ابن فارس رحمه الله: «الذال، والنون، والباء: أصول ثلاثة: أحدها الجُرم، والآخر مؤخَّر الشيء، والثالث كالحظِّ والنّصيب، فالأوّل: الذّنب والجُرم، يقال: أَذْنَبَ يُذْنِبُ، والاسم الذّنْب، وهو مُذْنِبٌ...»(٥). وقال ابن منظور رحمه الله: «الذَّنْبُ: الإِثْمُ والجُرْمُ وَالْمَعْصِيَةُ، والجمعُ ذُنوبٌ، وذُنُوباتٌ جمعُ الْجَمْعِ، وَقَدْ أَذْنَب الرَّجُل»(٦)، وقال ابن علان رحمه الله: «توكيد للإحاطة

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.
(٢) مسلم، برقم ٤٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ١.
(٤) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر).
(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٢/ ٣٦١، مادة (ذنب).
(٦) لسان العرب، ١/ ٣٨٩، مادة (ذنب).

والشمول، أتى به لدفع توهم أن المراد به ذنب مخصوص»[١].

٣-قوله: «دِقه وجُله»: أي قليله وكثيره، وقال ابن الأثير رحمه الله: «دِقَّه وجِلَّه: الدقيق من الأمور: الصغير منها، والجليل: العظيم الكبير منها»[٢].

٤- قوله: «وأوّله وآخره»: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وهذا من باب التبسط في الدعاء والتوسع فيه؛ لأن الدعاء عبادة فكل ما كرره الإنسان ازداد عبادة لله عز وجل ثم إنه في تكراره هذا يستحضر الذنوب كلها السر والعلانية، وكذلك ما أخفاه»[٣]، وقال ابن هبيرة رحمه الله: «هذا طلب لمحو أثر الذنب كله»[٤].

٥-قوله: «وعلانيته وسره»: أي ما كان أمام الناس، وما كان في خلوة لم يطلع عليّ فيها غيرك، وقال المباركفوري رحمه الله: «وعلانيته - بفتح العين، وكسر النون، وخفة الياء-: مصدر علن، أي: ظاهره، وسره: أي عند غيره تعالى، وإلا فهما سواء عنده تعالى، فإنه يعلم السر وأخفى»[٥].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-فيه توكيد الدعاء وتكثير ألفاظه، وإن أغنى بعضها عن بعض[٦].

٢-مشروعية التفصيل بعد الإجمال في الدعاء: وهذا دليل على شدة طلب المغفرة.

٣-سعة رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء، وعمت كل حيّ، وعدم اليأس من المغفرة، وإن بلغت ذنوب العبد عنان السماء.

٤-من الصور المكروهة في الدعاء أثناء السجود وغيره «تكلف السجع»، والسجع هو

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٧/ ٢٢٥.
(٢) جامع الأصول، ٤/ ١٩١.
(٣) شرح رياض الصالحين، ص ١٤٢٩.
(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٨/ ٧٣.
(٥) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/ ٢١١.
(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٤٢٤.

موالاة الكلام على رويٍّ واحد، قال ابن عباس رضي الله عنهما مرشدًا عكرمة: «فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه؛ فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب»[1]؛ والعلة من الكراهية أنه مانع للخشوع المطلوب في الدعاء، ثم إنه مشاكلة لكلام الكهنة، أما السجع غير المتكلف فيه، فقد فعله النبي ﷺ، مثل دعاء حديث الباب، وقوله: «**اللَّهم منزل الكتاب، سريع الحساب، هازم الأحزاب...**»[2] وغير ذلك.

٥- من بركة السجود تساقط الذنوب، قال النبي ﷺ: «**إن المسلم يصلي وخطاياه مرفوعة على رأسه، كلما سجد تحاتّ عنه، فيفرغ من صلاته وقد تحاتت عنه خطاياه**»[3].

***

٤٧-(٧)«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[4].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٦٨-عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها[5]، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ،

---

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يكره من السجع في الدعاء، برقم ٦٣٣٧.

(٢) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، برقم ٤١١٥.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، ٦/٢٥٠، برقم ٦١٢٥، وفي الصغير، ٢/٢٧٢، برقم ١١٥٣، والبيهقي في شعب الإيمان، ٣/١٤٥، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٨٧، برقم ٣٦٢.

(٤) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم ٤٨٦، ومسند أحمد، ٤٠/ ٣٦٢، برقم ٢٤٣١٢، والسنن الكبرى للنسائي، ١/ ٢٣٩، برقم ٧١٥، وصحيح ابن حبان، ٥/ ٢٦٠، برقم ١٩٣٣، والحاكم ١/ ٢٢٨.

(٥) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

وَهُوَ يَقُولُ: «اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ» هذا لفظ مسلم(١).

١٦٩-ولفظ أحمد: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: فَزِعْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، وَفَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَمَدَدْتُ يَدِي، فَوَقَعَتْ عَلَى قَدَمَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُمَا مُنْتَصِبَانِ وَهُوَ سَاجِدٌ، وَهُوَ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»(٢).

١٧٠-ولفظ النسائي في الكبرى: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: فَقَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَجَعَلْتُ أَطْلُبُهُ بِيَدِي، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى قَدَمَيْهِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، يَقُولُ: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»(٣).

١٧١-ولفظ ابن حبان: عن عَائِشَةَ رضي الله عنها: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَكَانَ مَعِي عَلَى فِرَاشِي، فَوَجَدْتُهُ سَاجِدًا، رَاصًّا عَقِبَيْهِ، مُسْتَقْبِلًا بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ لِلْقِبْلَةِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِعَفْوِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَبِكَ مِنْكَ أُثْنِي عَلَيْكَ، لاَ أَبْلُغُ كُلَّ مَا فِيكَ» فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ، أَحَرَبَكِ شَيْطَانُكِ؟» فَقُلْتُ: مَا لِي مِنْ شَيْطَانٍ، فَقَالَ: «مَا مِنْ آدَمِيّ إِلاَّ لَهُ شَيْطَانٌ» فَقُلْتُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَأَنَا، وَلَكِنِّي دَعَوْتُ اللهَ عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ»(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم إني أعوذ بك**»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَللهُ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى

(١) مسلم، برقم ٤٨٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) أحمد، برقم ٢٤٣١٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) النسائي في الكبرى، برقم ٧١٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) ابن حبان، برقم ١٩٣٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

الْمُفْرَدِ»[١]، والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به.... وأعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك[٢]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ ... وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛... وِيُسْتَعَاذُ مِنْ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يُضَرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنْ الشَّرِّ الضَّارِّ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يُوجَدَ»[٣].

٢-قوله: «**برضاك من سخطك**»: أي بما يرضيك عما يسخطك، وقال ابن العربي رحمه الله: «الرضا: هو تعلُّق الإرادة بالثواب، والسخط هو تعلُّق الإرادة بالعقاب، والمعافاة تعلُّق الإرادة بالسلامة، والعقوبة تعلُّق الإرادةّ بالعذاب والمحن»[٤]، والله عز وجل له رضاً يليق بجلاله، وله سخط يليق بجلاله، لا يشبه في ذلك أحداً من خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٥].

٣-قوله: «**ويمعافاتك من عقوبتك**»: أي بالطاعة التي هي سبب العافية من المعاصي التي هي سبب للعقوبة والهلاك والبوار. قال النووي رحمه الله: «وسأله أن يجيره برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، والرضاء والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والعقوبة، فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له، وهو الله تعالى استعاذ به منه لا غير، ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته»[٦].

٤-قوله: «**وأعوذ بك منك**»: أي أنه لا مفر ولا منجى من الله إلا إليه وهذا

---

(١) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.
(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.
(٣) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ١٨/ ٢٨٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٧.
(٤) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، ص ٤١٤.
(٥) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٢٠٤.

كقوله: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾[١]، فإن كل أحد إذا خفته فررت منه إلا الله إذا خفته فررت إليه، وبحسب خوف العبد من ربه يكون فراره إليه، قال ابن رجب رحمه الله: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا خَافَ مِنْ مَخْلُوقٍ، هَرَبَ مِنْهُ، وَفَرَّ إِلَى غَيْرِهِ، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مِنَ اللَّهِ، فَمَا لَهُ مِنْ مَلْجَأٍ يَلْجَأُ إِلَيْهِ، وَلَا مَهْرَبٍ يَهْرُبُ إِلَيْهِ إِلَّا هُوَ، فَيَهْرُبُ مِنْهُ إِلَيْهِ»[٢].

٥-قوله: «**لا أحصي ثناء عليك**»: أي أنه لا نهاية ولا حد للثناء على الله كما أنه لا نهاية لصفاته[٣]؛ قال الإمام مالك رحمه الله: معناه: لا أحصي نعمتك، وإحسانك، والثناء بها عليك، وإن اجتهدت في الثناء عليك[٤].

قَوْله: «**أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»: قال ابن عبد البر رحمه الله: «دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَبْلُغُ فِي وَصْفِهِ إِلَى وَصْفِ نَفْسِهِ، وَمَنْ وَصَفَهُ بِغَيْرِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ قَالَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَإِنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»[٥].

٦- قوله: «**فالتمست**»: التمس: أي طلب، فاستعار له اللمس[٦].

٧-قوله: «**فوقعت يدي**»: أي نزلت، وسقطت، وصارت عليهما[٧].

٨-قوله: «**بطن قدميه**»: وباطنُ القَدَم ما رَقَّ من أَسْفلها، وتجافى عن الأَرض[٨].

٩-قوله: «**منصوبتان**»: أرادت أنها رأت النبي ﷺ وهو ساجد، وفي رواية: «**منتصبتان**»، قال ابن عبد البر: «ولفظهم متقارب والمعنى سواء»[٩].

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٠.
(٢) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط، ٢/ ٤٥.
(٣) فيض القدير (٢/١٣٩).
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٤٢٧.
(٥) الاستذكار، ٢/ ٥٣١.
(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٢٦٩، مادة (لمس)
(٧) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢/ ٦٦٨، مادة (وقع).
(٨) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٢٠٤.
(٩) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢٣/ ٣٤٩.

١٠-قوله: «**راصاً عقبيه**»: تراصوا في الصفوف أي تلاصقوا حتى لا تكون بينهم فُرَجٌ، وأصله تراصصوا من رصّ البناء، يرصُّه رصّاً: إذا ألصق بعضه ببعض... ومنه حديث ابن صياد: فرصّه رسول الله ﷺ أي: ضم بعضه إلى بعض[(١)]. والعَقِب: ما أَصَابَ الأرضَ من مُؤَخِّرِ الرِّجْلِ إلى موضعِ الشِّراكِ، يقال عَقْب وعَقِب، وفي الحديث: كَانَتْ نَعْلَهُ مُعَقَّبَةً أي: لها عَقِبٌ»[(٢)].

١١-قوله: «**مستقبلاً بأطراف أصابعه للقبلة**» قال الحافظ: «اسْتَدَلَّ الرَّافِعِيُّ بِحَدِيثِ عَائِشَةَ عَلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ تَكُونَ الْأَصَابِعُ مَنْشُورَةً، وَمَضْمُومَةً فِي جِهَةِ الْقِبْلَةِ، وَمُرَادُهُ بِذَلِكَ أَصَابِعُ الْيَدَيْنِ...، فَتَقْيِيدُهُ فِي رِوَايَةِ ابْنِ حِبَّانَ الصَّحِيحَةِ يَخُصُّهُ بِالرِّجْلَيْنِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فَفِيهِ: «**وَاسْتَقْبَلَ بِأَطْرَافِ رِجْلَيْهِ الْقِبْلَةَ**»[(٣)].

١٢-قوله: «**لا أبلغ كل ما فيك**»: قال العراقي في تخريجه لأحاديث الإحياء: «حديث عائشة: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»، وقد تقدم، وعند ابن خزيمة من هذا الوجه: «**وأعوذ بك منك، لا أحصي مدحك إلا ثناء عليك**»، وفي آخر عنده أيضاً من وجه آخر عنها: «**وبعفوك من عقوبتك، وبك منك أثني عليك، لا أبلغ كل ما فيك**»، وفي آخر عند الخلعي من وجه ثالث عنها: «**لا أحصي أسماءك، ولا ثناء عليك**»[(٤)]. وقال ابن عبد البر: «وروينا عن مالك أنه قال في قوله في هذا الحديث: «**لا أحصي ثناء عليك**» يقول وإن اجتهدت في الثناء عليك، فلن أحصي نعمك وثناءك وإحسانك، قال أبو عمر:

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ٢/ ٢٢٦، مادة (رصص).
(٢) انظر: غريب الحديث لابن الجوزي، ٢/ ١١١، مادة (عقب).
(٣) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ١/ ٦٢١.
(٤) إحياء علوم الدين، ٥/ ٢٣٥٠.

في قوله: «**أنت كما أثنيت على نفسك**» دليل على أنه لا يبلغ وصفه، وأنه لا يوصف إلا بما وصف به نفسه تبارك اسمه، وتعالى جده ولا إله غيره، وقد روي عن يحيى بن سعيد من حديث عائشة ﵂ حديث يوافق حديث هذا الباب في بعض معانيه، وهو عندي حديث آخر، والله أعلم»[١].

١٣-قوله: «**ما من آدمي إلا له شيطان**»، قال الطحاوي: «فَوَقَفْنَا عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ كَانَ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَسَائِرِ النَّاسِ سِوَاهُ، وَأَنَّ اللَّهَ أَعَانَهُ عَلَيْهِ، فَأَسْلَمَ بِإِسْلَامِهِ الَّذِي هَدَاهُ لَهُ، حَتَّى صَارَ ﷺ فِي السَّلَامَةِ مِنْهُ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنْ النَّاسِ، فِيمَنْ هُوَ مَعَهُ مِنْ جِنْسِهِ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا الْبَابِ شَيْءٌ مِمَّا يُوجِبُ أَنْ يُوقَفَ عَلَى ارْتِفَاعِ التَّضَادِّ عَنْهُ، وَعَمَّا رَوَيْت مِمَّا قَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خُصَّ بِهِ مِنْ إسْلَامِ شَيْطَانِهِ لِكَيْ يَسْلَمَ مِنْهُ»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-من تأمل هذه الكلمات فهم أنها تدل على تمام التوحيد لله ﷻ، وعلى قطع التفات القلب إلى غير الله ﷻ، وعلى حقيقة التوكل عليه والإنابة إليه.

٢-الاعتراف بالعجز التام، والقصور الكامل فيما يتعلق بإحصاء الثناء على الله؛ لأن النبي ﷺ رد الثناء إلى الجملة دون التفصيل والإحصار والتعيين.

٣-العبد لا يملك لنفسه – فضلًا عن أن يملك لغيره – ضرًّا، ولا نفعًا، ولا موتًا، ولا حياة، ولا نشورًا، فالأمر كله لله.

٤- قال الإمام أبو سليمان الخطابي ﵀: في هذا الدعاء معنى لطيف، وذلك أن النبي ﷺ استعاذ بالله تعالى، وسأله أن يجيره برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، والرضا والسخط متقابلان، كذلك المعافاة والعقوبة،

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢٣/ ٣٥٠.
(٢) مشكل الآثار، للطحاوي، ١/ ١٠٣.

فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له، وهو الله ﷻ استعاذ به منه لا غير، ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه[١].

٥- بيَّن هذا الدعاء أن صفة الرضا هي من صفات الله تعالى، وهي من الصفات الفعلية لوقوعها بمشيئة الله تعالى، وهي ليست كرضا المخلوقين، بل هي على الوجه اللائق به ﷻ؛ والله ﷻ يرضى على من وجد منه مقتضى الرضا ومن ذلك:

١ – أنه يرضى عن العمل لقوله: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَه لَكُمْ﴾[٢].

٢ – يرضى عن العامل لقوله: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[٣].

٦- أوضح هذا الحديث أن نصب القدمين في السجود من السنة، ومعنى ذلك هو رص القدمين بعضهما ببعض، وهذا بخلاف الركبتين واليدين.

٧- كان النبي ﷺ إذا صلى وسجد فرج بين يديه حتى يبدو بياض إبطه[٤]، والحكمة من هذا -كما قال بعض أهل العلم - هو إظهار القوة والنشاط في العبادة، ولكن هذا مشروط على عدم إيذاء المصلي لمن بجانبه، أما المرأة فلا تفعل ذلك التجافي؛ لأن ذلك أستر لها ،ويجب السجود على سبعة أعضاء؛ لقول النبي ﷺ: «**أمرت أن أسجد على سبعة أعظم** – وأشار بيده إلى أنفه واليدين[٥] والركبتين وأطراف القدمين –»[٦].

***

(١) معالم السنن للخطابي، ١/ ٢١٤.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧.

(٣) سورة البينة، الآية: ٨.

(٤) البخاري، كتاب الأذان، باب يبدي ضبعيه، ويجافي في السجود، برقم ٨٠٧، ومسلم، كتاب الصلاة، باب ما يجمع صفة الصلاة وما يفتتح به ويختتم به، وصفة الركوع والاعتدال منه، والسجود والاعتدال منه، والتشهد بعد كل ركعتين من الرباعية، وصفة الجلوس بين السجدتين، وفي التشهد الأول، برقم ٤٩٥، ويُسنّ كذلك ضم أصابع اليدين أثناء السجود؛ ليحصل بذلك تمام استقبال القبلة.

(٥) يراد بذلك الكفين، ولئلا يعارض حديث النهي عن الافتراش كافتراش السبع.

(٦) البخاري، كتاب الأذان، باب السجود على الأنف، برقم ٨١٢، ومسلم، كتاب الصلاة، باب أعضاء السجود والنهي عن كف الشعر والثوب وعقص الرأس في الصلاة، برقم ٤٩٠.

٢٠ – دُعَاءُ الجِلسَةِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ

٤٨-(١)«رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٧٢-عَنْ حُذَيْفَةَ بن اليمان[٢]، أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَكَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ - ثَلَاثًا - ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ**»، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ، ثُمَّ رَكَعَ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْوًا مِنْ رُكُوعِهِ، يَقُولُ: لِرَبِّيَ الْحَمْدُ، ثُمَّ سَجَدَ، فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، فَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى**»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ، وَكَانَ يَقْعُدُ فِيمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنْ سُجُودِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي**»، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَقَرَأَ فِيهِنَّ الْبَقَرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءَ، وَالْمَائِدَةَ، أَوِ الْأَنْعَامَ، شَكَّ شُعْبَةُ. هذا لفظ أبي داود، وابن ماجه[٣].

١٧٣-ولفظ ابن خزيمة: عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي، فَجِئْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ يُرِيدُ الْمِئَةَ،

---

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، برقم ٨٧٤، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلوات، باب ما يقول بين السجدتين، برقم ٨٩٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/ ٢٤٨، وفي صحيح ابن ماجه، ١/ ١٤٨، وإرواء الغليل، برقم ٣٣٥، وابن خزيمة، ١/ ٣٤٠، برقم ٦٨٤، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٢/ ٤١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٦ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٨٧٤، وابن ماجه، برقم ٨٩٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

فَجَاوَزَهَا، فَقُلْتُ: يُرِيدُ الْمِائَتَيْنِ، فَجَاوَزَهَا، فَقُلْتُ: يُخْتِمُ، فَخَتَمَ ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فقَرَأَهَا، ثُمَّ قَرَأَ آلَ عِمْرَانَ، ثُمَّ رَكَعَ قَرِيبًا مِمَّا قَرَأَ، ثُمَّ رَفَعَ فَقَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ نَحْوًا مِمَّا رَفَعَ، ثُمَّ رَفَعَ فَقَالَ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي» نَحْوًا مِمَّا سَجَدَ، ثُمَّ سَجَدَ نَحْوًا مِمَّا رَفَعَ، ثُمَّ قَامَ فِي الثَّانِيَةِ، قَالَ: الأَعْمَشُ: فَكَانَ لاَ يَمُرُّ بِآيَةِ تَخْوِيفٍ إِلاَّ اسْتَعَاذَ، أَوِ اسْتَجَارَ، وَلاَ آيَةِ رَحْمَةٍ إِلاَّ سَأَلَ، وَلاَ آيَةِ، يَعْنِي تَنْزِيهٍ إِلاَّ سَبَّحَ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: « **فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ**»: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: صلى فيجعل الصلاة متناسبة، إذا أطال القيام أطال الركوع والسجود، والقيام الذي بعد الركوع، والجلوس الذي بين السجدتين، وإذا خفف القراءة خفف الركوع والسجود، والقيام من أجل أن تكون الصلاة متناسبة، وهذا فعله صلوات الله وسلامه عليه في الفرض، وفي النفل أيضاً، فكان ﷺ يجعل صلاته متناسبة[٢].

٢-قوله: «**رب اغفر لي**»: أي استرني بمحو ذنوبي مع التجاوز عن المؤاخذة ومناقشة الحساب، قال ابن منظور: «أَصل الغَفْرِ: التَّغْطِيَةُ، وَالسَّتْرُ، غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ: أَي: سَتَرَهَا... وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْته؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا... والغَفْرُ، والمَغْفِرةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ، والعفوُ عَنْهَا»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-إعظام الرغبة بأن الله يغفر الذنوب جميعًا، ما علمه العبد وما نسيه، وقد أحصاه الله.

٢-الاستغفار ليس نطقًا باللسان فقط بل يصحبه عدم الإصرار على

---

(١) ابن خزيمة، برقم ٦٨٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين،(ص: ١٢١.
(٣) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ٤٦.

مقارفة الذنوب؛ لقوله ﷻ: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(١).
وهذا هو المانع من العقوبة؛ لقوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(٢).

٣-إثبات صفة المغفرة لله ﷻ، وآثار هذه المغفرة جليَّة واضحة لكل ذي لب ولذلك ورد اسم الغفور في القرآن في إحدى وتسعين آية.

٤- اتصاف الله بصفة المغفرة، هو محض فضل منه ونعمة، علمًا بأن الله تعالى لا ينتفع بالمغفرة لعباده، ولا يغفر لهم خوفًا منهم بل هو لا يضره كفرهم أصلًا.

٥- من بركات الاستغفار سعة الأرزاق؛ لقوله ﷻ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾(٣).

٦- من استشعر لذة الاستغفار لنفسه دفعه ذلك إلى الاستغفار لأهل الإيمان، قال رسول الله ﷺ: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة»(٤).

٧- جاء في هذا الحديث أن النبي ﷺ صلى أربع ركعات: بالبقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، أو الأنعام شك شعبة وكان ركوعه نحوًا من قيامه، وسجوده نحوًا من قيامه، وكان يقول بين السجدتين: «رب اغفر لي رب اغفر لي» نحوًا من سجوده، وكان هذا في صلاة الليل، أي أنه كان يكرر

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.
(٣) سورة نوح، الآيات: ١٠ - ١٢.
(٤) رواه الطبراني في مسند الشاميين، ٣/ ٢٣٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٠٢٦ من حديث عبادة بن الصامت ؓ.

هذا الدعاء بين السجدتين لا أن يقوله مرتين فقط[١].

***

٤٩-[٢]((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَاجْبُرْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي، وَارْفَعْنِي))[٢].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٧٤-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[٣]، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي))، وهذا لفظ أبي داود[٤].

١٧٥-ولفظ الترمذي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاجْبُرْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي))[٥].

١٧٦-ولفظ ابن ماجه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ فِي صَلاَةِ اللَّيْلِ: ((رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاجْبُرْنِي، وَارْزُقْنِي، وَارْفَعْنِي))[٦].

---

(١) انظر تخريج حديث المتن رقم (٤٨) من هذا الكتاب.

(٢) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي: أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء بين السجدتين، برقم ٨٥٠، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما يقوله بين السجدتين، وقال: «اجبرني» بدل: «عافني»، برقم ٢٨٤، و٢٨٥، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلوات، باب ما يقول بين السجدتين، بلفظ: ((رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاجْبُرْنِي، وَارْزُقْنِي، وَارْفَعْنِي)) برقم ٨٩٨، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/٩٠، وصحيح ابن ماجه، ١/١٤٨، وفي صحيح سنن أبي داود، ١/ ٢٣٨.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٤) أبو داود، برقم ٨٥٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) الترمذي، برقم ٢٨٤، و٢٨٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) ابن ماجه، برقم ٨٩٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم اغفر لي**»: المغفرة، هي: ستر الذنب، والعفو عنه، مأخوذ من المِغْفر الذي يكون على رأس الإنسان عند الحرب يتقي به السهام، قال ابن منظور: «أَصل الغَفْرِ: التَّغْطِيَةُ، وَالسَّتْرُ، غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ: أَي: سَتَرَهَا... وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْته؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا... والغَفْرُ، والمَغْفِرةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ، والعفوُ عَنْهَا»[(١)].

٢-قوله: «**وارحمني**»: طلب رحمة الله ﷻ التي بها حصول المطلوب، وبالمغفرة زوال المرهوب، وهذا إذا جمع بين المغفرة والرحمة.

أما إذا فرقت المغفرة عن الرحمة فإن كل واحدة منهما تشمل الأخرى[(٢)].

٣-قوله: «**واهدني**»: أي لصالح الأعمال والتي يشترط فيها الإيمان بالله ﷻ والإخلاص له، والمتابعة لرسول الله ﷺ، قال العيني رحمه الله: «أي: أرشدني لصوابها، ووفقني للتخلق به»[(٣)].

٤-قوله: «**واجبرني**»: الجبر يكون من النقص، والمعنى هو سؤال الله أن يتجاوز عن الإسراف في الذنوب والقصور في الطاعة، قال ابن الأثير رحمه الله: «أَيْ: أَغْنِنِي، مِنْ جَبَر اللَّهُ مُصِيبتَه: أَيْ ردَّ عَلَيْهِ مَا ذَهَب مِنْهُ وَعَوَّضَه. وأَصْلُه مِنْ جَبْر الكَسْر»[(٤)].

٥-قوله: «**وعافني**»: دعاء برفع البلاء إن كان موجودًا، ودفعه إن كان مفقودًا، وهو شامل لأمراض القلوب والأبدان، والمعافاة من كل سوء في الدنيا والآخرة، وقال البجيرمي رحمه الله: «وَعَافِنِي: أَيْ: مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[(٥)].

---

(١) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ٤٦.
(٢) انظر الشرح الممتع، ص ١٣١.
(٣) شرح أبي داود للعيني، ٣/ ٣٦١، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ٣٠.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٣٦، مادة (جبر).
(٥) حاشية البجيرمي على الخطيب، ٢/ ٥٥.

٦-قوله: «**وارزقني**»: أي رزقًا حلالًا أستعين به على أمور حياتي، ورزقًا في الطاعة ينفعني يوم القيامةفالرزق رزقان: رزق الحلال، ورزق الإيمان، والعمل الصالح، والتوفيق لذلك، وكل ذلك بطلب من الله ﷻ، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «ارزقني: يعني الرزق الذي يقوم به البدن: من الطعام، والشراب، واللباس، والمسكن، وغير ذلك، والرزق الذي يقوم به القلب، وهو العلم النافع، والعمل الصالح، وهذا يشمل هذا وهذا، فالرزق نوعان: رزق يقوم به البدن، ورزق يقوم به القلب، والدين، والإنسان إذا قال: ارزقني، فهو يسأل الله هذا وهذا» (١).

٧-قوله: «**وارفعني**»: في الدنيا بالعلم النافع، والعمل الصالح، وأن أكون للمتقين إمامًا، وفي الآخرة بإصابتي للفردوس الأعلى، قال ابن منظور: «رفع: فِي أَسْماء اللَّهِ تَعَالَى: الرافِعُ: هُوَ الَّذِي يَرْفَعُ المؤْمن بالإِسعاد، وأَولياءَه بالتقْريب، والرَّفْعُ: ضِدُّ الوَضْع، رَفَعْته فارْتَفَع، فَهُوَ نَقيض الخَفْض فِي كُلِّ شَيْءٍ، ... وأَنه الله يَرْفَعُ القِسط وَهُوَ العَدل، فيُعْليه عَلَى الجَوْرِ وأَهله، وَمَرَّةً يخْفِضه فيُظهر أَهلَ الْجَوْرِ عَلَى أَهل الْعَدْلِ ابْتلاءً لِخَلْقِهِ، وَهَذَا فِي الدُّنْيَا والعاقبةُ لِلْمُتَّقِينَ. وَيُقَالُ: ارْتَفَعَ الشيءُ ارْتِفاعاً بِنَفْسِهِ إِذا عَلا... وَقَالَ الْفَرَّاءُ: وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ: أَي: بَعْضِهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَيُقَالُ: نِساءٌ مَرْفُوعات أَي مُكَرَّمات، مِنْ قَوْلِكَ إِن اللَّهَ يَرْفَع مَنْ يَشاء ويَخْفِضُ، ورفَعَ السَّرابُ الشَّخْصَ يَرْفَعُه رَفْعاً: زَهاه»(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية قول هذا الذكر في الجلسة بين السجدتين في الصلاة.

٢-ما كان عليه النبي ﷺ من الاطمئنان في صلاته كلها، وأن ذلك كان هو هديه الدائم في الصلاة، ومحافظته على الواجبات والمستحبات.

---

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٦٩.
(٢) لسان العرب، ٨/ ١٢٩، مادة (رفع).

٣-هذا الدعاء من جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام؛ لأنه جمع فيه أصول السعادة في الدنيا والآخرة، فتأمل.

٤- جاء هذا الدعاء في صحيح مسلم(١)، أو قريبًا من لفظه، ولكن ليس بين السجدتين. حيث جاء رجل إلى النبي ﷺ قال: يا رسول الله كيف أقول حين أسأل ربي ﷻ؟ قال: «**قل: اللَّهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، وارزقني**» ويجمع أصابعه إلا الإبهام، «**فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك**» وكذلك كان رسول الله ﷺ يعلم الرجل إذا أسلم الصلاة، ثم يأمره بهؤلاء الكلمات: «**اللَّهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، وارزقني**»(٢).

٥- الهداية لها أربع مراتب:

أ - الهداية العامة: وهي هداية كل مخلوق لمصالحه التي بها يصلح أمره ﴿**وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**﴾(٣).

ب - هداية البيان والدلالة وهي حجة الله على خلقه ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى**﴾(٤).

ج - هداية التوفيق والإلهام، قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾(٥).

د - الهداية إلى الجنة يوم القيامة ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾(٦).

***

(١) مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم ٢٦٩٧.
(٢) مسلم كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم ٢٦٩٦.
(٣) سورة الأعلى، الآية: ٣.
(٤) سورة فصلت، الآية: ١٧.
(٥) سورة القصص، الآية: ٥٦.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

٢١ – دُعَاءُ سُجُودِ التِّلاوَةِ

٥٠-(١)«سَجَدَ وَجْهِيَ لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٧٧-عَنْ عَائِشَةَ ﵂[٢]، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي سُجُودِ الْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ: «**سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ، وَبَصَرَهُ، بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ**»، وهذا لفظ الترمذي[٣].

١٧٨- ولفظ الحاكم: عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ فِي سُجُودِ الْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ: «**سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**»[٤].

١٧٩-وعَنْ عَائِشَةَ ﵂[٥]، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِ الْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، يَقُولُهُ فِي السَّجْدَةِ مِرَارًا: «**سَجَدَ وَجْهِيَ لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ**»[٦].

---

(١) الترمذي، كتاب الدعوت، باب ما يقول في سجود القرآن،، برقم ٣٤٢٥، وأبو داود، كتاب الوتر، باب ما يقول إذا سجد، برقم ١٤١٥، وأحمد، ٤٠/ ٢٣، برقم ٢٤٠٢٢، والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، ١/٢٢٠ والزيادة بين المعقوفين له، والآية رقم ١٤ من سورة المؤمنون، وصححه الألباني في المشكاة، برقم ١٠٣٥، وصحيح سنن أبي داود، برقم ٧٣٨.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٢٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الحاكم، ١/ ٢٢٠، وصححه الألباني في المشكاة، برقم ١٠٣٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٦) مسند أحمد، ٤٣/ ٢١، برقم ٢٥٨٢٢، وأبو داود، كتاب سجود القرآن، باب ما يقول إذا سجد، برقم ١٤١٤، وصححه محققو المسند، ٤٣/ ٢١، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٥/ ١٥٧.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**سجد وجهي**»: خص الوجه بالسجود لأنه أشرف الأعضاء.قال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد في هذا الحديث: سجدَت جُملتي ورأسي»[(١)].

٢-قوله: « **للذي خلقه وشق سمعه وبصره**»: هذا من ذكر العام وهو خلق الوجه، ثم الخاص وهو شق السمع والبصر، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: خلق فيه السمع والبصر»[(٢)]، وقال الفيومي رَحِمَهُ اللَّهُ: «خَلَقَ اللَّهُ الْأَشْيَاءَ خَلْقًا، وَهُوَ الْخَالِقُ وَالْخَلَّاقُ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ وَلَا تَجُوزُ هَذِهِ الصِّفَةُ بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَصْلُ الْخَلْقِ التَّقْدِيرُ ... وَالْخَلْقُ الْمَخْلُوقُ»[(٣)].

٣-قوله: «**بحوله**»: «يقال حال الشخص يحول، إذا تحرك، المعنى: لاحركة وقوة إلا بمشيئة الله تعالى، وقيل: الحول: الحيلة، والأول أشبه، ومنه الحديث: «**اللهم بك أصول، وبك أحول**»[(٤)]، أي أتحرك، وقيل: أحتال، وقيل: أدفع، وأمنع، من حال بين الشيئين، إذا منع أحدهما عن الآخر»[(٥)].

٤-قوله: «**قوته**»: اعْتِرَافٍ بِالْإِذْعَانِ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا صَانِعَ غَيْرُهُ، وَلَا رَادَّ لِأَمْرِهِ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا فِي الْأَمْرِ[(٦)].

٥- قوله: «**فَتَبَارَكَ اللَّهُ**»: قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: تعالى، وتعاظم، وكثر خيره»[(٧)].

٦-قوله: «**أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**»: قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «... فخلقه كله

(١) المسالك في شرح موطأ مالك، ٢/ ١٣٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٤٤.
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٧، وتقدم في شرح المفردة رقم٧ من مفردات حديث المتن رقم ٤٤.
(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ١٨٠، مادة (خلق).
(٤) أبو داود، برقم ٢٦٣٢، والترمذي، برقم ٣٥٨٤، ويأتي تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ١٢٧.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٦١، مادة (حول).
(٦) انظر: تحفة الأحوذي، ٩/ ٣٠١.
(٧) تفسير السعدي، ص ٥٤٨.

حسن، والإنسان من أحسن مخلوقاته، بل هو أحسنها على الإطلاق؛ ولهذا كان خواصه أفضل المخلوقات وأكملها، أي أن خلق الله كله حسن، والإنسان هو أفضل مخلوقاته»[١]، وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في قوله: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾: «أي: أحسن المصورين والمقدّرين، والعرب تقول: قدّرت الأديم، وخلقته، إذا قسته لتقطع منه مزادة، أو قربة ونحوها، قال مجاهد: يصنعون، ويصنع الله، والله خير الصانعين»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث

١-سجود التلاوة سنة وليس بواجب وهذا هو الراجح من أقوال أهل العلم، لما يلي:

أ – أن زيد بن ثابت رضي الله عنه عندما قرأ على النبي ﷺ سورة النجم لم يسجد فيها[٣]، ولو كان السجود واجبًا لم يقره النبي ﷺ على ترك السجود.

ب – أن عمر رضي الله عنه قرأ على المنبر بسورة النحل فلما أتى السجود نزل وسجد، وسجد الناس، ثم أنه قرأها في الجمعة التالية ولم يسجد، وقال: «**فمن سجد فقد أصاب ومن لم يسجد فلا إثم عليه**»[٤]، وكان هذا في حضور الصحابة، ولم ينكر عليه أحد، وهو كذلك أحد الخلفاء الراشدين المهديين.

جـ - فعل النبي ﷺ للشيء على سبيل التعبد يقتضي سنيته لا وجوبه، إلا أن يقرن بأمر، أو يكون بيانًا لأمر، وعلى هذا يحمل قول ابن عمر رضي الله عنهما: «**كان النبي ﷺ يقرأ علينا السورة فيها السجدة فيسجد، ونسجد معه، حتى ما**

---

(١) انظر: تفسير السعدي، ص ٥٤٨، وص ٩٢٩.

(٢) شفاء العليل، ص ١٣١، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨ من مفردات حديث المتن رقم ٤٤.

(٣) البخاري، كتاب سجود القرآن، باب من قرأ السجدة ولم يسجد، برقم ١٠٧٣، وانظر: الشرح الممتع لابن عثيمين، ٤/ ٩١، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من مفردات حديث المتن رقم ٤٤.

(٤) البخاري، كتاب سجود القرآن، باب من رأى أن الله ﷻ لم يوجب السجود، برقم ١٠٧٧.

يجد أحدنا موضعًا لجبهته»[١].

٢-سجود التلاوة إنما هو سنة للقارئ والمستمع، وهو الذي ينصت للقارئ ويتابعه في الاستماع، بخلاف السامع الذي يسمع الشيء دون أن ينصت إليه، ودليل ذلك حديث ابن عمر السابق.

٣-إن لم يسجد القارئ لم يسجد المستمع لأن سجود المستمع تبع لسجود القارئ فالقارئ أصل والمستمع فرع له فالقارئ كالإمام، والمستمع كالمأموم ودليل ذلك حديث زيد بن ثابت السابق ذكره حيث أقره النبي ﷺ على عدم سجوده، وسكت عن ذلك.

٤-الصواب أن سجود التلاوة لا يشترط له ما يشترط لصلاة النفل من الطهارة عن الحدث، والنجس، وستر العورة، واستقبال القبلة، ولكن يستحب ذلك، وهو الأفضل، كما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وبه قال ابن باز، وابن عثيمين رحمهم الله تعالى[٢].

٥- قال ابن تيمية: لا يشرع لسجود التلاوة تكبيرة الإحرام، ولا التحليل[٣].

***

٥١-(٢)«اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْراً، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْراً، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْراً، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ»[٤].

---

(١) البخاري، كتاب سجود القرآن، باب من سجد لسجود القارئ، برقم ١٠٧٥.

(٢) انظر تعليق الشيخ/ سعيد القحطاني حفظه الله على شرح حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة للشيخ/ مجدي بن عبد الوهاب، الطبعة الأولى، ص ١١٦.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ٢٣/ ١٦٥، ١٧٠.

(٤) الترمذي، كتاب أبواب السفر والكسوف، باب ما يقول في سجود القرآن، برقم ٥٧٩، وفي كتاب الدعوات، باب ما يقول في سجود القرآن، برقم ٣٤٢٤، وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب سجود القرآن، برقم ١٠٥٣، والحاكم وصححه، =

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٨٠- لفظ الترمذي: عن ابن عباس رضي الله عنهما(١) قال: جاء رجل(٢) إلى النَّبيِّ ﷺ، فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي رَأَيْتُنِي اللَّيْلَةَ وَأَنَا نَائِمٌ كَأَنِّي أُصَلِّي خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَسَجَدْتُ، فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي، فَسَمِعْتُهَا وَهِيَ تَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ**»، قَالَ الحَسَنُ: قَالَ لِيَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ لِي جَدُّكَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ سَجْدَةً، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ مِثْلَ مَا أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ عَنْ قَوْلِ الشَّجَرَةِ(٣).

١٨١-ولفظ ابن ماجه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، كَأَنِّي أُصَلِّي إِلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ، فَقَرَأْتُ السَّجْدَةَ فَسَجَدْتُ، فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي، فَسَمِعْتُهَا تَقُولُ: «**اللَّهُمَّ احْطُطْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَاكْتُبْ لِي بِهَا أَجْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا**»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ مِثْلَ الَّذِي أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ عَنْ قَوْلِ الشَّجَرَةِ(٤).

١٨٢-ولفظ الحاكم عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ: كَأَنِّي أُصَلِّي

=

ووافقه الذهبي، ١/٢١٩، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم ٥٧٩، وحسن الألباني رواية ابن ماجه في صحيح ابن ماجة، برقم ٨٦٥، والمشكاة، برقم ١٠٣٦، وفي السلسلة الصحيحة، برقم ٢٧١٠.

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٢) هو أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، وتقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، برقم ٥٧٩، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم ٥٧٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) ابن ماجه، برقم ١٠٥٣، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم ٥٧٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

خَلْفَ الشَّجَرَةِ، فَرَأَيْتُ كَأَنِّي قَرَأْتُ سَجْدَةً، فَسَجَدْتُ فَرَأَيْتُ الشَّجَرَةَ كَأَنَّهَا تَسْجُدُ بِسُجُودِي، فَسَمِعْتُهَا وَهِيَ سَاجِدَةٌ وَهِيَ تَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي عِنْدَكَ بِهَا أَجْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَاقْبَلْهَا مِنِّي كَمَا قَبِلْتَ مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ**»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ السَّجْدَةَ، ثُمَّ سَجَدَ فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ سَاجِدٌ يَقُولُ مِثْلَ مَا قَالَ الرَّجُلُ عَنْ كَلَامِ الشَّجَرَةِ»[1].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم اكتب لي بها عندك أجراً**»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ »[2]، وقال القرطبي: «كَتَبَ: أَثْبَتَ... وَقِيلَ: كَتَبَ أَيْ: جَمَعَ»[3]، وقال القاري رحمه الله: «أَيِ: أَثْبِتْ لِأَجْلِي بِهَا: أَيْ: بِسَبَبِ هَذِهِ السَّجْدَةِ، أَوْ بِمُقَابَلَتِهَا...عِنْدَكَ... أَيْ: حَيْثُ لَا يَتَبَدَّلُ، أَوِ الْمُرَادُ مِنْ فَضْلِكَ، أَجْرًا: أَيْ: ثواباً عَظِيمًا»[4].

٢-قوله: «**احطط**»: من: حط الشيء يحطه إذا أنزله وألقاه[5].

٣-قوله: «**وضع عني بها وزرًا**»: قال ابن منظور في تعليقه على الآية القرآنية: ﴿**وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ**﴾[6]: «وَتَفْسِيرُ الوِزْر هُنَا بالحِمل الثَّقِيلِ، وَهُوَ الأَصل فِي اللُّغَةِ، أَولى مِنْ تَفْسِيرِهِ بِمَا يُخْبَر عَنْهُ بِالْمَغْفِرَةِ، وَلَا ذِكْرَ لَهَا فِي السُّورَةِ، وَيُحْمَلُ هَذَا عَلَى أَنه ﷺ وَضْعَ عَنْهُ وِزْرَهُ الَّذِي أَنقض ظَهْرَهُ مِنْ حَمْلِه: هَمَّ قُرَيْشٍ إِذ لَمْ يُسْلِمُوا، أَو هَمَّ الْمُنَافِقِينَ إِذ لَمْ يُخْلِصوا، أَو هَمَّ الإِيمانِ إِذ لَمْ يَعمّ عَشِيرَتَهُ الأَقربين، أَو هَمَّ

---

(١) الحاكم، ١/ ٢١٩، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم ٥٧٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ٦، في المفردة رقم ٦.

(٣) تفسير القرطبي، ١٧/ ٣٠٨.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢/ ٨١٧.

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ١/ ٤٠١.

(٦) سورة الشرح، الآية: ٢.

العالَمِ إِذْ لَمْ يَكُونُوا كُلُّهُمْ مُؤْمِنِينَ، أَو هَمَّ الْفَتْحِ إِذ لَمْ يعجَّل لِلْمُسْلِمِينَ، أَو هُمُومَ أُمته الْمُذْنِبِينَ، فَهَذِهِ أَوزاره الَّتِي أَثقلت ظَهْرَهُ ﷺ، رَغْبَةً فِي انْتِشَارِ دَعْوَتِهِ، وخَشْيَةً عَلَى أُمته، وَمُحَافَظَةً عَلَى ظُهُورِ مِلَّتِهِ، وحِرْصاً عَلَى صَفَاءِ شِرْعته»[١].

٤-قوله: «**واجعلها لي عندك ذخرًا**»: أي عملًا أنتفع به يوم القيامة لا يصيبه ما يحبطه أو ينقصه، قال القاري رحمه الله: «وَاجْعَلْهَا لِي: أَيْ: بِاعْتِبَارِ ثَوَابِهَا عِنْدَكَ ذُخْرًا: أَيْ: كَنْزًا ضَخِيمًا، قِيلَ: ذُخْرًا بِمَعْنَى: أَجْرًا، وَكُرِّرَ لِأَنَّ مَقَامَ الدُّعَاءِ يُنَاسِبُ الْإِطْنَابَ، وَقِيلَ: الْأَوَّلُ طَلَبُ كِتَابَةِ الْأَجْرِ، وَهَذَا طَلَبُ بَقَائِهِ سَالِمًا مِنْ مُحْبِطٍ، أَوْ مُبْطِلٍ، وَهَذَا هُوَ الْأَظْهَرُ»[٢].

٥-قوله: «**وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود**»: إشارة إلى قوله عز وجل في شأن داود عليه السلام: ﴿**وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ**﴾[٣]، والمراد بالركوع هنا هو: السجود، وهذا شائع كما قال الشاعر:

فخر على وجهه راكعًا ... وتاب إلى الله من كل ذنب[٤]

قال المباركفوري :: «**كما تقبلتها من عبدك داود**»: ليس المراد المماثلة من كل وجه، ... ما أريد بهذا إلا مطلق القبول... ولو قيل: وتقبلها مني قبولاً، مثل ما تقبلتها من عبدك داود، في أن كلاً منهما فرد من أفراد مطلق القبول... والأقرب أن يعتبر التشبيه في الكمال، ويعتبر الكمال في قبول كل بحسب مرتبته»[٥]، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) لسان العرب، ٧/ ٢٤٤، مادة (نقض).
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢/ ٨١٧.
(٣) سورة ص، الآيتان: ٢٤- ٢٥.
(٤) انظر: تفسير الجزائري، ص ١٥٢٣.
(٥) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/ ٤٤٨.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية قص الرؤيا الصالحة على أهل الصلاح، والفضل في الدين، وهذا بخلاف الحلم الذي هو من الشيطان، فلا يحدث به أحداً، ويستعيذ بالله من شر الشيطان، ومن شرِّ ما رأى.

٢-تسبيح الجمادات أمر حقيقي، ولكننا لا نسمعه، ويؤيد ذلك قوله ﷻ: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾[1].

٣-سجود التلاوة من الأمور التي يُغلب بها الشيطان؛ لقول النبي ﷺ: «**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله! أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار**»[2].

٤- سجدات القرآن خمس عشرة سجدة، منها سجدتان في سورة الحج:

١ – سورة الأعراف، آية ٢٠٦.

٢ – سورة الرعد، آية ١٥.

٣ – سورة النحل، آية ٥٠.

٤ – سورة الإسراء، آية ١٠٩.

٥ – سورة مريم، آية ٥٨.

٦ – سورة الحج، آية ١٨.

٧ – سورة الحج، آية ٧٧.

٨ – سورة الفرقان، آية ٦٠.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٢) ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب سجود القرآن، برقم ١٠٥٢، وصححه الألباني في «تخريج إصلاح المساجد من البدع والعوائد» للقاسمي، ص ٦٩، وفي صحيح الجامع، برقم ٧٢٧.

٩ – سورة النمل، آية ٢٦.

١٠ – سورة السجدة، آية ١٥.

١١ – سورة ص، آية ٢٤.

١٢ – سورة فصلت، آية ٣٨.

١٣ – سورة النجم، آية ٦٢.

١٤ – سورة الانشقاق، آية ٢١.

١٥ – سورة العلق، آية ١٩.

٤-قال ابن عباس رضي الله عنهما: سجدة «ص» ليست من عزائم السجود وقد رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها[١].

٥-قال الحافظ في الفتح: والمراد بالعزائم ما وردت العزيمة على فعله كصيغة الأمر مثلًا بناء على أن بعض المندوبات آكد من بعض عند من لا يقول بالوجوب[٢].

٦-وقيل: إن سجدة ص سجدة شكر؛ لقول النبي ﷺ: «**سجدها داود توبة ونسجدها شكرًا**»[٣]، والصحيح الأول، وأنه يسجدها في الصلاة وخارج الصلاة[٤]: لأن النبي ﷺ سجد فيها، وكفى بذلك دليلاً.

***

(١) البخاري، كتاب سجود القرآن، باب سجدة ص، برقم ١٠٦٩.

(٢) فتح الباري، ٢/ ٦٨٣.

(٣) أخرجه النسائي بنحوه، كتاب الافتتاح، باب سجود القرآن: السجود في ص، برقم ٩٥٩، والطبراني في الكبير بلفظه، ١٢/٣٤، برقم ١٢٣٨٦، والدارقطني، ١/٤٠٧، سجود القرآن، برقم ٤، وصحح إسناده الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٢٧٠.

(٤) انظر: الشرح الممتع لابن عثيمين، ٩٨.

٢٢ – التَّشَهُّدُ

٥٢ -«التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسولُهُ»[1].

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٨٣-تشهد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[2] قال: كنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ، قُلْنَا: السَّلاَمُ عَلَى جِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، السَّلاَمُ عَلَى فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلاَمُ، فَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»**، وهذا لفظ البخاري[3].

١٨٤-ولفظ آخر للبخاري: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلاَةِ قُلْنَا: السَّلاَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلاَمُ عَلَى فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لَا تَقُولُوا السَّلاَمُ عَلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلاَمُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ،**

---

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب التشهد في الآخرة، برقم ٨٣١، وكتاب الأذان، ما يتخير من الدعاء بعد التشهد برقم ٨٣٥، وكتاب العمل في الصلاة، باب من سمى قوماً أو سلم في الصلاة، برقم ١٢٠٢، وكتاب الاستئذان، باب الأخذ باليدين، برقم ٦٢٦٥، وكتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة، برقم ٦٣٢٨، ومسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، برقم ٤٠٢.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٨٣١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ؛ فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ، أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو»[(١)].

١٨٥-ولفظ آخر للبخاري: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا نَقُولُ: التَّحِيَّةُ فِي الصَّلَاةِ، وَنُسَمِّي، وَيُسَلِّمُ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ، فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَقَدْ سَلَّمْتُمْ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»[(٢)].

١٨٦-ولفظ آخر للبخاري أيضاً عن ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ[(٣)] قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ، التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا، فَلَمَّا قُبِضَ قُلْنَا: السَّلَامُ يَعْنِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ[(٤)].

١٨٧-وفي لفظ للبخاري أيضاً، عَنْ عَبْدِ اللهِ ﷺ، قَالَ: كُنَّا نَقُولُ فِي الصَّلَاةِ: السَّلَامُ عَلَى اللهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ: «إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ - إِلَى قَوْلِهِ -

---

(١) البخاري، برقم ٨٣٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) البخاري، برقم ١٢٠٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح.
(٤) البخاري، برقم ٦٢٦٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

الصَّالِحِينَ، فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ صَالِحٍ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الثَّنَاءِ مَا شَاءَ»[١].

١٨٨- وفي لفظ لمسلم: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ، قَالَ: كُنَّا نَقُولُ فِي الصَّلَاةِ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ مَا شَاءَ»[٢].

١٨٩-وفي لفظ لمسلم: عن ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قالَ: «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ التَّشَهُّدَ، كَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ، كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَاقْتَصَّ التَّشَهُّدَ بِمِثْلِ مَا اقْتَصُّوا»[٣].

١٩٠-تشهد عبد الله بن عباس ﷺ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ[٤]، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَكَانَ يَقُولُ: «التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ، الصَّلَوَاتُ، الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ رُمْحٍ كَمَا يُعَلِّمُنَا الْقُرْآنَ[٥].

١٩١-تشهد عمر بن الخطاب ﷺ، فعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ[٦] كان وَهُوَ عَلَى

---

(١) البخاري، برقم ٦٣٢٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) مسلم، برقم ٥٥- (٤٠٢)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) مسلم، برقم ٥٩- (٤٠٢)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.
(٥) مسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، برقم ٤٠٣.
(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٦١ من أحاديث الشرح.

الْمِنْبَرِ يُعَلِّمُ النَّاسَ التَّشَهُّدَ يَقُولُ: قُولُوا: «**التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، الزَّاكِيَاتُ لِلَّهِ، الطَّيِّبَاتُ، الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»[١].

١٩٢-تشهد أبي موسى الأشعري ﵁ فعَنْ حِطَّانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّقَاشِي[٢]، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﵁[٣] صَلَاةً، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْقَعْدَةِ، قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أُقِرَّتِ الصَّلَاةُ بِالْبِرِّ وَالزَّكَاةِ؟ قَالَ: فَلَمَّا قَضَى أَبُو مُوسَى ﵁ الصَّلَاةَ وَسَلَّمَ، انْصَرَفَ فَقَالَ: أَيُّكُمُ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: فَأَرَمَّ الْقَوْمُ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمُ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟ فَأَرَمَّ الْقَوْمُ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ يَا حِطَّانُ قُلْتَهَا؟ قَالَ: مَا قُلْتُهَا، وَلَقَدْ رَهِبْتُ أَنْ تَبْكَعَنِي بِهَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا قُلْتُهَا، وَلَمْ أُرِدْ بِهَا إِلَّا الْخَيْرَ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى ﵁: أَمَا تَعْلَمُونَ كَيْفَ تَقُولُونَ فِي صَلَاتِكُمْ؟ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَنَا، فَبَيَّنَ لَنَا سُنَّتَنَا، وَعَلَّمَنَا صَلَاتَنَا، فَقَالَ: «**إِذَا صَلَّيْتُمْ فَأَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ، ثُمَّ لْيَؤُمَّكُمْ أَحَدُكُمْ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذْ قَالَ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[٤]، فَقُولُوا: آمِينَ، يُجِبْكُمُ اللَّهُ، فَإِذَا كَبَّرَ وَرَكَعَ، فَكَبِّرُوا وَارْكَعُوا، فَإِنَّ الْإِمَامَ يَرْكَعُ قَبْلَكُمْ، وَيَرْفَعُ قَبْلَكُمْ**»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَتِلْكَ بِتِلْكَ، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، يَسْمَعُ اللَّهُ لَكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، وَإِذَا كَبَّرَ وَسَجَدَ فَكَبِّرُوا، وَاسْجُدُوا؛ فَإِنَّ الْإِمَامَ يَسْجُدُ قَبْلَكُمْ،**

---

(١) موطأ مالك، ٢/ ١٢٤، برقم ٣٠٠، ومسند الشافعي، ص ٢٣٧، برقم ١١٧٥، وصححه الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ، ص ١٦٣.

(٢) حطان بن عبد الله الرقاشي، بصري، ثقة، يروي عن: علي، وأبي موسى، روى عنه الحسن، ويونس بن جبير، مات في خلافة عبد الملك، وولاية بشر على العراق بعد السبعين. انظر: الثقات لابن حبان، ٢/ ١٠٨، وتقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ١/ ٣٩١.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١ من أحاديث الشرح.

(٤) سورة الفاتحة، الآية رقم ٧.

وَيَرْفَعُ قَبْلَكُمْ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَتِلْكَ بِتِلْكَ، وَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْقَعْدَةِ، فَلْيَكُنْ مِنْ أَوَّلِ قَوْلِ أَحَدِكُمْ: التَّحِيَّاتُ، الطَّيِّبَاتُ، الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»[(١)].

١٩٣-تشهد عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: فعن ابن عمر رضي الله عنهما[(٢)]، عن رسول الله ﷺ في التشهُّد: «**التحيّاتُ لله، الصلواتُ، الطيباتُ، السلامُ عليك أيُّها النبي ورحمةُ الله وبركاتُه**» قال: قال ابن عمر: زدتُ فيها: «**وبركاته**» «**السلامُ علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهدُ أن لا إله إلا الله**» قال ابن عمر: زدتُ فيها: «**وحدَه لا شريك له**» «**وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه**»[(٣)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**التَّحيات لله**» التعظيمات لله، قال الإمام ابن رجب رحمه الله: «والتحيات: جمع تحية، وفسرت التحية بالملك، وفسرت بالبقاء، والدوام، وفسرت بالسلامة، والمعنى: أن السلامة من الآفات ثابت لله، واجب له لذاته، وفسرت بالعظمة، وقيل: إنها تجمع ذلك كله، وما كان بمعناه، وهو أحسن»، قال ابن قتيبة: إنما قيل: «**التحيات**» بالجمع؛ لأنه كان لكل واحد من ملوكهم تحية يُحيَّا بها، فقيل لهم: «قولوا: التحيات لله» أي: أن ذلك يستحقه الله وحده»[(٤)]، وقال الحافظ ابن حجر: «قَوْلُهُ: «**التَّحِيّات**» جَمع تَحِيَّة، ومَعناها السَّلام، وقِيلَ: البَقاءُ، وقِيلَ العَظَمَةُ، وقِيلَ السَّلامَةُ مِنَ الآفات، والنَّقص، وقِيلَ

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، برقم ٤٠٤.
(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.
(٣) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب التشهد، برقم ٩٧١، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/ ٢٧٠، وفي صفة صلاة النبي ﷺ، ص ١٧٦، وقال الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود، ٢/ ٢١٩: «إسناده صحيح».
(٤) فتح الباري لابن رجب، ٥/ ١٧٤.

المَلِك. وقالَ أَبُو سَعِيد الضَّرير: لَيسَت التَّحِيَّة المَلِك نَفسه، لَكِنَّها الكَلام الَّذِي يُحَيّا بِهِ المَلِك، وقالَ ابن قُتَيبَة: لَم يَكُن يُحَيّا إلاَّ المَلِك خاصَّة، وكانَ لِكُلّ مَلِك تَحِيَّة تَخُصّهُ؛ فَلِهَذا جُمِعَت، فَكانَ المَعنَى التَّحِيّات الَّتِي كانُوا يُسَلِّمُونَ بِها عَلَى المُلُوك كُلّها مُستَحَقَّة لِلَّهِ، وقالَ الخَطّابِيُّ، ثُمَّ البَغَوِيُّ: ولَم يَكُن فِي تَحِيّاتهم شَيء يَصلُح لِلثَّناءِ عَلَى اللَّه، فَلِهَذا أُبهِمَت أَلفاظها، واستُعمِلَ مِنها مَعنَى التَّعظِيم، فَقالَ: **قُولُوا التَّحِيّات لِلَّهِ**، أَي أَنواع التَّعظِيم لَهُ، وقالَ المُحِبّ الطَّبَرِيُّ: يَحتَمِل أَن يَكُون لَفظ التَّحِيَّة مُشتَرَكًا بَين المَعانِي المُقَدَّم ذِكرها، وكَونها بِمَعنَى السَّلام أَنسَب هُنا»[(١)].

٢-قوله: «**والصلوات**»: أي الفرض منها والنفل لله حقًّا واستحقاقًا ويدخل في ذلك الدعاء، قال النووي رحمه الله: «وَالصَّلَوَات هِيَ الصَّلَوَات الْمَعْرُوفَة»[(٢)].

٣-قوله: «**والطيبات**»: أي إن لله من الأوصاف والأفعال أطيبها؛ لأنه طيب في ذاته وصفاته وأفعاله، وله كذلك من أعمال العباد، وأقوالهم أطيبها؛ لأنه المستحق لذلك ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾[(٣)]، أما الكلم الطيب فيدخل فيه قراءة القرآن، والتسبيح، والتهليل، والتحميد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وغيره، وأما العمل الصالح فهو شامل لأعمال القلوب والجوارح، وقال النووي رحمه الله: «**وَالطَّيِّبَات أَيْ: الْكَلِمَات الطَّيِّبَات**»[(٤)]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والطَّيِّبات: أَي: ما طابَ مِنَ الكَلام، وحَسُنَ أَن يُثنَى بِهِ عَلَى اللَّه دُون ما لا يَلِيق بِصِفاتِهِ، مِمّا كانَ المُلُوك

(١) فتح الباري لابن حجر، ٢/ ٣١٣.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١١٦.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١١٦.

يُحَيُّونَ بِهِ، وقِيلَ الطَّيِّبات ذِكر الله، وقِيلَ الأَقوال الصّالِحَة كالدُّعاءِ والثَّناء، وقِيلَ الأَعمال الصّالِحَة وهُو أَعَمّ»[١].

٤- قوله: «**السلام عليك أيها النبي**»: أما السلام فهو من أسماء الله ﷻ؛ لأنه هو السالم من كل عيب ونقص وآفة وفساد، والمعنى سلمك الله من كل مكروه وسوء، وإنما جاء الخطاب بالنبوة رفعة لقدره ومقامه، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «يَجُوز فِيهِ وفِيما بَعده أَي: السَّلام حَذف اللاَّم وإِثباتها والإِثبات أَفضَل وهُو المَوجُود فِي رِوايات الصَّحِيحَينِ... قالَ الطِّيبِيُّ: أَصل سَلام عَلَيك سَلَّمت سَلامًا عَلَيك، ثُمَّ حُذِفَ الفِعل وأُقِيمَ المَصدَر مَقامه، وعُدِلَ عَن النَّصب إِلَى الرَّفع عَلَى الابتِداء لِلدَّلالَةِ عَلَى ثُبُوت المَعنَى واستِقراره، ثُمَّ التَّعرِيف إِمّا لِلعَهدِ التَّقدِيرِيّ، أَي: ذَلِكَ السَّلام الَّذِي وُجِّهَ إِلَى الرُّسُل والأَنبِياء عَلَيك أَيّها النَّبِيّ، وكَذَلِكَ السَّلام الَّذِي وُجِّهَ إِلَى الأُمَم السّالِفَة عَلَينا وعَلَى إِخواننا، وإِمّا لِلجِنسِ والمَعنَى أَنَّ حَقِيقَة السَّلام الَّذِي يَعرِفهُ كُلّ واحِد وعَمَّن يَصدُر وعَلَى مَن يَنزِل عَلَيك وعَلَينا، ويَجُوز أَن يَكُون لِلعَهدِ الخارِجِيّ إِشارَة إِلَى قَولُهُ تَعالَى: ﴿**وسَلام عَلَى عِبادهِ الَّذِينَ اصطَفَى**﴾[٢]، قالَ: ولا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ التَّقادِير أَولَى مِن تَقدِير النَّكِرَة، انتَهَى»[٣]، وقال الفيروز أبادي رحمه الله: «وأما التسليم: وهو أن يقال: السلام عليك أيها النبي، وأيها الرسول، وفي التشهد: السلام عليك أيها النبي، ولو قال في هذا الوقت: الصلاة والسلام عليك لأغنى عن تجديد الصلاة بعد التشهد، ولو أخَّر السلام إلى وقت الصلاة فقال: اللَّهمّ صلّ وسلِّم على محمد لأغنى عن السلام في التشهد، ومعناه: السلام - الذي هو اسم من أسماء الله تعالى -

---

(١) فتح الباري، ٢/ ٣١٣.

(٢) سورة النمل، الآية: ٥٩.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٣١٣.

عليك، وتأويله: لا خَلَوْتَ من الخيرات، والبركات، وسَلِمت من المكاره، والآفات؛ إذ كان اسم الله تعالى إنما يُذكر على الأمور توقعاً لاجتماع معاني الخير، والبركة فيها، وانتفاء عوارض الخلل، والفساد عنها، ويُحتمل أن يكون السلام بمعنى السلامة، أي: ليكن قضاء الله تعالى عليك السلامة، أي: سلِمت من الملام والنقائض، فإذا قلت: اللهمّ سلِّم على محمد؛ فإنما تريد منه: اللهمَّ اكتب لمحمد في دعوته، وأمته، وذكره السلامة من كل نقص، فتزداد دعوته على ممر الأيام علواً، وأمته تكاثراً، وذكره ارتفاعاً»[١].

٥- قوله: «**ورحمة الله**»: الرحمة صفة من صفات الله تعالى تليق بجلاله وكماله، يرحم بها عباده، وينعم عليهم بها[٢]، وليست رحمة الله كرحمة خلقه، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[٣]، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ورحمة الله: رحمة معطوفة على (السَّلام عليك) يعني: ورحمة الله عليك، فيكون عطف جملة على جملة والخبر محذوف، ويجوز أن يكون مِن باب عطف المفرد على المفرد، فلا يحتاج إلى تقدير الخبر، والرحمة إذا قُرنت بالمغفرة، أو بالسَّلامِ صار لها معنى، وإن أُفردت صار لها معنى آخر، فإذا قُرنت بالمغفرة، أو بالسلام صار المراد بها: ما يحصُل به المطلوب، والمغفرة والسلام: ما يزول به المرهوب، وإن أُفردت شملت الأمرين جميعاً، فأنت بعد أن دعوت لرسول الله ﷺ بالسَّلام دعوت له بالرَّحمة؛ ليزول عنه المرهوب ويحصُل له المطلوبُ»[٤].

---

(١) الصِّلات والبُشَر في الصلاة على خير البشر، للفيروزأبادي، ص ٦٦.
(٢) انظر: توضيح الأحكام للشيخ/ عبد الله البسام، ص ٢٦٩.
(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٤) انظر: الشرح الممتع، ٣/ ١٥٢.

٦- قوله: «**وبركاته**»: البركة بمعنى النماء والزيادة من كل خير، وهذه البركة تشمل:

أ – البركة في حياته، ويدخل فيها البركة في طعامه، وشرابه، وكسوته، وأهله، وعمله.

ب – البركة بعد موته بكثرة أتباعه واتِّباعهم له فيما شرع[١]، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وبركاته: جمع بَرَكَة، وهي الخير الكثير الثَّابت، لأن أصلها من الْبِرْكة - بكسر الباء – والْبِرْكة: مجتمع الماء الكثير الثابت، والْبَرَكَةُ: هي: النَّمَاءُ والزِّيادة في كلِّ شيء من الخير، فما هي البركات التي تدعو بها للرَّسول عليه الصلاة والسلام بعد موته؟ ففي حياته ممكن أن يُبارك له في طعامه، في كسوته، في أهله، في عمله، فأما البَرَكة بعد موته: فبكثرة أتباعه، وما يتبع فيه، فإذا قَدَّرنا أن شخصاً أتباعه مليون رَجُل، وصار أتباعه مليونين فهذه بَرَكَة، وإذا قَدَّرْنا أن الأتباع يتطوَّعون بعشر ركعات، وبعضهم بعشرين ركعة صار في الثاني زيادة، إذاً؛ نحن ندعو للرسول ﷺ بالبَرَكَة، وهذا يستلزم كَثْرَة أتباعه، وكَثْرَة عمل أتباعه؛ لأنّ كلَّ عمل صالح يفعلهُ أتباع الرَّسولِ عليه الصلاة والسلام، فله مثل أجورهم إلى يوم القيامة»[٢].

٧- قوله: «**السلام علينا**»: هذا شامل لجميع من حضر هذه الصلاة: إمامًا، ومأمومًا، وملائكة، قال ابن حجر رحمه الله: «السَّلام عَلَينا استُدِلَّ بِهِ عَلَى استِحباب البُداءَة بِالنَّفسِ فِي الدُّعاء»[٣].

٨-قوله: «**وعلى عباد الله الصالحين**»: هذا تعميم بعد تخصيص وهم كل عبد صالح في السماء والأرض، حي أو ميت: من بني آدم، ومن عالميَّ الملائكة والجن[٤].

---

(١) انظر: الشرح الممتع، ٣/ ١٥٣.
(٢) انظر: الشرح الممتع، ٣/ ١٥٣.
(٣) فتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٣١٤.
(٤) انظر: الشرح الممتع، ٣/ ١٥٤.

٩-قوله: «**أشهد أن لا إله إلا الله**»: أي أعترف وأقطع يقينًا أنه لا معبود بحق إلا الله، قال الراغب: «الشهادة قول صادر عن علم بمشاهدة بصيرة أو بصر»[١]، قال العظيم أبادي رحمه الله: «مَعْنَاهُ، أَعْلَمُ وَأُبَيِّنُ، وأقضي، وحَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ هُوَ تَيَقُّنُ الشَّيْءِ، وَتَحَقُّقُهُ مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيْ حُضُورِهِ»[٢]، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله عز وجل.

١٠-قوله: «**وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**»: المعنى هو القطع الجازم أن محمدًا عبد مرسل من قبل الله، ختم الله به الرسل، وأنه بلغ ما أرسله الله به، وما كتم من ذلك شيئًا وأن رسالته عامة: للجن، والإنس إلى قيام الساعة، و«قَالَ أَهْل اللُّغَة : يُقَال : رَجُل مُحَمَّد وَمَحْمُود إِذَا كَثُرَتْ خِصَاله الْمَحْمُودَة،... وَبِذَلِكَ سُمِّيَ نَبِيّنَا ﷺ مُحَمَّدًا، يَعْنِي لِعِلْمِ الله تَعَالَى بِكَثْرَةِ خِصَاله الْمَحْمُودَة، أَلْهَمَ أَهْله التَّسْمِيَة بِذَلِكَ»[٣].

١١-قوله:«**جبريل، وميكائيل**»: هما من الملائكة جبريل: عليه السلام فيه لغات: كسر الجيم والراء، وبعدها ياء ساكنة، والثانية كذلك إلا أن الجيم مفتوحة، والثالثة فتح الجيم والراء، وبهمزة بعدها ياء، يقال: هو اسم مركب من (جبر)، وهو العبد، و(إيل)، وهو الله تعالى، وفيه لغات غير ذلك[٤].

١٢-قوله: «**الزاكيات**»: قد تكرر في الحديث ذكر الزكاة، والتزكية، وأصل الزكاة في اللغة: الطهارة، والنماء، والبركة، والمدح، وكلُّ ذلك قد استعمل في القرآن والحديث[٥].

١٣-قوله: «**وَاقْتَصَّ التَّشَهُّدَ بِمِثْلِ مَا اقْتَصُّوا**»: القصُّ: القطع، أو تتبع الأثر،

---

(١) مفردات غريب القرآن، ١/ ٥٥٥.

(٢) عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ٢/ ١٢٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ١٣.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١١٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨ من حديث مفردات المتن رقم ٢٢.

(٤) انظر: المصباح المنير، ١/ ٩٠، مادة (جبر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ٣٠.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٠٦، مادة (زكا).

يقال: قصَّ الأثر، واقتصَّهُ إذا تتبَّعَهُ، ومنه الحديث: «فجاء واقتص أثر الدم»[١]، وحديث قصة موسى عليه السلام فقالت لأخته: قصيه[٢].

١٤-قوله: «**فأرم القوم**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «**فَأَرَمَّ القومُ**» أَيْ: سَكَتوا، وَلَمْ يُجِيبُوا»[٣].

١٥-قوله: «**رهبت أن تبعكني**»: قال القاضي عياض رحمه الله: «بفتح التاء والكاف... أي: تستقبلني بما أكره، وتُبَكتني، والبكع: التبكيت في الوجه»[٤].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-قال الإمام النووي رحمه الله: «هذا تشهُّدُ رسول اللَّه ﷺ: «**التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّباتُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلى عِبادِ اللَّهِ الصَّالِحين، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه**»»، وفي هذا فائدة حسنة، وهي أن تشهُّدَه ﷺ، بلفظ تشهُّدنا[٥].

٢-قوله: «**السلام عليك**»: هذا الدعاء يفهم منه أشياء:

أ – الدعاء له بالسلامة حال حياته وقد فعله الصحابة رضي الله عنهم.

ب – الدعاء له بالسلامة من أهوال القيامة؛ لأن دعاء الرسل في هذه اليوم: «**اللَّهم سلم سلم**»[٦].

---

(١) لم أجد هذا اللفظ إلا في المعاجم، كما هنا في النهاية، وفي لسان العرب أيضاً، ٥/ ٧٤، مادة (قص)، وقريب منه ألفاظ الحديث رقم ٣١٣ في صحيح البخاري، بلفظ: «فَاجْتَبَذْتُهَا إِلَيَّ فَقُلْتُ تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ» وهو في مسلم، برقم ٣٣٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٤/ ٧١، مادق (قص).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٢٦٧، مادة (رمم).

(٤) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ١/ ٨٨.

(٥) الأذكار، للنووي، ص ٩٠.

(٦) البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، برقم ٦٥٧٣.

جـ - الدعاء بالسلامة لشرعه، ودينه من التحريف والتبديل والابتداع[(١)].

٣-ما جاء عن عبد الله بن مسعود[(٢)] أنهم لما قبض النبي ﷺ قالوا في التشهد: «**السلام على النبي**» ولم يقولوا: «**السلام عليك أيها النبي**» عده العلماء من اجتهاداته التي تفرد بها ومعلوم أن تفرد الصحابي بقول أو فعل ليس بحجة، أما إجماعهم على أمر فهو حجة ولذلك خالفه من هو أعلم منه، وهو عمر حيث خطب الناس على منبر رسول الله ﷺ وقال في التشهد: «**السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته**»[(٣)].

٤-ثم إن ابن مسعود نفسه كان يقول: «علمني رسول الله ﷺ وكفي بين كفيه التشهد كما يعلمني السورة من القرآن»[(٤)]. ولم يقل له قل بعد موتي السلام على النبي ورحمة الله وبركاته.

٥-البدء بالسلام قبل الرحمة في التشهد هو من باب التخلية قبل التحلية؛ لأن التخلية هي السلامة من النقائص والتحلية ذكر الأوصاف الكاملة فنبدأ بطلب السلامة أولًا ثم بطلب الرحمة[(٥)].

٦-أخبر الصادق المصدوق أن العبد إذا تشهد في الصلاة وقال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أصابت هذه الدعوة كل عبد لله صالح في السماء والأرض[(٦)].

٧-ورد التشهد عن صحابة النبي ﷺ بألفاظ مختلفة ولكن أثبتها تشهد ابن مسعود الوارد في حديث الباب، وهذه أقوال بعض أهل العلم في هذا التشهد:

---

(١) انظر: الشرح الممتع، ٣/ ١٤٩.
(٢) البخاري، كتاب الاستئذان، باب الأخذ باليدين، برقم ٦٢٦٥.
(٣) مالك في الموطأ، ١١١/ ٩٠، برقم ٢٠٣، قال ابن عثيمين: هذا السند من أصح الأسانيد.
(٤) البخاري، كتاب الاستئذان، باب الأخذ باليدين، برقم ٦٢٦٥.
(٥) انظر: الشرح الممتع، لابن عثيمين، ٣/ ١٥٢.
(٦) مسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، برقم ٤٠٢.

أ – قال الإمام مسلم رحمه الله: اتفق عليه الناس.

ب – قال البزار: هو أصح حديث عندي في التشهد.

جـ – قال الترمذي: العمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة والتابعين.

د – قال أبو حنيفة وأحمد وجمهور العلماء: إن هذا التشهد له مرجحات كثيرة منها: الاتفاق على صحته، وتواتره، وهو أصح التشهدات، وأشهرها، وكونه محفوظ الألفاظ[1].

٨-قال الحافظ في الفتح: قال القفال في فتاويه: ترك الصلاة يضر بجميع المسلمين لأن المصلي يسلم على عباد الله الصالحين وبتركه للصلاة بكونه مقصرًا في حق كافة الصالحين والمسلمين[2].

***

(١) انظر ما كتبه الشيخ/ عبد الله البسام في توضيح الأحكام، ص ٢٧٢، ٢٧٣.
(٢)انظر: فتح الباري، ٢/ ٣٩٢.

٢٣ - الصَّلاةُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ بَعْدَ التَّشهُّدِ

٥٣-(١) «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، [في العالمين](١) إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»(٢).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٩٤-لفظ البخاري: قَالَ عبد الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى(٣): لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ(٤)، فَقَالَ: أَلاَ أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَأَهْدِهَا لِي، فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الصَّلاَةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة عند: مسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، برقم ٤٠٥.

(٢) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا موسى بن إسماعيل، برقم ٣٣٧٠، وكتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ سورة الأحزاب، الآية: ٥٦، برقم ٤٧٩٧، وكتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٦٣٥٧، ومسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، برقم ٤٠٦.

(٣) من كبار التابعين، ولد في خلافة الصديق وحدث عن جمع من الصحابة، قتل بواقعة الجماجم ٨٣ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، ٤/ ٢٦٢، ترجمة رقم ٩٦.

(٤) كعب بن عجرة ﷺ الأنصاري السالمي المدني من أهل بيعة الرضوان، له عدة أحاديث. قال كعب كنت مع النبي ﷺ بالحديبية ونحن محرمون وقد صده المشركون، فكانت لي وفرة، فجعلت الهوام تساقط على وجهي، فمر بي النبي ﷺ وقال: «أتؤذيك هوام رأسك؟» البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، برقم ٤١٩٠، قلت: نعم، فأمر أن تحلق ونزلت فيّ آية الفدية. مات عام ٥٢ هـ سير أعلام النبلاء، ٣/ ٥٢، ترجمة رقم (١٤).

مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[١].

١٩٥-ولفظ آخر للبخاري: عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ﷺ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا السَّلاَمُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ الصَّلاَةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[٢].

١٩٦-ولفظ مسلم: عن ابْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ ﷺ، فَقَالَ: أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: قَدْ عَرَفْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[٣].

١٩٧-ولفظ آخر للبخاري أيضاً: عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ ﷺ، فَقَالَ: أَلاَ أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[٤].

---

(١) البخاري، برقم ٣٣٧٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) البخاري، برقم ٤٧٩٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) مسلم، برقم ٤٠٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) البخاري، برقم ٦٣٥٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

١٩٨-وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ[١]، قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ**»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «**اللهم صل على محمد**»: اللهم: بِمَعْنَى: يا أَللهُ[٣]، وصلاة الله على رسوله: هي الثناء عليه في الملأ الأعلى.

قال البخاري رحمه الله: «قال أبو العالية: «**صَلَاةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ**»[٤].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**يُصَلُّونَ: يُبَرِّكُونَ**»[٥]، فظهر أن الصلاة من الله على نبيه هي الثناء عليه في الملأ الأعلى أي: عند الملائكة المقربين، وإنما جاء ذكر النبي ﷺ باسمه العَلَم فقط؛ لأن هذا من باب الخبر، قال الطيبي

(١) عقبة بن عمرو بن ثعلبة أبو مسعود الأنصاري من بني الحارث بن الخزرج ﷺ، هو مشهور بكنيته ويعرف بأبي مسعود البدري لأنه ﷺ كان يسكن بدراً، وهو أحدث من شهد العقبة سناً، ولم يشهد بدراً، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وقيل شهد بدراً، ولا يصح شهوده بدراً، نزل الكوفة وسكنها، واستخلفه علي في خروجه إلى صفين عليها، مات أبو مسعود سنة أربعين، وقيل مات أيام علي ﷺ، وقيل غير ذلك، مات بالكوفة، وقيل مات بالمدينة، في خلافة معاوية ﷺ. انظر: الاستيعاب، ٣/ ١٠٧٤، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ٢/ ٤٩٣، ترجمة رقم ١٠٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ٥٢٤.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، برقم ٤٠٥.

(٣) انظر: لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله).

(٤) صحيح البخاري،٦/ ١٢٠، قبل الحديث رقم ٤٧٩٧.

(٥) صحيح البخاري،٦/ ١٢٠، قبل الحديث رقم ٤٧٩٧.

رَحِمَهُ اللَّهُ: «عظَّمه في الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دعوته، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته، وتضعيف أجره ومثوبته، وقيل: لما أمرنا الله بالصلاة عليه، لم نبلغ قدر الواجب من ذلك، فأحلنا على الله تعالى، وقلنا: اللهم صل أنت على محمد؛ لأنك أعلم بما يليق»(١)، وقال الإمام ابن القيم :: «الصلاة المأمور بها فيها [أي: آية الأحزاب] هي: الطلب من الله ما أخبر به عن صلاته، وصلاة ملائكته، وهي ثناء عليه، وإظهارٌ لفضله، وشرفه، وإرادة تكريمه، وتقريبه، فهي تتضمّن الخبر، والطلب، وسُمِّي هذا السؤال والدعاء منا نحن: صلاةً عليه لوجهين:

أحدهما: أنه يتضمن ثناء المصلي عليه، والإشادة بذكر شرفه، وفضله، والإرادة، والمحبة لذلك من الله تعالى، فقد تضمَّنت الخبر، والطلب.

والوجه الثاني: أن ذلك سُمِّي منا صلاةً لسؤالنا من الله أن يُصلِّيَ عليه، فصلاة الله عليه ثناؤه، وإرادته لرفع ذكره، وتقريبه، وصلاتنا نحن عليه: سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به»(٢).

وذكر الحافظ ابن حجر : عن جماعة أقوالاً في شرح معنى صلاة الله عليه بالمغفرة، وبالرحمة، ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأَولَى الأَقوال ما تَقَدَّمَ عَن أَبِي العالِيَة: أَنَّ مَعنَى صَلاة اللَّه عَلَى نَبِيّه: ثَناؤُهُ عَلَيهِ، وتَعظِيمه، وصَلاة المَلائِكَة وغَيرهم عَلَيهِ طَلَب ذَلِكَ لَهُ مِنَ الله تَعالَى، والمُراد: طَلَب الزِّيادَة، لا طَلَب أَصل الصَّلاة»(٣)، وقال أيضاً: «وقالَ الحَلِيمِيّ فِي الشُّعَب: مَعنَى الصَّلاة عَلَى النَّبِيّ ﷺ: تَعظِيمه، فَمَعنَى قَولنا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد: عَظِّم مُحَمَّدًا، والمُراد: تَعظِيمه فِي الدُّنيا

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ١٠٣٩.
(٢) جلاء الأفهام، ص ١٦٢.
(٣) فتح الباري، ١١/ ١٥٦.

بِإعلاءِ ذِكره، وإِظهار دِينه، وإِبقاء شَرِيعَته، وفِي الآخِرَة بِإجزالِ مَثُوبَته، وتَشفِيعه فِي أُمَّته، وإِبداء فَضِيلَته بِالمَقامِ المَحمُود، وعَلَى هَذا فالمُراد بِقَولِهِ تَعالَى: ﴿صَلُّوا عَلَيهِ﴾: ادعُوا رَبّكُم بِالصَّلاةِ عَلَيهِ. انتَهَى»[1].

٢- قوله: «**وعلى آل محمد**» : الآل: تأتي للأتباع على الدين، ويدل على ذلك قول الله ﷻ: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾[2]، وإذا قُرن الآل بالأتباع كقولنا: «آله وأتباعه، فيُراد بالآل: المؤمنون من قرابته، وكذلك إذا قرن الآل، والأصحاب، والأتباع، فالآل قرابته المؤمنون، والأصحاب: صحابته، والأتباع: أتباعه على دينه، كقولنا: «اللهمّ صلِّ على محمد، وعلى آله، وأصحابه، وأتباعه بإحسان»»، وقال القرطبي رحمه الله: «اختلف في آله من هم؟ فقيل: أتباعه، وقيل: أمَّته، وقيل: آل بيته، وقيل: أتباعه من رهطه وعشيرته، وقيل: آل الرجل نفسه؛ ولهذا كان الحسن يقول: «اللهم صل على آل محمد»، واختلف النحويون: هل يضاف الآل إلى الْمُضْمَر، أم لا يضاف إلا إلى الظاهر؟ فذهب النَّحَّاس، والزبيدي، والكسائي، إلى أنه لا يقال إلا: «**اللهم صلّ على محمد وآل محمد**»، ولا يقال: وآله»[3].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «واختُلف في آل النبي ﷺ على أربعة أقوال، فقيل: هم الذين حرمت عليهم الصدقة... والقول الثاني: إن آل النبي ﷺ هم ذريته، وأزواجه خاصة... والقول الثالث: إن آله ﷺ اتباعه إلى يوم القيامة... والقول الرابع: إن آله ﷺ هم الأتقياء من أمته... والصحيح هو القول الأول، ويليه القول الثاني، وأما الثالث والرابع فضعيفان؛ لأن النبي ﷺ قد رفع الشبهة

---

(١) فتح الباري، ١١/ ١٥٦.

(٢) سورة غافر، الآية: ٤٦.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٤/ ١٢٧.

بقوله ﷺ: «**إن الصدقة لا تحل لآل محمد**»[1]، وقوله ﷺ: «**إنما يأكل آل محمد من هذا المال**»[2]، وقوله ﷺ: «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**»[3]، وهذا لا يجوز أن يُراد به عموم الأمة قطعاً، فأولى ما حُمل عليه الآل في الصلاة: الآل المذكورون في سائر ألفاظه، ولا يجوز العدول عن ذلك»[4].

وقال الحافظ بن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واختُلِفَ فِي المُراد بِآلِ مُحَمَّد فِي هَذا الحَدِيث، فالرّاجِح أَنَّهُم مَن حُرِّمَت عَلَيهِم الصَّدَقَة ... ولِمُسلِمٍ مِن حَدِيث عَبد المُطَّلِب بن رَبِيعَة فِي أَثناء حَدِيث مَرفُوع:

«**إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَة إِنَّما هِيَ أَوساخ النّاس، وإِنَّها لا تَحِلّ لِمُحَمَّدٍ، ولا لآلِ مُحَمَّد**»، وقالَ أَحمَد: المُراد بِآلِ مُحَمَّد فِي حَدِيث التَّشَهُّد أَهل بَيته، وعَلَى هَذا فَهَل يَجُوز أَن يُقال أَهل عِوض آل؟ رِوايَتانِ عِندهم.

وقِيلَ المُراد بِآلِ مُحَمَّد: أَزواجه، وذُرِّيَّته؛ لأَنَّ أَكثَر طُرُق هَذا الحَدِيث جاءَ بِلَفظِ «**وآل مُحَمَّد**»، وجاءَ فِي حَدِيث أَبِي حُمَيدٍ مَوضِعه: «**وأَزواجه وذُرِّيَّته**»، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ المُراد بِالآلِ الأَزواج والذُّرِّيَّة، وتُعُقِّبَ بِأَنَّهُ ثَبَتَ الجَمع بَين الثَّلاثَة كَما فِي حَدِيث أَبِي هُرَيرَة، فَيُحمَل عَلَى أَنَّ بَعض الرُّواة حَفِظَ ما لَم يَحفَظ غَيره، فالمُراد بِالآلِ فِي التَّشَهُّد: الأَزواج، ومَن حُرِّمَت عَلَيهِم الصَّدَقَة، ويَدخُل فِيهِم الذُّرِّيَّة، فَبِذَلِكَ يُجمَع بَين الأَحادِيث»[5].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وآل محمد، قيل: إنهم أتباعه على دينه؛

---

(١) البخاري، برقم ١٤٨٥، ومسلم، برقم ١٠٦٩، ومسند أحمد، ١٣/ ١٨٠، برقم ٧٧٥٨، واللفظ له.

(٢) البخاري، برقم ٣٧١١، ومسلم، برقم ١٧٥٩.

(٣) البخاري، برقم ٦٤٦٠، ومسلم، برقم ١٠٥٥.

(٤) جلاء الأفهام، ص ٢١٠.

(٥) فتح الباري، ١١/ ١٦٠.

لأن آل الشخص: كلُّ مَنْ ينتمي إلى الشخص، سواءٌ بنسب، أم حَميَّة، أم معاهدة، أم موالاة، أم أتباع، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[(١)]، فيكون «آله» هم أتباعه على دينِهِ، وقيل: «آل النبي ﷺ» قرابته المؤمنون، والقائل بذلك خَصَّ القرابة المؤمنين، فخرج بذلك سائر الناس، وخَرَجَ بذلك كُلُّ مَن كان كافراً مِن قرابة النبي ﷺ، ولكن الصحيح الأول، وهو أن الآل هم الأتباع، لكن لو قُرِنَ «الآل» بغيره، فقيل: على محمد، وآله، وأتباعه، صار المراد بالآل المؤمنين مِن قرابته»[(٢)].

٣-قوله: «**كما صليت على إبراهيم**»: الكاف هنا للتعليل، وليس للتشبيه؛ وذلك لأن المقرر هو أن المشبه أدنى من المشبه به، ومعلوم أن محمدًا وآله أفضل من إبراهيم وآله، وعلى هذا يكون المعنى أن هذا من باب التوسل بفعل الله السابق وهو الفضل على إبراهيم وآله إلى تحقيق فضل الله اللاحق وهو الفضل لمحمد وآله، قال العلامة ابن عثيمين: «وهذا هو القول الأصح الذي لا يرد عليه إشكال»[(٣)].

٤-قوله: «**وعلى آل إبراهيم**»: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «هم ذُرِّيَّته مِن إِسماعِيل، وإِسحاق، كَما جَزَمَ بِهِ جَماعَة مِنَ الشُّرّاح، وإِن ثَبَتَ أَنَّ إِبراهِيم كانَ لَهُ أَولاد مِن غَير سارَة، وهاجَر، فَهُم داخِلُونَ لا مَحالَة، ثُمَّ إِنَّ المُراد: المُسلِمُونَ مِنهُم، بَل المُتَّقُونَ، فَيَدخُل فِيهِم الأَنبِياء، والصِّدِّيقُونَ، والشُّهَداء، والصّالِحُونَ، دُون مَن عَداهُم، وفِيهِ ما تَقَدَّمَ فِي آل مُحَمَّد»[(٤)]، ويدخل في ذلك رسولنا الكريم ﷺ؛ لأنه من ولد إبراهيم عليه السلام، وقال الإمام النووي رحمه الله:

(١) سورة غافر، الآية ٤٦.
(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٣/ ١٢٥، وانظر: شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٠٧.
(٣) انظر: الشرح الممتع، ٣/١٦٥- ١٦٦.
(٤) فتح الباري، ١١/ ١٦٢.

«وَيَدْخُلُ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ خَلَائِقُ لَا يُحْصَوْنَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيٌّ، فَطَلَبَ إِلْحَاقَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ الَّتِي فِيهَا نَبِيٌّ وَاحِدٌ بِتِلْكَ الْجُمْلَةِ الَّتِي فِيهَا خَلَائِقُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ»[1].

٥-قوله: «**إنك حميد**»: أي: كثير المحامد فهو الحامد لعباده الذين اصطفاهم لإقامة شرعه ودينه، وهو المحمود من قبل أوليائه لما يتصف به من صفات الجلال والعظمة، قال الإمام النووي رحمه الله: «الحميد: الذي تحمد فعاله، وهو بمعنى المحمود، والله تعالى الحميد، المحمود، المستحمد إلى عباده»[2]، وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فالحميد هو الذي له من الصفات، وأسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محموداً، وإن لم يحمده غيره، فهو حميد في نفسه، والمحمود من تعلق به حمد الحامدين»[3]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «أَمّا الحَمِيد: فَهُو فَعِيلَ مِنَ الحَمد بِمَعنَى مَحمُود، وأَبلَغُ مِنهُ، وهُو مَن حَصَلَ لَهُ مِن صِفات الحَمد أَكمَلُها، وقِيلَ: هُو بِمَعنَى الحامِد، أَي: يَحمَد أَفعال عِبادِهِ»[4].

٦-قوله: «**مجيد**»: أي: متعاظم الأمجاد ومن ذلك كثرة الإحسان إلى عباده بما يفيض عليهم من الخيرات، قال النووي رحمه الله: «والمجيد: الماجد، وهو ذو الشرف والكرم، يقال: مجد الرجل يمجد مجداً، ومجادة، ومجد يمجد لغتان، قال الحسن والكلبي: المجيد الكريم...المجيد: الرفيع، قال أهل المعاني: المجيد: الكامل الشرف، والرفعة، والكرم، والصفات المحمودة»[5]، وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «المجيد، والمُمَجَّد، والكبير، والمُكبَّر، والعظيم، والمُعظَّم،

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١٢٦.
(٢) تهذيب الأسماء واللغات، ٤/ ١٣٤.
(٣) جلاء الأفهام، ص ٣١٦.
(٤) فتح الباري، ١١/ ١٦٣.
(٥) تهذيب الأسماء واللغات، ٤/ ١٣٤.

والحمد، والمجد إليهما يرجع الكمال كله؛ فإن الحمد يستلزم الثناء، والمحبة للمحمود، فمن أحببته، ولم تثن عليه، لم تكن حامداً له حتى تكون مثنياً عليه، محباً له، وهذا الثناء والحب تبع للأسباب المقتضية له، وهو ما عليه المحمود من صفات الكمال، ونعوت الجلال، والإحسان إلى الغير؛ فإن هذه هي أسباب المحبة، وكلما كانت هذه الصفات أجمع، وأكمل، كان الحمد والحب أتم، وأعظم، والله سبحانه له الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه ما، والإحسان كله له ومنه، فهو أحق بكل حمد، وبكل حب من كل جهة، فهو أهل أن يُحَبَّ لذاته، ولصفاته، ولأفعاله، ولأسمائه، ولإحسانه، ولكل ما صدر منه ﷻ، وأما المجد، فهو مستلزم للعظمة والسعة والجلال، والحمد يدل على صفات الإكرام، والله ﷻ ذو الجلال والإكرام، وهذا معنى قول العبد: لا إله إلا الله، والله أكبر، فلا إله إلا الله دال على ألوهيته، وتفرّده فيها، فألوهيته تستلزم محبته التامة، والله أكبر دالّ على مجده وعظمته، وذلك يستلزم تعظيمه، وتمجيده، وتكبيره؛ ولهذا يقرن سبحانه بين هذين النوعين في القرآن كثيراً، كقوله: ﴿**رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت، إنه حميد مجيد**﴾[1]»[2]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وأَمَّا المَجِيد: فَهُو مِنَ المَجد، وهُو صِفَةُ مَن كَمُلَ فِي الشَّرَف، وهُو مُستَلزِم لِلعَظَمَةِ والجَلال، كَما أَنَّ الحَمد يَدُلّ عَلَى صِفَة الإِكرام»[3].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله أيضاً: «ولما كانت الصلاة على النبي، وهي ثناء الله تعالى عليه، وتكريمه، والتنويه به، ورفع ذكره وزيادة حبه وتقريبه، كما تقدم، كانت مشتملة على الحمد والمجد، فكأن المصلي طلب من الله تعالى أن يزيد في حمده ومجده؛ فإن الصلاة عليه هي نوع حمد له، وتمجيد، هذا

---

(١) سورة هود، الآية: ٧٣.
(٢) جلاء الأفهام، ص ٣١٦ - ٣١٧.
(٣) فتح الباري، ١١/ ١٦٣.

حقيقتها، فذكر في هذا المطلوب الاسمين المناسبين له، وهما أسماء الحميد والمجيد، وهذا كما تقدم أن الداعي يشرع له أن يختم دعاءه باسم من الأسماء الحسنى مناسب لمطلوبه، أو يفتتح دعاءه به، وتقدم أن هذا من قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[1]»[2]، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «ومُناسَبَة خَتمِ هَذا الدُّعاء بِهَذَينِ الاسمَينِ العَظِيمَينِ أَنَّ المَطلُوب تكرِيم الله لِنَبِيِّهِ، وثَناؤُهُ عَلَيهِ، والتَّنويه بِهِ، وزِيادَة تَقرِيبه، وذَلِكَ مِمّا يَستَلزِم طَلَبَ الحَمد والمَجد، فَفِي ذَلِكَ إِشارَة إِلَى أَنَّهُما كالتَّعلِيلِ لِلمَطلُوبِ، أَو هُو كالتَّذيِيلِ لَهُ، والمَعنَى: إِنَّك فاعِل ما تَستَوجِب بِهِ الحَمد مِنَ النِّعَم المُتَرادِفَة، كَرِيم بِكَثرَةِ الإِحسان إِلَى جَمِيع عِبادك»[3]، واقتران الحميد مع المجيد بيان أن الله محمود على مجده وعظمته وكمال صفاته، فليس كل ذي شرف محمود وكذلك ليس كل محمود يكون ذا شرف[4].

٧-قوله: «**اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد**»: المراد بالبركة: هي الزيادة من الخير، والكرامة، وهي شاملة للبركة في العمل والبركة في الأثر المترتب على هذا العمل، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «معنى البركة هنا: الزيادة من الخير والكرامة والتكثير منهما، ويكون بمعنى الثبات على ذلك من قولهم: بركت الإبل، وتكون البركة هاهنا بمعنى: التطهير والتزكية من المعايب، ... نبينا ﷺ سأل ذلك لنفسه وأهل بيته؛ ليتم النعمة عليهم والبركة كما أتمها على إبراهيم وآله، وقيل: بل سأل ذلك لأمته ليثابوا على ذلك، وقيل: بل ليبقى له ذلك دائمًا إلى يوم الدين، ويجعل له به لسان صدق في

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٢) جلاء الأفهام، ص ٣١٨.

(٣) فتح الباري، ١١/ ١٦٣.

(٤) انظر: النهج الأسمى للنجدي، ١/ ٤٣٤.

الآخرين، كما جعله لإبراهيم»[١]، وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «والبركة: النماء، والزيادة، والتبريك: الدعاء بذلك، ويقال: باركه الله، وبارك فيه، وبارك عليه، وبارك له... فهذا الدعاء يتضمن إعطاءه من الخير ما أعطاه لآل إبراهيم، وإدامته، وثبوته له، ومضاعفته، وزيادته، هذا حقيقة البركة»[٢].

٨-قوله: **«كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد»**: قال الإمام النووي رحمه الله: «قَالَ الْعُلَمَاء: مَعْنَى الْبَرَكَة هُنَا الزِّيَادَة مِنْ الْخَيْر وَالْكَرَامَة، وَقِيلَ: هُوَ بِمَعْنَى التَّطْهِير، وَالتَّزْكِيَة، وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِي الْحِكْمَة فِي قَوْله: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد كَمَا صَلَّيْت عَلَى إِبْرَاهِيم**» مَعَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَفْضَل مِنْ إِبْرَاهِيم ﷺ، قَالَ الْقَاضِي عِيَاض رحمه الله: أَظْهَر الْأَقْوَال أَنَّ نَبِيّنَا ﷺ سَأَلَ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ، وَلِأَهْلِ بَيْته؛ لِيُتِمّ النِّعْمَة عَلَيْهِمْ، كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى إِبْرَاهِيم، وَعَلَى آله، وَقِيلَ: بَلْ سَأَلَ ذَلِكَ لِأُمَّتِهِ، وَقِيلَ: بَلْ لِيَبْقَى ذَلِكَ لَهُ دَائِمًا إِلَى يَوْم الْقِيَامَة، وَيَجْعَل لَهُ بِهِ لِسَان صِدْق فِي الْآخِرِينَ، كَإِبْرَاهِيم ﷺ، وَقِيلَ: كَانَ ذَلِكَ قَبْل أَنْ يَعْلَم أَنَّهُ أَفْضَل مِنْ إِبْرَاهِيم ﷺ، وَقِيلَ: سَأَلَ صَلَاة يَتَّخِذهُ بِهَا خَلِيلًا، كَمَا اِتَّخَذَ إِبْرَاهِيم ... وَالْمُخْتَار فِي ذَلِكَ أَحَد ثَلَاثَة أَقْوَال:

أَحدهَا: ... أَنَّ مَعْنَاهُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد، وَتَمَّ الْكَلَام هُنَا، ثُمَّ اِسْتَأْنَفَ: وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، أَيْ: وَصَلِّ عَلَى آل مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْت عَلَى إِبْرَاهِيم وَآل إِبْرَاهِيم، فَالْمَسْؤُول لَهُ مِثْل إِبْرَاهِيم وَآله، هُمْ آلُ مُحَمَّد ﷺ لَا نَفْسه.

الْقَوْل الثَّانِي: مَعْنَاهُ: اِجْعَلْ لِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلَاة مِنْك، كَمَا جَعَلْتهَا لِإِبْرَاهِيم وَآلِهِ، فَالْمَسْؤُول الْمُشَارَكَة فِي أَصْل الصَّلَاة لَا قَدْرهَ.

الْقَوْل الثَّالث: أَنَّهُ عَلَى ظَاهِره، وَالْمُرَاد اِجْعَلْ لِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلَاة، بِمِقْدَارِ

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٣٠٣، وانظر: جلاء الأفهام للإمام ابن القيم، ص ٣٠٢.
(٢) جلاء الأفهام، ص ٣٠٢- ٣٠٨.

الصَّلَاة الَّتِي لِإِبْرَاهِيم وَآلِهِ، وَالْمَسْؤُول مُقَابَلَة الْجُمْلَة؛ فَإِنَّ الْمُخْتَار فِي الْآلِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ أَنَّهُمْ جَمِيع الْأَتْبَاع، وَيَدْخُل فِي آلِ إِبْرَاهِيم خَلَائِق لَا يُحْصُونَ مِنْ الْأَنْبِيَاء، وَلَا يَدْخُل فِي آلِ مُحَمَّد ﷺ نَبِيّ، فَطَلَب إِلْحَاق هَذِهِ الْجُمْلَة الَّتِي فِيهَا نَبِيّ وَاحِد بِتِلْكَ الْجُمْلَة الَّتِي فِيهَا خَلَائِق مِنْ الْأَنْبِيَاء، وَاللَّه أَعْلَم»[1].

وذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ الأقوال في ذلك، ثم قال: «وقالت طائفة أخرى: آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس في آل محمد مثلهم؛ فإذا طُلِب للنبي ﷺ ولآله من الصلاة مثل ما لإبراهيم وآله، وفيهم الأنبياء، حصل لآل النبي ﷺ من ذلك ما يليق بهم؛ فإنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء، وتبقى الزيادة التي للأنبياء، وفيهم إبراهيم لمحمد ﷺ، فيحصل له بذلك من المزيَّة ما لم يحصل لغيره.

وتقرير ذلك: أن يجعل الصلاة الحاصلة لإبراهيم ولآله، وفيهم الأنبياء جملة مقسومة على: محمد ﷺ وآله، ولا ريب أنه لا يحصل لآل النبي ﷺ مثل ما حصل لآل إبراهيم، وفيهم الأنبياء، بل يحصل لهم ما يليق بهم، فيبقى قسم النبي ﷺ، والزيادة المتوفرة التي لم يستحقها آله مختصة به ﷺ، فيصير الحاصل له من مجموع ذلك أعظم، وأفضل من الحاصل لإبراهيم، وهذا أحسن من كل ما تقدمه.

وأحسن منه أن يقال: محمد ﷺ هو من آل إبراهيم، بل هو خير آل إبراهيم، كما روى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «محمد من آل إبراهيم»[3]، وهذا نص؛ فإنه إذا دخل غيره

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١٢٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٣ .
(٣) ذكره في تفسير الطبري، ٥/ ٣٢٩ عَنْ قَتَادَةَ، واستشهد الشيخ الألباني بكلام ابن القيم في كتابه صفة الصلاة، دون التعليق عليه، انظر: صفة صلاة النبي ﷺ ص ١٦٨.

من الأنبياء الذين هم من ذرية إبراهيم في آله، فدخول رسول الله ﷺ أولى، فيكون قولنا: كما صليت على آل إبراهيم متناولاً للصلاة عليه، وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم.

ثم قد أمرنا الله أن نصلي عليه، وعلى آله خصوصاً بقدر ما صلينا عليه مع سائر آل إبراهيم عموماً، وهو فيهم، ويحصل لآله من ذلك ما يليق بهم، ويبقى الباقي كله له ﷺ.

وتقرير هذا أنه يكون قد صلى عليه خصوصاً، وطلب له من الصلاة ما لآل إبراهيم، وهو داخل معهم، ولا ريب أن الصلاة الحاصلة لآل إبراهيم، ورسول الله ﷺ معهم، أكمل من الصلاة الحاصلة له دونهم، فيطلب له من الصلاة هذا الأمر العظيم الذي هو أفضل مما لإبراهيم قطعاً، ويظهر حينئذ فائدة التشبيه، وجريه على أصله، وأن المطلوب له من الصلاة بهذا اللفظ أعظم من المطلوب له بغيره؛ فإنه إذا كان المطلوب له بغيره، فإنه إذا كان المطلوب بالدعاء إنما هو مثل المُشبَّه به، وله أوفر نصيب منه، صار له من المشبه المطلوب أكثر مما لإبراهيم وغيره، وانضاف إلى ذلك مما له من المُشبَّه به من الحصة التي لم تحصل لغيره.

فظهر بهذا من فضله، وشرفه على إبراهيم، وعلى كلٍّ من آله، وفيهم النبيون، ما هو اللائق به، وصارت هذه الصلاة دالة على هذا التفضيل، وتابعة له، وهي من موجباته، ومقتضياته، فصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً، وجزاه عنَّا أفضل ما جزى نبياً عن أمته، اللَّهمّ صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل براهيم، إنك حميد مجيد»[1].

---

(١) جلاء الأفهام، ص ٢٨٩.

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، الكاف هنا للتعليل، وهذا من باب التوسل بأفعال الله السابقة إلى أفعاله اللاحقة، يعني كما مننت بالصلاة على إبراهيم وآله، فامنن بالصلاة على محمد وآله ﷺ، فهي من باب التعليل، وليست من باب التشبيه، وبهذا يزول الإشكال الذي أورده بعض أهل العلم رحمهم الله؛ حيث قالوا: كيف تلحق الصلاة على النبي ﷺ وآله بالصلاة على إبراهيم وآله، مع أن محمداً أشرف من جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالجواب أن الكاف هنا ليست للتشبيه، ولكنها للتعليل، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد: حميد يعني محمود، مجيد يعني ممجد، والمجد هو: العظمة، والسلطان، والعزة، والقدرة، وما إلى ذلك، «**اللهمّ بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**»، كذلك أيضا التبريك: تقول: اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، أي أنزل فيهم البركة، والبركة هي الخير الكثير الواسع الثابت، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، هذه هي الصلاة على النبي ﷺ، وعلى آله وسلم، وهذه هي الصفة الفضلى، وإذا اقتصرت على قولك: اللهم صل على محمد، كما فعل العلماء في جميع مؤلفاتهم، إذا ذكروا الرسول لم يقولوا هذه الصلاة المطوّلة؛ لأن هذه هي الكاملة، وأما أدنى مجزئ فأن تقول: اللهم صل على محمد»[1].

٩-قوله: «حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ»: مَعْنَاهُ كَرِهْنَا سُؤَاله مَخَافَة مِنْ أَنْ يَكُون النَّبِيّ ﷺ كَرِهَ سُؤَاله وَشَقَّ عَلَيْهِ[2].

---

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٠٧.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١٢٥.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-عظيم حق النبي ﷺ علينا؛ لأنه هو الذي دلنا على ما نحن فيه من الخير، فكان من حقه علينا أن نذكر ذلك وندعوا له في كل صلاة: فرضًا كانت، أم نفلًا.

٢-سؤال الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ عن كيفية الصلاة عليه لما أمرهم الله بذلك ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1] هو من باب العلم قبل القول والعمل[2].

٣-سؤال الصحابة عن كيفية الصلاة عليه وليس عن الحكم؛ لأنهم يعلمون أن مطلق الأمر يكفي فيه أي صيغة، وإنما هم أرادوا الأكمل والأفضل فدلهم على ذلك.

٤-وهذا فيه ما كان عليه الصحابة وسلف هذه الأمة من تعظيم السنة والفرح بها وأن ذلك كان من نفائس الأمور التي يتهادون بها. ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[3].

***

٥٤-(٢) «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[4].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، برقم ٩٠٦.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥٨.

(٤) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا موسى بن إسماعيل، برقم ٣٣٦٩، ومسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، برقم ٤٠٧، واللفظ له.

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٩٩- لفظ مسلم: عَنْ عَمْرِو بْنِ سُلَيْمٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ[١]، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**قُولُوا اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[٢].

٢٠٠-ولفظ البخاري: عن أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[٣].

٢٠١-وعَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»، قَالَ ابْنُ طَاوُسٍ: وَكَانَ أَبِي يَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ[٤].

٢٠٢-وعند الدارقطني عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو [٥] قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ وَنَحْنُ عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ إِذَا نَحْنُ صَلَّيْنَا فِي صَلَاتِنَا؟

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٦ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، برقم ٤٠٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) البخاري، برقم ٦٣٦٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسند أحمد، ٣٨/ ٢٣٧، برقم ٢٣١٧٤، وصححه الألباني في صفة الصلاة، ص ١٧٩، وصححه محققو المسند، ٣٨/ ٢٣٨.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٩٨ من أحاديث الشرح.

قَالَ: فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَحْبَبْنَا أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ: «**إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[1].

٢٠٣-ولفظ أحمد عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا السَّلَامُ عَلَيْكَ، فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ إِذَا نَحْنُ صَلَّيْنَا فِي صَلَاتِنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَحْبَبْنَا أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَسْأَلْهُ، فَقَالَ: «**إِذَا أَنْتُمْ صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ فَقُولُوا: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[2].

٢٠٤-عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه[3]، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ [ابن أبي ليلى]: وَنَحْنُ نَقُولُ وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ»[4].

---

(١) سنن الدارقطني، ٢/ ١٦٨، وقال: «هَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ مُتَّصِلٌ» وقال شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام للإمام ابن القيم، ص ٢٩٥: «وهو حديث حسن كما قال الدارقطني رحمه الله» وأقره الألباني في صفة الصلاة، ص ١٨٠، وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٥٥، برقم ٥٩، وحسن إسناده الألباني في تحقيقه.

(٢) مسند أحمد، ٢٨/ ٣٠٤، برقم ١٧٠٧٢، وصححه محققو المسند.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٩٤ من أحاديث الشرح.

(٤) سنن النسائي، كتاب السهو، نوع آخر، برقم ١٢٨٨، وأحمد، ٣٠/ ٣٣، برقم ١٨١٠٥، و٣٠/ ٥٢، برقم ١٨١٢٣، و٣٠/ ٥٧، برقم ١٨١٣٣، وصححها كلها محققو المسند، وصححه الألباني في

٢٠٥-وعند البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه[١] قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا التَّسْلِيمُ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ»، قَالَ أَبُو صَالِحٍ عَنْ اللَّيْثِ: «عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ»، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي حَازِمٍ وَالدَّرَاوَرْدِيُّ عَنْ يَزِيدَ، وَقَالَ: «كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ»[٢].

٢٠٦-وعند البخاري أيضاً عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا السَّلَامُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ»[٣].

٢٠٧-وعند الطحاوي عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[٤] قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ»[٥].

=

صحيح النسائي، برقم ١٢٨٨، وقال في صفة صلاة النبي ﷺ ص ١٨٠: «بسند جيد».

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] برقم ٤٧٩٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٦٣٥٨.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) شرح مشكل الآثار للطحاوي، ٦/ ١٤، و معجم ابن الأعرابي، ٢/ ٤٢١، برقم ٨٢٣، قال الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ، ص ١٨١: «بسند صحيح، وعزاه ابن القيم في الجلاء لمحمد بن إسحاق السراج، ثم صححه».

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم صل على محمد**»: الصلاة من الله على نبيه هي الثناء عليه في الملأ الأعلى أي: عند الملائكة المقربين[١].

٢-قوله: «**وعلى أزواجه**»: هن أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن، وقال ابن الجوزي رحمه الله: «والأزواج جمع زوج، والفصيح من الْكَلَام أَن يُقَال لامْرَأَة الرجل زوج بِغَيْر هَاء، وبذلك جَاءَ الْقُرْآن»[٢].

٣-قوله: «**وذريته**»: الذرية هي النسل، وقد يختص بالنساء والأطفال، وقد يطلق على الأصل[٣]، وقال ابن الجوزي رحمه الله: «والذرية فِيهَا قَولَانِ: أَحدهمَا: أَنَّهَا من الذَّر، لِأَن الله أخرج الْخلق من صلب آدم كالذر، وَالثَّانِي: أَن أَصْلهَا ذرورة... ثمَّ أدغمت الْوَاو فِي الْيَاء فَصَارَ ذُرِّيَّة»[٤]، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، وفي هذا الحديث يعني: حديث أبي حميد: «**اللهم صل على محمد، وأزواجه، وذريته**» قالوا: فهذا تفسير ذلك الحديث، ويبين أن آل محمد هم أزواجه، وذريته ... قالوا: والآل، والأهل سواء، وآل الرجل وأهله سواء، وهم: الأزواج، والذرية بدليل هذا الحديث»[٥].

٤- قوله: «**وعلى أهل بيته**»، قال في الفتح الرباني: «قال النووي رحمه الله: اختلف العلماء في آل النبي ﷺ على أقوال، أظهرها، وهو اختيار الأزهري وغيره من المحققين: أنهم جميع الأمة، والثاني: بنو هاشم، وبنو المطلب،

---

(١) صحيح البخاري، قبل الحديث رقم ٤٧٩٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٥٣.
(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٢/ ١٧٠.
(٣). فتح الباري، ٨/ ١٩٣.
(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٢/ ١٧٠.
(٥) جلاء الأفهام، ص ٢١١.

والثالث: أهل بيته ﷺ، وذريته، والله أعلم. اهـ. قال الشوكاني: وقد ذهب نشوان الحميري إمام اللغة إلى أنهم جميع الأمة»[(١)].

٥-قوله: «**كما صليت على إبراهيم**»: معلوم أن محمدًا وآله أفضل من إبراهيم وآله، وعلى هذا يكون المعنى أن هذا من باب التوسل بفعل الله السابق وهو الفضل على إبراهيم وآله إلى تحقيق فضل الله اللاحق وهو الفضل لمحمد وآله[(٢)].

٦-قوله: «**وعلى آل إبراهيم**»: وهم ذريته من إسماعيل وإسحاق وإن ثبت أن إبراهيم كان له أولاد من غير سارة وهاجر فهم داخلون لا محالة، ويدخل في ذلك رسولنا الكريم ﷺ؛ لأنه من ولد إبراهيم عليه السلام.

٧-قوله: «**وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته**»: المراد بالبركة: هي الزيادة من الخير، والكرامة، وهي شاملة للبركة في العمل والبركة في الأثر المترتب على هذا العمل، قال القاضي عياض رحمه الله: «معنى البركة هنا: الزيادة من الخير والكرامة والتكثير منهما، ويكون بمعنى الثبات على ذلك من قولهم: بركت الإبل، وتكون البركة هاهنا بمعنى: التطهير والتزكية من المعايب، ... أن نبينا ﷺ سأل ذلك لنفسه وأهل بيته؛ ليتم النعمة عليهم والبركة كما أتمها على إبراهيم وآله، وقيل: بل سأل ذلك لأمته ليثابوا على ذلك، وقيل: بل ليبقى له ذلك دائمًا إلى يوم الدين، ويجعل له به لسان صدق فى الآخرين، كما جعله لإبراهيم»[(٣)].

٨-قوله: «**وذريته**»: الذرية هي النسل وقد يختص بالنساء والأطفال وقد

---

(١) الفتح الرباني بشرح مسند الإمام أحمد الشيباني، ١/ ٢٣.

(٢) قال ابن عثيمين: وهذا هو القول الأصح الذي لا يرد عليه إشكال، وانظر الشرح الممتع، ١٦٥، ١٦٦، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ٥٣.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٣٠٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من مفردات حديث المتن رقم ٥٣.

يطلق على الأصل[١]، وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذرية فِيهَا قَولَانِ: أَحدهمَا: أَنَّهَا من الذَّر، لِأَن الله أخرج الْخلق من صلب آدم كالذر، وَالثَّانِي: أَن أَصْلهَا ذرورة... ثمَّ أدغمت الْوَاو فِي الْيَاء فَصَارَ ذُرِّيَّة»[٢].

٩-قوله: «**كما باركت على إبراهيم**»: قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَالَ الْعُلَمَاء: مَعْنَى الْبَرَكَة هُنَا الزِّيَادَة مِنْ الْخَيْر وَالْكَرَامَة، وَقِيلَ: هُوَ بِمَعْنَى التَّطْهِير، وَالتَّزْكِيَة...؛ فَإِنَّ الْمُخْتَار فِي الْآلِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ أَنَّهُمْ جَمِيع الْأَتْبَاع، وَيَدْخُل فِي آلِ إِبْرَاهِيم خَلَائِق لَا يُحْصُونَ مِنْ الْأَنْبِيَاء، وَلَا يَدْخُل فِي آلِ مُحَمَّد ﷺ نَبِيّ، فَطَلَب إِلْحَاق هَذِهِ الْجُمْلَة الَّتِي فِيهَا نَبِيّ وَاحِد بِتِلْكَ الْجُمْلَة الَّتِي فِيهَا خَلَائِق مِنْ الْأَنْبِيَاء، وَاَللَّه أَعْلَم»[٣].

١٠-قوله: «**إنك حميد مجيد** »: أي كثير المحامد فهو الحامد لعباده الذين اصطفاهم لإقامة شرعه ودينه، ومجيد: أي متعاظم الأمجاد ومن ذلك كثرة الإحسان إلى عباده بما يفيض عليهم من الخيرات، واقتران الحميد مع المجيد بيان أن الله محمود على مجده وعظمته وكمال صفاته، فليس كل ذي شرف محمود وكذلك ليس كل محمود يكون ذو شرف[٤].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- هل الأولى أن نسيِّد النبي ﷺ في التشهد أم لا؟

سئل الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن صفة الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة أو خارجها، سواء قيل بوجوبها أو بندبيتها، هل يشترط فيها قول سيدنا أم

---

(١). فتح الباري، ٨/ ١٩٣.
(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٢/ ١٧٠.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١٢٥، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨ من مفردات حديث المتن رقم ٥٣.
(٤) انظر النهج الأسمى للنجدي، ١/ ٤٣٤، وتقدم في شرح المفردتين ٥، و٦ من مفردات حديث المتن رقم ٥٣.

يقتصر على قوله اللَّهم صل على محمد؟

فأجاب: اتباع الألفاظ المأثورة أرجح، ولا يقال: لعله ﷺ ترك ذلك تواضعًا منه. ولو كان ذلك راجحًا لجاء عن الصحابة ثم عن التابعين(١).

٢- هل يجوز أن نقول: اللَّهم صل على فلان؟

قال ابن القيم رحمه الله: **المختار أن يُصلي على الأنبياء** والملائكة وأزواج النبي وآله وذريته وأهل الطاعة على سبيل الإجمال، وتكره لغير الأنبياء لشخص مفرد بحيث يصير شعارًا، لا سيما إذا ترك في حق مثله أو أفضل منه كما يفعله الرافضة، فلو اتفق وقوع ذلك مفردًا في بعض الأحيان من غير أن يتخذ شعارًا لم يكن به بأس، ولهذا لم يرد في حق غير من أمر النبي ﷺ بقول ذلك لهم وهم من أدى زكاته إلا نادرًا(٢).

وكلام الإمام ابن القيم رحمه الله: إشارة إلى قول النبي ﷺ: «**اللَّهم صل على آل أبي أوفى**»(٣) وهذا دعاء لهم بالرحمة والمغفرة.

---

(١) فتح الباري، ٨/ ١٩٣.

(٢) انظر: صفة صلاة النبي للألباني، ٢١٩، ولفظ كلام ابن القيم في جلاء الأفهام، ص ٤٨١: «وفصل الخطاب في هذه المسألة: أن الصلاة على غير النبي إما أن يكون آله وأزواجه وذريته أو غيرهم، فإن كان الأول، فالصلاة عليهم مشروعة مع الصلاة على النبي، وجائزة مفردة، وأما الثاني: فإن كان الملائكة وأهل الطاعة عموماً؛ الذين يدخل فيهم الأنبياء وغيرهم، جاز ذلك أيضاً، فيقال: اللهم صل على ملائكتك المقربين، وأهل طاعتك أجمعين، وإن كان شخصاً معيناً، أو طائفة معينة، كره أن يتخذ الصلاة عليه شعاراً، لا يخل به، ولو قيل بتحريمه لكان له وجه، ولا سيما إذا جعلها شعاراً له، ومنع منها نظيره، أو من هو خير منه، وهذا كما تفعل الرافضة بعلي رضي الله عنه، فإنهم حيث ذكروه قالوا: عليه الصلاة والسلام، ولا يقولون ذلك فيمن هو خير منه، فهذا ممنوع لا سيما إذا اتخذ شعاراً لا يخل به، فتركه حينئذ متعين، وإما أن صلى عليه أحياناً، بحيث لا يجعل ذلك شعاراً، كما صلي على دافع الزكاة، وكما قال ابن عمر للميت: صلى الله عليه، وكما صلى النبي على المرأة وزوجها، وكما روي عن علي من صلاته على عمر، فهذا لا بأس به، وبهذا التفصل تتفق الأدلة، وينكشف وجه الصواب، والله الموفق».

(٣) البخاري، كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة، برقم ١٤٩٧.

٣- قال العلامة ابن عثيمين :: «ذكر الأزواج والذرية، وأزواج النبي ﷺ يعني زوجاته، اللائي مات عنهن تسع زوجات، وكان يقسم لثماني زوجات منهن، وأما التاسعة سودة رضي الله عنها، فقد وهبت يومها لعائشة رضي الله عنها، فكان النبي ﷺ يقسم لعائشة يومين: يومها، ويوم سودة، وبقية الزوجات يقسم لهن النبي ﷺ بالعدل، يقسم بالعدل كما أُمِرَ بذلك، فالحاصل أن هذه الصفات الثلاث التي ذكر المؤلف : وساقها في أحاديث ثلاثة متقاربة، ولكنها تصف الكمال من صفة الصلاة عليه، فصلوت الله، وسلامه عليه، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين»[1].

***

(١) شرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٤٠٧.

٢٤ - الدُّعَاءُ بَعْدَ التَّشَهُّدِ الأَخِيْرِ قَبْلَ السَّلَامِ

٥٥-(١)«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٠٨-عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه(٢)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**»، هذا لفظ البخاري(٣).

٢٠٩-ولفظ مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»(٤).

٢١٠-وفي لفظ مسلم عن مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَائِشَةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الآخِرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»(٥).

٢١١- ولفظ البيهقي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنْ صَلاَتِهِ فَلْيَدْعُ بِأَرْبَعٍ، ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ**

---

(١) البخاري، كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، برقم ١٣٧٧، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، برقم ٥٨٨، واللفظ لمسلم.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ١٣٧٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ١٣٠- (٥٨٨)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) مسلم، برقم ١٣٠- (٥٨٨)، وتقدم تخريجه في تخريج أحاديث المتن.

عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَفِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»[(١)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ**»: قال الإمام النووي رحمه الله: استحباب التعوذ بين التشهد والتسليم من هذه الأمور[(٢)].

٢-قوله: « **فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ**»: عذت به، أعوذ عوذاً، وعياذاً ومعاذاً: أي لجأت إليه، والمعاذ المصدر، والمكان، والزمان: أي لقد لجأت إلى ملجأ، ولذت بملاذ، وقد تكرر ذكر الاستعاذة والتعوذ، وما تصرف منهما، والكل بمعنى، وبه سميت المعوذتان[(٣)]، والاستعاذة من أربعة أمور ذكرها الحديث.

٣-قوله: «**اللَّهم إني أعوذ بك**»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَللهُ ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ »[(٤)]، والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به.... وأعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك[(٥)]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ ... وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛... ويُسْتَعَاذُ مِنْ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يُضَرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنْ الشَّرِّ الضَّارِّ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يُوجَدَ»[(٦)].

٤-قوله: «**من عذاب جهنم**»: علم على النار – أعاذنا الله منها – وسميت بذلك لشدة جهومتها، وظلامها، وبعد قعرها، ولها أسماء أخر منها: الجحيم، ولظى، والسعير، والحطمة، وذلك لاختلاف صفاتها، وقال القاري رحمه الله: «وقنا

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي، ٢/ ١٥٤، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٢/ ٦٦.
(٢) شرح النووي على مسلم، ٥/ ٨٥.
(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٣١٧.
(٤) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.
(٥) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.
(٦) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ١٨/ ٢٨٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

أي: احفظنا من عذاب النار، أي: شدائد جهنم، من حرها، وزمهريرها، وسمومها، وجوعها، وعطشها، ونتنها، وضيقها، وعقاربها، وحيّاتها»[(١)].

٥-قوله: «**ومن عذاب القبر**»: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «لأن القبر فيه عذاب دائم للكافرين، وعذاب قد ينقطع للعاصين، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه مر بقبرين، فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير: أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**»[(٢)].

٦-قوله: «**ومن فتنة المحيا**»: أصل الفتنة هي الامتحان، والاختبار، وتطلق على: القتل، والإحراق، والنميمة.

قال ابن دقيق العيد: فتنة المحيا ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا، والشهوات، والجهالات، وأعظمها أمر الخاتمة عند الموت، وقيل هي الابتلاء مع زوال الصبر[(٣)].

٦- قوله: «**والممات**»: يراد بها أمور:

أ – الفتنة عند الموت وإنما أضيفت إليه لقربها من الموت.

ب – يراد بها فتنة القبر لقول النبي ﷺ: «**إنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريبًا من فتنة الدجال**»[(٤)].

جـ - أنها شاملة للأمرين جميعًا.

---

(١) مرقاة المفاتيح، ٢/ ٧٩.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٢٤، والحديث أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب حدثنا محمد بن المثنى، برقم ٢١٨، ومسلم، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، برقم ٢٩٢.

(٣) فتح الباري، ٢/ ٣٩٤.

(٤) البخاري، كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، برقم ٨٦.

د - السؤال في القبر مع الحيرة.

٧- قوله: «**ومن شر فتنة المسيح الدجال**»: المراد بفتنة الدجال هو ما يقع على يديه من الفتن، والشبهات التي لا ينجو منها إلا من وفقه الله، قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التعريف فيه للعهد، وهو الذي يخرج في آخر الزمان، يدّعي الألوهية إما نفسه، أو يراد به من شابهه من فعله، ويجوز أن يكون للجنس، لأن الدجال من يكثر من الكذب والتلبيس، قيل: سبب ذلك لما فيها من العجائب والآيات، فمن تدبرها لم يفتتن بالدجال»[(١)].

- وإنما سمى مسيحًا إما لأنه:

أ- يمسح الأرض بسرعة طولًا وعرضًا ويدخل كل البلدان إلا مكة والمدينة، وذلك لحراسة الملائكة لهما كما أخبر بذلك النبي ﷺ[(٢)].

ب- أو لأنه: ممسوح العين لأنه أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية أي ناتئة أو طائفة أي غائرة[(٣)]، وقال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ووجه تسميته بالمسيح في أحب الوجوه إلينا: أن الخير مسح عنه، فهو مسيح الضلالة... وقيل: لأنه كان يمسح الأرض، أي يقطعها، وقيل: المسيح الصديق، وسمي الدجال به؛ لأن إحدى عينيه ممسوحة، لا يبصر بها، والأعور يسمى مسيحا»[(٤)].

٧-قوله: «**الدجال**»: سُمِّي دجالًا لكثرة خداعه، وكذبه، وتلبيسه على الناس، والدجل هو الخلط[(٥)]، يقال: التغطية ومنه نهر دجلة سمي بذلك لأنه

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٦٤٨.
(٢) البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، برقم ١٨٨١.
(٣) البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، برقم ٧١٢٨.
(٤) المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن، ١١/ ٣٤٦٦.
(٥) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ١٠٢، مادة (دجل)..

يغطي الأرض بالماء والدجال يغطي الأرض بأتباعه[١]، وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «الْمَسِيح الدَّجَّال الْكذَّاب سمي دجالًا لتمويهه والدجل التمويه والتغطية يُقَال دجل فلَان إِذا موه ودجل الْحق غطاه بباطله وحكوه عَن ثَعْلَب أَن الدَّجَّال الْكذَّاب وكل كَذَّاب دجال»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الاستعاذة من عذاب القبر: يقصد به ما يحصل فيه من العقوبة والمهانة لعدم الإجابة عن الأسئلة الثلاثة: من ربك؟ ما دينك؟ ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟[٣].

وهذه الأسئلة تكون عن طريق الملكين كما نص على ذلك الحديث، فانظر إلى رحمة الله يعطينا السؤال كي نتعود على الإجابة عليه وذلك عن طريق العمل بهذا الشرع الحنيف.

٢-وأصل القبر مدفن الميت لقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾[٤]، قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أي أكرمه بدفنه، وقد يراد بعذاب القبر البرزخ وهو الذي بين الموت وقيام الساعة وإن لم يدفن؛ لقوله تَعَالَى: ﴿وَمِن وَرَاءِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٥]، ورجح هذا القول ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ[٦]. وذلك لأن الإنسان إذا مات لا يدري أيدفن، أم تأكله السباع، أم يحترق أم غير ذلك؟ نسأل الله حسن الخاتمة.

٣-إثبات عذاب القبر بظاهر القرآن وصحيح السنة التي بلغت مبلغ

---

(١) انظر: شرح حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة، شرح مجدي عبد الوهاب، ص ١٢٦.
(٢) تحرير ألفاظ التنبيه، ص: ٢٦٩.
(٣) أخرجه الطيالسي، ص ١٠٢، برقم ٧٥٣، وأحمد، ٣٠/٥٠٢، رقم ١٨٥٣٤، وأبو داود، كتاب السنة، باب المسألة في القبر وعذاب القبر، برقم ٤٧٥٣، وابن خزيمة في كتاب التوحيد، ص ١١٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ١٦٧٦.
(٤) سورة عبس، الآية: ٢١.
(٥) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.
(٦) انظر الشرح الممتع، ٣/ ١٧٧.

التواتر، فمن أظهر الأدلة قوله: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾(١) هذا في شأن آل فرعون، وهذا إخبار أن أرواحهم تعرض في البرزخ على النار مرتين، وهي في أجواف طير سود(٢) عكس المؤمنين(٣).

٤- وهذا العذاب للجسد والروح معًا؛ لأن الروح قد تتصل بالبدن أحيانًا كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لقول النبي ﷺ: «**إن القبر ليطبق على الكافر، حتى تختلف فيه أضلاعه**»(٤)، قال شارح الطحاوية: فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به ولا نتكلم في كيفيته لأن الشرع لا يأتي بما تحيله العقول ولكن قد يأتي بما تحار فيه العقول(٥).

٥- التعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم يدخل فيهما التعوذ من أسباب ذلك، فمن أسباب عذاب القبر: عدم الاستنزاه من البول، والمشي بالنميمة، كما أخبر بذلك الرسول الكريم ﷺ(٦).

٦- الابتلاء والاختبار من سنن الله في كونه والسعيد من جنبه الله الفتن في الحياة، وعند الممات ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي**

(١) سورة غافر، الآية: ٤٦.

(٢) انظر: مصنف ابن أبي شيبة، ١٣/ ١٦٥، برقم ٣٥٢٩٩، والبعث والنشور للبيهقي، برقم ١٩٥، وتفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٢٦٧، والطبري، ٢١/ ٣٩٥، وقال الشيخ المعلمي في كتابه التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، ٣/ ٤٠١: «و أخرج ابن جرير في تفسيره بسند رجاله ثقاة» ثم ذكر الحديث.

(٣) تفسير الجزائري، سورة غافر، ص ١٥٨٠.

(٤) أخرجه الطيالسي، ص ١٠٢، برقم ٧٥٣، وأحمد، ٣٠/٥٠٢، رقم ١٨٥٣٤، وأبو داود، كتاب السنة، باب المسألة في القبر وعذاب القبر، برقم ٤٧٥٣، وابن خزيمة في كتاب التوحيد، ص ١١٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ١٦٧٦.

(٥)انظر: الطحاوية أبواب الإيمان بعذاب القبر ، وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ دليل على عذاب الآخرة.

(٦) البخاري، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول، برقم ١٣٧٨.

الْأخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾[١].

٧- إثبات خروج الدجال وهو أحد أشراط الساعة الكبرى. والدجال أخبر عنه النبي ﷺ بأمور منها:

١-يخرج من جهة المشرق؛ لقول النبي ﷺ: «**الفتنة هاهنا**» وأشار إلى المشرق[٢]، وحددها النبي ﷺ بقوله: «**إنه خارج خلة بين الشام والعراق**» والخلة: ما بين البلدين[٣].

٢-أكثر أتباعه من اليهود؛ لقوله: «**ويتبعه من يهود أصبهان سبعون ألفًا**»[٤].

٣-يمكث في الأرض أربعين يومًا: **يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامنا**[٥].

٤-يفسد في الأرض فسادًا عظيمًا حتى ينزل عيسى عليه السلام ويقتله عند باب لد[٦].

٥-قال النووي: قال القاضي عياض: ودعاء النبي ﷺ واستعاذته من هذه الأمور التي قد عوفي منها وعصم، إنما فعله ليلتزم خوف الله تعالى وإعظامه والافتقار إليه لتقتدي به أمته وليبين لهم صفة الدعاء والمهم منه[٧].

٦-قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول: «**اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ**

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.
(٢) البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «الفتنة قبل المشرق»برقم ٧٠٩٢.
(٣) صحيح مسلم، الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، برقم ٢٩٣٧.
(٤) مسلم، برقم ٢٩٣٧، وتقدم تخريجه في الذي قبله.
(٥) مسلم، برقم ٢٩٣٧، وتقدم تخريجه في الحديث السابق.
(٦) صحيح مسلم، الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، برقم ٢٩٣٧.
(٧) شرح النووي على صحيح مسلم، ٥/ ٩١.

الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»[١]. وهذا يُظهر أهمية هذا الدعاء واستحباب المواظبة عليه حتى أوجبه بعضهم كطاوس والظاهرية حتى قال طاوس لابنه: أدعوت بهذا الدعاء في صلاتك؟ قال: لا، قال له: فأعد الصلاة، ولعله أراد تأديب ابنه لا أنه يعتقد وجوبه[٢].

***

٥٦-(٢)«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ»[٣].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢١٢-عَنْ عَائِشَةَ ﵂ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ[٤]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا، وَفِتْنَةِ المَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ» فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ المَغْرَمِ؟ فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»[٥]، وهذا لفظ البخاري.

٢١٣-ولفظ مسلم عن عَائِشَةَ ﵂، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي

---

(١) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، برقم ٥٩٠.
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي، ٥/ ٩١.
(٣) البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، برقم ٨٣٢، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، واللفظ له، برقم ٥٨٧.
(٤) تقدمت ترجمتها في الحديث ٥٤ من أحاديث الشرح.
(٥) البخاري، برقم ٨٣٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

الصَّلَاةِ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَـذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ» **قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ:** «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم إني أعوذ بك**»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»[٢].

٢-قوله: «**أعوذ بك**»: «العوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به. يقال: عاذ فلان بفلان، ... وأعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك، فإن ذلك سوء أتحاشى من تعاطيه»[٣]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ الَّذِي لَمْ يُوجَدْ بَعْدُ، وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛ فَإِنَّ نَفْسَ وُجُودِهِ ضَرَرٌ،... وَيُسْتَعَاذُ مِنْ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يُضَرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنْ الشَّرِّ الضَّارِّ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يُوجَدَ»[٤].

٣-قَولُهُ: «**مِن عَذاب القَبر**» فِيهِ رَدّ عَلَى مَن أَنكَرَهُ[٥].

٤-قَولُهُ: «**ومِن فِتنَة المَسِيح الدَّجّال**»: الفِتنَة: الامتِحان والاختِبار، قالَ عِياض: واستِعمالها فِي العُرف لِكَشفِ ما يُكرَه، وتُطلَق عَلَى القَتل والإِحراق والنَّمِيمَة وغَير ذَلِكَ، والمَسِيح: يُطلَق عَلَى الدَّجّال وعَلَى عِيسَى ابن مَريَم

---

(١) مسلم، برقم ٥٨٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ٦، في المفردة رقم ٦.

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ١٨/ ٢٨٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

(٥) فتح الباري، ٢/ ٣١٨.

عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَكِن إذا أُرِيدَ الدَّجّال قُيِّدَ بِهِ[(١)]، واختُلِفَ فِي تَلقِيب الدَّجّال بِذَلِكَ، فَقِيلَ: لأَنَّهُ مَمسُوح العَين، وقِيلَ لأَنَّ أَحَد شِقَّي وجهه خُلِقَ مَمسُوحًا، لا عَين فِيهِ، ولا حاجِب، وقِيلَ لأَنَّهُ يَمسَح الأَرض إِذا خَرَجَ[(٢)].

٥-قوله: «فتنة المحيا والممات»: الفتنة هي الامتحان والاختبار، وفتنة المحيا ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا، والشهوات، والجهالات، وأعظمها أمر الخاتمة عند الموت: ويراد بها أمور: الفتنة عند الموت، أو فتنة القبر، أو تشملهما، والسؤال في القبر مع الحيرة[(٣)].

٦-قوله: «المأثم»: هو ما يلحق بالعبد بسبب الوقوع في المعاصي والذنوب. قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإِثْمُ: الذَّنْبُ، وقيل: هو أَن يعمَل ما لا يَحِلُّ له... وقد أَثِم يأْثَم،... وتأَثَّم الرجل: تابَ من الإِثْم، واستغفر منه، وهو على السَّلْب كأَنه سَلَب ذاته الإِثْم بالتوْبة والاستغفار، أَو رامَ ذلك بهما، وأَثِم فلان بالكسر يأْثَم إِثْماً، ومَأْثَماً، أَي: وقع في الإِثْم، فهو آثِم، وأَثِيمٌ، ...أَثَمَه الله يَأْثُمُه عاقَبَه بالإِثْم وقال الفراء أَثَمَه اللَّه يَأْثِمُه إِثْماً وأَثاماً إِذا جازاه جزاء الإِثْم... والأَثامُ والإِثامُ عُقوبة الإِثمِ الأَخيرة»[(٤)].

٧-قوله: «المغرم»: هو كل ما يلزم العبد أداؤه بسبب جناية، أو معاملة، أو غير ذلك، والمغرم يتعلق بحقوق العباد، أما المأثم فهو متعلق بحق الله عَزَّ وَجَلَّ، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن المأثم يوجب خسارة الآخرة، والمغرم يوجب خسارة الدنيا»[(٥)]، وقال العلامة ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمَغرَم: أَي: الدَّين،

---

(١) فتح الباري، ٢/ ٣١٨.
(٢) فتح الباري، ٢/ ٣١٩.
(٣) انظر: فتح الباري، ٢/ ٣١٩.
(٤) لسان العرب، ١/ ٢٣، مادة (أثم).
(٥) الفوائد، ص ٥٩.

يُقال: غَرِمَ بِكَسرِ الرّاء، أَي: ادّانَ، قِيلَ: والمُراد بِهِ ما يُستَدان فِيما لا يَجُوز، وفِيما يَجُوز، ثُمَّ يَعجز عَن أَدائِهِ، ويَحتَمِل أَن يُراد بِهِ ما هُو أَعَمّ مِن ذَلِكَ، وقَد استَعاذَ ﷺ مِن غَلَبَة الدَّين، وقالَ القُرطُبِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «المَغرَم: الغُرم، وقَد نَبَّهَ فِي الحَدِيث عَلَى الضَّرَر اللاَّحِق مِنَ المَغرَم، واللَّهُ أَعلَمُ»[1].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-خطورة المعصية وأنها من أسباب البوار إذا لم يوفق الله عبده للتوبة النصوح قبل الموت.

٢-التحذير من الديون التي هي حق للعباد، وأنها ملازمة للعبد إن لم يؤدها في حياته، أو يؤدها عنه أحد بعد موته، وإلا بقيت في ذمته إلى يوم القيامة.

٣-استعاذ النبي ﷺ من المأثم والمغرم؛ لأن الإنسان إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم يا رسول الله! فقال: «**إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف**»[2].

ومعنى ذلك أن المدين يتعلل لصاحب الدين بعلل شتى وهو كاذب فيها، وغرضه الدفع أي عن نفسه طلب صاحب المال له بالسداد، وكذلك فإن المدين يعطي موعدًا للسداد فيخلف، وهذا من صفات المنافقين، وهو غالب حال من يستدين إلا من رحم الله.

٤- قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «شرع له [أي للعبد] أمام استعطائه كلمات التحيات مقدمة بين يدي سؤاله، ثم يتبعها بالصلاة على من نالت أمته هذه النعمة على يده، وسعادته، فكأن المصلي توسل إلى الله سبحانه بعبوديته، ثم بالثناء عليه، والشهادة له بالوحدانية، ولرسوله بالرسالة، ثم

(١) فتح الباري، ٢/ ٣١٩.
(٢) ذكر الحافظ في الفتح رواية عن النسائي أن عائشةهي التي قالت له ذلك. ٢/٣٩٤.

الصلاة على رسوله، ثم قيل له: تخيَّر من الدعاء أحبه إليك»[(١)].

وليكن بخشوع وأدب فإنه لا يستجاب لدعاء من قلب غافل.

٥- قال الحافظ ابن حجر ﷺ: وقَد استُشكِلَ دُعاؤُهُ ﷺ بِما ذُكِرَ مَعَ أَنَّهُ مَعصُوم مَغفُور لَهُ ما تَقَدَّمَ وما تَأَخَّرَ، وأُجِيبَ بِأَجوِبَةٍ:

أَحَدها: أَنَّهُ قَصَدَ التَّعلِيم لأُمَّتِهِ.

ثانِيها: أَنَّ المُراد السُّؤال مِنهُ لأُمَّتِهِ فَيَكُون المَعنَى هُنا أَعُوذ بِك لأُمَّتِي.

ثالِثها: سُلُوك طَرِيق التَّواضُع، وإِظهار العُبُودِيَّة، وإِلزام خَوف الله وإِعظامه، والافتِقار إِلَيهِ، وامتِثال أَمره فِي الرَّغبَة إِلَيهِ، ولا يَمتَنِع تَكرار الطَّلَب مَعَ تَحَقُّق الإِجابَة؛ لأَنَّ ذَلِكَ يُحَصِّل الحَسَنات، ويَرفَع الدَّرَجات، وفِيهِ تَحرِيض لأُمَّتِهِ عَلَى مُلازَمَة ذَلِكَ؛ لأَنَّهُ إِذا كانَ مَعَ تَحَقُّق المَغفِرَة لا يَترُك التَّضَرُّع، فَمَن لَم يَتَحَقَّق ذَلِكَ أَحرَى بِالمُلازَمَةِ.

٦- وأَمّا الاستِعاذَة مِن فِتنَة الدَّجّال مَعَ تَحَقُّقه أَنَّهُ لا يُدرِكهُ، فَلا إِشكال فِيهِ عَلَى الوجهَينِ الأَوَّلَينِ، وقِيلَ عَلَى الثّالِث: يَحتَمِل أَن يَكُون ذَلِكَ قَبل تَحَقُّق عَدَم إِدراكه، ويَدُلّ عَلَيهِ قَولُهُ فِي الحَدِيث الآخَر عِند مُسلِم: «**إِن يَخرُج وأَنا فِيكُم فَأَنا حَجِيجه**» الحَدِيث، واللهُ أَعلَمُ[(٢)].

***

٥٧-[(٣)]«اللَّهُـمَّ إِنِّـي ظَلَمْـتُ نَفْسِـي ظُلْمـاً كَثِيـراً، وَلاَ يَغْفِـرُ الـذُّنوبَ إِلاَّ أَنْـتَ، فَـاغْفِرْ لِـي مَغْفِـرَةً مِـنْ عِنْـدِكَ، وَارْحَمْنِـي، إِنَّـكَ

---

(١) إشارة إلى قوله عند البخاري: «ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه، فيدعو» برقم ٨٣٥. الصلاة وأحكام تاركها، ص ١٥٢.

(٢) فتح الباري، ٢/ ٣١٩، والحديث أخرجه مسلم عن النواس بن سمعان ﷺ في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، برقم ٢٩٣٧.

أَنْتَ الغفورُ الرَّحيمُ»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢١٤-عنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه(٢): أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي، قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»(٣)، **وهذا لفظ البخاري وغيره.**

٢١٥- ولفظ مسلم: عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي، قَالَ: «**قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا - وَقَالَ قُتَيْبَةُ: كَثِيرًا - وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**»(٤).

٢١٦-وفي رواية لمسلم أن أبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: عَلِّمْنِي

---

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، برقم ٨٣٤، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، برقم ٢٧٠٥.

(٢) أبو بكر الصديق رضي الله عنه: هو عبد الله، ويقال عتيق بن أبي قحافة القرشي، خليفة رسول الله ﷺ - أمه هي أم الخير سلمى بنت صخر رضي الله عنها، من جملة فضائله: أنه أحب الناس إلى رسول الله ﷺ من الرجال البخاري، برقم ٣٦٦٢. صدّق رسول الله ﷺ مباشرة وواساه بأهله وماله البخاري، برقم ٣٦٦١، أسبق الأمة وأكثرهم بذلًا في سبيل الله أبو داود، برقم ١٦٧٨. صحب النبي ﷺ في الهجرة وكان معه وحده في الغار البخاري، برقم ٣٦٥٢. بشّره النبي ﷺ أنه يدخل الجنة من جميع أبوابها الثمانية البخاري، برقم ٣٦٦٦. قدمه النبي ﷺ في مرضه ليؤم الناس مكانه، وهو إشارة قوية إلى أنه هو الخليفة من بعده البخاري، برقم ٣٦٥٩، وقد حارب المرتدين الذين منعوا زكاة أموالهم بعد وفاة النبي ﷺ، وجهز جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه، مات ليلة الثلاثاء بعد أن خلف رسول الله ﷺ سنتين وثلاثة أشهر، ودفن بجانب رسول الله ﷺ. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ٣/ ٩٦٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ١٦٩.

(٣) البخاري، برقم ٦٣٦٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ٢٧٠٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

يَا رَسُولَ اللَّهِ دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي وَفِي بَيْتِي، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ اللَّيْثِ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «**ظُلْمًا كَثِيرًا**»[1].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم**»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»[2].

٢-قوله: «**ظلمت نفسي**»: إما بارتكاب الذنوب، أو التقصير في أعمال الطاعة، قال ابن الأثير رحمه الله: «والظلم: الجور، ومجاوزة الحد، وأخذ ما ليس لك، وأصله وضع الشيء في غير موضعه والنفس في اللغة: الروح... وقد يطلق على الجسد، وجاء في الشعر، ومعنى «ظلمه نفسه»: يريد: بما ارتكبه من الذنوب والمعاصي، فإنه ظلمها، حيث قلدها الآثام، والأوزار، وأخرجها إلى أن تعاقب»[3].

٣-قوله: «**ظلمًا كثيرًا**»: وفي لفظ عند مسلم «كبيرًا»[4]، والمعنى أنني أسرفت في ارتكاب المعاصي، وقال النووي رحمه الله: «فينبغي أن يُجمع بينهما، فيُقال: «**ظُلْماً كَثِيراً كَبِيراً**»[5]، وقال ابن دقيق العيد رحمه الله: «وَقَوْلُهُ: «**إِنِّي ظَلَمْت نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا**»: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَعْرَى مِنْ ذَنْبٍ وَتَقْصِيرٍ...وَرُبَّمَا أَخَذُوا ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ الْأَمْرُ بِهَذَا الْقَوْلِ مُطْلَقًا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ، وَتَخْصِيصٍ بِحَالَةٍ، فَلَوْ كَانَ ثَمَّةَ حَالَةٌ لَا يَكُونُ فِيهَا ظُلْمٌ وَلَا تَقْصِيرٌ، لَمَا كَانَ هَذَا الْإِخْبَارُ مُطَابِقًا لِلْوَاقِعِ، فَلَا يُؤْمَرُ بِهِ»[6]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «هَذَا الدُّعَاءُ مِنَ الْجَوَامِعِ لِأَنَّ فِيهِ الِاعْتِرَافَ بِغَايَةِ

---

(١) مسلم، برقم ٢٧٠٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.
(٣) الشافي في شرح مسند الشافعي، ١/ ٥٣٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٤ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.
(٤) مسلم، برقم ٢٧٠٥، وهو حديث الباب.
(٥) الأذكار للنووي، ص ٦٨.
(٦) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ١/ ٣١٣.

التَّقْصِيرِ وَطَلَبِ غَايَةِ الْإِنْعَامِ فَالْمَغْفِرَةُ سَتْرُ الذُّنُوبِ وَمَحْوُهَا وَالرَّحْمَةُ إِيصَالُ... أَيْ: لَيْسَ لِي حِيلَةٌ فِي دَفْعِهِ، فَهِيَ حَالَةُ افْتِقَارٍ، فَأَشْبَهَ حَالَ الْمُضْطَرِّ الْمَوْعُودِ بِالْإِجَابَةِ، وَفِيهِ هَضْمُ النَّفْسِ، وَالِاعْتِرَافُ بِالتَّقْصِيرِ»(١).

٤-قوله: «**فاغفر لي**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْمَغْفِرَة: تَغْطِيَة الذَّنب وكل مَا غطى فقد غفر وَمِنْه: المغفر.«الغَفُورُ الغَفّارُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، ... وَمَعْنَاهُمَا: السَّاتِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ... غَفَرَه يَغْفِرُه غفراً: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْته؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا»(٢).

٥-قوله: «**مغفرة من عندك**»: أي تفضل علي بالمغفرة وليس بسبب عمل صدر مني؛ لأن أعمال العبد لا تخلو من قصور، قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ إشَارَةً إلَى التَّوْحِيدِ الْمَذْكُورِ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَا يَفْعَلُ هَذَا إلَّا أَنْتَ، فَافْعَلْهُ أَنْتَ، وَالثَّانِي وَهُوَ الْأَحْسَنُ: أَنْ يَكُونَ إشَارَةً إلَى طَلَبِ مَغْفِرَةٍ مُتَفَضَّلٍ بِهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى، لَا يَقْتَضِيهَا سَبَبٌ مِنْ الْعَبْدِ، مِنْ عَمَلٍ حَسَنٍ وَلَا غَيْرِهِ، فَهِيَ رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ بِهَذَا التَّفْسِيرِ، لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِيهَا سَبَبٌ، وَهَذَا تَبَرُّؤٌ مِنْ الْأَسْبَابِ، وَالْإِدْلَالِ بِالْأَعْمَالِ، وَالِاعْتِقَادِ فِي كَوْنِهَا مُوجِبَةً لِلثَّوَابِ وُجُوبًا عَقْلِيًّا، وَالْمَغْفِرَةُ: السَّتْرُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، وَعَلَى الثَّانِي هِيَ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ»(٣).

٦-قوله: «**وارحمني**»: طلب رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ التي بها حصول المطلوب، وبالمغفرة زوال المرهوب، وهذا إذا جمع بين المغفرة والرحمة، أما إذا فرقت المغفرة عن الرحمة فإن كل واحدة منهما تشمل الأخرى(٤).

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ١١/ ١٣١.
(٢) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من حديث المتن رقم ٢.
(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ١/ ٣١٣.
(٤) انظر الشرح الممتع، ص ١٣١،وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ٤٩.

٧-قوله: «**إنك أنت**»: ضمير منفصل للتوكيد والحصر بأن الذي يغفر الذنوب هو الله وحده، قال ابن الملقن رحمه الله: «المعنى بقوله: إنك أنت الغفور الرحيم، أنه تعيين لهذا المعنى، أنه ليس لغيرك، فكأنه قال: لا غفور، ولا رحيم على الحقيقة غيرك»[(١)].

٨-قوله: «**إنك أنت الغفور الرحيم**»: هذا من باب المقابلة والختم للكلام فالغفور مقابل لقوله اغفر لي، والرحيم مقابل لقوله: «**ارحمني**» فتأمل[(٢)].

٩-قوله: «**لا يغفر الذنوب إلا أنت**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «إقرارًا منه، واعترافًا أنه قد قطع أمله، ورجاءه عن كل أحد سواه، وصرف رغبته إلى من لا توجد المغفرة إلا عنده»[(٣)]، وَقال ابن دقيق العيد رحمه الله: «إقْرَارٌ بِوَحْدَانِيَّةِ الْبَارِي تَعَالَى، وَاسْتِجْلَابٌ لِمَغْفِرَتِهِ بِهَذَا الْإِقْرَارِ»[(٤)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-استحباب طلب التعليم من العالم خاصة في الدعوات المطلوب فيها جوامع الكلم.

٢-جواز قول هذا الدعاء في السجود وبعد التشهد لقول الصديق: «في صلاتي».

٣- قال الحافظ في الفتح[(٥)]: ويحتمل أن يكون سؤال أبي بكر عن ذلك كان عند قوله لما علمهم التشهد: «**ثم ليتخير من الدعاء ما شاء**»[(٦)].

٤- ترجم الإمام البخاري لهذا الحديث بقوله: بَاب الدُّعَاءِ قَبْلَ السَّلَامِ»[(٧)].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ١/ ٥٢.
(٢) انظر: العلم الهيب، ٣٠٣، ٣٠٤.
(٣) الشافي في شرح مسند الشافعي، ١/ ٥٣٤، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.
(٤) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ١/ ٣١٣.
(٥) فتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٣٩٦.
(٦) البخاري، برقم ٨٣٥، وقد تقدم.
(٧) البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، قبل الحديث رقم ٨٣٢.

٥-الإقرار بالوحدانية واستجلاب المغفرة وهذا كقول الله ﷻ: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾(١).

٦-التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى كما أمر ربنا ﷻ بقوله: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾(٢)، وأن الداعي يدعو بما يناسب حاجته فإن أراد الرحمة دعا الله باسمه الرحمن والرحيم وهكذا.

٧-المؤمن وإن علت رتبته لا يسلم من الزلل والتقصير ويشهد لهذا قول النبي ﷺ: «**استقيموا ولن تحصوا**»(٣) أي لا تقدرون على إيفاء حق الله ﷻ.

٨-تواضع الصديق رضي الله عنه فمع علو منزلته طلب أن يعلمه النبي ﷺ دعاءً لعل الله أن يرحمه به. وهذا هو شأن أهل الإيمان والخوف والخشية.

٩-قال العلامة ابن الملقن رحمه الله: «ما أحسن هذا الترتيب؛، فإنه قدم أولاً اعترافه بالذنب، ثم بالوحدانية، ثم سأل المغفرة بعد ذلك؛ لأن الاعتراف أقرب إلى العفو، والثناء على السيد بما هو أهله، أرجى لقبول مسألته، وقد جعل تقديم الثناء بين يدي الدعاء، كتقديم هدية الشفيع بين يدي مسألته، فإنه أقرب للقبول»(٤).

١٠-هذا الحديث من أحسن الأدعية؛ لأنه إقرار بظلم النفس، واعتراف بالذنب، والذنوب كالمانع من الإنعام، والاعتراف بها يمحوها فيرتفع الحاجز، وهذا الدعاء مما يستحب أن يدعى به في الصلاة قبل التسليم لصحته، وللإنسان أن يدعو في

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٣) ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب المحافظة على الوضوء، برقم ٢٧٧، وصححه الألباني في الإرواء، برقم ٤١٢.

(٤) الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، للعلامة أبي عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن، تحقيق: عبد العزيز بن أحمد المشيقح، دار العاصمة للتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ ٣/ ٥٠٤.

صلاته بما في القرآن من الدعاء، وبما صح في النقل عن النبي ﷺ»[١].

***

٥٨ -(٤)«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ»[٢].

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢١٧-عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه[٣]، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، وَإِذَا رَكَعَ، قَالَ: «اللهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي»، وَإِذَا رَفَعَ، قَالَ: «اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ، وَمِلْءَ

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين (ص: ٣)
(٢) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، برقم ٧٧١.
(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ» وَإِذَا سَجَدَ، قَالَ: «اللهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»(١).

٢١٨-وفي لفظ آخر عند مسلم: عن علي ﷺ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ كَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِي» وَقَالَ: «وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» وَقَالَ: وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» وَقَالَ: «وَصَوَّرَهُ فَأَحْسَنَ صُورَهُ» وَقَالَ: وَإِذَا سَلَّمَ، قَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَلَمْ يَقُلْ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «وَمَا أسررت، وَمَا أعلنت»: أَي: وَمَا أخفيت، وما أعلنت: أَي: وَمَا أظهرت، أَو الْمَعْنى: مَا حدثت بِهِ نَفسِي وَمَا تحرّك بِهِ لساني»(٣).

١-قوله: «اللَّهم اغفر لي»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَلله، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»(٤)، و«اغفر لي»: قال ابن منظور رحمه الله: «الْمَغْفِرَة: تَغْطِيَة الذَّنب وكل مَا غطى فقد غفر وَمِنْه: المغفر.«الغَفُورُ الغَفّارُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، ... وَمَعْنَاهُمَا: السَّاتِرُ

(١) مسلم، برقم ٢٠١- (٧٧١)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) مسلم، برقم ٢٠٢- (٧٧١)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٧/ ١٦٧.
(٤) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ... غَفَرَه يَغْفِرُه غَفراً: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْته؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا»[١].

٢-قوله: «**ما قدمت**»: أي ما وقع مني من الذنوب الماضية، قال الطيبي رحمه الله: «أي: جميع ما فرط مني»[٢]، وقال القاري رحمه الله: «وَمَا قدم: مَا مضى، وَمَا أخر: مَا يسْتَقْبل»[٣].

٣-قوله: «**وما أخرت**»: أي: من الذنوب اللاحقة، والتقصير في الطاعة، وقال القاري رحمه الله: «وَمَا أخرت عَنهُ أَمر الْأَنْبِيَاء، عَلَيْهِم الصَّلَاة وَالسَّلَام، بالإشفاق، وَالدُّعَاء إِلَى اللَّه تَعَالَى، وَالرَّغْبَة إِلَيْهِ أَن يغْفر مَا يكون من غَفلَة تعتري الْبشر، وَمَا قدم: مَا مضى، وَمَا أخر: مَا يسْتَقْبل»[٤].

٤-قوله: «**وما أسررت**»: أي: من الذنوب التي لم يطلع عليها غيرك، ولم أراعِ نظرك إليّ عنده، قال العيني رحمه الله: «أَي: وَمَا أخفيت... مَا حدثت بِهِ نَفسِي وَمَا تحرّك بِهِ لساني»[٥].

٥-قوله: «**وما أعلنت**»: أي: من الذنوب التي وقعت على أعين الناس، وقل حيائي منك، وقال العيني رحمه الله: «وما أعلنت: أَي: وَمَا أظهرت، أَو الْمَعْنى: مَا حدثت بِهِ نَفسِي وَمَا تحرّك بِهِ لساني»[٦].

٦-قوله: «**وما أسرفت**»: أي: أكثرت من الذنوب، ومن السعي في مساخط علام الغيوب[٧].

---

(١) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من حديث المتن رقم ٢.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠.
(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٧/ ١٦٧، وتقدم شرح المفردة رقم ٢٢من مفردات حديث المتن رقم ٣٢.
(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٧/ ١٦٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢٢من مفردات حديث المتن رقم ٣٢.
(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٧/ ١٦٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢٣من مفردات حديث المتن رقم ٣٢.
(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٧/ ١٦٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢٣من مفردات حديث المتن رقم ٣٢.
(٧) انظر: تفسير السعدي، ص ٧٢٧.

٧-قوله: «**وما أنت أعلم به مني**»: لأن علم الله شامل، ومحيط بخلاف علم العبد القاصر؛ فإن الله يعلم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: «وحقيقة الأمر أن العبد فقير إلى الله من كل وجه، وبكل اعتبار، فهو فقير إليه من جهة ربوبيته له، وإحسانه إليه، وقيامه بمصالحه وتدبيره له، وفقير إليه من جهة إلهيته، وكونه معبوده، وإلهه، ومحبوبه الأعظم الذي لا صلاح له، ولا فلاح، ولا نعيم ولا سرور، إلا بأن يكون أحب شيء إليه ... وفقير إليه من جهة معافاته له من أنواع البلاء؛ فإنه إن لم يعافه منها هلك ببعضها، وفقير إليه من جهة عفوه عنه، ومغفرته له... والعبد هو الفقير المحتاج إليه، المضطر إليه بكل وجه، وبكل اعتبار فرحمته للعبد خير له من عمله؛ فإن عمله لا يستقل بنجاته، ولا سعادته، ولو وكل إلى عمله لم ينج به البتة... فهو يدأب في التقرب إليه بجهده، ويستفرغ في ذلك وسعه، وطاقته، ولا يعدل به سواه في شيء من الأشياء، ويؤثر رضا سيده على إرادته وهواه، بل لا هوى له، ولا إرادة إلا فيما يريد سيده ويحبه، وهذا يستلزم علوماً وأعمالاً، وإرادات وغرائم لا يعارضها غيرها»[1].

٨-قوله: «**أنت المقدم وأنت المؤخر** »: أي: إنك تقدم من تشاء من خلقك إلى رحمتك بتوفيقه، وتؤخر من تشاء من خلقك عن ذلك لخذلانه[2]، وقال العلامة السعدي رحمه الله: «المقدم والمؤخر من أسمائه الحسنى المزدوجة المتقابلة التي لا يطلق واحد بمفرده على الله إلا مقروناً بالآخر؛ فإن الكمال من اجتماعهما، فهو تعالى المقدم لمن شاء، والمؤخر

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص ١١٨.
(٢) تقدم شرحه في مفردات حديث المتن رقم ٣٢، المفردة رقم ٢٥ أنت المقدم وأنت المؤخر.

لمن شاء بحكمته، وهذا التقديم يكون كونياً، كتقديم بعض المخلوقات على بعض، وتأخير بعضها على بعض، وكتقديم الأسباب على مسبباتها، والشروط على مشروطاتها... وهذان الوصفان وما أشبههما من الصفات الذاتية لكونهما قائمين بالله ،والله متصف بهما، ومن صفات الأفعال؛ لأن التقديم والتأخير متعلق بالمخلوقات ذواتها، وأفعالها، ومعانيها، وأوصافها، وهي ناشئة عن إرادة الله وقدرته، فهذا هو التقسيم»[1].

٩-قوله: «**لا إله إلا أنت**»: أي : لا معبود بحقٍّ غيرك، ولا معروف بهذه المعرفة سواك[2]، قال الطيبي رحمه الله: «إثبات للإلهية المطلقة لله تعالى على سبيل الحصر، بعد إثبات الملك له»[3].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-شدة إلحاح النبي ﷺ على ربه في الدعاء وإظهار الافتقار إليه في كل الأحوال.

٢-تعليم النبي ﷺ لأمته بالقول، والعمل، وهذا أبلغ في البيان، وهذا الدعاء كما بين الحديث هو من آخر ما كان يقوله النبي ﷺ بين التشهد والتسليم.

٣- من أسماء الله الحسنى أسماء متقابلة، لا يجوز إفراد أحدهما عن الآخر، كما في المقدم والمؤخر، وكذلك المعز المذل، والخافض الرافع، والقابض الباسط، والمعطي المانع، والنافع الضار، قال القرطبي بعد أن ذكر حديث ابن عباس[4]، ولا يجوز الدعاء بأحدهما دون الآخر.

٤- المسلم الصادق يقدم ما أمره الله به، ويسابق في الخيرات، ومن

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي، ص ٢٣٨.

(٢) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٣.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.

(٤) البخاري، برقم ١١٢٠، وتقدم تخريجه.

تراخى وتكاسل أخّره الله عن الرفعة يوم يلقاه. قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله**»[1] وهذا وإن كان في صفوف الصلاة، إلا أنه يصلح للعموم في أمور الدين والله تعالى أعلم.

***

٥٩ ـ(٥) «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبادَتِكَ»[2].

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢١٩ـعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ[3]، أَنَّ رَسُولَ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**»، فَقَالَ: «**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ الصُّنَابِحِيَّ، وَأَوْصَى بِهِ الصُّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحبلي[4]، وهذا لفظ أبي داود.

٢٢٠ـولفظ النسائي: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنِّي لَأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ**»، فَقُلْتُ: وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَلَا تَدَعْ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»[5].

٢٢١ـوفي لفظ ابن خزيمة عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا

---

(١) مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها...، برقم ٤٣٨.

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، برقم، ١٥٢٢، والنسائي، كتاب السهو، نوع آخر من الدعاء، برقم، ١٣٠٣، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١/٢٨٤ .

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤ من أحاديث الشرح.

(٤) أبو داود، برقم، ١٥٢٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) النسائي، برقم، ١٣٠٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

بِيَدِي، فَقَالَ لِي: «يَا مُعَاذُ! وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ» فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ! إِنِّي أُوصِيكَ: لَا تَدَعَنَّ أَنْ تَقُولَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ الصُّنَابِحِيَّ، وَأَوْصَى بِهِ الصُّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيَّ، وَأَوْصَى بِهِ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ»[1].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم**»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَلله، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»[2].

٢-قوله: «**أعني**»: أي: أطلب منك العون والقوة على فعل الطاعات فأنت المستعان الذي لا يطلب العون من أحد بل يُطلب منك وحدك، فكل إعانة وعون منك وبك، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «والاستعانة: طلب العون بلسان المقال؛ كقولك: «اللهم أعني»، أو: «لا حول ولا قوة إلا بالله» عند شروعك بالفعل، أو بلسان الحال، وهي أن تشعر بقلبك أنك محتاج إلى ربك عز وجل أن يعينك على هذا الفعل، وأنه إن وكلك إلى نفسك وكلك إلى ضعف، وعجز، وعورة، أو طلب العون بهما جميعاً، والغالب أن من استعان بلسان المقال؛ فقد استعان بلسان الحال، ولو احتاج الإنسان إلى الاستعانة بالمخلوق كحمل صندوق مثلاً؛ فهذا جائز، ولكن لا تشعر نفسك أنها كاستعانتك بالخالق، وإنما عليك أن تشعر أنها كمعونة بعض أعضائك لبعض، كما لو عجزت عن حمل شيء بيد واحدة؛ فإنك تستعين على حمله باليد الأخرى، وعلى هذا؛ فالاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه

(١) صحيح ابن خزيمة، ١/ ٣٩١، برقم ٧٥١، وصحيح ابن حبان، ٥/ ٣٦٤، برقم ٢٠٢٠، والحاكم، ١/ ٢٧٢، وصححه محقق ابن حبان، والألباني في التعليقات الحسان، ٦/ ١٤٥٧، برقم ٢٠١٧، وفي صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ١٢٧.

(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

كالاستعانة ببعض أعضائك»[١].

٣- قوله: «**والله إني أحبك**»: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَصَفَ نَفْسَهُ ﷺ بِأَنَّهُ يُحِبُّ أَشْخَاصًا، كَمَا قَالَ لِمُعَاذٍ: «**وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ**» ... فَوَصَفَ نَفْسَهُ بِمَحَبَّةِ أَشْخَاصٍ... حَتَّى يَكُونَ الْمَحْبُوبُ بِهَا مَحْبُوبًا لِذَاتِهِ، لَا لِشَيْءٍ آخَرَ، إِذْ الْمَحْبُوبُ لِشَيْءٍ غَيْرِهِ هُوَ مُؤَخَّرٌ فِي الْحُبِّ عَنْ ذَلِكَ الْغَيْرِ»[٢]، وفي عون المعبود: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ: لَامُهُ لِلِابْتِدَاءِ وَقِيلَ لِلْقَسَمِ وَفِيهِ أَنَّ مَنْ أَحَبَّ أَحَدًا يُسْتَحَبُّ لَهُ إِظْهَارُ الْمَحَبَّةِ لَهُ»[٣].

٤-قوله: «**على ذكرك**»: أي: بالقلب واللسان، ويدخل في ذلك جميع أنواع الثناء والمحامد التي وردت في القرآن وصحت بها السنة، والشكر يكون بالقلب إقرارًا بالنعم واعترافًا، وباللسان ذكرًا وثناءً، وبالجوارح طاعة لأمره واجتنابًا لنهيه، وهو من أسباب بقاء النعم ورفع النقم[٤].

٥-قوله: «**وشكرك**»: قال السعدي رحمه الله: «والشكر يكون بالقلب، إقراراً بالنعم، واعترافاً، وباللسان، ذكراً وثناء، وبالجوارح، طاعة لله، وانقياداً لأمره، واجتناباً لنهيه، فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة، ... وفي الإتيان بالأمر بالشكر بعد النعم الدينية، من العلم، وتزكية الأخلاق، والتوفيق للأعمال، بيان أنها أكبر النعم، بل هي النعم الحقيقية التي تدوم، إذا زال غيرها، وأنه ينبغي لمن وفقوا لعلم أو عمل، أن يشكروا الله على ذلك،

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، ٢/ ٣٦٨.
(٢) مجموع الفتاوى، ١٠/ ٦٨.
(٣) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ٤/ ٢٦٩.
(٤) انظر: تفسير السعدي، ص ٨٧.

ليزيدهم من فضله، وليندفع عنهم الإعجاب، فيشتغلوا بالشكر»[(١)].

٦-قوله: «**وحسن عبادتك**»: وإنما تكون حسنة بالإخلاص واقتفاء السنة، أما غير ذلك فهي رد على صاحبها؛ لقول النبي ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[(٢)].

٧- قوله: «**أوصيك يا معاذ**»: أي: أعهد إليك، قال في القاموس: «وأوصاه، ووصاه توصية: عهد إليه»[(٣)]، وقال في المجموع شرح المهذب: «الوصايا جمع وصية: كعطايا، وعطية مأخوذة من قولهم: وصيت الشيء أصيه، من باب وعد، ووصيته، ووصيت إلى فلان توصية، وأوصيت إليه إيصاء ... وأوصيت إليه بمال: جعلته له، وأوصيته عليه»[(٤)].

٨-قَوْله: «**لا تدعن دُبُر كُلّ صَلَاة**»: لا تدع: أي: لا تترك، قال ابن الأثير: «ودَعَ الشيءَ يدَعُه وَدْعاً، إذا تَرَكَه»[(٥)]، وقال الشوكاني رحمه الله: «لَا تَدَعَنَّ: هُوَ نَهْيٌ مِنْ وَدَعَهُ، إِلَّا أَنَّهُ هُجِرَ مَاضِيهِ فِي الْأَكْثَرِ اسْتِغْنَاءً عَنْهُ بِتَرْكٍ»[(٦)]، وقال القاري: «فلا تدع: أي: إذا كنت تحبني، أو إذا كان بيني وبينك تحابب، أو إذا أردت ثبات هذه المحابة، فلا تترك أن تقول في دبر كل صلاة، أي: عقبها، وخلفها، أو في آخرها»[(٧)].و«**دبر**»: أي: بعد أداء الصلوات، قال ابن الأثير: «دِبارٌ: جمع دُبُر، وهو آخرُ أوقاتِ الشَّيء، ... ويقال: فلانٌ ما يَدْرِي قِبَالَ الأمرِ من دِبارِه: أي ما أوّله

---

(١) تفسير السعدي، ص ٧٤.
(٢) مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، برقم ١٧١٨.
(٣) القاموس المحيط، ص ١٧٣١، مادة (وصي).
(٤) المجموع شرح المهذب، ١٥/ ٣٩٧.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٣٦٥، مادة (ودع).
(٦) نيل الأوطار (٦/ ٣٣٣)
(٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١/ ٣٥.

من آخِره، والمراد أنه يأتي الصلاةَ حين أدْبَر وقتُها»[١]، قال النووي: «هُوَ بِضَمِّ الدَّال، هَذَا هُوَ الْمَشْهُور فِي اللُّغَة، وَالْمَعْرُوف فِي الرِّوَايَات، وَ...دَبْر كُلّ شَيْء - بِفَتْحِ الدَّال-: آخِر أَوْقَاته، مِنْ الصَّلَاة وَغَيْرهَا، وَقَالَ: هَذَا هُوَ الْمَعْرُوف فِي اللُّغَة... دُبُر الشَّيْء، وَدَبُره بِالضَّمِّ وَالْفَتْح: آخِر أَوْقَاته، وَالصَّحِيح الضَّمّ»[٢]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «دُبُر الأَمر يَعنِي بِضَمَّتَينِ، ودَبره يَعنِي بِفَتحٍ ثُمَّ سُكُون: آخِره،وادَّعَى أَبُو عَمرو الزّاهِد أَنَّهُ لا يُقال بِالضَّمِّ إِلاَّ لِلجارِحَةِ، ورَدَ بِمِثلِ قَولُهُم: أَعتَقَ غُلامه عَن دُبُر، ومُقتَضَى الحَدِيث أَنَّ الذِّكر المَذكُور يُقال عِند الفَراغ مِنَ الصَّلاة، فَلَو تَأَخَّرَ ذَلِكَ عَن الفِراغ؛ فَإِن كانَ يَسِيرًا بِحَيثُ لا يُعَدّ مُعرِضًا، أَو كانَ ناسِيًا، أَو مُتَشاغِلاً بِما ورَدَ أَيضًا بَعد الصَّلاة كَآيَةِ الكُرسِيّ فَلا يَضُرّ، وظاهِر قَولُهُ: «كُلّ صَلاة» يَشمَلُ الفَرض والنَّفل ، لَكِن حَمَلَهُ أَكثَر العُلَماء عَلَى الفَرض»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-بيان منزلة معاذ ومحبة الرسول ﷺ له ولذلك أوصى الأمة في شخصه بهذا الدعاء الجامع.

٢-جميل أخلاق الرسول ﷺ وتلطفه مع أصحابه، حيث أخذ النبي ﷺ بيد معاذ، وناداه باسمه ليشعر بحبه له ثم أوصاه.

٣-المؤمن إذا أحب أخاه أظهر ذلك له، وأخبره بذلك الحب الذي هو في الله، قا ل العيني: فيه «استحباب قول الرجل لمن يُحبه: إني أحبك، وجواز الحلِف على ذلك، واستحباب الوصية بالخير، واستحباب المواظبة

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٢٠٦، مادة (دبر).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٥/ ٩٥.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٣٢٨.

على الدعاء المذكور عقيب كل صلاة»[١]. وفي عون المعبود: «وَفِيهِ أَنَّ مَنْ أَحَبَّ أَحَدًا يُسْتَحَبُّ لَهُ إِظْهَارُ الْمَحَبَّةِ لَهُ»[٢].

٤-جواز الحلف من غير استحلاف، وذلك على سبيل التوكيد.

٥-إثبات اسم «المستعان» لله ﷻ وهو من أشرف الأسماء لشرف متعلقه، وقد تضمنت الفاتحة معناه في قوله ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٣].

٦-هل يقال هذا الذكر قُبَيل السلام أم بعد السلام؟

وما هو المقصود بقول النبي ﷺ: «**دبر كل صلاة**»؟.

قال الشيخ عبد الله البسام رحمه الله: أكثر العلماء على الثاني، وطائفة على الأول ومنهم شيخ الإسلام[٤] رحمه الله: وهو قول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله حيث قال: «ما ورد مقيدًا بدبر الصلاة، فإن كان ذكرًا فهو بعد السلام وإن كان دعاءً فهو قبل السلام»[٥].وسمعت شيخنا الإمام ابن باز رحمه الله يختار أن الأفضل أن يقال هذا الذكر في التشهد قبل السلام.

٧- جاء تقديم الذكر على الشكر في هذا الدعاء؛ لأن العبد ما لم يكن ذاكرًا لم يكن شاكرًا، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾[٦]، والشكر يكون بالقلب إقرارًا بالنعم واعترافًا، وباللسان ذكرًا وثناءً، وبالجوارح طاعة لأمره واجتنابًا لنهيه وهو من أسباب بقاء النعم ورفع النقم[٧].

---

(١) شرح أبي داود للعيني، ٥/ ٤٣٣.
(٢) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ٤/ ٢٦٩.
(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٥.
(٤) انظر: توضيح الأحكام في بلوغ المرام، ١/ ٣٠٨.
(٥) الشرح الممتع، ٣/ ٢٠٣.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.
(٧) انظر: تفسير السعدي، ص ٨٧.

٨-الاستعانة لها تعلق عظيم بالعبادة. قال ابن القيم: والاستعانة تجمع أصلين: الثقة بالله، والاعتماد عليه؛ فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره – مع ثقته به – لاستغنائه عنه وقد يعتمد عليه – مع عدم ثقته به – لحاجته إليه ولعدم من يقوم مقامه – فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به[1].

***

٦٠-(٦)«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ الْقَبْرِ»[2].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٢٢-لفظ البخاري: عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه[3]، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا هَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ، كَمَا تُعَلَّمُ الكِتَابَةُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ القَبْرِ**»[4].

٢٢٣-وفي رواية للبخاري عن عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الأَوْدِيِّ، قَالَ: كَانَ

---

(١) انظر: بدائع الفوائد، ص ١٥٠.

(٢) البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من فتنة الدنيا، برقم، ٦٣٩٠، وبنحوه في كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجبن، برقم ٢٨٢٢.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٩٦ من أحاديث الشرح.

(٤) البخاري، برقم، ٦٣٩٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

سَعْدٌ يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ كَمَا يُعَلِّمُ المُعَلِّمُ الغِلْمَانَ الكِتَابَةَ وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُنَّ دُبُرَ الصَّلاَةِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**»، فَحَدَّثْتُ بِهِ مُصْعَبًا فَصَدَّقَهُ»[1].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم إني أعوذ بك**»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، ... »[2]، والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به. يقال: عاذ فلان بفلان، ... وأعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك، فإن ذلك سوء أتحاشى من تعاطيه[3].

٢-قوله: «**من البخل**»: هو منع بذل المال سواء: كان ذلك في الزكاة المفروضة، أو في عموم الإنفاق، وقال الحافظ العراقي رحمه الله: «الْبُخْلَ إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ غَالِبًا فِي الْبُخْلِ بِالْمَالِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِذَلِكَ الْعِبَادَاتُ كُلُّهَا»[4].

٣-قوله: «**من الجبن**»: هو الخوف الذي هو ضد الشجاعة، فإذا كان البخل شح بالمال؛ فإن الجبن شح بالنفس عن بذلها في سبيل الله، وشح بالنصيحة مخافة الضرر المتوهم، وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: «الجُبْن: بِضَم الْجِيم وَسُكُون الْبَاء وتضم، وَهُوَ المهابة للأشياء، والتأخر عَن فعلهَا، وَإِنَّمَا تعوّذ مِنْهُ ﷺ؛ لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى عدم الْقيام بفريضة الْجِهَاد، والصدع بِالْحَقِّ، وإنكار الْمُنْكَرَات»[5].

٤-قوله: «**من أن أرد إلى أرذل العمر**»: أردؤه، وأخسه، وهو الهرم، قال ابن

---

(١) البخاري، برقم ٢٨٢٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح حديث المتن رقم ١، في شرح المفردة رقم ٦.
(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.
(٤) طرح التثريب في شرح التقريب، ٦/ ٣٧.
(٥) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص ١٨٣.

الأثير رحمه الله: «الهَرَم: الكِبَر، وقَد هَرِم يَهْرَم فهُو هَرِم، جَعَل الْهَرَمَ داءً تَشْبِيهاً به؛ لأنَّ المَوْتَ يَتَعَقَّبه كالأدْوَاء»[1]، ويدخل فيه ما يأتي:

أ – ضعف في القوة الحسية: كالبدن، والسمع، والبصر، ونحو ذلك.

ب – ضعف في القوة العقلية، فيهذي ولا يدري ما يقول.

وقال الشوكاني: «هُوَ الْبلُوغ إِلَى حد فِي الْهَرم يعود مَعَه كالطفل فِي ضعف الْعقل وَقلة الْفَهم وفتنة الدُّنْيَا الاغترار بشهواتها»[2].

٥-قوله: «**من فتنة الدنيا**»: الفتنة هي الاختبار، والتمحيص، قال القاضي عياض رحمه الله: «وأصل الفتنة الاختبار والامتحان، يقال: فتنت الفضة على النار: إذا خلّصتها، ثم استعمل فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ثم كثر استعماله في أبواب المكروه، فجاء مرة بمعنى الكفر: كقوله ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾[3]، أي ردّكم الناس إلى الشرك أكبر من القتل، وتجيء للإثم، كقوله: ﴿**أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا**﴾[4]، ومنه أصابتني في مالي فتنة، وهمّوا أن يفتتنوا في صلاتهم، أي يسهوا، ويخلطوا، وتكون على أصلها للاختبار، كقوله: ﴿**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ**﴾[5]، وتكون بمعنى الإحراق بالنار، كقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾[6]، أي: حرقوهم، ومنه أعوذ بك من فتنة النار، وقيل: إنها هنا على أصلها، من التصفية؛ لأن المعذبين بالنار من المؤمنين المذنبين إنما عُذِّبوا من أجل ذنوبهم، فكأنهم صفّوا منها، وخلصوا، فسأل النبي ﷺ أن لا يكون من هؤلاء، وكذلك سؤاله لأمته

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٥/ ٥٩٦، مادة (هرم).
(٢) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص ١٨٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٩.
(٥) سورة التغابن، الآية: ١٥.
(٦) سورة البروج، الآية: ١٠.

ذلك؛ لكن بعفو الله، ورحمته، وتفريقه في الدعاء بين فتنة النار، وعذاب النار حجة لهذا القائل، أي: ممن يعذب بالنار: عذاب الكفار، وهو حقيقة التعذيب، والخلود... وتكون بمعنى الإزالة والصرف عن الشيء كقوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[(١)]»[(٢)].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وأَصل الفِتنَة الاختِبار، ثُمَّ أُستُعمِلَت فِيما أَخرَجَهُ الاختِبار إِلَى المَكرُوه، ثُمَّ أُستُعمِلَت فِي المَكرُوه: فَتارَةً فِي الكُفر... وتارَةً فِي الإِثم....وتارَة فِي الإِحراق...وتارَة فِي الإِزالَة عَن الشَّيء، كَقَولِهِ: ﴿وإِن كادُوا لَيَفتِنُونَك﴾[(٣)]، وتارَة فِي غَير ذَلِكَ ، والمُراد بِها فِي هَذا المَوضِع الاختِبار عَلَى بابها الأَصلِيّ، والله أَعلَم»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وَأما مضلات الْفِتَن: فَأن يفتن العَبْد فيَضلّ عَن سَبِيل اللَّه، وَهُوَ يحْسب أَنه مهتدٍ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[(٥)]، وَقَالَ: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[(٦)]، وَقَالَ: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾[(٧)]، وَقَالَ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٣.
(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ٢/ ١٤٦.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٣.
(٤) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ٥٠٥.
(٥) سُورَة الزخرف، الآيتان: ٣٦ – ٣٧.
(٦) سُورَة فاطر، الآية: ٨.
(٧) سُورَة غَافِر، الآية: ٣٧.

أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾(١)؛ وَلِهَذَا تَأول أَصْحَاب النَّبِي ﷺ هَذِه الْآيَة فِيمَن يتعبد بِغَيْر شَرِيعَة الله الَّتِي بعث بهَا رَسُوله من الْمُشْركين، وَأهل الْكتاب: كالرهبان، وَفِي أهل الْأَهْوَاء من هَذِه الْأمة: كالخوارج الَّذين أمر النَّبِي ﷺ بقتالهم: وَقَالَ فيهم: «**يحقر أحدكُم صلَاته مَعَ صلَاتهم، وصيامه مَعَ صِيَامهمْ، وقراءته مَعَ قراءتهم، يقرؤون الْقُرْآن لَا يُجَاوز حَنَاجِرهمْ، يَمْرُقُونَ من الْإِسْلَام كَمَا يَمْرُق السهْم من الرَّمية، أَيْنَمَا لقيتموهم فاقتلوهم؛ فَإِن فِي قَتلهمْ أجراً عِنْد الله لمن قَتلهمْ يَوْم الْقِيَامَة**»(٢)؛ وَذَلِكَ لِأَن هَؤُلَاءِ خَرجُوا عَن سنة رَسُول ﷺ(٣). وفتنة الدنيا مما يراد بها ما يأتي:

أ – التنافس المفضي إلى الهلاك بعد أن تفتح الدنيا على العبد كما قال النبي ﷺ حين: «... قَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَوْا صَلاَةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «**أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ**» قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»(٤).

ب – فتنة الدجال: لقوله: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال**»(٥).

٦–قوله: «**وعذاب القبر**»: أي بكونه حفرة من حفر النار بعد عدم التوفيق للإجابة

---

(١) سُورَة الْكَهْف، الآيتان: ١٠٣ – ١٠٤.

(٢) البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءى بقراءة القرآن، برقم ٥٠٥٨، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم ١٤٧- (١٠٦٤)، وانظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم ٣٦١١.

(٣) جامع الرسائل لابن تيمية، ١/ ٢٣١.

(٤) البخاري، كتاب المغازي، باب حدثني خليفة، برقم ٤٠١٥، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، برقم ٢٩٦١.

(٥) مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، برقم ٢٩٤٦.

الصائبة عن سؤال الملكين، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «عذاب القبر ثابت بصريح السنة، وظاهر القرآن، وإجماع المسلمين، هذه ثلاثة أدلة: أما صريح السنة، فقد قال النبي ﷺ: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر، تعوذوا بالله من عذاب القبر، تعوذوا بالله من عذاب القبر**»[1]، وأما إجماع المسلمين؛ فلأن جميع المسلمين يقولون في صلاتهم: «**أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر**»، حتى العامة الذين ليسوا من أهل الإجماع، ولا من العلماء، وأما ظاهر القرآن، فمثل قوله تعالى في آل فرعون: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾[2]، ولا شك أن عرضهم على النار ليس من أجل أن يتفرجوا عليها، بل من أجل أن يصيبهم من عذابها، وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ**﴾ الله أكبر، إنهم لشحيحون بأنفسهم، ما يريدون أن تخرج ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾، فقال: «اليوم»، و(ال) هنا للعهد الحضوري، اليوم يعني: اليوم الحاضر، الذي هو يوم وفاتهم ﴿**تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾[3]، إذن فعذاب القبر ثابت بصريح السنة، وظاهر القرآن، وإجماع المسلمين، وهذا الظاهر من القرآن يكاد يكون كالصريح؛ لأن الآيتين اللتين ذكرناهما كالصريح في ذلك... عذاب القبر المستمر يكون للمنافق والكافر، وأما المؤمن العاصي؛ فإنه قد يعذب في قبره؛ لأنه ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر بقبرين، فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير؛ أما أحدهما، فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر**

---

(١) مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ، برقم ٢٨٦٧.

(٢) سورة غافر، الآية: ٤٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

فكان يمشي بالنميمة»[١]، وهذا معروف أنهما كانا مسلمين»[٢]، وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[٣]: «لما ذكر الله عذاب الظالمين في القيامة، أخبر أن لهم عذابا دون عذاب يوم القيامة، وذلك شامل لعذاب الدنيا، بالقتل، والسبي، والإخراج من الديار، ولعذاب البرزخ والقبر»[٤].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الجبن والبخل من مساوئ الأخلاق وقد قرن النبي ﷺ بينهما؛ لأنهما يمنعان عن صاحبهما الإحسان: بالمال، والبدن.

٢-إذا بلغ العبد من العمر أرذله ولم يعد مميزًا ولا عاقلًا تداركته رحمة الله بعدم المؤاخذة؛ فإذا سلب ما وهب سقط ما وجب.

٣- جاءت السنة الصحيحة بتسمية ووصف الملكان اللذان يسألان العبد في قبره. قال النبي ﷺ: «**إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ...**» الحديث[٥].

وقد ذكر ذلك أئمة السلف في بيان معتقدهم: كالإمام أحمد بن حنبل، والإمام علي بن المديني، وغيرهما: أن عذاب القبر ونعيمه من الأمور الثابتة.

٤- قال عمرو بن ميمون الأودي[٦] الراوي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه هذا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب حدثنا محمد بن المثنى، برقم ٢١٨، ومسلم، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، برقم ٢٩٢.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، ٢/ ٢٧.

(٣) سورة الطور، الآية: ٤٧.

(٤) تفسير السعدي، ص ٨١٨.

(٥) الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، برقم ١٠٧١، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٧٢٤.

(٦) عمرو بن ميمون الأودي: الإمام الحجة، أبو عبد الله، أدرك الجاهلية، وأسلم في حياة النبي ﷺ، =

الحديث: «كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات – أي لأهميتها – كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول: إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ منهن دبر الصلاة.
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «كانَ سَعد يُعَلِّم بَنِيهِ، لَم أَقِف عَلَى تَعيينهم، وقَد ذَكَرَ مُحَمَّد بن سَعد فِي الطَّبَقات أَولاد سَعد، فَذَكَرَ مِنَ الذُّكُور أَربَعَة عَشَر نَفسًا، ومِن الإِناث سَبع عَشرَة، ورَوى عَنهُ الحَدِيث مِنهُم خَمسَة: عامِر، ومُحَمَّد، ومُصعَب، وعائِشَة، وعُمَر»[1].

٥- الفرق بين الشح والبخل[2]: الشح: هو شدة الحرص على الشيء، والإحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجشع النفس عليه.

وأما البخل: فمنع إنفاق الشيء بعد حصوله، وحبه، وإمساكه، فهو شحيح قبل حصوله، بخيل بعد حصوله، فالبخل ثمرة الشح، والشح يدعو إلى البخل، والشح كامن في النفس، فمن بخل فقد أطاع شحه، ومن لم يبخل فقد عصى شحه، ووقي شره، وذلك هو المفلح، قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3].

***

٦١-(٧) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ»[4].

على يد معاذ بن جبل ﷺ، وصحبه، ثم قدم المدينة، وصحب ابن مسعود ﷺ، وحدث عنهما، مات عام ٧٤ هـ. انظر: أسد الغابة، ٤/ ٢٩٢، والإصابة في تمييز الصحابة، ٥/ ١٥٤.

(١) فتح الباري، ٦/ ٣٦.

(٢) الوابل الصيب لابن القيم، ص ٣٠.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٤) أبو داود، كتاب الصلاة، باب في تحقيق الصلاة، برقم ٧٩٢، وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في والصلاة على النبي، برقم ٩١٠، ومسند أحمد، ٢٥/ ٢٣٤، برقم ١٥٨٩٨، والبيهقي في السنن الصغير، ١/ ١٧٢، برقم ٤٤٦، وابن خزيمة في صحيحه، ١/ ٣٥٨، برقم ٧٢٥، وصححه محققو المسند، ٢٥/ ٢٣٤، والألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/٣٢٨، وفي صحيح أبي داود، ١/ ٢٢٥، وصحح الأعظمي رواية ابن خزيمة.

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٢٤-لفظ ابن ماجه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ: «**مَا تَقُولُ فِي الصَّلاَةِ؟**» قَالَ: أَتَشَهَّدُ، ثُمَّ أَسْأَلُ اللَّهَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ، أَمَا وَاللَّهِ مَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ، وَلاَ دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «**حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ**»[٢].

٢٢٥-ولفظ أبي داود وأحمد عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِرَجُلٍ: «**كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلاَةِ**»، قَالَ: أَتَشَهَّدُ، وَأَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَمَا إِنِّي لاَ أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ، وَلاَ دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ**»[٣].

٢٢٦-ولفظ البيهقي، وابن خزيمة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ: «مَا تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟» قَالَ: أَتَشْهَدُ ثُمَّ أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَمَا وَاللَّهِ مَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ، وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ. فَقَالَ: «**حَوْلَهُمَا نُدَنْدِنُ**»[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم إني أسألك الجنة**»: أي: فضلًا منك، ونعمة، وهذا سؤال طلب، قال العسكري رحمه الله: «الْمَسْأَلَة يقارنها الخضوع والاستكانة... وَالدُّعَاء إِذا كَانَ لله تَعَالَى فَهُوَ مثل الْمَسْأَلَة مَعَه استكانه وخضوع»[٥].

٢-قوله: «**وأعوذ بك من النار**»: أي :من دخولها ولو ابتداءً، أو لمدة

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٢) ابن ماجه، برقم ٩١٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) أبو داود، برقم ٧٩٢، وأحمد برقم ١٥٨٩٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) السنن الصغير للبيهقي، برقم ٤٤٦، وصحيح ابن خزيمة، برقم ٧٢٥، وصححه محقق ابن خزيمة، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) الفروق اللغوية للعسكري، ص ٣٧.

يسيرة، وهذا سؤال استعاذة، قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «العوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به ... وأعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك»[1]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: « فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ الَّذِي لَمْ يُوجَدْ بَعْدُ، وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛ فَإِنَّ نَفْسَ وُجُودِهِ ضَرَرٌ... ويُسْتَعَاذُ مِنْ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يُضَرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنْ الشَّرِّ الضَّارِّ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يُوجَدَ»[2]، وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في وصف النار: «النار التي بلغت في الحرارة العظيمة والشدة، أن كانت وقودها الناس والحجارة، ليست كنار الدنيا التي إنما تتقد بالحطب، وهذه النار الموصوفة معدة، ومهيأة للكافرين بالله، ورسله»[3].

٣-قوله: «**مَا تَقُولُ فِي الصَّلاَةِ؟**»،أي: ماذا تقول وتسأل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَأَلَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ عَمَّا يَقُولُ فِي صَلَاته»[4]، وقال في كتاب آخر: إن «النبي ﷺ سأل بعض أصحابه: كيف تقول في دعائك»[5].

٤-قوله: «**أتشهد**»: أي: أقرأ التشهد، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَشهُّدَ الصلاةِ، وهو التَّحِيات، سُمِّي تشهداً؛ لأن فيه شهادةَ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وهو تفعُّلٌ من الشهادة»[6].

٥-قوله: «**دندنتك**»: الدندنة: هي أن يتكلم الرجل بالكلام يسمع نغمته،

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.
(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، ١٨/ ٢٨٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٧.
(٣) تفسير السعدي، ص ٤٥.
(٤) مجموع الفتاوى، ١٠/ ٢٤١.
(٥) الاستقامة، ٢/ ١١٠.
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٥١٤، مادة (شهد).

ولا يفهم وهو أرفع من الهينمة قليلًا، ومنه دندن الرجل إذا اختلف في مكان واحد مجيئًا وذهابًا[١].

٦-قوله: «**حولها ندندن**»: قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَعْنِي: حَوْلَ سُؤَالِ الْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ»[٢]، وقال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: حول الجنة والنار ندند، وفي طلبهما ومسألتهما: أحدهما: سؤال طلب، والثانية: سؤال استعاذة، ومنه دندن الرجل، إذا اختلف في مكان واحد مجيئاً وذهاباً، وأما «**عنهما ندندن**» فمعناه: إن ديدنتنا صادرة عنهما، وكائنة بسببهما، فكأن رسول الله ﷺ بقوله: «**حولهما ندندن**»: استحسن قول الرجل بقوله: «**اللهم إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار**»: يعني: كما أنك تسأل الجنة، وتستعيذ من النار، فكذلك نحن في هذا السؤال، وفي هذه الاستعاذة»[٣].

٧-قوله: «**حولهما ندندن**»: قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: رواه أبوداود بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ[٤]، «قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الدَّنْدَنَةُ كَلَامٌ لَا يُفْهَمُ، وَمَعْنَى: حَوْلَهُمَا نُدَنْدِنُ: أَيْ حَوْلَ سُؤَالَيْهِمَا: إِحْدَاهُمَا: سُؤَالُ طَلَبٍ، وَالثَّانِيَةُ: سُؤَالُ رَهَبٍ»[٥].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-جميل خلق النبي ﷺ، وكبير تواضعه مع أصحابه، والتبسط معهم في الكلام.

٢-ذكر الرجل معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي ﷺ؛ لأن معاذًا هو الذي كان يصلي إمامًا بقوم هذا الرجل.

٣-لا أحد يدخل الجنة بعمله لقول النبي ﷺ: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّهُ**

---

(١) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب، ص ٣٠٦.

(٢) جامع العلوم والحكم، ٢/ ٤٠٤.

(٣) العلم الهيب، ص ٣٠٦.

(٤) لعل لفظة «حولهما»: في نسخة لأبي داود عند النووي، أما في النسخ المطبوعة التي اطلعت عليها لم أجد في سنن أبي داود لفظة: «حولهما» وإنما هي: «حولها».

(٥) المجموع شرح المهذب، ٣/ ٤٧١.

لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**وَلاَ أَنَا، إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ**»[1]، والمعنى أن العمل وإن كثر من غير رحمة لا ينجي وليس المقصود هو ترك العمل، إنما المقصود عمل صالح مع دوام سؤال الرحمة والقبول.

٤- ما هو الجمع بين هذا الحديث: «**لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ**» وبين قول الله ﷻ: ﴿**وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[2]، والجواب أن الباء المثبتة في الآية هي الباء السببية، أي أن العمل الصالح سبب لدخول الجنة، والمنفي في الحديث هي الباء الثمنية بأن العمل هو ثمن دخول الجنة، وأن دخول الجنة ابتداءً هو برحمة الله، والمنازل والدرجات فيها على قدر الأعمال الصالحة[3].

٥- في خوف الصحابة والسلف من النار: قال الحسن: كان عمر ربما توقد له النار ثم يدني يديه منها، ويقول: يا ابن الخطاب هل لك على هذا صبر؟[4].

- وكان سفيان الثوري ينام أول الليل ثم ينتفض فزعًا ينادي النار النار ثم يقوم للصلاة[5].

- قال ابن المبارك:

إذا ما الليل أظلم كابدوه ... فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوف نومهم فقاموا ... وأهل الأمن في الدنيا هجوع[6]

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى، برقم ٢٨١٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

(٣) انظر: ٢٠٠ س، ج في العقيدة للحكمي، رقم (١٣٦).

(٤) تفسير ابن رجب الحنبلي، ٢/ ٣٤٢، ومحض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ليوسف بن عبد الهادي، ٢/ ٦٢٣.

(٥) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي، ١٠/ ٢٣٢، وتفسير الثوري، ص ١٦.

(٦) ديوان عبد الله بن المبارك، ص ١٦، وفضل قيام الليل والتهجد للآجري، ص ٧٨، وتاريخ دمشق، ١٩/ ١٨٠.

***

٦٢-(٨)«اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْراً لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْراً لِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيماً لاَ يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لاَ تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلاَ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»[1].

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٢٧-عن عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ[2]، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: صَلَّى بِنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ[3] صَلاةً

---

(١) النسائي، كتاب السهو، باب نوع آخر، برقم ١٣٠٤، وأحمد، ٣٠/ ٢٦٤، برقم، ١٨٣٢٥، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/٢٨١ .

(٢) عطاء بن السَّائِب الْكِنَانِي ثُمَّ اللَّيْثِي، الثَّقَفِيُّ مَوْلاَهُم الكُوفِيُّ، الإِمَامُ، الحَافِظُ، مُحَدِّثُ الكُوفَةِ، أَبُو السَّائِبِ، من أهل الْمَدِينَة، رَوَى عَنْهُ ابْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَطَاءٍ وَمُحَمَّدٌ، سَكَنَ مَرْوَ، مَاتَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلاَثِيْنَ وَمائَةٍ. انظر: الثقات لابن حبان، ٥/ ٢٠١، وسير أعلام النبلاء، ٦/ ١١٠.

(٣) عمار بن ياسر: يكنى بأبي اليقظان، أسلم بمكة قديمًا وشهد بدرًا والمشاهد كلها مع الرسول ﷺ، أثنى عليه رسول الله ﷺ بقوله: «مُلِئ عمار إيمانًا إلى مشاشه»سنن ابن ماجه، برقم ١٤٨، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٨٠٧، والمشاش هو رؤوس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين والمعنى أنه طيب بأصل الخلقة (شرح سنن ابن ماجه للسندي، برقم ١٤٧، وكان الرسول ﷺ يُحيِّيه بقوله: «مرحبًا بالطيب المطيب»ابن ماجه، برقم ١٤٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٤٦٦ وقال فيه أيضًا: «ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أيسرهما» الترمذي، برقم ٣٧٩٩، وغيره، وحسّنه =

فَأَوْجَزَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَقَدْ خَفَّفْتَ، أَوْ أَوْجَزْتَ الصَّلَاةَ؟ فَقَالَ: أَمَّا عَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا قَامَ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ هُوَ أُبَيٌّ، غَيْرَ أَنَّهُ كَنَى عَنْ نَفْسِهِ، فَسَأَلَهُ عَنِ الدُّعَاءِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَخْبَرَ بِهِ الْقَوْمَ: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»[(١)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «اللَّهم بعلمك الغيب»: أي: أتوسل إليك بعلمك الأزلي الأبدي الذي لم يسبق بجهل، ولا يلحقه نسيان، فأنت المحيط بكل شيء علمًا، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهنا توسل لله - تعالى - بصفة (العلم) و(القدرة)، وهما مناسبتان للمطلوب. ومن ذلك أن يتوسل... الإنسان إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بالإيمان به وبرسوله ﷺ ... فتوسلوا إلى الله - تعالى - بالإيمان به أن يغفر لهم الذنوب، ويكفر عنهم السيئات، ويتوفاهم مع الأبرار... وأن يتوسل إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بالعمل الصالح؛ ... وأن يتوسل إلى الله -تعالى- بذكر حاله؛ يعني أن الداعي يتوسل إلى الله تعالى بذكر حاله، وما هو عليه من الحاجة، ... فهذه أنواع من التوسل كلها

=

الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٨٣٥، وقد أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ﷺ. البخاري، برقم ٣٧٤٢، وقد أخبره النبي ﷺ أنه تقتله الفئة الباغية البخاري، برقم ٤٤٧، وقد تحقق ذلك فقتل بصفين سنة ٣٧ وعمره ٩٣ سنة. انظر: أسد الغابة، ٣٧٩٨/٤، والإصابة، ٥٧٠٨/٤.

(١) النسائي،برقم ١٣٠٤، وأحمد، برقم، ١٨٣٢٥، وصححه الألباني في صحيح النسائي،٢٨١/١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

جائزة؛ لأنها أسباب صالحة لحصول المقصود بالتوسل بها»[(١)].

٢-قوله: «**وقدرتك على الخلق**»: أي: بإيجاد المعدوم، وإعدام الموجود، وأن أمر الله نافذ في الأكوان، لا ينازعه منازع، ولا يخالفه مخالف، قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «التوسل إلى الله بصفاته، ومنه ما جاء في الحديث: «**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني ما علمت الوفاة خيرًا لي**» فإن علم الله الغيب صفة، وقدرته على الخلق صفة، وهذا التوسل إلى الله تعالى بعلمه، وقدرته... والتوسل إلى الله تعالى بأفعاله: أن تدعو الله بشيء، ثم تتوسل إليه في تحقيق هذا الشيء بفعل نظيره»[(٢)].

٣-قوله: «**أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي**»: أي: إذا كان في سابق علمك أن بقائي حيًّا خيرٌ لي لأستزيد في الطاعة، فأدم عليَّ نعمة الحياة، قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الدعاء، وكل الإنسان فيه أمره إلى الله؛ لأن الإنسان لا يعلم الغيب، فيكل الأمر إلى عالمه عَزَّ وَجَلَّ»[(٣)].

٤-قوله: «**وتوفني إذا علمت الوفا خير لي**»: أي: إذا ترتَّب على بقائي حيًّا نقصٌ في الدين، بتضييع ما خلقتني من أجله، وهو عبادتك وحدك، لا شريك لك، فتوفني إليك، واغفر لي، وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «نعم؛ لأن الله سبحانه يعلم ما سيكون، أما الإنسان فلا يعلم... فأنت لا تدري قد تكون الحياة خيراً لك، وقد تكون الوفاة خيراً لك؛ ولهذا ينبغي للإنسان إذا دعا لشخص بطول العمر أن يقيد هذا فيقول: أطال الله بقاءك على طاعته، حتى

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، ٢/ ٣٣٦.
(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، ٢/ ٣٥٣.
(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٤٠.

يكون في طول بقائه خير»[(١)].

٥-قوله: «**اللَّهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة**»: أي: في السر والعلن والظاهر والباطن، وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «وَخَشْيَةُ اللهِ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هِيَ مِنَ الْمُنْجِيَاتِ، فَإِنَّ مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللهَ يَرَاهُ حَيْثُ كَانَ، وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى بَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ، وَسِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ، وَاسْتَحْضَرَ ذَلِكَ فِي خَلَوَاتِهِ، أَوْجَبَ لَهُ ذَلِكَ تَرْكَ الْمَعَاصِيَ فِي السِّرِّ»[(٢)].

٦-قوله: «**وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب**»: لأن من صفات المؤمن أن يملك نفسه عند الغضب، فلا يحيف بفعل، أو قول. قال النبي ﷺ: «**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[(٣)]، وقول الحق حال الغضب أمر قد ندر وعز، وخاصة في هذه الأزمنة، إلا من رحم الله، قال الصنعاني رحمه الله: «وأسألك كلمة الإخلاص في رواية كلمة الحق في الرضا، حال كوني راضياً، والغضب مثله، والمراد في الحالين معاً، فمن الناس من يخرجه غضبه عن الحق، وهو يعم كونه هو الغاضب والراضي، أو كونه مغضوباً عليه، ومرضياً عنه»[(٤)].

٧-قوله: «**وأسألك القصد في الغنى والفقر**»: القصد هو الاعتدال والتوسط من غير إفراط، ولا تفريط، فعند الفقر يرضى ويصبر، ولا يكون مقترًا لا على نفسه، ولا على من تلزمه نفقتهم، مخافة نفاد الرزق، وفي حال الغنى، لا يكون مسرفًا، ولا مضيعًا لحد الاعتدال، قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ**

---

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٤٠.
(٢)جامع العلوم والحكم، ١/ ٤٠٧.
(٣) البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، برقم ٦١١٤.
(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٣/ ١٦٦.

بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾[(١)]، قال المناوي رحمه الله: «وأسألك القصد: أي: التوسط في الغنى والفقر، وهو الذي ليس معه إسراف، ولا تقصير؛ فإن الغنى يبسط اليد، ويطغيء النفس، والفقر يكاد أن يكون كفراً، فالتوسط هو المحبوب المطلوب»[(٢)].

٨-قوله: «**وأسألك نعيمًا لا ينفد**»: أي: لا يزول، ولا يحول، وهو نعيم الجنة، قال القاري رحمه الله: «لا ينفدُ: بِالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ أَيْ: لَا يَفْنَى وَلَا يَنْقُصُ، وَهُوَ نَعِيمُ الْجَنَّةِ، وَأَمَّا غَيْرُهُ فَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ»[(٣)].

٩-قوله: «**وأسألك قرة عين لا تنقطع**»: قرة العين مأخوذ من القرّ، وهو البرد، إذ دموع الفرح باردة، ودموع الحزن حارة. قال الشاعر:

فكم تسخنت بالأمس عين قريرة ... وقرت عيون دمعها اليوم ساكب[(٤)]

وقرة العين المرادة هنا إنما تكون بالفوز المبين يوم القيامة، قال الطيبي رحمه الله: «قرة عين لا تنقطع»: يحتمل أنه طلب نسلاً لا ينقطع بعده، قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ**﴾[(٥)]، أو طلب محافظة الصلوات، والإدامة عليها، كما ورد «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[(٦)].

١٠-قوله: «**وأسألك الرضا بعد القضاء**»: لأن هذا هو المحك الحقيقي لصبر العبد، قال النبي ﷺ: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»[(٧)]، وإذا حقق العبد الرضا

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.
(٢) فيض القدير، ٢/ ١٤٦.
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٥/ ١٧٣٥.
(٤) تفسير الجزائري مع نهر الخير، ص ١٢٠٧.
(٥) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٣٣، والحديث أخرجه أحمد، ١٩/ ٣٠٥، برقم ١٢٢٩٣، والنسائي، ٧/٦١-٦٢، برقم ٣٩٣٩، والحاكم ٢/١٦٠، وحسن إسناده محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٣٠٩٨.
(٧) البخاري، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، برقم ١٢٨٣.

بعد وقوع ما يكره، ورضي به، فهذا دليل على إيمانه، أما الرضا قبل القضاء؛ فإنه مجرد عزم، وأما ما قدّره الله على العبد من أمور الخير، فعليه أن يؤدّي شكر هذه النعم بمرضاة واهبها ﷻ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَهَذَا يَقِينٌ يُعْطِي الِاسْتِعَانَةَ وَالتَّوَكُّلَ... وَهُوَ يَقِينٌ بِالْقَدَرِ الَّذِي لَمْ يَقَعْ؛ فَإِنَّ الِاسْتِعَانَةَ وَالتَّوَكُّلَ إنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمُسْتَقْبَلِ. فَأَمَّا مَا وَقَعَ فَإِنَّمَا فِيهِ الصَّبْرُ وَالتَّسْلِيمُ وَالرِّضَى»[١].

١١-قوله: «**وأسألك برد العيش بعد الموت**»: لأن هذا هو العيش الحقيقي الذي ليس فيه منغص؛ ولذلك فإن الكافر، والمفرط تقع منهما الحسرة، كما قال الله ﷻ: ﴿**يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**﴾ لأن هذه هي الحياة التي لا يعقبها موت، قال العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله: «فى ذلك أعظم لذة العبد وسعادته ونعيمه، فليس فى الكائنات شىء غير الله سبحانه يسكن القلب إليه، ويطمئن به ويأنس به، ويتنعم بالتوجه إليه»[٢]، وقال المناوي رحمه الله: «برفع الروح إلى منازل السعداء ومقامات المقربين والعيش في هذه الدار لا يبرد لأحد بل محشو بالغصص والنكد والكدر ممحوق بالآلام الباطنة والأسقام الظاهرة»[٣].

١٢-قوله: «**وأسألك لذة النظر إلى وجهك**»: فيه طلب لأعظم نعيم في الآخرة، وهو النظر لوجه الله الكريم، وإنما جاء التعبير باللذة لأن ذلك هو المقصود الأسمى، والمطلب الأعلى لأهل الجنان، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «لذة النظر؛ لأن لهذا النظر لذة عظيمة لا يدركها إلا من أدركها بنعمة من الله، وفضل منه... أما من زعم أن الله لا يرى بالعين، وأن الرؤية عبارة عن كمال اليقين؛ فإن قوله هذا باطل، مخالف للأدلة، ويكذبه الواقع؛ لأن كمال اليقين موجود في الدنيا

---

(١) مجموع الفتاوى، ١٣/ ٣٢٠.
(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ١/ ٣٠.
(٣) فيض القدير، ٢/ ١٤٦.

أيضاً... وعبادتك لله كأنك تراه هذا هو كمال اليقين، فدعوى أن النصوص الواردة في الرؤية تعني كمال اليقين؛ لأن المتيقن يقيناً كاملاً كالذي يشاهد بالعين دعوى باطلة، وتحريف للنصوص، وليس بتأويل؛ بل هو تحريف باطل يجب رده على من قال به، والله المستعان»[١].

١٣-قوله: «**والشوق إلى لقائك**»: قال الطيبي رحمه الله: «سأل شوقاً إلى الله تعالى في الدنيا، بحيث يكون ضراء غير مضرة، أي: شوقاً لا يؤثر في سيري وسلوكي»[٢].

١٤-قوله: «**في غير ضراء مضرة**»: الضراء هي الحالة التي تضرّ، وهي نقيض السراء، ويراد بذلك ما يزعج العبد يوم القيامة ويضره، قال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «لِأَن الشوق إِلَى لِقَاء الله يسْتَلْزم محبَّة الْمَوْت وَالْمَوْت يَقع تمنيه كثيرا من أهل الدُّنْيَا بِوُقُوع الضراء الْمضرَّة فِي الدُّنْيَا وَإِن كَانَ مَنْهيّا عَنهُ فِي الشَّرْع، وَيَقَع من أهل الدّين تمنيه لخشية الْوُقُوع فِي الْفِتَن المضلة»[٣].

١٥-قوله: «**ولا فتنة مضلة**»: تأكيد لتمام الراحة، وتوكيد لطيب الحال، قال القاري رحمه الله: «لِأَنَّ الْفِتْنَةَ تَعُمُّ مَا يُؤَدِّي إِلَى الْهَلَاكِ الْحِسِّيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ، وَالْمُضِلَّةُ مَا يُوجِبُ الِانْحِرَافَ عَنِ الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ»[٤].

١٦-قوله: «**اللَّهم زينا بزينة الإيمان**»: وهذا يشمل الأمور الآتية:

أ – زينة القلب بالاعتقاد الصحيح، وأعمال القلب: كالخشية، واليقين، والتوكل، والإنابة لله عز وجل.

ب – زينة الجوارح بالعمل بمراضي رب العباد.

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، ١/ ٢٢٤.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٣٣.
(٣) شرح حديث لبيك اللهم لبيك، ص ٩٥.
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٥/ ١٧٣٦.

جـ - زينة اللسان بدوام الذكر، وتلاوة القرآن، مع التدبر، وبذل النصح، والنهي عن المنكر.

١٧-قوله: «**واجعلنا هداة مهتدين**»: أي هداة لغيرنا؛ بدلالتهم على تحقيق التوحيد، والعبودية لك سبحانك، مع كوننا مهديين في أنفسنا، فلا نأمر بمعروف ولا نأتيه، ولا ننهى عن منكر ونأتيه، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما كان كمال العبد في أن يكون عالماً بالحق، متبعاً له، معلماً لغيره، مرشداً له، قال: واجعلنا هداة مهتدين»[(١)].

١٨-قوله: «**فأوجز... خففت، أو أوجزت**»: أوجز أي: اقتصر فيها، أي: مع تمام أركانها وسننها، فقال له بعض القوم، أي: ممن حضرها: لقد خفَّفت - بالتشديد-: أي: الأركان، بأن فعلت ما يطلق عليها الركن، وأوجزت: أي اقتصرت بأن أتيت أقلَّ ما يؤدّى به السنن[(٢)].

١٩-قوله: «**لقد دعوت فيها**» أي في آخرها، أو سجودها[(٣)].

٢٠-قوله: «**بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ**»: أي: داخل الصلاة أو خارجها[(٤)].

٢١-قوله: «**فلما قام**» أي: عمار بن ياسر رضي الله عنه[(٥)].

٢٢-قوله: «**تبعه رجل من القوم هو أبي**» هذا من كلام عطاء، أي: ذلك الرجل أبي[(٦)].

٢٣-قوله: «**غير أنه - أي أبي - كنى عن نفسه**»، أي برجل ولم يقل تبعته، قال

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ١/ ٢٨.
(٢) مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٤٢٨.
(٣) مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٤٢٨.
(٤) مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٤٢٨.
(٥) مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٤٢٨.
(٦) مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٤٢٨.

الطيبي رحمه الله: وتقدير الاستثناء أنه لم يصرح السائب إلا أنه كنى عن نفسه بالرجل. ا. هـ. والمراد بعدم التصريح مبالغة الإخفاء، خوفاً من الرياء[(١)].

٢٤- قوله: «**فسأله**» أي: الرجل عماراً عن الدعاء أي: فأخبره[(٢)].

٢٥-قوله: «**ثم جاء فأخبر به القوم**» قال القاري رحمه الله: «ثم جاء: أي: الرجل، فأخبر، وفي نسخة: وأخبر» به: أي: بالدعاء القوم»[(٣)]، والمعنى: أن الرجل أخبر القوم بالدعاء.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- تقرير أن الغيب لا يعلمه إلا الله ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ**﴾[(٤)]، وإثبات صفة العلم له عز وجل. قال ابن القيم رحمه الله:

وهو العليم أحاط علمًا بالذي   في الكون من سر ومن إعلان
وبكل شيء علمه سبحانه   فهو المحيط وليس ذا نسيان[(٥)]

٢-تقرير أن من صفات الله: «القدير» ومعناه: التام القدرة، لا يلابس قدرته عجز.

قال ابن القيم:

وهو القدير وليس يعجزه إذا   ما رام شيئًا قطُ ذو سلطان[(٦)]

وأنه كذلك القادر، أي: القوي الذي يفعل ما أراد وفق حكمته، وأنه المقتدر، وهي صفة مبالغة في الوصف بالقدرة.

٣-العبد في حقيقة أمره عاجز عن تحصيل مصالحه، ودفع مضاره، ولا

(١) مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٤٢٨.
(٢) مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٤٢٨.
(٣) مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٤٢٨.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.
(٥) النونية، ٢/٢١٥.
(٦) النونية، ٢/٢١٨.

توفيق له في ذلك إلا بالله علام الغيوب.

٤-الأصل هو النهي عن تمني الموت؛ لقول النبي ﷺ: «**ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا، وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب**»(١)، وفي لفظ: «**فإن كان لابد متمنيًا للموت فليقل: اللَّهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**»(٢).

وأما قول النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه، ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين إلا البلاء**»(٣)، قال الحافظ في الفتح: وليس فيه معارضة للنهي عن تمني الموت؛ لأن هذا يكون عند فساد الحال في الدين، أو ضعفه وغلبة أهل الباطل، وهذا مختص بأهل الخير، فيتمنى أهون المصيبتين(٤).

وأما دعاء عمر رضي الله عنه لما عاد من منى، حيث قال: «اللَّهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيّع، ولا مفرط»(٥). فقال الإمام الباجي رحمه الله: «وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ بِذَلِكَ: أَنْ يَهَبَهُ مِنَ الْعَوْنِ عَلَى مَا كَلَّفَهُ مَا يَعْصِمُهُ مِنْ التَّضْيِيعِ، وَالتَّفْرِيطِ إلَى أَنْ يَمُوتَ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَدْعُوَ بِتَعْجِيلِ مَيْتَةٍ لَمَّا خَشِيَ أَنْ يَقَعَ مِنْهُ تَضْيِيعٌ، أَوْ تَفْرِيطٌ؛ لِضَعْفِ قُوَّتِهِ، وَانْتِشَارِ رَعِيَّتِهِ، وَلَيْسَ هَذَا مِمَّا نَهَى عَنْهُ ﷺ مِنْ أَنْ يَدْعُوَ أَحَدٌ بِالْمَوْتِ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، وَإِنَّمَا دُعَاءُ عُمَرَ بِالْمَوْتِ خَوْفَ

---

(١) البخاري، كتاب المرضى، باب نهي تمني المريض الموت، برقم ٥٦٧٣.

(٢) البخاري، كتاب المرضى، باب نهي تمني المريض الموت، برقم ٥٦٧١، وبنحوه مسلم، برقم ٢٦٨٠.

(٣) مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، برقم ٢٩٠٧.

(٤) انظر: فتح الباري، ١٣/ ٩٠.

(٥) مالك في الموطأ، ٢/ ٨٢٤، برقم ١٥٠٦، قال ابن عبد البر في الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٢٤/ ٦٨: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ». بلفظ: «وَإِذَا أَرَدْتَ فِي النَّاسِ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ».

التَّفْرِيطِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْمُوَطَّأِ مِنْ «دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «**وَإِذَا أَرَدْت بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْك غَيْرَ مَفْتُونٍ**»[1]، وَهَذَا أَشْبَهُ بِمَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ أَنَّهُ قَالَ: فَمَا انْسَلَخَ ذُو الْحِجَّةِ حَتَّى قُتِلَ عُمَرُ ﷺ»[2].

وقال الإمام ابن باز رحمه الله: «طلب الموت يا أخي لا يجوز، ولا يجوز تمنيه أيضاً لقول النبي ﷺ: «**لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به؛ فإن كان لا بد متمنياً، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي**» متفق على صحته[3].

وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: « **اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي**»[4]، فنوصيك بهذا الدعاء ، أصلح الله حالك وقدر لك ما فيه الخير والصلاح وحسن العاقبة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[5].

٥-خشية الله بالغيب هي رجاء كل مؤمن؛ لأنها دليل على يقظة القلب، وتعظيم معرفة أن الله مُطَّلِع على عبده في كل الأحوال. فلا يجعل العاقل ربه أهونَ الناظرين إليه، قال الله في صفات أهل الجنة: ﴿**مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ**

---

(١) مسند أحمد، ٤٢٢/٣٦، برقم ٢٢١٠٩، ولفظه: «وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ» ضعفه محققو المسند، ٣٦/ ٤٢٣، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٥٨٢، ومالك في الموطأ، ١/ ٢١٨، برقم ٥٠٨.

(٢) المنتقى شرح الموطأ، ٧/ ١٣٩.

(٣) رواه البخاري في الدعوات، باب الدعاء بالموت، برقم ٦٣٥١، ومسلم في الذكر والدعاء والاستغفار، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به، برقم ٢٦٨٠.

(٤) رواه الإمام أحمد، ٣٠/ ١٦٤، برقم ١٨٣٢٥، والنسائي في كتاب السهو، نوع آخر، برقم ١٣٠٥، وصحيح ابن حبان، ٥/ ٣٠٤، برقم ١٩٧١، والحاكم وصححه، ١/ ٥٢٤، وصححه محققو المسند، ٣٠/ ١٦٥، والألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٣/ ٤٠١، برقم ١٩٦٨، مشكاة المصابيح، ١/ ٤٠٤، برقم ٢٩٧٤.

(٥) مجموع فتاوى ابن باز، ١٣/ ٩٢.

بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾(١).

٦-قرة العين في الدنيا تكون بالتوفيق للطاعة؛ ولذا قال النبي ﷺ: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»(٢).

٧-إثبات أن أهل الإيمان والجنان يرون ربهم يوم القيامة، وأن ذلك ثابت بالكتاب والسنة الصحيحة، فمن ذلك قول الله ﷻ: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾(٣)، وقول النبي ﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته**»(٤)، وهذا هو معتقد الفرقة الناجية ومما تواترت به الأحاديث الصحيحة:

مما تواتر حديث من كذب ... ومن بنى لله بيتًا واحتسب
ورؤية شفاعة والحوض ... ومسح خفين وهذه بعض(٥)

٦٣-(٩)«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا أَللَّهُ، بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ، الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ، وَلَمْ يَكنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»(٦).

---

(١) سورة ق، الآية: ٣٣.

(٢) مسند أحمد، ٢١/ ٤٣٣، برقم ١٤٠٣٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣١٩٨.

(٣) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢-٢٣.

(٤) البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، برقم ٥٥٤.

(٥) نظم المتناثر لمحمد بن جعفر الكتاني، ص ١٨، وقال فيه: وقال «الشيخ التاودي في حواشيه على الصحيح» واستشهد به العلامة ابن عثيمين رحمه الله في عدة كتب منها شرح رياض الصالحين في شرح الحديث رقم ١٨٩٦.

(٦) أخرجه النسائي، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، برقم ١٣٠٠ بلفظه، وأحمد، ٣١/ ٣١٠، برقم ١٨٩٧٤، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/ ٢٨٠ .

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٢٨-عن مِحْجَنِ بْنِ الْأَدْرَعِ[١] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، إِذَا رَجُلٌ قَدْ قَضَى صَلَاتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا أَللَّهُ بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَدْ غُفِرَ لَهُ**» ثَلَاثًا[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللهمّ إني أسألك**»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «لا خلاف أن لفظة: (**اللهمّ**) معناها: يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب»[٣]، قال العسكري رحمه الله: «الْمَسْأَلَة يقارنها الخضوع والاستكانة... وَالدُّعَاء إِذا كَانَ لله تَعَالَى فَهُوَ مثل الْمَسْأَلَة مَعَه استكانه وخضوع»[٤]، وقال القاري رحمه الله: «أي أطلبك مقصودي، فالمفعول مقدر: أي: أدعوك، فيكون ألطف سؤال إلى أشرف نوال»[٥]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «سؤال الله، والتوسل إليه بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وفعل ما يحبه، والعبودية والطاعة، هو من جنس فعل ذلك؛ رجاء لرحمة الله، وخوفاً من عذابه، وسؤال الله بأسمائه وصفاته»[٦].

٢-قوله: «**بأنك الواحد الأحد**»: هو الذي توحّد بجميع الكمالات، بحيث

---

(١) محجن بن الأدرع رضي الله عنه: روى عنه حنظلة الأسلمي، ورجاء بن أبي رجاء الباهلي، وعبد الله بن شقيق، سكن البصرة، وهو الذي اختط مسجدها ممن أسلموا قديمًا، ويقال: مات في خلافة معاوية رضي الله عنه. تهذيب الكمال، ١٠/ ٤٩.

(٢) النسائي، برقم ١٣٠٠، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/ ١٨٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) جلاء الأفهام، ص ١٤٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦، من حديث المتن رقم ١.

(٤) الفروق اللغوية للعسكري، ص ٣٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٦١.

(٥) مرقاة المفاتيح، لملا علي القاري، ١/ ٤٣٦.

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ٢/ ٣٢٢.

لا يشاركه فيها مشارك، ويجب على العبيد توحيده عقدًا، وقولًا، وعملًا، بأن يعترفوا بكماله المطلق، ويفردوه بأنواع العبادة[1].

٣-قوله: «**الصمد**»: الصمد في اللغة هو السيد المطاع الذي لا يقضى دونه أمر، وقيل هو الذي يصمد، أي يُقصد في الحوائج، وفي حق الله ﷻ: قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الصمد هو السيد الذي كَمُل في سؤدده، والشريف الذي كمل في شرفه، والعظيم الذي كَمُل في عظمته، والحليم الذي كمل في حلمه، والعليم الذي كمل في علمه، والحكيم الذي كمل في حكمته، وهو الذي كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه، وهذه صفته، لا تنبغي إلا له، ليس له كفء، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار»[2].

٤-قوله: «**لم يلد**»: أي لا ولد له، قال الله تعالى: ﴿**أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[3].

فهو سبحانه لم يلد؛ لأنه لا يفنى، إذ لا شيء يلد إلا وهو فانٍ بائدٌ لا محالة.

٥-قوله: «**ولم يولد**»: أي ليس بمحدث بأن لم يكن فكان، فهو كائن أولًا وأبدًا[4].

٦-قوله: «**ولم يكن له كفوًا أحد**»: أي لا ندَّ ولا شبيه، ولا نظير، ولا مثيل له؛ لأنه المنفرد وحده بصفات الكمال والجلال والعظمة، فلا تنبغي الألوهية إلا له، ولا تصلح العبادة لأحد غيره، قال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ لا في أسمائه، ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى، فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات»[5].

---

(١) تفسير السعدي، ٥/٢٩٨ – ٢٩٩.
(٢) ابن كثير. سورة الإخلاص، وانظر مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٢٧/٢٢٠.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠١.
(٤) تفسير الجزائري، ص ٢١١١.
(٥) تفسير السعدي، ص ٩٣٧.

٧- قوله: «**قضى صلاته**» أي أتمّها، وفرغ منها[١].

٨-قوله: «**يتشهد**»: يريد تشهد الصلاة، وهو التحيات، سُمِّي تشهداً؛ لأن فيه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهو تفعّل من الشهادة[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-ما كان عليه الرسول ﷺ من الاعتناء بأصحابه وبذل النصح والتوجيه لهم.

٢-التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلا، تزيد العبد محبة لله ﷻ، وتقوّي نبتة الإيمان في قلبه.

٣-تقرير عقيدة التوحيد الذي من أجله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمن وكافر، وشقي وسعيد.

٤-إذا تقرر عند المسلم معنى الواحد الأحد، لم يصرف شيئًا من عبادته لغير الله، فيكون كل أعمال البدن من: صلاة، أو دعاء، أو ذبح، أو نذر لله، وكذلك كل أعمال القلب: كالخشية، والإنابة، والخوف، والتوكل تكون كلها لله.

٥- قال بعض أصحاب المعاني: الفرق بين الواحد والأحد أن الواحد يفيد وحدة الذات فقط، والأحد يفيده بالذات والمعاني؛ ولذا جاء في التنزل: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ أي المتفرد بالواحدانية في ذاته وصفاته[٣].

٦- جاء عن النبي ﷺ أن من نسب لله الولد فقد شتمه – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا – «**قال الله تعالى: كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد، الذي لم**

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ٢/ ١٨٩.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٥١٤.
(٣) اشتقاق الأسماء للزجاجي، ص ٥٢.

ألد، ولم أولد، ولم يكن لي كفوًا أحد»[١].

***

٦٤-(١٠)«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ، الْمَنَّانُ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ»[٢].

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٢٩-عَنْ أَنَسِ بن مالكٍ ﵁[٣]، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»[٤].

٢٣٠-ولفظ النسائي: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ﵁[٥]، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا - يَعْنِي - وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ وَتَشَهَّدَ دَعَا، فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ

---

(١) البخاري، كتاب التفسير، باب حدثنا أبو اليمان، برقم ٤٩٧٤.

(٢) رواه أهل السنن: أبو داود، كتاب الوتر، باب الدعاء، برقم ١٤٩٥، والترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا قتيبة، برقم ٣٥٤٤، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، برقم ٣٨٥٨، والنسائي، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، برقم ١٢٩٩، وابن منده في كتاب التوحيد، ٢/ ١٦٦، برقم ٣٠٩، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/٣٢٩، وصحيح أبي داود، ٥/ ٢٣٣، وفي صفة صلاة النبي ﷺ، ص ٢٠٣ .

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٤) أخرجه أبو داود، برقم ١٤٩٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٥/ ٢٣٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»[1].

٢٣١-ولفظ ابن منده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ كَانَ يَدْعُو اللَّهَ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»» وَرَوَى حَفْصُ ابْنُ أَخِي أَنَسٍ، عَنْ أَنَسٍ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ عُبَيْدٍ، وَرَوَى ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ أَنَسٍ نَحْوَهُ، وَزَادَ فِيهِ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ**»[2].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللهمّ إني أسألك**»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «لا خلاف أن لفظة: (**اللهمّ**) معناها: يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب»[3]، و«الْمَسْأَلَة يقارنها الخضوع والاستكانة»[4]، وقال القاري رحمه الله: «أي أطلبك مقصودي»[5]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «سؤال الله، والتوسل إليه بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وفعل ما يحبه»[6].

٢-قوله: «**بأن لك الحمد**»: قال الفيومي: «أي: لك المنة على ما ألهمتنا، أو لك الذكر والثناء؛ لأنك المستحق لذلك، وفي «ربنا لك الحمد» دعاء خضوع،

---

(١) النسائي، برقم ١٢٩٩، وتقدم تخريجه تخريج حديث المتن.
(٢) التوحيد لابن منده، ٢/ ١٦٦، برقم ٣٠٩، وصحح إسناده الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ، ص ٢٠٣.
(٣) جلاء الأفهام، ص ١٤٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من شرح حديث المتن رقم ١.
(٤) الفروق اللغوية للعسكري، ص ٣٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٦١.
(٥) مرقاة المفاتيح، لملا علي القاري، ١/ ٤٣٦.
(٦) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ٢/ ٣٢٢، وتقدم شرحه في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٦١.

واعتراف بالربوبية، وفيه معنى الثناء والتعظيم، والتوحيد»[(١)]. وقال القاري: «لك الحمد: تقديم الخبر يدل على التخصيص، قاله الطيبي، وكذلك لام الجر مع لام الجنس أو العهد في الحمد»[(٢)].

٣-قوله: «**لا إله إلا أنت**»: أي : لا معبود بحقٍّ غيرك، ولا معروف بهذه المعرفة سواك[(٣)]، قال الطيبي رحمه الله: «إثبات للإلهية المطلقة لله تعالى على سبيل الحصر، بعد إثبات الملك له»[(٤)].

٤-قوله: «**وحدك لا شريك لك**»: قال الطبري رحمه الله: «وحدَك لا شريك لك، مخلصين لك العبادةَ دونَ ما سِواك من الآلهة والأوثان»[(٥)].

٥-قوله:«**المنّان**»: عظيم المواهب، كثير العطاء، فله المنة على عباده، ولا منة لأحد منهم عليه، قال ابن الأثير رحمه الله: «فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى: «الْمَنَّانُ»: هُوَ الْمُنْعِمُ الْمُعْطِي، مِنَ الْمَنّ: العَطاء، لَا مِنَ الْمِنَّةِ، وَكَثِيرًا مَا يَرِدُ المَنُّ فِي كلامِهِم بِمَعْنَى الْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ لَا يَسْتَثِيبُه، وَلَا يَطْلُبُ الجَزَاءَ عَلَيْهِ، فَالْمَنَّانُ مِنْ أبنيةِ المُبَالَغة، كالسَّفاكِ والوَهَّابِ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «مَا أحدٌ أَمَنُّ عَلَيْنَا مِنَ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ»[(٦)] أَيْ: مَا أَحَدٌ أَجْوَدُ بمالِه، وذاتِ يَدِه، وَقَدْ يَقَعُ الْمَنَّانُ عَلَى الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إلاَّ مَنَّهُ، واعْتَدَّ بِهِ عَلَى مَن أعطاهُ، وَهُوَ مَذمُومٌ؛ لِأَنَّ الْمِنَّةَ تُفْسِدُ الصَّنِيعَةَ»[(٧)].

---

(١) المصباح المنير، ١/ ١٥٠، مادة (حمد).
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٣٢٠.
(٣) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٣.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.
(٥) تفسير الطبري، ١/ ١٦٦.
(٦) أخرجه البخاري، برقم ٤٦٦، ومسلم، برقم ٢٣٨٢، ولفظه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «...إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ».
(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٣٦٥، مادة (منّ).

٦-قوله: «**بديع السموات والأرض**»: أي خالقهما، ومبدعهما على غير مثال سابق، قال السعدي رحمه الله: «أي: خالقهما ومبدعهما، في غاية ما يكون من الحسن، والخلق، البديع، والنظام العجيب المحكم»[١].

٧-قوله: «**يا ذا الجلال والإكرام**»: قال الحليمي[٢]: أي: المستحق أن يُهاب لسلطانه، ويثنى عليه بما يليق بعلو شأنه، وهو الذي لا جلال ولا كمال إلا وهو له، ولا مكرمة إلا وهي صادرة عنه فالجلال له في ذاته، والكرامة فائضة منه على خلقه، ولا تكاد تنحصر وتتناهى، قال الله عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾[٣]، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «أي: عظمت خيراتك وبركاتك ونعمك على عبادك»[٤].

٨-قوله: «**يا حي**»: الحي صفة من الصفات الذاتية لله تعالى، قال الخطابي[٥]: «هو الذي لم يزل موجودًا، وبالحياة موصوفًا، لم تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعترضه الموت بعد الحياة، ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾[٦] يعني الكامل في حياته»[٧]، وقال السعدي رحمه الله: «الحي: من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك»[٨].

---

(١) تفسير السعدي، ص ٩٤٨.
(٢) انظر: النهج الأسمى للنجدي، ٢/ ٢٢٣.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.
(٤) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٨٧٧.
(٥) شأن الدعاء، ص ٨٠.
(٦) سورة القصص، الآية: ٨٨.
(٧) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٠١٩.
(٨) تفسير السعدي، ص ١١٠.

٩-قوله: «يا قيوم»: قال الزجاجي[١]: هو من أوصاف المبالغة في الفعل، وهو من قوله ﷻ: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[٢]، أي يحفظ عليها، ويجازيها، ويحاسبها، وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه، وكمال قدرته؛ فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته وهذا من كمال قدرته وعزته فانتظم هذان الإسمان صفات الكمال والغنى التام والقدرة التامة»[٣]..

١٠-قوله: «اللَّهم إني أسألك الجنة»: قال العسكري رحمه الله: «الْمَسْأَلَة يقارنها الخضوع والاستكانة... وَالدُّعَاء إِذا كَانَ لله تَعَالَى فَهُوَ مثل الْمَسْأَلَة مَعَه استكانه وخضوع»[٤].

١١-قوله: «وأعوذ بك من النار»: أي: من دخولها ولو ابتداءً، أو لمدة يسيرة، وهذا سؤال استعاذة[٥].

١٢-قوله: «لقد دعا الله باسمه العظيم»: قال ابن العربي رحمه الله: «فإن قيل: ما معنى الأعظم؟ قلنا: أما الأعظم، فهو عظيم الثواب، فلا ثواب أعظم منه، ولا ثواب أعظم من الثواب على ذكر الله، ويطابق هذا قوله: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾[٦]، وهو الاسم الأعظم؛ لأنه قسم العموم، والكثير المتعلقات، فليس فى الأسماء أكثر متعلقات منه، ولا أعم مقتضى من قولك: الله؛ فإن

---

(١) اشتقاق الأسماء، ص ١٠٥.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٣.
(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٤١٠)
(٤) الفروق اللغوية للعسكري، ص ٣٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ٦١.
(٥) تقدم في شرح المفردة رقم ٢ من حديث المتن رقم ٦١.
(٦) سورة طه، الآية: ١٤.

جميع الأسماء تدخل فيه، والصفه تضم معانيها، وتقتضيه، فإذا قيل: مَن الرب، مَن الملك، مَن القدوس؟ قيل: الله؟ وبه دعا يونس في ظلمات البحر والحوت»(١). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «النُّصُوصَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَعْضَ أَسْمَائِهِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَلِهَذَا يُقَالُ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، وَتَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَعْضَ صِفَاتِهِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَبَعْضُ أَفْعَالِهِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، فَفِي الْآثَارِ ذَكَرَ اسْمَهُ الْعَظِيمَ، وَاسْمَهُ الْأَعْظَمَ، وَاسْمَهُ الْكَبِيرَ وَالْأَكْبَرَ»(٢).

١٣-قوله: «**الذي إذا سئل (دعي) به أجاب، وإذا سئل به أعطى**»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأخبر النبي ﷺ أن الدعاء يستجاب إذا تقدمه هذا الثناء والذكر، وأنه اسم الله الأعظم، فكان ذكر الله ﷻ، والثناء عليه أنجح ما طلب به العبد حوائجه، وهذه فائدة أخرى من فوائد الذكر، والثناء أنه يجعل الدعاء مستجاباً، فالدعاء الذي تقدمه الذكر والثناء أفضل، وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد؛ فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله، ومسكنته، وافتقاره، واعترافه كان أبلغ في الإجابة، وأفضل؛ فإنه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله، وإحسانه، وفضله، وعرض بل صرح بشدة حاجته وضرورته، وفقره ومسكنته، فهذا المقتضى منه، وأوصاف المسؤول مقتضى من الله، فاجتمع المقتضي من السائل، والمقتضى من المسؤول في الدعاء، وكان أبلغ وألطف موقعاً، وأتم معرفة وعبودية، وأنت ترى في المشاهد - ولله المثل الأعلى - أن الرجل إذا توسل إلى ما يريد معروفة بكرمه، وجوده، وبره، وذكر حاجته، هو وفقره، ومسكنته، كان أعطف لقلب المسؤول، وأقرب لقضاء حاجته؛ فإذا قال له: أنت جودك قد سارت به الركبان، وفضلك كالشمس لا تنكر، ونحو ذلك، وقد بلغت بي الحاجة والضرورة مبلغاً لا صبر معه،

---

(١) المسالك في شرح موطأ مالك، ٣/ ٤٩١.
(٢) مجموع الفتاوى، ١٧/ ٩٠.

ونحو ذلك كان أبلغ في قضاء حاجته من أن يقول ابتداء أعطني كذا»[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-استحباب تقديم الثناء على الله على الصلاة على نبيه»[٢].

٢- مشروعية التنويع في الأدعية التي يقولها المصلي قبل التسليم، وجواز الجمع بين أكثر من دعاء في صلاة واحدة، شريطة مراعاة أحوال من خلفه، إذا صلى بالناس إمامًا.

٣-إيضاح أن السنة منها ما هو قولي، وما هو فعلي، وما هو تقريري كما في هذا الحديث.

٤-ما كان عليه الصحابة ﷺ من الاجتهاد في الدعاء، وتعظيم الرغبة في الله.

٥- في اسم الله المنان: قال ابن الأثير[٣]: هو المنعم المعطي، من المنّ أي: العطاء، لا من المنة، قال القرطبي: وقد يكون مشتقًّا من المنة التي هي التفاخر بالعطية على المعطى له، وتعديد ما عليه، والمعنيان صحيحان في حق الله، بخلاف الإنسان؛ فإن المعنى الأول يكون محمودًا في حقه، ويكون الثاني مذمومًا، فمن الأول أي المحمود قول النبي ﷺ: «**وإن من أمنَّ الناس علي في ماله أبو بكر**»[٤]، ومن الثاني: قول الله: ﴿**لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى**﴾[٥].

٦٥-(١١)«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ»[٦].

---

(١) الوابل الصيب، ص ١٢٠.

(٢) فتح الباري، لابن رجب، ٥/ ١٩٥.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٣٦٤، مادة (من).

(٤) البخاري، كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، برقم ٤٦٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٦) أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم ١٤٩٣، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله ﷺ، برقم ٣٤٧٥، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، برقم ٣٨٥٧، والنسائي، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، برقم ١٣٠٠ بلفظه، وأحمد، ٣١/ ٣١٠، برقم ١٨٩٧٤، وصحح إسناده محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح النسائي،

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٣٢-عن بُرَيْدَةَ بن الحَصِيبِ(١)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالِاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١٤-قوله: «**اللهمّ إني أسألك**»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «لا خلاف أن لفظة: (**اللهمّ**) معناها: يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب»(٣)، و«الْمَسْأَلَة يقارنها الخضوع والاستكانة»(٤)، وقال القاري رحمه الله: «أي أطلبك مقصودي»(٥)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «سؤال الله، والتوسل إليه بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وفعل ما يحبه»(٦).

=

١/ ٢٨٠، ٣١/ ٣١٠، وفي صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٢٩، وفي صحيح الترمذي، ٣/ ١٦٣ .

(١) بريدة بن الحصيب الأسلمي؛ أبو عبد الله، وقيل أبو سهل، وقيل أبو ساسان، والمشهور الأول، قيل إنه أسلم عام الهجرة، وشهد خيبر، وفتح مكة، وكان يحمل اللواء لأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين غزا أرض البلطاء بعد موت النبي ﷺ، سكن البصرة مدة، ثم غزا خراسان في زمن عثمان رضي الله عنه، مات بخراسان عام ٦٢ هـ وهو آخر من مات من الصحابة بخراسان. سير أعلام النبلاء، ٢/ ٤٦٩، ترجمة رقم (٩١).

(٢) أخرجه أبو داود، برقم ١٤٩٣، والترمذي، برقم ٣٤٧٥، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/ ١٨٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) جلاء الأفهام، ص ١٤٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من حديث المتن رقم ١.

(٤) الفروق اللغوية للعسكري، ص ٣٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٦١.

(٥) مرقاة المفاتيح، لملا علي القاري، ١/ ٤٣٦.

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ٢/ ٣٢٢، وتقدم شرحه في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٦١.

١٥-قوله: «**بأني أشهد أنك أنت الله**»: مَعْنَاهُ، أَعْلَمُ وَأُبَيِّنُ ...حَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ هُوَ تَيَقُّنُ الشَّيْءِ وَتَحَقُّقُهُ مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيْ حُضُورِهِ(١).

١٦- قوله: «**الِاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**» الفرق بين قوله: إذا سئل به أعطى، وبين قوله: إذا دُعي به أجاب: أن الثاني أبلغ، فإن إجابة الدعاء تدل على شرف الداعي، ووجاهته عند المجيب، فتتضمن أيضاً قضاء حاجته، بخلاف السؤال، فقد يكون مذموماً، ولذلك ذمّ السائل في كثير من الأحاديث، ومدح المتعفف، على أن في الحديث دلالة على فضل الدعاء على السؤال(٢).

سبق شرح مفرداته، وبيان فوائده في شرح حديث المتن رقم ٦٣، ورقم ٦٤.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-اسم الله الأعظم: وردت فيه أحاديث:

١-أنه الأحد الصمد، وهو هذا الحديث وفيه أن النبي ﷺ سمع رجلًا يقول هذا الدعاء فقال النبي ﷺ: «**لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دُعي به أجاب**»(٣).

٢-أنه الحي القيوم: لقول الرسول ﷺ: «**اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور: البقرة، وآل عمران، وطه**»(٤).

٣-اختارت طائفة أن المراد باسم الله الأعظم هو «الله»؛ لأنه مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال، وبه قال ابن القيم، والطحاوي؛ لأن الأحاديث الواردة في بيان اسم الله الأعظم كلها تضمنت هذا الاسم «الله».

---

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ٢/ ١٢٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ١٤.
(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٦٥٤.
(٣) أبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم ١٤٩٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٤٩٥.
(٤) ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، برقم ٣٨٥٦، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٧٤٦.

٤- دلت هذه النصوص وغيرها على أن أسماء الله الحسنى تتفاضل، خلافًا لمن نفى ذلك، ولذلك فقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا الأمر بقوله: «وقول من قال: صفات الله لا تتفاضل ونحو ذلك، قول لا دليل عليه...، وكما أن أسماءه وصفاته متنوعة، فهي أيضًا متفاضلة، كما دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع مع العقل»[1].

٥- أن هذا الاسم هو المنان؛ لقول النبي ﷺ لما سمع رجلًا يقول: اللَّهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، المنان، بديع السموات والأرض، ذو الجلال والإكرام، فقال ﷺ: « **يا بديع السموات، يا حيّ يا قيّوم، إني أسألك، فقال** ﷺ: «**أتدرونَ بما دعا؟ والذي نفسي بيده، دعا الله باسمه الذي إذا دعي به أجاب**»[2].

٦- قال الشيخ/ عبد الرزاق البدر: «وعلى كل حال فهذه مسألة اجتهاد لعدم ورود دليل قطعي الدلالة على التعيين يجب أن يصار إليه، إلا من دعا الله بالأدعية المتقدمة» وقد علق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله على هذا الموطن بقوله: «والصواب أن الأعظم بمعنى العظيم، وأن أسماء الله سبحانه كلها حسنى وكلها عظيمة ومن سأل الله سبحانه بشيء منها صادقًا مخلصًا سالمًا من الموانع، رُجيت إجابته ويدل على ذلك اختلاف الأحاديث الواردة في ذلك، ولأن المعنى يقتضي ذلك»[3].

***

---

(١) انظر: جواب أهل العلم والإيمان، ص ١٩٧ وما بعدها.

(٢) الأدب المفرد، ص: ١٧٨،) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٤٦.

(٣) انظر: فقه الأدعية والأذكار، ١/ ١٤٧.

٢٥ – الأذْكَارُ بَعْدَ السَّلاَمِ مِنَ الصَّلاَةِ

٦٦-(١)«أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ (ثَلاَثاً) اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ، وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالْإِكْرَامِ»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٣٣-عَنْ ثَوْبَانَ(٢)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «**اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**» قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: «كَيْفَ الْاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ...»(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**أستغفر الله**»: أي: أطلب من الله المغفرة على التقصير في عبادته، وذلك لما يعرض للعبد في صلاته من الهواجس والشواغل، قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «معناه: أطلبُ مغفرتَهُ، فهو كقولِهِ اللَهُمَّ اغفرْ لِي، فالاستغفارُ التامُ الموجبُ للمغفرةِ: هو ما قارنَ عدمَ الإصرارِ، كما مدحَ اللَّهُ أهلَهُ، ووعدَهُم المغفرةَ...فأفضلُ الاستغفارِ ما اقترَنَ به تركُ الإصرارِ، وهو حينئذٍ توبة نصوح،

---

(١) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، برقم ٥٩١.

(٢) ثوبان بن بُجدد القرشي الهاشمي: مولى رسول الله ﷺ، أصابه سباء، فاشتراه رسول الله ﷺ وأعتقه، فلزم النبي ﷺ، ولم يزل معه في الحضر والسفر، وحفظ عنه علمًا كثيرًا، وطال عمره، واشتهر ذكره، حتى عرف بثوبان النبوي، وبعد موت النبي ﷺ نزل الرملة، ثم انتقل إلى حمص، وابتنى بها دارًا، ومات بها عام ٥٤ هـ، روى له الجماعة إلا البخاري. انظر: الاستيعاب، ١/٢٨٦، أسد الغابة، ١/ ٣٦٦ ترجمة رقم ٦٢٣، والإصابة، ١/٩٦٨.

(٣) مسلم، برقم ٥٩١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وإن قالَ بلسانِهِ: أستغفرُ اللَّهَ، وهو غيرُ مقلع بقلبِهِ، فهو داع للَّه بالمغفرةِ، كما يقولُ: اللَّهُمَّ اغفر لي، وهو حسن، وقد يُرجَى له الإجابةُ»[١].

٢-قوله: «**اللهمّ**»: أي: أدعو وأطلب من اللَّه ربي، وقال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا خلاف أن لفظة: (**اللهمّ**) معناها: يا اللَّه؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب»[٢]. ويرى القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن المفعول مقدر: أي: أدعوك، فيكون ألطف سؤال إلى أشرف نوال»[٣].

٣-قوله: «**أنت السلام**»: هو اسم من أسماء اللَّه الحسنى، ومعناه: السالم من صفات النقص، وأفعال النقص، وأسماء النقص، فهو السلام الحق بكل اعتبار.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهو السلام على الحقيقة سالم   من كل تمثيل ومن نقصان[٤]

٤-قوله: «**ومنك السلام**»: أي: مبدؤه منك، فكل سلام ورحمة فله ومنه، وهو مالكها، ومسديها، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني منك السلامة، لولا اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ما سلمنا، ولا عملنا، ولا قمنا، ولا قاتلنا»[٥].

٥-قوله: «**تباركت**»: أي: تعاليت، وتعاظمت، فهو الذي كمل في بركاته «تبارك اسمه، وتباركت أوصافه، وتباركت أفعاله، وتباركت ذاته»[٦]، وهذه اللفظة تبارك لا يوصف بها إلا رب العالمين.

٦-قوله: «**يا ذا الجلال والإكرام**»: أي: المستحق أن يهاب لسلطانه فلا

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي، ١/ ١٥٢.
(٢) جلاء الأفهام، ص ١٤٣، وتقدم شرحها في شرح المفردة رقم ٦ من حديث المتن رقم ١.
(٣) مرقاة المفاتيح، لملا علي القاري، ١/ ٤٣٦.
(٤) الكافية الشافية، ص ٢١٢.
(٥) شرح رياض الصالحين، الحديث رقم ١٨٧٧.
(٦) شفاء العليل لابن القيم ، ٢/٥٢١.

يجحد، ولا يكفر، بل: يجلُّ ويكرم من قبل عباده. ويدخل في معنى الإكرام أنه ﷻ مُكرم لأهل طاعته، وولايته، ويدخل في هذا المعنى إجلاله تعالى بقبول أعمالهم، ورفع درجاتهم في الآخرة، وقد جاء في الحديث: «**أَلِظُّوا بياذا الجلال والإكرام**»[١]، قال المناوي: «ومعنى ألظوا: أي الزموا هذه الدعوة، وأكثروا منها في دعائكم... فالمراد: دوموا على قولكم ذلك في دعائكم، واجعلوه هجيراً لكم؛ لئلا تركنوا، أو تطمئنوا لغيره، قال الزمخشري: ألظَّ، وألبَّ، وألجَّ أخوات في معنى اللزوم والدوام، ويقال: ألظ المطر بمكان كذا، أو أتتني ملظتك، أي: رسالتك التي ألححت فيها»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-إظهار الافتقار إلى الله، وأن العبد لم يقم بالصلاة على الوجه الذي يليق بعظمة من فرضها عليه من فوق سبع سموات ليلة المعراج.

٢-الاستغفار يكون لجبر ما في الصلاة من خلل، أو تقصير.

٣-مشروعية البدء بهذا الذكر بعد الانتهاء من السلام من الصلاة المفروضة.

٤-يدخل في الاستغفار التقصير في الخشوع في الصلاة، وهذا أمر باطن، والتقصير في هيئة الصلاة، وهذا أمر ظاهر.

٥-مشروعية ختم الأعمال العظيمة بالاستغفار كما قال ﷻ في آيات الحج: ﴿**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[٣].

٦- قيل لأحد رواة هذا الحديث، وهو الإمام الأوزاعي رحمه الله: كيف الاستغفار؟ فقال يقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله:

---

(١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا محمد بن حاتم، برقم ٣٥٢٤، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٥٣٦.
(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٢٠١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٩.

«وكذلك حديث ثوبان، لكنه ذكر مقيد أن النبي ﷺ كان إذا انصرف من صلاته قال: أستغفر الله يعني استغفر ثلاثا قال: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام»[١].

٧- قال العلامة الحبر ابن عثيمين رحمه الله: والمناسبة في قول هذا الذكر بعد الصلاة ظاهرة، كأنك تقول: اللَّهم أنت السلام، فسلِّم لي صلاتي من الرد والنقصان؛ لأن الصلاة قد تقبل، وقد لا تقبل[٢].

٨- يستحب في حق الإمام أن يبقى بعد السلام متجهًا إلى القبلة حتى ينتهي من هذا الذكر؛ لقول عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ إذا سلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول... ثم ذكرت هذا الدعاء[٣].

٩- الحكمة من الاستغفار، والذكر بعد الصلاة أن هذه أوقات إجابة، وشهود للملائكة هذه الصلوات، فحريٌّ بالعبد أن يحرص على ذلك.

١٠- قال القرطبي: وأما الإكرام، ففيه معنى الإنعام إلا أن الإكرام أخص من الإنعام؛ لأن الإنعام قد يكون على العاصي، أما الإكرام فهو لأحبابه؛ لذلك: يقال كرامات الأولياء[٤].

***

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤١٥، وهكذا ذكره بعض مخرجي الحديث وشراحه، انظر: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للزين العراقي، ٢/ ٨١٨، وتبعه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي، ٥/ ٩٧، ذكروه بلفظ: «قال الوليد: فقلت للاوزعى كيف الاستغفار قال تقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله».

(٢) انظر: الشرح الممتع، ٣/ ٢٢٢.

(٣) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، برقم ٥٩٢.

(٤) انظر: الكتاب الأسنى، ورقة ٢٧٥.

٦٧-(٢)«لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْـدَهُ لاَ شَـرِيكَ لَـهُ، لَـهُ الْمُلْـكُ، وَلَـهُ الْحَمْـدُ، وَهُـوَ عَلَـى كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ» ثلاثـاً، اللَّهُـمَّ لاَ مَـانِعَ لِمَـا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٣٤-كَتَبَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ﷺ[٢] إِلَى مُعَاوِيَةَ ﷺ[٣]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ، إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»[٤].

٢٣٥-وفي لفظ للبخاري: **أن الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ**: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»[٥].

٢٣٦-وفي لفظ الطبراني في المعجم الكبير عَنِ الْمُغِيرَةِ بن شُعْبَةَ ﷺ، أَنّ

---

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، برقم ٨٤٤، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، برقم ٥٩٣، وما بين المعقوفين زيادة من صحيح البخاري، برقم ٦٤٧٣.

(٢) المغيرة بن شعبة ﷺ: أبو عيسى، وقيل أبو عبد الله، من كبار الصحابة أولي الشجاعة والمكيدة، شهد بيعة الرضوان، بعدما أسلم عام الخندق، وكان رجلًا طوالًا، مهيبًا، ذهبت عينه يوم اليرموك، روى له الجماعة، وقد مات سنة خمسين وقيل إحدى وخمسين هجريَّة. سير أعلام النبلاء، ٣/ ٢١، ترجمة رقم (٧).

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣١ من أحاديث الشرح.

(٤) مسلم، برقم ٥٩٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) البخاري، برقم ٨٤٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ الصَّلاةِ: «لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»(١). زَادَ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى عَنْ الْمُغِيرَةِ: «**يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ... إِلَى قَدِيرٌ**»(٢).

٢٣٧-وفي لفظ في مسند عبد بن حميد عن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ، قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ ﷺ، إِلَى الْمُغِيرَةِ: أَنِ اكْتُبْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ ثَلاثَةٍ: مِنْ عُقُوقِ الأُمَّهَاتِ، وَمِنِ وَأْدِ الْبَنَاتِ، وَمِنْ مَنْعٍ وَهَاتِ، وَسَمِعْتُهُ يَنْهَى عَنْ ثَلاثٍ: عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ رَادَّ لِمَا قَضَيْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»(٣).

٢٣٨-وفي لفظ للطبراني في الدعاء عن ورَّاد كاتب الْمُغِيرَةِ ﷺ أيضاً قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ﷺ إِلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ أَنِ اكْتُبْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلا رَادَّ لِمَا قَضَيْتَ، وَلا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**»(٤).

---

(١) المعجم الكبير للطبراني، ٢٠/ ٣٩٢، برقم ٩٢٦، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ١٠/ ١٠٣: «هُوَ فِي الصَّحِيحِ بِاخْتِصَارٍ، رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ».

(٢) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٢/ ٣٣٢: «زَادَ الطَّبَرَانِيُّ مِن طَرِيق أُخرَى عَن المُغِيرَة: «يُحيِي وَيُمِيت، وهُو حَيّ لا يَمُوت، بِيَدِهِ الخَير، إِلَى ... قَدِير» ورُواته مُوثَّقُونَ». ا.هـ

(٣) مسند عبد بن حميد، ص: ١٥٠، وسمعت شيخنا ابن باز ﷺ يقول:بأن هذه الزيادة ثابتة، وقد بحثت عنها فوجدتها عند عبد بن حميد في مسنده، ص١٥٠-١٥١، برقم ٣٩١، وانظر: نيل الأوطار، ٢/١٠٠.

(٤) الدعاء للطبراني، ص: ٢١٧، برقم ٦٨٦، وقال ابن حجر ﷺ في فتح الباري، ١١/ ٥١٣: «ولا مُعطِيَ لِما مَنَعت» زادَ فِيهِ مِسعَرٌ عَن عَبد المَلِك بِن عُمَير عَن ورّاد: «ولا رادَّ لِما قَضَيت» أَخرَجَهُ الطَّبَرانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنهُ، وذَكَرت لِهَذِهِ الزِّيادَة طَرِيقًا أُخرَى هُناكَ، وكَذا رُوِّيناها فِي فَوائِد أَبِي سَعدٍ الكَنجَرُوذِيّ».

٢٣٩-وفي رواية للبخاري: عَنْ وَرَّادٍ كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ ﷺ كَتَبَ إِلَى الْمُغِيرَةِ أَنْ اكْتُبْ إِلَيَّ بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُغِيرَةُ إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنَ الصَّلَاةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: «**وَكَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَمَنْعٍ وَهَاتِ، وَعُقُوقِ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدِ الْبَنَاتِ**»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله:«**لا إله إلا الله**»: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «يعني: لا معبود بحق إلا الله تعالى، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله لله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لابد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات؛ ....، حتى يعبد بمقتضى هذه الصفات؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾[٢]، أي: تعبّدوا له، وتوسّلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»[٣].

٢-قوله: «**وحده لا شريك له**»، قال المناوي: «وحده: نصب على الحال، أي لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً، وأما الأول: فلأن وجود إلهين محال، كما تقرر في الأصول، وأما الثاني: فلقوله تعالى: ﴿**أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾[٤]، وذلك يقتضي أن لا شريك له، وهو تأكيد لقوله: «وحده»؛ لأن المتصف بالوحدانية لا شريك له»[٥].

٣-قَوْلُهُ: «**لَهُ الْمُلْكُ**»: أي: أن الله هو النافذ أمره في سمواته، وفي أرضه؛

---

(١) البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يكره من قيل وقال، برقم ٦٤٧٣.
(٢) سورة الأعراف، الاية: ١٨٠.
(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٢.
(٤) سورة الكهف، الاية: ١١٠.
(٥) فيض القدير، ٥/ ٢٠٠.

لأنه ليس كل مالك نافذ أمره فيما يملك، ويفهم من هذا أن الملك أعم من المالك، وقال الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدِ، ... وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ»[1].

٤-قوله: «**وله الحمد**»: أي: الحمد المطلق التام؛ لأن الكون كله يحمده، وهو الذي له صفة الحمد، وإن لم يحمده العباد، كما أنه له تعالى صفة الربوبية، وإن لم يوجد له مربوب، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»[2].

٥- قوله: «**وهو على كل شيء قدير**»: قال ابن جرير: «وهو على كل شيء ذو قدرة، لا يتعذّر عليه شيء أراده»[3]، وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «يسوق الأقدار إلى مواقيتها، ويجريها على نظامها، ويقدم ما يشاء تقديمه، ويؤخر ما يشاء تأخيره، فأزمّة الأمور كلها بيده»[4].

٦-قوله: «**لا مانع لما أعطيت**»: لأن الله إذا أراد أمرًا أنفذه، فلا يمنع أحدًا من خلقه عطاء قدره، وإن اجتمعوا، وتظاهروا لذلك، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا تحقيق لوحدانيته لتوحيد الربوبية خلقاً، وقدراً، وبداية، وهداية، هو المعطي المانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع؛ ولتوحيد الإلهية شرعاً، وأمراً ونهياً»[5].

٧-قوله: «**لا معطي لما منعت**»: أي: لا يقدر أحد على إعطاء ذلك إذا منعته إلا أنت ﴿ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا

---

(١) المنتقى، شرح الموطأ للباجي، ٣ / ٧٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ٢.
(٢) بدائع الفوائد، ٥٣٧/٢، وتقدمت في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن رقم ٢.
(٣) تفسير الطبري، ٢٣/ ١٦٥.
(٤) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ٣/ ٣٤٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات المتن رقم ٢.
(٥) الحسنة والسيئة، ص ١٢٥، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ٤٠.

مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾[1]، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فُهِم أن مُعطي الحظ، ومانعه هو الله تعالى، ليس غيره»[2]، وقال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقتضي نفيَ جميع المُعطِين سواه، وأنه لا معطي، ولا مانع على الحقيقة بفعل المنع، والعطاء سواه، وإذا كان ذَلِكَ كذلك؛ ثبت أن من أعطى، أو منع من المخلوقين، فإعطاؤه، ومنعه خلق لله تعالى، وكسبٌ للعبد، والله تعالى هو المعطي، وهو المانع لذلك حقيقة من حيث كان مُخترعاً خالقًا للإعطاء، والمنع، والعبد مكتسب لهما بقدرة مُحدَثة، فبان أنه إنما بقي مانعًا، ومعطيًا، ومخترعًا للمنع، والإعطاء ويخلقهما»[3] أي الله عَزَّوَجَلَّ.

٨-قوله: «ولا ينفع ذا الجدِ منك الجد»: قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ: الْجَدُّ بِالْفَتْحِ، وَهُوَ الْحَظُّ، وَالْغِنَى، وَالْعَظَمَةُ، وَالسُّلْطَانُ، أَيْ: لَا يَنْفَعُ ذَا الْحَظِّ فِي الدُّنْيَا بِالْمَالِ، وَالْوَلَدِ، وَالْعَظَمَةِ، وَالسُّلْطَانِ مِنْكَ حَظُّهُ، أَيْ: لَا يُنْجِيهُ حَظُّهُ مِنْكَ، وَإِنَّمَا يَنْفَعُهُ، وَيُنْجِيهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ»[4][5]، وقال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «والجد بفتح الجيم: وهو الحظ والبخت، والمعنى: أن لا ينفع ذا الغنى منك غناه، وإنما ينفعه العمل بطاعتك، لا مال، ولابنون، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ﴾[6]. وعلى فتح الجيم أكثر الرواة»[7].

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ١٠١٧.

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٣٠/ ١٧٠.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١٩٦، وانظر أيضاً: شرح النووي على صحيح مسلم، ٥/ ٨٩، وفتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٣٣٢.

(٥) انظر شرح بقية الألفاظ في شرح حديث المتن رقم (٤٠) من هذا الكتاب.

(٦) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

(٧) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٣٠/ ١٦٩.

٩-قوله: «**يحيي ويميت**»: أي هو المنفرد بالإحياء والإماتة فلا تموت نفس بسبب أو بغير سبب إلا بإذنه[(١)]، قال الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[(٢)]، قال الطبري:: «يحيي ما يشاء من الخلق، بأن يوجده كيف يشاء، وذلك بأن يحدث من النطفة الميتة حيوانا، بنفخ الروح فيها من بعد تارات يقلبها فيها، ونحو ذلك من الأشياء، ويميت ما يشاء من الأحياء بعد الحياة، بعد بلوغه أجله فيفنيه»[(٣)].

١٠- قوله: «**وهو حي لا يموت**»: قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: « معنى ذلك عندي: أنه وصف نفسه بالحياة الدائمة التي لا فناءَ لها، ولا انقطاع، ونفى عنها ما هو حالٌّ بكل ذي حياة من خلقه: من الفناء، وانقطاع الحياة عند مجيء أجله، فأخبر عبادَه أنه المستوجب على خلقه العبادة، والألوهة، والحي الذي لا يموت، ولا يبيد، كما يموت كل من اتخذ من دونه ربًّا، ويبيد كلُّ من ادعى من دونه إلهًا، واحتج على خلقه بأن من كان يبيد فيزول، ويموت فيفنى، فلا يكون إلهًا يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد ولا يموت، وأنّ الإله، هو الدائم الذي لا يموت، ولا يبيد، ولا يفنى، وذلك الله الذي لا إله إلا هو»[(٤)].

١١-قوله: «**بيده الخير**»: قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنه سبحانه الغني بذاته عمن سواه، وله الكمال المطلق في ذاته وصفاته، وأفعاله، فملكه ملك كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه على أي وجه كان، ومن الناس من قال إن إيجاده لخلقه

(١) تفسير السعدي، ص ٧٤٢.
(٢) سورة غافر، الآية ٦٨.
(٣) تفسير الطبري، ٢٣/ ١٦٥.
(٤) تفسير الطبري، ٦/ ١٥٧.

على هذا الوجه الموجود أكمل من إيجاده على غيره، وهو خير من وجوده على غيره، وما فيه من الشر فهو شر إضافي نسبي بالنسبة إلى بعض الأشياء دون بعض، وليس شراً مطلقاً بحيث يكون عدمه خيراً من وجوده من كل وجه، بل وجوده خير من عدمه»[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية قول هذا الذكر بعد الصلاة المفروضة مع ما قبله، وما بعده، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِي الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ هَذَا الذِّكْرِ عَقِبَ الصَّلَوَاتِ؛ لِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ أَلْفَاظِ التَّوْحِيدِ، وَنِسْبَةِ الْأَفْعَالِ إِلَى اللَّهِ، وَالْمَنْعِ وَالْإِعْطَاءِ، وَتَمَامِ الْقُدْرَةِ، وَفِيهِ الْمُبَادَرَةُ إِلَى امْتِثَالِ السُّنَنِ، وَإِشَاعَتِهَا»[٢].

٢-إثبات صفة الحمد لله، فهو الذي افتتح الخلق بالحمد بقوله: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾[٣]، وختم الأمر يوم القيامة بقوله: ﴿**وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[٤].

٣-الله ﷻ هو الذي له الملك بلا منازع، ولا معارض؛ ولذلك كره النبي ﷺ أن يتسمى أحد بملك الملوك، قال النبي ﷺ: «**إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك لا مالك إلا الله**»[٥].

٤-بيان أن «**المعطي**» من أسماء الله الحسنى، قال النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم...**»[٦]، وهذا يورث تعلق

---

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ٢٢٨.
(٢) فتح الباري لابن حجر، ٢/ ٣٣٢.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٧٥.
(٥) مسلم، كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك، وبملك الملوك، برقم ٢١٤٣.
(٦) البخاري، كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾، برقم ٣١١٦.

القلب بالله وحده، وعدم انشغاله بما سواه؛ لأن الأمر كله بيده وحده ﷻ.

٥- طلب معاوية بن أبي سفيان ﵁ من المغيرة بن شعبة ﵁ - وكان المغيرة أميرًا على الكوفة من قبل معاوية - طلب منه أن يكتب له كتابًا يذكر فيه ما سمعه المغيرة من النبي ﷺ خلف الصلاة المكتوبة، فذكر له هذا الحديث، وهذا دليل على عناية الأئمة بالسنة، والحرص على نشرها بين الناس.

٦- ومجموع ما صح في هذه الروايات من حديث المغيرة: «**لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا راد لما قضيت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**».

***

٦٨-(٣)«لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَلاَ نَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ، وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٤٠-كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ ﵁(٢)، يَقُولُ: فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ «لَا إِلَهَ

(١) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، برقم ٥٩٤.

(٢) عبد الله بن الزبير بن العوام﵄، أبو خبيب القرشي، أحد الأعلام، أبوه هو حواري النبي ﷺ، وكان عبد الله أول مولود للمهاجرين بالمدينة، أمه أسماء بنت أبي بكر ﵄، بايع لرسول الله وهو =

إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» وَقَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**لا إله إلا الله**»: أي: لا إله إلا الله: من مات معتقداً لها، فهو الذي مات لا يشرك بالله شيئاً»[٢]، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «يعني: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله لله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لابد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات... أي: تعبّدوا له، وتوسّلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»[٣].

٢-قوله: «**وحده لا شريك له**»، قال المناوي: «لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً، ... وهو تأكيد لقوله: «وحده»؛ لأن المتصف بالوحدانية لا شريك له»[٤].

=

صغير، ومات عنه الرسول ﷺ وهو ابن ثمانية أعوام وأربعة أشهر، وكان فصيحًا، ذا لسان، وذا شجاعة وقوة، وكان أطلس لا لحية له، ولا شعر في جسده، روى عن جمع من الصحابة، ولي الخلافة تسع سنين، وقتل بمكة سنة ثلاث وسبعين على يد الحجاج بن يوسف، وقام بصلبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهو معدود من صغار الصحابة، وقد روى له الجماعة سير أعلام النبلاء، ٢/ ٣٦٣، ترجمة رقم ٥٣، ويوجد في الصحابة ثلاثة اسمهم عبد الله بن الزبير، أولهم صحابي هذا الحديث، والثاني: عبد الله بن الزبير الهاشمي؛ ابن عم رسول الله ﷺ، ليس له رواية، والثالث: عبد الله بن الزبير الأسدي، وكان مشهورًا بجمال نظمه. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/ ٣٨١، ترجمة رقم ٥٥، و٣/ ٣٨٣، ترجمة رقم ٥٦، وإنما ذكر ذلك الذهبي للتمييز كما قال.

(١) مسلم، برقم ٥٩٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) فيض القدير، للمناوي، ١/ ١٣٦.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٤) فيض القدير، ٥/ ٢٠٠.

٣-قَوْلُهُ: «**لَهُ الْمُلْكُ**»: قال الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدِ، ... وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ»(١).

٤-قوله: «**وله الحمد**»: أي الحمد المطلق، فهو محمود في السراء حمد شكر، وفي الضراء حمد تفويض، وكان النبي ﷺ إذا أتاه ما يسره قال: «**الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات**»(٢)، وإذا أتاه ما لا يسره قال: «**الحمد لله على كل حال**»(٣)، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»(٤).

٥-قوله: «**وهو على كل شيء قدير**»: قال ابن جرير: «وهو على إحيائكم بعد مماتكم، وعقابكم على إشراككم به الأوثانَ وغير ذلك مما أراد بكم، وبغيركم قادرٌ»(٥)، وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «... فأزمّة الأمور كلها بيده، ومدار تدبير الممالك كلها عليه، وهذا مقصود الدعوة، وزبدة الرسالة»(٦).

٦-قوله: «**ولا نعبد إلا إياه**»: أي: لا نطيع إلا الله مع غاية الذل، والتعظيم، والمحبة خوفًا من عذابه، وطمعًا في ثوابه وإكرامه، أي: نقصر عبادتنا، وتوحيدنا له وحده، فهو أسلوب قصر عليه وحده في العبادة، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على قوله: «**نعبد إلهاً واحداً**»: «إِمَّا أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ الْفَاعِلِ الْعَابِدِ أَوْ مِن الْمَفْعُولِ الْمَعْبُودِ.

فَالْأَوَّلُ: نَعْبُدُهُ فِي حَالِ كَوْنِنَا مُخْلِصِينَ لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ.

---

(١) المنتقى، شرح الموطأ للباجي، ٣ / ٧٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، برقم ٣٨٠٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٦٥.

(٣) انظر: التخريج في الحاشية السابقة، فهما حديث واحد.

(٤) بدائع الفوائد، ٢/٥٣٧، وتقدمت في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن ٢.

(٥) تفسير الطبري، ١٥/ ٢٣٢.

(٦) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ٣/ ٣٤٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

وَالثَّانِي: نَعْبُدُهُ فِي الْحَالِ اللَّازِمَةِ لَهُ، وَهُوَ أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، فَنَعْبُدُهُ مُخْلِصِينَ مُعْتَرِفِينَ لَهُ بِأَنَّهُ الإِلَهُ وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ، فَإِنْ كَانَ التَّقْدِيرُ هَذَا الثَّانِي امْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ الْمُشْرِكُ عَابِدًا لَهُ؛ فَإِنَّهُ لَا يَعْبُدُهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَيْسَتْ لَهُ حَالٌ أُخْرَى نَعْبُدُهُ فِيهَا، وَإِنْ كَانَ التَّقْدِيرُ الأَوَّلُ، فَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ نَعْبُدَهُ فِي حَالٍ أُخْرَى نَتَّخِذُ مَعَهُ آلِهَةً أُخْرَى فِي أَنْفُسِنَا، لَكِنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا حَالٌ مِنَ الْمَعْبُودِ، بِخِلَافِ مَا إِذَا قِيلَ: نَعْبُدُهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينُ، فَإِنَّ هَذِهِ حَالٌ مِن الْفَاعِلِ؛ وَلِهَذَا يَأْتِي هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا...فَإِنَّهُ يَكُونُ تَارَةً مُخْلِصًا، وَتَارَةً مُشْرِكًا، وَأَمَّا الرَّبُّ تَعَالَى فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا إِلَهًا وَاحِدًا، وَالْحَالُ وَإِنْ كَانَتْ صِفَةً لِلْمَفْعُولِ فَهِيَ أَيْضًا حَالٌ لِلْفَاعِلِ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: نَعْبُدُهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ، فَلَزِمَ أَنَّ عِبَادَتَهُمْ لَهُ لَيْسَتْ فِي غَيْرِ هَذَا الْحَالِ، وَبَيَّنَ أَنَّ قَوْلَهُ" ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾، ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ هِيَ حَالٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ جَمِيعًا، بِالْعَابِدِ وَالْمَعْبُودِ؛ فَإِنَّ الْعَامِلَ فِيهَا الْمُتَعَلِّقَ بِهَا الْعِبَادَةُ، وَهِيَ فِعْلُ الْعَابِدِ، وَالَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَفْعُولُ فِي الْعَرَبِيَّةِ هُوَ الْمَعْبُودُ»[1].

٧-قوله: «**له النعمة وله الفضل**»: لأنه المتفضل على عباده بأنواع النعم، ما ظهر منها، وما بطن، وذلك من غير سؤال منهم، ولا استحقاق لها، قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾[2]، والنعمة: العطاء الجزيل، قال في القاموس: النعمة – بالكسر -: المسرة، واليد البيضاء الصالحة، كالنُّعْمى – بالضم -، والنَّعْماء – بالفتح ممدودة – جمع: أنعم، ونِعَم، ونعيم الله تعالى: عطيّته[3].

٨-قوله: «**الفضل**»: ضد النقص، جمعه: فضول، وفضل كعلم يفضل كينصر: فمركبة منهما . ورجل فضّال كشدّاد، ومنبر، ومحراب، ومعظم: كثير الفضل،

(١) مجموع الفتاوى، ١٦/ ٥٧٨.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.
(٣) انظر: القاموس المحيط (ص: ١٥٠١)، مادة (نعم).

والفضيلة: الدرجة الرفيعة في الفضل، وفضّله تفضيلاً، والفواضل: الأيادي الجسيمة، أو الجميلة، وفواضل المال: ما يأتيك من غلته، ومرافقه[(١)]، ويرى الراغب في تفسير «بنعمة وفضل»: أن النعمة هي الحسنى، والفضل الزيادة[(٢)].

٩-قوله: «وله الثناء الحسن»: هذا الثناء متضمن لجميع أنواع الحمد، والمدح، والشكر[(٣)]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «الثَّنَاءُ الْحَسَنُ الَّذِي لَا تُحْصِيهِ الْعِبَادُ، وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ، لَهُ الْغِنَى الَّذِي لَا يَفْتَقِرُ إِلَى سِوَاهُ»[(٤)].

١٠-قوله: «مخلصين له الدين»: الإخلاص، معناه: تخليص القصد لله في جميع العبادات الواجبة، والمستحبة، والظاهرة، والباطنة، والمراد من ذلك إقامة التوحيد، والدعوة إليه، والصبر على تبعات هذه الدعوة المباركة المنصورة بإذن الله تعالى، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «أي مخلصين له العمل، وإخلاص العمل لله ألاَّ يبتغي الإنسان شيئاً بعمله سوى الله عَزَّ وَجَلَّ، لا يبتغي به دنيا، ولا جاهاً، ولا رئاسة، ولا غير ذلك، لا يريد إلا ثواب الله»[(٥)].

١١-قوله: «وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»: قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: وسَعَوْا مهما أمكنهم»[(٦)]، وقال في موضع آخر: «فإن الكافرين يكرهون الإخلاص لله وحده غاية الكراهة»[(٧)].

(١) انظر: القاموس المحيط، ص ١٣٤٨، مادة (فضل).
(٢) تفسير الراغب الأصفهاني ومقدمته، ٣/ ٩٨٦.
(٣) انظر: شرح أبي داود للعيني، ٥/ ٤١٧.
(٤) مجموع الفتاوى، ١١/ ٣٦١.
(٥) شرح رياض الصالحين، باب وجوب الزكاة وبيان فضلها، وما يتعلق بها، ٥/ ٢٤٠.
(٦) تفسير السعدي، ص ٣٣٥.
(٧) تفسير السعدي، ص ٧٣٤.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية قول هذا الذكر مع غيره مما ثبت وصح عن النبي ﷺ في دبر الصلوات المكتوبات، وتأمل ما فيه من معاني الإخلاص والتوكل.

٢-إخلاص العمل لله لابد معه من تمام متابعة رسول الله ﷺ، وإلا كانت الأعمال هباءً منثورًا.

٣-وعند موت الولد إذا قال العبد: «الحمد لله» بنى الله له بيتاً في الجنة[١]، فالله ﷻ محمود على نعمه، وآلائه، وأفعاله التي كلها خير للعبد، وإن جهل العبد هذا.

٤-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: العبودية لله تنقسم إلى ثلاثة أقسام[٢]:

أ- عامة: وهي عبودية الربوبية وهي لكل الخلق. قال الله ﷻ: ﴿**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا**﴾[٣]، ويدخل في ذلك الكفار.

---

(١) انظر: كشف الأستار عن زوائد البزار، ٣/ ١١٠، وهو بلفظ: عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: تُوُفِّيَ ابْنٌ لِصَفِيَّةَ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَبَكَتْ عَلَيْهِ وَصَاحَتْ، فَأَتَاهَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «يَا عَمَّةُ مَا يُبْكِيكِ؟» قَالَتْ: تُوُفِّيَ ابْنِي، قَالَ: يَا عَمَّةُ: «مَنْ تُوُفِّيَ لَهُ وَلَدٌ فِي الإِسْلامِ فَصَبَرَ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» فَسَكَتَتْ. برقم ٢٣٦٣. وأخرج ابن المبارك، ١/٥٠، برقم ١٨٢، وابن أبي الدنيا في الشكر، ص ٧٠، برقم ٢٠٥: عن عبد الله بن عمرو يرفعه: «أربع خصال من كن فيه بنى الله له بيتا في الجنة، من كان عصمة أمره لا إله إلا الله، وإذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وإذا أُعطِيَ شيئا قال: الحمد لله، وإذا أذنب ذنباً قال: أستغفر الله »، وعن ابن عمر في شعب الإيمان للبيهقي، ٧/ ١١٧، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، برقم ٧٦٢.
وعند الترمذي، برقم ١٠٢، بلفظ: عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلائِكَتِهِ قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ» وحسنه لغيره العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/ ٢٠١، وصحيح سنن الترمذي، وفي السلسلة الصحيحة، برقم ١٤٠٨.
(٢) القول المفيد شرح كتاب التوحيد، ص ٣٣.
(٣) سورة مريم، الآية: ٩٣.

ب - عبودية خاصة: وهي عبودية الطاعة لأهل التوفيق ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾[١].

ج - عبودية خاصة الخاصة: وهي عبودية الرسل عليهم السلام. قال الله ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾[٢].

***

٦٩-[٤] «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ (ثلاثاً وثلاثين) لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[٣].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٤١-لفظ مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٤]، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[٥].

٢٤٢-لفظ البخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: «جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣.

(٣) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، برقم ٥٩٧، وفيه: «من قال ذلك دبر كل صلاة غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر».

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) مسلم، برقم ٥٩٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ العُلاَ، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: «**أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ، إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ: تُسَبِّحُونَ، وَتَحْمَدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ**» فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَنَحْمَدُ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَقُولُ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ**»[1].

٢٤٣-وعند مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ- وَهَذَا حَدِيثُ قُتَيْبَةَ - «أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَا، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ؟ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ، إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ**» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتَحْمَدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً**» قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**» وَزَادَ غَيْرُ قُتَيْبَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَنِ اللَّيْثِ، عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ، قَالَ سُمَيٌّ: فَحَدَّثْتُ بَعْضَ أَهْلِي هَذَا الْحَدِيثَ، فَقَالَ: وَهِمْتَ، إِنَّمَا قَالَ: «**تُسَبِّحُ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدُ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرُ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ**» فَرَجَعْتُ إِلَى أَبِي صَالِحٍ فَقُلْتُ لَهُ ذَلِكَ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، اللهُ

---

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، برقم ٨٤٣.

أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، حَتَّى تَبْلُغَ مِنْ جَمِيعِهِنَّ ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ»[(١)].

٢٤٤-وفي صحيح مسلم عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ﷺ[(٢)]، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «مُعَقِّبَاتٌ لاَ يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ، أَوْ فَاعِلُهُنَّ، دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثَلاَثٌ وَثَلاَثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلاَثٌ وَثَلاَثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلاَثُونَ تَكْبِيرَةً»[(٣)].

٢٤٥-وعند أبي داود عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ[(٤)]: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ أَصْحَابُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فُضُولُ أَمْوَالٍ يَتَصَدَّقُونَ بِهَا، وَلَيْسَ لَنَا مَالٌ نَتَصَدَّقُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تُدْرِكُ بِهِنَّ مَنْ سَبَقَكَ، وَلَا يَلْحَقُكَ مَنْ خَلْفَكَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ بِمِثْلِ عَمَلِكَ؟» قَالَ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «تُكَبِّرُ اللَّهَ ﷻ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ، ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدُهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحُهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَخْتِمُهَا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[(٥)].

٢٤٦- عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يُكَبِّرَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ عَشْرًا، وَيُسَبِّحُ عَشْرًا، وَيَحْمَدُ عَشْرًا، فَذَلِكَ فِي

---

(١) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، برقم ٥٩٥.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٩٤ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، برقم ٥٩٦.

(٤) أبو ذر الغفاري ﷺ الزاهد المشهور، الصادق اللهجة، مختلف في اسمه واسم أبيه، والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن، وقيل بن عبد الله، وقيل غير ذلك، وكان من السابقين إلى الإسلام، وقصة إسلامه في الصحيحين على صفتين بينهما اختلاف ظاهر، روى أبو ذر ﷺ عن النبي ﷺ روى عنه أنس، وابن عباس، وأبو إدريس الخولاني، وغيرهم كثير، وله فضائل كثيرة، ولم يشهد بدراً، ولكن عمر ألحقه بهم، وكان يوازي ابن مسعود في العلم، وكانت وفاته بالربذة سنة إحدى وثلاثين، وقيل في التي بعدها، ويقال إنه صلى عليه عبد الله بن مسعود ﷺ. انظر: الاستيعاب، ٤/ ١٢٥٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ٧/ ١٢٥.

(٥) أبو داود، كتاب الوتر، باب التسبيح بالحصى، برقم ١٥٠٤، وصحيح ابن حبان، ٥/ ٣٥٨، برقم ٢٠١٥، بدون قوله: «غفرت له ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر» وصحح إسناده الشيخ الأرناؤوط محقق صحيح ابن حبان.

خَمْسِ صَلَوَاتٍ: خَمْسُونَ وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ، فَإِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ: كَبَّرَ أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَسَبَّحَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، فَذَلِكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَمِائَةِ سَيِّئَةٍ ؟»[١].

٢٤٧-وعند النسائي عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما[٢] أَنَّ رَجُلًا رَأَى فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، قِيلَ لَهُ: بِأَيِّ شَيْءٍ أَمَرَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ؟ قَالَ: «أَمَرَنَا أَنْ نُسَبِّحَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَنَحْمَدَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَنُكَبِّرَ أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ، فَتِلْكَ مِائَةٌ، قَالَ: سَبِّحُوا خَمْسًا وَعِشْرِينَ، وَاحْمَدُوا خَمْسًا وَعِشْرِينَ، وَكَبِّرُوا خَمْسًا وَعِشْرِينَ، وَهَلِّلُوا خَمْسًا وَعِشْرِينَ، فَتِلْكَ مِائَةٌ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «افْعَلُوا كَمَا قَالَ الْأَنْصَارِيُّ»[٣]، وفي رواية: «اجعلوها كذلك»[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**سبحان الله**»: أي: أنزه الله رب العالمين عن كل نقص، وهذا التسبيح الذي يسبق الحمد، هو من قبيل التخلية قبل التحلية، قال ابن الأثير رحمه الله: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص ... فمعنى سبحان الله:

---

(١) الدعوات الكبير للبيهقي، ١/ ٥٠٦، برقم ٣٩١، وابن عساكر، ٥٢/ ١٠٧، وحسّنه الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار، ٢/٢٧٠، نقلاً عن حديث التسبيح وفوائده النفيسة وعد التسبيح بالمسبحة، لفريح بن صالح البهلال، ص ٨، وقال نبيل سعد الدين سَليم جَرَّار في: زوائد الأمالي والفوائد والمعاجم والمشيخات على الكتب الستة والموطأ ومسند الإمام أحمد، ٢/ ٤٧٤: «قال أبوالفتح الطائي: هذا حديث حسن عال صحيح من حديث موسى بن عبدالله الجهني، وقال ابن جماعة: هذا حديث حسن صحيح، وقال ابن حجر: «هذا حديث حسن غريب».

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٣) النسائي في سننه، كتاب السهو، نوع آخر من عدد التسبيح، برقم ١٣٥١، وله في السنن الكبرى أيضاً، كتاب صفة الصلاة، نوع آخر من عدد التسبيح، برقم ١٢٧٤، ومسند البزار، ٢/ ٢٥٠، برقم ٥٩١٥، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٨/ ٣٠٠، وصححه الألباني في صحيح النسائي، برقم ١٣٥٠.

(٤) النسائي في سننه، كتاب السهو، نوع آخر من عدد التسبيح، برقم ١٣٥٠، وصححه الألباني في صحيح النسائي، برقم ١٣٥٠.

تنزيه الله... فكأنه قال: أبرئ الله من السوء براءة»[١].

٢-قوله: «**والحمد لله**»: أي: له الحمد الكامل المطلق؛ لأن كل ما سوى الله يحمد على قدر فعله، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»[٢].

٣-قوله: «**والله أكبر**»: أي: أكبر من كل كبير، وأكبر من أن يعرف كنه[٣] كبريائه وعظمته ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[٤]؛ ولذلك نهى النبي ﷺ عن التفكر في الله: «**تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله** عز وجل»[٥]، وقال ابن الأثير رحمه الله: «معناه: الله الكْبير، وقال النحويون: معناه الله أكبر من كل شيء»[٦].

٤-قوله:«**لا إله إلا الله**»: أي: لا إله إلا الله: من مات معتقداً لها، فهو الذي مات لا يشرك بالله شيئاً»[٧]، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «يعني: لا معبود بحق إلا الله تعالى، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله لله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لابد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات... أي: تعبّدوا له، وتوسّلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»[٨].

٥-قوله: «**وحده لا شريك له**»، قال المناوي: «لا إله منفرد إلا هو وحده،

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١، من مفردات حديث المتن رقم ٣٣.
(٢) بدائع الفوائد، ٢/٥٣٧، وتقدمت في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن ٢.
(٣) الكنه: الحقيقة، والأصل، قال ابن الأثير: «كنه الأمر: حقيقته، وقيل: وقته، وقدره، وقيل: غايته». النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٢٠٦، مادة (كنه).
(٤) سورة طه، الآية: ١١٠.
(٥) أخرجه أبو الشيخ في العظمة، ١/ ٢١٠ ، برقم ١، والطبراني في الأوسط، ٦/ ٢٥٠، برقم ٦٣١٩، والبيهقي في شعب الإيمان، ١/ ١٣٦، برقم ١٢٠، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٧٨٨.
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤/ ٥٢، مادة (كبر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨ من مفردات حديث المتن رقم ٢.
(٧) فيض القدير، للمناوي، ١/ ١٣٦.
(٨) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

لا شريك له عقلاً ونقلاً، ... وهو تأكيد لقوله: «وحده»؛ لأن المتصف بالوحدانية لا شريك له»[(١)].

٦-قَوْلُهُ: «**لَهُ الْمُلْكُ**»: قال الباجي رَحِمَهُ اللهُ: «تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدِ، ... وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ»[(٢)].

٧-قوله: «**وله الحمد**»: أي الحمد المطلق، فهو محمود في السراء حمد شكر، وفي الضراء حمد تفويض»[(٣)].

٨-قوله: «**وهو على كل شيء قدير**»: قال ابن جرير: «وهو على إحيائكم بعد مماتكم، وعقابكم على إشراككم به الأوثانَ وغير ذلك مما أراد بكم، وبغيركم قادرٌ»[(٤)]، وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «... فأزمّة الأمور كلها بيده، ومدار تدبير الممالك كلها عليه، وهذا مقصود الدعوة، وزبدة الرسالة»[(٥)].

٩-قوله: «**من قال ذلك دبر كل صلاة غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**»: المراد بذلك صغائر الذنوب أما الكبائر فلا تكفَّر إلا بالتوبة قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّآتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا**﴾[(٦)]، أو إقامة الحدود لحديث عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رضي الله عنه، وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا، وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «**بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي**

---

(١) فيض القدير، ٥/ ٢٠٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن ٦٧.
(٢) المنتقى، شرح الموطأ للباجي، ٣ / ٧٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ٢.
(٣) تقدمت في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن ٦٧.
(٤) تفسير الطبري، ١٥/ ٢٣٢.
(٥) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ٣/ ٣٤٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن رقم ٢.
(٦) سورة النساء، الآية: ٣١.

مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَهُوَ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ»[1]، والتعبير بـ«**زبد البحر**» خرج مخرج المبالغة؛ لأن هذا من قبيل التمثيل، ومعنى زبد البحر رغوته.

١٠-قوله: «**أهل الدثور**»: هم أهل الأموال، وقد سمى الحافظ[2] ابن حجر من فقراء المهاجرين جماعة، منهم: أبو هريرة، وأبو ذر الغفاري، وأبو الدرداء ﷺ.

١١-قوله: «**الدرجات العلا**»: الدرجات العلا هي المراتب العليا في الجنة، وقد جعلها الله كما قال الألوسي رحمه الله: «لمن أتى بالإيمان، والأعمال الصالحة، فسائر الدرجات غير العالية، والجنات لا بد أن تكون لغيرهم، وما هم إلا العصاة من أهل الأيمان، ولقد أخرج أبو داود وابن مردويه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الدرجات العلا ليراهم من تحتهم، كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم، وأنعما**[3]»[4]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «بِضَمِّ العَين جَمع العَلياء وهِيَ تَأنِيث الأَعلَى ، ويَحتَمِل أَن تَكُون حِسِّيَّة ، والمُراد دَرَجات الجَنّات ، أَو مَعنَوِيَّة والمُراد عُلُوّ القَدر عِند الله»[5].

١٢-قوله: «**النعيم المقيم**»: قال ابن كثير: «لهم النعيم المقيم، الذي لا يحول ولا يزول ولا يبيد»[6]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وصَفَهُ بِالإِقامَةِ إِشارَة إِلَى

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بابُ حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، برقم ١٨.
(٢) انظر: فتح الباري، ٢/ ٤٠٤.
(٣) مسند أحمد، ١٨/ ٤٢٢، برقم ١١٩٣٩، وصححه لغيره محققو المسند.
(٤) روح المعاني، للألوسي، ١٦/ ٢٣٥.
(٥) فتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٣٢٧.
(٦) تفسير ابن كثير، ٥/ ٤٤٧.

ضِدّه وهُو النَّعِيم العاجِل ، فَإِنَّهُ قَلَّ ما يَصفُو ، وإِن صَفا فَهُو بِصَدَدِ الزَّوال»[١].

١٣-قوله: «**فضل من الأموال**»: الفضل: هو الزيادة، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «يعني زيادة يتصدقون بها، ويحجون، ويعتمرون، ويجاهدون»[٢].

١٤-قولُهُ: «**أَدرَكتُم مَن سَبَقَكُم**»: أي: الذين أنفقوا قبلكم، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «أَي: مِن أَهل الأَموال الَّذِينَ امتازُوا عَلَيكُم بِالصَّدَقَةِ، والسَّبقِيَّة هُنا يَحتَمِل أَن تَكُون مَعنَوِيَّة، وأَن تَكُون حِسِّيَّة»[٣].

١٥-قوله: «**معَقِّباتٌ لا يَخيبُ قائِلُهن**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «سُمِّيت مُعَقِّباتٍ لأَنَّها عادَتْ مرَّة بعد مرَّة أو لأَنَّها تقال عَقِيب الصَّلاة، ... أراد تسبيحاتٍ تخلف بأعقاب الناس، والمُعقِّب من كلِّ شيء: ما جاءَ عَقِيبَ ما قبله»[٤]. وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «والخيبة الحرمان والخسران، وقد خاب يخيب، ويخوب»[٥].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-من فضل الله على هذه الأمة أن العمل اليسير الخالص لوجه الله تعالى مع متابعة الرسول ﷺ يدرك به صاحبه أجر العمل الكبير.

٢-مسابقة الصحابة رضي الله عنهم الغني منهم والفقير، وحرصهم على التنافس فيما يرضي الله تعالى.

٣-قال النووي: وهذا الحديث دليل لمن فضل الغني الشاكر على الفقير الصابر، وفي المسألة خلاف مشهور بين السلف والخلف من الطوائف[٦].

٤-ومعنى معقبات أنها تفعل مرة بعد أخرى، وقوله تعالى: ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ**

(١) فتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٣٢٧.
(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤١٨.
(٣) فتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٣٢٧.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٥٢٦، مادة (عقب).
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٨٩، مادة (خيب).
(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، ٥/ ٩٥.

وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ...﴾ الآية[١]، أي: الملائكة يعقب بعضهم بعضًا[٢].

٥-سعة صدر النبي ﷺ، وصبره على مناقشة أصحابه له، وتطييب خاطرهم بالإرشاد إلى الخير.

٦-تقرير أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، وأن العبد ما عليه إلا أن يبذل السبب الشرعي لنيل رضا الله ﷻ.

٧-الأذكار منها ما هو مطلق، أي: بغير عدد، ومنها ما حدده الشرع في موضعه، فلا يزاد على ذلك؛ لأن الأمر مبني على إحسان العمل، وليس على كثرته، قال الله ﷻ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٣]، أي: أخلصه وأصوبه[٤].

٨- السنة في عقد التسبيح أن يكون على الأصابع؛ لقول النبي ﷺ لإحدى المهاجرات، واسمها «يُسَيرَة»: «**عليكن بالتسبيح، والتهليل، والتقديس، واعقدن بالأنامل؛ فإنهن مسؤولات مستنطقات**»[٥].

٩- قال الحافظ ابن حجر: وقع في أكثر الأحاديث تقديم التسبيح على التحميد، وتأخير التكبير، وفي رواية ابن عجلان عند مسلم تقديم التكبير على التحميد خاصة، وعند أبي داود: «**تكبر وتحمد وتسبح**»[٦]، وهذا الاختلاف دال على أنه لا ترتيب فيها، ويستأنس لذلك بقول النبي ﷺ في حديث الباقيات الصالحات: «**لا يضرك بأيهن بدأت**»[٧]، لكن يمكن أن يقال: الأولى البداءة

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٥/ ٩٥.
(٣) سورة الملك، الآية: ٢.
(٤) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة عبد الفتاح، ص ٢٠٩.
(٥) الترمذي، كتاب الدعوات، باب في فضل التسبيح والتهليل والتقديس، برقم ٣٥٨٣، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٥٠١.
(٦) أبو داود، برقم ١٥٠٤، وصحيح ابن حبان، برقم ٢٠١٥، وصحح إسناده الشيخ الأرناؤوط محقق صحيح ابن حبان، وتقدم تخريجه في تخريج ألفاظ الحديث.
(٧) مسلم، كتاب الآداب، باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة، وبنافع ونحوه، برقم ٢١٣٧.

بالتسبيح؛ لأنه يتضمن نفي النقائص عن الباري، ثم التحميد؛ لأنه متضمن إثبات الكمال لله، ثم يختم بالتهليل الدال على انفراده سبحانه بجميع ذلك(١).

١٠- جاء التسبيح والتحميد والتكبير أدبار الصلوات على أنواع ستة وهي:

النوع الأول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر (ثلاثاً وثلاثين مرة)، ويختم بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير(٢).

النوع الثاني: سبحان الله (ثلاثاً وثلاثين)، الحمد لله (ثلاثاً وثلاثين)، الله أكبر (أربعاً وثلاثين)(٣).

النوع الثالث: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر (ثلاثاً وثلاثين)(٤).

النوع الرابع: سبحان الله (عشرًا)، الحمد لله (عشرًا)، الله أكبر (عشرًا)(٥).

النوع الخامس: سبحان الله (إحدى عشرة مرة)، الحمد لله (إحدى عشرة)، الله أكبر (إحدى عشرة)(٦).

النوع السادس: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر (خمسًا وعشرين مرة)(٧).

١١- قال ابن عمر رضي الله عنهما: إن رجلًا رأى فيما يرى النائم أنه قيل له: بأي شيء أمركم نبيكم؟ قال: أمرنا أن نسبح ثلاثاً وثلاثين، ونحمد ثلاثاً وثلاثين، ونكبر أربعاً وثلاثين، فتلك مائة، قال: سبحوا خمسًا وعشرين، واحمدوا خمسًا وعشرين، وكبروا خمسًا وعشرين، وهللوا خمسًا وعشرين، فتلك مائة، فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ

---

(١) انظر: فتح الباري ٢/ ٤٠٥.
(٢) مسلم، برقم ٥٩٥، وتقدم تخريجه.
(٣) مسلم، برقم ٥٩٧، وتقدم تخريجه.
(٤) البخاري، برقم ٨٤٣، وتقدم تخريجه.
(٥) البخاري، برقم ٦٣٢٩، وتقدم تخريجه.
(٦) مسلم، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، برقم ٥٩٦.
(٧) النسائي، برقم ١٣٥١، وتقدم تخريجه في ألفاظ الحديث.

فقال: «**افعلوا كما قال الأنصاري**»[١]، وفي رواية: «**اجعلوها كذلك**»[٢].

١٢- السنة التي صحت عن النبي ﷺ هي عقد التسبيح على اليد اليمنى فقط؛ لقول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسبيح – قال ابن قدامة أحد رواة الحديث – بيمينه»[٣]؛ ولقول عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله يحب التيمن ما استطاع في شأنه كله في طهوره وترجُّلِهِ وتَنَعُّلِهِ»[٤].

قال الحافظ ابن حجر: ويحتمل قوله: «ما استطاع» احترازاً عما لا يستطاع فيه التيمن شرعًا، كدخول الخلاء، والخروج من المسجد، والاستنجاء، والتمخط، وكل شيء مستقذر[٥].

***

٧٠-(٥) بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ* مِن شَرِّ مَا خَلَقَ* وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ* وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ* وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ* مَلِكِ النَّاسِ* إِلَهِ النَّاسِ* مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ* الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ*

---

(١) انظر: تخريج الحديث السابق.

(٢) النسائي، برقم ١٣٥٠، تقدم تخريجه في ألفاظ الحديث.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، أبواب الوتر، باب التسبيح بالحصا، برقم ١٥٠٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١/ ٤١١، برقم ١٥٠٢، ويكون بطريقة العقد: أي شد الأصبع إلى باطن الكف.

(٤) البخاري، كتاب الصلاة، باب التيمن في دخول المسجد وغيره، برقم ٤٢٦.

(٥) انظر: فتح الباري، ٢/ ٦٥٨.

مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ﴾ بَعْدَ كُلِّ صَلاَةٍ[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٤٨-عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجهني ﷺ[٢]، قَالَ: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقْرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ»[٣].

٢٤٩-عن عائشة ﵂ قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها»[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**المعوذات**»: قال الحافظ في الفتح: «المعوذات أي: الإخلاص، والفلق، والناس»[٥].

٢-قوله: «**اشتكى**»: قال الباجي رحمه الله: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى أَلَمًا: يُرِيدُ إِذَا مَرِضَ، يُقَالُ: اشْتَكَى فُلَانٌ، إِذَا أَصَابَهُ شَكْوَى مَرَضٍ»[٦].

٣-قوله: «**ينفث**»: قال ابن عبد البر رحمه الله: «النفث: شبه البصق، ولا يلقي النافث شيئاً من البصاق، وقيل: كما ينفث أكل الزبيب»[٧].

---

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب الاستغفار، برقم ١٥٢٣، والترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في المعوذتين، برقم ٢٩٠٣، والنسائي، كتاب السهو، باب الأمر بقراءة المعوذات بعد التسليم من الصلاة، برقم ١٣٣٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٥/ ٢٥٤، وصحيح الترمذي، ٨/٢. والسور الثلاث يقال لها: المعوذات. انظر: فتح الباري، ٩/ ٦٢.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ١٥٢٣، وغيره، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٥/ ٢٥٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات، برقم ٥٠١٦.

(٥) فتح الباري، لابن حجر، ٨/ ٧٥٧.

(٦) المنتقى شرح الموطأ للباجي، ٧/ ٢٦٠.

(٧) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، ٨/ ١٢٩.

ثالثاً: مفردات سورة الإخلاص[١]:

١-قوله: «**قل**» أي: قولًا جازمًا به معتقدًا له، عارفًا بمعناه.

٢-قوله: «**هو الله أحد**» أي: قد انحصرت فيه الأحدية، وهو الأحد المنفرد بالكمال، والذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العلا، والأفعال المقدسة. الذي لا نظير له ولا مثيل.

٣-قوله: «**الله الصمد**» أي: المقصود في جميع الحوائج، فجميع العوالم: السفلي منها والعلوي، مفتقرون إليه غاية الافتقار.

٤-قوله: «**لم يلد ولم يولد**»: لكمال غناه عن المعين؛ لأنه لا يجانسه أحد، إذ الولد يجانس والده؛ ولأن كل ولد له والد، والله ليس كذلك.

٥-قوله: «**ولم يكن له كفوًا أحد**» أي: ليس له مثيل، ولا نظير، ولا شبيه ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[٢].

وسبب نزول هذه السورة الكريمة «عن أبي بن كعب ﷺأن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك فأنزل الله: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾[٣].

رابعاً: طرف من فضائل هذه السورة الكريمة:

١-عن أنس ﷺ أن رجلًا قال: يا رسول الله، إني أحب هذه السورة ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾، فقال: «**إن حبها أدخلك الجنة**»[٤].

٢-وفيه قصة: أن هذا الرجل، وهو أنصاري، كان يؤم قومه في مسجد قباء، وكان كلما افتتح سورة كان يقرأ بالإخلاص، ثم بما معه من السور الأخرى،

---

(١) انظر: تفسير السعدي، ص ٩٣٧، وتفسير الجزائري، ص ٢١١١.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٣) انظر: الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الإخلاص، برقم ٣٣٦٤، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٣٣٦٤.

(٤) الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الإخلاص، برقم ٢٩٠١، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٩٠١.

فأعلموا النبي ﷺ بذلك، فقال له: «**وما يحملك أن تقرأ هذه السورة كل ركعة**»، فذكر الحديث، وفيه دليل على جواز قراءة السورتين في الركعة الواحدة في الفريضة والنافلة على حد سواء.

٣-عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟**» فقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال: «**الله الواحد الصمد ثلث القرآن**»[1].

٤-قول النبي ﷺ: «**من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات بنى الله له بيتًا في الجنة**»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «قال: حَسَّانَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْفَقِيه: «سَأَلْت أَبَا الْعَبَّاسِ بْنَ سُرَيْجٍ قُلْت: مَا مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: « **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟**» قَالَ: إنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: فَثُلُثٌ أَحْكَامٌ، وَثُلُثٌ وَعْدٌ وَوَعِيدٌ، وَثُلُثٌ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ، وَقَدْ جُمِعَ فِي **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾** أَحَدُ الْأَثْلَاثِ، وَهُوَ الصِّفَاتُ، فَقِيلَ إنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»[3]، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: وهي تعدل ثلث القرآن في الثواب، وليس في الإجزاء، ولذلك لو قرأها الإنسان ثلاث مرات في الصلاة لم تجزئه عن الفاتحة[4].

خامساً: ثلاث فوائد مهمة:

الفائدة الأولى: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: واعلم أن **﴿كُفُواً﴾** فيها ثلاث قراءات:

١ – بضم الفاء والواو ولا تصلح بسكون الفاء (كُفْواً) فمن قرأها بسكون الفاء فهذا لحن.

---

(١) البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضائل قل هو الله أحد، برقم ٥٠١٥.

(٢) مسند أحمد، ٢٤/ ٣٧٦، برقم ١٥٦١٠، والطبراني في المعجم الكبير، ٢٠/ ١٨٣، برقم ٣٩٧، وضعفه محققو المسند، ٢٤/ ٣٧٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٤٧٢ .

(٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام، ١٧/ ١٠٤.

(٤) شرح رياض الصالحين، الحديث (١٠١١).

٢ – الهمز مع ضم الفاء (كُفُؤاً).

٣– بالهمز مع سكون الفاء (كُفْؤاً)[١].

الفائدة الثانية: أبطل الله في هذه السورة ادعاء اليهود والنصارى والمشركين نسبة الولد إلى الله – تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا. قالت اليهود والنصارى: **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾**[٢].

وقال الله ﷻ في المشركين: **﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾**[٣].

الفائدة الثالثة: قال ابن عثيمين رحمه الله: وسميت بسورة الإخلاص؛ لأنها تتضمن الإخلاص لله ﷻ، وأن من آمن بها فهو مخلص، وقيل لأنها مُخَلَصة – بفتح اللام – لأن الله تعالى أخلصها لنفسه، فلم يذكر فيها شيئًا من الأحكام، ولا شيئًا من الأخبار عن غيره، بل هي أخبار خاصة بالله، والوجهان صحيحان ،ولا منافاة بينهما[٤].

سادساً: مفردات سورة الفلق:

١–قوله: «**أَعُوذُ**» العوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به. يقال: عاذ فلان بفلان، ... وأعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك[٥]، وقال العلامة السعدي رحمه الله: «أعوذ: أي: ألجأ، وألوذ، وأعتصم»[٦].

٢–قوله: «**برب الفلق**» أي: بالله الذي فلق الإصباح، وفلق الحب والنوى».

---

(١) المرجع السابق.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٠.
(٣) سورة النحل، الآية: ٥٧.
(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، ٢/ ١٥٧.
(٥) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.
(٦) تفسير السعدي، ص ٩٣٧.

٣-قوله: «**من شر ما خلق**» أي: من إنس، وجن، وجماد، وحيوان، فيستعاذ بخالقها من الشر الذي فيها.

٤-قوله: «**ومن شر غاسق إذا وقب**» أي: من شر ما يكون في الليل بعد نوم الناس؛ حيث تنتشر الأرواح الشريرة، والحيوانات المؤذية.

٥-قوله: «**ومن شر النفاثات في العقد**» أي: السواحر اللاتي يستعن على سحرهن بالنفث في العقد التي يعقدنها على السحر[١].

٦-قوله: «**ومن شر حاسد إذا حسد**»: الحاسد هو الذي يسعى في زوال النعمة عن المحسود، بخلاف الذي يغبط؛ فإن الغبطة هي تمني الشيء مع داومه على صاحبه، ويدخل في الحاسد العائن؛ لأن العين لا تصدر إلا من حاسد خبيث النفس[٢].

سابعاً: ما ترشد إليه السورة:

١-الاعتصام بالله من كل ما يخافه الإنسان؛ لأن الله هو الذي بيده النفع والضر.

٢-تحريم السحر؛ لأنه كفر، وحدّ الساحر أن يضرب بالسيف من قبل ولي الأمر.

٣-عامة السحر يكون من النساء؛ لقول الله: ﴿**وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾، وإن كان يفعله الرجال والنساء، ويقع عليهم جميعًا، ويجوز أن يكون معنى النفاثات أي: النفوس النافثات، فتشمل الرجال والنساء[٣].

٤-بيان وجود الحسد وأنه أمر حقيقي، وإثبات تأثير العين بأمر الله؛ لقول النبي ﷺ: «**لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين**»[٤]، والحسد أول ذنب عُصي به الله لمَّا حسد إبليس آدم، وحسد قابيل هابيل.

---

(١) تفسير السعدي، ص ٩٣٧.

(٢) انظر: تفسير السعدي، ٩٣٧.

(٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، ح (١٠١٤).

(٤) الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية من العين، برقم ٢٠٥٩، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٠٥٩.

ثامناً مفردات سورة الناس:

١-قوله: «**أعوذ**»: قال العلامة السعدي رحمه الله: «أعوذ: أي: ألجأ، وألوذ، وأعتصم»[١].

٢-قوله: «**برب الناس**» أي: خالقهم، ومدبر شؤونهم.

٣-قوله: «**ملك الناس**» أي: مالكهم، والمتصرف في الملك كله على وفق إرادته.

٤-قوله: «**إله الناس**» أي: أن الله هو الإله الحق، وكل ما يعبد من دونه باطل زائف.

٥-قوله: «**الوسواس**»: هو الشيطان الذي يوسوس بصوت لا يسمع بإلقاء الشبهات في القلوب، وتزيين الشر، وتحسين القبيح.

٦-قوله: «**الخناس**»: هذا وصف للشيطان من الجن؛ فإنه لا يزال يوسوس، فإذا ذكر العبد ربه خنس، وتأخر.

٧-قوله: «**من الجنة والناس**»: فيه إثبات وجود الشياطين من الإنس الذي ضرره أشد من شيطان الجن؛ لأنه لا يطرد، بل يتخلص منه بتمام الاستعاذة بالله منه.

٨-جاء عند مسلم أن النبي ﷺ قال: «**ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾**»[٢].

ومعنى لم ير مثلهن قط: أي: فيما يتعوذ به الإنسان من الشيطان،

وقال ابن القيم رحمه الله: والمقصود هو الكلام على هاتين السورتين، وبيان عظيم منفعتهما، وشده الحاجة، بل الضرورة إليهما، وأنه لا يستغني عنهما أحد قط، وأن لهما تأثيرًا خاصًا في دفع السحر، والعين، وسائر الشرور، وأن حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى التنفس، والطعام، والشراب، واللباس[٣].

---

(١) تفسير السعدي، ص ٩٣٧.

(٢) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوذتين، برقم ٨١٤.

(٣) بدائع الفوائد، ٢/ ٤٢٥.

تاسعاً: من فضائل سورة الفلق، وسورة الناس:

١-عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه[١] قَالَ: كُنْتُ أَقُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَاقَتَهُ فِى السَّفَرِ، فَقَالَ لِي: «**يَا عُقْبَةُ، أَلاَ أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ قُرِئَتَا؟**»، فَعَلَّمَنِي: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾، وَ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾، قَالَ: فَلَمْ يَرَنِى سُرِرْتُ بِهِمَا جِدًّا، فَلَمَّا نَزَلَ لِصَلاَةِ الصُّبْحِ صَلَّى بِهِمَا صَلاَةَ الصُّبْحِ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الصَّلاَةِ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: «**يَا عُقْبَةُ كَيْفَ رَأَيْتَ**»[٢].

٢-عَنْ عَبْدِ اللهِ بن خبيب[٣]، قَالَ: أَصَابَنَا طَشٌّ، وَظُلْمَةٌ، فَانْتَظَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ بِنَا، ثُمَّ ذَكَرَ كَلاَمًا مَعْنَاهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ بِنَا فَقَالَ: «**قُلْ**»، فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلاَثًا، يَكْفِيكَ كُلَّ شَيْءٍ**»[٤].

٣-عنْ عبدِ اللَّه بن خبيب رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَأَصَبْتُ خُلْوَةً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقَالَ: «**قُلْ**»، فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**قُلْ**»، قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ حَتَّى خَتَمَهَا**»، ثُمَّ قَالَ: «**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ حَتَّى خَتَمَهَا**»، ثُمَّ قَالَ: «**مَا تَعَوَّذَ النَّاسُ بِأَفْضَلَ مِنْهُمَا**»[٥].

٤-وعن أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه[٦] قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجَانِّ**

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٣ من أحاديث الشرح.

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب في المعوذتين، برقم ١٤٦٢، والنسائي، كتاب الاستعاذة، برقم ٥٤٣٦، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ٣/ ٤٥٦.

(٣) ستأتي ترجمته في الحديث رقم ٢٥٩ من أحاديث الشرح.

(٤) النسائي، كتاب الاستعاذة، برقم ٥٤٢٨، وحسنه الألباني في صحيح النسائي، برقم ٥٤٢٨.

(٥) النسائي، كتاب الاستعاذة، برقم ٥٤٢٩، وصححه الألباني في صحيح النسائي، برقم ٥٤٢٩.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

وَعَيْنِ الْإِنْسِ فَلَمَّا نَزَلَتْ الْمُعَوِّذَتَانِ أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ»[١].

٥-عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْ»، قُلْتُ: وَمَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»، فَقَرَأَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «لَمْ يَتَعَوَّذْ النَّاسُ بِمِثْلِهِنَّ، أَوْ لَا يَتَعَوَّذُ النَّاسُ بِمِثْلِهِنَّ»[٢].

٦-عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)، وَ(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)»[٣].

عاشراً: ما يستفاد من الحديث:

قال ابن عبد البر رحمه الله:

١-«فيه إثبات الرقى، والرد على من أنكره من أهل الإسلام.

٢-وفيه الرقى بالقرآن، وفي معناه كل ذكر لله جائز الرقية به.

٣-وفيه إباحة النفث في الرقى، وأنه من السنة.

٤-وفيه المسح باليد عند الرقية، وفي معناه المسح باليد على كل ما ترجى بركته وشفاؤه وخيره، مثل المسح على رأس اليتيم وشبهه»[٤].

٥-وقال القاضي عياض رحمه الله: «قيل فيه جواز الاسترقاء للصحيح لما عساه يخشاه من طوارق اليل وهوامه، وغير ذلك مما يسترقى له ، فيمنعه الله من أذى ذلك»[٥].

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الطب، باب من استرقى من العين، برقم ٣٥١١، والنسائي، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من عين الجان، برقم ٥٤٩٤، وصححه الألباني في صحيح النسائي، برقم ٥٤٩٤، وفي صحيح ابن ماجه، ٣٥١١.

(٢) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوذتين، والنسائي، كتاب الاستعاذة، برقم ٥٤٣١.

(٣) مسلم، برقم ٨١٤، وأبو داود، كتاب الوتر، باب في المعوذتين، برقم ١٤٦٢، والنسائي، كتاب الافتتاح، باب الفضل في قراءة المعوذتين، برقم ٩٥٤.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ٨/ ١٢٩.

(٥) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٧/ ٤٩.

وقال الشيخ فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد المبارك الحريملي رحمه الله: «وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

أ- أن يكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه وصفاته.

ب- وباللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره.

ج- وأن يعتقد أنَّ الرقية لا تؤثر بذاتها»[١]، بل بتقدير الله عز وجل.

***

٧١-(٦) ﴿اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ عَقِبَ كلِّ صَلاَةٍ[٢].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٥٠-عن أبي أمامة رضي الله عنه[٣] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت**»[٤].

---

(١) تطريز رياض الصالحين، ص ٥٩٢.

(٢) النسائي في عمل اليوم والليلة، ص ١٨٣، برقم ١٠٠، وابن السني، ص ٢٣٣، برقم، ١٢١، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٥/٣٣٩، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢/٦٩٧، برقم ٩٧٢، والآية رقم ٢٥٥ من سورة البقرة.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٥١ من أحاديث الشرح.

(٤) النسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ١٠٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٥/٣٣٩، وتقدم =

قال ابن القيم رحمه الله: وبلغني عن شيخنا أبي العباس ابن تيمية رحمه الله أنه قال: ما تركته عقيب كل صلاة[1].

٢- ثانياً: من فضائل هذه الآية المباركة:

١-قول النبي ﷺ لأبي بن كعب رضي الله عنه: «**يا أبا المنذر أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم؟**» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**يا أبا المنذر أتدري أي آية في كتاب الله أعظم؟**» قال: قلت: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾. قال: فضرب في صدري وقال: «**والله ليهنك العلم يا أبا المنذر**»[2]، والمعنى هنيئًا لك بالعلم الذي يدفع إلى العمل الخالص لوجه الله مع تمام المتابعة للنبي ﷺ.

٢-قال النووي: فيه منقبة عظيمة لأُبي، ودليل على كثرة علمه، وفيه تبجيل العالم فضلاء أصحابه، وتكنيتهم، وجواز مدح الإنسان في وجهه إذا كان فيه مصلحة، ولم يخف عليه إعجاب، ونحوه لكمال نفسه، ورسوخه في التقوى[3].

٣-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: وفي هذا الحديث دليل على أن القرآن يتفاضل كما دل عليه حديث سورة الإخلاص، وهذا التفاضل باعتبار مدلوله وموضوعاته، لا من حيث المتكلم به؛ لأن المتكلم به واحد وهو الله عز وجل[4].

ثالثاً: شرح مفردات آية الكرسي:

١-«**الله لا إِلَهَ إلا هُوَ**»: قال العلامة السعدي رحمه الله: «الذي له جميع معاني الألوهية،

=

تخريجه في تخريج حديث المتن.

(١) زاد المعاد، ١/ ٢٨٥.

(٢) مسلم، برقم ٨١٠، وتقدم تخريجه في الفائدة الرابعة من فوائد الحديث رقم ١ من أحاديث الشرح.

(٣) شرح مسلم للنووي، ٦/ ٣٣٤.

(٤) انظر: شرح الواسطية، ١/١٦٤.

وأنه لا يستحق الألوهية والعبودية إلا هو، فألوهية غيره، وعبادة غيره باطلة»[١].

٢- «**الحي**» أي: ذو الحياة الكاملة، المتضمنة لجميع صفات الكمال، لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال، ولا يعتريها نقص بوجه من الوجوه.

٣-قوله: «**القيوم**»: القائم بنفسه، والقائم على غيره، فلا يحتاج لشيء، والكل إليه مفتقر محتاج؛ لأنه القائم بتدبير الملكوت كله علويه وسفليه.

٤-قوله: «**لا تأخذه سنة ولا نوم**»: السِّنَة: النعاس، وهي مقدمة النوم، ولم يقل لا ينام؛ لأن النوم يكون باختيار، والأخذ يكون بالقهر، والنوم صفة نقص في حق الله، قال النبي ﷺ: «**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام**»[٢]، والسِنة -بكسر السين -: هي النعاس في العين، والنوم هو الثقل، والاسترخاء الذي يصل إلى القلب، فيغيِّب الذهن.

٥-قوله: «**له ما في السموات وما في الأرض**»: أي: هو المالك، وما سواه مملوك، وهو الخالق، وغيره مخلوق، فالكل له عبد، ولا يخرج عن ملكه أحد، لا في سمواته، ولا في أرضه، فإن السموات والأرض لله خلقًا، وملكًا، وتصرفًا، وتدبيرًا.

٦-قوله: «**من ذا الذي يشفع عنده**»: الشفاعة في الاصطلاح: هي التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة، فمثلًا شفاعة النبي ﷺ لأهل الموقف أن يُقضى بينهم. هذه لدفع مضرة، وشفاعته لأهل الجنة بدخولها هي جلب للمنفعة لهم.

٧-قوله: «**إلا بإذنه**»: فيه أن الشفاعة لا تصحّ إلا بشروط:

أ – إذن الله للشافع أن يشفع.

ب – رضا الله عن الشافع والمشفوع له، قال تعالى: ﴿ **وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي**

---

(١) تفسير السعدي، ص ٩٥٣.

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب قوله ﷺ: «إن الله لا ينام» وفي قوله: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، برقم ١٧٩.

السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[1].

٨-قوله: «**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم**»: العلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا، «**ما بين أيديهم**» أي: المستقبل، «**وما خلفهم**» الماضي، و(ما) من صيغ العموم، تشمل كل ماضٍ، وكل مستقبلٍ، وتشمل ما كان من فعله، وما كان من أفعال الخلق، وقيل: ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾: قال أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني تعالى ذكره بذلك أنه المحيط بكل ما كان وبكل ما هو كائن علما، لا يخفى عليه شيء منه»[2]، وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات: ماضيها وحاضرها ومستقبلها كقوله إخبارًا عن الملائكة: ﴿**وَمَا نَتَنزلُ إلا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾[3]»[4]، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**﴾: أي: المستقبل؛ ﴿**وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾ أي: الماضي؛ وقد قيل بعكس هذا القول؛ ولكنه بعيد؛ فاللفظ لا يساعد عليه؛ و(ما) من صيغ العموم؛ فهي شاملة لكل شيء؛ سواء كان دقيقاً أم جليلاً؛ وسواء كان من أفعال الله أم من أفعال العباد»[5].

٩-قوله: «**ولا يحيطون بشيء**» أي: الخلق؛ لأنهم عاجزون عن ذلك تمام العجز.

١٠-قوله: «**من علمه إلا بما شاء**»: وذلك وفق حكمته بإطلاعهم على شيء مما ينفعهم في المعاش، والمعاد من الأمور الشرعية، والأمور القدرية؛ ولذا

---

(١) سورة النجم، الآية: ٢٦.
(٢) تفسير الطبري، ٥/ ٣٩٦.
(٣) سورة مريم، الآية: ٦٤.
(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ٦٧٩.
(٥) تفسير القرآن، للعلامة ابن عثيمين، ٥/ ١٩٨.

قالت الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾[(١)]، ويقول عيسى عليه السلام يوم القيامة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[(٢)].

١١-قوله: «**وسع كرسيه السموات والأرض**»: وسع بمعنى شمل، أي: أن كرسيه محيط بالسموات والأرض، وأكبر منهما؛ لأنه لولا أنه أكبر ما وسعهما[(٣)]، قال ابن عباس: «**الكرسي موضع قدمي الله** عز وجل»[(٤)]، والكرسي ليس هو العرش بل العرش أكبر منه. قال النبي ﷺ: «**مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ، إِلاَّ كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلاَةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلاَةِ عَلَى الْحَلْقَةِ**»[(٥)].

١٢-قوله: «**ولا يؤوده حفظهما**» أي: لا يثقله، ولا يشق عليه ذلك.

١٣-قوله: «**العلي**»: بذاته فوق عرشه، العلي بقهره لجميع المخلوقات، العلي بقدره لكمال صفاته.

١٤-قوله: «**العظيم**»: الذي يتصاغر كل شيء أمام عظمته، وكبريائه.

قال السعدي: وهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله، وصفاته، متضمنة لجميع الأسماء الحسنى، والصفات العُلا.

وقال الجزائري: اشتملت هذه الآية على ثمانية عشر اسمًا لله، ما بين ظاهر ومضمر، وكلماتها خمسون كلمة، وجملها عشرٌ، كلها في توحيد الله، وإثبات ألوهيته[(٦)].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٠٩.

(٣) شرح الواسطية لابن عثيمين، ص ١٧١.

(٤) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في «المسند» (٥٨٦)، قال الألباني في «مختصر العلو» ص ٤٥: «إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات».

(٥) صحيح ابن حبان، ٢/ ٧٧، برقم ٣٦١، والبيهقي في «الأسماء والصفات، برقم٨٦٢، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم ١٠٩، وقال: لا يصح حديث مرفوع إلى النبي ﷺ في صفة العرش إلا هذا الحديث.

انظر: في تفسير هذه الآية: ١ -شرح الواسطية لابن عثيمين، ٢ -تفسير السعدي، ٣ -تفسير الجزائري، ص ١٥٩.

(٦) تفسير الجزائري، ص ١٥٩.

***

٧٢-(٧) «لاَ إِلَـهَ إلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَـهُ، لَـهُ الْمُلْكُ، وَلَـهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، بيده الخير، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» عَشْرَ مَرّاتٍ بَعْدَ صَلاةِ الْمَغْرِبِ وَالصُّبْحِ[1].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٥١-لفظ الترمذي عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه[2] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ صَلاَةِ الْفَجْرِ، وَهُوَ ثَانِي رِجْلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيَ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ فِي حِرْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَحَرْسٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَمْ يَنْبَغِ لِذَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلاَّ الشِّرْكَ بِاللَّهِ»**[3].

٢٥٢-ولفظ الإمام أحمد في المسند عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها[4]، تُحَدِّثُ زَعَمَتْ أَنَّ فَاطِمَةَ، جَاءَتْ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ تَشْتَكِي إِلَيْهِ الْخِدْمَةَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا قتيبة بن سعيد، برقم ٣٤٧٤، ولم يذكر إلا صلاة الفجر، وأحمد، عن عبد الرحمن بن غنم، ولم يذكر بعد الصحابي أبا ذر رضي الله عنه، وفيه صلاة المغرب، والفجر، ٢٩/ ٥١٢، برقم ١٧٩٩، وحسنه لغيره محققو المسند، ٢٩/ ٥١٢، وحسن إسناده البنّا الساعاتي في الفتح الرباني، ١٠/ ٥٤، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٣٢١، وأخرجه النسائي في الكبرى عن أبي ذر رضي الله عنه، ٩/ ١٥٥، برقم ٩٨٧٨.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٤٥ من أحاديث الشرح.

(٣) رواه الترمذي، برقم ٣٤٧٤، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٣٢١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٦٨ من أحاديث الشرح.

اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ مَجِلَتْ يَدَايَ مِنَ الرَّحَى، أَطْحَنُ مَرَّةً، وَأَعْجِنُ مَرَّةً، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ يَرْزُقْكِ اللَّهُ شَيْئًا يَأْتِكِ، وَسَأَدُلُّكِ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ: إِذَا لَزِمْتِ مَضْجَعَكِ، فَسَبِّحِي اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرِي ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدِي أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَذَلِكَ مِائَةٌ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنَ الْخَادِمِ، وَإِذَا صَلَّيْتِ صَلَاةَ الصُّبْحِ، فَقُولِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَعَشْرَ مَرَّاتٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ تُكْتَبُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَتَحُطُّ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَا يَحِلُّ لِذَنْبٍ كُسِبَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَنْ يُدْرِكَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الشِّرْكُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُوَ حَرَسُكِ، مَا بَيْنَ أَنْ تَقُولِيهِ غُدْوَةً إِلَى أَنْ تَقُولِيهِ عَشِيَّةً، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ، وَمِنْ كُلِّ سُوءٍ»(١).

٢٥٣-وفي لفظ للطبراني عَنْ مُعَاذِ بن جَبَلٍ رضي الله عنه(٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلاةِ الْغَدَاةِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ لاَ إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ أُعْطِيَ بِهِنَّ سَبْعًا كُتِبَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَمُحِيَ عَنْهُ بِهِنَّ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ وَرُفِعَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرُ دَرَجَاتٍ وَكُنَّ لَهُ عَدْلُ عَشْرِ نَسَمَاتٍ وَكُنَّ لَهُ حَافِظًا مِنَ الشَّيْطَانِ وَحِرْزًا مِنَ الْمَكْرُوهِ وَلَمْ يَلْحَقْهُ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ ذَنْبٌ إِلا الشِّرْكُ بِاللَّهِ عز وجل وَمَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنَ الْمَغْرِبِ أُعْطِيَ مِثْلَ ذَلِكَ لَيْلَتَهُ »(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ٤٤/ ١٧٥، برقم ٢٦٥٥١، بلفظه، وصححه لغيره محققو المسند، ٤٤/ ١٧٦.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤ من أحاديث الشرح.

(٣) الدعاء للطبراني، ص ٢٢٤، والمعجم الكبير، ٢٠/ ٦٤، برقم ١١٩، وعمل اليوم والليلة لابن السني، ص ٢٦٥، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ١١٤.

٢٥٤-وفي لفظ آخر للترمذي عَنْ عُمَارَةَ بْنِ شَبِيبٍ السَّبَئِيِّ[١]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ عَلَى إِثْرِ الْمَغْرِبِ، بَعَثَ اللَّهُ لَهُ مَسْلَحَةً يَحْفَظُونَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ مُوجِبَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ مُوبِقَاتٍ، وَكَانَتْ لَهُ بِعَدْلِ عَشْرِ رِقَابٍ مُؤْمِنَاتٍ»[٢].

ثانياً: مفردات الحديث:

١-قوله: «**لا إله إلا الله**»: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «يعني: لا معبود بحق إلا الله تعالى، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله لله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لابد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات... أي: تعبّدوا له، وتوسّلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»[٣].

٢-قوله: «**وحده لا شريك له**»، قال المناوي: «لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً، ... وهو تأكيد لقوله: «وحده»؛ لأن المتصف بالوحدانية لا شريك له»[٤].

٣-قَوْلُهُ: «**لَهُ الْمُلْكُ**»: تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدِ، لِأَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْجِنْسِ، فَجُعِلَ جِنْسُ الْمُلْكِ، وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛

---

(١) عمارة بن شبيب السبائي، بفتح المهملة والموحدة وهمزة مكسورة مقصور، مختلف في صحبته، يعتبر في عداد أهل مصر، وقال الترمذي: لا نعرف له سماعاً من النبي ﷺ، وقال أبو عمر مات سنة خمسين، انظر: الاستيعاب، ٣/ ١١٤٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ٥٨٢.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا محمد بن حُميد، برقم ٣٥٣٤، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من قال ذلك عشر مرات على إثر المغرب، برقم ١٠٤١٣، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ١١٣، برقم ٤٧٣.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن ٦٧.

(٤) فيض القدير، ٥/ ٢٠٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن ٦٧.

لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ»[١].

٤-قوله: «وله الحمد»: أي: الحمد المطلق، فهو محمود في السراء حمد شكر، وفي الضراء حمد تفويض»[٢].

٥-قوله: «يحيي ويميت»: أي: هو المنفرد بالإحياء والإماتة فلا تموت نفس بسبب أو بغير سبب إلا بإذنه[٣]، وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «يحيي ما يشاء من الخلق، بأن يوجده كيف يشاء... ويميت ما يشاء من الأحياء بعد الحياة، بعد بلوغه أجله فيفنيه»[٤].

٦- قوله: «بيده الخير»: قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنه سبحانه الغني بذاته عمن سواه، وله الكمال المطلق في ذاته وصفاته، وأفعاله، فملكه ملك كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه على أي وجه كان، ... »[٥].

٧-قوله: «وهو على كل شيء قدير»: قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو على إحيائكم بعد مماتكم، وعقابكم على إشراككم به الأوثانَ وغير ذلك مما أراد بكم، وبغيركم قادرٌ»[٦]، وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «... فأزمّة الأمور كلها بيده، ومدار تدبير الممالك كلها عليه، وهذا مقصود الدعوة، وزبدة الرسالة»[٧].

٨- قوله: «فِي دُبُرِ صَلَاةِ الْفَجْرِ»: قال ابن حجر: «دُبُر - بِضَمَّتَينِ -، قَالَ الأَزهَرِيّ: دُبُر الأَمر يَعنِي بِضَمَّتَينِ، ودَبره يَعنِي بِفَتحٍ ثُمَّ سُكُون: آخِره. وادَّعَى أَبُو

---

(١) المنتقى، شرح الموطأ للباجي، ٣ / ٧٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن ٦٧.
(٢) تقدمت في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن ٦٧.
(٣) تفسير السعدي، ص ٧٤٢.
(٤) تفسير الطبري، ٢٣/ ١٦٥، وتقدم في شرح المفردة رقم ٩ من مفردات حديث المتن رقم ٦٧.
(٥) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ٢٢٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١١ من مفردات حديث المتن رقم ٦٧.
(٦) تفسير الطبري، ١٥/ ٢٣٢.
(٧) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ٣/ ٣٤٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

عَمرو الزّاهِد أَنّهُ لا يُقال بِالضَّمّ إِلاَّ لِلجارِحَةِ، وردّ بِمِثلِ قَولِهُم: أَعتَقَ غُلامه عَن دُبُر، ومُقتَضى الحَدِيث أَنَّ الذِّكر المَذكُور يُقال عِند الفَراغ مِنَ الصَّلاة، فَلَو تَأَخَّرَ ذَلِكَ عَن الفِراغ، فَإِن كانَ يَسِيرًا بِحَيثُ لا يُعَدّ مُعرِضًا، أَو كانَ ناسِيًا، أَو مُتَشاغِلاً بِما ورَدَ أَيضًا بَعد الصَّلاة، كَآيَةِ الكُرسِيّ فَلا يَضُرّ»[١].

٩-قوله: «**ثَانِي رِجْلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ**»: أراد قبل أن يَصْرف رجْله عن حالتِها التي هي عليها في التَّشهُّد[٢]، ولكن في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ إذا سلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول: «**اللهمّ أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»[٣]، وهذا بعد الاستغفار ثلاثاً[٤]، ثم ينصرف بوجهه إلى الناس، وهذا هو السنة في حق الإمام، ثم يقول الأذكار المتبقية، مع هذا الذكر، أما المأموم، فله أن يبقى في ثني رجليه كما في الحديث، والعلم عند الله تعالى.

١٠-قوله: «**ولم يَنْبَغِ لِذَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ**»: أي يهلكه ويبطل عمله[٥].

١١- قوله: «**حرزاً**» أي: حفظاً له من كل مكروه من الآفات[٦].

١٢- قوله: «**وَحَرْسٍ مِنَ الشَّيْطَانِ**» وفي رواية: (حرز): أي تعويذاً من الشيطان الرجيم؛ تخصيص بعد تعميم؛ لكمال الاعتناء به[٧].

١٣- قوله: «**وَلَمْ يَنْبَغِ لِذَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلاَّ الشِّرْكَ بِاللَّهِ**»: أي: يهلكه، ويبطل عمله في ذلك اليوم إلا الشرك، أي وإن وقع منه؛ فإنه في حصن التوحيد، قال الطيبي: فيه استعارة ما أحسن موقعها؛ فإن الداعي إذا دعا بكلمة

(١) فتح الباري، ٢/ ٣٢٨.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٢٥، مادة (ثنا).
(٣) مسلم، برقم ٥٩٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٦٦.
(٤) مسلم، برقم ٥٩١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٦٦.
(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٦٤.
(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٦٤.
(٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٦٤.

التوحيد، فقد أدخل نفسه حرماً آمناً، فلا يستقيم لمذنب أن يحل ويهتك حرمة الله؛ فإذا خرج عن حرم التوحيد أدركه الشرك لا محالة، والمعنى: لا ينبغي لذنب - أي ذنب - أن يدرك القائل، ويحيط به ويستأصله، سوى الشرك[١].

١٤-قوله: «**تشتكي إليه الخدمة**»: يعني: تطلب خادمًا، كما في الروايات الأخرى[٢].

١٥-قوله: «**مَجِلَتْ يَدَايَ مِنَ الرَّحَى**»: بفتح الجيم وكسرها، يقال: مجلت يده تمجُل مجْلاً، ومجِلت تمجَل مجَلا، إذا ثخن جلدها، وتعجّر، وظهر فيها ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة[٣].

١٦-قوله: «**الرَّحا**»: التي يُطْحَن بها[٤].

١٧-قوله: «**وَسَأَدُلُّكِ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ**»: وَجهُ الْخَيْرِيَّةِ إِمَّا أَنْ يُرَادَ بِهِ أَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِالْآخِرَةِ وَالْخَادِمُ بِالدُّنْيَا، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى، وَإِمَّا أَنْ يُرَادَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا طَلَبَتْهُ بِأَنْ يَحْصُلَ لَهَا بِسَبَبِ هَذِهِ الْأَذْكَارِ قُوَّةٌ تَقْدِرُ عَلَى الْخِدْمَةِ، أَكْثَرَ مِمَّا يَقْدِرُ الْخَادِمُ[٥].

١٨-قوله: «**إِذَا لَزِمْتِ مَضْجَعَكِ**» مَضْجَعَكَ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالْجِيمِ، مِنْ ضَجَعَ يَضْجَعُ، مِنْ بَابِ مَنَعَ يَمْنَعُ، وَالْمَعْنَى إِذَا أَرَدْتَ النَّوْمَ فِي مَضْجَعِكَ[٦].

١٩-قوله: «**وَلَمْ يَلْحَقْهُ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ ذَنْبٌ**»: اللُّحُوق، بالضّمّ: اللّزوم واللّصوق، وألحقَ فُلانٌ فلاناً، وألحقَه: كلاهما جعله مُلحقَه، وتَلاحقَ القومُ: أدركَ بعضُهم بعضاً، واللَّحَق، مُحرّكة: ما يُلْحَقُ بالكِتاب بعد الفَراغِ منه،

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٦٤.
(٢) الفتح الرباني شرح مسند أحمد، ١٠/ ٥٤.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ٤/ ٢٩٩، مادة (مجل)، وانظر: الفتح الرباني شرح مسند أحمد، ١٠/ ٥٤.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ٢/ ٢١٠، مادة (رحى).
(٥) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٥٠.
(٦) تحفة الأحوذي، ١٠/ ١٩.

فيُلْحَق به ما سَقَط عنه[(١)].

٢٠-قوله: «**عدل عشر نسمات**»: عَدْل بفتح العين: المثل، والنظير، أي: مثل إعتاق عشر رقاب، وقال ابن التين: قرأناه بفتح العين، وقال الأخفش: العِدْل -بالكسر-: المِثْل، وبالفتح أصله مصدر قولك: عدلت لهذا عدلاً حسناً تجعله اسماً للمثل، فتفرق بينه وبين عدل المتاع، وقال الفراء: الفتح ما عدل الشيء من غير جنسه، والأكثر المثل[(٢)].

النَّسَمُ والنَّسَمَةُ: نفَسُ الرُّوحِ، وَمَا بِهَا نَسَمَة، أَي: نفَس، يُقَالُ: مَا بِهَا ذُو نَسَمٍ، أَي ذُو رُوح، وَالْجَمْعُ نَسَمٌ»[(٣)].

٢١-قوله: «**مسلحة يحفظونه**»: المَسْلَحة: القومُ الذين يَحَفظُون الثُّغُور من العدوّ؛ وسُمُّوا مَسْلحة لأنهم يكونون ذوي سلاح، أو لأنهم يسكنون المَسْلحة، وهي كالثغر والمَرْقَب، يكون فيه أقوام يَرقُبون العدُوَّ لئلا يَطْرُقهم على غَفْلة؛ فإذَا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهَّبُوا له[(٤)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-هذا الحديث يدل على الفضل العظيم لمن قال هذا الذكر بعد صلاة الفجر، وبعد صلاة المغرب، وفضل الله يؤتيه من يشاء.

٢-في بعض روايات هذا الحديث أن من سبح الله ثلاثاً وثلاثين، وحمد ثلاثاً وثلاثين، وكبر أربعاً وثلاثين عند النوم، فهو خير من خادم، وهذا فيه الإعانة على كل خير.

---

(١) تاج العروس، ٢٦/ ٣٥١، مادة (لحق).

(٢) عمدة القاري، للعيني، ٢٣/ ٢٢.

(٣) لسان العرب، ١٢/ ٥٧٣، مادة (نسم).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٢/ ٣٣٢.

٣-قال الشيخ البنا: «والمعنى أن الله تبارك وتعالى يغفر للعبد القائل: هذا الذكر في يومه وليلته ما اكتسبه من الذنوب ولم يؤاخذه بها.

٤-ولا ينبغي لذنب -أي ذنب- أن يدركه، ويحيط به، ويستأصله سوى الشرك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[١].

٥-يحتمل أنه يدعو به أكثر، فيكون حجة للقائلين بأن الزيادة على الوارد لا تزيل ذلك الثواب، بل تكون سببًا لزيادة الأجر، أو أنه يأتي بدعاء أو قراءة أفضل منه، والله أعلم»[٢].

٦-من قال هذا الذكر يكسب، ويفوز بسبع غنائم، على النحو الآتي:

الغنيمة الأولى: يكتب له عشر حسنات.

الغنيمة الثانية: يُمحى عنه عشر سيئات.

الغنيمة الثالثة: يُرفع له عشر درجات.

الغنيمة الرابعة: تكون له مثل إعتاق عشر رقاب مؤمنات.

الغنيمة الخامسة: لا يدركه ذنب دون الشرك بالله.

الغنيمة السادسة: يُحرس من كل شيطان، ومن كل سوء حتى يمسي، وحتى يصبح.

الغنيمة السابعة: يكون في يومه ذلك في حرز من كل مكروه. هذه غنائم سبع يحصل عليها المسلم بقول هذا الذكر اليسير على من يسره الله عليه.

***

٧٣-(٨)«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْماً نافِعاً، وَرِزْقاً طَيِّباً، وَعَمَلاً

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) الفتح الرباني شرح مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ١٠/ ٥٤.

مُتَقَبَّلاً» بَعْدَ السَّلامِ مِنْ صَلاَةِ الفَجْرِ[(١)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٥٥-عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها[(٢)]، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً»**[(٣)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللهمّ إني أسألك**»: أي: أدعو وأطلب من الله ربي، وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «لا خلاف أن لفظة: (**اللهمّ**) معناها: يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب»[(٤)]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «**سؤال الله**، والتوسل إليه بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وفعل ما يحبه»[(٥)].

٢- قوله: «**علمًا نافعًا**»: أي: أنتفع به، وأدعو إليه غيري؛ لتعم بركة العلم، قال ابن عثيمين رحمه الله: «وكم من عامي جاهل تجد عنده من الخشوع لله عز وجل، ومراقبة الله، وحسن السيرة، والسلوك، والعبادة، أكثر بكثير مما عند طالب العلم»[(٦)].

٣-قوله: «**رزقًا طيبًا**»: أي: حلالًا، لا تشوبه شبهة،قال الصنعاني رحمه الله:

---

(١) ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب ما يقال بعد التسليم، برقم ٩٢٥، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ١٠٢، والمعجم الصغير للطبراني، ٢/ ٣٦، برقم ٧٣٥، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/١٥٢، وسيأتي برقم ٩٥ من أحاديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٦٨ من أحاديث الشرح.

(٣) ابن ماجه، برقم ٩٢٥، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/١٥٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) جلاء الأفهام، ص ١٤٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من حديث المتن رقم ١.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ٢/ ٣٢٢.

(٦) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٧/ ١٦٦.

«وهو الحلال، ويحتمل أن المراد الحلال الطيب في نفسه»[١].

٤-قوله: «**وعملًا متقبلًا**»: أي: اقبل عملي تفضلًا منك، وإنعامًا، إذ التوفيق لا يكون إلا منك، ويرى ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن العمل المتقبل مَا كَانَ مُوَافِقًا لِشَرْعِ اللَّهِ، وَهُوَ الَّذِي يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَذَانَ رُكْنَا الْعَمَلِ الْمُتَقَبَّلِ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِلَّهِ، صواباً عَلَى شَرِيعَةِ رَسُولِ اللَّهِ[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-العلم النافع هو الذي يورث العمل، إذ العلم علمان: علم في القلب، وعلم على اللسان: أما علم القلب فثمرته الخشية، وأما علم اللسان فهو حجة الله على عبده؛ ولذلك استعاذ النبي ﷺ من العلم الذي لا ينفع[٣].

٢-الحث على طلب الرزق الحلال الذي هو سبيل لاستجابة الدعاء، وهذا هو هدي الأنبياء والمرسلين.

٣-قبول العمل هو غاية كل مسلم، ومن شروطه بعد الإيمان أن يكون خالصًا لوجه الله، صوابًا باتباع السنة الصحيحة.

٤-طلب الرزق من الله ليس مقصورًا على الأمور المادية، بل هو شامل لما يعين المسلم على زيادة الإيمان في قلبه: من تلاوةٍ مع التدبر، وذكرٍ مع مواطئةٍ للقلب.

٥-المراد بالعلم النافع هنا هو: علم الكتاب والسنة؛ لأنه هو العلم الذي وردت النصوص في فضله، وبقية العلوم خادمة لهذا العلم، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا فرق بين المجاهد الذي يسوي رأس سيفه، وبين طالب العلم الذي يستخرج

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، ٩/ ٣٨١.
(٢) انظر:تفسير ابن كثير، ٥/ ٢٠٥.
(٣) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، برقم ٢٧٢٢.

المسائل العلمية من بطون الكتب، كل منهم يعمل للجهاد في سبيل الله؛ ولذا أعقب الإمام النووي باب الجهاد بباب العلم ليبين أنه مثله[١].

٦-الواجب على كل مسلم أن يتعلم ما يصحّ به اعتقاده من أمور التوحيد، وعبادته من صلاة، وصيام، وزكاة إن كانت عليه زكاة، وكذا الحج إن استطاع إليه سبيلًا.

٧-في بدء النبي ﷺ بسؤال العلم النافع قبل الرزق الطيب، والعمل المتقبل، إشارة مهمة، وهي أن العلم النافع مقدم على أي شيء؛ لذلك قال الله ﷻ: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾**[٢]، فبه يستطيع المسلم أن يميز بين العمل الصالح وغيره، وكذلك بين الرزق الحلال، والرزق الذي تحوم حوله الشبهات[٣].

٨-من الذكر بعد السلام من الصلاة: ربِّ قني عذابك يوم تبعث عبادك، فعَنِ الْبَرَاءِ ﷺ، قَالَ: «كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَحْبَبْنَا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ، يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ [أَوْ تَجْمَعُ] عِبَادَكَ**»[٤].

***

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، كتاب العلم، ص ١٥٧٨.
(٢) سورة محمد، الآية: ١٩.
(٣) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة عبد الفتاح، ص ٢٢٧.
(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب يمين الإمام، برقم ٧٠٩.

٢٦ – دُعاءُ صَلاةِ الاستخَارَة

٧٤–قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما(١): كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «**إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ؛ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ – وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ – خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي – أَوْ قَالَ: عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ – فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي – أَوْ قَالَ: عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ – فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ**»(٢).

وَمَا نَدِمَ مَنِ اسْتَخَارَ الْخَالِقَ، وَشَاوَرَ الْمَخْلُوقِينَ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَثَبَّتَ فِي أَمْرِهِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سبحانه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾(٣).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٥٦–عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما(٤)، قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاِسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كلها، كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «**إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ**

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧١ من أحاديث الشرح.

(٢) البخاري، كتاب أبواب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، برقم ١١٦٢، وكتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة، برقم ٦٣٨٢، وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ﴾، برقم ٧٣٩٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩ .

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧٢ من أحاديث الشرح.

بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، - أَوْ قَالَ: - عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ - فِي عَاجِلِ أَمْرِي، وَآجِلِهِ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ» قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ»[١]، هذا لفظ البخاري.

٢٥٧-وفي لفظ للبخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي، وَآجِلِهِ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي، قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**يعلمنا الاستخارة**»: هي طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما، قال ابن الأثير رحمه الله: «الْخَيْرُ ضِدُّ الشَّر، ... وخَارَ اللَّهُ لَكَ: أَيْ أَعْطَاكَ مَا هُوَ خَيْرٌ لَك... والِاسْتِخَارَةُ: طَلَبُ الخِيَرَة فِي الشَّيْءِ، وَهُوَ اسْتِفْعَالٌ مِنْهُ،

---

(١) البخاري، برقم ١١٦٢، وتقدم تخريجه ي تخريج حديث المتن.

(٢) البخاري، برقم ٦٣٨٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

يُقَالُ اسْتَخِرِ اللهَ يَخِرْ لَكَ، وَمِنْهُ دُعاء الِاسْتِخَارَة: «اللهُمَّ خِرْ لِي» أَيِ اخْتَرْ لِي أَصلَحَ الأَمْرَين، واجْعَلْ لِي الخِيَرَةَ فِيهِ»[1].

٢-قوله: «**في الأمور كلها**» أي: في أمور الدنيا، كالزواج من فلانة - وليس أصل الزواج – والسفر، وبناء الدار، وتكون في المباح، ولا تكون في المستحبات، ولا الواجبات؛ لأن الأصل فعلها، ومن باب أولى لا تكون في المكروهات، ولا المحرمات؛ لأن الأصل تركها، إلا أن الاستخارة تجوز في الواجبات التي وقتها موسع، كالحج عند من يرى أنه واجب على التراخي، أي: هل يحج هذا العام أم الذي بعده؟! وكذلك يستخير في الطرق إلى الحج إذا تعددت، ووسائل النقل إذا تعددت، والأصحاب والرفقة إذا تعددوا، وكذلك يُستخار في المستحبات عند تواردها، وتعارضها، كمن أراد أن يذهب إلى عمرة، أو إلى تعلم علم شرعي؛ فإنه يستخير. ، قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللهُ: «على المؤمن ردّ الأمور كلها إلى الله، وصرف أزمتها، والتبرؤ من الحول، والقوة إليه، وينبغي له ألا يروم شيئًا من دقيق الأمور وجليلها حتى يستخير الله تعالى فيه، ويسأله أن يحمله فيه على الخير، ويصرف عنه الشر، إذعانًا بالافتقار إليه في كل أمر، والتزامًا بالذلة والعبودية له، وتبركًا باتباع سنة نبيه في الاستخارة، ولذلك كان عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلمهم هذا الدعاء، كما يعلمهم السورة من القرآن؛ لشدة حاجتهم إلى الاستخارة في الحاجات كلها، كشدة حاجتهم إلى القراءة في كل الصلوات»[2].

٣-قوله: «**كما يعلمنا السورة من القرآن**»: قيل وجه التشبيه عموم الحاجة في الأمور كلها إلى الاستخارة، كعموم الحاجة إلى القراءة في الصلاة، وقيل وجه الشبه في ترتيب كلماته، ومنع الزيادة والنقص، ويحتمل أن يكون من جهة كون

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٩١، مادة (خير).
(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٩/ ٣٢٤.

كل منهما عُلم بالوحي[١].

٤-قوله: «**إذا هَمَّ أحدكم بالأمر**» أي: إذا أجمع القلب على فعل شيء، قال ابن علان رَحِمَهُ الله: «الأمر: الجائز فعلاً أو تركاً»[٢].

٥-قوله: «**فليركع ركعتين**» أي: ليصلي ركعتين، وقد يذكر الركوع ويراد به الصلاة. لقوله: ﴿**وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾[٣]، ويذكر السجود، ويراد به الصلاة؛ لقوله: ﴿**وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب**﴾[٤]، وهذا من باب ذكر الجزء، وإرادة الكل، قال الباجي رَحِمَهُ الله: «فَلْيَرْكَعْ ركعتينِ: لَفْظُه لفظ الأمر، وهو محمولٌ على النَّدْبِ، بدليل أنّه لا يجب من الصَّلوات إلا الخمس»[٥].

٦-قوله: «**من غير الفريضة**»: يريد بذلك الصلوات الخمس، أي: لا يستخير فيها، بل تكون هذه الصلاة صلاة نافلة خالصة لهذا الأمر، وهو دليل على عدم الوجوب، وقال الحافظ في الفتح: «فيهِ احتِراز عَن صَلاة الصُّبح مَثَلاً، ويَحتَمِل أَن يُرِيد بِالفَرِيضَةِ عَينها، وما يَتَعَلَّق بِها، فَيَحتَرِز عَن الرّاتِبَة كَرَكعَتِي الفَجر مَثَلاً، وقالَ النَّوَوِيّ فِي «الأَذكار»: لَو دَعا بِدُعاءِ الاستِخارَة عَقِب راتِبَة صَلاة الظُّهر مَثَلاً، أَو غَيرها مِنَ النَّوافِل الرّاتِبَة، والمُطلَقَة، سَواء اقتَصَرَ عَلَى رَكعَتَينِ أَو أَكثَر أَجزَأَ، كَذا أَطلَقَ، وفِيهِ نَظَر، ويَظهَر أَن يُقال: إِن نَوى تِلكَ الصَّلاة بِعَينِها، وصَلاة الاستِخارَة مَعًا أَجزَأَ، بِخِلافِ ما إِذا لَم يَنوِ، ويُفارِق صَلاة تَحِيَّة المَسجِد؛ لأَنَّ المُراد بِها شَغل البُقعَة بِالدُّعاءِ، والمُراد بِصَلاةِ الاستِخارَة أَن يَقَع الدُّعاء عَقِبها، أَو فِيها، ويَبعُد الإِجزاء لِمَن عَرَضَ لَهُ الطَّلَب بَعد فَراغ الصَّلاة؛ لأَنَّ ظاهِر الخَبَر أَن

---

(١) انظر: فتح الباري، ١١/ ٢١٠.
(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٢٠٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٣.
(٤) سورة العلق، الآية: ١٩.
(٥) المسالك في شرح موطأ مالك، ٣/ ١٣٥.

تَقَع الصَّلاة والدُّعاء بَعد وُجود إِرادَة الأَمر ... وأيضاً قال: «ويُؤخَذ مِن قَولِه: «مِن غَير الفَرِيضَة» أَنَّ الأَمر بِصَلاةِ رَكعَتَي الاستِخارَة لَيس عَلَى الوُجُوب، قالَ شَيخنا فِي شَرح التِّرمِذِيّ: ولَم أَرَ مَن قالَ بِوُجُوبِ الاستِخارَة»[1].

٧-قوله: «ثم ليقل اللَّهم إني أستخيرك» أي: أطلب منك أن توفقني، وتسدد خطاي إلى خير الأمر، فأنت تعلمه، وأنا أجهله، «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَلله، ... »[2]، وقال الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «معناه اسْتَفعَلَ: يُسْتَعمل في لسان العرب، ويأتي على معانٍ: منها سؤال الفعل، فتقدير الكلام: أطلب منك الخَيْرَ والخِيْرَة فيما هممتُ به، والخيرُ هو كلُّ فعْلٍ سألَهُ العبدُ من اللهِ»[3].

٨-قوله: «بعلمك»: الباء هنا للتعليل، أي لأنك أعلم، وكذا في قوله: «بقدرتك» ويُحتمل أن تكون للاستعانة، كقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْراهَا وَمُرْسَاهَا﴾[4]، ويحتمل أن تكون للاستعطاف، كقوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾[5].

٩-قوله: «وأستقدرك» أي: أطلب منك أن تجعل لي على ذلك قدرة بتيسير الخير لي[6].

١٠-قوله: «بقدرتك»: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَعِلْمُهُ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِهِ، وَقُدْرَتُهُ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِهِ، ... وَإِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِقُدْرَتِهِ، وَمَشِيئَتِهِ، وَإِنْ سَمَّى فِعْلًا بِهَذَا الِاعْتِبَارِ فَهُوَ صِفَةٌ بِاعْتِبَارِ قِيَامِهِ بِالْمُتَكَلِّمِ»[7]. وقال العيني

---

(١) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٨٥.
(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح حديث المتن رقم ١، في شرح المفردة رقم ٦.
(٣) المسالك في شرح موطأ مالك، ٣/ ٤٨٨.
(٤) سورة هود، الآية: ٤١.
(٥) سورة القصص، الآية: ١٧.
(٦) انظر: فتح الباري ١٢/ ٢١١.
(٧) مجموع الفتاوى، ١٧/ ١٥٢.

رَحِمَهُ اللَّهُ: «القدرة لله وحده»[(١)]، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب آخر: «أطلب منك القدرة على ما نويتُه، فإنك قادر على إقداري عليه، أو تقدر لي الخير بسبب قدرتك عليه، والباء للسببيّة في الموضعين»[(٢)].

١١-قوله: «**وأسألك من فضلك العظيم**»: هذا إشارة إلى أن عطاء الله محض فضل منه، وتمام جود على عبده، فليس لأحد على الله حق في نعمه، وهو مذهب أهل السنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَهَذَا السُّؤَالُ مِنْ جُودِهِ وَمَنِّهِ وَعَطَائِهِ وَإِحْسَانِهِ الَّذِي يَكُونُ بِمَشِيئَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَحَنَانِهِ»[(٣)].

١٢-قوله: «**فإنك تقدر ولا أقدر**»: إشارة إلى أن العلم والقدرة لله وحده، وليس للعبد من ذلك إلا ما قدر الله له، وكأنه قال: أنت يا رب تقدر قبل أن تخلق في القدرة، وعندما تخلقها في وبعد ما تخلقها[(٤)].

١٣-قوله: «**وتعلم ولا أعلم**»، قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: حقيقة العلم بعواقب الأمور، ومآلها، والنافع منها، والضار عندك، وليس عندي»[(٥)].

١٤-قوله: «**وأنت علام الغيوب**» أي: أنه لا يختص بمعرفة ما في الغيب إلا أنت، وأنت كذلك العليم بعواقب الأمور، ما هو النافع منها والضار، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَغَيْبُهُ الَّذِي اخْتَصَّ بِهِ لَا يُظْهِرُ عَلَيْهِ أَحَدًا إلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ... وَأَمَّا مَا أَظْهَرَهُ لِعِبَادِهِ فَإِنَّهُ يُعَلِّمُهُ مَنْ شَاءَ، وَمَا تَتَحَدَّثُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ فَقَدْ تَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ بَعْضَهُ؛ لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ غَيْبِهِ وَعِلْمِ نَفْسِهِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، ٢٣/ ١١.
(٢) شرح أبي داود للعيني، ٥/ ٤٥٠.
(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٤/ ١٤٢.
(٤) شرح أبي داود للعيني، ٥/ ٤٥٠.
(٥) شفاء العليل، ص ١١٠.

بَلْ هَـذَا قَـدْ أَظْهَـرَ عَلَيْـهِ مَـنْ شَـاءَ مِـنْ خَلْقِـهِ»[(١)]، وقـال السـعدي رَحِمَهُ اللهُ: «عَـلاَّمُ الْغُيُوبِ: الذي يعلم ما تنطوي عليه القلوب، من الوساوس والشبه، ويعلم ما يقابل ذلك، ويدفعه من الحجج»[(٢)].

١٥-قوله: «**اللَّهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر**»: هذا راجع إلى عدم علم العبد بعاقبة أمره، أما علم الله فهو محيط بكل شيء[(٣)]، وقال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر أي: الذي عزمت عليه»[(٤)].

١٦-قولـه: «**ويسـمي حاجتـه**» أي: أمر الـزواج مـن فلانـة، أو السـفر إلـى مكان كذا أو غير ذلك مما يستخير من أجله من المباحات، قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «ويسمي حَاجته: أَي: فِي أَثْنَاء الدُّعَاء عِنْد ذكرهَا بِالْكِنَايَةِ عَنْهَا فِي قَوْله: إِن كَانَ هَذَا الْأَمر»[(٥)]، وقال ابن الملقن رَحِمَهُ اللهُ: «أي: إما بلسانه، أو بقلبه؛ لأنه من الدعاء والعمل الذي يتقرب به إلى الله»[(٦)].

١٧-قوله: «**خير لي في ديني**»: قدم الدين؛ لأنه الأهم، والأجدر بالحرص عليه؛ فإذا صحّ دين الإنسان؛ فقد فاز، وإن اختلّ فلا بركة في شيء بعد ذلك، قال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «**خير لي في ديني**»: «بأن لا يترتب عليه نقص ديني، ولا دنيوي»[(٧)].

١٨-قوله: «**ومعاشي**»: «بِالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ وَفَتْحِ الْمِيمِ حَيَاتِي، أَوْ مَا يُعَاش

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٤/ ١٩٧.
(٢) تفسير السعدي، ص ٦٨٢.
(٣) فقه الأدعية والأذكار/ عبد الرزاق عبد المحسن البدر، ص ١٧٨.
(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٢٠٥.
(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٧/ ٢٢٤.
(٦) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٩/ ١٥٩.
(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٣.

فِيهِ ذَكَرَهُ الْقَسْطَلَّانِيُّ»[١].

١٩-قوله: «**وعاقبة أمري**»: قال العيني: «إن كان فيه خير يرجع لديني، ولمعاشي، وعاقبة أمري، وإنما ذكر عاقبة الأمر؛ لأنه رُبّ شيء يهمّه الرجل يكون فيه خير في تلك الحال في الظاهر، ولكن لا يكون له خير في آخر الأمر، بل ينقلب إلى عكسه»[٢].

٢٠-قوله: «**أَوْ قَالَ: عَاجِلَ أَمْرِي وآجله**» إلَخْ. أَيْ بَدَلَ قَوْلِهِ: «**فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي**»، يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالْأَمْرِ الْحَيَاةُ، أَيْ: فِي حَيَاتِي الْعَاجِلَةِ، وَحَيَاتِي الْآجِلَةِ، أَيْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَالْحَيَاةِ الْأُخْرَوِيَّةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ أَحْوَالُهُ الدُّنْيَوِيَّةُ وَأَحْوَالُهُ الْأُخْرَوِيَّةُ»[٣]، قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعاجل الأمر يشمل الديني، والدنيوي، والآجل يشملهما»[٤].

٢١-قوله: «**فاقدره لي**»: أي: فقدره يقال قدرت الشيء أقدره بالضم والكسر قدرا من التقدير قال شهاب الدين القرافي في كتاب أنوار البروق: يتعين أن يراد بالتقدير هنا التيسير فمعناه فيسره»[٥].

٢٢-قوله: «**ثم يسره لي**» يعني بذلك الأسباب التي علامات على تحصيل المطلوب، وفى رواية: «**يسره لي**»، وفي أخرى: «**وبارك فيه**»، ثم «**يسره لي**»[٦]. قال الإمام ابن القيم: «ولما كان العبد يحتاج في فعل ما ينفعه في معاشه، ومعاده إلى علم ما فيه من المصلحة، وقدّره عليه، وتيسره له، وليس

(١) شرح مختصر خليل في الفقه المالكي، للخرشي، ١/ ٣٧.
(٢) شرح أبي داود للعيني، ٥/ ٤٥٠.
(٣) شرح مختصر خليل في الفقه المالكي، للخرشي، ١/ ٣٧.
(٤) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٣٦٣.
(٥) عمدة القاري، للعيني، ١١/ ٣٨٤.
(٦) اتحاف السادة المتقين الزبيدي (٣/ ٤٦٥، بترقيم الشاملة آليا)

له من نفسه شيء من ذلك، بل علمه ممن علم الإنسان ما لم يعلم، وقدرته منه، فإن لم يقدره عليه، وإلا فهو عاجز، وتيسيره منه، فإن لم ييسره عليه، وإلا فهو متعسر عليه بعد أقداره، أرشده النبي ﷺ إلى محض العبودية، وهو جلب الخيرة من العالم بعواقب الأمور، وتفاصيلها، وخيرها، وشرها، وطلب القدرة منه، فإنه إن لم يقدره، وإلا فهو عاجز، وطلب فضله منه؛ فإن لم ييسره له، ويهيئه له، وإلا فهو متعذر عليه، ثم إذا اختاره له بعلمه، وأعانه عليه بقدرته، ويسره له من فضله، فهو يحتاج إلى أن يبقيه عليه، ويديمه بالبركة التي يضعها فيه، والبركة تتضمن ثبوته، ونموه، وهذا قدر زائد على إقداره عليه، وتيسيره له»[(١)].

٢٣-قوله: «**ثم بارك لي فيه**»: هذا متضمن لوقوع هذا الشيء، وثبوته ونموه، والانتفاع به، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «...وإذا أنزل اللَّهُ البركةَ لشخص فيما أعطاه، صار القليلُ منه كثيراً، وإذا نُزعت البركةُ صار الكثيرُ قليلاً»[(٢)].

٢٤-قوله: «**وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني**»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «أي: حقيقة العلم بعواقب الأمور، ومآلها، والنافع منها، والضار عندك، وليس عندي»[(٣)].

٢٥-قَوله : «**وعاقِبَة أمري أَو قالَ: فِي عاجِل أَمرِي وآجِله**»: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «هُو شَكّ مِنَ الرّاوِي، ولَم تَختَلِف الطُّرُق فِي ذَلِك، واقتَصَرَ فِي حَدِيث أَبِي سَعِيد عَلَى «**عاقِبَة أَمرِي**»، وكَذا فِي حَدِيث ابن مَسعُود، وهُو يُؤَيِّد أَحَد الاحتِمالَينِ فِي أَنَّ العاجِل والآجِل مَذكُورانِ بَدَل الأَلفاظ الثَّلاثَة

---

(١) شفاء العليل، ص ٣٣.
(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٤/ ٢٦.
(٣) شفاء العليل، لابن قيم الجوزية، ص ١١٠.

ديني، ومعاشي، وعاقبة أمري» أَو بَدَل الأَخِيرَينِ فَقَط معاشي، وعاقبة امري، وعَلَى هَذا فَقَول الكَرمانِيّ: لا يَكُون الدّاعِي جازِمًا بِما قالَ رَسُول اللَّه ﷺ إلاَّ إن دَعا ثَلاث مَرّات، يَقُول مَرَّة: فِي دِينِي، ومَعاشِي، وعاقِبَة أَمرِي، ومَرَّة: فِي عاجِل أَمرِي وآجِله، ومَرَّة فِي دِينِي وعاجِل أَمرِي وآجِله»[(١)].

٢٦-قوله: «وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني، ومعاشي، وعاقبة أمري، أو قال: **عاجل أمري وآجله»**: قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: معادي، قال السندي: ينبغي أن يجعل الواو ههنا بمعنى أو بخلاف قوله: «خير لي في كذا وكذا»، فإن هناك على بابها؛ لأن المطلوب حين تيسره أن تكون خيراً من جميع الوجوه، وأما حين الصرف فيكفي أن يكون شراً من بعض الوجوه»[(٢)].

٢٧-قوله: «فاصرفه عني واصرفني عنه»: أي: حتى لا يبقى القلب متعلقًا به بعد صرف الأمر عنه، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَي: حَتَّى لا يَبقَى قَلبه بَعد صَرف الأَمر عَنهُ مُتَعَلِّقًا بِهِ، وفِيهِ دَلِيل لأَهلِ السُّنَّة أَنَّ الشَّرّ مِن تَقدِير اللَّه عَلَى العَبد؛ لأَنَّهُ [أي العبد] لَو كانَ يَقدِر عَلَى اختِراعه لَقَدَرَ عَلَى صَرفه، ولَم يَحتَج إِلَى طَلَب صَرفه عَنهُ»[(٣)].

٢٨-قوله: «واقدر لي الخيرحيث كان»: قال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: ما فيه ثواب، ورضا منك على فاعله حيث كان، أي: أقدرني على فعله في أيّ مكان وأي زمان حصل»[(٤)].

٢٩-قوله: «ثم رضني به»: قال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «حتى لا أزدري شيئاً من نعمك

---

(١) فتح الباري، ١١/ ١٨٦.
(٢) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٣٦٣.
(٣) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٨٦.
(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٢٠٦.

ولا أحسد أحداً من خلقك، وحتى أندرج في سلك الراضين الممدوحين»[١].

٣٠-قوله: «**ثم أرضني به**»: لأن المقدور يكتنفه أمران: الاستخارة قبل وقوعه، والرضا بعد وقوعه، ومن سعادة العبد أن يجمع بينهما[٢].

٣١-ومعنى قوله تعالى: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾[٣]»، أي: شاور يا محمد ذوي الرأي من أصحابك في الأمور المهمة، فإذا ترجح رأي فاعزم على تنفيذه متوكلًا على الله، قال السعدي رحمه الله: «أي: الأمور التي تحتاج إلى استشارة ونظر وفكر، فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره»[٤].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-يُشترط فيمن يُستشار أمور، منها:

أ – أن يكون معروفًا بسداد رأيه، وخبرته في هذه الأمور.

ب – أن يكون معروفًا عنه التأني في الرأي، وعدم التسرع.

جـ – أن يكون ذا دين، وصلاح.

٢-من فوائد الاستشارة، الأمور الآتية:

أ – أنها من العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله؛ لقوله: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾، وإن كان خطابًا للنبي ﷺ؛ فإن لنا فيه الأسوة والقدوة.

ب – أنها تطيب النفوس، وتجمع القلوب.

جـ – أنها تنوِّر الأفكار، وتعمل العقول.

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٢٠٦.
(٢) إغاثة اللَّهفان، لابن القيم، ١/٢٨.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٤) تفسير السعدي، ص ١٥٤.

د – إن من ثمرة المشورة صواب الرأي وسداده، قال ابن عطية: الشورى من قواعد الشريعة، وعزائم الأحكام.

٣-شفقة النبي ﷺ على أمته، وتعليمهم جميع ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

٤-المؤمن يتبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته؛ إذ لا حول ولا قوة إلا بالله.

٥-إثبات أن الخير والشر من تقدير الله ﷻ، وأنه لا قدرة للعبد على جلب منفعة، أو دفع مضرة إلا بالله ﷻ، لكن الشر لا يُنسب إلى الله؛ لأنه لا يأتي منه إلا الخير، وإنما يُنسب إلى مفعولاته، والله خالق كل شيء، كما قال النبي ﷺ: «وَالشَّرُّ لَيسَ إِلَيكَ»[1].

٦-تضمن هذا الدعاء أمورًا عظامًا: كالإقرار لله بالربوبية، والإقرار بصفات الكمال: في العلم، والقدرة، والإرادة، وغير ذلك.

٧-الاستخارة توكُّلٌ على الله، وإحسان ظن من العبد بربه أنه يختار له الأنفع، وهذا من لوازم الرضا بالله تعالى.

٨-قطع هذا الدعاء كل طريق على أهل التطيُّرِ والتنجيم، واختيار الطالع، وقراءة الفنجان، أو ما يسميه الناس «حظك اليوم»، كما كان يفعل أهل الجاهلية، فهذا الدعاء الذي كله توحيد، وافتقار، وعبودية، أعطاهم الله إيّاه بدلاً من ذلك.

٩-لا فرق في صلاة الاستخارة بين الليل والنهار ولا يشترط أن ينام المستخير بعدها أو أن يرى رؤيا، بل يعزم ويتوكل على الله.

١٠-لم يثبت شيء عن النبي ﷺ في القراءة في صلاة الاستخارة، ومن قال: يقرأ في الأولى بـ«الكافرون»، وفي الثانية بـ«الإخلاص» فهو مجرد اجتهاد منه، والثابت عن النبي

(١) أخرجه مسلم، برقم ٧٧١، وتقدم تخريجه.

ﷺ القراءة بهاتين السورتين في السنة التي بعد صلاة المغرب(١)، وركعتي الطواف(٢)، وكذلك ركعتي الفجر التي قبل صلاة الفجر(٣).

١١-لا بأس بتكرير الاستخارة وقد فعل ذلك عبد الله بن الزبير في حريق البيت في زمن يزيد بن معاوية حيث قال: «إني مستخير ربي ثلاثًا ثم عازم على أمري»(٤) كما أن الاستخارة دعاء وكان من هدي النبي ﷺ أن يدعو ثلاثًا كما فعل في الاستسقاء بقوله ﷺ: «**اللَّهم أغثنا**» قالها ثلاثًا(٥).

١٢-لا أعلم مستندًا صحيحًا لمن قال: إن هذا الدعاء في السجود، أو عقب التشهد، إلا العمومات التي تفيد أن السجود، وبعد التشهد مواطن دعاء، ولكن النص في دعاء الاستخارة صريح في كون الدعاء عقب الصلاة(٦).

١٣-حديث أن النبي ﷺ كان إذا أراد الأمر قال: «**اللَّهم خِرْ لي، واختر لي**»(٧)، وكذلك حديث: «**يا أنس إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات، ثم انظر إلى الذي سبق إلى قلبك فإن الخير فيه**»(٨)، وكذلك حديث: «**من سعادة ابن آدم استخارة**

---

(١) ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما يقرأ في الركعتين بعد المغرب، برقم ١١٦٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٣٣٢٨.

(٢) مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ في حديث جابر الطويل، برقم ١٢١٨.

(٣) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب اسْتِحْبَابِ تَحِيَّةِ الْمَسْجِدِ بِرَكْعَتَيْنِ وَكَرَاهَةِ الْجُلُوسِ قَبْلَ صَلاَتِهِمَا وَأَنَّهَا مَشْرُوعَةٌ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ، برقم ٧١٤.

(٤) مسلم، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، برقم ١٣٣٣.

(٥) البخاري، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة، برقم ١٠١٤.

(٦) انظر: فقه الدعاء للعدوي، ١٦٨.

(٧) الترمذي، كتاب الدعوت، باب ٨٦ حدثنا محمد بن بشار، برقم (٣٥١٦)، والبيهقي في شعب الإيمان، ٢١٩/١، برقم ٢٠٤، والبزار، ١٢٩/١، برقم ٥٩، وأبو يعلى، ٤٥/١، برقم ٤٤، والخرائطي في مكارم الأخلاق، ١/ ٢٠٥، وضعفه الألباني في الضعيفة، برقم ١٥١٥.

(٨) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٥٩٧، والديلمي في مسند الفردوس، ٣٦٥/٥، برقم ٨٤٥١، وضعفه النووي في الأذكار برقم ٣٠٥، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ١١/ ١٨٧: «لَكِن سَنَده واهٍ جِدًّا» وكذلك ضعفه الألباني في الكلم الطيب، ص ٧١.

الله...» الحديث، وفيه: «**ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله**»[١]، كل هذه الأحاديث ذكر العلماء أنها ضعيفة، لا يعتمد عليها[٢].

* * *

(١) أخرجه أحمد، ٣/ ٥٤، برقم ١٤٤٤، والترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء في الرضا بالقضاء، برقم ٢١٥١، وضعفه محققو المسند، ٣/ ٥٤، وقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع، برقم ٥٣٠٠.
(٢) انظر: تخريج هذه الأحاديث الأسطر السابقة في تخريجها.

سلسلة مؤلفات سعيد بن علي بن وهف القحطاني (١١٩)

إتحاف المسلم

بشرح حصن المسلم

من أذكار الكتاب والسنة

تأليف الفقير إلى الله تعالى
د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

- ٢ -



٢٧ - أذْكَارُ الصَّبَاحِ والمَسَاءِ(١)(٢)

٧٥-(١) أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ ﴿اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾(٣).

---

(١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ، مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَةً» أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب في القصص، برقم ٣٦٦٧، وأحمد في المسند، ٣٦/ ٥٢٢، برقم ٢٢١٩٤، ولفظه: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَأَنْ أَقْعُدَ أَذْكُرُ اللَّهَ، وَأُكَبِّرُهُ، وَأَحْمَدُهُ، وَأُسَبِّحُهُ، وَأُهَلِّلُهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ رَقَبَتَيْنِ، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَمِنْ بَعْدِ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتِقَ أَرْبَعَ رِقَابٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ» وحسنه محققو المسند، وأبو يعلى، ٦/ ١١٩، برقم ٣٣٩٢، وأبو يعلى، ٦/ ١١٩، برقم ٣٣٩٢، ولفظه: «عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ أَقْوَامٍ يَذْكُرُونَ اللهَ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْفَجْرِ إِلَى أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، دِيَةُ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، وَلَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ أَقْوَامٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، دِيَةُ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»» وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٦٩٨/٢، والمشكاة، برقم ٩٧٠.

(٢) ووقت أذكار الصباح على الصحيح من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس، وأذكار المساء من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس. وانظر: الوابل الصيب لابن القيم، ص ٢٤٠، وفي تفصيل ذلك الفائدة الأولى من فوائد هذا الحديث، الآتي ذكرها بعد صفحتين.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥. من قالها حين يصبح أجير من الجن حتى يمسي، ومن قالها حين يمسي أجير منهم حتى يصبح. أخرجه الحاكم، ٥٦٢/١، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢٧٣/١، وعزاه إلى النسائي، والطبراني، وقال: «إسناد الطبراني جيد».

الشـــرح:

أولاً لفظ الحديث:

٢٥٨-عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ(١)، أَنَّهُ كَانَ لَهُ جَرِينُ تَمْرٍ، فَكَانَ يَجِدُهُ يَنْقُصُ، فَحَرَسَهُ لَيْلَةً، فَإِذَا هُوَ بِمِثْلِ الْغُلاَمِ الْمُحْتَلِمِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ، فَقَالَ: أَجِنِّيٌّ، أَمْ إِنْسِيٌّ؟ فَقَالَ: بَلْ جِنِّيٌّ، فَقَالَ: أَرِنِي يَدَكَ فَأَرَاهُ، فَإِذَا يَدُ كَلْبٍ، وَشَعْرُ كَلْبٍ، فَقَالَ: هَكَذَا خَلْقُ الْجِنِّ، فَقَالَ: لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنُّ إِنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ رَجُلٌ أَشَدَّ مِنِّي، قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: أُنْبِئْنَا أَنَّكَ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ، فَجِئْنَا نُصِيبُ مِنْ طَعَامِكَ، قَالَ: مَا يُجِيرُنَا مِنْكُمْ؟ قَالَ : تَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ﴿**اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إِذَا قَرَأْتَهَا غُدْوَةً أُجِرْتَ مِنَّا حَتَّى تُمْسِيَ، وَإِذَا قَرَأْتَهَا حِينَ تُمْسِي أُجِرْتَ مِنَّا حَتَّى تُصْبِحَ، قَالَ أُبَيٌّ فَغَدَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: **صَدَقَ الْخَبِيثُ**»(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-تقدَّم شرح وتفسير الآية الكريمة في الحديث رقم (٧١) من المتن.

٢-قوله: «**جَرِينُ تَمْرٍ**»: هو موضع تَجْفيف التَّمْرِ، وهُوَ له كالبَيْدَر للحِنْطة، ويُجْمع على جُرُن بضَمَّتَين(٣).

---

(١) أبي بن كعب سيد القراء: أبو المنذر الأنصاري، شهد العقبة، وبدرًا، وجمع القرآن في حياة النبي ﷺ، وعرضه عليه رواه الطبراني في الكبير، برقم ٥٤١، وصحح إسناده الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٦٦٢، من أعظم مناقبه أن الله أمر النبي ﷺ أن يقرأ عليه سورة البينة، وأن الله سماه باسمه للنبي ﷺ البخاري، برقم ٣٨٠٩. كان رأسًا في العلم والعمل، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يجلّه، ويسميه بسيّد المسلمين، وقد مات في خلافة عثمان ﷺ سنة ثلاثين من الهجرة.سير أعلام النبلاء، ١/ ٣٨٩، ترجمة رقم (٨٢).

(٢) أخرجه الحاكم، ١/ ٥٦٢، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢٧٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٣٧، مادة (جرن).

٣-قوله: «الْغُلاَمِ الْمُحْتَلِمِ»: أي الغلام البالغ المُدْرِك[١].

٤-قوله: «لقد علمت الجن أنه ليس فيهم رجل أشدَّ مني»: الجن خلقوا من النار، قال الله تعالى إخباراً عن قول إبليس: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[٢]، وهم مستترون لا يراهم الإنس، و«سُمَي الجِنّ لاسْتِتارهم واخْتِفَائِهم عن الأبصار»[٣]، وأشد مني: أي أقوى مني، وهو من الشدة أي القوة، قال في اللسان: «يُقَالُ: حَلَبْتَ بالساعِدِ الأَشَدِّ، أَي: استعَنْتَ بِمَنْ يقومُ بأَمرك، ويُعْنى بِحَاجَتِكَ،... أَي حِينَ لَمْ أَقْدِر عَلَى الرِّفْق أَخَذْتُه بالقُوَّةِ والشِّدَّةِ»[٤].

٥-قوله: «أُجِرْت منا»: أي حُفظتَ ووُقيتَ وأجارك الله من شرنا، «وَمَنْ أَجاره اللَّهُ لَمْ يُوصَلْ إِليه، وَهُوَ ﷻ يُجِيرُ، وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ أَي يُعِيذُ... والجارُ والمُجِيرُ: هُوَ الَّذِي يَمْنَعُكَ، ويُجْيرُك، . واسْتَجَارَهُ مِنْ فُلَانٍ فَأَجَارَهُ مِنْهُ. وأَجارَهُ اللَّهُ مِنَ الْعَذَابِ: أَنقذه»[٥].

٦-قوله: «نُصِيبُ مِنْ طَعَامِكَ»: أصابَ الإنسانُ من المال وغيره: أي أخَذَ وتَناول، ومنه الحديث: (يُصيبون ما أصاب الناسُ)[٦] أي ينالُون ما نالُوا[٧].

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤٣٢، مادة (حلم).
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢.
(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣٠٦، مادة (جنن).
(٤) لسان العرب، ٣/ ٢٣٣، مادة (شدد).
(٥) لسان العرب، ٤/ ١٥٥، مادة (جور).
(٦) روى أحمد في المسند، ٤٤/ ١٤٨، برقم ٢٦/ ٧٢٥، عن أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَ رسول اللَّه ﷺ «إِنَّ السُّوءَ إِذَا فَشَا فِي الْأَرْضِ فَلَمْ يُتَنَاهَ عَنْهُ، أَرْسَلَ اللَّهُ ﷻ بَأْسَهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِيهِمُ الصَّالِحُونَ؟ قَالَتْ: قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِمُ الصَّالِحُونَ، يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، ثُمَّ يَقْبِضُهُمُ اللَّهُ ﷻ إِلَى مَغْفِرَتِهِ وَرِضْوَانِهِ، أَوْ إِلَى رِضْوَانِهِ وَمَغْفِرَتِهِ» وضعفه محققو المسند، وفي لفظ آخر في موضوع آخر لمسلم، برقم ١٠٦١ عن عبد الله بن زيد: «فَبَلَغَهُ أَنَّ الأَنْصَارَ يُحِبُّونَ أَنْ يُصِيبُوا مَا أَصَابَ النَّاسُ».
(٧) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٥٦، مادة (صوب).

٧-قوله: «مَا يُجِيرُنَا مِنْكُمْ»: أي يحول بيننا وبينكم، وينجينا منكم[١].

٨-قوله: «إِذَا قَرَأْتَهَا غُدْوَةً»: الغَدْوَةُ: المرّة من الغُدُوّ، وهو سير أوّل النهار نَقِيض الرَّواح، وقد غَدا يَغْدُو غُدُوّاً، والغُدْوة -بالضم-: ما بين صلاة الغَداة وطلوع الشمس، وقد تكرر في الحديث اسماً وفعلاً، واسم فاعل، ومصدراً[٢].

٩-قوله: «حتى تمسي»: أي: تدخل في وقت المساء،وفي اللسان: «أَتيتُه مَساء أَمْسِ... والمَساء: بَعْدَ الظُّهرِ إلى صَلاةِ الْمَغْرِبِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِلى نِصْفِ اللَّيْلِ، وَقَوْلُ النَّاسِ: كَيْفَ أَمْسَيتَ؟ أَي كَيْفَ أَنت فِي وَقْتِ المَساء... وأَمْسَيْنا نَحْنُ: صِرْنا فِي وَقْتِ المَساءِ»[٣].

١٠-قوله: «صَدَقَ الْخَبِيثُ»:الصدق من علامات الصلاح، وفي اللسان: «الصِّدْق: نَقِيضُ الْكَذِبِ، صَدَقَ يَصْدُقُ صَدْقاً وصِدْقاً وتَصْداقاً. صَدَّقه: قَبِل قولَه، وصدَقَه الْحَدِيثَ: أَنبأَه بالصِّدْق... وَيُقَالُ: صَدَقْتُ القومَ أَيْ قُلْتُ لَهُمْ صِدْقاً»[٤]، وهنا وصف للشيطان عنوان الفساد، ولذلك رأى الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ أنه: «مِنَ التَّتمِيم البَلِيغ الغايَة فِي الحُسن؛ لأَنَّهُ أَثبَتَ لَهُ الصِّدق، فَأَوهَمَ لَهُ صِفَة المَدح، ...وأَنَّ الكافِر قَد يَصدُق بِبَعضِ ما يَصدُق بِهِ المُؤمِن، ولا يَكُون بِذَلِكَ مُؤمِنًا، وبِأَنَّ الكَذّاب قَد يَصدُق، وبِأَنَّ الشَّيطان مِن شَأنه أَن يَكذِب»[٥]، و«الخَبِيثُ: ضِدُّ الطَّيِّبِ مِنَ الرِّزْق، والولدِ، والناسِ، ...الخَبِيثُ: ذُو الخُبْثِ فِي نَفْسه؛ قَالَ: والمُخْبِثُ الَّذِي أَصحابُه وأَعوانه خُبَثاء، وَ...خَبِيثٍ مُخْبِثٍ: أَي: فاسِدٍ مُفْسِدٍ لِمَا يَقَع فِيهِ؛ قَالَ: وأَما قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ: (مِنَ الخُبْثِ والخَبائِثِ)؛ فإِنه

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣١٢، مادة (جور).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٣٤٥، مادة (غدو).
(٣) لسان العرب، ١٥/ ٢٨١، مادة (مسو).
(٤) لسان العرب، ١٠/ ١٩٣، مادة (صدق).
(٥) فتح الباري، لابن حجر، ٤/ ٤٨٩.

أَراد بالخُبْثِ الشَّرَّ، وبالخَبائِثِ الشَّياطِينَ،... الخُبُث، بِضَمِّ البَاءِ، وَهُوَ جمعُ الخَبيث، وَهُوَ الشَّيْطَانُ الذَّكر، ويَجْعَلُ الخَبائِثَ جَمْعًا للخَبيثة مِن الشَّيَاطِينِ،... الخُبْثُ، بِسُكُونِ الْبَاءِ، وَهُوَ خلافُ طَيِّبِ الفِعْلِ مِنْ فُجُورٍ وَغَيْرِهِ، والخَبائِثُ، يُرِيد بِهَا الأَفعالَ الْمَذْمُومَةَ والخِصالَ الرَّدِيئَةَ. وأَخْبَثَ الرجلُ أَي اتَّخَذَ أَصحاباً خُبَثاء، فَهُوَ خَبيثٌ مُخْبِثٌ، ومَخْبَثانٌ؛ يُقَالُ: يَا مَخْبَثانُ»[1].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-وقت أذكار الصباح هو من بعد طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس، وأذكار المساء من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، على أن الأمر في ذلك واسع بفضل الله فيما إذا نسي المسلم، أو حدث له عارض، فإنه يكمل أذكار الصباح بعد طلوع الشمس، ويكمل أذكار المساء بعد غروبها، وبعد صلاة المغرب، ولكن الأفضل أن تكون أذكار الصباح من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس، وأذكار المساء من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، والله ﷻ أعلم[2].

٢-ومن الأدلة على مشروعية هذه الأذكار قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[3]، والإبكار هو أول النهار، والعشي آخره، وقوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[4]، وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾[5]، وغير ذلك.

٣-الشَّيطان قَد يَعلَم ما يَنتَفِع بِهِ المُؤمِن، وأَنَّ الحِكمَة قَد يَتَلَقّاها الفاجِر فَلا

(١) لسان العرب، ٢/ ١٤١، مادة (خبث).
(٢) انظر: المصباح المنير، ١/ ٢٤٦، والوابل الصيب لابن القيم، ص ٢٤٠.
(٣) سورة غافر، الآية: ٥٥.
(٤) سورة الروم، الآية: ١٧.
(٥) سورة ق، الآية: ٣٩.

يَنتَفِع بِها، وتُؤخَذ عَنهُ فَيَنتَفِع بِها، وأَنَّ الشَّخص قَد يَعلَم الشَّيء، ولا يَعمَل بِهِ، وأَنَّ الكافِر قَد يَصدُق بِبَعضِ ما يَصدُق بِهِ المُؤمِن، ولا يَكُون بِذَلِكَ مُؤمِنًا، وبِأَنَّ الكَذّاب قَد يَصدُق، وبِأَنَّ الشَّيطان مِن شَأنه أَن يَكذِب[1].

٧٦-(٢) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ* مِن شَرِّ مَا خَلَقَ* وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ* وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ* وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ* مَلِكِ النَّاسِ* إِلَهِ النَّاسِ* مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ* الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ* مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (ثلاثَ مرَّاتٍ)[2].

أولاً: لفظ الحديث:

٢٥٩-لفظ أبي داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ رضي الله عنه[3] أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ، وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ، نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَدْرَكْنَاهُ، فَقَالَ:

---

(١) فتح الباري، ٤/ ٤٨٩.

(٢) من قالها ثلاث مرات حين يصبح وحين يمسي كفته من كل شيء. أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٨٢، والترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا سفيان بن وكيع، برقم ٣٥٧٥، والنسائي، كتاب الاستعاذة، باب أخبرنا يونس، برقم ٥٤٢٨، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٨٢٩.

(٣) عبد الله بن خُبيب رضي الله عنه، روى عن عقبة بن عامر، وروى عنه ابناه: عبد الله، ومعاذ، وأخرج له: البخاري، ومسلم، وأحمد في قراءة المعوذات في الصباح والمساء، قال ابن حجر: «قال ابن عبد البر: إنه جهني حالف الأنصار». تهذيب التهذيب، ٥/١٧٣.

«أَصَلَّيْتُمْ»؟ فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ: «قُلْ» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»[(١)].

٢٦٠-ولفظ الترمذي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ، وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ، نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي لَنَا، قَالَ: فَأَدْرَكْتُهُ، فَقَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، قَالَ: «قُلْ»، فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَتُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»[(٢)].

٢٦١-وفي لفظ للنسائي عَنْ عبد الله بن خبيب قَالَ: أَصَابَنَا طَشٌّ، وَظُلْمَةٌ، فَانْتَظَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ بِنَا، ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامًا مَعْنَاهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ بِنَا، فَقَالَ: «قُلْ» فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟، قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثًا يَكْفِيكَ كُلَّ شَيْءٍ»[(٣)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١ - قوله: «**ليلة مطيرة**»: «**لَيْلَةِ مَطَرٍ**»: وعند الترمذي: «**في ليلة مطيرة**» قال الكرماني رَحِمَهُ اللَّهُ فعيلة بمعنى الماطرة[(٤)]، أي: كثيرة المطر، أي: ليلة فيها مطر كثير، قال الزمخشري: «مطير: فعيل بمعنى فاعل؛ لقولهم ليلة مطيرة، كأنه مطر، فهو مطير، كقولهم: رفيع، وفقير، من رفع، وفقر»[(٥)]، وقال القسطلاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «في ليلة:

---

(١) أبو داود، برقم ٥٠٨٢، وغيره، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٨٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) الترمذي، برقم ٣٥٧٥، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٨٢٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) النسائي، برقم ٥٤٢٨، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٨٢٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) انظر: شرح السيوطي لسنن النسائي، ٢/ ١٥.

(٥) الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، ١/ ٤٨، مادة (مطر).

أي: مع يومها، بقرينة الظهر والعصر، مطيرة: أي كثير المطر ويومه»[(١)].

٢-قوله: «**طشٌّ**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الطش أقل ما يكون من المطر»[(٢)].

٣-قوله: «**في ظلمة شديدة**»: أي: شديدة الظلام، ليس فيها شمس، ولا قمر، فلا يخرج الناس إلى أعمالهم، وصنائعهم، بل يمكثون في البيوت[(٣)]، لعدم فائدة الخروج، والخوف من البرد، أو المطر، ويؤيد هذا قول ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح الظلمة الشديدة بوصفها: «أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْأَعْمَى وَالْبَصِيرِ، وَفِي الْإِيعَابِ أَنَّ مِثْلَ الْأَعْمَى فِيمَا يَظْهَرُ مَا لَوْ كَانَ فِي ظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ لِمَنْعِهَا أَهْلِيَّةَ التَّأَمُّلِ»[(٤)].

٤-قوله: «**ليصلي لنا**»: أي: يصلي، ويدعو لنا، فالصلاة: «الدعاء، والرَّحْمَةُ، والاسْتِغْفارُ، وحُسْنُ الثَّناءِ من اللهِ عَزَّوَجَلَّ، على رَسُولِهِ ﷺ، وعِبادَةٌ فيها رُكوعٌ وسُجودٌ، اسمٌ يُوضَعُ مَوْضِعَ المَصْدَرِ، وصَلَّى صَلاةً، لا تَصْلِيَةً: دعا»[(٥)].

٥-قوله: «**فأدركناه**»: أي: حتى وصلنا إليه، ولحقنا به، وفي اللسان: «الدَّرْك: اللَّحاق وَالْوُصُولُ إِلى الشَّيْءِ، أدركته إِدْراكاً وَدَرَكًا ٢-

٦-...والدَّرَك: التَّبِعةُ، يُسَكَّنُ وَيُحَرَّكُ. يُقَالُ: مَا لَحِقك مِنْ دَرَكٍ فعليَّ خلاصُه، والإِدْراكُ: اللُّحُوقُ. يُقَالُ: مَشَيْتُ حَتَّى أَدْرَكته، وعِشْتُ حَتَّى أَدْرَكْتُ زَمَانَهُ، وأَدْرَكْتُه بِبَصَرِي أَي: رأَيته»[(٦)].

٧-قوله: «**أصليتم؟**»: أي: أن من يدخل المسجد عليهم ، يتبادر إليه أنهم

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، ١/ ٤٩١.

(٢) جامع الأصول، ٨/ ٤٩٣.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، ١/ ٤١٠.

(٤) تحفة المحتاج بشرح المنهاج، لابن الملقن، ٨/ ٧٥.

(٥) القاموس المحيط، ١٣٠٤، مادة (صلي).

(٦) لسان العرب، ١٠/ ٤١٩، مادة (درك).

انتهوا من أداء الصلاة، حتى يدخل الداخل فيحسب أي: يظن أنهم قد صلوا، فيسألهم: أصليتم؟»[١].

٨-قوله: «**قل، فلم أقل شيئاً**»: أي: عندما سألهم عن أدائهم للصلاة، لم يجيبوه، فاستفهم من أحدهم، مرتين فلم يجبه أيضاً.

٩-قوله: «**قل هو الله أحد والمعوذتين**»: قوله: «المعوذات»: قال الحافظ في الفتح: «المعوذات أي: الإخلاص، والفلق، والناس»[٢]. وقال ابن الأثير: «الاسْتِعَاذَة والتَّعَوُّذ» وَما تصرَّف مِنْهُمَا، والكُلُّ بمْعنىً، وبه سُمِّيت: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ»، و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»: المُعَوِّذَتَيْن»[٣]، وفي تاج العروس: «ورُبَّما قيل: المُعَوِّذَاتُ بِالجَمع، بِإضافةِ الإِخْلاص لَهما على جِهَةِ التَّغْلِيب؛ لأَنها مِمَّا يُتَحَصَّنُ بهَا، لاشْتِمَالِها على صِفةِ الله تَعَالَى»[٤].

١٠-قوله: «**حتى تمسي**»: «المَساء: بَعْدَ الظُّهْرِ إِلى صَلاَةِ الْمَغْرِبِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِلى نِصْفِ اللَّيْلِ... وأَمْسَيْنا نَحْنُ: صِرْنا فِي وَقْتِ المَساءِ»[٥].

١١-قوله: «**حتى تصبح**»: أي حتى يأتي عليك الصباح، و«الصُّبْحُ: أَوّل النَّهَارِ، والصُّبْحُ: الفجر، والصَّباحُ: نقيض المَساء، وَالْجَمْعُ أَصْباحٌ... وأَصْبَحَ القومُ: دَخَلُوا فِي الصَّباح، كَمَا يُقَالُ: أَمْسَوْا دَخَلُوا فِي الْمَسَاءِ...يُقَالُ: أَصْبَحَ الرَّجُلُ إِذا دَخَلَ فِي الصُّبْح...وأَصْبَحْنا وأَمْسَينا أَي صِرْنَا فِي حِينِ ذَاكَ»[٦].

١٢-قوله: «**تكفيك من كل شيء**»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: تدفع عنك كل

---

(١) انظر: إتحاف السادة المتقين، للزبيدي، ٣/ ٣٤٧.
(٢) فتح الباري، لابن حجر، ٨/ ٧٥٧.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٣١٨، مادة (عوذ).
(٤) تاج العروس، ٩/ ٤٤٤، مادة (عوذ).
(٥) لسان العرب، ١٥/ ٢٨١، مادة (مسو).
(٦) لسان العرب، ٢/ ٥٠٢، مادة (صبح).

شيءٍ سوءٍ، ويُحتمَل أن يكون معناه: تغنيك عمّا سواها»[1]، وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي الحديث دليل على أن تلاوة هذه السور عند المساء، وعند الصباح تكفي التالي [أي القارئ لها] من كل شيء يُخشَى منه، كائناً ما كان»[2].

ثالثاً: تفسير مفردات السور الثلاث:

١- مفردات سورة الإخلاص[3]:

أ-قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ قولاً جازمًا به، معتقدًا له، عارفًا بمعناه.

ب-قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل.

ج-قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أي: المقصود في جميع الحوائج، فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم، لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي قد كمل في حلمه، الرحيم الذي كمل في رحمته، الذي وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه، ومن كماله أنه:

د-قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لكمال غناه.

هـ-قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لا في أسمائه، ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى.

فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات.

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٦٧١.
(٢) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ٩٣.
(٣) تفسير السعدي، ص ٩٣٧، وانظر: مفردات حديث المتن، رقم ٧٠ من هذا الكتاب.

٢- مفردات سورة الفلق[1]:

أ-قوله تعالى: ﴿قل﴾ متعوذًا.

ب-قوله تعالى: ﴿أَعُوذُ﴾ أي: ألجأ وألوذ، وأعتصم.

ج-قوله تعالى: ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أي: فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح.

د-قوله تعالى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ وهذا يشمل جميع ما خلق الله، من إنس، وجن، وحيوانات، فيستعاذ بخالقها، من الشر الذي فيها، ثم خص بعد ما عم، فقال:

هـ-قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: من شر ما يكون في الليل، حين يغشى الناس، وتنتشر فيه كثير من الأرواح الشريرة، والحيوانات المؤذية.

و-قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أي: ومن شر السواحر، اللاتي يستعن على سحرهن بالنفث في العقد، التي يعقدنها على السحر.

ز- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ والحاسد، هو الذي يحبّ زوال النعمة عن المحسود، فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب، فاحتيج إلى الاستعاذة بالله من شره، وإبطال كيده، ويدخل في الحاسد العاين؛ لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس، فهذه السورة، تضمنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور، عمومًا وخصوصًا.

ودلت على أن السحر له حقيقة يخشى من ضرره، ويستعاذ بالله منه، ومن أهله.

٣-مفردات سورة الناس[2]:

أ-هذه السورة مشتملة على الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلاههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره، أنه يوسوس في

---

(١) تفسير السعدي، ص ٩٣٧.

(٢) تفسير السعدي، ص ٩٣٧، وانظر: مفردات حديث المتن رقم ٧٠ من هذا الكتاب.

صدور الناس، فيحسن لهم الشر، ويريهم إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويثبطهم عنه، ويريهم إياه في صورة غير صورته.

ب-وهو دائمًا بهذه الحال يوسوس ويخنس أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه.

ج-فينبغي له أن يستعين، ويستعيذ ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم.

د-وأن الخلق كلهم، داخلون تحت الربوبية والملك، فكل دابة هو آخذ بناصيتها.

هـ- وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها ويحول بينهم وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[1].

***

٧٧-(٣)«أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ[2]، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذَا الْيَوْمِ وَخَيرَ مَا بَعْدَهُ[3]، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذَا الْيَوْمِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، والهَرَمِ، وَسُوءِ الْكِبَرِ، وفتنة الدنيا[4]، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ»[5].

---

(١) انظر: مفردات حديث رقم ٧٠ من المتن، من هذا الكتاب.

(٢) وإذا أمسى قال: أمسينا وأمسى الملك لله.

(٣) وإذا أمسى قال: رب أسألك خير ما في هذه الليلة، وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة، وشر ما بعدها.

(٤) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، برقم ٧٦- (٢٧٢٣).

(٥) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل، برقم ٢٧٢٣، والدعاء للطبراني عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، ص ٢٨٣، برقم ٩٠٨، وحسن =

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٦٢-عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ[١]، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا أَمْسَى قَالَ: «**أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**» قَالَ الْحَسَنُ: فَحَدَّثَنِي الزُّبَيْدُ أَنَّهُ حَفِظَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي هَذَا: «**لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ**»[٢].

٢٦٣-وفي رواية: لمسلم: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا أَمْسَى قَالَ: «**أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، وَالْهَرَمِ، وَسُوءِ الْكِبَرِ، وَفِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَعَذَابِ الْقَبْرِ**»[٣].

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ: وَزَادَنِي فِيهِ زُبَيْدٌ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، رَفَعَهُ، أَنَّهُ قَالَ: «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»[٤].

=

إسناده الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار ٢/ ٣٥٦.

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، برقم ٢٧٢٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسلم، برقم ٧٦-(٢٧٢٣)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ٧٦-(٢٧٢٣)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٢٦٤-وفي لفظ للطبراني عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما[(١)] قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: «**أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لاَ إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ، وَخَيْرَ مَا بَعْدَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذَا الْيَوْمِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، وَالْكِبرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ**»[(٢)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**أصبحنا**» أي: دَخَلْنَا «فِي الصَّبَاحِ ... أَيْ أَصْبَحْنَا مُتلَبِسِينَ بِحِفْظِكَ، أَوْ مَغْمُورِينَ بِنِعْمَتِكَ، أَوْ مُشْتَغِلِينَ بِذِكْرِكَ، أَوْ مُسْتَعِينِينَ بِاسْمِكَ، أَوْ مَشْمُولِينَ بِتَوْفِيتِكَ، أَوْ مُتَحَرِّكِينَ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، أَوْ مُتَقَلِّبِينَ بِإِرَادَتِكَ، وقدرتك»[(٣)].

٢-قوله: «**وأصبح الملك لله**[(٤)]»: قال ابن هبيرة رحمه الله: «في هذا الحديث خيرٌ، وبركةٌ، وتعليمٌ لهذه الكلمات، وهي تشتمل على معانٍ، منها: أنه إذا أمسى، وإذا أصبح يُقرُّ بأنّ الملك لله ... والمُلك حقيقةً لله عز وجل، وأن المُلْك لله عز وجل ملكًا، وولايةً، واستحقاقًا، فإذا قال العبد ذلك، واعتقده بقلبه، خرج من قلبه تعظيمُ ملوك الدنيا، ثم أتبع ذلك بالحمد لله، وذلك على نعمه الكثيرة التي لا تُحصَى، منها: انفراد اللَّه تعالى بالمُلك، فإن المَلِكَ يغار من أن يكون المُلْك إلاّ له وحده، فإذا قضى سبحانه بما يوافق محبة المؤمن، تعيَّن على المؤمن أن يحمد الله تعالى على ذلك القضاء»[(٥)].

٣-قوله: «**والحمد لله**» أي: الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما فله الحمد وحده على ذلك، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الحمد، هو: الإخبار

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث ٢٨ من أحاديث الشرح.

(٢) الدعاء للطبراني، برقم ٩٠٨، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار، ٢/ ٣٥٦.

(٣) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٣٦.

(٤) وإذا أمسى قال: «أمسينا، وأمسى الملك لله».

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٢/ ١١٢، وانظر: شرح معنى أمسينا وأمسى الملك لله، في المفردة رقم ١٨ من هذا الحديث، ففيه زيادة توضيح لمعنى «أصبحنا وأصبح الملك لله».

بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»[1].

٤-قوله: «**لا إله إلا الله**» أي: لا معبود بحق إلا الله، وفيها نفي لجميع المعبودات، وهي لا إله، ثم إثبات العبادة لله وحده، من قوله إلا الله، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «يعني: لا معبود بحق إلا الله تعالى، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تألـه لله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لابد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات... أي: تعبّدوا له، وتوسّلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»[2].

٥-قوله: «**وحده لا شريك له**»، قال المناوي: «لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً، ... وهو تأكيد لقوله: «وحده»؛ لأن المتصف بالوحدانية لا شريك له»[3].

٦-قَوْلُهُ: «**لَهُ الْمُلْكُ**»: تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدِ، لِأَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْجِنْسِ، فَجُعِلَ جِنْسُ الْمُلْكِ، وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ»[4].

٧-قوله: «**وله الحمد**»: أي الحمد المطلق، فهو محمود في السراء حمد شكر، وفي الضراء حمد تفويض»[5].

٨-قوله: «**وهو على كل شيء قدير**»: قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «وهو على إحيائكم بعد مماتكم، وعقابكم على إشراككم به الأوثانَ وغير ذلك مما أراد بكم، وبغيركم قادرٌ»[6]، وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «... فأزمّة الأمور كلها بيده،

---

(١) بدائع الفوائد، ٢/٥٣٧، وتقدمت في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن ٢.
(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن ٦٧.
(٣) فيض القدير، ٥/ ٢٠٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن ٦٧.
(٤) المنتقى، شرح الموطأ للباجي، ٣ / ٧٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن ٦٧.
(٥) تقدمت في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن ٦٧.
(٦) تفسير الطبري، ١٥/ ٢٣٢.

ومدار تدبير الممالك كلها عليه، وهذا مقصود الدعوة، وزبدة الرسالة»[(١)].

٩-قوله: «**رب أسألك خير ما في هذا اليوم**» ،وقوله: «**مِنْ خَيْرِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ**»: الخير هنا يشمل كل نفع في الدين، والذي يترتب عليه زيادة الإيمان، ويشمل كذلك كل نفع دنيوي يكسبه العبد، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**من خير هذه الليلة**) أي: من خير ما ينشأ فيها، و(**خير ما فيها**)، أي: خير ما سكن فيها، قال الله تعالى: ﴿**وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾[(٢)] »[(٣)]. وقال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «**أَيْ: ذَاتِهَا عَيْنِهَا «وَخَيْرِ مَا فِيهَا»** قَالَ الطِّيبِيُّ: أَيْ: مِنْ خَيْرِ مَا يَنْشَأُ فِيهَا، وَخَيْرِ مَا يَسْكُنُ فِيهَا... وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: أَيْ مِمَّا أَرَدْتَ وُقُوعَهُ فِيهَا لِخَوَاصِّ خَلْقِكَ مِنَ الْكَمَالَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَخَيْرُ مَا يَقَعُ فِيهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي أُمِرْنَا بِهَا فِيهَا، أَوِ الْمُرَادُ خَيْرُ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي قَارَنَ وَجُودُهَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَخَيْرُ كُلِّ مَوْجُودٍ الْآنَ»[(٤)].

١٠-قوله: «**وخير ما بعده**»[(٥)] أي: من الأيام التالية، كي يتحقق لي السلامة والتوفيق، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «**بَعْدَ: كَلِمَةٌ دَالَّةٌ عَلَى الشَّيْءِ الأَخير، تَقُولُ: هَذَا بَعْدَ هَذَا...بَعْدَ نَقِيضُ قَبْلَ**»[(٦)].

١١-قوله: «**وأعوذ بك من شر هذا اليوم**» أي: ألتجئ إليك، وأعتصم بك من طوارق الليل والنهار، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالِاسْتِعَاذَةِ بِاَللَّهِ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ، وَسَيِّئَاتِ عَمَلِهِ، وَالدُّعَاءُ بِذَلِك فِي الصَّبَاحِ وَالْمُسَاءِ، وَعِنْدَ الْمَنَامِ»[(٧)]، وقال في موضع

---

(١) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ٣/ ٣٤٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن رقم ٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٢.
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ١٦٥١.
(٥) وإذا أمسى قال: رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها ...».
(٦) لسان العرب، ٣/ ٩٢، مادة (بعد).
(٧) مجموع الفتاوى، ١٤/ ٢٦٣.

آخر: «وَيَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ، وَسَيِّئَاتِ عَمَلِهِ، وَيَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَهُ عَلَى طَاعَتِهِ، فَبِذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ كُلُّ خَيْرٍ، وَيَنْدَفِعُ عَنْهُ كُلُّ شَرٍّ»(١).

قوله: «**شَرِّ مَا بَعْدَهُ**»: قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِشْعَارًا بِأَنَّ دَرْءَ الْمَفَاسِدِ أَهَمُّ مِنْ جَلْبِ الْمَنَافِعِ»(٢).

١٢-قوله: «**والهرم**»: «الهَرَم: الكِبَر، وقَد هَرِم يَهْرَم فهُو هَرِم، جَعَل الْهَرَمَ داءً تَشْبِيهاً به؛ لأَنَّ المَوْتَ يَتَعَقَّبه كالأَدْوَاء»(٣)، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الهرم: كِبَرُ السن الذي يؤدي إلى تماوت الأعضاء، وتساقط القوى، وإنما استعاذ منه؛ لكونه من الأدواء التي لا دواء لها»(٤).

١٣-قوله: «**ربِّ أعوذ بك من الكسل**»: التواني عن فعل الطاعات مع القدرة على ذلك، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكسل: التثاقل عما لا ينبغي التثاقل عنه، ويكون ذلك لعدم انبعاث النفس للخير، مع ظهور الاستطاعة»(٥).

١٤-قوله: «**وسوء الكبر**» أي: ما يترتب على الكبر من ذهابٍ للعقل، أو خفةٍ فيه، أو عدم سدادٍ في الرأي، ونحو ذلك مما يكرهه الإنسان، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكبر: يُروى بسكون الباء وفتحها، فالسكون بمعنى البَطَر، والفتح بمعنى الهَرَم، والفتح أصح، أقول [القائل الطيبي]: والدراية أيضاً تساعد الرواية؛ لأن الجمع بين البَطَر والهَرَم بالعطف، كالجمع بين الضبِّ والنُّون»(٦)، وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد بسوء الكبر: ما يورثه كبر السن من ذهاب العقل، والتخابط

---

(١) مجموع الفتاوى، ١٤/ ٣٢٠.
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ١٦٧٤.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٥/ ٥٩٦، مادة (هرم)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن رقم ٦٠.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٢.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٢.
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٢.

في الرأي، وغير ذلك مما يسوء به الحال، أقول [القائل الطيبي]: يمكن أن يُراد بالفقرات كلِّها معنى الترقي، استعاذ أولاً من الكسل، أي أعوذ أن أتثاقل في الطاعة مع استطاعتي، ثم من الهرم الذي فيه سقوط بعض الاستطاعة، فيقوم ببعض وظائف العبادات، ثم من سوء الكِبَر الذي يصير فيه كالحِلْسِ المُلقَى على الأرض، لا يصدر منه شيء من الخيرات»[(١)].

١٥-قوله: «**وفتنة الدنيا**»: قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأصل الفتنة الاختبار والامتحان، يقال: فتنت الفضة على النار: إذا خلّصتها، ثم استعمل فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ثم كثر استعماله في أبواب المكروه، ... ومنه أعوذ بك من فتنة النار، وقيل: إنها هنا على أصلها، من التصفية... وتكون بمعنى الإزالة والصرف عن الشيء»[(٢)].

١٦-قوله: «**من عذابٍ في النار**» أي: أيُّ عذابٍ، ولو كان لمدة يسيرة؛ لأنه عذاب أليم، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتنكير في (عذابٍ) للتهويل والتفخيم»[(٣)]، وقال ابن هبيرة رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: من عذاب النار، ويجوز أن يكون: أي من عذابٍ يكون فيها زيادة على عذابها»[(٤)].

١٧-قوله: «**وعذاب في القبر**»: لأن القبر هو أول منازل الآخرة، فمن سلم من عذابه سلم هناك وسلم بعده، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الدُّعَاءَ بِالنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَحْوِهِمَا عِبَادَةٌ وَقَدْ أَمَرَ الشَّرْعُ بِالْعِبَادَاتِ»[(٥)].

١٨-قوله: «**أمسينا وأمسى الملك لله**»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمسى: إذا دخل

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٢.
(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ٢/ ١٤٦.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٢.
(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٢/ ١١٣.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/ ٢١٣.

في المساء، وأمسى إذا صار، يعني دخلنا في المساء، وصرنا نحن، وجميع الملك، وجميع الحمدلله، أقول [القائل الطيبي]: الظاهر أنه عطفٌ على قوله: (الملك لله)، ويدل عليه قوله بعد: (له الملك، وله الحمد)، وقوله: (وأمسى الملك لله) حال من (أمسينا)، إذا قلنا: إنه فعل تام، ومعطوف على (أمسينا) إذا قلنا: إنه ناقص، والخبر محذوف لدلالة الثاني عليه، والواو فيه كما في قول الحماسي: فأمسى وهو عريان، قال أبو البقاء: (أمسى) هاهنا الناقصة، والجملة بعدها خبر لها، فإن قلت: خبر كان مثل خبر المبتدأ، لا يجوز أن تدخل عليه الواو، قيل: الواو إنما دخلت في خبر كان؛ لأن اسم كان يشبه الفاعل، وخبرها يشبه الحال، وقوله: (ولا إله إلا الله) عطف على (الحمدلله) على تأويل، و(أمسى) الفردانية والوحدإنية مختصين بالله، فإن قلتَ: ما معنى (أمسى الملك لله) والملك له أبداً، وكذلك الحمد؟ قلتُ: هو بيان حال القائل، أي عرفنا أن الملك، والحمد لله لا لغيره، فالتجأنا إليه، واستعنّا به، وخصصناه بالعبادة، والثناء عليه، والشكر له، ثم طلب استمرار ذلك بدخوله في الليل»[1]، وقال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: دَخَلْنَا فِي الْمَسَاءِ، وَدَخَلَ فِيهِ الْمُلْكُ كَائِنًا لِلَّهِ، وَمُخْتَصًّا بِهِ، أَوِ الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ بِتَقْدِيرِ قَدْ، أَوْ بِدُونِهِ، أَيْ: أَمْسَيْنَا، وَقَدْ صَارَ بِمَعْنَى كَانَ، وَدَامَ الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ الطِّيبِيُّ: عَطْفٌ عَلَى أَمْسَيْنَا، وَأَمْسَى الْمُلْكُ، أَيْ صِرْنَا نَحْنُ وَجَمِيعُ الْمُلْكِ وجميع الحمد لله»[2].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-المواظبة على هذه الأذكار مع تدبر ما فيها من مقاصد، يجعل قلب المسلم متعلقًا بربه، راجيًا مغفرته، وطامعًا في جنته.

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧١.
(٢) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٣٥.

٢-تعاقب الليل والنهار من أعظم آيات الله في هذا الكون، وهما مطيتان يجب إحسان السير عليهما إلى الله تعالى.

٣-الملك الحقيقي هو مالك الأملاك وخالقها، أما مُلك العبد، فإما أن يزول هو عنه بوفاته، وإما أن يزول الملك عنه بضياعه، أو بانتزاعه.

٤-إثبات عذاب القبر، وهو أمر له أدلته من الكتاب والسنة[١].

٥-قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما الأنبياء، فلا تشملهم فتنة القبر، ولا يُسألون، وذلك لوجهين:

أ – أنهم أفضل من الشهداء، وقد أخبر النبي ﷺ أن الشهيد يوقى فتنة القبر، وقال: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»[٢].

ب – أن الأنبياء يُسأل عنهم، فيقال: من نبيك؟

جـ - والصدّيقون لا تشملهم هذه الفتنة؛ لأنهم أعلى درجة من الشهداء، وهو صدّيق لا يُختبر؛ لأن الاختبار لمن يشك فيه، وقد ذهب بعض العلماء إلى سؤاله لعموم الأدلة.

د – والمرابطون لا يسألون لقول النبي ﷺ: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه وأمن الفتان**»[٣].

هـ - الصغار والمجانين لا يُسألون؛ لأنهم غير مكلفين، ولا حساب عليهم، وقد قال بعض العلماء: إنهم يفتنون لعموم الأدلة[٤].

٦- مما ورد عنه ﷺ في معنى هذا الحديث قوله ﷺ: «**إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ:**

---

(١) انظر شرح الحديث (٥٥) من متن هذا الكتاب.

(٢) النسائي، كتاب الجنائز، الشهيد، برقم ٢٠٥٥، وصحح إسناده الألباني في أحكام الجنائز، ص ٣٦.

(٣) مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله ﷻ، برقم ١٩١٣.

(٤) انظر: العقيدة الواسطية شرح ابن عثيمين، ٢/ ١١٠- ١١٢ .

أَصْبَحْتُ أُثْنِي عَلَيْكَ حَمْدًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ثَلَاثًا، وَإِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ»[١].

***

٧٨-(٤)«اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا[٢]، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»[٣].

أولاً: لفظ الحديث:

٢٦٥-لفظ البخاري في الأدب المفرد: عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٤] قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ، وَإِذَا أَمْسَى قَالَ: اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»[٥].

---

(١) النسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر، برقم ١٠٣٣٧، وحسّنه الشيخ المحدث مقبل الوادعي في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١٣٢٠).

(٢) وإذا أمسى قال: اللّهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك المصير.

(٣) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٦٨، بلفظ: «النشور» في الصباح والمساء، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، برقم ٣٣٩١، وفيه: «وإليك المصير في الصباح، وإليك النشور في المساء» وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى،برقم ٣٨٦٨، بلفظ: وإليك المصير في المساء، وفي الصباح قوله: «وبك نموت» فقط، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٣٥، بلفظ: «وإليك النشور» في الصباح، ولم يذكر دعاء المساء، والإمام أحمد في المسند، ١٤/ ٢٩٠، برقم ٨٦٤٩، ١٦/ ٤٤٤، برقم ١٠٧٦٣، بلفظ: «وإليك المصير» في الصباح في الموضعين، ولم يذكر دعاء المساء، وابن حبان، ٣/ ٢٤٤، برقم ٩٦٤، وفيه لفظ: «المصير» في الصباح، ولم يذكر دعاء المساء، والبخاري في الأدب المفرد، ١/ ٤١١، برقم ١١٩٩، بلفظ: «إليك النشور» في الصباح، و«إليك المصير» في المساء، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٨، بلفظ: «وإليك النشور في الصباح، ولم يذكر المساء، وصححه محققو المسند، ١٤/ ٢٩١، ومحقق ابن حبان، ٣/ ٢٤٤، برقم ٩٦٤، والألباني في التعليقات الحسان، برقم ٩٦٠، وفي صحيح الأدب المفرد، ٤٨٨، برقم ٥٠٨، وفي صحيح الترمذي، ١٤٢/٣، وفي صحيح الجامع، برقم ٣٥٢.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) البخاري في الأدب المفرد، ١/ ٤١١، برقم ١١٩٩، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ٤٨٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٢٦٦-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ يَقُولُ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ، وَإِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ» هذا لفظ أبي داود(١).

٢٦٧-ولفظ أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»(٢).

٢٦٨-ولفظ ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَصْبَحْتُمْ فَقُولُوا: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُمْ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»(٣).

٢٦٩-ولفظ الترمذي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ يَقُولُ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، وَإِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»(٤).

٢٧٠-ولفظ ابن حبان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»(٥).

---

(١) أبو داود، برقم ٥٠٦٨، وابن ماجه، برقم ٣٨٦٨، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٠٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) المسند، برقم ٨٦٤٩، وصححه محققو المسند، والألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٠٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) ابن ماجه، برقم ٣٨٦٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الترمذي، برقم ٣٣٩١، وفي صحيح الترمذي، ٣/١٤٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) صحيح ابن حبان، برقم ٩٦٤، وصححه محقق ابن حبان، ٣/ ٢٤٤، برقم ٩٦٤، والألباني في =

٢٧١-ولفظ ابن السني في عمل اليوم والليلة عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أصبحتم فقولوا: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوت، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ**»(١).

٢٧٢-ولفظ النسائي في عمل اليوم والليلة عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا أصبح: «**اللهمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وبِكَ أَمْسَيْنَا، وبِكَ نَحْيَا، وبِكَ نَموتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ**»(٢).

٢٧٣-ولفظ النسائي في الكبرى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ: «**اللهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ**» وَإِذَا أَمْسَى قَالَ: «**بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ**» قَالَ: وَمَرَّةً أُخْرَى: «**وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**»(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم بك أصبحنا**» أي: بك وحدك، لا شريك لك بنعمتك، وإعانتك أدركنا الصباح، وهو معنى: «**وبك أمسينا**» قال المباركفوري رحمه الله: «أي: دَخلنا فِي الصَّباح، اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا: الْبَاءُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، وَهُوَ خَبَرُ أَصْبَحْنَا، وَلَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ مُضَافٍ، أَيْ أَصْبَحْنَا مُلْتَبِسِينَ بِحِفْظِكَ، أَوْ مَغْمُورِينَ بِنِعْمَتِكَ، أَوْ مُشْتَغِلِينَ بِذِكْرِكَ، أَوْ مُسْتَعِينِينَ بِاسْمِكَ، أَوْ مَشْمُولِينَ بِتَوْفِيقِكَ، أَوْ مُتَحَرِّكِينَ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، أَوْ مُتَقَلِّبِينَ بِإِرَادَتِكَ، وقدرتك»(٤).

٢-قوله: «**وبك نحيا وبك نموت**»: المعنى أننا لا غنى لنا عنك طرفة عين،

=

التعليقات الحسان، برقم ٩٦٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(١) عمل اليوم والليلة لابن السني، برقم ٣٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) النسائي، عمل اليوم والليلة، ص ١٣٨، برقم ٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) سنن النسائي الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من قال حين يصبح وحين يمسي: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، برقم ٩٨٣٦.

(٤) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٣٦، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٧٧.

أو أقل من ذلك، فكل الحركات، والسكنات إنما هي من عونك وإكرامك لنا، قال المباركفوري رحمه الله: «أَيْ أَنْتَ تُحْيِينَا وَأَنْتَ تُمِيتُنَا يَعْنِي يَسْتَمِرُّ حَالُنَا عَلَى هَذَا فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ»(١).

٣-قوله: «**وإليك النشور**» أي: المرجع يوم القيامة بعد أن تخرج الأرض ما في بطنها ويبعث الناس للحساب، قال المباركفوري رحمه الله: «وَإِلَيْكَ النُّشُورُ قَالَ فِي النِّهَايَةِ: يقال نُشِرَ الْمَيِّتُ يُنْشَرُ نُشُورًا إِذَا عَاشَ بَعْدَ الْمَوْتِ أَوْ نَشَرَهُ اللَّهُ أَيْ: أَحْيَاه»(٢).

٤-قوله: «**وإليك المصير**»: أي: المرجع والمآب والمرد. قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى**﴾(٣)، وَإِلَيْكَ لَا إِلَى غَيْرِكَ الْمَصِيرُ أَيِ الْمَرْجِعُ بِالْبَعْثِ»(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-حرص النبي ﷺ على تعليم أمته كيفية الارتباط القوي بالله تعالى.

٢-المسلم يعترف بشكر واهب النعم: آناء الليل، وأطراف النهار.

٣-تقرير حقيقة وعقيدة البعث بعد الموت للحساب والجزاء.

٤-جعل النبي ﷺ قوله: «**وإليك النشور**» في الصباح، وفي المساء: «**وإليك المصير**» في رواية البخاري في الأدب المفرد رعاية للتناسب والتشاكل؛ لأن الإصباح يشبه النشر بعد الموت، وذلك بعد قيام الإنسان من نومه الذي هو موتة صغرى. وكذلك فإن الإمساء يشبه الموت بعد الحياة؛ لأن الإنسان يصير بعد ذلك إلى النوم الذي يشبه الوفاة؛ ولذلك فقد كان النبي ﷺ يقول بعد الاستيقاظ من النوم: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**»(٥)(٦).

---

(١) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٣٦.
(٢) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٣٦.
(٣) سورة العلق، الآية: ٨.
(٤) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٣٦.
(٥) البخاري، برقم ٦٣١٢، وقد تقدم شرحه في الحديث الأول من متن هذا الكتاب في المفردة رقم ٤.
(٦) انظر: فقه الأدعية والأذكار، ص ٤٩٩.

٧٩-(٥)«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ، وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ[١] لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلاَّ أَنْتَ»[٢].

أولاً: لفظ الحديث:

٢٧٤-عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه[٣]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»، قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»[٤]، وهذا لفظ البخاري.

٢٧٥-وفي لفظ للبخاري عنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، إِذَا قَالَ

---

(١) أقر وأعترف.

(٢) من قالها موقناً بها حين يمسي، فمات من ليلته دخل الجنة، وكذلك إذا أصبح. أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، برقم ٦٣٠٦.

(٣) شداد بن أوس رضي الله عنه، أبو يعلى، وهو ابن أخي حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ الأنصاري النجاري المدني، سكن بيت المقدس، وأعقب بها، روي له عن رسول الله خمسون حديثًا، وروى له الجماعة، مات ببيت المقدس سنة ثمان وخمسين، وهو ابن خمس وسبعين سنة. انظر: أسد الغابة، ٢/٢٣٩٢، والإصابة، ٣/٣٨٥١.

(٤) البخاري، برقم ٦٣٠٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

حِينَ يُمْسِي فَمَاتَ دَخَلَ الجَنَّةَ - أَوْ: كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ - وَإِذَا قَالَ حِينَ يُصْبِحُ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ مِثْلَهُ»[1].

٢٧٦-ولفظ الترمذي عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه أيضاً: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى سَيِّدِ الاِسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، وَأَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَعْتَرِفُ بِذُنُوبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، لاَ يَقُولُهَا أَحَدُكُمْ حِينَ يُمْسِي فَيَأْتِي عَلَيْهِ قَدَرٌ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ إِلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَلاَ يَقُولُهَا حِينَ يُصْبِحُ فَيَأْتِي عَلَيْهِ قَدَرٌ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ إِلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ»[2].

٢٧٧-ولفظ النسائي في الكبرى عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ سَيِّدَ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ، وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، وَأَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، إِنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[3].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم أنت ربي**»: الرب هو المالك المتصرف، ويطلق في اللغة على السيد، والمربي، والقيم، وكل ذلك صحيح في حق الله، والرب من أسماء الله تعالى إذا أطلق، ويستعمل في حق غير الله بالإضافة، فيقال: رب

---

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٦٣٢٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه حدثنا الحسين بن حريث، برقم ٣٣٩٣.

(٣) النسائي في السنن الكبرى، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من شر ما صنع، وذكر الاختلاف على عبدالله بن بريدة فيه، برقم ٧٩٦٣، وسنن النسائي (المجتبى)، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من شر ما صنع وذكر الاختلاف على عبد الله بن بريدة فيه، برقم ٥٥٢٢.

الدار، رب الأسرة، وهكذا، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «والرب: المالك، والسيد، والصاحب، والمدبر، والخالق وغير ذلك إلا أنه لا يرد مطلقًا إلا على الله عَزَّ وَجَلَّ غالبًا، فأما غير الله فيقال فيه: رب كذا»(١).

٢-قوله: «**لا إله إلا أنت**»: أي : لا معبود بحقٍّ غيرك، ولا معروف بهذه المعرفة سواك(٢)، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إثبات للإلهية المطلقة لله تعالى على سبيل الحصر، بعد إثبات الملك له»(٣).

٣-قوله: «**خلقتني وأنا عبدك**»: المعنى أنك خلقتني وحدك، فيجب صرف جميع العبادة لك وحدك ﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ**﴾(٤).

٤-قوله: «**وأنا على عهدك**» أي: على عهد التوحيد، وميثاق الطاعة، وهو إشارة إلى قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا**﴾(٥).

٥-قوله: «**ووعدك**» أي: بتفضلك عليَّ، وإدخالي الجنة حال كوني موحدًا لك، وهذا من غير إيجاب شيء عليك، بل محض جود وتمام منة. قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والوعد: هو ما وعدهم تعالى أنه من مات لا يشرك منهم بالله شيئًا، وأدّى ما افترض الله عليه، أن يدخل الجنة، فينبغي لكل مؤمن أن يدعو الله تعالى أن يميته على ذلك العهد، وأن يتوفاه الله على الإيمان؛ لينال ما وعد تعالى من وفى بذلك؛ اقتداءً بالنبي ﷺ فى دعائه بذلك»(٦)، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «الوعد: ما قالَ

---

(١) الشافي في شرح مسند الشافعي، ١/ ٥٣٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٣ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.
(٢) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٣.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.
(٤) سورة فاطر، الآية: ٣.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.
(٦) شرح صحيح البخارى ـ لابن بطال (١٠/ ٧٦)

عَلَى لِسان نَبِيّه «**إنَّ مَن ماتَ لا يُشرِك بِاللَّهِ شَيئًا، وأَدَّى ما افتَرَضَ عَلَيهِ أَن يُدخِلهُ الجَنَّة**»[1] قُلت [القائل هو الحافظ ابن حجر]: وقَوله: «وأَدَّى ما افتَرَضَ عَلَيهِ» زِيادَة لَيسَت بِشَرطٍ فِي هَذا المَقام؛ لأَنَّهُ جَعَلَ المُراد بِالعَهدِ المِيثاق المَأخُوذ فِي عالَم الذَّرّ، وهُو التَّوحِيد خاصَّة، فالوعد هُو إِدخال مَن ماتَ عَلَى ذَلِكَ الجَنَّة»[2]، وقال الشيخ البنا رَحِمَهُ اللَّهُ: «ووعدك: أي مصدقٌ، ومؤمنٌ بوعدك الذي لا يخلف، الذي وعدت به أهل الإيمان، وراجٍ رحمتك بمقتضاه»[3]، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعلى وعدك: أي تطبيق وعدك ما وعدت أهل الخير من الخير، وما وعدت أهل الشر من الشر، ولكن أنا على وعدك، أي: في الخير؛ لأنك في هذه الكلمات تتوسل إلى الله عَزَّ وَجَلَّ»[4].

٦-قوله: «**ما استطعت**» أي: أجاهد نفسي على الطاعة ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، فأنت يا ربنا ما كلفت نفسًا إلا وسعها، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفِي قَولُه: «ما استَطَعت»: إِعلام لأُمَّتِهِ أَنَّ أَحَدًا لا يَقدِر عَلَى الإِتيان بِجَمِيع ما يَجِب عَلَيهِ لِلَّهِ، ولا الوفاء بِكَمالِ الطّاعات، والشُّكر عَلَى النِّعَم، فَرَفَقَ اللَّه بِعِبادِهِ، فَلَم يُكَلِّفهُم مِن ذَلِكَ إِلاَّ وُسعهم، واشتِراط الاستِطاعَة فِي ذَلِكَ مَعناهُ: الاعتِراف بِالعَجزِ، والقُصُور عَن كُنه الواجِب مِن حَقّه تَعالَى»[5].

٧-قوله: «**أعوذ بك من شر ما صنعت**» أي: أعتصم بك من شر ما اقترفت جوارحي من الذنوب التي عاقبتها خسر، إن لم تغفرها لي، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «أعوذ بك من شر ما صنعت: يعني: أنت تعوذ بالله من شر ما صنعتَ؛ لأن

---

(١) البخاري، برقم ٦٤٤٣، ومسلم، برقم ٩٣، وجملة الزيادة التي أشار إليها الحافظ ليست في الحديث.
(٢) فتح الباري، ١١/ ٩٩.
(٣) الفتح الرباني (١/ ٤٨٠)
(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٨٧٧.
(٥) فتح الباري، ١١/ ٩٩.

الإنسان يصنع خيراً فيثاب، ويصنع شراً فيعاقب، ويصنع الشر فيكون سبباً لضلاله، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾(١)، فأنت تتعوذ بالله من شر ما صنعت ثم أبوء لك بنعمتك علي يعني أعترف بنعمتك العظيمة الكبيرة التي لا أحصيها»(٢).

٨-قوله: «أبوء لك بنعمتك علي» أي: أعترف بنعمك التي لا تعد ولا تحصى، قال الحافظ(٣): وأصل البواء اللزوم، ومنه بوّأه الله منزلًا، إذا أسكنه فيه، فكأنه ألزمه به، قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: أبوء بنعمتك: معناه: الاعتراف بالنعمة، والإقرار بها، وأبوء بذنبي معناه: الإقرار بها أيضاً كالأول، ولكن فيه معنى ليس في الأول تقول العرب: باء فلان بذنبه إذا احتمله كرهاً، لا يستطيع دفعه عن نفسه»(٤).

٩-قوله: «وأبوء بذنبي»: أي: أقر بالذنب نادمًا على ذلك، عازمًا على عدم العودة إليه، مقلعًا عنه بتوفيقك لي، وهذا القول يشمل فعل المحظورات، أو التقصير في الواجبات، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأَبُوء لَك بِذَنبِي»: أَي: أَعتَرِف أَيضًا، وقِيلَ: مَعناهُ: أَحمِلهُ بِرَغمِي، لا أَستَطِيع صَرفه عَنِّي، وقالَ الطِّيبِيُّ: اعتَرَفَ أَوَّلاً بِأَنَّهُ أَنعَمَ عَلَيهِ، ولَم يُقَيِّدهُ: لأَنَّهُ يَشمَل أَنواع الإِنعام، ثُمَّ اعتَرَفَ بِالتَّقصِيرِ، وأَنَّهُ لَم يَقُم بِأَداءِ شُكرها، ثُمَّ بالَغَ فَعَدَّهُ ذَنبًا مُبالَغَة فِي التَّقصِير وهَضم النَّفس»(٥).

١٠-قوله: «فاغفر لي»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْمَغْفِرَة: تَغْطِيَة الذَّنب...

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٩.
(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٨٧٧.
(٣) انظر: فتح الباري، ١١/ ١٠٠.
(٤) معالم السنن، للخطابي، ٤/ ١٤٥.
(٥) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٠٠.

والغَفُورُ الغَفّارُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، ... وَمَعْنَاهُمَا: السَّاتِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا»[1]، وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الغفران: تغطية الذنب بالعفو عنه»[2]، وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى سؤاله ﷺ المغفرة، مع أنه مغفور له، أنه يسأل ذلك تواضعاً، وخضوعاً، وإشفاقاً، وإجلالاً؛ وليقتدى به في أصل الدعاء، والخضوع، وحسن التضرع في هذا الدعاء المعين»[3].

١١-قوله: «**فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»: أي لا يملك ذلك غيرك ﴿**وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾[4].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-إظهار ما كان عليه النبي ﷺ من الخضوع والانكسار، والتذلل لله عَزَّ وَجَلَّ.

٢-إثبات الربوبية في قوله: «**أنت ربي**» ثم الألوهية من قوله: «**لا إله إلا أنت**».

٣-الإقرار بالعهد الذي أخذه الله على بني آدم لما كانوا أمثال الذر في ظهر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا...**﴾ الآية[5].

٤- «وفيه: دليل أن الواجب على العبد أن يكون على حذر من ربّه في كل أحواله، وإن كان من أهل الاجتهاد في عبادته في أقصى غاياته، إذ كان الصدّيق مع موضعه من الدين، لم يسلم مما يحتاج إلى استغفار ربه منه»[6].

---

(١) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من حديث المتن رقم ٢.
(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٢.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٥٦.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.
(٦) شرح صحيح البخارى ـ لابن بطال (١٠/ ٩٣)

٥-الاستعاذة من سيئات الأعمال، وإضافة النعماء إلى واهبها، وموجدها، ويدخل في ذلك شكر المنعم، والتبرؤ من كفران النعم.

٦-الأجر العظيم لمن قال هذا الدعاء موقنًا به، وهذا على سبيل العموم، ولا يجوز لنا أن نجزم لشخص قاله بأنه من أهل الجنة.

٧-سمى النبي ﷺ هذا الدعاء: بـ«سيد الاستغفار»؛ حيث قال لشداد بن أوس رضي الله عنه راوي الحديث: «**ألا أدلك على سيد الاستغفار**»[١]، وذلك لأنه فاق جميع صيغ الاستغفار في الفضيلة، وجمع بين معاني الربوبية والألوهية والعبودية، والاعتراف بالتقصير، وطلب المغفرة، وغير ذلك.

***

٨٠-(٦)«اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ[٢] أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَمَلائِكَتَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ» (أربعَ مَرَّاتٍ)[٣].

الشـــرح:

ثانياً: لفظ الحديث:

٢٧٨-عن أَنَس بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه[٤]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن قَالَ

---

(١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه، برقم ٣٣٩٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٧٤٧.

(٢) وإذا أمسى قال: اللَّهم إني أمسيت.

(٣) من قالها حين يصبح، أو يمسي أربع مرات، أعتقه الله من النار. أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٧١، ورقم ٥٠٨٠، والبخاري في الأدب المفرد، برقم ١٢٠١، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٩، وابن السني، برقم ٧٠، وحسّن سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله إسناد النسائي، وأبي داود، في تحفة الأخيار، ص٢٣.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا أَصَابَ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ مِنْ ذَنْبٍ، وَإِنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي غُفِرَ لَهُ مَا أَصَابَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ»[(١)].

٢٧٩-وفي لفظ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمْسِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَمَلَائِكَتَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، أَعْتَقَ اللهُ رُبُعَهُ مِنَ النَّارِ، فَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللهُ نِصْفَهُ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ اللهُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ، فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللهُ مِنَ النَّارِ»[(٢)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللهم إني أصبحت**»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ »[(٣)]، و«أَصْبَحْت هَذِهِ اللَّفْظَةُ تَقُولُهَا الْعَرَبُ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ قَبْلَ الصَّبَاحِ، بِمَعْنَى: أَنَّك قَارَبْت الصَّبَاحَ، وَتُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى تَمَكُّنِ الصَّبَاحِ، وَتَنْبِيهِهِ عَلَى قُرْبِ فَوَاتِهِ»[(٤)].

٢-قوله: «**أشهدك**»: أي: أجعلك شاهدًا على الإقرار لك بالتوحيد، فأنت على كل شيء شهيد، ومطلع على جميع الأقوال، والأفعال: دقيقها، وجليلها، وهي

---

(١) أبو داود، برقم ٥٠٧١، وحسّن إسناده الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في تحفة الأخيار، ص ٢٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٦٩، والبخاري في الأدب المفرد، برقم ١٢٠١، وحسّن إسناده الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في تحفة الأخيار، ص ٢٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، المفردة رقم ٦.

(٤) المنتقى شرح الموطأ، للباجي، ١/ ١٠٣.

شهادة نطق، وإخبار عما في القلب، قال الراغب: «الشهادة قول صادر عن علم بمشاهدة بصيرة، أو بصر»[(١)]، وقال العظيم أبادي رحمه الله: «مَعْنَاهُ، أَعْلَمُ وَأُبَيِّنُ، وأقضي، وحَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ هُوَ تَيَقُّنُ الشَّيْءِ، وَتَحَقُّقُهُ مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيْ: حُضُورِهِ»[(٢)].

٣-قوله: «**وأشهد حملة عرشك**»: أي: من الملائكة الكرام، وقد نص القرآن على أن حملة العرش ثمانية ﴿**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾[(٣)]، قال العلامة السعدي رحمه الله: «أملاك في غاية القوة إذا أتى للفصل بين العباد، والقضاء بينهم بعدله، وقسطه، وفضله»[(٤)].

٤-قوله: «**وملائكتك**»: هذا عطف على ما قبله، وهو من باب عطف العام على الخاص، وهناك عكس هذا العطف في قوله: ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا**﴾[(٥)] فالروح جبريل، وهو أشرف الملائكة، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «الملائكة : هم عالم غيبي، خلقهم الله من نور، وجعلهم قائمين بطاعة الله، لا يأكلون، ولا يشربون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، لهم أشكال، وأعمال، ووظائف مذكورة في الكتاب والسنة، ويجب الإيمان بهم، وهو أحد أركان الإيمان الستة»[(٦)].

٥-قوله: «**وجميع خلقك**» أي: جميع ما خلقت من العوالم التي لا يعلمها، ولا يحيط بها إلا أنت، وقال الشوكاني رحمه الله: «هُوَ من عطف الْعَام على الْخَاص؛ لِأَن حَملَة الْعَرْش هم منَ الْمَلَائِكَة، وَكَذَا قَوْله: «وَجَمِيع خلقك»؛

---

(١) مفردات غريب القرآن، ١/ ٥٥٥.
(٢) عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ٢/ ١٢٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ١٣.
(٣) سورة الحاقة، الآية: ١٧.
(٤) تفسير السعدي، ص ٨٨٣.
(٥) سورة القدر، الآية: ٤.
(٦) القول المفيد على كتاب التوحيد، ٢/ ٢٠٤.

لِأَن الْمَلَائِكَة من جملَة الْخلق»[(١)].

٦-قوله: «**أنك أنت الله**»: قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنَّكَ - بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ - أَيْ: عَلَى شَهَادَتِي، وَاعْتِرَافِي بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ: أَيِ: الْوَاجِبُ الْوُجُودِ، صَاحِبُ الْكَرَمِ وَالْجُودِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ: أَيْ: مَوْجُودٌ»[(٢)]، أي: لا معبود بحق إلا أنت.

٧-قوله: «**لا إله إلا أنت**»: أي: لا معبود بحقٍّ غيرك، ولا معروف بهذه المعرفة سواك[(٣)]، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إثبات للإلهية المطلقة لله تعالى على سبيل الحصر، بعد إثبات الملك له»[(٤)].

٨-قوله: «**وحدك لا شريك لك**»: وحدك من حيث المعنى توكيد للإثبات، و«**لا شريك لك**» توكيد للنفي، قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحدَك لا شريك لك، مخلصين لك العبادةَ دونَ ما سِواك من الآلهة والأوثان»[(٥)].

٩-قوله: «**وأن محمداً**» ذكر اسمه ﷺ تكريم له، واختصاصه بهذا التكريم، لأنك يارب «أرسلته للثقلين بجوامع الكلم، وأفصح اللغات، وجمّلته بمكارم الأخلاق، ونعتّه بأحسن الصفات، فصار عزيزاً عند قومه، وعشيرته، وأهل ملته، مشهوراً بالأمانة، والكمال، والعدل بين رعيته، يأخذ للضعيف من القوي»[(٦)].

١٠-قوله: «**عبدك**»: وصف النبي ﷺ بأنه عبد هو أشرف الأوصاف؛ لأن الله وصفه بها في مقام القرب في رحلة الإسراء والمعراج من قوله ﷻ: ﴿**سُبْحَانَ**

---

(١) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص ١٠١.
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ١٦٦٤.
(٣) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٣.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.
(٥) تفسير الطبري، ١/ ١٦٦، وتقدم في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن رقم ٦٤.
(٦) الفتح الرباني شرح مسند أحمد، ١/ ١.

الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا...﴾[(١)]، وكذا في مقام الدعوة إلى الله من قوله ﷻ: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[(٢)]، قال النووي :: «عَبْدُكَ أَيْ مُعْتَرِفٌ بِأَنَّكَ مَالِكِي وَمُدَبِّرِي وَحُكْمُكَ نَافِذٌ فِيَّ»[(٣)].

١١-قوله: «ورسولك»: أي: الذي كلفه الله بالرسالة الخاتمة، ولذلك فقد ختم الله به النبوة والرسالة معًا؛ لأنه إذا انتفت النبوة، انتفت الرسالة.

وقال ابن الأثير رحمه الله: «ورسولك الذّي أرْسَلْت» . فردّ عَلَيّ وقال : «ونبيّك الّذي أرْسَلْت»[(٤)] إنَّما رَدَّ عليه لِيَخْتَلِف الّلفظان، ويَجْمَع له الثَّناءيْن: مَعْنى: النُّبوّة، والرِّسالة، ويكون تَعْديداً للنِّعمة في الحالَيْن، وتَعْظيماً لِلْمِنَّة على الوجْهَين، والرَّسُول أخَصُّ مِن النبيّ؛ لأنّ كُلَّ رَسُولٍ نَبيٌّ، وليس كُلُّ نَبيّ رَسُولا»[(٥)]، وقال الحميدي: «قوله: أشهد أن محمداً رسول الله أي: أعْلَمُ وأبيّنُ أن محمداً متابع للأخبار عن الله ﷻ، والرسول معناه في اللغة: الذي يتابع الأخبار بما أرسل به عن من أرسله، مأخوذ من قول العرب: جاءت رَسْلاً أي: متتابعة، والرّسْل: الإبل المتتابعة»[(٦)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-بيان أن الشهيد اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، قال الخطابي: الشهيد هو الذي لا يغيب عنه شيء، يقال: شاهد وشهيد، كعالم وعليم[(٧)].

٢-بيان عظيم ملك الله؛ لأن العرش أكبر من الكرسي[(٨)]، وحملة العرش

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٩.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٥٨.

(٤) البخاري، برقم ٢٤٧، ومسلم، برقم ٢٧١٠.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٥/ ٨، مادة (نبو).

(٦) تفسير غريب ما فى الصحيحين: البخاري، ومسلم، ص ٢٢٥.

(٧) شأن الدعاء، ص ٧٥.

(٨) انظر تفسير آية الكرسي حديث (٧١) في متن هذا الكتاب.

الصحيح أنهم ثمانية، ومن قال بأنهم أربعة اعتمد على حديث معضل[١]، ذكره الثعلبي من غير سند، ومن الأدلة الصحيحة على عظم خلقهم قول رسول الله ﷺ: **«أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش: إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مائة عام»**[٢]،

٣-وقوله ﷺ**«أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام، يقول ذلك الملك سبحانك حيث كنت»**[٣].

٤-إثبات أن الملائكة لهم وظائف، وهم عالم غيبي، خلقهم الله ﷻ من نور، وجعلهم طائعين له متذللين، قال تعالى: ﴿**يُسَبِّحُونَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ**﴾[٤].

٥-تقرير أن النبي ﷺ هو عبد لله تعالى، والعبد لا حَقَّ له في شيء من شؤون الربوبية ، ولا الألوهية، بل هو محتاج إلى الله غاية الاحتياج، مفتقر إليه، يدعوه، ويرجوه.

٦-ليس معنى أن للعرش ملائكة تحمله أن الله في حاجة إلى الملائكة، بل هو مستغنٍ عن العرش وحملته؛ لأنه له الغنى المطلق، وليس في حاجة لعون أحد فيما خلق ويخلق؛ لأن الاحتياج صفة نقص، والله صفاته كلها كمال وجلال[٥].

***

---

(١) وهو من أقسام الضعيف.

(٢) أبو داود، كتاب السنة، باب في الجهمية، برقم ٤٧٢٧، وأبو الشيخ في العظمة، ٣/٩٤٨، برقم ٤٧٦، وابن عساكر، ٤٣/٦٠، وقال الحافظ في الفتح، ٨/٦٦٥: «إسناده على شرط الصحيح»، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٨٥٤.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط، ٦/٣١٤، برقم ٦٥٠٣، وأبو نعيم في الحلية، ٣/ ١٥٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٨٥٣.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٠.

(٥) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٢٤٨.

٨١-(٧)«اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي[١] مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ»[٢].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٨٠-عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ غَنَّامٍ الْبَيَاضِيِّ[٣] أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ»[٤].

٢٨١-وفي لفظٍ عن ابْنِ غنام، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ، أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ»[٥].

---

(١) وإذا أمسى قال: اللَّهم ما أمسى بي...

(٢) من قالها حين يصبح فقد أدَّى شكر يومه، ومن قالها حين يمسي فقد أدَّى شكر ليلته. أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٧٥، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من قال حين يصبح وحين يمسي رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ، برقم ٩٨٣٥، وابن السني، برقم ٤١، وابن حبان، ١/ ١٠١، برقم ٨٦١، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي، ١١/ ١١٩، وحسنه محققو ابن حبان، وقال الإمام النووي في الأذكار، ص ١١١: «وروينا في سنن أبي داود بإسناد لم يضعفه»، أي وافق تحسين أبي داود له، وحسّن إسناده ابن باز في تحفة الأخيار، ص٢٤، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود، برقم ١٠٧٩.

(٣) عبد الله بن غنام ﷺ بن بياضة الأنصاري البياضي، له صحبة، وله حديث في سنن أبي داود، والنسائي في القول عند الصباح، وقد صحفه بعضهم فقال: ابن عباس، وجزم أبو نعيم بأن من قال فيه ابن عباس فقد صحف، ويأتي في أكثر الروايات غير مسمى، وسماه بعضهم عبد الرحمن وهو وهم، روى عنه عبد الله بن عنبسة ﷺ. انظر: تهذيب الكمال، ٣١١/٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ٢٠٧.

(٤) أبو داود، برقم ٥٠٧٥، وحسّن إسناده الإمام ابن باز في تحفة الأخيار، ص ٢٤، وغيره، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من قال حين يصبح وحين يمسي رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، برقم ٩٨٣٥، والبيهقي في الدعوات الكبير، =

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللهم**»: قال ابن منظور رحمه الله: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»[(١)].

٢-قوله: «**ما أصبح**» أي: ما صار مصاحبًا لي من عظيم النعم، قال العظيم أبادي رحمه الله: «مَا أَصْبَحَ بِي: أَيْ: حَصَلَ لِي فِي الصَّبَاحِ، قاله القاري، وَقِيلَ: أَيْ: مَا أَصْبَحَ مُتَّصِلًا بِي»[(٢)].

٣-قوله: «**بي من نعمة**»: تشمل النعم الدينية، وأعظمها الثبات على التوحيد، والنعم الدنيوية، كالسلامة من الأمراض، والأسقام، وغير ذلك، قال العظيم أبادي رحمه الله: «بِي مِنْ نِعْمَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ، أَوْ أُخْرَوِيَّةٍ (فَمِنْكَ)، أَيْ: حَاصِلٌ مِنْكَ، (وَحْدَكَ) حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ فِي مِنْكَ»[(٣)].

٤-قوله: «**أو بأحد من خلقك**»: أي: أقرُّ، وأعترف بأن كلَّ النعم منك[(٤)].

٥-قوله: «**فمنك وحدك لا شريك لك**»: اعتراف بتفرد الله وحده بإسداء هذه النعم، قال الطيبي رحمه الله: «أي: إني أقرُّ، وأعترف بأن كل النعم الحاصلة من ابتداء خلق العالم إلى انتهاء دخول الجنة، فمنك وحدك، فأوزعني أن أقوم بشكرها، ولا أشكر غيرك، وقوله: (وحدك) حال من المتصل في قوله: (فمنك) أي: فحاصل منك منفرداً»[(٥)].

=

١/ ٩٨، برقم ٤١، وهو عند ابن حبان، ٣/ ١٤٢، برقم ٨٦١، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وحسنه محققه، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(١) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، المفردة رقم ٦.

(٢) عون المعبود، ١٣/ ٢٨١.

(٣) عون المعبود، ١٣/ ٢٨١.

(٤) انظر: شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٨٦.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٨٦.

٦-قوله: «**فلك الحمد**»: أي: أحمدك على هذه الأفضال، والنعم الجزال، وأعبِّر عن ذلك بلسان الحال، والمقال، قال الطيبي رحمه الله: «تقرير للمطلوب، ولذلك قدم الخبر على المبتدأ ليفيد الحصر، يعني: إذا كانت النعمة مختصة بك، فها أنا أتقدم إليك، وأخص الحمد، والشكر بك قائلاً: لك الحمد، لا لغيرك، ولك الشكر، لا لأحد سواك»[(١)].

٧-قوله: «**ولك الشكر**»: بالقلب، والجوارح، وتصريف هذه النعم في مرضاتك وحدك، لا شريك لك، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعليقاً على هذا الحديث: «كل ما بالخلق من النعم، فمنه وحده لا شريك له؛ ولهذا هو سبحانه يجمع بين الشكر والتوحيد، ففي الصلاة أول الفاتحة: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ وأوسطها: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾، والخطب، وكل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم... والتوحيد نهايته، ولهذا كان النصف من الفاتحة الذي هو لله أوله حمد، وآخره توحيد: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾، والحمد رأس الشكر، فالحامد يشكره أولاً على نعمه، ثم يعبده وحده؛ فإن العبد أول ما يعرف ما يحصل له من النعمة مثل خلقه حياً، وخلق طرق العلم: السمع، والبصر، والعقل»[(٢)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الاعتراف بالنعم، وأداء شكرها هو سبيل بقائها، ونمائها ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾[(٣)].

٢-من تمام رحمة الله بعبده أنه يعطيه ما يشكره عليه، ثم يشكره ربه على إحسانه إلى نفسه، لا على إحسانه إلى ربه ﴿**إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا**﴾[(٤)].

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٨٦.
(٢) رسالة في تحقيق الشكر، لابن تيمية، ص ١٠٨.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٧.
(٤) سورة الإنسان، الآية: ٢٢.

٣-نعم الله تشمل الخلق جميعًا: مؤمنهم، وكافرهم، إنسهم، وجنهم، قال الله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾(١). قال ابن القيم:

يكفيك رب لم تزل في فضله   متقلبًا في السر والإعلان(٢)

٤-أقسام الشكر ثلاثة:

أ- شكر بالقلب: وهو الاعتراف بالنعم الباطنة، والظاهرة للمنعم، وأنها وصلت إليه من غير ثمن بذله فيها، قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾(٣).

ب- شكر باللسان: ويكون بذكرها، وتعدادها، والثناء على واهبها، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾(٤).

ج- الشكر بالجوارح: ومفهومه ألا يستعان بالنعم إلا على طاعة الله، قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾(٥).

***

٨٢-(٨)«اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ» (ثلاث مرَّاتٍ)(٦).

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

(٢) الكافية، ص ٢٨٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ٥٣.

(٤) سورة الضحى، الآية: ١١.

(٥) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٦) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٩٢، وأحمد، ٢٤/ ٧٤، برقم ٢٠٤٣٠، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر وهو سيد الاستغفار، برقم ٩٨٥٠، وابن السني، برقم ٦٩، والبخاري في الأدب المفرد، برقم ٧٠١، وابن أبي شيبة في المصنف، ٦/ ٢٤، برقم ٢٩١٨٤، وحسنه بشواهده محققو المسند، ٢٤/ ٧٥، وحسنه الألباني في صحيح الأدب =

أولاً: لفظ الحديث:

٢٨٢-عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ[1]: يَا أَبَتِ إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ «**اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلَاثًا، حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلَاثًا حِينَ تُمْسِي**»، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِنَّ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ، قَالَ عَبَّاسٌ فِيهِ: وَتَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ تُعِيدُهَا ثَلَاثًا حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلَاثًا حِينَ تُمْسِي، فَتَدْعُو بِهِنَّ**» فَأُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: «**اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»، وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ عَلَى صَاحِبِهِ[2].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم عافني في بدني**»: أي اجعل بدني معافى من الأمراض، والأسقام، لكي أستعين بذلك على طاعتك يا ربِّ وهذا يشمل مرض الجسد، ومرض القلب، قال المناوي رحمه الله: «من الأسقام والآلام»[3].

٢-قوله: «**اللَّهم عافني في سمعي**»: وذلك بألا أسمع إلا ما فيه مرضاتك،

= المفرد، ص ٢٥٥، برقم ٥٤٢، وحسّن العلامة ابن باز رحمه الله إسناده في تحفة الأخيار، ص٢٦.

(١) نفيع بن الحارث رضي الله عنه، وقيل: نفيع بن سروح، مولى النبي ﷺ يكنى بأبي بكرة، قال الحافظ في الفتح، ٦٤٢/٧: وإنما كني بذلك لأنه تدلى من حصن الطائف مع عشرة من العبيد من أجل أن يسلموا، ثم أعتقه النبي ﷺ، وكان رضي الله عنه من فضلاء الصحابة، وسكن بالبصرة، وأنجب أولادًا لهم شهرة، وقد روى خمسة منهم الحديث عن أبيهم، مات عام ٥١ هـ، وصلى عليه الصحابي أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه وكان ذلك في خلافة معاوية رضي الله عنه. انظر: الاستيعاب، ٦/ ٢٨٣، وتهذيب التهذيب، برقم ٨٣٢٦.

(٢) أبو داود، برقم ٥٠٩٣، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٤٢، والعلامة ابن باز رحمه الله في تحفة الأخيار، ص ٢٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا علي بن حجر، برقم ٣٥٠٢، والنسائي في السنن الكبرى، ١٠٦/٦، برقم ١٠٢٣٤، والحاكم، ٧٠٩/١، وصححه، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٨٣.

حتى أصل بذلك إلى محبتك، قال المناوي رحمه الله: «أي: القوة المودعة في الجارحة، وإرادة الاستماع بعيدة»[١].

٣- قوله: «**اللهمّ عافني في بصري**» وذلك بإدامة النظر في آياتك الكونية الدالة على توحيدك، وآياتك الشرعية الدالة على صدق رسلك، قال المناوي رحمه الله: «خصهما بالذكر بعد ذكر البدن؛ لأن العين هي التي تنظر آيات الله المثبتة في الآفاق، والسمع يعني الآيات المنزلة، فهما جامعان لدرك الآيات العقلية والنقلية، وإليه سرّ قوله في حديث آخر: «**اللهم أمتعنا بأسماعنا وأبصارنا**»[٢]»[٣].

٤-قوله: «**لا إله إلا أنت**»: أي : لا معبود بحقٍّ غيرك، ولا معروف بهذه المعرفة سواك[٤]، قال الطيبي رحمه الله: «إثبات للإلهية المطلقة لله تعالى على سبيل الحصر، بعد إثبات الملك له»[٥]، أي: لا معبود بحق إلا أنت يا ربي.

٥-قوله: «**اللّهم إني أعوذ بك من الكفر**»: لأنه ليس بعده ذنب، ومن مات عليه فقد سُدّت أمامه جميع أبواب الرحمات الواسعة، وكان من أصحاب النار، قال المناوي رحمه الله: «القصد باستعاذته من الكفر مع استحالته من المعصوم أن يُقتدى به في أصل الدعاء»[٦].

٦-قوله: «**والفقر**»: لأن الفقير إن لم يكن عنده رضا بالقضاء تسخط على قدر الله، وقد يدفعه ذلك التسخط إلى الكفر، ولذلك قرن النبي ﷺ بينهما، قال الطيبي

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٧١.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا علي بن حجر، برقم ٣٥٠٢، والنسائي في السنن الكبرى، ٦/١٠٦، برقم ١٠٢٣٤، والحاكم، ١/٧٠٩، وصححه، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٨٣.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٧١.

(٤) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٣.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٧١.

رحمه الله: «والفقر هو الاضطرار إلى ما لا يمكن التعيش دونه، مأخوذ من الفقار كأنه كسر فقاره؛ ولذلك فسر الفقير بالذي لا شيء له أصلاً»[١].

٧-قوله: «**وأعوذ بك من عذاب القبر**»: قال الراغب الأصفهاني: «والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به.... وأعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك»[٢]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ ... وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛... ويُسْتَعَاذُ مِنْ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يُضَرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنْ الشَّرِّ الضَّارِّ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يُوجَدَ»[٣]، و«**من عذاب القبر**»: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «لأن القبر فيه عذاب دائم للكافرين، وعذاب قد ينقطع للعاصين»[٤].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من شدة الحرص على اتباع السنة، وبذل ذلك الخير للناس، والبدء في ذلك بالأبناء، ومن يعولون.

٢-الحث على دوام طلب العافية في الأمور كلها؛ لأن في ذلك خيراً عظيماً، ولذلك قال الرسول ﷺ: « **سَلُوا اللَّهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْرًا مِنَ العَافِيَةِ**»[٥].

٣-عدم الانتفاع بالجوارح من سمع وبصر ونحوه، وإعمالها في معاصي الله

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٨/ ٢٥٩٢.

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ١٨/ ٢٨٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٢٤، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٥٥.

(٥) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا محمد بن بشار، برقم ٣٥٨٥، وأحمد في المسند، ١/ ٢١٠، برقم ٣٤، وصحح إسناده محققو المسند، ١/ ٢١١، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٦٣٢.

طريق موصل للبوار، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1].

٤-فمن لم يفقه بقلبه، ويبصر ما ينفعه بعينه، ويسمع سماعًا نافعًا يصل إلى قلبه، تكن الأنعام خيرًا منه[2].

***

٨٣-(٩)«حَسْبِيَ اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ عَلَيـهِ تَوَكَّلـتُ وَهُـوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» (سَبْعَ مَرّاتٍ)[3].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٨٣-لفظ أبي داود عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ[4] قَالَ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى: حَسْبِيَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَبْعَ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٢) شرح حصن المسلم، لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٢٥٢.

(٣) أخرجه ابن السني، برقم ٧١ مرفوعاً، وأبو داود موقوفاً، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٨١، وصحّح إسناده شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط في تحقيقهما لزاد المعاد، ٣٧٦/٢، وقال الإمام ابن باز في مجموع فتاويه، ٢٦/ ٦٥ عن إسناد أبي داود: «هذا الحديث جاء موقوفاً على أبي الدرداء ﷺ، من رواية أبي داود بإسناد جيد، ولفظه: «من قال إذا أصبح وإذا أمسى: حَسْبِيَ اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَبْعَ مَرَّاتٍ كَفَاهُ اللَّهُ مَا أَهَمَّهُ...» وهو حديث موقوف على أبي الدرداء، وليس حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ، ولكنه في حكم المرفوع؛ لأن مثله ما يقال من جهة الرأي، والله ولي التوفيق» انتهى كلامه رحمه الله، وضعفه العلامة الألباني في ضعيف سنن أبي داود، طبعة دار المعارف، ص ٤١٥، برقم ٥٠٨١، ولكنه ذكر في سلسلة الأحاديث الضعيفة، طبعة دار المعارف، ١١/ ٤٤٩، برقم ٥٢٨٦، أن الموقوف رجاله ثقات، واستنكر اللفظ الذي في آخره.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤ من أحاديث الشرح.

مَرَّاتٍ كَفَاهُ اللَّهُ مَا أَهَمَّهُ صَادِقًا كَانَ بِهَا، أَوْ كَاذِبًا»[(١)].

٢٨٤-ولفظ ابن السني عن أبي الدرداء ﷺ، عن النبيّ ﷺ قال: «مَنْ قالَ فِي كُلِّ يَوْمٍ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ سَبْعَ مَرَّاتٍ كَفَاهُ اللَّهُ تَعالى ما أهمَّهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيا والآخِرَةِ»[(٢)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**حسبي الله**» أي: كافيني كل هم وغم وسوء، قال العلامة السعدي رحمه الله: «أي: الله كافيَّ في جميع ما أهمني»[(٣)].

٢-«**لا إِلَهَ إِلا هُوَ**»: قال العلامة السعدي رحمه الله: «الذي له جميع معاني الألوهية، وأنه لا يستحق الألوهية والعبودية إلا هو، فألوهية غيره، وعبادة غيره باطلة»[(٤)].

٣-قوله: «**عليه توكلت**»: قولًا باللسان، وإن كان محل ذلك القلب؛ لأن التوكل عمل قلبي وأخذٌ بالأسباب المشروعة، قال العلامة السعدي رحمه الله: «أي: اعتمدت ووثقت به، في جلب ما ينفع، ودفع ما يضر»[(٥)].

٤-قوله: «**وهو رب العرش العظيم**»: وصف العرش بذلك؛ لأن الكرسي وسع السموات والأرض ونسبة الكرسي إلى العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة[(٦)]. قال

---

(١) أبو داود، برقم ٥٠٨١، وصحح إسناده محققا زاد المعاد، ٢/ ٣٧٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) ابن السني في عمل اليوم والليلة، ص ١٣٢، برقم ٧١، و الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي، ٣/ ٤٧٥، برقم ٥٤٧٢، وصحح إسناده محققا زاد المعاد، ٢/ ٣٧٦، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود، برقم ٥٠٨١، وتقدم في تخريج حديث المتن أن الإمام ابن باز رحمه الله جوّد إسناده في سنن أبي داود موقوفاً في حكم الرفع.

(٣) تفسير السعدي، ص ٣٥٦.

(٤) تفسير السعدي، ص ٩٥٣.

(٥) تفسير السعدي، ص ٣٥٦.

(٦) تقدم الكلام في الحديث رقم ٧١، وفيه: «وسع كرسيه السموات والأرض»: وسع بمعنى شمل، أي: أن كرسيه محيط بالسموات والأرض، وأكبر منهما؛ لأنه لولا أنه أكبر ما وسعهما شرح الواسطية ابن عثيمين، =

الإمام ابن خزيمة رحمه الله: «وسمَّى الله بعض خلقه عظيماً، فقال: وهو رب العرش العظيم، فالله العظيم، وأوقع اسم العظيم على عرشه، والعرش مخلوق»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ: الْعَرْشِ وَغَيْرِهِ، وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ: الْعَرْشِ وَغَيْرِهِ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي رَزِينٍ رضي الله عنه قَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِخَلْقِ الْعَرْشِ، وَأَمَّا فِي حَدِيثِ عِمْرَانَ فَلَمْ يُخْبِرْ بِخَلْقِهِ؛ بَلْ أَخْبَرَ بِخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَعُلِمَ أَنَّهُ أَخْبَرَ بِأَوَّلِ خَلْقِ هَذَا الْعَالَمِ، لَا بِأَوَّلِ الْخَلْقِ مُطْلَقًا، وَإِذَا كَانَ إنَّمَا أَجَابَهُمْ بِهَذَا عُلِمَ أَنَّهُمْ إنَّمَا سَأَلُوهُ عَنْ هَذَا، لَمْ يَسْأَلُوهُ عَنْ أَوَّلِ الْخَلْقِ مُطْلَقًا؛ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَجَابَهُمْ عَمَّا لَمْ يَسْأَلُوهُ عَنْهُ، وَلَمْ يُجِبْهُمْ عَمَّا سَأَلُوا عَنْهُ، بَلْ هُوَ ﷺ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ، مَعَ أَنَّ لَفْظَهُ إنَّمَا يَدُلُّ عَلَى هَذَا؛ لَا يَدُلُّ عَلَى ذِكْرِهِ أَوَّلَ الْخَلْقِ، وَإِخْبَارِهِ بِخَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ يَقْصِدُ بِهِ الْإِخْبَارَ عَنْ تَرْتِيبِ بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى بَعْضٍ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَسْأَلُوهُ عَنْ مُجَرَّدِ التَّرْتِيبِ، وَإِنَّمَا سَأَلُوهُ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ، فَعُلِمَ أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ عَنْ مَبْدَأِ خَلْقِ هَذَا الْعَالَمِ، فَأَخْبَرَهُمْ بِذَلِكَ كَمَا نَطَقَ فِي أَوَّلِهَا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾»[2].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-بيان أن معنى «الحسيب» العليم بعباده، كافي المتوكلين، المجازي لعباده

=

ص ١٧١، قال ابن عباس: «الكرسي موضع قدمي الله عز وجل» رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في «المسند» (٥٨٦)، قال الألباني في «مختصر العلو» ص ٤٥: «إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات» والكرسي ليس هو العرش بل العرش أكبر منه. قال النبي ﷺ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ، إلاَّ كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلاَةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلاَةِ عَلَى الْحَلْقَةِ» صحيح ابن حبان، ٢/ ٧٧، برقم ٣٦١، والبيهقي في «الأسماء والصفات، برقم٨٦٢، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم ١٠٩، وقال: لا يصح حديث مرفوع إلى النبي ﷺ في صفة العرش إلا هذا الحديث.

(١) كتاب التوحيد، ١/ ٦١.

(٢) مجموع الفتاوى، ١٨/ ٢١٤.

بالخير والشر بحسب حكمته، وعلمه بدقيق أعمالهم، وجليلها[(١)].

٢-حقيقة التوكل: هو الأخذ بالأسباب الشرعية مع الاعتماد بالقلب على الله، والثقة به سبحانه في جلب النفع، ودفع المضار، وهو ثمرة من ثمار اليقين.

٣-بيان أن «الوكيل» من الأسماء الحسنى، ومعناه المقيم الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقته أن يستقل بأمر الموكول إليه، قال الله: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾[(٢)].

٤- قال القرطبي: «فيجب على كل مؤمن أن يعلم أن كل ما لابد له منه، فالله سبحانه هو الوكيل، والكفيل المتوكل بإيصاله إلى العبد، إما بنفسه، فيخلق له الشبع والري، كما يخلق له الهداية في القلوب، أو بواسطة سبب ملك، أو غيره يوكله به»[(٣)].

***

٨٤-(١٠)«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ: فِي دِينِي، وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي، وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَينِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»[(٤)].

---

(١) تفسير السعدي (٥/٢٠٣).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢.

(٣)الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٥٨٠.

(٤) أبو داود، كتاب السنة، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٧٤، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب الدعاء، برقم ٣٨٧١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/٣٣٢، وفي صحيح الأدب المفرد، برقم ١٢٠٠.

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٨٥-لفظ أبي داود عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما(١)، قالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ، حِينَ يُمْسِي، وَحِينَ يُصْبِحُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي، وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي، وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي**»، وَقَالَ عُثْمَانُ: «**عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «قَالَ وَكِيعٌ(٢): يَعْنِي الْخَسْفَ»(٣).

٢٨٦-ولفظ ابن ماجه عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي، وَحِينَ يُصْبِحُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ، وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا، وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ، وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي، وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي، وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**»(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم إني أسألك**»: قال ابن منظور رحمه الله: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»(٥)، وقال العسكري رحمه الله: «الْمَسْأَلَة يقارنها الخضوع

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٢) وكيع بن الجراح؛ أبو سفيان الكوفي، من علماء الحديث، وثقه أحمد، وابن معين، وغيرهما، روى له الجماعة. مات عام ١٩٧ يوم عاشوراء. انظر: تهذيب التهذيب، ١١/ ١٠٩.

(٣) أبو داود، برقم ٥٠٧٤، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٣٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) ابن ماجه، برقم ٣٨٧١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٣٣٢/٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، المفردة رقم ٦.

والاستكانة... وَالـدُّعَاء إِذا كَـانَ لله تَعَـالَى فَهُـوَ مثـل الْمَسْـأَلَة مَعَـه استكانه وخصوع»[١].

٢-قوله: «**العفو**»: محو الذنوب مع سترها، قال الطيبي رحمه الله: «العفو: هو التجاوز عن الذنب، ومحوه»[٢].

٣-قوله: «**والعافية**»: إنجاء الله لعبده من الفتن المضلة الظاهرة، والباطنة، وربطه على قلبه؛ حيث يلقاه سالمًا من كل سوء، ومن كل ذنب، قال الطيبي رحمه الله: «العافية هي دفاع الله عن العبد الأسقام، والبلايا»[٣].

٤-قوله: «**في الدنيا**»: ويكون ذلك بالوقاية، والحفظ من البلايا، والأسقام، والآثام، قال المناوي رحمه الله: «والعافية: في نوائب الدنيا، وذكرهما في الحديث في الدارين إيذاناً بأنهما يرجعان إلى شيء واحد، فيقال في محل العقوبة: عفا عنه، وفي محل الابتلاء: عافاه، ثم المطلوب عافية لا يصحبها أشر، ولا بطر، واغترار بدوامها»[٤].

٥-قوله: «**والآخرة**»: ويكون ذلك بالنجاة من أهوال يوم القيامة، وما قبل ذلك من عذاب القبر، قال الصنعاني رحمه الله: «فعافية الآخرة السلامة من العذاب، ومن الفزع، ومن أهوال يوم القيامة، وسؤال العافية إلى الآخرة مع العفو من التأكيد، وملاءمة اللاحق السابق، وإلا فالعفو إذا حصل فيها، فقد حصلت»[٥].

٦-قوله: «**العفو والعافية**»: قال الطيبي رحمه الله: «العفو هو التجاوز عن الذنب ومحوه، والعافية هي دفاع الله عن العبد الأسقام والبلايا، ويندرج تحت

(١) الفروق اللغوية للعسكري، ص ٣٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ٦١.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٨١.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٨١.
(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٤٢.
(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٥٥٢.

قوله: «في الدنيا والآخرة» كل مشنوء ومكروه»[١].

٧-قوله: «في ديني»: أي: بكوني على التوحيد من غير خلل، ولا خدش في ذلك، قال ابن منظور رحمه الله: «والدِّين الطَّاعَةُ، وَقَدْ دِنْته، ودِنْتُ لَهُ، أَي: أَطعته...والجمعُ الأَدْيان، يُقَالُ: دَانَ بِكَذَا دِيانة، وتَدَيَّنَ بِهِ فَهُوَ دَيِّنٌ، ومُتَدَيِّنٌ، ودَيَّنْتُ الرجلَ تَدْيِيناً، إِذا وَكَلْتَهُ إِلى دِينه، والدِّين: الإِسلام، وَقَدْ دِنْتُ بِهِ ... الدِّين: مَا يَتَدَيَّنُ بِهِ الرَّجُلُ»[٢].

٨-قوله: «ودنياي»: أي: بالنجاة من كل المصائب، والمعايب، والتي تؤثر على سلامة القلب، وانشغاله عن الذكر، والطاعة، قال القاري رحمه الله: «السلامة من العيوب في ديني، ودنياي، أي: في أمورهما»[٣].

٩-قوله: «وأهلي»: أي: بالوقاية من الفتن، والحماية من البلايا، والمحن، و الشرور كلها: ظاهرها وباطنها، قال ابن فارس رحمه الله: «أَهْلُ الرَّجُلِ: زَوْجُهُ، وَالتَّأَهُّلُ التَّزَوُّجُ، وَأَهْلُ الرَّجُلِ: أَخَصُّ النَّاسِ بِهِ، وَأَهْلُ الْبَيْتِ: سُكَّانُهُ»[٤].

١٠-قوله: «ومالي»: أي: بالحفظ من التلف، أو السرقة، أو إنفاقه في غير طاعة الله عز وجل، قال ابن منظور رحمه الله: «المالُ: مَعْرُوفٌ، مَا مَلَكْتَه مِنْ جَمِيعِ الأَشياء»[٥].

١١-قوله: «اللهم استر عوراتي»: جمع عورة: وهي كل ما يستحي منه المرء إذا ظهر، وهذا يشمل كل خلل، أو تقصير يصاب به العبد، في أهله، أو نفسه، أو ماله، أو غير ذلك، قال ابن الأثير رحمه الله: «كلُّ مَا يُسْتَحْيا مِنْهُ إِذَا ظهَر، ... المَرْأَةُ

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٨١.
(٢) لسان العرب، ١٣/ ١٦٩، مادة (دين).
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٢٦٩.
(٤) مقاييس اللغة، ١/ ١٥٠، مادة (أهل).
(٥) لسان العرب، ١١/ ٦٣٥، مادة (مول).

عَوْرَة: جَعلَها نَفْسَها عَوْرَة؛ لِأَنَّهَا إِذَا ظهرَت يُسْتَحْيا مِنْهَا كَمَا يُسْتَحْيا مِنَ العَوْرَة إِذَا ظَهرَت ... طَرِيقٍ مُعْوِرَة: أَيْ: ذَاتِ عَوْرَة يُخاف فِيهَا الضَّلال والانْقِطاع، وكلُّ عَيْب وخَلَل فِي شَيْءٍ فَهُوَ عَوْرَة»[١]، وقال العلامة الشووكاني رحمه الله: «وَسَتْرُ الْعَوْرَاتِ عَامٌّ لِعَوْرَةِ: الْبَدَنِ، وَالدِّينِ، وَالْأَهْلِ، وَالدُّنْيَا، وَالْآخِرَة»[٢].

١٢-قوله: «**وآمن روعاتي**»: أي: ارزقني الأمن من كل خوف، أو قلق، أو فزع، والروعات جمع روعة، وهي الأمر المزعج، قال الطيبي رحمه الله: «الروعات: جمع روعة، وهي الفزعة»[٣].

١٣-قوله: «**احفظني من بين يدي ومن خلفي**»: قال الطيبي رحمه الله: «استوعب الجهات الست بحذافيرها؛ لأن ما يلحق الإنسان من نكبة وفتنة، فإنه يحيق به، ويصل إليه من إحدى هذه الجهات»[٤].

١٤-قوله: «**وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي**»: قال الصنعاني رحمه الله: «من الثلاث الجهات، وهي الجهات التي قال: فيها إبليس إنه يأتي بني آدم منها، إلا أنه زيد هنا جهة الفوق والتحت»[٥].

١٥-قوله: «**أُغتال**»: الاغتيال أن يؤتى الأمر من حيث لا يشعر، وأن يدهى بمكروه لم يكن في حسبانه، قال ابن الأثير رحمه الله: «الاغتيال: الاحتيال، وحقيقته: أن يُدهى الإنسان من حيث لا يشعر»[٦].

١٦-قوله: «**وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**»: يراد بذلك الخسف،

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٣/ ٣١٩.
(٢) نيل الأوطار، للشوكاني، ٥/ ٣٥١.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٨١.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٨١.
(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٣/ ١٣٠.
(٦) جامع الأصول، ٤/ ٢٤٦.

والمهالك التي تكون من جهة التحت، قال الصنعاني رحمه الله: «وخصّ الاستعاذة بالعظمة عن الاغتيال من تحته؛ لأن اغتيال الشيء أخذه خفية هو أن يخسف به الأرض، كما صنع تعالى بقارون، أو بالغرق كما صنع بفرعون، فالكل اغتيال من التحت»[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-شدة اعتناء النبي ﷺ بالمواظبة على هذا الدعاء؛ لقول الراوي: لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي، وحين يصبح؛ وذلك لما فيه من الأمور الجامعة لصلاح حياة العبد في الدنيا قبل الآخرة، وفي الآخرة أعظم وأكمل.

٢-من أكرمه الله بالعافية في الدنيا والآخرة، فقد أعظم الله له العطية، ويشهد لذلك قول النبي ﷺ: « **سَلُوا اللَّهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْرًا مِنَ العَافِيَةِ** »[٢].

٣-بدأ النبي ﷺ بطلب العافية في الدين قبل الدنيا، والأهل، والمال دليل على أن من رزقه الله ذلك، فقد فاز فوزًا عظيمًا.

٤-الحث على ستر العورات، وعدم التكشف إلا في حدود ما أباحه الشرع، وعورة الرجل هي ما بين السرة والركبة، أما عورة المرأة فجميع جسدها؛ لقول النبي ﷺ: «**المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»[٣]،

---

(١) سبل السلام شرح بلوغ المرام، للصنعاني، ٤/ ٢٢١.

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، أحاديث شتى من أبواب الدعوات، برقم ٣٥٥٨ ، والمسند، ١/ ٢١٠، برقم ٣٤، وصحح إسناده محققو المسند، ١/ ٢١١، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٨٢١، وصحيح الجامع، برقم ٣٦٣٢.

(٣) الترمذي، كتاب الرضاع، باب حدثنا محمد بن بشار، برقم ١١٧٣، وابن حبان، ١٢/ ٤١٣، برقم ٥٥٩٩، وصححه محقق صحيح ابن حبان، ١٢/ ٤١٣، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، برقم ٣١٠٩، والإرواء، برقم ٢٧٣.

والحديث يشمل سؤال الله ﷻ ستر جميع العورات الحسية والمعنوية في الدنيا، والآخرة، والعلم عند الله تعالى.

٥-العبد لا يأمن من أي جهة يأتيه الهلاك، وتزيين الشيطان؛ لذلك جاء هذا الدعاء جامعًا للجهات الست، وهو إشارة إلى قوله: **﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾**[١].

ويرى ابن جرير رحمه الله أن المراد أن الشيطان يصدهم عن جميع طرق الخير، ويحسِّن لهم جميع طرق الشر[٢].

٦- قال الإمام الطيبي رحمه الله: عَمَّ النبي ﷺ الجهات؛ لأن الآفات تأتي منها وبالغ في جهة السفل لرداءة الآفة[٣]. قال وكيع في قوله عليه الصلاة والسلام: «**أُغتال من تحتي**» يعني الخسف[٤]؛ ولذا قال في «القاموس» خسف الله بفلان الأرض أي: غيبه فيها[٥].

٧- الاغتيال من جهة التحت الذي يراد به الخسف والعذاب من الفوق الذي يراد به الرجم من الأمور التي كان يستعيذ النبي ﷺ منها بشدة، ودليل ذلك كما روى البخاري أنه لما نزل قوله تعالى: **﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾**[٦]، قال رسول الله ﷺ: «**أعوذ بوجهك**»، قال: **﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾**، قال: «**أعوذ بوجهك**» **﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ**

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧.
(٢) انظر: تفسير الطبري، ١٣/ ٣٣٩، وتفسير ابن كثير، آية ١٧ من سورة الأعراف.
(٣) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٥/ ١٦٠.
(٤) صحيح ابن حبان، ٣/ ٢٤١.
(٥) انظر: القاموس المحيط، ص ١٠٣٩، مادة (خسف).
(٦) سورة الأنعام، الآية: ٦٥.

بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «هذا أهون، أو: هذا أيسر»[١].

٨- الخسف من العقوبات التي أوقعها الله بالمكذبين والمفسدين من الأمم السابقة، وهذا غير بعيد على من سار على دربهم في زماننا هذا، قال الله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٢].

٩- والمراد بالحاصب أي: الريح الشديدة، كما حدث مع قوم عاد لما كذبوا رسولهم هود، وكانت الصيحة لقوم ثمود لما كذبوا رسولهم صالح، والخسف لقارون، والغرق لقوم نوح، وفرعون وقومه، لما كذبوا موسى عليهم جميعًا الصلاة والسلام.

والخلاصة أن معنى الحاصب: رِيحٌ شَدِيدة تَحْمِل التُّرابَ والحَصْباءَ؛ وَقِيلَ: هُوَ مَا تَناثَر مِنْ دُقاقِ البَرَد والثَّلْجِ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ حاصِباً﴾ ... أَي: عَذاباً يَحْصِبُهم، أَي يَرْمِيهم بِحِجَارَةٍ مِن سِجِّيل؛ وَقِيلَ: حاصِباً أَي: رِيحًا تَقْلَعُ الحَصْباء لِقُوَّتِهَا، وَهِيَ صِغَارُهَا وَكِبَارُهَا. وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ للخَوارج: أَصابَكم حاصِبٌ، أَي: عَذابٌ مِنَ اللهِ، وأَصله رُميتم بالحَصْباءِ مِنَ السماءِ، وَيُقَالُ للرِّيحِ الَّتِي تَحْمِل الترابَ والحَصى: حاصِبٌ، وللسَّحابِ يَرْمِي بالبَرَد والثَّلْج: حاصِبٌ؛ لأَنه يَرْمِي بِهِمَا رَمْياً[٣]، ويرى الإمام ابن كثير رحمه الله أن الحاصب[٤] هو: المطر الذي فيه حجارة، قاله مجاهد، وغير

(١) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، برقم ٤٦٢٨.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠.
(٣) انظر: لسان العرب، ١/ ٣٢٠، مادة (حصب).
(٤) تفسير القرآن العظيم، ٥/ ٩٦.

واحد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾(١)، وقد قال في الآية الأخرى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾(٢)، وقال: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾(٣)، وقال الألوسي: هو مطر الحجارة، أي مطراً يحصبكم، أي يرميكم بالحصباء، وهو صغار الحجارة، ... وعن قتادة أنه فسر الحاصب بالحجارة نفسها، ولعله حينئذ صيغة نسبة، أي ذا حصب، ويراد منه الرمي، وقال الفراء: الحاصب الريح التي ترمي بالحصباء، وقال الزجاج: هو التراب الذي فيه الحصباء، والصيغة عليه صيغة نسبة أيضاً، وجاء بمعنى ما تناثر من دقائق الثلج، والبرد، ... وبمعنى السحاب الذي يرمي بهما، واختار الزمخشري، ومن تبعه تفسير الفراء، والظاهر أن الكلام عليه على حقيقته، فالمعنى: أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف، أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم، فيها الحصباء يرجمكم بها، فيكون أشد عليكم من الغرق في البحر، ويقال نحو هذا على سائر تفاسير الحاصب، في وصف الريح بالرمي بالحصباء: إنه عبارة عن شدتها(٤).

***

٨٥-(١١) «اللَّهُمَّ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَعُوذُ

(١) سورة القمر، الآية: ٣٤.
(٢) سورة هود، الآية: ٨٢.
(٣) سورة الملك، الآيتان: ١٦- ١٧.
(٤) انظر: تفسير روح المعاني للألوسي، ١٥/ ١١٧.

بكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءاً، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ»[(١)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٨٧-لفظ البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه[(٢)]، قال: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَأَمْسَيْتُ، قَالَ: قُلِ: «**اللَّهُمَّ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ**»[(٣)].

٢٨٨-ولفظ أبي داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ «قَالَ» قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ**»[(٤)].

٢٨٩-ولفظ الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[(٥)]، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه[(٦)]: يَا رَسُولَ

---

(١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا الحسن بن عرفة، برقم ٣٥٢٩، وأبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٦٧، والبخاري في الأدب المفرد، ص ٤١٣، برقم ١٢٠٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٤٢/٣، وصحيح الأدب المفرد، برقم ١٢٠٤ .

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) الأدب المفرد، برقم ١٢٠٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٤٢/٣، وصحيح الأدب المفرد، برقم ١٢٠٤، وتقدم تخريجه في حديث المتن .

(٤) أبو داود، برقم ٥٠٦٧، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٤٢/٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن .

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث ٣ من أحاديث الشرح..

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث ٢١٤ من أحاديث الشرح.

اللهِ مُرْنِي بِشَيْءٍ أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ؟ قَالَ: قُلْ: «اللَّهُمَّ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ، وَشِرْكِهِ»، قَالَ: «قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»(١).

٢٩٠-وفي لفظ للترمذي عَنْ أَبِي رَاشِدٍ الحُبْرَانِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما، فَقُلْتُ لَهُ: حَدِّثْنَا مِمَّا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَلْقَى إِلَيَّ صَحِيفَةً، فَقَالَ: هَذَا مَا كَتَبَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَنَظَرْتُ فِيهَا فَإِذَا فِيهَا: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِي مَا أَقُولُ إِذَا أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ»(٢).

٢٩١-ولفظ أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما(٣)، عن أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي مَا أَقُولُ إِذَا أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، قُلْ: اللهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ»(٤).

---

(١) الترمذي، برقم ٣٣٩٢، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٢٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا الحسن بن عرفة، برقم ٣٥٢٩، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٩٨.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث ٨١ من أحاديث الشرح.

(٤) مسند أحمد، ١١/ ٤٣٧، برقم ٦٨٥١، واللفظ له، والبخاري في الأدب المفرد، ص ٤١٣، برقم ١٢٠٤، وأبو يعلى، ٧٨/١، برقم ٧٧ ، والضياء المقدسي في المختارة، ١١٣/١، وقال: «إسناده صحيح»، وصححه لغيره محققو المسند، ١١/ ٤٣٨، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٤٨٩، برقم ٩١٨.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللهم**»: قال ابن منظور رحمه الله: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَلله، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»[١].

٢-قوله: «**عالم**» أي: أن علم الله محيط بالسرائر، والخفيات، والظواهر، والبواطن، وهذا معنى العليم، والعلاَّم، قال العلامة السعدي رحمه الله: «العالم بكل شيء، أخبره بمدة لبثهم، وأن علم ذلك عنده وحده، فإنه من غيب السموات والأرض، وغيبها مختص به، فما أخبر به عنها على ألسنة رسله، فهو الحق اليقين، الذي لا يشك فيه، وما لا يطلع رسله عليه، فإن أحداً من الخلق، لا يعلمه»[٢].

٣-قوله: «**الغيب**»: هو كل ما غاب عن العباد مشاهدةً، وإدراكًا، قال العلامة السعدي رحمه الله: «التصديق التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر، إنما الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نره، ولم نشاهده، وإنما نؤمن به، لخبر الله، وخبر رسوله، فهذا الإيمان الذي يميز به المسلم من الكافر؛ لأنه تصديق مجرد لله ورسله، فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله، سواء شاهده، أو لم يشاهده، وسواء فهمه وعقله، أو لم يهتد إليه عقله وفهمه... ويدخل في الإيمان بالغيب، الإيمان بجميع ما أخبر الله به من الغيوب الماضية، والمستقبلة، وأحوال الآخرة، وحقائق أوصاف الله وكيفيتها، وما أخبرت به الرسل من ذلك، فيؤمنون بصفات الله ووجودها، ويتيقنونها، وإن لم يفهموا كيفيتها»[٣].

---

(١) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، المفردة رقم ٦.

(٢) تفسير السعدي، ص ٤٧٤.

(٣) تفسير السعدي، ص ٤٠.

٤-قوله: «**والشهادة**»: كل ما شاهده العبد من الأمور المحسوسة، قال القرطبي رحمه الله: «عالم الغيب والشهادة: أي: هو عالم بما غاب عن الخلق، وبما شهدوه»[١]، وقال العلامة السعدي رحمه الله: إنه يعلم ما غاب عن العباد من الجنود والمخلوقات التي لا يعلمها إلا هو وما يشاهدونه من المخلوقات[٢].

٥-قوله: «**فاطر السموات والأرض**» أي: ابتدأ خلقهما، قال تعالى: ﴿**قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾[٣]، قال الطيبي رحمه الله: «وفاطر السموات والأرض»: أي مبدعهما ومخترعهما»[٤]، وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: «أَيْ: خَلَقَهُمَا وَابْتَدَعَهُمَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ»[٥].

٦-قوله: «**رب كل شيء**»: من إنس، وجن، وملائكة، وجمادات، وغير ذلك جميع المخلوقات؛ لأن كل مخلوق مربوب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولا وجود لشيء إلا بقدرته، ومشيئته، فهو إله الخلق كلهم، لا إله غيره، ولا صلاح للخلق إلا بأن يكون هو المعبود المقصود بالقصد الأول من جميع حركاتهم، فكما أن ما لا يريده ويشاؤه لا يكون، فما لا يراد لأجله ويقصد له؛ فإنه فاسد، لا صلاح فيه، فكل عمل باطل، إلا ما أريد به وجهه»[٦]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ربكم ورب آبائكم الْأَوَّلين، وَالْأَرْوَاحُ مَرْبُوبَةٌ، وَكُلُّ مَرْبُوبٍ مَخْلُوقٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ»[٧].

---

(١) تفسير القرطبي، ٩/ ٢٤٦.
(٢) تفسير السعدي، ص ٨٦٨.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥١.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١١٩٧.
(٥) تفسير ابن كثير، ٣/ ٢٩١، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.
(٦) جامع المسائل لابن تيمية، ٦/ ١٠٩.
(٧) فتح الباري لابن حجر، ١٣/ ٤٤٤.

٧-قوله: «**ومليكه**»: أي: مالكه متصرف فيه على حسب إرادته، وحكمته، قال الله تعالى: ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[1]، قال العيني رحمه الله: «الَّذِي بِيَدِهِ الْملك، والإحياء، والإماتة»[2].

٨-قوله: «**أشهد أن لا إله إلا أنت**» أي: أقر، وأعترف بتفردك بالألوهية الحق، و بالخلق، والرزق، والتدبير، وأن إليك المرجع والمآب؛ لأنه لا معبود بحق إلا أنت، وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «مَعْنَاهُ، أَعْلَمُ وَأُبَيِّنُ،...وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ هُوَ تَيَقُّنُ الشَّيْءِ وَتَحَقُّقُهُ مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيْ حُضُورِهِ[3].

٩-قوله: «**أعوذ بك**» أي: ألجأ إليك، وأستجير بك، وأتحصّن قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به.... وأعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك[4]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ ... وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛... ويُسْتَعَاذُ مِنْ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يُضَرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنْ الشَّرِّ الضَّارِّ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يُوجَدَ»[5].

١٠-قوله: «**من شر نفسي**» أي: إذا أمَرتَني بسوء، وجرَّتني إلى الشهوات والشبهات، قال ابن القيم رحمه الله: «استعاذ ﷺ من شرها عموماً، ومن شر ما يتولد منها من الأعمال، ومن شر ما يترتب على ذلك من المكاره، والعقوبات، وجمع بين الاستعاذة من شر النفس، وسيئات الأعمال»[6].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٨/ ٢٤٠.

(٣) عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ٢/ ١٢٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ١٣.

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ١٨/ ٢٨٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

(٦) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ١/ ٧٤.

١١-قوله: «**ومن شر الشيطان**»: اسم لإبليس الملعون، مأخوذ من شطن أي: بَعُدَ، وإنما سُمّي بذلك؛ لأنه بعيد عن رحمة اللَّه[1]، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بأنه الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، ولم يقل: من شر وسوسته: لتعم الاستعاذة: شره جميعه»[2].

١٢-قوله: «**وشركه**»: شِرْكه - بكسر الشين، وسكون الراء -: وسوسته للعبد للإشراك باللَّه، ويجوز أن تفتح الشين والراء، فيقال: وشَرَكه، أي حبائله، ومصايده، قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما يدعو إليه، ويوسوس به من الإشراك باللَّه تعالى، وهذا على رواية كسر السين، وسكون الراء، ويروى بفتحهما، أي: حبائله، ومصائده، واحدها شركة، فإن قلت: لما قُدمت الاستعاذة من شر النفس على الاستعاذة من شر الشيطان، مع أن دفع كيده أهم؛ فإنه لا يأتي الشر للنفس إلا من وسوسته»[3].

١٣-قوله: «**وأن أقترف على نفسي سوءًا**»: أي: ألمّ به، وأقع فيه، فأتردّى بسببه في النار، إن لم تتجاوزعني، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «أقترف: يعني أجرُّ على نفسي سوءاً، أو أجرُّه إلى مسلم»[4].

١٤-قوله: «**أو أجره إلى مسلم**»: أي : أتسبب في جر الإيذاء لأي مسلم، فأحمل بذلك الأوزار المضاعفة، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فذكر مصدري

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٧٤، مادة (شطن)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٧ من الحديث الأول من أحاديث المتن في المقدمة في فضل الذكر.

(٢) التفسير القيم، ص ٦٧٢.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٧٩.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٤٥٤

الشر، وهما: النفس، والشيطان، وذكر مورده، ونهايتيه، وهما: عوده على النفس، أو على أخيه المسلم، فجمع الحديث مصادر الشر، وموارده في أوجز لفظه، وأخصره، وأجمعه، وأبينه»[(١)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-إثبات صفة العلم لله تعالى، وأن هذا العلم علم شامل محيط لجميع خلقه، بخلاف علم العبد القاصر، قال الله تعالى: ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾[(٢)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهو العليم أحاط علمًا بالذي ... في الكون من سر ومن إعلان
وبكل شيء علمه سبحانه ... فهو المحيط وليس ذا نسيان
وكذاك يعلم ما يكون غدًا وما ... قد كان والموجود في ذا الآن
وكذاك أمر لم يكن لو كان ... كيف يكون ذا الأمر ذا إمكان[(٣)]

٢-اختصاص الله وحده بعلم الغيب، فالغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية، قال الله تعالى: ﴿**سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ**﴾[(٤)]، والسارب هو من يمشي في طريق مكشوف.

٣-من أسماء الله: فاطر السموات والأرض، وهو الخالق على غير مثال سابق، والمراد بالسموات والأرض العالم كله، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي استحدثت حفرها، وأصل الفطر الشق، وفطر ناب

---

(١) بدائع الفوائد، ٢/ ٢٠٩.
(٢) سورة الطلاق، الآية: ١٢.
(٣) النونية، لابن القيم، ٢/١٢٥.
(٤) سورة الرعد، الآية: ١٠.

البعير إذا شق اللحم وطلع[١].

٤-إثبات ربوبية الله لكل الخلق، وأن نواصيهم بيده، وأنهم في الحقيقة مربوبون، ولا غنى لهم عن ربهم طرفة عين، أو أقل من ذلك.

٥-مشروعية التوسل إلى الله تعالى بصفات الكمال، ونعوت الجلال، وأفعاله الدالة على عظيم خلقه قبل الشروع في سؤاله ﷻ.

٦-نفس العبد إذا ألقت بزمامها إلى الشيطان، كان ذلك مصدر كل شر، وتولد عن ذلك المعاصي، والموبقات، التي تجر إلى نار جهنم، أما حديث: «**أعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك**» فقد ضعفه بعض العلماء رحمهم الله[٢].

٧- قال ابن القيم رحمه الله معلقًا على هذا الحديث: «فذكر النبي ﷺ مصدري الشر، وهما: النفس، والشيطان، وذكر مورديه ونهايته، وهما: عوده على النفس، أو على أخيه المسلم، وفيه تعوّذ النبي ﷺ من أربعة شرور:

الأول: شر النفس الذي يترتب عليه الذنوب والآثام.

الثاني: شر الشيطان بتهييج الباطل في نفسه وقلبه.

الثالث: اقتراف الإنسان السوء على نفسه، وهذه موبقة لنفس الإنسان.

الرابع: جر السوء على المسلمين، وهذه شر من النفس عائد على الآخرين»[٣].

قال الشاعر:

وخالف النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محضاك النصح فاتهم

٨- يدلّ الحديث عن النبي ﷺ بأن يقول المسلم هذا الذكر المبارك في ثلاثة مواضع:

---

(١) انظر: تفسير الجزائري، ص١٤٥٢ ، وانظر شأن الدعاء، ص ١٠٣ للخطابي.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، ٣/٢٩٤، برقم ٣٤٤٥، وضعفه الألباني في السلسة الضعيفة، ٩/ ٣٧٧، برقم ٤٣٧٥.

(٣) انظر: بدائع الفوائد، ٢/٢٠٩.

الموضع الأول: إذا أصبح.

الموضع الثاني: إذا أمسى.

الموضع الثالث: إذا أخذ المسلم مضجعه عند النوم.

لقوله ﷺ: «**قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك**»(١).

٩- قال أبو هريرة راوي الحديث: إن أبا بكر ﷺ سأل النبي ﷺ أن يعلمه شيئًا يقوله إذا أصبح، وإذا أمسى، فعلمه هذا الذكر النافع، وهذا فيه دليل على حرص الرسول ﷺ على تعليم أصحابه، وأمته من بعده.

١٠- وأيضاً فيه دليل على حرص أبي بكر ﷺ على تعلم الخير العظيم من رسول الله ﷺ.

***

٨٦-(١٢) «بِسْمِ اللهِ الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي الْأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (ثلاثَ مرَّاتٍ)(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٦٧، والترمذي، كتاب الدعوات، باب من حدثنا محمود بن غيلان، برقم ٣٣٩٢، والضياء في المختارة، ١/١١٣، برقم ٣٠، وقال: «إسناده صحيح»، وابن أبي شيبة، ٥/٣٢٢، برقم ٢٦٥٢٣، والحاكم، ١/٦٩٤، وقال: «صحيح الإسناد»، والبخاري في الأدب، المفرد، ص ٤١٢، برقم ١٢٠٢، والدارمي، ٢/٣٧٨، برقم ٢٦٨٩، وابن حبان، ٣/٢٤٢، برقم ٩٦٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٤٠٢، والصحيحة، برقم ٢٧٥٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم، ٥٠٨٨، والترمذي، كتاب كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، برقم ٣٣٨٨، وابن ماجه، برقم ٣٨٦٩، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا انتهى إلى قوم فجلس إليهم، برقم ١٠١٧٨، وأحمد، ١/ ٤٩٨، برقم ٤٤٦، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح، برقم ٣٨٦٨، وحسن إسناده محققو المسند، ١/ ٤٩٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٣٢، وصحيح الترمذي، برقم ٢٦٩٨، وصحيح الجامع الصغير، برقم ٥٧٤٥، وحسّن إسناده العلامة ابن باز ﷬ في تحفة الأخيار، ص٣٩ .

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٢٩٢-لفظ أبي داود عن أبانَ بْنِ عُثْمَانَ[(١)]، قالَ سَمِعْتُ عُثْمَانَ - يَعْنِي ابْنَ عَفَّانَ[(٢)] - يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلاَءٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلاَءٍ حَتَّى يُمْسِيَ**»، قَالَ فَأَصَابَ أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ الْفَالِجُ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ الَّذِي سَمِعَ مِنْهُ الْحَدِيثَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ؟ فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ عَلَى عُثْمَانَ، وَلاَ كَذَبَ عُثْمَانُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي أَصَابَنِي فِيهِ مَا أَصَابَنِي غَضِبْتُ فَنَسِيتُ أَنْ أَقُولَهَا[(٣)].

٢٩٣-ولفظ الترمذي عَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ،**

---

(١) أبو سعيد الأموي، من ثقات أواسط التابعين، وهو أحد أولاد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) عثمان بن عفان رضي الله عنه ذو النورين، أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الله، يلتقي مع الرسول ﷺ في الأب الرابع، وهو عبد مناف، أسلم قديمًا، وهاجر الهجرتين، وتزوج ابنة الرسول ﷺ رقية، وكان ذلك قبل البعثة، فماتت عنده، ثم تزوج أم كلثوم، فماتت عنده أيضًا، ومناقبه تطول، فمنها: أن النبي ﷺ بشره بالجنة على بلوى تصيبه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، برقم ٣٦٩٥، وأن الملائكة تستحيي منه لشدة حيائه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه، برقم ٢٤٠١، وأنه الذي جهز جيش العسرة، وحفر بئر رومة من حر ماله البخاري، كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضاً أو بئراً، واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين، برقم ٢٧٧٨، قتل شهيدًا على يد الخوارج يوم الجمعة لثمان خلون من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وقد ناهز التسعين عامًا، ودفن خلف البقيع بعد أن ولي الخلافة ثنتي عشرة سنة. انظر: الاستيعاب، ٣/١٧٩٧، وأسد الغابة، ٣/٣٥٨٣، وسير أعلام النبلاء، قسم الخلفاء الراشدين، ص ١٤٩.

(٣) أبو داود، برقم ٥٠٨٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٣٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ» ثَلاثَ مَرَّاتٍ، «فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ»، وَكَانَ أَبَانُ، قَدْ أَصَابَهُ طَرَفُ فَالِجٍ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ أَبَانُ: «مَا تَنْظُرُ؟ أَمَا إِنَّ الحَدِيثَ كَمَا حَدَّثْتُكَ، وَلَكِنِّي لَمْ أَقُلْهُ يَوْمَئِذٍ لِيُمْضِيَ اللَّهُ عَلَيَّ قَدَرَهُ»[1].

٢٩٤-ولفظ ابن ماجه عنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ﷺ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ، وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ، وَلاَ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، «فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ».قَالَ: وَكَانَ أَبَانُ قَدْ أَصَابَهُ طَرَفٌ مِنَ الْفَالِجِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ أَبَانُ: مَا تَنْظُرُ إِلَيَّ ؟ أَمَا إِنَّ الْحَدِيثَ كَمَا قَدْ حَدَّثْتُكَ، وَلَكِنِّي لَمْ أَقُلْهُ يَوْمَئِذٍ، لِيُمْضِيَ اللَّهُ عَلَيَّ قَدَرَهُ»[2].

٢٩٥-ولفظ أحمد عَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ أَبِيهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ، وَلا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ»[3].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**بسم الله**»: أي: بسم الله أستعيذ، وبه أتحصن قولًا باللسان، وتوكلًا بالجنان، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «من قدّره باسمٍ، تقديره: باسم الله ابتدائي، ومن قدره بالفعل أمرًا، وخبرًا نحو: أبدأ بسم الله، أو ابتدأت بسم الله، فكلاهما صحيح ... فالمشروع ذكر اسم الله في كل أمر، تبركًا، وتيمنًا، واستعانة على الإتمام والتقبل»[4].

٢-قوله: «**لا يضر مع اسمه شيء**»: أي: من تعوذ باسم الله صادقًا لا تضره مصيبة؛ لأنه في حفظ صاحب الملكوت والجبروت القادر على كل شيء،

---

(١) الترمذي، برقم ٣٣٨٨، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٦٩٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) ابن ماجه، برقم ٣٨٦٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٣٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) مسند أحمد، برقم ٤٤٦، وحسن إسناده محققو المسند، ١/ ٤٩٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ١٢١، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ١٨.

قال القاري رحمه الله: قوله: «**لا يضر مع اسمه شيء**»: أي: «مَعَ ذِكْرِ اسْمِهِ بِاعْتِقَادٍ حَسَنٍ وَنِيَّةٍ خَالِصَةٍ»[١].

٣-قوله: «**في الأرض**»: أي: لا يضره أحد من أهل الأرض: من إنس، أو جن، أو دابة، أو هامة، وقال الشيخ الجمل رحمه الله: «سنة التسمية في الوضوء والغسل: بسم الله... وفي الأكل بسم الله ... وفي التضحية بسم الله، والله أكبر، وفي وضع الميت في القبر: بسم الله، وعلى ملة رسول الله، وفي دخول المسجد: بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعند قراءة القرآن من موضع لا تسمية فيه بعد التعوذ بسم الله الرحمن الرحيم... وتسنُّ لكل أمر ذي بال: عبادة، أو غيرها: كغسل، وتيمم، وتلاوة، ولو من أثناء سورة، وجماع، وذبح، وخروج من منزل، لا للصلاة، والحج، والأذكار، وتكره لمكروه»[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وهذه الكلمات كلمات يسيرة، لكن فائدتها عظيمة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض، ولا في السماء، وهو السميع العليم؛ لأن الله تعالى بيده ملكوت السموات، والأرض، واسمه مبارك إذا ذكر على الشيء؛ ولهذا يسن ذكر الله تعالى بالتسمية على الأكل، إذا أردت أن تأكل تقول: بسم الله، إذا أردت أن تشرب تقول: بسم الله، إذا أردت أن تأتي أهلك تقول بسم الله، فالتسمية مشروعة في أماكن كثيرة، ولكنها على القول الراجح على الأكل والشرب واجبة، يجب على الإنسان إذا أراد أن يأكل أن يقول بسم الله، وإذا أراد أن يشرب أن يقول بسم الله؛ لأمر النبي ﷺ بذلك؛ ولأن النبي ﷺ ذكر أن من لم يسم الله على أكله شاركه الشيطان في ذلك، فلا تنسَ أن تقول في كل مساء، وفي كل صباح: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ١٦٥٩.
(٢) حاشية الجمل على المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (١/ ٣٥٧)

الأرض، ولا في السماء، وهو السميع العليم، ثلاث مرات»[1].

٤-قوله: «**ولا في السماء**»: أي: من تعوذ باسم الله لا يأتيه الضرر من جهة السماء: كخسف، أو ريح، أو حجارة من السماء، أو غير ذلك، قال الله تعالى: ﴿**ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ**﴾[2]، وإنما كان أهل السماء من الملائكة في أمن وأمان؛ لأنهم في ذكر متواصل لا يفترون عن ذلك، قال الله تعالى: ﴿**يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ**﴾[3].

٥-قوله: «**وهو السميع**»: أي: السميع لأقوال عباده، وخلقه، لا يختلط عليه صوت بصوت، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي الدُّنْيَا يَسْمَعُ دُعَاءَ الدَّاعِينَ، وَيُجِيبُ السَّائِلِينَ، مَعَ اخْتِلَافِ اللُّغَاتِ، وَفُنُونِ الْحَاجَاتِ، وَالْوَاحِدُ مِنَّا قَدْ يَكُونُ لَهُ قُوَّةُ سَمْعٍ يَسْمَعُ كَلَامَ عَدَدٍ كَثِيرٍ مِنْ الْمُتَكَلِّمِينَ، كَمَا أَنَّ بَعْضَ الْمُقْرِئِينَ يَسْمَعُ قِرَاءَةَ عِدَّةٍ؛ لَكِنْ لَا يَكُونُ إلَّا عَدَدًا قَلِيلًا قَرِيبًا مِنْهُ، وَيَجِدُ فِي نَفْسِهِ قُرْبًا وَدُنُوًّا، وَمَيْلًا إلَى بَعْضِ النَّاسِ الْحَاضِرِينَ وَالْغَائِبِينَ دُونَ بَعْضٍ، وَيَجِدُ تَفَاوُتَ ذَلِكَ الدُّنُوِّ وَالْقُرْبِ، وَالرَّبُّ تَعَالَى وَاسِعٌ عَلِيمٌ، وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتِ كُلَّهَا، وَعَطَاؤُهُ الْحَاجَاتِ كُلَّهَا»[4].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «فالسميع من أسماء الله، والعليم من أسماء الله، فالسميع من أسماء الله تعالى، ولها معنيان: الأول السمع الذي هو إدراك كل صوت، فالله تعالى لا يخفى عليه شيء كل صوت، فالله يسمعه مهما بعُد، ومهما ضعف...قالت عائشة رضي الله عنها: «الحمد لله الذي وسع سمعه

---

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٥٨.

(٢) سورة الملك، الآيتان: ١٦- ١٧.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٠.

(٤) مجموع الفتاوى، ٥/ ١٣٣.

الأصوات، والله لقد جاءت المجادلة إلى رسول الله ﷺ تكلمه، وإني لفي الحجرة، ويخفى عليَّ بعضُ حديثها، والله تعالى من فوق سبع سموات يسمع كلامهما»[1]، فالله تعالى يسمع كلامك، وإن خَفُت: ضَعُف، ...فإياك أن تُسمِعَ اللهَ ﷻ كلاماً لا يرضاه منك، واحرص على أن تُسمِعَ اللهَ ما يرضاه منك، ومن معاني السميع أنه سميع الدعاء، أي: مجيب الدعاء... فهو جل وعلا يجيب دعاء المضطر وإن كان كافراً؛ ولهذا يجيب الله ﷻ دعاء المضطرين في البحر، إذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين، فينجيهم، ويجيب جل وعلا دعوة المظلوم، قال النبي ﷺ: «**واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[2]، ويجيب ﷻ من تعبَّد له، وحمده، وأثنى عليه، كما يقول المصلي سمع الله لمن حمده»[3].

٦-قوله: «**العليم**»: أي: العليم بأفعالهم متى، وكيف ستقع، لا تخفى عليه خافية، وقال الإمام الطبري رحمه الله: «العليم بما في ضمائر نفوسنا من الإذعان لك في الطاعة، والمصير إلى ما فيه لك الرضا والمحبة، وما نبدي ونخفي من أعمالنا»[4].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وأما العليم فهو من أسمائه أيضاً، وعلم الله تعالى علم واسع، محيط بكل شيء، قال الله تعالى: ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ**

---

(١) انظر: البخاري معلقاً، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾، قبل الحديث رقم ٧٣٨٦، وأحمد، ٤٠ / ٢٢٨، وابن ماجه، برقم ٢٠٦٣، النسائي، برقم ٣٤٦٠، واللفظ له، وصححه محققوا المسند، ٤٠/ ٢٢٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١٨٨.

(٢) البخاري، برقم ٢٤٤٨، ومسلم، برقم ١٩.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٥٨.

(٤) تفسير الطبري، ٣/ ٧٣.

﴿فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(١)، يعلم ما في الأرحام، ومفاتح الغيب خمس، مذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾(٢)، فالله ﷻ عنده مفاتح الغيب، ما تسقط من ورقة من شجرة إلا يعلمها، إذا سقطت ورقة في شجرة في أبعد الفيافي، ولو كانت الورقة صغيرة، فالله يعلمها، وإذا كان يعلم الساقط فهو جل وعلا يعلم الحادث الذي يخلقه، فكل شيء فالله به عليم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾(٣)، أنت الآن مثلاً في بلدك مستقر، ولا عندك نية تسافر يميناً، ولا شمالاً، فإذا أراد الله أن تموت بأرض جعل لك حاجة تحملك تلك الحاجة إلى تلك الأرض، وتموت هناك»(٤).

٧- الفالج: شلل يصيب أحد شقي الجسم طولاً، والجمل الضخم ذو السنامين، جمعه: فوالج(٥).

٨-الفُجأة: أي: البلاء الذي يأتي بغتة من غير مقدمات، قال الطيبي رحمه الله: «فجئه الأمر، وفجاه فُجاءة وفُجأة بالضم والمد، فاجأه، ومفاجأة إذا جاءه بغتة من غير تقدم سبب»(٦)، وقال ابن الأثير رحمه الله: «يُقَالُ: فَجِئَه الأَمْرُ، وفَجَأَه فُجَاءَة -بِالضَّمِّ وَالْمَدِّ- وفَاجَأَه مُفَاجَأَةً، إِذَا جَاءَهُ بَغْتَةً مِنْ غَيْرِ تَقَدُّم سَبَبٍ،

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.
(٢) سورة لقمان، الآية: ٣٤.
(٣) سورة لقمان، الآية: ٣٤.
(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٥٨.
(٥) انظر: المعجم الوسيط، ٢/ ٦٩٩، مادة (فلج).
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٨.

وقيَّده بَعْضُهُمْ بِفَتْحِ الْفَاءِ، وَسُكُونِ الْجِيمِ مِنْ غَيْرِ مَدٍّ عَلَى الْمَرة»(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-قال العظيم أبادي: «وَأَمَّا الْمَوَاضِعُ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَعَ زِيَادَةٍ عَلَيْهِ غَيْرِ لَفْظِ (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، فَالْمَسْنُونُ فِيهَا أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى بِسْمِ اللَّهِ مَعَ تِلْكَ الزِّيَادَةِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَزِيدَ بَيْنَ بِسْمِ اللَّهِ وَبَيْنَ تِلْكَ الزِّيَادَةِ لَفْظَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ لِأَنَّ مَجْمُوعَ بِسْمِ اللَّهِ، وَتِلْكَ الزيادة دعاء واحد، وذكر وَاحِدٌ، وَلَمْ يَثْبُتْ جَوَازُ زِيَادَةٍ بَيْنَ كَلِمَاتِ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَذِكْرِهِ، فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ عِنْدَ الذَّبْحِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَأَمَّا الْمَوَاضِعُ الَّتِي جَاءَ فِيهَا ذِكْرُ اسْمِ اللَّهِ، مِنْ غَيْرِ تَصْرِيحٍ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَوْ بِبِسْمِ اللَّهِ، فَالْأَفْضَلُ أَنْ يَقُولَ فِيهَا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِتَمَامِهِ مِنْ ثَلَاثَةِ وُجُوهٍ: الْأَوَّلُ: أَنَّهُ إِذَا أَتَى فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِتَمَامِهِ كَانَ مُحْرِزًا مَا وَرَدَ فِي الْقَوْلِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِتَمَامِهِ مِنَ الْفَضِيلَةِ»(٢).

٢-صدق اللجوء إلى الله، واعتماد القلب عليه ركن ركين، وحصن حصين للعبد: من الشرور والآفات، فضلًا من الله ونعمة.

٣-مالك الملك، لا يقع في ملكه إلا ما أراد وقدّر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(٣) وهذا يبعث الطمأنينة في قلب من أسلم وجهه لخالقه.

٤- إثبات صفة السمع لله ﷻ على الوجه اللائق به، ليس كسمع المخلوقين؛ لأن سمعه ﷻ مستغرق لجميع المسموعات، فهو يسمع دعاء خلقه مع اختلاف ألسنتهم، ولغاتهم، ويعلم ما في قلب الداعي قبل أن يدعو، فسبحان من وسع

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤١٢، مادة (فجأ).
(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ١٣/ ١٢٩.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

سمعه الأصوات كما قالت أمّنا عائشة في قصة المجادلة[١].

٥-تقرير أن لله ﷻ العلم الشامل المحيط، ومتى علم العبد ذلك دفعه إلى خشية ربه، واطمئن قلبه إلى عبادة خالقه.

٦- قال العلامة الشيخ ابن عثيمين[٢]: ﴿السميع﴾ له معنيان: **أحدهما:** بمعنى المجيب، مثل قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[٣].

والثاني: السميع بمعنى إدراك الصوت، وهو على أقسام:

أ – سمع يراد به عموم إدراك سمع الله ﷻ، وأنه ما من صوت إلا يسمعه مثال ذلك: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[٤].

ب – سمع يراد به النصر والتأييد، مثل قوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[٥].

ج – سمع يراد به التهديد والوعيد مثل قوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[٦].

قال ابن القيم رحمه الله:

وهو السميع يرى ويسمع كل ما ... في الكون من سر ومن إعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر ... فالسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الأصوات لا ... يخفى عليه بعيدها والداني[٧]

٧- ضرب أهل العلم مثلًا للعالم المستيقن بأن الله يعلمه، ويراقبه برجل

---

(١) ابن كثير، ٨/ ٣٤ في تفسير سورة المجادلة.
(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية، ١/ ٢٠٦، ٢٠٧.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٩.
(٤) سورة المجادلة، الآية: ١.
(٥) سورة طه، الآية: ٤٦.
(٦) سورة الزخرف، الآية: ٨٠.
(٧) النونية، لابن القيم، ٢/٢١٥.

جالس في حضرة ملك جبار، يحيط به جنده، وحرسه، وعن يمينه ويساره أهله، وبين يديه سيافه شاهرًا سيفه، فهل يستطيع ذلك الرجل أن يعبث بحرمة الملك؟ - ولله المثل الأعلى - فمن علم أن جبار السموات والأرض عالم به، مراقب له، كان ذلك أعظم زاجرًا له عن ترك فرائضه، وارتكاب محظوراته ومحارمه[١]، وهذا من ثمار معرفة معنى اسم الله «العليم».

٨- جاء في نهاية هذا الحديث أن أبان بن عثمان قد أصابه طرف من الفالج، فجعل الرجل الذي سمع منه الحديث ينظر إليه، فقال له: مالك تنظر إلي؟ فوالله ما كذبت على عثمان، ولا كذب عثمان على النبي ﷺ، ولكن اليوم الذي أصابني فيه ما أصابني، غضبت فنسيت أن أقولها.

٩- وهذا الجزء من الحديث فيه فوائد:

أ-أن الغضب آفة تحول بين المرء وعقله.

ب-إذا أراد الله إنفاذ قدره، صرف العبد عما يحول بينه وبين ذلك.

جـ- شدة حرص رواة الحديث على التحمل والأداء.

د- قوة يقين السلف الأول في الله ﷻ[٢].

١٠-قال القرطبي رحمه الله عن هذا الحديث: هذا خبر صحيح، وقول صادق، علمناه دليلًا وتجربة، فإني منذ سمعته عملت به، فلم يضرني شيء إلى أن تركته، فلدغتني عقرب بالمدينة ليلًا، فتفكرت فإذا أنا قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات[٣].

***

---

(١) انظر: أسماء الله الحسنى للأشقر، ص ١١٥.
(٢) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، للشيخ/ سليم الهلالي، ح ١٤٥٧.
(٣) الفتوحات الربانية لابن علان، ٣/١٠٠.

٨٧-(١٣) «رَضِيتُ بِاللهِ رَبّاً، وَبِالْإِسْلَامِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيّاً» (ثلاث مرَّاتٍ)[(١)].

الشـــرح:

أولاً لفظ الحديث:

٢٩٦-عَنْ أَبِي سَلَّامٍ، قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ فِي مَسْجِدِ حِمْصَ، فَقَالُوا: هَذَا خَادِمُ النَّبِيِّ ﷺ[(٢)]، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: حَدِّثْنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَا يَتَدَاوَلُهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ الرِّجَالُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَقُولُ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا، إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، وهذا لفظ أحمد[(٣)].

٢٩٧-ولفظ أبي داود عَنْ أَبِي سَلَّامٍ، أَنَّهُ كَانَ فِي مَسْجِدِ حِمْصَ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالُوا: هَذَا خَدَمَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ: حَدِّثْنِي بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَتَدَاوَلْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ الرِّجَالُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «**مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ**»[(٤)].

٢٩٨-وفي لفظ عند الطبراني عَنِ الْمُنَيْذِرِ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَكَانَ يَكُونُ بِإِفْرِيقِيَّةَ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا،**

---

(١) أخرجه أحمد، ٣١/ ٣٠٢، برقم ١٨٩٦٧، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ذِكْرُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ، برقم ٩٨٣٢، وابن السني، برقم ٦٨، وأبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٧٢، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، برقم، ٣٣٨٩، وقال محققو المسند، ٣١/ ٣٠٢: «صحيح لغيره» وحسّنه ابن باز رحمه الله في تحفة الأخيار ص٣٩.

(٢) هو ثوبان بن بُجدد، وتقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٢٢ من أحاديث الشرح.

(٣) أحمد، برقم ١٨٩٦٧، وصححه لغيره محققو المسند، ٣١/ ٣٠٢، وحسنه ابن باز في تحفة الأخيار، ص ٣٩.

(٤) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٧٢، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود، ص ٤١٣.

وَبِالإِسْلامَ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، فَأَنَا الزَّعِيمُ لآخُذَ بِيَدِهِ حَتَّى أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»[(١)].

٢٩٩-ولفظ أبي داود الآخر: حَدَّثَنِي أَبُو هَانِئٍ الْخَوْلَانِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَلِيٍّ الْجَنْبِيَّ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»[(٢)].

٣٠٠-ولفظ الترمذي عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ»[(٣)].

٣٠١-ولفظ ابن السني عَنْ أَبِي سَلَّامٍ، قَالَ: مَرَّ بِنَا رَجُلٌ طَوِيلٌ أَشْعَثُ، فَقِيلَ: إِنَّ هَذَا خَادِمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَخَدَمْتَ النَّبِيَّ ﷺ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: حَدِّثْنِي عَنْهُ حَدِيثًا لَمْ يَتَدَاوَلْهُ الرِّجَالُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَحَدٌ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ، وَحِينَ يُمْسِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ ﷻ أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٤)].

٣٠٢-ولفظ النسائي في الكبرى عَنْ أَبِي سَلامٍ، أَنَّهُ كَانَ فِي مَسْجِدِ حِمْصَ، فَمَرَّ رَجُلٌ فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: حَدِّثْنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَمْ تَدَاوَلَهُ الرِّجَالُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَقُولُ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثًا، وَحِينَ يُمْسِي: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير، ٢٠/ ٣٥٥، برقم ٨٣٨،، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب، ١/ ٥٠٨، فقال: «رواه الطبراني بإسناد حسن» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ١١٦: «رواه الطبراني وإسناده حسن» وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب في الطبعة الأخيرة، برقم ٦٥٧، وقال: «فيه رشدين، لكنه قد توبع، ولهذا أورده في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٢٦٨٦.

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، برقم ١٥٢٩، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١/ ٤١٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) الترمذي، برقم ٣٣٨٩، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي، ي ٣٧٠.

(٤) عمل اليوم والليلة لابن السني، ص ٦٢، برقم ٦٨.

دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا، إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**رضيت بالله ربًا**» أي: عبدته وحده لا شريك له ولا رب سواه، عن قناعة، ويقين، فهو المستحق لذلك المتفرد بصفات الكمال ونعوت الجلال، وهذا الرضا شامل للأحكام الشرعية والأمور القدرية، قال الإمام النووي رحمه الله: « مَعْنَى رَضِيت بِالشَّيْءِ قَنَعْت بِهِ، وَاكْتَفَيْت بِهِ، وَلَمْ أَطْلُب مَعَهُ غَيْره»[٢]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «تتضمن الرضا بعبادته وحده، لا شريك له، وبالرضا بتدبيره للعبد، واختياره له»[٣].

٢-قوله: «**وبالإسلام دينًا**»: لأنه هو الدين؛ ولأن ما قبله من الأديان قد أصابها التحريف وهو الدين الحق الذي شرعه الله ﷻ حيث قال جل ذكره: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ**﴾، والدين هو ما يدان لله تعالى به أي: يطاع فيه ويخضع له به من الشرائع والعبادات، قال الإمام النووي رحمه الله: «وَلَمْ يَسْلُك إِلَّا مَا يُوَافِق شَرِيعَة مُحَمَّد ﷺ، ... وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاض رحمه الله: مَعْنَى الْحَدِيث صَحَّ إِيمَانه، وَاطْمَأَنَّتْ بِهِ نَفْسه، وَخَامَرَ بَاطِنه؛ لِأَنَّ رِضَاهُ بِالْمَذْكُورَاتِ دَلِيل لِثُبُوتِ مَعْرِفَته، وَنَفَاذ بَصِيرَته، وَمُخَالَطَة بَشَاشَته قَلْبه»[٤].

٣-قوله: «**وبمحمد نبيًا**»: لأنه هو النبي الخاتم الذي ختم الله به الرسل والأنبياء، ومن لوازم ذلك متابعة الرسول الكريم ﷺ والعمل بما شرع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والرضا بمحمد رسولاً يتضمن الرضا بجميع

---

(١) النسائي في السنن الكبرى، برقم ٩٨٣٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢.

(٣) كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية، ص ٥٩، وتقدم في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن رقم ٢٣.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٢٣.

ما جاء به من عند الله، وقبول ذلك بالتسليم، والانشراح، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾(١)، وفي الصحيحين عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ**»(٢)، وفي رواية: «**وجد بهن حلاوة طعم الإيمان**» وفي بعض الروايات: «**طعم الإيمان وحلاوته**»، وفي الصحيحين عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(٣)، وفي رواية: «**من أهله وماله والناس أجمعين**»(٤)، وفي مسند الإمام أحمد عن أبي رزين العقيلي قال: قلت: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله**»(٥) (٦).

٤-وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وَرِضَاهُ بِمُحَمَّدٍ رَسُولًا يُوجِبُ أَنْ يَرْضَى بِحُكْمِهِ لَهُ وَعَلَيْهِ، وَأَنْ يُسَلِّمَ لِذَلِكَ وَيَنْقَادَ لَهُ وَلَا يُقَدِّمَ عَلَيْهِ غَيْرَهُ، وَهَذَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ حُبُّهُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَبُغْضُهُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَعَطَاؤُهُ لِلَّهِ وَمَنْعُهُ لِلَّهِ، وَفِعْلُهُ لِلَّهِ وَتَرْكُهُ لِلَّهِ، وَإِذَا قَامَ بِذَلِكَ كَانَتْ نِعَمُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ عَمِلَهُ، بَلْ فِعْلُهُ ذَلِكَ مِنْ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٢) البخاري، كتاب الإيمان، بَاب مَنْ كَرِهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ مِنْ الْإِيمَانِ، برقم ٢١، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم ٤٣.

(٣) البخاري، كتاب الإيمان، بَاب حلاوة الْإِيمَانِ، برقم ١٦، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم ٧٠-(٤٤).

(٤) البخاري، كتاب المناقب، بَاب علامات النبوة في الإسلام، برقم ٣٥٨٩، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم ٦٩-(٤٤).

(٥) مسند أحمد، ٢٦/ ١١٣، برقم ١٦١٩٤، وضعفه محققو المسند، ٢٦/ ١١٤

(٦) كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية رحمه الله (ص: ٥٩)

أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ، حَيْثُ وَفَّقَهُ لَهُ وَيَسَّرَهُ لَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ وَجَعَلَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَحَضَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَسْتَوْجِبُ شُكْرًا آخَرًا عَلَيْهِ»[1].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-حقيقة هذا الذكر المبارك انقياد المسلم لربه بقلبه وقالبه وليس مجرد قولًا من غير فهم ولا تدبر.

٢-الإسلام هو الاستسلام لله تعالى، فلا يقدم العقل على النقل، ولا الهوى على الشرع؛ بل هو عبد يسلم زمام نفسه إلى خالقه.

٣-قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فالرضى به رباً يتضمن توحيده، وعبادته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، وخوفه، ورجاءه، ومحبته، والصبر له، وبه، والشكر على نعمه، يتضمن رؤية كل ما منه نعمة، وإحساناً، وإن ساء عبده، فالرضا به يتضمن شهادة أن لا إله إلا الله، والرضى بمحمد رسولاً، يتضمن شهادة أن محمداً رسول الله، والرضى بالإسلام ديناً: يتضمن التزام عبوديته، وطاعته، وطاعة رسوله، فجمعت هذه الثلاثة الدين كله، وأيضاً: فالرضى به رباً يتضمن اتخاذه معبوداً دون ما سواه، واتخاذه ولياً، ومعبوداً، وإبطال عبادة كل ما سواه، وقد قال تعالى لرسوله: ﴿**أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا**﴾[2]، وقال: ﴿**أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا**﴾[3]، وقال: ﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ**﴾[4]، فهذا هو عين الرضى به رباً»[5]، وقال أيضاً في موضع آخر: «الرضى عنه في كل ما قضى ههنا ثلاثة أمور: الرضاء بالله، والرضا عن الله، والرضا بقضاء الله، منها: أنه إذا لم يكن

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ص ٢٥٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٤.

(٥) مدارج السالكين، ٢/ ١٨٥.

راضياً عن ربه، فهو ساخط عليه؛ إذ لا واسطة بين الرضى والسخط، وسخط العبد على ربه مناف لرضاه به رباً، قالوا: وأيضاً فعدم رضاه عنه يستلزم سوء ظنه به، ومنازعته له في اختياره لعبده، وأن الرب تبارك وتعالى يختار شيئاً، ويرضاه، فلا يختاره العبد، ولا يرضاه، وهذا مناف للعبودية، فالرضى به فرض، والرضى عنه، وإن كان من أجلّ الأمور، وأشرف أنواع العبودية، فلم يطالب به العموم لعجزهم عنه، ومشقته عليهم، وأوجبته طائفة كما أوجبوا الرضى به، واحتجوا بحجج»[1].

٤- الرضا برسالة الرسول الكريم ﷺ مستلزم لقبول سنته: القولية، والفعلية، والتقريرية، مع انتفاء الحرج في النفس وتمام التسليم بالجوارح.

٥- جاء في رواية الترمذي «نبيًّا» وعند أبي داود وغيره: «رسولًا».

٦- جاء في تتمة هذا الحديث أن الرسول ﷺ قال: «**من قال**» ثم ذكر الحديث – قال: «**كان حقًّا على الله أن يرضيه**».

وهذا الحق هو محض فضل من الله تعالى لم يوجبه عليه أحد من خلقه، ولا يطالبه به؛ لأن أحدًا لا يوجب على ربه شيئًا؛ لأن ثواب الله فضل، وعقابه عدل، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، بخلاف قول المعتزلة، والخوارج الذين أوجبوا على الله الثواب والعقاب.

٧- المسلم الصادق يطمع بقوله هذا الذكر في رضا خالقه ومولاه، ورضا الله صفة ثابتة له ﷻ وهي من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته سبحانه، ورضاه ليس كرضا أحد من خلقه بل رضىً يليق بجلاله، ورضى الله على قسمين:

أ – يرضى عن العمل لقوله ﷻ: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[3].

---

(١) مدارج السالكين، ٢/ ١٨٧.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

ب – ويرضى عن العامل كقوله سبحانه: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾(١)، وكقوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَضِيَ لِهَذِهِ الأُمَّةِ الْيُسْرَ، وَكَرِهَ لَهَا الْعُسْرَ، قَالَهَا ثَلاَثًا»(٢).

***

٨٨-(١٤) «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»(٣).

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٠٣-عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه(٤)، قالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِفَاطِمَةَ رضي الله عنها: «مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ، أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ، وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»(٥).

٣٠٤-ولفظ الحاكم عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِفَاطِمَةَ: «مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ، وَإِذَا

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٢) وتمامه عَنْ مِحْجَنِ بْنِ الأَدْرَعِ السُّلَمِيِّ، «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَضِيَ لِهَذِهِ الأُمَّةِ الْيُسْرَ، وَكَرِهَ لَهَا الْعُسْرَ، قَالَهَا ثَلاَثًا». المعجم الكبير للطبراني، ٢٠/ ٢٩٨، برقم ٧٠٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ١٧٦٩.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ماذا يقول إذا أمسى، برقم ١٠٤٠٥، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ١/٥٤٥، والبخاري في الأدب المفرد، ص ٢٤٤، برقم ٧٠١، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي، ٣/ ٢٣، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٤٢، وصحيح الترغيب والترهيب، ١/٢٧٣ .

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٥) النسائي في الكبرى، برقم ١٠٤٠٥، وغيره، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٤٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرَفَةَ عَيْنٍ»[١].

٣٠٥-ولفظ البخاري في الأدب المفرد عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ[٢]، أَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ ﷺ: يَا أَبَتِ، إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ: اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلاَثًا حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلاَثًا، وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلاَثًا حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلاَثًا، فَقَالَ: نَعَمْ، يَا بُنَيَّ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بِهِنَّ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، وَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لا إِلَهَ أَلا أَنْت**»[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ**»، قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «**يا حي يا قيوم، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**» فِي دَفْعِ هَذَا الدَّاءِ مُنَاسَبَةٌ بَدِيعَةٌ، فَإِنَّ صِفَةَ الْحَيَاةِ مُتَضَمِّنَةٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، مُسْتَلْزِمَةٌ لَهَا، وَصِفَةُ الْقَيُّومِيَّةِ مُتَضَمِّنَةٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ، وَلِهَذَا كَانَ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى: هُوَ اسْمُ الْحَيِّ الْقَيُّومِ، وَالْحَيَاةُ التَّامَّةُ تُضَادُّ جَمِيعَ الْأَسْقَامِ وَالْآلَامِ، وَلِهَذَا لَمَّا كَمُلَتْ حَيَاةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَمْ يَلْحَقْهُمْ هَمٌّ وَلَا غَمٌّ، وَلَا حَزَنٌ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْآفَاتِ، وَنُقْصَانُ الْحَيَاةِ تَضُرُّ

(١) أخرجه الحاكم وصححه، ١/٥٤٥، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/٢٧٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) وتقدمت ترجمته في الحديث، رقم ٢٧٩ من أحاديث الشرح.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ص ٢٤٤، برقم ٧٠١، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٤٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

بِالْأَفْعَالِ، وَتُنَافِي الْقَيُّومِيَّةَ، فَكَمَالُ الْقَيُّومِيَّةِ لِكَمَالِ الْحَيَاةِ، فَالْحَيُّ الْمُطْلَقُ التَّامُّ الْحَيَاةِ لَا تَفُوتُهُ صِفَةُ الْكَمَالِ الْبَتَّةَ، وَالْقَيُّومُ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ فِعْلٌ مُمْكِنٌ الْبَتَّةَ، فَالتَّوَسُّلُ بِصِفَةِ الْحَيَاةِ الْقَيُّومِيَّةِ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي إِزَالَةِ مَا يُضَادُّ الْحَيَاةَ، وَيَضُرُّ بِالْأَفْعَالِ»[١].

٢-قوله: «**يا حي**» أي: يا من له الحياة الكاملة التي لا تكون لغيره، والتي لا يعتريها موت، ولا نعاس، ولا نوم، ولا مرض، وهذه الحياة التامة مستلزمة للقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، وغير ذلك من صفات الكمال، والعظمة.

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال ولا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفي كمال الحياة وبهذا الطريق العقلي أثبت متكلمو أهل الإثبات له تعالى: صفة السمع، والبصر، والعلم، والإرادة، والقدرة، والكلام، وسائر صفات الكمال»[٢]. وقال العلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَشَارَ إِلَى مَا تَقَعُ بِهِ التَّفْرِقَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، بِمَا يَتَّصِفُ بِهِ تَعَالَى دُونَ خَلْقِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ؛ لِأَنَّ صِفَةَ الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ مُخْتَصَّةٌ بِهِ تَعَالَى، دُونَ خَلْقِهِ، فَإِنَّهُمْ يَمُوتُونَ، وَمِنْهُ: أَنَّهُ قَيُّومٌ لا ينام، إذ هو مختص بِعَدَمِ النَّوْمِ وَالسِّنَةِ، دُونَ خَلْقِهِ، فَإِنَّهُمْ يَنَامُونَ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ نَفْيَ التَّشْبِيهِ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ نَفْيَ الصِّفَاتِ، بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، لِكَمَالِ ذَاتِهِ، فَالْحَيُّ بِحَيَاةٍ بَاقِيَةٍ لَا يُشْبِهُ الْحَيَّ بِحَيَاةٍ زَائِلَةٍ، وَلِهَذَا كَانَتِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعًا وَلَهْوًا وَلَعِبًا، وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ، فَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَالْمَنَامِ، وَالْحَيَاةُ الْآخِرَةُ كَالْيَقَظَةِ، وَلَا يُقَالُ: فَهَذِهِ الْحَيَاةُ الْآخِرَةُ كَامِلَةٌ، وَهِيَ لِلْمَخْلُوقِ؛ لِأَنَّا نَقُولُ: الْحَيُّ الَّذِي الْحَيَاةُ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ اللَّازِمَةِ لَهَا، هُوَ الَّذِي وَهَبَ

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٨٧)
(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٤١٠)

الْمَخْلُوقَ تِلْكَ الْحَيَاةَ الدَّائِمَةَ، فَهِيَ دَائِمَةٌ بِإِدَامَةِ اللَّهِ لَهَا، لَا أن الدوام وصف لزم لَهَا لِذَاتِهَا، بِخِلَافِ حَيَاةِ الرَّبِّ تَعَالَى، وَكَذَلِكَ سَائِرُ صِفَاتِهِ، فَصِفَاتُ الْخَالِقِ كَمَا يَلِيقُ بِهِ، وَصِفَاتُ الْمَخْلُوقِ كَمَا يَلِيقُ بِهِ»[1]. وقال الشنقيطي رحمه الله: «ونحن نقطع بأن لله جل وعلا صفة حياة حقيقية لائقة بكماله وجلاله، كما أن للمخلوقين حياة مناسبة لحالهم، وعجزهم، وفنائهم، وافتقارهم، وبين صفة الخالق والمخلوق من المخالفة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق. وذلك بون شاسع بين الخالق وخلقه»[2].

٣-قوله: «**يا قيوم**» أي: يا من أنت قائم بتدبير الملكوت كله: علويه، وسفليه من غير تعب، ولا نصب، فأنت منزه عن كل نقص وسوء[3]. قال ابن الأثير رحمه الله: «قيوم: القيوم: القائم الدائم، ووزنه فيعول من القيام، وهو من أبنية المبالغة»[4]، وقال ابن منظور رحمه الله: «قَيُّوم: وَهِيَ مِنْ أَبْنِيَةِ الْمُبَالَغَةِ، وَمَعْنَاهَا الْقَيّام بأُمور الْخَلْقِ وَتَدْبِيرِ الْعَالَمِ فِي جَمِيعِ أَحواله، وأَصلها مِنَ الْوَاوِ قَيْوامٌ وقَيْوَمٌ وقَيْوُومٌ، بِوَزْنِ فَيْعالٍ وفَيْعَلٍ وفَيْعُول. والقَيُّومُ: مِنْ أَسماء اللَّهِ الْمَعْدُودَةِ، وَهُوَ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ مُطْلَقًا لَا بِغَيْرِهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَقُومُ بِهِ كُلُّ مَوْجُودٍ حَتَّى لَا يُتَصوَّر وُجُودُ شَيْءٍ وَلَا دَوَامُ وَجُودِهِ إِلَّا بِهِ»[5]، وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه، وكمال قدرته؛ فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته وهذا من كمال قدرته وعزته فانتظم

(١) شرح الطحاوية - ط دار السلام (ص: ١٢٠)
(٢) الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً، للشنقيطي، ص ٧.
(٣) انظر شرح الحديث (٧١) شرح آية الكرسي.
(٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول (٤/ ١٧٢)
(٥) لسان العرب (١٢/ ٥٠٤)

هذان الإسمان صفات الكمال والغنى التام والقدرة التامة»[١].

٤-قوله: «**برحمتك**»: الرحمة هنا هي صفة لله تعالى وهي متعلق الاستغاثة؛ لأنه يستغاث بالله أو بصفة من صفاته، وهي تليق بجلاله ﷻ، وكان النبي ﷺ إذا كربه أمر وأهمه قال: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**»[٢]، قال الصنعاني رحمه الله: «شقّ عليه، وأهمّه شأنه قال: «يا حي، يا قيوم»: هما على أكثر الأقوال الاسم الأعظم»[٣].

٥-قوله: «**برحمتك أستغيث**» أي: ألجأ إليك أن ترحمني وأتشبث بأسباب ذلك بتحقيق العبودية، والاستعانة بك وحدك، قال الصنعاني رحمه الله: «بصفة الرحمة أطلب الاستغاثة، ولمّا كانت حياة القلب في خلوصه عما سوى الله تعالى، وكان الكرب ينافي ذلك، توسل باسمه الحي إلى إزالة ما يضاد حياة قلبه، وبالقيوم إلى إقامته على نهج الفلاح»[٤].

٦-قوله: «**أصلح لي شأني كله**»: أي: في أمور الحياة والبرزخ والقيامة، قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «والتوفيق إرادة الله من نفسه أن يفعل بعبده ما يصلح به العبد، بأن يجعله قادراً على فعل ما يرضيه، مريداً له، محباً له، مؤثراً له على غيره، ويُبَغِّضُ إليه ما يسخطه، ويُكرِّهه إليه، وهذا مجرد فعله، والعبد محل له، قال الله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[٥]، فهو سبحانه عليم بمن يصلح لهذا الفضل، ومن لا يصلح له، حكيم يضعه في مواضعه، وعند أهله، لا يمنعه أهله، ولا يضعه

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤١٠)
(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا محمد بن حاتم، برقم ٣٥٢٤، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/٤٤٨.
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٤٤٣.
(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٤٤٣.
(٥) سورة الحجرات، الآيتان: ٧- ٨.

عند غير أهله، وذكر هذا عُقيب قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾، ثم جاء به بحرف الاستدراك فقال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾[1]، يقول سبحانه: لم تكن محبتكم للإيمان، وإرادته، وتزيينه في قلوبكم: منكم، ولكن الله هو الذي جعله في قلوبكم كذلك، فآثرتموه، ورضيتموه؛ فكذلك لا تقدموا بين يدي الله ورسوله، ولا تقولوا حتى يقول، ولا تفعلوا حتى يأمر، فالذي حبَّبَ إليكم الإيمان أعلم بمصالح عباده وما يصلحهم منكم، وأنتم فلولا توفيقه لكم لما أذعنت نفوسكم للإيمان، فلم يكن الإيمان بمشورتكم، وتوفيق أنفسكم، ولا تقدّمتم به عليها، فنفوسكم تقصر وتعجز عن ذلك، ولا تبلغه، فلو أطاعكم رسولي في كثير مما تريدون لشق عليكم ذلك ولهلكتم، وفسدت مصالحكم وأنتم لا تشعرون، ولا تظنوا أن نفوسكم تريد لكم الرشد والصلاح، كما أردتم الإيمان، فلولا أني حبَّبته إليكم، وزيَّنته في قلوبكم، وكرَّهت إليكم ضدّه، لما وقع منكم، ولا سمحت به أنفسكم»[2].

٧-قوله: «**لا تكلني إلى نفسي**»: لا تتخلى عني، وتتركني، فأزل، وأشقى، وأصل وكل ألجأ، قال ابن الأثير رحمه الله: «ووَكَلْتُ أَمْرِي إِلَى فُلَانٍ: أَيْ أَلْجأته إِلَيْهِ، واعتَمَدْتُ فِيهِ عَلَيْهِ، ووَكَّل فلانٌ فُلَانًا، إِذَا اسْتَكْفاه أمرَه ثِقَةً بكفايَتِه، أَوْ عَجْزاً عَنِ القِيام بِأَمْرِ نفسِه، وَمِنْهُ حَدِيثُ الدُّعَاءِ: «**لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسي طَرْفَةَ عَيْنٍ فأهْلِكَ**»[3]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قوله: وُكِلت إليها» بِضَمِّ الواو وكسر الكاف مُخَفَّفًا ومُشَدَّدًا وسُكُون اللَّام ، ومَعنَى المُخَفَّف أي

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٧.
(٢) مدارج السالكين، ١/ ٤١٤.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٥/ ٢٢١، مادة (وكل).

صُرِفَ إِلَيها، ومَن وُكِلَ إِلَى نَفسه هَلَكَ، ومِنهُ فِي الدُّعاء: «ولا تَكِلْنِي إِلَى نَفسِي»، ووكَلَ أَمره إِلَى فُلان صَرَفَهُ إِلَيهِ؛ ووكَّلَهُ بِالتَّشدِيدِ استَحفَظَهُ»[١].

٨-قوله: «طرفة عين»: أي لحظة، ولمحة، والمراد من ذلك دوام الحفظ، قال القاري: «طرفة عين: أي لحظة ولمحة؛ فإنها أعدى لي من جميع أعدائي، وأنها عاجزة لا تقدر على قضاء حوائجي، قال الطيبي: الفاء في فلا تكلني مرتب على قوله: رحمتك أرجو، فقدم المفعول ليفيد الاختصاص والرحمة عامة، فيلزم تفويض الأمور كلها إلى الله، كأنه قيل: فإذا فوضت أمري إليك، فلا تكلني إلى نفسي؛ لأني لا أدري ما صلاح أمري، وما فساده، وربما زاولت أمراً، واعتقدت أن فيه صلاح أمري، فانقلب فساداً، وبالعكس، ولما فرغ عن خاصة نفسه، وأراد أن ينفي تفويض أمره إلى الغير، ويثبته لله، قال: وأصلح لي شأني، أي: أمري كله، تأكيد لإفادة العموم»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-شفقة النبي ﷺ على أمته في شخص ابنته فاطمةحيث علمها ما فيه الفوز، والصلاح.

٢-التبرؤ من حول الإنسان، وطوله إلى حول الله، وقوته؛ لأن الله إذا تخلى عن عبده طرفة عين، كان ذلك من أعظم أسباب الخذلان.

٣-الاستغاثة لا تكون إلا بالله وحده، فلا يستغاث بغيره ﷻ من رسول مرسل، أو ملك مقرب، فضلًا عن ولي، أو عبد صالح، أو غير ذلك أحياءً كانوا أم مقبورين، إلاّ الاستغاثة بالحي الحاضر القادر فيما يقدر عليه؛ لقول الله تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾[٣].

---

(١) فتح الباري، لابن حجر، ١٣/ ١٢٤.
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١/ ٣٥٧.
(٣) سورة القصص، الآية: ١٥.

٤-إثبات صفة الرحمة لله ﷻ، وأن هذه الرحمة قد وسعت كل شيء فما من مخلوق إلا وقد وصلت إليه، قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[(١)].

٥- رحمة الله عامة، وخاصة، أما العامة، فهي لجميع خلقه، ولولا ذلك ما قامت لهم قائمة، فهو يطعمهم، ويسقيهم، ويكسوهم: مؤمنهم، وكافرهم، والخاصة، فهي لأهل الإيمان، فهي مستمرة معهم حتى يدخلهم جنته، ومن أدلة الرحمة العامة قوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[(٢)]، فكل ما بلغه علمه – وقد بلغ كل شيء – بلغته رحمته، ومن أدلة الرحمة الخاصة قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[(٣)].

٦- قال رجل لأبي رجاء العطاردي رحمه الله[(٤)]: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في مستقر رحمته! فقال أبو رجاء: وهل يستطيع أحد ذلك؟ قال: فما مستقر رحمته؟ قال: الجنة، فقال أبو رجاء: لم تُصِبْ، قال الرجل: فما مستقر رحمته؟ قال أبو رجاء: «**رب العالمين**»[(٥)].

٧- قال الألباني رحمه الله: وهذا الأثر يدل على فضله، وعلمه، ودقة ملاحظته؛ فإن الجنة لا يمكن أن تكون مستقر رحمته تعالى؛ لأنها[(٦)] صفة من صفاته، بخلاف الجنة، فإنها خلق من خلق الله، وإن كان استقرار المؤمنين فيها، إنما هو برحمة الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.
(٢) سورة غافر، الآية: ٧.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣.
(٤) اسمه عمران بن ملحان، ثقة مخضرم أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره، مات سنة خمس ومائة وله مائة سنة. انظر: تقريب التهذيب، ٣/ ٢٨٠.
(٥) قال الألباني: صحيح الإسناد. انظر: الأدب المفرد، برقم ٧٦٨ .
(٦) أي الرحمة.

وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١]، يعني الجنة[٢].

٨- وقد بوب البخاري في كتابه الأدب المفرد[٣] هذا الأثر تحت باب قال فيه: باب: من كره أن يقال: **اللَّهم اجعلني في مستقر رحمتك.**

***

٨٩-(١٥) ((أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ[٤]، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ[٥]: فَتْحَهُ، وَنَصْرَهُ، وَنورَهُ، وَبَرَكَتَهُ، وَهُدَاهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ))[٦].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٠٦-لفظ أبي داود عن أبي مالك الأشعري ﷺ[٧] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **((إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ: فَتْحَهُ، وَنَصْرَهُ، وَنُورَهُ، وَبَرَكَتَهُ، وَهُدَاهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ**

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٧.

(٢) انظر تعليق الشيخ الألباني ﷺ على هذا الحديث في كتاب ((الأدب المفرد)).

(٣) الأدب المفرد، ص ٢٦٩، قبل الحديث رقم ٧٦٨.

(٤) وإذا أمسى قال: أمسينا وأمسى الملك لله ربّ العالمين.

(٥) وإذا أمسى قال: اللّهم إني أسألك خير هذه الليلة: فتحها، ونصرها، ونورها، وبركتها، وهداها، وأعوذ بك من شر ما فيها، وشر ما بعدها.

(٦) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٨٤، والمعجم الكبير للطبراني، ٣/ ٢٩٦، برقم ٣٤٥٣، والدعاء للطبراني، ص ٢٨٣، برقم ٩٠٨، والفردوس بمأثور الخطاب للديلمي، ١/ ٤٥٣، وقال النووي في الأذكار، ص ١١٦: «وروينا في سنن أبي داود، بإسناد لم يضعفه»، وحسّن إسناده شعيب وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيق زاد المعاد، ٣٧٣/٢.

(٧) تقدمت ترجمته في الحديث ٧١ من أحاديث الشرح.

شَرِّ مَا فِيهِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، ثُمَّ إِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ»(١).

٣٠٧-لفظ الطبراني عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ فَتْحَهُ وَنَصْرَهُ وَنُورَهُ وَبَرَكَتَهُ وَهُدَاهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ وَمِنْ شَرِّ مَا قَبْلَهُ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، ثُمَّ إِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ**»(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**أَصْبَحْنَا**» أي: دَخَلنا فِي الصَّبَاحِ ...أَيْ: أَصْبَحْنَا مُتلبِسينَ بِحِفْظِكَ، أَوْ مَغْمُورِينَ بِنِعْمَتِكَ، أَوْ مُشْتَغِلِينَ بِذِكْرِكَ، أَوْ مُسْتَعِينِينَ بِاسْمِكَ، أَوْ مَشْمُولِينَ بِتَوْفِيقِكَ، أَوْ مُتَحَرِّكِينَ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، أَوْ مُتَقَلِّبِينَ بِإِرَادَتِكَ، وقدرتك»(٣).

٢-«**وأصبح الملك لله**(٤)»: قال ابن هبيرة رَحِمَهُ اللهُ: «في هذا الحديث خيرٌ، وبركةٌ، وتعليمٌ لهذه الكلمات، وهي تشتمل على معانٍ، منها: أنه إذا أمسى، وإذا أصبح يُقرُّ بأنّ الملك لله ... والمُلك حقيقةً لله ﷻ، وأن المُلْك لله ﷻ ملكًا، وولايةً، واستحقاقًا، فإذا قال العبد ذلك، واعتقده بقلبه، خرج من قلبه تعظيمُ ملوك الدنيا، ثم أتبع ذلك بالحمد لله، وذلك على نعمه الكثيرة التي لا تُحصَى، منها: انفراد الله تعالى بالمُلك، فإن المَلِكَ يغار من أن يكون المُلْك إلاّ له وحده، فإذا قضى ﷻ بما يوافق محبة المؤمن، تعيَّن على المؤمن أن يحمد الله تعالى على ذلك القضاء»(٥).

٣-قوله: «**رب العالمين**»: جمع عالم، وهو كل ما سوى الله ﷻ، مثل عالم الإنس، وعالم الجن، وعالم الملائكة، وعالم الحيوانات، وغير ذلك، فهو تعالى

---

(١) أبو داود، برقم ٣٤٥٣، وحسّن إسناده محقق زاد المعاد، ٢/ ٣٧٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ٣/ ٢٩٦، برقم ٣٤٥٣.

(٣) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٣٦، وتقدم في المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ٧٧.

(٤) وإذا أمسى قال: «أمسينا، وأمسى الملك لله».

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٢/ ١١٢، وتقدم في المفردة رقم ٢ من حديث المتن رقم ٧٧.

الرب المدبر لشئون هذه العوالم التي ظهرت لنا، والتي لم تظهر لنا، وكذا رب كل عالم لم نقف على معرفته، قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الربّ: هو المربي جميع العالمين -وهم من سوى الله- بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها، لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة، فمنه تعالى... فدل قوله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على انفراده بالخلق والتدبير، والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار»[١].

٤-قوله: «**اللَّهم إني أسألك**»:قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَلله، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ »[٢]، وقال العسكري رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْمَسْأَلَة يقارنها الخضوع والاستكانة... وَالدُّعَاء إِذا كَانَ لله تَعَالَى فَهُوَ مثل الْمَسْأَلَة مَعَه استكانه وخصوع»[٣].

٥-قوله: «**خير هذا اليوم**»: الخير هنا يشمل كل نفع في الدين، والذي يترتب عليه زيادة الإيمان، ويشمل كذلك كل نفع دنيوي يكسبه العبد[٤].

٦-قوله: «**فتحه**»: أي: ما فيه من فتح، وخير، والاستفتاح هو طلب النصر، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿**إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ**﴾[٥]، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتحه: الفتح: النصر والظفر»[٦]، وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفتح: إزالة الإغلاق والإشكال، وذلك ضربان: أحدهما: يدرك بالبصر...

---

(١) تفسير السعدي، ص ٣٩.
(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، المفردة رقم ٦.
(٣) الفروق اللغوية للعسكري، ص ٣٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ٦١.
(٤) تقدم في شرح المفردة رقم ٩ من مفردات حديث المتن رقم ٧٧.
(٥) سورة الأنفال، الآية: ١٩.
(٦) جامع الأصول، لابن الأثير، ٤/ ٢٥٠.

والثاني: يدرك بالبصيرة: كفتح الهمّ، وهو إزالة الغم، وذلك ضروب: أحدها: في الأمور الدنيوية كغم يفرج، وفقر يزال بإعطاء المال ونحوه...والثاني: فتح المستغلق من العلوم، نحو قولك: فلان فتح من العلم باباً مغلقاً، وقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبيناً﴾(١)، قيل: عنى فتح مكة، وقيل: بل عنى ما فتح على النبي ﷺ من العلوم، والهدايات التي هي ذريعة إلى الثواب، والمقامات المحمودة التي صارت سبباً لغفران ذنوبه، وفاتحة كل شيء: مبدؤه الذي يفتح به ما بعده، وبه سمي فاتحة الكتاب، وقيل: افتتح فلان كذا: إذا ابتدأ به، وفتح عليه كذا: إذا أعلمه ووقفه عليه»(٢).

٧-قوله: «ونصره»: أي: على النفس، والهوى، والدنيا، والشياطين الإنسية، والجنية، وقال المناوي رحمه الله: «(النصر) من الله للعبد على أعداء دينه ودنياه، إنما يكون (مع الصبر) على الطاعة، وعن المعصية، فهما أخوان شقيقان متلازمان، والثاني بسبب الأول، وقد أخبر الله أنه مع الصابرين، أي بهدايته ونصره المبين»(٣).

٨-قوله: «ونوره»: أي: بالتوفيق إلى العلم النافع، والعمل الصالح الخالص الصائب، قال في لسان العرب: «فِي أَسماء اللَّهِ تَعَالَى: النُّورُ؛ قَالَ ابْنُ الأَثير: هُوَ الَّذِي يُبْصِرُ بِنُورِهِ ذُو العَمَايةِ، ويَرْشُدُ بِهُدَاهُ ذُو الغَوايَةِ، وَقِيلَ: هُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي بِهِ كُلُّ ظُهُورٍ، وَالظَّاهِرُ فِي نَفْسِهِ، المُظْهِر لِغَيْرِهِ يُسَمَّى نُورًا، قَالَ أَبو مَنْصُورٍ: والنُّور مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَجَّلَ... والنُّورُ: الضِّياءُ، وَالنُّورُ: ضِدُّ الظُّلْمَةِ، وَفِي الْمُحْكَمِ: النُّور الضَّوْءُ، أَيًّا كَانَ، وَقِيلَ: هُوَ شُعَاعُهُ وَسُطُوعُهُ... وَقَدْ نارَ نَوْراً، وأَنارَ، واسْتَنارَ، ونَوَّرَ؛ الأَخيرة عَنِ اللِّحْيَانِيِّ، بِمَعْنًى وَاحِدٍ، أَي أَضاء، كَمَا يُقَالُ: بانَ الشيءُ، وأَبانَ، وبيَّنَ، وتَبَيَّنَ،

(١) سورة الفتح، الآية: ١.
(٢) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٧١.
(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٢٩٨.

واسْتَبانَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، واسْتَنار بِهِ: اسْتَمَدَّ شُعاعَه. ونَوَّرَ الصبحُ: ظَهَرَ نُورُه»[1].

٩-قوله: «**وبركته**»: تكون بركة اليوم بتيسير الرزق الحلال الطيب، وكذلك بالتوفيق إلى شكر النعم، والثناء على مسديها ﷻ، وتعلُّم العلم الشرعي مع العمل به، والدعوة إلى الله به، والتوفيق للعمل الصالح، والإخلاص في القول والعمل، قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البركة تكون بمعنى النماء والزيادة، وبمعنى الثبات واللزوم، ويحتمل أن تكون هذه البركة دينية، وهي ما يتعلق بهذه المقادير من حقوق الله تعالى في الزكوات، والكفارات، فتكون بمعنى الثبات والبقاء لها لبقاء الحكم بها ببقاء الشريعة، وإثباتها، وأن تكون دنيوية من تكثير المكيال، والقدر بها، حتى يكفي منه ما لا يكفي من غيره في غير المدينة»[2].

١٠-قوله: «**وهداه**»: أي: بالثبات على طريق الحق الموصل لمرضاة رب العالمين، قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الْهُدَى: الرَّشاد، والدّلالةُ، ويُؤَنث ويُذَكّر، يُقال: هَدَاهُ الله لِلدِّين هُدًى، وهَدَيْتُهُ الطّرِيقَ، وَإِلَى الطَّرِيقِ هِدايةً: أَيْ: عَرَّفْتُه، وَالْمَعْنَى: إِذَا سَأَلْتَ اللهَ الْهُدَى، فأَخْطِرْ بِقَلْبِك هِدايَة الطَّرِيقِ، وسَلِ الله الاسْتِقامَة فِيهِ، كَمَا تَتَحرَّاهُ فِي سُلوك الطَّرِيقِ؛ لِأَنَّ سالِكَ الفَلاة يَلْزَم الْجَادَّةَ، وَلَا يُفَارِقُهَا، خَوفاً مِنَ الضَّلَالِ»[3].

١١-قوله: «**وأعوذ بك**»: قال الراغب الأصفهاني: «والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به.... وأعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك»[4].

١-قوله: «**من شر ما فيه**»: أي: من الفتن، والمحن التي لا صارف لها إلا الله،

---

(١) لسان العرب، ٥/ ٢٤٠، مادة (نور).

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ٢٠٥٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٢٥٣، مادة (هدي).

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

قال الفيومي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشَّرُّ: السُّوءُ، وَالْفَسَادُ، وَالظُّلْمُ، وَالْجَمْعُ: شُرُورٌ»[١]، وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشَّرُّ: الذي يرغب عنه الكلّ، كما أنّ الخير هو الذي يرغب فيه الكلّ»[٢]، وقال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «من شر مافيه»: «أَيْ: فِي هَذَا الْيَوْمِ»[٣].

٢-قوله: «**وشر ما بعده**»: أي: من الأيام والليالي، وفي ذلك إشعار بأن درء المفاسد أهم من جلب المنافع[٤]؛ لأن السلامة لا يعدلها شيء[٥].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الفتح، والنصر، والنور، والبركة، والهداية، وغير ذلك هي رزق يسوقه الله لمن أقبل على ربه، وأخلص لله في سؤاله.

٢-الحث على قول هذا الذكر في الصباح والمساء، وهذا إشارة إلى أن المسلم العاقل لا يضيع وقت الصبح في نوم أو غفلة فهو وقت تقسم فيه الأرزاق وكان من دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهم بارك لأمتي في بكورها**»[٦].

٣-من أمسك بزمام يومه من أوله بالذكر والدعاء سلم له ذلك اليوم وكذا ليله وقد قال بعضهم: «يومك مثل جملك إن أمسكت أوله تبعك آخره» وكان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقعد يذكر ربه حتى يصلي الضحى ويقول: «**الحمد لله الذي أقالنا يومنا هذا ولم يهلكنا بذنوبنا**»[٧].

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٣٠٩، مادي (شر).
(٢) المفردات في غريب القرآن، ١/ ٤٤٨، مادة (شر).
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ١٦٧٤.
(٤) انظر شرح عون المعبود، ٥٠٨٤.
(٥) وإذا أمسى تؤنث الضمائر .
(٦) أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الابتكار في السفر، برقم ٢٦٠٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢/١٢٤.
(٧) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيل القراءة واجتناب الهذ، وهو الإفراط في السرعة، وإباحة سورتين فأكثر في ركعة، برقم ٨٢٢.

٤-طلب الفتح من الله إشارة إلى أن من أسمائه الحسنى «الفتاح»، قال ابن القيم رحمه الله:

وكــذلك الفتــاح مــن أســمائه ... والفــتح فــي أوصــافه أمــران
فــتح بحكــم وهــو شــرع إلهنــا ... والفــتح بالأقــدار فــتح ثــانٍ
والــرب فتــاح بــذين كليهمــا ... عــدلًا وإحســانًا مــن الــرحمن[1]

٥-طلب النصر من الله تعالى: هو إثبات أن من أسمائه الحسنى: النصير، قال الحليمي رحمه الله: النصير هو الموثوق منه بأن لا يسلم وليه، ولا يخذله[2].

٦-البركة كلها لله، ومن الله؛ ولذا قال الرسول ﷺ: «**البركة من الله**»[3]، وقال أيضًا: «**وكلتا يدي ربي يمين مباركة**»[4]، وحقيقة البركة كثرة الخير، ودوامه، وهو المستحق لذلك على الإطلاق، تبارك ربنا، وتباركت أفعاله وأوصافه.

٧- ورد اسم الفتاح في القرآن مرة واحدة مفردًا في قوله: ﴿**قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ**﴾[5]، ومرة بصيغة الجمع في قوله: ﴿**وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**﴾[6]، وكذلك: خير الناصرين جاء مرة واحدة في القرآن بصيغة الجمع في قوله: ﴿**بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ**﴾[7][8].

***

---

(١) النونية، ٢/٢٣٤.
(٢) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي، ص ٧٠.
(٣) البخاري، كتاب الأشربة، باب شرب البركة والماء المبارك، برقم ٥٦٣٩.
(٤) الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب حدثنا محمد بن بشار، برقم ٣٣٦٨، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/٨٨١.
(٥) سورة سبأ، الآية: ٢٦.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.
(٧) آل عمران: ١٥٠.
(٨) انظر: شرح حصن المسلم لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٢٧٦.

٩٠-(١٦) «أَصْبَحْنا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ[(١)]، وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ، حَنِيفاً مُسْلِماً، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشرِكِينَ»[(٢)].

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٠٨-لفظ الإمام أحمد عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى[(٣)]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»[(٤)].

٣٠٩-ولفظ النسائي عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى ﷺ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ»[(٥)].

---

(١) وإذا أمسى قال: أمسينا على فطرة الإسلام.

(٢) أحمد، ٢٤/ ٧٧، برقم ١٥٣٦٠، ورقم ١٥٥٦٣، والسنن الكبرى للنسائي، ٦/ ٣، عمل اليوم والليلة، ذكر ما كان النبي ﷺ يقوله إذا أصبح، برقم ٩٨٢٩، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٣٤، ومصنف ابن أبي شيبة، ٥/ ٣٢٤، برقم ٢٦٥٤٠، والدعوات الكبير للبيهقي، ١/ ٨٦، وصحح النووي إسناده في الأذكار، ص ١١٥، وقال محققو مسند الإمام أحمد، ٢٤/ ٧٧: «إسناده صحيح على شرط الشيخين» وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٤/٢٠٩ .

(٣) عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي ﷺ: ذكره الذهبي من بقايا صغار الصحابة ﷺ، وهو مولى نافع بن عبد الحارث وكان عالمًا بالفرائض، قارئًا لكتاب الله، حتى قال فيه عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ: «إن هذا القرآن يرفع الله به أقوامًا، ويضع به آخرين» مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها، برقم ٨١٦.وذلك لما استخلفه نافع بن عبدالحارث على مكة لما استدعاه عمر إلى عسفان، وقد عاش إلى نيف وسبعين سنة. سير أعلام النبلاء، ٣/ ٢٠١، ترجمة رقم (٤٣).

(٤) أحمد، برقم ١٥٣٦٠، وغيره، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٤/ ٢٠٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) السنن الكبرى للنسائي، برقم ٩٨٢٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٣١٠-ولفظ ابن أبي شيبة عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: «**أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلاَمِ، وَكَلِمَةِ الإِخْلاَصِ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**»[١].

٣١١-ولفظ البيهقي عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلاَمِ، وَكَلِمَةِ الإِخْلاَصِ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**أصبحنا**» أي: دَخَلْنا «فِي الصَّبَاحِ، ... أَيْ أَصْبَحْنَا مُلْتَبِسِينَ بِحِفْظِكَ، أَوْ مَغْمُورِينَ بِنِعْمَتِكَ، أَوْ مُشْتَغِلِينَ بِذِكْرِكَ، أَوْ مُسْتَعِينِينَ بِاسْمِكَ، أَوْ مَشْمُولِينَ بِتَوْفِيقِكَ، أَوْ مُتَحَرِّكِينَ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، أَوْ مُتَقَلِّبِينَ بِإِرَادَتِكَ، وقدرتك»[٣].

٢-قوله: «**على فطرة الإسلام**»: أي: دين الإسلام الذي فطر الله الناس عليه، والمتضمن لمعرفة الله، وتوحيده، والالتزام بشرائع الإسلام الظاهر منها، والباطن؛ قال الله ﷻ: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[٤]، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فطرة الإسلام: الفطرة: ابتداء الخلقة، وهي إشارة إلى كلمة التوحيد حين أخذ الله العهد بها على ذرية آدم، فقال: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا: بَلَى**﴾[٥]، وقيل: الفطرة هاهنا: السنة»[٦]، وقال شيخ

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، برقم ٢٦٥٤٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) الدعوات الكبير، للبيهقي، ١/ ٨٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٣٦، وتقدم الشرح مستوفى في شرح مفردات حديث المتن رقم ٧٧، المفردة رقم ١.

(٤) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٦) جامع الأصول، ٤/ ٢٥٣.

الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الاستسلام لله دون ما سواه، فهو بفطرته لا يريد أن يعبد إلا الله، فلا يطمئن قلبه، ويحصل لذته، وفرحه، وسروره إلا بأن يكون الله هو معبوده دون ما سواه، وكل معبود دون الله يوجبُ الفساد، لا يَحْصُل به صلاح القلب، وكماله، وسعادته المقتضية لسروره، ولذته، وفرحه، وإذا لم يحصل هذا لا يبقى طالبًا لما يلتذ به، فيقع في المحرمات من الصُّوَر والشرب، وأخذ المال، وغير ذلك؛ ولهذا لَمَّا كانت امرأة العزيز مشركة طالبةً للفاحشةِ، ويوسف شاب غريبٌ، فالداعي المطيع معه أقوى، لكن معه من الإيمان ما يَصدُّه عن ذلك، وتلك هي وقومها كانوا مشركين»[١].

٣-قوله: «**وعلى كلمة الإخلاص**»: هي كلمة التوحيد التي من أجلها خلق الله الخلق، ومن أجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، ومن أجلها انقسم الناس إلى فريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلمة الإخلاص: قول: لا إله إلا الله»[٢]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ، وَهِيَ الْبَرَاءَةُ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ إلَّا مِنْ الْخَالِقِ الَّذِي فَطَرَنَا... وَنَبِيُّنَا ﷺ هُوَ الَّذِي أَقَامَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ الْخَالِصَ لِلَّهِ: دِينَ التَّوْحِيدِ، وَقَمَعَ بِهِ الْمُشْرِكِينَ، مَنْ كَانَ مُشْرِكًا فِي الْأَصْلِ، وَمِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكُتُبِ»[٣].

٤-قوله: «**وعلى دين نبينا محمد**»: أي: دين الإسلام الذي لا يقبل الله من الناس غيره؛ لقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[٤]؛ لأنه تضمن إثبات التوحيد لله، ونفي الشريك،

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية، ٥/ ٢٥٣.
(٢) جامع الأصول، ٤/ ٢٥٣.
(٣) مجموع الفتاوى، ١٠/ ٥٢.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

والند، والصاحب عنه ﷻ، قال الملا علي القاري رحمه الله: «وهو أخص مما قبله؛ لأن ملل الأنبياء كلهم تُسمَّى إسلاماً على الأشهر، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾(١)؛ ولقول إبراهيم عليه السلام: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٢)؛ ولوصية يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(٣)، قال التوربشتي: كذا في الحديث، وهو غير ممتنع، ولعله قال ذلك جهراً ليسمعه غيره، فيتعلم أقول [القائل المُلاَّ علي القاري]: لا وجه لقوله (لعل)؛ فإن الرواية متفرعة على السماع، وهو لا يتحقق إلا بالجهر»(٤).

٥-قوله: «**وعلى ملة أبينا إبراهيم**»: وهي الحنيفية السمحة، قال القاري رحمه الله: «وعلى ملة أبينا إبراهيم، وهو أبو العرب؛ فإنهم من نسل إسماعيل، ففيه تغليب، أو الأنبياء بمنزلة الآباء؛ ولذا قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾(٥)، وفي قراءة شاذة: وهو أب لهم»(٦).

٦-قوله: «**حنيفًا**»: الحنيف هو الميل من الشرك إلى التوحيد؛ لأن أصل الحنف هو الميل، ومنه قولهم رجل أحنف أي: مائل القدمين بعضهما إلى بعض﴾، قال ابن الأثير رحمه الله: «حنفاء: أَيْ: طاهِري الأعْضاء مِنَ الْمَعَاصِي، لاَ أَنَّه خَلَقهم كُلَّهم مُسْلِمين، لِقَوْلِهِ تَعالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾(٧)، وَقِيلَ أَرَادَ أَنَّهُ خلقهم حُنَفَاء مُؤْمِنِينَ لَمَّا أَخَذ عَلَيْهِمُ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٢٩٢.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٦.
(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٢٩٢.
(٧) سورة التغابن، الآية: ٢.

الْمِيثَاقَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى﴾[(١)]، فَلَا يُوجَدُ أحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُقِرٌّ بِأَنَّ لَهُ رَبًّا وإِنْ أَشْرك بِهِ، واخْتَلَفوا فِيهِ. والحُنَفَاء جَمْعُ حَنِيف: وَهُوَ المَائِل إِلَى الإِسْلام، الثَّابت عَلَيْهِ، والحَنِيف عِنْدَ الْعَرَبِ: مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ ﵇، وأَصْل الحَنَفُ المَيْلُ»[(٢)]، وقال ابن عبد البر ﵀: «حنفاء: أَيْ سَالِمِينَ مِنْ آفَاتِ الْجَحْدِ وَالْإِنْكَارِ وَالْكُفْرِ، قَالُوا: فَلَا وَجْهَ لِإِنْكَارِ مَنْ أَنْكَرَ رِوَايَةَ مَنْ رَوَى: حُنَفَاءَ مُسْلِمِينَ، قَالَ أَبُو عُمَرَ ابن عبد البر: يَعْنِي - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مُوَحِّدِينَ، لَا عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ فِي شَرِيعَتِهِ، بَلْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ فِي نَفْيِ الشِّرْكِ، وَدَفْعِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَكُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُمْ بِالْإِسْلَامِ دِينِ إِبْرَاهِيمَ، وَشَرَعَ لَهُ مِنْهَاجًا ارْتَضَاهُ، لَيْسَ لَهُ مِنْهُ شَيْءٌ يَنْفِي دِينَ إِبْرَاهِيمَ وَالْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ حُنَفَاءُ عَلَى الِاتِّسَاعِ،... فَهَذَا قَدْ وَصَفَ الْحَنِيفِيَّةَ بِالْإِسْلَامِ بِإِسْنَادٍ، قَدْ قِيلَ: الْحَنِيفُ مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ سُمِّيَ مَنْ كَانَ يَخْتَتِنُ، وَيَحُجُّ الْبَيْتَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ حَنِيفًا، وَالْحَنِيفُ الْيَوْمَ: الْمُسْلِمُ، وَيُقَالُ: إِنَّمَا سُمِّيَ إِبْرَاهِيمُ حَنِيفًا؛ لِأَنَّهُ كَانَ حَنَفَ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ أَبُوهُ وَأُمُّهُ مِنَ الْآلِهَةِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، أَيْ: عَدَلَ عَنْ ذَلِكَ وَمَالَ، وَأَصْلُ الْحَنَفِ: مَيْلٌ مِنْ إِبْهَامَيِ الْقَدَمَيْنِ كُلُّ وَاحِدَةٍ عَلَى صَاحِبَتِهَا»[(٣)].

٧-قوله: «مسلماً»: قال الراغب الأصفهاني ﵀: «والمسلم المطيع والمستسلم للحق، وهذا من الأسماء التي يتخصص بها كل ذي حق، ولهذا قال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[(٤)]، واليهود منسوب إلى يهودا، والنصارى إلى ناصرة، وهما نسبتان حصلتا بعد إبراهيم، فكذبوا في نسبته إليهما، ثم المسلمون

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤٥١، مادة (حنف).

(٣) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٨/ ٣٨٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

موافقون لإبراهيم في كثير من الأحكام: كحج البيت، والختان، والمضمضة وغير ذلك، وهم يخالفونه في أكثر ذلك»[١].

٨-قوله: «**وما كان من المشركين**» أي: إن إبراهيم عليه السلام قد حقق التوحيد المتضمن لنفي الشرك ، قال العلامة السعدي رحمه الله أي: أن: «الله تعالى برأ خليله من اليهود، والنصارى، والمشركين، وجعله حنيفاً مسلماً»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-من توفيق الله لعبده أن يفتتح المسلم يومه بإعلان التوحيد المتضمن لأقسامه الثلاثة، وهي:

الأول: توحيد الربوبية: وذلك بالاعتقاد الجازم، واليقين الراسخ أن الله وحده هو الرب المنفرد بالخلق، والرزق، والملك، والتدبير، والإحياء، والإماتة، وغير ذلك من لوازم الربوبية.

الثاني: توحيد الإلهية: والذي يسمى بتوحيد العبادة الذي هو إفراد الله بجميع أنواع العبادات: من نيات القلوب، وأقوال الألسن، وأعمال الجوارح: فعلًا، وتركًا، رغبة في ثوابه، وخوفًا من عقابه.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات: وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، وكذلك ما صح عن نبيه ﷺ من جميع الأسماء والصفات على الوجه اللائق به عز وجل من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، ولا نفي لهذه الصفات[٣].

٢-خلق الله الناس جميعًا على الفطرة السوية، ولكن الشياطين أفسدت الكثير من هذه الفطر؛ قال الرسول ﷺ في الحديث القدسي: «**إني خلقت عبادي حنفاء**

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ومقدمته، ٢/ ٦١٨.

(٢) تفسير السعدي، ص ١٣٤.

(٣) انظر «المفيد على كتاب التوحيد» للشيخ/ محمد بن عبد الوهاب. وما قاله الشيخ عبد الله القصير، ص ١٣، ١٥.

كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم» الحديث(١).

٣-اقتداء الرسول ﷺ بالأنبياء من قبله امتثالًا لأمر الله ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾(٢)، وإنما خص إبراهيم عليه السلام بذلك؛ لأن الله أثنى عليه ثناء جليًّا بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٣)، فجمع الله تعالى لإبراهيم في هذه الآية من الصفات ما جعله إمامًا في التوحيد؛ ولأنه كان في زمان ومكان لا يستقيم على التوحيد فيهما غيره، وثناء الله على عبد من عباده حثٌّ على الاقتداء به.

٤- من الأمور التي تعين العبد على تحقيق التوحيد الأمور الآتية:

أ-العلم به، وهو: معرفة حقيقته، وكيفية تحقيقه «أي التوحيد الخالص»، قال الله ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾(٤).

ب-اعتقاده؛ لأن العلم به لا يغني عن اعتقاده، ويدخل في ذلك أعمال القلوب: كالمحبة، والخشية، والإنابة، والرغبة، والرهبة، وتجريد ذلك لله.

ج- الانقياد لهذا التوحيد، وعدم التكبر عليه؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾(٥).

***

٩١-(١٧) «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ» (مائة مرَّةٍ)(٦).

---

(١) مسلم، برقم ٢٨٦٥.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٠.
(٤) سورة محمد، الآية: ١٩.
(٥) سورة الصافات، الآية: ٣٥.
(٦) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم ٢٦٩٢، والترمذي، =

الشـــرح

أولاً: لفظ الحديث:

٣١٢-لفظ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[١]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ**» هذا لفظ مسلم وغيره[٢].

٣١٣-ولفظ الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، وَإِذَا أَمْسَى كَذَلِكَ، لَمْ يُوَافِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ بِمِثْلِ مَا وَافَى**»[٣].

٣١٤-ولفظ أبي داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، وَإِذَا أَمْسَى كَذَلِكَ، لَمْ يُوَافِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ بِمِثْلِ مَا وَافَى**»[٤].

٣١٥-ولفظ ابن حبان: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، وَإِذَا أَمْسَى مِائَةَ مَرَّةٍ، غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ**»[٥].

٣١٦-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ**

= الدعوات، باب حدثنا محمد بن عبد الملك، برقم ٣٤٦٩، وأبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٩١، وابن حبان، ٣/ ١٤١، برقم ٨٥٩، وصححه محقق المسند، والألباني في التعليقات الحسان، ٣/ ٧٤٦، برقم ٨٥٦، ورقم ٨٢٦، ٣/ ٦٨٦.

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، برقم ٢٦٩٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٦٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أبو داود، برقم ٥٠٩١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) ابن حبان، برقم ٨٥٩، وصححه الألباني في التعليقات الحسان، برقم ٨٥٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»(١).

٣١٧-ولفظ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**سبحان الله**»: أي: أنزه ربي، وخالقي عن كل عيب، ونقص، فهو له الأسماء الحسنى، والصفات العُلا، ومن لوازم ذلك نفي الشريك، والصاحبة، والولد، وجميع الرذائل، ويطلق التسبيح، ويراد به جميع ألفاظ الذكر، ويطلق ويراد به النافلة، وأما صلاة التسابيح، فسميت بذلك لكثرة التسبيح فيها، وقال ابن الأثير رحمه الله: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً...، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله»(٣).

٢-قوله: «**وبحمده**»: أي: بتوفيقك، وإعانتك يا ربي سبحتك، والله عز وجل هو الحميد في ذاته، وأفعاله، وأسمائه، وصفاته، وهو الذي افتتح الخلق بالحمد بقوله: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾(٤)، وهو الذي ختم أمر العالم بالحمد بقوله: ﴿**وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(٥)، نَزَّه الله

---

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، برقم ٦٤٠٥، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم ٢٦٩١.

(٢) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم ٢٨- (٢٦٩١).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٧٥.

«عما يصفه به الواصفون، وسَلَّمَ على المرسلين لسلامة ما وصفوه به من كل نقص وعيب، وحمد نفسه؛ إذ هو الموصوف بصفات الكمال التي يستحق لأجلها الحمد، ومنزه عن كل نقص ينافي كمال حمده»[١].

والحمد هو الثناء، والثناء ناشئ عن التوفيق للخير، والإنعام على المثني، فنزل الناشئ عن السبب منزلة السبب، فقال: ونحن نسبح بحمدك، أي بتوفيقك، وإنعامك، والحمد مصدر مضاف إلى المفعول نحو قوله: من دعاء الخير، أي بحمدنا إياك[٢].

٣-قوله: «**مائة مرة**»: أي: من نوى المائة قالها؛ فيكون بذلك ذكرًا مقيدًا، والحكمة في تحديد المائة يعلمها الله تعالى وحده، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذكر هذا العدد من المائة، وهذا الحصر لهذه الأذكار لا دليلَ على أنها غايةٌ، وحدٌّ لهذه الأجور»[٣].

٤-قوله: «**لم يأتِ أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به**»: قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال القاري: أي فيهما، بأن يَأْتِيَ بِبَعْضِهَا فِي هَذَا، أَوْ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَهُوَ الْأَظْهَرُ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ، أَيِ الْقَائِلُ بِهِ، وَهُوَ قَوْلُ الْمِائَةِ الْمَذْكُورَةِ، ...قَالَ الطِّيبِيُّ أَنْ يَكُونَ مَا جَاءَ بِهِ أَفْضَلَ مِنْ كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ غَيْرُهُ... »[٤].

٥-قوله: «**إلا أحد قال مثل ما قال**»: قال المباركفوري: «إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ، وَأُجِيبَ أَنَّ الِاعْتِرَاضَ الْمَشْهُورَ بِأَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ مُنْقَطِعٌ، أَوْ كَلِمَةَ أَوْ بِمَعْنَى الْوَاوِ ، إِلَّا مِمَّا جَاءَ بِهِ مَنْ قَالَ مِثْلَهُ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ، قِيلَ: الِاسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعٌ،

---

(١) جلاء الأفهام لابن القيم، ص: ١٧٠.
(٢) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، ١/ ١١٨.
(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٨/ ١٩١.
(٤) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، ٩/ ٣٠٨.

وَالتَّقْدِيرُ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَهُ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِمُسَاوَاتِهِ، فَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِلًا إِلَّا عَلَى تَأْوِيلِ نَحْوِ قَوْلِهِ وَبَلْدَةٌ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ، وَقِيلَ بِتَقْدِيرِ: لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ، أَوْ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ... إِلَخْ، وَالِاسْتِثْنَاءُ مُتَّصِلٌ، كَذَا فِي الْمِرْقَاةِ»[1].

٦-قوله: «**أو زاد عليه**»: أي: من نوى الزيادة على المائة، فهو أفضل ممن اقتصر على المائة، ويكون بذلك ذكرًا مطلقًا، وعلى هذا فإن الزيادة لا تضر، بل الذي يضر هو النقصان. قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: وليس هذا من الحدود التي نُهي عن اعتدائها، ومجاوزة أعدادها، وأن الزيادة لا فضل فيها، أو تبطلها، كالزيادة في عدد الطهارة، وعدد ركعات الصلاة، ويحتمل أن يكون المراد الزيادة من أعمال الخير، لا من نفس التهليل، ويحتمل أن يكون المراد مطلق الزيادة؛ سواء كانت من التهليل، أو من غيره، وهذا الاحتمال أظهر، والله أعلم[2].

٧-«**غُفِرَتْ ذنوبه**»: أي: سُتِرت بمحوها، مع التجاوز عن المؤاخذة ومناقشة الحساب، قال ابن منظور: «الغَفُورُ الغَفّارُ:... السَّاتِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ... وأَصل الغَفْرِ: التَّغْطِيَةُ، وَالسَّتْرُ، غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ: أَي: سَتَرَهَا... وَقَدْ غَفَرَه يَغْفِرُه غَفراً: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْته؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا... والغَفْرُ، والمَغْفِرَةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ، والعفوُ عَنْهَا»[3].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الحث على تسبيح الله وحمده بالغدو والآصال، وذلك الأمر يجعل

---

(١) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، ٩/ ٣٠٨.
(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٢٠.
(٣) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح ألفاظ حديث المتن رقم ٤٩، المفردة رقم ١.

صاحبه معلقاً قلبه بمن يعلم السر وأخفى.

٢-السنة عقد هذه التسبيحات بيده اليمنى على أنامل أصابعه؛ اقتداءً بالرسول الكريم ﷺ؛ قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسبيح بيمينه»[١].

٣-إثبات محبة الله للحمد، والثناء عليه ﷻ؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «**أما إن ربك يحب الحمد**»[٢]، وذلك لمَّا قال الأسود بن سريع رضي الله عنه للرسول ﷺ: «إني مدحت ربي بمحامد».

٤- قال ابن القيم رحمه الله[٣]: وحمد الله على قسمين:

أ- حمد الأسماء والصفات، وهذا متضمن للثناء عليه بكماله، القائم بذاته، وعلى ما له من الأسماء الحسنى، والصفات العُلا.

ب- حمد النعم، والآلاء: وهذا مشهود للخليقة: برّها، وفاجرها، مؤمنها، وكافرها، وذلك ظاهر بإجابة دعوة المضطرين، وإغاثة الملهوفين، وابتداؤه بالنعم قبل السؤال، ومن غير استحقاق، ودفع المحن والبلايا بعد انعقاد أسبابها، وصرفها بعد وقوعها.

٥- قال النووي رحمه الله: وظاهر إطلاق الحديث أنه يحصل هذا الأجر لمن قال هذا في يومه؛ سواء قاله متواليًا، أو متفرقًا في مجلس واحد، أو في مجالس، ولكن الأفضل أن يأتي به متواليًا أول النهار؛ ليكون حرزًا له في جميع نهاره[٤].

***

(١) سنن أبي داود، كتاب الوتر، باب التسبيح بالحصى، برقم ١٥٠٢، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٥٠١.
(٢) الأدب المفرد، ص ١٢٥، برقم ٣٤٢، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٦٦٤.
(٣)انظر: طريق الهجرتين، ص ٢٤٢.
(٤)انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ، ١٧/ ٢٠.

٩٢-(١٨)«لاَ إِلَـهَ إلاَّ اللَّهُ وَحْـدَهُ لاَ شَـرِيكَ لَـهُ، لَـهُ الْمُلْـكُ وَلَـهُ الْحَمْـدُ، وَهُـوَ عَلَـى كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ» (عشـرَ مـرَّات)[١]، أَوْ (مـرَّةً واحدةً)[٢] عندَ الكَسَلِ.

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣١٨-لفظ النسائي في السنن الكبرى عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ﷺ[٣]، قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْراً كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»**[٤].

٣١٩-وفي لفظ آخر للنسائي في السنن الكبرى عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ فِي أَرْضِ الرُّومِ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«مَنْ قَالَ غُدْوَةً: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَتَبَ اللهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَكُنَّ لَهُ بِقَدْرِ عَشْرِ رِقَابٍ، وَأَجَارَهُ اللهُ مِنَ**

---

(١) النسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٢٤، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٢٧٢.

(٢) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٧٧، : وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٢٧٠، وفي صحيح أبي داود، ٣/ ٩٥٧، وفي صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٣١.

(٣) أبو أيوب الأنصاري ﷺ: هو خالد بن زيد الخزرجي، البدري، خصّه الرسول ﷺ بالنزول عليه في بني النجار إلى أن بنيت له حجرة أم المؤمنين سودة بنت زمعة ﷺ، وقد آخى الرسول ﷺ بينه وبين مصعب بن عمير ﷺ، وشهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ، له مائة وخمسة وخمسون حديثًا، اتفق البخاري ومسلم على سبعة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بخمسة، مات ﷺ سنة خمسين من الهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء، ترجمة رقم (١٨٠).

(٤) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من قال ذلك عشر مرات، برقم ٩٨٥٢، والطبراني في المعجم الكبير، ٤/ ١٨٧، برقم ٤٠٩٣، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٦٦٠: «حسن صحيح».

الشَّيْطَانِ، وَمَنْ قَالَهَا عَشِيَّةً كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ»[١].

٣٢٠-وفي رواية للإمام أحمد في المسند عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٢]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مَنْ قَالَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ حِينَ يُصْبِحُ، كُتِبَ لَهُ بِهَا مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَ عَنْهُ بِهَا مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ عَدْلَ رَقَبَةٍ، وَحُفِظَ بِهَا يَوْمَئِذٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي، كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ»[٣].

٣٢١-وفي الصحيحين، واللفظ لمسلم عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ، يُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مِرَارٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»[٤].

٣٢٢-ورواية أبي داود عَنْ أَبِي عَيَّاشٍ ﷺ[٥]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَ لَهُ عِدْلَ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَكُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ فِي حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى

---

(١) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من قال ذلك دبر صلاة الغداة: لا إله إلا الله، برقم ٩٨٤٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، برقم ٦٤٣٧.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسند أحمد، ١٤/ ٣٣٦، برقم ٨٧١٩، وصحح إسناده محققو المسند، وحسن إسناده أيضاً الإمام ابن باز رحمه الله في تحفة الأخيار، ص٤٤.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم ٢٦٩٣، واللفظ له، والبخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التهليل، برقم ٦٤٠٤.

٣(٥) أبو عياش الزرقي، اختلف في اسمه فقيل اسمه زيد بن الصامت وقيل عبيد بن زيد بن الصامت، ، وقيل غير ذلك، له صحبة معروفة، ومشاهده كمشاهد رسول الله ﷺ عُمّر بعد النبي ﷺ، روى عنه مجاهد، وأبو صالح السمان، وعاش إلى زمن معاوية، ومات بعد الأربعين، وقيل بعد الخمسين. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ٤/ ١٧٢٤، والإصابة، لابن حجر، ٧/ ٢٩٤.

يُمْسِيَ، وَإِنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَى كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ»[١].

قال في حديث حماد: فرأى رجلٌ رسول الله ﷺ فيما يرى النائم، فقال يا رسول الله إن أبا عياش يحدث عنك بكذا وكذا، قال رسول الله ﷺ: «**صدق أبو عياش**»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**لا إله إلا الله**»: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله لله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لابد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات؛ ...، حتى يعبد بمقتضى هذه الصفات؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾[٣]، أي: تعبّدوا له، وتوسّلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»[٤].

٢-قوله: «**وحده لا شريك له**»، قال المناوي: «لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً»[٥].

٣-قَوْلُهُ: «**لَهُ الْمُلْكُ**»: تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدِ، لِأَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْجِنْسِ، فَجُعِلَ جِنْسُ الْمُلْكِ، وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ»[٦].

٤-قوله: «**وله الحمد**»: أي: الحمد المطلق، فهو محمود في السراء حمد شكر، وفي الضراء حمد تفويض، وكان النبي ﷺ إذا أتاه ما يسره قال:

---

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٧٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) هذه تتمة رواية أبي داود عن أبي عياش، وصحح الألباني الرواية كلها، وليس فقط هذه الزيادة، في صحيح سنن أبي داود، برقم ٥٠٧٧.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.
(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٢.
(٥) فيض القدير، ٥/ ٢٠٠.
(٦) المنتقى، شرح الموطأ للباجي، ٣ / ٧٧.

«**الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات**»(١)، وإذا أتاه ما لا يسره قال: «**الحمد لله على كل حال**»(٢).

٥-قوله: «**وهو على كل شيء قدير**»: قال ابن جرير: «وهو على كل شيء ذو قدرة، لا يتعذّر عليه شيء أراده»(٣)، وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «يسوق الأقدار إلى مواقيتها، ويجريها على نظامها، ويقدم ما يشاء تقديمه، ويؤخر ما يشاء تأخيره، فأزمّة الأمور كلها بيده»(٤).

٦-قوله: «**عدل رقبة**»: أي: كأنه أعتق رقبة في الفضل، وليس في الإجزاء، العدل: المثل، والمُعادل، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «العِدْل والعَدْل بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ، وَهُمَا بِمَعْنَى المِثْل، وَقِيلَ: هُوَ بِالْفَتْحِ مَا عَادَلَه مِنْ جِنْسِه، وَبِالْكَسْرِ مَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِه. وَقِيلَ بِالْعَكْسِ»(٥)، وقال العظيم أبادي: أَيْ مِثْلُ عِتْقِهَا، وَهُوَ بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَكَسْرِهَا بِمَعْنَى الْمِثْلِ، وَقِيلَ بِالْفَتْحِ الْمِثْلُ مِنْ غَيْرِ الْجِنْسِ وَبِالْكَسْرِ مِنَ الْجِنْسِ وَقِيلَ بِالْعَكْسِ»(٦).

٧-قوله: «**حرز من الشيطان**»: أي: مانع من كيده، ومكره، ووسوسته، وذلك بحفظ الله له، قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: حِفْظٍ رَفِيعٍ، وَحِصْنٍ مَنِيعٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، أَيْ: مِنْ شَرِّ إِغْوَائِهِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ قَالَهَا إِذَا أَمْسَى كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ، أَيْ: مَا ذُكِرَ مِنَ الْجَزَاءِ حَتَّى يُصْبِحَ»(٧).

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، برقم ٣٨٠٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٦٥.
(٢) انظر: التخريج في الحاشية السابقة، فهما حديث واحد.
(٣) تفسير الطبري، ٢٣/ ١٦٥.
(٤) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ٣/ ٣٤٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات المتن رقم ٢.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ١٩١، مادة (عدل).
(٦) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ١٣/ ٢٨٤.
(٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ١٦٦٢.

٨-قوله: «**من ولد إسماعيل**»؛ لأنهم أشرف من غيرهم من العرب، ومن باب أولى أشرف من العجم، قال ابن الملقن رحمه الله: «ووجه كونها منهم أن عتق من كان من ولده له فضل على عتق غيره، وذلك أن محمدًا وإسماعيل وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم بعضهم من بعض»[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

تقدمت الفوائد لهذا الحديث في شرح الحديث رقم (٦٧) من المتن من هذا الكتاب.

***

٩٣-(١٩)«لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (مائةَ مرَّةٍ إذا أصبحَ، وإذا أمسى)[٢].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٢٣-لفظ البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[٣]: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ**»[٤].

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٩/ ٣٦٣.

(٢) البخاري،كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٩٣، وكتاب الدعوات، باب فضل التهليل، برقم ٦٤٠٣، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم ٢٦٩١.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٤) البخاري، برقم ٣٢٩٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٣٢٤-ولفظ النسائي في السنن الكبرى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما[(١)]: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، مِائَةَ مَرَّةٍ إِذَا أَصْبَحَ، وَمِائَةً إِذَا أَمْسَى، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِنْهُ إِلاَّ مَنْ قَالَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ»[(٢)].

٣٢٥-ولفظ آخر عند النسائي في السنن الكبرى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مِائَتَيْ مَرَّةٍ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ، وَلاَ يُدْرِكُهُ أَحَدٌ كَانَ بَعْدَهُ إِلاَّ مَنْ عَمِلَ أَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ»[(٣)].

٣٢٦-ولفظ النسائي في الكبرى أيضاً عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مِائَتَيْ مَرَّةٍ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ، وَلاَ يُدْرِكُهُ أَحَدٌ كَانَ بَعْدَهُ إِلاَّ مَنْ عَمِلَ أَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ»[(٤)].

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٢) النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، فضل من قال ذلك مائة مرة إذا أصبح، ومائة مرة إذا أمسى ، برقم ١٠٤١٠، وهو في عمل اليوم والليلة للنسائي المطبوع مفرداً، برقم ٥٧٥، وأشار الألباني إلى ثبوته في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٢٧٦٢.

(٣) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، فضل من قال ذلك مائة مرة إذا أصبح ومائة مرة إذا أمسى، برقم ١٠٤١١، وهو في عمل اليوم والليلة للنسائي المطبوع مفرداً، برقم ٥٧٦، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٢٧٦٢.

(٤) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، فضل من قال ذلك مائة مرة إذا أصبح ومائة مرة إذا أمسى ، برقم ١٠٤١٢، وهو في عمل اليوم والليلة للنسائي المطبوع منفرداً، برقم ٥٧٧، وحسنه الألباني في في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦/ ٦٢٠، برقم ٢٧٦٢، وقال الألباني عن الأحاديث الثلاثة المذكورة آنفاً: «أخرجه النسائي في اليوم و الليلة، ٥٧٦، و٥٧٧، وكذا ابن السني، برقم ٧٣، وابن الأعرابي في المعجم، (ق ٢١٦ / ١)، والحاكم، ١/ ٥٠٠، وقال: «مائة» وأحمد، ٢/ ١٨٥، و٢١٤، والخطيب في التاريخ، ٣/ ٢٥ من طرق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: فذكره قلت [القائل الألباني]: وهذا إسناد حسن للخلاف المعروف في =

٣٢٧-وعند النسائي في السنن الكبرى أيضاً عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما[(١)] قال: قال ﷺ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مِائَةِ بَدَنَةٍ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مِائَةِ فَرَسٍ يُحْمَلُ عَلَيْهَا، وَمَنْ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عِتْقِ مِائَةِ رَقَبَةٍ، وَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، لَمْ يَجِئْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدٌ بِعَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ إِلاَّ مَنْ قَالَ قَوْلَهُ أَوْ زَادَ**»[(٢)].

٣٢٨-وعند الإمام أحمد عَنْ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما[(٣)]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مِئَتَيْ مَرَّةٍ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ، وَلَمْ يُدْرِكْهُ أَحَدٌ كَانَ بَعْدَهُ، إِلاَّ بِأَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ**» يَعْنِي: إِلاَّ مَنْ عَمِلَ بِأَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ[(٤)].

=

عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، ولذا قال في الفتح، ١١/ ٢٠٢: إسناده صحيح إلى عمرو، وقال الهيثمي في المجمع، ١٠/ ٨٦ : رواه أحمد، والطبراني إلا أنه قال: «كل يوم»، ورجال أحمد ثقات، وفي رجال الطبراني من لم أعرفه، قلت [القائل الألباني]: وليس المراد من الحديث أن يقول المائتي مرة في وقت واحد، كما تبادر لبعض المعاصرين ممن ألف في سنية السبحة، وإنما تقسيمهما على الصباح والمساء، فقد جاء ذلك صريحاً في رواية شعبة، عن عمرو بن شعيب به، ولفظه: «من قال ... مائة مرة إذا أصبح، ومائة مرة إذا أمسى ...» أخرجه النسائي، برقم ٥٧٥، وابن دوست العلاف في الأمالي، (ق ١٢٤/ ٢)، والحكم هو ابن عتيبة الكندي مولاهم، ثقة محتج به في الصحيحين، ومثله شعبة، وهو ابن الحجاج الإمام».

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨١ من أحاديث الشرح.

(٢) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، من أوى إلى فراشه فلم يذكر الله تعالى، برقم ١٠٦٥٧، والطبراني في مسند الشاميين، ١/ ٢٩٦، برقم ٥١٦، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٦٥٨.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٤) أخرجه الإمام أحمد، ١١/ ٥٨٢، برقم ٧٠٠٥، والطبراني في الدعاء، ص ١٢٦، ومعجم ابن الأعرابي، ٣/ ١٠١٤، ٢١٦٧، برقم ٣٣٤، وحسّن إسناده محققو المسند، ١١/ ٥٨٣، وحسنه

=

٣٢٩-ولفظ محمد بن فضيل الضبي: «من قال مائة مرة عند طلوع الشمس: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ومثله قبل غروبها، لم يسبقه أحد كان قبله، ولم يلحقه أحد كان بعده، وكان أفضل أهل زمانه عملاً، إلا من جاء بمثل ما جاء به، أو أفضل»[1].

ثانياً: شرح مفردات الحديث[2]:

١-قوله: «**لا إله إلا الله**» أي: لا معبود بحق إلا الله، وفيها نفي لجميع المعبودات، وهي لا إله، ثم إثبات العبادة لله وحده، من قوله إلا الله.

٢-قوله: «**وحده لا شريك له**»، قال المناوي: «لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً، ... وهو تأكيد لقوله: «وحده»؛ لأن المتصف بالوحدانية لا شريك له»[3].

٣-قَوْلُهُ: «**لَهُ الْمُلْكُ**»: تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدِ، لِأَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْجِنْسِ، فَجُعِلَ جِنْسُ الْمُلْكِ، وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ»[4].

٤-قوله: «**وله الحمد**»: أي: الحمد المطلق، فهو محمود في السراء حمد شكر، وفي الضراء حمد تفويض قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»[5].

=

الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٥٩١، وبنحوه النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، فضل من قال ذلك مائة مرة إذا أصبح ومائة مرة إذا أمسى، برقم ١٠٤١٢.

(١) أخرجه محمد بن فضيل الضبي في الدعاء، ص ٣٦١.

(٢) تقدمت معانٍ كثير من مفردات الحديث في شرح مفردات حديث المتن رقم ٦٧، ٦٨، ٦٩.

(٣) فيض القدير، ٥/ ٢٠٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن ٦٧.

(٤) المنتقى، شرح الموطأ للباجي، ٣ / ٧٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن ٦٧.

(٥) بدائع الفوائد، ٢/٥٣٧، وتقدمت في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن ٢.

٥-قوله: «وهو على كل شيء قدير»: قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو على إحيائكم بعد مماتكم، وعقابكم على إشراككم به الأوثانَ وغير ذلك مما أراد بكم، وبغيركم قادرٌ»[١]، وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «... فأزمّة الأمور كلها بيده، ومدار تدبير الممالك كلها عليه، وهذا مقصود الدعوة، وزبدة الرسالة»[٢].

٦-قوله: «عدل»: قال الفراء: العَدل -بفتح العين - هو ما عدل الشيء من غير جنسه، وبالكسر هو المثل، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «العِدْل، والعَدْل بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ فِي الْحَدِيثِ، وَهُمَا بِمَعْنَى المِثْل، وَقِيلَ: هُوَ بِالْفَتْحِ مَا عَادَلَه مِنْ جِنْسِه، وَبِالْكَسْرِ مَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِه، وَقِيلَ بِالْعَكْسِ»[٣]، وقال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ابن التين: وقرأناه بفتح العين، قال الأخفش: العدل -بالكسر- المثل، وبالفتح أصله، مصدر قولك: عدلت لهذا عدلاً حسنًا، تجعله اسمًا للمثل، فتفرق بينه وبين عدل المتاع»[٤].

٧-قوله: «عشر رقاب»: أي: كأنه أعتق عشر رقاب في سبيل الله، قال الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَعْنَاهُ أَنَّ ثَوَابَهَا يَعْدِلُ ثَوَابَ عِتْقِ عَشْرِ رِقَابٍ»[٥].

٨-قوله: «كتب له مائة حسنة»: أي: في صحيفة حسناته التي يلقى الله بها يوم القيامة، قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى كتب: «أُثْبِتَ أَجْرُهُ فِي صَحِيفَةِ عَمَلِهِ إِثْبَاتًا»[٦].

٩-قوله: «سبحان الله مائة مرة»: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً...، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله»[٧].

---

(١) تفسير الطبري، ١٥/ ٢٣٢.
(٢) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ٣/ ٣٤٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٢.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ١٩١، مادة (عدل).
(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٩/ ٣٦٢.
(٥) المنتقى شرح الموطأ، ١/ ٣٥٤.
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠.
(٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/ ٩٣٥.

١٠-قوله:«**أفضل من مائة بدنة**»: أي: أفضل وأكبر مزية عند الله من تقديم مائة بعير، قال الفيروزبادي رَحِمَهُ اللهُ في معنى الفضل: «الفضل: ضد النقص،... ورجل فضال كشداد ومنبر ومحراب ومعظم: كثير الفضل، والفضيلة: الدرجة الرفيعة في الفضل ... وفضّله تفضيلاً: مزّاه، والفضال ككتاب والتفاضل: التمازي، وفاضلني ففضلته: كنت أفضل منه، وتفضّل: تمزّى، أو تطوّل، كأفضل عليه، أو ادّعى الفضل على أقرانه، وأفضل عليه في الحسب و عنه: زاد، والفواضل: الأيادي الجسيمة أو الجميلة»[1]، وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ في معنى البدنة: «البدن السمن والاكتناز... أما البَدَنة فحيث أطلقت في كتب الحديث والفقه فالمراد بها البعير؛ ذكرًا كان أو أنثى، وشرطها أن تكون في سن الأضحية، وهي التي استكملت خمس سنين، ودخلت في السادسة... وأما أهل اللغة، فقال كثيرون منهم أو أكثرهم: تطلق على الناقة والبقرة»[2].

١١-قوله: «**الله أكبر**»: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ: إِثْبَاتُ عَظَمَتِهِ؛ فَإِنَّ الْكِبْرِيَاءَ تَتَضَمَّنُ الْعَظَمَةَ، وَلَكِنَّ الْكِبْرِيَاءَ أَكْمَلُ؛ وَلِهَذَا جَاءَتْ الْأَلْفَاظُ الْمَشْرُوعَةُ فِي الصَّلَاةِ وَالْأَذَانِ بِقَوْلِ: «اللَّهُ أَكْبَرُ»؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَكْمَلُ مِنْ قَوْلِ: اللَّهُ أَعْظَمُ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ**»[3]، فَجَعَلَ الْعَظَمَةَ كَالْإِزَارِ وَالْكِبْرِيَاءَ كَالرِّدَاءِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الرِّدَاءَ أَشْرَفُ فَلَمَّا كَانَ

---

(١) القاموس المحيط، ص ١٣٤٨، مادة (فضل).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ٢/ ٢٧٩.

(٣) أخرجه أبو داود، برقم ٤٠٩٠، وابن ماجه، برقم ٤١٧٤، وأحمد، ١٤/ ٤٧٣، برقم ٨٨٩٤، وابن حبان، ٤٨٦/١٢، برقم ٥٦٧١، وحسنه محققو المسند، ١٤/ ٤٧٣، وصححه لغيره الألباني في التعليقات الحسان، ٨/ ١٩٧، برقم ٥٦٤٢، وأخرجه مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ».

التَّكْبِيرُ أَبْلَغَ مِنْ التَّعْظِيمِ صَرَّحَ بِلَفْظِهِ وَتَضَمَّنَ ذَلِكَ التَّعْظِيمَ»[١].

١٢-قوله: «**فرس يحمل عليها**»: التي تركب في سبيل الله والركاب التي يحمل عليها في سبيل الله فترجع منافعها الى جماعة المسلمين»[٢].

١٣-قوله:«**ومن قال: لا إله إلا الله**»: أي: الذي يقول: لا إله إلا الله: يعني: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله لله فقد أقر بالربوبية»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الفضل العظيم الذي أعده الله لمن ذكره ذكرًا يدفعه إلى مراقبته وخشيته، قال ابن عبد البر رحمه الله: «في هذا الحديث دليل على أن الذكر أفضل الأعمال، ألا ترى أن هذا الكلام إذا قيل مائة مرة يعدل عشر رقاب، إلى ما ذكر فيه من الحسنات، ومحو السيئات، وهذا أمر كثير، فسبحان المتفضل المنعم، لا إله إلا هو العليم، الخبير»[٤].

٢-الذكر من أيسر العبادات، لكنه يترتب عليه الثواب الجزيل لمن قاله صادقًا مخلصًا لله فيه.

٣-اشتمال هذا الذكر رغم قلة ألفاظه على معاني التوحيد والبراءة من الشرك، والإقرار لله بالربوبية والإذعان له بألوهيته.

٤-تفيد رواية النسائي في السنن الكبرى، وأحمد في المسند أنه يشرع قول مائة مرة في الصباح، ومائة مرة في المساء: «**لا إله إلا الله وحده لا**

(١) مجموع الفتاوى، ١٠/ ٢٥٣، وانظر شرح المفردة رقم ٨ من مفردات حديث المتن رقم ٢.
(٢) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، للأزهري، ص ٢٥٧.
(٣) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين رحمه الله، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم مستوفى في شرح حديث المتن رقم ٦٧، المفردة رقم ١.
(٤) التمهيد، لابن عبد البر، ٢٢/ ١٩.

شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»[1]، وأن من قال ذلك لم يسبقه أحد كان قبله، ولم يدركه أحد كان بعده، وكان أفضل أهل زمانه عملاً، إلا من جاء بمثل ما جاء به، أو أفضل.

٥-يفيد حديث عبد الله بن عمرو في سنن النسائي الكبرى، والطبراني أنه يشرع قول هذه الأذكار:

أ-من قال: سبحان الله مائة مرة قبل طلوع الشمس، ومائة مرة قبل غروبها، كان أفضل له من مائة بدنة.

ب-ومن قال: الحمد لله مائة مرة قبل طلوع الشمس، ومائة مرة قبل غروبها، كان أفضل له من مائة فرس.

ج-ومن قال: الله أكبر مائة مرة قبل طلوع الشمس، ومائة مرة قبل غروبها، كان أفضل له من عتق مائة رقبة.

د-ومن قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير مائة مرة قبل طلوع الشمس، ومائة مرة قبل غروبها، لم يجئ يوم القيامة أحدٌ بعمل أفضل من عمله، إلا من قال قوله أو زاد، وفي لفظ محمد بن فضيل الضبي المذكور في ألفاظ الحديث المذكور آنفاً: «**وكان أهل أفضل زمانه عملاً، إلا من جاء بمثل ما جاء به أو أفضل**».

هـ- وثبت في حديث أبي هريرة في البخاري كما تقدم أن من قال هذا الذكر مائة مرة في اليوم، كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت حرزاً له من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي،

---

(١) النسائي في السنن الكبرى، برقم ١٠٤١٠، وأحمد، برقم ٧٠٠٥، وحسّن إسناده محققو المسند، وتقدم تخريجه في أحاديث الشرح، برقم ٣١١، و٣١٢.

ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل بأفضل من ذلك[(١)].

***

٩٤-(٢٠) «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ: عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» (ثلاث مرَّاتٍ إذا أصبحَ)[(٢)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٣٠-عَنْ جُوَيْرِيَةَ رضي الله عنها[(٣)]، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «**مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟**» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»[(٤)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**سبحان الله**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من

---

(١) البخاري، برقم ٣٢٩٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، كتاب الذكر والدعاءوالتوبة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، برقم ٢٧٢٦.

(٣) جويرية بنت الحارث رضي الله عنها: زوج النبي ﷺ أم المؤمنين سباها رسول الله ﷺ يوم المريسيع في غزوة بني المصطلق في الخامسة من الهجرة، وقد أعتق بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق؛ ولذا قالت عائشة رضي الله عنها: فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها أبو داود، كتاب العتق، باب في بيع المكاتب إذا فسخت المكاتبة، برقم ٣٩٣١، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم٣٩٣١، وكان اسمها «برَّة» فسماها النبي ﷺ جويرية مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تغييرالاسم القبيح إلى حسن، برقم ٢١٤٠، وكانت من أجمل النساء وقد تزوجها النبي ﷺ وهي ابنة عشرين سنة، وكان زوجها ابن عمها مسافع بن صفوان قبل أن يسلم، وقد أسلم أبوها كذلك، وكان سيدًا مطاعًا. وتوفيت سنة خمسين. انظر: سير أعلام النبلاء، ٢/ ٢٦١، برقم ٣٩.

(٤) مسلم، برقم ٢٧٢٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً...، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله»[(١)].

٢-قوله: «**وبحمده**»: قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبحمدك: سبحتك، ومعنى هذا: أي بفضلك، وهدايتك لذلك، التي توجب حمدك سبحتُك، واستعملتني لذلك، لا بحولي، وقوتي»[(٢)]، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نَزَّه الله «عما يصفه به الواصفون، وسَلَّمَ على المرسلين لسلامة ما وصفوه به من كل نقص وعيب، وحمد نفسه؛ إذ هو الموصوف بصفات الكمال التي يستحق لأجلها الحمد، ومنزه عن كل نقص ينافي كمال حمده»[(٣)].

٣-قوله: «**عدد خلقه**»: قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: سبحته تسبيحاً يساوي خلقه عند التعداد، وزنة عرشه، ومداد كلماته في المقدار، ويوجب رضا نفسه، أو يكون ما يرتضيه لنفسه، (عدد خلقه): منصوب على المصدر، أي: أعُدُّ تسبيحه، وتحميده بعدد خلقه»[(٤)].والمعنى: أن الله مستحق للتسبيح والحمد بعدد ما خلق في السموات، والأرض، وما بينهما، وليس المراد أن العبد يسبح ربه بهذا القدر؛ لأن فعل العبد محصور، ولا يقدر على ذلك[(٥)].

٤-قوله: «**ورضا نفسه**»: أي: حتى يرضى ربنا؛ لأن التسبيح والتحميد من الأمور التي يحبها الله ويرضاها، فله الحمد حتى يرضى وله الحمد بعد الرضا، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني أن رضاه عمن رضي عنه من النبيين والصالحين لا ينقطع ، ولا ينقضي ، وإنما ذكر النبي ﷺ هذه الأمور على جهة الإغياء، والكثرة التي لا تنحصر، منبِّهاً على أن الذاكر بهذه الكلمات ينبغي له أن يكون بحيث لو

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦، من مفردات حديث المتن رقم ٢.
(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٣٩٩.
(٣) جلاء الأفهام لابن القيم، ص: ١٧٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ٩١.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٢٢.
(٥) انظر فقه الأدعية والأذكار للشيخ/ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. القسم الثالث.

تمكن من تسبيح الله، وتحميده، وتعظيمه، عدداً لا يتناهى، ولا ينحصر لفعل ذلك ، فحصل له من الثواب ما لا يدخل في حساب»[(١)].

٥-قوله: «**وزنة عرشه**»: أي: لله الحمد والتسبيح بما يوازن العرش الذي هو أعظم المخلوقات[(٢)]، ويفهم من ذلك أن التضعيف الأول للعدد والكمية، والثاني للصفة والكيفية، والثالث للعظم والثقل وكبر المقدار[(٣)]، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يعلم ثقلها إلا الله تَعَالَىٰ؛ لأن العرش أكبر المخلوقات التي نعلمها، فإن النبي ﷺ يروى عنه أنه قال: «**إن السموات السبع والأرضين السبع في الكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة**» إذاً فهو مخلوق عظيم، لا يعلم قدره إلا الله عَزَّ وَجَلَّ»[(٤)].

٦-قوله: «**ومداد كلماته**»: المداد هو الحبر الذي يكتب به، وكلمات الله لا حصر لها، ولا نهاية[(٥)].

٧-قوله: «**بكرة**»: أي: أول النهار ومن ذلك قوله: ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ**﴾[(٦)]، وكان خروجه ﷺ لصلاة الصبح، قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البكرة التي هي أول النهار، فاشتق من لفظه لفظ الفعل، فقيل: بكّر فلان بكوراً: إذا خرج بكرة، والبكور: المبالغ في البكرة»[(٧)].

٨-قوله: «**وهي في مسجدها**»: أي موضع صلاتها في بيتها، قال الطيبي

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٥٣.
(٢) راجع الكلام عن العرش في تفسير آية الكرسي الحديث (٧١) من أحاديث المتن.
(٣) انظر فقه الأدعية والأذكار للشيخ/ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. القسم الثالث.
(٤) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم (١٤٣٤).
(٥) انظر: المنار المنيف لابن القيم، ص ٣٥.
(٦) سورة غافر، الآية: ٥٥.
(٧) مفردات ألفاظ القرآن، ١/ ١١٠.

رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: موضع سجودها للصلاة»[١].

٩-قوله: «**بعد أن أضحى**»: أي: بعد دخول وقت الضحى، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «بعد أن أضحى، أي: دخل في الضحى»[٢].

١٠-قوله: «**قلت بعدك**»: أي: بعد أن خرجت من عندك للصلاة، قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: بَعْدَ أَنْ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكِ»[٣].

١١-قوله: «**أربع كلمات**»: أي: من الذكر، قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «نَصْبُهُ عَلَى الْمَصْدَرِ أَيْ: تَكَلَّمْتُ بَعْدَ مُفَارَقَتِكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ»[٤].

١٢-قوله: «**لوزنتهن**»: أي: لساوتهن وقد يكون المعنى هو الرجحان كقول القائل حاجَجْته فحَجَجْتُه أي: غلبته بالحجة، قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: لَتَرَجَّحَتْ تِلْكَ الْكَلِمَاتُ عَلَى جَمِيعِ أَذْكَارِكِ، وَزَادَتْ عَلَيْهِنَّ فِي الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، يُقَالُ وَازَنَهُ فَوَزَنَهُ: إِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ، وَزَادَ فِي الْوَزْنِ، كَمَا يُقَالُ: حَاجَجْتُهُ فَحَجَجْتُهُ، أَوْ لَسَاوَتْهُنَّ، يُقَالُ: هَذَا يَزِنُ دِرْهَمًا، أَوْ يُسَاوِيهِ... أَيْ: سَاوَتْهُنَّ، أَوْ غَلَبَتْهُنَّ، وَالضَّمِيرُ رَاجِعٌ إِلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْمَعْنَى، لَا إِلَى لَفْظَةِ (مَا) فِي قَوْلِهِ (مَا قُلْتِ) وَفِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّهَا كَلِمَاتٌ كَثِيرَةُ الْمَعْنَى، لَوْ قُوبِلَتْ بِمَا قُلْتِ لَسَاوَتْهُنَّ»[٥].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-ما كانت عليه جويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكذا سائر أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن – من حسن التعبد لله تعالى، والإكثار من ذكره عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٢٢.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٢٢.
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ١٥٩٥.
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ١٥٩٥.
(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ١٥٩٥.

٢-الإرشاد النبوي الكريم بتعليم زوجته ما أتاه الله من جوامع الكلم.

٣-من الذكر ما هو قليل في كلماته، ولكنه عظيم المعنى، ويترتب عليه الفضل الكبير.

٤-اتخاذ المرأة مكانًا للصلاة في بيتها أمر مشروع، وذلك شامل للفرض والنفل، وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد؛ لقول النبي ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وبيوتهن خير لهن وليخرجن تفلات**[1]»[2] وهذا الخروج مشروط بأمن الفتنة وعدم التعطر وهو معنى تفلات، ولبس اللباس الشرعي، وكذا قوله: «**خير مساجد النساء قعر بيوتهن**»[3].

٥-أهمية معرفة العبد بمعاني هذه الكلمات، وأنه بحسب ما يقوم به العبد من تأمل، وتدبر لهذه المعاني يكون صلاح قلبه، واستقامة جوارحه على الطاعة.

٦-قال الإمام ابن القيم رحمه الله في بيان فوائد هذا الحديث: «فإن ما يقوم بقلب الذاكر حين يقول: «**سبحان الله وبحمده، عدد خلقه**» من معرفته، وتنزيهه، وتعظيمه، من هذا القدر المذكور من العدد، أعظم مما يقوم بقلب القائل: سبحان الله فقط، **وهذا يسمى الذكر المضاعف**، وهو أعظم ثناء من الذكر المفرد؛ فلهذا كان أفضل منه، وهذا إنما يظهر في معرفة هذا الذكر، وفهمه؛ فإن قول المسبح: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، يتضمّن إنشاءً، وإخباراً عما يستحقه الرب من التسبيح، عدد كل مخلوق كان، أو هو كائن إلى ما لا نهاية له، فتضمن الإخبار عن تنزيهه الرب، وتعظيمه، والثناء عليه هذا العدد العظيم الذي لا يبلغه العادُّون، ولا يُحصيه المُحصُون، وتضمن إنشاء العبد لتسبيح هذا شأنه، لا أن ما أتى به العبد من التسبيح هذا قدره، وعدده، بل أخبر أن ما يستحقة الرب سبحانه وتعالى من

(١) تفلات: أي تاركات للطيب، يقال: رجل تفل، وامرأة تفلة، ومتفال. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ١٩٠.

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما جاء في خروج النساء إلى المسجد، برقم ٥٦٥، وصححه الألباني في الإرواء، برقم ٥١٥.

(٣) مسند أحمد، ٤٤/ ١٦٤، برقم ٢٦٥٤٢، والمستدرك للحاكم، ١/ ٢٠٩، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٤١: «حسن لغيره».

التسبيح هو تسبيح يبلغ هذا العدد الذي لو كان في العدد ما يزيد لذكره؛ فإن تجدد المخلوقات لا ينتهي عدداً، ولا يحصى لِحاضر، وكذلك قوله: «**ورضا نفسه**» فهو يتضمّن أمرين عظيمين: **أحدهما**: أن يكون المراد تسبيحاً هو والعظمة والجلال سيان، **ولرضا نفسه**، كما أنه في الأول مخبر عن تسبيح مساوٍ لعدد خلقه، ولا ريب أن رضا نفس الرب لا نهاية له في العظمة، والوصف، والتسبيح ثناء عليه سبحانه، يتضمن التعظيم والتنزيه؛ فإذا كانت أوصاف كماله، ونعوت جلاله لا نهاية لها، ولا غاية، بل هي أعظم من ذلك، وأجلّ، كان الثناء عليه بها كذلك؛ إذ هو تابع لها إخباراً، وإنشاءً، وهذا المعنى ينتظم المعنى الأول من غير عكس، وإذا كان إحسانه سبحانه، وثوابه، وبركته، وخيره، لا منتهى له، وهو من موجبات رضاه، وثمرته، فكيف بصفة الرضا..

وفي الأثر: «**إذا باركت لم يكن لبركتي منتهى**»[1] فكيف بالصفة التي صدرت عنها البركة، والرضا يستلزم المحبة، والإحسان، والجود، والبر، والعفو، والصفح، والمغفرة، والخلق يستلزم: العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، وكل ذلك داخل في رضا نفسه، وصفة خلقه، وقوله: «**وزنة عرشه**» فيه إثباتٌ للعرش، وإضافته إلى الرب ﷻ، وأنه أثقل المخلوقات على الإطلاق، إذ لو كان شيء أثقل منه، لوُزِن به التسبيح، وهذا يَردّ على من يقول: إن العرش ليس بثقيل، ولا خفيف، وهذا لم يعرفِ العرش، ولا قدره حق قدره.

فالتضعيف الأول للعدد، والكمية، والثاني للصفة، والكيفية، والثالث للعظم، والثقل، وليس للمقدار.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في الزهد، ١/ ١٣١، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٤/ ٤١، وكرر ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله في: الداء والدواء، ص ٣٠، وفي الجواب الكافي، ص ٩، وقبله ابن الجوزي رحمه الله في ذم الهوى، ص ١٨٢.

٧-وقوله: «ومداد كلماته» هذا يعمّ الأقسام الثلاثة، ويشملها؛ فإن مداد كلماته ﷻ، لا نهاية لقدره، ولا لصفته، ولا لعدده، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾(١)، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢)، ومعنى هذا أنه لو فرض البحر مداداً، وبعده سبعة أبحر تمدُّه كلها مداداً، وجميع أشجار الأرض أقلاماً، وهو ما قام منها على ساق من النبات، والأشجار المثمرة وغير المثمرة، وتستمدّ بذلك المِداد، لفنيت البحار، والأقلام، وكلمات الرب لا تفنى، ولا تنفد، فسبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

فأين هذا من وصف من يصفه بأنه ما تكلم، ولا يتكلم، ولا يقوم به كلام أصلاً، وقول من وصف كلامه بأنه معنى واحد، لا ينقضي، ولا يتجزأ؟»(٣).

٨-معتقد أهل السنة والجماعة أن الله يتكلم بكلام حقيقي متى شاء، وكيف شاء، وبما شاء أي من: أمر، أو نهي، أو غير ذلك، وأن هذا الكلام بحرف، وصوت لا يماثل أصوات المخلوقين:

أما الدليل على أن الله يتكلم بحرف فقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾(٤) فهذه حروف.

وأما الدليل على أن الله يتكلم بصوت، فإن عيسى يسمع ما قاله الله، وأما الدليل على أن هذا الكلام لا يماثل أصوات المخلوقين، فقوله ﷻ: ﴿لَيْسَ

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.
(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٧.
(٣) المنار المنيف، للإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: ص ٣٥.
(٤) سور المائدة، الآية: ١١٦.

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١)،(٢).

وأما الدليل على أن الله قد تكلم، فقوله ﷻ: **﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾**(٣).

وأما الدليل على أن الله يتكلم متى شاء، فقول الرسول ﷺ: «**إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي**»(٤).

وأما الدليل على أن الله سيتكلم يوم القيامة، فقوله ﷻ: **﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾**(٥).

***

٩٥-(٢١)«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً، وَرِزْقاً طَيِّباً، وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً» (إذا أصبحَ)(٦).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢)انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، ١/ ٤١٩، ٤٢٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٤) كتاب التوحيد، لابن خزيمة، ص ٢١٦، برقم ٢٠٦، والطبري، ٢٠/ ٣٩٧، وهو عند البخاري معلقاً موقوفاً، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾، قبل الحديث رقم ٧٤٨١، وهو بلفظ: «عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَيْئًا» وهو عند أبي داود مرفوعاً، كتاب السنة، باب في القرآن، برقم ٤٧٣٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٤٣٦.

(٥) سورة القصص، الآية: ٦٥.

(٦) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٥٤، وأحمد، ٤٤/ ١٤٠، برقم ٢٦٥٢١، وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما يقال بعد التسليم، برقم ٩٢٥، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٧٥٣، وحسّن إسناده عبد القادر وشعيب الأرناؤوط في تحقيق زاد المعاد، ٢/٣٧٥، وتقدم برقم ٧٣، وضعفه محققو المسند، وقالوا في آخر تحقيقهم، لمسند أحمد، ٤٤/ ١٤٢: «وقد حسّنه لشاهده الحافظ، كما في نتائج الأفكار، ٢/٣١٣».

٣٣١-عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها[١]، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلاً مُتَقَبَّلاً**»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث وفوائده:

تقدمت المفردات والفوائد في شرح الحديث رقم (٧٣) من أحاديث المتن.

***

٩٦-(٢٢)«**أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**» (مِائَةَ مَرَّةٍ فِي الْيَوْمِ)[٣].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٣٢-لفظ البخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ[٤] رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»[٥].

٣٣٣-ولفظ ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[٦].

٣٣٤-ولفظ الطبراني عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنِّي**

---

(١) تقدمت ترجمتها في الحديث ٦٨ من أحاديث الشرح.

(٢) أحمد، برقم ٢٦٦٠٦، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٧٥٣، وتقدم تخريجه في تخريج متن الحديث.

(٣) البخاري، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، برقم ٦٣٠٧، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، برقم ٢٧٠٢، وانظر: سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب الاستغفار، برقم ٣٨١٥، وصححه الأرناؤوط محقق سنن ابن ماجه، ٤/ ٧١٩، والألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٣٨٠٥.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) البخاري، برقم ٦٣٠٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) سنن ابن ماجه، برقم ٣٨١٥، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٣٨٠٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ، مِائَةَ مَرَّةٍ»[١].

٣٣٥-ولفظ مسلم: عَنِ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ ﷺ[٢]، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ[٣] عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[٤].

٣٣٦-ولفظ لمسلم عَنْ أَبِي بُرْدَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: سَمِعْتُ الْأَغَرَّ[٥]، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، يُحَدِّثُ ابْنَ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[٦].

٣٣٧-وفي لفظ للطبراني عَنْ أَبِي بُرْدَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: جَلَسْتُ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى اللهِ وَاسْتَغْفِرُوا، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[٧].

٣٣٨-وعند النسائي في السنن الكبرى عَنْ أَبِي موسى الأشعري ﷺ[٨] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[٩].

٣٣٩-وعند أحمد عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا ذَرِبَ اللِّسَانِ عَلَى

---

(١) المعجم الكبير للطبراني، ١٩/ ٥٠، برقم ١٢٥، والمعجم الصغير للطبيراني، ١/ ١٥١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

(٣) الغَيْن: الغَيْم، وَغِينَت السماءُ تُغَانُ: إذا أُطْبَق عليها الغَيم، وقيل: الغَيْن: شجر مُلْتَفّ. أراد ما يَغْشَاه من السَّهْو الذي لا يَخْلو منه البَشَر؛ لأنّ قلبه أبداً كان مَشْغولاً بالله تعالى؛ فإنْ عَرَض له وَقْتاً مّا عارِضٌ بَشَرِيّ يَشْغله من أمور الأمّة، والمِلَّة، ومصالحهما، عَدَّ ذلك ذَنْباً وتقصيراً، فَيَفْزَعُ إلى الاسْتغفار. النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٠٢، مادة (غين).

(٤) مسلم، برقم ٤١- (٢٧٠٢)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

(٦) مسلم، برقم ٤٢-(٢٧٠٢)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٧) المعجم الكبير، ١/ ٣٠١، برقم ٨٨٨، والدعاء للطبراني أيضاً، ص ٥١٤، برقم ١٨٣١، ورقم ١٨٣٢.

(٨) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١ من أحاديث الشرح.

(٩) النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، كم يستغفر في اليوم ويتوب، برقم ١٠٢٧٤، وذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري ، ١١/ ١٠١ بهذا اللفظ رواية عن أبي سلمة ﷺ.، وعزاه إلى النسائي أيضاً.

أَهْلِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ خَشِيتُ أَنْ يُدْخِلَنِي لِسَانِي النَّارَ، قَالَ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الاِسْتِغْفَارِ؟ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: فَذَكَرْتُهُ لِأَبِي بُرْدَةَ فَقَالَ: «وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»[(١)].

٣٤٠- وعند النسائي في السنن الكبرى عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه[(٢)] قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: أَحْرَقَنِي لِسَانِي، وَذَكَرَ مِنْ ذَرَابَتِهِ عَلَى أَهْلِهِ، قَالَ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الاِسْتِغْفَارِ؟ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[(٣)].

٣٤١- وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما[(٤)]، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ» مِائَةَ مَرَّةٍ[(٥)].

٣٤٢- وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما[(٦)]، قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»[(٧)].

٣٤٣- وعَن ابن عُمَر رضي الله عنهما[(٨)] أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيّ ﷺ يَقُول: «أَستَغفِر اللهَ الَّذِي لا إِلَه إِلاَّ هُو الحَيّ القَيُّوم، وأَتُوب إِلَيهِ، فِي المَجلِس قَبل أَن يَقُوم مِئَة مَرَّة»[(٩)].

---

(١) مسند أحمد، ٣٨/ ٣٨٩، برقم ٢٣٣٧١، وصححه لغيره محققو المسند، ٣٨/ ٣٩٠.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٦ من أحاديث الشرح.

(٣) النسائي في الكبرى ، كتاب عمل اليوم والليلة، كيف الاستغفار، برقم ١٠٢٨٥، و١٠٢٨٦.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٥) مسند أحمد، ٨/ ٣٥٠، برقم ٤٧٢٦، وابن أبي شيبة ٦/ ٥٧، برقم ٢٩٣٤٣، والبخاري في الأدب المفرد، ص ٢١٧، برقم ٦١٨ ، ، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، برقم ٣٤٣٤، والنسائي في الكبرى ، كتاب عمل اليوم والليلة، كيف الاستغفار، برقم ١٠٢٩٢، وصححه محققو المسند، ٨/ ٣٥٠، والألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٤٨٦.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٧) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، برقم ١٥١٦، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب الاستغفار، برقم ٣٨١٤، والأدب المفرد للبخاري، ص ٢١٧، برقم ٦١٨، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٢٤١، برقم ٤٨٢.

(٨) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٢ من أحاديث الشرح.

(٩) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري، ١١/ ١٠١: «أَخرَجَهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ مِن طَرِيق مُجاهِد ، عَن ابن =

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**أستغفر الله**»: الاستغفار هو طلب المغفرة، وهي الصفح عن الذنب، وتبديله، قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «معناه: أطلبُ مغفرتَهُ، فهو كقولِهِ اللَهُمَّ اغفرْ لِي، فالاستغفارُ التامُ الموجبُ للمغفرةِ: هو ما قارنَ عدمَ الإصرارِ...، وإن قالَ بلسانِهِ: أستغفرُ اللهَ، وهو غيرُ مقلع بقلبِهِ، فهو داع لله بالمغفرةِ، كما يقولُ: اللَّهُمَّ اغفر لي، وهو حسن، وقد يُرجَى له الإجابةُ»[١].

٢-قوله: «**وأتوب إليه**» أي: أحقق التوبة بشروطها الخمسة، وهي:

أ – الندم على فعل المعصية.

ب – الإقلاع عنها.

جـ – العزم على عدم العودة إليها.

د – الإخلاص في التوبة.

هـ – أن تكون في زمن التوبة أي: قبل الموت[٢].

و- وأن ترد الحقوق إلى أهلها، أو طلب العفو منهم، ويرى الإمام ابن قدامة رحمه الله: أن مظالم العباد تكفَّر، فإن غصب الأموال تكفر بالتصدق بماله الحلال، ويكفر تناول أعراضهم بالثناء على أهل الدين، ويكفر قتل النفوس بالعتق، هذا فيما يتعلق بحق الله تعالى، فإذا فعل ذلك، لم يكفه حتى يخرج من مظالم العباد، فإذا قتل خطأً، أوصل الدية إلى مستحقيها، إما منه أو من عاقلته، وإن قتل عمداً، وجب عليه القصاص بشروطه، فعليه أن يبذل نفسه لولي الدم، إن شاء قتله، وإن شاء عفا عنه، وإن زنا، أو سرق، أو شرب

=

عُمَر رضي الله عنهما» قلت: ولم أجده في السنن الكبرى المطبوعة، فلعله في نسخة أخرى عند ابن حجر رحمه الله.

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي، ١/ ١٥٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٦٦.

(٢) يأتي بيان ذلك في أواخر هذا الكتاب، في الحديث رقم ٢٤٨ من أحاديث المتن، وما بعده إن شاء الله.

الخمر، أو باشر ما يجب فيه حدٌّ لله تعالى؛ فإنه يستر نفسه، فإن رفع أمره إلى الوالي حتى أقام عليه الحدَّ خالف الأولى، وكان كفارة له، ولكن الأفضل أن يستتر بستر الله مع التوبة النصوح، وأما المظالم المتعلقة بالأموال، نحو الغصب، والخيانة، والتلبيس فى المعاملات، فيجب عليه رد ذلك إلى أصحابه، والخروج منه، وليؤدِّ إليهم حقوقهم، ويستحلهم، فإن كثر ظلمه بحيث لا يقدر على أدائه، فليفعل ما يقدر عليه من ذلك، ويستكثر من الحسنات، لتؤخذ منه في القصاص يوم القيامة، فتوضع فى موازين أرباب المظالم، فإنها إن تفي بذلك أخذ من سيئاتهم، فتوضع فوق سيئاته، وإن كان عنده أموال من شي من ذلك لم يعرف مالكه، ولا ورثته، تصدق به عنه، وإن اختلط الحلال بالحرام، عرف قدر الحرام بالاجتهاد، وتصدق بمقداره، وإذا كانت الجناية على الأعراض، وإيذاء القلوب، فعليه أن يطلب كل واحد منهم، وليستحله، وليعرفه قدر الجناية، فإن الاستحلال المبهم لا يكفي، وربما لو عرف ذلك لم تطب نفسه بالإحلال، إلا أن تكون تلك الجناية إذا ذكرت كثر الأذى، كنسبته إلى عيب من خفايا عيوبه، أو كزنى بجارته، فليجتهد فى اللطف به، والإحسان إليه، ثم ليستحله مبهماً، ولابد أن يبقى فى مثل ذلك مظلمة تجبر بالحسنات يوم القيامة، وكذلك من مات من هؤلاء؛ فإنه يفوت أمره، ولا يتدارك إلا بكثير الحسنات، لتؤخذ منه عوضاً يوم القيامة، ولا خلاص إلا برجحان الحسنات[١].

٣-قوله: «**في اليوم مائة مرة**»: أي: من نوى المائة قالها؛ فيكون بذلك ذكرًا مقيدًا، والحكمة في تحديد المائة يعلمها الله تعالى وحده[٢].

---

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر ، ١١/ ١٠٠.

(٢) تقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ٩١.

٤-قوله: «**أكثر من سبعين مرة**»: جاء تفسير قوله: «أكثر» في رواية مسلم بأن ذلك مائة مرة[١].قال القاضي عياض رحمه الله: «وهذا الحصر لهذه الأذكار لا دليلَ على أنها غايةٌ، وحدٌّ لهذه الأجور»[٢].

٥-قوله: «**إنه ليغان على قلبي**»: قال ابن الأثير رحمه الله، أي: ليُغطَّى ويُغشى، والمراد به: السهو؛ لأنه كان ﷺ لا يزال في مزيد من الذكر والقربة ودوام المراقبة، فإذا سها عن شيء منها في بعض الأوقات، أو نسي، عَدّهُ ذَنباً على نفسه، ففزع إلى الاستغفار[٣].

٦-وقع الإشكال من وقوع الاستغفار والتوبة من النبي ﷺ، وهو معصوم؛ لأن هذا دليل على وقوع الذنب، وهذا لا إشكال فيه؛ لأنه قال ذلك على سبيل التواضع، وتعليم الأمر، ثم إن هذا هو هدي الأنبياء من قبله، ألم يقل إبراهيم: ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[٤]، وهذا كليم الله موسى عليه السلام لما أفاق قال: ﴿**سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد ذكر الفقهاء والمفسّرون وجوهاً عديدةً في استغفاره ﷺ منها: أنّه يراد به ما كان من سهوٍ أو غفلةٍ، أو أنّه لم يكن عن ذنبٍ، وإنّما كان لتعليم أمّته، ورأي السّبكيّ: أنّ استغفار النّبيّ ﷺ لا يحتمل إلاّ وجهاً واحداً، وهو: تشريفه من غير أن يكون ذنبٌ؛ لأنّه ﷺ لا ينطق عن الهوى، وقد ثبت «أنّه ﷺ كان يستغفر في اليوم الواحد سبعين مرّةً، ومائة مرّةٍ»، بل كان أصحابه

---

(١) انظر: مختصر منهاج القاصدين، ص ١٤.
(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٨/ ١٩١.
(٣) انظر: جامع الأصول، ٤/ ٣٨٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

يعدّون له في المجلس الواحد قبل أن يقوم: «ربّ اغفر لي وتب عليّ إنّك أنت التوّاب الغفور مائة مرّة[١]»[٢].

وقال في موضع آخر: وَإِذَا عُرِفَ أَنَّ الِاعْتِبَارَ بِكَمَالِ النِّهَايَةِ، وَهَذَا الْكَمَالُ إنَّمَا يَحْصُلُ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَلَا بُدَّ لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْ التَّوْبَةِ وَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وكثير من النصوص فيها استغفار النبي ﷺ، وَنُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ مُتَظَاهِرَةٌ وَالْآثَارُ فِي ذَلِكَ عَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ كَثِيرَةٌ. لَكِنْ الْمُنَازِعُونَ يَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ النُّصُوصَ مِنْ جِنْسِ تَأْوِيلَاتِ الْجَهْمِيَّةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ كَمَا فَعَلَ ذَلِكَ مَنْ صَنَّفَ فِي هَذَا الْبَابِ، وَهي مَعْلُومَةُ الْبُطْلَانِ كذنب آدَمَ عليه السلام الذي تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ إلَى الْأَرْضِ، وَآدَمُ عِنْدَهُمْ مِنْ جُمْلَةِ مَوَارِدِ النِّزَاعِ، وَلَا يَحْتَاجُ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ ذَنْبُهُ عِنْدَ الْمُنَازِعِ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ أَيْضًا، وَمَنْ قَالَ: إنَّهُ لَمْ يَصْدُرْ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ذَنْبٌ يَقُولُ ذَلِكَ عَنْ آدَمَ وَمُحَمَّدٍ وَغَيْرِهِمَا، وأَنَّ اللَّهَ لا يَجْعَلُ الذَّنْبَ ذَنْبًا لِمَنْ لَمْ يَفْعَلْهُ، فَمِنْ الْمُمْتَنِعِ أَنْ يُضَافَ إلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ذَنْبُ آدَمَ ﷺ أَوْ أُمَّتِهِ أَوْ غَيْرِهِمَا، وَلَوْ جَازَ هَذَا لَجَازَ أَنْ يُضَافَ إلَى مُحَمَّدٍ ذُنُوبُ الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ، وَحِينَئِذٍ فَلَا يَخْتَصُّ آدَمَ بِإِضَافَةِ ذَنْبِهِ إلَى مُحَمَّدٍ، بَلْ تُجْعَلُ ذُنُوبُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ عَلَى قَوْلِ هَؤُلَاءِ ذُنُوبًا لَهُ، فَإِنْ قَالَ: إنَّ اللَّهَ لَمْ يَغْفِرْ ذُنُوبَ جَمِيعِ الْأُمَمِ، قِيلَ: وَهُوَ أَيْضًا لَمْ يَغْفِرْ ذُنُوبَ جَمِيعِ أُمَّتِهِ، وقَدْ مَيَّزَ بَيْنَ ذَنْبِهِ وَذُنُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[٣]، فَكَيْفَ يَكُونُ ذَنْبُ الْمُؤْمِنِينَ

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الوتر، باب في الاستغفار، برقم ١٥١٦، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل التسبيح، برقم ٣٨١٤، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، برقم ٣٤٣٤، ومسند أحمد، ٨/ ٣٥٠، برقم ٤٧٢٦، وعند أبي داود، «الرحيم» بدل «الغفور» وصحح إسناده محققو المسند، ٨/ ٣٥٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٤٨٦.

(٢) أسباب رفع العقوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ٤)

(٣) سورة محمد، الآية: ١٩.

ذَنْبًا لَهُ؟ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الرَّسُولَ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلِمُوا أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1] مُخْتَصٌّ بِهِ دُونَ أُمَّتِهِ[2].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-جواز الحلف من غير استحلاف، وهذا يكون لبيان حقيقة الأمر وأهميته.

٢-حض الأمة على الإكثار من التوبة، والإنابة إلى الله تعالى؛ لأن العبد لا ينفك: إما عن وقوع في ذنب، أو تقصير في طاعة.

٣-التوبة من الذنوب واجبة على الفور لأمر النبي ﷺ بها؛ حيث قال: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله**»[3]، وفي ذلك فائدتان:

أ – الامتثال لأمر الله حيث قال: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[4].

ب – الاقتداء بالرسول ﷺ في ذلك الأمر[5]، حيث كان يُعلم الناس بالقول والفعل.

٤- تكفير الذنوب على قسمين:

أ – المحو لقوله عليه الصلاة والسلام: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**»[6]، وهذا مقام العفو.

ب – التبديل ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّآتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾[7]، وهذا هو مقام المغفرة، ومن تأمل المقامين وجد فرقًا لطيفًا؛

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢.
(٢) انظر: الفتاوى الكبرى، ٥/ ٢٧١.
(٣) مسلم، برقم ٤٢- (٢٧٠٢)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) سورة النور، الآية: ٣١.
(٥)انظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٤ .
(٦) الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في معاشرة الناس، برقم ١٩٨٧، وصححه الألباني في المشكاة، برقم ٥٠٨٣.
(٧) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.

لأن المغفرة فيها زيادة إحسان، وتفضل على العفو، وكلاهما خير وبشرى[١].

٩٧-(٢٣)«أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ» (ثلاث مرَّاتٍ إذا أمسى)[٢].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٤٤-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٣]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ حُمَةٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ**». قال سهيل[٤]: فكان أهلُنَا تَعلَّمُوها فكانوا يقولونها كل ليلة فلدغت جارية منهم، فلم تجد لها وجعًا[٥].

٣٤٥-وجاء عند مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ[٦]: أن رجلًا قال للنبي ﷺ: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة! فقال له الرسول ﷺ: «**أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك**»[٧].

---

(١) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، لسليم الهلالي، حديث، رقم ١٣.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب في الاستعاذة، برقم ٣٦٠٤، وأحمد، ١٣/ ٢٧٤، برقم ٧٨٩٨، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا نزل منزلاً، برقم ١٠٣٩٤، وابن السني، برقم ٦٨، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٨٧/٣، وصحيح ابن ماجه، ٢٦٦/٢، وحسنه الإمام ابن باز رحمه الله في تحفة الأخيار، ص٤٥، وقال عنه محققو المسند، ١٣/ ٢٧٤: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث ٣ من أحاديث الشرح.

(٤) وهو سهيل بن أبي صالح: ذكوان السمان: صدوق تغير حفظه بأخرة، أحد رواة الحديث، روى له البخاري مقروناً وتعليقاً، كما روى له الجماعة، من السادسة، مات في خلافة المنصور. انظر: تقريب التهذيب، ٢/ ١٨٥.

(٥) الترمذي، برقم ٣٦٠٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٨٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث ٣ من أحاديث الشرح.

(٧) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، برقم ٢٧٠٩.

٣٤٦-عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةِ[١]، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلًا، فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ**»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**أعوذ**»: أي: ألتجئ، وأتحصَّنُ، وأعتصم، وأستجير، والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به، يقال: عاذ فلان بفلان، ... وأعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك[٣]، وقال العلامة السعدي رحمه الله: «أعوذ: أي: ألجأ، وألوذ، وأعتصم»[٤].

٢-قوله: «**بكلمات الله**»: هي القرآن الكريم، وقيل: هي كلماته الكونية القدرية، الكاملة الشاملة الفاضلة، وهي أسماؤه وصفاته، وآيات كتبه[٥]، والكلمات ههنا محمولة على أسماء الله الحسنى، وكتبه المنزلة؛ لأن الاستعاذة إنما تكون بها[٦]، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وكلمات الله التامات تشمل كلماته الكونية والشرعية، فأما الكونية فهي التي ذكرها الله في قوله: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾[٧]، فيحميك الله تعالى

---

(١) خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها: تكنى بأم شريك، وهي امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه، وهي من اللائي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ البخاري، برقم ٥١١٣ وهي من السابقات إلى الإسلام، وقد روت عن النبي ﷺ خمسة عشر حديثًا. انظر: أسد الغابة، ٧/ ١٠٤، والاستيعاب، ٤/ ١٨٣٠.

(٢) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، برقم ٢٧٠٨، وسيأتي في متن هذا الكتاب برقم (٢١٦).

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.

(٤) تفسير السعدي، ص ٩٣٧.

(٥) مرقاة المفاتيح، ١/ ٤٠٢.

(٦) مرقاة المفاتيح، ٢/ ٢٦٦.

(٧) سورة يس، الآية: ٨٢.

بكلماته الكونية، يدفع عنك ما يضرك إذا قلت هذا الكلام، كذلك الكلمات الشرعية، وهي الوحي، فيها وقاية من كل سوء، وشر: وقاية من الشر قبل نزوله، [وبعد نزوله]، أما قبل نزوله، فقد ثبت عن النبي ﷺ أن من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح[(١)]، وأما بعد نزول الأثر فقد ثبت عنه ﷺ أن الفاتحة إذا قرئ بها على المريض؛ فإنه يبرأ بها، حتى إن الصحابي ﷺ لما قرأ الفاتحة على سيد القوم الذي لدغ، قام كأنما نشط من عقال، يعني: برأ حاله لأن القرآن شفاء ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٢)]، فاحرص يا أخي المسلم إذا نزلت منزلاً في بر، أو بحر، أو منزلاً اشتهيته للنوم، وما أشبه ذلك، فقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ فإنه لا يضرك شيء حتى ترتحل من منزلك ذلك، والله الموفق»[(٣)].

٣-قوله: «**التامات**»: صفة لكلام الله، أي: الكاملات التي لا يطرأ عليها نقص، ولا عيب، ووصفها بالتامة لخلوها عن النواقص، والعوارض، بخلاف كلمات الناس؛ فإنهم متفاوتون في كلامهم على حسب تفاوتهم في العلم، واللهجة، وأساليب القول...، وكلمات الله تعالى متعالية عن هذه القوادح، فهي لا يسعها نقص، ولا يعتريها اختلال، واحتجّ الإمام أحمد بها على القائلين بخلق القرآن، فقال: لو كانت كلمات الله مخلوقة، لم يُعِذْ بِهَا اللَّهُ؛ إذ لا يجوز الاستعاذة بمخلوق[(٤)].

٤-قوله: «**من شر ما خلق**» أي: من كل مخلوق يأتي بشرٍّ من: جن، أو إنس،

---

(١) انظر: صحيح البخاري، برقم ٢٣١١، وسيأتي تخريجه مفصلاً في تخريج حديث المتن رقم ١٠٠.

(٢) سورة هود، الآية: ٥٧.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٨٣.

(٤) مرقاة المفاتيح، ٢/ ٢٦٦.

أو دابة، أو ريح، أو بلاء، أو داء، أو غير ذلك، من مخلوقات الله ﷻ، قال الشيخ البعلي: «فَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِهِ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي فِي الْمَخْلُوقِ، فَهُوَ الَّذِي يُعِيذُ مِنْهُ، وَيُنْجِي مِنْهُ، وَإِذَا أَخْلَى الْعَبْدُ قَلْبَهُ مِنْ مَحَبَّتِهِ وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَطَلَبَ مَرْضَاتِهِ، وَأَخْلَى لِسَانَهُ مِنْ ذِكْرِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَجَوَارِحَهُ مِنْ شُكْرِهِ وَطَاعَتِهِ، فَلَمْ يُرِدْ مِنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ، وَنَسِيَ رَبَّهُ، لَمْ يُرِدِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُعِيذَهُ مِنْ ذَلِكَ، وَنَسِيَهُ كَمَا نَسِيَهُ، وَقَطَعَ الْإِمْدَادَ الْوَاصِلَ إِلَيْهِ مِنْهُ كَمَا قَطَعَ الْعَبْدُ الْعُبُودِيَّةَ وَالشُّكْرَ وَالتَّقْوَى الَّتِي تَنَالُهُ مِنْ عِبَادِهِ، ... فَالَّذِي إِلَى الرَّبِّ وَبِيَدَيْهِ، وَمِنْهُ، هُوَ الْخَيْرُ، وَالشَّرُّ كَانَ مِنْهُمْ مَصْدَرُهُ، وَإِلَيْهِمْ كَانَ مُنْتَهَاهُ، فَمِنْهُمُ ابْتَدَأَتْ أَسْبَابُهُ بِخِذْلَانِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ تَارَةً، وَبِعُقُوبَتِهِ لَهُمْ بِهِ تَارَةً، وَإِلَيْهِمُ انْتَهَتْ غَايَتُهُ وَوُقُوعُهُ، فَتَأَمَّلْ هَذَا الْمَوْضِعَ»[1].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية قول هذا الذكر والاجتهاد في إمراره على القلب، مع تحقق اليقين في صدق من جاء به، وأنه لا ينطق عن الهوى ﷺ.

٢-الذكر مع العبد بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه، فقد يكون السلاح مع عبد، ولكنه لا يحسن استخدامه، فلا تتحقق من ذلك مصلحة.

٣-ما كان عليه السلف الصالح من قوة اليقين، وصدق التوكل.

٤-الاستعاذة بكلام الله دليل على أنه صفة من صفاته، وأن كلام الله ليس بمخلوق، وأنه منه بدأ، وإليه يعود، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة.

٥-دل الحديث على أن كلمات الله تامة، وقد جاء في القرآن بيان ذلك في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2]، فوصف الله هذه الكلمات بوصفين: بالصدق في الأخبار،

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ص ٢٥٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٥.

والعدل في الأحكام، فلا مغير لها بزيادة ولا نقصان، ولا تقديم ولا تأخير.

٦- يقال هذا الدعاء عند نزول الإنسان منزلًا في سفر أو حضر؛ لقول الرسول ﷺ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»(1).

وسمعت شيخنا ابن باز رحمه الله يذكر أنه يدخل في المنازل: الطائرات، والسيارات، والقطارات؛ لأنها منازل متحركة، يأكل فيها الإنسان، ويشرب، ويقضي حاجته.

***

٩٨-(٢٤)«اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ» (عشرَ مرَّاتٍ)(2).

---

(١) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، برقم ٢٧٠٨، وسيأتي في متن هذا الكتاب برقم (٢١٦).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٦١، وذكره عدد من المحدثين، وأشاروا إلى مخرِّجه الطبراني، ولم أجده في معاجم الطبراني الثلاثة ولا في غيرها، وقد ذكر محقق المعجم الكبير أن فيه جزأين مفقودان، وقد ذكره الإمام ابن القيم في جلاء الأفهام، ص: ٤١٨ بإسناده كاملاً، فقال: «قال الطبراني: حدثنا حفص بن عمر الصباح، حدثنا يزيد بن عبد ربه الجرجسي، حدثنا بقية بن الوليد، حدثني إبراهيم بن محمد بن زياد الألهاني، قال: سمعت خالد بن معدان يحدث عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى علي حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة». قال أبو موسى المديني: «رواه عن بقية غير واحد، ويزيد بن عبد ربه كان يسكن بحمص قرب كنيسة جرجس، فنسب اليها»» وقال شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط محققا جلاء الإفهام ، ص ٤١٨ عن الإسناد الذي ساقه الإمام ابن القيم معزواً إلى الطبراني: «رواته ثقات» وقال المنذري في الترغيب والترهيب، ١/ ٢٦١: «رواه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ١٢٠: «أخرجه الطبراني بإسنادين: أحدهما جيد» وقال محقق جلاء الأفهام، طبعة مكتبة الباز، ص ٢٠٩: «إسناده صحيح، رواه الطبراني في الكبير، ١/ ١٥٨» وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٣٥٧، ثم ضعفه في سلسلة الأحاديث الضعيفة، برقم ٥٧٨٨، كما حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢٧٣/١ الطبعة القديمة، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، برقم ٦٥٩.

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٤٧-عن أبي الدرداء رضي الله عنه[١]، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْراً، وَحِينَ يُمْسِي عَشْراً، أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

سبقت الإشارة إلى معنى الصلاة على النبي ﷺ في الحديثين الثالث والخمسين، والرابع والخمسين من متن هذا الكتاب[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-إثبات الشفاعة، وقد تقدم بيان ذلك[٤].

٢-فضيلة الصلاة على الرسول الكريم ﷺ، وقد ذكر الإمام ابن القيم تسعاً وثلاثين فائدة، وثمرة لمن أكثر من الصلاة والسلام على النبي ﷺ.

وسأذكر هذه الفضائل، والفوائد، والثمرات، ومواطن الصلاة على النبي ﷺ في شرح أحاديث فضل الصلاة على النبي ﷺ في آخر الكتاب في فوائد حديث المتن رقم ٢١٩ إن شاء الله تعالى، وقد بلغت مواطن الصلاة على النبي ﷺ أربعين موطناً، وبلغت الفوائد، والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ تسعاً وثلاثين فائدة كما ذكرها الإمام ابن القيم رحمه الله، وقد لخصتها كلها في فوائد حديث المتن رقم ٢٢٩.

***

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤ من أحاديث الشرح.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٦١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) وسيأتي المزيد من الفوائد إن شاء الله في أواخر شرح هذا الكتاب، الحديث رقم ٢١٩ من المتن وما بعده.

(٤) راجع الحديث، رقم ٢٥ من متن هذا الكتاب.

٢٨ — أذكار النوم

٩٩-(١) «يَجْمَعُ كَفَّيْهِ ثُمَّ يَنْفُثُ فِيهِمَا فَيَقْرَأُ فِيهِمَا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ» (يفعلُ ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ)[١].

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٤٨-عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها[٢]: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ،

---

(١) البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات، برقم، برقم ٥٠١٧، ومسلم، كتاب السلام، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث، برقم ٢١٩٢.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث ٥٤ من أحاديث الشرح.

وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ. يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ». هذا لفظ البخاري[(١)].

٣٤٩-ولفظ مسلم: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ، وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ يَدِي» وَفِي رِوَايَةِ يَحْيَى بْنِ أَيُّوبَ: بِمُعَوِّذَاتٍ[(٢)].

٣٥٠-وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه[(٣)]، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَقُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي نَقْبٍ مِنْ تِلْكَ النِّقَابِ، إِذْ قَالَ لِي: «يَا عُقْبَ، أَلَا تَرْكَبُ؟»، قَالَ: فَأَجْلَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَرْكَبَ مَرْكَبَهُ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبُ، أَلَا تَرْكَبُ؟» قَالَ: فَأَشْفَقْتُ أَنْ تَكُونَ مَعْصِيَةً، قَالَ: فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَكِبْتُ هُنَيَّةً، ثُمَّ رَكِبَ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبُ، أَلَا أُعَلِّمُكَ سُورَتَيْنِ مِنْ خَيْرِ سُورَتَيْنِ قَرَأَ بِهِمَا النَّاسُ ؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأَقْرَأَنِي: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ بِهِمَا، ثُمَّ مَرَّ بِي، قَالَ: «كَيْفَ رَأَيْتَ يَا عُقْبُ؟ اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ، وَكُلَّمَا قُمْتَ»[(٤)].

٣٥١-وعن نوفل الأشجعي رضي الله عنه[(٥)]: «اقرأ ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، ثم نم

---

(١) البخاري، برقم ٥٠٧١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، برقم ٢١٩٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٣ من أحاديث الشرح.

(٤) أخرجه أحمد في المسند بلفظه، ٢٨/ ٥٢٨، برقم ١٧٢٩٦، والنسائي، كتاب الاستعاذة، ٨/ ٢٥٣، برقم ٥٤٣٧، لفظ: «اقرأ بهما كلما نمت وقمت» وأبو يعلى، برقم ١٧٣٦، وابن خزيمة، برقم ٥٣٤، والطحاوي في مشكل الآثار، برقم ١٢٤، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٨٨٩، وأخرجه بنحوه ابن أبي شيبة، ١٠/ ٥٣٩، برقم ١٠٢٦٠، وغيرهم، وقال محققو المسند، ٢٨/ ٥٢٩: «إسناده صحيح» وقال العلامة الألباني في صحيح النسائي، ٣/ ٤٥٦: «حسن الأسناد».

(٥) نوفل بن فروة الأشجعي، له صحبة، نزل الكوفة لم يرو عنه غير بنيه: فروة، وعبد الرحمن، وسحيم بني نوفل، وأخرج له أصحاب السنن، وأحمد، وابن حبان، والحاكم. انظر: الاستيعاب، =

على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك»(١)، وكذا قوله ﷺ: «و﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ تعدل ربع القرآن»(٢)..

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**يجمع كفيه**» أي: بضم بعضهما إلى بعض، مع إلصاق إحداهما بالأخرى، وهما مفتوحتان إلى جهة فمه الشريف من أجل النفث فيهما.

٢-قوله: «**ينفث**»: النفث: بالفم يشبه النفخ، وهو أقل من التفل؛ لأن التفل يكون معه شيء من الريق، وأما النفث فقد يكون معه شيء من الريق، وقد لا يكون، وقال ابن منظور رحمه الله: «النَّفْثُ: أَقلُّ مِنَ التَّفْل، لأَن التَّفْلَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الرِّيقِ؛ والنفثُ: شَبِيهٌ بِالنَّفْخِ؛ وَقِيلَ: هُوَ التَّفْلُ بِعَيْنِهِ. نَفَثَ الرَّاقِي، وَفِي الْمُحْكَمِ: نَفَثَ يَنْفِثُ ويَنْفُثُ نَفْثاً ونَفَثاناً... والنَّفْثِ بِالْفَمِ، شَبِيهٌ بِالنَّفْخِ...والحيَّةُ تَنْفُثُ السمَّ حِينَ تَنْكُزُ، والجُرْحُ يَنْفُثُ الدمَ إِذا أَظهره، وَسمٌّ نَفِيثٌ وَدَمٌ نَفِيثٌ إِذا نَفَثَه الجرحُ»(٣).

٣-قوله: «**يمسح بهما**» أي: بكفيه ﷺ، قال الزرقاني رحمه الله: «مَسْحُهَا عَلَى كُلِّ مَا يُرْجَى بَرَكَتُهُ وَشِفَاؤُهُ وَخَيْرُهُ...وَالتَّبَرُّكِ بِالْيُمْنَى دُونَ الشِّمَالِ، وَتَفْضِيلِهَا

=

٤/ ١٥١٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ٦/ ٤٨٢.

(١) أخرجه أحمد، (٣٩/٥٢٢٤)، برقم ٢٣٨٠٧، وأبو داود، كتاب الآداب، باب ما يقول عند النوم، برقم ٥٠٥٥، والترمذي، كتاب الدعوات، باب منه حدثنا محمود بن غيلان، برقم ٣٤٠٣، والحاكم، ٥٨٧/٢، وقال: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي، وابن أبي شيبة، ٣٢٣/٥، برقم ٢٦٥٢٨، وابن السني، ص ٢٥٤، برقم ٦٩٤، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، قراءة قل يا أيها الكافرون عند النوم وذكر اختلاف الناقلين للخبر في ذلك، برقم ١٠٦٣٧، وابن حبان، ٧٠/٣، برقم ٧٩٠، والدارمي ٥٥١/٢، برقم ٣٤٢٧، وحسنه محققو المسند، ٣٩/ ٢٢٤، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٦٠٥.

(٢) الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في إذا زلزلت، برقم ٢٨٩٤، والحاكم، ٧٥٤/١، وقال: «صحيح الإسناد» والبيهقي في شعب الإيمان، ٤٩٦/٢، برقم ٢٥١٤. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٢/ ١٣١.

(٣) لسان العرب، ٢/ ١٩٥، مادة (نفث).

عَلَيْهَا، وَفِي ذَلِكَ مَعْنَى الْفَأْلِ»[١].

٤-قوله: «**ما استطاع من جسده**» أي: ما أمكن مسحه من جسده الشريف، قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: مَا أَمْكَنَهُ، وَقَدَرَ عَلَيْهِ»[٢].

٥-قوله: «**يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده**»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «بيان لجملة قوله: «**يمسح بهما ما استطاع من جسده**»، أو بدل منه... لكن قوله: «**ما استطاع من جسده**» وقوله: «**يبدأ**» يقتضيان أن يقدر: يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، ثم ينتهي إلى ما أدبر من جسده»[٣].

٦-قوله: «**يا عقبَ**»: هذا ترخيم لاسم «عقبة»، وهو نداء تحبب وتلطف، وقد عرّف البلاغيون الترخيم فقالوا: «... فقد يحذف العربيُّ في النداء آخر حرف في الكلمة، أو الحرفين الأخيرَيْن منها، وقَدْ يَحْذِفُ الجزءَ الثانِيَ من جزئي الكلمة المركّبة تركيباً مزجيّاً، وقد يحذف في الترخيم المضاف إليه، ومن دواعيه إلى ذلك الإِيجاز، والتحبُّبُ لِلْمُنَادى أحياناً، ومراعاة جمال فنّيٍ في نَسَقِ الكلام»[٤].

٧-قوله: «**فأجللت**»: قال العلامة السندي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: عظمت، فأشفقت، أي خفت»[٥].

٨-قوله: «**في نقب من تلك النقاب**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الطَّرِيقُ بَيْنَ الدَّارَيْنِ، كأَنه نُقِبَ مِنْ هَذِهِ إِلى هَذِهِ؛ وَقِيلَ: هُوَ الطَّرِيقُ الَّتِي تَعْلُو أَنْشازَ الأَرض... وَهُوَ الطَّرِيقُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ»[٦].

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ، ٤/ ٥١٨.
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١/ ٤٠٨.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٦٥٢.
(٤) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، لعبد الرحمن حسن حبنكة، ص ٢٥٧.
(٥) حاشية السندي على النسائي، ٨/ ٢٥٣.
(٦) لسان العرب، ١/ ٧٦٧، مادة (نقب).

٩-قوله: «**اقرأ بهما كُلَّمَا نِمْتَ وكلما قُمْتَ**»، قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله: «هَذِهِ اللَّفْظَةُ «كُلَّمَا نِمْتَ وَقُمْتَ» مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي أَعْلَمْتُ أَنَّ الْعَرَبَ يُوقِعُ اسْمَ النَّائِمِ عَلَى الْمُضْطَجِعِ، وَيُوقِعُهُ عَلَى النَّائِمِ الزَّائِلِ الْعَقْلِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ إِنَّمَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ فِي هَذَا الْخَبَرِ: «اقْرَأْ بِهِمَا إِذَا نِمْتَ»، أَيْ: إِذَا اضْطَجَعْتَ، إِذِ النَّائِمُ الزَّائِلُ الْعَقْلِ مُحَالٌ أَنْ يُخَاطَبَ، فَيُقَالُ لَهُ: إِذَا نِمْتَ -وَزَالَ عَقْلُهُ- فَاقْرَأْ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ، ... وَإِنَّمَا أَرَادَ بِالنَّائِمِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، الْمُضْطَجِعَ، لَا النَّائِمَ الزَّائِلَ الْعَقْلِ، إِذِ النَّائِمُ الزَّائِلُ الْعَقْلِ غَيْرُ مُخَاطَبٍ بِالصَّلَاةِ، وَلَا يُمْكِنُهُ الصَّلَاةَ لِزَوَالِ الْعَقْلِ»[(١)]. وأما قمت فيقول العلامة البهوتي رحمه الله: «كُلَّمَا: تَعُمُّ الْأَوْقَاتِ، فَهِيَ بِمَعْنَى كُلِّ وَقْتٍ، فَمَعْنَى كُلَّمَا قُمْتُ قُمْتَ: كُلَّ وَقْتٍ تَقُومُ فِيهِ، أَقُومُ فِيهِ»[(٢)].

١٠-تقدم شرح مفردات المعوذات الثلاث في شرح مفردات الحديث رقم ٧٠ من أحاديث المتن.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الإرشاد النبوي الكريم بفعله بقراءة هذه السور الثلاث عند النوم؛ لما فيها من التعوذات المباركة، لاسيما أن الإنسان وهو نائم معرض لأي مكروه: حسي، أو معنوي.

٢-جاء في بعض هذاالحديث أن عائشةقالت: «فلما اشتكى (أي رسول الله ﷺ، أي: مرض في مرض موته) كان يأمرني أن أفعل ذلك»[(٣)] أي: أن النبي ﷺ كان ينفث هو في يديه، ثم يأمر عائشة أن تُمر يده على جسده الشريف؛ لشدة مرضه عليه الصلاة والسلام.

---

(١) صحيح ابن خزيمة، ١/ ٢٩٥.

(٢) شرح منتهى الإرادات، للبهوتي، ٣/ ١١٣.

(٣) البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٣٩.

٣-هذه السور الثلاث تسمى المعوذات؛ لأن سورتي الفلق، والناس تشتملان على جمل نافعة من التعوذ، أما سورة الإخلاص، فقد جاء ذكرها على سبيل التغليب؛ لما اشتملت عليه من صفات الرب ﷻ، قال النووي رحمه الله: وإنما رقى بالمعوذات لأنهن جامعات[1].

٤-الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلًا[2].

٥- مما ينبغي أن يعلم أن مسح الوجه والبدن – أي: بعد النفث فيهما بالمعوذات – خاص بحالتي النوم والمرض، ولم يثبت أن النبي ﷺ فعل ذلك في مواطن أخرى، وهذا ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله[3].

٦- مما يسن قراءته أيضًا قبل النوم، وفيه معاني التوحيد والبراءة من الشرك شأنه شأن سورة الإخلاص، سورة الكافرون.

١٠٠-(٢) ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[4].

---

(١)شرح النووي على صحيح مسلم ، ١٤/١٨٣.

(٢)شرح النووي على صحيح مسلم ، ١٤/١٨٣.

(٣) مجموع الفتاوى، ١٢/٥١٩.

(٤) سورة البقرة، الاية: ٢٥٥، من قرأها إذا أوى إلى فراشه فإنه لن يزال عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح، البخاري، كتاب الوكالة، بَابُ إِذَا وَكَّلَ رَجُلًا، فَتَرَكَ الوَكِيلُ شَيْئًا فَأَجَازَهُ المُوَكِّلُ فَهُوَ جَائِزٌ، وَإِنْ أَقْرَضَهُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى جَازَ، برقم ٢٣١١.

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٥٢-عَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ ﷺ[1]، قَـالَ: وَكَّلَنِـي رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْـظِ زَكَـاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ**»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لاَ أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿**اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ**﴾[2]، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**مَا هِيَ**»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿**اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ**﴾(١)، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟**»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ**»(٢).

ثانياً: شرح مفردات آية الكرسي:

١-قوله تعالى: ﴿**الله لا إله إلا هو**﴾ أي: لا معبود بحق سواه، فهو الإله الحق الذي تتعين أن تكون جميع أنواع العبادة والطاعة والتأله له تعالى، لكماله، وكمال صفاته، وعظيم نعمه.

٢-قوله تعالى: ﴿**الحي القيوم**﴾ هذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقة وتضمناً ولزوماً، فالحي من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات: كالسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، ونحو ذلك، والقيوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء من الاستواء، والنزول، والكلام، والقول، والخلق، والرزق، والإماتة، والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كل ذلك داخل في قيومية الباري.

٣-قوله تعالى: ﴿**لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾ والسِّنة النعاس.

٤-قوله تعالى: ﴿**له ما في السموات وما في الأرض**﴾ أي: هو المالك، وما سواه مملوك، وهو الخالق الرازق المدبر، وغيره مخلوق مرزوق مدبر، لا يملك لنفسه، ولا لغيره مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.

٥-قوله تعالى: ﴿**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**﴾، أي: لا أحد يشفع عنده

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) البخاري، برقم ٢٣١١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

بدون إذنه، فالشفاعة كلها لله تعالى، ولكنه تعالى إذا أراد أن يرحم من يشاء من عباده أذن لمن أراد أن يكرمه من عباده أن يشفع فيه، لا يبتدئ الشافع قبل الإذن.

٦-قوله تعالى: ﴿**يعلم ما بين أيديهم**﴾ أي: ما مضى من جميع الأمور. العلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا، «**وما بين أيديهم**» أي: المستقبل، «**وما خلفهم**» الماضي، و(**ما**) من صيغ العموم، تشمل كل ماضٍ، وكل مستقبلٍ، وتشمل ما كان من فعله، وما كان من أفعال الخلق، وقيل: «**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**»: قال أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني تعالى ذكره بذلك أنه المحيط بكل ما كان وبكل ما هو كائن علما، لا يخفى عليه شيء منه»[1]، وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات: ماضيها وحاضرها ومستقبلها كقوله إخبارًا عن الملائكة: ﴿**وَمَا نَتَنزلُ إلا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾[2]»[3]، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعلم ما بين أيديهم»: أي: المستقبل؛ « وما خلفهم» أي: الماضي؛ وقد قيل بعكس هذا القول؛ ولكنه بعيد؛ فاللفظ لا يساعد عليه؛ و(ما) من صيغ العموم؛ فهي شاملة لكل شيء؛ سواء كان دقيقاً أم جليلاً؛ وسواء كان من أفعال الله أم من أفعال العباد»[4].

٧-قوله تعالى: ﴿**وما خلفهم**﴾ قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: ما يستقبل منها، فعلمه تعالى محيط بتفاصيل الأمور، متقدمها ومتأخرها، بالظواهر والبواطن، بالغيب والشهادة، والعباد ليس لهم من الأمر شيء ولا من العلم

(١) تفسير الطبري، ٥/ ٣٩٦.
(٢) سورة مريم، الآية: ٦٤.
(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ٦٧٩.
(٤) تفسير القرآن، للعلامة ابن عثيمين، ٥/ ١٩٨.

مثقال ذرة إلا ما علمهم تعالى(١).

٨-قوله تعالى: ﴿**ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض**﴾ وهذا يدل على كمال عظمته وسعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكرسي أنه يسع السموات والأرض على عظمتهما، وعظمة من فيهما، والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هنا ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكل الأبصار، وتقلقل الجبال، وتكع(٢) عنها فحول الرجال، فكيف بعظمة خالقها ومبدعها، والذي أودع فيها من الحكم والأسرار ما أودع، والذي قد أمسك السموات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصب.

٩-قوله تعالى: ﴿**ولا يؤوده حفظهما** ﴾ أي: لا يثقله.

١٠-قوله تعالى: ﴿ **وهو العلي**﴾ بذاته فوق عرشه، العلي بقهره لجميع المخلوقات، العلي بقدره لكمال صفاته.

١١-قوله تعالى: ﴿**العظيم**﴾ الذي تتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة، فسبحان من له العظمة العظيمة، والكبرياء الجسيمة، والقهر، والغلبة لكل شيء(٣).

ثالثاً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**يحثو**»: يقال حثوت له إذا أعطيته شيئًا يسيرًا، قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «يحثو - هو بالواو، ويقال بالياء-: وهي أعلى اللغتين، وكله بمعنى الغرف»(٤)،

---

(١) تفسير السعدي، ص ١١٠.

(٢) قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «كاعَ: هُوَ الجَبان. يُقَالُ: كَعَّ الرجُلُ عَنِ الشَّيْءِ يَكِعُّ كَعّاً فَهُوَ كاعٌّ، إِذَا جَبُنَ عَنْهُ وأَحْجَم». النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ١٨٠، مادة (كعع).

(٣) شرح جميع مفردات آية الكرسي من تفسير السعدي، ص: ١١٠، وقد تقدم في شرح الحديث رقم ٧١ من المتن في هذا الكتاب.

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٥/ ١٩٨.

وقال الطيبي رحمه الله: «أي: فطفق ينثر الطعام في الوعاء، أي: في ذيله»(١).

٢-قوله: «لأرفعنك» أي: لأذهبن بك، وأشكوك إلى رسول الله ﷺ. قال الطيبي رحمه الله: «هو من رفع الخصم إلى الحاكم، أي: لأذهبن بك إلى رسول الله ﷺ ليحكم عليك بقطع اليد؛ لأنك سارق»(٢).

٣-قوله: «فإني محتاج وعليّ عيال» أي: لأنفق عليهم، قال الطيبي رحمه الله: «إشارة إلى أنه في نفسه فقير، وقد اضطر الآن إلى ما فعل، لأجل العيال»(٣).

٤-قوله: «فرصدته» أي: رقبته، قال القاري رحمه الله: «أَيِ: انْتَظَرْتُهُ، وَرَاقَبْتُهُ»(٤).

٥-قوله: «وكانوا أحرص شيء على الخير»: يقصد الصحابة رضي الله عنهم جميعًا، قال القسطلاني رحمه الله: «وكانوا أي: الصحابة أحرص شيء على تعلم الخير، وفعله، وكان الأصل أن يقول: وكنا؛ لكنه على طريق الالتفات، وقيل: هو مدرج من كلام بعض رواته، وبالجملة، فهو مسوق للاعتذار عن تخلية سبيله بعد المرة الثالثة، حرصًا على تعلّم ما ينفع»(٥).

٦-قوله: «فخليت عنه»: وخَلَّى عَنِ الشَّيْءِ: أَرْسَلَه، وخَلَّى سبيلَه فَهُوَ مُخَلّىً عَنْهُ، ورأَيته مُخَلِّياً(٦).

٧-قوله: «ما فعل أسيرك؟»: قال العيني: «وفيه تفسير لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾(٧)، يعني الشياطين، إن المراد بذلك ما هم عليه

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٦٤٤.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٦٤٥.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٦٤٥.
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ١٤٦٣.
(٥) شرح القسطلاني، ٤/ ١٦٥.
(٦) لسان العرب، ١٤/ ٢٤٢، مادة (خلي).
(٧) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

من خلقهم الروحانية؛ فإذا استحضروا في صورة الأجسام المدركة بالعين جازت رؤيتهم، كما شخص الشيطان لأبي هريرة في صورة سارق»[١].

٨-قوله: «**البارحة**»: البارحة: أقرب ليلة مضت[٢].

٩-قوله: «**إنك تزعُمُ**»: يقال: زَعَمُوا في حديث لا سَنَد له، ولا ثَبت فيه، وإنما يُحكَى على الألسُن على سبيل البَلاغ، فَضَمّ من الحديث ما كان هذا سبيلَه، والزُّعم بالضم والفتح: قريب من الظنّ[٣].

١٠-قوله: «**دعني**»: أي: اتركني، قال ابن الأثير: «يقال ودع الشيء يدعه ودعا إذا تركه، والنحاة يقولون إن العرب أماتوا ماضي يدع ومصدره واستغنوا عنه بترك»[٤]، وقال الحافظ ابن حجر: «(قالَ: دَعنِي أُعَلِّمك)؛ فِي رِوايَة أَبِي المُتَوكِّل: (خَلّ عَنِّي)»[٥].

١١-قوله: «**لن يزال عليك**»: قال الحافظ ابن حجر: «(لَن يَزال عَلَيك)؛ فِي رِوايَة الكُشمِيهَنِيّ: (لَم يَزَل)، قال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ: «إذا كان من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه، ومن قرأ آية الكرسي، كان عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح، فما ظنك بمن قرأها كلها من كفاية الله له، وحرزه، وحمايته من الشيطان وغيره، وعظيم ما يدخر له من ثوابها»[٦].

١٢-قَوله: «**مِن اللَّه حافِظ**»؛ أَي مِن عِند اللَّه، أَو مِن جِهَة أَمر اللَّه، أَو مِن

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٨/ ١٣).

(٢) القاموس المحيط، ص: ٢٧٢، مادة (برح).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٠٢، مادة (زعم).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ١٦٥، مادة (ودع).

(٥) فتح الباري، لابن حجر، ٤/ ٤٨٨.

(٦) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ١٠/ ٢٤٧.

بَأس اللَّه، ونِقمَته»[١].

١٣–قولـه: «**ولا يقربـك شـيطان حتـى تصـبح**»: قـال ابـن حجـر: «(ولا يَقرَبك شَيطان)، ويُحتَمَل أَن يَكُون المُراد بِنَفيِ القُرب هُنا أَنَّهُ لا يَقرَب مِنَ المَكان الَّذِي يُوسوِس فِيهِ، وهُو القَلب»[٢].

١٤–قوله: «**ذاك شيطان**»: أي: شيطان من الشياطين[٣].

رابعاً: ما يستفاد من الحديث:

١–معجزة ظاهرة للرسول ﷺ لقوله: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**» وذلك قبل إخبار أبي هريرة للنبي ﷺ بما وقع، ثم إخباره له أنه سيعود، وإخباره في الثالثة أنه شيطان.

٢–الحكمة قد يتلقاها الفاجر، ولا ينتفع بها، وتؤخذ عنه، فينتفع بها.

٣–الكافر قد يُصدق ببعض ما يُصدق به المؤمن، ولا يكون بذلك مؤمنًا.

٤–الشيطان قد يتصور ببعض الصور فتمكن رؤيته، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ**﴾[٤] مخصوص بما إذا كان على صورته التي خلق عليها.

٥–الجن يأكلون من طعام الإنس، ويتكلمون بكلامهم.

٦–صحة التوكيل لقول أبي هريرة: «وكلني رسول اللَّه ﷺ»، ويفهم أيضًا جواز جمع زكاة الفطر قبل ليلة الفطر.

٧–قبول العذر، والستر على من يظن به الصدق.

٨–السارق لا تقطع يده في المجاعة، ويحتمل أن يكون القدر المسروق لم يبلغ

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٤/ ٤٨٨.

(٢) فتح الباري، ٦/ ٣٤٣.

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٤/ ٤٨٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

النصاب، ولذلك جاز للصحابي العفو عنه قبل تبليغه للشارع.

٩- اشتملت هذه الآية (آية الكرسي) على توحيد الإلهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وعلى إحاطة ملك الله ﷻ، وإحاطة علمه، وسعة سلطانه، وجلاله، ومجده، وعظمته، وكبريائه، وعلوه على جميع مخلوقاته، فهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله، وصفاته، متضمنة لجميع الأسماء الحسنى، والصفات العلا[١].

١٠-فضل آية الكرسي وأن لها تأثيرًا بأمر الله في دفع الشيطان، وكذلك سورة البقرة[٢].

***

١٠١-[٣] ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ* لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٣].

---

(١) تفسير السعدي، ص: ١١٠.

(٢) انظر فتح الباري، ٤/ ٦٠٢، ٦٠٣ .

(٣) البخاري، كتاب المغازي، باب حدثني خليفة، برقم ٤٠٠٨، ومسلم، صلاة المسافرين قصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، برقم ٨٠٧، والآيتان من سورة البقرة، ٢٨٥-٢٨٦.

الشـــرح:

أولاً: ألفاظ الحديث:

٣٥٣-عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ البَدْرِيِّ ﷺ[١]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»، قَالَ عَبْدُالرَّحْمَنِ[٢]: فَلَقِيتُ أَبَا مَسْعُودٍ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَسَأَلْتُهُ فَحَدَّثَنِيهِ[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**الآيتان من آخر سورة البقرة**»: أي من قوله: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ**﴾ إلى نهاية السورة.

٢-قوله: «**كفتاه**»: جاء في معناها المعاني الآتية:

أ- أي أجزأتا عنه قيام الليل.

ب- وقيل أجزأتاه فيما يتعلق بالاعتقاد؛ لما اشتملتا عليه من الإيمان، والأعمال إجمالًا.

جـ- وقيل كفتاه من كل سوء: من شياطين الإنس والجن.

د- وقيل من كل الآفات.

٣- وقال الإمام النووي: «اختلف العلماء في معنى كفتاه؛ فقيل: من الآفات في ليلته، وقيل: كفتاه من قيام ليلته. قلت: ويجوز أن يُراد الأمران»[٤].

٤- قال الحافظ ابن حجر: وكأنهما اختصتا بذلك لما جاء فيهما من

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٩٨ من أحاديث الشرح.
(٢) عبد الرحمن هو أبو بكر الكوفي، ثقة من كبار التابعين.
(٣) البخاري، برقم ٤٠٠٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) الأذكار النووية، ص ١٢٦.

الثناء على الصحابة ﷺ بجميل انقيادهم إلى الله، وابتهالهم ورجوعهم إليه، وما حصل لهم من الإجابة إلى مطلوبهم[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

هذا الحديث دليل قوي، وصريح في الرد على من كره أن يقال سورة البقرة، وسورة آل عمران إلى آخره، بل يقال: السورة التي يذكر فيها البقرة وهكذا.

وقولهم هذا خلاف ما صح من الأحاديث عن النبي ﷺ، وبه قال الصحابة ومن بعدهم، وهو الصحيح، وقد اعتمد من عارض هذا بحديث أنس رفعه: «**لا تقولوا سورة البقرة وسورة آل عمران، وكذا القرآن كله**»[٢].

رابعاً: تفسير كلمات الآيتين الكريمتين:

١-قوله تعالى: «**آمن الرسول**»: أي: صدق تصديقًا جازمًا، ليس فيه شك ولا تردد.

٢-قوله تعالى: «**والمؤمنون**»: هذه شهادة للصحابة ﷺ بالإيمان بما آمن به الرسول الكريم ﷺ.

٣-قوله تعالى: «**وملائكته**»: أي: التي نصت عليهم الشرائع السماوية جملة وتفصيلًا.

٤-قوله تعالى: «**وكتبه**»: أي: بما فيها من الأخبار، والأوامر، والنواهي قبل التبديل، والتحريف الذي حدث للتوارة والإنجيل.

٥-قوله تعالى: «**ورسله**»: من ذكرهم الله، وما سكت عنهم في القرآن

---

(١) فتح الباري ٩/ ٥٦، ويشير إلى إجابة الله لهم بقوله: «قد فعلت»، وفي لفظ: «نعم»، وذلك عند قولهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا...﴾ الآيات. انظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه ﷻ لم يكلف إلا ما يطاق، برقم ١٢٦.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ٢/٥١٩، برقم ٢٥٨٢، وفيه: «وقال: عبيس بن ميمون منكر الحديث، وهذا لا يصح، وأخرجه أيضًا: الطبراني في الأوسط، ٦/٤٧، برقم ٥٧٥٥، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ١٤/ ٢٥٧: «منكر». وانظر: فتح الباري ٩/ ٨٨.

الكريم لقوله ﷻ: ﴿ **وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ**﴾[1]، وأنهم لا يفرِّقون بين أحد منهم.

٦-قوله تعالى: «**سمعنا وأطعنا**»: أي: ما أمرتنا به، ونهيتنا عنه، وهذا سماع فهم واستجابة.

٧-قوله تعالى: «**غفرانك**»: لأن العبد لابد أن يحدث له تقصير في هذا الباب.

٨-قوله تعالى: «**لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها**»: التكليف هو الإلزام بما فيه كلفة، ومشقة تحتمل.

٩-قوله تعالى: «**وسعها**»: أي: إلا ما تتسع لها طاقتها، ويكون في قدرتها.

١٠-قوله تعالى: «**لها ما كسبت**»: أي: من الخير.

١١-قوله تعالى: «**وعليها ما اكتسبت**»: أي: من الشر - وفي الإتيان بـ«كسب» في الخير دلالة على أن عمل الخير يحصل للإنسان بأدنى سعي، بل بمجرد نية القلب.

١٢- قوله تعالى: «**اكتسبت**» دلالة على أن عمل الشر لا يكتب على الإنسان حتى يعمله، ويحصل سعيه.

١٣- قوله تعالى: ﴿**ربنا لا تؤاخذنا**﴾: أي: لا تعاقبنا.

١٤- قوله تعالى: ﴿**إن نسينا**﴾: النسيان هو ذهول القلب عما أمر به فيتركه نسيانًا.

١٥- قوله تعالى: ﴿**أو أخطأنا**﴾: والخطأ أن يقصد شيئًا يجوز له قصده، ثم يقع فعله على ما لا يجوز له فعله.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

١٦- قوله تعالى: ﴿إِصْرًا﴾: الإصر هو الأمر الغليظ الصعب، أو هو الذنب الذي ليس فيه توبة، ولا كفارة، ويطلق الإصر على العهد؛ لقوله: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾[1]؛ لأن الإصر يطلق على الحبل الذي تربط به الأحمال ونحوها.

١٧- قوله تعالى: ﴿واعف عنا واغفر لنا وارحمنا﴾: لأن العفو والمغفرة يحصل بهما: دفع المكاره، والشرور، والرحمة يحصل بها صلاح الأمور، وكل خير في الدنيا والآخرة.

١٨- قوله تعالى: ﴿أنت مولانا﴾: أي: مليكنا، وإلهنا، لا مولى لنا سواك[2].

خامساً: مما ورد في فضل خواتيم سورة البقرة الأحاديث الآتية:

١- قول النبي ﷺ: «... **وَأُعْطِيتُ آخِرَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فَهُنَّ مِنْ كَنْزٍ مِنْ بَيْتٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ**»[3]، وفي رواية الإمام أحمد زاد: «**وَلَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي**»[4].

٢- قول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ، أَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلاَ يُقْرَآنِ فِي دَارٍ ثَلاَثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ**»[5].

٣- قال ابن عباس رضي الله عنهما: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه فرفع رأسه فقال: «**هذا باب من السماء قد فُتِحَ اليوم لم يفتح إلا اليوم**

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٢) انظر: تفسير الجزائري، ص ١٨١، وتفسير السعدي، ص ١٢٠. .

(٣) مسند الطيالسي، ١/ ٣٣٤، برقم ٤١٨.

(٤) أخرجه أحمد، ٣٥/ ٤٤٦، برقم ٢١٥٦٤، وبنحوه في دلائل النبوة للبيهقي، ١/ ٤٤١، ووصفه بأنه مروي بالأسانيد الثابتة، وصححه لغيره محققو المسند، ٣٥/ ٤٤٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٤٨٢، وصحيح الجامع، برقم ١٠٦٠.

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في آخر سورة البقرة، برقم ٢٨٨٢، ومسند أحمد، ٣٠/ ٣٦٣، برقم ١٨٤١٤، والحاكم، ٢/ ٢٦٠، وصححه ووافقه الذهبي، وحسن إسناده محققو المسند، ٣٠/ ٣٦٣، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٨٨.

فنزل منه ملك، فقال: «هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: أبشر بنورين لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة. لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»(١).

٤- قال علي بن أبي طالب ﷺ: «ما أرى أحدًا يعقل بلغة الإسلام ينام حتى يقرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة، فإنهما من كنز تحت العرش»(٢).

***

١٠٢-(٤)«بِاسْمِكَ(٣) رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا، بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»(٤).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٥٤-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٥)، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، برقم ٨٠٦.

(٢) أورده ابن كثير في تفسيره ١/ ٧٣٥،وبنحوه في مصنف بن أبي شيبة، ٦/ ٤٠، برقم ٢٩٣١٥، ومختصر قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي، ص ١٦٠، وأورده النووي في الأذكار، ٨٩، بلفظ آخر، وقال: «إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم».

(٣) ((إذا قام أحدكم من فراشه ثم رجع إليه فلينفضه بصَنِفَةِ إزاره ثلاث مرات، وليُسمِّ الله؛ فإنه لا يدري ما خلفه عليه بعده، وإذا اضطجع فليقل:...)) الحديث. ومعنى بصَنِفَةِ إزاره: طَرَفه مِمَّا يلي طرَّته النهاية في غريب الحديث والأثر، (صنف).

(٤) البخاري، كتاب الدعوات، باب حدثنا أحمد بن يونس، برقم ٦٣٢٠، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، برقم ٢٧١٤.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ». هذا لفظ البخاري(١).

٣٥٥-وفي لفظ آخر له: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ فِرَاشَهُ فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ ثَوْبِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»(٢).

٣٥٦-ولفظ مسلم عن أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ، فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ، وَلْيُسَمِّ اللَّهَ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا خَلَفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطَجِعَ، فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، وَلْيَقُلْ: سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبِّي، بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»(٣).

٣٥٧- وفي لفظ للترمذي: عن أبي هريرة ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فِرَاشِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ، فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ إِزَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدُ، فَإِذَا اضْطَجَعَ فَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ»(٤).

٣٥٨-وعَنْ أَبِي الأَزْهَرِ الأَنْمَارِيِّ(٥) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ

---

(١) البخاري، برقم ٦٣٢٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) البخاري، كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها، برقم ٧٣٩٣.

(٣) مسلم، برقم ٢٧١٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه حدثنا ابن أبي عمر، برقم ٣٤٠١، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٠٧.

(٥) أبو الأزهر الأنماري، شامي صاحب رسول الله ﷺ، وروى عنه بعض الأحاديث، وسماه الحافظ ابن =

مِنَ اللَّيْلِ قَالَ «بِسْمِ اللهِ وَضَعْتُ جَنْبِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَأَخْسِئْ شَيْطَانِي، وَفُكَّ رِهَانِي، وَاجْعَلْنِي فِي النَّدِيِّ الأَعْلَى»(١).

ثانياً شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**باسمك ربي**»: قال ابن الملقن رحمه الله: «الاسم هو المسمى في الله تعالى على ما ذهب إليه أهل السنة، وموضع الدلالة منه قوله عليه السلام: «**باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه**»(٢)، وقال ابن بطال رحمه الله: «بإقدارك إياي على وضع جنبي وضعته، وبإقدارك إياي على رفعه أرفعه»(٣).

٢-قوله: «**باسمك وضعت جنبي وبك أرفعه**»: قال القرطبي رحمه الله: «باللام، لا بالباء، وبك أرفعه: روي بالباء وباللام، فالباء للاستعانة. أي: بك أستعين على وضع جنبي ورفعه، فاللام يحتمل أن يكون معناه: لك تقربت بذلك. فإنَّ نومه؛ إنما كان ليستجم به لما عليه من الوظائف؛ ولأنه كان يوحى إليه في نومه، ولانه كان يقتدى به، فصار نومه عبادة، وأما يقظته. فلا تخفى أنها كانت كلها عبادة، ويحتمل أن يكون معناه لك وضعت جنبي لتحفظه، ولك رفعته لترحمه»(٤)، وقال الصنعاني رحمه الله: «وضعت جنبي: وضع الجنب كناية عن وضع البدن كله»(٥).

٣-قوله: «**فإن أمسكت نفسي**»: أي: قبضت روحي؛ لأن المراد بالنفس

حجر: أبا رهم الأنماري، ثم قال: «وهو خطأ نشأ عن تحريف وتصحيف، وإنما هو أبو زهير الأنماري» وهو على الصواب. انظر: الاستيعاب، ٤/ ١٥٩٦. والإصابة في تمييز الصحابة، ٧/ ١٥١.

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول عند النوم، برقم ٥٠٥٤، والمستدرك، ١/ ٥٤٠، والمعجم الكبير للطبراني، ٢٢/ ٢٩٨، برقم ٧٥٨، وحسنه النووي في الأذكار، ص ١٣٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٤٦٤٩.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٣٣/ ٢٣٩.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ١٠/ ٤٢٣.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢٢/ ٩٧.

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣١٤.

هنا الروح، قال الطيبي رحمه الله: «...الإمساك: وهو قبض الروح، والإرسال: وهو رد الحياة، أي الله يتوفى الأنفس: النفس التي تُقبَض، والنفس التي لم تُقْبَض، فيمسك الأولى، ويرسل الأخرى»[١].

٤-قوله: «**فارحمها**»: قال المباركفوري رحمه الله: «أي: لَا أَسْتَغْنِي عَنْكَ بِحَالٍ؛ فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي، أَيْ قَبَضْتَ رُوحِي فِي النَّوْمِ (فَارْحَمْهَا) أَيْ بِالْمَغْفِرَةِ وَالتَّجَاوُزِ عَنْهَا»[٢].

٥-قوله: «**وإن أرسلتها فاحفظها**»: أي: قدرت لها الحياة وعدم الموت في هذه النومة[٣]، وقال المبارك كفوري رحمه الله: «وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا بِأَنْ رَدَدْتَ الْحَيَاةَ إِلَيَّ وَأَيْقَظْتَنِي مِنَ النَّوْمِ فَاحْفَظْهَا، أَيْ: مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَالْمُخَالَفَةِ بِمَا تَحْفَظُ بِهِ، أَيْ: مِنَ التَّوْفِيقِ وَالْعِصْمَةِ وَالْأَمَانَةِ»[٤].

٦-قوله: «**بما تحفظ به عبادك الصالحين**»: قال الطيبي رحمه الله: «...لأن الله تعالى إنما يحفظ عباده الصالحين من المعاصي، ومن أن لا يهنوا في طاعته، وعبادته، بتوفيقه ولطفه»[٥]، وقال الصنعاني رحمه الله: «المراد: إن رددتها فاحفظها عند الرد وبعده من كل آفة من آفات الأبدان»[٦].

٧-قوله: «**أخسئ**»: أي: أبعد، واطرد، وهذا على سبيل التعليم لأمته، قال الطيبي رحمه الله: «كلمة زجرٍ، واستهانةٍ، أي: اسكت صاغراً، مدحورا»[٧]، وقال

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٣.
(٢) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٤٥، وتقدم في شرح المفردة رقم ١١ من مفردات حديث المتن رقم ٣.
(٣) انظر: شرح الحديث رقم ٣ من أحاديث المتن، المفردة رقم ١٢.
(٤) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٤٥، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من مفردات حديث المتن رقم ٣.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٤، وانظر: فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٢٧ ، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٣ من مفردات حديث المتن رقم ٣.
(٦) التنوير شرح الجامع الصغير، ١/ ٦١٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٣ من مفردات حديث المتن رقم ٣.
(٧) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٨٧.

الطيبي رحمه الله: في موضع آخر: «اخسأ شيطإني: «اجعله مطرودا عني كالكلب المهين، وأضافه إلي نفسه؛ لأنه أراد قرينه من الجن، أو الذي يبغي غوايته»[١].

٨-قوله: «**إذا أوى**»: أي: إذا دخل في فراش نومه، ومنه المأوى، وهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان، قال الطيبي رحمه الله: «أوى، وآوى بمعنى واحد، يقال: أويت إلى المنزل، وآويت غيري، وأويته... في الحديث: «أما أحدكم فأوى إلى الله» أي: رجع، ومن الممدود قوله: «الحمد لله الذي كفانا، وآوانا، أي: ردَّنا إلى مأوانا، يعني منزلنا»[٢].

٩-قوله: «**بداخلة إزاره**»: أي طرف إزاره الذي يلي الجسد، قال ابن الأثير رحمه الله: «داخلة الإزار : طرفه»[٣]..

١٠-قوله: «**بصنفة ثوبه**» هي الحاشية التي تلي الجلد، قال ابن الأثير رحمه الله: «وصنفته : طرفه أيضا من جانب هدبه، وقيل : من جانب حاشيته»[٤] ، وقال الطيبي رحمه الله: «هي الحاشية التي تلي الجسم، وتماسّه، وإنما أمر بالنفض بها؛ لأن المتحول إلى فراشه يحلّ بيمنه خارجة الإزار، وتبقى الداخلة معلقة فينفض بها»[٥].

١١-قوله: «**فإنه لا يدري ما خلفه عليه**»: أي: مما وقع في فراشه من تراب، أو هوام، أو شيطان، قال الطيبي رحمه الله: «أي: أقام مقامه بعده على الفراش، يعني: لا يدري ما وقع في فراشه بعد ما خرج هو منه من تراب، أو قذاة، أو هوام»[٦].

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١١/ ٣٤٧٢.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٢١٦.
(٣) جامع الأصول، ٤/ ٢٦٧.
(٤) جامع الأصول، ٤/ ٢٦٧.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٣.
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٣.

١٢-قوله: «**وفك رهاني**»: أي: خلِّص رقبتي من الحقوق جميعها، قال الطيبي رحمه الله: «وفكّ الرهن: تخليص ما يوضع وثيقة للدَّيْن، وأراد بالرهان هاهنا نفس الإنسان؛ لأنها مرهونة بعملها»[١].

١٣-قوله: «**الندي الأعلى**»: أي: اجعلني من المجتمعين في الملأ الأعلى، قال ابن الأثير رحمه الله: «الندي: النادي، المجلس يجتمع فيه القوم، فإذا تفرقوا عنه فليس بنادٍ، ولا ندي، والمراد بالندي الأعلى: مجتمع الملائكة المقربين؛ ولهذا وصفه بالعلو»[٢]، وقال الإمام النووي رحمه الله: «وروينا عن الإمام أبي سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي رحمه الله في تفسير هذا الحديث قال: النديّ: القوم المجتمعون في مجلس، ومثله النادي، وجمعه أندية، قال: يريد بالنديّ الأعلى: الملأ الأعلى من الملائكة»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية قول هذا الذكر بعد نفض الفراش ثلاث مرات، وهذا النفض من باب الأخذ بالأسباب المشروعة، مع الاعتقاد أن السبب لا يعمل بنفسه، بل بأمر الله عز وجل.

٢-الواجب على العبد أن يتجه بقلبه، وقالبه إلى خالقه، خاصة أنه قد تكون هذه الليلة لا نهار له بعدها.

٣-صحة الاستعاذة: بأسماء الله، ولذلك أورد البخاري هذا الحديث تحت باب قال فيه: باب: السؤال بأسماء الله والاستعاذة بها[٤].

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١١/ ٣٤٧٢.
(٢) جامع الأصول، ٤/ ٢٧١.
(٣) الأذكار النووية للإمام النووي، ص ١٣٢.
(٤) وهي عند البخاري في التوحيد، برقم ٧٣٩٣، وفيه النفض ثلاث مرات.

٤- بيَّن هذا الحديث الحكمة من نفض الفراش قبل النوم، ولكنه لم يبين الحكمة من اختصاص النفض بداخلة الإزار، والمسلم مأمور بالاتباع التام، عَلِمَ الحكمة أم خفيت عليه، وقد نقل الحافظ ابن حجر : أقوالًا لبعض السلف في بيان ذلك أظهرها أن لذلك خاصية طبية تمنع من قرب بعض الحشرات، قال ابن العربي: هذا من الحذر، ومن النظر في أسباب دفع سوء القدر(١).

٥- جمع هذا الحديث باختلاف في رواياته، وألفاظه عدداً من السنن النبوية، التي هي من السنن المستحبة، وليست الواجبة، وهي على النحو الآتي:

أ- نفض الفراش بداخلة الإزار ثلاث مرات.

ب- تسمية الله أثناء ذلك.

ج- الاضطجاع على الشق الأيمن.

د-إذا قام من فراشه ثم عاد إليه كرر النفض ثلاثًا(٢).

هـ- قول هذا الذكر.

٦- إذا قام المسلم من نومه لقضاء حاجته، أو لشيء آخر هل يتوضأ

---

(١) انظر: فتح الباري، ١١/ ١٢٧، ولفظ الأقوال عند ابن حجر: «قالَ ابن بَطّال: فِي هَذا الحَدِيث أَدَب عَظِيم، وقَد ذَكَرَ حِكمَته فِي الخَبَر، وهُو خَشيَة أَن يَأوِي إِلَى فِراشه بَعض الهَوامّ الضّارَّة فَتُؤذِيه.
وقالَ القُرطُبِيّ: يُؤخَذ مِن هَذا الحَدِيث أَنَّهُ يَنبَغِي لِمَن أَرادَ المَنام أَن يَمسَح فِراشه لاحتِمالِ أَن يَكُون فِيهِ شَيء يَخفَى مِن رُطُوبَة أَو غَيرها.
وقالَ ابن العَرَبِيّ: هَذا مِنَ الحَذَر، ومِن النَّظَر فِي أَسباب دَفع سُوء القَدَر، أَو هُو مِنَ الحَدِيث الآخَر: «اعقِلها وتَوكَّل». ا. هـ.

(٢) انظر الأدب المفرد، رقم ١٢١٧، حيث ذكر الألباني رواية تشتمل على هذه السنن، وقال أنها رواية صحيحة، ولفظها: «عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِه، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ، وَلْيُسَمِّ اللهَ، فَإِنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا خَلَفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطَجِعَ، فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ، وَلْيَقُلْ: سُبْحَانَكَ رَبِّي، بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ».

قبل النوم مرة أخرى؟

والجواب:

قام النبي ﷺ من الليل فقضى حاجته، فغسل وجهه ويديه ثم نام، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَضَى حَاجَتَهُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ، وَيَدَيْهِ، ثُمَّ نَامَ» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «يَعْنِي بَالَ»[1]، وإن توضأ وصلى ركعتين، أو أكثر، فذلك أكمل وأفضل؛ لأن الأحاديث يفسر بعضها بعضاً.

* * *

١٠٣-(٥)«اللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ نَفْسِي، وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا، وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ»[٢].

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٥٩-عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما[٣]، أَنَّهُ أَمَرَ رَجُلًا إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ: «**اللهُمَّ إِنَّكَ خَلَقْتَ نَفْسِي، وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: سَمِعْتَ هَذَا مِنْ عُمَرَ ؟ فَقَالَ: «مِنْ خَيْرٍ مِنْ عُمَرَ، مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»[٤].

---

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول عند النوم، برقم، ٥٠٤٣، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٥٠٤٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، برقم ٢٧١٢، وأحمد، ٩/ ٣٥٩، برقم ٥٥٠٢.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٤) مسلم، برقم ٢٧١٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللهم إنك خلقت نفسي**»: أي: أوجدتني بقدرتك، والمراد بالنفس الروح التي هي من أمر الله تعالى ﴿**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾[1]، أي: من جملة مخلوقاته التي أمرها أن تكون فكانت[2]، قال ابن الأثير رحمه الله: «فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى «الْخالِقُ» وَهُوَ الَّذِي أوْجد الْأَشْيَاءَ جميعَها بَعْدَ أَنْ لَمْ تكنْ مَوْجُودة. وَأَصْلُ الخَلْقِ التَّقْدير، فَهُوَ باعتِبار تَقْدِيرِ مَا مِنْهُ وُجُودُها، وَبِاعْتِبَارِ الْإِيجَادِ عَلَى وَفْق التَّقْدِيرِ خَالِقٌ»[3].

٢-قوله: «**وأنت توفاها**»: إما بالنوم وهو الموتة الصغرى، وإما بالوفاة الحقيقية، قال في الفتح الرباني: «أي: بيدك حياتها وموتها، في الحديث ذكر الموت والحياة، والدعاء للنفس على تقدير الحياة بالحفظ، وعلى تقدير الموت بالمغفرة، وذلك أن النوم شبيه بالموت؛ لأن الله تعالى يتوفى فيه نفس النائم»[4].

٣-قوله: «**لك مماتها ومحياها**»: أي: لا يقدر على الإحياء والإماتة إلا أنت سبحانك، قال الإمام النووي: «أي: حياتها وموتها، وجميع أمورها لك، وبقدرتك، وفي سلطانك»[5].

قوله: «**إن أحييتها فاحفظها**»: قال المناوي رحمه الله: «أي: صنها عن التورط فيما لا يرضيك»[6]، وقال الصنعاني رحمه الله: «**فاحفظها**: عن شرور الحياة:

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٢) تفسير السعدي، ص ٤٦٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٧٠، مادة (خلق).

(٤) الفتح الرباني شرح مسند أحمد، ٦٣/ ١٢.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣٥.

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٩٥.

شرور الأديان، والأبدان»[(١)].

قوله: «**وإن أمتها فاغفر لها**» قال المناوي رحمه الله: «وإن أمتها فاغفر لها ذنوبها؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[(٢)]، وقال الصنعاني رحمه الله: «**وإن أمتها فاغفر لها**»: فهي بعد الموت أحوج إلى المغفرة»[(٣)].

٤-قوله: «اللهم إني أسألك العافية»: أي: بدفع ما يكدر العيش في الدنيا والبرزخ ويوم القيامة، قال الإمام النووي رحمه الله: «وَقَدْ كَثُرَتْ الْأَحَادِيث فِي الْأَمْر بِسُؤَالِ الْعَافِيَة، وَهِيَ مِنَ الْأَلْفَاظ الْعَامَّة الْمُتَنَاوِلَة لِدَفْعِ جَمِيع الْمَكْرُوهَات فِي الْبَدَن وَالْبَاطِن، فِي الدِّين وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَة، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلك الْعَافِيَة الْعَامَّة، لِي وَلِأَحِبَّائِي، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ»[(٤)]، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «والعافية هي السلامة من كل شر، وإذا وفّقك الله لها، وعافاك من كل شر من شر الأبدان، والقلوب، والأهواء، وغيرها فأنت في خير»[(٥)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الاعتراف بالعبودية لله وحده، والإقرار بالعجز، والتسليم لأمر الله من عوامل الطمأنينة والسكينة في نفس العبد، وهذه الأمور من أعظم النعم.

٢-ما كان عليه ابن عمر من محبة الرسول ﷺ أكثر من المال، والأهل، والولد، وهذا شأن أهل الإيمان.

٣-إذا فارقت الروح البدن يحدث الموت، ولا يعلم حقيقة الروح إلا

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، ٣/ ١٧٩.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٩٥.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٣/ ١٧٩.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢/ ٤٦.

(٥) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٤٩٣.

خالقها، فهي تنتشر في سائر الجسد، ويدل على آثارها الإحساس، والتفكير، وغير ذلك، فإذا خرجت بقي الجسد ساكناً بلا حراك.

***

١٠٤-(٦)((اللَّهُمَّ قِنِي[١] عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ، ثلاث مرات))[٢].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٦٠-عَنْ حَفْصَةَ رضي الله عنها[٣] زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ**». ثَلاَثَ مِرَارٍ[٤].

---

(١) «كان ﷺ إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خدِّه، ثم يقول: ...» الحديث.

(٢) أبو داود بلفظه، كتاب الأدب، باب ما يقول عند النوم، برقم ٥٠٤٥، والترمذي، كتاب الدعوات، باب منه حدثنا ابن أبي عمر، برقم ٣٣٩٨، وأحمد، ٤٤/ ٦٥، برقم ٢٦٤٦٤، وفي لفظ «ثلاث مرار» وصححه لغيره محققو المسند، ٤٤/ ٦٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/١٤٣، وصحيح أبي داود، ٣/ ٢٤٠، دون لفظة: «ثلاث مرار».

(٣) حفصة بنت عمر رضي الله عنها: زوج النبي ﷺ، تزوجها بعد انقضاء عدتها من خنيس بن حذافة السهمي أحد المهاجرين رضي الله عنه، وكانت ابنة عشرين سنة، ولما تأيمت بوفاة زوجها عرضها عمر على أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما فلم يكن لهما بها حاجة، ثم خطبها الرسول ﷺ، وتزوجها البخاري، برقم ٥١٢٢، ولما طلقها الرسول أُمر أن يراجعها فراجعها ابن سعد في الطبقات وقال العدوي في الصحيح المسند من فضائل الصحابة: صحيح لشواهده، وفي لفظ عند ابن سعد أن جبريل قال للرسول ﷺ: «أرجع حفصة فإنها صوامة قوامة، وإنها من نسائك في الجنة» ابن سعد في الطبقات، وقد توفيتعام إحدى وأربعين، وهو عام الجماعة. انظر: الاستيعاب، ٤، ١٨١١، وسير أعلام النبلاء، ٢/ ٢٢٧، ترجمة رقم ٢٥.

(٤) أبو داود، برقم ٥٠٤٥، وأحمد، برقم ٢٦٤٦٤، وفيه: «ثلاث مرار» وصححه لغيره محققو المسند، ٤٤/ ٦٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن. وذكر الشيخ الألباني أثناء تضعيفه لرواية أبي داود في الثلاث مرار في السلسلة الصحيحة، ٦/ ٥٨٤، أن الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ١١ / ١١٥ «قد ذكر الحديث من رواية أبي إسحاق عن البراء، وسنده صحيح، و أخرجه النسائي أيضاً بسند صحيح عن حفصة، و زاد: «ويقول ذلك ثلاثاً». ا. هـ، وحسنه السيوطي في =

٣٦١-ولفظ الإمام أحمد رحمه الله: عَنْ حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ اضْطَجَعَ عَلَى يَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ قَالَ: «**رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ**» **ثَلَاثَ مِرَارٍ، وَكَانَ يَجْعَلُ يَمِينَهُ لِأَكْلِهِ، وَشُرْبِهِ، وَوُضُوئِهِ، وَثِيَابِهِ، وَأَخْذِهِ، وَعَطَائِهِ، وَيَجْعَلُ شِمَالَهُ لِمَا سِوَى ذَلِكَ، وَكَانَ يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ: الإِثْنَيْنِ، وَالْخَمِيسَ، وَالإِثْنَيْنِ مِنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى**»[1].

٣٦٢-ولفظ آخر للإمام أحمد عَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه[2]، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ وَقَالَ: «**اللهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ، أَوْ تَجْمَعُ عِبَادَكَ**»[3].

٣٦٣-ورواية ابن أبي شيبة: عَنِ الْبَرَاءِ أيضاً، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَامَ تَوَسَّدَ يَمِينَهُ تَحْتَ خَدِّهِ، وَيَقُولُ: «**قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ**»[4].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللهمّ**»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «لا خلاف أن لفظة: (اللهمّ) معناها يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب، فلا يقال اللَّهمَّ غفور رحيم، بل يقال: اللّهمّ اغفر لي وارحمني»[5].

٢-قوله: «**قني عذابك**»: أي: احفظني من العذاب واصرفه عني، قال ابن

=

الجامع الصغير، برقم ٦٥٥٨، بينما صححه الألباني في صحيح الكلم الطيب، ص ٧٨، برقم ٣٨.

(١) مسند أحمد، ٤٤/ ٦٤، برقم ٢٦٤٦٢، وصححه لغيره محققو المسند بلفظ ثلاث مرار، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٤٧٩٠، دون كلمة ثلاث مرار.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٨ من أحاديث الشرح.

(٣) مسند أحمد، ٣٠/ ٦١٣، برقم ١٨٦٧٢، وصححه محققو المسند.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة، ٦/ ٣٩، برقم ٢٩٣١١. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٦ / ٥٨٤، برقم ٢٧٥٤.

(٥) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في شرح المفردة، رقم ٦.

علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «طلب الوقاية من عذابه؛ لأنه أشد العذاب وأعظمه»[١]، وقال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: احفظني منه بفضلك، وكرمك، وهو تعليم لأمته أو تواضع مع ربه»[٢].

٣-قوله: «**يوم تبعث عبادك**»: أي: للحساب والجزاء يوم القيامة.وقال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «خصه؛ لأنه اليوم الذي يظهر فيه جزاء الأعمال»[٣].

٤-قوله: «**ثلاث مرات**»: قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: يكرره ثلاثاً، والظاهر حصول أصل السنة بمرة، وكمالها باستكمال الثلاث»[٤].

٥-قوله: «**إذا أوى**»: أي: إذا دخل في فراش نومه، ومنه المأوى، وهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان.يرقد: أي ينام، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أوى، وآوى بمعنى واحد، يقال: أويت إلى المنزل، وآويت غيري، وأويته... في الحديث: «**أما أحدكم فأوى إلى الله**» أي: رجع، ومن الممدود قوله: «الحمد لله الذي كفانا، وآوانا، أي: ردَّنا إلى مأوانا، يعني: منزلنا»[٥].

٦-قوله: «**اضطجع**»: المضجع هو موضع النوم من الاضطجاع وهو النوم، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «واضْطَجَع: نَامَ، وَقِيلَ: اسْتَلْقَى، وَوَضَعَ جَنْبَهُ بالأَرض... والمَضاجِعُ: جَمْعُ المَضْجَعِ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿**تَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ**﴾[٦]؛ أَي: تَتَجافى عَنْ مضاجِعِها الَّتِي اضْطَجَعَتْ فِيهَا»[٧]..

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٤٢٧.
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١/ ٣٤.
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني، ٨/ ٣٢٥.
(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ١٢٣.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٢١٦.
(٦) سورة السجدة، الآية: ١٦.
(٧) لسان العرب، ٨/ ٢١٩، مادة (ضجع)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٤، من حديث متن المقدمة رقم ٧.

٧-قوله: «توسَّد»: وسدته الشيء فتوسده إذا جعلته تحت رأسه فَكُنِيَ بالوساد عن النوم لأنه مظنته[١].

٨- قوله: «يرقد»: أي: ينام، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «رقد: الرُّقاد: النَّوْم، والرَّقْدَة: النَّوْمَةُ ... الرُّقاد والرُّقُود يَكُونُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عِنْدَ الْعَرَبِ؛ ... ورَقَدَ يَرْقُدُ رَقْداً، ورُقُوداً، ورُقاداً: نَامَ، وَقَوْمٌ رُقُود أَي: رُقَّد، والمَرْقَد، بِالْفَتْحِ: الْمَضْجَعُ، وأَرْقَدَهُ: أَنامه»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-النوم يصبح أمرًا تعبديًّا إذا نوى النائم ذلك، فينقله من باب العادات التي لا نية فيها إلى باب العبادات التي يرجو بها الأجر من الله، فيحصل له ذلك، وهذا من فضل الله ﷻ على عباده.

٢-استحضار المسلم لمشاهد البعث والجزاء دافع له إلى إدامة محاسبة نفسه، وذلك كل ليلة.

٣-المواظبة على الأذكار النبوية تؤصِّل في قلب المسلم المحبة الحقيقية للرسول الكريم ﷺ، رجاء أن يحشر معه.

٤- نهى النبي ﷺ عن النوم على البطن، وقد رأى أحد أصحابه وهو طِهْفَةَ الْغِفَارِيّ رضي الله عنه[٣]، فقَالَ: أَصَابَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ عَلَى بَطْنِي، فَرَكَضَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ: «**مَا لَكَ وَلِهَذَا النَّوْمِ، هَذِهِ نَوْمَةٌ يَكْرَهُهَا اللَّهُ، أَوْ يُبْغِضُهَا**

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ١٨٠، مادة (وسد).

(٢) لسان العرب ٣/ ١٨٣، مادة (رقد).

(٣) طهفة الغفاري، قيل: طهفة بن قيس بالهاء، وقيل طخفة بن قيس بالخاء، وقيل طغفة بالغين، وغير ذلك ، كان من أصحاب الصفة، ومن أهل العلم من يقول: إن الصحبة لابنه عبد الله. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر، ٢/ ٧٧٤، والإصابة، ٣/ ٥٤٤.

اللَّهُ»(١). وفي رواية أخرى عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ(٢) قَالَ: مَرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا مُضْطَجِعٌ عَلَى بَطْنِي، فَرَكَضَنِي بِرِجْلِهِ، وَقَالَ: «**يَا جُنَيْدِبُ، إِنَّمَا هَذِهِ ضِجْعَةُ أَهْلِ النَّارِ**»(٣)، وفي لفظ آخر: قال: «**إِنَّ هَذِهِ ضِجْعَةٌ يُبْغِضُهَا اللَّهُ**»(٤).

قال القاري رحمه الله: «وَذَكَرَ ذَلِكَ [قوله: قني عذابك...] مَعَ عِصْمَتِهِ، وَعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ تَوَاضُعًا لِلَّهِ، وَإِجْلَالًا لَهُ وَتَعْلِيمًا لِأُمَّتِهِ إِذْ يُنْدَبُ لَهُمُ التَّأَسِّي بِهِ فِي الْإِتْيَانِ بِذَلِكَ عِنْدَ النَّوْمِ لِاحْتِمَالِ أَنَّ هَذَا آخِرُ أَعْمَارِهِمْ لِيَكُونَ ذِكْرُ اللَّهِ آخِرَ أَعْمَالِهِمْ، مَعَ الِاعْتِرَافِ بِالتَّقْصِيرِ فِي بَابَيِ الِارْتِكَابِ وَالِاجْتِنَابِ الْمُوجِبِ لِلْعَذَابِ وَالْعِقَابِ»(٥).

١٠٥-(٧) «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا»(٦).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٦٤-عَنْ حُذَيْفَةَ بن اليمان ﷺ(٧)، قَالَ: **كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ قَالَ:** «**بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا**»، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ قَالَ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي**

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب النهي عن الاضجاع على الوجه، برقم ٣٧٢٣، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، برقم ٣٧١٣.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٤٥ من أحاديث الشرح.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب النهي عن الاضجاع على الوجه، برقم ٣٧٢٤، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، برقم ٣٧١٤.

(٤) أخرجه أبو داود، برقم ٥٠٤٠، وابن ماجه ، برقم ٣٧٢٣، وأحمد، ٢٤/ ٣٠٧، رقم ١٥٥٤٣، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي، ٣/ ٢٤٠، وصحح إسناده، وحسنه لغيره محققو المسند، ٢٤/ ٣٠٧، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/ ١٠٦، برقم ٣٠٨٠.

(٥) جمع الوسائل في شرح الشمائل، للقاري، ٢/ ٤١.

(٦) البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٦٣٢٤، ومسلم،، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم ٢٧١١.

(٧) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٦ من أحاديث الشرح.

أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»[١].

٣٦٥-ورواية مسلم: عَنِ الْبَرَاءِ[٢]، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ: «**اللهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا، وَبِاسْمِكَ أَمُوتُ**» وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**باسمك اللَّهم**»: أي: باسمك يا الله، والباء للاستعانة، أي: أستعين بك، وأسألك الحفظ والسلامة. يَدُلّ عَلَى أَنَّ الاسم هُو المُسَمَّى، وهُو كَقَولِهِ تَعالَى: ﴿**سَبّح اسم رَبّك الأعلى**﴾[٤]، أَي: سَبّح رَبّك، ومَعنًى آخر وهُو أَنَّ الله تَعالَى سَمَّى نَفسه بالأَسماءِ الحُسنَى، ومَعانِيها ثابِتَة لَهُ، فَكُلّ ما صَدَرَ فِي الوُجُود فَهُو صادِر عَن تِلكَ المُقتَضَيات، فَكَأَنَّهُ قالَ: بِاسمِك المُحيِي أَحيا، وبِاسمِك المُمِيت أَمُوت»[٥].

٢-قوله: «**أموت**»: أي: ذاكرًا لاسمك، معظمًا له، قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللهُ: «بذكر اسمك أحيا ما حييت، وعليه أموت، وقيل معناه: بك أحيا، أنت تحييني وأنت تميتني، والاسم هنا هو المسمى، والمراد بالموت هنا: النوم، والنشور: هو الإحياء للبعث يوم القيامة، نبه بإعادة اليقظة بعد النوم الذي هو موت على إثبات البعث بعد الموت، وحكمة الدعاء عند إرادة النوم -وهو مستحب- أن يكون خاتمة أعماله، وإذا أصبح أن يكون أول عمله بذكر التوحيد، والكلم الطيب»[٦].

---

(١) البخاري، برقم ٦٣٤٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٨ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٢٧١١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٤٦.

(٥) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١١٤، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٧.

(٦) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٩/ ٢١٠.

٣-قولـه: «**وأحيـا**»: أي: أحيـا علـى هـذه الحالـة مـن ذكـرك، وتوحيـدك، وامتثـال مـا أمرتنـا بـه، واجتنـاب مـا نهيتنـا عنـه. وقـال ابـن الجـوزي رحمه الله: «والمعنى بل أموت وأحيا بإرادتك وقدرتك »[١]، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «يعني: أنني أموت وأحيا بإرادة الله عز وجل، والمراد بالموت هنا، والله أعلم، موت النوم؛ لأن النوم يسمى وفاة، أو أنه الموت الأكبر الذي هو مفارقة الروح للبدن ... المراد بالموت في قوله: باسمك اللهم أموت وأحيا يعني موت النوم، وهو الموت الأصغر»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-المسلم يختم يومه بذكر ربه، والإقرار له بالعبودية؛ لأنه قد افتتح يومه بحمد الله الذي أحياه بعد هذه الموتة الصغرى؛ ولذلك جاء في الحديث: أن النبي ﷺ «إذا استيقظ من منامه: كان يقول: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**»[٣].

٢-النـوم يُـذكِّر المسـلم بـالموت، وبـأن الله هـو الحـي الـذي لا يمـوت، وكـذلك الاستيقاظ دليل على قدرة الله على البعث، والإحياء بعد الموت.

***

١٠٦-(٨) «**سُبْحَانَ اللهِ** (ثلاثـاً وثلاثـين) **وَالْحَمْـدُ لِلَّهِ** (ثلاثـاً وثلاثـين) **وَاللهُ أَكْبَرُ** (أربعاً وثلاثينَ)»[٤].

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، ص ٢٤٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، للعلامة ابن العثيمين، شرح الحديث رقم ٨١٧.

(٣) البخاري، برقم ٦٣٣٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) من قال ذلك عندما يأوي إلى فراشه كان خيراً له من خادم. البخاري، كتاب فضائل الصحابة، بـاب مناقـب علـي بـن أبـي طالـب رضي الله عنه، بـرقم ٣٧٠٥، ومسـلم، كتـاب الـذكر والـدعاء والتوبـة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، برقم ٢٧٢٦ .

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٦٦-عن عَلِيٍّ ﷺ[١]، أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلامُ[٢]، شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَفَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا، وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ، فَقَالَ: «**عَلَى مَكَانِكُمَا**»، فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ: «**أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**»[٣].

٣٦٧-ورواية الإمام أحمد عَنْ عَلِيٍّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا زَوَّجَهُ فَاطِمَةَ بَعَثَ مَعَهُ بِخَمِيلَةٍ، وَوِسَادَةٍ، مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا: لِيفٌ، وَرَحَيَيْنِ، وَسِقَاءٍ، وَجَرَّتَيْنِ، فَقَالَ عَلِيٌّ لِفَاطِمَةَ ذَاتَ يَوْمٍ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَنَوْتُ حَتَّى لَقَدِ اشْتَكَيْتُ صَدْرِي، قَالَ: وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ أَبَاكِ بِسَبْيٍ، فَاذْهَبِي فَاسْتَخْدِمِيهِ، فَقَالَتْ: وَأَنَا وَاللَّهِ قَدْ طَحَنْتُ حَتَّى مَجَلَتْ يَدَايَ، فَأَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا جَاءَ بِكِ أَيْ بُنَيَّةُ؟**»، قَالَتْ: جِئْتُ لِأُسَلِّمَ عَلَيْكَ، وَاسْتَحْيَتْ أَنْ تَسْأَلَهُ وَرَجَعَتْ، فَقَالَ: مَا فَعَلْتِ؟ قَالَتْ: اسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ، فَأَتَيْنَاهُ جَمِيعًا، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ سَنَوْتُ حَتَّى اشْتَكَيْتُ صَدْرِي، وَقَالَتْ فَاطِمَةُ: قَدْ طَحَنْتُ حَتَّى مَجَلَتْ يَدَايَ، وَقَدْ جَاءَكَ اللَّهُ بِسَبْيٍ وَسَعَةٍ، فَأَخْدِمْنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكُمَا وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوَى بُطُونُهُمْ، لَا أَجِدُ مَا أُنْفِقُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنِّي أَبِيعُهُمْ،**

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٨٨ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٣٧٠٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وَأُنفِقُ عَلَيْهِمْ أَثْمَانَهُمْ»، فَرَجَعَا، فَأَتَاهُمَا النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ دَخَلا فِي قَطِيفَتِهِمَا، إِذَا غَطَّتْ رُؤُوسَهُمَا تَكَشَّفَتْ أَقْدَامُهُمَا، وَإِذَا غَطَّيَا أَقْدَامَهُمَا تَكَشَّفَتْ رُءُوسُهُمَا، فَثَارَا، فَقَالَ: «مَكَانَكُمَا»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمَا بِخَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟ » قَالَا: بَلَى، فَقَالَ: «كَلِمَاتٌ عَلَّمَنِيهِنَّ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: تُسَبِّحَانِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَتَحْمَدَانِ عَشْرًا، وَتُكَبِّرَانِ عَشْرًا، وَإِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ»، قَالَ: فَوَ اللَّهِ مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْكَوَّاءِ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ؟ فَقَالَ: قَاتَلَكُمِ اللَّهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، نَعَمْ، وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ[١].

٣٦٨- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما[٢]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَصْلَتَانِ لاَ يُحْصِيهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ: يُسَبِّحُ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَيُكَبِّرُ عَشْرًا، وَيَحْمَدُ عَشْرًا، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْقِدُهَا بِيَدِهِ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ وَمِئَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُمِئَةٍ فِي الْمِيزَانِ، وَإِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ: سَبَّحَ، وَحَمِدَ، وَكَبَّرَ مِئَةً، فَتِلْكَ مِئَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ، فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَمِئَةِ سَيِّئَةٍ؟ قَالُوا: وَكَيْفَ لاَ يُحْصِيهَا؟ قَالَ: يَأْتِي أَحَدَكُمُ الشَّيْطَانُ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ، فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى يَنْفَكَّ الْعَبْدُ لاَ يَعْقِلُ، وَيَأْتِيهِ وَهُوَ فِي مَضْجَعِهِ، فَلاَ يَزَالُ يُنَوِّمُهُ حَتَّى يَنَامَ»[٣].

٣٦٩- ولفظ الإمام أحمد عن أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّ فَاطِمَةَ، جَاءَتْ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ تَشْتَكِي إِلَيْهِ الْخِدْمَةَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ مَجِلَتْ يَدَايَ مِنَ الرَّحَى،

---

(١) مسند أحمد، ٢/ ٢٠٢، برقم ٨٣٨، وابن سعد، ٨/ ٢٥، وحسنه محققو المسند، ٢/ ٢٠٣.

(٢) تقدمت ترجمته في حديث الشرح رقم ٨٣.

(٣) النسائي، كتاب السهو، عدد التسبيح بعد التسليم، برقم ١٣٤٨، وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما يقال بعد التسليم، برقم ٩٢٦، والترمذي، كتاب الدعوات، باب منه حدثنا أحمد بن منيع، برقم ٣٤١٠، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ص ٢٦، برقم ٧٥٤.

أَطْحَنُ مَرَّةً، وَأَعْجِنُ مَرَّةً، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ يَرْزُقْكِ اللَّهُ شَيْئًا يَأْتِكِ، وَسَأَدُلُّكِ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ: إِذَا لَزِمْتِ مَضْجَعَكِ، فَسَبِّحِي اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرِي ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدِي أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَذَلِكَ مِائَةٌ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنَ الْخَادِمِ، وَإِذَا صَلَّيْتِ صَلَاةَ الصُّبْحِ، فَقُولِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. عَشْرَ مَرَّاتٍ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَعَشْرَ مَرَّاتٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ تُكْتَبُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَتَحُطُّ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَا يَحِلُّ لِذَنْبٍ كُسِبَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَنْ يُدْرِكَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الشِّرْكُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُوَ حَرَسُكِ، مَا بَيْنَ أَنْ تَقُولِيهِ غُدْوَةً إِلَى أَنْ تَقُولِيهِ عَشِيَّةً ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ، وَمِنْ كُلِّ سُوءٍ»[1].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**وسبحان الله**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً...، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله»[2].

٢-قوله: «**الحمد لله**»: قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّحْمِيد: الثَّنَاء بِجَمِيلِ الْفِعَال، وَالتَّمْجِيد الثَّنَاء بِصِفَاتِ الْجَلَال، وَيُقَال: أَثْنَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ كُلّه»[3].

٣-قوله: «**الله أكبر**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الله أكبر**» معناه الله الكبير، وقال النحويون: معناه الله أكبر من كل شيء»[4].

٤-قوله: «**ما تلقى من أثر الرحى**»: أي: من المشقة والتعب، قال ابن

---

(١) مسند أحمد، ٤٤/ ١٧٥، برقم ٢٦٥٥١، وصححه لغيره محققو المسند، ٤٤/ ١٧٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦، من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٣) شرح النووي على مسلم، ٤/ ١٠٤، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من حديث المتن رقم ٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤/ ٥٢، مادة (كبر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

منظور رحمه الله: «يَقُولُ: يَلْقَى مِنْهُ الْمَشَقَّةَ وَالشِّدَّةَ، كَمَا يَلْقَى مِنَ الْقِتَالِ»[(١)]، وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله عن الأثر: «أَثَرُ الشيء: حصول ما يدلّ على وجوده، يقال: أثر وأثّر، والجمع: الآثار»[(٢)]، وقال القسطلاني رحمه الله: «تلقى في يدها من أثر الرحا... مما تطحن»[(٣)]، و«الرحى»: هي الأداة التي كانوا يطحنون بها الشعير وغيره من الحبوب؛ ليصبح دقيقًا صالحًا للخبز، وإنما كانت المشقة في إدارة الرحى، قال ابن منظور رحمه الله: «الرَّحَى: الحَجَر الْعَظِيمُ، أُنثى، والرَّحَى: مَعْرُوفَةٌ الَّتِي يُطْحَنُ بِهَا»[(٤)].

٥-قوله: «**السبي**»: أي: رقيق، قال ابن الأثير رحمه الله: «السَّبْيُ: النَّهبُ، وأخذُ النَّاسِ عَبيداً وَإِمَاءً، والسَّبِيَّةُ: الْمَرْأَةُ المَنْهُوبة، فَعِيلة بِمَعْنَى مَفْعُولة، وجمعُها السَّبَايَا»[(٥)].

٦-قوله: «**خادمًا**»: أي: جارية تخدمها، ويطلق الخادم على الذكر أيضًا.

٧-قوله: «**توافقه**»: أي: لم تجده في بيته ﷺ، ولعله كان في المسجد أو غيره.

٨-قوله: «**دخلنا مضاجعنا**»: أي: تهيأنا للنوم في المكان المعد لذلك، وقد قيل: إن ذلك كان عبارة عن لحاف لهما، إذا غطيا رأسيهما تكشفت أقدامهما، والعكس[(٦)].

٩-قوله: «**ذهبنا لنقوم**»: قال في الفتح الرباني: «فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا... إلخ. أي: جاء النبي ﷺ حال كوننا مضطجعين (فذهبت لأقوم) يعني: أنا وفاطمة، وفي رواية أبي داود: (فذهبنا لنقوم)»[(٧)].

---

(١) لسان العرب، ٤/ ٢١١، مادة (لقي).
(٢) المفردات في غريب القرآن، ١/ ١٢.
(٣) شرح القسطلاني، ٦/ ١١٧.
(٤) لسان العرب، ١٤/ ٣١٢، مادة (رحى).
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٤٠، مادة (سبي).
(٦) ذكر ذلك الحافظ في الفتح من رواية السائب،١١/ ١٣٨.
(٧) الفتح الرباني شرح مسند أحمد، ٦٣/ ١٠.

١٠-قوله: «على مكانكما»: أي: في الفراش، لا تتكلفا القيام أي اثبتا على ما أنتما عليه من الاضطجاع[1].

١١-قوله: «فجلس بيننا»: وإنما فعل ذلك النبي ﷺ مبالغة منه في إيناسهما، وقد جاء في بعض طرق الحديث[2]: أن النبي ﷺ جلس عند رأس فاطمة، فأدخلت رأسها في اللفاع[3] حياءً من أبيها ﷺ.

١٢-قوله: «ليلة صفين»: أي: ليلة الحرب التي كانت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وهي مكان معروف في الشام قريب من حدود العراق وتركيا، وقد أقام الفريقان عدة أشهر، ولم يقع القتال ليلًا إلا مرة واحدة، وقتل فيها الآلاف من الفريقين، وقد أشرف علي رضي الله عنه على النصر، ولكن أصحاب معاوية رضي الله عنه رفعوا المصاحف، ووقع التحكيم عام ٣٧ هـ، ثم خرج الخوارج على علي رضي الله عنه عام ٣٨ هـ، وقتلهم رضي الله عنه بالنهروان[4].

١٣-قوله: «خميلة»: «كل ثوب له خمل من أي شيء كان، وقيل: الخميل الأسود من الثياب»[5].

١٤-قوله: «وسادة»: الوِسادة - بكسر الواو فيهما-: المخدّة، والجمع وسائد، وُوسّد -بضمتين- ووسّدته الشيء توسيداً، فتوسده، إذا جعلته تحت رأسه[6].

١٥-قوله: «ليف»: من خُوصٍ، أَو شَعْرٍ، أَو وَبَرٍ، أَو صُوف، أَو جُلُودِ

(١) المرجع السابق.
(٢) شرح الحديث في فتح الباري، ١١/ ١٢٠.
(٣) اللفاع: ثوب يجلل به الجسد كله، كساءً كان أو غيره، وتلفع بالثوب إذا اشتمل به. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٦٠، مادة (لفع).
(٤) انظر تفصيل ذلك في كتب التاريخ كالبداية والنهاية لابن كثير رحمه الله.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٨٠، مادة (خمل).
(٦) مختار الصحاح، ص ٣٠٠، مادة (وسد).

الإِبل، أَو مِن أَيِّ شَيْءٍ كانَ[(١)].

١٦-قوله: «**سنوت**»: السواني: جمع سانية، وهي الناقة التي يستقى عليها، ... ونسنو عليه أي: نستقي، ومنه حديث فاطمةلقد سنوت حتى اشتكيت صدري[(٢)].

١٧-قوله: «**مجلت**»: مجلت يده تمجُل مجْلاً، ومجِلت تمجَل مجَلا، إذا ثخن جلدها، وتعجّر، وظهر فيها ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة[(٣)].

١٨-قوله: «**أخدمنا**»: أي: نسألك خادماً يقيها حر ما هي فيه، والخادم واحد الخدم، ويقع على الذكر والأنثى لإجرائه مجرى الأسماء غير المأخوذة من الأفعال، كحائض، وعاتق[(٤)].

١٩-قوله: «**تطوى بطونهم**»: يقال: طوى من الجوع يطوى طوىً، فهو طاوٍ: أي: خالي البطن، جائع لم يأكل، وطوى يطوي إذا تعمد ذلك[(٥)].

٢٠-قوله: «**قطيفتهما**»: القطيفة: هي كِساء له خَمْل: أي: الذي يَعْمل لها، ويَهْتَمُّ بتَحْصيلها[(٦)].

٢١-قوله: «**خمسون ومائة**»:قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتلك خمسون ومائة: فذلكة الكلمات المذكورة دبر الصلوات، وجملة تعدادها في اليوم والليلة، وذلك لأن عدد الكلمات المحصيات خلف كل صلاة ثلاثون، وعدد الصلوات المفروضة في اليوم والليلة خمس»[(٧)].

---

(١) تاج العروس، ٩/ ١٧١، مادة (ليف).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤١٤، مادة (سنت).
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ٤/ ٢٩٩، مادة (مجل)، وانظر: الفتح الرباني شرح مسند أحمد، ١٠/ ٥٤.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/١٤، مادة (خدم).
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣، ١٤٦، مادة (طوى).
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٨٣، مادة (قطف).
(٧) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٨٥.

٢٢-قوله: «**وألف وخمسمائة في الميزان**»: لأن الحسنة بعشر أمثالها، وقوله: «**وإذا أخذ مضجعه**» إلى آخره بيان للخصلة الأخرى، قوله: فإذا أتى بهؤلاء الكلمات أدبار الصلوات، وعند الاضطجاع، يحصل له ألفا حسنة، وخمسمائة حسنة، فيعفى عنه بعدد كل حسنة سيئة، فأيكم يأتي في كل يوم وليلة ألفين وخمسمائة سيئة؟ يعني يصير مغفوراً له، ويمكن أن يقال: إن (الفاء) في (فأيكم) جواب شرط محذوف، وفي الاستفهام نوع إنكار، يعني إذا تقرر ما ذكرت، فأيكم يأتي بألفين وخمسمائة سيئة، حتى تكون مكفرة بها، فما لكم لا تأتون بها، وأي مانع يمنعكم؟ فينطبق على هذا إنكار قولهم: (كيف لا نحصيها)،إذ لا يصرفنا عن ذلك شيء؟ فأُجِيبُوا بقوله: «**يأتي أحدكم الشيطان**» يعني يوقع الشيطان في قلوبكم الوساوس والنسيان، حتى ينصرف أحدكم عن الصلاة، وينام، وقد نسي الذكر[١]، وقال القاري رحمه الله على قوله: «فذلك خمسون ومئة باللسان»: «أي: في يوم وليلة حاصلة من ضرب ثلاثين في خمسمئة، أي: مائة وخمسون حسنة (باللسان)، أي: بمقتضى نطقه في العدد «وألف وخمسمائة في الميزان»؛ لأن كل حسنة بعشر أمثالها على أقل مراتب المضاعفة الموعودة في الكتاب والسنة، يعني: إذا حافظ على الخصلتين، وحصل ألفان وخمسمائة حسنة في يوم وليلة، فيعفى عنه بعدد كل حسنة سيئة، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾[٢]، فأيكم يأتي بأكثر من هذا من السيئات في يومه وليلته حتى لا يصير معفوًا عنه، فما لكم لا تأتون بهما، ولا تحصونهما؟»[٣]، وقال السندي رحمه الله: «قوله: (فأيكم يعمل) إلخ، أي: لتساوي هذه الحسنات، ولا يبقى منها شيء، أي: بل السيئات في العادة أقل من هذا العدد، فتغلب عليها هذه الحسنات الحاصلة بهذا الذكر المبارك»[٤]، وقال المباركفوري رحمه الله: قال السندي «في حاشية ابن ماجة: أي: إنها تدفع هذا العدد

---

(١) انظر: شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٨٥.
(٢) سورة هود، الآية: ١١٤.
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٢٧٩.
(٤) حاشية السندي على النسائي، ٣/ ٧٤.

من السيئات، وإن لم تكن له سيئات بهذا العدد، ترفع له بها درجات، وقلَّما يعمل الإنسان في اليوم والليلة هذا القدر من السيئات، فصاحب هذا الورد، مع حصول مغفرة السيئات، لا بد أن يحرز بهذا الورد فضيلة هذه الدرجات، «**قالوا: وكيف لا نحصيها**»، أي المذكورات، وفي رواية أحمد «**قالوا: كيف من يعمل بهما قليل؟**» والمعنى: أنهم قالوا مستفهمين استفهام تعجب، إذا كان هذا الثواب الجزيل لمن يعمل هذا العمل القليل، فكيف يقلّ العاملون به؟»[1]، وقال المباركفوري أيضاً: «قَالَ الطِّيبِيُّ: أَيْ: كَيْفَ لَا نُحْصِي الْمَذْكُورَاتِ فِي الْخَصْلَتَيْنِ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ يَصْرِفُنَا فَهُوَ اسْتِبْعَادٌ لِإِهْمَالِهِمْ فِي الْإِحْصَاءِ، فَرُدَّ اسْتِبْعَادُهُمْ بِأَنَّ الشَّيْطَانَ يُوَسْوِسُ لَهُ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى يَغْفُلَ عَنِ الذِّكْرِ عَقِيبَهَا، وَيُنَوِّمَهُ عِنْدَ الِاضْطِجَاعِ كَذَلِكَ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ (قَالَ) أَيِ: النَّبِيُّ ﷺ: «يَأْتِي أَحَدَكُمْ» مَفْعُولٌ مقدم، فيقول، أو يوسوس لَهُ، أَوْ يُلْقِي فِي خَاطِرِهِ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، مِنَ الْأَشْغَالِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَالْأَحْوَالِ النَّفْسِيَّةِ الشَّهَوِيَّةِ، أَوْ مَا لَا تَعَلُّقَ لَهَا بِالصَّلَاةِ، وَلَوْ مِنَ الْأُمُورِ الْأُخْرَوِيَّةِ... وَفِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ يَغْلِبُهُ الشَّيْطَانُ عَنِ الْحُضُورِ الْمَطْلُوبِ الْمُؤَكَّدِ فِي صَلَاتِهِ، فَكَيْفَ لَا يَغْلِبُهُ، وَلَا يَمْنَعُهُ عَنِ الْأَذْكَارِ الْمَعْدُودَةِ مِنَ السُّنَنِ فِي حَالِ انْصِرَافِهِ عَنْ طَاعَتِهِ، وَيَأْتِيهِ أَيِ: الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَلَا يَزَالُ يُنَوِّمُهُ بِتَشْدِيدِ الْوَاوِ، أَيْ: يُلْقِي عَلَيْهِ النَّوْمَ حَتَّى يَنَامَ، أَيْ: بِدُونِ الذِّكْرِ»[2] .

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-بيان ما كان عليه الصحابة ﷺ من خشونة العيش، وقلة الزاد؛ لأن همهم كان الآخرة، وأن الله ﷻ قد حماهم شر الدنيا.

٢-جاء بيان ما كانت عليه فاطمةمن التعب في رواية ملخصها أنها كانت تعمل الآتي:

أ- تجرّ بالرحى حتى أثّر ذلك في يدها.

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ١٤٦.
(٢) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٥٣.

ب – استقت بالقربة حتى أثّر ذلك في نحرها.

جـ – كانت تكنس البيت حتى تغيرت ثيابها.

د – كانت توقد القدر حتى دكنت - أي اسودّت - ثيابها من الدخان[1].

٣-مكانة عائشة ، وعلو مقامها حيث خصّتها فاطمة بالسفارة بينها وبين أبيها، دون سائر زوجاته ﷺ.

٤-ما كان عليه الرسول الكريم ﷺ من العطف، والشفقة، والتواضع على البنت، والصهر؛ حيث لم يزعجهما، وتركهما على حالة الاضطجاع، وبالغ حتى أدخل رجله الشريفة بينهما.

٥-جواز دخول الرجل على ابنته وزوجها، وجلوسه في فراشها، ولكن ذلك تابع للمصلحة والمفسدة التي يترتب عليها ذلك الفعل.

٦-شدة رعاية النبي ﷺ لمصالح أمته؛ حيث آثر إعطاء أهل الصفة المال المترتب على بيع السبي، والذي أرادت فاطمة أن تأخذ منهم جارية، وذلك لأن أهل الصفة قد وقفوا أنفسهم لسماع العلم، وضبط السنة.

٧-تعليم النبي ﷺ لفاطمة، وعلي ما هو أفضل من الخادم، ألا وهو ذكر الله تعالى؛ لأن الذكر يعطي الذاكر قوة في بدنه، وصحته.

٨- يقول ابن القيم : «وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في مشيه، وكلامه، وإقدامه، وكتاباته، أمر عجيبًا؛ لأنه كان كثير الذكر، وكان يقول: من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعانيه من شغل وغيره»[2].

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب التسبيح عند النوم، برقم ٥٠٦٣، وضعفه الألباني، ولكن الشاهد أن العمل أرهقها، أما علي فقد كان يشتكي من صدره مما يلاقيه من مشقة جلب الماء من البئر.

(٢) الوابل الصيب، ١٣١.

٩- استدل بعض أهل العلم بهذا الحديث على وجوب خدمة الزوجة لزوجها، مثل: الطبخ، والغسيل، ونحو ذلك، وإن كانت الزوجة من بنات الأشراف، فقيل هذا من باب البر، والإحسان، وحسن العشرة، وليس من باب الإلزام، وأرجع بعضهم ذلك إلى العرف، والعلم عند الله تعالى(١).

١٠٧-(٩)«اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا، وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»(٢).

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٧٠-عن سهيل»(٣) قال: كَانَ أَبُو صَالِحٍ(٤) يَأْمُرُنَا، إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ،

---

(١) والذي جاء الدليل فيه هو قوله ﷺ: «ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه» مسلم، برقم ١٢١٨، وكذلك ورد الدليل على أنها ملزمة بالاستجابة إلى طلبه إذا دعاها للفراش؛ لقوله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح» البخاري، برقم ٥١٩٣، أما ما ورد من فعل فاطمة ﵂، وكذلك فعل أسماء بنت أبي بكر مع الزبير بن العوام ﵄ من أنها كانت تعلف فرسه، وتنقل النوى، وتستقي الماء، وغير ذلك. وانظر: المغني، لابن قدامة، ٧/٢١.

(٢) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، برقم ٢٧١٣.

(٣) تقدمت ترجمته في حديث الشرح رقم ٣٤٤.

(٤) ذكوان أَبُو صَالح السمان، كَانَ يجلب السّمن وَالزَّيْت إِلَى الْكُوفَة، فنسب إِلَيْهِمَا، وَهُوَ وَالِد سُهَيْل بْن أَبِي صَالح، يروي عَن أَبِي هُرَيْرَة، وَسعد بْن أَبِي وَقاص، روى عَنهُ الأَعْمَش وَابْنه، وغيرهما، وَهُوَ مولى جوَيْرِيَة بنت الأحمس الْغَطَفَانِي، مَاتَ سنة إِحْدَى وَمِائَة. انظر: الطبقات الطبرى، ٥/ ٢٣٠، والثقات لابن حبان، ٤/ ٢٢١.

أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ» وَكَانَ يَرْوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(1)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ(2).

٣٧١-وفي لفظ آخر لمسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: أَتَتْ فَاطِمَةُ النَّبِيَّ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَقَالَ لَهَا: «**قُولِي: اللهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ**» بِمِثْلِ حَدِيثِ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ(3).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش العظيم**»: أي يا خالق هذه المخلوقات العظيمة الدالة على كمال قدرتك، فأنت خلقت من عدم، وأبدعت على غير مثال سابق.

قال العيني رحمه الله: «اشتمل هذا على التوحيد الذي هو أصل التنزيهات، المسماة بالأوصاف الجلالية، وعلى العظمة التي تدل على القدرة العظيمة؛ إذ العاجز لا يكون عظيماً، وعلى الحلم الذي يدل على العلم؛ إذ الجاهل بالشيء لا يتصور منه الحلم، وهما أصل الصفات الوجودية الحقيقية المسماة بالأوصاف الإكرامية، ووجه تخصيص الذكر بالحليم؛ لأن كرب المؤمن غالباً إنما هو على نوع تقصير في الطاعات، أو غفلة في الحالات، وهذا يشعر برجاء

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.
(٢) مسلم، برقم ٦١-(٢٧١٣)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) مسلم، برقم ٦٣- (٢٧١٣)، والنسائي في الكبرى، برقم ٧٦٢٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

العفو المقلل للحزن.... ولا شك أن الله من صفاته: الحلم، وهو صفة تليق بجلال الله ﷻ، لا يشبه خلقه في شيء من ذلك، قوله: «**رب السموات والأرض**» خصهما بالذكر؛ لأنهما من أعظم المشاهدات، ومعنى الرب في اللغة يطلق على: المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والمتمم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أطلق على غيره أضيف، فيقال: رب كذا. قوله: «**رب العرش العظيم**» ذا أيضاً يشتمل على: التوحيد، والربوبية، وعظمة العرش، وجه الأول قد ذكرناه، ووجه ذكر الثاني، أعني: لفظ الرب من بين سائر الأسماء الحسنى، هو كونه مناسباً لكشف الكرب الذي هو مقتضى التربية، ووجه الثالث، وهو تخصيص العرش بالذكر؛ لأنه أعظم أجسام العالم، فيدخل الجميع تحته دخول الأدنى تحت الأعلى، ثم لفظ العظيم صفة للعرش بالجر عند الجمهور، ونقل ابن التين عن الداودي أنه رواه برفع العظيم على أنه نعت للرب، ويروى ورب العرش العظيم بالواو»[1].

٢-قوله: «**رب السموات السبع ورب الأرض**»: إن الله رب كل شيء، ومالكه، والسموات جعلهن سبعاً، قال ابن جرير رحمه الله: «إن ربكم الذي له عبادة كل شيء، ولا تنبغي العبادة إلا له، هو الذي خلق السموات السبع، والأرضين السبع في ستة أيام، وانفرد بخلقهما بغير شريك، ولا ظهيرٍ، ثم استوى على عرشه مدبرًا للأمور ، وقاضيًا في خلقه ما أحبّ، لا يضادُّه في قضائه أحدٌ، ولا يتعقب تدبيره مُتَعَقِّبٌ، ولا يدخل أموره خلل»[2]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فالكفار المشركون مقرون بأن الله خالق السموات والأرض، وليس في جميع الكفار من جعل لله شريكاً مساوياً له في ذاته، وصفاته، وأفعاله، هذا لم يقله أحد قط، لا من

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، ٢٢/ ٣٠٣.
(٢) تفسير الطبري، ١٥/ ١٨.

المجوس الثنوية، ولا من أهل التثليث، ولا من الصابئة المشركين الذين يعبدون الكواكب، والملائكة، ولا من عبّاد الأنبياء، والصالحين، ولا من عبّاد التماثيل، والقبور، وغيرهم؛ فإن جميع هؤلاء، وإن كانوا كفاراً مشركين، متنوعين في الشرك، فهم يقرون بالرب الحق الذي ليس له مثل في ذاته، وصفاته، وجميع أفعاله، ولكنهم مع هذا مشركون به في ألوهيته، بأن يعبدوا معه آلهة أخرى، يتخذونها شركاء، أو شفعاء - أو في ربوبيته بأن يجعلوا غيره رب الكائنات دونه، مع اعترافهم بأنه رب ذلك الرب، وخالق ذلك الخالق»[١].

٣-قوله: «**ورب العرش العظيم**»: قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله: «وسمَّى الله بعض خلقه عظيماً، فقال: وهو رب العرش العظيم، فالله العظيم، وأوقع اسم العظيم على عرشه، والعرش مخلوق»[٢].

٤-قوله: «**ربنا ورب كل شيء**»: هذا من باب ذكر العام ثم الخاص؛ لأن السموات والأرض والعرش جزء من ملك الله الذي لا يعلمه إلا هو عز وجل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إقرارهم بأن ملكوت جميع الأشياء بيده، وأنه الذي يمنع المخلوق، وينصره، فيجيره من الضرر، والأذى، فيجير على من يشاء، ولا يجير عليه أحد، فاذا أراد بأحد ضرراً، لم يمنعه مانع، وإذا رفع الضر عن أحد، لم يستطع أحد أن يضره، وفي كون ملكوت كل شيء بيده بيان أنه هو المدبر النافع له، فهو الذي يأتي بالمنفعة، وهو الذي يدفع المضرة»[٣]، وقال رحمه الله أيضاً: «هُوَ سُبْحَانَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَرَبُّهُ، وَمَلِيكُهُ، لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ،

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية، ط رشيد رضا، ١/ ٣٥.

(٢) كتاب التوحيد، ١/ ٦١، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن رقم ٨٣.

(٣) بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية، ٢/ ٤٥٥.

فَكَلُّ مَا فِي الْوُجُودِ: مِنْ حَرَكَةٍ، وَسُكُونٍ، فَبِقَضَائِهِ، وَقَدَرِهِ، وَمَشِيئَتِهِ، وَقُدْرَتِهِ، وَخَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ بِطَاعَتِهِ، وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَمَعْصِيَةِ رُسُلِهِ، أَمَرَ بِالتَّوْحِيدِ، وَالْإِخْلَاصِ، وَنَهَى عَنْ الْإِشْرَاكِ بِاَللَّهِ، فَأَعْظَمُ الْحَسَنَاتِ التَّوْحِيدُ، وَأَعْظَمُ السَّيِّئَاتِ الشِّرْكُ»[1].

٥-قوله: «**فالق الحب والنوى**»: أي: أنت الذي تشق الحبة، وتفلق النوى، وذلك لأن النبات إما أشجار أصله النوى، أو زروع أصلها الحب، والنوى جمع نواة، وهي عظم النخل، والتخصيص هنا إما لفضلها، أو لكثرة وجودها في بلاد العرب المخاطبين بالوحي، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ**﴾[2].

قال العلامة السعدي رحمه الله: «يخبر تعالى عن كماله، وعظمة سلطانه، وقوة اقتداره، وسعة رحمته، وعموم كرمه، وشدة عنايته بخلقه، فقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ**﴾ شامل لسائر الحبوب، التي يباشر الناس زرعها، والتي لا يباشرونها، كالحبوب التي يبثها الله في البراري، والقفار، فيفلق الحبوب عن الزروع، والنوابت، على اختلاف أنواعها، وأشكالها، ومنافعها، ويفلق النوى عن الأشجار، من النخيل، والفواكه، وغير ذلك، فينتفع الخلق، من الآدميين، والأنعام، والدواب، ويرتعون فيما فلق الله من الحب، والنوى، ويقتاتون، وينتفعون بجميع أنواع المنافع التي جعلها الله في ذلك، ويريهم الله من بره، وإحسانه ما يبهر العقول، ويذهل الفحول، ويريهم من بدائع صنعته، وكمال حكمته، ما به يعرفونه، ويوحدونه، ويعلمون أنه هو الحق، وأن عبادة ما سواه باطلة»[3].

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١١/ ٢٥١.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٥.
(٣) تفسير السعدي، ص ٢٦٥.

٦-قوله: «**منزل التوارة**»: التوارة اسم للكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام، ومعناه بالعبرية: الشريعة، وهي اسم أعجمي، مشتق من وري الزند، وهو ما يظهر منه بعد إيقاده من النور، وقد كان لهم هداية ونورًا قبل التحريف، وقيل: إنها معربة عن كلمة «طورا» العبرية، ومعناها الهدى، وهذا من العلم الذي لا ينفع، والجهل الذي لا يضر(١).

٧-قوله: «**والإنجيل**»: وهو كتاب عيسى عليه السلام، ومعناه باليونانية التعليم الجديد، وقيل معناه الأصل؛ لأنه جمعت فيه العلوم، والحكم قبل التحريف كذلك، والجمع أناجيل، وجمع توارة تُوار(٢)، قال الزبيدي رحمه الله: «الإنْجيل: اسمٌ عِبْرانيٌّ، وَقيل: سُرْيانيٌّ، وَقيل: عربيٌّ، وعَلى الأخيرِ قيل: مُشتَقٌّ من النَّجْلِ، وَهُوَ الأَصْل، أَو من نَجَلْتُ الشيءَ: أَي أَظْهَرتُه، أَو من نَجَلَه: إِذا استخرجَه»(٣)؛ لأنه أظهر ما اندرس من الدين.

٨-قوله: «**والفرقان**»: اسم من أسماء القرآن الكريم، وسمي فرقانًا؛ لأن الله فرق به بين الحق والباطل، قال الله تعالى: ﴿**وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ**﴾(٤) وقال: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾(٥)، وقال ابن الأثير رحمه الله: «الفُرْقَان: مِنْ أَسْمَاءِ الْقُرْآنِ: أَيْ أَنَّهُ فَارِقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، يُقَالُ: فَرَقْتُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، أَفْرُق فَرْقاً وفُرْقَاناً»(٦).

٩-قوله: «**أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته**»: المعنى: أنني

---

(٢) انظر: تفسير الجزائري، ص ١٨٢ .

(٢)انظر: تفسير الجزائري، ص ١٨٢.

(٣) تاج العروس، ٣٠/ ٤٥٨، مادة (نجل).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٣٩، مادة (فرق).

أعتصم بك من الشر كله: مصادره، وفروعه؛ لأنك وحدك القادر على دفعه عني؛ لأنك آخذ بنواصي الخلق جميعًا، والناصية هي مقدم الرأس، قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «نصا: يدلُّ على تَخَيُّرٍ، وخَطَر في الشَّيء وعُلوّ، ومنه النَّصِيَّة من القَوم، ومن كلِّ شيءٍ: الخيار، ويقال: انتصَيْتُ الشَّيءَ: اخترتُه، وهذه نَصِيَّتي: خِيرَتي، ومنه النَّاصية: سمِّيت لارتفاع مَنْبتها. والناصيةُ: قُصَاص الشَّعْر»[(١)]، وقال البيضاوي: «أي: ما هو في ملكتك، وتحت سلطانك، وأنت متمكن من التصرف، والأخذ بالناصية كناية عن الاستيلاء، والتمكن من التصرف فيه، وإنما عدل إلى هذه العبارة ولم يقل: من شر كل شيء، إشعاراً بأنه المسبب لكل ما يضر، وينفع، والمرسل له، لا يقدر أحد على منعه، ولا شيء ينفع في دفعه، ... فلا مفر منه إلا إليه، ولا معاذ يستعاذ به سواه»[(٢)].

١٠ -قوله: «**اللَّهم أنت الأول فليس قبلك شيء**»: أي: أنه عَجَلَّ الكائن الذي لم يزل قبل وجود الخلق[(٣)]؛ لأنه الذي ليس قبله شيء، ولذلك فقد قال النبي ﷺ: «**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»[(٤)]، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفيه دلالة على أنه لم يكن شيء غير الله: لا الماء، ولا العرش، ولا غيرهما» وقوله: « **وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ** » أي أن الله خلق الماء سابقًا، ثم خلق العرش على الماء، أما حديث: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَم، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَا بُنَيَّ إِنْ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ**»[(٥)]،

---

(١) مقاييس اللغة، ٥/ ٣٤٧، مادة (نصا).

(٢) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، ٢/ ٩٠.

(٣) شأن الدعاء، للخطابي، ص ٨٧.

(٤) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، برقم ٣٣٩١.

(٥) مسند أحمد، ٣٧/ ٣٧٨، برقم ٢٢٧٠٥، ولفظه: «عن الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ، قال: دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ =

فيجمع بينه وبين ما قبله بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا الماء والعرش[١].

١١-قوله: «**وأنت الآخر فليس بعدك شيء**»: أي: أن الله تعالى هو الباقي بعد فناء الخلق، قاله الخطابي[٢]، وقال البيهقي أي: الذي لا انتهاء لوجوده[٣].

١٢-قوله: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**»: أي: من الظهور، وهو العلو، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿**فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ**﴾[٤] أي: يعلو عليه[٥].

قال الخطابي: هو الظاهر بحججه الباهرة، وبراهينه النيرة، وبشواهد أعلامه الدالة على ثبوت ربوبيته، وصحة وحدانيته[٦]وهذا زيادة على علوِّه فوق العرش ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[٧] استواء يليق بجلاله ﷻ.

١٣-قوله: «**وأنت الباطن فليس دونك شيء**»: هذا كناية عن إحاطة الله

= وَهُوَ مَرِيضٌ أَتَخَايَلُ فِيهِ الْمَوْتَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ أَوْصِنِي، وَاجْتَهِدْ لِي، فَقَالَ: أَجْلِسُونِي، قَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغْ حَقَّ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ: خَيْرِهِ، وَشَرِّهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ، فَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ وَشَرُّهُ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، يَا بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» يَا بُنَيَّ، إِنْ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ» والترمذي، كتاب القدر، باب حدثنا محمد بن بشار، برقم ٢١٥٥، وابن أبي شيبة، ٧/٢٦٤، برقم ٣٥٩٢٢، وابن جرير في تفسيره، ٢٩/١٧، والضياء المقدسي، وحسنه في المختارة، ٨/٣٥٢، وصححه محققو المسند، ٣٧/ ٣٧٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، برقم ٨٨٩.

(١) فتح الباري، ٦/ ٢٨٩.

(٢) شأن الدعاء، ص ٨٨.

(٣) الاعتقاد، للبيهقي، ص ٦٣.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٩٧.

(٥) الواسطية شرح ابن عثيمين ١/ ١٨٢.

(٦) شأن الدعاء، ص ٨٨.

(٧) سورة طه، الآية: ٥.

بكل شيء، ولكن المعنى أنه مع علوه ﷻ، فهو باطن، فعلوه لا ينافي قربه، فالباطن قريب من معنى القريب[١].

قال ابن جرير رحمه الله: أي: أن الله هو الباطن لجميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيء منه ﷻ، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[٢]، ويدل على ذلك أيضًا أن الله قال في نهاية هذه الآية : ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣]، أي: لا يخفى عليه شيء[٤].

١٤-قوله: «**اقض عنا الدين**»: أي: أدِّ عنا جميع الحقوق، وهذا يشمل حقوق الخالق على عبده، وحقوق الخلق، قال الإمام النووي رحمه الله: «اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ يُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالدَّيْنِ هُنَا حُقُوقُ اللهِ تَعَالَى وَحُقُوقُ الْعِبَادِ كُلُّهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَنْوَاعِ»[٥].

١٥-قوله: «**وأغننا من الفقر**»: لأن الدين والفقر من أكبر المنغِّصات[٦] التي تنغص حياة العبد، فراحة البال لا تتم إلا مع أداء الحقوق، وعدم الحاجة إلى سؤال الخلق. وقال ابن هبيرة رحمه الله: «فيه دليل على استحباب سؤال ذلك، وسؤال الغني من غير كراهية لذلك»[٧].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية قول هذا الذكر قبل النوم؛ لاشتماله على جمل كثيرة من

---

(١) الواسطية شرح ابن عثيمين، ١/ ١٨٢.
(٢) سورة ق، الآية: ١٦.
(٣) سورة الحديد، الآية: ٣.
(٤) جامع البيان لابن جرير الطبري، ٢٧/ ١٢٤.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣٥.
(٦) النغص: قال في اللسان: «نغِص نَغصاً: لَمْ تَتِمَّ لَهُ هَناءَتُه، قَالَ اللَّيْثُ: وأَكثرُه بِالتَّشْدِيدِ نُغِّص تَنْغيصاً، وَقِيلَ: النَّغَصُ كَدَرُ الْعَيْشِ، وَقَدْ نَغَّص عَلَيْهِ عَيْشَه تَنْغِيصاً، أَي كَدَّرَه». لسان العرب، ٧/ ٩٩، مادة (نغص).
(٧) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٨/ ٦٩.

التوسلات التي تظهر فقر العبد إلى ربه.

٢-بيان قدرة الله تعالى في خلق السموات السبع، والأرضين السبع، وأكبر من ذلك خلق العرش الذي جاء وصفه «بالعظيم»؛ وذلك لأنه أعظم المخلوقات؛ ولذلك قال الرسول ﷺ: «**مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلاةٍ مِنَ الْأَرْضِ**»[١]، فهذا هو الخلق فما بالك بالخالق.

٣-التأكيد على أن التوراة والإنجيل «قبل التحريف»، والقرآن، هي كتب من عند الله تكلم بها، وأنها غير مخلوقة؛ ولهذا فرّق في الدعاء بينهما، ففي شأن الخلق قال: «رب»، و«فالق»، وفي شأن الكتب قال «منزل»، وهذا رد على أهل البدع الذين يقولون إن كلام الله مخلوق[٢].

٤-الاستعاذة لا تكون إلا بالله وحده، وقد جاء عند مسلم: «**أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا**»[٣]، والدابة هي كل ما يدب على الأرض، وهو يشمل الذي يمشي على بطنه، أو على رجلين، أو على أربع، قال الله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[٤].

٥- قال ابن القيم رحمه الله: ومدار هذه الأسماء الأربعة على بيان إحاطة الله تعالى، وهي إحاطتان:

١ – إحاطة زمنية، دل على ذلك أنه هو الأول، والآخر.

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة، ٢/ ٥٨٧، وابن جرير في تفسيره ٥/ ٣٩٩، وصححه الألباني في شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣١٢.
(٢) فقه الأدعية والأذكار، ص ٧٣.
(٣) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، برقم ٢٧١٣.
(٤) سورة النور، الآية: ٤٥.

٢ – إحاطة مكانية، وقد دل على ذلك أنه هو الظاهر، والباطن[١].

٦- ليس من أسماء الله ﷻ الحسنى: القديم، وإطلاق بعض أهل العلم على الله ذلك هو من باب الإخبار فقط، والصواب أن يقال: «الأول»، وقد أنكر كثير من السلف والخلف تسمية الله: «بالقديم»، منهم ابن حزم وغيره[٢].

٧- هل هذه الأسماء متلازمة، أو يجوز فصلها عن بعض؟

والجواب: قال ابن عثيمين: والظاهر أن المتقابل منها متلازم، فإذا قلت الأول، فقل الآخر، وإذا قلت الظاهر، فقل الباطن، وهكذا لا تفوت صفة المقابلة الدالة على الإحاطة[٣].

***

١٠٨-(١٠)«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا، وَسَقَانَا، وَكَفَانَا، وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لاَ كَافِيَ لَهُ، وَلاَ مُؤْوِيَ»[٤].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٧٢-عَنْ أَنَسٍ ﷺ[٥]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا، وَسَقَانَا، وَكَفَانَا، وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ، وَلَا مُؤْوِيَ»[٦].

---

(١) انظر ما قاله ابن القيم في معاني هذه الأسماء الأربعة في «طريق الهجرتين» من ص ١٩: ٢٧.

(٢) مختصر العقيدة الطحاوية تعليق الألباني، ص ١٩.

(٣) العقيدة الواسطية شرح ابن عثيمين، ص ١٨٣.

(٤) مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم، برقم ٢٧١٥، وعند أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقول عند النوم، برقم ٣٠٥٣، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه، برقم ٣٣٩٦.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٦) مسلم، برقم ٢٧١٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٣٧٣-وعند أبي داود عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما[١]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَانِي، وَآوَانِي، وَأَطْعَمَنِي، وَسَقَانِي، وَالَّذِي مَنَّ عَلَيَّ فَأَفْضَلَ، وَالَّذِي أَعْطَانِي فَأَجْزَلَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، اللَّهُمَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، وَإِلَهَ كُلِّ شَيْءٍ، أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ**»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**الحمد لله**»: قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»[٣]، وقال الطيبي رحمه الله: «الحمد: الثناء على قدرته؛ فإن مثل هذا الإذهاب العجيب، وهذا المجيء لا يقدر عليه أحد إلا الله، أو يراد به الشكر، فيشكر على ما أولى العباد بسبب الانتقال من النعم الدينية، والدنيوية ما لا يحصى»[٤].

٢-قوله: «**الذي أطعمنا وسقانا**»: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «فتحمد الله الذي أطعمك، وسقاك»[٥]، وقال القاري رحمه الله: «ذَكَرَهُمَا لِأَنَّ الْحَيَاةَ لَا تَتِمُّ بِدُونِهِمَا كَالنَّوْمِ، فَالثَّلَاثَةُ مِنْ وَادٍ وَاحِدٍ، فَكَانَ ذِكْرُهُ مُسْتَدْعِيًا لِذِكْرِهِمَا، وَأَيْضًا النَّوْمُ فَرْعُ الشِّبَعِ، وَالرِّيِّ، وَفَرَاغِ الْخَاطِرِ عَنِ الْمُهِمَّاتِ، وَالْأَمْنِ مِنَ الشُّرُورِ، وَالْآفَاتِ»[٦].

٣-قوله: «**وكفانا**»: أي: دفع عنا الشرور، وأعطانا من فضله، وقنّعنا بذلك، قال العظيم أبادي رحمه الله: «أَيْ: دَفَعَ عَنَّا شَرَّ الْمُؤْذِيَاتِ، أَوْ كَفَى مُهِمَّاتِنَا، وَقَضَى حَاجَتَنَا»[٧].

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.
(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقول عند النوم، برقم ٥٠٥٨، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٥٠٥٨.
(٣) بدائع الفوائد، ٢/٥٣٧، وانظر شرح مفردات الحديث رقم ٢ من أحاديث المتن، في المفردة رقم ٤.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٩.
(٥) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٦٤.
(٦) جمع الوسائل في شرح الشمائل، ١/٧٧.
(٧) عون المعبود، ١٣/ ٢٦٨.

٤-قوله: «**وآوانا**»: أي: رزقنا مكانًا نأوي إليه، ولم يجعلنا كالحيوانات ليس لها مأوى دائم، وهذه من جميل رحمته بالإنسان؛ ولذا قال النووي: آوانا أي: رحمنا[(١)]، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «وآوانا: أي: جمعنا، وضمنا إليه، وأويت إلى المنزل: إذا رجعت إليه ودخلته»[(٢)].

٥-قوله: «**فكم ممن لا كافي له**»: أي: في كافة شؤونه العامة والخاصة، قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «الكافي، والمؤوي، هو الله تعالى، يكفي شر بعض الخلق عن بعض، ويهيئ لهم المأوى، والسكن، فالحمد لله الذي جعلنا منهم، فكم من خلق لا يكفيهم الله شر الأشرار؟ بل تركهم وشرهم، وكم من خلق لم يجعل الله لهم مأوى؟، بل تركهم يهيمون في البوادي»[(٣)]، وقال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: كثير من خلق الله لا يكفيهم الله شر الأشرار، ولا يجعل لهم مسكناً، بل تركهم يتأذون في الصحارى بالبرد والحر، وقيل: معناه: كم من مُنْعَمٍ عليه لم يعرف قدر نعمة الله، فكفر بها»[(٤)].

٦-قوله: «**ولا مؤوي**»: أي: لا راحم له ولا عاطف عليه، وقيل: معناه: لا وطن له، ولا مسكن يأوي إليه[(٥)]، ويدفع عنه البرد والحر.

٧- قوله: «**كان إذا أَوى إِلَى فِراشه**»: قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «أَي دَخَلَ فِيهِ»[(٦)]، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «يعني إذا ذهب إلى فراشه، وأراد أن ينام»[(٧)].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ، ١٧/ ٣٦.
(٢) جامع الأصول، ٤/ ٢٥٨.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٥.
(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ١٤١.
(٥) المرجع السابق.
(٦) فتح الباري، ١١/ ١١٣.
(٧) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٤٦.

٨-قوله: «**منَّ عليَّ فأفضل**»: قال الشيخ عبد المحسن العباد: «منَّ عليه وتفضل عليه بالعطاء، فحصل منه المن والتفضل»[(١)].

٩-قوله: «**الذي أعطاني فأجزل**»: ومعنى فأفضل: أي زاد، وأكثر، وأجزل، وقال الشيخ العباد: «أعطاه وأكثر له من العطاء»[(٢)].

١٠-قوله: «**والحمد لله على كل حال**»: «يعني: الله تعالى هو المحمود ﷻ في جميع الأحوال، سواء كان الحال حسناً، أو كان غير حسن؛ لأن الله تعالى هو المقدر لكل شيء، وهو الذي بيده ملكوت كل شيء، فهو سبحانه الذي يحمد على كل حال بدون استثناء حالٍ من الأحوال، بخلاف غيره، فإنما يحمد، ويمدح، ويثنى عليه إذا حصل منه ما يقتضي ذلك محبوب، ومما هو مرغوب، وهذا يدل على أن هذا الدعاء يؤتى به في المكروهات وغير المكروهات، ولا يقال إنه خاص بالأمور المكروهة»[(٣)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١ – شُكرُ الله على النعم يكون بالقول، والفعل، وهذا الشكر هو سبيل زيادة النعم، وإدامتها.

٢ – المسلم لا ينظر إلى من فوقه في النعم، ولكن ينظر إلى من هو دونه؛ لأن ذلك سبيل الرضا والحمد.

٣ – الكفاية يراد بها كفاية الهداية إلى الإسلام، وكفاية الهداية إلى شكر واهب النعم، ومسيّرها.

٥- من جملة النعم التي يغفل كثير من الناس عن شكرها: نعمة المسكن،

---

(١) شرح سنن أبي داود للعباد، ١/ ٥٧٤.
(٢) شرح سنن أبي داود للعباد، ١/ ٥٧٤.
(٣) شرح سنن أبي داود للعباد، ١/ ٥٧٤.

وقد امتنّ الله على الناس بهذا في قوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾[١]، وجعل أي أوجد، وهذا شروع في تعداد النعم التي أنعم بها الخالق ﷻ على العباد، والمنة في كونه تعالى جعل الإنسان يسكن، ويتحرك، ولو شاء لجعله متحركًا دائمًا كالأفلاك في السماء، أو جعله كالأرض ساكنًا أبدًا[٢].

***

١٠٩-(١١)«اللَّهُمَّ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءاً، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ»[٣].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٧٤-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[٤]، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه[٥]، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: «قُلْ: **اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ** «قَالَ» **قُلْهَا إِذَا**

---

(١) سورة النحل، الآية: ٨٠.

(٢) تفسير الجزائري، ص ٩٠١.

(٣) أبو داود، برقم ٥٠٦٧، والترمذي، برقم ٣٣٩٢، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم ٢٧٠١، وتقدم تخريجه في تخريج الحديث رقم ٨٥ من أحاديث متن الكتاب.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١٤ من أحاديث الشرح.

أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

سبق شرح المفردات لهذا الحديث، وذكر فوائده في شرح الحديث رقم ٨٥ من أحاديث المتن.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

سبق ذكرها في شرح الحديث رقم ٨٥ من أحاديث المتن.

***

١١٠-(١٢) «يَقْرَأُ ﴿الٓمٓ﴾ تَنْزِيلَ السَّجْدَةِ، وَتَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ»[٢].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٧٥-عَنْ جَابِرٍ ﷺ [٣]، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لاَ يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ بِتَنْزِيلِ السَّجْدَةِ، وَبِتَبَارَكَ»، هذا لفظ الترمذي[٤].

٣٧٦-ولفظ النسائي عن جابر ﷺ أيضاً: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لاَ يَنَامُ كُلَّ لَيْلَةٍ حَتَّى يَقْرَأَ الم تَنْزِيلُ السَّجْدَةَ ، وَتَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ»[٥].

---

(١) أبو داود، برقم ٥٠٦٧، والترمذي، برقم ٣٣٩٢، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم ٢٧٠١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن، وتقدمت جميع روايات ألفاظه في شرح حديث المتن رقم ٨٥.

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه حدثنا محمود بن غيلان، برقم ٣٤٠٤، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر ما يستحب للإنسان أن يقرأ كل ليلة قبل أن ينام، برقم ١٠٥٤٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٤٨٧٣.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧٢ من أحاديث الشرح.

(٤) الترمذي، برقم ٣٤٠٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٤٨٧٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) النسائي في الكبرى»، برقم ١٠٥٤٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٨٧٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-**قوله: «يقرأ»**: قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القِراءة...الْأَصْلُ فِي هَذِهِ اللفْظة الجمعُ، وكلُّ شَيْءٍ جَمعْتَه فَقَدَ قَرَأْتَه... وَقَدْ يُطْلق عَلَى الصَّلَاةِ؛ لأنَّ فِيهَا قِراءة، تَسْمِيةً لِلشَّيْءِ بِبَعْضِهِ، وَعَلَى القِراءة نفْسِها»[١].

٢-**قوله: «ألم تنزيل السجدة»**: أي: سورة السجدة، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر تعالى أن هذا الكتاب الكريم، أنه تنزيل من رب العالمين، الذي رباهم بنعمته، ومن أعظم ما رباهم به، هذا الكتاب، الذي فيه كل ما يصلح أحوالهم، ويتمم أخلاقهم»[٢].

٣-**قوله: «تبارك الذي بيده الملك»**: أي: بسورة الملك، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: تعاظم، وتعالى، وكثر خيره، وعم إحسانه، من عظمته أن بيده ملك العالم العلوي والسفلي، فهو الذي خلقه، ويتصرف فيه بما شاء»[٣].

٤-**قوله: «كل ليلة»**: أي: في كل ليلة من الليالي[٤]، قال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في ليله»[٥].

٥-**قوله: «لا ينام»**: أي: إن ذلك كان من جملة هديه ﷺ قبل النوم، قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان لا ينام حتى يقرأ»: حتى غاية، لاينام: ويحتمل أن يكون المعنى إذا دخل وقت النوم لا ينام حتى يقرأ، وأن يكون (لا ينام) مطلقاً حتى يقرأ، المعنى لم يكن من عادته النوم قبل القراءة، فتقع القراءة قبل دخول وقت النوم أي وقت كان، ولو قيل: كان النبي ﷺ يقرؤهما بالليل لم يفد هذه الفائدة»[٦].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٣٠، مادة (قرأ).
(٢) تفسير السعدي، ص ٦٥٣.
(٣) تفسير السعدي، ص ٨٧٥.
(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ٤/ ١٥٥.
(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٥١٠.
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٦٦٨.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-استحباب قراءة سورتي: السجدة، وتبارك قبل النوم، إضافة إلى ما مضى من السور التي جاء فيها النص.

٢-قراءة هاتين السورتين قبل النوم ترسّخان عند المسلم عقيدة التوحيد؛ لما اشتملتا عليه من الأدلة الواضحة على ذلك، وغيرها من مسائل الاعتقاد.

٣- مما كان يقرؤه الرسول ﷺ قبل نومه أيضًا: سورتي: الزمر، وبني إسرائيل وهي سورة الإسراء؛ لحديث: عَائِشَةُ رضي الله عنها: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الزُّمَرَ، وَبَنِي إِسْرَائِيلَ»[١]، وهذا فيه دليل على ما كان عليه الرسول الكريم ﷺ من تمام العبودية لله؛ ليكون إمامًا لأتباعه يقتدون به في ذلك.

٤- جاء عن النبي ﷺ أنه قال عن سورة الملك: «**هي المانعة، هي المنجية، تنجيه من عذاب القبر**»[٢] أي: تنجي صاحبها من عذاب القبر.

وكذا قوله ﷺ: «**إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر الله له، وهي سورة تبارك الذي بيده الملك**»[٣].

١١١-(١٣)«اللَّهُمَّ[٤] أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي

(١) الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب حدثنا صالح بن عبد الله، برقم ٢٩٢٠، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٦٤١.

(٢) الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضائل سورة الملك، برقم ٢٨٩٠، ودلائل النبوة للبيهقي، ٧/ ٤١، والمعجم الكبير للطبراني، ١٢/ ١٧٤، برقم ١٢٨٠١، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة الكاملة، برقم ١١٤٠: بلفظ: «المانعة من عذاب القبر».

(٣) الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضائل سورة الملك، برقم ٢٨٩١، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب في عدد الآي، برقم ١٤٠٠، ومسند أحمد، ١٣/ ٣٥٣، برقم ٧٩٧٥، وحسنه لغيره محققو المسند، وحسنه لغيره أيضاً الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٤٧٤.

(٤) «إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: ....» الحديث.

إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَى مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»[1].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٧٧-عنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما[2]، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْصَى رَجُلًا، فَقَالَ: «إِذَا أَرَدْتَ مَضْجَعَكَ، فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَإِنْ مُتَّ مُتَّ عَلَى الفِطْرَةِ»[3].

٣٧٨-وفي رواية للبخاري: «إِنْ مُتَّ مُتَّ عَلَى الفِطْرَةِ، فَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ»[4].

٣٧٩-وفي رواية للبخاري أيضاً: «فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ»[5].

٣٨٠-وفي لفظ للبخاري: «يَا فُلاَنُ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ، وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ

---

(١) قال ﷺ لمن قال ذلك: «فإن مُتَّ مُتَّ على الفطرة». البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، برقم ٦٣١٣، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، برقم ٢٧١٠.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٨ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٦٣١٣، ومسلم، برقم ٢٧١٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، برقم ٦٣١٠.

(٥) البخاري، كتاب الغسل، باب فضل من مات على الوضوء، برقم ٢٤٧.

بكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنَّكَ إِنْ مُتَّ فِي لَيْلَتِكَ مُتَّ عَلَى الفِطْرَةِ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ أَجْرًا»[١] .

٣٨١-ولفظ مسلم: عن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، وَاجْعَلْهُنَّ مِنْ آخِرِ كَلَامِكَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، مُتَّ وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ» قَالَ: فَرَدَّدْتُهُنَّ لِأَسْتَذْكِرَهُنَّ فَقُلْتُ: آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ». وفي رواية: «يَا فُلَانُ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ» بِمِثْلِ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مُتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ، أَصَبْتَ خَيْرًا» وفي رواية زاد: «وَإِنْ أَصْبَحَ أَصَابَ خَيْرًا»[٢].

٣٨٢-وفي لفظ للنسائي: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَقُولُ يَا بَرَاءُ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ طَاهِرًا فَتَوَسَّدْ يَمِينَكَ ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»، فَقُلْتُ كَمَا قَالَ، إِلَّا أَنِّي قُلْتُ: وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ قَالَهَا مِنْ لَيْلَتِهِ ثُمَّ مَاتَ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ»[٣].

---

(١) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ النساء: ١٦٦، برقم ٧٤٨٨.

(٢) مسلم، برقم ٢٧١٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) سنن النسائي الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، وما يقول من يفزع من منامه، برقم ١٠٦١٩.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم أسلمت نفسي إليك**»[١]: أي: جعلت نفسي مُسَلَّمة لك منقادة لأمرك ونهيك؛ لأنني ليس لي طاقة على معرفة ما يصلحها ويزكيها، قال النووي رحمه الله: «أَيْ: اسْتَسْلَمْتُ، وَجَعَلْتُ نَفْسِي مُنْقَادَةً لَكَ، طائعة لحكمك، قال العلماء: الوجه، وَالنَّفْسُ هُنَا بِمَعْنَى الذَّاتِ كُلِّهَا، يُقَالُ: سَلَّمَ، وَأَسْلَمَ، وَاسْتَسْلَمَ بِمَعْنًى»[٢].

٢-قوله: «**ووجهت وجهي إليك**»: قال القرطبي رحمه الله: «أي: صوَّبت وجهي، وأخلصت في عبادتي»[٣]، وقال الرافعي رحمه الله: «وجهت وجهي: أي: قصدت بعبادتي وتوحيدي... ويقال: وجهي إليه أي: قصدي إليه»[٤].

٣-قوله: «**وفوضت أمري إليك**»: أي: توكلت عليك في أمري كله، قال ابن الأثير رحمه الله: «أَيْ: رَدَدْتُه، يُقَالُ: فَوَّضَ إِلَيْهِ الأمْر تَفْوِيضاً إِذَا رَدّه إِلَيْهِ، وَجَعَلَهُ الْحَاكِمَ فِيهِ»[٥].

٤-قوله: «**وألجأت ظهري إليك**»: أي: اعتمدت في أموري عليك، وإنما خص الظهر؛ لأن العادة جرت أن الإنسان يعتمد بظهره إلى ما يستند إليه. قال الطيبي رحمه الله: «أي: بعد تفويض أموره- التي هو مفتقر إليها، وبها معاشه، وعليها مدار أمره- يلتجئ إليه مما يضره، ويؤذيه من الأسباب الداخلة والخارجة»[٦].

٥-قوله: «**رغبة ورهبة إليك**»: أي: رغبة في ثوابك، ورهبة من عقابك، قال الشوكاني

---

(١) هذا لفظ البخاري في «الدعوات» برقم ٦٣١٣.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣٣.
(٣) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٤.
(٤) شرح مسند الشافعي، ١/ ٣١٤، وتقدم في شرح المفردة رقم ١، من شرح مفردات حديث المتن رقم ٢٩.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٧٩، مادة (فوض).
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٤.

رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رَغْبَة ورهبه إِلَيْك، الرَّغْبَة فِي ثوابك ومغفرتك، والرهبة من عقابك وسخطك»(١).

٦-قوله: «**لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك**»: أي: لا مفر، ولا مهرب من عذابك، وعقابك إذا وقع علينا بما كسبت أيدينا، إلا بالفزع، واللجوء إليك، وهذا كقوله: ﴿**فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ**﴾(٢)، وقوله: ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ**﴾(٣)، قال العلامة ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمنه المنجى، وإليه الملجأ، وبه الاستعاذة من شر ما هو كائن بمشيئته، وقدرته، فالإعاذة فعله، والمستعاذ منه فعله، أو مفعوله الذي خلقه بمشيئته»(٤).

٧-قوله: «**آمنت بكتابك الذي أنزلت**»: أي: القرآن، وقد يكون المراد جنس ما أنزل الله من الكتب السابقة(٥).

٨-قوله: «**وبنبيّك الذي أرسلت**»: أي: محمد ﷺ آمنت به، وبكل ما صحّ عنه، وأنه لا ينطق عن الهوى، فهو أمين من في السماء، قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي سَبَبِ إِنْكَارِهِ ﷺ، وَرَدِّهِ اللَّفْظَ فَقِيلَ إِنَّمَا رَدَّهُ لِأَنَّ قَوْلَهُ آمَنْتُ بِرَسُولِكَ يَحْتَمِلُ غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ، وَاخْتَارَ الْمَازِرِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ سَبَبَ الْإِنْكَارِ أَنَّ هَذَا ذِكْرٌ وَدُعَاءٌ، فَيَنْبَغِي فِيهِ الِاقْتِصَارُ عَلَى اللَّفْظِ الْوَارِدِ بِحُرُوفِهِ، وَقَدْ يَتَعَلَّق الْجَزَاء بِتِلْكَ الْحُرُوف، وَلَعَلَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ ﷺ بِهَذِهِ الْكَلِمَات، فَيَتَعَيَّن أَدَاؤُهَا بِحُرُوفِهَا، وَهَذَا الْقَوْل حَسَن، وَقِيلَ: لِأَنَّ قَوْلَه: «**وَنَبِيّك الَّذِي أَرْسَلْت**» فِيهِ جَزَالَة مِنْ حَيْثُ صَنْعَة الْكَلَام، وَفِيهِ جَمْع النُّبُوَّة وَالرِّسَالَة، فَإِذَا قَالَ رَسُولك الَّذِي أَرْسَلْت، فَإِنَّ هَذَا الْأَمْر مَعَ مَا فِيهِ مِنْ تَكْرِير لَفْظ (رَسُول وَأَرْسَلْت) أَهْل الْبَلَاغَة يَعِيبُونَهُ، وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي أَوَّل شَرْح خُطْبَة

---

(١) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص ١٣٥.
(٢) سورة التكوير، الآية: ٢٦.
(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٠.
(٤) إغاثة اللهفان، ١/ ٢٧.
(٥) انظر فتح الباري، ١١/ ١١١.

هَذَا الْكِتَاب [يقصد الإمام النووي شرحه على صحيح مسلم] أَنَّهُ لَا يَلْزَم مِنْ الرِّسَالَة النُّبُوَّة، وَلَا عَكْسه، وَاحْتَجَّ بَعْض الْعُلَمَاء بِهَذَا الْحَدِيث لِمَنْع الرِّوَايَة بِالْمَعْنَى، وَجُمْهُورهمْ عَلَى جَوَازهَا مِنَ الْعَارِف، وَيُجِيبُونَ عَنْ هَذَا الْحَدِيث بِأَنَّ الْمَعْنَى هُنَا مُخْتَلِف، وَلَا خِلَاف فِي الْمَنْع إِذَا اِخْتَلَفَ الْمَعْنَى»(١).

٩-قوله: «**إذا أخذت مضجعك**»: وفي رواية أردت: أي أردت أن تنام، قال الإمام النووي رحمه الله: «مَعْنَاهُ: إِذَا أَرَدْتَ النَّوْمَ فِي مَضْجَعِكَ، فَتَوَضَّا وَالْمَضْجَعُ بِفَتْحِ الْمِيمِ»(٢).

١٠-قوله: «**فتوضا وضوءك للصلاة**»: وهذا على سبيل الاستحباب، وليس الوجوب، والمراد بالوضوء هو الوضوء الكامل بأركانه وشروطه(٣)، ويتأكد الوضوء للجنب، وقد يكون هذا الوضوء وأفعاله إلى الغسل، فينام وهو على طهارة تامة، وفي رواية لأبي داود، والنسائي: «**إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ طَاهِرًا فَتَوَسَّدْ يَمِينَكَ**»(٤).

١١-قوله: «**اضطجع على شقك الأيمن**»: أي: نم على جانبك الأيمن، قال الإمام النووي رحمه الله: «النَّوْمُ عَلَى الشِّقِّ الْأَيْمَنِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحِبُّ التَّيَامُنَ وَلِأَنَّهُ أَسْرَعُ إلى الانتباه»(٥).

١٢-قوله: «**فإن مت**»: أي: في ليلتك هذه، قال ابن الأثير رحمه الله: «الْمَوْتُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ يُطلق عَلَى السُّكُونِ... والْمَوْتُ يقعُ علَى أَنْوَاعٍ بحَسَب أنواعِ الحياةِ، فَمِنْهَا مَا هُوَ بإزَاءِ الْقُوّةِ النَّامِيَةِ الموجودة فى الحيوان والنّبات...ومنها

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣٣.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣٣.
(٣) العلم الهيب، ص ١٨٣.
(٤) أبو داود، برقم ٥٠٤٧، والنسائيث في الكبرى، برقم ١٠٦١٩، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب، ص ٢٥.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣٣.

زوالُ القُـوَّةِ الحِسِّـيَّةِ... وَمِنْهَـا زوالُ القُـوَّةِ الْعَاقِلَـةِ، وَهِـيَ الجَهالـة... وَمِنْهَـا الحُزْنُ، والخَوْف المكَدِّرُ للحياةِ... وَمِنْهَا المنَام... وَقَدْ قِيلَ: المنامُ: المَوْتُ الخفيفُ، والمَوْتُ: النَّومُ الثَّقيل»[١]، وقال الصنعاني رحمه الله: «ولما كان النوم أخاً للموت، حسن النوم على أكمل براءة من الشرك»[٢].

١٣-قوله: «**مت على الفطرة**»: أي: دين الإسلام الذي ارتضاه الله لنفسه؛ ولمن اصطفى من خلقه، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «أي: عَلَى الدِّين القَويم مِلَّة إبراهِيم، فَإِنَّهُ عليه السلام أَسلَمَ واستَسلَمَ، قالَ الله تَعالَى عَنهُ: ﴿**إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[٣]، وقالَ عَنهُ: ﴿**أَسلَمت لِرَبِّ العالَمِينَ**﴾[٤]، وقالَ: ﴿**فَلَمّا أَسلَما**﴾[٥]، وقالَ ابن بَطّال وجَماعَة: المُراد بِالفِطرَةِ هُنا دِين الإِسلام، وهُو بِمَعنَى الحَدِيث الآخَر: «**مَن كانَ آخِر كَلامه لا إِلَه إِلاَّ الله دَخَلَ الجَنَّة**[٦]»[٧]، وقال القرطبي صاحب المفهم: «أي: على دين الإسلام، كما قال في الحديث الاخر: «**من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة**»[٨]، هكذا قال الشيوخ في هذا الحديث، وفيه نظر؛ لأنَّه: إذا كان قائل هذه الكلمات المقتضية للمعاني التي ذكرناها من التوحيد، والتسليم، والرضا إلى أن يموت على الفطرة، كما يموت

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٣٦٩، مادة (موت).
(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ١/ ٥١١.
(٣) سورة الصافات، الآية: ٨٤.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣١.
(٥) سورة الصافات، الآية: ١٠٣.
(٦) أخرجه أبو داود، برقم ٣١١٦، وأحمد، برقم ٢٢٠٣٤، وصححه محققو المسند، ٣٦/ ٣٦٣، والألباني في صحيح الجامع، ٤٣٢/٥، وسيأتي تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ١٥٣.
(٧) فتح الباري، ١١/ ١١١.
(٨) أخرجه أحمد، برقم ٢٢٠٣٤، وأبو داود برقم ٢٩٤٥، والحاكم، ١/ ٣٥١، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وصححه محققو المسند، ٣٦، ٣٦٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ٦٣٧٩.

من قال: لا إله إلا الله، ولم يخطر له شيء من تلك الأمور، فأين فائدة تلك الكلمات العظيمة، وتلك المقامات الشريفة؟. فالجواب: أن كلاً منهما -وإن مات على فطرة الإسلام - فبين الفطرتين ما بين الحالتين، ففطرة الطائفة الأولى: فطرة المقرَّبين والصديقين، وفطرة الثانية: فطرة أصحاب اليمين»[١].

١٤-قوله: «**وإن أصبحت أصبت أجرًا**»: أصبح: أي: دخل في الصباح، أو كاد، قال الباجي رحمه الله: «أَصْبَحْت: بِمَعْنَى: أَنَّك قَارَبْت الصَّبَاحَ، وَتُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى تَمَكُّنِ الصَّبَاحِ»[٢]، والإصابة الموافقة، والأخذ، فمن أصاب شيئاً ناله وأخذه، قال القاضي عياض رحمه الله: «وأصل الإصابة: الأخذ، يقال: أصاب من الطعام إذا أكل منه، ... وقوله في حديث الإسراء: «**فاخترت اللبن**»، فقال: أصبت أصاب الله بك»[٣]، أي: قصدت طريق الهدى، ووجهه، ووجدته، وفعلت الصواب، أو أصبت الفطرة ... أو الملة، قال ثعلب: والإصابة الموافقة»[٤]، وقال القسطلاني رحمه الله: «بالجيم الساكنة بعد الهمزة أي أجرًا عظيمًا فالتنكير للتعظيم»[٥].

١٥-**قوله**: «**وإِن أَصبَحَ أَصابَ خيرًا**»: أَي: صَلاحًا فِي المال وزِيادَة فِي الأَعمال»[٦]، وقال القرطبي صاحب المفهم رحمه الله: «أي: صلاحاً في ذلك، وزيادة في أجرك، وأعمالك»[٧]، وقال الإمام النووي رحمه الله: «أي: حصل لك ثواب هذه السنن، واهتمامك بالخير، ومتابعتك أمر الله ورسوله»[٨].

---

(١) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢/ ٤٠٠.
(٢) المنتقى شرح الموطأ، للباجي، ١/ ١٠٣، وتقدم مستوفى أكثر في شرح ألفاظ حديث الشرح رقم ٢٦٢، في شرح المفردة الأولى.
(٣) مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ السموات وفرض الصلوات، برقم ١٦٤.
(٤) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ٢/ ٥١.
(٥) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ١٠/ ٤٣٢.
(٦) فتح الباري، ١١/ ١١١.
(٧) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢/ ٩٤.
(٨) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣٣.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-اشتمل هذا الحديث على سنن ثلاث:

أ – الوضوء عند إرادة النوم، ولذلك مقاصد:

- الاستعداد للموت بكونه طاهر البدن، وهذا يدفعه لطهارة القلب.
- يرجى له أن تكون رؤياه أصدق من غيره.
- الأمن من تلاعب الشيطان به أثناء نومه.

ب – النوم على الشق الأيمن وله فوائد منها:

- أنه أسرع للانتباه، وقال الحافظ ابن حجر: «وخص الأيمن؛ لفوائد، منها: أنه أسرع إلى الانتباه، ومنها أن القلب متعلق إلى جهة اليمين، فلا يثقل بالنوم، ومنها: قال ابن الجوزي: هذه الهيئة نص الأطباء على أنها أصلح للبدن، قالوا: يبدأ بالاضطجاع على الجانب الأيمن ساعة، ثم ينقلب إلى الأيسر؛ لأن الأول سبب لانحدار الطعام، والنوم على اليسار يهضم لاشتمال الكبد على المعدة»[١].

قال الإمام العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحكمة على الجانب الأيمن، وهي أن القلب في جهة اليسار، فإذا نام على اليسار استغرق في النوم لاستراحته بذلك، وإذا نام على جهة اليمين تعلق في نومه، فلا يستغرق»[٢].

- أن ذلك سبب لانحدار الطعام.
- الاقتداء بالرسول ﷺ؛ لأنه كان يحب التيامن في أمره كله.

جـ - ذكر الله ليكون ختامًا لعمل خلط فيه الصالح بالطالح[٣].

٢-العبد محتاج إلى ربه في كل أحواله، مفتقر إلى رحمته حتى بعد الموت.

---

(١) انظر: فتح الباري، ١١/ ١١٠.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١١/ ٣٧٠.

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر، ١١/ ١٠٩ وما بعدها، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١٨/ ٣٣.

٣-المسلم في حياته يكون بين الرغبة والرهبة، وهذا هو هدي الأنبياء *عليهم الصلاة والسلام*، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾[١].

٤-استحباب كون هذا الذكر هو آخر ما يتكلم به المسلم، ويجعله ختامًا لأذكار النوم؛ لقول النبي ﷺ للبراء رضي الله عنه: «**واجعلهن آخر ما تتكلم به**»[٢].

٥- قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وقد ختم البخاري كتاب الوضوء بهذا الحديث؛ لأنه هو آخر وضوء يتوضؤه المكلف في اليقظة؛ ولقوله: «**واجعلهن آخر ما تقول**»، فأشعر بذلك بختم الكتاب[٣].

٦- مما ورد في فضل النوم على وضوء غير حديث الباب ما يلي:

أ- قول الرسول ﷺ: «**مَنْ بَاتَ طَاهِرًا بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ، فَلاَ يَسْتَيْقِظُ إِلاَّ قَالَ الْمَلَكُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِفُلاَنٍ، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا**»[٤]، والشعار هو ما يلي بدن الإنسان من ثوب وغيره.

ب- قول الرسول ﷺ: «**مَا مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَبِيتُ طَاهِرًا عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ، فَيَتَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَسْأَلُ اللَّهَ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**»[٥]، والمراد بالتعارّ هنا هو الاستيقاظ.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) البخاري، برقم ٢٤٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) انظر: فتح الباري، ١/ ٣٥٨.

(٤) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من أوى طاهراً إلى فراشه يذكر الله تعالى حتى تغلبه عيناه، برقم ١٠٦٤٤، واللفظ له، وصحيح ابن حبان، ٣/ ٣٢٨، برقم ١٠٥١، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في النوم على طهارة، برقم ٥٠٤٢، والبيهقي في الدعوات الكبير، ١/ ٤٤٦، وقال محقق صحيح ابن حبان: «رجاله رجال الصحيح» وصححه الألباني في التعليقات الحسان، برقم ١٠٤٨، والسلسلة الصحيحة، برقم ٢٥٣٩.

(٥) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من أوى طاهرا إلى فراشه يذكر الله تعالى حتى تغلبه عيناه، برقم ١٠٦٤٤، وصححه الألباني في صحيح الترهيب والترغيب، برقم ٥٩٨.

٧- جاء عند البخاري ومسلم زيادة فضل لقائل هذا الذكر المبارك وهي قوله ﷺ: «**وإن أصبحت أصبت أجرًا**»[(١)]، وقوله ﷺ: «**وإن أصبح أصاب خيرًا**»[(٢)]، والمعنى أن قائله إن لم يمت في نومته هذه فإنه قد أصاب أجر اتباع السنة، والاتباع للسنة كله خير وبركة.

٨- لمَّا علم النبي ﷺ البراء بن عازب رضي الله عنهما هذه الكلمات قال البراء: فرددتهن لأستذكرهن – أي أمام النبي ﷺ - فقال الذكر تامًّا إلا أنه قال: وبرسولك الذي أرسلت، فقال له النبي ﷺ: «**لا، ونبيك الذي أرسلت**».

قال الحافظ في الفتح: وأولى ما قيل في الحكمة في رده ﷺ على من قال بالقياس فيستحب المحافظة على اللفظ الذي وردت به وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف ولعله أُوحي إليه بهذه الكلمات فيتعين أداؤها بحروفها[(٣)].

٩- مما يسن فعله، إضافة إلى ما مضى من أذكار النوم، هو جعل السواك عند رأس النائم؛ لرواية ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ لَا يَنَامُ إِلَّا وَالسِّوَاكُ عِنْدَهُ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ بَدَأَ بِالسِّوَاكِ»[(٤)]؛ وفي رواية أخرى: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ لَا يَنَامُ إِلَّا

---

(١) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾، برقم ٧٤٨٨.

(٢) مسلم، برقم ٣٧١٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) فتح الباري، ١١/ ١١٢.

(٤) مسند أحمد، ١٠/ ١٨٧، برقم ٥٩٧٩، وأبو يعلى، ١٠/ ١٢١، برقم ٥٧٤٩، وحسنه محققوالمسند، ومحقق أبي يعلى، والألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢١١١ .

وَالسِّوَاكُ عِنْدَ رَأْسِهِ فَإِذَا اسْتَيْقَظَ بَدَأَ بِالسِّوَاكِ»[١]. لأن السواك من أسباب رضا الله عن العبد؛ لقول الرسول ﷺ: «**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب**»[٢].

---

(١) مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، ص ١١٠، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته،برقم ٤٨٧٢.

(٢) البخاري موقوفاً، كتاب الصوم، باب السواك الرطب واليابس للصائم، قبل الحديث رقم ١٩٣٤، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ثواب الطهور، برقم ٢٨٩، والنسائي، كتاب الطهارة، باب الترغيب في السواك، برقم ٥، وصححه الألباني، في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٠٩.

٢٩ - الدُّعَاءُ إِذَا تَقَلَّبَ لَيْلاً

١١٢-«لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ»(١).

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٨٣-عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها(٢)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا تَضَوَّرَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ»(٣).

٣٨٤-ولفظ ابن السني: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إذا تعارّ من الليل قال: «لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ، رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، وما بَيْنَهما العَزِيزُ الغَفَّارُ»(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «لا إله إلا الله»: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «يعني: لا معبود بحق إلا الله جل جلاله، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله لله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لابد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات؛ ....، حتى يعبد بمقتضى هذه الصفات؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ

---

(١) يقول ذلك إذا تقلب من جنب إلى جنب في الليل. أخرجه الحاكم، ١/ ٥٤٠، وصححه ووافقه الذهبي، ١/٥٤٠، والنسائي في الكبرى، كتاب التعبير، العزيز الغفار، برقم ٧٦٨٨، وعمل اليوم والليلة له، برقم ٢٠٢، وابن السني، برقم ٧٥٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٠٦٦.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٣) النسائي في الكبرى، برقم ٧٦٨٨، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٧٦٨٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) ابن السني، برقم ٧٥٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٧٦٨٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[(١)]، أي: تعبّدوا له، وتوسّلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»[(٢)].

٢-قوله: «**الواحد**»: أي: الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر، ولم يسبقه في أوليته شيء، لا شريك، ولا ندَّ، ولا نظير، ولا مثيل له[(٣)].

٣-قوله: «**القهار**»: أي: كثير القهر الذي قهر الخلق بسلطانه، والقهار أبلغ من القاهر، وهو الذي لا يطاق انتقامه، قال الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ: «القهار : الْقَهْر فِي وضع الْعَرَبيَّة: الرياضة والتذليل، يُقَال: قهر فلَان النَّاقة إِذا راضها وذللها... وَاللَّه تَعَالَى قهر المعاندين بِمَا أَقَامَ من الْآيَات، والدلالات على وحدانيته، وقهر جبابرة خلقه بعز سُلْطَانه، وقهر الْخلق كلهم بِالْمَوْتِ»[(٤)]، وقال حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْقَهَّارُ الَّذِي قَصَمَ بِسُلْطَانِ قَهْرِهِ كُلَّ مَخْلُوقٍ وَقَهَرَهُ»[(٥)].

٤-قوله: «**رب السموات والأرض**»: قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «خصهما بالذكر لأنهما من أعظم المشاهدات، ومعنى الرب في اللغة يطلق على: المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والمتمم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى»[(٦)].

٥-قوله: «**وما بينهما**»: أي: من العوالم التي لا يعلمها إلا الله، وهي غير ظاهرة لنا.

٦-قوله: «**تضوّر**»: أي: تلوَّى وتقلَّب ظهرًا لبطن، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: تَتلوَّى، وتضجُّ، وتتقلَّبُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، وَقِيلَ تَتَضَوَّرُ: تُظهِر الضَّوْرَ بِمَعْنَى الضُّرّ، يُقَالُ ضَارَهُ يَضُورُهُ ويَضِيرُهُ»[(٧)]، وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّضَوُّرُ: التَّلَوِّي والصِّياحُ

---

(١) سورة الأعراف، الاية: ١٨٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٣) انظر: أسماء الله الحسنى للأشقر.

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج، ص ٣٨.

(٥) معارج القبول بشرح سلم الوصول، ١/ ٤٨.

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٣/ ٩٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٣٢.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ١٠٥، مادة (ضور).

مِنْ وَجَعِ الضَّرْب، أَو الجُوعِ، وَهُوَ يَتَلَعْلَعُ مِنَ الْجُوعِ أَي: يَتَضَوَّرُ... وَهِيَ تَضَوَّرُ مِنْ شِدَّةِ الحُمَّى: أَي: تَتَلَوَّى، وتَضِجُّ، وتَتَقَلَّبُ ظَهْراً لبَطْنٍ»[١].

٧-قوله: «**تعارَّ من الليل**»: تقلب على فراشه مع كلام، وقيل: استيقظ من نومه[٢].

٨-قوله: «**العزيز**»: اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، يدل على القوة، والغلبة، والرفعة، والامتناع، قال الشاعر:

أنت العزيز ولا عزيز سواكا … كل الخلائق يطلبون رضاكا[٣]

٩-قوله: «**الغفار**»: اسم من أسماء الله ﷻ الحسنى، أي: كثير الغفران، يغفر الذنوب جميعًا إلا الشرك به إذا مات عليه العبد؛ لحديث: «**كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ، إِلَّا الرَّجُلَ يَمُوتُ كَافِرًا، أَوِ الرَّجُلَ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا**»[٤]؛ ولقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾[٥]، قال الزجاج رحمه الله: «الْغفار: أصل الغفر فِي الْكَلَام: السّتْر والتغطية، يُقَال: اصبغ ثَوْبك فَهُوَ أَغفر للوسخ، أَي: أحمل لَهُ، وأستر، وَمعنى الغفر فِي الله سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يستر ذنُوب عباده، ويغطيهم بستره»[٦]، وقال حافظ الحكمي رحمه الله: « الْغَفَّارُ الَّذِي لَوْ أَتَاهُ الْعَبْدُ بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، لَأَتَاهُ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[٧].

---

(١) لسان العرب، ٤/ ٤٩٤، مادة (ضور).
(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٤/ ٣٦، مادة (عرّ).
(٣) انظر: أسماء الله الحسنى، للأشقر.
(٤) مسند أحمد، ٢٨/ ١١٢، برقم ١٦٩٠٧، والنسائي، كتاب تحريم الدم، برقم ٣٩٨٤، والطبراني في الكبير، ١٩/ ٣٦٥، برقم ٨٥٨، والمعجم الأوسط له، ٥/ ٢١٩، برقم ٥١٣٥، وصححه لغيره محققو المسند، وصححه لغيره أيضاً العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٤٤٥.
(٥) سورة النساء، الآية: ٤٨.
(٦) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج، ص ٣٧.
(٧) معارج القبول بشرح سلم الوصول، ١/ ٤٨.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- المسلم إذا تعلق قلبه بربه وفقه الله لذكره في كل أحواله.

٢- تقرير أن من أسماء الله الحسنى، وصفاته العلا: «الواحد» وهو واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[1] فلا يُصرفُ أي نوع من العبادات الظاهرة والباطنة، ومن أعمال القلوب إلا له وحده ﷻ.

٣- تقرير أن الله هو الذي يَقهر ولا يُقهر. قال الله تعالى: ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾[2] وأنه لا يستطيع أحد مهما علا شأنه، وعظم ملكه، أن يدفع عن نفسه ملك الموت.

قال ابن القيم:

وكذلك القهار من أوصافه ... فالخلق مقهورون بالسلطان[3]

٤- من تدبر اسم الله: «العزيز» دفعه ذلك إلى الحياة الكريمة؛ لأن أعز الخلق هم الرسل الكرام، ومن نهج نهجهم، وسار على دربهم ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[4].

٥- من تأمل اسم الله «الغفور» سارع إلى التوبة، وفعل أسباب المغفرة، ولم يتجرأ أن يكون ربه ناظراً إليه، وهو مقيم على معصية، أو واقع في ذلة، أو أنه يحيا حياة أهل الغفلة.

٦- صفة القهر في حق الله صفة كمال وعظمة؛ لأنها تدل على علو الله على خلقه،

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦١.
(٣) النونية، لابن القيم، ٢/٢٣٢.
(٤) سورة المنافقون، الآية: ٨.

وهذا يشمل علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، أما صفة القهر في حق الخلق، فهي مذمومة؛ لأنها قائمة على الظلم، والطغيان، والتسلط على الضعفاء، قال الله ﷻ ذاكرًا عن فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾[1].

٧- قال ابن كثير رحمه الله: «كثيرًا ما اقترن اسم العزيز مع الرحيم، كما في سورة الشعراء وغيرها، فالله عزيز في رحمته، رحيم في عزته، وهذا هو الكمال، العزة مع الرحمة، والرحمة مع العزة، فهو رحيم بلا ذل»[2].

***

(١) الأعراف: ١٢٧، وانظر ما قاله الشيخ/ النجدي في: النهج الأسمى، ١/ ١٨٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٣/٤٥٧.

٣٠ - دُعَاءُ الفَزَعِ فِي النَّوْمِ وَمَنْ بُلِيَ بِالوَحْشَةِ

١١٣ -«أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ: مِنْ غَضَبِهِ، وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَحْضُرُونِ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٨٥-عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما[٢]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ: مِنْ غَضَبِهِ، وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَحْضُرُونِ، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ**»[٣].

٣٨٦-عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْوَلِيدِ[٤] أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَجِدُ وَحْشَةً، قَالَ: «**إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ: مِنْ غَضَبِهِ، وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَحْضُرُونِ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ، وَبِالْحَرِيِّ أَنْ لَا يَقْرَبَكَ**»[٥]، قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو يُلَقِّنُهَا مَنْ بَلَغَ مِنْ وَلَدِهِ، وَمَنْ لَمْ يَبْلُغ

---

(١) أبو داود، كتاب الطب، باب كيف الرقى،، برقم ٣٨٩٣، والترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا محمد بن حاتم، برقم ٣٥٢٨، بلفظ: «بكلمات الله التامات» وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/١٧١، برقم ٢٧٩٣، ومصنف ابن أبي شيبة، ٥/ ٤٤، برقم ٢٣٥٤٧.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٣٨٩٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الوليد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، أخو خالد بن الوليد، أُسر يوم بدر كافراً، فلما افتكه أخواه أسلم، فلما افتدي أسلم، وعاتبوه في ذلك، فقال: كرهت أن يظنوا بي أني جزعت من الأسر، فلما أسلم حبسه أخواله بمكة، فكان رسول الله ﷺ يدعو له فيمن دعا له من مستضعفي المؤمنين بمكة، وشهد عمرة القضية، وكتب إلى أخيه خالد فوقع الإسلام في قلب خالد وكان سبب هجرته. انظر: الاستيعاب، ٤/ ١٥٥٨، الإصابة، ٦/ ٦١٩.

(٥) مسند أحمد، ٢٧/ ١٠٨، برقم ١٦٥٧٣، وقال محققو المسند: قابل للتحسين، وقال البيهقي في الأسماء والصفات، ١/ ٤٣٢، برقم ٣٩٦: «هذا مرسل، وشاهده الحديث الموصول» وبرقم ٢٣٨٣٩، ولفظه: =

مِنْهُمْ كَتَبَهَا فِي صَكٍّ، ثُمَّ عَلَّقَهَا فِي عُنُقِهِ»[١].

٣٨٧-عَنْ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو رضي الله عنهما[٢]، قَالَ: كَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ رضي الله عنه[٣] رَجُلًا يَفْزَعُ فِي مَنَامِهِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا اضْطَجَعْتَ فَقُلْ: بِاسْمِ اللهِ، أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ: مِنْ غَضَبِهِ، وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَحْضُرُونِ**» فَقَالَهَا فَذَهَبَ ذَلِكَ عَنْهُ[٤].

٣٨٨-وفي المعجم الأوسط، وعمل اليوم والليلة لابن السني: عن أبي أمامة قال: حدثني خالد بن الوليد: عن رسول اللَّه ﷺ عن أهاويل يراها بالليل حالت بينه وبين صلاة الليل، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**يا خالد بن الوليد، لأعلمك كلمات تقولهن، لا تقولهن ثلاث مرات حتى يُذهب اللَّه ذلك عنك؟**» قال: بلى يا رسول اللَّه بأبي أنت وأمي، فإنما شكوت ذاك إليك، رجاء هذا منك،

=

«بكلمات اللَّه التامات» قال عنه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة، ٦/ ٤٠٢، برقم ٦٠٩٤: «هَذَا حَدِيث رجاله ثِقَاتٌ» ومصنف عبد الرزاق، ١١/ ٣٥، برقم ١٩٨٣١.

(١) هذه الزيادة من سنن الترمذي، برقم ٣٥٢٨، وتقدم تخريجه.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٣) خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، سيف اللَّه، كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، وكان إليه أعنة الخيل في الجاهلية، وشهد مع كفار قريش الحروب إلى عمرة الحديبية، كما ثبت في الصحيح أنه كان على خيل قريش طليعة، ثم أسلم في سنة سبع بعد خيبر، وقيل قبلها، وشهد غزوة مؤتة، وشهد مع رسول اللَّه ﷺ فتح مكة، فأبلى فيها، ثم شهد حنيناً والطائف في هدم العزى، وله رواية عن النبي ﷺ في الصحيحين وغيرهما، وأرسله أبو بكر إلى قتال أهل الردة فأبلى في قتالهم بلاء عظيماً، ثم ولاه حرب فارس والروم فأثر فيهم تأثيراً شديداً، وفتح دمشق، واستخلفه أبو بكر على الشام إلى أن عزله عمر، وروى أبو يعلى ورفعه ١٣/ ١١١، برقم ٧١٨٨، وتاريخ دمشق، ١٦/ ٢٤٢، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٩/ ٣٤٩: «لا تسبوا خالداً، فإنه سيف من سيوف اللَّه، صبَّه اللَّه على الكفار» مات خالد بن الوليد بمدينة حمص سنة إحدى وعشرين، وقيل توفي بالمدينة النبوية، ولكن الأكثر على أنه مات بحمص، واللَّه أعلم. انظر: الاستيعاب، ٢/ ٤٢٧، والإصابة في تمييز الصحابة، ٢/ ٢٥١.

(٤) النسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، وما يقول من يفزع في منامه، برقم ١٠٥٣٤، والموطأ مرسلاً، ٢/ ٩٥٠، برقم ٩، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٢٠، برقم ١٦٠١، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢/ ١٦٣، برقم ٢٦٤،

قال: «**قل أعوذ بكلمات الله التامة: من غضبه، وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون**»، قالت عائشة رضي الله عنها: فلم ألبث إلا ليالي يسيرة، حتى جاء خالد بن الوليد فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، والذي بعثك بالحق، ما أتممت الكلمات التي علمتني ثلاث مرات حتى أذهب الله عني ما كنت أجد، ما أبالي لو دخلت على أسد في حبسته بليل»[(١)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «**أعوذ**»: أي: ألتجئ، وأتحصن، وأعتصم، وأستجير، قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «والعوذ: الالتجاء إلى الغير... وأعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك»[(٢)]، وقال العلامة السعدي رحمه الله: «أعوذ: أي: ألجأ، وألوذ، وأعتصم»[(٣)].

٢- قوله: «**بكلمات الله**»: هي القرآن الكريم، وقيل: هي كلماته الكونية القدرية، الكاملة الشاملة الفاضلة وهي أسماؤه وصفاته وآيات كتبه[(٤)]، والكلمات ههنا محمولة على أسماء الله الحسنى، وكتبه المنزلة؛ لأن الاستعاذة إنما تكون بها[(٥)].

٣- قوله: «**التامات**»: الكاملة الشاملة الفاضلة[(٦)]، ووصفها بالتامة لخلوها عن النواقص، والعوارض، بخلاف كلمات الناس؛ فإنهم متفاوتون في كلامهم على

---

(١) المعجم الأوسط، للطبراني، ١/ ٢٨٥، برقم ٩٣١، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٧٤٠، وذكر الشيخ الألباني أنه موضوع في ضعيف الترغيب والترهيب، ١/ ٢٣٧، برقم ٩٩٢، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٦٤، دون ذكر الصحابي خالد بن الوليد رضي الله عنه.
(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.
(٣) تفسير السعدي، ص ٩٣٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١، مفردات حديث المتن رقم ٩٧.
(٤) مرقاة المفاتيح، ١/ ٤٠٢.
(٥) مرقاة المفاتيح، ٢/ ٢٦٦.
(٦) مرقاة المفاتيح، ١/ ٤٠٢، وتقدم شرحه في شرح حديث المتن رقم ٩٧، في مفردة رقم ٢.

حسب تفاوتهم في العلم، واللهجة، وأساليب القول، فما منهم من أحد إلا وقد يوجد فوقه آخر: إما في معنى، أو في معانٍ كثيرة، ثم إن أحدهم قلّما يسلم من معارضة، أو خطأ، أو نسيان، أو العجز عن المعنى الذي يُراد، وأعظم النقائص التي هي مقترنة بها: أنها كلمات مخلوقة، تكلم بها مخلوق مفتقر إلى الأدوات، والجوارح، وهذه نقيصة لا ينفك عنها كلام مخلوق، وكلمات الله تعالى متعالية عن هذه القوادح، فهي لا يسعها نقص، ولا يعتريها اختلال، واحتجّ الإمام أحمد بها على القائلين بخلق القرآن، فقال: لو كانت كلمات الله مخلوقة، لم يُعِذْ بها الله؛ إذ لا يجوز الاستعاذة بمخلوق[(١)].

٤-قوله: «**من غضبه**»: الغضب صفة من صفات الله الفعلية، جاءت في الكتاب والسنة، فهو يغضب، ويرضى، ويحب، ويكره، ولكن ليس كأحد من خلقه، فنؤمن بها كما جاءت على الوجه اللائق بالله ﷻ، من غير تعطيل، ولا تحريف، ولا تكييف، ولا تمثيل، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[(٢)]، قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «فعل ما يحبه [الله ﷻ]، والإعانة عليه، وجزاؤه، وما يترتب عليه من المدح، والثناء من رحمته، وفعل مايكره، وجزاؤهما يترتب عليه من الذم والألم، والعقاب من غضبه، ورحمته سابقة على غضبه، غالبة له، وكل ما كان من صفة الرحمة فهو غالب؛ لما كان من صفة الغضب فانه سبحانه لا يكون إلا رحيماً، ورحمته من لوازم ذاته، كعلمه، وقدرته، وحياته، وسمعه، وبصره، وإحسانه، فيستحيل أن يكون على خلاف ذلك، وليس كذلك غضبه؛ فانه ليس من لوازم ذاته، ولا يكون غضباناً دائماً، غضباً لا يتصور انفكاكه، بل يقول رسوله، وأعلم الخلق به يوم القيامة: «**إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم**

(١) مرقاة المفاتيح، ٢/ ٢٦٦.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله»[١]، ورحمته وسعت كل شيء، وغضبه لم يسع كل شيء، وهو سبحانه كتب على نفسه الرحمة، ولم يكتب على نفسه الغضب، ووسع كل شيء رحمة وعلماً، ولم يسع كل شيء غضباً وانتقاماً، فالرحمة وما كان بها، ولوازمها، وآثارها غالبة على الغضب»[٢].

٥-قوله: «**وعقابه**»: أي الذي توعد به من وقع في مساخطه، وتعدَّى حدوده، ويدخل في ذلك من مات مصرًّا على كبيرة، أو كان صاحب بدعة، وإن كان ذلك تحت مشيئته؛ فإن شاء عاقب، وإن شاء عفا»[٣]، قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعُقُوبَةُ والمعاقبة والعِقَاب يختصّ بالعذاب»[٤]، وقال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعِقابُ والمُعاقَبة أَن تَجْزي الرجلَ بِمَا فَعل سُوءًا؛ والاسمُ العُقُوبة، وعاقَبه بِذَنْبِهِ معاقَبة، وعِقاباً: أَخَذَه بِهِ»[٥].

٦- قوله: «**وشر عباده**»[٦]: المراد هنا بالعبودية هي العامة؛ لأن كل المخلوقات مُعبَّدة لله، قال الله ﷻ: ﴿**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا**﴾[٧]، قال الصنعاني :: «عام لإنسهم وجنهم»[٨].

٧- قوله: «**ومن همزات الشياطين**»: أي: من وساوسهم، ونخسهم، وأصلُ النَّخْسِ: الدَّفعْ والحَرَكة[٩]، وأصل الهمز: الطعن، قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يراد بالهمز

---

(١) البخاري، برقم ٣٣٤٠، ومسلم، برقم ١٩٤.
(٢) الفوائد، لابن القيم، ص ١٢٥.
(٣) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، ص ٢١٤.
(٤) المفردات في غريب القرآن،١/ ٥٧٥، مادة (عقب).
(٥) لسان العرب، ١/ ٦١٩، مادة (عقب).
(٦) انظر فقه الأدعية والأذكار، ص ٩١.
(٧) سورة مريم، الآية: ٩٣.
(٨) التنوير شرح الجامع الصغير، ١/ ٥٧٧.
(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٧٣، مادة (نخس).

الوسوسة، لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾(١)، وهمزات الشياطين خطراتها، وهي جمع الهمزة من الهمز، وفسرت الآية بأن الشياطين يحثون أولياءهم على المعاصي، ويغرونهم عليها... والهمز، وكل شيء دفعته، فقد همزته»(٢).

٨- قوله: «**وأن يحضرون**»: أي أعوذ بك من حضورهم ابتداءً، وإن حضروا فلا دافع لهم عني، ولا صارف لهم إلا أنت، قال الله تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ**﴾(٣)، قال الإمام ابن القيم :: «قال ابن زيد: في أموري، وقال الكلبي: عند تلاوة القرآن، وقال عكرمة: عند النزع والسياق، فأمره أن يستعيذ من نوعي شر إصابتهم بالهمز، وقربهم، ودنوهم منه»(٤)، وقال العلامة السعدي :: «أي: أعوذ بك من الشر الذي يصيبني بسبب مباشرتهم، وهمزهم، ومسهم، ومن الشر الذي بسبب حضورهم، ووسوستهم»(٥).

٩- قوله: «**فإنه لا يضرك**»: قال ابن الأثير رحمه الله: « الضَّرُّ: ضِدُّ النَّفْعِ، ضَرَّهُ يَضُرُّه ضَرّاً وضِرَاراً وأَضَرَّ بِهِ يُضِرُّ إِضْرَاراً»(٦). ويرى النووي : أنه لا يصيب ضرر لأَنَّ اللَّه تَعَالَى جَعَلَ هَذَا سَبَبًا لِسَلَامَتِهِ مِنْ مَكْرُوه يَتَرَتَّب عَلَيْهَا(٧)، وقال المباركفوري رحمه الله: «فَإِنَّهَا أَي: الْهَمَزَاتِ لَنْ تَضُرَّهُ أَيْ إِذَا دَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ، وَفِيهِ

---

(١) سورة الْمُؤْمِنُونَ، الآية: ٩٧.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٤، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ٣١، المفردة رقم ٩.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٧، ٩٨.

(٤) إغاثة اللهفان، ١/ ٩٦.

(٥) تفسير السعدي، ص ٥٥٨.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٨١، مادة (ضرّ).

(٧) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ١٧.

دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْفَزَعَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ»[١].

١٠-قوله: «**بالحري ألا يقربك**»: أَيْ: جَدِيرٌ، وَخَلِيقٌ، وَالْمُثَقَّلُ يُثَنَّى، وَيُجْمَعُ، وَيُؤَنَّثُ، تَقُولُ: حَرِيَّانِ، وَحَرِيُّونَ، وَحَرِيَّةٌ، وَالْمُخَفَّفُ يَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ، وَالِاثْنَيْنِ، وَالْجَمْعِ، وَالْمُذَكَّرُ، وَالْمُؤَنَّثُ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ؛ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ[٢].

١١-قوله: «**يُلَقِّنُهَا**» أَيْ: هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَهُوَ مِنَ التَّلْقِينِ، وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ يُعَلِّمُهَا مِنَ التَّعْلِيمِ[٣].

١٢-قوله: «**مَنْ بَلَغَ مِنْ وَلَدِهِ**» أَيْ: لِيَتَعَوَّذَ بِهَا[٤].

١٣-قوله: «**فِي صَكٍّ**» أَيْ: فِي وَرَقَةٍ[٥].

١٤-قوله: «**ثُمَّ عَلَّقَهَا**» أَيْ: عَلَّقَ الْوَرَقَةَ الَّتِي هِيَ فِيهَا[٦].

١٥-قوله: «**فِي عُنُقِهِ**» أَيْ: فِي رَقَبَةِ وَلَدِهِ الَّذِي لَمْ يَبْلُغْ[٧]، وهذا من اجتهاد عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وإلا فالصواب أنه لا يجوز تعليق شيء من القرآن، والتعوذات في الأعناق، وقال الإمام ابن باز رحمه الله: «ولأن القول بجواز ما كان من القرآن أو الأدعية المباحة والأذكار الشرعية استثناء بغير حجة ووسيلة إلى تعليق التمائم الأخرى الشركية، ومعلوم أن الأخذ بالعموم متعين، ما لم يرد ما يخصه، كما أن من المعلوم من الشريعة المطهرة وجوب سد الذرائع المفضية إلى الشرك، أو إلى ما دونه من المعاصي؛ ولأنها إذا علقت صارت وسيلة إلى تعلق

(١) تحفة الأحوذي، ٩/ ٣٥٦.
(٢) المرجع السابق، ٤/ ٤٦٠.
(٣) المرجع السابق، ٩/ ٣٦٥.
(٤) المرجع السابق، ٩/ ٣٦٥.
(٥) المرجع السابق، ٩/ ٣٦٥.
(٦) المرجع السابق، ٩/ ٣٦٥.
(٧) تحفة الأحوذي، ٩/ ٣٦٥.

القلوب بها، والاعتماد عليها، ونسيان الله ﷻ، فمن حكمة الله في هذا أنه ﷻ نهى عنها حتى تكون القلوب معلقة به سبحانه، لا بغيره، وتعليق القرآن وسيلة لتعليق غيره؛ فلهذا وجب منع الجميع، وأن لا يعلق شيء على المريض، ولا على الصبي، لا من القرآن، ولا من غيره، بل يُعلَّم الدعاء الشرعي، كالتعوذ بكلمات اللَّه التامات من شر ما خلق، وقراءة آية الكرسي، وقراءة سورة الإخلاص، والمعوذتين عند النوم، وبعد الصلوات الخمس»(١).

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «والأصل في مثل هذه الأشياء التوقيف، وهذا القول هو الراجح، وأنه لا يجوز تعليق التمائم، ولو من القرآن الكريم، ولا يجوز أيضاً أن تجعل تحت وسادة المريض، أو تعلق في الجدار، وما أشبه ذلك، وإنما يدعى للمريض، ويقرأ عليه مباشرة، كما كان النبي ﷺ يفعل، القسم الثاني: أن يكون المعلق من غير القرآن الكريم مما لا يفهم معناه؛ فإنه لا يجوز بكل حال؛ لأنه لا يدرى ماذا يكتب، فإن بعض الناس يكتبون طلاسم، وأشياء معقدة، حروف متداخلة، ما تكاد تعرفها، ولا تقرؤها؛ فهذا من البدع، وهو محرم، ولا يجوز بكل حال، واللَّه أعلم»(٢).

وقال فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: «الصحيح: الرأي الثاني، وهو المنع، والشيخ عبد الرحمن بن حسن، وقبله الشيخ سليمان بن عبداللَّه رجَّحا منعه، وذلك لثلاثة أمور:

الأمر الأول: عموم النهي، ولم يَرِد دليل يخصّص ذلك.

الأمر الثاني: سدّ الوسيلة المُفضية إلى الشرك؛ لأننا إذا أجزنا تعليق القرآن انفتح الباب لتعليق غيره.

---

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، ٤/ ٣٣٢.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، ١/ ١٠٧.

الأمر الثالث: أن تعليق القرآن يعرِّضه للامتهان؛ لأنه يعلّق على الصبيان، والصبيان لا يتجنّبون النجاسة، أو الدخول في مواضع القاذورات، وكذلك الجُهّال، لا يحترمون القرآن كما ينبغي، ولا يتنّبهونَ لذلك، وما كان سبباً لتعريض القرآن للامتهان فهو محرّم»[(١)].

وفي فتاوى اللجنة الدائمة: «ولا فرق بين كون التميمة من القرآن، أو من غير القرآن في أصح قولي العلماء؛ لعموم الأحاديث، ولسد الذريعة؛ لأن تعليق التمائم من القرآن يفضي إلى تعليقها من غيره»[(٢)].

وفي فتاوى نور على الدرب: «أن تعليق التمائم لا يجوز، ولم يفصّل بين تميمة وتميمة، ولم يقل إلا من القرآن، بل عمم، فدل ذلك على أن التمائم كلها من القرآن، وغير القرآن ممنوعة؛ لأن الرسول عمم في النهي عليه الصلاة والسلام، وهو المشرع، وهو أنصح الناس للناس، ولو كان في التمائم شيء مستثنى لاستثناه النبي عليه الصلاة والسلام، ثم أيضاً تعليق التمائم من القرآن وسيلة إلى تعليق التمائم الأخرى، فيلتبس الأمر، ويخفى على الناس، وتنتشر التمائم الشركية، وسد الذرائع من أهم مهمات الشريعة الإسلامية، فوجب منع التمائم كلها؛ عملاً بعموم الأحاديث، وسداً لذرائع الشرك»[(٣)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-قول هذا الذكر، مع إمراره على قلب قائله، وتدبر معانيه، مع الثقة في صدق الرسول ﷺ يدفع عن صاحبه بفضل الله ما يصاب به في نومه من وحشةٍ، أو فزعٍ، أو خوفٍ، أو قلقٍ، أو نحو ذلك.

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، ١/ ٢٦٧، وهو في فتاوى اللجنة الدائمة، ١/ ٢٤٥..
(٢) فتاوى اللجنة الدائمة المجموعة الثانية، ١/ ٩٤.
(٣) فتاوى نور على الدرب، للإمام ابن باز، ١/ ٥١، وانظر: ١/ ٣٤٦.

٢-أخبر النبي ﷺ في بعض ألفاظ الحديث أن من قاله – أي هذا الذكر – «**فإنها لن تضره**»[١] أي: الشياطين، وفي رواية: «**لا يقربك**»[٢] أي: الشيطان.

٣-المسلم الصادق لا يلجأ إلاّ لخالقه في كل أحواله، خاصة عند النازلة والبلاء، ولا يذهب إلى دجال، أو مشعْوِذٍ، أو كاهن، أو عرّاف؛ فإن ذلك فساد في الاعتقاد، قال الله ﷻ: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ...**﴾[٣].

٤-ولا يجوز تعليق التمائم والتعويذات، يقول الإمام العلامة ابن باز :: «ويدخل في ذلك الأوراق المكتوب فيها كتابات، حتى ولو كانت من القرآن على الصحيح؛ لأن الأحاديث عامة ليس فيها استثناء، فالرسول ﷺ عمم وأطلق، ولم يستثن شيئاً؛ فدل ذلك على أن التمائم كلها ممنوعة؛ ولأن تعليق ما يكتب من القرآن، أو الدعوات الطيبة، وسيلة لتعليق غيرها من التمائم الأخرى، وقد جاءت الشريعة الكاملة بسد الذرائع المفضية إلى الشرك أو المعاصي»[٤]. وقال في موضع آخر: «والعلة في كون تعليق التمائم من الشرك هي، والله أعلم: أن من علقها سيعتقد فيها النفع، ويميل إليها، وتنصرف رغبته عن الله إليها، ويضعف توكله على الله وحده، وكل ذلك كافٍ في إنكارها، والتحذير منها، وفي الأسباب المشروعة والمباحة ما يغني عن التمائم، وانصراف الرغبة عن الله إلى غيره شرك به، أعاذنا الله وإياكم من ذلك»[٥].

وفي فتاوى نور على الدرب: «ولا شك أن تعليق التمائم من القرآن، أو من

---

(١) الترمذي، برقم ٣٥٢٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) مسند أحمد، ٢٧/ ١٠٨، برقم ١٦٥٧٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) سورة النمل، الآية: ٦٢.
(٤) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، ٥/ ٣٠٦.
(٥) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، ٨/ ٣٠٤.

الدعوات المباحة يخالف الأحاديث العامة، والنهي العام، ويسبب فتح باب الشرك، واختلاط الأمور؛ فلهذا كان الصواب منع التمائم كلها من القرآن، وغير القرآن؛ أخذا بعموم الأحاديث وسدا لباب الشرك، والله المستعان»(١).

٥-الرجل – وإن كان صالحًا – فإنه قد يأتيه الشيطان في منامه، فيرى ما يخوفه، أو يزعجه، ولكن هذا يكون نادرًا؛ لقلة تمكن الشيطان من العبد الصالح، وقد جاء أحد الصحابة ﷺ إلى الرسول ﷺ يشكو له أهاويل يراها في المنام، فأرشده إلى قول هذا الذكر(٢).

٦-صفات الله على قسمين:

الأول: الصفات الذاتية: وهي التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها وإنما سمّاها العلماء ذاتية؛ لأنها ملازمة للذات، لا تنفكُّ عنها، وهي نوعان:

أ – الصفات الذاتية المعنوية مثل: الحياة، والعلم، والقدرة، والحكمة، وما أشبه ذلك.

ب – الصفات الذاتية الخبرية مثل: اليدين، والوجه، والعينين، وما أشبه ذلك.

الثاني: الصفات الفعلية: وهي التي تتعلق بالمشيئة دائمًا؛ سمّاها العلماء بهذا الاسم؛ لأنها من فعله ﷻ وهي نوعان:

أ–صفات لها سبب معلوم، مثل الرضى، والغضب، والمحبة، والبغض، والكراهية، ونحو ذلك مما صح في الكتاب، والسنة، إذا وجدت أسباب وقوع هذه الصفات الفعلية، مثل قوله: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾(٣).

ب– صفات ليس لها سبب معلوم، مثل النزول إلى السماء الدنيا؛ حين يبقى ثلث الليل الأخير.

---

(١) فتاوى نور على الدرب لابن باز، ١/ ٣٤٦.

(٢) انظر: المعجم الأوسط، للطبراني، ١/ ٢٨٥، برقم ٩٣١، وابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٧٤٠، وتقدم تخريجه.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٧.

- ومن الصفات ما هو صفة ذاتية، وفعلية باعتبارين، فالكلام صفة فعلية باعتبار آحاده، وباعتبار أصله صفة ذاتية؛ لأن الله لم يزل ولا يزال متكلمًا، وهو يتكلم بما شاء متى شاء[1].

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية للعلامة ابن عثيمين رحمه الله، ١/ ٧٨ وما بعده.

٣١ — مَا يَفْعَلُ مَنْ رَأَى الرُّؤْيا أوِ الحُلْمَ

١١٤-(١) «يَنْفُثُ عَنْ يَسَارِهِ» (ثلاثاً)(١).

(٢) «يَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ وَمِنْ شَرِّ مَا رَأَى» (ثَلاَثَ مَرَّاتٍ)(٢).

(٣) «لاَ يُحَدِّثْ بِهَا أَحَداً»(٣).

(٤) «يَتَحَوَّلُ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ»(٤).

١١٥-(٥) «يَقُومُ يُصَلِّي إِنْ أَرَادَ ذَلِكَ»(٥).

الشـــرح:

أولاً: ألفاظ الحديث:

٣٨٩-لفظ البخاري: عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ﷺ(٦)، قَالَ: كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا أُعْرَى مِنْهَا، غَيْرَ أَنِّي لَا أُزَمَّلُ، حَتَّى لَقِيتُ أَبَا قَتَادَةَ(٧)، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلْمًا يَكْرَهُهُ

---

(١) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٩٢، وكتاب الطب، باب النفث في الرقية، ورقم ٥٧٤٧، ومسلم واللفظ له، كتاب الرؤيا،برقم ٢٢٦١.

(٢) مسلم، برقم ٢٢٦١، ورقم ٢٢٦٢، وتقدم تخريجه.

(٣) مسلم، برقم ٢٢٦١، وتقدم تخريجه، ورقم ٢٢٦٣، وتقدم تخريجه.

(٤) مسلم، برقم ٢٢٦١، وتقدم تخريجه.

(٥) مسلم، كتاب الرؤيا، برقم ٢٢٦٣.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١١٢ من أحاديث الشرح.

(٧) أبو قتادة بن ربعي ﷺ: اسمه الحارث بن ربعي؛ الأنصاري الخزرجي السلمي، فارس رسول الله ﷺ، اختلف في شهوده بدرًا، وقد شهد أُحدًا وما بعدها، وقيل: توفي بالكوفة في خلافة علي ﷺ، وقد صلى عليٌّ عليه وكبر سبعًا.انظر ترجمته في تهذيب الكمال ٦/ ٢٤٤، وتكبيره سبعًا لعلمه أنه بدري، والله أعلم.

فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسارِهِ ثَلاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ»[١].

٣٩٠-وفي رواية للبخاري: «إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا أَثْقَل عَلَيَّ مِنْ جَبَلٍ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ، فَمَا أُبَالِيهَا»[٢].

٣٩١-وفي رواية لمسلم قالَ أَبُو سَلَمَةَ: «فَإِنْ كُنْتُ لأَرَى الرُّؤْيَا»، وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ اللَّيْثِ، وَابْنِ نُمَيْرٍ قَوْلُ أَبِي سَلَمَةَ إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَزَادَ ابْنُ رُمْحٍ فِي رِوَايَةِ هَذَا الْحَدِيثِ: «وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ»[٣].

٣٩٢-وفي لفظ للبخاري، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنْ اللهِ وَالْحُلْمُ مِنْ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ، فَلْيَنْفِثْ عَنْ شِمَالِهِ ثَلاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ مِنْ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَرَاءَى بِي»[٤].

٣٩٣-وللبخاري عن أَبِي سَلَمَةَ قال: لَقَدْ كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا فَتُمْرِضُنِي، حَتَّى سَمِعْتُ أَبَا قَتَادَةَ يَقُولُ: وَأَنَا كُنْتُ لأَرَى الرُّؤْيَا تُمْرِضُنِي، حَتَّى سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ مِنَ اللهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ، فَلاَ يُحَدِّثْ بِهِ إِلاَّ مَنْ يُحِبُّ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ، وَلْيَتْفِلْ ثَلاَثًا، وَلاَ يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ »[٥].

٣٩٤-وفي لفظ لأحمد عن أبي قتادة، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «الرُّؤْيَا مِنَ اللهِ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى رُؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلَا يُخْبِرْ بِهَا وَلْيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا؛ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ»، قَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً أُخْرَى: «فَإِنَّهُ لَنْ يَرَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ»[٦].

---

(١) البخاري، برقم ٣٢٩٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) البخاري، برقم ٥٧٤٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) مسلم، برقم ٢٢٦١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) البخاري، كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام، برقم ٦٩٩٥.
(٥) البخاري، كتاب التعبير، باب إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها ولا يذكرها، برقم ٧٠٤٤.
(٦) مسند أحمد، ٣٧/ ٢٠٥، برقم ٢٢٥٢٥، وصحح إسناده محققو المسند.

٣٩٥-وفي رواية مسلم عَنْ جَابِرٍ ﷺ[(١)]، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا، فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ**»[(٢)].

٣٩٦-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[(٣)]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ**»، قَالَ: «**وَأُحِبُّ الْقَيْدَ، وَأَكْرَهُ الْغُلَّ، وَالْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ**» فَلَا أَدْرِي هُوَ فِي الْحَدِيثِ أَمْ قَالَهُ ابْنُ سِيرِينَ[(٤)][(٥)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**ينفث**»: النفث: بالفم يشبه النفخ، وهو أقل من التفل؛ لأن التفل يكون معه شيء من الريق، وأما النفث فقد يكون معه شيء من الريق، وقد لا يكون، قال ابن عبد البر رحمه الله: «النفث: شبه البصق، ولا يلقي النافث شيئاً من البصاق، وقيل: كما ينفث أكل الزبيب»[(٦)]، وقال ابن منظور رحمه الله: «النَّفْثُ: أَقلُّ مِنَ التَّفْل، لأَن التَّفْلَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الرِّيقِ؛ والنفثُ: شَبِيهٌ بِالنَّفْخِ؛ وَقِيلَ: هُوَ التَّفْلُ بِعَيْنِهِ. نَفَثَ الرَّاقِي، وَفِي الْمُحْكَمِ: نَفَثَ يَنْفِثُ ويَنْفُثُ نَفْثاً ونَفَثاناً... والنَّفْثِ بِالْفَمِ، شبيهٌ بِالنَّفْخِ...»[(٧)].

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧٢ من أحاديث الشرح.
(٢) مسلم، برقم ٢٢٦١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.
(٤) محمد بن سيرين: أبو بكر بن أبي عمرة البصري، ثقة، ثبت، عابد، كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى، من الثالثة، مات سنة عشر ومائة. انظر: تقريب التهذيب، ٣/ ٤٥٢.
(٥) مسلم، برقم ٢٢٦٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، ٨/ ١٢٩.
(٧) لسان العرب، ٢/ ١٩٥، مادة (نفث)، وتقدم مستوفى في شرح مفردات الحديث رقم ٩٩ من =

٢-قوله: «فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَاره ثَلاثًا». قال الإمام النووي: وَفِي رِوَايَة: «فَلْيَبْصُقْ عَلَى يَسَاره حِين يَهُبّ مِنْ نَوْمه ثَلَاث مَرَّات»، وَفِي رِوَايَة: «فَلْيَتْفُلْ عَنْ يَسَاره ثَلَاثًا»، وفِي رِوَايَة: «فَلْيَبْصُقْ عَلَى يَسَاره ثَلاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَان ثَلاثًا».

فَحَاصِله ثَلَاثَة: أَنَّهُ جَاءَ: (فَلْيَنْفُثْ)، وَ(فَلْيَبْصُق)، وَ(فَلْيَتْفُل)، وَأَكْثَر الرِّوَايَات «فَلْيَنْفُثْ» ...، وَلَعَلَّ الْمُرَاد بِالْجَمِيعِ النَّفْث، وَهُوَ نَفْخ لَطِيف بِلَا رِيق، وَيَكُون التَّفْل وَالْبَصْق مَحْمُولَيْنِ عَلَيْهِ مَجَازًا[(١)] .

٣-قوله: « يَسْتَعِيذُ بِاللَّه»: قال الراغب الأصفهاني: «والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به.... وأعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك[(٢)]، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «لجأت إلى ملجأ، ولذت بملاذ، وقد تكرر ذكر الاستعاذة والتعوذ، وما تصرف منهما، والكل بمعنى، وبه سميت المعوذتان[(٣)]،وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ ... وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛... ويُسْتَعَاذُ مِنْ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يَضُرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنْ الشَّرِّ الضَّارِّ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يُوجَدَ»[(٤)].

٤-قوله: «من الشيطان» والشيطان: من الشطن: البعد، أي: بَعُد عن الخير»[(٥)]، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «طرد للشيطان الذي حضر رؤياه المكروهة،

=
أحاديث المتن، في شرح المفردة رقم ٢.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ١٦.

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث لمتن رقم ٥٥.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٣١٧.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، ١٨/ ٢٨٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٧٤، مادة (شطن)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧
=

وتحقير له، واستقذار لفعله»[١].

٥- قوله: «**ومن شر ما رأى**»: قال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقد أمره الشارع بمداواة ما يخاف من ضرها وتلافيه بالتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان»[٢].

٦-قوله: «**لا يحدث بها أحداً**»: قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دليلٌ على منع أن يخبر الإنسان بما يراه في منامه مما يكرهه»[٣]، وقال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ولا يحدث بها أحدًا**»: فسببه أنه ربما فسره تفسيراً مكروهًا على ظاهر صورتها، وكان ذلك محتملاً فوقعت بتقدير الله كذلك»[٤].

٧- قوله: «**وَلْيَتَحَوَّلْ إِلَى جَنْبه الْآخَر، وَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْن**»: «فَيَكُون قَدْ عَمِلَ بِجَمِيعِ الرِّوَايَات، وَإِنْ اِقْتَصَرَ عَلَى بَعْضهَا أَجْزَأَهُ فِيّ دَفْع ضَرَرهَا بِإِذْنِ الله تَعَالَى، وَأَمَرَ بِالنَّفْثِ ثَلَاثًا طَرْدًا لِلشَّيْطَانِ الَّذِي حَضَرَ رُؤْيَاهُ الْمَكْرُوهَة، تَحْقِيرًا لَهُ، وَاسْتِقْذَارًا، وَخَصَّتْ بِهِ الْيَسَار لِأَنَّهَا مَحَلّ الْأَقْذَار وَالْمَكْرُوهَات، وَنَحْوهَا، وَالْيَمِين ضِدّهَا»[٥].

٨- قوله: «**أُزَمَّل**»: فَمَعْنَاهُ أُغَطَّى وَأُلَفّ كَالْمَحْمُومِ.

٩-قوله: «**أُعْرَى**» -بِضَمّ الْهَمْزَة، وَإِسْكَان الْعَيْن، وَفَتْح الرَّاء- أَيْ: أُحَمّ لِخَوْفِي مِنْ ظَاهِرهَا فِي مَعْرِفَتِي، قَالَ أَهْل اللُّغَة: يُقَال: «**عُرِيَ الرَّجُل**» -بِضَمّ الْعَيْن، وَتَخْفِيف الرَّاء-: يُعْرَى إِذَا أَصَابَهُ عُرَاء -بِضَمّ الْعَيْن، وَبِالْمَدّ - وَهُوَ

=
من مفردات أحاديث المتن رقم ١.

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٩/ ٣٠٠٣.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٣٢/ ٢٥١.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٨/ ١٣٢.

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٣٢/ ١٣٦.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ١٨.

نَفْض الْحُمَّى، وَقِيلَ: رَعْدَة.

١٠-قوله: «الْحُلْم» -بِضَمِّ الْحَاء، وَإِسْكَان اللَّام- وَالْفِعْل مِنْهُ «حَلَمَ» بِفَتْحِ اللَّام، وقال ابن الأثير رحمه الله: «والحُلْم عِبَارَةٌ عَمَّا يَرَاهُ النَّائِمُ فِي نَوْمِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ... وتُضم لَامُ الحُلم وتُسَكَّن»[1]، وأما الحِلْم – بكسر الحاء، وإسكان اللام- فهو من الأناة والتثبت، و«فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى «الحَلِيم» هُوَ الَّذِي لَا يستخفّه شيء من عصيان العباد، وَلَا يستفِزُّه الْغَضَبُ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ مِقْدَارًا، ...أُولُو الأَحْلَام والنُّهَى: أي: ذوو الألباب، العقول، وَاحِدُهَا حِلْم بِالْكَسْرِ، وَكَأَنَّهُ مِنَ الحِلْم: الأناةِ والتَّثَبُّت فِي الْأُمُورِ، وَذَلِكَ مِنْ شِعار العقَلاء»[2].

١١-قوله: «الرُّؤْيَا»: «فَمَقْصُورَة مَهْمُوزَة، وَيَجُوز تَرْك هَمْزهَا كَنَظَائِرِهَا، قَالَ الْإِمَام الْمَازِرِيّ: مَذْهَب أَهْل السُّنَّة فِي حَقِيقَة الرُّؤْيَا أَنَّ الله تَعَالَى يَخْلُق فِي قَلْب النَّائِم اِعْتِقَادَات، كَمَا يَخْلُقهَا فِي قَلْب الْيَقْظَان، وَهُوَ تعالى يَفْعَل مَا يَشَاءُ، لَا يَمْنَعهُ نَوْم وَلَا يَقظَة، فَإِذَا خَلَقَ هَذِهِ الِاعْتِقَادَات، فَكَأَنَّهُ جَعَلَهَا عِلْمًا عَلَى أُمُور أُخَرَ يَخْلُقهَا فِي ثَانِي الْحَال، أَوْ كَانَ قَدْ خَلَقَهَا، فَإِذَا خَلَقَ فِي قَلْب النَّائِم الطَّيَرَان، وَلَيْسَ بِطَائِرٍ، فَأَكْثَر مَا فِيهِ أَنَّهُ اِعْتَقَدَ أَمْرًا عَلَى خِلَاف مَا هُوَ، فَيَكُون ذَلِكَ الِاعْتِقَاد عَلَمًا عَلَى غَيْره، كَمَا يَكُون خَلْق الله تعالى الْغَيْم عَلَمًا عَلَى الْمَطَر، وَالْجَمِيع خَلْق الله تَعَالَى، وَلَكِنْ يَخْلُق الرُّؤْيَا، وَالِاعْتِقَادَات الَّتِي جَعَلَهَا عَلَمًا عَلَى مَا يَسُرّ بِغَيْرِ حَضْرَة الشَّيْطَان، وَيَخْلُق مَا هُوَ عَلَم عَلَى مَا يَضُرّ بِحَضْرَةِ الشَّيْطَان، فَيُنْسَب إِلَى الشَّيْطَان مَجَازًا؛ لِحُضُورِهِ عِنْدهَا، وَإِنْ كَانَ لَا فِعْل لَهُ حَقِيقَة، وَهَذَا مَعْنَى قَوْله ﷺ: «الرُّؤْيَا مِنْ الله، وَالْحُلْم مِنَ الشَّيْطَان»، لَا عَلَى أَنَّ الشَّيْطَان يَفْعَل شَيْئًا؛ فَالرُّؤْيَا اِسْم لِلْمَحْبُوبِ، وَالْحُلْم اِسْم لِلْمَكْرُوهِ، وَهَذَا كَلَام الْمَازِرِيّ، وَقَالَ غَيْره: أَضَافَ الرُّؤْيَا الْمَحْبُوبَة إِلَى الله إِضَافَة تَشْرِيف بِخِلَافِ

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ١/ ٤٣٤، مادة (حلم).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ١/ ٤٣٤، مادة (حلم).

الْمَكْرُوهَة، وَإِنْ كَانَتَا جَمِيعًا مِنْ خَلْق الله تَعَالَى وَتَدْبِيره، وَبِإِرَادَتِهِ، وَلَا فِعْل لِلشَّيْطَانِ فِيهِمَا، لَكِنَّهُ يَحْضُر الْمَكْرُوهَة، وَيَرْتَضِيهَا، وَيُسَرّ بِهَا»[١].

١٢-قوله: «فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرّهُ»: مَعْنَاهُ أَنَّ الله تَعَالَى جَعَلَ هَذَا سَبَبًا لِسَلَامَتِهِ مِنْ مَكْرُوه يَتَرَتَّب عَلَيْهَا، فَيَنْبَغِي أَنْ يُجْمَع بَيْن هَذِهِ الرِّوَايَات، وَيُعْمَل بِهَا كُلّهَا، فَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَههُ نَفَثَ عَنْ يَسَاره ثَلَاثًا قَائِلًا: أَعُوذ بِاَللَّهِ مِنْ الشَّيْطَان وَمِنْ شَرّهَا...[٢].

١٣- قوله: «حِين يَهُبّ مِنْ نَوْمه»: أَيْ: يَسْتَيْقِظ[٣] .

١٤-قَوْله: «يَتراءَى» -بِالرّاءِ بِوزنِ يَتَعاطَى- مَعناهُ: لا يَستَطِيع أَن يَصِير مَرئِيًّا بِصُورَتِي[٤].

١٥-قوله: «إِذَا اِقْتَرَبَ الزَّمَان لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِم تَكْذِب»: الْمُرَاد إِذَا قَارَبَ الزَّمَان أَنْ يَعْتَدِل لَيْله وَنَهَاره، وَقِيلَ: الْمُرَاد إِذَا قَارَبَ الْقِيَامَة، وَالْأَوَّل أَشْهَر عِنْد أَهْل غَيْر الرُّؤْيَا، وَجَاءَ فِي حَدِيث مَا يُؤَيِّد الثَّانِي. وَاللهُ أَعْلَم[٥].

١٦-قَوْله: «وَأُحِبّ الْقَيْد»: إِنَّمَا أُحِبّ الْقَيْد؛ لِأَنَّهُ فِي الرِّجْلَيْنِ، وَهُوَ كَفّ عَنْ الْمَعَاصِي وَالشُّرُور وَأَنْوَاع الْبَاطِل[٦].

١٧-قَوْله: «وَأَكْرَه الْغُلّ»، وَأَمَّا الْغُلّ فَمَوْضِعه الْعُنُق، وَهُوَ صِفَة أَهْل النَّار. قَالَ الله تَعَالَى ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾[٧]، وَقَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾[٨].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ١٦.
(٢) المرجع السابق.
(٣) انظر: المرجع السابق، ١٥/ ١٨.
(٤) فتح الباري، ١٢/ ٣٨٦.
(٥) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ١٨.
(٦) المرجع السابق.
(٧) سورة يس، الآية: ٨.
(٨) سورة غافر، الآية: ٧١.

١٨-قَوْله: «**وَالْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ**»: أَمَّا أَهْل الْعِبَارَة فَنَزَّلُوا هَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ مَنَازِل، فَقَالُوا: إِذَا رَأَى الْقَيْد فِي رِجْلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَسْجِد، أَوْ مَشْهَد خَيْر، أَوْ عَلَى حَالَة حَسَنَة، فَهُوَ دَلِيل لِثَبَاتِهِ فِي ذَلِكَ، وَكَذَا لَوْ رَآهُ صَاحِب وِلَايَة كَانَ دَلِيلًا لِثَبَاتِهِ فِيهَا، وَلَوْ رَآهُ مَرِيض، أَوْ مَسْجُون، أَوْ مُسَافِر، أَوْ مَكْرُوب، كَانَ دَلِيلًا لِثَبَاتِهِ فِيهِ، قَالُوا: وَلَوْ قَارَنَهُ مَكْرُوه بِأَنْ يَكُون مَعَ الْقَيْد غُلّ غَلَّبَ الْمَكْرُوه؛ لِأَنَّهَا صِفَة الْمُعَذَّبِينَ[١].

وَأَمَّا الْغُلّ فَهُوَ مَذْمُوم إِذَا كَانَ فِي الْعُنُق، وَقَدْ يَدُلّ لِلْوَلَايَاتِ إِذَا كَانَ مَعَهُ قَرَائِن، كَمَا كُلّ وَالٍ يُحْشَر مَغْلُولًا حَتَّى يُطْلِقهُ عَدْله، فَأَمَّا إِنْ كَانَ مَغْلُول الْيَدَيْنِ دُون الْعُنُق فَهُوَ حَسَن، وَدَلِيل لِكَفِّهِمَا عَنِ الشَّرّ، وَقَدْ يَدُلّ عَلَى مَنْع مَا نَوَاهُ مِنْ الْأَفْعَال[٢].

١٩-قوله: «**تحزين من الشيطان**»: فإنها تحزين، وتهويل، وتخويف، يدخل كل ذلك الشيطان على الإنسان في نومه ليشوش يقظته، وقد يجتمع هذان السببان؛ أعني: هموم النفس، وأُلقيات الشيطان في منام واحد، فتكون أصناف أحلام لاختلاطها[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- «**ينفث عن يساره ثلاثاً**» جاء عند مسلم: «**إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثًا**» وعنده أيضًا: «**فليتفل**»[٤].

أما الحكمة من فعل ذلك، فهي طرد الشيطان تحقيرًا له، واستقذارًا، وخصت باليسار؛ لأنها محل الأقذار ونحوها، وفعلها ثلاثًا؛ لتأكيد ذلك الأمر، وفيه إشارة إلى أن ذلك الفعل في مقام الرقية، قال النووي: أكثر الروايات في الرؤيا: «**فلينفث**» وهو

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ١٨.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٨/ ١١٥.
(٤) مسلم، برقم ٢٢٦٢، وتقدم تخريجه.

نفخ لطيف بلا ريق، فيكون التفل، والبصق محمولين عليه مجازًا[(١)].

٢- «**يستعيذ بالله من الشيطان ومن شر ما رأى**» ثلاث مرات.

وذلك بقوله: أعوذ بالله من الشيطان ومن شر ما رأيت[(٢)].

والحكمة من الاستعاذة هي أن ذلك منه، وأنه هو الذي يخوف، ويهول الآدمي، وكذلك فإن الاستعاذة مشروعة عند كل أمر مكروه[(٣)].

٣- «**لا يحدث بها أحدًا**» أي: لا يخبر بحَلْمِهِ هذا أحدًا، ولا يطلب له تأويلًا، بل وقد قال الرسول ﷺ: «**فإنها لن تضره**»[(٤)]، أي: هذه الرؤيا.

والحكمة في ذلك أنه لو أخبر بها أحدًا فربما يفسرها له تفسيرًا مكروهًا على ظاهر صورتها، وكان ذلك محتملًا، فوقعت كذلك بتقدير الله ﷻ[(٥)].

ولذلك فقد قال الرسول ﷺ: «**الرؤيا على رجل طائر ما لم تُعبر فإذا عبرت وقعت**»[(٦)]، أي كأنها معلقة برجل طائر؛ لأنها لا تستقر.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله فيما نقله عن المهلب: «سمى الشارع الرؤيا الخالصة من الأضغاث صالحة، وصادقة، وأضافها إلى الله، وسمى الأضغاث حلمًا، وأضافها إلى الشيطان؛ لأنها مخلوقة على شاكلته، فأعلم الله الناس بكيده»[(٧)].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤/ ١٨٢، وانظر: فتح الباري، ١٢/ ٣٧١.

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين رحمه الله، رقم (٨٤٣).

(٣) المصدر قبل السابق.

(٤) البخاري، كتاب التعبير، باب إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها، ولا يذكرها، برقم ٧٠٤٥.

(٥) مسلم شرح النووي ١٥/ ٢١.

(٦) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرؤيا، برقم ٥٠٢٠، وابن ماجه، كتاب تعبير الرؤيا، باب الرؤيا إذا عُبرت وقعت، فلا يقصها إلا على وادّ، برقم ٣٩١٤، وأحمد، ٢٦/ ١٠٠، برقم ١٦١٨٢، وابن أبي شيبة، ٦/١٧٣ ، برقم ٣٠٤٤٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٥٣٥.

(٧) فتح الباري، ١٢/ ٣٧٠.

٤- «**يتحول عن جنبه الذي كان عليه**»(١) هذا هو الأدب الرابع لمن رأى رؤيا يكرهها، أي: أنه إن كان نائمًا على جنبه الأيسر؛ فإنه يتحول إلى الأيمن والعكس، وإذا كان نائمًا على ظهره؛ فإنه يتحول يمينًا، وهذا من باب التفاؤل أن يغير الله ما به من حال يكرهها.

٥-قال المباركفوري رحمه الله: وعند مسلم: «**إذا رأى ما يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ**»، قَالَ النَّوَوِيُّ: فَيَنْبَغِي أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ، وَيَعْمَلَ بِهَا كُلِّهَا؛ فَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُهُ نَفَثَ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا قَائِلًا: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمِنْ شَرِّهَا، وَلْيَتَحَوَّلْ إِلَى جَنْبِهِ الْآخَرِ، وَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، فَيَكُونُ قَدْ عَمِلَ بِجَمِيعِ الرِّوَايَاتِ، وَإِنِ اقْتَصَرَ عَلَى بَعْضِهَا أَجْزَأَهُ فِي دَفْعِ ضَرَرِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا صَرَّحَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ»(٢).

٦-قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وأما الصلاة فلما فيها من التوجه إلى الله، واللجوء إليه، قال القرطبي: والصلاة تجمع كل ما مضى - أي من الآداب - لأنه إذا قام فصلى تحول عن جنبه، وبصق، ونفث عند المضمضة في الوضوء، واستعاذ قبل القراءة، ثم دعا الله في أقرب الأحوال إليه، فسيكفيه الله شرها بمنه وكرمه(٣).

خلاصة آداب الرؤيا وأحكامها على النحو الآتي:

١- أولاً: آداب الحلم الواردة في الأحاديث السابقة:

الأدب الأول: ينفث عن يساره ثلاثاً، وتقدم بيان ذلك.

الأدب الثاني: يستعيذ بالله من الشيطان، ومن شر ما رأى ثلاثاً.

الأدب الثالث: لا يحدث بها أحداً.

الأدب الرابع: يتحول عن جنبه الذي كان عليه.

الأدب الخامس: لمن رأى ما يكره: الوضوء والقيام للصلاة.

---

(١) هذه رواية مسلم، برقم ٢٢٦١، وتقدم تخريجه.

(٢) تحفة الأحوذي، ٦/ ٤٦٠.

(٣)انظر: فتح الباري، ١٢/ ٣٧١..

الأدب السادس: إذا رأى ما يحب، فلا يخبر إلا من يحب.

٢- ثانيًا: الرؤيا تطلق على ما يراه النائم من أمر محبوب، بخلاف الحُلم فإنه يطلق على الأمر المكروه؛ لقوله ﷺ: **«الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ مِنَ اللهِ، وَالحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ»**[١].

٣- ثالثاً: الرؤيا على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: – الرؤيا الصالحة أو الصادقة أو الحسنة: وهي التي قال فيها الرسول ﷺ برواية ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السِّتَارَةَ، وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: **«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ، أَلاَ وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا، أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عز وجل، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»**[٢].

قال الحافظ: والمعنى لم يبق بعد النبوة المختصة بي إلا المبشرات[٣].

القسم الثاني: الرؤيا المكروهة: وهي التي وصفها الرسول الكريم ﷺ بأنها تخويف من الشيطان[٤] وقد بيَّنا السنة في ذلك.

القسم الثالث: حديث النفس: وهذا النوع يقع إذا كان الإنسان مشغولًا بأمر، ومتعلقاً قلبه به، فإنه يراه في نومه، أو أن الشيطان يلعب به، ويشهد

---

(١) البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله، برقم ٦٩٨٤.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، برقم ٤٧٩، وفي البخاري، كتاب التعبير، باب المبشرات، برقم ٦٩٩٠: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات» قالوا وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة».

(٣) فتح الباري، ١٢/ ٣٧٥.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة، ٦/ ١٨١، برقم ٣٠٥٠٧، ولفظه: عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الرُّؤْيَا عَلَى ثَلَاثَةٍ، مِنْهَا تَخْوِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيُحْزِنَ بِهَا ابْنَ آدَمَ، وَمِنْهَا الْأَمْرُ يُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَهُ فِي الْيَقَظَةِ فَيَرَاهُ فِي الْمَنَامِ، وَمِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ» والبيهقي في الزهد الكبير، برقم ٣٥٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٥٣٣.

لهذا أن أعرابيًا جاء إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي ضُرِبَ فَتَدَحْرَجَ، فَاشْتَدَدْتُ عَلَى أَثَرِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْأَعْرَابِيِّ: «**لَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِكَ فِي مَنَامِكَ**»، وَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ بَعْدُ، يَخْطُبُ فَقَالَ: «**لَا يُحَدِّثَنَّ أَحَدُكُمْ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِهِ فِي مَنَامِهِ**»[(١)].

٤- رابعًا: السنة إذا رأى المسلم رؤيا حسنة أن يقول، ويعمل الأمور الآتية:

أ- يحمد الله على إكرامه له بهذه الرؤيا.

ب- لا يقصها إلا على من يحبّ، أو على العالم بتأويل الرُؤى، أو على ناصح لبيب إذا وُجد.

جـ- يستبشر بهذه الرؤية[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «الرُّؤيا الصّالِحَة ثَلاثة أَشياء: أَن يَحمَد الله عَلَيها، وأَن يَستَبشِر بِها، وأَن يَتَحَدَّث بِها لَكِن لِمَن يُحِبّ دُون مَن يَكرَه.

وحاصِل ما ذُكِرَ مِن أَدَب الرُّؤيا المَكرُوهَة أَربَعَة أَشياء: أَن يَتَعَوَّذ بِاللَّهِ مِن شَرّها، ومِن شَرّ الشَّيطان، وأَن يَتفُل حِين يَهُبّ مِن نَومه عَن يَساره ثَلاثًا ، ولا يَذكُرها لأَحَدٍ أَصلاً.. . قالَ الحَكِيم التِّرمِذِيّ: الرُّؤيا الصّادِقَة أَصلها حَقّ تُخبِر عَن الحَقّ، وهُو بُشرَى وإِنذار ومُعاتَبَة؛ لِتَكُونَ عونًا لِما نُدِبَ إِلَيهِ، قالَ: وقَد كانَ غالِب أُمُور الأَوَّلِينَ الرُّؤيا، إِلاَّ أَنَّها قَلَّت فِي هَذِهِ الأُمَّة؛ لِعِظَمِ ما جاءَ بِهِ نَبِيُّها مِنَ الوحي؛ ولِكَثرَةِ مَن فِي أُمَّته مِنَ الصِّدِّيقِينَ مِنَ المُحَدَّثِينَ - بِفَتحِ الدّال - وأَهل اليَقِين، فاكتَفَوا بِكَثرَةِ الإِلهام والمُلهَمِينَ عَن كَثرَة الرُّؤيا الَّتِي كانَت فِي المُتَقَدِّمِينَ.

وقالَ القاضِي عِياض: يَحتَمِل قَوله: «الرُّؤيا الحَسَنَة، والصّالِحَة» أَن يَرجِع إِلَى حُسن ظاهِرها، أَو صِدقها، كَما أَنَّ قَوله: «الرُّؤيا المَكرُوهَة، أَو السُّوء»

---

(١) مسلم، كتاب الرؤيا، باب لا يخبر بتلعب الشيطان به في المنام، برقم ٢٢٦٨.

(٢) انظر الأحاديث في ذلك البخاري، برقم ٦٩٨٥، ورقم ٦٩٩٠.

يَحتَمِل سُوء الظَّاهِر، أَو سُوء التَّأوِيل، وأمّا كَتمها مَعَ أَنَّها قَد تكُون صادِقَة، فَخَفِيَت حِكمَتـه، ويَحتَمِـل أَن يَكُـون لِمَخافَـةِ تَعجِيـل اشـتِغال سِـرّ الرّائِـي بِمَكـرُوهِ تَفسِيرها؛ لأَنَّهـا قَـد تُبطِـئ، فَإِذا لَـم يُخبِـر بِهـا زالَ تَعجِيـل رَوعهـا، وتَخوِيفها، ويَبقَى إِذا لَم يَعبُرها لَهُ أَحَدٌ بَين الطَّمَع فِي أَنَّ لَها تَفسِيرًا حَسَنًا، أَو الرَّجاء فِي أَنَّها مِنَ الأَضغاث، فَيَكُون ذَلِكَ أَسكَنَ لِنَفسِهِ»[١].

وقـال أيضـاً: «الرُّؤيـا الصّـالِحَة لا تَشـتَمِل عَلَـى شَـيء مِمّـا يَكرَهـهُ الرّائِـي، ويُؤَيِّدهُ مُقابَلَة رُؤيا البُشرَى بِالحُلُم، وإِضافَة الحُلُم إِلَى الشَّيطان، وعَلَى هَذا فَفِي قَول أَهل التَّعبِير، ومَن تَبِعَهُم إِنَّ الرُّؤيا الصّادِقَة قَد تَكُون بُشرَى، وقَد تَكُون إِنذارًا نَظَرٌ؛ لأَنَّ الإِنذار غالِبًا يَكُون فِيما يَكرَه الرّائِي، ويُمكِن الجَمع بِأَنَّ الإِنذار لا يَستَلزِم وُقُوع المَكرُوه، كَما تَقَدَّمَ تَقرِيره، وبِأَنَّ المُراد بِما يَكرَه ما هُو أَعَمُّ مِن ظاهِر الرُّؤيا ومِمّا تُعَبَّر بِهِ»[٢].

وقال فِي موضع آخر: «قَولُه : «لَم يَبقَ مِنَ النُّبُوَّة إِلاَّ المُبَشِّرات» ، كَذا ذَكَرَهُ بِاللَّفظِ الدّالّ عَلَى المُضِيّ تَحقِيقًا لِوُقُوعِهِ، والمُراد الاستِقبال، أَي لا يَبقَى، وقِيلَ هُو عَلَى ظاهِره؛ لأَنَّهُ قالَ ذَلِكَ فِي زَمانه، واللاَّم فِي النُّبُوَّة لِلعَهدِ، والمُراد نُبُوَّته، والمَعنَى لَم يَبقَ بَعد النُّبُوَّة المُختَصَّة بِي إِلاَّ المُبَشِّرات، ثُمَّ فَسَّرَها بِالرُّؤيا، ... وظاهِر الاستِثناء مَعَ ما تَقَدَّمَ مِن أَنَّ الرُّؤيا جُزء مِن أَجزاء النُّبُوَّة، أَنَّ الرُّؤيا نُبُوَّة، ولَيسَ كَذَلِكَ؛ لِما تَقَدَّمَ أَنَّ المُراد تَشبِيه أَمر الرُّؤيا بِالنُّبُوَّةِ، أَو لأَنَّ جُزء الشَّيء لا يَستَلزِم ثُبُوت وصفه لَهُ، كَمَن قالَ: أَشهَد أَن لا إِلَه إِلاَّ الله، رافِعًا صَوته، لا يُسَمَّى مُؤَذِّنًا، ولا يُقال: إِنَّهُ أَذَّنَ وإِن كانَت جُزءًا مِنَ الأَذان.

وكَذا لَو قَرَأَ شَيئًا مِنَ القُرآن وهُو قائِم، لا يُسَمَّى مُصَلِّيًا، وإِن كانَت القِراءَة

---

(١) فتح الباري، لابن حجر، ١٢/ ٣٧٠.
(٢) فتح الباري، لابن حجر ١٢/ ٣٧٢.

جُزءًا مِنَ الصَّلاة، ويُؤَيِّدهُ حَدِيث أُمّ كُرز - بِضَمِّ الكاف، وسُكُون الرّاء بَعدها زاي - الكَعبِيَّة قالَت: سَمِعت النَّبِيّ ﷺ يَقُول: «**ذَهَبَت النُّبُوَّة وبَقِيَت المُبَشِّرات**»، أَخرَجَهُ أَحمَدُ، وابن ماجَه، وصَحَّحَهُ ابن خُزَيمَةَ، وابن حِبّان[١]، ولأَحمَدَ عَن عائِشَة مَرفُوعًا: «**لَم يَبقَ بَعدِي مِنَ المُبَشِّرات إلاَّ الرُّؤيا**»[٢]، ... ولأَبِي يَعلَى مِن حَدِيث أَنَس رَفَعَهُ «**إنَّ الرِّسالَة والنُّبُوَّة قَد انقَطَعَت، ولا نَبِيّ ولا رَسُول بَعدِي، ولَكِن بَقِيَت المُبَشِّرات**»، قالُوا: وما المُبَشِّرات ؟ قالَ: «**رُؤيا المُسلِمِينَ جُزء مِن أَجزاء النُّبُوَّة**»[٣].

قالَ المُهَلَّب ما حاصِله : التَّعبير بِالمُبَشِّراتِ خَرَجَ لِلأَغلَب ، فَإِنَّ مِنَ الرُّؤيا ما تَكُون مُنذِرَة وهِيَ صادِقَة يُرِيها الله لِلمُؤمِنِ رِفقًا بِهِ لِيَستَعِدّ لِما يَقَع قَبل وُقُوعه.

وقالَ ابن التِّين: مَعنَى الحَدِيث أَنَّ الوحي يَنقَطِع بِمَوتِي، ولا يَبقَى ما يُعلَم مِنهُ ما سَيَكُونُ إلاَّ الرُّؤيا، ويَرِد عَلَيهِ الإلهام؛ فَإِنَّ فِيهِ إخبارًا بِما سَيَكُونُ، وهُو لِلأَنبِياءِ بِالنِّسبَةِ لِلوحي كالرُّؤيا، ويَقَع لِغَيرِ الأَنبِياء كَما فِي الحَدِيث الماضِي فِي مَناقِب عُمَر: «**قَد كانَ فِيمَن مَضَى مِنَ الأُمَم مُحَدَّثُونَ**»[٤]، وفُسِّرَ المُحَدَّث - بِفَتحِ الدّال - بِالمُلهَمِ - بِالفَتحِ أَيضًا -، وقَد أَخبَرَ كَثِير مِنَ الأَولِياء عَن أُمُور مُغَيَّبَة فَكانَت كَما أَخبَرُوا.

والجَواب أَنَّ الحَصر فِي المَنام؛ لِكَونِهِ يَشمَل آحاد المُؤمِنِينَ، بِخِلافِ

---

(١) مسند أحمد، ٤٥/ ١١٥، برقم، ٢٧١٤١، وابن ماجه، برقم ٣٨٩٦، وابن حبان، ١٣/ ٤١٠، وصححه لغيره محققو المسند، ومحقق ابن حبان، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٣١٤٤.

(٢) مسند أحمد، ٣٩/ ٢١٣، برقم ٢٣٧٩٥، وصحح إسناده محققو المسند.

(٣) مسند أبي يعلى، ٧/ ٣٨، برقم ٣٩٤٧، ولفظه: «إن النبوة والرسالة قد انقطعت، فجزع الناس، قال: قد بقيت مبشرات و هي جزء من النبوة» وقال محققه: «إسناده صحيح» وأما حديث المتن بكامله ففي مسند أحمد، ٢١/ ٣٢٦، برقم ١٣٨٢٤، وهو عند الترمذي، برقم ٢٢٧٢، والحاكم ٣٩١/٤، وصححه محققو المسند، ٢١/ ٣٢٧.

(٤) مسلم، برقم ٢٣٩٨.

الإلهام؛ فَإِنَّهُ مُختَصّ بِالبَعضِ، ومَعَ كَونه مُختَصًا فَإِنَّهُ نادِر، فَإِنَّما ذُكِرَ المَنام لِشُمُولِهِ وكَثرَة وُقُوعه، ويُشِير إِلَى ذَلِكَ قَوله ﷺ: «فَإِن يَكُن»، وكانَ السِّرّ فِي نُدُور الإِلهام فِي زَمَنه، وكَثرَته مِن بَعده غَلَبَة الوحي إِلَيهِ ﷺ فِي اليَقظَة، وإرادَة إِظهار المُعجِزات مِنهُ، فَكانَ المُناسِب أَن لا يَقَع لِغَيرِهِ مِنهُ فِي زَمانه شَيء، فَلَمّا انقَطَعَ الوحي بِمَوتِهِ، وقَعَ الإِلهام لِمَن اختَصَّهُ اللهُ بِهِ لِلأَمنِ مِنَ اللَّبس فِي ذَلِكَ، وفِي إِنكار وُقُوع ذَلِكَ مَعَ كَثرَته واشتِهاره مُكابَرَة مِمَّن أَنكَرَهُ»[1].

٥- خامسًا: في معنى قوله: «الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ، مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ، جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»[2].

قال الحافظ في الفتح: وقد استشكل كون الرؤيا جزءًا من النبوة مع أن النبوة انقطعت لموت النبي ﷺ، فقيل في الجواب: إن الرؤيا الواقعة من النبي ﷺ هي جزء من النبوة، ومن غيره هي جزء من أجزاء النبوة على سبيل المجاز، وقيل: المعنى أنها جزء من علم النبوة؛ لأن النبوة وإن انقطعت فإن علمها باق[3].

- وقد جاء أنها جزء من خمس وأربعين جزءًا من النبوة[4].
- وأنها جزء من سبعين جزءًا من النبوة[5].
- وأنها جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّة[6].
- ورُوي أنها جزءٌ من خمسين جزءاً من النبوة، ولفظه: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رُؤْيَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ

---

(١) فتح الباري، ١٢/ ٣٧٥.
(٢) البخاري، كتاب التعبير، باب رؤيا الصالحين،برقم ٦٩٨٣، ومسلم، كتاب الرؤيا، برقم ٢٢٦٤.
(٣)انظر: فتح الباري ٣٦٣/١٢.
(٤) مسلم، كتاب الرؤيا، برقم ٢٢٦٣.
(٥) مسلم، كتاب الرؤيا، برقم ٢٢٦٥.
(٦) تاريخ بغداد، ٦/ ٤٢٠، وذيل تاريخ بغداد، ١٧/ ١٠٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٣٥٢٨.

سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»، فَحَدَّثْتُ بِهِ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فَقَالَ: قَالَ الْعَبَّاسُ بن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ جُزْءٌ مِنْ خَمْسِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»[١].

قال الحافظ في الفتح: «وأما خصوص العدد فهو مما أطلع الله عليه نبيه ﷺ لأنه يعلم من حقائق النبوة ما لا يعلمها غيره»[٢].

٦- سادسًا: حذر النبي ﷺ وخوف أمته من أن يكذب النائم في حلمه أي: يقول: رأيت كذا وهو لم يره، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ، كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ**»[٣].

قال الحافظ في الفتح: والمراد بالتكلف نوع من التعذيب.

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «**قَالَ إِنَّ مِنْ أَفْرَى الْفِرَى أَنْ يُرِيَ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ**»[٤].

قال الحافظ في الفتح: قال الطبري: وإنما اشتد الوعيد في هذا الأمر، مع أن الكذب في اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه؛ لأنه قد يترتب عليه شهادة في قتل أحد، أو أخذ مال – لأن الكذب في المنام كذب على الله أنه أراه ما لم يره، والكذب على الله أشد من الكذب على المخلوقين؛ ولأن الرؤية من أجزاء النبوة، والنبوة من قبل الله تعالى[٥].

٧- سابعًا: لا فضل في رؤيا الليل على رؤيا النهار[٦]، فقد رأى النبي ﷺ رؤيا لمّا نام عند أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها، وكان ذلك نهارًا لما قال – أي نام

---

(١) المعجم الأوسط، ٦/ ٦٧، برقم ٥٩٧٤، وباللفظ نفسه مسند البزار، ١/ ٢٢٦، برقم ١٢٩٨، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، برقم ٣٠٧٩.
(٢) فتح الباري ١٢/ ٣٦٤.
(٣) البخاري، كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه، برقم ٧٠٤٢.
(٤) البخاري، كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه، برقم ٧٠٤٣.
(٥)انظر: فتح الباري، ١٢/ ٥١٥،.
(٦) وكذا رؤيا الرجال والنساء.

نومة القيلولة عندها رضي الله عنها(١)، وأم حرام بنت ملحان من محارم النبي ﷺ(٢).

أما رؤيا الليل فقد كان الرسول ﷺ يقصّ الرؤى على أصحابه، ويقصّون هم عليه كذلك، فعَن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «**هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا**» قَالَ: فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «**إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالاَ لِي انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى**» قَالَ: «**قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللهِ مَا هَذَانِ؟**»، قَالَ: «**قَالاَ لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ**» قَالَ: «**فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ**، - قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ أَبُو رَجَاءٍ: **فَيَشُقُّ** -» قَالَ: «**ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الجَانِبِ الآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى**» قَالَ: «**قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ مَا هَذَانِ؟**» قَالَ: «**قَالاَ لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ** - قَالَ: فَأَحْسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - **فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ**»، قَالَ: «**فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا**

---

(١) البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا بالنهار، برقم (٧٠٠٢).

(٢) قال النووي: في شرحه على صحيح مسلم، ١٦/ ١٠: «ذكر أُمّ حَرَام أُخت أمّ سُلَيْم أَنَّهُمَا كَانَتَا خَالَتَيْنِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مَحرَمَيْنِ إِمَّا مِنْ الرَّضَاع، وَإِمَّا مِنْ النَّسَب، فَتَحِلُّ لَهُ الْخَلْوَة بِهِمَا، وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهِمَا خَاصَّةً، لا يَدْخُلُ عَلَى غَيْرهمَا مِنْ النِّسَاء إِلَّا أَزْوَاجه» وقال في موضع آخر، ١٣/ ٥٧: «اِتَّفَقَ الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ مَحرَمًا لَهُ ﷺ، وَاخْتَلَفُوا فِي كَيْفِيَّة ذَلِكَ، فَقَالَ اِبْن عَبْد الْبَرّ وَغَيْره: كَانَتْ إِحْدَى خَالَاته مِنْ الرَّضَاعَة، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانَتْ خَالَة لِأَبِيهِ أَوْ لِجَدِّهِ؛ لِأَنَّ عَبْد الْمُطَّلِب كَانَتْ أُمّه مِنْ بَنِي النَّجَّار». وانظر عون المعبود، ٧/ ١٢٤.

أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلاءِ؟» قَالَ: «قَالاَ لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ» قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهرٍ - حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ - أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَانِ؟» قَالَ: «قَالاَ لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ»، قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ المَرْآةِ، كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرْآةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا» قَالَ:«قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟» قَالَ: «قَالاَ لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ، فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لاَ أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا مَا هَؤُلاَءِ؟» قَالَ: «قَالاَ لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ»، قَالَ: «فَانْطَلَقْنَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ، لَمْ أَرَ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلاَ أَحْسَنَ» قَالَ: «قَالاَ لِي: ارْقَ فِيهَا» قَالَ: «فَارْتَقَيْنَا فِيهَا، فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ المَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا فَدَخَلْنَاهَا، فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ» قَالَ: «قَالا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهرِ» قَالَ: «وَإِذَا نَهرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ المَحْضُ فِي البَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ» قَالَ: «قَالاَ لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ» قَالَ: «فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ البَيْضَاءِ» قَالَ: «قَالاَ لِي: هَذَاكَ مَنْزِلُكَ» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا ذَرَانِي فَأَدْخُلَهُ، قَالاَ: أَمَّا الآنَ فَلاَ، وَأَنْتَ دَاخِلَهُ» قَالَ: «قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟» قَالَ: «قَالاَ لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ.

أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلاَةِ المَكْتُوبَةِ.

وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ، يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ.

وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ العُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي.

وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الحَجَرَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا.

وَأَمَّا الرَّجُلُ الكَرِيهُ المَرْآةِ، الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ.

وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ.

وَأَمَّا الوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الفِطْرَةِ»، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ المُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلَادُ المُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَوْلَادُ المُشْرِكِينَ.

وَأَمَّا القَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطْرٌ قَبِيحًا، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ»[١].

٨- ثامناً: وقد رُويَ حديث: «**أَصْدَقُ الرُّؤْيَا بِالْأَسْحَارِ**» وضُعِّف[٢].

٧- قَالَ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رحمه الله: «أَضَافَ الرُّؤْيَا الْمَحْبُوبَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِضَافَةَ تَشْرِيفٍ بِخِلَافِ الْمَكْرُوهَةِ وَإِنْ كَانَتَا جَمِيعًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَدْبِيرِهِ وَبِإِرَادَتِهِ وَلَا فِعْلَ لِلشَّيْطَانِ فِيهِمَا لَكِنَّهُ يَحْضُرُ الْمَكْرُوهَةَ وَيَرْتَضِيهَا، وَيُسَرُّ بِهَا»[٣].

***

---

(١) البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، برقم ٧٠٤٧.

(٢) مسند أحمد، ١٧/ ٣٤١، برقم ١١٢٤٠، والترمذي، كتاب الرؤيا، باب قوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، برقم ٢٢٧٤، وابن حبان، ١٣/ ٤٠٧، برقم ٦٠٤١، وضعفه محققو المسند، ١٧/ ٣٤١، والألباني في ضعيف الجامع، برقم ٨٨٧.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥/ ١٧، وانظر: تحفة الأحوذي، ٦/ ٤٥٩.

٣٢ — دُعَاءُ قُنُوتِ الوِتْرِ

١١٦-(١) «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ؛ فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلاَ يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٣٩٧-لفظ أبي داود عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما[٢]: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) أخرجه أصحاب السنن الأربعة: أبو داود، كتاب الصلاة، باب القنوت في الوتر، برقم ١٤٢٥، والترمذي، كتاب الوتر، باب ما جاء في القنوت في الوتر، برقم ٤٦٤، والنسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب الدعاء في الوتر، برقم ١٧٤٥، وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القنوت في الوتر، برقم ١١٧٨، وأحمد، ٣/ ٢٤٥، برقم ١٧١٨، والدارمي، ١/ ٤٥٩، برقم ١٥٩١، والحاكم، ٣/ ١٧٢، والبيهقي، ٢/ ٢٠٩، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/١٤٤، وصحيح ابن ماجه، ١/١٩٤، وإرواء الغليل للألباني، ٢/١٧٢ .

(٢) الحسن بن علي رضي الله عنهما: الإمام السيد الشهيد أبو محمد القرشي، وُلد في شعبان في الثالثة من الهجرة ومناقبه كثيرة جدًّا، منها: دعا له جده رسول الله ﷺ بقوله: «اللَّهم أحبه وأحب من يحبه» البخاري، برقم ٢١٢٢، وقال: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فتتين عظيمتين من المسلمين» البخاري، برقم ٢٧٠٤، وهو مع أخيه الحسين قال فيهما النبي عليه الصلاة والسلام: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» الترمذي، برقم ٣٧٦٨، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم ٧٩٦، وقال: «هما ريحانتاي من الدنيا» البخاري، برقم ٥٩٩٤، وإنما شبههما بذلك لأن الولد يشم ويقبل ويحضن، قال أنس رضي الله عنه: «لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي» البخاري، برقم ٣٧٥٢، أي: قبل موته، ولما مات قال أنس في حق الحسين لما قتل: «كان أشبههم برسول الله ﷺ» البخاري، برقم ٣٧٤٨، أي: من آل البيت رضي الله عنه، وقد مات الحسن رضي الله عنه بالمدينة مسمومًا عام خمسين من الهجرة أو بعد ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٥ ترجمة رقم ٤٧.

وعدَّ بعض أهل العلم: الحسن بن علي رضي الله عنه من خلفاء النبوة، لقوله عليه الصلاة والسلام: «خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء» سنن أبي داود، برقم ٤٦٤٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٣٢٥٧، فكانت خلافة الصديق سنتان وثلاثة أشهر، وعمر عشر =

كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوِتْرِ، قَالَ ابْنُ جَوَّاسٍ: فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ: «اللَّهُـمَّ اهْـدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»[(١)].

٣٩٨-ولفظ الترمذي قَالَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رضي الله عنه: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الوِتْرِ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»[(٢)].

٣٩٩-ولفظ النسائي قَالَ الْحَسَنُ رضي الله عنه: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوَتْرِ فِي الْقُنُوتِ: «اللَّهُـمَّ اهْـدِنِي فِيمَنْ هَـدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»[(٣)].

٤٠٠-وفي لفظ عند النسائي: عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما، قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فِي الْوِتْرِ، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُـمَّ اهْـدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ»[(٤)] بزيادة الصلاة على النبي.

=

سنين وستة أشهر، وعثمان اثنتا عشرة سنة، وعلي أربع سنين وتسعة أشهر، ويكملها ثلاثين بيعة الحسن بن علي ستة أشهر ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة للحافظ الحكمي، ص ١٨٩.

(١) أبو داود، برقم ١٤٢٥، وصححه الألباني في إرواء الغليل للألباني، ٢/ ١٧٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) الترمذي، برقم ٤٦٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/ ١٤٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) النسائي، برقم ١٧٤٥، وصححه الألباني في في صحيح ابن ماجه، برقم ١١٧٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) النسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب الدعاء في الوتر، برقم ١٧٤٦، وقال العلامة الألباني في

=

٤٠١-ولفظ ابن ماجه عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: عَلَّمَنِي جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ: «اللَّهُـمَّ عَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَاهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، سُبْحَانَكَ رَبَّنَا، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ»[(١)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهُمَّ**»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»[(٢)].

٢-قوله: «**اهدني فيمن هديت**» أي: اجعلني بفضلك ورحمتك من جملة من هديت من عبادك، ويدخل في ذلك هداية الإرشاد، وذلك بالعلم الشرعي وهداية التوفيق والتي يترتب عليها العمل بهذا العلم حتى لا يكون حجة على العبد يوم القيامة، قال الطيبي رحمه الله: «فيمن هديت: اجعل لي نصيباً وافراً من الاهتداء، معدوداً في زمرة المهتدين من الأنبياء، والأولياء، و«فيمن هديت» متصل بالفعل علي سبيل المبالغة، أي أوقع هدايتي في زمرة من هديتهم، كقوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[(٣)]»[(٤)]،

=

تمام المنة في التعليق على فقه السنة، ص: ٢٤٢: «هذه الزيادة في آخره ضعيفة، لا تثبت كما قال الحافظ ابن حجر، والقسطلاني، والزرقاني، وفي سندها جهالة وانقطاع» قال الإمام النووي في الأذكار، ٨٥: «ويستحبُّ أن يقول عقيب هذا الدعاء: اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّدٍ وَسَلِّم، فقد جاء في رواية النسائي في هذا الحديث بإسناد حسن: «وَصَلَّى اللَّهُ على النَّبِيِّ»» وقال الألباني في تلخيص صفة الصلاة، ص: ٣٨: «وهذا الدعاء من تعليم رسول الله ﷺ، فلا يزاد عليه إلا الصلاة عليه ﷺ، فتجوز لثبوتها عن الصحابة رضي الله عنهم».

(١) ابن ماجه، برقم ١١٧٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١١٧٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في شرح المفردة، رقم ٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٢٢٦.

وقال القاري رحمه الله: «أَي: اجْعَلْنِي مِمَّنْ هَدَيْتَهُمْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ»(١).

٣-قوله: «**وعافني فيمن عافيت**»: أي: اجعلني من جملة من عافيت من أهل طاعتك والمراد من طلب العافية هو النجاة من كل شر في الدارين ولذلك قال النبي ﷺ لشكل بن حميد رضي الله عنه لما سأله عن دعاء ينفعه قال له: «**قل اللّهم عافني من شر سمعي وبصري ولساني وقلبي وشر منيّي**»(٢)، وقال العظيم أبادي رحمه الله: «**وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ**: أَيْ: مِنْ أَسْوَأِ الْأَدْوَاءِ والأخلاق والأهواء، وقال ابن الْمَلَكِ: مِنَ الْمُعَافَاةِ الَّتِي هِيَ دَفْعُ السُّوءِ»(٣).

٤-قوله: «**وتولني فيمن توليت**»: أي: كن لي وليًا ومعينًا وناصرًا والمراد بالولاية هنا هي الولاية الخاصة التي قال الله فيها: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾(٤) وقوله: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾(٥)، وإلا فإن الولاية العامة شاملة للمؤمن والكافر لقوله ﷻ: ﴿**ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ**﴾(٦) أي: عند الموت فالكل مرده إلى الله المؤمن والكافر؛

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/ ٩٥٠.

(٢) أخرج أبو داود، كتاب الوتر، باب في الاستعاذة، برقم ١٥٥١، والترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا أحمد بن منيع، برقم ٣٤٩٢، وقال: «حسن غريب» والنسائي، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من شر السمع والبصر، برقم ٥٤٤٤، والحاكم ١/٧١٥، وقال: «صحيح الإسناد» وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٣٩٩، كلها بلفظ: «منيي» وأما لفظ منيتي فلم أجده إلا في الجامع الصغير للسيوطي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ١٢٩٢، وقال فيه: «صحيح، د ك، عن شكل. المشكاة ٢٤٧٢» وقد وجدت في الفردوس بمأثور الخطاب، ١/ ٤٥٩: برقم ١٨٦٥ رواية عن: «شكل بن حميد: اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وشر بصري وشر لساني وشر قلبي وشر منيتي يعني ماءه» وهي نفسها تفسر المنية بالمني عندما قالت: يعني ماءه.

(٣) عون المعبود، ٤/ ٢١١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٥) سورة يونس، الآيتان: ٦٢، ٦٣.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٦٢.

لأن الله ﷻ هو الذي يتولى شؤون الخلق عامة، وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: «سؤال للتولي الكامل، ليس المراد به ما فعله بالكافرين من خلق القدرة، وسلامة الآلة، وبيان للطريق؛ فإن كان هذا هو ولايته للمؤمنين، فهو وليّ الكفار، كما هو وليّ المؤمنين، وهو سبحانه يتولى أولياءه بأمور لا توجد في حق الكفار، من توفيقهم، وإلهامهم، وجعلهم مهديين مطيعين»[(١)].

٥-قوله: «**وبارك لي فيما أعطيت**» أي: ارزقني البركة في كل نعمك عليَّ: من مال، وأهل، وولد، ومسكن، ودابة، ووفقني فيه لعمل يرضيك، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «أي: أنزل البركةَ لي فيما أعطيتني مِنَ المال، والعِلْمِ، والجاه، والولد، ومِنْ كُلِّ ما أعطيتني ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾[(٢)]، إذاً؛ باركْ لي في جميع ما أنعمتَ به عليَّ، وإذا أنزل اللهُ البركةَ لشخص فيما أعطاه، صار القليلُ منه كثيراً، وإذا نُزعت البركةُ صار الكثيرُ قليلاً، وكم مِن إنسانٍ يجعلُ اللهُ على يديه مِنَ الخير في أيامٍ قليلة ما لا يجعلُ على يدِ غيرِه في أيَّام كثيرةٍ؟، وكم مِن إنسانٍ يكون المالُ عنده قليلاً، لكنه متنعِّمٌ في بيته، قد بارك اللهُ له في مالِهِ، ولا تكون البركةُ عند شخصٍ آخرَ أكثرَ منه مالاً؟ وأحياناً تُحِسُّ بأن الله باركَ لك في هذا الشيء، بحيث يبقى عندك مُدَّةً طويلةً»[(٣)].

٦-قوله: «**وقني شر ما قضيت**» أي: شر الذي قضيته، فإن الله قد يقضي بالشر لحكمة بالغة والشر واقع في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله لأن فعله وخلقه خير كله[(٤)].

٧-قوله: «**فإنك تقضي**» أي: تحكم ما تشاء، وتفعل ما تريد، ولا تُسئل

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص ١١١.
(٢) سورة النحل، الآية: ٥٣.
(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٤/ ٢٦.
(٤) فقه الأذكار، ص ١٧٢.

عن ذلك ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾(١)، قال العدوي رَحِمَهُ اللَّهُ في حاشيته: «الظَّاهِرُ أَنَّ التَّعْلِيلَ لَيْسَ مَقْصُودًا، بَلْ الْقَصْدُ وَصْفُ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ التَّأْكِيدِ، وَالتَّحْقِيقِ؛ لِأَجْلِ أَنْ يَنْقَطِعَ الْعَبْدُ عَمَّا سِوَاهُ، وَيَلْتَجِئَ إلَيْهِ الْتِجَاءً غَيْرَ مَشُوبٍ بِغَيْرِهِ،(قَوْلُهُ: تَقْضِي) أَيْ تَحْكُمُ عَلَى مَنْ تُرِيدُهُ مِنْ عِبَادِك بِمَا تُرِيدُهُ»(٢).

٨-قوله: «**ولا يُقضى عليك**» أي: لا يوجب عليك أحد من خلقك شيء فهم مربوبون لك مقهورون بعزتك فأنت توجب على نفسك ما شئت، قال الله ﷻ: ﴿**كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾(٣) وفي الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً**»(٤)، وقال العدوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَا يُقْضَى عَلَيْك: أَيْ غَيْرُك لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيْك بِأَمْرٍ؛ لِأَنَّهُ عَاجِزٌ، وَالْعَجْزُ لَازِمٌ لَهُ»(٥).

٩-قوله: «**إنه لا يذل من واليت**»: لأن من كان وليًّا لله فقد تكفل الله بنصره كقول الله ﷻ: ﴿**وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾(٦)، والذل هو الضعف والهوان، وقال الجمل رَحِمَهُ اللَّهُ: «بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ، أَيْ: لَا يَحْصُلُ لَهُ ذِلَّةٌ فِي نَفْسِهِ، أَوْ بِضَمٍّ فَفَتْحٍ أَيْ: لَا يُذِلُّهُ أَحَدٌ»(٧)، وقال الشنقيطي: «أي: لا يذل من كنت ولياً له، وهذا كأنه تعليل لسؤال الولاية»(٨).

١٠-قوله: «**ولا يعز من عاديت**»: أي من كان عدوًّا لله فإنه لا ينصره أحد

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.
(٢) شرح مختصر خليل للخرشي، ١/ ٢٨٤.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢.
(٤) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم ٢٥٧٧.
(٥) شرح مختصر خليل للخرشي، ١/ ٢٨٤.
(٦) سورة الصافات، الآية: ١٧٣.
(٧) حاشية الجمل على شرح المنهج، ١/ ٣٦٩.
(٨) شرح زاد المستقنع للشنقيطي، ٥٢/ ١١.

وإن اجتمعوا لذلك. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾(١)، وقوله ﷻ: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾(٢)، وقال الشنقيطي: «لنا أنْ نقول: هذا ليس على عُمُومه، ويُخصَّص بالأحوال العارضة، ولنا أن نقول: إنه عامٌّ؛ باقٍ على عُمُومه لا يُخصَّص منه شيء، لكنه عامٌّ أُريد به الخُصوص، يعني: أنَّ المراد: لا يَذِلُّ ذُلًّا دائماً، ولا يَعِزُّ عِزًّا دائماً»(٣)، وقال ابن عثمين رحمه الله: «يفيد أن الولاية طريق إلى العزة، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٤) ، فجعل الله العزّة لمن أطاعه، والذّلة لمن عصاه، فإذا كان الإنسان مطيعاً لله؛ فإن الله يُعزّه، يقول بعض العلماء: إن سؤال الأثر، أو المسبب يتضمن ما يكون سبباً في وجوده، فكأنه لما يسأل الله ﷻ أن يكون على هذه الحال من كونه ولياً لله ﷻ فقد حصل العزة»(٥).

١١-قوله: «تباركت ربنا»: أي: تعاظمت، و عمت بركتك جميع خلقك من أهل السموات والأرض، وما بينهما، والبركة مأخوذة من كثرة الخير وسعته وكلها من الله، قال في القاموس المحيط: «تبارك الله: تقدّس، وتنزّه: صفة خاصة بالله تعالى، وتبارك بالشيء: تفاءل به»(٦).

قال الإمام ابن قيم الجوزية في شرح المباركة «فإذا كان العبد وغيره مباركاً لكثرة خيره، ومنافعه، واتصال أسباب الخير فيه، وحصول ما ينتفع به الناس منه، فالله تبارك وتعالى أحق أن يكون متباركاً، وهذا ثناء يشعر

(١) سورة غافر، الآية: ٥١.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢١.
(٣)شرح زاد المستقنع للشنقيطي، ٥٢/ ١١.
(٤) سورة المنافقون، الآية: ٨.
(٥) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٤/ ٢٠.
(٦) القاموس المحيط، ص ١٢٠٤، مادة (برك).

بالعظمة، والرفعة، والسعة، كما يقال تعاظم وتعالى، ونحوه فهو دليل على عظمته، وكثرة خيره، ودوامه، واجتماع صفات الكمال فيه، وإن كل نفع في العالم كان ويكون، فمن نفعه سبحانه وإحسانه[(١)].

ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله في بعض معاني المباركة: «فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه، بل كل ما نسب إليه فهو خير، والشر إنما صار شراً لانقطاع نسبته، وإضافته إليه، فلو أضيف إليه لم يكن شراً، كما سيأتي بيانه، وهو سبحانه خالق الخير والشر، فالشر في بعض مخلوقاته، لا في خلقه، وفعله، وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله؛ ولهذا تنزه سبحانه عن الظلم الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، كما تقدم فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كله، والشر وضع الشيء في غير محله؛ فإذا وضع في محله لم يكن شراً، فعلم أن الشر ليس إليه»[(٢)].

١٢-قوله: «**وتعاليت**»: أي: لك العلو التام: ذاتًا، وقدرًا، وقهرًا، وعلو الله قامت عليه الأدلة: من الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة. وفي معنى تعاليت يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «بَيَّنَ تعالى عَمَّا يَقُولُ الْمُبْطِلُونَ، وَعَمَّا يُشْرِكُونَ، أنه تعالى مُتَعَالٍ عَنْ الشُّرَكَاءِ وَالْأَوْلَادِ، كَمَا أَنَّهُ مُسَبَّحٌ عَنْ ذَلِكَ، وَتَعَالِيهِ سُبْحَانَهُ عَنْ الشَّرِيكِ هُوَ تَعَالِيهِ عَنْ السَّمِيِّ، وَالنِّدِّ، وَالْمِثْلِ، فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ مِثْلَهُ، وَقَدْ ذَكَرُوا مِنْ مَعَانِي الْعُلُوِّ الْفَضِيلَةَ، كَمَا يُقَالُ: الذَّهَبُ أَعْلَى مِنْ الْفِضَّةِ، وَنَفْيُ الْمِثْلِ عَنْهُ يَقْتَضِي أَنَّهُ أَعْلَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَلَا شَيْءَ مِثْلَهُ، وَهُوَ يَتَضَمَّنُ أَنَّهُ أَفْضَلُ، وَخَيْرٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ كَمَا أَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»[(٣)].

---

(١) جلاء الأفهام، ص ٣٠٤.

(٢) شفاء العليل، ص: ١٧٩.

(٣) مجموع الفتاوى، ١٦/ ١٢٠.

١٣-قوله: «**في قنوت الوتر**»: قال الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْقُنُوتُ: الْأَخْذُ فِي الدُّعَاءِ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَنَرَى قُنُوت الْوِتْرِ سُمِّيَ قُنُوتًا؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَائِمٌ فِي الدُّعَاءِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْرَأَ»(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية قول هذا الدعاء الذي جمع أنواع الخير وسبل النجاة في الدارين؛ ولذا فقد علَّمه النبي ﷺ لابن بنته - فاطمة - الحسن بن علي رضي الله عنهم.

٢-المعافاة من أمراض القلوب: كأمراض الشبهات والشهوات، يزول بالعلم الذي يزيل الشبهة، وبالوعظ الذي يطفئ الشهوة، وكل ذلك في القرآن بوعده ووعيده.

٣-من ثمار البركة أن يكون المسلم كالغيث، أينما وقع نفع، وأن يجمع في الأوقات القليلة الأعمال الكثيرة من الطاعات: كصلة الأرحام، والإكثار من النوافل، والدعوة إلى الله، والتأليف، وغير ذلك.

٤-طلب العبد من ربه أن يقيه شر ما قضاه، دليل على إيمان العبد بالقضاء والقدر، وقضاء الله إما شرعي، كقوله: ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾(٢)، وإما قدري، مثل قوله ﷻ: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَاءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا** ﴾(٣).

٥-قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: فإنه لا يذل من واليت ليس على عمومه فإن الذل قد يعرض لبعض المؤمنين والعز قد يعرض لبعض المشركين كما وقع يوم أحد من الجراح والضعف وهذا يكون أمرًا عارضًا لحكمة يعلمها رب العالمين»(٤).

(١) المنتقى شرح الموطأ، للباجي، ١/ ٢٨١.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٤.
(٤)انظر: الشرح الممتع ٤/ ٣٠.

٦-وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: وظاهر كلام أهل العلم – أي في صفة رفع اليدين في القنوت – أن يضمهما بعضهما على بعض كحال المستجدي الذي يطلب من غيره أن يعطيه شيئًا، وأما التفريج والمباعدة فلا أعلم له أصلًا لا في السنة ولا في كلام العلماء(١).

٧-والجمع بين قوله: «**قني شر ما قضيت**» وبين قوله: «**والشر ليس إليك**»(٢) هو أن الشر لا ينسب إلى الله عز وجل، وإن كان هو خالق الخير والشر، وهذا من باب الأدب مع الله، كقول مؤمني الجن: ﴿**وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا**﴾(٣)، وكذلك فإن الشر في الخلق وليس في الفعل كما قال تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾(٤).

٨-قال الألباني رحمه الله بعدما ضعّف زيادة «**وصلى الله على محمد**» في نهاية دعاء الوتر قال: ثم اطّلعتُ على بعض الآثار الثابتة عن بعض الصحابة بفعلهم ذلك، فقلت بمشروعية ذلك، أما الحديث: «**الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك**» فإسناده ضعيف(٥).

٩-يجوز دعاء القنوت قبل الركوع وبعده؛ لقول أنس رضي الله عنه: «قد كان قبل وبعد» يعني: القنوت قبل الركوع وبعده(٦).

١٠-مسح الوجه بعد دعاء القنوت وكذلك بعد كل دعاء رُوي من حديث

---

(١) الشرح الممتع، ص ١٨.
(٢) مسلم، برقم ٧٧١، وقد تقدم تخريجه.
(٣) سورة الجن، الآية: ١٠.
(٤) سورة الفلق، الآيتان: ١- ٢.
(٥) إرواء الغليل، برقم ٤٣١.
(٦) سنن ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القنوت قبل الركوع وبعده، برقم ١١٨٣، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ١٦٢.

عمر رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ كان إذا رفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه» ومن أهل العلم من حسنه، ومنهم من ضعفه[١].

١١-ألفاظ هذا الدعاء وردت في قنوت الوتر وليس في قنوت الصبح، كما يفعله كثيرٌ من الناس، وإنما يشرع القنوت في الوتر، و في النوازل في الصلوات كلها.

١٢-وثبتت زيادة: «**لا منجا منك إلا إليك**»[٢].

١٣-من معاني القنوت، ورد لها اثنا عشر معنىً على النحو الآتي:

أ- الخشوع: كقوله: ﴿**وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾[٣].

ب- الدعاء كما هو واضح من حديث الباب.

ج- يطلق على: الطاعة.

د- والصلاة.

هـ- والدعاء.

و- والعبادة.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في رفع الأيدي في الدعاء، برقم ٣٣٨٦، وضعفه الألباني في إرواء الغليل، برقم ٤٣٣، وقال الحافظ في بلوغ المرام من أدلة الأحكام، برقم ١٥٥٣: «له شواهد، منها حَدِيثُ اِبْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِي دَاوُدَ، وَمَجْمُوعُهَا يَقْتَضِي أَنَّهُ حَدِيثٌ حَسَنٌ» وقد علق المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ١٧٦ على الحديث بقوله: «ففعل ذلك سنة، كما جرى عليه جمع شافعية، منهم النووي في التحقيق، تمسكاً بعدة أخبار، هذا منها، وهي وإن ضعّفت أسانيدها، تقوّت بالاجتماع».

(٢) قال الحافظ في التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ١/ ٦٠٥: «لَفْظه: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقُولَ فِي الْوِتْرِ قَبْلَ الرُّكُوعِ فَذَكَرَهُ وَزَادَ فِي آخِرِهِ: «لَا مَنْجَا مِنْكَ لَا إلَيْكَ»» وقال الشيخ الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ٢/ ١٦٨: «عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «علمني رسول الله ﷺ أن أقول إذا فرغت من قراءتي في الوتر «اللهم اهدني فيمن هديت ...» الحديث، وزاد في آخره: «لا منجا منك إلا إليك»»، وصححها أيضاً في صفة الصلاة، ص ١٨٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

ز- والقيام.

ح- وطول القيام.

ط- والسكوت.

ي- والسكون.

ك- وإقامة الطاعة.

ل- والخضوع[(١)].

وذكر الحافظ ابن حجر أن ابن العربي ذكر أن القنوت ورد لعشرة معانٍ نظمها الحافظ زين الدين العراقي بقوله:

ولفظ القنوت اعدد معانيه تجد	مزيداً على عشرة معاني مرضية
دعاء،خشوع، والعبادة، طاعة	إقامتها، إفراده بالعبودية
سكوت، صلاة، والقيام، وطوله	كذا دوام الطاعة الرابح القنيه[(٢)]

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ بعد أن ذكر معاني القنوت في الأحاديث: «فيصرف كل واحد من هذه المعاني إلى ما يحتمله الحديث الوارد فيه»[(٣)].

***

١١٧-(٢) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، باب القاف مع النون، ٤/١١١، ومشارق الأنوار على الصحاح والآثار، للقاضي عياض، حرف القاف مع سائر الحروف، ٢/١٨٦، وهدي الساري مقدمة فتح الباري، لابن حجر، ص١٧٦.

(٢) راجع فتح الباري الطبعة السلفية، ٢/٤٩١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/١١١.

مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُـوذُ بِكَ مِنْكَ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٠٢-لفظ أبي داود عن عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ[٢] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي آخِرِ وِتْرِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[٣].

٤٠٣- ولفظ النسائي عن عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي آخِرِ وِتْرِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[٤].

٤٠٤-ولفظ الترمذي عَنْ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي وِتْرِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[٥].

٤٠٥-ولفظ ابن ماجه عَنْ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي

---

(١) أخرجه أصحاب السنن الأربعة، وأحمد: أبو داود، كتاب الوتر، باب القنوت في الوتر، برقم ١٤٢٧، والترمذي، كتاب الدعوات، باب في دعاء الوتر، برقم ٣٥٦٦، والنسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب الدعاء في الوتر، برقم ١٧٤٦، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلوات، باب ما جاء في القنوت في الوتر، برقم ١١٧٩، وأحمد، ٢/ ١٤٧، برقم ٧٥١، وقوّى إسناده محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٢٨٢، وصحيح الترمذي، ٣/١٨٠، وصحيح ابن ماجه، ١/١٩٤، وإرواء الغليل، ٢/١٧٥.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ١٤٢٧، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٢٨٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) النسائي، برقم ١١٧٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ١٢٨٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) أخرجه أصحاب السنن، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٢٨٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن .

آخِرِ وِتْرِه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سُخْطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[1].

تقدم شرح هذا الحديث وفوائده في شرح حديث المتن رقم (٤٧) في شرح أدعية السجود.

***

١١٨-(٣) «اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نعْبُدُ، وَلَكَ نُصلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ، وَنَخْشَى عَذَابَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ بِالكَافِرِينَ مُلْحَقٌ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ، وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ، وَلاَ نَكْفُرُكَ، وَنُؤْمِنُ بِكَ، وَنَخْضَعُ لَكَ، وَنَخْلَعُ مَنْ يَكْفُرُكَ»[2].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٠٦-عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى رضي الله عنه[3]، قَالَ: صَلَّيْتُ خَلْفَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه صَلاَةَ الصُّبْحِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ بَعْدَ الْقِرَاءَةِ قَبْلَ الرُّكُوعِ: «**اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ، وَنَخْشَى عَذَابَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ بِالْكَافِرِينَ مُلْحَقٌ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ، وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ، وَلاَ نَكْفُرُكَ، وَنُؤْمِنُ بِكَ وَنَخْضَعُ لَكَ، وَنَخْلَعُ مَنْ يَكْفُرُكَ**»[4].

---

(١) ابن ماجه، برقم ١١٧٩، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١١٧٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، وصحّح إسناده، ٢/٢١١، وقال الشيخ الألباني في إرواء الغليل: ((وهذا إسناد صحيح))، ٢/١٧٠. وهو موقوف على عمر.

(٣) تقدم ترجمته في الحديث رقم ٣٠٨ من أحاديث الشرح.

(٤) البيهقي، ٢/ ٢١٠، والدعوات الكبير له، ٢/ ١٤٦، وصححه الألباني في إرواء الغليل، برقم =

٤٠٧- عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ[1]، قَالَ: صَلَّيْت خَلْفَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه[2] الْغَدَاةَ، فَقَالَ: فِي قُنُوتِهِ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُك، وَنَسْتَغْفِرُك، وَنُثْنِي عَلَيْك الْخَيْرَ، وَلاَ نَكْفُرُك، وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ، اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَك نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْك نَسْعَى، وَنَحْفِدُ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ، وَنَخْشَى عَذَابَك، إنَّ عَذَابَك بِالْكُفَّارِ مُلْحِقٌ»[3].

٤٠٨-عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سُوَيْد الْكَاهِلِيِّ[4]، أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه[5] قَنَتَ فِي الْفَجْرِ بِهَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ، وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ، وَلاَ نَكْفُرُكَ، وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ، اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَك نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْك نَسْعَى وَنَحْفِدُ، نَرْجُو رَحْمَتَك، وَنَخْشَى عَذَابَكَ، إنَّ عَذَابَكَ بِالْكُفَّارِ مُلْحِقٌ»[6].

٤٠٩-ولفظ ابن خزيمة في صحيحه: خَرَجَ عمر رضي الله عنه لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ فَخَرَجَ مَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدٍ الْقَارِيّ ، فَطَافَ بِالْمَسْجِدِ وَأَهْلُ الْمَسْجِدِ أَوْزَاعٌ مُتَفَرِّقُونَ ، يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ ، فَيُصَلِّي بِصَلاَتِهِ الرَّهْطُ ، فَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ إِنِّي أَظُنُّ لَوْ جَمَعْنَا هَؤُلاَءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ، ثُمَّ عَزَمَ عُمَرُ عَلَى ذَلِك،

=

٢/ ١٧١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(١) عبيد بن عمير بن قتادة المؤذن، أبو عاصم المكي، ولد على عهد النبي ﷺ قاله مسلم، وعده غيره في كبار التابعين، وكان قاصَّ أهل مكة، مجمع على ثقته، مات قبل ابن عمر. انظر: طبقات خليفة بن خياط، ص ٢٧٩، وتقريب التهذيب، ١/ ٦٤٤.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٦١ من أحاديث الشرح.

(٣) ابن أبي شيبة، ٢/ ١٠٦، برقم ٧٠٢٧، وصححها الألباني إرواء الغليل، ٢/ ١٧٠، وقال النووي في الأذكار، ص ٨٩ عن قنوت عمر: «وهو موقوف صحيح موصول».

(٤) عبد الملك بن سويد، سمع ابن سيرين، روى عنه عبد الله بن زياد بن درهم، انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، ٥/ ٣٥٣.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٦) ابن أبي شيبة ٢/ ١٠٦، برقم ٧٠٢٩، ومراسيل أبي داود، ص ٨٢، وأشار إلى تقويته الألباني في إرواء الغليل، ٢/ ١٧١.

وَأَمَرَ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ أَنْ يَقُومَ لَهُمْ فِي رَمَضَانَ، فَخَرَجَ عُمَرُ عَلَيْهِمْ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَةِ قَارِئِهِمْ، فَقَالَ عُمَرُ: نِعْمَ الْبِدْعَةُ هِيَ، وَالَّتِي تَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي تَقُومُونَ - يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ - فَكَانَ النَّاسُ يَقُومُونَ أَوَّلَهُ، وَكَانُوا يَلْعَنُونَ الْكَفَرَةَ فِي النِّصْفِ: «**اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ وَيُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِوَعْدِكَ، وَخَالِفْ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ، وَأَلْقِ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، وَأَلْقِ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، إِلَهَ الْحَقِّ**»، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَيَدْعُو لِلْمُسْلِمِينَ بِمَا اسْتَطَاعَ مِنْ خَيْرٍ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ قَالَ: وَكَانَ يَقُولُ إِذَا فَرَغَ مِنْ لَعْنَةِ الْكَفَرَةِ، وَصَلاَتِهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَاسْتِغْفَارِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَمَسْأَلَتِهِ: «**اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ، وَنَرْجُو رَحْمَتَكَ ، وَنَخَافُ عَذَابَكَ الْجِدَّ، إِنَّ عَذَابَكَ لِمَنْ عَادَيْتَ مُلْحِقٌ، ثُمَّ يُكَبِّرُ وَيَهْوِي سَاجِدًا**»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهُمَّ**»: بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ، وَالْمِيمُ مَفْتُوحَةٌ لِسُكُونِهَا وَسُكُونِ الْمِيمِ قَبْلَهَا[٢].

٢-قوله: «**إياك نعبد**» أي: لا نصرف أي نوع من العبادة الظاهرة والباطنة إلا لك، والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والمعتقدات والبراءة من ضد ذلك.

٣-قوله: «**ولك نصلي ونسجد**»: قال الخرشي رحمه الله: «أَيْ: لَا نُصَلِّي، وَلَا نَسْجُدُ، وَلَا نَسْعَى، أَيْ: نُبَادِرُ فِي طَاعَتِك، وَعِبَادَتِك إلَّا لَك، وَخَصَّ السُّجُودَ، وَإِنْ كَانَ دَاخِلًا فِي عُمُومِ الصَّلَاةِ لِشَرَفِهِ؛ إذْ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»[٣].

---

(١) صحيح ابن خزيمة، ١/ ١٥٥، برقم ١١٠٠، وصححه الألباني في تعليقه على صحيح ابن خزيمة.

(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في شرح المفردة، رقم ٦.

(٣) شرح مختصر خليل للخرشي، ١/ ٢٨٣.

٤-قوله: «**وإليك نسعى**» أي: نسرع إليك جادين وطالبين منك الرضا. قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نخف في مرضاتك، ونسرع إلى طاعتك»[(١)].

٥-قوله: «**ونحفد**» أي: نسارع في طاعتك، وعبادتك وحدك، لا شريك لك، فالحفد هو إسراع العبد في طاعة مولاه، والمَحْفُود: الذي يَخْدِمُه أصحابه، ويُعَظِّمُونه، ويُسْرِعون في طاعَتِه، يقال: حَفَدْت، وأحْفَدْت، فأنا حافِد وَمَحْفُود، وحَفَدٌ وحَفَدَة جمع حافد، كخَدَم وكَفَرَة، وفي دُعاء القُنوت: «**وإلَيْك نَسْعى ونَحْفِد**» أي نُسْرِع في العمل والخِدْمة[(٢)].

٦-قوله: «**نرجو رحمتك، ونخشى عذابك**»: قال البهوتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نرجو: أي: نؤَمِّل رحمتك، أي: سَعَة عطائك، ونخشى عذابك أي نخافه»[(٣)].

٧-قوله: « **إنَّ عَذَابَكَ بالكافرين مُلْحِقٌ**»: واقع لاشك في ذلك وإن تأخر لفترة، قال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مُلْحِق - بكسر الحاء، ولا تُفَتح - هكذا يُروْى هذا الحرف، يقال: لَحِقْتُ القوم، وألْحقتهم بمعنى واحد، ومُلْحِق في هذا الموضع بمعنى لاحق، ومن قال مُلْحَق - بفتح الحاء - أراد أنّ الله جلَّ وعز يلحقه إيَّاه، وهو معنىً صحيح، غير أن الرِّواية هي الأولى، ومثل لاحق، ومُلحِق: تابع، ومُتْبع، يقال: تِبعْت القوم وأتبعتهم»[(٤)]، وقال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**إنَّ عَذَابَكَ بالكافرين مُلْحِقٌ**»: - بكسر الحاء؛ لأنّه مفعل بمعنى فاعل، ويقال: مُلْحَق بفتح الحاء-: قد ألحق بالكافرين، والأوّل أحسن»[(٥)].

---

(١) غريب الحديث للخطابي، ٢/ ١١١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ٤٠٦، مادة (حفد).

(٣) شرح منتهى الإرادات، ١/ ٢٤٠.

(٤) غريب الحديث لابن قتيبة، ص ١٧١.

(٥) المسالك في شرح موطأ مالك، ٣/ ١٢٦.

٨-قوله: «**اللهم إنا نستعينك، ونستغفرك**»: قال شيخ زاده رحمه الله: «يَا اللَّهَ، نَطْلُبُ مِنْك الْعَوْنَ عَلَى الطَّاعَةِ، وَنَطْلُبُ مِنْك الْمَغْفِرَةَ لِذُنُوبِنَا، وَنَطْلُبُ مِنْك الْهِدَايَةَ»[١].

٩-قوله: «**نثني عليك الخير كله**»: لأنك أنت المستحق لجميع أنواع الثناء والمحامد فلك الكمال المطلق، وأنت أهل لأن تحمد، ويثنى عليك لذاتك وصفاتك وأفعالك وإحسانك، قال ابن علي صاحب درر الحكام الحنفي رحمه الله: «وَنُثْنِي: مِنْ الثَّنَاءِ، وَهُوَ الْمَدْحُ، وَانْتِصَابُ (الْخَيْرِ) عَلَى الْمَصْدَرِ أَيْ: نُثْنِي عَلَيْك الثَّنَاءَ، فَيَكُونُ تَأْكِيدًا؛ لِأَنَّ الثَّنَاءَ قَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي الشَّرِّ، كَقَوْلِهِمْ أَثْنَى عَلَيَّ شَرًّا»[٢]، وقال الشيخ الجمل رحمه الله: «(قَوْلُهُ: وَنُثْنِي عَلَيْك... إلَخ: كَأَنَّ الْمُرَادَ: نُثْنِي عَلَيْك بِكُلِّ مَا يَلِيقُ بِك، أَيْ: نَذْكُرُك بِالْخَيْرِ بِقَدْرِ الِاسْتِطَاعَةِ؛ لِأَنَّ الشَّخْصَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُثْنِيَ عَلَيْهِ بِكُلِّ خَيْرٍ، (قَوْلُهُ الْخَيْرَ): إمَّا مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ، أَيْ: الثَّنَاءَ الْخَيْرَ، أَوْ مَنْصُوبٌ بِنَزْعِ الْخَافِضِ، أَيْ: بِالْخَيْرِ»[٣].

١٠-قوله: «**لا نكفرك**» أي: لا نكفر بك، ولا بشيء من نعمك.

قال الفيومي رحمه الله: «وكَفَرَ النعمة، و بالنعمة أيضاً: جحدها، وفي الدعاء «وَلاَ نكْفُرك» الأصل: ولا نكفر نعمتك، وكَفَرَ بكذا تبرأ منه... وكَفَرَ بالصانع نفاه، و عطّل، وهو الدُّهري والملحد... وكفَرتُهُ كَفراً: سترته،...كَفَرَ النعمة أي: غطاها، مستعار من كَفر الشيء إذا غطاه، وهو أصل الباب، ويقال للفلاَّح: كَافِرٌ؛ لأنه يَكفُرُ البذر أي يستره»[٤]، وقال النووي رحمه الله: «أي: لا

---

(١) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، ١/ ١٩٢.

(٢) درر الحكام شرح غرر الأحكام، ٢/ ٥.

(٣) حاشية الجمل على شرح المنهج، ١/ ٣٧١.

(٤) المصباح المنير، ٢/ ٥٣٥، مادة (كفر).

نجحدك نعمتك بعدم الشكر عليها»[(١)]، وقال البعلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال صاحب المشارق: فيها أصل الجحد؛ لأن الكافر جاحد نعمة ربه عليه، وساتر لها، ومنه: «**تكفرن العشير**»[(٢)] يعني الزوج، أي: يجحدن إحسانه، والمراد هنا والله أعلم: كفر النعمة؛ لاقترانه بـ(نشكرك، ونعبدك)... ومعنى العبادة: الطاعة مع الخضوع والتذلل، وهو جنس من الخضوع، لا يستحقه إلا الله تعالى»[(٣)].

قوله: «**وَنُؤْمِنُ بِكَ**»: قال الأزهري المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَيْ: نُصَدِّقُ بِوُجُوبِ وُجُودِكَ، وَجَمِيعِ مَا يَجِبُ لَكَ عَلَيْنَا»[(٤)]، وقال الصاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَيْ: نُصَدِّقُ بِوُجُوبِ وُجُودِكَ، وَعَظَمَتِكَ، وَقُدْرَتِكَ، وَوَحْدَانِيَّتِكَ، إِلَى آخِرِ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ»[(٥)].

١١-قوله: «**ونخضع لك**» أي: بقلوبنا وجوارحنا، فكل ذلك لك، وقال الفيومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَخْضَعُ، خُضُوعًا: ذلَّ، واستكان، فهو خَاضِعٌ، وأَخْضَعَهُ الفقر: أذله، والخُضُوعُ قريب من الخُشُوعِ، إلا أن الخشوع أكثر ما يستعمل في الصوت، والخضوع في الأعناق»[(٦)].

١٢-قوله: «**نخلع من يكفرك**» أي: نتبرأ ممن يكفرك ونخلص لك التوحيد ولرسولك المتابعة، قال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نَخْلَعُ: أي: نترك من يكفرك، ونطرحه بأخرة، فلا يكون منّا في شيءٍ، كما نخلع الثّوب عن الظّهر»[(٧)].

---

(١) إعانة الطالبين، للنووي، ١/ ١٦٠.

(٢) صحيح مسلم، برقم ٧٩.

(٣) المطلع على أبوات المقنع، ص ٩٣.

(٤) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ١/ ١٨٥.

(٥) حاشية الصاوي على الشرح الصغير، ٢/ ٥٣.

(٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ١٧٢، مادة (خضع).

(٧) المسالك في شرح موطأ مالك، ٣/ ١٢٥.

١٣-قوله: «**ونخلع من يفجرك**»: قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وسمي الكاذب فاجراً؛ لكون الكذب بعض الفجور، وقولهم: ونخلع، ونترك من يفجرك، أي: من يكذبك، وقيل: من يتباعد عنك»[(١)]، وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونخلع من يفجرك: أي نترك من يعصيك، ويلحد في صفاتك، وهو - بفتح الياء، وضم الجيم -»[(٢)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-تحقيق العبادة لله وحده هو حق لله على عباده خلقهم من أجله وسيسألهم عنه، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿**فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ**﴾[(٤)].

٢-إمهال الله للكافر هو استدراج له لقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**﴾[(٥)]، وقوله: ﴿**حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[(٦)]، والمبلس هو الباهت الحزين الآيس من الخير لشدة ما نزل به من سوء الحال، ومعنى دابر أي: آخر، أي: أن الله سيأخذهم جميعًا[(٧)].

وقد جاء في الحديث عنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ**» ثُمَّ تَلَا

---

(١) مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص ٣٧٣.
(٢) المجموع شرح المهذب، للنووي، ٣/ ٥٠٢.
(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٦.
(٥) سورة القلم، الآية: ٤٥.
(٦) سورة الأنعام، الآيتان: ٤٤- ٤٥.
(٧) تفسير الجزائري، ص ٤٥٤.

رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[(١)]»[(٢)].

وثبت في الحديث الآخر: عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[(٣)]»[(٤)].

٣-المؤمن يوالي أحباب الله ويعصي أعداءه فيفارقهم في عقائدهم وأعمالهم، ولا يواليهم بقلبه، ولا يكثر سوادهم، مع كونه غير منهي عن البر والقسط لهم ما لم يكونوا محاربين.

٤-قال الإمام أحمد رحمه الله: «والصحيح أن يبدأ في الدعاء بهذا قبل دعاء: «اللّهم اهدني فيمن هديت»[(٥)]؛ لأنه ثناء على الله والثناء مقدم على الدعاء لأنه فتح لباب الدعاء»[(٦)].

٥-هذا الدعاء أثر موقوف على عمر والموقوف: هو أحد أقسام الخبر باعتبار نهاية الإسناد إضافة إلى المرفوع والمقطوع.

أما المرفوع: فهو ما انتهى إلى النبي ﷺ تصريحًا، أو حكمًا من: قوله، أو

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٤٤.

(٢) مسند أحمد، ٢٨/ ٥٤٧، برقم ١٧٣١١، والطبراني في الكبير، ١٧/٣٣٠، برقم ٩١٣، وفي الأوسط، ٩/١١٠، برقم ٩٢٧٢، وحسنه محققو المسند، ٢٨/ ١٧٣١١. وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٥٦٢.

(٣) سورة هود، الآية: ١٠٢.

(٤) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ هود :١٠٢، برقم ٤٦٨٦، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، برقم ٢٥٨٣.

(٥) أخرجه أصحاب السنن عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: أبو داود، ٤٢٥، والترمذي، برقم ٤٦٤، والنسائي، برقم ١٧٤٥، وابن ماجه، برقم ١١٧٨، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٢/ ١٧٢، وتقدم تخريجه قريبًا في حديث المتن رقم ١١٦.

(٦) الشرح الممتع لابن عثيمين، ٤/ ٢٠.

فعله، أو تقريره.

والموقوف: ما انتهى إلى الصحابي كذلك تصريحًا، أو حكمًا من: قوله، أو فعله، أو تقريره.

والمقطوع: هو ما انتهى غاية إسناده إلى التابعي وأضيف متنه إليه على ما سبق وكذلك اتباع التابعين[1].

***

---

(١)انظر: نزهة النظر لابن حجر، ٥٦: ٦٣.

٣٣- الذِّكْرُ عَقِبَ السَّلَامِ مِنَ الوِتْرِ

١١٩ -«سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوسِ» ثلاثَ مرَّاتٍ والثَّالِثَةُ يَجْهَرُ بها ويَمُدُّ بها صَوتَهُ يقولُ: رَبِّ الْمَلائِكَةِ وَالرُّوحِ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤١٠ -عـن عَبْـدِ الـرَّحْمَنِ بْـنِ أَبْـزَى ﷺ[٢]، قَـالَ: كَـانَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ يُـوتِرُ بِـ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وَ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَكَانَ إِذَا سَلَّمَ وَفَرَغَ قَالَ: «سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ» ثَلَاثًا، طَوَّلَ فِي الثَّالِثَةِ[٣].

٤١١ -عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ[٤]، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوتِرُ بِثَلَاثٍ: بِـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، وَ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَيَقْنُتُ قَبْلَ الرُّكُوعِ، فَإِذَا سَلَّمَ قَالَ: «سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ فِي الآخِرَةِ، وَيَقُولُ: «رَبِّ الْمَلائِكَةِ وَالرُّوحِ»[٥].

---

(١) رواه النسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، نوع آخر من القراءة في الوتر، برقم ١٧٣٤، وأحمد، ٢٤/ ٧٦، برقم ١٥٣٥٨، والدارقطني، كتاب الوتر، ما يقرأ في ركعات الوتر والقنوت فيه، برقم ٢، وغيرهما، وما بين المعقوفين زيادة للدارقطني، وإسناده صحيح، والطبراني في المعجم الأوسط، ٨/ ١٠٨، برقم ٨١١٥، وصحح إسناده محققو المسند، ٢٤/ ٧٦، وانظر: زاد المعاد بتحقيق شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، ١/ ٣٣٧، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٢٨١ .

(٢) تقدمت ترجمت في الحديث رقم ٣٠٨ من أحاديث الشرح.

(٣) رواه النسائي، برقم ١٧٣٤، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، ذكر الاختلاف على شعبة فيه، وأحمد، ٢٤/ ٧٦، برقم ١٥٣٥٨، وصحح إسناده محققو المسند، ٢٤/ ٧٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٢٨١.

(٤) تقدمت ترجمت في الحديث رقم ٢٥٨ من أحاديث الشرح.

(٥) رواه الدارقطني ٢/ ٣١، برقم ٢، ، والطبراني في المعجم الأوسط، ٨/ ١٠٨، برقم ٨١١٥، =

٤١٢- عن ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: سَأَلْنَا عَائِشَةَبِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يُوتِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: «كَانَ يَقْرَأُ فِي الأُولَى بِـ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾، وَفِي الثَّانِيَةِ بِـ ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾، وَفِي الثَّالِثَةِ بِـ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ»[١].

٤١٣-ولفظ أبي داود: عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يُوتِرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟، فَذَكَرَ مَعْنَاهُ، قَالَ: «**وَفِي الثَّالِثَةِ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ**»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**سبحان الملك**»: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً...، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله»[٣]. ، وقال الأصفهاني رحمه الله: «الملك: هو المتصرف بالأمر والنهي في الجمهور، وذلك يختص بسياسة الناطقين؛ ولهذا يقال: مَلِك الناس، ولا يقال ملك الأشياء، ... والملك ضربان: ملك هو التملك والتولي، وملك هو القوة على ذلك، تولَّى أو لم يتول، فمن الأول قوله: ﴿**إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا**﴾[٤]، ومن الثاني قوله: ﴿**إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا**﴾[٥]،

=
وصحح إسناده شعيب وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيق زاد المعاد، ١/٣٣٧.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الوتر، باب ما جاء فيما يقرأ به في الوتر، برقم ٤٦٣، وقال حديث حسن غريب، والنسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر أبي بن كعب في الوتر، برقم ١٧٠٢، ومسند أحمد، ٤٣/ ٧٩، برقم ٢٥٩٠٦، وأبو داود، كتاب الوتر، باب ما يقرأ في الوتر، برقم ١٤٢٤، وصححه لغيره محققو المسند، ٤٣/ ٧٩، والألباني في صحيح ابن ماجه، ١/ ١٩٣، وفي صحيح أبي داود، برقم ١٢٨٠.

(٢) أبو داود، برقم ١٤٢٤، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/ ١٩٣، وفي صحيح أبي داود، برقم ١٢٨٠، وتقدم تخريجه في الحديث الذي قبله.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من حديث المتن رقم ١١١.

(٤) سورة النمل، الآية: ٣٤.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٢٠.

فجعل النبوة مخصوصة، والملك عاماً، فإن معنى الملك ههنا هو القوة التي بها يترشح للسياسة، لا أنه جعلهم كلهم متولين للأمر... الملك: اسم لكل من يملك السياسة، إما في نفسه، وذلك بالتمكين من زمام قواها، وصرفها عن هواها، وإما في غيره، سواء تولى ذلك، أو لم يتول على ما تقدم»[١].

٢-قوله: «**قدوس**»: أي المُطهر من كل ما لا يليق به ﷻ؛ لأنه يُسبَّح، وُيقدَّس، وهو المستحق لذلك، قال القاضي عياض رحمه الله: «وقوله: «**سُبَّوحٌ قدوس**»: بضم السين والقاف فيهما وفتحهما أيضًا، فسبوح من البراءة من النقائص والشريك: وما لا يليق بالإلهية والتنزيه عن ذلك، وقدوس من التطهير عما لا يليق به، ومنه الأرض المقدسة، وهو بمعنى سُبّوح، قال الهروي: وجاء في التفسير: القدوس: المباركَ»[٢].

٣-قوله: «**رب الملائكة**»: قال القرطبي صاحب المفهم: «أي: مالكهم وخالقهم ورابّهم؛ أي: مصلح أحوالهم»[٣]. وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «رب الملائكة، وهم جند الله ﷻ عالم لا نشاهدهم»[٤].

٤-قوله: «**والروح**»: هو جبريل عليه السلام وهذا كقوله: ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا**﴾[٥]. وقال ابن الأثير: «والروح : قيل : هو اسم ملك من الملائكة عظيم الشأن والخلق ، وقيل : هو اسم جبريل ، وقيل: هو روح الخلائق التي بها حياتهم وبقاؤهم»[٦].

---

(١) المفردات في غريب القرآن، ٢/٤٧٢، مادة (ملك).
(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٤٠٢.
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٥/ ٢١.
(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٢٧.
(٥) سورة القدر، الآية: ٤.
(٦) جامع الأصول، لابن الأثير، ٤/ ١٩٢.

٥-قوله: «**كان يوتر**» أي: يصلي صلاة الوتر ركعتين، ثم ركعة، ويقرأ بهذه السور على الترتيب[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية قراءة هذه السور الثلاث في صلاة الوتر، والتي هي ختام الصلاة بالليل، وذلك لما تضمنته هذه السور من المعاني العظيمة الدالة على قدرة الله وتوحيده.

٢- ثبت عن الرسول ﷺ قراءة سورة الإخلاص، والمعوذتين في الركعة الثالثة من الوتر، كما ثبت عنه ﷺ قراءة سورة الإخلاص وحدها في ركعة الوتر، كما تقدم في أحاديث الشرح آنفة الذكر[٢].

٣-مشروعية قول: «**سبحان الملك القدوس**» ثلاث مرات، ويقول في الثالثة: «**سبحان الملك القدوس، رب الملائكة والروح**» يمد بالثالثة صوته، ويجهر بذلك، وذلك كله بعد السلام من الوتر.

وتقدم بيان بقية الفوائد في شرح فوائد حديث المتن رقم ٣٥.

***

---

(١) انظر الموضوع في المغني، ٢/ ١٢١، والمجموع شرح المهذب، ٤/ ١١.

(٢) أبو داود، برقم ١٤٢٤، والترمذي، برقم ٤٦٣، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ١٢٨٠، وتقدم تخريجها في أحاديث شرح المتن رقم ١١٩.

٣٤ - دُعَاءُ الهَمِّ والحُزْنِ

١٢٠-(١) «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلاَءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي»[١].

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤١٤-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه[٢]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ، وَلاَ حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلاَءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلاَّ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا»، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»[٣].

---

(١) أحمد، ٦/ ٢٤٧، برقم ٣٧١٢، وابن حبان، ٣/ ٢٥٣، برقم ٩٧٢، وابن أبي شيبة، ٦/ ٤٠، برقم ٢٩٣١٨، والطبراني، ١٠/ ١٦٩، برقم ١٠٣٥٢، والحاكم، ١/ ٦٩٠، وقال: «صحيح على شرط مسلم» وأبو يعلى، ٩/ ١٩٨، برقم ٥٢٩٧، قال الهيثمي، ١٠/ ١٣٦: «رجاله رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان» وصححه محقق ابن حبان، ٢/ ٢٥٣، والألباني في التعليقات الحسان، ٣/ ٩٦٩/ برقم ٩٦٨، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/ ٣٣٧.

(٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح.

(٣) أحمد، برقم ٣٧١٢، وصححه الألباني في التعليقات الحسان، برقم ٩٦٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٤١٥-وعند ابن السني: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه(١)، قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «مَنْ أَصابَهُ هَمٌّ، أَوْ حَزَنٌ، فَلْيَدْعُ بِهَذِهِ الكَلِماتِ، يَقُولُ: أَنا عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، فِي قَبْضَتِكَ، ناصِيَتِي بِيَدِكَ، ماضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضاؤُكَ؛ أَسأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَه أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ القُرآنَ نُورَ صَدْرِي، وَرَبِيعَ قَلْبِي، وَجلاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمّي»، فقال رجل من القوم: يا رسول الله! إن المغبونَ لمن غُبن هؤلاء الكلمات، فقال: «أَجَلْ فَقُولُوهُنَّ، وَعَلِّمُوهُنَّ، فإِنَّهُ مَنْ قَالَهُنَّ الْتِماسَ ما فِيهِنَّ أَذْهَبَ اللَّهُ تعالى حُزْنَهُ، وأَطالَ فَرَحَهُ»(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهـم إنـي عبدك**» أي: لا معبود لي غيرك ولا رب لي سواك فأنت رب العالمين، قال العلامة ابن القيم رحمه الله: قوله: «إني عبدك: التزام عبوديته من الذلّ، والخضوع، والإنابة، وامتثال أمر سيّده، واجتناب نهيه، ودوام الافتقار إليه، واللجأ اليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، وعِياذ العبد به، ولِياذه به، وأن لا يتعلق قلبه بغيره محبة، وخوفاً، ورجاءً، وفيه أيضاً: أني عبد من جميع الوجوه: صغيراً، وكبيراً، حياً، وميتاً، ومطيعاً، وعاصياً، معافى، ومبتلى بالروح، والقلب، واللسان، والجوارح، وفيه أيضاً: أن مالي، ونفسي

---

(١) سبقت ترجمته في الحديث رقم ١ من أحاديث الشرح.

(٢) ابن السني، برقم ٣٣٨، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ١/ ١٩٨. وقد اطلعت على رواية في تاريخ دمشق لابن عساكر، ٦٨/ ١١٩، عن عبد الله بن عمر كان يقول: إن رسول الله ﷺ كان يقول: «من قال هذه الكلمات، ودعا بهنَّ، فرّج الله همّه، وأذهب حزنه، وأطال سروره، أن يقول: اللهمَّ إنّي عبدك ابن عبدك، ابن أمتك، وفي قبضتك، ناصيتي في يدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بأحب أسمائك إليك، وباسمك الذي سميت به نفسك، وبكل اسم أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن نور صدري، وربيع قلبي، وجلاء حزني، وذهاب همّي». وقد رواها عن رجل من أهل دمشق، عن ابن عمر، ولم أجد من علق عليها.

ملك لك؛ فان العبد وما يملك لسيده»[(١)].

٢-قوله: «**ابن عبدك ابن أمتك**»: إظهار تام للعبودية والمعنى أنك مالك لي ولأبواي، وإن عليا حتى آدم وحواء، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا يتناول من فوقه من آبائه، وأمهاته إلى أبويه: آدم وحواء، وفي ذلك تملق له، واستخذاء بين يديه، واعتراف بأنه مملوكه، وآباؤه مماليكه، وأن العبد ليس له غير باب سيده، وفضله، وإحسانه، وأن سيده إن أهمله، وتخلّى عنه، هلك ولم يؤْوِه أحد، ولم يعطف عليه، بل يضيع أعظم ضيعة، فتحت هذا الاعتراف أني لا غنى بي عنك طرفة عين، وليس لي من أعوذ به، وألوذ به غير سيدي الذي أنا عبده»[(٢)].

٣-قوله: «**ناصيتي بيدك**»: الناصية هي مقدم الرأس والمقصود أنه تحت سلطان الله الغالب وحكمه الذي لا يرد وقدرته النافذة، قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «النَّصِيَّة من القَوم، ومن كلِّ شيءٍ: الخيار، ويقال: انتصَيْتُ الشَّيءَ: اخترتُه، وهذه نَصِيَّتي: خِيرَتي، ومنه النَّاصية: سمِّيت لارتفاع مَنْبتها. والناصيةُ: قُصَاص الشَّعْر»[(٣)]، وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: أنت المتصرف في تصرفي كيف تشاء، لست أنا المتصرف في نفسي، وكيف يكون له في نفسه تصرف من نفسه بيد ربه، وسيده، وناصيته بيده، وقلبه بين أصبعين من أصابعه، وموته، وحياته، وسعادته، وشقاوته، وعافيته، وبلاؤه كله إليه سبحانه، ليس إلى العبد منه شيء، بل هو في قبضة سيده أضعف من مملوك ضعيف، حقير، ناصيته بيد سلطان، قاهر، مالك له، تحت تصرفه وقهره، بل الأمر فوق ذلك، ومتى

---

(١) الفوائد، ص ٢٢.
(٢) الفوائد، ص ٢٢.
(٣) مقاييس اللغة، ٥/ ٣٤٧، مادة (نصا)، وتقدمت في شرح مفردات حديث المتن رقم ١٠٧، المفردة رقم ٩.

شهد العبد أن ناصيته ونواصي العباد كلها بيد الله وحده، يصرفهم كيف يشاء، لم يُخفهم بعد ذلك، ولم يرجهم، ولم ينزلهم منزلة المالكين، بل منزلة عبيد مقهورين مربوبين، المتصرف فيهم سواهم، والمدبر لهم غيرهم، فمن شهد نفسه بهذا المشهد، صار فقره، وضرورته إلى ربه وصفاً لازماً له، ومتى شهد الناس كذلك، لم يفتقر إليهم، ولم يعلق أمله، ورجاءه بهم، فاستقام توحيده، وتوكله، وعبوديته»[(١)].

٤-قوله: «**ماضٍ فيّ حكمك**» أي: الذي قدرته عليّ أزلًا في اللوح المحفوظ فأنت الحكيم الذي تضع الأمور في نصابهاقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «تضمن هذا الكلام أمرين: أحدهما: مضاء حكمه في عبده، والثاني: يتضمن حمده، وعدله، وهو سبحانه له الملك، وله الحمد»[(٢)].

٥-قوله: «**عدل فيّ قضاؤك**» أي: ما حكمته فهو عدل محض فلا يدخل في تدبير الله زلل ولا نقص ولا عجز، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «قَدْ بَيَّنَ أَنَّ كُلَّ قَضَائِهِ فِي عَبْدِهِ عَدْلٌ، وَلِهَذَا يُقَالُ: كُلُّ نِعْمَةٍ مِنْهُ فَضْلٌ، وَكُلُّ نِقْمَةٍ مِنْهُ عَدْلٌ، وَيُقَالُ: أَطَعْتُك بِفَضْلِك وَالْمِنَّةُ لَك، وَعَصَيْتُك بِعِلْمِك أَوْ بِعَدْلِك وَالْحُجَّةُ لَك»[(٣)]، وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: «أي الحكم الذي أكملته، وأتممته، ونفذته في عبدك، عدل منك فيه، وأما الحكم، فهو ما يحكم به سبحانه، وقد يشاء تنفيذه، وقد لا ينفذه؛ فإن كان حكماً دينياً، فهو ماضٍ في العبد، وإن كان كونياً؛ فإن نفذه سبحانه مضى فيه، وإن لم ينفذه اندفع عنه، فهو سبحانه يقضي ما يقضي به، وغيره قد يقضي بقضاء، ويقدر أمراً، ولا

---

(١) الفوائد، ص ٢٣.
(٢) الفوائد، ص ٢٣.
(٣) الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ١/ ٧٨.

يستطيع تنفيذه، وهو سبحانه يقضي، ويمضي، فله القضاء والإمضاء، وقوله: «عدل فيَّ قضاؤك»: يتضمن جميع أقضيته في عبده من كل الوجوه، من صحة، وسقم، وغنى، وفقر، ولذة، وألم، وحياة، وموت، وعقوبة، وتجاوز وغير ذلك»[١]، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «كلما قضيت علي مما أحب أو أكره فهو عدل ليس فيه جور حتى المصائب عدل من الله»[٢].

٦-قوله: «**أسألك**»: هذا شروع في الطلب والمسألة والدعاء بعد إظهار العبودية والثناء على الله بما هو أهله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فَأَسْأَلُك بِوُجُوبِ حُجَّتِك عَلَيَّ، وَانْقِطَاعِ حُجَّتِي، إلَّا مَا غَفَرْت لِي»[٣].

٧-قوله: «**بكل اسم هو لك**»: عام لجميع أسماء الله الحسنى التي من تأملها وعرف معانيها دفعه ذلك إلى تعظيم ربه، قال بعض السلف: «من كان بالله أعرف، كان منه أخوف»[٤]، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «الاسم من أسماء الله يدل على الذات، وعلى المعنى، كما سبق، فيجب علينا أن نؤمن به اسماً من الأسماء، ونؤمن بما تضمنه من الصفة، ونؤمن بما تدل عليه الصفة من الأثر، والحكم، إن كان متعدياً؛ فمثلاً: السميع نؤمن بأن من أسمائه تعالى السميع، وأنه دال على صفة السمع، وأن لهذا السمع حكماً، وأثراً، وهو أنه يسمع به؛ كما قال تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾[٥]، أما إن

---

(١) الفوائد، ص ٢٣.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، ٧/ ٣٥٤.

(٣) الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ١/ ٧٨.

(٤) ذكره ابن قيم الجوزية في مدارج السالكين، ٣/ ٣٣٨، وفي إتحاف السادة المتقين للزبيدي، ٢/ ٤٥٣، وقال: قال أحمد بن عاصم.

(٥) سورة المجادلة، الآية: ١.

كان الاسم غير متعد، كالعظيم، والحي، والجليل، فتثبت الاسم، والصفة، ولا حكم يتعدى إليه»[١].

٨-قوله: «**سمّيت به نفسك**»: قال الطيبي: أي: «أنك وضعت ألفاظاً مخصوصة، وسميت بها نفسك، وألهمت عبادك بغير واسطة، فيكون من سماه الأمم المختلفة الفائتة للحصر بلغات مختلفة من هذا النوع»[٢].

٩-قوله: «**أو أنزلته في كتابك**» أي: القرآن وما قبله من الكتب التي أنزلها الله على رسله عليهم السلام.

قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «**أو أنزلته في كتابك**» علي جميع ما سمى به في الكتب المنزلة، وأفرد الكتاب، وأراد به الجنس، وقد تقرر في موضعه أنه أشمل من الجمع»[٣].

١٠-قوله: «**أو علمته أحدًا من خلقك**» أي: من الأنبياء والمرسلين والملائكة.

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن لله أسماء أنزلها في كتبه، وأسماء خص بها بعض خلقه، كما خص الخضر بعلم من لدنه»[٤]، وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: «أسماء الله توقيفية، فلا يسمى سبحانه إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ، ولا يجوز أن يسمى باسم عن طريق القياس، أو الاشتقاق، من فعل ونحوه، خلافاً للمعتزلة، والكرامية، فلا يجوز تسميته بناءً، ولا ماكراً، ولا مستهزئاً؛ أخذاً من قوله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ**﴾[٥]، وقوله: ﴿**وَمَكَرُوا**

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، ١٠/ ٧٦٨.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩١٠.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩١٠.
(٤) أضواء البيان، ٨/ ٧٣.
(٥) سورة الذاريات، الآية ٤٧.

وَمَكَرَ اللَّهُ﴾[(١)]، وقوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[(٢)]، ولا يجوز تسميته: زارعاً، ولا ماهداً، ولا فالقاً، ولا منشئاً، ولا قابلاً، ولا شديداً، ونحو ذلك؛ أخذاً من قوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾[(٤)]، وقوله: ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾[(٥)]، وقوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾[(٦)]، وقوله: ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾[(٧)]؛ لأنها لم تستعمل في هذه النصوص إلا مضافة، وفي إخبار على غير طريق التسمي، لا مطلقة، فلا يجوز استعمالها إلا على الصفة التي وردت عليها في النصوص الشرعية، فيجب ألا يعبد في التسمية إلا لاسم من الأسماء التي سمى بها نفسه صريحاً في القرآن، أو سماه بها رسوله ﷺ فيما ثبت عنه من الأحاديث، كأسمائه التي في آخر سورة الحشر، والمذكورة أول سورة الحديد، والمذكورة في سور أخرى من القرآن»[(٨)].

١١-قوله: «**أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»: الاستئثار هو الانفراد بالشيء أي: أن الله لم يطلع على ذلك لا ملك مقرب ولا نبي مرسل وهذا فيه دليل على أن لله أسماءً أخرى غير التسعة والتسعين المذكورة في الحديث[(٩)].

قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: «أو استأثرت» به أي انفردت، محمول على أنه

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥
(٣) سورة الواقعة، الآية: ٦٤.
(٤) سورة الذاريات، الآية: ٤٨.
(٥) سورة الواقعة، الآية: ٧٢.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ٩٥.
(٧) سورة غافر، الآية: ٣.
(٨) فتاوى اللجنة الدائمة، ١١/ ٤٥٧.
(٩) انظر: صحيح البخاري، برقم ٢٧٣٦، وسيأتي تخريجه في فوائد الحديث في الفائدة السابعة.

انفرد به بنفسه، ولا ألهم أحداً ولا أنزل في كتاب»[(١)].

١٢- قوله: «**أن تجعل**» أي: أسألك بما مضى من التوسل إليك بأسمائك كلها، قال الطيبي رحمه الله: «أن تجعل القرآن ربيع قلبي: هذا هو المطلوب، والسابق: وسائل إليه، فانظر أولاً: غاية ذلته، وصغاره، ونهاية افتقاره، وعجزه، وثانياً بين عظمة شأنه، وجلالة اسمه ﷻ، بحيث لم يبق فيه بقية، وألطف في المطلوب حيث جعل المطلوب وسيلة إزالة الهمّ المطلوب أولاً»[(٢)].

١٣- قوله: «**القرآن**»: قال في النهاية: «قد تكرر في الحديث ذكر القراءة، والاقتراء، والقارئ، والقرآن، والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته، وسمي القرآن قرآناً؛ لأنه جمع: القصص، والأمر، والنهي، والوعد، والوعيد، والآيات، والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران، والكفران، وقد يطلق على الصلاة؛ لأن فيها قراءة تسمية للشيء ببعضه، وعلى القراءة نفسها، يقال: قرأ يقرأ قراءة، وقرآناً، والاقتراء افتعال من القراءة، وقد تحذف الهمزة منه تخفيفاً فيقال: قران»[(٣)].

١٤- قوله: «**ربيع قلبي**»: وذلك لأن الإنسان يرتاح في الربيع من الأزمان، ويميل إليه، ويخرج من الهم والغم، ويحصل له النشاط والابتهاج والسرور[(٤)].

قال القاري: «وجعل القرآن ربيع القلب، وهو عبارة عن الفرح؛ لأن الإنسان يرتاح قلبه في الربيع من الأزمان، ويميل إليه في كل مكان، وأقول: كما أن الربيع سبب ظهور آثار رحمة الله تعالى، وإحياء الأرض بعد موتها،

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩١٠.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩١٠.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ٤/ ٢٩، مادة (قرأ).
(٤) العلم الهيب في شرح الكلم الطيب للإمام العيني، ص ٢٤٤.

كذلك القرآن سبب ظهور تأثير لطف الله من الإيمان، والمعارف، وزوال ظلمات الكفر والجهل والهرم»[(١)].

١٥-قوله: «**ونور صدري**» أي: يذهب ما في قلبي من ظلمات الجهل والشهوات والشبهات وغير ذلك مما يعكر صفوه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَالْحَيَاةُ وَالنُّورُ جِمَاعُ الْكَمَالِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ**﴾[(٢)]، وَفِي خُطْبَةِ أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ: يُحْيُونَ بِكِتَابِ اللهِ الْمَوْتَى، وَيُبَصِّرُونَ بِنُورِ اللهِ أَهْلَ الْعَمَى؛ لِأَنَّهُ بِالْحَيَاةِ يَخْرُجُ عَنْ الْمَوْتِ، وَبِالنُّورِ يَخْرُجُ عَنْ ظُلْمَةِ الْجَهْلِ، فَيَصِيرُ حَيًّا، عَالِمًا، نَاطِقًا، وَهُوَ كَمَالُ الصِّفَاتِ فِي الْمَخْلُوقِ»[(٣)].

١٦-قوله: «**وجلاء حزني**»: أي تتجلى منه الهموم والوساوس كما تتجلى الشمس للناس حال سطوعها:

جلاء الشيء خروجه، وذهابه، قال الجوهري رحمه الله: «والجَلاءُ أيضاً: يقال: جَلَوْتُ، أي: أوضحتُ وكشفتُ، وجَلَوْتُ بصري بالكُحْلِ، وجَلَوْتُ همّي عنّي، أي: أذهبته»[(٤)]، وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «وقوله: «**وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي**»، إن جلاء هذا يتضمن إزالة المؤذي الضار، وذلك يتضمن تحصيل النافع السار، فتضمن الحديث طلب أصول الخير كله، ودفع الشر، وبالله التوفيق»[(٥)].

١٧-قوله: «**وذهاب همّي**» أي: ما أهمني وأقلقني في الحاضر والمستقبل

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣٤٨، وانظر: شرح المشكاة للطيبي، ٦/ ١٩١٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

(٣) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ١٨/ ٣١٠.

(٤) الصحاح في اللغة، ص ١٩٠، مادة (جلا).

(٥) شفاء العليل، ص ٢٧٧.

حتى أتفرغ لعبادتك، قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الحديث الصحيح منها أنه استوعب أقسام المكروه الواردة على القلب، فالهمّ يكون على مكروه يتوقع في المستقبل، يهتمّ به القلب، والحزن على مكروه ماضٍ من فوات محبوب، أو حصول مكروه، إذا تذكره أحدث له حزناً، والغمّ يكون على مكروه حاصل في الحال يوجب لصاحبه الغم، فهذه المكروهات هي من أعظم أمراض القلب، وأدوائه، وقد تنوع الناس في طرق أدويتها، والخلاص منها، وتباينت طرقهم في ذلك تبايناً لا يحصيه إلا الله، بل كل أحد يسعى في التخلص منها بما يظن، أو يتوهم أنه يخلصه منها، وأكثر الطرق والأدوية التي يستعملها الناس في الخلاص منها، لا يزيدها إلا شدة لمن يتداوى منها بالمعاصي على اختلافها، من أكبر كبائرها إلى أصغرها، وكمن يتداوى منها باللهو واللعب والغناء، وسماع الأصوات المطربة، وغير ذلك، فأكثر سعي بني آدم، أو كله إنما هو لدفع هذه الأمور، والتخلص منها، وكلهم قد أخطأ الطريق، إلا من سعى في إزالتها بالدواء الذي وصفه الله لإزالته،ا وهو دواء مركب من مجموع أمور متى نقص منها جزء نقص من الشفاء بقدره، وأعظم أجزاء هذا الدواء هو التوحيد والاستغفار»[1].

١٨-قوله: «**إن المغبون لمن غبن هؤلاء الكلمات**»: قال في المصباح المنير: «غَبَنَهُ في البيع والشراء، (غُبْنًا) من باب ضَرَب، مثل غلبه، (فَانْغَبَنَ)، و(غَبَنَهُ) أي نقصه، و(غُبِنَ) بالبناء للمفعول، فهو (مَغْبُونٌ)، أي منقوص في الثمن، أو غيره، و(الغَبِينَةُ) اسم منه، و(غَبِنَ) رأيه (غَبَنًا) من باب تعب: قلَّتْ فطنتُه و ذكاؤه»[2]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في فتح الباري: «والغَبَن -

(١) شفاء العليل، ص ٢٧٤.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبيرللفيومي، ٢/ ٤٤٢، مادة (غبن).

بِالسُّكُونِ وبِالتَّحرِيكِ-، وقالَ الجَوهَرِيّ: هُو فِي البَيع بِالسُّكُونِ، وفِي الرَّأي بِالتَّحرِيكِ، وعَلَى هَذا فَيَصِحّ كُلّ مِنهُما فِي هَذا الخَبَر؛ فَإِنَّ مَن لا يَستَعمِلهُما فِيما يَنبَغِي فَقَد غَبَنَ لِكَونِهِ باعَهُما بِبَخسٍ، ولَم يُحمَد رَأيه فِي ذَلِكَ، قالَ ابن بَطّال: مَعنَى الحَدِيث: نعمتان مغبون فيهما المرء أَنَّ المَرء لا يَكُون فارِغًا حَتَّى يَكُون مَكفِيًّا صَحِيح البَدَن، فَمَن حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ، فَليَحرِص عَلَى أَن لا يَغبِن بِأَن يَترُك شُكر الله عَلَى ما أَنعَمَ بِهِ عَلَيهِ، ومِن شُكره امتِثال أَوامِره، واجتِناب نَواهِيه، فَمَن فَرَّطَ فِي ذَلِكَ فَهُو المَغبُون....

وقالَ ابن الجَوزِيّ: قَد يَكُون الإِنسان صَحِيحًا، ولا يَكُون مُتَفَرِّغًا لِشُغلِهِ بِالمَعاشِ، وقَد يَكُون مُستَغنِيًا، ولا يَكُون صَحِيحًا، فَإِذا اجتَمَعا فَغَلَبَ عَلَيهِ الكَسَل عَن الطّاعَة، فَهُو المَغبُون، وتَمام ذَلِكَ أَنَّ الدُّنيا مَزرَعَة الآخِرَة، وفِيها التِّجارَة الَّتِي يَظهَر رِبحها فِي الآخِرَة، فَمَن استَعمَلَ فَراغه وصِحَّته فِي طاعَة الله فَهُو المَغبُوط، ومَن استَعمَلَهُما فِي مَعصِيَة الله فَهُو المَغبُون؛ لأَنَّ الفَراغ يَعقُبهُ الشُّغل، والصِّحَّة يَعقُبها السَّقَم، ولَو لَم يَكُن إِلاَّ الهَرَم»[1].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-من قال هذا الدعاء موقنًا ومخلصًا في قوله: فرج الله ما به من هم بل وأبدله مكانه فرحًا لقوله عليه الصلاة والسلام في أول الحديث: «**ما أصاب عبدًا هم ولا حزن فقال ...**» وقوله في آخره: «**إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحًا**».

٢-إذا حقق المسلم معنى العبودية لله فإنه لا يتصرف في شيء من أموره إلا بحسب رضا ربه كما أن العبد المملوك لا يتصرف في شيء إلا بإذن سيده.

٣-حياة العبد من مبدأها إلى منتهاها وما يترتب على ذلك من الشقاوة أو السعادة هي بيد الله وحده لا شريك له، وهذا مستفاد من قوله: «**ناصيتي بيدك**»

(١) فتح الباري لابن حجر، ١١/ ٢٣٠.

وقد قال هود لقومه كما ذكر الله في القرآن: ﴿**إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[١].

٤-الإيمان بما قضاه الله وقدره على عبده لقوله: «**ماض في حكمك عدل في قضاؤك**» وهذا شامل للحُكمين: الديني والقدري، فإنه مع كون الله مالكًا متصرفًا فإنه عدل في أحكامه كلها، فخبره كله صدق وقضاؤه كله عدل وأمره كله مصلحة، وما نهى عنه كان مفسدة وثوابه بفضله وعقابه بعد له[٢].

٥-مشروعية التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وفي هذا دلالة على إيمان العبد بها جميعًا كما فصلها هذا الدعاء. قال الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾[٣]. وقال جل ذكره: ﴿**قُلِ ادْعُواْ اللَّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى**﴾[٤].

٦-فيه بيان أن حياة القلب وسعادته إنما هي في القرآن الكريم: علمًا، وعملًا، وتدبرًا، وقيامًا به في صلاة الليل، ودعوة الخلق إليه. قال الله تعالى: ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا**﴾[٥].

٧-معنى قوله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة**»[٦]، أما التكرار في قوله: «**تسعة وتسعون مائة إلا واحداً**» فهو للتأكيد، كقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ**

(١) سورة هود، الآية: ٥٦.
(٢)انظر: الفوائد لابن القيم، ص ٣٦.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ١١٠.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.
(٦) البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار، برقم ٢٧٣٦.

إِلَـهٌ وَاحِـدٌ فَإِيَّـايَ فَـارْهَبُونِ﴾[١]، وقـد تكلـم العلمـاء عـن سـرّ هـذا العـدد المخصـوص، والصـواب أن نفـوّض علمـه إلـى الله؛ لأن الله لـم يطلعنـا علـى حكمة ذلك فهو كأعداد الصلوات والله أعلم[٢].

٨-قوله: «**من أحصاها**» له عدة معانٍ على النحو الآتي:

أ- أي: من حفظها وأثنى على الله بها ويشهد لهذا قوله ﷺ: «**لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة**»[٣] وبه قال النووي والبخاري وغيرهما[٤].

ب- الإطاقة كقوله: ﴿**عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ**﴾[٥]، أي: لن تطيقوا قيام الليل كله وعلى هذا يكون المراد هو حسن مراعاة هذه الأسماء والعمل بمقتضى ما تدعوا إليه من معانٍ عظيمة.

جـ- أن يكـون الإحصـاء: بمعنـى العقـل، والمعرفـة، والإيمـان بهـا، وهـذا مأخوذ من قول العرب فلان ذو حصاة أي: ذو عقل.

٩-قال القرطبي: والمرجو أنه من حصل له إحصاء هذه الأسماء على إحدى هذه المراتب مع صحة النية، المرجو أن يدخله الله الجنة[٦].

١٠-الرواية التي جاء فيها سرد الأسماء رواية ضعيفة وهي عند الترمذي[٧] وغيره. قال الحافظ في الفتح: والدليل على ضعف هذه الرواية عدم تناسبها في

---

(١) سورة النحل، الآية: ٥١.
(٢) النهج الأسمى للنجدي، ص ٤٩، ٥٢.
(٣) البخاري، كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحدة، برقم ٦٤١٠.
(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٥، وفتح الباري، ١١/ ٢٢٠.
(٥) سورة المزمل، الآية: ٢٠.
(٦) فتح الباري، ١١/ ٢٥٤ وما بعده.
(٧) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا إبراهيم بن يعقوب، برقم ٣٥٠٧، وضعفها الألباني في ضعيف الترمذي، ص ٤٥٦.

السياق ولا في التوقيف ولا في الاشتقاق لأنه إذا كان المراد الأسماء فقط فغالب الرواية صفات، وإن كان المراد الصفات فهي غير متناهية، ولم يرد بعض هذه الأسماء لا في القرآن ولا في السنة الصحيحة[1].

***

١٢١-[2]«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»[2].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤١٦-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه[3] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه: «الْتَمِسْ غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى خَيْبَرَ»، فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ مُرْدِفِي وَأَنَا غُلَامٌ رَاهَقْتُ الْحُلُمَ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ، وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ، وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»، ثُمَّ قَدِمْنَا خَيْبَرَ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ، ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا، وَكَانَتْ عَرُوسًا، فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ، حَلَّتْ، فَبَنَى بِهَا، ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطَعٍ صَغِيرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «آذِنْ مَنْ حَوْلَكَ»، فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى

---

(١)انظر: فتح الباري، ١١/ ٢٤٧.

(٢) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من غزا بصبي للخدمة، برقم ٢٨٩٣. وانظر: البخاري مع الفتح، ١١/١٧٣، وسيأتي، برقم ١٣٧.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

صَفِيَّةَ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ، فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ، فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ، حَتَّى تَرْكَبَ، فَسِرْنَا، حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، نَظَرَ إِلَى أُحُدٍ فَقَالَ: «**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**»، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا بِمِثْلِ مَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ**»[(١)].

٤١٧-ولفظ البخاري في الأدب المفرد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ[(٢)]، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَثِيرًا مَا يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَظَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**»[(٣)].

٤١٨-وفي لفظ للنسائي في الكبرى، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا دَعَا قَالَ: «**اللهُمَّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَفَضَحِ الدَّيْنِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ**»[(٤)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم إني أعوذ بك**»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»[(٥)]،

---

(١) البخاري، برقم ٢٨٩٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري في الأدب المفرد، ص ٢٣٤، برقم ٦٧٢، والبيهقي في الدعوات الكبير، ١/ ٤٥٤، وفي السنن الكبرى، ٩/ ١٢٥، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٢٥١، برقم ٥٢٢، وقال: «أي: ثقله وشدته. ووقع في المطبوع، والهندية والشرح «ظلع»! وهو خطأ عجيب وتتابع غريب».

(٤) النسائي في الكبرى، كتاب الاستعاذة، الاستعاذة من الهم، برقم ٧٨٨٤، وقال الحافظ المزي في تهذيب الكمال، ١٠/ ٤٧٩: «وروى له النسائي حديثه، عن عمرو بن أبي عمرو، عن عبد الله بن المطلب، عن أنس في الاستعاذة من العجز والكسل، ورواه غيره عن عمرو، عن أنس، لم يذكر بينهما أحداً، وهو المحفوظ، والله أعلم».

(٥) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ٦، في المفردة رقم ٦.

والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به.... وأعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك[(١)]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ ... وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛... ويُسْتَعَاذُ مِنْ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يُضَرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنْ الشَّرِّ الضَّارِّ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يُوجَدَ»[(٢)].

٢- قوله: «**من الهمّ**»: يكون في الأمر المتوقع حدوثه، قال العيني رحمه الله: «الهمّ إنما يكون في الأمر المتوقع، والحزن فيما قد وقع، والهمّ هو الحزن الذي يذيب الإنسان، يقول: همّني الشيءُ، أي: أذابني، وسنام مهموم، أي: مذاب، ويقال: أهمّني إذا طرح في قلبه الهمّ، وفي المثل: همُّك ما أهمَّك، كما تقول: شُغلُك ما شَغلَك»[(٣)].

٣-قوله: «**والحزن**»: يكون في أمر قد وقع من الأمور[(٤)].

٤-قوله: «**والعجز**»: هو عدم القدرة على الفعل أصلًا، قال العيني رحمه الله: «العجز هو ضد القدرة، وقال ابن بطال: اختُلف في معنى العجز، فأهل الكلام يجعلونه ما لا استطاعة لأحد على ما يعجز عنه؛ لأنها عندهم مع الفعل، وأما الفقهاء فيقولون: إنه هو ما يستطيع أن يعمله إذا أراد؛ لأنهم يقولون: إن الحج ليس على الفور، ولو كان على المهلة عند أهل الكلام لم يصحّ معناه؛ لأن الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل، والذين يقولون بالمهملة يجعلون الاستطاعة قبل الفعل»[(٥)].

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.
(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ١٨/ ٢٨٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٧.
(٣) شرح أبي داود للعيني، ٥/ ٤٦٥.
(٤) العلم الهيب للعيني، ص ٣٣٥.
(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢١/ ٢٥٣.

٥-قوله: «**والكسل**»: ترك الشيء مع القدرة على الأخذ في عمله[١].

٦-قوله: «**والبخل**»: منع إنفاق المال الذي آتاه الله من فضله مع محبته الشديدة وإمساكه، قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «البخل: إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه، ويقابله الجود، يقال: بخل فهو باخل، وأما البخيل فالذي يكثر منه البخل، كالرحيم من الراحم، البخل ضربان: بخل بقنيات نفسه، وبخل بقنيات غيره، وهو أكثرها ذما»[٢].

٧-قوله: «**والجبن**»: ضد الشجاعة وهو الخوف وضعف القلب، ووهن النفس، قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «الجبن: ضعف القلب عما يحق أن يقوى عليه»[٣].

٨-قوله: «**وضلع الدين**» أي: ثقل الدين وشدته ولاسيما مع المطالبة والعجز عن الوفاء، قال الطيبي رحمه الله: «يعني: ثقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء، والاعتدال، والضلع الاعوجاج»[٤].

٩-قوله: «**وظلع**»: «قَالَ الطِّيبِيُّ الْهَمُّ فِي الْمُتَوَقَّعِ وَالْحُزْنُ فِيمَا فَاتَ «وَظَلَعِ الدَّيْنِ» بِالظَّاءِ الْمُعْجَمَةِ بِفَتْحَتَيْنِ فِي أَكْثَرِ النُّسَخِ أَيِ الضَّعْفِ لِحَقٍّ بِسَبَبِ الدَّيْنِ»[٥].

١٠- قوله: «**وغلبة الرجال**» أي: شدة تسلطهم والحكمة في التعوذ لما في ذلك من الوهن في النفس، والمعاش[٦].

١١- قوله: «**التمس**»: أي: ابحث لي عن غلام، فالتمس: اطلب، واستعار له اللمس[٧].

---

(١) فتح الباري، ٦/ ٤٥.
(٢) مفردات ألفاظ القرآن، ١/ ٧١، مادة (بخل).
(٣) مفردات ألفاظ القرآن، ١/ ١٧٠، مادة (جبن).
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن،(٦/ ١٩١٢.
(٥) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ٤/ ٢٨١.
(٦) انظر: العلم الهيب، ص١٢٢، وص ١٩٧.
(٧) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٢٦٩، مادة (لمس).

١٢-قوله: «مردفي»: أي أركبته خلفي على الدابة، «الرَّدِيفُ: الذي تحمله خلفك على ظهر الدابة، تقول: (أَرْدَفْتُهُ)، (إِرْدَافًا)، و(ارْتَدَفْتُهُ)... و(رَدِفْتَ) الرَّجُل – بالكسر- إذا ركبت خلفه، و(أَرْدَفْتَهُ) إذا أركبته خلفك»[(١)].

١٣-قوله: «راهقت الحلم»: أي: دنوت واقتربت من البلوغ، ... ومنه قولهم: (غلام مُراهِق) أي مُقارب للحُلُم[(٢)].

١٤-قَوله:«حَلَّت»: أَي طَهُرَت مِنَ الحَيض[(٣)].

١٥-قوله: «سد الصهباء»: قال الحافظ: «الصَّهباء قَرِيبَة مِن خَيبَر، وبَيَّنَ ابن سَعد فِي حَدِيث ذَكَرَهُ فِي تَرجَمَتِها أَنَّ المَوضِع الَّذِي بَنَى بِها فِيهِ بَينه وبَين خَيبَر سِتَّة أَميال ، وقَد ذَكَرَ فِي الطَّرِيق الَّتِي قَبل هَذِهِ أَنَّهُ ﷺ أَعرَسَ بِصَفِيَّة بِسَدِّ الصَّهباء»[(٤)].

١٦-قوله: «آذن من حولك»: أي: أخبر، وأعلم من حولك، قال في القاموس المحيط: «أذن بالشيء كسمع أذناً بالكسر، ويحرك، وأذانا، وأذانة: علم به، فأذنوا بحرب أي: كونوا على علم، وآذنه الأمر، وبه: أعلمه، وأذّن تأذيناً: أكثر الإعلام»[(٥)].

١٧-قوله: «حيساً»: الحيس: طعام مخلوط، فهو تمر يخلط بسمن وأقط، فيعجن شديداً، ثم يندر منه نواه، وربما جعل فيه سويق، وقد حاسه يحيسه[(٦)].

١٨-قوله: «نطع»: «النطع بالكسر، وبالفتح، وبالتحريك، وكعنب: بساط

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي، ١/ ٢٢٤، مادة (ردف).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٢٨٢، مادة (رهق).
(٣) فتح الباري، لابن حجر، ٧/ ٤٨٠.
(٤) المرجع السابق.
(٥) القاموس المحيط، ص: ١٥١٦،مادة (أذن).
(٦) القاموس المحيط، ص: ٩٩١، مادة (نطع).

من الأديم، جمعه: أنطاع ونطوع»[١].

١٩-قوله: «**فضح الدين**»: أي: أن الدين يؤدي إلى إظهار الرجل في منظر معيب، ويهتك ستره، قال في اللسان: «فضَحَ الشيءَ يَفْضَحُه فَضْحاً، فافْتَضَح، إذا انْكَشَفَتْ مَسَاوِيهِ، وَالِاسْمُ الفَضاحَة، والفُضُوحُ، والفُضُوحَة، والفَضِيحة، وَرَجُلٌ فَضَّاحٌ وفَضُوح: يَفْضَحُ الناسَ»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-المسلم دائم اللجوء إلى ربه كي يصرف عنه أنواع الشرور.

٢-التحذير من هذه الصفات الذميمة، وتدريب النفس على الأخذ بأسباب صرفها، وعدم الوقوع فيها.

٣-هذا الدعاء من جوامع كلمه *عليه الصلاة والسلام* وهو في غاية الترتيب والتناسق؛ فإن المهموم، والمحزون، يعجز ويكسل وهذا يجره إلى كونه بخيلًا جبانًا ثم يترتب على ذلك طلب الدين ومع عجزه وكسله يغلبه الرجال.

٤-قال الإمام النووي رحمه الله: «وأما استعاذته ﷺ من الجبن والبخل، فلما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات، والقيام بحقوق الله تعالى، وإزالة المنكر، والإغلاظ على العصاة؛ ولأنه بشجاعة النفس، وقوتها المعتدلة، تتم العبادات، ويقوم بنصر المظلوم، وبالسلامة من البخل يقوم بحقوق المال، وينبعث الإنفاق والجود، ولمكارم الأخلاق، ويمتنع عن الطمع»[٣].

❊❊❊

(١) انظر: القاموس المحيط، ص: ٦٩٦، مادة (حيس).
(٢) لسان العرب لابن منظور، ٢/ ٥٤٥، مادة: (فضح).
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣٢.

٣٥ - دُعَاءُ الكَرْبِ

١٢٢-(١)«لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ الْعَظِـيمُ الْحَلِـيمُ، لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَـرْشِ الْعَظِـيمِ، لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ السَّـمَوَاتِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤١٩-عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما(٢)أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»(٣).

٤٢٠-ولفظ مسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ، إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، قَالَ، فَذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ مُعَاذٍ، عَنْ أَبِيهِ وَزَادَ مَعَهُنَّ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله:«لا إله إلا الله»: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «يعني: لا معبود بحق إلا الله جل جلاله، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله لله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لابد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات؛ ....، حتى يعبد بمقتضى هذه الصفات؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب، برقم ٦٣٤٥، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب دعاء الكرب، برقم ٢٧٣٠.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٦٣٤٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب دعاء الكرب، برقم ٨٣-(٢٧٣٠).

الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[(١)]، أي: تعبّدوا له، وتوسّلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»[(٢)].

٢-قوله: «العظيم» أي: ذي العظمة والجلال في ملكه، وسلطانه، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، قال الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وسمّى الله بعض خلقه عظيماً، فقال: وهو رب العرش العظيم، فالله العظيم، وأوقع اسم العظيم على عرشه، والعرش مخلوق»[(٣)].

٣-قوله: «الحليم»: قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو ذو الصفح، والأناة الذي لا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاص[(٤)].

٤-قوله: «رب العرش العظيم»: أي: صاحب العرش خلقًا، وملكًا، والعظيم نعت للعرش، وإنما وصف العرش بالعظمة لعظم خلقه، قال الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وسمّى الله بعض خلقه عظيماً... فالله العظيم، وأوقع اسم العظيم على عرشه، والعرش مخلوق»[(٥)].

٥-قوله: «رب السموات ورب الأرض» أي: خالقهما، ومالكهما، ومدبر شؤونهما، ومنزل الأمر بينهن، قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خصهما بالذكر لأنهما من أعظم المشاهدات، ومعنى الرب في اللغة يطلق على: المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والمتمم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى»[(٦)].

٦-قوله: «الكريم» أي: الجواد المعطي الذي لا ينفذ عطاؤه، وهو الكريم على الإطلاق[(٧)].

---

(١) سورة الأعراف، الاية: ١٨٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٣) كتاب التوحيد، ١/ ٦١، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن رقم ٨٣.

(٤) شأن الدعاء، ص ٦٣.

(٥) كتاب التوحيد، ١/ ٦١، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن رقم ٨٣.

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٣/ ٩٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٣٢.

(٧) انظر: العلم الهيب، ص ٣٣٦.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الكرب لا يندفع إلا بتحقيق التوحيد الخالص لله تعالى.

٢-تضمن هذا الدعاء أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية من قوله: «**رب السموات والأرض**» والألوهية من قوله: «**لا إله إلا الله**» والأسماء والصفات من قوله: «**العظيم الحليم**».

٣-إثبات بشرية الرسول الكريم ﷺ، وأنه لا يعلم الغيب، فلو كان يعلم الغيب ما مسه سوء، كما قال الله ﷻ: ﴿**وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**﴾[1]، فكان يصيبه الأمر الذي يزعجه.

٤-من تمام تعظيم الله ﷻ دوام الثناء عليه بأنواع المحامد، وأن العبد لا يلتفت إلى عمل عمله، وإن قضى عمره كاملًا في الطاعة، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ أَنَّ رَجُلًا يُجَرُّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَى يَوْمِ يَمُوتُ هَرَمًا فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ ﷻ لَحَقَّرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** »[2] أي: لما يرى من عظمة ربه، وملكه يوم القيامة.

٥-قال النووي رحمه الله[3]: «كان السلف يدعون به، ويسمونه دعاء الكرب.

فإن قيل هذا ذكر وليس فيه دعاء: فجوابه من وجهين:

أحدهما: أن هذا الذكر يستفتح به الدعاء ثم يدعو بما شاء.

والثاني: قول الله في الحديث القدسي: «**مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَن مَسْأَلَتِي، أَعْطَيْته أفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ**»[4].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

(٢) مسند أحمد، ٢٩/ ١٩٦، برقم ١٧٦٤٩، والطبراني، ١٢٢/١٧، برقم ٣٠٣، والبيهقي في شعب الإيمان، ٤٧٩/١، برقم ٧٦٧، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة، ١/ ٧٣٠: «هذا إسناد جيد، رجاله كلهم ثقات» وحسنه في صحيح الجامع، برقم ٥٢٤٩.

(٣)انظر: مسلم شرح النووي ١٧/ ٤٧.

(٤) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد، ص ١٠٩، والبيهقي في شعب الإيمان، ٤١٣/١، برقم =

١٢٣-(٢) «اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٢١-عن عبد الرحمن بن أبي بَكْرَةَ أَنَّهُ قَالَ لأَبِيهِ[٢]: يَا أَبَتِ إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ: اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلاَثًا حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلاَثًا حِينَ تُمْسِي، فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِنَّ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ، قَالَ عَبَّاسٌ فِيهِ: وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، تُعِيدُهَا ثَلاَثًا حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلاَثًا حِينَ تُمْسِي، فَتَدْعُو بِهِنَّ، فَأُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ**». وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ عَلَى صَاحِبِهِ[٣].

=
٥٧٢، ورقم ٥٧٣، وابن أبي شيبة، ٦/ ٣٤، برقم ٢٩٢٧١، رقم ٥٨٤)، وصححه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف، ٣/ ٢٢٠، وقال العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة، ٣/ ٥٠٨: «أبو مسلم: وثقه ابن حبان، وقال ابن عدي: يحدث بالمناكير عن الثقات، ويسرق الحديث، وقال الحافظ: صدوق يغلط، قلت [القائل الألباني]: وبقية رجال الإسناد ثقات، رجال الشيخين، فالإسناد حسن عندي، لولا ما يخشى من سرقة عبدالرحمن بن واقد، أو غلطه، والله أعلم».

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٩٢، وأحمد، برقم ٢٠٤٣٠، والنسائي في الكبرى، برقم ٩٨٥٠، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٤٢، وحسّن العلامة ابن باز رحمه الله إسناده في تحفة الأخيار، ص٢٦، وتقدم تخريجه في تخريج الحديث رقم ٨٢، ورقم ٨٨ من أحاديث المتن.

(٢) أبو بكرة نفيع بن الحارث، تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٨٢ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم ٥٠٩٠، وأحمد، ٣٤/ ٧٤، برقم ٢٠٤٣٠، وقال محققو مسند أحمد، ٣٤/ ٧٥: «حسن في المتابعات والشواهد» وحسّنه الألباني في صحيح
=

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم**»: يا الله حذف حرف النداء «يا» وعوض عنه الميم المشددة وهو خاص بنداء الله تعالى[١]، وهي تجمع الدعاء[٢].

٢-قوله: «**رحمتك أرجو**» أي: لا أرجو رحمة أحد سواك، فأنت الرحمن الرحيم، قال الطيبي رحمه الله: «...قدم المفعول ليفيد الاختصاص، والرحمة عامة، فيلزم تفويض الأمور كلها إلى الله تعالى»[٣].

٣-قوله: «**فلا تكلني إلى نفسي**» أي: لا تتركني ولا تدعني إلى نفسي فهي أمارة بالسوء، قال السفاريني الحنبلي رحمه الله: «وَأَنَّك إنْ تَكِلْنِي إلَى نَفْسِي تَكِلْنِي إلَى ضَعْفٍ، وَعَوْرَةٍ، وَذَنْبٍ، وَخَطِيئَةٍ ، وَأَنِّي لَا أَثِقُ إلَّا بِرَحْمَتِك»[٤].

٤-قوله: «**طرفة عين**» أي: لحظة لأنني قد أزل فيها إذا تخليت عني وأنت خير الحافظين، قال ابن منظور: «طَرَفَ يَطْرِفُ طَرْفاً: لَحَظَ ...طُرِفَتْ عينُه، فَهِيَ تُطْرَفُ طَرْفاً، إِذَا حُرِّكَتْ جُفونُها بِالنَّظَرِ، وَيُقَالُ: هُوَ بِمَكَانٍ لَا تَرَاهُ الطَّوَارِفُ، يَعْنِي الْعُيُونَ، وطَرَفَ بصَره، يَطْرِفُ طَرْفاً إِذَا أَطْبَقَ أَحدَ جَفْنيهِ عَلَى الْآخَرِ، الْوَاحِدَةُ مِنْ ذَلِكَ طَرْفَةٌ. يُقَالُ: أَسْرَعُ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ»[٥].

٥-قوله: «**وأصلح لي شأني كله**» أي: حالي وأمري جميعه، قال ابن منظور رحمه الله: «الشَّأْنُ: الخَطْبُ، والأَمْرُ، والحال، ... وَمَا شَأَنَ شَأْنَه أَي: مَا أَراد، وَمَا شَأَنَ شَأْنَه؛ عَنِ ابْنِ الأَعرابي، أَي: مَا شَعَر بِهِ، واشْأَنْ شَأْنَك؛ عَنْهُ أَيضاً، أَي:

=

أبي داود، ٣/٩٥٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(١) تفسير الجزائري: أيسر التفاسير، ١/ ٣٠٣.

(٢) وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من حديث المتن رقم ١.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٦.

(٤) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، ٢/ ٢٩٣.

(٥) لسان العرب، ٩/ ٢١٣، مادة (طرف).

عَلَيْكَ بِهِ»(١)، وقال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ في معنى الحديث: «تَحْقِيقِ الرَّجَاءِ لِمَنِ الْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْهِ، وَالِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ، وَتَفْوِيضُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ، وَالتَّضَرُّعُ إِلَيْهِ، أَنْ يَتَوَلَّى إِصْلَاحَ شَأْنِهِ، وَلَا يَكِلَهُ إِلَى نَفْسِهِ، وَالتَّوَسُّلُ إِلَيْهِ بِتَوْحِيدِهِ مِمَّا لَهُ تَأْثِيرٌ قَوِيٌّ فِي دَفْعِ هَذَا الدَّاءِ»(٢).

٦-قوله: «**لا إله إلا أنت**»: قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «ختمه بهذه الكلمة الشريفة؛ فإنه لا يتم رجو الرحمة، وإصلاح الشأن، وعدم وكله إلى نفسه إلا لمن أقرَّ بها وأحضر قلبه لمعناها»(٣).

وتقدم شرحه في شرح ألفاظ الحديث رقم ٨٨ من أحاديث المتن.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-المسلم يسأل ربه الرحمة في السراء والضراء؛ فإن رحمة الله قد وسعت كل شيء، وعمت كل حي، بخلاف غضبه. قال ﷻ: «**إن رحمتي تغلب غضبي**»(٤)، وفي رواية: «**إن رحمتي سبقت غضبي**»(٥) وهو حديث قدسي.

٢-تعلق القلب بالله وحده وتفويض الأمر إليه يجعل فاعل ذلك غير آيس من رحمة ربه ﴿**إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾(٦).

٣-الحذر من الخذلان وأسبابه وإنما يكون ذلك بأن يكل الله العبد إلى نفسه وهواه وشيطانه.

٤-جاء في أول الحديث أن النبي ﷺ سمّى هذا الدعاء بـ «دعوات

(١) لسان العرب، ١٣/ ٢٣٠، مادة (شأن).
(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤/ ١٨٩.
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٦/ ٩٧.
(٤) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، برقم ٧٤٠٤.
(٥) البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، برقم ٧٤٢٢.
(٦) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

المكروب» والمكروب هو من أصابه حزن شديد مع حسرة وألم مما هو فيه، وهو شامل لألم الجسد وألم النفس، نسأل الله العافية، والمقصود أن هذه الدعوات مزيلة لكربة المكروب إن شاء الله.

٥-رُوي عن النبي ﷺ أنه إذا أهمه الأمر رفع رأسه إلى السماء فقال: «**سبحان الله العظيم**» وهذه الرواية عند الترمذي، ضعفها بعض العلماء كالعلامة الألباني رحمه الله[1].

***

١٢٤-[3]«لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»[2].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٢٢-عَنْ سَعْدِ بن أبي وقاص رضي الله عنه[3]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ**»، هذا

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء ما يقول عند الكرب، برقم ٣٤٣٥، وقال: «هذا حديث حسن غريب» وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، برقم ٤٣٥٦، وقال في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ١٣/ ٧٧٦: «والحديث مما سكت عليه ابن تيمية في الكلم الطيب، (رقم ١١٩)، وتبعه ابن القيم في الوابل الصيب، (٢٣٦) ، تابعين في ذلك أصلهما أذكار النووي، ١٠٢ تحقيق الأرناؤوط، وسكت هذا أيضاً عليه».

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا محمد بن يحيى، برقم ٣٥٠٥، وأحمد، ٣/ ٦٥، برقم ١٤٦٢، والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، ١/٥٠٥، ، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر دعوة ذي النون، برقم ١٠٤٩٢، وأبو يعلى، ١/ ١١٠، برقم ٧٧٢، وحسّن إسناده محققو المسند، ٣/ ٦٥، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٨٢، برقم ١٦٤٤، وفي صحيح الجامع الصغير، برقم ٣٣٨٣.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٩٦ من أحاديث الشرح.

لفظ الترمذي، والحاكم، ولفظٍ لأحمد، والنسائي في الكبرى[١].

٤٢٣-ولفظ أحمد عن سَعْدٍ بن أبي وقاص، قَالَ: مَرَرْتُ بِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ[٢] فِي الْمَسْجِدِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَمَلأَ عَيْنَيْهِ مِنِّي، ثُمَّ لَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ السَّلامَ، فَأَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلْ حَدَثَ فِي الإِسْلامِ شَيْءٌ؟ مَرَّتَيْنِ قَالَ: لاَ، وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ، إِلاَّ أَنِّي مَرَرْتُ بِعُثْمَانَ آنِفًا فِي الْمَسْجِدِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَمَلأَ عَيْنَيْهِ مِنِّي، ثُمَّ لَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ السَّلامَ، قَالَ: فَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى عُثْمَانَ فَدَعَاهُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ لاَ تَكُونَ رَدَدْتَ عَلَى أَخِيكَ السَّلامَ؟ قَالَ عُثْمَانُ: مَا فَعَلْتُ! قَالَ سَعْدٌ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: حَتَّى حَلَفَ وَحَلَفْتُ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّ عُثْمَانَ ذَكَرَ، فَقَالَ: بَلَى، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، إِنَّكَ مَرَرْتَ بِي آنِفًا، وَأَنَا أُحَدِّثُ نَفْسِي بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لاَ وَاللَّهِ مَا ذَكَرْتُهَا قَطُّ إِلاَّ تَغَشَّى بَصَرِي، وَقَلْبِي غِشَاوَةٌ، قَالَ: قَالَ سَعْدٌ: فَأَنَا أُنْبِئُكَ بِهَا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ لَنَا أَوَّلَ دَعْوَةٍ، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَشَغَلَهُ، حَتَّى قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاتَّبَعْتُهُ فَلَمَّا أَشْفَقْتُ أَنْ يَسْبِقَنِي إِلَى مَنْزِلِهِ، ضَرَبْتُ بِقَدَمِي الأَرْضَ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا أَبُو إِسْحَاقَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**فَمَهْ؟**»، قَالَ: قُلْتُ: لاَ وَاللَّهِ، إِلاَّ أَنَّكَ ذَكَرْتَ لَنَا أَوَّلَ دَعْوَةٍ، ثُمَّ جَاءَ هَذَا الأَعْرَابِيُّ فَشَغَلَكَ، قَالَ: «**نَعَمْ دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ هُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ رَبَّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ اسْتَجَابَ لَهُ**»[٣].

---

(١) الترمذي، برقم ٣٥٠٥، والحاكم، ١/٥٠٥، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٣٣٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في لفظ الحديث رقم ٢٩٢ من أحاديث الشرح.

(٣) أحمد، برقم ١٤٦٢، وحسنه محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٣٣٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٤٢٤-وفي لفظ للنسائي في الكبرى، عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ، أَوْ أُحَدِّثُكُمْ، بِشَيْءٍ إِذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ كَرْبٌ، أَوْ بَلاَءٌ مِنَ بَلاَءِ الدُّنْيَا، دَعَا بِهِ فُرِّجَ عَنْهُ؟» فَقِيلَ لَهُ: بَلَى، قَالَ: «دُعَاءُ ذِي النُّونِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**لا إله إلا أنت سبحانك**»: إقرار من يونس عليه السلام بكمال الألوهية وأن الله أفعاله كلها خير محض، وأنه المستحق للعبادة وحده، قال الإمام الطبري رحمه الله: «تنزيهاً لك يا رب، مما أضاف إليك أهل الشرك بك، من الكذب عليك والفِرْية... وإبراء الله عن السوء، وهي كلمة رضيها الله لنفسه، وهي تنزيهه من كل سوء»[٢]، وقال المناوي رحمه الله: «أي: ما صنعتُ من شيء، فلن أعبد غيرك، (سبحانك) تنزيه عن كل النقائص، ومنها العجز، وإنما قاله لأن تقديره سبحانك مأجوراً، أو شهوة للانتقام، أو عجزاً عن تخليصي مما أنا فيه، بل فعلته بحكم الإلهية، وبمقتضى الحكمة»[٣].

٢-قوله: «**إني كنت من الظالمين**» أي: لأن يونس عليه السلام ترك مداومة قومه، والصبر عليهم، أو في الخروج قبل إذن ربه فنسب الظلم إلى نفسه اعترافًا واستحقاقًا[٤].

٣-قوله: «**دعوة ذي النون**»: أي دعاؤه وتسبيحه لله عز وجل، قال الفيومي رحمه الله: «دَعَوْتُ اللَّهَ أَدْعُوهُ دُعَاءً ابْتَهَلْتُ إلَيْهِ بِالسُّؤَالِ، وَرَغِبْتُ فِيمَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ»[٥].

---

(١) النسائي في الكبرى، برقم ١٠٤٩١، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٣٣٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) انظر: تفسير الطبري، ١٥/ ٣٠، وتقدم شرحها مستوفى في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٥.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٣/ ١٣٤.

(٤) تفسير الجزائري، ص ١٠٨٥.

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ١٩٤، مادة (دعو).

٤-قوله: «**ذي النون**»: اسم نبي الله يونس بن متّى عليه السلام وإنما أضيف إلى النون الذي هو الحوت الذي ابتلعه قال الله عز وجل: ﴿**وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ**﴾[1]، ومتّى هو اسم أبيه، وليس اسم أمه، قال ابن كثير رحمه الله: «يونس بن متّى ونَسَبَه إلى أمه، وفي رواية قيل: "إلى أبيه»[2]، وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ: «**لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ**»[3]، وقال الزبيدي رحمه الله: «ذُو النُّونِ: لَقَبُ يُونُسَ بن مَتَّى، على نبيّنا، وعليه الصلاة والسلام، وقد ذَكَرَه **اللَّهُ** تعالى في كتابِهِ وسَمَّاهُ كَذلِكَ، لأَنَّه حَبَسَه في جَوْفِ الحُوتِ الذي الْتَقَمَه»[4].

٥-قوله: «**وهو في بطن الحوت**»: وذلك لما ذهب مغاضبًا من قومه قبل أن يأمره الله بالخروج[5]، بعدما رفع الله عن قومه العذاب فأصابه الله بهذا البلاء تطهيرًا له[6].

٦-قوله: «**رجل مسلم**»: يشمل الذكر والأنثى، وهذا متكرر في القرآن والسنة.

٧-قوله: «**في شيء قط**»: أي: في أي أمر من الأمور التي أهمته وألَمّت به، قال الصنعاني رحمه الله: «من الأقوال والأفعال»[7].

٨-قوله: «**إلا استجاب الله له**»: فضلًا منه ونعمة، كما فعل سبحانه مع يونس عليه السلام، قال العلامة السعدي رحمه الله: «هذا وعد، وبشارة لكل مؤمن وقع في شدة، وغمٍّ، أن الله تعالى سينجيه منها، ويكشف عنه، ويخفف لإيمانه كما فعل

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤٨.
(٢) تفسير ابن كثير، ٧/ ٣٨.
(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ، وروايته عن ربه، برقم ٧٥٣٩.
(٤) تاج العروس، ٣٦/ ٢٣٢، مادة (نون).
(٥) تفسير السعدي، ص ٥٣٩.
(٦) تفسير الجزائري، ص ١٠٨٥.
(٧) التنوير شرح الجامع الصغير، ٦/ ٣٠٣.

بـ(يونس) عليه السلام »[١]، وقال في موضع آخر: «ولكن بسبب تسبيحه، وعبادته لله، نجّاه الله تعالى، وكذلك ينجي الله المؤمنين، عند وقوعهم في الشدائد»[٢].

ثالثا: ما يستفاد من الحديث:

١-فضيلة هذا الدعاء إذا حصل بيقين وإخلاص، وتوكل على الله؛ ولذلك قال الله عز وجل في سياق قصة يونس عليه السلام عندما قال هذا الدعاء: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٣].

٢-بيان توفيق الله ليونس عليه السلام بأن ألهمه هذا الذكر وهو في الظلمات الثلاث: ظلمة بطن الحوت، وظلمة الليل، وظلمة البحر، ولولا أنه كان دائم الذكر والعبودية لربه ما نجَّاه الله من ذلك، وللبث في بطن الحوت إلى يوم البعث كما هو حال فرعون عليه اللعنة، وهذا معنى قوله **عليه الصلاة والسلام**: «**تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ** »[٤].

٣-تواضع الرسول الكريم ﷺ وذلك باستشهاده بقول من هو دونه في المرتبة عند الله، ويفهم من هذا أن شرع من قبلنا هو شرع لنا، ما لم يخالف شرعنا.

٤-بيان أن دعوة الأنبياء جميعًا هي كلمة التوحيد، وإن اختلف الزمان والمكان؛

---

(١) تفسير السعدي، ص ٥٢٩.

(٢) تفسير السعدي، ص ٧٠٧.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٨٨.

(٤) مسند أحمد، ٥/ ١٩، برقم ٢٨٠٣، ولفظه: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا غُلَامُ، أَوْ يَا غُلَيِّمُ، أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»» والحاكم، ٣/ ٥٤٢، والطبراني، ١١/١٢٣، برقم ١١٢٤٣، والضياء المقدسي، ١٠/٢٣، برقم ١٣، وصححه محققو المسند، ٥/ ١٩، والألباني في صحيح الجامع، برقم ٢٩٦١.

ولذا قال رسول الله ﷺ: «**الأنبياء إخوة لعلات**[١]، **أمهاتهم شتى ودينهم واحد**»[٢].

٥-جاء الثناء على يونس عليه السلام من الله عز وجل في قوله في الحديث القدسي: «**لا ينبغي لعبد لي أن يقول أنا خير من يونس بن متى** عليه السلام»[٣] وكذلك قال رسول الله ﷺ: «**لا يقولن أحدكم إني خير من يونس**»[٤].

قال النووي رحمه الله: «وهذه الأحاديث تحمل وجهين:

أ- أنه ﷺ قال ذلك قبل أن يعلمه الله أنه سيد ولد آدم.

ب – أنه قال هذا زجرًا على أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئًا من حط مرتبة يونس عليه السلام من أجل ما في القرآن العزيز من قصته[٥]، وقد جاء في فضائله أن قومه آمنوا كلهم، وما آمنت أمة بكاملها إلا قوم يونس، قال الله عز وجل: ﴿**وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ✽ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**﴾[٦].

٦-قال الإمام الطيبي رحمه الله: «ومن الأنبياء جماعة لهم اسمان مثل: عيسى والمسيح، وذو الكفل واليسع، ويونس وذو النون، وإبراهيم والخليل، ومحمد وأحمد، عليهم الصلاة والسلام»[٧].

✽✽✽

---

(١) هم الإخوة لأب من أمهات شتى أما الإخوة من الأبوين فيقال أولاد أعيان. قاله النووي.
(٢) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، برقم ٣٤٤٣.
(٣) مسلم، كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس بن متى عليه السلام، وقول النبي ﷺ: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى»، برقم ٢٣٧٦.
(٤) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، برقم ٣٤١٢.
(٥) انظر: مسلم بشرح النووي، ١٥/١٣١.
(٦) سورة الصافات، الآيتان: ١٤٧- ١٤٨.
(٧) العلم الهيب، ص ٣٤١.

١٢٥-(٤)((اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي، لاَ أُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً))(١).

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٢٥-عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رضي الله عنها(٢)، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **((أَلَا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ - أَوْ فِي الْكَرْبِ -؟ اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))**(٣).

٤٢٦-ولفظ ابن حبان: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها(٤)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَمَعَ أَهْلَ بَيْتِهِ، فَقَالَ: **((إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ غَمٌّ أَوْ كَرْبٌ، فَلْيَقُلِ: اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي، لاَ أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))**(٥).

٤٢٧-ولفظ الطبراني: عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ لنفر من بني هاشم: **((هل معكم أحد من غيركم؟))** قالوا: لا، إلا ابن اختنا، أو مولانا، فقال: **((إذا أصاب أحدكم هَمٌّ أو لأْوَى، فليقلْ: اللَّه اللَّه ربي، لا أشرك به شيئاً))**(٦).

٤٢٨-ولفظ النسائي في الكبرى: عَنْ عُمَرَ بن عبد العزيز(٧)، قَالَ جَمَعَ

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، برقم ١٥٢٥، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب الدعاء عند الكرب، برقم ٣٨٨٢، والإمام أحمد في المسند، ٤٥/ ١٦، برقم (٢٧٠٨٢)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٣٣٥/٢، برقم ٣١٣٢ .

(٢) أسماء بنت عميس رضي الله عنها: أم عبد الله الخثعمية، كانت تحت جعفر بن أبي طالب، وهو ذو الجناحين الطيار، ابن عم رسول الله ﷺ، وهاجرت معه إلى الحبشة، فولدت له عبد الله، ومحمد، وعونًا، ثم هاجرت معه إلى المدينة سنة سبع، ولما استشهد يوم مؤتة تزوجت بأبي بكر الصديق، فولدت له محمدًا، وقت الإحرام، ولما مات عنها الصديق تزوجت بعلي بن أبي طالب، فولدت له يحيى، لها ذكر في الصحيح والسنن. انظر: أسد الغابة، ١٤/٦، ترجمة رقم (٦٧٠٦)، وسير أعلام النبلاء، ٢/ ٢٨٢، ترجمة رقم (٥١).

(٣) أخرجه أبو داود، برقم ١٥٢٥، وابن ماجه، برقم ٣٨٨٢، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٣١٣٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٥) ابن حبان، ٣/ ١٤٦، وصححه الألباني في التعليقات الحسان، ٣/ ٧٥٦..

(٦) الطبراني في المعجم الأوسط، ٥/ ٢٧١، برقم ٥٢٩٠، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦/ ٥٩٠، برقم ٢٧٥٥.

(٧) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أمير المؤمنين، العالم المجتهد، =

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ بَيْتِهِ، فَقَالَ: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ غَمٌّ أَوْ هَمٌّ فَلْيَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ اللَّهُ رَبِّي لاَ أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّه، اللَّه**»: هو بالرفع فيهما، على أن الأول مبتدأ، والثاني تأكيد لفظي له، وهذا إشارة إلى عظم المقام وأهميته[٢].

٢-قوله: «**ربي**»: أي: الذي رباني، وأسبغ علي جميع أنواع النعم بعد أن أوجدني من العدم، قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى الرب في اللغة يطلق على: المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والمتمم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى»[٣].

٣-قوله: «**لا أشرك به شيئًا**»: «يعني: كبير الشرك، وصغيره، وخفيَّه؛ لأن كلمة (شيئاً) نكرة جاءت في سياق النفي، فتعم كل ما كان في معناها»[٤]. أي: لا أعبد معه أحداً، ولا يتعلق قلبي بغيره، فهو المتفرد والمستحق للعبادة.

٤- قوله: «**غم**»: أي: حزن، وكآبة، قال الفيومي: «غَمَّهُ الشيء (غَمًّا) من باب قتل: غطَّاه، ومنه قيل للحزن: (غَمٌّ)؛ لأنه يغطي السرور، والحلم، وهو في غُمّة

=

العابد الزاهد، أبو حفص القرشي، يعد من الطبقة الثالثة من التابعين، وكان له رواية في الحديث كثيرة، وولي المدينة في إمرة الوليد سنة ٨٦هـ إلى ٩٣هـ، ثم ولي الخلافة بعد سليمان سنة ٩٩هـ، كان كثير الزهد والخشية والبكاء، له في ذلك أقوال مأثورة، مات سنة ١٠١هـ. انظر: حلية الأولياء ٥/٢٥٢، وسير أعلام النبلاء ٥/١١٤، ترجمة رقم (٤٨).

(١) النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر الاختلاف على مسعر بن كدام في خبر عبد الله بن جعفر، برقم ١٠٤٨٦، والدعاء للطبراني، ص: ٣١٣، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ١٢/ ٢٣٠: «منكر بزيادة (السبع)...وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات...والحديث مرسل».

(٢) فقه الأدعية والأذكار للبدر، ص ١٨٢.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٣/ ٩٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٣٢.

(٤) شرح الأربعين النووية، لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ص ٢٢٧.

أي حيرة، ولَبْس، والجمع (غُمَمٌ)، مثل غُرْفة وغُرَف»[1].

٥-قوله: «همٌّ»: «الهَمُّ: الحُزْن، وَجَمْعُهُ هُمُومٌ، وهَمَّه الأَمرُ هَمّاً ومَهَمَّةً، وأَهَمَّه فاهْتَمَّ، واهْتَمَّ بِهِ، وَلَا هَمَامِ لِي: مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْكَسْرِ مِثْلَ قَطامِ أَي: لَا أَهُمُّ... وَيُقَالُ: مَعْنَى مَا أَهَمَّكَ أَي: مَا أَحْزَنَك، وَقِيلَ: مَا أَقْلَقَك، وَقِيلَ: مَا أَذابَك، والهِمَّةُ: واحدةُ الهِمَمِ. والمُهِمَّاتُ مِنَ الأُمور: الشدائِدُ المُحْرِقةُ، وهَمَّه السُّقْمُ يَهُمُّه هَمّاً أَذابَه، وأَذْهَبَ لَحمه، وهَمَّني المرضُ: أَذابَني»[2].

٦-قوله: «أو مولانا» أي خادمنا، أو تابع لنا، أو حليف، وقال في النهاية: «تكرر ذكر (المَوْلَى) في الحديث، وهو اسْمٌ يقَع على جَماعةٍ كَثِيرَة، فهو الرَّبُّ، والمَالكُ، والسَّيِّدُ، والمُنْعِمُ، والمُعْتِقُ، والنَّاصرُ، والمُحِبّ، والتَّابع، والجارُ، وابنُ العَمّ، والحَلِيفُ، والعَقيدُ، والصِّهْرُ، والعبْدُ، والمُعْتَقُ، والمُنْعَمُ عَلَيه، وأكْثرها قد جاءت في الحديث، فَيُضاف كُلّ واحِدٍ إلى ما يَقْتَضيه الحديثُ الوَارِدُ فيه، وكُلُّ مَن وَلِيَ أمْراً، أو قام به، فَهُو مَوْلاهُ وَوَلِيُّه، وقد تَخْتَلِف مَصادرُ هذه الأسْماء، فالوَلايَةُ بالفَتْح في النَّسَب، والنُّصْرة، والمُعْتِق، والوِلاَية بالكسْر في الإمَارة، والوَلاءُ المُعْتَق، والمُوَالاةُ مِن وَالَى القَوْمَ، منه الحديث: «مَن كُنْتُ مَوْلاه فَعَليٌّ مَوْلاه»[3]، يُحْمَل ... أي: من أحبّني وتولاني فَلْيَتَولَّه، وقال ابن الأعرابي: الوَلِيّ: التابع المُحِبّ»[4].

٧-قوله: «أهل بيته»: أقاربه الأدنون، وخصوصاً أزواجه، وتفسرها الرواية الأخرى: «لنفر من بني هاشم»، وكلمة أهل بشكل عام لها معانٍ عدة، إذا لم

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي، ٢/ ٤٥٤، مادة (غمم).

(٢) لسان العرب، ١٢/ ٦١٩، مادة (همم).

(٣) أخرجه أحمد، ٢/ ٧١، برقم ٦٤١، والحاكم، ٣/١١٩، وقال: «صحيح على شرط مسلم» والنسائي في الكبرى، كتاب المناقب، فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، رقم ٨١٤٥، وابن أبي شيبة، ٦/٣٧٤، برقم ٣٢١٣٢، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، ٤/٣٢٥، برقم ٢٣٥٧، وصححه لغيره محققو المسند، ٢/ ٧١، والألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٩٣٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٥/ ٢٢٧، مادة (ولي).

تكن مضافة إلى بيت الرجل، قال في النهاية: «فيه (الحديث النبوي): «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»[١]، أي: حفظة القرآن العاملون به، هم أولياء الله، والمختصون به اختصاص أهل الإنسان به»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-على المسلم الاهتمام بأهله، وأقاربه،، ومتبوعيه، كما اهتم النبي ﷺ بأهل بيته (بني هاشم)، فجمعهم ليقدّم لهم هذا الدعاء.

٢-حسن تعليم النبي ﷺ لأسماء رضي الله عنها حيث شوّقها بطرح هذا السؤال عليها، وهذا من أجمل أساليب التعليم.

٣-بركة العلم في العمل به، والدعوة إليه، حيث أن أسماء علمت ابنها عبد الله بن جعفر هذا الدعاء الذي رواه هو عنها.

٤-تضمّن هذا الدعاء إثبات الألوهية لله وحده، ونفي الشريك عنه عز وجل، وهما ركنا التوحيد.

* * *

(١) أخرجه أحمد، ٣٠٥/١٩ ، برقم ١٢٢٩٢، والنسائي في الكبرى، كتاب فضائل القرآن، أهل القرآن، برقم ٨٠٣١ ، وابن ماجه، المقدمة، كتاب فضل من تعلم القرآن وعلمه، برقم ٢١٥، والدارمي، ٥٢٥/٢، برقم ٣٣٢٦، والحاكم، ٧٤٣/١، قال المنذري في الترغيب والترهيب، ٢٣١/٢: «إسناده صحيح» وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٢١١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ١/ ١٨٣، مادة (أهل).

٣٦ – دُعَاءُ لِقَاءِ العَدُوِّ وذِي السُّلْطَانِ

١٢٦-(١) «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِم، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٢٩-عَنْ أَبِي موسى الأشعري ﷺ(٢)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا، قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ**»(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم**»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»(٤).

٢-قوله: «**إنا نجعلك في نحورهم**»: جمع نحر، وهي الحفرة التي تكون أسفل العنق، أي: أعلى الصدر، وخُصَّ النحر بالذكر؛ لأن العدو به يستقبل عند القتال، ومعنى: «**اللهم إنا نجعلك في نحورهم**» أي: في إزاء صدورهم؛ لتدفع عنا صدورهم، وتحول بيننا وبينهم، تقول: جعلت فلاناً في نحر العدو، إذا جعلته قبالته، وترساً يقاتل عنك، ويحول بينه وبينك... وخص

---

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا خاف قوماً، برقم ١٥٣٧، والإمام أحمد في المسند، ٣٢/ ٤٩٤، برقم ١٩٧٢٠، وابن حبان، ١١/ ٨٢، برقم ٤٧٦٥، والحاكم، ٢/ ١٤٢، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه محققو المسند، ٣٢/ ٤٩٥، ومحقق ابن حبان، ١١/ ٨٢، وصحح إسناده الألباني في صحيح أبي داود، ٥/ ٢٦٣، برقم ١٥٣٧.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ١٥٣٧، والحاكم، ٢/ ١٤٢، وصححه ووافقه الذهبي، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

النحر؛ لأنه أسرع، وأقوى، في الدفع، ٢-

٣-والتمكن من المدفوع، والعدو إنما يستقبل بنحره عند المناهضة للقتال، أو للتفاؤل بنحرهم أو قتلهم[١].

٤-قوله: «**ونعوذ بك**» أي: نلجأ إليك ونحتمي بك يا من له القدرة البالغة والإرادة النافذة، قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: « والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به، يقال: عاذ فلان بفلان، ... وأعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك، فإن ذلك سوء أتحاشى من تعاطيه»[٢].

٥-قوله: «**من شرورهم**»: أي: مما يمكرون لنا ليكيدونا به، وهذا شامل للشر الظاهر لنا، وغير الظاهر، أي: الذي في نياتهم، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾[٣]. «**ونعوذ بك من شرورهم**»، والمراد نسألك أن تصد صدورهم وتدفع شرورهم وتكفينا أمورهم وتحول بيننا وبينهم»[٤].

٦- قوله: «**كان إذا خاف قوماً**»: أي: شر قوم[٥].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الاعتصام بحبل الله وحده، مع تمام التوكل، والأخذ بالأسباب المشروعة من أعظم عوامل النصر، والتمكين.

٢-أهل الكفر والنفاق لا تهدأ نفوسهم إلا بالمكر بأهل التوحيد، ولكن

---

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ١٥٣.
(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ١٧، المفردة رقم ١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.
(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ١٥٣.
(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ١٥٣.

هيهات لهم، فنصرة الله لأهل الإيمان.

٣-تقرير بشرية الرسول محمد ﷺ لقول الراوي: «وكان إذا خاف» فهو يجري عليه ما يجري على البشر من الفرح، والحزن، والخوف، والاطمئنان، وغير ذلك: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾(١)، والمراد بالخوف هنا هو الخوف الفطري، كما يخاف الإنسان من: الأسد، أو الثعبان، أو المَلِكِ الظالم، ولا يراد به الخوف التعبدي؛ لأنه ﷺ ممتلئ قلبه خوفًا من ربه، ويشهد لهذا المعنى قول موسى وهارون: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾(٢)، يريدان: فرعون لعنه الله، وهذا من الخوف الفطري.

٤-قال الإمام الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «كيف يخاف النبي ﷺ وهو محفوظ من شر الإنس والجن بحفظ الله إياه ومؤيد بالملائكة؟ ثم قال: ويوجد لذلك ثلاثة أجوبة:

أ- أن هذه طبيعة بشرية.

ب- يجوز أن يكون الخوف على أصحابه.

جـ- هذا تعليم للأمة من بعده(٣).

***

١٢٧-(٢)«اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي، وَأَنْتَ نَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ»(٤).

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩٣.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٥.

(٣)انظر: العلم الهيب، ص ٣٤٦.

(٤) أبو داود،كتاب الجهاد، باب ما يُدعى عند اللقاء، برقم ٢٦٣٢، والترمذي، كتاب الدعوات، باب في الدعاء إذا غزا، برقم ٣٥٨٤، وأحمد، ٢٠/ ٢٥٠، برقم ١٢٩٠٩، وصححه محققو المسند، =

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٣٠-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ[١] قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا غَزَا قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي، وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ**»، هذا لفظ أبي داود[٢].

٤٣١-وروى النسائي، وأحمد، وابن حبان، عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ[٣]، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ أَيَّامَ حُنَيْنٍ بَعْدَ صَلاَةِ الْفَجْرِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُحَرِّكُ شَفَتَيْكَ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: «**إِنَّ نَبِيًّا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، ثُمَّ ذَكَرَ كَلِمَةً مَعْنَاهَا أَعْجَبَتْهُ كَثْرَةُ أُمَّتِهِ، فَقَالَ: لَنْ يَرُومَ هَؤُلاَءِ أَحَدٌ بِشَيْءٍ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ أَنَّ خَيِّرْ أُمَّتَكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلاَثٍ: أَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَيَسْتَبِيحَهُمْ، وَإِمَّا أَنْ**

=

٢٠/٢٥٠، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/١٨٣ .

(١) تقدمت ترجمته في الحديث ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٢) أبو داود، برقم ٢٦٣٢، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/١٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) صهيب بن سنان بن مالك من النمر بن قاسط، أبو يحيى، وهو الرومي، قيل له ذلك لأن الروم سبوه صغيراً، قال ابن سعد: وكان أبوه وعمه على الأبلة من جهة كسرى، وكانت منازلهم على دجلة من جهة الموصل، فنشأ صهيب بالروم فصار ألكن، ثم اشتراه رجل من كلب فباعه بمكة، فاشتراه عبد الله بن جدعان التيمي فأعتقه، أسلم هو وعمار، ورسول الله ﷺ في دار الأرقم، وكان من المستضعفين ممن يعذب في الله، وهاجر إلى المدينة مع علي بن أبي طالب في آخر من هاجر في تلك السنة، وشهد بدراً والمشاهد بعدها، ويقال: إنه لما هاجر تبعه نفر من المشركين، فسئل فقال: يا معشر قريش إني من أرماكم، ولا تصلون إلي حتى أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي، فإن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه، فرضوا فعاهدهم ودلهم، فرجعوا فأخذوا ماله، فلما جاء إلى النبي ﷺ قال له: «ربح البيع» وروى ابن عيينة في تفسيره، وابن سعد عن مجاهد أول من أظهر إسلامه سبعة، فذكره فيهم، وروى ابن سعد من طريق عمر بن الحكم قال: كان عمار بن ياسر يعذب حتى لا يدري ما يقول، وكذا صهيب، وأبو فائد، وعامر بن فهيرة وقوم، ولما مات عمر أوصى أن يصلي عليه صهيب، وأن يصلي بالناس إلى أن يجتمع المسلمون على إمام، رواه البخاري في تاريخه، مات صهيب في شوال سنة ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، ٢/ ٧٢٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ٣/ ٤٤٩.

أُسَلِّطَ عَلَيْهِمُ الْجُوعَ، وَإِمَّا أَنْ أُرْسِلَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ؟ فَقَالُوا: أَمَّا الْجُوعُ وَالْعَدُوُّ، فَلاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِمَا، وَلَكِنَّ الْمَوْتَ، فَأُرْسِلَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتُ، فَمَاتَ مِنْهُمْ فِي لَيْلَةٍ سَبْعُونَ أَلْفًا، فَأَنَا أَقُولُ: اللَّهُمَّ بِكَ أُحَاوِلُ، وَبِكَ أُصَاوِلُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ»[(١)].

٤٣٢-وفي لفظ آخر لابن حبان: عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ أَيَّامَ خَيْبَرَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ بِشَيْءٍ بَعْدَ صَلاَةِ الْفَجْرِ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُحَرِّكُ شَفَتَيْكَ بِشَيْءٍ مَا كُنْتَ تَفْعَلُهُ، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُ؟ قَالَ ﷺ: أَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِكَ أُحَاوِلُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ، وَبِكَ أُصَاوِلُ»[(٢)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم**»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ »[(٣)].

٢- قوله: «**أنت عضدي**» أي: معتمدي فلا أعتمد على غيرك[(٤)] والعضد هو الناصر المعين.

٣-قوله: «**وأنت نصيري**» أي: ناصري على أعدائي ميسر لي الغلبة عليهم.

٤-قوله: «**بك أحول**» أي: أصرف بعونك كيد العدو وأحتال لدفع مكرهم فلا حول ولا قوة لأحد إلا بك. وفي رواية: «بك أحاول» قال ابن الجوزي: «قوله:

---

(١) السنن الكبرى للنسائي، ٥/ ١٨٨، برقم ٨٦٣٢، وأحمد، ٣١/ ٢٦٢، برقم ١٨٩٣٨، وابن حبان، ١١/ ٧٢، برقم ٤٧٥٨، وصححه محققو المسند، ٣١/ ٢٦٣، ومحقق ابن حبان، ١١/ ٧٢، والألباني في التعليقات الحسان، ٢٥/ ٤٣٥، برقم ٤٧٣٨.

(٢) صحيح ابن حبان، ٥/ ٣٧٤، برقم ٢٠٢٧، وصححه محققو المسند، ٣١/ ٢٦٣، ومحقق ابن حبان، ١١/ ٧٢، والألباني في التعليقات الحسان، ٢٥/ ٤٣٥، برقم ٤٧٣٨، وصححه محقق ابن حبان، والألباني في التعليقات الحسان، ٦/ ١٤٧٢، برقم ٢٠٢٥.

(٣) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

(٤) قال في القاموس هي بالفتح وبالكسر وبالضم..

«بك أُحَاوِلُ» أي: أُطَالِبُ، وَبِكَ أَحُولُ أي: أَتَحَرَّكُ، ولا حَوْلَ أي: لا حَرَكَةَ»[1].

٥-قوله: «وبك أصول» أي: أحمل على العدو حتى أغلبه وأستأصله[2].

٦-قوله: «وبك أقاتل» أي: أعداء الملة الذين يصدون عن سبيلك، قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «فالكل من الأفعال [أي: أحاول، وأصول، وأجول، وأقاتل]: مستعان فيه تعالى فهو الأمر بقتال العدو ومنه تطلب الإعانة على قتاله»[3].

٧- قوله: «يروم هؤلاء»: يطلبون، فالروم من «رَامَ الشيءَ يَرومُهُ رَوْماً ومَراماً: طَلَبَهُ، ... والمَرامُ المَطْلَبُ... رَوَّمْتُ فُلَانًا ورَوَّمْتُ بِفُلَانٍ إِذا جَعَلْتَهُ يَطْلُبُ الشَّيْءَ»[4].

٨-قوله: «أيام حنين»: وقت وزمان حنين، وهي المعركة التي حدثت بعد فتح مكة، وقد ذكرها القرآن الكريم، وفي رواية: «أيام خيبر»، وهي الغزوة التي فتح الله بها على نبيه مدينة خيبر، «... قَدْ يُرادُ بِالْيَوْمِ الوقتُ مُطْلَقًا؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «تِلْكَ أَيَّامُ الهَرْجِ» أَي: وقتُه، وَلَا يَخْتَصُّ بالنهارِ دُونَ اللَّيْلِ، واليَوْمُ الأَيْوَمُ: آخرُ يَوْمٍ فِي الشَّهْرِ. ويَوْمٌ أَيْوَمُ ويَوِمٌ ووَوِمٌ؛ الأَخيرة نَادِرَةٌ لأَن الْقِيَاسَ لَا يوجبُ قَلْبَ الياءِ وَاوًا، كلُّه: طويلٌ شديدٌ هائلٌ. ويومٌ ذُو أَيَاوِيمَ»[5].

٩-قوله: «فيستبيحهم»: يجعل أموالهم ونساءهم حلالاً، فَيَسْبِيهم، ويَنْهَبَهم، ويَجْعلَهم له مُباحاً، أي: لا تَبِعةَ عليه فيهم، يقال: أَبَاحَه يُبِيحُه واسْتَبَاحَه يَسْتَبِيحه[6].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-النصير الحقيقي هو رب العالمين، فالواجب على أهل القبلة أن لا

(١) غريب الحديث لابن الجوزي، ١/ ٢٥٤.
(٢) انظر عون المعبود، ٤/ ١٦٣ .
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٤٢٦.
(٤) لسان العرب، ١٢/ ٢٥٨، مادة (روم).
(٥) لسان العرب، ١٢/ ٦٥٠، مادة (يوم).
(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ١/ ١٦٠، مادة (بوح).

تتعلق قلوبهم بغير الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾[(١)].

٢-بيان شجاعة الرسول ﷺ حيث كان يباشر القتال بنفسه، ويعرضها للمهالك، كما حدث يوم أحد، وقد كان الصحابة إذا اشتد البأس يحتمون في ظهر النبي ﷺ[(٢)].

٣-كان النبي ﷺ أشجع الناس يقول أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة في عنقه السيف، وهو يقول: «**لم تراعوا، لم تراعوا**» قال أنس: وجدناه بحرًا، أو إنه لبحر[(٣)].

ومعنى «بحرًا»: أي: سريع العدو، ولا تراعوا أي: اطمئنوا.

قال النووي وفيه: بيان شجاعته ﷺ في الخروج للعدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس، وبيان معجزته بانقلاب الفرس سريعًا بعد أن كان يبطأ وغير ذلك[(٤)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٠.

(٢) مختصر الشمائل المحمدية للألباني، وقال: إنه صحيح، لم أجد هذا الحديث في الموضع الذي أشار إليه الشارح، ولكن ما في المتن يؤيده ما ورد في صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، برقم ١٧٧٦: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْبَرَاءِ رضي الله عنه، فَقَالَ: أَكُنْتُمْ وَلَّيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ يَا أَبَا عُمَارَةَ؟ فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ مَا وَلَّى، وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخِفَّاءُ مِنَ النَّاسِ، وَحُسَّرٌ إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ هَوَازِنَ، وَهُمْ قَوْمٌ رُمَاةٌ، فَرَمَوْهُمْ بِرِشْقٍ مِنْ نَبْلٍ، كَأَنَّهَا رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ، فَانْكَشَفُوا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَقُودُ بِهِ بَغْلَتَهُ، فَنَزَلَ، وَدَعَا، وَاسْتَنْصَرَ، وَهُوَ يَقُولُ:

أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ ... أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ

قَالَ الْبَرَاءُ: كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ، يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ.

(٣) مسلم، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي ﷺ، وتقدمه للحرب، برقم ٢٣٠٧.

(٤) انظر مسلم بشرح النووي، ١٥/ ٦٨، فهناك فوائد أخر.

***

١٢٨-(٣) «حَسْبُنا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيل»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٣٣-عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما(٢): «﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾(٣)»(٤).

٤٣٤-وفي لفظ آخر للبخاري: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»(٥).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**حسبنا الله**» أي: هو كافينا، وناصرنا، ومتولي أمورنا، قال في النهاية: «في أسماء الله تعالى: «الحَسِيب» هو الكافي، فعِيل بمعنى مُفْعِل، من أحْسَبَني الشيءُ: إذا كَفاني، وأحْسَبْتُهُ، وحَسَّبْتُه -بالتّشْديد- أعْطَيْتَه ما يُرْضِيه، حتى يقول حَسْبني»(٦)، وقال شيخ الإسلام في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

---

(١) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾، برقم ٤٥٦٣، وهو حديث موقوف، لم يرفع إلى النبي ﷺ، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى، ٨/ ٥٣٩: «وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَن «ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِهِ: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ أَنَّهُ قَالَهَا: إبْرَاهِيمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالَ لَهُ النَّاسُ: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾».

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٤) البخاري، برقم ٤٥٦٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾برقم ٤٥٦٤.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٨١، مادة (حسب).

النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]: «وَمَعْنَى ذَلِكَ عِنْدَ جَمَاهِيرِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ أَنَّ، اللَّهَ وَحْدَهُ حَسْبُك، وَحَسْبُ مَنِ اتَّبَعَك مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا بُسِطَ ذَلِكَ بِالْأَدِلَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الرُّسُلَ عليهم الصلاة والسلام هُمْ الْوَسَائِطُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ فِي أَمْرِهِ، وَنَهْيِهِ، وَوَعْدِهِ، وَوَعِيدِهِ، فَالْحَلَالُ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، **وَالدِّينُ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**»[٢].

وقال الفيومي: (حَسِبْتُ) زيداً قائماً (أَحْسَبُهُ) (حِسْبَانًا) بالكسر بمعنى ظننت، ويقال: (حَسْبُكَ) درهم، أي كافيك، و(أَحْسَبَنِي) الشيء بالألف أي كفاني، و(الحَسَبُ) بفتحتين ما يعدّ من المآثر، وهو مصدر (حَسُبَ) وزان شرُف شرفاً، وكرُم كرماً، ورجل (حَسِيبٌ) كريم بنفسه، وأما المجد والشرف فلا يوصف بهما الشخص إلا إذا كانا فيه، وفي آبائه، وقال الأزهري (الحَسَبُ) الشرف الثابت له ولآبائه، (فَالحَسَبُ) الفعال له ولآبائه مأخوذ من الحساب، وهو عَدُّ المناقب لأنهم كانوا إذا تفاخروا حسب كلّ واحد مناقبه و مناقب آبائه[٣].

وقال الإمام الطبري: «وأصل «الحسيب» في هذا الموضع عندي، «فعيل» من «الحساب» الذي هو في معنى الإحصاء، يقال منه: «حاسبت فلانًا على كذا وكذا»، و«فلان حاسِبُه على كذا»، و«هو حسيبه»»، وذلك إذا كان صاحبَ حِسابه.

وقد زعم بعض أهل البصرة من أهل اللغة: أن معنى «الحسيب» في هذا الموضع، الكافي، يقال منه: «أحسبني الشيء يُحسبني إحسابًا»، بمعنى كفاني، من قولهم: «حسبي كذا وكذا، وهذا غلط من القول وخطأ. وذلك أنه لا يقال في «أحسبني الشيء»»[٤]، وقال شيخ الإسلام: «أَيْ اللَّهُ وَحْدَهُ حَسْبُك، وَحَسْبُ

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.
(٢) تفسير الطبري، ٨/ ٥٩١.
(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١ / ١٣٤، مادة (حسب).
(٤) المرجع السابق.

الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اتَّبَعُوك، وَمَنْ قَالَ: إنَّ اللَّهَ وَالْمُؤْمِنِينَ حَسْبُك، فَقَدْ ضَلَّ، بَلْ قَوْلُهُ مِنْ جِنْسِ الْكَفَرَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ حَسْبُ كُلِّ مُؤْمِنٍ بِهِ، والحسب الْكَافِي»[١].

٢-قوله: «**ونِعْمَ**»: كلمة مدح وثناء. قال الفيروزأبادي: «ونعم الله تعالى بك، كسمع، ونعمك وأنعم بك عيناً: أقرّ بك عين من تحبه، أو أقر عينك بمن تحبه، ونعم عين، ونعمة ونعام ونعيم بفتحهن، ونعمى ونعامى ونعام ونعم ونعمة بضمهن، ونعمة ونعام بكسرهما، وينصب الكل بإضمار الفعل، أي : أفعل ذلك إنعاماً لعينك، وإكراماً»[٢].

٣- قوله: «**الوكيل**»: أي: المُفوض إليه تدبير عباده والقائم بمصالحهم[٣].

وقال شيخ الإسلام: «ونهى أن يتخذ من دونه وكيلاً؛ لأن المخلوق لا يستقل بجميع حاجات العبد، والوكالة الجائزة أن يوكل الإنسان في فعل يقدر عليه، فيحصل للموكل بذلك بعض مطلوبه، فأما مطالبه كلها، فلا يقدر عليها إلا الله، وذلك الذي يوكله لا يفعل شيئاً إلا بمشيئة الله ﷻ وقدرته، فليس له أن يتوكل عليه، وإن وكله بل يعتمد على الله في تيسير ما وكله فيه، فلو كان الذي يحصل للمتوكل على الله يحصل، وإن توكل على غيره، أو يحصل بلا توكل؛ لكان اتخاذ بعض المخلوقين وكيلاً أنفع من اتخاذ الخالق وكيلاً، وهذا من أقبح لوازم هذا القول الفاسد، قال الله تعالى: ﴿**يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين**﴾[٤]، أي: الله كافيك، وكافي من اتبعك من المؤمنين، فلو كانت كفايته للمؤمنين المتبعين للرسول؛ سواء اتبعوه أو لم يتبعوه، لم يكن للإيمان، واتباع الرسول، ثم أثر في هذه الكفاية، ولا كان

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٢٦/ ١٥٨.
(٢) القاموس المحيط، ص: ١٥٠١، مادة (نعم).
(٣) تفسير السعدي، ص ١٥٧.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

لتخصصهم بذلك معنى، وكان هذا نظير أن يقال: هو خالقك وخالق من اتبعك من المؤمنين، ومعلوم أن المراد خلاف ذلك»[١].

٤-قوله: «**قالها إبراهيم، وقالها محمد**»: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام هما خليلان لله عَزَّ وَجَلَّ، قال الله ﴿**وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا**﴾[٢]، وقال النبي ﷺ: «**إن الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً**»[٣]، والخليل معناه الحبيب الذي بلغت محبته الغاية، ولا نعلم أن أحداً وصف بهذا الوصف، إلا محمد ﷺ، وإبراهيم، فهما الخليلان، ... لكن الخلة لا نعلم أنها ثبتت إلا لمحمد وإبراهيم، وعلى هذا فنقول: الصواب أن يقال: إبراهيم خليل الله، ومحمد خليل الله، وموسى كليم الله، على أن محمداً قد كلمه الله تَعَالَى بدون واسطة»[٤].

٥-قوله: «**قالها إبراهيم حينما ألقي في النار**» وذلك أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأبوا وأصروا على الكفر والشرك، فقام ذات يوم على أصنامهم، فكسرها، وجعلهم جذاذاً إلا كبير لهم، فلما رجعوا وجدوا آلهتهم قد كسرت، فانتقموا، والعياذ بالله، لأنفسهم، فقالوا: ماذا نصنع بإبراهيم؟ ﴿**قَالُوا حَرِّقُوهُ**﴾ انتصاراً لآلهتهم ﴿**وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**﴾[٥]، فأوقدوا ناراً عظيمة جداً، ثم رموا إبراهيم في هذه النار، ويقال: إنهم لعظم النار لم يتمكنوا من القرب منها، وأنهم

---

(١) رسالة في تحقيق التوكل، ص: ٨٩.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٥.
(٣) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، برقم ٥٣٢.
(٤) شرح رياض الصالحين، لابن العثيمين، شرح الحديث رقم ٧٦.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٦٨.

رموا إبراهيم فيها بالمنجنيق من بعد، فلما رموه قال: ﴿**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾[(١)]، فما الذي حدث؟ قال الله تعالى: ﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾[(٢)]، برداً ضد حر، وسلاماً ضد هلاك؛ لأن النار حارة ومحرقة مهلكة، فأمر الله هذه النار أن تكون برداً وسلاماً عليه، فكانت برداً وسلاماً»[(٣)].

أما الخليل الثاني الذي قال: ﴿**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾[(٤)]، فهو النبي ﷺ وأصحابه حين رجعوا من أحد، قيل لهم: إن الناس قد جمعوا لكم، يريدون أن يأتوا إلى المدينة، ويقضوا عليكم، فقالوا: ﴿**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾[(٥)]، قال الله: ﴿**فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**﴾[(٦)]، فينبغي لكل إنسان رأى من الناس جمعاً، أو عدواناً، عليه أن يقول: ﴿**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾، فإذا قال هكذا كفاه الله شرهم، كما كفى إبراهيم ومحمداً عليهما الصلاة والسلام، فاجعل هذه الكلمة دائماً على بالك، إذا رأيت من الناس عدواناً عليك، والله الموفق»[(٧)].

ثالثا: ما يستفاد من الحديث:

١-الابتلاء سنة كونية وهو طريق التمكين، قال الشافعي: لا يُمَكَّنُ الرجل حتى يبتلى وقد تكرر للأنبياء جميعًا عليهم السلام.

٢-شدة بلاء أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ لما فارق قومه وتبرأ مما يعبدون من دون

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.
(٣) شرح رياض الصالحين، لابن العثيمين، شرح الحديث رقم ٧٦.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٧٤.
(٧) شرح رياض الصالحين، لابن العثيمين، شرح الحديث رقم ٧٦.

الله وإظهار كرامته عند ربه لما ألقاه قومه في النار فكانت بردًا وسلامًا.

٣-تمام اليقين في نصر الله وتأيده عند سيد الخلق ومن كان معه من الصحابة الكرام لما حدث لهم ما حدث في غزوة أحد، ثم عادوا إلى المدينة وخوفهم الناس من أبي سفيان ومَنْ معه، فندبهم إلى الخروج إلى «حمراء الأسد» فخرجوا – على ما بهم من الجراح – فلم يزدهم ذلك إلا إيمانًا وتوكلًا على الله(١).

قال شيخ الإسلام: «فَهَذِهِ الزِّيَادَةُ عِنْدَ تَخْوِيفِهِمْ بِالْعَدُوِّ لَمْ تَكُنْ عِنْدَ آيَةٍ نَزَلَتْ فَازْدَادُوا يَقِينًا وَتَوَكُّلًا عَلَى اللهِ وَثَبَاتًا عَلَى الْجِهَادِ وَتَوْحِيدًا بِأَنْ لَا يَخَافُوا الْمَخْلُوقَ ؛ بَلْ يَخَافُونَ الْخَالِقَ وَحْدَهُ»(٢).

٤-وقال أيضاً: «يَتَضَمَّنُ الْأَمْرَ بِالرِّضَا وَالتَّوَكُّلِ، وَالرِّضَا وَالتَّوَكُّلُ يَكْتَنِفَانِ الْمَقْدُورَ، فَالتَّوَكُّلُ قَبْلَ وُقُوعِهِ، وَالرِّضَا بَعْدَ وُقُوعِهِ؛ وَلِهَذَا «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي الصَّلَاةِ: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِك الْغَيْبَ، وَبِقُدْرَتِك عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُك خَشْيَتَك فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُك كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَأَسْأَلُك الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُك نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُك قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُك الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُك بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ وَأَسْأَلُك لَذَّةَ النَّظَرِ إلَى وَجْهِك، وَأَسْأَلُك الشَّوْقَ إلَى لِقَائِك مِنْ غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زينا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ**» رَوَاهُ أَحْمَد، وَالنَّسَائِي مِنْ حَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ(٣)»(١).

---

(١) شرح رياض الصالحين، لابن العثيمين: شرح الحديث رقم ٧٦.

(٢) مجموع الفتاوى، ٧/ ٢٢٨.

(٣) النسائي، برقم ١٣٠٤، وأحمد، برقم، ١٨٣٢٥، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/٢٨١، وتقدم =

٥-قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: والتوكل أقسام:

أ-توكل اختيار: ويكون ذلك مع وجود السبب المفضي-إلى المراد، فإن كان السبب مأمورًا به ذم على تركه وإن قام بالسبب وترك التوكل ذم على ذلك أيضًا.

ب-توكل إجبار: بحيث لا يجد العبد ملجأ إلا التوكل بعد أن ضاقت عليه الأسباب، وهذا لا يتخلف عنه الفرج والتيسير البتة.

ج- أما أعظم التوكل: هو التوكل على الله في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول ﷺ وجهاد أهل الباطل فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم. وهذا يكون بالقلب أولًا ثم باللسان(٢).

د- «فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أُمِرَ بِهِ لَمْ يَكُنْ مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ فَيَكُونُ قَدْ تَرَكَ الْعِبَادَةَ وَالِاسْتِعَانَةَ عَلَيْهَا بِتَرْكِ التَّوَكُّلِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَيْضًا وَآخَرُ يَتَوَكَّلُ بِلاَ فِعْلٍ مَأْمُورٍ وَهَذَا هُوَ الْعَجْزُ الْمَذْمُومُ»(٣).

هـ - «فَنَهَى الْمُؤْمِنِينَ عَنْ خَوْفِ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ وَأَمَرَهُمْ بِخَوْفِهِ وَخَوْفُهُ يُوجِبُ فِعْلَ مَا أَمَرَ بِهِ وَتَرْكَ مَا نَهَى عَنْهُ وَالِاسْتِغْفَارَ مِنْ الذُّنُوبِ وَحِينَئِذٍ يَنْدَفِعُ الْبَلَاءُ وَيَنْتَصِرُ عَلَى الْأَعْدَاءِ فَلِهَذَا قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه لَا يَخَافَنَّ عَبْدٌ إلَّا ذَنْبَهُ . وَإِنْ سُلِّطَ عَلَيْهِ مَخْلُوقٌ فَمَا سُلِّطَ عَلَيْهِ إلَّا بِذُنُوبِهِ فَلْيَخَفْ اللَّهَ وَلْيَتُبْ مِنْ ذُنُوبِهِ الَّتِي

=
تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٦٢.
(١) مجموع الفتاوى، ١٠/ ٣٧.
(٢)انظر: الفوائد، لابن القيم، ص ٨٦.
(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٨/ ١٧٧.

نَالَهُ بِهَا مَا نَالَهُ[١].

٦-في هذا الحديث لفظ «الحسيب»، وله معنيان:

أ- الكافي أي: كافي المتوكلين عليه.

ب- المحاسب أي: المجازي عباده على ما فعلوه من خير أو شر[٢].

وأن من أسماء الله الحسنى كذلك: «الوكيل»، وله معانٍ ثلاثة:

أ- الكفيل: لقوله: ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾[٣] أي: كفيلًا بما وعدك.

ب- الكافي: لقوله: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾[٤]، يقال: ربًّا ويقال: كافيًا.

جـ- الحفيظ: لقوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[٥].

أي: أن الله على كل ما خلق من شيء رقيب حفيظ[٦].

قال القرطبي رحمه الله: فيجب على كل مؤمن أن يعلم أن كل ما لابد له منه فالله سبحانه وتعالى هو الوكيل والكفيل المتوكل بإيصاله إلى العبد، إما بنفسه، فيخلق له الشبع والري، كما يخلق الهداية في القلوب، أو بواسطة ملك أو غيره يوكل به[٧].

٧-«حَسْبُنَا اللَّهُ أَيْ: كَافِينَا اللَّهُ فِي دَفْعِ الْبَلَاءِ وَأُولَئِكَ أُمِرُوا أَنْ يَقُولُوا: حَسْبُنَا فِي جَلْبِ النَّعْمَاءِ فَهُوَ سُبْحَانَهُ كَافٍ عَبْدَهُ فِي إِزَالَةِ الشَّرِّ وَفِي إِنَالَةِ الْخَيْرِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ

---

(١) المرجع السابق، ٨/ ١٦٤.
(٢) تفسير السعدي، ص ٨٧٨.
(٣) سورة المزمل، الآية: ٩.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٦٢.
(٦)انظر: النهج الأسمى للنجدي ١٢/ ٢٧.
(٧) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، ١/ ٥٠٧، وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، ٨/ ١٦٤.

عَبْدَهُ وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ وَرَجَاهُ خُذِلَ مِنْ جِهَتِهِ وَحُرِمَ»[(١)].

٨-ما ذكره بعض أهل التفسير أن إبراهيم لما ألقي في النار موثقًا جاءه جبريل عليه السلام، فقال يا إبراهيم: أما لك حاجة؟ قال: أما منك فلا. قال جبريل: فسل ربك. قال إبراهيم: علمه بحالي يغنيه عن سؤالي، وهذا لا يصحّ، وقد قال الألباني: لا أصل له، وهو من الإسرائيليات، قال ابن تيمية: موضوع، وإلا فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أشد الناس دعاءً لله في السراء فكيف بالضراء[(٢)].

❋ ❋ ❋

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٨/ ١٦٥.
(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة، ص ٢١.

٣٧ — دُعَاءُ مَنْ خَافَ ظُلْمَ السُّلْطَانِ

١٢٩-(١) «اللَّهُمَّ ربَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَربَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، كُنْ لِي جَاراً مِنْ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ، وَأَحْزَابِهِ مِنْ خَلاَئِقِكَ، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ يَطْغَى، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ»[1].

الشــرح:

أولاً: لفظ الأثر:

٤٣٥-قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه[2]: «إِذَا كَانَ عَلَى أَحَدِكُمْ إِمَامٌ يَخَافُ تَغَطْرُسَهُ، أَوْ ظُلْمَهُ، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ، وَأَحْزَابِهِ مِنْ خَلاَئِقِكَ، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُم، أَوْ يَطْغَى، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلا إِلَهَ إِلا أَنْتَ»[3].

٤٣٦-ولفظ محمد بن فضيل: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[4]: «إذا كان

---

(١) البخاري في الأدب المفرد، ص ٢٤٧، برقم ٧٠٧، والدعاء لمحمد بن فضيل الضبي، ص ٤٣، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٢٥٧، برقم ٥٤٨، وقال في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٦٧: «وهذا الموقوف يحتمل أن يكون في حكم المرفوع» وقال البيهقي في الدعوات الكبير، ٢/ ٦٢: «عن ابن مسعود عنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا تَخَوَّفَ الرَّجُلُ السلطان، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ -يُسَمِّي الَّذِي يُرِيدُ- وَشَرِّ الْجِنِّ وَالإِنْسِ، وَإِخْوَانِهِمْ، وَأَتْبَاعِهِمْ، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ، أَوْ يَطْغَى، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ»» ورواه الحارث بن سويد عن عبد الله بن مسعود من قوله غير مرفوع» وأشار النووي في الأذكار إلى رواية ابن السني فقال: «روينا في كتاب ابن السني، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا خِفْتَ سُلْطَاناً أَوْ غَيْرَهُ، فَقُلْ: لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ الحَلِيمُ الحَكِيمُ، سُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبِّ العَرْشِ العَظِيمِ، لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ، عَزَّ جارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ»».

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث ١٢ من أحاديث الشرح.

(٣) الأدب المفرد، ص ٢٤٧، برقم ٧٠٧، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ٥٤٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث ١٢ من أحاديث الشرح.

على أحدكم إمام يخاف تغطرسه، وظلمه، فليتوضأ، وليصلِّ ركعتين، ثم ليقل في دبر صلاته: «**اللهمَّ ربّ السموات السبع، ورب العرش العظيم، كن لي جاراً من فلان بن فلان، وأحزابه من الجن والإنس، أن يفرطوا علي، وأن يطغوا، عزّ جارك، وجلّ ثناؤك، ولا إله إلا أنت**»[1].

٤٣٧-ولفظ الطبراني: عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِذَا تَخَوَّفَ أَحَدُكُمُ السُّلْطَانَ، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ فُلانِ بن فُلانٍ يَعْنِي الَّذِي يُرِيدُ، وَشَرِّ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَأَتْبَاعِهِمْ، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ**»[2].

ثانياً: شرح مفردات الأثر:

١-قوله: «**اللَّهم**»: «بِمَعْنَى: يَا أَللهُ ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»[3].

٢-قوله: «**اللَّهم رب السموات السبع**» أي: وما فيهن من الملائكة، وغير ذلك من الجنود والخلائق التي لا يعلمها إلا أنت. قال ابن جرير رحمه الله: «إن ربكم الذي له عبادة كل شيء، ولا تنبغي العبادة إلا له، هو الذي خلق السموات السبع، والأرضين السبع في ستة أيام، وانفرد بخلقهما بغير شريك، ولا ظهير»[4].

٣-قوله: «**ورب العرش العظيم**»: صفة للعرش، وهو ﷻ ربٌّ لما دونه من

---

(١) الدعاء، لابن فضيل، ١/ ٤٤، وبنحوه ابن أبي شيبة، ٧/ ٢٤، هكذا روي بهذا اللفظ موقوفاً، وصحح الألباني هذه الرواية الموقوفة في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٦٧.

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ١٠/ ١٥، برقم ٩٧٩٥، وصححه المنذري في الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٦٧، برقم ٣٣٨٤، وقواه الهيثمي في مجمع الزوائد، ٤/ ٤٣٤، وقد ضعفه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، ٥/ ٤٢١، وقال: «قال الحافظ ابن حجر في بذل الماعون، ق ٤٠/١ : «سنده حسن».

(٣) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

(٤) تفسير الطبري، ١٥/ ١٨، وتقدم في في شرح مفردات حديث المتن رقم ١٠٧، المفردة رقم ٢.

المخلوقات، قال ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[(١)]: «الذي يملك كلَّ ما دونه، والملوك كلهم مماليكه وعبيده، وإنما عنى بوصفه جل ثناؤه نفسه بأنه «رب العرش العظيم»، الخبرَ عن جميع ما دونه أنهم عبيده، وفي ملكه وسلطانه؛ لأن «العرش العظيم»، إنما يكون للملوك، فوصف نفسه بأنه «ذو العرش» دون سائر خلقه، وأنه الملك العظيم دون غيره، وأن من دونه في سلطانه، وملكه، جارٍ عليه حكمه وقضاؤه»[(٢)].

٤-قوله: «**كن لي جارًا**» أي: حاميًا وناصرًا، وفي اللسان: «وأَجارَ الرجلَ إِجَارَةً وجَارَةً؛ الأَخيرة عَنْ كُرَاعٍ: خَفَرَهُ. واسْتَجَارَهُ: سأَله أَن يُجِيرَهُ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾[(٣)]، قَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى إِن طَلَبَ مِنْكَ أَحد مِنْ أَهل الْحَرْبِ أَن تُجِيرَهُ مِنَ الْقَتْلِ إِلى أَن يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ، فأَجِرْهُ، أَي أَمِّنْه، وَعَرِّفْهُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَن يَعْرِفَهُ مِنْ أَمر اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي يَتَبَيَّنُ بِهِ الإِسلام، ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ لِئَلَّا يُصَابَ بِسُوءٍ قَبْلَ انْتِهَائِهِ إِلى مأْمنه. وَيُقَالُ لِلَّذِي يَسْتَجِيرُ بِكَ: جارٌ، وَلِلَّذِي يُجِيرُ: جَارٌ. وَالْجَارُ: الَّذِي أَجرته مِنْ أَن يَظْلِمَهُ ظَالِمٌ ... وجارُكَ: المستجيرُ بِكَ. وَهُمْ جارَةٌ مِنْ ذلك الأَمر»[(٤)].

وقال الراغب: «يقال: استجرته فأجارني»[(٥)].

٥-قوله: «**من فلان بن فلان**» أي: يسمي هذا الظالم باسمه واسم أبيه، قال ابن الأثير: «وفُلان وفلانة: كناية عن الذَّكَر والأنثى من الناس، فإن كَنَيْت

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٩.
(٢) تفسير الطبري، ١٤/ ٥٨٧.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٦.
(٤) لسان العرب، ٤/ ١٥٤، مادة (جور).
(٥) المفردات في غريب القرآن، ص ١٠٣، مادة (جور).

بهما عن غير الناس قلت: الْفُلان والفُلانة»[١].

٦-قوله: «**وأحزابه**» أي: أعوانه وأنصاره، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأحزاب: جمع حزب، وهم الذين يجتمعون من طوائف متفرقة، يتعاضدون على شيء»[٢].

٧-قوله: «**من خلائقك**» أي: من خلقك: جنهم، وإنسهم، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخَلْق والخليقة: اسمان بمعنى: وهم الخلائق كلهم، وقيل: الخلق: الناس، والخليقة: الدواب والبهائم»[٣].

٨-قوله: «**أن يفرط علي أحد منهم**» أي: يعجل العقوبة ضربًا، أو حبسًا، أو قتلًا، وهذا كقوله عَزَّ وَجَلَّ في قصة فرعون مع موسى وهارون عليهما السلام: ﴿**قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى**﴾[٤].

٩-قوله: «**أو يطغى**»: الطغيان هو مجاوزة الحد وهذا كقوله: ﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ**﴾[٥] أي: زاد الماء عن حده، والمراد هو دعاء الله أن يجنب قائل هذا الدعاء أي إساءة قولية أو فعلية، قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير (طغى): «أي: تمرّد، وزاد على الحد في الكفر، والفساد، والعلو في الأرض، والقهر»[٦].

١٠-قوله: «**عز جارك**» أي: أن من كان في جوارك لا يقدر أحد عليه فهو عزيز بعزتك، وفي اللسان: «الجارُ، والمُجِيرُ، والمُعِيذُ واحدٌ، وَمَنْ عَاذَ بِاللَّهِ، أَي اسْتَجَارَ بِهِ أَجاره اللَّهُ، وَمَنْ أَجاره اللَّهُ لَمْ يُوصَلْ إِليه، وَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُجِيرُ، وَلَا

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٧٣، مادة (فلل).
(٢) جامع الأصول، ٢/ ٥٦٩.
(٣) جامع الأصول، ١٠/ ٩١.
(٤) سورة طه، الآية: ٤٥.
(٥) سورة الحاقة، الآية: ١١.
(٦) تفسير السعدي، ص ٥٠٤.

يُجَارُ عَلَيْهِ، أَي: يُعِيذُ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾[(١)]؛ أَي: لَنْ يَمْنَعَنِي مِنَ اللَّهِ أَحد، والجارُ والمُجِيرُ: هُوَ الَّذِي يَمْنَعُكَ ويُجْيرُك، واستْجَارَهُ مِنْ فُلَانٍ فَأَجَارَهُ مِنْهُ، وأَجارَهُ اللَّهُ مِنَ الْعَذَابِ: أَنقذه، وَفِي الْحَدِيثِ: «ويُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدناهم»[(٢)]؛ أَي: إِذا أَجار واحدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: حُرٌّ، أَو عَبْدٌ، أَو امرأَة وَاحِدًا، أَو جَمَاعَةً مِنَ الْكُفَّارِ، وخَفَرَهُمْ، وأَمَّنهم، جَازَ ذَلِكَ عَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، لَا يُنْقَضُ عَلَيْهِ جِوارُه وأَمانُه»[(٣)].

«ولما استعظم حق الجار عقلاً وشرعاً، عبّر عن كل من يعظم حقه، أو يستعظم حق غيره بالجار ... ويقال استجرته فأجارني، ... وقد تصور من الجار معنى القرب، فقيل لمن يقرب من غيره: جاره، وجاوره»[(٤)].

١١-قوله: «وجل ثناؤك» أي: تكاثر وتعاظم وتبارك الثناء عليك فأنت أهل لذلك مستحق له دون منازع، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «اللَّهُ الجَليلُ سُبْحَانَهُ، ذُو الجَلال والإِكرام، جَلَّ جَلال اللَّهِ، وجَلالُ اللَّهِ: عظمتُه، وَلَا يُقَالُ: الجَلال، إِلا لِلَّهِ، والجَلِيل: مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَقَدَّسَ وَتَعَالَى، وَقَدْ يُوصَفُ بِهِ الأَمر الْعَظِيمُ، وَالرَّجُلُ ذُو الْقَدْرِ الخَطِير... وأَجَلَّه: عَظَّمه، يُقَالُ: جَلَّ فُلَانٌ فِي عَينِي، أَي: عَظُم، وأَجْلَلته: رأَيته جَلِيلًا نَبيلًا، وأَجْلَلْتُه فِي الْمَرْتَبَةِ، وأَجْلَلْتُه أَي: عَظَّمته، وجَلَّ فُلَانٌ يَجِلُّ، بالكسرِ، جَلالَةً أَي: عَظُم قَدْرُه فَهُوَ جَلِيل»[(٥)]، وأما الثناء فقال ابن منظور أيضاً: «معْنَاهُ: تَمْتَدِحُ وَتَفْتَخِرُ... وأَثْنَى عَلَيْهِ خَيْرًا،

(١) سورة الجن، الآية: ٢٢.
(٢) أخرجه أحمد، ٢٨٨/١١، رقم ٦٦٩٢، والبيهقي، ٣٣٥/٦، وابن خزيمة، ٢٦/٤، رقم ٢٢٨٠، وحسّن إسناده محققو المسند، ١١/ ٢٨٨، والألباني في تعليقه على ابن خزيمة، ٤/ ٢٦، وفي مشكاة المصابيح، ٢/ ٢٩٥.
(٣) لسان العرب، ٤/ ١٥٥، مادة (جور).
(٤) المفردات في غريب القرآن، ص ١٠٣.
(٥) لسان العرب، ١١/ ١١٦، مادة (جلل).

وَالِاسْمُ الثَّنَاء الْمُظَفَّرُ: الثَّنَاءُ، مَمْدُودٌ، تَعَمُّدُك لِتُثْنِيَ عَلَى إِنْسَانٍ بحسَن أَو قَبِيحٍ، وَقَدْ طَارَ ثَنَاءُ فُلَانٍ أَي: ذَهَبَ فِي النَّاسِ، وَالْفِعْلُ: أَثْنَى فُلَانٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى، ثُمَّ عَلَى الْمَخْلُوقِ يُثْنِي إِثْنَاء، أَو ثَنَاءً»[1].

١٢-قوله: «**لا إله إلا أنت**»: أي: لا معبود بحقٍّ غيرك، ولا معروف بهذه المعرفة سواك[2]، قال الطيبي رحمه الله: «إثبات للإلهية المطلقة لله تعالى على سبيل الحصر، بعد إثبات الملك له»[3].

١٣-قوله: «**تغطرس**»: ظلم، وتكبر، وعلا على من دونه، قال في اللسان: «الغَطْرسة، والتَغَطْرُس: الإعجاب بالشيء، والتَّطاوُل على الأَقْران، ... وقيل: هو الظُّلْم، والتكبُّر، والغِطْرِس، والغِطْرِيس، والمُتَغَطْرِس: الظالم، المتكبر، ... التَّغَطْرُس: الكِبر ...تَغَطْرس في مِشْيَتِه: إذا تَبَخْتَر، وتَغَطْرَس إذا تَعسَّف الطريق»[4].

١٤-قوله: «**تخوَّف**»: توقع منه القتل أو الظلم، «والخوف أيضاً: القتل، قيل: ومنه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾[5]، والقتال، ومنه: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾[6]، ... ورجل خاف: شديد الخوف، ... وخفته كقلته: غلبته بالخوف، وطريق مخوف: يخاف فيه، ووجع مخيف؛ لأن الطريق لا تخيف، وإنما يخيف قاطعها، والمخيف: الأسد، وحائط مخيف: إذا خفت أن يقع عليك، وخوّفه: أخافه، أو صيَّره بحال يخافه الناس»[7].

---

(١) لسان العرب، ١٤/ ١٢٤، مادة (ثني).
(٢) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٣.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.
(٤) لسان العرب، ٦/ ١٥٥، مادة (غطرس).
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٥٥.
(٦) سورة الأحزاب، الآية: ١٩.
(٧) القاموس المحيط، ص ١٠٤٦، مادة (خوف).

١٥-قوله: «يسطو»: السطو: البطش والظلم، «والسَّطْو: أن يَسْطو الرجلُ على غيره بالضَّرْب والشَّتْم والإساءة»[١].

وقال العيني: «السطوة: يقال: سطا عليه، وسطا به، إذا تناوله بالبطش، والعنف، والشدة، أي: يكادون يقعون بمحمد وأصحابه من شدة الغيظ، ويبسطون إليهم أيديهم بالسوء»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الدنيا دار بلاء واختبار، وهي ما صفت لأحد، لا لنبي، ولا لولي فكيف بمن دونهم؟ ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٣].

٢-على قدر التوكل تكون الكفاية من الله ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[٤]، فعلى العبد أن يجاهد نفسه في طاعة ربه، وإلا أجهده الله بما لا يطيقه.

٣-المؤمن يعيش حياته على منهج الله؛ فإن أصابه خير شكر، وإن أصابته بلية صبر، وبذلك تنقلب البلية في حقه عطية، والمحنة في حقه منحة.

٤-بيان مكانة الالتجاء إلى الله، والاستعاذة به سبحانه؛ لأن ذلك ينجي به الله من الشدائد.

***

١٣٠- (٢)«اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَعَزُّ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعاً، اللَّهُ أَعَزُّ مِمَّا أَخَافُ وَأَحْذَرُ، أَعُوذُ بِاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، الْمُمْسِكِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ أَنْ يَقَعْنَ عَلَى الْأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ، مِنْ شَرِّ عَبْدِكَ فُلاَنٍ،

(١) غريب الحديث لابن سلام، ٤/ ٤٥٠.
(٢) عمدة القاري للعيني، ١٩/ ٦٦.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٢.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

وَجُنُودِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ، مِنْ الْجِنِّ وَالإِنْسِ، اللَّهُمَّ كُنْ لِي جَاراً مِنْ شَرِّهِمْ، جَلَّ ثَنَاؤُكَ وَعَزَّ جَارُكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ» (ثلاثَ مرَّاتٍ)[1].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الأثر:

٤٣٨-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[2]، قَالَ: «إِذَا أَتَيْتَ سُلْطَانًا مَهِيبًا تَخَافُ أَنْ يَسْطُوَ عَلَيْكَ فَقُلْ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَعَزُّ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعًا، اللَّهُ أَعَزُّ مِمَّا أَخَافُ، وَأَحْذَرُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، الْمُمْسِكُ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ أَنْ يَقَعْنَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ، مِنْ شَرِّ عَبْدِكَ فُلانٍ، وَجُنُودِهِ، وَأَتْبَاعِهِ، وَأَشْيَاعِهِ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ، اللَّهُمَّ كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّهِمْ، جَلَّ ثَنَاؤُك، وَعَزَّ جَارُك، وَتَبَارَكَ اسْمُك، وَلا إِلَهَ غَيْرُك» ثَلاثَ مَرَّاتٍ[3].

ثانياً: شرح مفردات الأثر:

١-قوله: «**الله أكبر**» أي: أكبر من كل كبير فهو عز وجل كبير الشأن، كبير القدر، كبير عن مشابهة أحد من خلقه، وقال ابن الأثير رحمه الله: «معناه الله الكبير، وقال النحويون: معناه الله أكبر من كل شيء»[4].

---

(١) البخاري في الأدب المفرد برقم ٧٠٨، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٤٦، وانظر: تخريج حديث المتن السابق.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٣) الأدب المفرد للبخاري، ٢٤٧، برقم ٧٠٨، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٦٧، وصحيح الأدب المفرد، برقم ٥٤٩.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤/ ٥٢، مادة (كبر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

٢-قوله: «**الله أعز من خلقه جميعًا**»: لأنه هو الذي له العزة التامة، وله تمام الرفعة، والغلبة، والمنعة وكل من سواه مقهور مربوب، قال السعدي رحمه الله: «أي: ذو قوة عظيمة، سخر بها المخلوقات، فلم يستعص عليه شيء منها، بل هي منقادة لعزته خاضعة لجلاله»(١).

٣-قوله: «**الله أعز مما أخاف وأحذر**» أي: من المخلوقين فكلهم عبيد قائمون به، قال الفيومي رحمه الله: «أَخَافَنِي الْأَمْرُ فَهُوَ مُخِيفٌ - بِضَمِّ الْمِيمِ - اسْمُ فَاعِلٍ؛ فَإِنَّهُ يُخِيفُ مِنْ يَرَاهُ... يُقَالُ: أَخَفْتُهُ الْأَمْرَ فَخَافَهُ، وَخَوَّفْتُهُ إِيَّاهُ فَتَخَوَّفَهُ»(٢)، وقال في الحذر: «حَذِرَ حَذَرًا... بِمَعْنَى اسْتَعَدَّ، وَتَأَهَّبَ فَهُوَ حَاذِرٌ، وَحَذِرٌ، وَالِاسْمُ مِنْهُ الْحِذْرُ، مِثْلُ: حِمْلٍ وَحَذِرَ الشَّيْءَ: إِذَا خَافَهُ»(٣).

٤-قوله: «**أعوذ بالله**» أي: ألجأ إليه وأتحصن به»(٤).

٥-قوله: «**الذي لا إلَه إلا هُوَ**»: قال العلامة السعدي رحمه الله: «الذي له جميع معاني الألوهية، وأنه لا يستحق الألوهية والعبودية إلا هو، فألوهية غيره، وعبادة غيره باطلة»(٥).

٦-قوله: «**الممسك السموات السبع أن يقعن على الأرض**»: أن يقعن على الأرض إلا بإذنه: إشارة إلى قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾(٦)، قال السعدي رحمه الله: «فلولا رحمته، وقدرته، لسقطت السماء على الأرض، فتلف ما

(١) تفسير السعدي، ص ١١٢.
(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ١٨٤، مادة (خوف).
(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ١٢٦، مادة (حذر).
(٤) عمدة القاري، ٤/ ١٧٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٠.
(٥) تفسير السعدي، ص ٩٥٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من تفسير آية الكرسي في حديث المتن رقم ٧١.
(٦) سورة فاطر، الآية: ٤١.

عليها، وهلك من فيها»(١)، وقال في موضع آخر رحمه الله: «...كمال قدرته، وتمام رحمته، وسعة حلمه ومغفرته، وأنه تعالى يمسك السماوات والأرض عن الزوال، فإنهما لو زالتا ما أمسكهما أحد من الخلق، ولعجزت قدرهم وقواهم عنهما، ولكنه تعالى، قضى أن يكونا كما وجدا، ليحصل للخلق القرار، والنفع، والاعتبار، وليعلموا من عظيم سلطانه وقوة قدرته، ما به تمتلئ قلوبهم له إجلالا وتعظيما، ومحبة وتكريما، وليعلموا كمال حلمه ومغفرته، بإمهال المذنبين، وعدم معاجلته للعاصين، مع أنه لو أمر السماء لحصبتهم، ولو أذن للأرض لابتلعتهم، ولكن وسعتهم مغفرته، وحلمه، وكرمه»(٢).

٧-قوله: «**من شر عبدك فلان**»: قال الشوكاني رحمه الله: «من شَرّ فلَان بن فلَان الَّذِي يُرِيد، وَشر الْجِنّ وَالْإِنْس، وأتباعهم أَن يفرط عليَّ أحد مِنْهُم»(٣).

٨-قوله: «**وجنوده**»: قال ابن منظور رحمه الله: «لجُنْد: الأَعوان، والأَنصار، والجُنْد: الْعَسْكَرُ، وَالْجَمْعُ أَجناد»(٤).

٩-قوله: «**أشياعه من الجن والإنس**»: هم الأتباع، والأنصار على نفس المنهج. قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ**﴾(٥) أي: من أنصار لوط عليه السلام، قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: الجن: «شرار: وهم الشياطين»(٦)، والإنس قال الراغب فيها: «الإنسي منسوب إلى الإنس، يقال ذلك لمن كثر أنسه، ولكل ما يؤنس به، ... والإنسي من كل شيء: ما يلي الإنسان،

---

(١) تفسير السعدي، ص ٥٤٤.
(٢) تفسير السعدي، ص ٦٩١.
(٣) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص: ٣٠٣.
(٤) لسان العرب، ٣/ ١٣٢، مادة (جند).
(٥) سورة الصافات، الآية: ٨٣.
(٦) مفردات ألفاظ القرآن، ١/ ١٩٣، مادة (جن).

والوحشي: ما يلي الجانب الآخر له»[١].

١٠-قوله: «جل ثناؤك»: قال ابن منظور رحمه الله: «جَلالُ اللَّهِ: عظمتُه، وَلَا يُقَالُ: الجَلال، إلا لِلهِ، والجَلِيل: مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَقَدَّس وَتَعَالَى»[٢]، وأما الثناء فقال ابن منظور أيضاً: «معْنَاهُ: تَمْتَدِحُ وَتَفْتَخِرُ... وأَثْنَى عَلَيْهِ خَيْرًا، وَالِاسْمُ الثَّنَاء الْمُظَفَّرُ: الثَّنَاءُ، مَمْدُودٌ، تَعَمُّدُكَ لتُثْنِيَ عَلَى إِنْسَانٍ بحسَن أَو قَبِيحٍ»[٣].

١١-قَوْلُهُ: «عَزَّ جَارُكَ»: أَيْ: لَا يُضَامُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْك، وَاعْتَصَمَ بِكَ»[٤]، وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «ولما استعظم حق الجار عقلاً وشرعاً، عبّر عن كل من يعظم حقه، أو يستعظم حق غيره بالجار ... ويقال استجرته فأجارني، ... وقد تصور من الجار معنى القرب، فقيل لمن يقرب من غيره: جاره، وجاوره»[٥].

١٢-قوله: «تبارك اسمك» أي: تعالى وتعاظم وكثرت بركاته في السموات والأرض، إذ به تقوم وبه تستنزل الخيرات[٦].

١٣-قوله: «لا إله غيرك»: أي : لا معبود بحقٍّ غيرك، ولا معروف بهذه المعرفة سواك[٧]، قال الطيبي رحمه الله: «إثبات للإلهية المطلقة لله تعالى على سبيل الحصر، بعد إثبات الملك له»[٨].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ١/ ٥٣، مادة (أنس).
(٢) لسان العرب، ١١/ ١١٦، مادة (جلل).
(٣) لسان العرب، ١٤/ ١٢٤، مادة (ثني)، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ١٢٩، المفردة رقم ١١.
(٤) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، ٢/ ٣٠٣.
(٥) المفردات في غريب القرآن، ص ١٠٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٠ من حديث المتن رقم ١٢٩.
(٦) العلم الهيب، ص ٢٦٢.
(٧) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٣٣.
(٨) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩٩٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من مفردات حديث المتن رقم ١٢٩.

ثالثا: ما يستفاد من الحديث:

١-تقدمة وتصدير الدعاء بالثناء على الله ﷻ وتوحيده، «قال الطيبي: صدّر الثناء بذكر الرب؛ ليناسب كشف الكرب؛ لأنه مقتضى التربية «**لا إله إلا الله رب السموات السبع، ورب الأرض، ورب العرش الكريم**»، قالوا: هذا دعاء جليل، ينبغي الاعتناء به، والإكثار منه عند العظائم، فيه: التهليل المشتمل على التوحيد، وهو أصل التنزيهات الجلالية، والعظمة الدالة على تمام القدرة، والحلم الدال على العلم؛ إذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم، وهما أصل الأوصاف الإكرامية، قال الإمام ابن جرير: كان السلف يدعون به، ويسمونه دعاء الكرب، وهو وإن كان ذكراً؛ لكنه بمنزلة الدعاء»[١].

٢-التكبر لا يليق إلا بالله ﷻ، فصفة السيد: التكبر، والترفع، أما العبد، فصفته: التذلل، والخشوع، والخضوع؛ ولذلك فهو تعالى أكبر من يعرف كنه كبريائه، وأكبر من أن نحيط به علمًا[٢] قال الله تعالى: ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾[٣].

٣-يقين المسلم أن ربه هو العزيز، يبعث في نفسه إيمانًا صادقًا بأن النصر من عند الله وحده، فيأخذ بأسبابه، ولا يقع في أسباب منعه، أو تأخيره.

٤-بيان عظيم قدرة الله مع تمام لطفه بخلقه، بإمساكه للسموات والأرض أن تزولا، ولو حدث ذلك لانهار نظام الكون، وهو يحلم على خلقه بصبره على معاصيهم، ويدعوهم إلى التوبة كما ختم الآية ﴿**إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾[٤].

٥-قال ابن القيم رحمه الله في بيان اسم الله «العزيز»:

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ٢٧١.
(٢) النهج الأسمى، للنجدي، ١/ ١٥٤.
(٣) سورة طه، الآية: ١١٠.
(٤) سورة فاطر، الآية: ٤١.

وهـو العزيـز فلـن يـرام جنابـه ... أنـى يـرام جنـاب ذي السـلطان

وهـو العزيز القـاهر الغـلاب لـم ... يغلبـه شـيء هـذه صـفتان

وهـو العزيـز بقـوة هـي وصـفه ... فـالعز حينئـذ ثـلاث معـان

وهـي التـي كملـت لـه سـبحانه ... مـن كـل وجـه عـادم النقصـان[1]

***

(١) النونية، لابن القيم، ٢/٢١٨.

٣٨ – الدُّعَاءُ عَلَى الْعَدُوِّ

١٣١- «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهزِمْهُمْ، وَزَلْزِلْهُمْ»[(١)].

الشـــرح:

أولا: لفظ الحديث:

٤٣٩-عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى ﷺ[(٢)]، قَالَ: دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الأَحْزَابِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ، مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ، اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ»[(٣)]، وهذا لفظ البخاري، ومسلم.

٤٤٠-وفي لفظ آخر لمسلم: عَنْ كِتَابِ رَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى، فَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ حِينَ سَارَ إِلَى الْحَرُورِيَّةِ يُخْبِرُهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ، يَنْتَظِرُ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ، قَامَ فِيهِمْ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ»، ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ، وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ»[(٤)].

٤٤١-وأخرج أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى، قَالَ: اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَطَافَ

---

(١) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، برقم ٢٩٣٣، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو، برقم ١٧٤٢.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٥٦ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٢٩٣٣، ومسلم، برقم ٢١-(١٧٤٢)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو، برقم ٢٠-(١٧٤٢).

بِالْبَيْتِ، وَطُفْنَا مَعَهُ، وَصَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، ثُمَّ خَرَجَ فَطَافَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَنَحْنُ مَعَهُ نَسْتُرُهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، لَا يَرْمِيهِ أَحَدٌ، أَوْ يُصِيبُهُ أَحَدٌ بِشَيْءٍ، قَالَ: فَدَعَا عَلَى الْأَحْزَابِ فَقَالَ: «**اللهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، هَازِمَ الْأَحْزَابِ، اللهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ**»، قَالَ: وَرَأَيْتُ بِيَدِهِ ضَرْبَةً عَلَى سَاعِدِهِ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ؟ قَالَ: ضُرِبْتُهَا يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَقُلْتُ لَهُ: أَشَهِدْتَ مَعَهُ حُنَيْنًا؟ قَالَ: نَعَمْ، وَقَبْلَ ذَلِكَ»[(١)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم**»: «بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ »[(٢)].

٢- قوله: «**منزل الكتاب**» أي: القرآن العظيم، والذي يشمل الإيمان بكل كتاب أنزله الله من قبل، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «توسل بإنزال الكتاب، وهو القرآن الكريم، أو يشمل كل كتاب، ويكون المراد به الجنس، أي: منزل الكتب على محمد، وعلى غيره»[(٣)].

٣-قوله: «**سريع الحساب**» أي: مجازي العباد على أعمالهم، ومحاسبهم عليها في وقت واحد، كما يرزقهم في وقت واحد، ويسمعهم في وقت واحد على اختلاف اللَّهجات والمطالب، قال العلامة العثيمين رحمه الله: «يعني يا سريع الحساب إما أن يراد به أنه سريع حسابه بمجيء وقته وإما أنه سريع في الحساب»[(٤)].

---

(١) مسند أحمد، ٣١/ ٤٧٥، برقم ١٩١٣١، وابن خزيمة، ٤/ ٢٣٨، برقم ٢٧٧٥، وابن حبان، ٩/ ١٥٢، برقم ٣٨٤٣، وصححه محققو المسند، ومحقق ابن خزيمة، ومحقق ابن حبان، والألباني في التعليقات الحسان، ٦/ ٥٥، برقم ٣٨٣٣.

(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٥٢.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٥٢.

٤-قوله: «**اهزم الأحزاب**» أي: الكفار الذين اجتمعوا لقتالنا، وإطفاء نورك، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والأحزاب: جمع حزب، وهم الجمع، والقطعة من الناس، ويعني بهم الذين تحزبوا عليه في المدينة، فهزمهم الله تعالى بالريح، ووصف الله بأنه سريع الحساب، يعني به: يعلم الأعداد المتناهية، وغيرها في آنٍ واحدٍ، فلا يحتاج في ذلك إلى فكرٍ، ولا عقدٍ، كما يفعله الْحُسَّاب منَّا»[(١)].

٥-قوله: «**وزلزلهم**» أي: أزعجهم، وحركهم بالشدائد[(٢)]، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد، وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «والزلزال والزلزلة: الشدائد التي تحرك الناس، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا﴾[(٣)]»[(٤)].

٦- قوله: «**لا تتمنوا لقاء العدو**»: قال الحافظ ابن حجر: «لما كان لقاء الموت من أشق الأشياء على النفس، وكانت الأمور الغائبة ليست كالأمور المحققة، لم يؤمن أن يكون عند الوقوع كما ينبغي، فيكره التمني لذلك؛ ولما فيه لو وقع من احتمال أن يخالف الإنسان ما وعد من نفسه، ثم أمر بالصبر عند وقوع الحقيقة»[(٥)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا دعاء ينبغي للمجاهد أن يدعو به إذا لقي العدو، فهنا توسل الرسول عليه الصلاة والسلام بالآيات الشرعية، والآيات الكونية توسل بإنزال الكتاب، وهو القرآن الكريم، أو يشمل كل كتاب، ويكون

---

(١) المفهم ، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١١/ ٥٧.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ، ١٢/ ٧٤.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ١١.
(٤) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٦/ ٢٢.
(٥) فتح الباري، لابن حجر، ٦/ ١٥٧.

المراد به الجنس، أي منزل الكتب على محمد وعلى غيره.

٢-ومجري السحاب هذه آية كونية، فالسحاب المسخر بين السماء والأرض لا يجريه إلا الله ﷻ لو اجتمعت الأمم كلها بآلاتها ومعداتها على أن تجري هذا السحاب، أو أن تصرف وجهه ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وإنما يجريه من إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون»[1].

٣-إثبات علو الله ﷻ، وأنه مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، وذلك لأن الإنزال لا يكون إلا من أعلى، وهذا كقوله: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾[2] والأدلة على ذلك كثيرة.

٤-قال الحافظ في الفتح[3]: «أشار بهذا الدعاء إلى وجوه النصر عليهم في الكتاب إلى قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾[4].

وبمجري السحاب إلى القدرة الظاهرة في تسخير السحاب حيث:

أ- يحرك الريح بمشيئته تعالى.

ب- وحيث يستمر في مكانه مع هبوب الريح.

جـ- وحيث تمطر تارة، وأخرى لا تمطر.

فأشار بحركته إلى إعانة المجاهدين في حركتهم في القتال، وبوقوفه إلى إمساك أيدي الكفار عنهم، وبإنزال المطر إلى غنيمة ما معهم حيث يتفق قتلهم وبعدمه إلى هزيمتهم حيث لا يحصل الظفر بشيء منهم وكلها أحوال صالحة للمسلمين.

---

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٥٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣.

(٣) فتح الباري، ٦/ ٢٠٠.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٤.

٥-أشار بهازم الأحزاب إلى التوسل بالنعمة السابقة، وإلى تجريد التوكل، واعتقاد أن الله هو المتفرد بالفعل، وفيه التنبيه على عظم هذه النعم الثلاث؛ فإن بإنزال الكتب حصلت النعمة الأخروية، وهي الإسلام، وبإجراء السحاب حصلت النعمة الدنيوية، وهي الرزق، وبهزيمة الأحزاب حصل حفظ النعمتين[(١)].

٦-مشروعية الدعاء عند قتال الكفار، والتوسل إلى الله بهذه الكلمات، وهذا الوقت من الأوقات التي هي مظنة الإجابة؛ لقوله ﷺ: «**ساعتان تفتح أبواب السماء، وقلَّما ترد على داع دعوته: لِحضُور الصلاة، والصف في سبيل الله**»[(٢)]، وقد ورد أن النبي ﷺ قال هذا الدعاء يوم الخندق[(٣)]، وهذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ.

٧-هذا الدعاء هو أحد آداب القتال، قال النووي رحمه الله: «وقد جمع الله ﷻ آداب القتال في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾[(٤)].

٨-جاء في بعض ألفاظ هذا الدعاء أن الرسول ﷺ قاله في بعض أيامه التي لقي فيها العدو، حيث انتظر حتى مالت الشمس، ثم قام في الناس فقال: «**أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم**

---

(١) انظر: فتح الباري، ٦/ ١٥٧.

(٢) الطبراني في الكبير، ٦/ ١٤٠، برقم ٥٧٧٤، ورواه الإمام مالك كما في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، ٢١/ ١٣٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٣٥٨٧.

(٣) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، برقم ٤١١٥.

(٤) سورة الأنفال، الآيات: ٤٥ - ٤٧.

فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» ثم قال هذا الدعاء[١].

أما انتظاره حتى تزول الشمس لأنه أمكن للقتال؛ ولأن فيه أوقات الصلاة، والدعاء عندها، وأما النهي عن تمني لقاء العدو؛ لأن المرء لا يعلم ما سيؤول إليه الأمر، أو لما فيه من صورة الإعجاب، والاتكال على النفس، أما إذا وقع، فقد جاء الأمر بالصبر[٢].

٩-وقوله: «**اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، سريع الحساب**»، دليل على جواز السَّجع في الدعاء إذا لم يتكلَّف[٣]، وقال: إنما نهى عن السجع في الدعاء، والله أعلم؛ لأن طلب السجع فيه تكلف ومشقة، وذلك مانع من الخشوع، وإخلاص التضرع لله تعالى، وقد جاء في الحديث: «**أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافلٍ لاهٍ**»[٤]، وطالب السجع في دعائه همته في تزويج الكلام وسجعه، ومن شغل فكره، وكد خاطره بتكلفه، فقلبه عن الخشوع غافل لاه؛ لقول الله تعالى: ﴿**مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾[٥]، فإن قيل: فقد وجد في دعاء النبي ﷺ نحو ما نهى عنه ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قوله: «**اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب**»، وقال في تعويذ حسن أو

---

(١) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا تمنوا لقاء العدو، برقم ٣٠٢٥، ٣٠٢٦، وفي كتاب التمني، باب كراهية تمني لقاء العدو، برقم ٧٢٣٧.

(٢)انظر: فتح الباري في مواضع شتى، مثل: ٦/ ١٥٦، و١٠/ ١٩٠.

(٣) انظر: المفهم ، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١١/ ٥٧.

(٤) هذا اللفظ في الحاكم، ومسند البزار، ١٧/ ٣٠٧، والحاكم، ١/٦٧٠، وقال: «مستقيم الإسناد» وأخرجه الترمذي بلفظ: «وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ» كتاب الدعوات، باب حدثنا عبد الله، برقم ٣٤٧٩، وقال: «حديث غريب» والطبراني في الأوسط، ٥/٢١١، برقم ٥١٠٩، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٣٣، برقم ١٦٥٣.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٤ .

حسين: «**أعيذه من الهامة، والسامة، وكل عين لامة**»[١]، وإنما أراد مُلمّة، فللمقاربة بين الألفاظ، وإتباع الكلمة أخواتها في الوزن قال: «لامة»، قيل: هذا يدل أن نهيه ﷺ عن السجع، إنما أراد به من يتكلف السجع في حين دعائه، فيمنعه من الخشوع كما قدمنا، وأما إذا تكلم به طبعًا من غير مؤنة، ولا تكلف، أو حفظه قبل وقت دعائه مسجوعًا، فلا يدخل في النهي عنه؛ لأنه لا فرق حينئذ بين المسجوع وغيره؛ لأنه لا يتكلف صنعته وقت الدعاء، فلا يمنعه ذلك من إخلاص الدعاء، والخشوع، والله أعلم[٢].

وقال الحافظ: «المَكرُوه مِنَ السَّجع هُو المُتَكَلَّف؛ لأَنَّهُ لا يُلائِم الضَّراعَة، والذِّلَّة، وإِلاَّ فَفِي الأَدعِيَة المَأثُورَة كَلِمات مُتوازِيَة؛ لَكِنَّها غَير مُتَكَلَّفَة، قالَ الأَزهَرِيّ: وإِنَّما كَرِهَهُ ﷺ لِمُشاكَلَتِهِ كَلام الكَهَنَة، كَما فِي قِصَّة المَرأَة مِن هُذَيل، وقالَ أَبُو زَيد وغَيره: أَصل السَّجع القَصد المُستَوِي ، سَواء كانَ فِي الكَلام أَم غَيره»[٣].

***

---

(١) هذه رواية ابن سعد، عن ابن عباس، ورواه ابن عساكر في تاريخه١٣٠/ ٢٢٤، عن ابن مسعود، وفي صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا موسى بن إسماعيل، برقم ٣٣٧١، ولفظه: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ، وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ»».

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ١٠/ ٩٨.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٣٩.

٣٩ – مَا يَقُولُ مَنْ خَافَ قَوْمًا

١٣٢- «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ»[١].

الشـــرح:

أولا: لفظ الحديث:

٤٤٢- عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ[٢]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ، وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ

---

(١) مسلم، كتاب الزهد، باب قصة أصحاب الأخدود، برقم ٣٠٠٥، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البروج بسم الله الرحمن الرحيم، برقم ٣٣٤٠، وأحمد، ٣٩/ ٤٥١، برقم ٢٣٩٣١، وابن حبان، ٣/١٥٤، برقم ٨٧٣، والبيهقي في شعب الإيمان، ٢/٢٤٠، برقم ١٦٣٤، وصححه محققو المسند ٣٩/ ٤٥٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٤٤٦١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣١ من أحاديث الشرح.

أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لاَ أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلاَمِ، فَجِيءَ بِالْغُلاَمِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لاَ أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلاَمِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلاَّ فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلاَّ فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلاَمِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْغُلاَمِ، ثُمَّ رَمَاهُ

فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلاَمِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلاَمِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلاَمِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلاَمُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي، فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ»[1].

٤٤٣-ولفظ الترمذي عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه[2] قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى العَصْرَ هَمَسَ، وَالهَمْسُ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ تَحَرُّكُ شَفَتَيْهِ كَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا صَلَّيْتَ العَصْرَ هَمَسْتَ؟ قَالَ: «إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ كَانَ أُعْجِبَ بِأُمَّتِهِ فَقَالَ: مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلاَءِ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ خَيِّرْهُمْ بَيْنَ أَنْ أَنْتَقِمَ مِنْهُمْ، وَبَيْنَ أَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ، فَاخْتَارُوا النِّقْمَةَ، فَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ، فَمَاتَ مِنْهُمْ فِي يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا»، قَالَ: وَكَانَ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الحَدِيثِ حَدَّثَ بِهَذَا الحَدِيثِ الآخَرِ، قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ، وَكَانَ لِذَلِكَ الْمَلِكِ كَاهِنٌ يَكْهَنُ لَهُ، فَقَالَ الكَاهِنُ: انْظُرُوا لِي غُلاَمًا فَهِمًا، أَوْ قَالَ: فَطِنًا، لَقِنًا، فَأُعَلِّمَهُ عِلْمِي هَذَا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ أَمُوتَ فَيَنْقَطِعَ مِنْكُمْ هَذَا العِلْمُ، وَلاَ يَكُونَ فِيكُمْ مَنْ يَعْلَمُهُ»، قَالَ: «فَنَظَرُوا لَهُ عَلَى مَا وَصَفَ، فَأَمَرُوهُ أَنْ يَحْضُرَ ذَلِكَ الكَاهِنَ، وَأَنْ يَخْتَلِفَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ يَخْتَلِفُ، إِلَيْهِ وَكَانَ عَلَى طَرِيقِ الغُلاَمِ رَاهِبٌ فِي صَوْمَعَةٍ»، قَالَ مَعْمَرٌ: أَحْسِبُ أَنَّ أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ كَانُوا يَوْمَئِذٍ مُسْلِمِينَ ، قَالَ : «فَجَعَلَ الغُلاَمُ يَسْأَلُ ذَلِكَ الرَّاهِبَ كُلَّمَا مَرَّ بِهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَخْبَرَهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَعْبُدُ اللَّهَ، قَالَ: فَجَعَلَ الغُلاَمُ يَمْكُثُ عِنْدَ الرَّاهِبِ، وَيُبْطِئُ عَنِ الكَاهِنِ، فَأَرْسَلَ الكَاهِنُ إِلَى أَهْلِ

---

(١) مسلم، برقم ٣٠٠٥، وتقدم تخريجه في حديث تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣١ من أحاديث الشرح.

الغُلامِ إِنَّهُ لاَ يَكَادُ يَحْضُرُنِي، فَأَخْبَرَ الغُلاَمُ الرَّاهِبَ بِذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: إِذَا قَالَ لَكَ الكَاهِنُ: أَيْنَ كُنْتَ؟ فَقُلْ: عِنْدَ أَهْلِي، وَإِذَا قَالَ لَكَ أَهْلُكَ: أَيْنَ كُنْتَ؟ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّكَ كُنْتَ عِنْدَ الكَاهِنِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا الغُلاَمُ عَلَى ذَلِكَ، إِذْ مَرَّ بِجَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٍ قَدْ حَبَسَتْهُمْ دَابَّةٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ تِلْكَ الدَّابَّةَ كَانَتْ أَسَدًا، قَالَ: فَأَخَذَ الغُلاَمُ حَجَرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ الرَّاهِبُ حَقًّا فَأَسْأَلُكَ أَنْ أَقْتُلَهَا، قَالَ: ثُمَّ رَمَى فَقَتَلَ الدَّابَّةَ، فَقَالَ النَّاسُ: مَنْ قَتَلَهَا؟ قَالُوا: الغُلاَمُ، فَفَزِعَ النَّاسُ، وَقَالُوا: لَقَدْ عَلِمَ هَذَا الغُلاَمُ عِلْمًا لَمْ يَعْلَمْهُ أَحَدٌ، قَالَ: فَسَمِعَ بِهِ أَعْمَى، فَقَالَ لَهُ: إِنْ أَنْتَ رَدَدْتَ بَصَرِي فَلَكَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: لاَ أُرِيدُ مِنْكَ هَذَا، وَلَكِنْ أَرَأَيْتَ إِنْ رَجَعَ إِلَيْكَ بَصَرُكَ، أَتُؤْمِنُ بِالَّذِي رَدَّهُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَدَعَا اللهَ فَرَدَّ عَلَيْهِ بَصَرَهُ، فَآمَنَ الأَعْمَى، فَبَلَغَ الْمَلِكَ أَمْرُهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ، فَأُتِيَ بِهِمْ، فَقَالَ: لأَقْتُلَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ قِتْلَةً لاَ أَقْتُلُ بِهَا صَاحِبَهُ، فَأَمَرَ بِالرَّاهِبِ وَالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ أَعْمَى، فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ عَلَى مَفْرِقِ أَحَدِهِمَا، فَقَتَلَهُ، وَقَتَلَ الآخَرَ بِقِتْلَةٍ أُخْرَى، ثُمَّ أَمَرَ بِالغُلاَمِ، فَقَالَ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَأَلْقُوهُ مِنْ رَأْسِهِ، فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى ذَلِكَ الجَبَلِ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ الَّذِي أَرَادُوا أَنْ يُلْقُوهُ مِنْهُ جَعَلُوا يَتَهَافَتُونَ مِنْ ذَلِكَ الجَبَلِ وَيَتَرَدَّوْنَ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلاَّ الغُلاَمُ، قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ، فَأَمَرَ بِهِ الْمَلِكُ أَنْ يَنْطَلِقُوا بِهِ إِلَى البَحْرِ، فَيُلْقُونَهُ فِيهِ، فَانْطُلِقَ بِهِ إِلَى البَحْرِ، فَغَرَّقَ اللهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ وَأَنْجَاهُ، فَقَالَ الغُلاَمُ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لاَ تَقْتُلُنِي حَتَّى تَصْلُبَنِي وَتَرْمِيَنِي، وَتَقُولَ إِذَا رَمَيْتَنِي: بِسْمِ اللهِ رَبِّ هَذَا الغُلاَمِ، قَالَ فَأَمَرَ بِهِ، فَصُلِبَ، ثُمَّ رَمَاهُ، فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ رَبِّ هَذَا الغُلاَمِ، قَالَ: فَوَضَعَ الغُلاَمُ يَدَهُ عَلَى صُدْغِهِ حِينَ رُمِيَ، ثُمَّ مَاتَ، فَقَالَ أُنَاسٌ: لَقَدْ عَلِمَ هَذَا الغُلاَمُ عِلْمًا مَا عَلِمَهُ أَحَدٌ، فَإِنَّا نُؤْمِنُ بِرَبِّ هَذَا الغُلاَمِ، قَالَ: فَقِيلَ لِلْمَلِكِ: أَجَزِعْتَ أَنْ خَالَفَكَ ثَلاَثَةٌ، فَهَذَا العَالَمُ كُلُّهُمْ قَدْ خَالَفُوكَ، قَالَ: فَخَدَّ أُخْدُودًا، ثُمَّ أَلْقَى فِيهَا الحَطَبَ وَالنَّارَ، ثُمَّ جَمَعَ النَّاسَ، فَقَالَ: مَنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ تَرَكْنَاهُ، وَمَنْ لَمْ يَرْجِعْ أَلْقَيْنَاهُ فِي هَذِهِ النَّارِ،

فَجَعَلَ يُلْقِيهِمْ فِي تِلْكَ الأُخْدُودِ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿العَزِيزِ الحَمِيدِ﴾ قَالَ: فَأَمَّا الغُلَامُ فَإِنَّهُ دُفِنَ، قَالَ: فَيُذْكَرُ أَنَّهُ أُخْرِجَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، وَإِصْبَعُهُ عَلَى صُدْغِهِ كَمَا وَضَعَهَا حِينَ قُتِلَ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم**»: «بِمَعْنَى: يَا أَلله، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يا فِي أَولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»[٢].

٢- قوله: «**اكفنيهم**» أي: ادفع عني مكرهم، وردَّ كيدهم في نحورهم، قال ابن منظور رَحِمَهُ الله: «كَفَى، يَكْفِي كِفايةً، إِذا قَامَ بالأَمر، وَيُقَالُ: اسْتَكْفَيْته أَمْراً فكَفَانِيه، وَيُقَالُ: كَفاك هَذَا الأَمرُ، أَي: حَسْبُك، وكَفَاكَ هَذَا الشَّيْءُ»[٣].

٣-قوله: «**بما شئت**» أي: بما تشاء فأنت الذي تقول للشيء كن فيكون، قال ابن علان رَحِمَهُ الله: «أي: بمشيئتك، فما مصدرية، أو موصولة، أي: بالذي شئت من أنواع الكفاية، إما بإهلاكهم، أو بغيره»[٤].

٤- قوله: «**بالمنشار**»، أشرت الخشبة بالمنشار: إذا شققتها، ووشرتها بالميشار، غير مهموز لغة فيه، والميشار والمنشار سواء»[٥].

٥-قوله: «**قرقور**»، القرقور: سفينة صغيرة[٦].

---

(١) الترمذي، برقم ٣٣٤٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٤٤٦١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

(٣) لسان العرب، ١٥/ ٢٢٥، مادة (كفي).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١/ ١٩٣.

(٥) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠/ ٣٠٤.

(٦) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠/ ٣٠٤.

٦-قوله: «**فانكفأت السفينة**»: أي: انقلبت، ومنه: كفأت القدر: إذا كببتها»[(١)].

٧-قوله: «**الصعيد**»: وجه الأرض، وأراد: أنه جمعهم في أرض واحدة منبسطة ليشاهدوه»[(٢)].

٨-قوله: «**من كنانتي**»، الكنانة: الجعبة التي يكون فيها النشاب»[(٣)].

٩-قوله: «**كبد القوس**»: وسطها، والمراد به: موضع السهم من الوتر والقوس»[(٤)].

١٠-قوله: «**بالأخدود**»: الأخدود: الشق في الأرض، وجمعه الأخاديد.

١١-قوله: «**السكك**»: جمع سكة، وهي الطريق»[(٥)].

١٢-قوله: «**أضرمت النار**»: إذا أوقدتها وأثرتها»[(٦)].

١٣-قوله: «**اقتحم**»، الاقتحام: الوقوع في الشيء من غير رؤية ولا تثبت»[(٧)].

١٤-قوله: «**فتقاعست**»، التقاعس: التأخر، والمشي إلى وراء»[(٨)].

١٥-قوله: «**الهمس**»: الكلام الخفي الذي لا يكاد يسمع»[(٩)].

١٦-قوله: «**اللقن**»: الرجل الفهم الذكي»[(١٠)].

١٧-قوله: «**التهافت**»: الوقوع في الشيء مثل التساقط»[(١)].

---

(١) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠/ ٣٠٤.
(٢) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠/ ٣٠٤.
(٣) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠/ ٣٠٤.
(٤) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠/ ٣٠٤.
(٥) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠/ ٣٠٤.
(٦) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠/ ٣٠٤.
(٧) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠/ ٣٠٤.
(٨) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠/ ٣٠٤.
(٩) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠/ ٣٠٤.
(١٠) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠/ ٣٠٤.

١٨-قوله: «فمن لم يرجع عن دينه فأحموه فيها»، أو قيل له: اقتحم، قال القاضي: كذا هو في جميع النسخ، وقال بعضهم: لعل صوابه: فأحموه فيها، أو قولوا له: اقتحم، ولا يبعد عندي صحة معنى: أحموه، على ماروي من أحميت الحديدة، والشيء في النار.

١٩-قوله: «فرجف بهم الجبل»، قال الإمام: أي تحرك حركة شديدة، ومنه قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾[٢]، أي: تتزلزل.

٢٠-قوله: «فإذا بلغتم ذروته»: قال الإمام: أي: أعلاه، وذروة كل شيء: أعلاه»[٣].

٢١-قوله: «حَتَّى تَصْلُبَنِي»: أَيْ: عَلَى جِذْعٍ كَمَا فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ، قَالَ فِي الْقَامُوسِ: صَلَبَهُ كَضَرَبَهُ جَعَلَهُ مَصْلُوبًا كَصَلَّبَهُ»[٤]

٢٢-قوله: «فَوَضَعَ الْغُلَامُ يَدَهُ عَلَى صُدْغِهِ حِينَ رُمِيَ ثُمَّ مَاتَ»، وفي رواية مسلم: «ثم رماه فوضع السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ»[٥]

٢٣-قوله: «أَجَزِعْتَ» - بِكَسْرِ الزَّايِ - مِنَ الْجَزَعِ مُحَرَّكَةً: وَهُوَ نَقِيضُ الصَّبْرِ»[٦]

٢٤-قوله: «فخدّ»: أَيْ: شَقَّ أُخْدُودًا - بِضَمِّ الْهَمْزَةِ، وَسُكُونِ الْمُعْجَمَةِ-: الشَّقُّ الْعَظِيمُ، وَجَمْعُهُ أَخَادِيدُ»[٧]

=

(١) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٠/ ٣٠٤.
(٢) سورة المزمل، الآية: ١٤.
(٣) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٨/ ٢٨٢.
(٤) تحفة الأحوذي، ٩/ ١٨٥.
(٥) تحفة الأحوذي، ٩/ ١٨٥.
(٦) تحفة الأحوذي، ٩/ ١٨٥.
(٧) تحفة الأحوذي، ٩/ ١٨٥.

٢٥-قوله: «**أصحاب الأخدود**»: أَيِ: الْمَلِكُ الَّذِي خَدَّ الْأُخْدُودَ، وَأَصْحَابُهُ. النَّارِ بدل اشتمال من الأخدود، ذات الوقود: وَصْفٌ لَهَا بِأَنَّهَا عَظِيمَةٌ، لَهَا مَا يَرْتَفِعُ بِهِ لَهَبُهَا مِنَ الْحَطَبِ الْكَثِيرِ وَأَبْدَانِ النَّاسِ، وبعده إذ ظرف لقتل أَيْ: لُعِنُوا حِينَ أَحْرَقُوا بِالنَّارِ قَاعِدِينَ حَوْلَهَا»[(١)].

٢٦-قوله: «**الصُّدغ**» -بِضَمِّ المُهمَلَة، وإِسكان الدّال بَعدها مُعجَمَة-: ما بَين الأُذُن والعَين، ويُقال ذَلِكَ أَيضًا لِلشَّعرِ المُتَدَلِّي مِنَ الرَّأس فِي ذَلِكَ المَكان»[(٢)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-«في هذا الحديث صبر الصالحين على الابتلاء في ذات الله، وما يلزمهم من إظهار دينه، والدعاء لتوحيده، واستقتالهم أنفسهم في ذلك، وهو مراد الغلام بقوله للملك: «لست بقاتلي حتى تصلبني، وتجمع الناس، وتضع السهم في كبد القوس، وتقول: بسم الله رب الغلام، ليرى الناس ذلك فيؤمنوا بالله كما كان»[(٣)].

٢-وهذا الحديث «يدل على أنه ينبغي للإنسان أن يصبر، وأن يحتسب، ولكن هل يجب على الإنسان أن يصبر على القتل، أو يجوز أن يقول كلمة الكفر، ولا تضرّه إذا كان مكرهاً؟ هذا فيه تفصيل: إن كانت المسألة تتعلق به نفسه، فله الخيار إن شاء قال كلمة الكفر دفعاً للإكراه مع طمأنينة القلب بالإيمان، وإن شاء أصر وأبى، ولو قتل هذا إذا كان الأمر عائداً إلى الإنسان بنفسه.

٣-إما إذا كان الأمر يتعلق بالدين بمعنى أنه لو كفر، ولو ظاهراً أمام الناس؛ لكفر الناس؛ فإنه لا يجوز له أن يقول كلمة الكفر، بل يجب أن يصبر، ولو قتل

---

(١) تحفة الأحوذي، ٩/ ١٨٥.
(٢) فتح الباري، ٦/ ٥٧١.
(٣) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٨/ ٢٨٢.

كالجهاد في سبيل الله، المجاهد يقاتل ولو قُتل؛ لأنه يريد أن تكون كلمة الله هي العليا؛ فإذا كان إماماً للناس، وأجبر على أن يقول كلمة الكفر؛ فإنه لا يجوز أن يقول كلمة الكفر لا سيما في زمن الفتنة، بل عليه أن يصبر ولو قتل .

٤-ما يحفظه الشاب يبقى، وما يحفظه الكبير ينسى؛ ولهذا كان من الحكمة الشائعة بين الناس: إن العلم في الصغر كالنقش على الحجر لا يزول.

٥-وفيه: أن الشاب إذا ثقف العلم من أول الأمر صار العلم كالسجية له، والطبيعة له، وصار كأنه غريزة قد شب عليه فيشيب عليه.

٦-من نعمة الله على العبد أن الإنسان إذا شك في الأمر، ثم طلب من الله آية تبين له شأن هذا الأمر، فبينه الله له؛ فإن هذا من نعمة الله عليه.

٧-ومن هنا شرعت الاستخارة للإنسان إذا هم بالأمر، وأشكل عليه هل في إقدامه خير، أم في إحجامه خير؛ فإنه يستخير الله، وإذا استخار الله بصدق وإيمان؛ فإن الله يعطيه على ما يستدل به، على أن الخير في الإقدام أو الإحجام، إما بشيء يلقيه في قلبه ينشرح صدره لهذا، أو لهذا، وإما برؤيا يراها في المنام، وإما بمشورة أحد من الناس وإما بغيره»[١].

٨-هذا الدعاء وإن كان من شرع من قبلنا، إلا أن إخبار النبي ﷺ به جعله شرعًا لنا.

٩-إذا علم العبد أن الله هوالكافي، عظم رجاؤه فيه، ورغبته إليه، قال السعدي رحمه الله[٢]: الكافي عباده ما يحتاجون ويضطرون إليه، الكافي كفاية خاصة من آمن به، وتوكل عليه، واستمد منه حوائج دينه ودنياه ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[٣].

١٠-«الله ﷻ يجيب دعوة المضطر إذا دعاه؛ فإذا دعا الإنسان ربه في حال

---

(١) شرح رياض الصالحين للعلامة ابن عثيمين رحمه الله، شرح الحديث رقم ٣٠.

(٢) انظر تفسير السعدي سورة الزمر، ص ٩٤٩.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

ضرورة، موقناً أن الله يجيبه؛ فإن الله تعالى يجيبه، حتى الكفار إذا دعوا الله في حال الضرورة، أجابهم الله، مع أنه يعلم أنهم سيرجعون إلى الكفر إذا غشيهم موج كالظلل في البحر دعوا الله مخلصين له الدين، فإذا نجاهم أشركوا، فينجيهم لأنهم صدقوا في الرجوع إلى الله عند دعائهم، وهو سبحانه يجيب المضطر، ولو كان كافراً.

١١-الإنسان يجوز أن يغرر بنفسه في مصلحة عامة للمسلمين؛ فإن هذا الغلام دل الملك على أمر يقتله به، ويهلك به نفسه، وهو أن يأخذ سهما من كنانته.

١٢-قال شيخ الإسلام: لأن هذا جهاد في سبيل الله، آمنت أمة وهو لم يفتقد شيئاً لأنه مات، وسيموت آجلاً أو عاجلاً، فأما ما يفعله بعض الناس من الانتحار بحيث يحمل آلات متفجرة، ويتقدم بها إلى الكفار، ثم يفجرها إذا كان بينهم؛ فإن هذا من قتل النفس والعياذ بالله»[١].

***

(١) شرح رياض الصالحين للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، شرح الحديث رقم ٣٠.

٤٠ ـــ دُعَاءُ مَنْ أَصَابَهُ وَسْوَسَةٌ فِي الإِيْمَانِ

١٣٣ -(١) «يَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ»(١).

(٢) «يَنْتَهِي عَمَّا وَسْوَسَ فِيهِ»(٢).

(٣) يَقُولُ: «اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، ثُمَّ لِيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ مِنَ الشَّيْطَانِ»(٣).

الشـــرح

أولاً: لفظ الحديث:

٤٤٤-عن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ(٤) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ، وَلْيَنْتَهِ»، هذا لفظ البخاري، ومسلم(٥).

٤٤٥-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: فَذَكَرَ نَحْوَهُ، قَالَ: «فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا: اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا، أَحَدٌ، ثُمَّ لِيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ مِنَ الشَّيْطَانِ»(٦).

---

(١) البخاري، كتاب بدء لخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٧٦، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان والاستعاذة عند وسوسة الشيطان، برقم ١٣٤.

(٢) البخاري، كتاب بدء لخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٧٦، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان والاستعاذة عند وسوسة الشيطان، برقم ١٣٤.

(٣) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الجهمية، برقم ٤٧٢٢، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٢٣، برقم ١٦١٣.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) البخاري، برقم ٣٢٧٦، ومسلم، برقم ١٣٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) سنن أبي داود، برقم ٤٧٢٢، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٢٣، =

ثانياً شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ، وَلْيَنْتَهِ»، لمَّا كانتْ هذه الوساوسُ مِنْ إلقاءِ الشيطان، ولا قُوَّةَ لأحدٍ بدفعِهِ إلا بمعونةِ اللَّه تعالى، وكفايتِهِ-: أَمَرَ بالالتجاءِ إليه، والتعويلِ في دفعِ ضَرَرِهِ عليه، وذلك معنى الاستعاذةِ على ما يأتي، ثم عقَّب ذلك بالأمرِ بالانتهاءِ عن تلك الوساوسِ والخواطرِ، أي: عن الالتفاتِ إليها والإصغاءِ نحوها، بل يُعْرِضُ عنها ولا يبالي بها»[(١)].

٢-قوله: «ولينته» أي: عن الاسترسال مع الشيطان في هذا الباب.

قال القاضي عياض: «أي: ليقطع التفكر، والنظر فيما زاد على إثبات الذات، وليقف هناك عن التخطي إلى ما بَعْد، وليعلم أن إثبات ذاته، وعلم ما يجبُ له، ويستحيل عليه منتهى العلم، وغاية مبلغ العقل»[(٢)].

وقال الحافظ ابن حجر: «أَي: عَن الاسترسال مَعَهُ فِي ذَلِكَ، بَل يَلجَأ إِلَى اللَّه فِي دَفعه، ويَعلَم أَنَّهُ يُرِيد إِفساد دِينه، وعَقله بِهَذِهِ الوسوسَة، فَيَنبَغِي أَن يَجتَهِد فِي دَفعها بِالاشتِغالِ بِغَيرِها»[(٣)].

٣-قوله: «يأتي» أي: بوسوسته وتلبيسه على العبد المسلم، قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: يُوَسْوِسُ إِبْلِيسُ، أَوْ أَحَدُ أَعْوَانِهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَلَى طَرِيقِ التَّلْبِيسِ»[(٤)].

٤-قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ قولاً جازمًا به، معتقدًا له، عارفًا بمعناه.

٥-قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد

=

برقم ١٦١٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢/ ١١٠.

(٢) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ١/ ٢٨٦.

(٣) فتح الباري، لابن حجر، ٦/ ٣٤٠.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١/ ١٣٧.

المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل.

٦-قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾ أي: المقصود في جميع الحوائج، فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم، لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي قد كمل في حلمه، الرحيم الذي كمل في رحمته، الذي وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه.

٧-قوله تعالى: ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**﴾ لكمال غناه.

٨-قوله تعالى: ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ لا في أسمائه، ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى[١].

٩-قوله: «**الشيطان**»: هو في لغة العرب مشتق من شطن إذا بعد، فهو بعيد عن طباع البشر وبعيد بفسقه عن كل خير[٢].

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «ولما كان الشيطان على نوعين: نوع يُرى عِياناً، وهو شيطان الإنس، ونوع لا يرى، وهو شيطان الجن، أمر سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يكتفي من شر شيطان الإنس بالإعراض عنه، والعفو، والدفع بالتي هي أحسن، ومن شيطان الجن بالاستعاذة بالله منه، وجمع بين النوعين في سورة الأعراف، وسورة المؤمنين، وسورة فصلت، والاستعاذة في القراءة والذكر أبلغ في دفع شر شياطين الجن، والعفو، والإعراض، والدفع بالإحسان أبلغ في دفع شر شياطن الإنس»[٣].

١٠-قوله: «**فليستعذ بالله**» أي: بقوله: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» صادقًا

(١) تقدم تفسير آيات سورة الإخلاص في شرح حديث المتن رقم ٧٠، وأعدت تفيسرها هنا لأهميتها.
(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٤٩.
(٣) زاد المعاد، لابن القيم، ٢/ ٤٢٠.

مخلصًا، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَلجَأ إِلَى اللهِ فِي دَفعه، ويَعلَم أَنَّهُ يُرِيد إِفساد دِينه، وعَقله بِهَذِهِ الوسوسَة، فَيَنبَغِي أَن يَجتَهِد فِي دَفعها بِالاشتِغالِ بِغَيرِها»[١].

١١-قوله: «**ثم ليتفل**»: التفل: شبيه بالبزق، وهو أقل منه، أوّله البزق، ثم التفل، ثم النفث»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-بيان عداوة الشيطان للإنسان، وأنه لا يزال به حتى يكون معه في جهنم، وقد حذر الله من ذلك بقوله: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾[٣].

٢-وجوب عدم الاسترسال مع الشيطان في وسوسته، بل يقطع عليه ذلك بالتعوذ بالله منه على الفور، والانتهاء عن هذه المسائل الردية، والتي لا تزيد صاحبها إلا حيرة، وتنتهي به إلى الضلال.

٣-الاستعاذة بالله من الشيطان تحفظ المسلم من الافتتان، وينال التوفيق والحفظ من الله تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَأَمَرَ بِالِاسْتِعَاذَةِ عِنْدَمَا يَطْلُبُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَهُ فِي شَرٍّ، أَوْ يَمْنَعَهُ مِنْ خَيْرٍ؛ كَمَا يَفْعَلُ الْعَدُوُّ مَعَ عَدُوِّهِ، وَكُلَّمَا كَانَ الْإِنْسَانُ أَعْظَمَ رَغْبَةً فِي الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ، وَأَقْدَرَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِ، بِحَيْثُ تَكُونُ قُوَّتُهُ عَلَى ذَلِكَ أَقْوَى، وَرَغْبَتُهُ وَإِرَادَتُهُ فِي ذَلِكَ أَتَمَّ؛ كَانَ مَا يَحْصُلُ لَهُ إِنْ سَلَّمَهُ اللهُ مِنَ الشَّيْطَانِ أَعْظَمَ؛ وَكَانَ مَا يَفْتَتِنُ بِهِ إِنْ تَمَكَّنَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ أَعْظَمَ»[٤].

---

(١) فتح الباري، ٦/ ٣٤٠.
(٢) جامع الأصول لابن الأثير، ٥/ ٥٧.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٦.
(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ٧/ ٢٨٤.

٤-اللجوء إلى الله، والاعتصام به أكبر عاصم للعبد من وسوسة الشيطان، قال الإمام النووي رحمه الله: «فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ: فَمَعْنَاهُ: إِذَا عَرَضَ لَهُ هَذَا الْوَسْوَاس، فَلْيَلْجَأْ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي دَفْع شَرّه عَنْهُ، وَلْيُعْرِضْ عَنْ الْفِكْر فِي ذَلِكَ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْخَاطِر مِنْ وَسْوَسَة الشَّيْطَان، وَهُوَ إِنَّمَا يَسْعَى بِالْفَسَادِ وَالْإِغْوَاء- فَلْيُعْرِضْ عَنْ الْإِصْغَاء إِلَى وَسْوَسَته، وَلْيُبَادِرْ إِلَى قَطْعهَا بِالِاشْتِغَالِ بِغَيْرِهَا، وَاَللَّه أَعْلَم»[١].

٥-قال المازري رحمه الله: الخواطر على قسمين: فالتي لا تستقر ولا يصاحبها شبهة فهي التي تندفع بالإعراض عنها وعلى هذا يتنزل الحديث، وعلى مثلها يطلق اسم الوسوسة وأما الخواطر المستقرة الناشئة عن الشبهة فهي التي لا تندفع إلا بالنظر والاستدلال[٢].

٦-«الشَّيْطَان إِنَّمَا يُوَسْوِس لِمَنْ أَيِسَ مِنْ إِغْوَائِهِ فَيُنَكِّد عَلَيْهِ بِالْوَسْوَسَةِ لِعَجْزِهِ عَنْ إِغْوَائِهِ ، وَأَمَّا الْكَافِر فَإِنَّهُ يَأْتِيه مِنْ حَيْثُ شَاءَ وَلَا يَقْتَصِر فِي حَقّه عَلَى الْوَسْوَسَة بَلْ يَتَلَاعَب بِهِ كَيْف أَرَادَ . فَعَلَى هَذَا مَعْنَى الْحَدِيث : سَبَب الْوَسْوَسَة مَحْض الْإِيمَان ، أَوْ الْوَسْوَسَة عَلَامَة مَحْض الْإِيمَان، وَهَذَا الْقَوْل اِخْتِيَار الْقَاضِي عِيَاض»[٣].

٧-لا بد من قطع الوساوس الفاسدة، فإذا قال الشيطان للإنسان موسوساً: من خلق الله «فإذا وجد ذلك أحدكم، فليستعذ بالله، ولينته، فأمره بالاستعاذة منه؛ ليقطع عنه الله الوساوس الفاسدة التي يلقيها الشيطان بغير اختياره، ويؤذيه بها، حتى قد يتمنى الموت، أو حتى يختار أن يحترق، ولا يجدها، وهي الوسوسة التي سأله عنها الصحابة فقالوا: يا رسول الله، إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢٥٥.
(٢)انظر: تفسير ابن كثير، ١/ ٤٩ والمراد بالنظر والاستدلال: أي بإقامة الحجة وإزالة الشبهة.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ١٥٤.

يحترق، حتى يصير حمة[١]، أو يخر من السماء إلى الأرض، خيراً له من أن يتكلم به، فقال: «**ذلك صريح الإيمان**»[٢]، وفي رواية: ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، فقال: «**الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**»[٣]، وأراد بذلك أن كراهته هذه الوسوسة، ونفيها، هو محض الإيمان، وصريحه»[٤].

٨-«**فليَستعِذ بِاللَّهِ ولِيَنتَهِ**» أَي: يَترُك التَّفَكُّر فِي ذَلِكَ الخاطِر، ويَستَعِيذ بِاللَّهِ، إذا لَم يَزُل عَنهُ التَّفَكُّر، والحِكمَة فِي ذَلِكَ أَنَّ العِلم بِاستِغناءِ اللَّه تَعالَى عَن كُلّ ما يُوسوِسهُ الشَّيطان أَمر ضَرُورِيّ، لا يَحتاج لِلاحتِجاج والمُناظَرَة، فَإِن وقَعَ شَيء مِن ذَلِكَ، فَهُو مِن وسوسَة الشَّيطان، وهِيَ غَير مُتَناهِيَة، فَمَهما عُورِضَ بِحُجَّةٍ يَجِد مَسلَكًا آخَر مِنَ المُغالَطَة، والاستِرسال، فَيُضَيّع الوقت إِن سَلِمَ مِن فِتنَته، فَلا تَدبِير فِي دَفعه أَقوى مِنَ الإِلجاء إِلَى اللَّه تَعالَى بِالاستِعاذَةِ بِهِ، كَما قالَ تَعالَى: ﴿**وإِمّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطان نَزغٌ فاستَعِذ بِاللَّهِ**﴾ الآيَة[٥]»[٦].

٩-ومن وسوسته أيضاً أن يشغل القلب بحديثه حتى ينسيه ما يريد أن يفعله؛ ولهذا يضاف النسيان إليه إضافته إلى سببه، قال تعالى حكاية عن صاحب موسى إنه قال: ﴿**فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ**﴾[٧].

---

(١) الْحَمَّةُ: الْعَيْنُ الْحَارَّةُ، وَحَمَّ الْمَاءَ: سَخَّنَهُ، وَحُمَّ الرَّجُلُ أَيْضًا مِنَ الْحُمَّى، وَأَحَمَّهُ اللَّهُ فَهُوَ مَحْمُومٌ، وَالْحَمِيمُ: الْمَاءُ الْحَارُّ. انظر: مختار الصحاح، ص ٨٢، مادة (حمم).

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها، برقم ١٣٢.

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ١٠، برقم ٢٠٩٧، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في رد الوسوسة، برقم ٥١١٢، والنسائي في الكبرى، ٦/١٧١، برقم ١٠٥٠٣، وابن حبان، ١/٣٦٠، برقم ١٤٧، وصححه محققو المسند، ٤/ ١٠، والألباني في صحيح أبي داود، برقم ٥١١٢.

(٤) درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٢/ ١٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

(٦) فتح الباري، ١٣/ ٢٧٣.

(٧) سورة الكهف، الآية: ٦٣.

١٠-تأمل حكمة القرآن الكريم، وجلالته كيف أوقع الاستعاذة من شر الشيطان؛ الموصوف بأنه الوسواس الخناس؛ الذي يوسوس في صدور الناس، ولم يقل من شر وسوسته؛ لتعم الاستعاذة شره جميعه؛ فإن قوله: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾[1] يعم كل شره، ووصفه بأعظم صفاته، وأشدها شراً، وأقواها تأثيراً، وأعمها فساداً: هي الوسوسة التي هي مبادئ الإرادة؛ فإن القلب يكون فارغاً من الشر والمعصية، فيوسوس إليه، ويخطر الذنب بباله، فيصوره لنفسه، ويمنيه، ويشهيه، فيصير شهوة، ويزينها له، ويحسنها، ويخيلها له في خيال تميل نفسه إليه، فيصير إرادة ثم لا يزال يمثل، ويخيل، ويمني، ويشهي، وينسى علمه بضررها، ويطوي عنه سوء عاقبتها، فيحول بينه وبين مطالعته، فلا يرى إلا صورة المعصية، والتذاذه بها فقط، وينسى ما وراء ذلك، فتصير الإرادة عزيمة جازمة، فيشتد الحرص عليها من القلب، فيبعث الجنود في الطلب، فيبعث الشيطان معهم مدداً لهم وعوناً، فإن فتروا حركهم، وإن ونوا أزعجهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[2]، أي: تزعجهم إلى المعاصي إزعاجاً، كلما فتروا، أو ونوا، أزعجتهم الشياطين، وأزتهم، وأثارتهم، فلا تزال بالعبد تقوده إلى الذنب، وتنظم شمل الاجتماع بألطف حيلة، وأتم مكيدة»[3].

***

(١) سورة الناس، الآية: ٤.
(٢) سورة مريم، الآية: ٨٣.
(٣) بدائع الفوائد لابن القيم، ٢/ ٤٨١.

١٣٤-(٤)«يَقُولُ: «آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٤٦-عَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ ﷺ[٢]، قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ يَـزَالُ النَّـاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ»[٣].

٤٤٧-وبِهَذَا الإِسْنَادِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ مَنْ خَلَقَ الأَرْضَ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ»، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِهِ وَزَادَ «وَرُسُلِهِ»[٤].

٤٤٨-عَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ ﷺ، قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّـيْطَانَ يَـأْتِي أَحَدَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ ﷻ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللَّهَ ؟ فَإِذَا أَحَسَّ أَحَدُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ»[٥].

٤٤٩-عـن عائشة رضي الله عنها[٦]، قالـت: قـال رسـولُ الله ﷺ: «مَـنْ وَجَـدَ مِـنْ هَـذَا الوَسْوَاسِ فَلْيَقُلْ: آمَنَّا باللهِ وَبِرُسُلِهِ ثَلاثاً. فإِنَّ ذلكَ يَذْهَبُ عَنْهُ»[٧].

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب بَيَانِ الْوَسْوَسَةِ فِي الإِيمَانِ وَمَا يَقُولُهُ مَنْ وَجَدَهَا، برقم ٢١٢، ٢١٣-(١٣٤).
(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.
(٣) مسلم، برقم ٢١٢ -(١٣٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) مسلم، ٢١٣-(١٣٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٥) مسند أحمد، ١٤/ ١٠٩، برقم ٨٣٧٦، ومسند عبد بن حميد، ص ١٠١، برقم ٢١٥، والطبراني، ٨٥/٤، برقم ٣٧١٩، وصحح إسناده محققو المسند، ١٤/ ١١٠، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ١٦٥٧.
(٦) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.
(٧) عمل اليوم والليلة لابن السني، برقم ٦٢٥، الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي، ٣/ ٤٨٠، برقم ٥٤٨٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٦٥٨٧، دون كلمة ثلاثاً.

٤٥٠-وفي لفظ لمسلم، وهو في رواية البخاري: «**يَأتِي الشَّيطانُ العَبدَ، أَو أَحَدكُم، فيَقُول: مَن خَلق كَذا وكَذا، حَتَّى يَقُول مَن خَلق رَبّك؟**»[١].

٤٥١-وفِي لَفظ لِمُسلِمٍ: «**مَن خَلَقَ السَّماء؟ مَن خَلَقَ الأَرض؟ فَيَقُول اللَّهُ**»[٢].

٤٥٢- ولأَحمَد، والطَّبَرانِيِّ مِن حَدِيث خُزَيمَةَ بن ثابِت مِثله[٣].

٤٥٣-ولِمُسلِمٍ مِن طَرِيق مُحَمَّد بن سِيرِينَ عَن أَبِي هُرَيرَة: «**حَتَّى يَقُولُوا هَذا اللَّهُ خَلَقَنا**»[٤].

٤٥٤- ولمسلم فِي رِوايَة يَزِيد بن الأَصَمّ عَنهُ: «**حَتَّى يَقُولُوا اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيء**»[٥].

٤٥٥-وفِي رِوايَة المُختار بن فُلفُل عَن أَنَس ﷺ، عَن رَسُول اللَّه ﷺ: «**قالَ اللَّه ﷻ: إِنَّ أُمَّتك لا تَزال تَقُول ما كَذا وكَذا، حَتَّى يَقُولُوا هَذا اللَّهُ خَلَقَ الخَلق**[٦]»[٧].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**آمنت بالله**» أي: إيمانًا راسخًا، تزول أمامه كل شبهة، قال الإمام ابن باز رحمه الله: «فمعناه الإعراض عن هذا الخاطر الباطل، والالتجاء إلى الله تعالى في إذهابه، قال الإمام المازري رحمه الله: ظاهر الحديث أنه ﷺ أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها، والرد لها، من غير استدلال، ولا نظر في إبطالها»[٨]، وقال أيضاً رحمه الله: «معناه: إذا عرض له هذا الوسواس، فليلجأ إلى الله تعالى في دفع شره عنه، وليعرض عن الفكر في ذلك، وليعلم أن هذا الخاطر من وسوسة

---

(١) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٧٦.
(٢) مسلم، برقم ١٣٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) مسلم، ٢١٣-(١٣٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) مسلم، برقم ٢١٥- (١٣٥)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٥) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها، برقم ٢١٦- (١٣٥).
(٦) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، برقم ١٣٦.
(٧) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها، برقم، ١٣٤، وانظر: فتح الباري لابن حجر، ١٣/ ٢٧٢.
(٨) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، ١/ ٦١.

الشيطان، وهو إنما يسعى بالفساد والإغواء، فليعرض عن الإصغاء إلى وسوسته، وليبادر إلى قطعها بالاشتغال بغيرها، والله أعلم»[(١)].

٢-قوله: «**ورسله**»: الذين بلغوا عن الله أمره بتوحيده، وعبادته، وبينوا لنا صراط ربنا المستقيم، وقال الإمام ابن باز رحمه الله: «الله سبحانه لا شبيه له، ولا كفو له، ولا ند له، وهو الكامل في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وهو خالق كل شيء، وما سواه مخلوق، وقد أخبرنا في كتابه المبين، وعلى لسان رسوله الأمين، عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، بما يجب اعتقاده في حقه سبحانه، وبما يعرفنا به، ويدلنا عليه من أسمائه، وصفاته، وآياته المتلوة، وآياته المشاهدة من سماء، وأرض، وجبال، وبحار، وأنهار، وغير ذلك من مخلوقاته عز وجل، ومن جملة ذلك نفس الإنسان؛ فإنها من آيات الله الدالة على قدرته، وعظمته، وكمال علمه، وحكمته»[(٢)].

٣-قوله: «**لا يزال الناس**» أي: أن هذا هو شأن الناس قديمًا وحديثًا، يجتهد عليهم الشيطان بإلقاء الشبهات، والوساوس في صدورهم، فيتكلمون بها، والمقصود بهؤلاء الأصناف هم ضعاف الإيمان، أي: «لا يزال الناس يتساءلون أي لا ينقطعون عن سؤال بعضهم بعضاً في أشياء»[(٣)]، وقال الطيبي رحمه الله: «التساؤل: جريان السؤال بين اثنين فصاعداً، ويجوز بين العبد، والشيطان، أو النفس، أو إنسان آخر، ويجري بينهما السؤال في كل نوع، حتى يبلغ إلى أن يقال هذا»[(٤)].

٤-قوله: «**فمن وجد من ذلك شيئاً**»: قال القاضي عياض: معناه الاعراض

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، ٢٨/ ٣٨٨.
(٢) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، ٢٨/ ٣٩١.
(٣) مرقاة المفاتيح، ١/ ٣٤٦.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٢/ ٥١٩.

عن هذا الخاطر الباطل، والالتجاء إلى الله تعالى في إذهابه[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-قال الإمام النووي رحمه الله: «الْخَوَاطِر عَلَى قِسْمَيْنِ: فَأَمَّا الَّتِي لَيْسَتْ بِمُسْتَقِرَّةٍ، وَلَا اِجْتَلَبَتْهَا شُبْهَة طَرَأَتْ، فَهِيَ الَّتِي تُدْفَع بِالْإِعْرَاضِ عَنْهَا، وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ الْحَدِيث، وَعَلَى مِثْلهَا يَنْطَلِق اِسْم الْوَسْوَسَة؛ فَكَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ أَمْرًا طَارِئًا بِغَيْرِ أَصْل، دُفِعَ بِغَيْرِ نَظَر فِي دَلِيل؛ إِذْ لَا أَصْل لَهُ يُنْظَر فِيهِ، وَأَمَّا الْخَوَاطِر الْمُسْتَقِرَّة الَّتِي أَوْجَبَتْهَا الشُّبْهَة؛ فَإِنَّهَا لَا تُدْفَع إِلَّا بِالِاسْتِدْلَالِ وَالنَّظَر فِي إِبْطَالهَا، وَاَللَّه أَعْلَم»[٢]، وقال أيضاً: «وَلْيَعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْخَاطِر مِنْ وَسْوَسَة الشَّيْطَان، وَهُوَ إِنَّمَا يَسْعَى بِالْفَسَادِ وَالْإِغْوَاء فَلْيُعْرِضْ عَنْ الْإِصْغَاء إِلَى وَسْوَسَته وَلْيُبَادِرْ إِلَى قَطْعهَا بِالِاشْتِغَالِ بِغَيْرِهَا وَاَللَّه أَعْلَم»[٣].

٢-رد هذه الوساوس في بدايتها وعلاجها في منشأها أيسر على العبد من معالجتها بعد استحكامها في قلبه.

٣-هذا الحديث علم من أعلام نبوته ﷺ؛ إذ أخبر بوقوع شيء لم يكن واقعًا فوقع، حيث قال له ﷺ: «**لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة، حتى يقولوا: هذا الله فمن خلق الله؟**»[٤]، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «فبينما أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب، فقالوا: يا أبا هريرة، هذا الله، فمن خلق الله؟ قال[٥]: فأخذ حصى بكفه، فرماهم، ثم قال: قوموا، قوموا، صدق خليلي»[٦].

---

(١) الديباج على مسلم، ١/ ١٤٧.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ١٥٤.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ١٥٥.

(٤) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها، برقم ٢١٥-(١٣٥).

(٥) أي الراوي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو أبو سلمة بن عبد الرحمن.

(٦) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها، برقم ٢١٥-(١٣٥).

٤-لا يجوز قياس الخالق بالمخلوق، قال الكشميري: «أي: لا يَزالُون يَقِيسُون المخلوقَ على مخلوقٍ آخر، حتَّى يَقِيسُون الخالقَ أيضاً على المخلوق، فيقولون: من خَلَقَ اللَّهَ، وهو باطلٌ، فإن الأمرَ إذا وَصَلَ إلى ما بالذات انتهى، وفيه دليلٌ على استحالة تسلسل العِلَل»[١].

٥-«قالَ ابن بَطّال: فِي حَدِيث أَنَس الإِشارَة إِلَى ذَمّ كَثرَة السُّؤال؛ لأَنَّها تُفضِي إِلَى المَحذُور كالسُّؤالِ المَذكُور، فَإِنَّهُ لا يَنشَأ إِلاَّ عَن جَهل مُفرِط، وقَد ورَدَ بِزِيادَةٍ مِن حَدِيث أَبِي هُرَيرَة بِلَفظِ: «**لا يَزال الشَّيطان يَأتِي أَحَدكُم فَيَقُول: مَن خَلَقَ كَذا؟ مَن خَلَقَ كَذا؟ حَتَّى يَقُول: مَن خَلَقَ الله، فَإِذا وجَدَ ذَلِكَ أَحَدكُم فَليَقُل: آمَنت بِاللَّهِ**»[٢].

٦-لا يجوز النطق بوسوسة الشيطان، بل يجب الإعراض عنها، ويحرم النطق بها، ويجب دفعه عن الخاطر، وأن يلجأ الإنسان إلى الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان؛ ليكفيه شر وسوسته، وفتنته، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[٣].

٧-وفيه أنه ينبغي مع الإعراض عن ذلك، والانتهاء عنه: النطق بالإيمان، والتصريح به، بأن يقول: «**آمنت بالله ورسله**»[٤].

٨-قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد خلق الله النفس شبيهة بالرحى التي لا تسكن، وهذه الرحى لابد أن يوضع فيها شيء، فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس، هي بمنزلة الحب الذي يوضع في الرحى، فمن الناس من تطحن

---

(١) فيض الباري شرح صحيح البخاري، ١/ ٣٦٢.
(٢) فتح الباري لابن حجر، ١٣/ ٢٧٣.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.
(٤) طرح التثريب في شرح التقريب للزين العراقي، ٨/ ١٥٧.

رحاه حبًّا يخرج دقيقًا ينفع به نفسه وغيره، وأكثرهم يطحن رملًا، وحصى، وتبنًا، ونحو ذلك، فإذا جاء وقت العجن والخبز تبين له حقيقة طحينه[1].

***

١٣٥-(٥) «يَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾»[2].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٥٦-قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ[3]: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[4] فَقُلْتُ: مَا شَيْءٌ أَجِدُهُ فِي صَدْرِي؟ قَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَتَكَلَّمُ بِهِ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «**أَشَيْءٌ مِنْ شَكٍّ؟**» قَالَ: وَضَحِكَ، قَالَ: «**مَا نَجَا مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ**»، قَالَ: حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: ﴿**فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾[5] الْآيَةَ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «**إِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ شَيْئًا فَقُلْ**»: ﴿**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[6]»[7].

٤٥٧-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ:

---

(١) انظر: فوائد الفوائد، ص ٢٧٠.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٣. أبو داود، كتاب الأدب، باب في رد الوسوسة، برقم ٥١١٠، وجوّد إسناده النووي في كتاب الأذكار، ص ١٧٥، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٣/٩٦٢ .

(٣) هو سماك بن الوليد الحنفي. تابعي ثقة احتج به مسلم في صحيحه.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٢ من أحاديث الشرح.

(٥) سورة يونس، الآية: ٩٤.

(٦) سورة الحديد، الاية: ٣.

(٧) أبو داود، برقم ٥١١٠، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٣/٩٦٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ»(١).

٤٥٨-وفي لفظ لمسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سُئل النبي ﷺ عن الوسوسة فقال: «تلك محض الإيمان»(٢).

٤٥٩- وفي رواية لأحمد: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُحَدِّثُ نَفْسِي بِالشَّيْءِ: لَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ»(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث والأثر:

١- قوله: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» قال العلامة السعدي رحمه الله في الآية: «﴿هُوَ الأَوَّلُ﴾ الذي ليس قبله شيء.

﴿وَالآخِرُ﴾ الذي ليس بعده شيء.

﴿وَالظَّاهِرُ﴾ الذي ليس فوقه شيء.

﴿وَالْبَاطِنُ﴾ الذي ليس دونه شيء.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ قد أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والسرائر والخفايا، والأمور المتقدمة والمتأخرة»(٤).

٢-ويقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «﴿هو الأَول والأَخر والظاهر والباطن﴾

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها، برقم ١٣٢.
(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، برقم ١٣٣.
(٣) أخرجه أحمد، ٤/ ١٠، برقم ٢٠٩٧، وأبو داود، برقم ٥١١٢، وغيرهما، وصححه محققو المسند، ٤/ ١٠، والألباني في صحيح أبي داود، برقم ٥١١٢، وتقدم تخريجه في فوائد حديث المتن رقم ١٣٣ في الفائدة رقم ٧.
(٤) تفسير السعدي، ص ٨٣٧.

أربعة أشياء: ﴿الأَول﴾ أي الذي ليس قبله شيء؛ لأنه لو كان قبله شيء لكان الله مخلوقاً، وهو ﷻ الخالق؛ ولهذا فسر النبي ﷺ ﴿الأَول﴾ الذي ليس قبله شيء[١]، فكل الموجودات بعد الله، فليس معه أحد، ولا قبله، ﴿والأَخر﴾ الذي ليس بعده شيء؛ لأنه لو كان بعده شيء لكان ما يأتي بعده غير مخلوق لله، والمخلوقات كلها مخلوقة لله ﷻ، فهو الأول لا ابتداء له، والآخر لا انتهاء له، ليس بعده شيء، ﴿والظاهر﴾، قال النبي ﷺ: تفسيرها: «الذي ليس فوقه شيء»، فكل المخلوقات تحته جل وعلا، فليس فوقه شيء، ﴿والباطن﴾، قال النبي ﷺ: « الذي ليس دونه شيء» أي: لا يحول دونه شيء، خبير عليم بكل شي، لا يحول دونه جبال، ولا أشجار، ولا جدران»[٢].

٣- قوله: «**ما شيء أجده في صدري**»: والمعنى أنه يجد في صدره وسوسة من الشيطان: من وَجَدَ الشيء، ووَجِدَ ضالَّته، يَجِدُها وِجْدَاناً، ووجْداً، وجِدَةً، ووُجْداً، ووُجُوداً ووِجْداناً وإجْدانا: إذا رآها ولقِيَهابعد أن كانت عنه غائبة وبعيدة[٣].

٤-قوله: «**أَشَيْءٌ مِنْ شَكٍّ**»، أَيْ: مَا تَجِدُهُ فِي صَدْرِكَ، وتحسّ به، أَهُوَ شَيْءٌ مِنْ ريبة وشَكٍّ[٤].

---

(١) لفظ الحديث عند مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم ٢٧١٣: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا، إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ، أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ». وَكَانَ يَرْوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

(٢) تفسير ابن عثيمين، ٤/ ١٥.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٥/ ١٥٥، مادة (وجد).

(٤) انظر: عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ١٤/ ١٠.

٥-قوله: «**إذا وجدت في نفسك**»: أي: إذا حصل في نفسك وصدرك شيء من هذا الشك، وهذه الريبة فأتعبك هذا وأرهقك، ففي القاموس: «وتوجد السهر، وغيره: شكاه»(١).

٦-وفي تفسير الآية قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿**فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ**﴾ هل هو صحيح أم غير صحيح؟

يكون جواب هذا السؤال: ﴿**فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ أي: اسأل أهل الكتب المنصفين، والعلماء الراسخين، فإنهم سيقرون لك بصدق ما أخبرت به، وموافقته لما معهم، فإن قيل: إن كثيرًا من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، بل ربما كان أكثرهم ومعظمهم كذبوا رسول الله، وعاندوه، وردوا عليه دعوته.

والله تعالى أمر رسوله أن يستشهد بهم، وجعل شهادتهم حجة لما جاء به، وبرهانًا على صدقه، فكيف يكون ذلك؟

فالجواب عن هذا، من عدة أوجه:

أ- منها: أن الشهادة إذا أضيفت إلى طائفة، أو أهل مذهب، أو بلد ونحوهم، فإنها إنما تتناول العدول الصادقين منهم، وأما من عداهم، فلو كانوا أكثر من غيرهم فلا عبرة فيهم؛ لأن الشهادة مبنية على العدالة والصدق، وقد حصل ذلك بإيمان كثير من أحبارهم الربانيين، كـ(عبد الله بن سلام)، وأصحابه، وكثير ممن أسلم في وقت النبي ﷺ، وخلفائه، ومن بعده، و(كعب الأحبار) وغيرهما.

ب- ومنها: أن شهادة أهل الكتاب للرسول ﷺ مبنية على كتابهم التوراة الذي يتسبون إليه، فإذا كان موجودًا في التوراة، ما يوافق القرآن ويصدقه، ويشهد له بالصحة،

---

(١) القاموس المحيط، ص: ٤١٣، مادة (وجد).

فلو اتفقوا من أولهم لآخرهم على إنكار ذلك، لم يقدح بما جاء به الرسول ﷺ.

جـ- منها: أن الله تعالى أمر رسوله أن يستشهد بأهل الكتاب على صحة ما جاءه، وأظهر ذلك وأعلنه على رؤوس الأشهاد.

ومن المعلوم أن كثيرًا منهم من أحرص الناس على إبطال دعوة الرسول محمد ﷺ، فلو كان عندهم ما يرد ما ذكره الله، لأبدوه، وأظهروه، وبينوه، فلما لم يكن شيء من ذلك، كان عدم رد المعادي، وإقرار المستجيب من أدل الأدلة على صحة هذا القرآن وصدقه.

د- ومنها: أنه ليس أكثر أهل الكتاب، رد دعوة الرسول ﷺ، بل أكثرهم استجاب لها، وانقاد طوعًا واختيارًا، فإن الرسول بعث وأكثر أهل الأرض المتدينين أهل كتاب، فلم يمكث دينه مدة غير كثيرة، حتى انقاد للإسلام أكثر أهل الشام، ومصر، والعراق، وما جاورها من البلدان التي هي مقر دين أهل الكتاب، ولم يبق إلا أهل الرياسات الذين آثروا رياساتهم على الحق، ومن تبعهم من العوام الجهلة، ومن تدين بدينهم اسمًا لا معنى، كالإفرنج الذين حقيقة أمرهم أنهم دهرية منحلون عن جميع أديان الرسل، وإنما انتسبوا للدين المسيحي، ترويجًا لملكهم، وتمويهًا لباطلهم، كما يعرف ذلك من عرف أحوالهم البينة الظاهرة»[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الرجل وإن كان مؤمنًا مصدقًا، فقد يعرض له الشيطان بهذه الوساوس.

٢-قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى صريح الإيمان وهو استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان فإن استعظام هذا وشدة الخوف منه ومن النطق به فضلًا عن اعتقاده إنما يكون لمن استكمل الإيمان استكمالًا محققًا وانتفت عنه الريبة

---

(١) تفسير السعدي، ص ٣٧٣.

والشكوك، أما الكافر فإن الشيطان يتلاعب به حيث أراد»[١].

٣-قال الإمام ابن قيم الجوزية: «فَأَرْشَدَهُمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِلَى بُطْلَانِ التَّسَلْسُلِ الْبَاطِلِ بِبَدِيهَةِ الْعَقْلِ، وَأَنَّ سِلْسِلَةَ الْمَخْلُوقَاتِ فِي ابْتِدَائِهَا تَنْتَهِي إِلَى أَوَّلَ لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، كَمَا تَنْتَهِي فِي آخِرِهَا إِلَى آخِرِ لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، كَمَا أَنَّ ظُهُورَهُ هُوَ الْعُلُوُّ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، وَبُطُونَهُ هُوَ الْإِحَاطَةُ الَّتِي لَا يَكُونُ دُونَهُ فِيهَا شَيْءٌ، وَلَوْ كَانَ قَبْلَهُ شَيْءٌ يَكُونُ مُؤَثِّرًا فِيهِ لَكَانَ ذَلِكَ هُوَ الرَّبَّ الْخَلَّاقَ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ إِلَى خَالِقٍ غَيْرِ مَخْلُوقٍ وَغَنِيٍّ عَنْ غَيْرِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ مَوْجُودٌ بِذَاتِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مَوْجُودٌ بِهِ. قَدِيمٌ لَا أَوَّلَ لَهُ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ فَوُجُودُهُ بَعْدَ عَدَمِهِ بَاقٍ بِذَاتِهِ، وَبَقَاءُ كُلِّ شَيْءٍ بِهِ فَهُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، الْبَاطِنُ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ»[٢].

٤-قال الجزائري: وإنما وجَّه الله الخطاب للنبي ﷺ ليكون غيره من باب أولى ألف مرة ومرة، وإلا فالرسول ﷺ لا يشك، ولا يسأل كيف ذلك، وهو يتلقى الوحي من ربه[٣].

٥-وقال العلامة السعدي رحمه الله: والمراد من أهل الكتاب هم المنصفين والعلماء الراسخين كعبد الله بن سلام رضي الله عنه فإنهم سيقرون بصدق ما أخبرت به وموافقته لما معهم[٤].

---

(١)انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ٢/ ٣٣٣.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن قيم الجوزية، ٢/ ٤٢٢.

(٣) أيسر التفاسير، ص ٧٢٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص ٣٧٣.

٤١ — دُعَاءُ قَضَاءِ الدَّيْنِ

١٣٦-(١) «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٦٠-عَنْ عَلِيٍّ ﷺ (٢) أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأَعِنِّي، قَالَ: أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ صِيرٍ دَيْنًا أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ؟ قَالَ: «**قُلِ اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ**»(٣).

٤٦١-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ(٤)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ(٥): «**أَلا أُعَلِّمُكَ دُعَاءً تَدْعُو بِهِ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ لأَدَّى اللَّهُ عَنْكَ؟ قُلْ يَا مُعَاذُ: اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ، تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، بِيَدِكَ الْخَيْرِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَحْمَنُ**

---

(١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، برقم ٣٥٦٣، وأحمد، ٢/ ٤٣٨، برقم ١٣١٩، والحاكم، ١/ ٧٢١ ، وصححه، ووافقه الذهبي، والمقدسي في الأحاديث المختارة، ١/ ٢٧٥، وحسنه، والعلامة الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٨٢٢، وفي صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٨٢٠، وفي رواية الحاكم: «صبير» مكان «صير».

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، برقم ١٣١٩، والحاكم، ١/ ٧٢١ ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٨٢٢، وفي صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٨٢٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤ من أحاديث الشرح.

الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، تُعْطِيهُمَا مَنْ تَشَاءُ، وَتَمْنَعُ مِنْهُمَا مَنْ تَشَاءُ، ارْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللّهم اكفني بحلالك عن حرامك**» أي: اجعلني غنيًّا بالحلال عن الحرام. قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «اكفني بهمزة وصل تثبت في الابتداء مكسورة وتسقط في الدرج وضبط في بعض النسخ بفتح الهمزة ولا وجه له إذ هو أمر من كفى يكفي بحلالك عن حرامك أي متجاوزاً أو مستغنيا عنه»[٢].

٢-قوله: «**واغنني بفضلك عمن سواك**» أي: اجعلني غنيًّا بما تمن علي به من فضل فلا أسأل غيرك ولا ألتجئ إلا لك، وقال الزبيدي: «فالغني هو الذي لا تعلق له بغيره، ولا يتصور أن يكون غنياً مطلقاً إلا الله تعالى، فالله تعالى هو الغني، وهو المغني أيضاً، ولكن الذي أغناه لا يتصور أن يكون بإغنائه غنياً مطلقاً، فمن أقل أموره أنه يحتاج إلى المغني، فلا يكون غنياً، بل يستغني عن غير الله تعالى بأن يمدّه الله تعالى بما يحتاج إليه؛ لا بأن يقطع عنه أصل الحاجة، والغني الحقيقي هو الذي لا حاجة له إلى أحد أصلاً، ... فالمستغني بالحق أغنى الأغنياء، وإن كان يخزن مؤنة من كُلِّف به، فإن ذلك من آداب الكُمّل لقوة معرفتهم بحدود الله...»[٣].

٣-قوله: «**أن مكاتبًا**»: المكاتب: هو العبد الذي يتفق مع سيده على أن يكون حرًّا، وذلك مقابل مبلغًا من المال اتفقا عليه في وقت معين، قال ابن الأثير: «مكاتباً:

---

(١) المعجم الصغير، للطبراني، ١/ ٣٣٦، برقم ٥٥٨، والضياء المقدسي في المختارة، ٧/ ٦٩٦، برقم ٢٦٣٣، وحسنه، والهيثمي في مجمع الزوائد، ٤/ ٤٣٤، وحسنه أيضاً الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٨٢١.

(٢) مرقاة المفاتيح، ١/ ٣٦٢.

(٣) إتحاف السادة المتقين، للزبيدي صاحب معجم تاج العروس، ٣/ ٢٦٨.

المكاتب: العبد يشتري نفسه من مولاه بمال معين في ذمته ليؤديه إليه من كسبه.

٤-قوله: «**مثل جبل صبير ديناً**»: المراد من ذلك المبالغة في عظم الدين، وأن الله سيقضيه عنه مهما كان قدره، وصبير اسم لجبل في ديار طيئ فيه كهوف كالبيوت، وصير: جبل باليمن، وقال بعضهم: الذي جاء في حديث علي: «**مثل جبل صير**» بإسقاط الباء الموحدة، قال: وهو جبل لطيئ، وجبل على الساحل أيضاً، بين عمان وسيراف، قال: فأما صبير: فإنما جاء في حديث معاذ»[١].

٥-قوله: «**عجزت عن كتابتي**» أي: لم أجد المال لأدفعه كما اتفقنا في عقد الكتابة، قال الطيبي رحمه الله: «الكتابة: المال الذي كاتب به السيد عبده، يعني: بلغ وقت أداء مال الكتابة، وليس لي مالٌ، أقول [القائل الطيبي رحمه الله]: طلب المكاتب المال، فَعلَّمه [عليٌّ] رضي الله عنه الدعاء، إما لأنه لم يكن عنده شيء من المال ليعينه، فرده أحسن رد، عملاً بقوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ﴾[٢]، أو أرشده إلى أن الأولى والأصلح له أن يستعين بالله لأدائها، ولا يتكل على الغير»[٣].

٦- قوله: «**المكاتب**»: بفتح الكاف من تقع له الكتابة، وبالكسر من تقع منه، وهي مشتقة من كتب أي: أوجب. كقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[٤]، قال ابن التين: كانت موجودة في الجاهلية، وأقرها رسول الله ﷺ، وأول من كوتب من الرجال: سلمان الفارسي رضي الله عنه، ومن النساء بريرة رضي الله عنها، وبعد موته ﷺ أبو أمية مولى عمر رضي الله عنه، ثم سيرين مولى أنس بن مالك رضي الله عنه[٥].

٧-قوله: «**ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ**»: قال القاري رحمه الله:

---

(١) جامع الأصول، لابن الأثير، ٤/ ٣٤٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٣.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٨.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.
(٥)انظر: فتح الباري، ٥/٢١٩.

«يحتمل أن تكون ألا للتنبيه، وأن تكون الهمزة للاستفهام، ولا للنفي، وسقط الجواب ببلى اختصاراً، أو إشارة إلى أنه لا يحتاج إليه؛ لأن من المعلوم أنه هو المراد، والمعنى: ألا أخبرك بكلمات، أو بفضيلة دعوات»[١].

٨-قوله: «**لو كان عليك مثل جبل صير دَيناً**»: قال الطيبي: «أن يكون تمييزاً عن اسم (كان)؛ لما فيه من الإبهام، و(عليك) خبره مقدماً عليه، وأن يكون (دَيناً) خبر (كان)، و(عليك) حالاً من المستتر في الخبر، والعامل هو معنى الفعل المقدر في الخبر، ومن جوَّز إعمال (كان) في الحال، فظاهر على مذهبه»[٢].

٩-قوله: «**أداه الله عنك**»: قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: أنقذك من مذلته، وأخرجه من ذمتك»[٣].

١٠- قوله: «**رحمن الدنيا والآخرة**»: الرحمن والرحيم اسمان من أسماء الله الحسنى، وهناك فروق بينهما، ولذلك كان استعمال اسم الرحمن هنا دون الرحيم، لأمر بياني إيماني، قال الحافظ ابن حجر في الفروق بين الاسمين الحسنيين: «الرَّحمَن الرَّحِيم: اسمانِ مِنَ الرَّحمَة، أَي مُشتَقّانِ مِنَ الرَّحمَة[٤].

وقال العلامة السعدي: «﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها، واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها، الإيمان بأسماء الله وصفاته، وأحكام الصفات، فيؤمنون مثلاً بأنه رحمن رحيم، ذو الرحمة التي اتصف بها، المتعلقة بالمرحوم. فالنعم

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣٤٤.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٨.
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٣٧١.
(٤) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ٨/ ١٥٥.

كلها، أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء. يقال في العليم: إنه عليم ذو علم، يعلم به كل شيء، قدير، ذو قدرة يقدر على كل شيء»[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-العتق من جملة محاسن هذا الدين ومفاخره وهو إزالة المِلك. قال الأزهري: هو مشتق من عتق الفرس إذا سبق؛ لأن الرقيق يتخلص بالعتق ويذهب حيث شاء[٢].

٢-حث الله على إعتاق الرقاب، فقال ﷻ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[٣]، والمراد تخليصها من الرق، وإنما خصت بالذكر إشارة إلى أن حكم السيد على سيده كالغل في الرقبة، فإذا أعتق فك الغل من رقبته، كما قال الرسول ﷺ: «**أيما رجل أعتق امرأً مسلمًا، استنقذ الله بكل عضو منه عضوًا منه من النار**»[٤].

٣-ما كان عليه عليٌّ ﷺ من حسن إرشاد السائل إلى ما ينفعه؛ حيث علمه هذا الدعاء، وفي ذلك فضل لتعلم العلم، وتعليمه لمن يجهله.

٤-الحث على الإكثار من هذا الدعاء لمن ابتُلي بالدين، مع تفويض الأمر إلى الله، وبذل كل سبب شرعي لقضائه، وعدم المماطلة لقوله ﷺ: «**مطل الغني ظلم**»[٥].

٥-عون الله للمدين على حسب نيته في السداد، أو عدمه؛ لقوله ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ كَانَتْ لَهُ نِيَّةٌ فِي أَدَاءِ دَيْنِهِ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِنَ اللهِ ﷻ عَوْنٌ، فَأَنَا أَلْتَمِسُ**

---

(١) تفسير السعدي، ص: ٣٩.
(٢) فتح الباري، ٥/ ١٧٥.
(٣) سورة البلد، الآية: ١٣.
(٤) البخارين كتاب العتق، باب ما جاء في العتق وفضله، برقم ٢٥١٧.
(٥) البخاري، كتاب الحوالات، باب في الحوالة وهل يرجع في الحوالة، برقم ٢٢٨٧.

ذَلِكَ الْعَوْنَ»[١]، وضد ذلك من استدان وليس في نيته السداد توعده النبي ﷺ بقوله: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلاَفَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ**»[٢].

٦-ينبغي المبادرة إلى قضاء الدين قبل الموت لما يترتب على عدم قضائه بعد الموت من أمور عظام حذر منها رسول الله ﷺ كقوله: «**نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ، حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ**»[٣]، وقوله ﷺ لسعد بن الأحول ﷺ لما مات أخوه، وترك ثلاث مائة دينار، وترك أولادًا صغارًا، فأراد سعد أن ينفق على أولاد أخيه من هذا المال، فأخبره الرسول ﷺ بقوله: «**إِنَّ أَخَاكَ مَحْبُوسٌ بِدَيْنِهِ، فَاذْهَبْ، فَاقْضِ عَنْهُ**»، قَالَ: فَذَهَبْتُ، فَقَضَيْتُ عَنْهُ، ثُمَّ جِئْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ قَضَيْتُ عَنْهُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا امْرَأَةٌ تَدَّعِي دِينَارَيْنِ، وَلَيْسَتْ لَهَا بَيِّنَةٌ، قَالَ: «**أَعْطِهَا، فَإِنَّهَا صَادِقَةٌ**»[٤]، وقوله ﷺ: «**لاَ تُخِيفُوا أَنْفُسَكُمْ بَعْدَ أَمْنِهَا**» قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**الدَّيْنُ**»[٥].

---

(١) مسند أحمد، ٤٠/ ٤٩٧، برقم ٢٤٤٣٩، والبيهقي في السنن الكبرى، ٥/ ٣٥٤، والحاكم، ٢/ ٢٢، وصححه، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٨٠١.

(٢) البخاري، كتاب في الاستقراض، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، برقم ٢٣٨٧.

(٣) ابن ماجه، كتاب الصدقات، باب التشديد في الدين، برقم ٢٤١٣، وأحمد، ١٥/ ٤٢٥، والبيهقي، ٤/ ٦١، ورواية أحمد بلفظ: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ» وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب بروايتيه، برقم ١٨١١.

(٤) مسند أحمد، ٢٨/ ٤٦٣، برقم ١٧٢٢٧، وصححه محققو المسند، ٢٨/ ٤٦٣، والألباني في أحكام الجنائز، ص ١٥، وحسّن الألباني لفظ أبي داود، برقم ٣٣٤١: عَنْ سَمُرَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «هَاهُنَا أَحَدٌ، مِنْ بَنِي فُلَانٍ؟» فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ؟» فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ؟» فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ ﷺ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجِيبَنِي فِي الْمَرَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ؟ أَمَا إِنِّي لَمْ أُنَوِّهْ بِكُمْ إِلَّا خَيْرًا، إِنَّ صَاحِبَكُمْ مَأْسُورٌ بِدَيْنِهِ» فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَدَّى عَنْهُ حَتَّى مَا بَقِيَ أَحَدٌ يَطْلُبُهُ بِشَيْءٍ» وفي صحيح الترغيب والترغيب، برقم ١٥٥٠.

(٥) أحمد، ٢٨/ ٥٥٧، برقم ١٧٣٢٠، والبيهقي، ٥/ ٣٥٥، وأبو يعلى، ٣/ ٢٨٠، برقم ١٧٣٩، وحسنه محققو المسند، ١٥/ ٤٢٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٤٢٠.

١٣٧ - (٢)«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث، وشرح مفرداته[٢]:

تقدم لفظه، وشرح مفرداته، وبيان فوائده، وتخريجه في حديث المتن رقم ١٢١.

---

(١) البخاري، ٧/ ١٥٨، برقم ٢٨٩٣، وتقدم ص ٨٣، برقم ١٢١.

(٢) تنبيه هام: جاء هذا الدعاء عند أبي داود من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ وفيه قصة حيث دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال: «يا أبا أمامة، مالي أراك جالسًا في المسجد في غير وقت صلاة؟» قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله، قال: «أفلا أعلمك كلامًا إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك؟» قلت: بلى يا رسول الله قال: «قل: إذا أصبحت وإذا أمسيت» ثم ذكر الدعاء، قال أبو أمامة: ففعلت فأذهب الله تعالى همي وغمي وقضى عني ديني. قال الألباني: «وقد ضعف الحديث مع هذه القصة أيضًا أبو داود، والمنذري، والعسقلاني، وقد صح هذا الدعاء من حديث أنس كما تقدم من غير ذكر الصباح والمساء». انظر: ضعيف سنن أبي داود، برقم ١٥٥٥.

٤٢ – دُعَاءُ الوَسْوَسَةِ فِي الصَّلاةِ والقِرَاءَةِ

١٣٨ -((أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ، وَاتْفُلْ عَلَى يَسَارِكَ (ثلاثاً)))[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٦٢-أتى عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ ﷺ[٢] النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلاَتِي وَقِرَاءَتِي، يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **((ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلاَثًا))**، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي، هذا لفظ مسلم[٣].

٤٦٣-ولفظ ابن ماجه: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ﷺ قَالَ : لَمَّا اسْتَعْمَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الطَّائِفِ، جَعَلَ يَعْرِضُ لِي شَيْءٌ فِي صَلاَتِي، حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ رَحَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: **((ابْنُ أَبِي الْعَاصِ؟))** قُلْتُ: **نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ**، قَالَ: **((مَا جَاءَ بِكَ؟))** قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَرَضَ لِي شَيْءٌ فِي صَلَوَاتِي، حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي، قَالَ: **((ذَاكَ الشَّيْطَانُ، ادْنُهْ))**، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَجَلَسْتُ عَلَى صُدُورِ قَدَمَيَّ، قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرِي بِيَدِهِ، وَتَفَلَ فِي فَمِي، وَقَالَ: **((اخْرُجْ عَدُوَّ اللَّهِ))** فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ:

---

(١) مسلم،كتاب السلام، باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة، برقم ٢٢٠٣.

(٢) عثمان بن أبي العاص ﷺ: أبو عبد الله الثقفي الطائفي، الأمير الفاضل المؤتمن، قدم في وفد ثقيف على النبي ﷺ سنةتسع، فأسلموا، وأمّره عليهم؛ لما رأى من عقله، وحرصه على الخير والدين، وكان أصغر الوفد سنًّا، ثم أقره أبو بكر وعمر على الطائف، ثم استعمله عمر على عُمان، والبحرين، ثم قدمه على جيش، فافتتح توج ومصّرها، وسكن البصرة، وكانت وفاته عام إحدى وخمسين. انظر: الاستيعاب، ٣/ ١٠٣٥، ترجمة رقم ١٧٧٢، سير أعلام النبلاء، ٢/ ٣٧٤، ترجمة رقم (٧٨).

(٣) مسلم، برقم ٢٢٠٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

«**الْحَقْ بِعَمَلِكَ**». قَالَ: فَقَالَ عُثْمَانُ: فَلَعَمْرِي مَا أَحْسِبُهُ خَالَطَنِي بَعْدُ[١].

٤٦٤-ولفظ البيهقي: عنْ عثمانَ بنِ أبي العاصِ، قال: استعملني رسولُ الله، وأنا أصغر الستة الذين وفدوا عليه من ثقيفٍ، وذلك أني كنتُ قرأتُ سورةَ البقرةِ، فقلت: يا رسولَ الله، إنَّ القرآنَ ينفلتُ مِنّي، فوضعَ يدَهُ عَلَى صَدْري، وقال: «**يَا شَيطانُ، اخرجْ مِنْ صَدرِ عُثمانَ**»، فما نسيت شيئاً بعده أريد حفظه[٢].

٤٦٥-ولفظ الطبراني: عن عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ ﷺ، يَقُولُ: شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نِسْيَانَ الْقُرْآنِ، فَضَرَبَ صَدْرِي بِيَدِهِ، فَقَالَ: «**يَا شَيْطَانُ اخْرُجْ مِنْ صَدْرِ عُثْمَانَ**»، قَالَ عُثْمَانُ: فَمَا نَسِيتُ مِنْهُ شَيْئًا بَعْدُ أَحْبَبْتُ أَنْ أَذْكُرَهُ[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**أعوذ بالله من الشيطان**»: قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «العوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به. يقال: عاذ فلان بفلان، ... وأعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك، فإن ذلك سوء أتحاشى من تعاطيه[٤]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ الَّذِي لَمْ يُوجَدْ بَعْدُ، وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛ فَإِنَّ نَفْسَ وُجُودِهِ ضَرَرٌ، مِثَالُ الْأَوَّلِ: «أَعُوذُ بِاَللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، وَمِثْلُ الثَّانِي: التعوذ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أزل»[٥].

٢- قوله: «**من الشيطان الرجيم**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «الشيطان: من

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الطب، باب الفزع والأرق، برقم ٣٥٤٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة/ ٦/ ٤١٧.
(٢) دلائل النبوة، للبيهقي، ٥/ ٣٠٨، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٦/ ٤١٧.
(٣) المعجم الكبير للطبراني، ٩/ ٣٧، برقم ٨٣٤٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٦/ ٤١٧.
(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.
(٥) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ١٨/ ٢٨٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

الشطن: البعد، أي: بَعُد عن الخير، أو من الحبل الطويل، كأنه طال في الشر، أو من شاط يشيط إذا هلك، أو من استشاط غضباً إذا احتدّ في غضبه، والتهب، والأول أصح[1]، وقال الطبري رحمه الله: «وأما الرجيم، فهو: فَعيل بمعنى مفعول...: ملعون. وتأويل الرجيم: الملعون المشتوم، وكل مشتوم بقولٍ رديء، أو سبٍّ، فهو مَرْجُوم، وأصل الرجم الرَّميُ، بقول كان أو بفعل»[2].

٣-قوله: «**واتفل على يسارك ثلاثاً**»: إنما جاء الأمر باليسار؛ لأن الشيطان لا يقصد إلا القلب والقلب أقرب إلى اليسار[3].

٤-قوله: «**حال بيني وبين صلاتي**» أي: صار حائلًا، والحائل هو الحاجز بين الشيئين، والمعنى: أن الشيطان جاءه، فوسوس له، وشغله في صلاته، قال الطيبي رحمه الله: «حال: أصل الحول تغيُّر الشيء، وانفصاله من غيره باعتبار التغير، وقيل: حال الشيء، يحول حؤولاً، واستحالة: تهيَّأ لأن يحول، وباعتبار الانفصال قيل: حال بيني وبينك كذا»[4].

٥-قوله: «**يلبسها**»: أي: يخلطها، واللبس هو الخلط، وقال النووي: «وَمَعْنَى (يَلْبِسهَا): أَيْ: يَخْلِطهَا، وَيُشَكِّكنِي فِيهَا، وَهُوَ بِفَتْحِ أَوَّله وَكَسْر ثَالِثه، وَمَعْنَى: «**حَال بَيْنِي وَبَيْنهَا**»: أَيْ: نَكَّدَنِي فِيهَا، وَمَنَعَنِي لَذَّتهَا، وَالْفَرَاغ لِلْخُشُوعِ فِيهَا»[5].

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٧٤، مادة (شطن)، وتقدم في المفردة رقم ٧ من مفردات حديث المتن في المقدمة في فضل الذكر، رقم ١.
(٢) تفسير الطبري، ١/ ١١٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من مفردات حديث المتن رقم ٢٠.
(٣)انظر: العلم الهيب، ، ص ٣٦١.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٢/ ٥٢٨.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤/ ١٩٠.

٦-قوله: «خنزب»: لقب لذاك الشيطان، ومعنى خنزب في اللغة: «القطعة المنتنة من اللحم»[(١)].

وقال النووي: «قلتُ: خِنْزب بخاء معجمة، ثم نون ساكنة، ثم زاي مفتوحة، ثم باء موحدة، واختلف العلماء في ضبط الخاء منه، فمنهم من فتحها، ومنهم من كسرها، وهذان مشهوران، ومنهم من ضمَّها»[(٢)]، وقال القرطبي: «هو بالحاء المهملة وبفتحها عند الجياني، وبكسرها عند الصدفي، وفي الصحاح: الخنزاب: هو الغليظ القصير، وأنشد:

تاحَ لها بَعدك خِنْزابٌ وزَى

والوزى: الشديد، فيمكن أن يُسمَّى الشيطان: خنزبًا؛ لأنَّه يتراءى غليظًا قصيرًا. وحذفت الألف لما صار علمًا، فكثيرًا ما تغيَّر الأعلام عن أصولها»[(٣)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-حرص عدو الله إبليس على الذهاب بلب الصلاة، وهو الخشوع، حتى يخرج المصلي من صلاته، ولم يعقل منها شيئًا، فيفوِّت عليه الأجور العظيمة، وإن كان العبد قد سقطت عنه الفريضة بعد أدائها.

٢-الوسوسة من أعظم مكائد الشيطان، ابتداءً من أمر الطهارة والنية، ثم في داخل الصلاة، ولا علاج لهذا إلا بالعلم الشرعي، وإلا صار الموسوس مجنونًا، أو على درب المجانين.

٣-ما أنعم الله ﷻ به على الصحابة ﭫ من حضور النبي ﷺ ووجوده بين ظهرانيهم، فإذا أشكل عليهم أمر رجعوا إليه.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ١٦٣، مادة (خنزب).

(٢) الأذكار النووية للإمام النووي، ص ١٧٥.

(٣) المفهم ، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٨/ ٧٢.

٤-اليقين التام على صدق الرسول ﷺ فيما قال، هو طريق قطع الوسوسة؛ لأن بعض الناس يطبقون هذه السنة وأمثالها على سبيل التجربة، وهذا من تلبيس الشيطان عليهم.

٥-ذكر في هذا الحديث: تعوذ بالله، وفيه: «**واتفل عن يسارك ثلاثاً**»، وفي الآخر: «قل: بسم الله ثلاثاً»، «**وقل سبع مرات: أعوذ بالله، وقدرته، من شر ما أجد وأحاذر**»[1]، فيه اختصاص هذه الأمور بالوتر، وتخصيص الثلاث منها، والسبع، وذلك كثير في موارد الشرع، لا سيما تخصيص السبع بما هو في باب الشفاء، والمعافاة، والنشر، ودفع السحر، وأمر الشيطان والسم»[2].

٦-وَفِي هَذَا الْحَدِيث اِسْتِحْبَاب التَّعَوُّذ مِنْ الشَّيْطَان عَنْ وَسْوَسَته مَعَ التَّفْل عَنْ الْيَسَار ثَلَاثًا[3].

٧-قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن جملة مفاسد الوسوسة ما يلي:

أ – يجمع الموسوس على نفسه طاعة إبليس ومخالفة السنة.

ب – تعذيب نفسه وإضاعة وقته.

جـ – الاشتغال بما ينقص أجره.

د – فوات ما هو أنفع له.

هـ – تعريض نفسه لطعن الناس فيه.

و – تغرير الجاهل بالاقتداء به.

ز – يجعل من نفسه قرة عين لخنزب وأصحابه.

٨-قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: والوسوسة سببها إما جهل بالشرع أو

---

(١) مسلم، برقم ٢٢٠٢، وسيأتي تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٢٤٣.

(٢) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض، ٧/ ٥٤.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤/ ١٩٠.

خبل في العقل وكلاهما من أعظم النقائص والعيوب(١).

٩-قد ذُكِرَ عن النبي ﷺ (٢)أنه قال: «**إن للوضوء شيطانًا يقال له: الولهان، فاتقوا وسواس الماء**»(٣).

***

(١)انظر: إغاثة اللَّهفان، ١/ ١٢٧.

(٢) " تهذيب الكمال" ١/٤٨٨، و"تهذيب التهذيب" ١/٧٠، و"التقريب" (١١٠).

(٣) الترمذي، برقم ٥٧، وقال الألباني: ضعيف الإسناد، وانظر المشكاة، برقم ٤١٩، وقد استشهد بهذا الحديث عدد من الأئمة في كثير من كتبهم،ففي شرح عمدة الفقه لابن تيمية، ١/ ٢١٣: «وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لِلْوُضُوءِ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ الْوَلْهَانُ، فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ، وقال الإمام ابن القيم في تحفة المودود بأحكام المولود، ص: ١١٨: «وفي سنن ابن ماجه، وزيادات عبد الله في مسند أبيه، من حديث أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: «إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان، فاتقوا وسواس الماء»» وفي زاد المعاد، ١/ ١٨٤: «وكان من أيسر الناس صباً لماء الوضوء، وكان يحذر أمته من الإسراف فيه، وأخبر أنه يكون في أمته من يعتدي في الطهور وقال: «إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان، فاتقوا وسواس الماء».

٤٣ — دُعَاءُ مَنِ اسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ أَمْرٌ

١٣٩- «اللَّهُمَّ لاَ سَهْلَ إِلاَّ مَا جَعَلْتَهُ سَهْلاً، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ إِذَا شِئْتَ سَهْلاً»[١].

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٦٦-عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه[٢]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ سَهْلًا إِذَا شِئْتَ»[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللّهم**»: «بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»[٤].

٢-قوله: «**لا سهل**»: السهل هو الأمر الميسور الخالي من التعب والنكد.

قال في اللسان: السَّهْلُ نَقيضُ الحَزْن، والنسبة إِليه سُهْلِيٌّ، ونَهَرٌ سَهِلٌ ذو سِهْلَةٍ، والسُّهولة ضد الحُزُونة، وقد سَهُل الموضعُ -بالضم - ...السَّهْلُ كل شيء إِلى اللِّين، وقِلة الخشونة ... والسَّهِلُ كالسَّهْل ... وقد سَهُلَ سُهولةً،

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، ٣/ ٢٥٥، برقم ٩٧٤، والضياء المقدسي في المختارة، ٦٢/٥، برقم ١٦٨٤، وحسّن إسناده، والديلمي في مسند الفردوس، ٤٩٥/١، برقم ٢٠١٩، وابن السني، برقم ٣٥١، وصححه عبد القادر الأرناؤوط في تخريج الأذكار للنووي، ص١٠٦، ومحقق ابن حبان، ٣/ ٢٥٥، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦/ ٩٠٢.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه، برقم ٩٧٤، والضياء المقدسي في المختارة، برقم ١٦٨٤، وحسّن إسناده، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦/ ٩٠٢، وتقدم تخريجه في حديث المتن.

(٤) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

وسَهَّله صَيَّره سَهْلاً، وفي الدعاء: «سَهَّل اللهُ عليك الأَمرَ، ولك»، أَي: حَمَل مؤنَته عنك، وخَفَّفَ عليك، والسَّهْل من الأَرض نقيض الحَزن ... وأَرض سَهْلة، وقد سَهُلَتْ سُهولةً»[١].

٣-قوله: «إلا ما جعلته سهلًا»: أي: أنك الذي تملك التيسير والراحة، قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «الدعاء بأن الله ﷻ يجعل كل صعب من الأمور سهلاً، يمكن الوصول إليه بلا صعوبة، وإن أخذه إعياء من شغل، أو طلب زيادة قوت»[٢].

٤-قوله: «الحَزْن»: بفتح الحاء المهملة وإسكان الزاي أي: الأرض الخشنة الغليظة، قال ابن الأثير: «الحَزْن: المكان الغليظ الخَشِن، والحُزُونة: الخُشُونة، ومنه حديث المغيرة «مَحْزُون اللِّهْزِمة» أي: خَشِنُها، أو أن لهْزِمَته تَدَلَّتْ من الكآبة، ومنه حديث الشَّعبي: «أَحْزَن بنا المنْزِل» أي: صار ذا حُزُونة، كأَخْصَب وأَجْدَب، ويجوز أن يكون من قولهم: أَحْزَن الرجُل، وأَسْهَل: إذا رَكِبَ الحَزْن، والسَّهل، كأن المنزل أرْكَبهم الحُزُونة حيث نَزلوا فيه»[٣].

٥-قوله: «وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً»: قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «الدعاء بأن الله ﷻ يجعل كل صعب من الأمور سهلاً، يمكن الوصول إليه بلا صعوبة، وإن أخذه إعياء من شغل، أو طلب زيادة قوت»[٤].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-خزائن كل شيء بيد من خلقها، وهو الله ﷻ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾[٥].

---

(١) لسان العرب، ١١/ ٣٤٩، مادة (سهل).

(٢) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ٢٩٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ١/ ٣٨٠، مادة (حزن).

(٤) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ٢٩٧.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٢١.

٢-أسباب التيسير يجعلها الله هينة لينة لمن شاء من عبادة وبضدها تتميز الأشياء.

٣-مشروعية قول هذا الدعاء عند الأمور الصعبة مع شدة اليقين والتوكل على الله والأخذ بالأسباب المشروعة.

٤-مهما بذل العبد من سبب لتيسير الأمر الصعب فإن ذلك كله بمشيئة الله؛ لأن العباد كما أنهم لم يوجدوا أنفسهم لم يوجدوا أفعالهم فالكل بيد الله ومشيئة العبد داخلة تحت مشيئة الرب قال الله تعالى: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾[1] وقول الرسول ﷺ: «**إن الله يصنع كل صانع وصنعته**»[2].

***

(١) سورة الإنسان، الآية: ٣٠.

(٢) خلق أفعال العباد، للبخاري، ص: ٤٦، برقم ١٠٢، والحاكم، ١/ ٣١، وصححه الحافظ في الفتح، ١٣/ ٤٩٨، والألباني في صحيح الجامع، برقم ١٧٧٧.

٤٤ — مَا يَقُولُ وَيَفعَلُ مَنْ أذْنَبَ ذَنْبًا

١٤٠ -«مَا مِنْ عَبْدٍ يُذنِبُ ذَنْباً فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلاَّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٦٧-عن عَلِيٍّ ﷺ(٢) قالَ: كُنْتُ رَجُلاً إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا نَفَعَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِمَا شَاءَ أَنْ يَنْفَعَنِي، وَإِذَا حَدَّثَنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ اسْتَحْلَفْتُهُ، فَإِذَا حَلَفَ لِي صَدَّقْتُهُ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ(٣) أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلاَّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ»(٤)، هذا لفظ أصحاب السنن.

٤٦٨-ولفظ الطبراني: عن يوسف بن عبد الله بن سلام(٥)، قال: أتيت أبا

---

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، برقم ١٥٢١، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة عند التوبة، برقم ٤٠٦، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يفعل من بلي بذنب ويقول، برقم ١٠٢٤٧، وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في أن الصلاة كفارة، برقم ١٣٩٥، وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ١١/ ٩٨، والألباني في صحيح أبي داود، ١/٢٨٣.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١٤ من أحاديث الشرح.

(٤) أبو داود، برقم ١٥٢١، والترمذي، ٢/ ٢٥٧، برقم ٤٠٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١/٢٨٣، وقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) يوسف بن عبد الله بن سلام الإسرائيلي المدني، أبو يعقوب، صحابي أدرك النبي ﷺ وهو صغير، أجلسه رسول الله ﷺ في حجره، ومسح على رأسه، وسماه يوسف، روى عن النبي ﷺ أحاديث، وقال: سماني رسول الله ﷺ يوسف، وأقعدني في حجره، ومسح على رأسي، وقد ذكره العجلي في ثقات التابعين. انظر: الاستيعاب، ٤/ ١٥٩٠، تقريب التهذيب، ٢/ ٣٤٤.

=

الدرداء[١]، وهو بالشام، فقال: ما جاء بك يا بني إلى هذه البلدة، وما عنَّاك إليها؟ قلت: ما جاء بي إلا صلة ما كان بينك وبين أبي، فأخذ بيدي، فأجلسني، فساندته، ثم قال: بئس ساعة الكذب على رسول الله ﷺ، سمعت النبي ﷺ يقول: «**ما من مسلم يذنب ذنباً، فيتوضأ، ثم يصلي ركعتين، أو أربعاً مفروضة، أو غير مفروضة، ثم يستغفر الله إلاَّ غفر الله له**»[٢].

٤٦٩-وعند البيهقي: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ[٣]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، فَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ إِنْ شَاءَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُعَذِّبَهُ عَلَيْهِ عَذَّبَهُ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ ﷻ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ**»[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**ما من عبد**»: يدخل في ذلك الذكر والأنثى؛ لعموم الأدلة على ذلك.

٢-قوله: «**يذنب ذنباً**»: أي: يقترف ذنباً من الذنوب، وهي المعاصي، قال ابن فارس رحمه الله: «الذّنب والجُرم، يقال: أَذْنَبَ يُذْنِبُ، والاسم الذّنْب، وهو مُذْنِبٌ...»[٥]. وقال ابن منظور رحمه الله: «الذَّنْبُ: الإِثْمُ والجُرْمُ وَالْمَعْصِيَةُ»[٦].

٣-قوله: «**فيحسن الطُّهور**»: بضم الطاء هو الوضوء، وبالفتح هو الماء المستخدم في الطهارة.» أي: يتقن الوضوء بواجباته، ومستحباته، قال ابن

=

وأما أبوه: عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ثم الأنصارى، كان حليفاً للأنصار، كان اسمه فى الجاهلية الحصين، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله، وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين، وهو أحد الأحبار، أسلم إذ قدم النبي ﷺ المدينة، الاستيعاب، ٣/ ٩٢١، والإصابة، ٤/ ١١٩.

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤ من أحاديث الشرح.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني، ٥/ ١٨٦، برقم ٥٠٢٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ١٤/ ١٠.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٤) شعب الإيمان، للبيهقي، ٥/ ٤٠٩، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ١٥٨.

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٢/ ٣٦١، مادة (ذنب).

(٦) لسان العرب، ١/ ٣٨٩، مادة (ذنب)، وتقدمشرح الذنب في شرح المفردة رقم ٢ من حديث المتن رقم ٤٦.

الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الطُّهور – بِالضَّمِّ -: التَّطَهُّر، - وبالفَتح-: الماءُ الَّذِي يُتَطَهَّرُ بِهِ، كالوَضُوء والوُضُوء، والسَّحُور والسُّحُور، وَقَالَ سِيبَوَيْهِ: الطَّهُور بِالْفَتْحِ يقَع عَلَى الْمَاءِ والمصْدَر مَعاً، فَعَلى هَذَا يَجُوزُ أَنْ يكونَ الْحَدِيثُ بِفَتْحِ الطَّاءِ وَضَمِّهَا، والمرادُ بِهِمَا التَّطَهُّر»[1]، وقال القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بضَمِّ الطَّاءِ، أَيْ: يَأْتِي بِوَاجِبَاتِهِ وَمُكَمِّلَاتِهِ»[2].

٤-قوله: « **ثم يقوم فيصلي ركعتين**» أي: بخشوع وخضوع وتذلل وندم على ما أذنب، قال الحجاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وصلاة التوبة إذا أذنب ذنباً يتطهر، ثم يصلى ركعتين»[3].

٥-قوله: «**ثم يستغفر الله**» أي: بالقلب واللسان مع العزم على عدم العودة إلى ذلك، قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإن كانت الصلاة أعلى رتبة من الاستغفار؛ لأن المطلوب بالذات في هذا المقام هو الاستغفار، وذكر الصلاة كالوسيلة إلى قبول التوبة، ومآل المعنيين إلى أمر واحد»[4]، وقال المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الاستغفار: «أي: لذلك الذنب كما في رواية بن السني والمراد بالاستغفار التوبة بالندامة والإقلاع والعزم على أن لا يعود إليه أبداً، وأن يتدارك الحقوق إن كانت هناك وثم في الموضعين لمجرد العطف التعقيبي»[5].

٦-قوله: «**إلا غفر الله له**»: فضلًا من الله وكرمًا، قال القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «استثناء مفرغ مما هو جواب محذوف للشرط المذكور، أي: الذي قال فيه ذلك الذكر تقديره ما قال قائل هذا الدعاء إلا غفر الله له ما أصابه في يومه ذلك، أو يقدّر نفي أي: من قال ذلك لم يحصل له شيء من الأحوال، إلا هذه

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ١٤٧، مادة (طهر).
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/ ٨٤٢.
(٣) الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ١/ ١٥٤.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٢٤٧.
(٥) تحفة الأحوذي، ٢/ ٣٦٨.

الحالة العظيمة من المغفرة الجسيمة من ذنب»[١].

٧-قوله: «**مفروضة أو غير مفروضة**»: أي الصلاة إن كانت فرضاً أو غير فرض من الله ﷻ، أي من السنن، أو المستحبات، أو المندوبات، وفَرَضَ الله الأحكام فرْضاً: أوجبها، فالفَرْضُ: المَفْرُوضُ، وجمعه فُرُوضٌ، مثل فَلْسٍ و فُلُوسٍ»[٢].

٨-قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ**﴾: قال العلامة السعدي رحمه الله: «أي: صدر منهم أعمال سيئة كبيرة، أو ما دون ذلك، فبادروا إلى التوبة والاستغفار»[٣].

٩-قوله تعالى: ﴿**ذَكَرُوا اللَّهَ**﴾: قال العلامة السعدي رحمه الله: أ«ي: ذكروا ربهم، وما توعد به العاصين، ووعد به المتقين»[٤].

١٠-قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ فسألوه المغفرة لذنوبهم، والستر لعيوبهم، مع إقلاعهم عنها، وندمهم عليها»[٥].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-بيان سعة رحمة الله ﷻ فهو رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما وأن باب التوبة لا يغلق لقوله ﷺ: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»[٦] ومعنى الغرغرة: هي وصول الروح إلى الحلقوم حال النزع.

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٢٧٠.

(٢) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢ / ٤٦٩.

(٣) تفسير السعدي، ص ١٤٨.

(٤) تفسير السعدي، ص ١٤٨.

(٥) انظر: تفسير السعدي، ص: ١٤٨.

(٦) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا إبراهيم بن يعقوب، برقم ٣٥٣٧، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم ١٩٠٣.

٢-ليس معنى هذا أن العبد يتجرأ بفعل المعاصي اعتمادًا على هذا الحديث وأمثاله؛ لأن هذا سوء أدب مع خالقه، وعاقبة ذلك خسرًا، قال رسول ﷺ: «**يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالبًا**»(١).

٣-الحث على إسباغ الوضوء، والإقبال على الصلاة بخشوع القلب، مع سكينة الجوارح طامعًا في وعد الله بالمغفرة، وقد جاء في نهاية الحديث أن النبي ﷺ قرأ: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾**(٢).

٤-ومعنى «ينفعني الله به» أي: بالعمل بما في الحديث، وكانت هذه عادة الصحابة ﵃ يتعلمون ويعملون.

٥-قوله: «استحلفته» أي: لزيادة التوثيق، والاطمئنان، وإلا فإن خبر الواحد العدل مقبول، فكيف بالصحابة ﵃.

٦-قوله: «صدقته» أي: على وجه الكمال وإن كان القبول حاصلًا بدونه(٣).

***

(١) أخرجه أحمد، ٦/١٥١ ، رقم ٢٥٢١٨) ، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، برقم ٤٢٤٣، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، ٢/٣٥٥، وابن أبي شيبة، ٧/٨٠، برقم ٣٤٣٣٧، قال البوصيري في زوائد ابن ماجه، ٤/٢٤٥: «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات» وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة، ٢/ ٢٦، ٥١٣.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٥- ١٣٦.

(٣) انظر: شرح سنن ابن ماجه للسندي، ٢/١٦٤ .

٤٥ — دُعَاءُ طَرْدِ الشَّيْطَانِ وَوَسَاوِسِهِ

١٤١-(١)«الْاسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنْهُ»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٧٠-عن جبير بن مطعِم رضي الله عنه(٢)، أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي صَلَاةً - قَالَ عَمْرٌو: لَا أَدْرِي أَيَّ صَلَاةٍ هِيَ - فَقَالَ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ثَلَاثًا، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ**»، قَالَ: نَفْثُهُ الشِّعْرُ، وَنَفْخُهُ الْكِبْرُ، وَهَمْزُهُ الْمُوتَةُ»(٣).

٤٧١-وعند مسلم عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه(٤)، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ: «**أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ**» ثُمَّ قَالَ «**أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ**» ثَلَاثًا، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ، قَالَ: «**إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ، جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ، فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ، ثَلَاثَ**

---

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، برقم ٧٦٤، وابن ماجه، أبواب إقامة الصلاة، باب الاستعاذة في الصلاة، برقم ٨٠٧، وقواه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ٢/ ٥٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٣١، وانظر:سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٧-٩٨ .

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١١٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٧٦٤، وابن ماجه، برقم ٨٠٧، وقواه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ٢/ ٥٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٣١، وانظر:سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٧-٩٨.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤ من أحاديث الشرح.

مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ، وَاللهِ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ»[١].

٤٧٢-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ عِفْرِيتًا مِنْ الْجِنِّ تَفَلَّتَ الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِي فَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنْهُ فَأَخَذْتُهُ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبُطَهُ عَلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ رَبِّ ﴿هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ فَرَدَدْتُهُ خَاسِئًا»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: « **الاسْتِعاذةُ بِاللَّه**»: قال الراغب الأصفهاني: «والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به.... وأعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك[٣]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ ... وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛... ويُسْتَعَاذُ مِنْ الشَّرِّ الْمَوْجُودِ أَنْ لَا يُضَرَّ، وَيُسْتَعَاذُ مِنْ الشَّرِّ الضَّارِّ الْمَفْقُودِ أَنْ لَا يُوجَدَ»[٤].

٢-قوله: «**بشهاب**»: الشهاب شعلة من النار وقيل: كل أبيض ذي نور فهو شهاب.الِّشهاب الذي يَنْقَضُّ في الليل شِبْه الكوكب، وهو في الأصل الشُّعْلة من النار[٥].

---

(١) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة، والتعوذ منه، وجواز العمل القليل في الصلاة، برقم ٥٤٢.

(٢) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، برقم ٣٤٢٣، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة، والتعوذ منه، وجواز العمل القليل في الصلاة، برقم ٥٤١.

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث لمتن رقم ٥٥.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ١٨/ ٢٨٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٥١٢، مادة (شهب).

٣-قوله: «بلعنة الله» التامة أي: التي توجب عليك العذاب سرمدًا، وقيل: إنها لعنة واجبة، وقولـه: «ألعنك بلعنة الله التامة»، أصل اللعن: الطرد والبعد، ومعناه: أسال الله أن يلعنه بلعنته[١].

٤-قوله: «لولا دعوة أخينا سليمان»: وهو قوله: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[٢]، وقد سخر الله له الجن، ولم يسخر لأحد من بعده، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يدلّ على أن مُلْكَ الجن، والتصرُّفَ فيهم بالقهر، مما خُصّ به سليمان ﷺ، وسبب خصوصيته : دعوته التي استجيبتْ له»[٣].

٥-قوله: «قول أخي سليمان» يفهم منه أن مثل هذا مما خُصَّ به سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دون غيره من الأنبياء، واستجيبت دعوته في ذلك؛ ولذلك امتنع نبينا ﷺ من أخذه، إما إنه لم يقدر عليه لذلك؛ أو لما تذكر ذلك لم يتعاط ذلك؛ لظنه أنه لا يقدر عليه، أو تواضعاً، وتأدباً، وتسليماً لرغبة سليمان[٤].

٦-قوله: «موثقًا»: أي: مقيدًا مكتفًا، وَالْحَبْلُ، أَوِ الشَّيْءُ الَّذِي يُوثَق بِهِ وِثاقٌ، وَالْجَمْعُ الوُثُقُ بِمَنْزِلَةِ الرِّباطِ والرُّبُطِ، وأَوْثَقهُ فِي الوَثاقِ، أَيْ شَدَّهُ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَشُدُّوا الْوَثاقَ﴾[٥].

٧-قوله: «إنّ عِفْرِيتاً من الجن»: قال الإمام البخاري في صحيحه مفسراً له: «عفريت: مُتَمَرِّدٌ مِنْ إِنْسٍ، أَوْ جَانٍّ، مِثْلُ زِبْنِيَةٍ، جَمَاعَتُهَا: الزَّبَانِيَةُ»[٦]، وقال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العفريت من الجن هو العاتي الخبيث ويقال للرجل الخبيث الداهي

(١) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٥ / ٨٠.
(٢) سورة ص: آية ٣٥.
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٥/ ٨١.
(٤) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٢ / ٤٦٤.
(٥) لسان العرب، ١٠ / ٣٧١، مادة (وثق)، وانظر: العلم الهيب، وشرح مسلم للنووي، ٥/ ٣٠. والآية من سورة محمد، الآية: ٤.
(٦) صحيح البخاري، ٤/ ١٦٢.

العفريت وهو ذكر الخنزير سمي به لخبثه والعفريت من كل شيء المبالغ يقال: عفريت نفريت ومعنى تفلت: أي تعرض لي بغتة ليغلبني في صلاتي»[١].

٨-قوله: «**لَوْلاَ دَعْوَةُ أَخِينَا سليمان لأصْبح مُوثَّقًا يلْعبُ به وِلْدَانُ أهلِ المَدِينة**» يعني الشيطانَ الذي عرَض له في صَلاته، وأرادَ بدعوة سليمانَ عليه السلام قوله: ﴿**وَهبْ لي مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ مِن بَعْدِي**﴾، ومن جُمْلة مُلْكه تَسْخيرُ الشَّياطين وانْقِيادُهُم له[٢].

٩-قَوْله ﷺ: «**أَلْعَنُك بِلَعْنَةِ اللَّه التَّامَّة**»، قَالَ الْقَاضِي: يَحْتَمِل تَسْمِيَتهَا تَامَّة، أَيْ لَا نَقْص فِيهَا، وَيَحْتَمِل الْوَاجِبَة لَهُ، الْمُسْتَحَقَّة عَلَيْهِ، أَوْ الْمُوجِبَة عَلَيْهِ الْعَذَاب سَرْمَدًا، وَقَالَ الْقَاضِي: «وَقَوْله ﷺ «**أَلْعَنك بِلَعْنَةِ اللَّه، وَأَعُوذ بِاَللَّهِ مِنْك**» دَلِيل جَوَاز الدُّعَاء لِغَيْرِهِ، وَعَلَى غَيْره، بِصِيغَةِ الْمُخَاطَبَة، خِلَافًا لِابْنِ شَعْبَان مِنْ أَصْحَاب مَالِك فِي قَوْله: إِنَّ الصَّلَاة تَبْطُل بِذَاكَ، قُلْت: وَكَذَا قَالَ أَصْحَابنَا تَبْطُل الصَّلَاة بِالدُّعَاءِ لِغَيْرِهِ بِصِيغَةِ الْمُخَاطَبَة، كَقَوْلِهِ لِلْعَاطِسِ: رَحِمَك اللَّه، أَوْ يَرْحَمك، وَلِمَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ: وَعَلَيْك السَّلَام، وَأَشْبَاهه...»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية الاستعاذة داخل الصلاة، مع التفل عن اليسار، وأن ذلك غير جارح لها؛ لكنه مرتبط بطرد الشيطان، ووسوسته، وفعل ذلك خارج الصلاة من باب أولى.

٢-الجن أجسام روحانية، فيحتمل هذا أنه تشكل على صورة يمكن ذلك فيها على العادة، ثم يمنع من أن يعود إلى ما كان عليه حتى يتأتى اللعب به، وإن خرقت العادة أمكن غير ذلك[٤].

---

(١)انظر: العلم الهيب، ص ٣٥٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ١٢٢، مادة (جن).

(٣) شرح النووي على مسلم، ٥ / ٣٠.

(٤) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٢ / ٢٦٣.

٣-ما كان عليه الرسول ﷺ من تمام العبودية لله؛ لأنه ترك الإمساك بالجني، مع قدرته على ذلك تأدبًا، وتواضعًا، وإقرارًا منه لدعوة سليمان عليه السلام.

٤-جاء في القرآن قوله ﷻ: ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ**﴾[(١)]، وقوله ﷻ: ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[(٢)]، وقال رسول الله ﷺ: «**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه**»[(٣)]، وهذه أدلة صريحة على وجود الشيطان ومشروعية الاستعاذة بالله منه.

٥-فيه دليل على وجود الجن وأنه قد يراهم بعض الآدميين ولا معارضة بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ**﴾[(٤)]؛ لأن هذا محمول على الغالب وقيل: إن رؤيتهم على صورهم الأصلية ممتنعة لظاهر الآية إلا للأنبياء عليهم السلام، وإنما يراهم بنو آدم في صور غير صورهم.

٦-قال القاضي عياض: وفيه رؤية بني آدم الجن، وقد جاءت بذلك عن السلف والصالحين أخبار كثيرة، ومجمل قوله ﷻ: ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُم**﴾ على الأغلب والأعم ، ولو كانت رؤيتهم محالاً لما أخبر النبي ﷺ بما أخبر وأراده، حتى تَذكر خبر سليمان، وقيل: هذا الحديث دليل على رؤية أصحاب سليمان لهم، وليس ببيّن عندي، إنما دليله قدرة سليمان عليهم، وتسخيرهم له، كما نصَّ الله تعالى عليه، وقد قيل: إنَّ رؤيتهم على خلقِهم وظهورهم ممتنعة؛ لظاهر الآية إلا الأنبياء، ومن خرقت له العادة، وإنما يراهم بنو

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٧- ٩٨.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

(٣) أبو داود، برقم ٧٧٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١/ ١٤٩، وتقدم تخريجه في تخريج الحديث رقم ٣١ من أحاديث المتن.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

آدم في صور غير صورهم، كما جاء في الآثار من ذلك[١].

١١- إن قال قائل: كيف يسلط الشيطان على الرسول ﷺ وهو معصوم؟ والجواب أن العصمة كانت من الناس؛ لقوله ﷻ: ﴿**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾[٢]، وكذلك العصمة من الشيطان في المعاصي دون الوسواس، دل على ذلك قوله: ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[٣]، وقيل: إنه معصوم من شيطانه، وما كان يأمره إلا بخير؛ لقوله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن**». قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «**وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير**»[٤].

١٢- قال القاضي: «واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه، وخاطره، ولسانه»[٥]، قلت: وعقله ﷺ، وتبليغه للوحي.

١٣- فِيهِ جَوَاز الْحَلِف مِنْ غَيْر اِسْتِحْلَاف؛ لِتَفْخِيمِ مَا يُخْبِر بِهِ الْإِنْسَان، وَتَعْظِيمه، وَالْمُبَالَغَة فِي صِحَّته، وَصِدْقه، وَقَدْ كَثُرَتْ الْأَحَادِيث بِمِثْلِ هَذَا[٦].

***

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٢ / ٢٦٤.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.
(٣) فصلت: ٣٦.
(٤) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب تحريش الشيطان، وبعث سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قريناً، برقم ٢٨١٤، قال النووي: أما قوله ﷺ: «فأسلم» برفع الميم وفتحها، وهما روايتان مشهورتان، فمن رفع قال معناه: أسلم من شره وفتنته، ومن فتح قال: إن القرين أسلم من الإسلام، وصار مؤمنًا بدليل قوله ﷺ: «فلا يأمرني إلا بخير. إلى أن قال النووي: والأرجح رواية الفتح. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٥٥/٧.
(٥) مسلم شرح النووي، ٥/ ٣٠، وانظر العلم الهيب.
(٦) مسلم شرح النووي، ٥/ ٣٠.

١٤٢-(٢)«الْأَذَانُ»(١).

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٧٣-لفظ البخاري ومسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قَضَى التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا؛ لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى»(٣).

٤٧٤-ولفظ أخر للبخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ الْأَذَانَ، فَإِذَا قُضِيَ الْأَذَانُ أَقْبَلَ، فَإِذَا ثُوِّبَ بِهَا أَدْبَرَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا وَكَذَا، مَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ إِنْ يَدْرِي كَمْ صَلَّى، فَإِذَا لَمْ يَدْرِ أَحَدُكُمْ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا، فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ»(٤).

٤٧٥-ورواية لمسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٥)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ أَحَالَ لَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ، فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ، فَإِذَا سَمِعَ الْإِقَامَةَ ذَهَبَ حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ، فَإِذَا

---

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب فضل التأذين، برقم ٦٠٨، ومسلم، كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، برقم ٣٨٩، والبخاري، كتاب السهو، باب إذا لم يدر كم صلى ثلاثاً أو أربعاً: سجد سجدتين وهو جالس، برقم ١٢٣١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٦٠٨، ومسلم، برقم ١٩ - (٣٨٩)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري، برقم ١٢٣١. وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ»[(١)].

٤٧٦-ورواية أخرى لمسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ حُصَاصٌ**»[(٢)].

٤٧٧-وفي رواية ثالثة لمسلم: عَنْ سُهَيْلٍ[(٣)]، قَالَ: أَرْسَلَنِي أَبِي إِلَى بَنِي حَارِثَةَ، قَالَ: وَمَعِي غُلَامٌ لَنَا - أَوْ صَاحِبٌ لَنَا - فَنَادَاهُ مُنَادٍ مِنْ حَائِطٍ بِاسْمِهِ قَالَ: وَأَشْرَفَ الَّذِي مَعِي عَلَى الْحَائِطِ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي فَقَالَ: لَوْ شَعَرْتُ أَنَّكَ تَلْقَ هَذَا لَمْ أُرْسِلْكَ، وَلَكِنْ إِذَا سَمِعْتَ صَوْتًا فَنَادِ بِالصَّلَاةِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ وَلَّى وَلَهُ حُصَاصٌ**»[(٤)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**الأذان**»: قال النووي رحمه الله: «أصل الأذان: الإعلام، والأذان للصلاة معروف... المؤذن: المُعلم بأوقات الصلاة...أذن المؤذن تأذيناً، وأذاناً، أي: أعلم الناس بوقت الصلاة... وأصله من الأُذُن، كأنه يلقي في آذان الناس بصوته ما يدعوهم الى الصلاة، قال القاضي عياض رحمه الله: «اعلم أن الأذان كلام جامع لعقيدة الإيمان، مشتمل على نوعه من التعليقات والسمعيات، فأوله إثبات الذات، وما يستحقه من الكمال، والتنزيه عن أضدادها، وذلك بقوله: «الله أكبر»، وهذه اللفظة مع اختصار لفظها دالة على ما ذكرناه، ثم صرح بإثبات الوحدانية، ونفى ضدها من الشركة المستحيلة

---

(١) مسلم، برقم ١٦-(٣٨٩)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، برقم ١٧-(٣٨٩).

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٤٤ من أحاديث الشرح.

(٤) مسلم، برقم ١٨-(٣٨٩)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

في حقه ﷻ، وهذه عمدة الإيمان، والتوحيد المقدمة على كل وظائف الدين، ثم صرح بإثبات النبوة والشهادة بالرسالة لنبينا ﷺ، وهي قاعدة عظيمة بعد الشهادة بالوحدانية، وموضعها بعد التوحيد؛ لأنها من باب الأفعال الجائزة الوقوع، وتلك المقدمات من باب الواجبات، وبعد هذه القواعد كملت العقائد العقليات فيما يجب، ويستحيل، ويجوز في حقه ﷻ، ثم دعا إلى ما دعاهم إليه من العبادات، فدعا إلى الصلاة، وجعلها عقب إثبات النبوة؛ لأن معرفة وجوبها من جهة النبي ﷺ، لا من جهة العقل، ثم دعا إلى الفلاح، وهو الفوز، والبقاء في النعيم المقيم، وفيه إشعار بأمور الآخرة من البعث، والجزاء، وهي آخر تراجم عقائد الإسلام، ثم كرر ذلك بإقامة الصلاة للإعلام بالشروع فيها، وهو متضمن لتأكيد الايمان وتكرار ذكره عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان وليدخل المصلي فيها علي بينة من أمره وبصيرة من إيمانه ويستشعر عظيم ما دخل فيه، وعظمة حق من يعبده، وجزيل ثوابه: هذا آخر كلام القاضي، وهو من النفائس الجليلة، وبالله التوفيق»[(١)].

٢-قوله: «**إذا نودي للصلاة**» أي: بشروع المؤذن في أذانه، يريد إذا أذن لها فر الشيطان من ذكر الله في الأذان[(٢)].

٣-قوله: «**أدبر الشيطان**» أي: ابتعد مسرعًا موليًا، فرّ الشيطان من ذكر الله في الأذان، وأدبر وله ضراط من شدة ما لحقه من الخزي والذعر عند ذكر الله، وذكر الله في الأذان تفزع منه القلوب ما لا تفزع من شيء من الذكر؛ لما فيه من الجهر بالذكر، وتعظيم الله فيه، وإقامة دينه، فيدبر الشيطان لشدة ذلك على قلبه، حتى لا يسمع النداء[(٣)].

---

(١) المجموع شرح المهذب، ٣/ ٧٥.
(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ١٨ / ٣٠٨.
(٣) المرجع السابق، ١٨ / ٣٠٨.

٤-قوله: «**الشيطان**»: والظاهر أن المراد به إبليس، ويحتمل أن المراد جنس شيطان الجن[١].

٥-قوله: «**وله ضراط**»: يمكن حمله على ظاهره؛ لأنه جسم متَغَذ يصح منه خروج الريح، ويحتمل أنها عبارة عن شدة نِفاره، وعند مسلم «**حصاص**» أي: ضراط[٢]، «**له ضراط**» جملة اسمية وقعت حالاً بدون واو؛ لحصول الارتباط بالضمير، وفي رواية للبخاري «وله» بالواو، وقال القاضي عياض: يمكن حمله على ظاهره؛ لأنه جسم منفذ، يصح منه خروج الريح، ويحتمل أنه عبارة عن شدة خوفه ونفاره، حتى لا يسمع النداء، أو يصنع ذلك استخفافاً، كما يفعله السفهاء، ويحتمل أنه لا يعمد ذلك، بل يحصل له عند سماع الأذان، ولشدة خوفه يحصل له ذلك الصوت بسببها، ويحتمل أن يتعمد ذلك ليناسب ما يقابل الصلاة من الطهارة بالحدث[٣].

٦-قوله: «**فإذا قضي النداء**» أي: انتهى المؤذن من أذانه وفرغ منه، قال ابن عبد البر: «فإذا قضي النداء أقبل على طبعه وجبلته، يوسوس أيضاً، ويفعل ما يقدر مما قد سلط عليه»[٤].

٧-قوله: «**أقبل**» أي: رجع مرة ثانية بعدما ولَّى ليوسوس، قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا فُرغ من الأذان أقبل الشيطان، لزوال ما يلحقه من الشدة والداهية»[٥].

٨-قوله: «**ثُوِّب بالصلاة**»: المراد بالتثويب هو إقامة الصلاة، وقوله: «ثوب: وأصله من ثاب إلى الشيء إذا رجَعَ، وإنما قيل لقوله: «**الصلاة خير من**

---

(١) تنوير الحوالك، للسيوطي، ص: ٦٩.
(٢) فتح الباري، ٢/ ١٠٧.
(٣) تنوير الحوالك، للسيوطي، ص: ٦٩.
(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ١٨ / ٣٠٨.
(٥) شرح أبي داود للعيني، ٢/ ٤٦٥.

النوم» تثويبًا ؛ لأنهُ راجعٌ إلى معنى ما تقدَّم من قوله: «**حي على الصلاة، حي على الفلاح**»، وقيل : لتكراره له مرتين، قال الخطابي: التثويب: الإعلام بالشيء، ووقوعه، وأصله: أن الرجل إذا جاء فزعًا لوح شوسِه[١]، وقال ابن نافع: معناه: إذا نودي لها، وقال الهروي: التثويب - أيضاً - الإقامة، وقال عيسى بن دينار: معناه: أقيمت الصلاة، وهذا أصح التفسير؛ بدليل قوله في الأم في هذا الحديث من رواية ابن أبي شيبة: «**فإذا سمع الإقامة ذهب**»[٢]، وقوله: «**حتى إذا ثُوِّب بالصلاة أدبر**»؛ أي : أقيمت، وأصله: أنه رجع إلى ما يشبه الأذان؛ أو لأن الإقامة يُرجع إليها، وتُكرر على ما تقدم، وأصله: من ثاب إلى الشيء إذا رجع، ومنه قيل لقول المؤذن: «**الصلاة خير من النوم**» تثويب . وقال الخطابي رحمه الله: التثويب: الإعلام بالشيء ووقوعه، وأصله: أن الرجل إذا جاء فَزِعًا لوّح بثوبه[٣]، «الْمُرَاد بِالتَّثْوِيبِ الْإِقَامَة، وَأَصْله مِنْ ثَابَ إِذَا رَجَعَ، وَمُقِيم الصَّلَاة رَاجِع إِلَى الدُّعَاء إِلَيْهَا، فَإِنَّ الْأَذَان دُعَاء إِلَى الصَّلَاة، وَالْإِقَامَة دُعَاء إِلَيْهَا[٤]»، «وقال الطبري رحمه الله: قوله: «**إذا ثُوبّ بالصلاة**»، يعني صرخ بالإقامة مرة بعد مرة أخرى، ورجع، وكل مردد صوتًا فهو مثوِّب، ولذلك قيل للمرجع صوته في الأذان بقوله: «**الصلاة خير من النوم**»، مُثوِّب، وأصله من ثاب يثوب، إذا رجع إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ**﴾[٥]، يعني أنهم إذا انصرفوا منه رجعوا إليه، وجمهور العلماء على أن الإقامة للصلاة سنة، ولا خلاف بينهم أن قول المؤذن في نداء

(١) الشوس: الطوال، جمع أشوس. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٥٠٨، مادة (شوس).
(٢) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٤ / ١٠٢١٤١) :
(٣) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٤ / ١٠٣.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ٩١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

الصبح «الصلاة خير من النوم»، يقال له: تثويب [١]، وقال العراقي رحمه الله: «وأصل التثويب أن يجيء الرجل مستصرخاً، فيلوح بثوبه ليُرى، ويشتهر، فسمي الدعاء تثويباً لذلك، وكل داع مثوب، وقيل إنما سمي تثويباً من ثاب يثوب إذا رجع، فالمؤذن رجع بالإقامة إلى الدعاء للصلاة» [٢].

٩-قوله: «**يخطر**» أي: بالوسوسة والتشويش، وأَصلُهُ مِن خَطَرَ البَعِير بِذَنَبِهِ إِذا حَرَّكَهُ فَضَرَبَ بِهِ فَخِذَيهِ [٣].

١٠-قوله: «**حتى يخطر بين المرء ونفسه**»: أي: بين المصلي وقلبه؛ ليذهب عنه الخشوع الذي هو لُب الصلاة.قال الباجي: يمرّ فيحول بين المرء وما يريد من نفسه؛ من إقباله على صلاته، وإخلاصه، وهو على رواية أكثرهم بضم الطاء، وعن أبي بحر: يخطِر - بكسرها -؛ من قولهم: خطر البعير بذنبه: إذا حرّكه، فكأنه يريد حركته بوسوسة النفس، وشغل السِّرّ [٤]، وقال النووي رحمه الله: «**حَتَّى يَخْطُر بَيْن الْمَرْء وَنَفْسه**» هُوَ بِضَمِّ الطَّاء وَكَسْرهَا، حَكَاهُمَا الْقَاضِي عِيَاض فِي الْمَشَارِق، قَالَ: ضَبَطْنَاهُ عَنْ الْمُتْقِنِينَ بِالْكَسْرِ، وَسَمِعْنَاهُ مِنْ أَكْثَر الرُّوَاة بِالضَّمِّ، قَالَ: وَالْكَسْر هُوَ الْوَجْه، وَمَعْنَاهُ يُوَسْوِس، وَهُوَ مِنْ قَوْلهمْ: خَطَرَ الْفَحْل بِذَنَبِهِ، إِذَا حَرَّكَهُ فَضَرَبَ بِهِ فَخِذَيْهِ، وَأَمَّا بِالضَّمِّ فَمَنْ السُّلُوك، وَالْمُرُور، رَأْي يَدْنُو مِنْهُ فَيَمُرّ بَيْنه وَبَيْن قَلْبه، فَيُشْغِلهُ عَمَّا هُوَ فِيهِ، وَبِهَذَا فَسَّرَهُ الشَّارِحُونَ لِلْمُوَطَّأِ، وَبِالْأَوَّلِ فَسَّرَهُ الْخَلِيل [٥].

١١-قوله: «**المرء**»: الإنسان، وفيه سبع لغات: فتح الميم، وضمها، وكسرها،

---

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٢ / ٢٣٥.
(٢) طرح التثريب في شرح التقريب، ٢ / ١٧٤.
(٣) فتح الباري، ٢/ ٨٦.
(٤) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٤ / ١٠٣.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ٩١.

وتغيرها باعتبار إعراب اللفظة، فإن كانت مرفوعة، فالميم مضمومة، وإن كانت منصوبة، فالميم مفتوحة، وإن كانت مجرورة فالميم مكسورة، والخامسة والسادسة والسابعة امرؤ بزيادة همزة الوصل، مع ضم الراء في سائر الأحوال، ومع فتحها في سائر الأحوال، ومع تغيرها باعتبار حركات الإعراب، حكاهن في الصحاح، إلا اللغة الثالثة والرابعة فحكاهما في المحكم(١).

١٢-قوله: «**للشيطان حصاص**»: وهو الضراط لما بيّناه من قبل، وذكرنا أنه جسم من الأجسام، مؤتلف من طعام وشراب، وفي بعض طرق الحديث: «**إن الشيطان حساس، أو جساس، أو لحاس**»(٢)، فلا يمتنع أن يكون له حصاص، لا سيما وهو أذلّ له في الفرار، وأبلغ لدخول الرعب في قلبه، حتى لا يملك نفسه من خوف ذكر الله(٣). وقال النووي: «**وَلَهُ حُصَاص**» هُوَ بِحَاءٍ مُهْمَلَة مَضْمُومَة، وَصَادَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ، أَيْ ضُرَاط كَمَا فِي الرِّوَايَة الْأُخْرَى، وَقِيلَ: الْحُصَاص: شِدَّة الْعَدْو، قَالَهُمَا أَبُو عُبَيْد، وَالْأَئِمَّة مِنْ بَعْده(٤).

وقال عاصم بن أبي النَّجود: إذا ضرب بأذنيه، ومصع بذنبه وعدا، فذلك الْحُصاص، وهذا يصح حمله على ظاهره؛ إذ هو جسم مُغْتَذٍ يصح منه خروج الريح، وقيل: إنه عبارة عن شدة الغيظ والنّفار، وذلك لما يسمع من ظهور الإسلام، ودخولهم فيه، وامتثالهم أوامره، كما يعتريه يوم عرفة لما رأى من اجتماع الناس على البر والتقوى، ولما يتنزل عليهم من الرحمة(٥).

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب، ٢/ ١٧٤.

(٢) أخرجه الترمذي، برقم ١٨٥٩، وقال: «غريب» والحاكم، ٤/١٣٢، وصححه، وقال الذهبي: «موضوع» وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب، برقم ٢١٢: «موضوع».

(٣) المسالك في شرح موطأ مالك، ٢ / ٦٤٥.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ٩١.

(٥) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٤ / ١٠٢.

١٣-قوله: «إن يدري كم صلى» بالكسر، بمعنى: ما يدري، ويُروى: «أن يدري» بفتحها، وهي رواية أبي عمر بن عبد البر، وقال: هي رواية أكثرهم، قال: ومعناها: لا يدري، وكذا ضبطها الأصيلي، وفي كتاب البخاري: «أن» بالفتح، وليست هذه الرواية بشيء، إلا مع رواية الضاد، فتكون «أن» مع الفعل بتأويل المصدر، ومفعول «ضل»: «أن» بإسقاط حرف الجر؛ أي: يضل عن درايته، وينسى عدد ركعاته، وهذا أيضًا فيه بُعد(١).

١٤-قوله: «إِذَا سَمِعَ الشَّيْطَان الْأَذَان أَحَالَ» هُوَ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَة أَيْ ذَهَبَ هَارِبًا(٢).

١٥-قوله: «بني حارثة»- بالمهملة والمثلثة-: بطن من الأوس، وكانوا إذ ذاك غربي مشهد حمزة، وزاد الإسماعيلي: وهي في سند الحرة، أي في الجانب المرتفع منها(٣).

١٦-قوله: «وأشرف الذي معي»: الشَّرَفُ: العلو، وشرف، فهو شَرِيفٌ، وقوم أَشْرَافٌ، وشُرَفَاءُ، واسْتَشْرَفْتُ الشيء: رفعت البصر أنظر إليه، وأَشْرَفْتُ عليه بالألف: اطلعت عليه، وأَشْرَفَ الموضع ارتفع، فهو مُشْرِفٌ، وشُرْفَةُ القصر جمعها: شُرَفٌ، مثل غرفة، وغرف ومَشَارِفُ الأرض: أعاليها، الواحد مَشْرَفٌ بفتح الميم والراء(٤).

١٧-قوله: «على الحائط»: الحائط: الجدار، جمعه: حيطان، وحياط، والقياس: حوطان، وهو البستان أيضاً(٥)، وقال الفيومي: الحَائِطُ: البستان، وجمعه حَوَائِطُ(٦).

---

(١) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٤ / ١٠٣.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ٩١.
(٣) شرح القسطلاني إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٣ / ٣٣٠.
(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١ / ٣١٠، مادة (شرف).
(٥) انظر: القاموس المحيط، ص ٨٥٦، مادة (حوط).
(٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١ / ١٥٧، مادة (حوط).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية الأذان لطرد الشيطان، ولو في غير وقت الصلاة؛ لقول سهيل بن أبي صالح: أرسلني أبي إلى بني حارثة، ومعي غلام، فناداه منادٍ من حائط باسمه، فنظر الغلام إلى الحائط، فلم ير شيئًا، فذكرت ذلك لأبي، فقال: إذا سمعت صوتًا فناد بالصلاة، ثم ذكر له حديث أبي هريرة ﷺ[1].

٢-فِيهِ أَنَّ مِنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ النِّدَاءَ لَهَا. قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾[2]. وَقَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾[3]، وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْأَذَانَ فِي الْمَكْتُوبَاتِ عَلَى مَا قَدْ ذَكَرْنَاهُ عَنْهُمْ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا أَنَّ ذَلِكَ وَاجِبٌ فِي الْمِصْرِ عَلَى جَمَاعَتِهِ[4].

٣-وفي الْبَاب فَضِيلَة الْأَذَان وَالْمُؤَذِّن، وَقَدْ جَاءَتْ فِيهِ أَحَادِيث كَثِيرَة فِي الصَّحِيحَيْنِ مُصَرِّحَة بِعِظَمِ فَضْله، وَاخْتَلَفَ أَصْحَابنَا هَلْ الْأَفْضَل لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَرْصُد نَفْسه لِلْأَذَانِ، أَمْ لِلْإِمَامَةِ عَلَى أَوْجُه أَصَحّهَا الْأَذَان أَفْضَل[5].

٤-في هذا الحديث عظم فضل الأذان، وأن الشيطان ينافره ما لا ينافر سائر الذكر، ألا ترى أنه يقبل عند قراءة القرآن، ويدبر عند الأذان.

٥-السبب في فرار الشيطان هو اشتمال الأذان على دعوة التوحيد، والإقرار برسالة الرسول ﷺ، والدعوة إلى الصلاة المشتملة على السجود لله، والذي أباه عدو الله، فأُخرج منها مذمومًا مدحورًا، وعلى الدعوة إلى الفلاح، والتكبير، وكلها أمور لا تناسب طبعه الخبيث.

---

(١) مسلم، برقم ٣٨٩، وتقدم تخريجه في ألفاظ الحديث رقم ١٤٢ من أحاديث المتن.
(٢) سورة الْمَائِدَةِ، الآية: ٥٨.
(٣) سورة الْجمعة، الآية: ٩.
(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٤ / ٤٩.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ٩١.

٦-اختلف العلماء في معنى هروبه عند الأذان، ولا يهرب من الصلاة وفيها قراءة القرآن، فقال المهلب: إنما يهرب، والله أعلم، من اتفاق الكل على الإعلان بشهادة التوحيد، وإقامة الشريعة، كما يفعل يوم عرفة لما يرى من اتفاق الكل على شهادة التوحيد لله تعالى، وتنزل الرحمة عليهم، وييأس أن يردهم عما أعلنوا به من ذلك، وأيقن بالخيبة بما تفضل الله عليهم من ثواب ذلك، ويذكر معصية الله، ومضادته أمره، فلم يملك الحديث؛ لما استولى عليه من الخوف، وقال غيره: إنما ينفر عن التأذين لئلا يشهد لابن آدم بشهادة التوحيد؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١)، وليس قول من قال: إنما ينفر من الأذان لأنه دعا إلى الصلاة التي فيها السجود الذي أباهُ بشيء؛ لأنه قد أخبر عليه الصلاة والسلام، أنه إذا قضى التثويب أقبل يُذَكِّره ما لم يَذْكُرْ، يخلط عليه صلاته، وكان فراره من الصلاة التي فيها السجود أولى لو كان كما زعموا(٢).

٧-ذكر وسوستَهُ للمُصلي: وقد لا يلزم هذا الاعتراض، إذ لعل نفارَه إنما كان من سماع الأمر، والدعاء بذلك، لا برؤيته ليغالط نفسه، لأنه لم يسمع دعاءً، ولا خالف أمرًا، وقيل: بل ليأسه من وسوسة الإنسان عند الإعلان، وانقطاع طمعه أن يصرف عنه الناس، حتى إذا سكت رجع لحاله التي أقدره الله عليها، من تشغيب خاطره ووسوسة قلبه، وقوله: «**حتى إذا ثُوب بالصلاة**»: قال الطبري: ثُوِّبَ أي: صُرخ بالإقامة مرة بعد مرة(٣).

٨-استحباب رفع الصوت بالأذان؛ لأن الشيطان يفر من الصوت «حتى لا

---

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب رفع الصوت بالنداء، برقم ٦٠٩.
(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٢ / ٢٣٤.
(٣) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٢ / ١٤١.

يسمع»، وقد بوب البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ بابًا بعد هذا الحديث، قال فيه: «باب رفع الصوت بالنداء»، وهذا من شدة فقهه، وحسن ترتيبه رَحِمَهُ اللَّهُ.

٩-وقِيلَ: إِنَّمَا يُدْبِر الشَّيْطَان لِعَظْمِ أَمْر الْأَذَان؛ لِمَا اِشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ قَوَاعِد التَّوْحِيد، وَإِظْهَار شَعَائِر الْإِسْلَام، وَإِعْلَانه، وَقِيلَ: لِيَأْسِهِ مِنْ وَسْوَسَة الْإِنْسَان عِنْد الْإِعْلَان بِالتَّوْحِيدِ[(١)].

١١- قال الحافظ في الفتح: قال ابن بطال: يشبه أن يكون الزجر عن خروج المرء من المسجد بعد أن يؤذن المؤذن من هذا المعنى لئلا يكون متشبهًا بالشيطان الذي يفر عند سماع الأذان والله أعلم[(٢)]، وهذا محمول على عدم الخروج لحاجة وقد ورد الزجر عن ذلك في قول النبي ﷺ: «**مَنْ أَدْرَكَهُ الأَذَانُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ خَرَجَ لَمْ يَخْرُجْ لِحَاجَةٍ، وَهُوَ لاَ يُرِيدُ الرَّجْعَةَ، فَهُوَ مُنَافِقٌ**»[(٣)]، وقول أبي هريرة رضي الله عنه لما كان جالسًا مع أصحابه في المسجد فأذن المؤذن فقام رجل فخرج فقال أبو هريرة: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ»[(٤)].

***

١٤٣-[(٣)]«الْأَذْكَارُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»[(٥)].

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢ / ١١٣.
(٢) فتح الباري، لابن حجر، ٢/ ١٠٩.
(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب إذا أذن وأنت في المسجد فلا تخرج، برقم ٧٣٤، وصححه لغيره العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٦٣.
(٤) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن الخروج من المسجد إذا أذن المؤذن، برقم ٦٥٥.
(٥) ومما يطرد الشيطان أذكار الصباح والمساء، والنوم والاستيقاظ، وأذكار دخول المنزل والخروج منه، وأذكار دخول المسجد والخروج منه، وغير ذلك من الأذكار المشروعة، مثل: قراءة آية الكرسي عند النوم، والآيتين الأخيرتين من سورة البقرة، ومن قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير مائة مرة، كانت له حرزاً من الشيطان يومه كله، وكذا الأذان يطرد الشيطان، كما تقدم.

الشــــرح:

أولاً: ألفاظ الحديث:

٤٧٨-لفظ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[(١)]، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»[(٢)].

٤٧٩-ولفظ أبي داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»[(٣)].

٤٨٠-وفي لفظ للبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قَضَى التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا اذْكُرْ كَذَا، لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى»[(٤)].

٤٨١-وفي رواية لمسلم: عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ أَحَالَ لَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ، فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ، فَإِذَا سَمِعَ الْإِقَامَةَ ذَهَبَ حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ، فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ»[(٥)].

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، برقم ٧٨٠.

(٣) أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، برقم ٢٠٤٤، وأحمد، ١٤/ ٤٠٣، برقم ٨٨٠٤، والبيهقي في شعب الإيمان، ٣/٤٩١، برقم ٤١٦٢، وصحح إسناده العلامة الألباني، برقم ١٧٨٠، وحسنه محققو المسند، ١٤/ ٤٠٣.

(٤) البخاري، كتاب الأذان، باب فضل التأذين، برقم ٦٠٨، ومسلم، كتاب الصلاة، باب فضل الأذين، وهرب الشيطان عند سماعه، برقم ١٩-(٣٨٩).

(٥) مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل الأذين، وهرب الشيطان عند سماعه، برقم ١٦-(٣٨٩).

٤٨٢-ولفظ الترمذي عَنْ أَبِي ذَرٍّ[١] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ صَلاَةِ الْفَجْرِ، وَهُوَ ثَانِي رِجْلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيَ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ فِي حِرْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَحَرْسٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَمْ يَنْبَغِ لِذَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلاَّ الشِّرْكَ بِاللَّهِ»[٢].

٤٨٣-ولأبي داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ رضي الله عنه[٣] أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ، وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ، نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَدْرَكْنَاهُ، فَقَالَ: «أَصَلَّيْتُمْ»؟ فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»[٤].

٤٨٤-ولأبي داود عن عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ[٥] قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلاَءٍ حَتَّى يُصْبِحَ وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلاَءٍ حَتَّى يُمْسِيَ». قَالَ: فَأَصَابَ أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ الْفَالِجُ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ الَّذِى سَمِعَ مِنْهُ الْحَدِيثَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ؟ فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ عَلَى عُثْمَانَ، وَلاَ كَذَبَ عُثْمَانُ عَلَى النَّبِيِّ

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٤٥ من أحاديث الشرح.

(٢) رواه الترمذي، برقم ٣٤٧٤، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٣٢١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن برقم ٧٢.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٥٩ من أحاديث الشرح.

(٤) أبو داود، برقم ٥٠٨٢، وغيره، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٨٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٧٦.

(٥) تقدمت ترجمته في لفظ الحديث رقم ٢٩٢ من أحاديث الشرح.

ﷺ، وَلَكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِى أَصَابَنِي فِيهِ مَا أَصَابَنِي، غَضِبْتُ فَنَسِيتُ أَنْ أَقُولَهُ»[١].

٤٨٥-ورواية للحاكم عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه[٢]، أَنَّهُ كَانَ لَهُ جَرِينُ تَمْرٍ، فَكَانَ يَجِدُهُ يَنْقُصُ، فَحَرَسَهُ لَيْلَةً، فَإِذَا هُوَ بِمِثْلِ الْغُلاَمِ الْمُحْتَلِمِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ، فَقَالَ: أَجِنِّيٌّ، أَمْ إِنسِيٌّ؟ فقَالَ: بَلْ جِنِّيٌّ، فَقَالَ: أَرِنِي يَدَكَ فَأَرَاهُ، فَإِذَا يَدُ كَلْبٍ، وَشَعْرُ كَلْبٍ، فَقَالَ: هَكَذَا خَلْقُ الْجِنِّ، فَقَالَ: لَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنُّ إِنَّهُ لَيْسَ فِيهِمْ رَجُلٌ أَشَدَّ مِنِّي، قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: أُنبِئْنَا أَنَّكَ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ، فَجِئْنَا نُصِيبُ مِنْ طَعَامِكَ، قَالَ: مَا يُجِيرُنَا مِنْكُمْ؟ قَالَ : تَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيّ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ﴿**اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إِذَا قَرَأْتَهَا غُدْوَةً أُجِرْتَ مِنَّا حَتَّى تُمْسِيَ، وَإِذَا قَرَأْتَهَا حِينَ تُمْسِي أُجِرْتَ مِنَّا حَتَّى تُصْبِحَ، قَالَ أُبَيٌّ فَغَدَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: **صَدَقَ الْخَبِيثُ**»[٣].

٤٨٦- وللإمام أحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه[٤]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا سِرْتُمْ فِي الْخِصْبِ، فَأَمْكِنُوا الرِّكَابَ أَسْنَانَهَا، وَلَا تُجَاوِزُوا الْمَنَازِلَ، وإذا سِرْتُمْ فِي الْجَدْبِ، فَاسْتَجِدُّوا، وَعَلَيْكُمْ بِالدَّلْجِ، فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ، وَإِذَا تَغَوَّلَتْ لَكُمُ الْغِيلَانُ، فَبَادِرُوا بِالْأَذَانِ، وَإِيَّاكُمْ وَالصَّلَاةَ عَلَى جَوَادِّ الطَّرِيقِ، وَالنُّزُولَ عَلَيْهَا،**

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم، ٥٠٨٨، والترمذي، كتاب كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، برقم ٣٣٨٨، وابن ماجه، برقم ٣٨٦٩، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا انتهى إلى قوم فجلس إليهم، برقم ١٠١٧٨، وأحمد، برقم ٤٤٦، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح، برقم ٣٨٦٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٣٢، وصحيح الترمذي، برقم ٢٦٩٨، وصحيح الجامع الصغير، برقم ٥٧٤٥، وحسّن إسناده العلامة ابن باز رحمه الله في تحفة الأخيار، ص٣٩ .

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٥٨ من أحاديث الشرح.

(٣) أخرجه الحاكم، ١/ ٥٦٢، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢٧٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٧٥.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧٢ من أحاديث الشرح.

فَإِنَّهَا مَأْوَى الْحَيَّاتِ، وَالسِّبَاعِ، وَقَضَاءِ الْحَاجَةِ، فَإِنَّهَا الْمَلَاعِنُ»[١].

٤٨٧-وللبزار عَنْ سَعْدِ بن أبي وقاص رضي الله عنه[٢]، قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا تَغَوَّلَتْ لَنَا الْغُولُ، أَوْ إِذَا رَأَيْنَا الْغُولَ نُنَادِي بِالأَذَانِ»[٣].

٤٨٨-ولفظ البيهقي عن الحسن أن عمر بعث رجلاً إلى سعد بن أبي وقاص، فلما كان ببعض الطريق عرضت له الغول، فلما قدم على سعد قصّ عليه القصة، فقال: ألم أقل لكم: إنا كنا إذا تغوّلت لنا الغول أن ننادي بالأذان؟ فلما رجع إلى عمر، فبلغ قريباً من ذلك المكان، عرض له يسير معه، فذكر ما قال له سعد، فنادى بالأذان، فذهب عنه، فإذا سكت عرض له، فإذا أذن ذهب عنه»[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**الأذكار وقراءة القرآن**»: قال العيني: «...وقد يطلق ذكر الله ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه الله تعالى، أو ندب إليه، كقراءة القرآن، وقراءة الحديث، ومدارسة العلم، والتنفل بالصلاة»[٥]، قال الراغب الأصفهاني رحمه الله:

---

(١) مسند أحمد، ٢٢/ ١٧٨، برقم ١٤٢٧٧، وهذا لفظه، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، الأمر بالأذان إذا تغولت الغيلان، وعمل اليوم والليلة لابن السني، ص ٤٧١، برقم ٥٣٢، وقال محققو المسند، ٢٢/ ١٧٩: «صحيح لغيره دونَ قوله: «وإذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان» ورجاله ثقات رجال الصحيح، لكن الحسن- وهو البصري- لم يسمع من جابر» وهذه الزيادة التي ذكرها المحققون هي التي استشهد بها العلماء مقرين لها، ومنهم: الإمام النووي في الأذكار النووية، ١/ ٢٨٢، وشرحه على صحيح مسلم، ١٤/ ٢١٧، والحافظ ابن حجر في فتح الباري، ١٠/ ١٥٩، والإمام ابن باز في مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، ٢٥/ ٩٣، والعلامة ابن عثيمين في شرح رياض الصالحين، شرح الحديث: ١٤٥٧.

(٢) تقدمت ترجمته في حديث الشرح رقم ٩٦.

(٣) مسند البزار، ١/ ٢١٩، برقم ١٢٤٧، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ١٣٤: «رواه البزار ورجاله ثقات إلا أن الحسن البصري لم يسمع من سعد فيما أحسب».

(٤) دلائل النبوة للبيهقي، ٧/ ١٠٤.

(٥) عمدة القاري، ٢٣/ ٢٦، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن في المقدمة في فضل الذكر، رقم ١.

«القِرَاءَةُ: ضمّ الحروف، والكلمات بعضها إلى بعض في التّرتيل، و... لا يقال للحرف الواحد إذا تفوّه به قراءة، والْقُرْآنُ في الأصل مصدر، نحو: كفران ورجحان. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[١]، قال ابن عباس: إذا جمعناه، وأثبتناه في صدرك فاعمل به، وقد خصّ»[٢].

٢-قوله: «لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا»، أي تكن البيوت والمنازل التي تعيشون فيها كالقبور التي ينام فيها الأموات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَعْنِي: أَنَّ الْقُبُورَ مَوْضِعُ الْمَوْتَى، فَإِذَا لَمْ تُصَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ وَلَمْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا كُنْتُمْ كَالْمَيِّتِ، وَكَانَتْ كَالْقُبُورِ»[٣].

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً أي: لا تتركوا الصلاة في بيوتكم حتى تجعلوها كالقبور التي لا يُصلَّى فيها... نهي لهم أن يجعلوها بمنزلة القبور التي لا يصلى فيها »[٤].

٣-قوله: «وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا» أي لاتجعلوه مكانا تعتادونه غب أوقات مخصوصة كالأعياد المعروفة، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكذلك نهيه لهم أن يتخذوا قبره عيداً، نهي لهم أن يجعلوه مجمعاً كالأعياد التي يقصد الناس الاجتماع إليها للصلاة؛ بل يُزار قبره صلوات الله وسلامه عليه، كما كان يزوره الصحابة رضوان الله عليهم على الوجه الذي يرضيه، ويحبه صلوات الله وسلامه عليه»[٥].

---

(١) سورة القيامة، الآيتان: ١٧- ١٨.

(٢) المفردات في غريب القرآن، ٢/ ٦٦٨، مادة (قرأ).

(٣) الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٣/ ٧٣.

(٤) حاشية ابن القيم على سنن ابي داود، ٦/ ٢٢.

(٥) حاشية ابن القيم على سنن ابي داود، ٦/ ٢٣.

٤-قوله: «وصَلُّوا عليَّ»: الصلاة من الله على نبيه هي الثناء عليه في الملأ الأعلى أي: عند الملائكة المقربين(١)، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقولك اللهم صلِّ على محمد، يعني: اللهمّ أثنِ عليه في الملأ الأعلى، ومعنى أثنِ عليه، يعني: اذكره بالصفات الحميدة، والملأ الأعلى هم الملائكة، فكأنك إذا قلت: اللهم صل على محمد، كأنك تقول: يا ربِّ صِفْه بالصفات الحميدة، واذكره عند الملائكة حتى تزداد محبتهم له، ويزداد ثوابهم بذلك، هذا معنى اللهم صلى على محمد»(٢).

٥-قوله: «لم يَنْبَغِ لِذَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ»: أي: يهلكه ويبطل عمله(٣)، ويجعله حرزاً أي: حفظاً له من كل مكروه(٤)،أوتعويذاً منه الشيطان الرجيم(٥)، أي: يهلكه، ويبطل عمله في ذلك اليوم إلا الشرك، أي وإن وقع منه؛ فإنه في حصن التوحيد، فلا يستقيم لمذنب أن يحل ويهتك حرمة الله؛ فإذا خرج عن حرم التوحيد أدركه الشرك لا محالة»(٦).

٦- مفردات سورة الإخلاص(٧):﴿قُلْ﴾ قولاً جازمًا به، معتقدًا له، عارفًا بمعناه، ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أي: المقصود في جميع الحوائج، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لكمال غناه، و﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لا في أسمائه، ولا في أوصافه، ولا في

---

(١) صحيح البخاري، قبل الحديث رقم ٤٧٩٧، وتقدم تخريجه.
(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٣٩٧.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٢٥، مادة (ثنا)، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٦٤.
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٦٤.
(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٦٤.
(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ٦٤، وسبق شرح مفردات الحديث في شرح ألفاظ حديث المتن رقم ٧٢.
(٧) انظر: تفسير السعدي، ص ٩٣٧.

أفعاله، فهي سورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات[١].

٧-**مفردات سورة الفلق**[٢]: ﴿قل﴾ متعوذًا، و﴿أَعُوذُ﴾ أي: ألجأ، وأعتصم، ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أي: فالق الحب والنوى والإصباح، ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي: جميع ما خلق الله، من إنس، وجن، وحيوانات، فيستعاذ بخالقها من شرها، ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: من شر ما يكون في الليل، ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أي: ومن شر السواحر، يستعن على سحرهن بالنفث في عقد يسحرن بها، ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ والحاسد، هو الذي يحبّ زوال النعمة عن المحسود، ويسعى في زوالها، فيستعاذ بالله من شره، ويدخل فيه العاين، فهذه السورة، تضمنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور، عمومًا وخصوصًا[٣].

٨-**مفردات سورة الناس**[٤]: هذه السورة مشتملة على الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها، وهو دائمًا يوسوس ويخنس أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه، وأن الخلق كلهم، داخلون تحت الربوبية والملك، وبألوهية الذي خلقهم لأجلها، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[٥].

٩-قوله: «**تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**» أي: أن هاتين السورتين (المعوذتين) كافيتان للحفظ من كل الشرور، يقول الإمام ابن قيم الجوزية : يصف هاتين السورتين ويرى أن فيهما: «بيان عظيم منفعتهما، وشدة الحاجة، بل الضرورة

---

(١) تقدم تفسير سورة الإخلاص مفصلاً في شرح مفردات حديث المتن رقم ٧٠، ورقم ٧٦.
(٢) تفسير السعدي، ص ٩٣٧.
(٣) تقدم تفسير سورة الإخلاص مفصلاً في شرح مفردات حديث المتن رقم ٧٠، ورقم ٧٦.
(٤) انظر: تفسير السعدي، ص ٩٣٧.
(٥) تقديم تفسير سورة الفلق في حديث المتن رقم ٧٠، ورقم ٧٦.

إليهما، وأنه لا يستغني عنهما أحد قط، وأن لهما تأثيراً خاصاً في دفع السحر، والعين، وسائر الشرور، وأن حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس، والطعام، والشراب، واللباس»[١].

١٠-قوله: «**لَيْلَةِ مَطَرٍ**»: أي: ماطرة[٢] أي كثيرة المطر.

١١-قوله: «**والفالج**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «هُوَ دَاءٌ مَعْرُوفٌ يُرْخِي بَعْضَ البَدَن»[٣]، وفي التعريف المعاصر: «شللٌ نصفيّ؛ شللٌ يصيب أحدَ شِقّيّ الجسْم طولاً، فيُبْطل إحساسَه، وحركتَه (أُصيب بالفالج فصار قعيدَ المنزل)»[٤].

١٢-قوله: «**والفجأة**»: أي: البلاء الذي يأتي بغتة، قال الطيبي رحمه الله: «فجئه الأمر، وفجأه فجاءة، وفجأة - بالضم والمدّ- فاجأه، ومفاجأة إذا جاءه بغتة من غير تقدم سبب، وقيده بعضهم بفتح الفاء وسكون الجيم من غير مدٍّ على المرة»[٥]، وقال القاري رحمه الله: «وفيه إشارة إلى أن المراد بالفجأة ما يُفجأ به، والمصدر بمعنى المفعول، وهو أعمّ من أن يكون بالمد وغيره، فقول الطيبي: قيّده بعضهم بفتح الفاء وسكون الجيم على المرة مراده ضبط اللفظة، لا حقيقية معناها من الوحدة، فتنبه من نوم الغفلة، ثم قول ابن حجر: إنه يُفهم من ذلك انتفاء التدريج بالأولى هو خلاف الأولى، إذ دليل فهو مسكوت عنه، وإنما خُصّ هذا لأنه أفظع، وأعظم، فكأنه قال: لم تصبه بليةٌ عظيمةٌ لأن المؤمن لا يخلو عن علةٍ، أو قلةٍ، أو ذلّةٍ، هذا ويمكن أن تكون

---

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم، ٢/ ٤٢٦.

(٢) انظر: شرح السيوطي لسنن النسائي، ٢/ ١٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٦٩، مادة (فلج).

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣/ ١٧٣٨، مادة (فلج).

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٧٨.

هذه الرواية، وهي المخصوصة بمضرة الفجأ، مفسَّرة، ومبينة لمفهوم المضرَّة المذكورة في الرواية المتقدمة، أو المراد بنفي المضرّة عدم الجزع، والفزع في البلية جمعاً بين الأدلة النقلية، والعقلية حتى يصبح، ومن قاله، أي: تلك الكلمات حين يصبح، لم تصبه فجأة بلاء بالوجهين، حتى يمسي، وفي الغايتين، أعني: حتى يصبح، وحتى يمسي، إيماءً إلى أن ابتداء الحفظ من الفجأة، والمضرَّة عقيب قول القائل: في أي جزء من أجزاء أوائل الليل أو النهار، بل وفي سائر أثنائهما، ودعوى ابن حجر، وجزمه بأنه لو قال أثناء النهار، أو الليل، ولم يقل من أول الليل أو أول النهار، لا يحصل له تلك الفائدة، لا دليل عليه مع أن الإثبات في وقت لا يدل على النفي في آخر»[(١)].

١٣-قوله: «**بسم الله**»: أي: بسم الله أستعيذ، وبه أتحصن، والباء للاستعانة، قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «من قدّره باسم، تقديره: باسم الله ابتدائي، ومن قدره بالفعل أمرًا، وخبرًا نحو: أبدَأ ببسم الله، أو ابتدأت ببسم الله، فكلاهما صحيح ... فالمشروع ذكر اسم الله في كل أمر، تبركًا، وتيمنًا، واستعانة على الإتمام والتقبل»[(٢)].

١٤-قوله: «**مع اسمه**»: أي: من تعوذ باسم الله صادقًا لا تضره مصيبة، قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: أَسْتَعِينُ أَوْ أَتَحَفَّظُ مِنْ كُلِّ مُؤْذٍ بِاسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ، أَيْ: مَعَ ذِكْرِ اسْمِهِ، بِاعْتِقَادٍ حَسَنٍ، وَنِيَّةٍ خَالِصَةٍ»[(٣)].

١٥-قوله: «**في الأرض ولا في السماء**»: أي: لا يضره أحد من أهل الأرض، ولا يأتيه الضرر من جهة السماء كخسف، أو ريح، أو حجارة من

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٢٦٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ١٢١، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ١٨.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ١٦٥٩.

السماء، أو غير ذلك، قال القاري رحمه الله: «أَيْ: مِنَ الْبَلَاءِ النَّازِلِ مِنْهَا»(١).

١٦-قوله: «وهو السميع»: أي: السميع لأقوال عباده، وخلقه، قال ابن الأثير رحمه الله: «السَّمِيعُ: وَهُوَ الَّذِي لَا يَعزُب عَنْ إدْراكه مَسْمُوعٌ، وَإِنَّ خَفي ... وفَعِيل مِنْ أَبْنِيَةِ المُبالغة»(٢)، وقال العلامة السعدي رحمه الله: «السميع لسائر الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات»(٣).

١٧-قوله: «العليم»: أي: العليم بأفعالهم، لا تخفى عليه خافية(٤)، قال ابن الأثير رحمه الله: «هُوَ الْعَالِمُ المُحيطُ عِلْمُه بِجَمِيعِ الأشْياء: ظاهِرِها، وباطِنها، دَقِيقِها، وجَلِيلِها، عَلَى أتَمّ الإمْكان، وفَعِيل مِنْ أَبْنِيَةِ الْمُبَالَغَةِ»(٥)، وقال العلامة السعدي رحمه الله: «الْعَلِيمُ: بما في الضمائر، وأكنته السرائر»(٦).

١٨-قوله: «الحي» أي: ذو الحياة الكاملة، المتضمنة لجميع صفات الكمال.

١٩-قوله: «القيوم»: القائم بنفسه، والقائم على غيره.

٢٠-قوله: «لا تأخذه سنة ولا نوم»: السِّنَة: النعاس، وهي مقدمة النوم.

٢١-قوله: «له ما في السموات وما في الأرض»: أي: هو المالك، وما سواه مملوك، وهو الخالق، وغيره مخلوق، فالكل له عبد.

٢٢-قوله: «من ذا الذي يشفع عنده»: الشفاعة: هي التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة.

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/ ١٦٥٩.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٠١، مادة (سمع).
(٣) تفسير السعدي، ص ٥١٨.
(٤) تقدم شرحه بالتفصيل في شرح لفظ حديث المتن رقم ٧٦.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٢٩٢، مادة (علم).
(٦) تفسير السعدي، ص ٥١٨.

٢٣-قوله: «**إلا بإذنه**»: تصح الشفاعة بإذن الله، ورضا الله عن الشافِع والمشفوع له.

٢٤-قوله: «**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم**»: يعلم علماً، «**وما بين أيديهم**» أي: المستقبل، «**وما خلفهم**» الماضي.

٢٥-قوله: «**ولا يحيطون**» أي: لا يحيط الخلق؛ لأنهم عاجزون، «**من علمه إلا بما شاء**» وذلك وفق حكمته.

٢٦-قوله: «**وسع كرسيه السموات والأرض**»: أي: أن كرسيه محيط بالسموات والأرض، وأكبر منهما[1].

٢٧-قوله: «**ولا يؤوده حفظهما**» أي: لا يشق عليه ذلك.

٢٨-قوله: «**العلي**»: بذاته، وقدره، وقهره لجميع المخلوقات.

٢٩-قوله: «**العظيم**»: الذي يتصاغر كل شيء أمام عظمته، وكبريائه[2].

٣٠-قوله: «**جَرِينُ تَمْرٍ**»: هو موضع تَجْفيف التَّمْرِ[3].

٣١-قوله: «**الْغُلَامِ الْمُحْتَلِمِ**»: أي: البالغ المُدْرِك[4].

٣٢-قوله: «**نُصِيبُ مِنْ طَعَامِكَ**»: أصابَ الإنسانُ من المال وغيره: أي: أخَذَ وتَناول، ومنه الحديث: «**يُصيبون ما أصاب الناس**»[5] أي: ينالُون ما نالُوا[6].

---

(١) شرح الواسطية ابن عثيمين، ص ١٧١.

(٢) تقدَّم شرح وتفسير الآية الكريمة في حديث المتن رقم ٧١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٣٧، مادة (جرن).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤٣٢، مادة (حلم).

(٥) روى أحمد في المسند، ٤٤/ ١٤٨، برقم ٢٦/ ٧٢٥، عن أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَ رسول الله ﷺ «إِنَّ السُّوءَ إِذَا فَشَا فِي الْأَرْضِ فَلَمْ يُتَنَاهَ عَنْهُ، أَرْسَلَ اللَّهُ ﷻ بَأْسَهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِيهِمُ الصَّالِحُونَ؟ قَالَتْ: قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِمُ الصَّالِحُونَ، يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، ثُمَّ يَقْبِضُهُمُ اللَّهُ ﷻ إِلَى مَغْفِرَتِهِ وَرِضْوَانِهِ، أَوْ إِلَى رِضْوَانِهِ وَمَغْفِرَتِهِ» وضعفه محققو المسند، وفي لفظ آخر في موضوع آخر لمسلم، برقم ١٠٦١ عن عبد الله بن زيد: «فَبَلَغَهُ أَنَّ الْأَنْصَارَ يُحِبُّونَ أَنْ يُصِيبُوا مَا أَصَابَ النَّاسُ».

(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٥٦، مادة (صوب).

٣٣-قوله: «مَا يُجِيرُنَا مِنْكُمْ»: أي: يحول بيننا وبينكم، وينجينا منكم[١].

٣٤-قوله: «إِذَا قَرَأْتَهَا غُدْوَةً»: الغَدْوَةُ: سير أوّل النهار نَقِيض الرَّواح[٢].

٣٥-قوله: «صَدَقَ الْخَبِيثُ»: الشَّيطان قَد يَصدُق بِبَعضٍ ما يَصدُق بِهِ المُؤمِن[٣][٤].

٣٦-قوله: «فاستجدوا»، أي: أسرعوا في سيركم[٥].

٣٧-قوله: «إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان»: قال ابن الأثير: «الغُولُ: أحَدُ الغِيلَان، وَهِيَ جِنْس مِن الْجِنّ وَالشَّيَاطِين، كَانَتِ العَرب تَزْعُم أَنَّ الغُول فِي الفَلاة تَتَرَاءَى لِلنَّاسِ فتَتَغَوَّلُ تغوُّلًا: أَيْ تَتَلَوّن تلَوُّنا فِي صُوَر شَتَّى، وتَغُولُهم أَيْ: تُضِلُّهم عَنِ الطَّرِيقِ وتُهْلِكهم أي ادفعوا شرها بذكر الله تعالى»[٦].

٣٨-قوله: «الخصب»: قال ابن الأثير: «وَهُوَ ضِدُّ الْجَدْبِ. أَخْصَبَتِ الْأَرْضُ، وأَخْصَبَ الْقَوْمُ، وَمَكَانٌ مُخْصِبٌ وخَصِيبٌ»[٧].

٣٩-قوله: «الركاب أسنانها»: قال في النهاية: «إِذَا مَشَقت مِنْهُ مَشقا صَالحا. ويُجمع السِّنُّ بِهَذَا الْمَعْنَى أَسْنَاناً، ثُمَّ تُجمع الْأَسْنَانُ أَسِنَّة، مِثْلُ كِنٍّ وأكْنَان وأكنَّة، وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: «الْمَعْنَى أعْطُوها مَا تَمْتَنِع بِهِ من النّحر؛ لأن صاحبها إذا أحسن رعيتها سمِنَت وحَسُنت فِي عَيْنِهِ فيَبْخَل بِهَا مِنْ أَنْ تُنْحر، فشَبه ذَلِكَ بالأَسِنَّة فِي وُقُوعِ الامتناع بها»[٨].

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣١٢، مادة (جور).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٣٤٥، مادة (غدو).

(٣) فتح الباري، ٤/ ٤٨٩.

(٤) تقدم شرحة مفردات الحديث بالتفصيل في لفظ حديث المتن رقم ٧٥.

(٥) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ١٠٦.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٣٩٦، مادة (غول).

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٦، مادة (جدب).

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤١١، مادة (ركب).

٤٠-قوله: «**الدلج**»: قال ابن الأثير: «هُوَ سَيْر اللَّيْلِ. يُقال أَدْلَجَ بالتَّخفيف إِذَا سَار مِنْ أَوَّلِ اللَّيْل، وادَّلَجَ- بِالتَّشْدِيدِ- إِذَا سارَ مِنْ آخِرِهِ. والاسْم مِنْهُما الدُّلْجَة والدَّلْجَة، بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ»[(١)].

٤١- قوله: «**تطوى بالليل**»: قال ابن الأثير: تقَرّب ويسَهّل السَّيْر، حَتَّى لَا تَطُولَ، فكأنَّها قَدْ طُوِيَتْ، أَيْ تُقْطَع مسافَتُها بسرعة، لأنَّ الإِنْسَانَ فِيهِ أنشطُ مِنْهُ فِي النَّهار، وأقدرُ عَلَى المَشْي والسَّير لعدَمِ الحرِّ وَغَيْرِهِ[(٢)].

٤٢-قوله: «**جواد الطريق**»: قال ابن الأثير: «الجَوَادّ: الطُّرُق، وَاحِدُهَا جَادَّة، وَهِيَ سَواء الطَّرِيقِ ووسَطه. وَقِيلَ هِيَ الطَّريق الْأَعْظَمُ الَّتِي تجْمع الطُّرُق وَلَا بُدّ مِنَ الْمُرُورِ عَلَيْهَا»[(٣)].

٤٣-قوله: «**الملاعن**»: قال في النهاية: «جَمْع مَلْعَنَة، وَهِيَ الفَعْلة الَّتِي يُلْعَن بِهَا فاعِلُها، كَأَنَّهَا مَظِنَّة لِلَّعْن وَمَحَلٌّ لَهُ، وهِي أَنْ يَتَغَوّط الإِنْسانُ عَلَى قارِعة الطَّرِيقِ، أَوْ ظِلّ الشَّجَرَةِ، أَوْ جانِب النَّهْر، فَإِذَا مَرَّ بِهَا النَّاس لَعَنُوا فاعِلَها»[(٤)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-تقدم ذكر فضائل الذكر، وفوائده في أول هذا الكتاب من الآيات، والأحاديث الدالة على فضل الذكر، وفوائده[(٥)].

٢-تدل هذه الأحاديث على أن قبر النبي ﷺ أفضل القبور، ومع ذلك نهى النبي ﷺ عن اتخاذه عيداً، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ووجه الدلالة أن قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذه عيداً، فقبر

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ١٢٩، مادة (دلج).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ١٤٦، مادة (طوي).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٤٥، مادة (جدد).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٢٥٥، مادة (لعن).

(٥) انظر: ص ٧- ٥٠ في فضل الذكر وفوائده من هذا الكتاب.

غيره أولى بالنهي كائناً من كان، ثم قرن ذلك بقوله ﷺ: «**ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً**» أي لا تعطلوها عن الصلاة فيها، والدعاء، والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور، وهذا عكس ما يفعله المشركون من النصارى، ومن تشبه بهم»[(١)].

٣-قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «عقب النهي عن اتخاذه عيداً بقوله: «**وصلّوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**» يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم، فلا حاجة بكم إلى اتخاذه عيداً، وقد حرف هذه الأحاديث بعض من أخذ شبهاً من النصارى بالشرك، وشبهاً من اليهود بالتحريف، فقال: هذا أمر بملازمة قبره، والعكوف عنده، واعتياد قصده وانتيابه، ونهي أن يجعل كالعيد الذي إنما يكون في العام مرة أو مرتين، فكأنه قال: لا تجعلوه بمنزلة العيد الذي يكون من الحول إلى الحول، واقصدوه كل ساعة وكل وقت، وهذا مراغمة ومحادة لله، ومناقضة لما قصده الرسول ﷺ، وقلب للحقائق، ونسبة الرسول ﷺ إلى التدليس والتلبيس بعد التناقض، فقاتل الله أهل الباطل أنى يؤفكون، ولا ريب أن من أمر الناس باعتياد أمر وملازمته، وكثرة انتيابه بقوله: لا تجعلوه عيداً، فهو إلى التلبيس وضد البيان أقرب منه إلى الدلالة والبيان؛ فإن لم يكن هذا تنقيصاً، فليس للتنقيص حقيقة فينا، كمن يرمي أنصار الرسول ﷺ وحزبه بدائه ومصابه، وينسل كأنه بريء، ولا ريب أن ارتكاب كل كبيرة بعد الشرك أسهل إثماً، وأخف عقوبة من تعاطي مثل ذلك في دينه، وسنته، وهكذا»[(٢)].

٤-وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «... وَقَدْ تَوَاتَرَ عَنْ الصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ٣٢٣.

(٢) إغاثة اللهفان، ١/ ١٩٢.

إذَا نَزَلَتْ بِهِمْ الشَّدَائِدُ كَحَالِهِمْ فِي الْجَدْبِ وَالِاسْتِسْقَاءِ، وَعِنْدَ الْقِتَالِ، وَالِاسْتِنْصَارِ، يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَسْتَغِيثُونَهُ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْبُيُوتِ، وَلَمْ يَكُونُوا يَقْصِدُوا الدُّعَاءَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا غَيْرِهِ مِنْ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ»[(١)].

٥-وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أيضاً: «فَلَا تَتَّخِذُوا بَيْتِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُمَا كُنْتُمْ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي؛ وَلِهَذَا اتَّفَقَ أَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ عَلَى أَنَّهُ لَا يُشْرَعُ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ عَلَى الْقُبُورِ، وَلَا تُشْرَعُ الصَّلَاةُ عِنْدَ الْقُبُورِ؛ بَلْ كَثِيرٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ الصَّلَاةُ عِنْدَهَا بَاطِلَةٌ»[(٢)].

٦-وقال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: هذا «يدل على أن القبر ليس موضعاً للصلاة، قال العلماء: نهى عن الصلاة في القبور لأمورٍ؛ فإن الأمر قد يعلل بعللٍ كثيرة، فقالوا: منها: خوف الشرك، وهذا أعظمها وأجلها؛ لأن الصلاة على القبر قد تؤدي إلى تعظيمه وإجلاله إلى درجةٍ قد تصل بالمرء إلى الصلاة لصاحب القبر والعياذ بالله، وقيل: نهى عن الصلاة فيها حتى لا يشابه اليهود والنصارى؛ لأن النبي ﷺ لعنهم عند موته»[(٣)].

٧-وقد ذكرالإمام ابن القيم رحمه الله ما يقارب مائة فائدة من فوائد الذكر، وقد ذكرت هذه الفوائد بعد فضل مجالس الذكر، وحلقات العلم في آخر فضل الذكر[(٤)].

والأدلة على ذلك كثيرة من القرآن والسنة الصحيحة، فلتراجع في مواضعها من هذا الكتاب[(٥)] وغيره.

---

(١) الفتاوى الكبرى (٢/ ٤٣١)

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩٨)

(٣) شرح زاد المستقنع للشنقيطي، ٣٥/ ١١.

(٤) وذلك في آخر فضل الذكر، قبل الحديث رقم ١ من أحاديث المتن، قبل أذكار الاستيقاظ من النوم.

(٥) حاشية حديث المتن رقم ١٤٣.

٤٦- الدُّعَاءُ حِيْنَمَا يَقَعُ مَا لا يَرْضَاهُ أوْ غُلِبَ عَلَى أمْرِهِ

١٤٤-«قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٨٩-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٢]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»**[٣].

٤٩٠- ولفظ أحمد وابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ، أَوْ أَفْضَلُ، وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَلَا تَعْجَزْ، فَإِنْ غَلَبَكَ أَمْرٌ، فَقُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ صَنَعَ، وَإِيَّاكَ وَاللَّوَّ، فَإِنَّ اللَّوَّ تُفْتَحُ مِنَ الشَّيْطَانِ»**[٤].

٤٩١-ولفظ ابن حبان: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ الْخَيْرُ، فَاحْرِصْ عَلَى مَا تَنْتَفِعُ بِهِ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ: قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ اللَّوَّ**

---

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله، برقم ٢٦٦٤.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٢٦٦٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسند أحمد، ١/ ٤٠٠، برقم ٨٧٩١، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، برقم ٤١٦٨، وأبو يعلى، ١١/ ٢٣٠، برقم ٦٣٤٦، وحسنه محققو المسند، ومحقق أبي يعلى، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، برقم ٣٣٦١.

تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[(١)].

٤٩٢-ولفظ النسائي في الكبرى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَلاَ تَعْجِزْ، فَإِنْ غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ صَنَعَ، وَإِيَّاكَ وَاللَّوْ، فَإِنَّ اللَّوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[(٢)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**قدر الله وما شاء فعل**»: لأنه عليم ببواطن الأمور؛ ولأن ما قدره الله كائن لا محالة، والشقي التعيس من لام حاله، أي اعترض على أقدار الله ﷻ، فلا يعجز المؤمن عن مأمور، ولا يجزع عن مقدور، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «قدر الله أي: هذا قدر الله، أي تقدير الله وقضاؤه، وما شاء الله ﷻ فعله: إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، لا أحد يمنعه في ملكه ما يشاء، ما شاء فعل ﷻ، ولكن يجب أن نعلم أنه سبحانه وتعالى لا يفعل شيئاً إلا لحكمة خفيت علينا، أو ظهرت لنا، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾[(٣)]، فبين أن مشيئته مقرونة بالحكمة والعلم، وكم من شيء كره الإنسان وقوعه فصار في العاقبة خيراً له، كما قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[(٤)]، ولقد جرت حوادث كثيرة تدل على عظم حكمة الله تعالى، وعلمه، وعلى مكانة هذه الآية، من ذلك قبل عدة سنوات أقلعت طائرة من الرياض متجهة إلى جدة، وفيها ركاب كثيرون، يزيدون

---

(١) صحيح ابن حبان، ١٣/ ٢٩، برقم ٥٧٢٢، وحسنه محقق ابن حبان، وصححه الألباني في التعليقات الحسان، ٨/ ٢٢٦.

(٢) النسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا غلبه أمر، برقم ١٠٤٩٥، ومسند أحمد، ١٤/ ٣٩٥، برقم ٨٧٩١، وحسنه محققو المسند.

(٣) سورة الإنسان، الآية: ٣٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

عن ثلاثمائة راكب، وكان أحد الركاب الذين سجلوا في هذه الطائرة في قاعة الانتظار حتى نام، وأعلن عن إقلاع الطائرة، وذهب الركاب وركبوا، فإذا بالرجل يستيقظ بعد أن أغلق الباب، فندم ندامة شديدة، كيف فاتته الطائرة؟ ثم إن الله قدر بحكمته أن تحترق الطائرة وركابها، فسبحان الله كيف نجا هذا الرجل ؟ كره أنه فاتته الطائرة، ولكن كان ذلك خيراً له، فأنت إذا بذلت الجهد، واستعنت بالله، وصار الأمر على خلاف ما تريد لا تندم[(١)].

٢-قوله: «**المؤمن القوي**»: يشمل قوة الإيمان وقوة البدن.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْمُرَاد بِالْقُوَّةِ هُنَا عَزِيمَة النَّفْس وَالْقَرِيحَة فِي أُمُور الْآخِرَة، فَيَكُون صَاحِب هَذَا الْوَصْف أَكْثَر إِقْدَامًا عَلَى الْعَدُوّ فِي الْجِهَاد، وَأَسْرَع خُرُوجًا إِلَيْهِ، وَذَهَابًا فِي طَلَبه، وَأَشَدُّ عَزِيمَة فِي الْأَمْر بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْي عَنْ الْمُنْكَر، وَالصَّبْر عَلَى الْأَذَى فِي كُلّ ذَلِكَ، وَاحْتِمَال الْمَشَاقّ فِي ذَات الله تَعَالَى، وَأَرْغَب فِي الصَّلَاة وَالصَّوْم وَالْأَذْكَار وَسَائِر الْعِبَادَات، وَأَنْشَط طَلَبًا لَهَا، وَمُحَافَظَة عَلَيْهَا، وَنَحْو ذَلِكَ»[(٢)].

٣-قوله: «**وفي كلٍّ خير**»: لاشتراكهما في أصل الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ.

ويرى النووي: أن فِي كُلّ مِنْ الْقَوِيّ وَالضَّعِيف خَيْر لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي الْإِيمَان، مَعَ مَا يَأْتِي بِهِ الضَّعِيف مِنْ الْعِبَادَات[(٣)]، وقال القاضي عياض: «وفي كلٍّ خير، للإيمان الذى هو صفتهم، لكن الله قد باين بين خلقه في داره، ورفع بعضهم فوق بعض درجات»[(٤)].

---

(١) شرح رياض الصالحين، ح: ١٠٠، قلت: وهذا الحادث بعد عام ١٤٠٠هـ إما عام ١٤٠١، أو ١٤٠٢، أو ١٤٠٣، أو بعد ذلك بقليل؛ لأن القصة اشتهرت في ذاك الزمن.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/ ٢١٥.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/ ٢١٥.

(٤) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٨/ ٧٧.

٤-وقوله: «**احرص على ما ينفعك**» أي: من طاعة الله ورسوله ﷺ، وكل أمر حلال يترتب عليه منفعة لك؛ لأن الحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع مع الرضا بالمقدور، وقال النووي رحمه الله: «(اِحْرِصْ) بِكَسْرِ الرَّاء، (وَتَعْجِز) بِكَسْرِ الْجِيم، وَحُكِيَ فَتْحهمَا جَمِيعًا، وَمَعْنَاهُ اِحْرِصْ عَلَى طَاعَة الله تَعَالَى، وَالرَّغْبَة فِيمَا عِنْده، وَاطْلُبْ الْإِعَانَة مِنْ الله تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ»[1].

٥-قوله: «**استعن بالله**» أي: اطلب العون من الله فهو خير معين، أي: توكل على الله وإذا استعنت بالله وتوكلت عليه ودخلت فيما يرضيه ﷻ فأبشر بالخير وأن الله تعالى سيعينك[2]، واستعن بالله: ما أروع هذه الكلمة بعد قوله: «**احرص على ما ينفعك**» لأن الإنسان إذا كان عاقلاً ذكياً؛ فإنه يتتبع المنافع، ويأخذ بالأنفع، وربما تغره نفسه حتى يعتمد على نفسه، وينسى الاستعانة بالله، وهذا يقع لكثير من الناس، حيث يعجب بنفسه، ولا يذكر الله ﷻ، ويستعين به؛ فإذا رأى من نفسه قوة على الأعمال، وحرصاً على النافع، وفعلاً له، أعجب بنفسه، ونسي الاستعانة بالله؛ ولهذا قال: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله**» أي: لا تنس الاستعانة بالله، ولو على الشيء اليسير، وفي الحديث: «**لِيَسْأَلْ أَحَدكمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ كُلَّهَا، حتى يسأَلَ شِسْعَ نَعلِهِ، إِذَا انْقَطَعَ**»[3]، يعني: حتى الشيء اليسير لا تنس الله، حتى ولو أردت أن تتوضأ،

---

(١) شرح النووي على مسلم، ١٦/ ٢١٥.

(٢) شرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين، ح: ٩١.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، ليسأل حاجته مهما صغرت، برقم ٣٦٠٤، وابن حبان (٣/ ٧٦، وأبو يعلى، ٦/ ١٣٠، برقم ٣٤٠٣، والبيهقي في شعب الإيمان، ٢/ ٤٠، والضياء ٥/ ٩، وقال: «رجاله موثقون والصواب أنه مرسل» والبزار، ٢/ ٣١٧، برقم ٦٨٧٦، وقال في مجمع الزوائد، ١٠/ ١٥٠ عن رواية البزار: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير سيار بن حاتم وهو ثقة» وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح، ٢/ ٧.

أو تصلي، أو تذهب يميناً أو شمالاً، أو تضع شيئاً، فاستحضر أنك مستعين بالله ﷻ، وأنه لولا عون الله ما حصل لك هذا الشيء[(١)].

٦-قوله: «**ولا تعجز**» أي: عن طلب الإعانة منه، وسبيل ذلك الجد في الطاعة.

فاستعمل الحرص، والاجتهاد في تحصيل ما تنتفع به في أمر دينك ودنياك التي تستعين بها على صيانة دينك، وصيانة عيالك، ومكارم أخلاقك، ولا تفرط في طلب ذلك، ولا تتعاجز عنه معتذراً، وتتحجج بالقدر، فتنسب للتقصير، وتلام على التفريط شرعاً وعادة، ومع إنهاء الاجتهاد نهايته، وإبلاغ الحرص غايته، فلا بد من الاستعانة بالله، والتوكل عليه، والالتجاء في كل الأمور إليه، فمن سلك هذين الطريقين حصل على خير الدارين[(٢)].

«ونهاه عن العجز، وهو التساهل في الطاعات، وقد استعاذ منه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بقوله: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن؛ ومن العجز والكسل**»[(٣)]»[(٤)]، فقوله: «**ولا تعجز**» يعني استمر في العمل، ولا تعجز وتتأخر، وتقول إن المدى طويل، والشغل كثير، فما دمت قد صممت في أول الأمر أن هذا هو الأنفع لك، واستعنت بالله، وشرعت فيه فلا تعجز، وهذا الحديث في الحقيقة يحتاج إلى مجلدات يتكلم عليه فيها الإنسان؛ لأن له من الصور والمسائل ما لا يُحصى، منها مثلاً: طالب العلم الذي يشرع في كتاب يرى أنه منفعة، وفيه مصلحة له، ثم بعد أسبوع، أو شهر يمل، وينتقل إلى كتاب آخر، هذا نقول استعان بالله، وحرص على ما نفعه، ولكنه عجز، كيف عجز ؟

---

(١) شرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين، ح: ٩١.

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام، للإمام الصنعاني، ٣/ ٣٣١.

(٣) البخاري، برقم ٢٨٩٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ١٣٧.

(٤) سبل السلام شرح بلوغ المرام، ٣/ ٣٣١.

بكونه لم يستمر؛ لأن معنى قوله: «لا تعجز» أي: لا تترك العمل، بل مادمت دخلت فيه على أنه نافع فاستمر فيه[1].

٧-وقوله: «**وإن أصابك شيء**» أي: مما تكرهه نفسك، وإن أصابك شيء أي من أمر دينك أو دنياك[2].

٨-قوله: «**فإذا غلبك أمر**»: وقعت في الأمر المكروه بعد الاحتياط ولم تجد إلى الدفع سبيلاً[3].

٩-قوله: «**فلا تقل**»: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، قل: قدر الله، وما شاء فعل، يعني: إن الذي يتعيَّن بعد وقوع المقدور التسليم لأمر الله، والرضا بما قدره الله تعالى، وإعراض عن الالتفات لما مضى وفات[4].

١٠-قوله: «**لو أني فعلت كذا وكذا**»: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «إذا قدر أنه اجتهد في أمر ينفعه، ثم فات الأمر، ولم يكن على ما توقع تجده يندم، ويقول: ليتني ما فعلت كذا، ولو أني فعلت كذا لكان كذا، وهذا ليس بصحيح، فأنت أدِّ ما عليك، ثم بعد هذا فوض الأمر لله عز وجل»[5].

١١-قَوله: «**وإيّاكَ واللَّو**»، نقل العلامة ابن حجر : عن السبكي قوله: «وقَد تَأَمَّلت اقتِران قَولُه ﷺ: «**احرِص عَلَى ما يَنفَعك**» بِقَولِهِ: «**وإيّاكَ واللَّو**»، فَوجَدت الإشارَة إلَى مَحَلّ (لَو) المَذمُومَة، وهِيَ نَوعانِ:

أَحَدهما فِي الحال ما دامَ فِعل الخَير مُمكِنًا، فَلا يُترَك لأَجلِ فَقد شَيء آخَرَ ،

---

(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٠٠.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٥/ ٢١٤.

(٣) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢ / ٤٠٠.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٠٠.

(٥) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٠٠.

فَلا تَقُول: لَو أَنَّ كَذا كانَ مَوجُودًا لَفَعَلت كَذا، مَعَ قُدرَته عَلَى فِعله، ولَو لَم يُوجَد ذاكَ، بَل يَفعَل الخَير، ويَحرِص عَلَى عَدَم فَواته.

والثّانِي: مَن فاتَهُ أَمر مِن أُمُور الدُّنيا، فَلا يَشغَل نَفسه بِالتَّلَهُّف عَلَيهِ؛ لِما فِي ذَلِكَ مِنَ الاعتِراض عَلَى المَقادِير»[١].

١٢-قوله: «**فإن لو تفتح عمل الشيطان**» أي: بالتذمر والاعتراض على ما وقع من غير جدوى وقد يجره هذا إلى إساءة الظن بخالقه ﷻ ثم الكفر به عياذاً بالله من ذلك، «**ولا تقل لو أني فعلت لكان كذا**»، إذا قلت هذا انفتح عليك من الوساوس والندم والأحزان ما يكدر عليك الصفو، فقد انتهى الأمر وراح، وعليك أن تسلم الأمر للجبار ﷻ، قل: **قدر الله وما شاء فعل**، والله لو أننا سرنا على هدي هذا الحديث لاسترحنا كثيراً، لكن تجد الإنسان **أولاً**: لا يحرص على ما ينفعه، بل تمضي أوقاته ليلاً ونهاراً بدون فائدة، تضيع عليه سدى.

ثانياً: إذا قُدِّر أنه اجتهد في أمر ينفعه، ثم فات الأمر، ولم يكن على ما توقع تجده يندم، ويقول: ليتني ما فعلت كذا، ولو أني فعلت كذا لكان كذا، وهذا ليس بصحيح، فأنت أدّ ما عليك ثم بعد هذا فوض الأمر لله ﷻ[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-حث الإسلام على: القوة، والنشاط، والعمل، والاجتهاد، والكسب من عمل اليد، وعدم الاعتماد على الغير، فكل ذلك داخل في معنى «**المؤمن القوي**».

٢-قال النووي رحمه الله: والمراد بالقوة عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا على العدو في الجهاد، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في

(١) فتح الباري، ١٣/ ٢٣٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٠٠.

ذات الله ﷻ، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات ونحو ذلك[1]، وفي كل خير لئلا يتوهم أحد من الناس أن المؤمن الضعيف لا خير فيه، بل المؤمن الضعيف فيه خير، فهو خير من الكافر لاشك، وهذا الأسلوب يسميه البلاغيون الاحتراز، وهو أن تكلم الإنسان كلاماً يوهم معنى لا يقصده، فيأتي بجملة تبين أنه يقصد المعنى المعين[2].

٣-وفي الحديث: الأمر بفعل الأسباب والاستعانة بالله، وفيه: التسليم لأمر الله، والرضا بقدر الله[3].

٤-الإيمان بالقضاء والقدر: حلوه ومره، أحد أركان الإيمان الستة، والواجب على المسلم الإيمان بذلك؛ لأنه لا يتم الإيمان إلا به .

٥-فوائد الإيمان بالقدر:

أ – أنه من تمام الإيمان بالربوبية.

ب – أن الإنسان يَرُدّ كل أموره إلى خالقه لمعرفته أنه هو الذي قضاها وقدَّرها.

ج – تهوين المصائب على العبد.

د – إضافة النعم إلى مسديها لا لمن باشر إيصالها إلى العبد.

هـ – معرفة الإنسان قدر نفسه فلا يفخر بفعل خير أو عمل صالح.

و – الحرص على فعل كل سبب ينفع العبد في الدارين من: الأسباب الواجبة، والمستحبة، والمباحة، مستعينًا بالله في ذلك، عالمًا أن السبب لا يعمل إلا بأمر خالق السبب والمسبب.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/ ٢١٥.

(٢) شرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٠٠.

(٣) تطريز رياض الصالحين، لفيصل بن عبد العزيز المبارك، ص ٩١.

٦- الفرق بين القضاء والقدر: أن القدر في اللغة بمعنى التقدير، أما القضاء فهو بمعنى الحكم؛ ولذلك فالقضاء والقدر متباينان إذا اجتمعا، ومترادفان إذا افترقا، فالتقدير هو ما قدره الله في الأزل أن يكون في خلقه، والقضاء هو ما قضى به الله في خلقه، وعلى هذا فيكون التقدير سابقاً للقضاء(١).

٧- فيما جاء في «اللوْ» تستخدم هذه الكلمة على وجهين:

أ – على وجه الحزن على ما فات، والجزع على ما وقع من المقدور، وهذا منهي عنه لقول الله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا**﴾(٢)، وقول الرسول ﷺ: «**وإياك واللو، فإن اللو تفتح عمل الشيطان**»(٣).

ب – أن يقول لو؛ لبيان علم نافع كقول الله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾(٤) وقول النبي ﷺ: «**لَوْ اسْتَقْبَلْت مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْت مَا سُقْت الْهَدْيَ**»(٥)، وقوله ﷺ: «**لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل**»(٦)؛ وهذا لبيان محبة الخير وإرادته وقوله ﷺ: «**وددنا أن موسى كان صبر فقص الله علينا من**

---

(١) تطريز رياض الصالحين، لفيصل بن عبد العزيز المبارك، ص ٩١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٦.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، برقم ٤١٦٨، وابن حبان، ١٣/ ٢٨، برقم ٥٧٢١، وحسن إسناده محقق ابن حبان، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، برقم ٣٣٦١.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

(٥) البخاري، كتاب التمني، باب قول النبي ﷺ: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت» برقم ٧٢٢٩، ومسلم، برقم ١٢١١ بلفظ: عَنْ عَائِشَةَ ﵂، أَنَّهَا قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَرْبَعٍ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، أَوْ خَمْسٍ، فَدَخَلَ عَلَيَّ وَهُوَ غَضْبَانُ فَقُلْتُ: مَنْ أَغْضَبَكَ، يَا رَسُولَ اللهِ؟ أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ، قَالَ: «أَوَمَا شَعَرْتِ أَنِّي أَمَرْتُ النَّاسَ بِأَمْرٍ، فَإِذَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ؟» قَالَ الْحَكَمُ: كَأَنَّهُمْ يَتَرَدَّدُونَ أَحْسِبُ «وَلَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، مَا سُقْتُ الْهَدْيَ مَعِي حَتَّى أَشْتَرِيَهُ، ثُمَّ أَحِلُّ كَمَا حَلُّوا».

(٦) البخاري، كتاب التمني، باب تمني القرآنة والعلم، برقم ٧٢٣٢.

أمرهما»[١] لأن هذا القصص فيه منفعة وليس في ذلك وأمثاله جزع ولا حزن على ما مضى[٢]، ولذلك بوب البخاري باب قال فيه: «ما يجوز من اللو»[٣].

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ جَاءَ مِنْ اِسْتِعْمَال (لَوْ) فِي الْمَاضِي قَوْله ﷺ: «**لَوْ اِسْتَقْبَلْت مِنْ أَمْرِي مَا اِسْتَدْبَرْت مَا سُقْت الْهَدْي**»، وَغَيْر ذَلِكَ، فَالظَّاهِر أَنَّ النَّهْي إِنَّمَا هُوَ عَنْ إِطْلَاق ذَلِكَ فِيمَا لَا فَائِدَة فِيهِ، فَيَكُون نَهْي تَنْزِيه لَا تَحْرِيم، فَأَمَّا مَنْ قَالَهُ تَأَسُّفًا عَلَى مَا فَاتَ مِنْ طَاعَة اللَّه تَعَالَى، أَوْ مَا هُوَ مُتَعَذِّر عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، وَنَحْو هَذَا، فَلَا بَأْس بِهِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَل أَكْثَر الِاسْتِعْمَال الْمَوْجُود فِي الْأَحَادِيث»[٤].

٨- وقال القسطلاني رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن اللّو تفتح عمل الشيطان، أي تلقي في القلب معارضة القدر، فيوسوس به الشيطان، ولا معارضة بين ما ورد من الأحاديث الدالّة على الجواز، والدالّة على النهي؛ لأن النهي مخصوص بالجزم بالفعل الذي لم يقع، فالمعنى لا تقل لشيء لم يقع: لو أني فعلت كذا لوقع قاضيًا بتحتم ذلك غير مضمر في نفسك شرط مشيئة الله، وما ورد من قول «لو» محمول على ما إذا كان قائله موقنًا بالشرط المذكور، وهو أنه لا يقع شيء إلا بمشيئة الله وإرادته، قاله الطبري. وقال غيره: الظاهر أن النهي عن إطلاق ذلك فيما لا فائدة فيه، أما من قاله تأسفًا على ما فاته من طاعة الله فلا بأس به[٥].

٩- نقل العلامة ابن حجر : عن السبكي قوله: «... الإِشارَة إِلَى مَحَلّ (لَو) المَذمُومَة، وهِيَ نَوعانِ:

---

(١) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، برقم ٣٤٠١.
(٢)انظر: المفيد على كتاب التوحيد للشيخ/ عبد الله القصير، ٢٨٩، ٢٩٠.
(٣) كتاب التمني، باب ما يجوز في اللو، قبل الحديث رقم ٧٢٣٨.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/ ٢١٦.
(٥) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، ١٠/ ٢٨٢.

أَحَدهما: فِي الحال ما دامَ فِعل الخَير مُمكِنًا، فَلا يُترَك لأَجلِ فَقد شَيء آخَرَ، فَلا تَقُول: لَو أَنَّ كَذا كانَ مَوجُودًا لَفَعَلت كَذا، مَعَ قُدرَته عَلَى فِعله، ولَو لَم يُوجَد ذاكَ، بَل يَفعَل الخَير، ويَحرِص عَلَى عَدَم فَواته.

والثّانِي: مَن فاتَهُ أَمر مِن أُمُور الدُّنيا، فَلا يَشغَل نَفسه بِالتَّلَهُّف عَلَيهِ؛ لِما فِي ذَلِكَ مِنَ الاعتِراض عَلَى المَقادِير، وتَعجِيل تَحَسُّر لا يُغنِي شَيئًا، ويَشتَغِل بِهِ عَن استِدراك ما لَعَلَّهُ يُجدِي، فالذَّمّ راجِع فِيما يَؤُول فِي الحال إِلَى التَّفرِيط، وفِيما يَؤُول فِي الماضِي إِلَى الاعتِراض عَلَى القَدر، وهُو أَقبَح مِنَ الأَوَّل، فَإِن انضَمَّ إِلَيهِ الكَذِب فَهُو أَقبَح، مِثل قَول المُنافِقِينَ: ﴿لَو استَطَعنا لَخَرَجنا مَعَكُم﴾[1]، وقَولهم: ﴿لَو نَعلَم قِتالاً لاتَّبَعناكُم﴾[2]، وكَذا قَولهم: ﴿لَو أَطاعُونا ما قُتِلُوا﴾[3]، ثُمَّ قالَ: وكُلّ ما فِي القُرآن مِن (لَو) الَّتِي مِن كَلام اللَّه تَعالَى كَقَولِهِ تَعالَى: ﴿قُل لَو كُنتُم فِي بُيُوتكُم﴾[4]، ﴿ولَو كُنتُم فِي بُرُوج مُشيدَة﴾[5]، ونَحوهما فَهُو صَحِيح لأَنَّهُ تَعالَى عالِم بِهِ، وأَمّا الَّتِي لِلرَّبطِ فَلَيسَ الكَلام فِيها، ولا المَصدَرِيَّة، إِلاَّ إِن كانَ مُتَعَلَّقها مَذمُومًا، كَقَولِهِ تَعالَى: ﴿ودَّ كَثِير مِن أَهل الكِتاب لَو يَرُدُّونَكُم مِن بَعد إِيمانكُم كُفّارًا﴾[6]؛ لأَنَّ الَّذِي ودُّوهُ وقَعَ خِلافه»[7].

١٠- قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ معلقًا على هذا الحديث:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٥) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

(٧) فتح الباري، ١٣/ ٢٣٠.

فتضمن هذا الحديث أصولًا عظيمة من أصول الإيمان منها:

أ – أن اللَّه تعالى موصوف بالمحبة وأنه يحب حقيقة.

ب – أنه يحب مقتضى أسمائه وما يوافقها فهو القوي ويحب المؤمن القوي، وعليم ويحب العلماء وهكذا.

ج – أن محبته للمؤمنين تتفاضل فيحب بعضهم أكثر من بعض.

د – أن الخير كله في الحرص على ما ينفع الإنسان في الدارين.

هـ – أن هذا الحديث تضمن: إثبات القدر، والكسب، والاختيار، والقيام بالعبودية: ظاهرًا وباطنًا في حالتي المطلوب وعدمه.

و – أن هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد أبدًا[1].

***

---

(١) شفاء العليل، ص ١٨، ونقله في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد الشيخ/ عبد الرحمن آل شيخ ص ٤٠٤.

٤٧ — تَهْنِئَةُ المَوْلُودِ لَهُ وَجَوَابُهُ

١٤٥-«بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ لَكَ، وَشَكَرْتَ الْوَاهِبَ، وَبَلَغَ أَشُدَّهُ، وَرُزِقْتَ بِرَّهُ»(١). وَيَرُدُّ عَلَيْهِ الْمُهَنَّأُ فَيَقُولُ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْراً، وَرَزَقَكَ اللَّهُ مِثْلَهُ، وَأَجْزَلَ ثَوَابَكَ»(٢).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الأثر:

٤٩٣-قال رجل عند الحسن(٣): يهنيك الفارس، فقال الحسن: وما يهنيك الفارس؛ لعله أن يكون بقَّاراً، أو حمَّاراً، ولكن قل: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، وبلغ أشده، ورزقت برَّه». هذا لفظ ابن الجعد، وابن أبي الدنيا(٤).

---

(١) ذُكِرَ من كلام الحسن البصري. انظر: تحفة المودود لابن القيم، ص ٢٠، وعزاه لابن المنذر في الأوسط.

(٢) قاله النووي في الأذكار، ص٣٤٩ منسوباً للحسين ﷺ، وهو في مجموع النووي، ٨/ ٤٤٣ منسوباً للحسين ﷺ أيضاً، ولم أجده منسوباً للحسين إلا في كتب الشافعية نقلاً عن النووي، وكل من ذكروه في كتبهم غير الشافعية نسبه للحسن البصري رحمه الله، وانظر: صحيح الأذكار للنووي، لسليم الهلالي، ٧١٣/٢، وتمام التخريج في الذكر والدعاء والعلاج بالرقى للمؤلف، ١/ ٤١٦.

(٣) هو الحسن البصري: أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ، وأمه اسمها خيرة مولاة لأم سلمة زوج النبي ﷺ، سكن المدينة، وأعتق، ثم تزوج في خلافة عمر ثم حضر الجمعة مع عثمان، وشهد يوم الدار، وإنما أعرض أهل الصحيح عنه؛ لأنه كان يدلس فبقي في النفس من ذلك شيء، وسمع خلائق من كبار التابعين، روى عنه خلائق من التابعين وغيرهم. مات رحمه الله سنة عشر ومائة، وكانت جنازته مشهودة. انظر: تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ١/ ١٦١، وسير أعلام النبلاء، ٤/ ٥٦٣، ترجمة رقم (٢٢٣).

(٤) مسند ابن الجعد، ص ٤٨٨، والعيال، لابن أبي الدنيا، ١/ ٣٦٥، والكامل في ضعفاء الرجال، ٧/ ١٠١. وذكره ابن قدامة في المغني شرح مختصر الخرقي، ٩/ ٣٦٦ بلفظ: «أن رجلاً قال لرجل عند الْحَسَنِ يُهَنِّئُهُ بِابْنٍ لَهُ: لِيَهْنِكَ الْفَارِسُ. فَقَالَ الْحَسَنُ: وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهُ فَارِسٌ هُوَ أَوْ حِمَارٌ ؟ فَقَالَ: كَيْفَ نَقُولُ ؟ قَالَ: قُلْ: بُورِكَ فِي الْمَوْهُوبِ، وَشَكَرْتَ الْوَاهِبَ، وَبَلَغَ أَشُدَّهُ، وَرُزِقْتَ بِرَّهُ».

٤٩٤-ولفظه في تاريخ دمشق: «جاء رجل عند الحسن، وقد وُلِد له مولود، فقيل له: يهنئك الفارس، فقال الحسن: وما يدريك أفارس هو؟ قالوا: كيف نقول يا أبا سعيد؟ قال: تقول: بورك لك في الموهوب، وشكرت الواهب، ورُزقتَ برَّه، وبلغ أشدَّه»(١).

٤٩٥-وروى النووي: «يُستحبّ أن يُهَنَّأ بما جاءَ عن الحسين ﷺ(٢) أنه علَّم إنساناً التهنئة، فقال: قل: باركَ الله لكَ في الموهوب لك، وشكرتَ الواهبَ، وبلغَ أشدَّه ورُزقت برّه. ويُسْتَحَبُّ أن يردّ على المُهنيء فيقول: باركَ الله لك، وبارَكَ عليك، وجزاكَ الله خيراً، ورزقك الله مثلَه، أو أجزلَ الله ثوابَك، ونحو هذا»(٣).

ثانياً: شرح مفردات الأثر:

١-قوله: «**بارك الله لك**»: قال القاضي عياض رحمه الله: «معنى البركة هنا: الزيادة من الخير والكرامة، والتكثير منهما»(٤).

٢-قوله: «**الموهوب لك**» أي: المولود ذكرًا كان أم أنثى».

٣-قوله: «**شكرت الواهب**» أي: أديت شكر هذه النعمة لواهبها وهو الله ﷻ.

٤-قوله: «**وبلغ أشده**»: الأشد هو الحُلم؛ لقوله ﷻ: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾(٥)،

---

(١) تاريخ دمشق، للحافظ ابن عساكر، ٥٩/ ٢٧٥.

(٢) الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي ﷺ: أبو عبد الله، سبط رسول الله ﷺ وريحانته، ﷺ، وهو وأخوه الحسن سيدا شباب أهل الجنة، ولد سنة أربع من الهجرة، وكان الحسن أشبه برسول الله، وحج الحسين خمسًا وعشرين حجة ماشيًا. قالوا: وكان ﷺ فاضلاً، كثير الصلاة، والصوم، والحج، والصدقة، وأفعال الخير جميعها. قُتل ﷺ يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بكربلاء من أرض العراق. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٢/ ٧٦، وتهذيب الأسماء واللغات، ١/ ١٦٢.

(٣) قاله النووي في الأذكار، ص٣٤٩، والمجموع، ٨/ ٤٤٣، وتقدم تخريجه في تخريج أثر المتن.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٣٠٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من مفردات حديث المتن رقم ٥٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ٦.

والحُلم أول الأشد، وأقصاه أربع وثلاثون سنة، أما استواء الرجل فهو بلوغه سن الأربعين[١].
قال تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[٢].

٥-قوله: «**ورزقت بره**»: البر هو الإحسان القولي، والفعلي، وضده العقوق.

يقال: صدقت وبررت: أي صدقتَ في دعواك إلى الطاعات، وصرت باراً، دعاءٌ له بذلك، ودعاء له بالقبول، والأصل برّ عملُك، وبررتُ والدي، أبره، بِراً، وبروراً: أحسنت الطاعة إليه، ورفقت به، وتحرّيت محابّه، وتوقّيت مكارهه»[٣].

٦-قوله: «**ويردّ عليه المهنأ**»: قال النووي رحمه الله: «ويستحب أن يرد المُهَنّأ على المُهَنّئ»[٤].

٧-قوله: «**بارك الله لك**»: قال السمين الحلبي رحمه الله: «البركة: الزيادةُ، يقال: باركَ اللَّه لك، أي: زادَك خيراً، وهو متعدٍ، ويَدُلُّ عليه: ﴿أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾»[٥]، ويُضَمَّنُ معنى ما يتعدى بعلى كقوله: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾[٦]، و«تبارَكَ» لا يَتَصَرَّف، ولا يُسْتعمل مسنداً إلا للَّه تعالى، ومعناه في حَقِّه تعالى: تزايَدَ خيرُه وإحسانه»[٧].

٨-قوله: «**وبارك عليك**»: قال الصنعاني رحمه الله: «أثيب عليك ما أولاك، وفي شرح العيني على البخاري: أي اختص لك، وارتفع عليك»[٨].

---

(١) انظر تفسير الجزائري، ص ١٢٨١.
(٢) سورة القصص، الآية: ١٤.
(٣) انظر: المصباح المنير، ١/ ٤٣، مادة (برّ).
(٤) المجموع شرح المهذب، ٨/ ٤٤٣.
(٥) سورة النمل، الآية: ٨.
(٦) سورة الصافات، الآية: ١١٠.
(٧) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ٣/ ٣١٦.
(٨) التنوير شرح الجامع الصغير، ١/ ٦٢٠.

٩-قوله: «وجزاك الله خيراً»: قال المناوي رحمه الله: «أي: قضى لك خيراً، وأثابك عليه: يعني أطلب من الله أن يفعل ذلك بك»[(١)].

١٠-قوله: «ورزقك الله مثله»: قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: «وَالتَّهْنِئَةُ بِهِ: [يعني بـ] المولود أَنْ يُقَالَ لَهُ : جَعَلَهُ اللَّهُ لَكَ خَلَفًا صَالِحًا، وَأَرَاكَ فِيهِ السُّرُورَ، فَإِذَا أَجَابَ عَنْ هَذِهِ التَّهْنِئَةِ ... أَنْ يَدُلَّ عَلَى إِقْرَارِهِ، كَقَوْلِهِ : أَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَكَ وَرَزَقَكَ اللَّهُ مِثْلَهُ، أَوْ يَقْتَصِرُ عَلَى قَوْلِ: آمِينَ، فَيَكُونُ بِهَذَا الْجَوَابِ وَأَمْثَالِهِ مُقِرًّا بِهِ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ الرِّضَا وَالِاعْتِرَافِ»[(٢)].

١١-قوله: «أجزل ثوابك» أي: أعظم لك العطاء والمنة، والجزيل مأخوذة من جزل، والجزل: التام الخلق، ويجوز أن تكون ذات كلام جزل: أي قوي شديد، أو هو الغليظ القوي[(٣)]، والثواب: هو العطاء والجزاء على العمل والصنيع، «يقال: أثابه يثيبه إثابة، والاسم الثواب، ويكون في الخير والشر، إلا أنه بالخير أخصّ، وأكثر استعمالاً»[(٤)].

١٢- قوله: «يهنيك الفارس»: التَّهْنِئَةُ: خِلَافُ التَّعْزِية، يُقَالُ: هَنَأَهُ بالأَمْرِ وَالْوِلَايَةِ هَنْأً، وهَنَّأَه تَهْنِئَةً وتَهْنِيئاً، إِذَا قُلْتَ لَهُ لِيَهْنِئْكَ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: لِيَهْنِئْكَ الفارِسُ، بِجَزْمِ الْهَمْزَةِ، ولِيَهْنِيكَ الفارِسُ، بياءٍ سَاكِنَةٍ... وكلُّ أمْرٍ يأْتيك مِنْ غَيْر تَعَبٍ، فَهُوَ هَنِيءٌ. الأَصمعي: يُقَالُ فِي الدُّعاءِ للرَّجل هُنِّئْتَ وَلَا تُنْكَهْ، أَي: أَصَبْتَ خَيْراً، وَلَا أَصابك الضُّرُّ، تدعُو لَهُ، وقَوْله: هُنِّئْتَ، يُرِيدُ ظَفِرْتَ، عَلَى الدُّعاءِ لَهُ، ويُقَالُ هَنَأَه ذَلِكَ وهَنَأَ لَهُ ذَلِكَ، كَمَا يقال هَنِيئاً له، وهَنَأَ الرجلَ

(١) فيض القدير، ١/ ٤١٠.

(٢) الحاوي الكبير للماوردي، ١١/ ٣٤٤.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٧٠، مادة (جزل).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٢٧، مادة (ثوب).

هَنْأً: أَطعَمَه. وهَنَأَه يَهْنَؤُه ويَهْنِئُه هَنْأً، وأَهْنَأَه: أَعْطاه: الأَخيرة أي أهنأه عَنِ ابْنِ الأَعرابي، وهانِئٌ: اسْمُ رَجُلٍ، وَفِي الْمَثَلِ: إِنما سُمِّيت هانِئاً لِتَهْنِئَ ولِتَهْنَأَ، أَي لِتُعْطِي، والهِنْءُ: العَطِيَّة»[1].

١٣-قوله: «بقار»: البقر: حيوان معروف، والبقّار: رجلٌ بَقَّارٌ: صاحب بقر[2].

١٤-قوله: «حمّار»: الحِمارُ العَيْرُ الأَهْلِيُّ وَالْوَحْشِيُّ، وَجَمْعُهُ أَحْمِرَة وحُمُرٌ وحَمِيرٌ، وَرَجُلٌ حامِرٌ وحَمَّارٌ: ذُو حِمَارٍ، كَمَا يُقَالُ فارِسٌ لِذِي الفَرَسِ. والحَمَّارَةُ جمع حمّار: وهم أَصحاب الْحَمِيرِ[3].

ثالثاً: ما يستفاد من الأثر:

١-استحباب حمد الله وشكره أولًا وآخرًا على نعمه التي لا تعدُّ، ولا تُحصى، ومن جملة هذه النعم نعمة الولد، قال الله تعالى: ﴿**يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾[4]، وقال الله ﷻ: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾[5]، ومن تمام الشكر تربية الولد على ما بينه الشرع الحنيف في تربية الأولاد.

٢-إبطال الإسلام لعادات الجاهلية حيث كان يتوارى الوالد من الناس إذا رزقه الله بالأنثى، قال الله ﷻ: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ**﴾[6] بل كان بعضهم يقتلها ويدفنها.

---

(١) انظر: لسان العرب، ١ / ١٨٥، مادة (هنأ).
(٢) انظر: لسان العرب، ٤ / ٧٣، مادة (بقر).
(٣) انظر: لسان العرب، ٤ / ٢١٢، مادة (حمر).
(٤) سورة الشورى، الآيتان: ٤٩- ٥٠.
(٥) سورة الكهف، الآية: ٤٦.
(٦) سورة النحل، الآيتان: ٥٨- ٥٩.

قال الله: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[١].

٣-البر عامة وبر الوالدين خاصة مما حث عليه الإسلام، والمتدبر لكتاب الله يجد أن الله يقرن كثيرًا بين عبادته وتوحيده، وبين الإحسان إلى الوالدين كقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[٢] ونكتة ذلك من أمور:

أ- أن الله هو الخالق الرازق، فهو وحده الذي يستحق العبادة، والوالدان سبب وجودك، فيستحقان الإحسان.

ب- الله ﷻ هو المنعم المتفضل على عباده بالنعم الكثيرة، والخيرات الوفيرة، فيستحق الشكر، وكذلك الأبوان هما اللذان يجلبان لك ما تحتاجه مما رزقهما ﷻ من مأكل ومشرب وملبس فيستحقان الشكر.

جـ- أن الله هو رب الناس الذي يربيهم على منهجه، فيستحق التعظيم والحب، وكذلك الأبوان ربياك صغيرًا، فيستحقان، التواضع والتوقير والتأدب والتلطف بالقول والفعل، فلا يجوز أن تسمعهما أدنى مراتب القول السيئ، وهو التأفف، ولا يجوز أن تنفض يدك عليهما، وهو أدنى مراتب الفعل السيئ[٣].

***

---

(١) سورة التكوير، الآيتان: ٨- ٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٣)انظر: بهجة الناظرين للهلالي، ١/ ٣٥٦.

٤٨ — مَا يُعَوَّذُ بِهِ الأَوْلادُ

١٤٦-كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَينَ رضي الله عنهما: «أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٤٩٦-لفظ البخاري: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[٢] قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»[٣].

٤٩٧-ولفظ أبي داود: عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما، قال: كان النبيُّ ﷺ يُعوِّذُ الحسنَ والحسينَ: «أُعيذُكُما بكلماتِ اللهِ التامَّةِ، من كلِّ شيطان وهامَّةٍ، ومِنْ كُلِّ عَينٍ لامَّةٍ»، ثم يقول: «كان أبوكم يعوِّذُ بهما إسماعيلَ وإسحاق»[٤].

٤٩٨-ولفظ الترمذي: عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ يَقُولُ: «أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ»، وَيَقُولُ: «هَكَذَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يُعَوِّذُ إِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ»[٥].

---

(١) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا موسى بن إسماعيل، برقم ٣٣٧١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٣٣٧١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أبو داود، كتاب السنة، باب في القرآن، برقم ٤٣٧٣، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٤٧٣٧.

(٥) الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية من العين، برقم ٢٠٦٠، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٠٦٠.

٤٩٩-ولفظ ابن ماجه: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، يَقُولُ: «**أعوذ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ**»، قَالَ: «**وَكَانَ أَبُونَا إِبْرَاهِيمُ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ**» أَوْ قَالَ: «**إِسْمَاعِيلَ وَيَعْقُوبَ**»[1].

٥٠٠-ولفظ أحمد: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ يُعَوِّذُ حَسَنًا وَحُسَيْنًا، يَقُولُ: «**أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ**»، وَكَانَ يَقُولُ: «**كَانَ إِبْرَاهِيمُ أَبِي يُعَوِّذُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ، وَإِسْحَاقَ**»[2].

٥٠١-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود[3]، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ قَاعِدًا فِي أُنَاسٍ، فَمَرَّ بِهِ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، فَقَالَ: «**هَاتُوا ابْنَيَّ أُعَوِّذْهُمَا، بِمَا عَوَّذَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ ابْنَيْهِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ**»[4].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**كان رسول الله ﷺ يعوِّذُ**»: التعويذ الدعاء إلى الله بأن يجير ويحفظ، واللجوء إلى الله، واللِّواذ به، والعَوْذ: الالتجاء، كالعياذ، والمعاذ، والاستعاذة، وقد عاذت عياذاً، وأعاذت، وهي معيذٌ، ومعوّذ، والمعوّذة:

---

(١) ابن ماجه، كتاب الطب، باب ما عوَّذ به النبي ﷺ، برقم ٣٥٢٥، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، برقم ٢٨٤١.

(٢) مسند أحمد، ٤/ ٢٠، برقم ٢١١٢، وصحح إسناده محققو المسند.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح.

(٤) رواه البزار، ٤/ ٣٠٤، برقم ١٤٨٣، وتاريخ دمشق، ١٣/ ٢٢٣، ووثقه الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ٣٠١، وروى عبد الرزاق، ٤/ ٣٣٦، برقم ٧٩٨٧: عن علي بن أبي طالب قال: كان النبي ﷺ يعوذ حسناً وحسيناً، فيقول: «أعيذكما بكلمات الله التامات من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة» قال: وقال النبي ﷺ: «عوِّذوا بها أبناءكم، فإن إبراهيم عليه السلام كان يعوذ بها ابنيه إسماعيل وإسحاق» وهو عند أبي نعيم في حلية الأولياء، ٥/ ٤٤، والطبراني في الأوسط، ٩/ ٧٩، برقم ٩١٨٣، ولم أجد من قوّاه، لكن يغني عنه ما تقدم.

الرقيـة، كالمعـاذة والتعويـذ، والعَـوَذ بالتحريـك: الملجـأ، كالمعـاذ، والعيـاذ، ومعاذ الله أي: أعوذ بالله معاذاً، وكذا: معاذة الله[١].

٢-قوله: «**الحسن والحسين**»: هما سبطا النبي ﷺ، وريحانتاه، وسيدا شباب أهل الجنة: الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد في شوال سنة ثلاث، وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ، وكان يحج ماشياً، ونجائبه تقاد إلى جانبه، توفي بالمدينة ودفن بالبقيع واختلف في وفاته فالأكثر أنه توفي سنة خمسين على الأرجح.

وأما أخوه الحسين بن علي بن أبي طالب أبو عبد الله الهاشمي، سبط رسول الله وريحانته، ولد بعد الحسن بعام سنة أربع للهجرة، وكان أشبههم برسول الله ﷺ، فالحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر والرأس، والحسين أشبه النبي ﷺ ما كان أسفل من ذلك، ومناقبة كثيرة، والمشهور أنه قتل يوم عاشوراء من سنة إحدى وستين[٢].

٣-قوله: «**أعيذكما**»: الاستعاذة هي طلب العوذ، يقال عذت به، واستعذت به، أي لجأت إليه، واستجرت به، واعتصمت به، والاستعاذة بالله من الشيطان هي الطلب منه سبحانه أن يعيذ العبد من الشيطان، ويحميه منه، ويقيه من شره[٣].

٤-قوله: «**بكلمات الله التامة**»: المراد بالتامة الكاملة، وقيل النافعة، وقيل الشافية، وقيل المباركة، وقيل القاضية التي تمضي وتستمر، ولا يردها شيء، ولا يدخلها نقص ولا عيب[٤].

---

(١) انظر: القاموس المحيط، ص: ٤٢٨، مادة (عوذ).

(٢) انظر: طرح التثريب في شرح التقريب للحافظ الزين العراقي، ١/ ٣٤، وتقدمت ترجمة الحسين في حديث رقم ٤٩٢ من أحاديث الشرح.

(٣) فقه الأدعية والأذكار، ص ٢٤.

(٤) فتح الباري، ٦/٥١٠، وقد سبق المزيد من معناها في شرح مفردات حديث المتن رقم (٩٧) من هذا الكتاب.

وإنما وصَف كلامه بالتمام؛ لأنه لا يجوز أن يكون في شيء من كلامه نقص أو عيب كما يكون في كلام الناس، وقيل: معنى التمام ها هنا أنها تنفع المُتَعوّذ بها، وتحفَظُه من الآفات وتكفيه[1]، وقال الخطابي: «فأما قول النبي ﷺ أعوذ بكلمات الله التامات؛ فإن كلمته القرآن، وصفه بالتمام تنزيهاً له عن أن يلحقه نقص أو عيب، كما يوجد ذلك في كلام الآدميين»[2].

٥-قوله: «**من كل شيطان**»: أي الجني منه، والإنسي، والشطن: البُعد، أي: بَعُدَ عن الخير، أو من الحبل الطويل؛ كأنه طال في الشر، ويقال: شاط يشيط إذا هلك، واستشاط غضباً إذا احتدّ في غضبه والتهب، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم؛ لأنه تسلط عليه، فيوسوس له[3].

٦-قوله: «**وهامة**»: واحدة الهوام ذوات السموم، وقيل كل ما له سم يقتل، فأما ما لا يقتل سمه فيقال له السوام، وقيل المراد كل نسمة تهم بسوء[4].

وقال العيني: «والهامة كل ذات سم تقتل، والجمع الهوام، فأما ما يسم ولا يقتل فهو السامة، كالعقرب، والزنبور، وقد يقع الهوام على ما يدب من الحيوان، وإن لم يقتل كالحشرات»[5].

٧-قوله: «**ومن كل عين لامة**»: قال الخطابي: المراد به كل داء وآفة تُلم بالإنسان من جنون وخبل[6]، قال ابن الأثير: ذات لَمَم، ولذلك لم يقل مُلِمَّة، وأصلُها من أَلْمَمْتُ بالشيء؛ لِيُزَاوِجَ قوله: «مِن شَرِّ كُلِّ سَامَّة»، والأَلَمّ أي:

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ١٩٧، ماتدة: (تمم).

(٢) غريب الحديث للخطابي، ١/ ٢٥٢.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٤٧٤، مادة (شطن).

(٤) فتح الباري، ٦/ ٥١٠.

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣١/ ٤١٣.

(٦) فتح الباري، ٦/ ٥١٠.

يَقْرُب، ومنه الحديث: «ما يَقْتُل حَبَطاً، أو يُلِمُّ» أي: يَقْرُب من القَتْل، وفي الحديث: «وإنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فاسْتَغْفِرِي الله»[1] أي: قارَبْتِ، وقيل: اللَّمَمُ: مُقَارَبة المَعْصِيَة من غير إيقاع فِعْل، وفي الحديث: «لابْن آدمَ لَمَّتَان: لَمَّةٌ من المَلك، وَلَمَةٌ من الشيطان»[2] اللَّمَّةُ: الْهِمَّة، والخَطْرَة تَقَع في القلب، فأراد إلْمَام المَلك، أو الشيطان به، والقُرْبَ منه، فَما كان من خَطَرَات الخَيْر فهو من المَلك، وما كان مِن خَطَرَات الشَّرِ فهو من الشَّيطان[3].

ثالثا: ما يستفاد من الحديث:

١-يشرع للمسلم أن يُعوِّذ أولاده، ومن يحب بهذه الكلمات التي تقي بفضل الله من كل عائن وحاسد وكل شر.

٢-بيان محبة النبي ﷺ للحسن والحسين رضي الله عنهما، وأنهما عنده بمنزلة الولد[4].

٣-المكانة الخاصة لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام عند رسول الله ﷺ إذ كان يعوِّذ الحسن والحسين رضي الله عنهما ويقول: «**إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق**» عليهم الصلاة والسلام[5]، وإنما سمّاه أبًا لكونه جداً أعلى.

٤-يشهد لهذه المكانة قول الله ﷻ: ﴿**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ**

---

(١) هذا جزء من حديث الإفك، رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، برقم ٤١٤١، ومسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف، برقم ٢٧٧٠.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، برقم ٢٩٨٨، وقال: «حسن غريب» والنسائي في الكبرى، برقم ١١٠٥١، والبيهقي في شعب الإيمان، ٤/١٢٠، واستشهد به شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى، ٤/ ٣٣،وصححه الألباني في صحيح موارد الظمآن، برقم ٣٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ٢٢٧، مادة (لمم).

(٤) انظر ترجمة الحسن وطرفاً من فضائل الحسين رضي الله عنهما في الحديث رقم ٣٩٧ من أحاديث الشرح، وفي مفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ١٤٦.

(٥) تقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

﴿وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)] وقد كان الرسول ﷺ شبيه الخلقة بإبراهيم عليه السلام لقول رسول الله ﷺ: «**أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم**»[(٢)]، قال: ذلك وهو يحدث أصحابه ﷺ عن الأنبياء الذين رآهم ليلة الإسراء والمعراج.

٥-استدل الإمام أحمد رحمه الله وغيره من أئمة أهل السنة والجماعة بهذا الحديث على أن كلام الله غير مخلوق؛ لأن النبي ﷺ لا يستعيذ بمخلوق، قال الحافظ في الفتح: قال ابن بطال: استدل البخاري بقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[(٣)]، على أن قول الله قديم لذاته، قائم بصفاته، لم يزل موجودًا به، ولا يزال كلامه لا يشبه المخلوقين خلافًا للمعتزلة التي نفت كلام الله تعالى، قال البيهقي في «الاعتقاد» القرآن كلام الله والكلام صفة من صفات ذاته وليس شيء من صفات ذاته مخلوقًا ولا محدثًا ولا حادثًا، قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[(٤)]، فخص القرآن بالتعليم لأنه كلامه، وصفته، وخصّ الإنسان بالتخليق لأنه خلقه، ومصنوعه، ولولا ذلك لقال خلق القرآن والإنسان[(٥)].

٦-وكل صفات الله ﷻ الذاتية، والفعلية المختصة به غير مخلوقة، وهي كلها تليق بجلاله، لا يشبه فيها أحداً من خلقه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[(٦)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.
(٢) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ النساء: ١٢٥، برقم ٣٣٥٥.
(٣) سورة سبأ، الآية: ٢٣.
(٤) سورة الرحمن، الآيات: ١ - ٤.
(٥) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ٧/ ٩٤.
(٦) سورة الشورى، الآية: ١١.



سلسلة مؤلفات سعيد بن علي بن وهف القحطاني (١١٩)

إتحاف المسلم

بشرح حصن المسلم

من أذكار الكتاب والسنة

تأليف الفقير إلى الله تعالى

د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

- ٣ -



٤٩ - الدُّعَاءُ لِلْمَرِيضِ فِي عِيَادَتِهِ

١٤٧ -(١) «لاَ بأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٠٢ -عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما(٢): أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: «**لاَ بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**» فَقَالَ لَهُ: «**لاَ بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**» قَالَ: قُلْت: طَهُورٌ؟ كَلَّا، بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ، أَوْ تَثُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ الْقُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَنَعَمْ إِذًا**» هذا لفظ البخاري(٣).

٥٠٣ -ولفظ ابن حبان: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، فَقَالَ: «**لاَ بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**»، فَقَالَ: كَلاَّ، بَلْ حُمَّى تَفُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُورِدُهُ الْقُبُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَنَعَمْ إِذًا**»(٤).

٥٠٤ -وفي زوائد الحارث: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ وَهُوَ مَحْمُومٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لاَ بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**»، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: هِيَ حُمَّى تَفُورُ، فِي جَوْفِ شَيْخٍ كَبِيرٍ، حَتَّى تُزِيرَهُ الْقُبُورَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَنَعَمْ إِذًا**»(٥).

---

(١) البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم ٣٦١٦.
(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.
(٣) البخاري، برقم ٣٦١٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) صحيح ابن حبان، ٧/ ٢٢٥، برقم ٢٩٥٩، وصححه محققه، والألباني في التعليقات الحسان، ١٢/ ١١.
(٥) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، ١/ ٣٥٦، قال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة، ٤/ ٤١٨: «هُوَ فِي الصَّحِيحَيْنِ دُونَ قَوْلِهِ: «وَهُوَ مَحْمُومٌ» وَلَمْ يَذْكُرَا: «فِي جَوْفِ» وَالْبَاقِي مِثْلَهُ.

٥٠٥-وعند أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه[١]: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ وَهُوَ مَحْمُومٌ، فَقَالَ: «**كَفَّارَةٌ وَطَهُورٌ**»، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: بَلْ حُمَّى تَفُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ الْقُبُورَ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَرَكَهُ»[٢].

٥٠٦-وعند الطبراني عن شُرَحْبِيلَ[٣]، قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ طَوِيلٌ أَبْيَضُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَيْخٌ كَبِيرٌ بِهِ حُمَّى تَفُورُ، تُزِيرُهُ الْقُبُورَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**شَيْخٌ كَبِيرٌ، بِهِ حُمَّى تَفُورُ، هِيَ لَهُ كَفَّارَةٌ وَطَهُورٌ**»، فَأَعَادَهَا، وَأَعَادَهَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَعَادَهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ، أَوْ أَرْبَعَةً، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَّا إِذَا أَبِيت فَهِيَ كَمَا تَقُولُ، وَمَا قَضَى اللَّهُ فَهُوَ كَائِنٌ**»، قَالَ: فَمَا أَمْسَى مِنَ الْغَدِ إِلاَّ مَيِّتًا[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**لا بأس**»: أي: لا شدة عليك ولا خوف، يعني لا شدة عليك، ولا أذى[٥].

٢-قوله: «**طهور**»: أي: مطهرة لك من الذنوب، يعني: هذا طهور إن شاء الله[٦]، لا بأس طهور، أي: هذا المرض مطهر لك من الذنوب[٧].

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٢) مسند أحمد، ٢١/ ٢٢٣، برقم ١٣٦١٦، وصححه لغيره محققو المسند، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٢/ ٢٩٩: «رِجَالُهُ ثِقَاتٌ».

(٣) شرحبيل بن أوس الجعفي، له صحبة، وروى عنه ابنه عبد الرحمن، وقال ابن حبان يقال له صحبة. الاستيعاب، ٢/ ٧٠٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ٣/ ٣٢٧.

(٤) المعجم الكبير للطبراني، ٧/ ٣٠٦، برقم ٧٢١٣، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٦ / ٦٢٥: «ووجه دُخُوله فِي هَذا الباب أي حديث المتن أَنَّ فِي بَعض طُرُقه زِيادَة تَقتَضِي إِيراده فِي عَلامات النُّبُوَّة، أَخرَجَهُ الطَّبَرانِيّ وغَيره مِن رِوايَة شُرَحبِيل والِد عَبد الرَّحمَن، فَذَكَرَ نَحو حَدِيث ابن عَبّاس، وفِي آخِره: فَقالَ النَّبِيّ ﷺ: «أَما إِذا أَبَيت، فَهِيَ كَما تَقُول، قَضاء الله كائِن، فَما أَمسَى مِنَ الغَد إِلاَّ مَيِّتًا» ...وعَجِبت لِلإِسماعِيلِيّ كَيف نَبَّهَ عَلَى مِثل ذَلِكَ فِي قِصَّة ثابِت بن قَيس وأَغفَلَهُ هُنا» انتهى كلام ابن حجر رحمه الله.

(٥) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٩٠٧.

(٦) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٩٠٧.

(٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٦ / ١٤٨.

٣-قوله: «**إن شاء الله**»: هذا من باب الإخبار؛ لأن الدعاء لابد معه من جزم؛ لنهي الرسول ﷺ أن يقول الرجل: «**اللَّهم اغفر لي إن شئت، اللَّهم ارحمني إن شئت**»[(١)]، وإنما قال النبي ﷺ إن شاء الله لأن هذه جملة خبرية، وليست جملة دعائية؛ لأن الدعاء ينبغي للإنسان أن يجزم به، ولا يقل: إن شئت؛ ولهذا نهى النبي ﷺ أن يقول الرجل: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، لا تقل هذا؛ لأن الله لا مكره له، إن شاء غفر لك، وإن شاء لم يغفر، ولم يرحم، فلا يقال إن شئت إلا لمن له مكره، أو لمن يستعظم العطاء، فإذا سألت الله فلا تقل إن شئت، أما قول إن شاء الله في قول النبي ﷺ: «**لا بأس، طهور إن شاء الله**» فهذا لأنه خبر، وتفاؤل، فيقول: لا بأس، كأنه ينفي أن يكون به بأس، ثم يقول: إن شاء الله؛ لأن الأمر كله بمشيئة الله ﷻ، فيؤخذ من هذا الحديث أنه ينبغي لمن عاد المريض إذا دخل عليه أن يقول: لا بأس، طهور إن شاء الله[(٢)].

٤-«**أعرابي**»: أي: من الأعراب سكان البادية، قال العيني: «قوله على أعرابي، قال الزمخشري في ربيع الأبرار: اسم هذا الأعرابي قيس، فقال في باب الأمراض والعلل: دخل النبي على قيس بن أبي حازم يعوده، فذكر القصة، وقال بعضهم: لم أرَ تسميته لغيره؛ فهذا إن كان محفوظاً فهو غير قيس بن أبي حازم أحد المخضرمين[(٣)]؛ لأن صاحب القصة مات في زمن النبي ﷺ، وقيس لم ير النبي في حياته. قلت [القائل العيني]: عدم رؤيته ذلك لا ينافي رؤية غيره، مع أن بعضهم رأى النبي

---

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له، برقم ٦٣٣٩.

(٢) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٩٠٧.

(٣) قيس بن أبي حازم، أبو عبد الله الكوفي ثقة من الثانية، مخضرم، ويقال له رؤية، وهو الذي يقال إنه اجتمع له أن يروي عن العشرة، مات بعد التسعين، وقد جاز المائة، وتغير، روى له الجماعة، انظر: طبقات خليفة بن خياط، ص ٢٩، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ٣/ ٣٦٧.

ﷺ يخطب[١]، وقال الحافظ في الفتح: «الحديث في ربيع الأبرار أن اسمه قيس، وفي حديث أنس ﷺ كان رجلاً نصرانياً، فأسلم، وفيه أنه ارتد، ولفظته الأرض[٢]، وفي صحيح مسلم أنه من بني النجار»[٣].

٥-قوله: «**يعوده**»: أي: يزوره، من عاد المريض إذا زاره[٤].

٦-قول الأعرابي: طهور؟ استفهام إنكاري، يأبى أن يكون المرض الذي فيه الحمّى والألم طهوراً، قال العيني رحمه الله: «قَوْله: (قَالَ: قلت) أَي: قَالَ الْأَعرَابِي مُخَاطبا للنَّبِي ﷺ قلت: طهُور. قَوْله: (كلا) أَي: لَيْسَ بِطهُور، فَأبى، وَسخط، فَلَا جرم، أَمَاتَهُ الله»[٥].

٧-قوله: «**حُمَّى**»: الحُمَّى، والحُمَّة: عِلّة يستَحِرّ بها الجِسْم، من الحَمِيم، قيل: سُمِّيت لِمَا فيها من الحرارة المُفرِطة، ومنه الحَدِيثُ: «**الحُمَّى من فَيْح جَهَنَّم**»[٦]، وَإِمّا لِمَا يَعْرِض فيها من الحَمِيم وهو: العَرَق، أو لِكَوْنها من أَمارات الحِمَام لِقَوْلِهم: الحُمَّى رائِدُ المَوْت، أو بَرِيد المَوْت، وقيل: بابُ المَوْت»[٧].

٨-قوله: «**تفور**»: أي تشتد وتغلي وتثور، أي تهيج. قال ابن الأثير: تَفُورُ:

---

(١) عمدة القاري لبدر الدين العيني، ١٦ / ١٤٩.

(٢) البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم ٣٦١٧، ومسلم، كتاب صفة المنافقين وأحكامهم، برقم ٢٧٨١.

(٣) فتح الباري لابن حجر، ١ / ٢٩٩.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٦ / ١٤٨.

(٥) عمدة القاري، ١٦ / ١٤٩.

(٦) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، برقم ٣٢٦٢، ومسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، برقم ٢٢٠٩، ولفظ البخاري: عَنْ أَبِي جَمْرَةَ الضُّبَعِيِّ قَالَ: كُنْتُ أُجَالِسُ ابْنَ عَبَّاسٍ بِمَكَّةَ، فَأَخَذَتْنِي الْحُمَّى، فَقَالَ أَبْرِدْهَا عَنْكَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ» أَوْ قَالَ: «بِمَاءِ زَمْزَمَ» شَكَّ هَمَّامٌ.

(٧) تاج العروس، ٣٢/ ١٧، مادة (حمة).

فَارَت القِدرُ: إذا غَلَتْ، شَبَّه شِدَّة الحُمَّى بفَوران القِدر[(١)].

٩-قوله: «**تثور**»: أي: تشتد، ويظهر أثرها على الجسم[(٢)]، و«حمّى تفور» أي: تغلي في بدني كغلي القدور، على شيخ كبير، أي: بعقل قصير، آيس من قدرة القدير[(٣)]!!.

١٠-«**تزيره القبور**»: أي: تحمله الحمَّى على زيارة القبور، وتجعله من أصحاب القبور[(٤)].

١١-قوله: «**توردِه القبور**»: المورد جمعه موارد، أي المَجاري والطُّرُق إلى الْمَاء، واحِدُها: مَوْرِدٌ، وهو مَفْعِل من الوُرُودِ، يقال: وَرَدْتُ الماءَ أرِدُهُ وُرُوداً، إذا حَضَرْتَه لِتَشْرَب، والوِرْدُ: الماء الذي تَرِدُ عليه، ومنه الحديث أنه أخَذَ بِلسانه وقال: «**هَذا الَّذي أوْرَدَنِي المَوارِدَ**»[(٥)]، أرَادَ المَوارِدَ المُهْلِكة، واحِدَتُها: مَوْرِدَة[(٦)].

١٢-قوله: «**فنعم إذًا**»: أي: كما ظننت بقولك هذا[(٧)]، قال النبي ﷺ أي غضباً عليه: «**فنعم**» بفتح العين وكسرها إذاً، وفي نسخة إذن، أي إذن هذا المرض ليس بمطهرك كما قلت، وإذا أبيت إلا اليأس، وكفران النعمة، فنعم إذاً يحصل لك ما قلت؛ إذ ليس جزاء كفران النعمة إلا حرمانها، قال الطيبي: الفاء مرتبة على محذوف، ونعم تقرير لما قال، يعني: أرشدتك بقولي لا بأس عليك إلى أن الحمّى تطهرك من ذنوبك، فاصبر، واشكر الله تعالى، فأبيت إلا اليأس والكفران، فكان كما

---

(١) جامع الأصول، ٦/ ٦٣٠.
(٢) جامع الأصول، ٦/ ٦٣٠.
(٣) مرقاة المفاتيح، ٢ / ٢٥٩.
(٤) مرقاة المفاتيح، ٢ / ٢٥٩.
(٥) أخرجه مالك في الموطأ، ٥/ ١٤٣٨، برقم ٣٦٢١، وابن المبارك في الزهد، ١/١٢٥، وابن أبي شيبة، ٧/٤٣٢، برقم ٣٧٠٤٧، والبيهقي في شعب الإيمان، ٤/٢٥٦ كلهم موقوفاً على أبي بكر ﷺ، وصححه العلامة الألباني في مشكاة المصابيح، برقم ٤٨٦٩.
(٦) النهاية في غريب الحديث٣ والأثر، ٥ / ٣٨١، مادة (ورد).
(٧)انظر: فتح الباري ، ١٠/ ١٤٠، ١٤١.

زعمت، وما اكتفيت بذلك، بل رددت نعمة الله، وأنت مسجع به، قاله غضباً عليه[١].

وقال البنا: «فنعم إذا»، ومعناه: أنه سيموت بسببها؛ ولهذا تركه النبي ﷺ؛ لأنه لم يجد عنده صبراً»[٢].

١٣-وقد جاء النهي عن سب الحمَّى، وقد قال النبي ﷺ لأمِّ السائب لما دخل عليها، وهي ترتعد من الحمّى فقالت: الحمَّى لا بارك الله فيها فقال: «**لا تسبي الحمَّى؛ فإنها تذهب خطايا بني آدم، كما يذهب الكير خبث الحديد**»[٣].

والكير هو كِير الحَدّاد، وهو المَبْنِيُّ من الطِّين، وقيل: الزِّقّ الذي يُنْفَخ به النَّار»[٤]، والخبث: «هو ما تُلقيه النار من وسَخ الفِضَّة والنّحاس وغيرهما إذا أذيبا»[٥].

ثالثا: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية زيارة المريض، والدعاء بهذا الدعاء، مع حث المريض على الصبر، واحتساب الأجر، وتبشيره بالخير العاجل والآجل، وقد دخل رسول الله ﷺ على أم العلاءوهي مريضة فقال: «**أبشري يا أم العلاء، فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الذهب والفضة**»[٦].

٢-ما كان عليه الرسول ﷺ من تفقد رعيته والسؤال عنهم إذا افتقدهم وفي هذا جبر لخاطره، أي: المريض، وخاطر أهله.

---

(١) مرقاة المفاتيح، ٢ / ٢٥٩.

(٢) الفتح الرباني شرح مسند أحمد، ٢٢ / ٢٥.

(٣) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها، برقم ٢٥٧٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٤/ ٢١٦، مادة (كير).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٢/ ٤، مادة (خبث).

(٦) أخرجه أبو داود، ، كتاب الجنائز، باب عيادة النساء، برقم ٣٠٩٢، والطبراني في الكبير، ١٤١/٢٥، برقم ٣٤٠، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣٤٣٨.

قال المهلب: وفائدة هذا الحديث أنه لا نقص على السلطان فى عيادة مريض من رعيته، أو واحد من باديته، ولا على العالم فى عيادة الجاهل؛ لأن الأعراب شأنهم الجهل كما وصفهم الله، ألا ترى رد هذا الأعرابى لقول النبى ﷺ وتهوينه عليه مرضه بتذكيره ثوابه عليه فقال له: «بل هي حمى تفور، على شيخ كبير، تزيره القبور»، وهذا غاية الجهل، وقد روى معمر عن زيد بن مسلم فى هذا الحديث أن النبي حين قال للأعرابي: «**فنعم إذا**» أنه مات الأعرابي(١).

٣-قال ابن بطال رحمه الله: «قال المهلب: فيه أن السنة أن يخاطب العليل بما يسليه من ألمه، وبغبطته بأسقامه، بتذكيره بالكفارة لذنوبه، وتطهيره من آثامه، ويطمعه بالإقالة؛ لقوله: لا بأس عليك مما تجده، بل يكفِّر الله به ذنوبك، ثم يفرج عنك، فيجمع لك الأجر والعافية لئلا يسخط أقدار الله، واختياره له، وتفقده إياه بأسباب الرحمة، ولايتركه إلى نزعات الشيطان، والسخط، فربما جازاه الله بالتسخط، وبسوء الظن عقابًا، فيوافق قدرًا يكون سببًا إلى أن يحل به مالفظ به من الموت الذى حكم على نفسه»(٢).

٤-وقوله ﷺ لابن مسعود: «**أجل**»(٣) أنه ينبغى للمريض أن يحسن جواب زائره، ويتقبل مايعده من ثواب مرضه، ومن إقالته، ولا يرد عليه بمثل مارد الأعرابى على النبى ﷺ(٤).

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ٩ / ٣٧٩.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ٩ / ٣٨٢.

(٣) حديث ابن مسعود المشار إليه متفق عليه، ولفظه كما في البخاري، برقم ٥٦٤٧: عنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَرَضِهِ، وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، قُلْتُ: إِنَّ ذَاكَ بِأَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «أَجَلْ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى إِلَّا حَاتَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ، كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ»، ومسلم، برقم ٢٥٧١.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ٩ / ٣٨٢.

٥-الواجب على المريض إحسان الظن بالله، وأن يجمع بين جانبي الخوف والرجاء حال مرضه، فقد دخل الرسول ﷺ على شاب وهو بالموت، فقال: «**كيف تجدك؟**» قال: والله يا رسول الله، إني لأرجو الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال: «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف**»[(١)].

٦-مرض المسلم يجلب التفكر لمن وفقه الله فيما مضى من العمر ومحاسبة النفس وقد دخل النبي ﷺ على مريض يعوده فقال له: «**أَبْشِرْ، فَإِنَّ مَرَضَ الْمُؤْمِنِ يَجْعَلُهُ اللهُ لَهُ كَفَّارَةً، وَمُسْتَعْتَبًا، وَإِنَّ مَرَضَ الْفَاجِرِ كَالْبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ، ثُمَّ أَرْسَلُوهُ، فَلاَ يَدْرِي لِمَ عُقِلَ، وَلِمَ أُرْسِلَ**»[(٢)].

٧-هذا الحديث من علامات نبوة النبي ﷺ؛ ولذا أورده البخاري في «علامات النبوة في الإسلام»؛ لأنه جاءت زيادة عند الطبراني أن هذا الرجل ما أمسى من الغد إلا ميتًا، وقد قال له الرسول ﷺ: «**فنعم إذًا**»[(٣)].

٨-ومن البلاء الحاصل بالقول قول الشيخ البائس الذي عاده النبي فرأى عليه حمى فقال: «**لا بأس طهور إن شاء الله**» فقال بل حمى تفور على شيخ كبير، تزيره القبور، فقال رسول الله: «**فنعم إذا**»، وقد رأينا من هذا عبراً فينا، وفي غيرنا، والذي رأيناه كقطرة في بحر[(٤)].

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الجنائز، باب حدثنا عبد الله بن زياد، برقم ٩٨٣، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول المريض إذا قيل له كيف تجدك، برقم ١٠٩٠١، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، برقم ٤٢٦١، وأبو يعلى، ٦/٥٧، برقم ٣٣٠٣، والبيهقي في شعب الإيمان، ٢/٤، برقم ١٠٠٢، والضياء المقدسي في المختارة، ٤/٤١٣ وقال: «إسناده صحيح» وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٣٨٣.

(٢) الأدب المفرد، ص ١٧٣، برقم ٤٩٣، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٣٧٩.

(٣) فتح الباري، ٦/ ٧٧٠، وتقدم تخريجه في تخريج ألفاظ حديث المتن رقم ١٤٧.

(٤) تحفة المودود بأحكام المولود، ص: ١٢٣.

٩- تشرع زيارة غير المسلم حال مرضه إذا ترتب على ذلك مصلحة، كدعوته إلى الدخول في الإسلام، أو كفّ شرّه، أو نحو ذلك، أما إن لم يكن هناك مصلحة، فلا تشرع الزيارة، وقد زار الرسول ﷺ غلامًا يهوديًّا كان يخدمه وهو في مرض الموت، فدعاه إلى الإسلام فأسلم[١]، وزار أيضًا عمه أبا طالب وهو في مرض موته رجاء إسلامه[٢].

١٠- يجوز للمرأة أن تزور الرجل والعكس وذلك بشرط أمن الفتنة، وأن يكون ذلك من وراء حجاب؛ لأن عائشةزارت بلالًا ﷺ لما دخل المدينة فوعك[٣] بشرط أن لا يخلو بها، بل لا بدّ من وجود غيره معه، وأن تلتزم بالحجاب الشرعي، وأن تؤمن الفتنة يقيناً لا شك فيه.

***

١٤٨-(٢)«أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ» (سبع مرات)[٤].

(١) البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يُصلَّى عليه، برقم ١٣٥٦، ولفظه: «عَنْ أَنَسٍ ﷺ، قَالَ: كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»».

(٢) البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، برقم ١٣٦٠، ولفظه: عن سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: «يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ المَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ...﴾ التوبة: ١١٣ الآيَةَ.

(٣) البخاري، كتاب المرضى، باب عيادة النساء الرجال، برقم ٥٦٥٤.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الطب، باب حدثنا محمد بن المثنى، برقم ٢٠٨٣ ، وأبو داود، كتاب =

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٠٧-لفظ أبي داود: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[(١)]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا، لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مِرَارٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ، إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ**»[(٢)].

٥٠٨-ولفظ الترمذي: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَعُودُ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَيَقُولُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ إِلاَّ عُوفِيَ**»[(٣)].

٥٠٩-وللبخاري في الأدب المفرد: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَادَ الْمَرِيضَ جَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ سَبْعَ مِرَارٍ: «**أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَشْفِيَكَ، فَإِنْ كَانَ فِي أَجَلِهِ تَأْخِيرٌ عُوفِيَ مِنْ وَجَعِهِ**»[(٤)].

٥١٠-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما[(٥)]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ إِذَا جَاءَ الرَّجُلَ

=

الجنائز، باب الدعاء للمريض عند العيادة، برقم ٣١٠٦، والإمام أحمد، ٤/ ٤٠، برقم ٢١٣٧، وابن حبان، ٧/ ٣٤٠، برقم ٢٩٧٥، والبخاري في الأدب المفرد، ص ١٨٩، برقم ٥٣٦، والحاكم وصححه، ١/ ٣٤٣، والمقدسي في المختارة، ٤/ ٢١٩، وأبو يعلى، ٤/ ٣١٨، برقم ٢٤٣٠، وصححه محققو المسند، ٤/ ٤٠، ومحقق ابن حبان، ٧/ ٣٤٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٦٦٣، وفي صحيح الأدب المفرد، برقم ٤١٦.

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٢) أبو داود، برقم ٣١٠٦، والإمام أحمد، ٤/ ٤٠، برقم ٢١٣٧، وابن حبان، ٧/ ٣٤٠، برقم ٢٩٧٥، وصححه محققو المسند، ٤/ ٤٠، ومحقق ابن حبان، ٧/ ٣٤٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٦٦٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) أخرجه الترمذي، برقم ٢٠٨٣، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٤٨٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الأدب المفرد، برقم ٥٣٦، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٤١٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

يَعُودُهُ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ ، يَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا ، أَوْ يَمْشِي لَكَ إِلَى صَلاَةٍ**»[١].

٥١١-ولأبي داود: عن عبد الله ابْنِ عَمْرٍو، قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا جَاءَ الرَّجُلُ يَعُودُ مَرِيضًا فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ، يَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا، أَوْ يَمْشِي لَكَ إِلَى جَنَازَةٍ**». قَالَ أَبُو دَاوُدَ وَقَالَ ابْنُ السَّرْحِ: «**إِلَى صَلاَةٍ**»[٢].

٥١٢-عَنْ عَلِيٍّ[٣]، قَالَ: اشْتَكَيْتُ، فَأَتَانِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أَقُولُ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَجَلِي قَدْ حَضَرَ فَأَرِحْنِي، وَإِنْ كَانَ مُتَأَخِّرًا فَاشْفِنِي - أَوْ عَافِنِي - وَإِنْ كَانَ بَلاءً فَصَبِّرْنِي . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كَيْفَ قُلْتَ؟**»، قَالَ: فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَمَسَحَ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْفِهِ - أَوْ عَافِهِ -**» قَالَ: فَمَا اشْتَكَيْتُ وَجَعِي ذَاكَ بَعْدُ[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «**أسأل الله العظيم**» أي: أتوجه إلى الله المتصف بالعظمة والجلال، «أي: في ذاته وصفاته»[٥].

٢- قوله: «**رب العرش العظيم**»: قال ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[٦]: «الذي يملك كلَّ ما دونه، والملوك

---

(١) صحيح ابن حبان، ٧/ ٢٣٩، برقم ٢٩٧٤، وأبو داود، كتاب الجنائز، باب الدعاء للمريض عند العيادة، برقم ٣١٠٧، وحسن إسناده محقق ابن حبان الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٢) سنن أبي داود كتاب الجنائز، باب الدعاء للمريض عند العيادة، برقم ٣١٠٧، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٣/ ٢٩٠، برقم ١٣٠٤.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٤) مسند أحمد، ٢/ ٣١٤، برقم ١٠٥٧، والطيالسي، ٢١/١، برقم ١٤٣، وابن أبي شيبة، ٤٦/٥، برقم ٢٣٥٧١، والترمذي، كتاب الدعوات، باب في دعاء المريض، برقم ٣٥٦٤، وقال: «حسن صحيح» والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول عند ضر نزل به، برقم ١٠٨٩٧، وأبو يعلى، ٣٢٨/١، برقم ٤٠٩، وابن حبان، ٣٨٨/١٥، برقم ٦٩٤٠، والحاكم، ٦٧٧/٢، وأبو نعيم في الحلية، وحسنه محققو المسند، ٢/ ٣١٥، ومحقق أبي يعلى، ١/ ٣٢٨، واستشهد به الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح، ٣١٥/٦.

(٥) تحفة الأحوذي، ٦ / ٢١٦.

(٦) سورة التوبة، الآية: ١٢٩.

كلهم مماليكه وعبيده، وإنما عنى بوصفه جل ثناؤه نفسه بأنه «رب العرش العظيم»، الخبرَ عن جميع ما دونه أنهم عبيده، وفي ملكه وسلطانه؛ لأن «العرش العظيم»، إنما يكون للملوك، فوصف نفسه بأنه «ذو العرش» دون سائر خلقه، وأنه الملك العظيم دون غيره، وأن من دونه في سلطانه، وملكه، جارٍ عليه حكمه وقضاؤه»[(١)].

٣-قوله: «**أن يشفيك، اشف عبدك**»: قال الراغب الأصفهاني في معنى كلمة الشفاء: «والشفاء من المرض: موافاة شفا السلامة، وصار اسماً للبرء، قال في صفة العسل: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾[(٢)]، وقال في صفة القرآن: ﴿هُدًى وَشِفَاءٌ﴾[(٣)]، ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾[(٤)]، ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾[(٥)]»[(٦)]، وقال ابن الأثير في مادة (شفا): «الشِفاء: البُرْء من المَرِض، يقال: شَفاه اللهُ يَشْفِيه، واشْتَفى افْتَعَلَ منه، فنَقَله من شِفاءِ الأجسام إلى شِفاءِ القلوب والنفوس... ومنه حديث المَلْدوغ «**فَشَفَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ**»[(٧)]، أي:

(١) تفسير الطبري، ١٤/ ٥٨٧.
(٢) سورة النحل، الآية: ٦٩.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٤.
(٤) سورة يونس، الآية: ٥٧.
(٥) سورة التوبة، الآية: ١٤.
(٦) مفردات ألفاظ القرآن، ١/ ٥٤٦، مادة (شفى).
(٧) هذا لفظ أبي داود، كتاب البيوع، باب كسب الأطباء، برقم ٣٤٢٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٩١٧، والقصة في الصحيحين، وإحدى لفظي البخاري: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ، إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يَنْفَعُهُ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَرْقِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنْ الْغَنَمِ، فَانْطَلَقَ يَتْفِلُ عَلَيْهِ، وَيَقْرَأُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
=

عالَجُوه بكل ما يُشْتَفَى به، فوضع الشِفاء موضع العِلاج والمُداواة»[(١)].

٤-قوله: «**لم يحضر أجله**» أي: لم يقدر الله الموت في مرضه هذا، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم يحضر أجله: أي ليس الذي فيه مرض الموت، فقال: «**أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم أن يشفيك سبع مرات إلا شفاه الله من هذا المرض، هذا إذا لم يحضر الأجل**» أما إذا حضر الأجل، فلا ينفع الدواء ولا القراءة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[(٢)]»[(٣)].

٥-قوله: «**فيقول**» أي: العائد للمريض، أي: من يعود مريضاً أن يبدأ بالدعاء، قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيقول داعياً له»[(٤)].

٦-قوله: «**ينكأ**»: أي: إذا أكثرت فيهم الجرح والقتل فوهنوا لذلك وقد يهمز لغة فيه يقال: نكأت القرحة أنكؤها إذا قشرتها»[(٥)]، ويرى المناوي أن من معاني «النكاية -بالكسر-: القتل، والإثخان»[(٦)].

=

الْعَالَمِينَ﴾ فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ، قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمْ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَقَى: لَا تَفْعَلُوا، حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرُوا لَهُ، فَقَالَ: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ» ثُمَّ قَالَ: «قَدْ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا، وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا». فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، البخاري، كتاب الإجارة، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب، برقم ٢٢٧٦، والقصة في مسلم، بنحوه، كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، برقم ٢٢٠١.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٤٨٨، مادة (شفا).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

(٣) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، الحديث رقم ٩٠٦.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٩/ ٥٠٨.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ١١٦، مادة (نكأ).

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٥١٥.

٧-قوله: «لك عدواً» من الكفار، وقدمه على ما بعده لعموم نفعه[١]، وهو الكافر المعادي لله ورسوله، فيطلب في هذا الدعاء أن يشفي هذا المريض المؤمن ليكون نصراً لدينك يا رب، «أي يجرح لك عدواً، أي: الكفار، أو إبليس وجنوده، ويكثر فيهم النكاية بالإيلام، وإقامة الحجة، والإلزام، بالجزم، وروي بالرفع بتقدير: فهو ينكأ من النكء بالهمزة، من حد منع، ومعناه الخدش، وينكئ من النكاية من باب ضرب، أي: التأثير بالقتل والهزيمة»[٢].

٨-قوله: «إلا عوفي» أي: من مرضه هذا، وهذا مشروط بما يلي:

أ- **أولًا**: بقوة يقين الداعي.

ب- **ثانيًا**: إيمان المريض، وقبوله ذلك الأمر.

٩-قوله: «**يمشي لك إلى جنازة**»: أي: أنه يمشي إلى الصلاة على جنازة، وهذا الحديث يدل على الدعاء للمريض بالشفاء[٣].

١٠- قوله: «**إن كان أجلي**» قال القاري رحمه الله: «أي: انتهاء عمري قد حضر، أي: وقته»[٤].

١١-قوله: «**فأرحني**» أي: بالموت، وهو مأخوذ من الإراحة، يقال: «أراح الرجل واستراح: إذا رَجَعت نفسُه إليه بعدَ الإعْياءِ»[٥] وهي إعطاء الراحة بنوع إزاحةٍ للبلية الواقعة على العبد من مرض، وغيره.

١٢-قوله: «**وإن كان متأخراً**»: قال القاري رحمه الله: «أي: أجلي متأخراً»[٦].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٥١٥.
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٥/ ٢٧٩.
(٣) شرح سنن أبي داود للعباد، ٣٦٢.
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٧ / ٤٥٤.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٢/ ٢٧٣، مادة (روح).
(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٧ / ٤٥٤.

١٣-قوله: «**وإن كان بلاء فصبرني**»: قال القاري رحمه الله: «والمعنى وإن كان المرض بلاء، أي: مما قدرت له قضاءً، (وَإِنْ كَانَ) أَيْ: مَرَضِي (بَلَاءً) أَيِ: امْتِحَانًا (فَصَبِّرْنِي) - بِتَشْدِيدِ الْمُوَحَّدَةِ الْمَكْسُورَةِ - أَيْ: أَعْطِنِي الصَّبْرَ عَلَيْهِ، وَلَا تَجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ الْجَزَعِ لَدَيْهِ أي: لدى المرض»[١].

١٤-قوله: «**فما اشتكيت وجعي**»: قال المباركفوري رحمه الله: «أي: هذا «**بعد**» أي: بعد دعائه ﷺ»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-عيادة المريض أحد حقوق المسلم على المسلم؛ لقولهﷺ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**»[٣].

٢-السنة أن يجلس الزائر وهو يدعو بهذا الدعاء عند رأس المريض، وقد جاء هذا في بعض روايات هذا الحديث عند البخاري في الأدب المفرد كما تقدم.

٣-ويسن كذلك وضع يد الداعي على جسد المريض[٤].

٤-على الزائر أن يعرف نعمة الله عليه بالعافية لأن الإنسان لا يعرف قدر الصحة إلا إذا اعتل.

٥-يشرع للمسلم إذا أحس بألم أن يضع يده على هذا الألم، ويقول: **بسم الله**

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٧ / ٤٥٦.
(٢) تحفة الأحوذي، ١٠ / ٧.
(٣) البخاري، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، برقم ١٢٤٠، ومسلم، واللفظ له، كتاب السلام، باب من حق المسلم على المسلم رد السلام، برقم ٥-(٢١٦٢).
(٤) البخاري، كتاب المرضى، باب وضع اليد على المريض، برقم ٥٦٥٩.

ثلاثاً، أعوذ بعزة الله وقدرته، من شر ما أجد وأحاذر، سبع مرات[١]، إذا قاله موقنا بذلك مؤمناً به، وأنه سوف يستفيد من هذا؛ فإنه يسكن الألم بإذن الله ﷻ، وهذا أبلغ من الدواء الحسي: كالأقراص، والشراب، والحقن؛ لأنك تستعيذ بمن بيده ملكوت السموات والأرض الذي أنزل هذا المرض، هو الذي يجيرك منه.

٦-يشرع للمسلم إذا زار أخاه المريض المسلم أن يدعو له بهذا الدعاء: «**أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يشفيك**» سبع مرات، فإنه يُشفى بإذن الله إذا لم يحضر أجله، أما إذا حضر الأجل، فلا ينفع الدواء، ولا القراءة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[٢]، والله الموفق»[٣].

٧-قال العيني: «إن المريض الذي حضر أجله، لا يفيده شيء في تأخير عمره، ولكن العائد إذا قرأ عنده شيئاً يفيده في الآخرة، ويفيد القارئ أيضاً، وربما يسهل عليه مرضه، ويهوِّن عليه سكرات الموت ببركة القراءة والدعاء»[٤].

٨-وفي عون المعبود: «(إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ) قَالَ السِّنْدِيُّ: كَأَنَّ كَلِمَةَ إِلَّا مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ التَّقْدِيرَ فَلَمْ يَقُلْ ذَلِكَ إِلَّا عَافَاهُ اللهُ، أَوْ أَنَّ كَلِمَةَ مَنْ لِلِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ، فَيَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى النَّفْيِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾[٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾[٦]»[٧].

---

(١) مسلم، برقم ٢٢٠٢، وسيأتي تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٢٤٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.
(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، الحديث رقم ٩٠٦.
(٤) شرح أبي داود للعيني، ٦ / ٢٤.
(٥) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٧) عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ٨ / ٢٥٧.

٩-جمع بين النكاية وتشييع الجنازة؛ لأن الأول كدح في إنزال العقاب على عدو الله، والثاني سعي في إنزال الرحمة[١].

١٠-ذكر العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: أن للعيادة آداباً كثيرة، منها:

الأدب الأول: أن ينوي الإنسان بها امتثال أمر الرسول ﷺ.

الأدب الثاني: أن ينوي الإحسان إلى أخيه بهذه العيادة.

الأدب الثالث: أن يستغل الفرصة في توجيه المريض بما ينفعه: كالتوبة، والخروج من المظالم.

الأدب الرابع: أن ينظر للمصلحة في إطالة البقاء عند المريض، أو عدمها، فلا يتعجل إذا كان المريض مستأنساً، منشرحاً صدره، وإن كان العكس تعجل.

الأدب الخامس: طلب العائد من المريض الدعاء له؛ لأن المريض ترجى إجابة دعائه، خاصة إذا ثقل عليه المرض[٢].

١١- الفرق بين الزيارة والعيادة: الزيارة تكون للصحيح، والعيادة للمريض، وإنما سميت عيادة؛ لأنها تتكرر مادام المريض في مرضه[٣].

١٢- يجوز أن يقول هذا الدعاء سراً وجهراً، فكل ذلك سائغ، ولكن إذا أسمع المريض فهو الأولى، والأفضل؛ لأن فيه إدخال السرور عليه، وليس هناك دليل يدل على أن المريض يدعو بهذا الدعاء لنفسه، لكن له أن يسأل الله الشفاء[٤].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ١٦٢.

(٢)انظر: شرح رياض الصالحين، شرح الحديث ٩٠٦.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، شرح الحديث ٩٠٦.

وكذلك لقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «أما علمت أن عبدي فلان مرض فلم تعده، أما إنك لو عدته لوجدتني عنده» رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، برقم ٢٥٦٩.

(٤) شرح سنن أبي داود للعباد، ص ٣٦٢.

١٣-ربما احتاج المريض إلى التمريض، فيتناول ذلك العائد إن لم يكن له أهل، وهذا معنى قوله: «**عودوا المريض**»؛ فانه محتاج إلى هذه المعاني، والتمريض فرض على الكفايه، لابد أن يقوم به بعض الخلق عن بعض، وهو على مراتب:

الأول: الأهل، والقريب، ثم الصاحب، ثم الجار، ثم سائر الناس، وقد أمر رسول الله ﷺ بعياده المريض، واتباع الجنائز، وفي ذلك فضل كثير(١).

١٤-يجوز لزائر المريض أن يدعو له بأي دعاء شاء، مما ورد في السنة الشريفة ومن ذلك الأدعية الآتية:

الأول: اللَّهم اشف فلانًا، ويسمي المريض؛ لأن النبي ﷺ زار سعدًا رضي الله عنه وقال: «**اللَّهمَّ اشْفِ سَعْدًا**»(٢).

الثاني: «**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ البَاسَ، اشْفِهِ، وَأَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا**»(٣).

الثالث: «**طهور، لا بأس إن شاء الله**»، وتقدم.

الرابع: «**أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يشفيك**» سبع مرات، وتقدم.

***

(١) المسالك في شرح موطأ مالك، ٧ / ٤٥٩.
(٢) البخاري، كتاب المرضى، باب دعاء العائد للمريض، قبل الحديث رقم ٥٦٧٥.
(٣) البخاري، كتاب الطب، باب رقية النبي ﷺ، برقم ٥٧٤٥.

٥٠ — فَضْلُ عِيَادَةِ المَرِيضِ

١٤٩-قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ مَشَى فِي خِرَافَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنْ كَانَ غُدْوَةً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ كَانَ مَسَاءً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥١٣-جَاءَ أَبُو مُوسَى[٢] إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ[٣] يَعُودُهُ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ[٤]: أَعَائِدًا جِئْتَ أَمْ شَامِتًا ؟ قَالَ : لاَ ، بَلْ عَائِدًا . قَالَ : فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: إِنْ كُنْتَ جِئْتَ عَائِدًا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، مَشَى فِي خِرَافَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنْ كَانَ غُدْوَةً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ كَانَ مَسَاءً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ»[٥].

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عيادة المريض، برقم ٩٦٩، وأبو داود، كتاب الجنائز، باب في فضل عيادة المريض، برقم ٣٠٩٨، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عيادة المريض، برقم ١٤٤٢، وأحمد، ٣/ ٤٧، برقم ٦١٢، وصححه موقوفاً محققو المسند، ٣/ ٤٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/٢٤٤، وصحيح الترمذي، ١/٢٨٦، وصححه أيضاً أحمد شاكر.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١ من أحاديث الشرح.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٩٧ من أحاديث الشرح.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٥) رواه الترمذي، برقم ٩٦٩، وابن ماجه، برقم ١٤٤٢، وأحمد، ٣/ ٤٧، برقم ٦١٢، وصححه موقوفاً محققو المسند، ٣/ ٤٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/٢٤٤، وصحيح الترمذي، ١/٢٨٦، وصححه أيضاً أحمد شاكر، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٥١٤-عن أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه[١]، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا، فَإِنَّمَا يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ، فَإِذَا قَعَدَ عِنْدَ الْمَرِيضِ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ**»، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا لِلصَّحِيحِ الَّذِي يَعُودُ الْمَرِيضَ، فَالْمَرِيضُ مَا لَهُ؟ قَالَ: «**تُحَطُّ عَنْهُ ذُنُوبُهُ**»[٢].

٥١٥-عَنْ ثَوْبَانَ[٣]، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ**»[٤].

٥١٦-عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ**» . قِيلَ: وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ: «**جَنَاهَا**»[٥].

٥١٧-وفي لفظ آخر لأحمد عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا عَادَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، فَهُوَ فِي مَخْرَفَةِ الْجَنَّةِ**»[٦].

٥١٨-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[٧]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ أَوْ زَارَهُ ، قَالَ اللَّهُ لَهُ : طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ ، وَتَبَوَّأْتَ مَنْزِلًا فِي الْجَنَّةِ**»[٨].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**إذا عاد، يعود**»: من عاد يعود، وهي زيارة المريض، «وكلُّ مَن أتاك

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح قبل أحاديث المتن.
(٢) مسند أحمد، ٢٠/ ١٧٩، برقم ١٢٧٨٢، وصححه لغيره محققو المسند.
(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣٣ من أحاديث الشرح.
(٤) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، برقم ٢٥٦٨.
(٥) مسند أحمد، ٣٧/ ٧٣، برقم ٢٢٤٩٨، وصحح إسناده محققو المسند.
(٦) مسند أحمد، ٣٧/ ٥٦، برقم ٢٢٣٧٣، وصححه محققو المسند
(٧) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.
(٨) الأدب المفرد، ص ١٢٦، برقم ٣٤٥، وأحمد، ٣٤٤/٢، برقم ٨٥١٧، وابن أبي الدنيا في الإخوان، ص ١٤٩، برقم ٩٧، وابن حبان، ٢٢٨/٧، برقم ٢٩٦١، والبيهقي في شعب الإيمان، ٤٩٣/٦، قال الحافظ في فتح الباري، ١٠/ ٥٠٠: «ولَهُ شاهِد عِندَ البَزّار مِن حَدِيث أَنَس بِسَنَدٍ جَيِّد» وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ١٤٣، برقم ٢٦٢.

مرَّة بعد أُخْرى، فهو عائِد، وإن اشْتَهر ذلك في عِيادة المريض، حتى صار كأنَّه مُخْتَصٌّ به، وقد تكررت الأحاديث في عِيادة المريض»[1]. و«العود: الرجوع: كالعودة، والمعاد، والصرف، والرد، وزيارة المريض: كالعياد، والعيادة، والعوادة بالضم، وجمع العائد كالعواد والعود، والمريض: معودٌ، ومعوود، وانتياب الشيء كالاعتياد»[2].

٢-قوله: «**أخاه المسلم**»: قال ابن حيان رحمه الله: يَغْلِبُ الْإِخْوَانُ فِي الصَّدَاقَةِ، وَالْإِخْوَةُ فِي النَّسَبِ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ كُلٌّ مِنْهُمَا مَكَانَ الْآخَرِ، وهي هنا أخوَة فِي الدِّينِ[3].

٣-قوله: «**مشى في خِرافة الجنة**»[4]: قال ابن العربي: «المشيُ: عملٌ من الأعمالِ، وقد يكونُ طاعةً، وقد يكون معصيةً »[5]، وقال أيضاً: «وذلك أنّ عيادةَ المريضِ والمَشْيَ إليه سببٌ إلى الجنّة »[6]، وخرافة الجنة: أي جناها، وهو تفسير النبي ﷺ[7]. أي: بساتين الجنة يأخذ منها ما اشتهته نفسه، وَقَوْلُهُ: «**فِي خِرَافَةِ الْجَنَّةِ**»: بِكَسْرِ الْخَاءِ، أَيْ: فِي اجْتِنَاءِ ثَمَرِ الْجَنَّةِ، يقَالُ: خَرَفْتِ النَّخْلَةُ أَخَرِفُهَا، فَشَبَّهَ مَا يَحُوزُهُ عَائِدُ الْمَرِيضِ مِنَ الثَّوَابِ بِمَا يَحُوزُهُ الْمُخْتَرِفُ مِنَ التَّمْرِ»[8]، **والجنى**: اجتناء الثمر وقطافه، يقال خرفت النخلة أخرفها خرفاً، وخرافاً،وعائد المريض على خرفة الجنة، الخُرفة – بالضم-: اسم ما يخترف من النخل حين يدرك وينضج، وعائد المريض له خريف في

(١) النهاية في غريب الأثر (٣ / ٦٠١،
(٢) النهاية في غريب الأثر (٣ / ٦٠١،
(٣) انظر: البحر المحيط في التفسير، ٩/ ٥١٦.
(٤) جاء عند مسلم وغيره: «خرفة».
(٥) المسالك في شرح موطأ مالك، ٥/ ٣٨٤.
(٦) المسالك في شرح موطأ مالك، ٧/ ٤٦٤.
(٧) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، برقم ٢٩٦٨.
(٨) عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ٨ / ٢٥٢.

الجنة، أي مخروف من ثمرها، وفعيل بمعنى مفعول، والنخلة خرفة الصائم أي تمرته التي يأكلها، ونسبها إلى الصائم لأنه يستحب الإفطار عليه، وأخذ مخرفاً فأتى عذقاً، والمِخرف – بالكسر-: ما يجتنى فيه الثمر، والشجر أبعد من الخارف، هو الذي يخرف الثمر أي: يجتنيه، والفقراء من أمة النبي ﷺ يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً، والخريف الزمان المعروف من فصول السنة ما بين الصيف والشتاء، ويريد به أربعين سنة»[1].

٤-قوله: «**حتى يجلس، فإذا جلس**»: أي: عند المريض، قال نشوان الحميري رَحِمَهُ اللَّهُ: «الجلوس: نقيض القيام»[2]، وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «جَلَسَ: الجُلُوسُ: القُعود»[3].

٥-قوله: «**غمرته الرحمة**»: أي: علت عليه حتى غطته كله، قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: علته وسترته ، شبه الرحمة بالماء إما في الطهارة وإما في الشيوع والشمول لم ينسب إليها ما هو منسوب إلى المشبه به من الخوض ثم عقب الاستعارة ترشيحا»[4].

وقال ابن العربي: «وعائد المريض يخوض فى الرحمة، فهو كقوله: «**في خرفة الجنة**»[5]، وذلك أن عياء المريض، والمشي إليه سبب إلى الجنة، ، فعبَّرَ عن المُسَبَّبِ بالسَّبَبِ على أحدِ قسْمَي المجازِ، ترغيبًا في العيادة، لِمَا فيها من الأُلْفَةِ، ولِمَا يدخُلُ على المريضِ من الأُنْسِ بعائِدِهِ، والسّكونِ إلى

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٢٣، مادة (خرف).
(٢) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ٢/ ١١٤٥، مادة (جلس).
(٣) لسان العرب، ٦/ ٣٩، مادة (جلس).
(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤ / ٣٩٢، وانظر: شرح الزرقاني لموطأ مالك، ٤/ ٤٢٤.
(٥) مسند أحمد، برقم ٢٢٤٩٨، وصحح إسناده محققو المسند، وتقدم تخريجه.

كلامِهِ»[١].

٦- قوله: «**غدوة**»: أي: كانت زيارته وقت الصباح، وقيل أن الغدوة تكون ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الغَدْوَة: الْمَرَّةُ مِنَ الغُدُوِّ، وَهُوَ سَيْرُ أَوَّلِ النَّهَارِ، نَقِيض الرَّواح، وَقَدْ غَدَا يَغْدُو غُدُوّاً، والغُدْوَة بِالضَّمّ: مَا بَيْنَ صَلَاةِ الغَدَاة وَطُلُوعِ الشَّمْس»[٢].

٧-قوله: «**صلى عليه سبعون ألف ملك**»: أي: دعوا له بالرحمة، والمغفرة حتى المساء، قال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: استغفروا له، ودعوا له بأنواع الرحمة، مستمرين كذلك»[٣].

٨-قوله: «**مساء**»: أي: كانت الزيارة في آخر النهار، قال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: يدخل في المساء وهو من زوال الشمس إلى نصف الليل»[٤].

٩-قوله: «**حتى يصبح**»: أي: دعوا له من المساء إلى الصباح[٥]، قال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: يدخل في الصباح، وحتى فيه وفيما قبله غاية لمقدر، دل عليه السياق، كما أشرت إليه، ثم إن كانت (إن) بمعنى (ما) لمقابلتها بها، فتقدر (إلا) وحذفت لدلالة مقابلها عليها، والواو حينئذٍ عاطفة، أو مستأنفة، وإن كانت شرطية فلا تقدير لها، والجملة جواب الشرط»[٦].

١٠- قوله: «**شامتاً**»: الشماتة هي: الفرح بما يُصاب العدو من مكروه، وينزل به من آفات، قال في القاموس المحيط: «شمت: كفرح: شماتاً،

(١) المسالك في شرح موطأ مالك، لابن العربي، ٧/ ٤٥٨.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٣٤٦، مادة (غدا).
(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ١٩٣.
(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ١٩٣.
(٥) شرح ابن ماجه للسندي، ٢/ ١٩٢.
(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ١٩٣.

وشماتة: فرح ببلية العدو، وأشمته الله به، والشماتى والشمات: الخائبون، بلا واحد»[١]، و«الشَّماتةُ: فرَحُ العَدُوِّ بِبَلِيَّة تَنْزل بمن يُعادِيه، يقال : شَمِت به يَشْمَت، فهو شامِت، وأشْمَتَه غيره، ومنه... «ولا تُطِع فيَّ عدُوّاً شامتاً» أي: لا تَفْعل بي ما يُحِبُّ، فتكون كأنَّك قد أطَعْتَه فِيَّ»[٢].

١١-قوله: «**تَحُطُّ عنه خطاياه وذنوبه**»: أي: يعفو الله عنه، ويتجاوز عما فعله من ذنوب و آثام، «وهي فِعْلة من حَطَّ الشيءَ يحُطه، إذا أنْزله وألقاه، ومنه الحديث في ذِكر حِطَّة بني إسرائيل وهو قوله تعالى ﴿**وقُولوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكم**﴾[٣] أي قولوا: حُطَّ عَنَّا ذُنوبنا»[٤].

١٢-قوله: «**طبت**»: أي: سعدت، جاءك كل شيء طيّب، وسرور، وسعادة، «وطابَت نفسُه بالشيء إذا سَمَحت به من غير كَراهة ولا غَضَب»[٥].

١٣- قوله: «**وطاب ممشاك**»: ممشاك: «مصدر، أو مكان، أو زمان مبالغة، قال الطيبي: كناية عن سيره، وسلوكه طريق الآخرة بالتعري عن رذائل الأخلاق، والتحلي بمكارمها»[٦].

١٤-قوله: «**وتبوأت منزلاً في الجنة** »: أنزله، كأباءه، والاسم: البيئة بالكسر، وبوأه الرمح نحوه: قابله به، والمكان: حله، وأقام كأباء به وتبوأ، والمباءة: المنزل، كالبيئة، والباءة، وبيت النحل في الجبل، ومتبوأ الولد من

---

(١) القاموس المحيط (ص: ٣٨٦)
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢ / ٤٩٨، مادة (شمت).
(٣) سورة البقرة، الآية ٥٨.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤٠١، مادة (حطط).
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ١٤٨، مادة (طيب).
(٦) تحفة الأحوذي، ٦ / ١٢٤.

الرحم، وكناس الثور والمعطن[١]، و«يتبوأ»: يأخذ من الجنة مكاناً يقيم فيه، وأصله من النزول بالمكان، ويقال: بَوَّأه الله مَنْزِلاً أي: أسْكَنَه إيَّاه، وتَبَوَّأْتُ منزِلا أي: اتَّخَذْته، والمَباءة: المنزل، ومنه قوله: أصَلِّي في مَبَاءة الغَنم؟ قال نَعم، أي: مَنْزِلِهَا الذي تأوِي إليه، وهو المُتَبَوَّأ أيضاً، قوله في المدينة: ها هنا المُتَبَوَّأ[٢].

١٥-قوله: «**حتى إذا قعد عنده قرّت**»: أي: ثبتت (فيه أو نحو هذا)، شك، ولفظ رواية أحمد عن جابر قال ﷺ: «**من عاد مريضاً لم يزل يخوض في الرحمة حتى يجلس، فإذا جلس اغتمس فيها**»[٣]، وله أيضاً من حديث أبي أمامة: «**عائد المريض يخوض الرحمة**»[٤]»[٥].

١٦-قوله: «**يخوض في الرحمة**»: وخاض الماء يخوضه خوضاً وخياضاً : دخله، كخوضه واختاضه[٦].

١٧-قوله: «**خاض فى رحمته خوضاً**»: فإذا قعد عنده استنقع أوزاره احتساباً لله، قال الله تعالى: «**طبت وطاب ممشاك**» أي: مشيك، «**وتبوأت منزلاً فى الجنة**» أي: اتخذته[٧].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الأجر العظيم، والثواب الجزيل الذي أعده الله لفاعل هذه الخصلة من

---

(١) انظر: القاموس المحيط، ص ٤٣، مادة (بوأ).
(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ١٥٨، مادة (بوأ).
(٣) مسند أحمد، ٢٠/ ١٧٩، برقم ١٢٧٨٢، وصححه لغيره محققو المسند، وتقدم.
(٤) مسند أحمد، برقم ١٢٧٨٢، وصححه محققو المسند، وتقدم تخريجه.
(٥) شرح الزرقاني على الموطأ، ٤ / ٤٢٤.
(٦) انظر: القاموس المحيط، ص: ٨٢٧، مادة (خاض).
(٧) إتحاف السادة المتقين للزبيدي، ٦/ ٢٩٥.

خصال الخير، قال أبو بكر بن الأنباري: يشبه الرسول ﷺ ما يحرزه عائد المريض من الثواب بما يحرزه المخترف من الثمر، وهذا كلام الحميدي: «شبه ﷺ ما يحوزه عائد المريض من الثواب بما يحوزه المخترف من النخلة، والمخرف النخلة التي يخترف منها، والمخرف - بكسر الميم -: المكتل، يلفظ فيه الرطب»[(١)].

٢-قال الإمام ابن القيم: «وَلَمْ يَكُنْ مِنْ هَدْيِهِ عليه الصلاة والسلام أَنْ يَخُصَّ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَلَا وَقْتًا مِنَ الْأَوْقَاتِ، بَلْ شَرَعَ لِأُمَّتِهِ عِيَادَةَ الْمَرْضَى لَيْلًا وَنَهَارًا وَفِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ»[(٢)].

٣-«وَأَدَبُ الْعَائِدِ: خِفَّةُ الْجِلْسَةِ، وَقِلَّةُ السُّؤَالِ، وَإِظْهَارُ الرِّقَّةِ، وَالدُّعَاءُ بِالْعَافِيَةِ، وَغَضُّ الْبَصَرِ عَنْ عَوْرَاتِ الْمَوْضِعِ، وَعِنْدَ الِاسْتِئْذَانِ لَا يُقَابِلُ الْبَابَ، وَيَدُقُّ بِرِفْقٍ ، وَلَا يَقُولُ : أَنَا إِذَا قِيلَ لَهُ مَنْ؟»[(٣)].

٤-وَيُسْتَحَبُّ لِلْعَلِيلِ أَيْضًا أَنْ يَقُولَ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وأحاذر سبع مرات، بعد أن يقول: بسم الله ثلاثاً[(٤)]، وَقَالَ طَاوُوسٌ: أَفْضَلُ الْعِيَادَةِ أَخَفُّهَا، وَجُمْلَةُ أَدَبِ الْمَرِيضِ حُسْنُ الصَّبْرِ، وَقِلَّةُ الشَّكْوَى وَالضَّجَرِ، وَالْفَزَعُ إِلَى الدُّعَاءِ، وَالتَّوَكُّلُ بَعْدَ الدَّوَاءِ عَلَى خَالِقِ الدَّوَاءِ»[(٥)].

٥-الزيارة لله ﷻ لها فضل عظيم، فإن من زار أخاه، أو عاده في مرضه، يقال له: «طبت وطاب ممشاك»، ويقال لمن زار أخاه لغير أمر دنيوي، ولكن لمحبته في الله: «**إن الله أحبك كما أحببته فيه**»[(٦)].

---

(١) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، ص ٢٣٣.
(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ١/ ٤٧٨.
(٣) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، لمحمد جمال الدين القاسمي، ص: ١٤٦
(٤) مسلم، برقم ٢٢٠٢، وسيأتي تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٢٤٣.
(٥) موعظة المؤمنين، ص: ١٤٦.
(٦) مسلم، برقم ٢٥٦٧، وتقدم تخريجه.

٦-والزيارة لها فوائد على النحو الآتي،

أولاً: إدراك هذا الأجر العظيم المذكور في هذه الأحاديث.

ثانياً: تؤلف القلوب، وتجمع الناس، وتذكر الناسي، وتنبه الغافل، وتعلم الجاهل.

ثالثاً: فيها مصالح كثيرة يعرفها من جربها.

٧-وأما عيادة المريض ففيها كذلك أيضاً من المصالح، والمنافع الشيء الكثير، وقد سبق لنا أن من حقوق المسلم على المسلم: أن يعوده إذا مرض، ويُذكِّره بالله ﷻ بالتوبة، والوصية، وغير ذلك مما يستفيد منه، فهذه الأحاديث وأشباهها، كلها تدل على أنه ينبغي للإنسان أن يفعل ما فيه المودة، والمحبة لإخوانه: من زيارة، وعيادة، واجتماع وغير ذلك(١).

٨-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: والقول الراجح أن زيارة المريض فرض كفاية، أي: إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، ومعلوم أن غالب المرضى يعودهم أقاربهم، وبذلك تحصل الكفاية، ولكن لو علمنا أن أحدًا ليس من أهل البلد مريض فإن الواجب أن نعوده(٢).

***

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٣٦٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٨٩٤.

٥١ - دُعَاءُ الْمَرِيضِ الَّذِي يَئِسَ مِنْ حَيَاتِهِ

١٥٠-(١)«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥١٩-عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ ﵂[٢] أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَيَّ ظَهْرَهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ»[٣].

٥٢٠-وفي رواية لمسلم، أن عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ فِي الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرُ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي، غُشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ أَفَاقَ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى» قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِذًا لَا يَخْتَارُنَا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَعَرَفْتُ الْحَدِيثَ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ، وَهُوَ صَحِيحٌ فِي قَوْلِهِ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَانَتْ تِلْكَ آخِرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْلَهُ: «اللهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى»[٤].

---

(١) البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٤٠، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في فضائل عائشة ﵂، برقم ٢٤٤٤. ورواية مسند أحمد، ٤٣/ ١٠٣، برقم ٢٥٩٤٧، وصححه محققو المسند بلفظ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَتَوَفَّى، وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي، يَقُولُ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى».

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٤٤٣٥، ومسلم، برقم ٢٤٤٤. وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ٨٦- (٢٤٤٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللهمّ**»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا خلاف أن لفظة: (اللهمّ) معناها يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب، فلا يقال اللَّهمَّ غفور رحيم، بل يقال: اللّهمّ اغفر لي وارحمني»[(١)].

٢-قوله: «**اغفر لي**»: قال ابن منظور: «الغَفُورُ الغَفّارُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، ... وَمَعْنَاهُمَا: السَّاتِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ... غَفَرَه يَغْفِرُه غَفراً: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْته؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي: سَتَرَهَا»[(٢)].

٣-قوله: «**وارحمني**»: طلب رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ التي بها حصول المطلوب، وبالمغفرة زوال المرهوب، وهذا إذا جمع بين المغفرة والرحمة، أما إذا فرقت المغفرة عن الرحمة فإن كل واحدة منهما تشمل الأخرى[(٣)].

٤-**قوله**: «**وألحقني**»: «لحق به كسمع، ولحقه لحقاً، ولحاقاً بفتحهما: أدركه كألحقه، وهذا لازم متعد... والملحق: الدعي الملصق، واستلحق فلانا: ادعاه، واللّحَق محركة: شيء يلحق بالأول، وتلاحقت المطايا: لحق بعضها بعضاً»[(٤)].

٥-قوله: «**بالرفيق الأعلى**»: المراد بهم ما جاء في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾[(٥)]..

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَمَّا قَوْلُهُ: «**وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى**» فَمَأْخُوذٌ

---

(١) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في شرح المفردة، رقم ٦.

(٢) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من حديث المتن رقم ٢.

(٣) انظر الشرح الممتع، ص ١٣١ ، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٤٩.

(٤) القاموس المحيط، ص ١١٨٩، مادة (لحق).

(٥) سورة النساء، الآية: ٦٩.

عِنْدَهُمْ مِنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[(١)]، وَقِيلَ: الرَّفِيقُ الْجَنَّةُ، وَقِيلَ: الرَّفِيقُ الْأَعْلَى مَا عَلَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَهِيَ الْجَنَّةُ، وَاللهُ أَعْلَمُ»[(٢)].

وقال الإمام البغوي رحمه الله: «قَوْلُهُ: «الرَّفِيقُ الأَعْلَى»، قِيلَ: هُوَ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تعالى: كَأَنَّهُ أَرَادَ أَلْحِقْنِي بِاللهِ، وَقَالَ الأَزْهَرِيُّ: غَلِطَ هَذَا الْقَائِلُ، وَالرَّفِيقُ هَهُنَا جَمَاعَةُ الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ أَعْلَى عِلِّيِّينَ، اسْمٌ جَاءَ عَلَى وَزْنِ فَعِيلٍ، وَمَعْنَاهُ الْجَمَاعَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾»[(٣)].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «إن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم اغفر لي، وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى» هكذا يقول الرسول ﷺ عند موته، وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر! من هم الرفيق الأعلى؟ هم: النبيون، والصديقون، والشهداء، والصالحون، وحسن أولئك رفيقاً»[(٤)].

٦-قوله: «وأصغت إليه»: مالت إليه لتسمع منه؛ لأن الصغو أصله الميل، قال في النهاية: أنه كان يُصْغِي الإِنَاءَ للهِرَّة، أي: يُميله لِيَسْهُلَ عليها الشُّربُ منه، أصْغَى لـه: أي أمال صَفْحة عُنُقه إليه، والصَّاغِية بالمدينة هم خاصَّة الإنسان، والمائلُون إليه، وقد تكرر ذِكر الإِصْغَاء والصَّاغية في الحديث[(٥)]، ولذلك قال في القاموس: «وأصغى: استمع، وأصغى إليه: مال بسمعه»[(٦)].

٧-قوله: «مسند إليّ ظهره»: أي: اعتمد عليها في جلوسه، وأمال ظهره

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.
(٢) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، لابن عبد البر، ٨ / ٣٤٦.
(٣) شرح السنة للبغوي، ١٤/ ٤٦.
(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩١١.
(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٣٣، مادة (صغى).
(٦) القاموس المحيط، ص: ١٦٨٠، مادة (صغى).

إليها، قال الفيومي: السَّنَدُ – بفتحتين-: ما استندت إليه من حائط وغيره... ويُعدَّى بالهمزة فيقال: أَسْنَدْتُهُ إلى الشيء فَسَنَدَ هو، وما يستند إليه مِسْنَدٌ – بكسر الميم-، ومُسْنَدٌ –بضمها-، والجمع مَسَانِدُ»[(١)].

٨-قوله: «**وهو صحيح**»: أي: في حال صحته، لا في حال المرض، و«الصُّحّ – بالضم – والصِّحَّة –بالكسر-، والصَّحَاح –بالفتح -: ذهاب المرض، والبراءة من كل عيب... وأصَحّ: صح أهله وماشيته، وأصحّ الله تعالى فلاناً: أزال مرضه»[(٢)].

٩-قوله: «**يقبض نبي**»: أي: يتوفاه الله بقبض روحه، وقبض: في أسماء الله تعالى (القابض، الباسط)، وهو الذي يُمسك الرزق وغيرَه من الأشياء عن العباد بلُطْفه وحِكْمَتَه، ويَقْبِض الأرْواح عند المَمات، وقُبض المريضُ إذا تُوُفِّيَ وإذا أشْرَف على المَوت، وقُبض: أي: هو في حال القَبْض، ومُعالَجة النَّزع[(٣)].

١٠-قوله: «**غشي عليه مساء**»: أي: أمسى مغشياً عليه، غَشِيه يَغْشَاه غِشْياناً إذا جاءه، وغَشَّاه تَغْشِية إذا غَطَّاه، وغَشِي الشيء إذا لابَسه، وغَشِي المرأة إذا جامَعها، وغُشِي عليه فهو مَغْشِيٌّ عليه، إذا أُغْمِي عليه[(٤)].

١١-قوله: «**فأشخص بصره**»: أي: وجه نظره إليه، وحملق به، و«شُخوص البَصَر: ارْتِفاعُ الأجْفان إلى فَوْق وتَحْديدُ النَّظر وانْزِعاجُه ...يقال للرجُل إذا أتاه ما يُقْلِقُه: قد شُخِص به كأنه رُفِع من الأرض لِقَلقِه وانْزِعاجِه، ومنه (شُخُوص المُسافِر) خرُوجُه عن مَنْزِله.. والشَّخصُ: كُلُّ جسْم له ارتفاعٌ

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١ / ٢٩١، مادة (سند).
(٢) القاموس المحيط، ص ٢٩١، مادة (صح).
(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٩، مادة (قبض).
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٦٨٤، مادة (غشي).

وظُهورٌ، والمُراد به في حقّ الله تعالى إثباتُ الذات، فاستُعِير لها لفظُ الشَّخْص[١]، وقد ثبت في الحديث: «لا شخص أغير من الله»[٢]، لكن شخص لا كالأشخاص ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٣].

١٢-قوله: «**إذن لا يختارنا**»: أي: عندما يخيَّر النبي ﷺ بين الدنيا والآخرة، فإنه سيختار الآخرة، وهي الرفيق الأعلى، وهذا ما توقعته عائشةأن النبي ﷺ لن يختار البقاء في الدنيا، قال ابن الملقن رحمه الله: «أي: هو في هذِه الحالة غير مختار لنا»[٤].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-اليأس من الحياة لا يُعلم إلا إذا حضر الموت، أما قبل ذلك، فإنه مهما اشتد المرض؛ فإن الإنسان لا ييأس، وكم من إنسان اشتد به المرض حتى جمع أهله ماء تغسيله، وحنوطه، وكفنه، ثمّ شفاه الله وعافاه، وكم من إنسان أشرف على الموت في أرض مفازة ليس عنده ماء ولا طعام فأنجاه الله عز وجل»[٥].

٢-مشروعية قول هذا الدعاء لمن اشتد به المرض، وشعر بدنو أجله وذلك عند الغرغرة، والنزع، والسكرات اقتداء بالرسول ﷺ، وهو متضمن لطلب: المغفرة، والرحمة، وهذا إحسان ظن من العبد بربه، والله عند حسن ظن عبده به عز وجل.

٣-قول النبي ﷺ لهذا الدعاء كان بعد تخيير الله له بين الحياة والموت؛ لقوله ﷺ: «**إنه لم يقبض نبي قط، حتى يرى مقعده في الجنة، ثم يخير**» تقول عائشةفأشخص بصره إلى السماء ثم قال: «**اللّهم! الرفيق الأعلى**»[٦].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٥٠، مادة (شخص).

(٢) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «لا شخص أغير من » برقم ٧٤١٦، ومسلم، كتاب اللعان، برقم ١٤٩٩.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٩/ ٦٠٥.

(٥) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين رحمه الله، الحديث رقم ٩١١.

(٦) مسلم، ٢٤٤٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٤-اللَّهم اغفر لي وارحمني[١]: إنما جاء الجمع بين المغفرة والرحمة لفائدة عظيمة: وهي الجمع بين الوقاية والعناية، بين الوقاية بالمغفرة، يقيك الله شر الذنوب، والعناية بالرحمة، يعتني الله بك، فييسرك لليسرى ويجنبك العسرى[٢].

٥-لا يفهم من قوله ﷺ: «**اللَّهم الرفيق الأعلى**» جواز أن يتمنى الإنسان الموت؛ لأن النبي ﷺ قال ذلك بعد أن خُيِّر بين الحياة والموت، وأنه قاله أيضًا حالة النزع والسكرات.

٦-نهى النبي ﷺ عن تمني الموت بقوله: «**لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدع به، إنه إذا مات انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرًا**»[٣]. قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «والنهي للتحريم؛ لأن ذلك فيه عدم الرضا بقضاء الله، والواجب على المسلم الصبر إذا أصابته ضراء، وانتظار الفرج من الله عز وجل[٤]. وقال ﷺ: «**لا يتمنين أحدكم الموت إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا، وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب**»[٥]، والاستعتاب هو طلب العتبى وهو الرضى ولا يتم ذلك إلا بالتوبة النصوح. قال الله عز وجل: ﴿**وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ**﴾[٦].

٧-قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «يسوغ، بل يستحب لكل أحد أن يسأل الله تعالى أن يرحمه، فيقول: «**اللهمّ ارحمني**»، كما علَّم النبي ﷺ الداعي أن يقول: «**اللهمّ اغفر لي، وارحمني، وعافني، وارزقني**» فلما حفظها قال: «**أَمَّا هَذَا، فَقَدْ مَلأَ يَدَيْهِ**

---

(١) سبق شرحهما.
(٢) الأسماء الحسنى والصفات العلا لعبد الهادي حسن وهبي، ص ٣٦١.
(٣) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به، برقم ٢٦٨٢.
(٤)انظر: شرح رياض الصالحين، حديث رقم ٥٨٥.
(٥) البخاري، كتاب التمني، ما يكره من تمني الموت، برقم ٧٢٣٥.
(٦) سورة فصلت، الآية: ٢٤.

مِنَ الْخَيْرِ»[١]، ومعلوم أنه لا يسوغ لأحد أن يقول: اللهمّ صلِّ عليّ، بل الداعي بهذا معتدٍ في دعائه، والله لا يحب المعتدين، بخلاف سؤال الرحمة، فإن الله تعالى يحب أن يسأله عبدُهُ مغفرتَه، ورحمتَه، فعُلِم أنه ليس معناهما واحداً...»[٢].

٨-وأكثر المواضع التي تستعمل فيها الرحمة، لا يحسن أن تقع فيها الصلاة، كقول الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٣]، وقوله ﷻ في الحديث القدسي: «**إن رحمتي سبقت غضبي**»[٤]»[٥].

٩-في الحديث منقبة لعائشة ﵂وقد قالت في أول الحديث: إن النبي ﷺ قال ذلك «وهو مسند إليَّ ظهره» وقالت ﵂: «**مات النبي ﷺ وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي فلا أكره شدة الموت لأحد بعده**»[٦] وفي لفظ: «**فمات في اليوم الذي كان يدور عليَّ فيه في بيتي، فقبضه الله، وإنَّ رأسه لبين سحري ونحري، وخالط ريقي ريقه**»[٧] – والحاقنة: ما سفل من الصدر، والذاقنة: ما علا منها، والسَّحَر: الصدر، والنحر: موضع النحر[٨]، والمراد أنه ﷺ مات ورأسه بين حنكها وصدرها ﵂.

***

١٥١-(٢) «جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يجزئ الأمي والأعجمي من القراءة، برقم ٨٣٢، ومسند أحمد، ٣١/ ٤٥٥، برقم ١٩١١٠، وحسنه محققو المسند، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٢/ ١٢.
(٢)جلاء الأفهام، ص ١١٦.
(٣) سورة الأعراف، الآية:١٥٦.
(٤) البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، برقم ٧٤٢٢، ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، برقم ٢٧٥١.
(٥) جلاء الأفهام، ص ١٦٦.
(٦) البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٤٦.
(٧) البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٥٠.
(٨)انظر: فتح الباري، ٧/ ٨٠٨.

بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٢١-عن عَائِشَةَ رضي الله عنها[٢] أنها كَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي، وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ، أَوْ عُلْبَةٌ يَشُكُّ عُمَرُ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**»، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ، وَمَالَتْ يَدُهُ»[٣].

٥٢٢-وفي رواية للبخاري: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمَعَهُ سِوَاكٌ يَسْتَنُّ بِهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: أَعْطِنِي هَذَا السِّوَاكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَأَعْطَانِيهِ، فَقَصَمْتُهُ، ثُمَّ مَضَغْتُهُ، فَأَعْطَيْتُهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَاسْتَنَّ بِهِ وَهُوَ مُسْتَسْنِدٌ إِلَى صَدْرِي»[٤].

٥٢٣-ورواية ثالثة للبخاري: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي، وَمَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سِوَاكٌ رَطْبٌ يَسْتَنُّ بِهِ، فَأَبَدَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَصَرَهُ، فَأَخَذْتُ السِّوَاكَ، فَقَصَمْتُهُ، وَنَفَضْتُهُ، وَطَيَّبْتُهُ، ثُمَّ دَفَعْتُهُ

---

(١) البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٤٩.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤.

(٣) البخاري، برقم ٤٤٤٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري، كتاب الجمعة، باب من تسوك بسواك غيره، برقم ٨٩٠.

إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَنَّ بِهِ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَنَّ اسْتِنَانًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَمَا عَدَا أَنْ فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَفَعَ يَدَهُ، أَوْ إِصْبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى**» ثَلاثًا، ثُمَّ قَضَى، وَكَانَتْ تَقُولُ: مَاتَ بَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي»[(١)].

٥٢٤-ورواية أخرى للبخاري أيضاً: عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَكَانَتْ إِحْدَانَا تُعَوِّذُهُ بِدُعَاءٍ إِذَا مَرِضَ، فَذَهَبْتُ أُعَوِّذُهُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: «**فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى**»، وَمَرَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَفِي يَدِهِ جَرِيدَةٌ رَطْبَةٌ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُ بِهَا حَاجَةً، فَأَخَذْتُهَا فَمَضَغْتُ رَأْسَهَا، وَنَفَضْتُهَا، فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ، فَاسْتَنَّ بِهَا كَأَحْسَنِ مَا كَانَ مُسْتَنًّا، ثُمَّ نَاوَلَنِيهَا، فَسَقَطَتْ يَدُهُ، أَوْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ، فَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْآخِرَةِ»[(٢)].

٥٢٥-وروى البخاري ﵀ عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: «**مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي، فَلاَ أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا، بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ**»[(٣)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «**جَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ**»: قال القاري ﵀: « وَإِيرَادُهَا بِلَفْظِ التَّثْنِيَةِ إِشْعَارٌ بِنِهَايَةِ حَرَارَتِهِ، وَإِيمَاءٌ إِلَى إِظْهَارِ عَجْزِهِ وَعُبُودِيَّتِهِ. قِيلَ: وَسَبَبُهُ أَنَّهُ كَانَ يُغْمَى عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْوَجَعِ، ثُمَّ يَفِيقُ وَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّهُ يَنْبَغِي فِعْلُ ذَلِكَ لِكُلِّ مَرِيضٍ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْهُ فُعِلَ بِهِ ؛ لِأَنَّ فِيهِ نَوْعَ تَخْفِيفِ الْكَرْبِ كَالتَّجْرِيعِ، بَلْ يَجِبُ التَّجْرِيعُ إِذَا اشْتَدَّتْ حَاجَةُ الْمَرِيضِ إِلَيْهِ»[(٤)].

٢-قوله: «**لا إله إلا الله**»: أي: لا معبود بحق إلا الله، قال العلامة ابن عثيمين

---

(١) البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٣٨.
(٢) البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، برقم ٤٤٥١.
(٣) البخاري، برقم ٤٤٤٦، وتقدم تخريجه في أحاديث شرح هذا الحديث قبل قليل.
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٩/ ٣٨٤٦.

رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله لله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لابد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات؛ ...، حتى يُعبد بمقتضى هذه الصفات؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[(١)]، أي: تعبّدوا له، وتوسّلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»[(٢)].

٣-قوله: «**إن للموت سكرات**»: سكرات الموت هي مقدماته التي تغيب العقل عن إدراكه، وقال القاضي عياض: «جمع سكرة، قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾[(٣)]، وهي غلبة الكرب على العقل، واختلاطه لشدته، وقول أبي بكر رضي الله عنه: «وجاءت سكرة الحق بالموت» أي: سكرة الموعد الحق بانقضاء الأجل»[(٤)].

٤- قوله: «**ما بين سحري ونحري**»: السَحْر: الرِّئة، وأرادت: أنه مات عندها في حضنها[(٥)]، أي: أنه مات وهو مستند إلى صدرها، ما يحاذي سحرها منه، وقيل السحر: ما لصق بالحلقوم من أعلى البطن، وحكى القتيبي عن بعضهم أنه بالشين المعجمة والجيم، وأنه سئل عن ذلك فشبك بين أصابعه، وقدمها عن صدره، كأنه يضم شيئا إليه، أي: أنه مات وقد ضمته بيديها إلى نحرها وصدرها[(٦)].

٥-قوله: «**ونحري**»: النحْر هو الموضع الذي يكون فيه النحر للقتل، و«المَنْحَرُ: موضع النَّحر من الحلق، ويكون مصدراً أيضاً، والنَّحْرُ: موضع القلادة

---

(١) سورة الأعراف، الاية: ١٨٠.
(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٢.
(٣) سورة ق، الآية: ١٩.
(٤) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض بن موسى، ٢ / ٢١٥، وانظر ما قيل في هذه القراءة: الاستذكار لابن عبد البر، ٢/ ٤٨٤، وكتاب التمهيد له، ٨/ ٢٩٥، وفتح الباري لابن حجر، ٩/ ٢٨.
(٥) جامع الأصول، ١١/ ٦٧.
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٣٤٦، مادة (سحر).

من الصدر، والجمع نُحُورٌ، مثل فَلْسٍ وفُلُوسٍ، و تطلق النُّحُورُ على الصدور»[١]، وقال الحافظ في الفتح: «النَّحر بِفَتحِ النُّون وسُكُون المُهمَلَة، والمُراد بِهِ مَوضِع النَّحر، وأَغرَبَ الدّاوُدِيُّ، فَقالَ : هُو ما بَين الثَّديَينِ»[٢].

٦-قوله: «**أليّنُه لك**»: أي: أسهّله لك، ليصبح سهلاً في الفم، ولا يحتاج إلى جهد في التسوّك، «ولَيَّنه وأَلْيَنه: صَيَّرَه لَيِّناً»[٣].

٧-قوله: «**بين يديه ركوة**»: أي: بين يدي النبي ﷺ إناء ماء، يقال له ركوة، و«الركوة إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء، والجمع ركاء»[٤]، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «رَكوة: أي: علبة»[٥].

٨-قوله: «**أو علبة**»: العلبة إناء معروف، وقال ابن الأثير:«والعلبة: مخلب من جلد، قاله الجوهري، كالقدح يحلب فيه»[٦]، وقال في النهاية بتعريف العلبة: «العلبة: قدح من خشب، وقيل من جلد، وخشب، يُحلب فيه»[٧]، والعلبة: قدح ضخم من خشب يُحلب فيه، أي: هو إناء تحفظ فيه السوائل خاصة، كالحليب وغيرها، وهو هنا في الحديث يشير إلى أن فيه ماءً كان النبي ﷺ يأخذ منه ليمسح على وجهه الشريف للتخفيف عنه»[٨].

٩-قوله: «**ونصب يده**»، أي: رفعها، فـ«النصب إقامة الشيء ورفعه»[٩]، ولذلك جاء في الرواية التي بعدها: «رَفَعَ يَدَهُ، أَوْ إِصْبَعَهُ».

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢ / ٥٩٥، مادة (نحر).
(٢) فتح الباري، ٨ / ١٣٩.
(٣) لسان العرب، ١٣ / ٣٩٤، مادة (لين).
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٢٦١، مادة (ركو).
(٥) جامع الأصول، ١١/ ٦٧.
(٦) جامع الأصول، ١١/ ٦٧.
(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٢٨٦، مادة (علب).
(٨) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، ص ١٢٠٠.
(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ٦٠، مادة (نصب).

١٠-قولـه: «**فَقَصَمْتُهُ، ثُمَّ مَضَغْتُهُ**»: أي: جعلت تلوك السواك وتقطعه وتكسره ليسهل على النبي ﷺ ويلين، يقول ابن الأثير: «فقصمته: القصم بالصاد المهملة: الكسر، يقال: قصمت الشيء: إذا كسرته، والقضم بالضاد المعجمة: من قضم الدابة شعيرها، يقال: قضمت الدابة شعيرها، والفصم، بالفاء والصاد المهملة: أن يتصدع الشيء من غير تبين، فإذا بان: فهو بالقاف والصاد المهملة، قال الحميدي: والذي في حديث عائشة أقرب إلى القضم - بالقاف والضاد المعجمة -؛ لأنه مضغ، وتليين لما اشتد من السواك، والفصم بالفاء والصاد المهملة، قريب من ذلك، قال: والذي رويناه: فبالقاف والضاد المعجمة، والله أعلم بما قالته، أو بما قاله الراوي عنها، قلت [القائل ابن الأثير]: ومما يدل على صحة ما رواه الحميدي: أنه قد جاء في باقي الروايات «فمضغته»، وفي أخرى: «ألينه»، وهو بمعنى القضم، بالقاف والضاد المعجمة»[١].

« **فَمَضَغْتُ رَأْسَهَا**»، أي: لاكت رأس جريد االنخل؛ لتجعلها سواكاً صالحاً، ليّناً، سهلاً على النبي ﷺ فـ«مَضَغَ، يَمْضَغُ، ويَمْضُغُ مَضْغاً: لاكَ، وأَمْضَغَه الشيءَ، ومَضَّغَه: أَلاكَه إِياه»[٢].

١١-قوله: «**يستنّ**»: أي: يضع السواك في فمه، وعلى أسنانه، يسوكها، ولذلك قال ابن الأثير: «الاستنان: التسوّك بالسواك»[٣].

١٢-قوله: « **وَطَيَّبْتُهُ**»: أي: مضغته ولاكته، وجعلته سهلاً طيباً، «وطيبته أي مضغته بأسنانها وليتته»[٤]، وقد يكون من تطييبه تنظيفه، ووضع الطيب عليه،

---

(١) جامع الأصول، ١١/ ٦٧.
(٢) لسان العرب، ٨ / ٤٥٠، مادة (مضغ).
(٣) جامع الأصول، ١١/ ٦٧.
(٤) النهاية في غريب الأثر (٤ / ٧٨)

ف«تَطَيَّبَ بِالطِّيبِ، وهو من العطر، وطَيَّبْتُهُ ضمختهـ»[١]، ويؤكد العيني على أنها ألانته له، وجهزته، ويضيف إلى المعنى وضع الماء عليه، فيقول: «فطيبته: تكراراً أي: قضمته، وإن كان بالمهملة فلا، لأنه يصير المعنى كسرته لطوله، أو لأنه آلة المكان الذي تسوّك به عبد الرحمن، ثم ليّنته، ثم طيّبته أي: بالماء، ويحتمل أن كون قوله: طيبته تأكيداً لقوله لينته»[٢]، وقد ورد في الجاهلية حلفٌ اسمه حلف المطيبين، ويقال له (حلف الفضول)، وشهده النبي ﷺ قبل بعثته، وهو الذي «اجتمع بنو هاشم، وبنو زهرة، وتيم في دار ابن جدعان في الجاهلية، وجعلوا طيباً في جفنة، وغمسوا أيديهم فيه، وتحالفوا على التناصر، والأخذ للمظلوم من الظالم، فسموا المطيبين»[٣].

١٣-قوله: «**فَأَبَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَصَرَهُ**»، وفي الرواية الأخرى: «فنظر إليه رسول الله ﷺ»، أي: أحست عائشةمِن خلال مدّ النبي ﷺ بصره إلى السواك أنه يريده، لأن أبدّ معناه: مدّ، قال في النهاية: «أبد يده إلى الأرض فأخذ قبضة، أي مدها، ...وكان يبدّ ضُبعيه في السجود أي: يمدهما ويجافيهما، وقد تكرر في الحديث، ومنه حديث وفاة النبي ﷺ، فأبدّ بصره إلى السواك، كأنه أعطاه بدته من النظر، أي حظه»[٤].

١٤-قوله: «**وَنَفَضْتُهَا**»: أي: حركتها بشدة ليقع عنها إذا علقها شيء، «نفضت المكان، واستنفضته، وتنفضته: إذا نظرت جميع ما فيه... نفضتها أي حركتها»[٥].

١٥-قوله: «**حاقنتي وذاقنتي**»: «الحاقنة ما سفل من الصدر، والذاقنة ما علا

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢ / ٣٨٢، مادة (طيب).
(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢٦ / ٣٥٥.
(٣) النهاية في غريب الأثر (٣ / ١٤٩)
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ١٠٥، مادة (بدّ).
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ٩٦، مادة (نفض).

منها، وأما السَّحَر فهو الصدر، والنحر فهو موضع النحر»[١]، فالحاقنة: الوهدة المنخفضة بين الترقوتين من الحلق[٢]، وفي كشف المشكل: «الحاقنة: قال أبو عبيد: كان أبو عمرو يقول: هي النقرة التي بين الترقوة وحبل العاتق، وهما حاقنتان، والذاقنة طرف الحلقوم، وقال أبو سليمان: الحاقنة: نقرة الترقوة، والذاقنة: ما يناله الذقن من الصدر، والذاقنة: الذقن، وقيل طرف الحلقوم، وقيل: ما يناله الذقن من الصدر»[٣].

١٦-قوله: «**وفي يده جريدة رطبة**»: الجريدة: القطعة من أعواد النخل، وهي: «السعفة، وجمعها جريد»[٤]، وقال في اللسان: «الجَريدة: سَعفة طَوِيلَةٌ رَطْبَةٌ؛ قَالَ الْفَارِسِيُّ: هِيَ رَطْبَةً سفعةٌ، وَيَابِسَةً جريدةٌ؛ وَقِيلَ: الْجَرِيدَةُ لِلنَّخْلَةِ كَالْقَضِيبِ لِلشَّجَرَةِ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلى اشْتِقَاقِ الْجَرِيدَةِ فَقَالَ: هِيَ السَّعَفَةُ الَّتِي تُقَشَّرُ مِنْ خُوصِهَا، كَمَا يُقَشَّرُ الْقَضِيبُ مِنْ وَرَقِهِ، وَالْجَمْعُ جَرِيدٌ، وجَرائدُ؛ وَقِيلَ: الْجَرِيدَةُ السعَفة مَا كَانَتْ»[٥].

١٧-قوله: «**وَكَانَتْ إِحْدَانَا تُعَوِّذُهُ بِدُعَاءٍ إِذَا مَرِضَ، فَذَهَبْتُ أُعَوِّذُهُ**»: تعوذه من الفعل أعاذه، إذا رقاه، أي: كان من عادة نسائه ﷺ تعويذه إذا أصابه شيء، فيقرأن عليه المعوذات، ويقمن بالدعاء له، ويلجأن إلى الله ﷻ، وفي اللسان: «عَاذَ بِهِ يَعُوذُ عَوْذاً، وعِياذاً، ومَعاذاً: لَاذَ بِهِ، ولجأَ إِليه، وَاعْتَصَمَ، ومعاذَ اللهِ أَي عِيَاذًا بِاللَّهِ... يُقَالُ: عَوَّذْت فُلَانًا بِاللَّهِ، وأَسمائه، وبالمُعَوِّذتين، إِذا قُلْتَ:

(١)انظر: فتح الباري، ٧/ ٨٠٨.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ٤١٦، مادة (حقن).
(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ١٢٠٠.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ٢٥٧، مادة (جرد).
(٥) لسان العرب، ٣ / ١١٨، مادة (جرد).

أُعيذك بِاللَّهِ، وأَسْمائه مِنْ كُلِّ ذِي شَرٍّ، وَكُلِّ دَاءٍ، وَحَاسِدٍ، وحَيْنٍ[1]... وكَانَ النبي ﷺ يعوِّذ نَفْسَهُ بالمعوِّذتين بعد ما طُبَّ، أي: سُحر، وَكَانَ يُعَوِّذُ ابْنَي ابْنَتِهِ البَتُول، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بِهِمَا»[2].

١٨-قوله: «**يدخل يده في الماء**»: المراد بذلك أنه ﷺ كانت بين يديه علبة فيها ماء[3].

١٩-قوله: «**يمسح بهما وجهه**»: أي: لتخفيف ما كان فيه ﷺ من شدة عند النزع، قال القاري رحمه الله: «أَيْ: بِالْمَاءِ تَبْرِيدًا لِحَرَارَةِ الْمَوْتِ، أَوْ دَفْعًا لِلْغَشَيَانِ وَكَرْبِهِ، أَوْ تَنْظِيفًا لِوَجْهِهِ عِنْدَ التَّوَجُّهِ إِلَى رَبِّهِ، أَوْ إِظْهَارًا لِعَجْزِهِ وَتَبَرِّيهِ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ»[4].

٢٠-قوله: «**فما عدا أن فرغ**»: أي: بعد أن فرغ من الاستنان رفع أصبعه، وفي تاج العروس: «عَدا عنه: جاوَزَهُ، وتَرَكَهُ، وعَداهُ الأَمْرَ، كتَعدَّاهُ: تَجاوَزَهُ، وعَدَّاهُ تَعْدِيَةً: أَجازَهُ وأَنْفَذَه»[5].

ثالثا: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية استخدام الماء البارد للمحموم عند اشتداد المرض، وعند مقدمات الموت.

٢-ما لاقاه الرسول ﷺ من الشدة قبل الموت دليل على علو منزلته عند ربه، ولما دخل عليه ابن مسعود رضي الله عنه وهو مريض قال: يا رسول الله إنك لتوعك وعكًا شديدًا! قال: «**أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**» قلت: ذلك أن لك أجرين قال: «**أجل ذلك، كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر**

---

(١) قال ابن منظور: «والحَيْنُ، بِالْفَتْح: الْهَلَاكُ؛ ... وَقَدْ حانَ الرجلُ: هَلَك، وأَحانه اللهُ... وَكُلُّ شَيْءٍ يُوَفَّق للرَّشاد فَقَدْ حانَ... يُقَالُ: حانَ يَحِينُ حَيْناً، وحَيَّنَه اللهُ فتحَيَّنَ، والحائنةُ: النَّازِلَةُ ذاتُ الحَين، وَالْجَمْعُ الحَوائنُ». لسان العرب، ١٣/ ١٣٦، مادة (حين).

(٢) لسان العرب، ٣ / ٤٩٩، مادة (عوذ).

(٣) في متن هذا الحديث.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/ ١١٤١.

(٥) تاج العروس، ٣٨/ ٧، مادة (عدو).

الله بها سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها»[١].

٣-الأنبياء وهم أفضل الخلق يدعون الله أن يخفف عنهم سكرات الموت، فما بالنا بمن دونهم، وما بالنا بأنفسنا حال المعاينة، نسأله الله العافية والسلامة، قال الله ﷻ: **﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾**[٢].

٤-وقد أتي من شدة الموت وسكراته ما لم يؤت أحد؛ لأنه ﷺ يمرض مرض رجلين شدد عليه المرض شدد عليه النزع لماذا؟ من أجل أن ينال أعلى درجات الصبر؛ لأن الصبر يحتاج إلى شيء يصبر عليه، فكأن الله قد اختار لنبيه ﷺ أن يكون مرضه شديداً، ونزعه شديداً، حتى ينال أعلى درجات الصابرين ﷺ[٣].

٥-جاء عند الترمذي: «**اللَّهم أعني على غمرات الموت**»[٤]، والغمرة عند الموت: هي ما تغطي على عقله وتغيبه.

٦-جاء في هذا الحديث ذكر اعتناء الرسول ﷺ بالسواك، وإنما كان يواظب على ذلك؛ لأنه من أسباب رضا الله على العبد، وقد قال النبي ﷺ: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب**»[٥] وقال أيضًا: «**إن أفواهكم طرق للقرآن فطيبوها**

---

(١) البخاري، كتاب المرضى، باب أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأول فالأول، برقم ٥٦٤٨.

(٢) سورة ق، الآية: ١٩.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩١١.

(٤) الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في التشديد عند الموت، برقم، ٩٧٨، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر الموت، برقم ١٦٢٣، والحاكم، ٣/ ٥٦، وصححه، ووافقه الذهبي، وقد ضعفه الألباني، وقال أحمد شحاتة السكندري، في التعقب المتواني على السلسلة الضعيفة للألباني، ص ١٠٧: «وهذا حديث حسن، وإسناد رجاله كلهم ثقات، وموسى بن سرجس لا يضره تفرد يزيد بن الهاد بالرواية عنه، إذ لم يذكره أحد بجرحٍ، ورواية النسائي توثيق له، وقد قال الحافظ في التقريب، ٢/٢٨٣: «مدني مستور» وقال في فتح الباري، ١١/٣٦٢: «قوله: (إن للموت سكرات) وقع في رواية القاسم عن عائشة عند أصحاب السنن سوى أبي داود بسند حسن بلفظ: «اللهم أعني على سكرات الموت» اهـ.

(٥) البخاري، قبل الحديث رقم ١٩٣٤، وابن ماجه، برقم ٢٨٩، والنسائي، برقم ٥، وصححه الألباني، في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٠٩، وتقدم تخريجه في تخريج فوائد أحاديث شرح المتن رقم ١١١، في الفائدة رقم ٩.

بالسواك»[١] وكان إذا دخل بيته بدأ بالسواك[٢] ﷺ.

٧-إن للموت سكرات بفتحات جمع سكرة، أي: شدائد، ومشقات عظيمات: من حرارات، ومرارات طبيعيات، حتى للأنبياء وأرباب الكمالات، فاستعدوا لتلك الحالات، واطلبوا من الله تهوينه للأموات[٣].

***

١٥٢-[٣]«لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ»[٤].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٢٦-عن أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه[٥]، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[٦]، أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا، وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، قَالَ اللَّهُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَحْدِي، لاَ**

---

(١) ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب السواك، برقم ٢٩١، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، برقم ٢٣٦، ومعنى طرق أي: مجرى للقرآن كجري الناس في الطريق.

(٢) مسلم، كتاب الطهارة، باب السواك، برقم ٢٥٣.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للقاري، ١٧ / ٢٣٩.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول العبد إذا مرض، برقم ٣٤٣٠، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل لا إله إلا الله، برقم ٣٧٩٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/١٥٢، وصحيح ابن ماجه، ٢/٣١٧.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، قَالَ اللَّهُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا، لِيَ الْمُلْكُ، وَلِيَ الحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِي، وَكَانَ يَقُولُ: مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ»[1].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «**لا إله إلا الله، والله أكبر، لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له**»: فيه التوجه إلى الله وحده، دون غيره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشهادة لله بأنه لا إله إلا هو، تتضمن إخلاص الإلهية له، فلا يجوز أن يتأله القلب غيره، لا بحب، ولا خوف، ولا رجاء، ولا إجلال، ولا إكرام، ولا رغبة، ولا رهبة، بل لا بد أن يكون الدين كله لله، كما قال تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾[2].

فإذا كان بعض الدين لله، وبعضه لغير الله: كان في ذلك من الشرك بحسب ذلك، وكمال الدين كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره: «**من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»[3].

فالمؤمنون يحبون لله، والمشركون يحبون مع الله، كما قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ**﴾[4]»[5].

---

(١) الترمذي، برقم ٣٤٣٠، وابن ماجه، برقم ٣٧٩٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/١٥٢، وصحيح ابن ماجه، ٢/٣١٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

(٣) مسند أحمد، ١٦/ ٤٣٢، برقم ١٠٩٣٧، وأبو داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، برقم ٤٦٨١، والترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق، باب حدثنا أبو حفص، برقم ٢٥٢١، وحسن إسناده محققو المسند، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/ ٩٤، برقم ٣٠٢٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم، ١/ ٤٥٢.

٢-قوله: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»: إِظْهَارٌ لِلتَّوْحِيدِ وَإِعْلَامٌ بِهِ وَاسْتِدَامَةٌ لِلْإِيمَانِ بِهِ، فلا إله حق إلا الله ﷻ[١]، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «يعني: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله لله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لابد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات؛ ....، حتى يعبد بمقتضى هذه الصفات؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾[٢]، أي: تعبّدوا له، وتوسّلوا بأسمائه إلى مطلوبكم»[٣].

٣-قَوْلُهُ: «**لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ**»: تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدِ، لِأَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْجِنْسِ، فَجُعِلَ جِنْسُ الْمُلْكِ وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ، وَجَعَلَ جَمِيعَ الْحَمْدِ لِلَّهِ ﷻ؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ عَلَى الْحَقِيقَةِ سِوَاهُ، وَإِنَّمَا يُحْمَدُ غَيْرُهُ لِمَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُحْمَدَ»[٤].

٤-قوله: «**ولا حول ولا قوة إلا بالله**»: أي: لا قوة، ولا حول، ولا قدرة على التحول، والحيلة إلا بعون من الله، وتوفيق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فَلَفْظُ الْحَوْلِ يَتَنَاوَلُ كُلَّ تَحَوُّلٍ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَالْقُوَّةُ هِيَ الْقُدْرَةُ عَلَى ذَلِكَ التَّحَوُّلِ؛ فَدَلَّتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْعَظِيمَةُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ، وَالسُّفْلِيِّ حَرَكَةٌ، وَتَحَوُّلٌ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَلَا قُدْرَةَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُفَسِّرُ ذَلِكَ بِمَعْنَى خَاصٍّ فَيَقُولُ: لَا حَوْلَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَّا بِعِصْمَتِهِ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى طَاعَتِهِ إِلَّا بِمَعُونَتِهِ، وَالصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ هُوَ التَّفْسِيرُ الْأَوَّلُ، وَهُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ؛ فَإِنَّ الْحَوْلَ لَا يَخْتَصُّ بِالْحَوْلِ عَنْ الْمَعْصِيَةِ، وَكَذَلِكَ الْقُوَّةُ لَا تَخْتَصُّ بِالْقُوَّةِ عَلَى الطَّاعَةِ، بَلْ لَفْظُ الْحَوْلِ يَعُمُّ كُلَّ تَحَوُّلٍ، وَمِنْهُ لَفْظُ «الْحِيلَةِ»، وَوَزْنُهَا فِعْلَةٌ

---

(١) المنتقى، شرح الموطأ للباجي، ٣ / ٧٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.
(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ٢.
(٤) المنتقى، شرح الموطأ للباجي، ٣ / ٧٧.

بِالْكَسْرِ، وَهِيَ النَّوْعُ الْمُخْتَصُّ مِنَ الْحَوْلِ، كَمَا يُقَالُ: الْجِلْسَةُ، وَالْقِعْدَةُ، وَاللِّبْسَةُ، وَالإِكْلَةُ، وَالضِّجْعَةُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ بِالْكَسْرِ هِيَ النَّوْعُ الْخَاصُّ، وَهُوَ بِالْفَتْحِ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ، فَالْحِيلَةُ أَصْلُهَا حُولَةٌ، لَكِن لَمَّا جَاءَتْ الْوَاوُ السَّاكِنَةُ بَعْدَ كَسْرَةٍ قُلِبَتْ يَاءً، كَمَا فِي لَفْظِ مِيزَانٍ، وَمِيقَاتٍ، وَمِيعَادٍ، وَزْنُهُ مفعال؛ وَقِيَاسُهُ موزان وموقات؛ لَكِنْ لَمَّا جَاءَتْ الْوَاوُ السَّاكِنَةُ بَعْدَ كَسْرَةٍ قُلِبَتْ يَاءً، قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً**﴾[(١)] مِنْ الْحِيَلِ ؛ فَإِنَّهَا نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ، فَتَعُمُّ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْحِيَلِ، وَكَذَلِكَ لَفْظُ: «الْقُوَّةِ»، قَالَ تَعَالَى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً**﴾[(٢)]، وَلَفْظُ الْقُوَّةِ قَدْ يُرَادُ بِهِ مَا كَانَ فِي الْقُدْرَةِ أَكْمَلَ مِنْ غَيْرِهِ؛ فَهُوَ قُدْرَةٌ أَرْجَحُ مِنْ غَيْرِهَا، أَوْ الْقُدْرَةُ التَّامَّةُ، وَلَفْظُ «الْقُوَّةِ» قَدْ يَعُمُّ الْقُوَّةَ الَّتِي فِي الْجَمَادَاتِ، بِخِلَافِ لَفْظِ الْقُدْرَةِ؛ فَلِهَذَا كَانَ الْمَنْفِيُّ بِلَفْظِ الْقُوَّةِ أَشْمَلَ وَأَكْمَلَ، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ قُوَّةٌ إِلَّا بِهِ لَمْ تَكُنْ قُدْرَةٌ إِلَّا بِهِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى. وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ»[(٣)].

٥-قوله: «**لم تطعمه النار**»: أي: لا تصل إليه النار لتأكله يوم القيامة، فيحفظه الله من تناول ألسنتها، ولهيبها إذا دعا بهذا الدعاء، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: يكون ذلك من أسباب تحريم الإنسان على النار، فينبغي للإنسان أن يحفظ هذا الذكر، وأن يكثر منه في حال مرضه حتى يختم له بالخير إن شاء الله تعالى، والله الموفق»[(٤)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-قول هذا الذكر وتكراره والعبد في إدبار عن الدنيا، وإقبال على الآخرة

---

(١) سورة النساء، الآية ٩٨.

(٢) سورة الروم، الآية: ٥٤.

(٣) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٥ / ٥٧٤، وانظر: شرح المفردة رقم ٩ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٠٩.

عنوان على حسن خاتمته إن شاء الله.

٢-جمعت هذه الفقرات من الحديث بين توحيد الله، والثناء عليه بما هو أهله، وتفويض الأمر إليه، وحسن التوكل عليه، وهذه أمور يوفق إليها أهل الإيمان الذين عاشوا على التوحيد، ودعوا إليه.

٣-جاء في متن الحديث أن الله ﷻ يجيب عبده، ويصدقه، كلما قال عبارة من هذا الحديث: «**من قال لا إله إلا الله، والله أكبر، صدقه ربه فقال: لا إله إلا أنا، وأنا أكبر...**»[١].

٤- جاء في نهاية الحديث أن من قالها[٢] في مرضه ثم مات لم تطعمه النار، ومعنى تطعمه أي: تأكله والمراد أن الله ينجيه من دخولها ﴿**فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾[٣].

٥-من رحمة الله ﷻ بأهل الإيمان أن ما يعانونه حال النزع هو كفارة لذنوبهم؛ ولذا فقد قال ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ**»[٤]، قال الإمام السندي رحمه الله: «وإنما يكون ذلك العرق لما يعالج من شدة الموت، فقد تبقى عليه بقية من ذنوب، فيشدد عليه وقت المرض ليخلص عنها، وقيل: هو من الحياء، أي: أنه إذا جاءته البشرى مع ما كان اقترف من الذنوب حصل له بذلك خجل وحياء من الله ﷻ، فعرق لذلك جبينه، وقيل: يحتمل أن عرق الجبين علامة جعلت لموت المؤمن، وإن لم يعقل معناه»[٥].

---

(١) الترمذي، برقم ٣٤٣٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) أي هذه الكلمات دون الإجابات.

(٣) آل عمران: ١٨٥.

(٤) أحمد، ٣٨/ ٦٢، برقم ٢٢٩٦٤، والترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في التشديد عند الموت، برقم ٩٨٢، وقال: «حسن» والنسائي، كتاب الجنائز، باب علامة موت المؤمن، برقم ١٨٢٩، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في المؤمن يؤجر في النزع، برقم ١٤٥٢، وابن حبان، ٢٨١/٧، برقم ٣٠١١، والحاكم، ٥١٣/١، وقال: «صحيح على شرط الشيخين» وصححه محققو المسند، ٣٨، ١٥٤، والألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٦٦٥.

(٥) شرح سنن ابن ماجه، ٢/ ١٩٧.

٥٢ – تَلْقِينُ الْمُحْتَضَرِ

١٥٣-«مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[١].

الشـــرح:

أولا: لفظ الحديث:

٥٢٧-عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ[٢]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، هذا لفظ أبي داود[٣].

٥٢٨-ولفظ أحمد: عَنْ كثير بن مرة، قَالَ: قَالَ لَنَا مُعَاذٌ ﷺ فِي مَرَضِهِ: قَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا كُنْتُ أَكْتُمُكُمُوهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «من كان»: أي: من كان من أهل التكليف من الجن والإنس، قال النووي رحمه الله: «أَنْ يَكُونَ خُصُوصًا لِمَنْ كَانَ هَذَا آخِرَ نُطْقِهِ، وَخَاتِمَةَ لَفْظِهِ، وَإِنْ كَانَ قَبْلُ مُخَلِّطًا، فَيَكُونُ سَبَبًا لِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُ، وَنَجَاتِهِ رَأْسًا مِنَ النَّارِ، وَتَحْرِيمِهِ عَلَيْهَا، بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ آخِرَ كَلَامِهِ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ الْمُخَلِّطِينَ»[٥]، وقال الكشميري

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب التلقين، برقم ٣١١٦، وأحمد، ٣٦/ ٣٦٣، برقم ٢٢٠٣٤، والطبراني في الكبير، ٣٠٥/٢٠، برقم ٧٢٧، والحاكم، ٥٠٣/١، وقال: «صحيح الإسناد» والبيهقي، ٣٥٥/٦، وصححه محققو المسند، ٣٦/ ٣٦٣، والألباني في صحيح الجامع، ٤٣٢/٥.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٣١١٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٤٣٢/٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أحمد، ٣٦/ ٣٦٣، برقم ٢٢٠٣٤، وصححه محققو المسند، ٣٦/ ٣٦٣، والألباني في صحيح الجامع، ٤٣٢/٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ٢٢٠.

رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن هذه الكلمةَ كلمةُ إيمانٍ، وكلمةُ أَذكارٍ، فإذا قالها الكافرُ ليدخل بها في الإيمان، فهي كلمة إيمانٍ، وإذا ذَكَر بها المسلم فهي ذِكْرٌ كسائر الأذكار»(١).

٢-قوله: «آخر كلامه» أي: في الدنيا، وقبل موته أي: قبل خروج الروح، قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «من كان آخر كلامه عند خروجه من الدنيا»(٢).

٣-قوله: «لا إله إلا الله»: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: الذي ورد هو تلقين لا إله إلا الله فقط؛ لأن كلمة التوحيد مفتاح الإسلام، وما يأتي بعدها فهو من مكملاتها وفروعها(٣).

٤-قوله: «دَخَلَ الْجَنَّةَ»: قال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِنَّ الْمُحْتَضَرَ لَا يَكَادُ يَقُولُهَا إِلَّا بِإِخْلَاصٍ، وَتَوْبَةٍ، وَنَدَمٍ عَلَى مَا مَضَى، وَعَزْمٍ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مِثْلِهِ، وَرَجَّحَ هَذَا الْقَوْلَ الْخَطَّابِيُّ فِي مُصَنَّفٍ لَهُ مُفْرَدٍ فِي التَّوْحِيدِ، وَهُوَ حَسَنٌ»(٤).

٥-قوله: «وجبت»: أي: حقت، ولزمت له الجنة، فلا بد أن يدخلها، هكذا حكم الله عَزَّ وَجَلَّ، ووجب: قال في النهاية: «عن مالك: يقال وجب الشيء، يجب وجوباً، إذا ثبت، ولزم، ... ومن فعل كذا وكذا فقد أوجب، يقال: أوجب الرجل إذا فعل فعلاً وجبت له به الجنة، أو النار... ومنه حديث طلحة: «كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ موجبة، لم أسأله عنها، فقال عمر: أنا أعلم ما هي: لا إله إلا الله»(٥)، أي كلمة أوجبت لقائلها الجنة، وجمعها

---

(١) فيض الباري شرح البخاري الكشميري، ٤/ ٥٧.
(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٢/ ١١٤.
(٣)انظر: أحكام الجنائز، ص ٢٧٠ ، وانظر: عون المعبود، ٥/ ٢٥.
(٤) جامع العلوم والحكم، ١/ ٥٢٧.
(٥) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقوله عند الموت، برقم ١٠٩٣٩، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل لا إله إلا الله، برقم ٧٩٥، ومسند أحمد، ٣/ ٨، برقم ١٣٨٤، وصحح إسناده محققو المسند.

موجبات... ومنه الحديث: «**اللهم إني أسألك موجبات رحمتك**»(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد، والدعوة إليه، وتعليق النجاة والفلاح، واقتضاء السعادة في الآخرة به، ومعلوم أن الناس متفاضلون في تحقيقه، وحقيقته إخلاص الدين كله لله، والفناء في هذا التوحيد مقرون بالبقاء، وهو أن تثبت إلاهية الحق في قلبك، وتنفي إلاهية ما سواه، فتجمع بين النفي والإثبات، فتقول: لا إله إلا الله، فالنفي هو الفناء، والإثبات هو البقاء، وحقيقته أن تفنى بعبادته عما سواه، ومحبته عن محبة ما سواه، وبخشيته عن خشية ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، وبموالاته عن موالاة ما سواه، وبسؤاله عن سؤال ما سواه، وبالاستعاذه به عن الاستعاذة بما سواه، وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه، وبالتفويض إليه عن التفويض إلى ما سواه، وبالإنابة إليه عن الإنابة إلى ما سواه، وبالتحاكم إليه عن التحاكم إلى ما سواه، وبالتخاصم إليه عن التخاصم إلى ما سواه»(٢).

٢- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَالْإِلَهُ: الَّذِي يَأْلَهُهُ الْقَلْبُ عِبَادَةً لَهُ، وَاسْتِعَانَةً، وَرَجَاءً لَهُ، وَخَشْيَةً، وَإِجْلَالًا، وَإِكْرَامًا، وَمِنْ ذَلِكَ الِاقْتِصَادُ فِي السُّنَّةِ، وَاتِّبَاعُهَا كَمَا جَاءَتْ - بِلَا زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ - مِثْلُ الْكَلَامِ: فِي الْقُرْآنِ، وَسَائِرِ الصِّفَاتِ»(٣).

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ١٥١، مادة (وجب). والحديث: أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ٧/ ٢٧٨، وأبو نعيم في الحلية، ٢٦٦/١، وجوّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة، ١٣/ ٣١.

(٢) منهاج السنة النبوية، ٥/ ٢٤٤.

(٣) مجموع الفتاوى، ٣/ ٤٠٠.

٣-بيان فضل لا إله إلا الله، وأن من قالها مآله إلى الجنة، حتى وإن دخل النار ابتداءً ليطهر من ذنوبه، إن كان عنده كبائر منها، ومات ولم يتب، ولم يعفُ الله عنه، غير أنه لا يخلد في النار إن دخلها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يُبيِّنُ فضل هذه الكلمة (كلمة التوحيد): «وهذا التوحيد يتضمن إثبات صفات الكمال لله، ونفي النقص، ونفي مماثلته لشيء من الأشياء، وإثبات خصائصه بالمحبة والعبادة، والتعظيم ونحو ذلك، وإنما يتفاوت أهل العلم والإيمان بحسب تفاوتهم في تحقيق هذا التوحيد، كما قد بسط في موضعه والله أعلم»[١].

٤-ليس كل أحد يوفق إلى هذه الكلمة العظيمة قبل الموت، فمن عاش عليها مات عليها، والأحوال قبل الموت عجيبة لمن تأمل، وعقل، والمثال على ذلك فرعون عليه ما يستحق من الله؛ لما أراد أن يقولها لما عاين العذاب لم يوفق إليها.

٥-بين النبي ﷺ في هذه الكلمة أن التوحيد هو من موجبات الجنة، وأن من كان آخر كلماته هو هذا التوحيد، فإن الجنة قد أوجبها الله له، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَقَالَ النبي ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**»[٢]، وَقَالَ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ عِنْدَ الْمَوْتِ: إِلَّا وُجِدَ رُوحُهُ لَهَا رُوحًا، وَهِيَ رَأْسُ الدِّينِ**»[٣]، وَكَمَا قَالَ: «**أُمِرْت أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا قَالُوهَا: عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ**

(١) الصفدية، ٢/ ٣٤٠.

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، برقم ٢٦، وكل روايات الحديث التي اطلعت عليها بلفظ: «دخل» ولم أجد لفظ: «وجبت».

(٣) مسند أحمد، برقم ١٣٨٤، وصحح إسناده محققو المسند.

إلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»[١].

٦-مشروعية تلقين المحتضر هذه الكلمة لقول النبي ﷺ: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**»[٢]، والمراد قبل موته؛ ليختتم له بها، أما تلقينه إياها بعد دفنه فبدعة منكرة، وأنَّى له السماع والانتفاع، قال الله: ﴿**وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ**﴾[٣]، وقال: ﴿**لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا**﴾[٤]، أي: بالقرآن، وعلى هذا فلا ينفعه تلقين، ولا قراءة للقرآن على روحه، كما يفعله كثير من الناس، إنما ينفعه ما قاله رسول الله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[٥].

٧-**الناس حال الاحتضار على ثلاثة أقسام:**

أ - مسلم وفقه الله لقولها من غير تلقين.

ب - مسلم لم ينطق بها، فهذا يذكره بها أحد من عنده رافعًا بها صوته؛ ليسمعه، أو يلقِّنه أحب الناس إليه إذا لم ينطق بها.

جـ - كافر يؤمر بها، وينصح بقوة؛ فإن قالها فقد وقع المراد، وإن لم ينطق بها، فهو باقٍ على كفره، كما فعل الرسول ﷺ مع عمه أبي طالب[٦].

٨-شروط شهادة أن لا إله إلا الله التي لا ينتفع قائلها إلا باجتماعها فيه على النحو الآتي:

---

(١) مجموع الفتاوى، ٢/ ٢٥٦، والحديث أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة، برقم ٢٥، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، محمد رسول الله، برقم ٣٤، وانظر: مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية، ٤/ ٨٣.

(٢) مسلم، كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى: لا إله إلا الله، برقم ٩١٦.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

(٤) سورة يس، الآية: ٧٠.

(٥) مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم ١٦٣١.

(٦) انظر: البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، برقم ١٣٦٠.

الشرط الأول: العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا.

الشرط الثاني: استيقان القلب بها.

الشرط الثالث: الانقياد لها ظاهرًا، وباطنًا.

الشرط الرابع: القبول لها، فلا يرد شيئًا من لوازمها، ومقتضياتها.

الشرط الخامس: الإخلاص فيها.

الشرط السادس: الصدق من صميم القلب، لا باللسان فقط.

الشرط السابع: المحبة لها ولأهلها، والموالاة، والمعاداة لأهلها[١].

الشرط الثامن: الكفربما يعبد من دون الله ﷻ.

٩-من جملة فضائل «**لا إله إلا الله**»:

الفضيلة الأولى: أنها سبب للخروج من النار وعدم الخلود فيها لقوله ﷺ: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير**»[٢].

الفضيلة الثانية: أنها نجاة لقائلها من النار، إن قالها يريد بها وجه الله ﷻ لقول النبي ﷺ: «**إن الله حرم النار على من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»[٣].

الفضيلة الثالثة: أنها أعلى شعب الإيمان لقول النبي ﷺ: «**الإيمان بضعة وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[٤].

---

(١) انظر: سؤال رقم (١٩) في ٢٠٠ س، ج في العقيدة للحكمي.

(٢) البخاري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه، برقم ٤٤.

(٣) البخاري، كتاب الأطعمة، باب الخزيرة، برقم ٥٤٠١.

(٤) البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، برقم ٩، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، برقم ٣٥، واللفظ له.

الفضيلة الرابعة: أنها أفضل الذكر لقول النبي ﷺ: «**أفضل الذكر لا إله إلا الله**»(١).

الفضيلة الخامسة: أنها تصل إلى الله، وتخرق الحجب؛ لقول النبي ﷺ: «**ما قال عبد: لا إله إلا الله مخلصًا إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر**»(٢).

الفضيلة السادسة: أنها أثقل في الميزان من السموات والأرض؛ لقول النبي ﷺ: «**إن نوحًا قال لابنه عند موته: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة، رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات والأرض في حلقه مبهمة لقصمتهن لا إله إلا الله**»(٣).

الفضيلة السابعة: أنها ترجح صحائف، الذنوب وإن عظمت يوم القيامة؛ لقوله ﷺ في الحديث المعروف عند العلماء بحديث البطاقة، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ عليه تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فيقول: لا، يا رب، ثُمَّ يَقُولُ: أَلَكَ عذر، أَلِكَ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَيَقُولُ:**

---

(١) الترمذي، برقم ٣٣٨٣، وابن ماجه، برقم ٣٨٠٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ١/ ٣٦٢، وسيأتي تخريجه في حديث المتن رقم ٢٦٤.

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب دعاء أم سلمة، برقم ٣٥٩٠، والنسائي في الكبرى، برقم ١٠٩٦٦، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٦٤٨.

(٣) مسند أحمد، ١١/ ١٥٠، برقم ٦٥٨٣، وصححه محققو المسند، ١١/ ١٥١، والألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٣٤.

إِنَّـكَ لَا تُظْلَـمُ، فَتُوضَـعُ السِّـجِلَّاتُ فِـي كِفَّـةٍ وَالْبِطَاقَـةُ فِـي كِفَّـةٍ، فَطَاشَـتْ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ»(١).

١٠-قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في شرح هذا الحديث: «وَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِمَّا يُبَيِّنُ أَنَّ الْأَعْمَالَ تُوزَنُ بِمَوَازِينَ تَبَيَّنَ بِهَا رُجْحَانُ الْحَسَنَاتِ عَلَى السَّيِّئَاتِ وَبِالْعَكْسِ، فَهُوَ مَا بِهِ تَبَيَّنَ الْعَدْلُ، وَالْمَقْصُودُ بِالْوَزْنِ الْعَدْلُ كَمَوَازِينِ الدُّنْيَا، وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ تِلْكَ الْمَوَازِينِ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ كَيْفِيَّةِ سَائِرِ مَا أُخْبِرْنَا بِهِ مِنْ الْغَيْبِ»(٢).

***

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، برقم ٤٣٠٠، والترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، برقم ٢٦٣٩، وابن حبان، ١/ ٤٦١، برقم ٢٢٥، والحاكم، ١/ ٧١٠، وقال: «صحيح الإسناد» وصحح إسناده محقق ابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٨٠٩٥.

(٢) مجموع الفتاوى، ٤/ ٣٠٢.

٥٣ — دُعَاءُ مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ

١٥٤-«إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا»[1].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٢٩-عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ﵂[2]، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلاَّ أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**»، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ[3]، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا، وَأَنَا غَيُورٌ، فَقَالَ: «**أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ**»[4].

٥٣٠-وفي لفظ لمسلم: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: سَمِعْتُ

---

(١) مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، برقم ٩١٨، ومسند أحمد، ٢٦/ ٢٦٢، برقم ١٦٣٤٤، وحسنه محققو المسند، ٢٦/ ٢٦٣، والألباني في إرواء الغليل، ٦/ ٢٢٠.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٦٨ من أحاديث الشرح..

(٣) هو عبد الله بن عبد الأسد ﵁، وكانت أم سلمةتحته، وأمه برة بنت عبد المطلب بن هاشم، من السابقين الأولين إلى الإسلام، أسلم بعد عشرة أنفس، وكان أخا النبي ﷺ من الرضاعة، كان ممن هاجر بامرأته أم سلمة بنت أبي أمية الى أرض الحبشة، ثم شهد بدراً بعد أن هاجر الهجرتين، وجرح يوم أحد جرحاً اندمل، ثم انتقض فمات منه، وذلك لثلاث مضين لجمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة، وتزوج رسول الله ﷺ امرأته أم سلمة. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ٤/ ١٦٨٢، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ١٥٢.

(٤) مسلم، برقم ٩١٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ، وَزَادَ: قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: مَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ عَزَمَ اللَّهُ لِي، فَقُلْتُهَا، قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ[1].

٥٣١-ولفظ أحمد: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَقَالَتْ: أَتَانِي أَبُو سَلَمَةَ يَوْمًا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْلاً، فَسُرِرْتُ بِهِ، قَالَ: «**لاَ يُصِيبُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مُصِيبَةٌ، فَيَسْتَرْجِعَ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَاخْلُفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلاَّ فُعِلَ ذَلِكَ بِهِ**»، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَحَفِظْتُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ اسْتَرْجَعْتُ، وَقُلْتُ: اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَاخْلُفْنِي خَيْرًا مِنْهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي، قُلْتُ: مِنْ أَيْنَ لِي خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي، اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا أَدْبُغُ إِهَابًا لِي، فَغَسَلْتُ يَدَيَّ مِنَ الْقَرَظِ، وَأَذِنْتُ لَهُ، فَوَضَعْتُ لَهُ وِسَادَةَ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، فَقَعَدَ عَلَيْهَا، فَخَطَبَنِي إِلَى نَفْسِي، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ مَقَالَتِهِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بِي أَنْ لاَ تَكُونَ بِكَ الرَّغْبَةُ فِيَّ، وَلَكِنِّي امْرَأَةٌ فِيَّ غَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ، فَأَخَافُ أَنْ تَرَى مِنِّي شَيْئًا يُعَذِّبُنِي اللَّهُ بِهِ، وَأَنَا امْرَأَةٌ قَدْ دَخَلْتُ فِي السِّنِّ، وَأَنَا ذَاتُ عِيَالٍ، فَقَالَ: «**أَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْغَيْرَةِ فَسَوْفَ يُذْهِبُهَا اللَّهُ ﷻ مِنْكِ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ السِّنِّ، فَقَدْ أَصَابَنِي مِثْلُ الَّذِي أَصَابَكِ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْعِيَالِ، فَإِنَّمَا عِيَالُكِ عِيَالِي**»، قَالَتْ: فَقَدْ سَلَّمْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَقَدْ أَبْدَلَنِي اللَّهُ بِأَبِي سَلَمَةَ خَيْرًا مِنْهُ؛ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ[2].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**إنا لله**» أي: كلنا ملك له يتصرف فينا كيف يشاء، «أي: مملوكون لله،

---

(١) مسلم، برقم ٥-(٩١٨)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسند أحمد، ٢٦/ ٢٦٢، برقم ١٦٣٤٤، وحسنه محققو المسند، ٢٦/ ٢٦٣، والألباني في إرواء الغليل، ٦/ ٢٢٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

مدبرون تحت أمره، وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا، وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها، فقد تصرف أرحم الراحمين، بمماليكه، وأموالهم، فلا اعتراض عليه»[(١)].

٢-قوله: «**وإنا إليه راجعون**» أي: يوم القيامة ليجازي المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، أو يعفو، وقال القرطبي في المفهم: «**إنا لله وإنا إليه راجعون**»، كلمة اعتراف بالملك لمستحقّه، وتسليمٌ له فيما يُجريه في ملكه، وتهوينٌ للمصائب بتوقع ما هو أعظم منها، وبالثواب المرتّب عليها ، وتذكير للمرجع والمآل الذي حَكَم به ذو العزّة والجلال»[(٢)].

٣-قوله: «**اللَّهم أْجرني في مصيبتي**»: أي: لا تحرمني الأجر على صبري في هذه المصيبة، والذي هو توفيق منك، وفي النهاية: «جِرْني في مصيبتي، وأَخْلِفْ لي خيراً منها: آجَره يؤجِرُه، إذا أثابَه، وأعطاه الأجْرَ والجزاء، وكذلك أجَرَه يَأْجُره، والأمر منهما: آجِرْني وأجُرْني»[(٣)]، «ومعنى أجره الله: أعطاه أجره، وجزاء صبره، وهمه في مصيبته»[(٤)].

٤-قوله: «**أخلف لي خيرًا منها**» أي: عوِّضْني خيرًا مما فقدته، وأم سلمةما قالت: أي المسلمين خير من أبي سلمة شاكة في صدق الخبر بل قالته لمعرفة من هذا الرجل[(٥)]، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وأخلف لي: هو بقطع الهمزة، وكسر اللام، قال أهل اللغة: يقال لمن ذهب له مال، أو ولد، أو قريب، أو شيء يتوقع حصول مثله: أخلف الله عليك، أي: ردَّ عليك مثله، فإن ذهب ما لا يتوقع مثله، بأن ذهب والدٌ، أو عمٌّ، أو أخٌ لمن لا جدّ له، ولا والد له،

---

(١) انظر: تفسير السعدي، ص: ٧٥.
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ٤٨.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤١، مادة (أجر).
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٢٢٠.
(٥)انظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٦٥٨.

قيل: خلف الله عليك - بغير ألف - أي كان الله خليفة منه عليك»[١].

٥-قوله: «**تصيبه مصيبة**»: هي كل ما يتألم منه الجسد، والبدن، أو كلاهما: من فقد مال، أو أهل، أو ولد، أو حبيب، قال في النهاية: «يقال: مُصِيبة، ومَصُوبة، ومُصابة، والجمعُ مصايب، ومَصاوِب، وهو الأمر المكروه، ينْزِل بالإنسانِ، ويقال: أصابَ الإنسانُ من المال وغيره : أي أخَذَ وتَناول»[٢]، أي أي أخذت منه المصيبة ما يحب.

٦-قوله: «**ما أمره الله به**»، من قول: «إنا لله، وإنا إليه راجعون، اللهم أْجرني في مصيبتي هذه، وعوضني خيراً منها»[٣]، وقد يكون فيه إشارة إلى قوله ﷻ: ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾[٤].

٧- قوله: «**فأعقبني الله ﷻ محمداً** ﷺ»: أي: عوضني محمداً بدل أبي سلمة، وكل من خلف عن شيء فهو عاقبة، وعاقبة كل شيء آخره، وعقب فلان مكان أبيه عاقبة أي: خلفه»[٥].

٨-قوله: «**وَأَنَا غَيُورٌ**»: قال النووي رحمه الله: «وقولها: وأنا غيور، يقال امرأة غيرَى، وغيور، ورجل غيور، وغيران، قد جاء فعول في صفات المؤنث كثيراً، كقولهم: امرأة: عروس، وعروب، وضحوك لكثيرة الضحك، وعقبة كؤود، وأرض صعود وهبوط وحدود وأشباهها، قوله ﷺ وادعو الله أن يذهب بالغيرة -هي بفتح الغين- ويقال: أذهب الله الشيء، وذهب به، كقوله

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٢٢٠.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٥٧، مادة (صوب).
(٣) إتحاف السادة المتقين للزبيدي، ٩ / ٢٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.
(٥) شرح أبي داود للعيني، ٦/ ٣٤.

تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾[(١)]»[(٢)].

٩-قوله: «ثُمَّ عَزَمَ اللَّهُ لِي» قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقول أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «عزم الله لي»؛ أي: خلق فيّ قصدًا مؤكّدًا، وهو العزم؛ لا أنّ إرادة الله تسمّى عزمًا، لعدم الإذن في ذلك، والله أعلم»[(٣)].

١٠-قوله: «وَأَنَا أَدْبُغُ إِهَابًا لِي»: أي: كانت مشغولة بتطهير جلدٍ، عن طريق الدباغة، ... الدِّباغُ والدِّباغةُ والدِّبْغةُ، بِالْكَسْرِ: مَا يُدْبَغُ بِهِ الأَدِيمُ»[(٤)]، والإهاب: «وهو الجلد، وقيل إنما يقال للجلد إهاب قبل الدبغ، فأما بعده فلا»[(٥)].

١١-قوله: «ذات عيال»: أي: لها أولاد تعولهم، وتربيهم، و«أعْيَلَت: أي: صارت ذاتَ عِيال، ... يُقَال: أعالَ، وأعْوَل: إذا كَثُرَ عِيالُه»[(٦)].

١٢-قوله: «فَغَسَلْتُ يَدَيَّ مِنَ الْقَرَظِ»: أي: نظفت يديها من أثر الدباغ الذي كانت تقوم به من المادة النباتية التي تدبغ بها الجلد، وهو ورق شجر السلم، قال في النهاية: «القَرَظ: وهو وَرقَ السَّلَم»[(٧)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-فضيلة الاسترجاع وهي قول: «**إنا لله وإنا إليه راجعون**» عند وقوع المصيبة وفضيلة الصبر عند الصدمة الأولى؛ لأن البلاء من سنن الله في خلقه، وهذا يكون إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه، أو زوال مرغوب.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٢٢١.
(٣) المفهم ، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ٤٨.
(٤) لسان العرب، ٨ / ٤٢٤، مادة (دبغ).
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ١٩٨، مادة (أهب).
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٦٠٧، مادة (عول).
(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ٦٩، مادة (قرظ).

٢-قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا...**»، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ أَبْلَغِ عِلَاجِ الْمُصَابِ، وَأَنْفَعِهِ لَهُ فِي عَاجِلَتِهِ، وَآجِلَتِهِ، فَإِنَّهَا تَتَضَمَّنُ أَصْلَيْنِ عَظِيمَيْنِ إِذَا تَحَقَّقَ الْعَبْدُ بِمَعْرِفَتِهِمَا تَسَلَّى عَنْ مُصِيبَتِهِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْعَبْدَ، وَأَهْلَهُ، وَمَالَهُ مِلْكٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقِيقَةً، وَقَدْ جَعَلَهُ عِنْدَ الْعَبْدِ عَارِيَةً، فَإِذَا أَخَذَهُ مِنْهُ، فَهُوَ كَالْمُعِيرِ يَأْخُذُ مَتَاعَهُ مِنَ الْمُسْتَعِيرِ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ مَحْفُوفٌ بِعَدَمَيْنِ: عَدَمٍ قَبْلَهُ، وَعَدَمٍ بَعْدَهُ، وَمِلْكُ الْعَبْدِ لَهُ مُتْعَةٌ مُعَارَةٌ فِي زَمَنٍ يَسِيرٍ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ لَيْسَ الَّذِي أَوْجَدَهُ عَنْ عَدَمِهِ، حَتَّى يَكُونَ مِلْكُهُ حَقِيقَةً، وَلَا هُوَ الَّذِي يَحْفَظُهُ مِنَ الْآفَاتِ بَعْدَ وُجُودِهِ، وَلَا يُبْقِي عَلَيْهِ وُجُودَهُ، فَلَيْسَ لَهُ فِيهِ تَأْثِيرٌ، وَلَا مِلْكٌ حَقِيقِيٌّ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ مُتَصَرِّفٌ فِيهِ بِالْأَمْرِ تَصَرُّفَ الْعَبْدِ الْمَأْمُورِ الْمَنْهِيِّ، لَا تَصَرُّفَ الْمُلَّاكِ؛ وَلِهَذَا لَا يُبَاحُ لَهُ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ فِيهِ إِلَّا مَا وَافَقَ أَمْرَ مَالِكِهِ الْحَقِيقِيِّ.

وَالثَّانِي: أَنَّ مَصِيرَ الْعَبْدِ، وَمَرْجِعَهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُ الْحَقِّ، وَلَا بُدَّ أَنْ يُخَلِّفَ الدُّنْيَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَيَجِيءَ رَبَّهُ فَرْدًا كَمَا خَلَقَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ: بِلَا أَهْلٍ، وَلَا مَالٍ، وَلَا عَشِيرَةٍ، وَلَكِنْ بِالْحَسَنَاتِ، وَالسَّيِّئَاتِ، فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ بِدَايَةَ الْعَبْدِ، وَمَا خُوِّلَهُ وَنِهَايَتَهُ، فَكَيْفَ يَفْرَحُ بِمَوْجُودٍ أَوْ يَأْسَى عَلَى مَفْقُودٍ، فَفِكْرُهُ فِي مَبْدَئِهِ، وَمَعَادِهِ مِنْ أَعْظَمِ عِلَاجِ هَذَا الدَّاءِ، وَمِنْ عِلَاجِهِ أَنْ يَعْلَمَ عِلْمَ الْيَقِينِ، أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾(١).

٣-وَمِنْ عِلَاجِهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا أُصِيبَ بِهِ، فَيَجِدُ رَبَّهُ قَدْ أَبْقَى عَلَيْهِ مِثْلَهُ، أَوْ

(١) سورة الحديد، الآيتان: ٢٢- ٢٣.

أَفْضَلَ مِنْهُ، وَادَّخَرَ لَهُ - إِنْ صَبَرَ وَرَضِيَ - مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ فَوَاتِ تِلْكَ الْمُصِيبَةِ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ، وَأَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهَا أَعْظَمَ مِمَّا هِيَ.

٤-وَمِنْ عِلَاجِهِ أَنْ يُطْفِئَ نَارَ مُصِيبَتِهِ بِبَرْدِ التَّأَسِّي بِأَهْلِ الْمَصَائِبِ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُ فِي كُلِّ وَادٍ بَنُو سَعْدٍ، وَلْيَنْظُرْ يَمْنَةً فَهَلْ يَرَى إِلَّا مِحْنَةً؟ ثُمَّ لِيَعْطِفْ يَسْرَةً فَهَلْ يَرَى إِلَّا حَسْرَةً؟ وَأَنَّهُ لَوْ فَتَّشَ الْعَالَمَ لَمْ يَرَ فِيهِمْ إِلَّا مُبْتَلًى، إِمَّا بِفَوَاتِ مَحْبُوبٍ، أَوْ حُصُولِ مَكْرُوهٍ، وَأَنَّ شُرُورَ الدُّنْيَا أَحْلَامُ نَوْمٍ، أَوْ كَظِلٍّ زَائِلٍ، إِنْ أَضْحَكَتْ قَلِيلًا أَبْكَتْ كَثِيرًا، وَإِنْ سَرَّتْ يَوْمًا، سَاءَتْ دَهْرًا، وَإِنْ مَتَّعَتْ قَلِيلًا، مَنَعَتْ طَوِيلًا، وَمَا مَلَأَتْ دَارًا خِيرَةً إِلَّا مَلَأَتْهَا عَبْرَةً، وَلَا سَرَّتْهُ بِيَوْمِ سُرُورٍ إِلَّا خَبَّأَتْ لَهُ يَوْمَ شُرُورٍ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «لِكُلِّ فَرْحَةٍ تَرْحَةٌ، وَمَا مُلِئَ بَيْتٌ فَرَحًا إِلَّا مُلِئَ تَرَحًا»[١]، وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: «مَا كَانَ ضَحِكٌ قَطُّ إِلَّا كَانَ مِنْ بَعْدِهِ بُكَاءٌ[٢]»[٣].

٥-قال العلامة السعدي في تفسير: إنا لله وإنا إليه راجعون: «أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره، وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا، وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها، فقد تصرف أرحم الراحمين، بمماليكه، وأموالهم، فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد، علمه بأن وقوع البلية من المالك الحكيم، الذي أرحم بعبده من نفسه، فيوجب له ذلك الرضا عن الله، والشكر له على تدبيره؛ لما هو خير لعبده، وإن لم يشعر بذلك، ومع أننا مملوكون لله، فإنا إليه راجعون يوم المعاد، فمجاز كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفوراً عنده، وإن جزعنا وسخطنا، لم يكن حظنا إلا السخط، وفوات الأجر، فكون العبد لله، وراجع إليه، من

---

(١) الاعتبار لابن أبي الدنيا، ص ٢٩، وقال في كشف الخفاء، ٢/ ١٤٧: «رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الاعتبار عن ابن مسعود موقوفاً».

(٢) الاعتبار لابن أبي الدنيا، ص ٣٠.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤/ ١٧٣.

أقوى أسباب الصبر»[١].

٦-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «يسن للإنسان إذا أصيب بمصيبة أن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، يعني نحن ملك لله، يفعل بنا ما يشاء، كذلك ما نحبه إذا أخذه من بين أيدينا فهو له عز وجل حتى الذي يعطيك، أنت لا تملكه، هو لله؛ ولهذا لا يمكن أن تتصرف فيما أعطاك الله إلا على الوجه الذي أذن لك فيه، وهذا دليل على أن ملكنا لما يعطينا الله ملك قاصر، ما نتصرف فيه تصرفاً مطلقاً .

لو أراد الإنسان أن يتصرف في ماله تصرفاً مطلقا على وجه لم يأذن به الشرع، قلنا: له أمسك لا يمكن؛ لأن المال مال الله كما قال سبحانه: ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾[٢]، فلا تتصرف فيه إلا على الوجه الذي أذن لك فيه»[٣].

٧-المؤمن الصادق يرضى بقضاء الله وقدره، ولا يعترض عليه؛ لأن هذا ما وقع إلا بتقدير الرحيم الحكيم، فمن صبر فله الرضا، ومن فعل غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه.

٨-قائل هذا الاسترجاع حري به أن يفهم معناه، وقد قال الله مادحًا أهل الصبر على المصائب: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[٤]، قال سعيد بن جبير رحمه الله: لم يكن الاسترجاع إلا لهذه الأمة، ألا ترى أن يعقوب عليه السلام قال: ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾[٥]، فلو كان لهم الاسترجاع لقال ذلك[٦].

٩-من أيقن أنه إلى الله راجع، علم أنه موقوف بين يديه، ومن علم أنه موقوف، علم

---

(١) تفسير السعدي، ص: ٧٥.
(٢) سورة النور، الآية: ٣٣.
(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٢٩.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٧.
(٥) سورة يوسف، الآية: ٨٤.
(٦) العلم الهيب، ص ٣٧٧.

أنه مسؤول، فعلى العاقل أن يعد للسؤال جوابًا، وللجواب صوابًا.

١٠- الناس عند وقوع المصائب على درجات[١]:

الدرجة الأولى: الشاكر: وذلك بالنظر إلى من أصيب بأكثر من مصيبته، وعلمه أنها مكفرة للسيئات؛ لأن أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل.

الدرجة الثانية: الراضي: وهو الذي لا يكون في قلبه حسرة، أو ندم على وقوعها؛ لعلمه أن كل من عند الله.

الدرجة الثالثة: الصابر: وهو الذي يتحمل المصيبة، ويحبس نفسه عن فعل المحرم.

الدرجة الرابعة: الجازع: وهو الذي يفعل المحرم عند وقوع المصيبة: من لطم خد، أو شق ثوب، أو دعا بدعوة جاهلية، وهذا قد نهى عنه الرسول ﷺ[٢].

١١- في الحديث دليل على قوة إيمان أم سلمة رضي الله عنها، وأنها قالت هذا الدعاء موقنة بصدق قائله، فأكرمها الله بأن صارت زوجة لقائله، ورفع الله ذكرها في العالمين، وصارت أمًّا للمؤمنين.

١٢- قوله: «**في نفسها من خير من أبي سلمة**»: فهي مؤمنة بأن الله سيخلف لها خيراً منه؛ لكن تقول من خير من أبي سلمة؟ فما أن انتهت عدتها من وفاة زوجها حتى خطبها النبي ﷺ، فكان النبي ﷺ خيراً لها من أبي سلمة بلا شك، ثم إن الله استجاب دعوة الرسول ﷺ؛ لما قال في أبي سلمة: «**اخلفه في عقبه**»[٣] خلفه الله في عقبه، وجعل خليفة أبيهم رسول الله ﷺ، وهو نعم الخليفة خلف أبا سلمة في أهله، وفي أولاده، وكان منهم عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه[٤].

---

(١) أحكام الجنائز لابن عثيمين، ص ٣٦٧.
(٢) البخاري، برقم ١٢٩٢.
(٣) مسلم، برقم ٩٢٠، ويأتي تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ١٥٥.
(٤) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ص: ٨٢٤.

٥٤ - الدُّعَاءُ عِنْدَ إغْمَاضِ المَيِّتِ

١٥٥-«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِفُلاَنٍ (بِاسْمِهِ) وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٣٢-عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها[٢] قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ، وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ**»، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «**لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ بِخَيْرٍ؛ فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ**»[٣].

٥٣٣-وفي لفظ آخر لمسلم: «**وَاخْلُفْهُ فِي تَرِكَتِهِ**»، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَوْسِعْ لَهُ فِي قَبْرِهِ**»، وَلَمْ يَقُلِ: «**افْسَحْ لَهُ**»، وَزَادَ: قَالَ خَالِدٌ الْحَذَّاءُ: وَدَعْوَةٌ أُخْرَى سَابِعَةٌ نَسِيتُهَا[٤].

٥٣٤-ولفظ أحمد: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ، وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ**»، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ**

(١) مسلم، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر، برقم ٩٢٠.
(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٦٨ من أحاديث الشرح.
(٣) مسلم، برقم ٩٢٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) مسلم، برقم ٨- (٩٢٠)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللهُمَّ افْسَحْ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ»[1].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللهم**»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «لا خلاف أن لفظة: «اللهمّ» معناها يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب، فلا يقال اللَّهمَّ غفور رحيم، بل يقال: اللّهمّ اغفر لي وارحمني»[2].

٢-قوله: «**اغفر لفلان باسمه**»: قال ابن منظور: «الغَفُورُ الغَفّارُ... وَمَعْنَاهُمَا: السَّاتِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ... غَفَرَه يَغْفِرُه غَفراً: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْته؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي: سَتَرَهَا»[3]، وقوله: «**لفلان**»: قال ابن منظور رحمه الله: «فُلانٌ وفُلانَةُ: كِنَايَةٌ عَنْ أَسماء الْآدَمِيِّينَ»[4].

٣-قوله: «**وارفع درجته**»: قال ابن علان رحمه الله: «**المراد واجعل له درجة عليَّة عندك**»[5].

٤- قوله:«**المهديين**»: أي: الذين هداهم الله للإيمان به، وتوحيده، واتّباع رسله، وأصل الهدى أن تقود إلى النجاة والفلاح، قال في النهاية: المهدي الذي قد هداه الله إلى الحق، وقد استعمل في الأسماء، حتى صار كالأسماء الغالبة، وبه سمي المهدي الذي بشر به رسول الله ﷺ أنه يجيء في آخر

---

(١) مسند أحمد، ٤٤/ ١٦٥، برقم ٢٦٥٤٣، وابن حبان، ١٥/ ٥١٥، برقم ٧٠٤١، وصححه محققو المسند، ٤٤/ ١٦٥، والألباني في التعليقات الحسان، برقم ٧٠٠١.

(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في شرح المفردة، رقم ٦.

(٣) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من حديث المتن رقم ٢.

(٤) لسان العرب، ١٣/ ٣٢٤، مادة (فلن).

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢١٦.

الزمان، ويريد بالخلفاء المهديين: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً ﷺ، وإن كان عاماً في كل من سار سيرتهم[١].

٥-قوله: «**واخلفه في عقبه**» أي: أجزل لأهله، وذريته العطاء، والعوض، والخلف أن يعقب المتأخر المتقدم، قال في النهاية: «الخلف بالتحريك، والسكون: كل من يجيء بعد من مضى»[٢]، وقال أيضاً: «يقال خَلَفَ الله لك خلفاً بخير، وأَخْلف عليك خيراً: أي: أَبْدَلك بما ذَهَب منك، وعَوَّضك عنه، وقيل: إذا ذَهب للرَّجل ما يَخْلُفه، مثل: المال، والولد، قيل: أَخْلف الله لك، وعَلَيْك، وإذا ذَهَبَ له ما لا يَخْلفه غالباً، كالأب، والأمّ قيل: خَلف الله عليك، وقد يقال: خَلَفَ الله عليك، إذا مات لك ميِّت: أي: كان الله خَلِيفَة عليك، وأَخْلَف الله عَلَيْك: أي: أَبْدَلك»[٣]. وقال القرطبي: «أي: كن الخليفة على من يتركه من عقبه، ويبقى بعده»[٤].

٦-قوله: «**الغابرين**» أي: الباقين، قال الله ﷻ: ﴿**إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ**﴾[٥]، والغابر تأتي بمعنى الباقي، أو بمعنى الماضي الذي ذهب، قال في النهاية: «يحتمل الغابر هاهنا الوجهين: يعني الماضي، والباقي؛ فإنه من الأضداد، قال: والمعروف الكثير أن الغابر الباقي، وقال غير واحد من الأئمة: إنه يكون بمعنى الماضي»[٦].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٢٥٣، مادة (هدي).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٦٤، مادة (خلف).
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٦٤، مادة (خلف).
(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ٥٠.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٨٣.
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٣٣٦، مادة (غبر).

٧-قوله: «**واغفر لنا وله**»: قال ابن علان رحمه الله: «هذا من باب الخضوع لمقام الربوبية»[(١)]، وقال القاري رحمه الله: «واغفر لنا يصح أنها لتعظيم نفسه الشريفة، وله ولغيره من الصحابة أو الأمة، وله أي: أبي سلمة خصوصاً، وكرر ذكره تأكيداً»[(٢)].

٨-قوله: «**يا ربّ العالمين**»: قال ابن علان رحمه الله: «مناسبة ختم الدعاء به واضحة؛ إذ من كان موجداً للعالم، مالكاً أمورهم، مصلحاً شؤونهم، هو الذي يطلب منه ذلك، والعالَمين - بفتح اللام - اسم جميع عالم، لا جمعه ... والجمع لا يكون أخص من مفرده، وقيل جمعه مراداً به العموم للعقلاء، وغيرهم، وغلب العقلاء لشرفهم»[(٣)].

٩-قوله: «**افسح له في قبره**» أي: وسعه ونعمه فيه، قال ابن عثيمين رحمه الله: «وافسح له في قبره، أي: وسع له في قبره»[(٤)].

١٠-قوله: «**ونوِّر له فيه**»: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «ونور له فيه؛ لأن القبر ظلمة، إلا من نوّره الله عليه، نوّر الله قبورنا»[(٥)].

١١-قوله: «**شق بصره**»: أي: رفعه، قال الإمام النووي: «قولها: «شَقَّ بصرُه»، هو بفتح الشين، وبصرُه برفع الراء فاعل شقّ، هكذا الرواية فيه باتفاق الحفاظ وأهل الضبط، قال صاحب الأفعال: يُقال شقّ بصرُ الميت»[(٦)]، وقال أيضاً: شقّ الميتُ بصرَه: إذا شخص أي: شخص بصره،

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢١٦.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٥/ ٣٣٤.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢١٦.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٧٤١.

(٥) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٧٤١.

(٦) الأذكار النووية للإمام النووي، ص ١٩٥.

يقال: شق بصر الميت، ولا يقال: شق الميت بصره، والمعنى: أنه ينظر إلى الشيء، لا يرتد إليه طرفه»[١]، وذلك بعد معاينة ملك الموت.

يعني أن الإنسان إذا حضره الموت؛ فإن الميت في الغالب يشخص بصره، ينفتح باتساع يشاهد الروح إذا خرجت من البدن؛ لأن الروح إذا خرجت من البدن لها جسم، لكنه جسم لا يراه الناس، لا يراه إلا الميت والملائكة فقط، وتأخذها... وقد شق بصره يعني اتسع وانفتح، فعرف النبي ﷺ أنه مات[٢].

١٢-قوله: «**فأغمضه**»: دليل على استحباب إغماض الميت، وأجمع المسلمون على ذلك، والحكمة فيه أن لا يقبح بمنظره لو ترك إغماضه[٣].

قال القرطبي: «وإغماض الميت: شدّ أجفانه بعد موته، وهو سنّة عَمِل بها المسلمون كافّةً ، ومقصوده: تحسين وجه الميت، وسترُ تغيُّرِ بصره»[٤].

١٣-قوله: «**فضج**» أي: ارتفعت أصواتهم حزنًا على وفاة أبي سلمة، قال في النهاية: «الضجيج: الصياح عند المكروه، والمشقة، والجزع[٥].

١٤-قوله: «**إن الروح إذا قُبض تبعه البصرُ**»، وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال: «**فذلك حين يتبع بصرُه نفْسَه**»، يدلّ على أن الروح والنفس عبارتان عن معنى واحد، وهو الذي يُقبض بالموت ، والله أعلم، وفيهما ما يدلّ على أن الموت ليس عدمًا، ولا إعدامًا، وإنما هو انقطاعُ تعلُّقِ الروحِ بالبدن، ومفارقتُه، وحيلولةٌ بينهما، ثم إنّ البدن يبلى، ويفنى، إلا عَجْب الذنب الذي منه بُدئ خلقُ الإنسان، ومنه يركب الخلق يوم

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٤٦٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩١٩.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٤٦٢.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ٥٠.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٧٤، مادة (ضجج).

القيامة»[١]. وقال الصنعاني: «البصر يتبع الروح أي ينظر أين يذهب»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-فإن الملائكة يؤمّنون على ما تقولون، ثم قال: اللّهمّ اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، وافسح له في قبره، ونوّر له فيه، واخلفه في عقبه في الغابرين، دعوات خمس تزن الدنيا وما عليها: اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، وافسح له في قبره، ونوّر له فيه، واخلفه في عقبه. إحدى هذه الدعوات عرفناها، والباقي إن شاء الله مجاب، الذي عرفناه أن النبي ﷺ خلف أبا سلمة في عقبه، فكان زوج امرأته، وكان مربِّي أولاده، يعني عاشوا في حجر الرسول ﷺ، والمهم أن على المرء أن يصبر عند المصائب أين كانت، ويسترجع، ويقول: اللهم أْجرني في مصيبتي، واخلفني خيراً منها، ولا بأس أن يبكي البكاء الطبيعي الذي ليس فيه نَوْح؛ فإن هذا حصل من خير البشر محمد ﷺ والله الموفق»[٣].

٢-استحباب تغميض الميت بعد التحقق من الموت، وليس قبل ذلك، ويُلحق بهذا توجيه وجهه للقبلة عند الاحتضار؛ لقوله ﷺ: «**البيت الحرام قبلتكم أحياءً وأمواتًا**»[٤]، ويستحب أيضًا ربط لحييه مخافة دخول الهوام في بطنه قبل الدفن، وبعده، وكذلك تليين مفاصله برفق حتى يسهل تغسيله[٥].

٣-الروح إذا خرجت؛ فإن البصر يتبعها إلى أين تذهب، وهي عبارة عن أجسام

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ٥٠.

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام، ١/ ٢٣٨.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٦٥٨.

(٤) أبو داود، كتاب الوصايا، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم، برقم ٢٨٧٥، والحاكم، ١/ ٥٩، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٤٩٩.

(٥) أحكام الجنائز لابن عثيمين، ص ٢٧٤، ٢٧٥، وقال رحمه الله: «أما ربط لحييه، وتليين مفاصله، فلم يرد فيهما دليل أثري، إنما دليل نظري».

لطيفة متخللة في البدن، وتذهب الحياة من الجسد بذهابها[١].

٤-النهي عن الضجيج والنياحة حال الموت، وبعده، ووجوب التسليم، والرضا بقدر الله، تقول أم سلمة رضي الله عنها: لما مات أبو سلمة رضي الله عنه قلت: غريب، وفي أرض غربة، لأبكينّه بكاءً يتحدث عنه، فكنت قد تهيأت للبكاء عليه، إذ أقبلت امرأة من الصعيد – أي: عوالي المدينة – تريد أن تساعدني في البكاء، فاستقبلها رسول الله ﷺ فقال: «**أتريدين أن تدخلي الشيطان بيتًا أخرجه الله منه**» مرتين؟ تقول أم سلمة: فكففت عن البكاء فلم أبكِ[٢].

٥-من دعا بهذا الدعاء موقنا بما أخبر به النبي ﷺ يعوضه الله عن مصيبته، ويفتح له أبواباً أفضل مما فقد، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «قالت اللهم آجرني في مصيبتي واخلفني خيراً منها وتقول في نفسها: من خير من أبي سلمة؟ أبو سلمة زوجها، يحبها وتحبه، من يكون خيراً من أبي سلمة؟ هي ما شكّت في الخبر، هي توقن أنه صِدْقٌ؛ لكن تقول: من يكون هذا؟ فما إن انتهت عدتها، حتى خطبها النبي ﷺ، فكان خيراً من أبي سلمة، فأخلف الله لها خيراً من مصيبتها، وصار النبي ﷺ هو الذي يربي أولادها: أولادها صاروا تحت الرسول ﷺ»[٣].

٦-استحباب الدعاء للميت بما ينفعه في القبر، ويوم القيامة، والدعاء لأهله بأن يخلف الله عليهم، وأن الملائكة تؤمّن على ذلك، فلا يقول أهله إلا خيرًا، ويفهم من الحديث كذلك إثبات نعيم القبر وعذابه[٤].

٧- الروح: تخرج من بدن الإنسان، ويبقى لها إدراك، قال العلامة ابن

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٢٢٣.

(٢) مسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، برقم ٩٢٢.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٦٥٨.

(٤) سبق بحثه في الحديث رقم ٥٥ من أحاديث المتن، وما بعده.

عثيمين رحمه الله: والذي ترشد إليه الآثار الدينية أنها تخرج من بدن الإنسان، فيكون الموت، وأنها تبقى ذات إدراك: تسمع السلام عليها، وتعرف من يزور قبر صاحبها، وتدرك لذة النعيم، وألم الجحيم، وأن مقرها يختلف بعد مفارقة البدن بتفاوت درجاتها عند الله، ولا مانع للبحث عن حقيقتها، أما من استدل بقول الله ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[(١)]، فقد رجح بعض العلماء أن المراد منها هو القرآن نفسه، وقد سماه الله روحًا ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾[(٢)]، وسابق الآية ولاحقها يرشد إلى صحة هذا الرأي، أما تحضير الأرواح، وتسخيرها فهو خداع، وإلهاء[(٣)].

٨-كلمة «الروح» لها عدة معانٍ في الكتاب العزيز:

المعنى الأول: القرآن: لقوله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾[(٤)].

المعنى الثاني: مادة الحياة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[(٥)].

المعنى الثالث: جبريل عليه السلام لقوله ﷻ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾[(٦)].

المعنى الرابع: الرحمة والنصر: لقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾[(٧)].

المعنى الخامس: الوحي: لقوله ﷻ: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[(٨)][(٩)].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٥٢.
(٣)انظر: أحكام الجنائز، لابن عثيمين، ص ١٢، ١٣.
(٤) سورة الشورى، الآية: ٥٢.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.
(٦) سورة الشعراء، الآية: ١٩٣.
(٧) سورة يوسف، الآية: ٨٧.
(٨) سورة النحل، الآية: ٢.
(٩) انظر هذه المعاني في شرح رياض الصالحين للعلامة ابن عثيمين رحمه الله، شرح الحديث رقم ٣٩٦، =

٩-السخط لا يغير مما قضى الله شيئاً، فـ«المؤمن: مؤمن القلب بالله، مؤمن بقضاء الله، يعلم أنه لا يمكن أن تتغير الحال عما كان، وأن هذا أمر قضي وانتهى، كتب قبل أن تخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، جفت الأقلام، وطويت الصحف، لا يمكن أن تتغير الحال عما كان، مهما كان، إذاً ما الفائدة من الجزع؟ ما الفائدة من السخط؟ ما هو إلا أمر، أو وحي من الشيطان ليحرمك الأجر من جهةٍ؛ وليعذب به الميت من جهةٍ أخرى، فعليك يا أخي أن تتقي الله ﷻ، وأن تصبر، وتحتسب، وأن تقول كما أثنى الله على من يقوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[1] من هم؟ ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[2]، هكذا يجب على الإنسان أن يصبر، ويحتسب الأجر، ويعلم أن الحزن، والبكاء، بالنياحة لا يغني شيئاً، انتهى كل شيء، لو أن أحداً سافر، وأصيب بحادث، هل يقول: لو أني ما سافرت كنت سلمت، هل يسلم من الحادث؟ لا،؟لا يمكن، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾[3]، قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[4]، لا فرار من الموت إذاً عليك أن تصبر وتحتسب وأن تقول: إنا لله، وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلفني خيراً منها، يؤجرك الله في مصيبتك، ويخلف عليك خيراً منها»[5].

=

ومجموع الفتاوى له، ٤/ ١٠٥ وما بعدها.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٨.

(٥) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث ١٦٥٨.

١٠-ينبغي على من يقوم بالغسل، والتكفين أن يحسن ذلك الأمر؛ لقوله ﷺ: **«إذا وَلِيَ أحدُكم أخاه، فَلْيُحْسِنْ كفنَه؛ فإنهم يبعثون في أكفانِهم، ويتزاورون في أكفانِهم»**[1].

١١-الواجب على الإنسان أن يتصبر ويحتسب الأجر عند الله ويعلم أن عظم الثواب من عظم المصاب وأنه كلما عظمت المصيبة كثر الثواب[2].

***

---

(١) أخرجه الخطيب، ٩/٨٠، والعقيلي، ٢/٥٥، ترجمة رقم ٤٩٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٨٤٥، وفي لفظ آخر: «إذا وَلِيَ الرجل كَفَنَ أخيه فَلْيُحْسِنْ كفنَه، فإنهم يتزاورون فيها» أخرجه محمد بن المسيب الأرغيانى كما في التدوين للرافعي، ٣/ ٦٩، والبيهقي في شعب الإيمان، ٧/ ١٠، برقم ٩٢٦٨. قال العيني في عمدة القاري، ٨/ ٢٢٠: «مسلم، برقم ٩٤٣ عنه جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه»» ورواه الترمذي أيضاً، ولفظه: «إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه»» برقم ٩٩٥، وفي رواية الحارث بن أسامة وأحمد بن منيع: «إذا ولي أحدكم أخاه، فليحسن كفنه؛ فإنهم يبعثون في أكفانهم، ويتزاورون في أكفانهم»» ورواية الترمذي في ابن ماجه، برقم ١٤٧٤، وصحيح بن حبان، ٧/ ٣٠٦، برقم ٣٠٣٤، وقوّى إسناده محقق ابن حبان، والنسائي، برقم ١٨٩٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٨٤٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٦٥٨.

٥٥ - الدُّعَاءُ لِلمَيِّتِ فِي الصَّلاةِ عَلَيْهِ

١٥٦-(١)«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ، وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَاراً خَيْراً مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلاً خَيْراً مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجاً خَيْراً مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٣٥-عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه(٢)، قالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ، وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ، وَالثَّلْجِ، وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلاً خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ»، قَالَ: حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «اللَّهم اغفر له»: المغفرة هي محو الذنوب، وسترها، وبها تحصل النجاة من المرهوب، وهو دخول النار، وأصل الغفر هو التغطية والستر، وهو هنا

---

(١) مسلم، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة، برقم ٩٦٣.
(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٤٢ من أحاديث الشرح.
(٣) مسلم، ٩٦٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

تغطية ذنوبه، وسترها، قال في النهاية: «في أسماء الله تعالى: «الغَفَّار، والغَفُور»، وهما من أبنِية المُبالَغة ومعْناهما: السَّاترِ لذُنوبِ عِبَاده، وعُيوبهم، المُتَجاوِز عَن خَطَاياهُم، وذنوبهم، وأصل الغَفْر: التَّغْطِية، يقال: غَفَر الله لك غَفْراً، وغُفْراناً، ومَغْفِرَةً، والمَغْفِرَة: إلْبَاس الله تعالى العَفْوَ للمُذْنِبين»(١).

٢-قوله: «**وارحمه**»: الرحمة أعلى من المغفرة؛ لأن بها يحصل المطلوب، وهو الجنة، وهذا دعاء للميت بأن يسبغ الله عليه شآبيب الرحمة، التي هي صفة من صفاته ﷻ، قال في النهاية: «رحم: في أسماء الله تعالى: «الرحمن، الرحيم»، وهما اسْمانِ مُشْتَقَّانِ من الرَّحْمة، مثْل: نَدْمَان، ونَدِيم، وهُما من أبْنِية المبالغة، ورَحْمَان أبْلَغ من رَحيم، والرَّحمان خاصٌ لله، لا يُسمَّى به غيره، ولا يُوصَف، والرَّحيمُ يُوصفُ به غيرُ الله تعالى، فيقال: رجلٌ رحيمٌ، ولا يقال رَحْمان... الرُّحمُ بالضم: الرَّحمة، يقال: رَحِم رُحْمًا، ...ومكة: هي أمُّ رُحْم، أي: أصلُ الرَّحمة»(٢).

٣-قوله: «**وعافه**» أي: مما قد يقع له من شدة سؤال الملكين، ومن عذاب القبر، فسؤال العبد لربه أن يعافيه، أي: أن يبعد عنه كل مكروه، وأن يسقط عنه ذنوبه وخطاياه، «العافية: دِفاع الله تعالى عن العبد، تقول عافاه اللهُ تعالى من مكروهٍ، وهو يعافيه معافاةً، وأعفاه الله بمعنى عافاه»(٣).

٤-قوله: «**واعف عنه**» أي: بالتجاوز عما وقع منه من تقصير في جنبك. وأصل العفو التجاوز، والتسامح، والمسح، والطمس، ففي النهاية: «عفا: في أسماء الله تعالى: «العَفُوُّ»، هو فَعُول من العَفْو، وهو التَّجاوزُ عن الذَّنْب، وتركُ العِقَاب عليه، وأصلُه المَحْوُ، والطَّمْسُ، وهو من أبْنِيةِ المُبَالغة، يقال: عفا، يَعْفُو عَفْواً،

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ٣٧٣، مادة (غفر).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٢٠٩، مادة (رحم).
(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٤ / ٥٧، مادة (عفو).

فهو عافٍ، وعَفُوٌّ، ... ومنه قولُهم: عفَتِ الريحُ الأثَر: إذا طَمَسَته وَمَحَتْه»[١].

٥-قوله: «**وأكرم نزله**»: النزل هو ما يقدم للضيف وإنما سماه نزلًا؛ لأن الراحل عن الدنيا قادم على دار جديدة، فالنزل هو تجهيز المكان، والإكرام للضيف، قال ابن الأثير: «نزله: النزل: ما يعد للضيف من طعام وشراب ونحوه»[٢].

٦-قوله: «**ووسع مدخله**» أي: أفسح له في قبره مد البصر، وافتح له بابًا إلى الجنة قال القرطبي: ووَسِّعْ مُدْخَله: أي: قبره، ومنزله في الجنَّة»[٣].

٧-قوله: «**واغسله**» أي: من آثار الذنوب، والمعاصي، والتفريط الذي وقع منه حال حياته، والغسل التنقية والتطهير من الأدران، والأوساخ، والأقذار المادية والمعنوية، «غسل: الغين، والسين، واللام: أصلٌ صحيح يدلُّ على تطهيرِ الشّيء، وتنقِيَته، يقال: غَسَلتُ الشَّيءَ غَسْلاً، والغُسْل الاسم، والغَسُول: ما يُغْسَل به الرَّأس من خِطْميٍّ أو غيره»[٤].

٨-قوله: «**بالماء، والثلج، والبرد**»: «تخصيص الثلج والبرد تأكيد للتطهير، ومبالغة فيه؛ لأن الثلج والبرد ماءان مفطوران على خلقتهما، لم يستعملا، ولم تنلهما الأيدي، ولم تخضهما الأرجل، كسائر المياه التي قد خالطت تربة الأرض، وجرت في الأنهار، واستقرت في الحياض، ونحوها، فكانا أحق بكمال الطهارة، وكذلك هذا المعنى في قوله»[٥].

٩-قوله: «**ونقه من الخطايا**»: قال ابن منظور رحمه الله: «نقا: النُّقَاوَةُ: أَفضلُ مَا انتَقَيْتَ مِنَ الشَّيْءِ، ... فَهُوَ نَقِيٌّ أَي نَظِيفٌ... وأَنا أَنْقَيْتُه إِنْقاءً، والانْتِقاء تَجَوُّدُه،

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٢٦٤، مادة (عفا).
(٢) جامع الأصول، ٦/ ٢٢١.
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ٩١.
(٤) مقاييس اللغة لابن فارس، ٤ / ٤٢٤، مادة (غسل).
(٥) جامع الأصول، لابن الأثير، ٤/ ٣٤٥.

وانْتَقَيْتُ الشيءَ إذا أَخذت خِياره، والنَّقَاةُ: مَا يُلْقى مِنَ الطَّعَامِ إذا نُقِّيَ، ورُمِيَ بِهِ؛...والنَّقاةُ والنُّقاية الرَّديء»[١]، «**والخطايا**»: جمع خطيئة، وهي: ما خالف فيها الصواب سواء كان فعلًا للمحظور أو تركًا للمأمور، وهي شاملة للصغائر والكبائر[٢]، و«الخطأ: العدول عن الجهة، وذلك أضرُب[٣]:

أحدها: أن تريد غير ما تحسن إرادته فتفعله، وهذا هو الخطأ التام المأخوذ به الإنسان، يقال خطئ يخطأ، خطأ، وخطأ، قال تعالى: ﴿**إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً**﴾[٤] ، قال ﷻ عن قول إخوة يوسف: ﴿**وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾[٥].

والثاني: أن يريد ما يحسُن فعله، ولكن يقع منه خلاف ما يريد، فيقال: أخطأ إخطاء، فهو مخطئ، وهذا قد أصاب في الإرادة وأخطأ في الفعل»[٦].

١٠-قوله: «**كما (نقيت) تنقي الثوب الأبيض**»: «إشباع في بيان التطهير، وتأكيد له»[٧]؛ لأن التنقية هي تنظيف الإنسان من ذنوبه وخطاياه، كما يُفعل ذلك بالثوب الذي دنسته الأدناس، والأقذار، وإذا كان الثوب بلون أبيض فتظهر فيه الأقذار أوضح ما يكون، خلاف غيره من الألوان، فـ«التَّنْقِية: وهو إفراد الجَيِّد من الرَّديء»[٨].

١١-قوله: «**من الدنس**»: هو الوسخ، والمقصود تمام المغفرة، وخص

---

(١) لسان العرب، ١٥/ ٣٣٨، مادة (نقي).

(٢) أحكام الجنائز لابن عثيمين صـ ٣٢٣.

(٣) أضربٌ: أي: أنواع..

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣١.

(٥) سورة يوسف، الآية:٩١.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ١/ ٣٠٤.

(٧) جامع الأصول، ٤/ ٣٤٥.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ١١٠، مادة (نقي)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨ من مفردات حديث المتن رقم ٢٧.

الأبيض بالذكر؛ لأن الوسخ يظهر فيه بسرعة خلافًا لغيره من الألوان، فـ«الدَّنَس فِي الثِّيَابِ: لَطْخُ الْوَسَخ وَنَحْوِهِ، حَتَّى فِي الأَخلاق، وَالْجَمْعُ أَدْناسٌ، وَقَدْ دَنِسَ يَدْنَسُ دَنساً، فَهُوَ دَنِسٌ: تَوَسَّخَ، وتَدَنَّسَ: اتَّسخ، ودَنَّسَه غَيْرُهُ تَدْنِيساً... الدَّنَسُ: الوَسَخُ؛ وَرَجُلٌ دَنِسُ المروءَةِ، وَالِاسْمُ الدَّنَسُ، ودَنَّسَ الرجلُ عِرْضَه إذا فَعَلَ ما يَشِينُه»[1].

١٢-قوله: «**وأبدله دارًا خيرًا من داره**» أي: أدخله الجنة، التي هي دار السلام، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «أبدله داراً خيراً من داره؛ لأنه انتقل من دار الدنيا إلى دار البرزخ، ودار الدنيا كما نعلم دار محن، وأذىً، وكدر، فيقول: أبدله داراً خيراً من داره؛ ليكون منعماً في قبره»[2].

١٣-قوله: «**وأهلًا خيرًا من أهله**» أي: بصحبة أهل الجنان؛ حيث لا غلّ، ولا حسد، ويدخل في الأهل: الزوجة، والخدم، والأهل هنا المصاحبون له في حياته، كما يصاحب الرجل زوجه، أي: يلازمون، قال القرطبي: «الأهل هنا: عبارة عن الخدم، والخوَل، ولا تدخل هنا الزوجة فيهم؛ لأنه قد خصّها بالذكر بعد ذلك؛ حيث قال: «وزوجًا خيرًا من زوجِه»[3]. وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأهلاً خيراً من أهله: أهله ذووه، كأمه، وخالته، وبناته، وأبيه، وابنه، وما أشبه ذلك»[4].

١٤-قوله: «**وزوجًا خيرًا من زوجه**» أي: بالحور العين، وإنما خصّ الزوجة رغم أنها داخلة في معنى الأهل؛ لما جبل الرجل من محبة غريزية لها، وهذا التبديل شامل للأعيان والأوصاف، كيف تكون زوجة الجنة خيراً من زوجة

---

(١) لسان العرب، ٦ / ٨٨، مادة (دنس).
(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٥.
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ٩١.
(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٥.

الدنيا؟ قال ابن عثيمين: «وزوجاً خيراً من زوجه: يعني زوجة خيراً من زوجته، وذلك بالحور العين، وكذلك بزوجته في الدنيا؛ لأن الإنسان إذا تزوج امرأة في الدنيا، وماتت على الإيمان؛ فإنها تكون زوجته في الآخرة؛ فإن قال قائل: كيف تكون خيراً من زوجتي، وهي واحدة في الدنيا، نقول خيراً منها في الصفات والجمال وغير ذلك»[١]، و«أنّ نساءَ الجنَّة أفضلُ مِن نساء الآدميات، وإن دخلن الجنة، وقد اختلف في هذا المعنى»[٢].

١٥-قوله: **«وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر، وعذاب النار»**: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «كل هذا دعاء يدعو به الإنسان للميت، وينبغي أن يخلص الإنسان للميت في هذا الدعاء»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-حرص الصحابة رضي الله عنهم على نقل العلم، فهذا عوف بن مالك راوي الحديث رضي الله عنه يقول فيه: حفظت من رسول الله ﷺ هذا الدعاء.

٢-الاهتمام بأمر الدعاء والذي محله بعد التكبيرة الثالثة في الصلاة على الميت؛ لأنه في أشد الحاجة إليه بعدما انقطع عمله، وقد جمع النبي ﷺ في الدعاء أمورًا عظيمة، حتى قال الراوي: تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت، ويُذكَّر الدعاء للرجل، ويؤنَّث للمرأة.

٣-صلاة الجنازة يستحب فيها كثرة عدد المصلين خاصة أهل الصلاح لقول النبي ﷺ: **«ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلًا لا**

---

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٥.
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ٩١.
(٣) شرح رياض الصالحين، الحديث رقم ٩٣٥.

يشركون بالله شيئًا إلا شفَّعهم الله فيه»[١] وقوله ﷺ: «**ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة، كلهم يشفعون له، إلا شفعوا فيه**»[٢]، وقول النبي ﷺ: «**يبلغون مائة**» الجمع بينه وبين قوله ﷺ: «**فيقوم على جنازته أربعون رجلاً**»: أن الله أخبر النبي ﷺ أولاً بشفاعة المائة، ثم تفضَّل على عباده، فأحسن إليهم بقبول شفاعة الأربعين، فضلاً منه، وإحساناً، وكرماً، وجوداً، قال الإمام النووي رحمه الله في المجموع: «تجوز صلاة الجنازة فرادى بلا خلاف، والسنة أن يصلي جماعات للحديث المذكور في الكتاب مع الأحاديث المشهورة في الصحيح في ذلك، مع إجماع المسلمين، وكلما كثر الجمع كان أفضل؛ لحديث مالك بن هبيرة المذكور في الكتاب، وحديث عائشة، وأنس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، أنه قال: «**ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه**» رواه مسلم، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه**» رواه مسلم، ويستحب أن تكون صفوفهم ثلاثة فصاعداً، لحديث مالك بن هبيرة»[٣].

٤- قال ابن عثيمين رحمه الله: قال البعض: إن غسل الميت بالماء الساخن أنقى، فلماذا قال ﷺ: «**بالماء والثلج والبرد؟**» والجواب: أن المراد هو غسله من آثار

---

(١) مسلم، كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه، برقم ٩٤٨.

(٢) مسلم، كتاب الجنائز، باب من صلى عليه مائة شفعوا فيه، برقم ٩٤٧.

(٣) المجموع، ٥/ ١٦٩. وحديث مالك بن هُبيرةَ رضي الله عنه لفظه: قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما مِنْ مُسلِمٍ يموتُ فيصلِّيَ عليه ثلاثةُ صفوفٍ من المسلمين إلاَّ أوْجَبَ». قال: فكان مالك إذا استقلَّ أهلَ الجنازة جزّأهم ثلاثةَ صفُوفٍ، للحديث. سنن أبي داود، برقم ٣١٦٦، والترمذي، برقم ١٠٢٨، وابن ماجه، برقم ١٤٩٠، وأحمد، ٢٧/ ٢٨١، برقم ١٦٧٢٤، وحسنه النووي في المجموع، ٥/ ٢١٢، وقال الأرنؤوط في تحقيق سنن أبي داود، ٥/ ٧٨: «إسناده حسن» وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود، برقم ١٩٨٤.

الذنوب، وهي محرقة، فيكون المضاد لها الماء والبرودة، أما الفرق بين الثلج والبرد فهو أن الثلج هو ما يتساقط من غير سحاب فيتساقط من الجو مثل الرذاذ، ويتجمد وأما البرد فيتساقط من السحاب ويسميه بعض أهل اللغة حب الغمام لأنه ينزل مثل الحب[(١)]، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ أيضاً: «واغسله: يعني طهّره من الذنوب بالماء، والثلج، والبرد، ذكر الثلج والبرد؛ لأنه بارد، وذكر الماء؛ لأن به النظافة، والذنوب - أجارنا الله وإياكم منها - عقوبتها حارة، فناسب أن يقرن مع الماء الثلج، فيحصل بالماء التنظيف، ويحصل بالثلج والبرد التبريد[(٢)].

٦-وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ أيضاً: «**وأعذه من عذاب القبر، وعذاب النار**» كل هذا دعاء يدعو به الإنسان للميت، وينبغي أن يخلص الإنسان للميت في هذا الدعاء؛ فإن كانت امرأة، فإنه يقول: اللهم اغفر لها، وارحمها، وعافها، واعف عنها، يعني بضمير المؤنث، فإن كان لا يدري هل هي ذكر أم أنثى فإنه مخير إن شاء قال: اللهم اغفر له، يعني لهذا الشخص، والمرأة تسمى شخصاً، أو إن شاء قال: اللهم اغفر لها أي لهذه الجنازة، والجنازة تطلق على الرجل، وعلى المرأة، وإن كان يعلم أنه ذكر ذكّره، وإن كان يعلم أنها أنثى أنّثها، وإن كان لا يدري جاز أن يذكّره، وجاز أن يؤنّثه؛ فإن ذكّره فالمعنى اغفر له، أي لهذا الشخص الذي بين أيدينا، وإن قال: اغفر لها أي لهذه الجنازة، والجنازة تطلق على الرجل والمرأة والله الموفق»[(٣)].

***

١٥٧-(٢)«اللَّهُـمَّ اغْفِـرْ لِحَيِّنَـا وَمَيِّتِنَـا، وَشَـاهِدِنَا وَغَائِبِنَـا،

---

(١) أحكام الجنائز، ص ٣٢٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٥.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٥.

وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمَانِ، اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلاَ تُضِلَّنَا بَعْدَهُ»[1].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٣٦-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[2]، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى عَلَى جِنَازَةٍ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا، وَمَيِّتِنَا، وَشَاهِدِنَا، وَغَائِبِنَا، وَصَغِيرِنَا، وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا، وَأُنْثَانَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِسْلَامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمَانِ، اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلاَ تُضِلَّنَا بَعْدَهُ»[3].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «اللَّهم اغفر»: أصل الغفر هو التغطية والستر، والله هو «السَّاتِر لذُنوبِ عِبَاده، وعُيوبهم، المُتَجاوِز عَن خَطَايَاهُم، وذنوبهم، وأصل الغَفْر: التَّغْطِية...، والمَغْفِرَة: إلْبَاس الله تعالى العَفْوَ للمُذْنِبين»[4].

٢-قوله: «لحينا وميتنا» أي: من فوق الأرض ومن تحتها من المسلمين،

---

(١) أبو داود، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت، برقم ٣٢٠١، والترمذي،كتاب الجنائز، باب ما يقول في الصلاة على الميت، برقم ١٠٢٤، والنسائي، كتاب الجنائز، الدعاء، برقم ١٩٨٥، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنازة، برقم ١٤٩٨، وأحمد، ١٤/ ٤٠٦، برقم ٨٨٠٩، والحاكم، ١/ ٣٥٨، وصححه محققو المسند، والعلامة الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٧٤١، وفي صحيح ابن ماجه، ٢٥١/١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٣٢٠١، والترمذي، برقم ١٠٢٤، والنسائي، برقم ١٩٨٥، وابن ماجه، برقم ١٤٩٨، وأحمد، ١٤/ ٤٠٦، برقم ٨٨٠٩، والحاكم، ١/ ٣٥٨، وصححه محققو المسند، والعلامة الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٧٤١، وفي صحيح ابن ماجه، ٢٥١/١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ٣٧٣، مادة (غفر)، وتقدم في شرح حديث المتن رقم ١٥٦ في المفردة رقم ١.

و«الحَي: ضد الميت، جمعه: أحياء»[١].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «اللهم اغفر لحينا، وميتنا: شمل الجميع، لكن مقام الدعاء ينبغي فيه البسط والتفصيل؛ لأن الدعاء كل جملة منه عبادة لله عز وجل، وإذا كررته ازددت بذلك ثواباً، فقوله: حيّنا، وميّتنا يشمل الحي الحاضر، والميت القديم، والميت في عصره»[٢].

٣-قوله: «**وشاهدنا**» أي: من شهد هذه الصلاة معنا، والشاهدُ: الحاضرُ، ... ومنه ... سيدُ الأيام يومُ الجمعة هو شاهِدٌ، أي: هو يشهَد لِمَنْ حَضَر صلاتَه»[٣].

٤-قوله: «**وغائبنا**» أي: من غاب عنّا لعذر، أو بُعد مكان، أو غير ذلك، فشاهدنا الحاضر معنا، والغائب المسافر أو غير الحاضر معنا[٤].

٥-قوله: «**وصغيرنا**»: أي: من لم يجرِ عليه القلم؛ لعدم بلوغه، ووصوله سن التكليف، وهو دعاء لرفع الدرجات له، وقيل إن ذلك من باب التبعية: قال ابن حجر الدعاء للصغير ليرفع الدرجات ويدفعه ما ورد في الموطأ عن أبي هريرة أنه ﷺ صلّى على طفل لم يعمل خطيئة قط، فقال: «**اللهم قه من عذاب القبر وضيقه**»[٥]، ويمكن أن يكون المراد بالصغير والكبير الشاب والشيخ فلا إشكال، ونقل التوربشتي عن الطحاوي أنه سئل عن الاستغفار للصبيان، فقال: معناه السوال من الله أن يغفر له ما كتب في اللوح المحفوظ أن يفعله بعد البلوغ من الذنوب، كذا في الزجاجة والمرقاة»[٦].

---

(١) القاموس المحيط، ص ١٦٤٩، مادة (حي).

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث ٩٣٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٥١٣، مادة (شهد).

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٧.

(٥) موطأ الإمام مالك، ١/ ٢٢٨، برقم ٥٣٦، وقال محقق الموطأ: حنّان عبد المنان، ص ١٤١: «رجاله ثقات».

(٦) شرح سنن ابن ماجه، للسيوطي، ص ١٠٨.

٦-قوله: «وكبيرنا» أي: من الشباب، والشيوخ الذين هم أهل التكليف، ويدخل فيه النساء لعموم الأدلة، قال الملا علي القاري رَحِمَهُ اللهُ: «قال الطيبي: المقصود من القرائن الأربع: الشمول، والاستيعاب، فلا يحمل على التخصيص نظراً إلى مفردات التركيب، كأنه قيل: اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات كلهم أجمعين» (١).

٧-قوله: «وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا»: قَالَ العظيم أبادي رَحِمَهُ اللهُ: «الْمَقْصُودُ مِنَ الْقَرَائِنِ الْأَرْبَعِ: الشُّمُولُ، وَالِاسْتِيعَابُ فَلَا يُحْمَلُ عَلَى التَّخْصِيصِ، نَظَرًا إِلَى مُفْرَدَاتِ التَّرْكِيبِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ كُلِّهِمْ أَجْمَعِينَ» (٢).

٨-قوله: «**اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام**»: لأن الإسلام استسلام لله عَزَّ وَجَلَّ بامتثال الأمر، واجتناب النهي، وهذا لا يكون إلا في الدنيا«أي الإستسلام والإنقياد للأوامر والنواهي»(٣).

٩-قوله: «**ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان**»: لأن الإيمان تصديق بالباطن، ومحله القلب، والإيمان هو اليقين، والموت عليه نعمة عظمى؛ «لأن الإيمان أفضل، ومحله القلب، والمدار على ما في القلب عند الموت، وفي يوم القيامة»(٤).

١٠-قوله: «**اللهم لا تحرمنا أجره**» أي: أجْر زيارته وهو مريض، وتجهيزه وغسله، والصلاة عليه، والانتظار حتى دفنه. قال العيني رَحِمَهُ اللهُ: «لا تحرمنا: من حَرَمَهُ الشيءَ، يَحْرِمُه، من باب ضرب يضرب، حَرِماً بكسر الراء، مثل سَرَقَهُ

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢/ ٤٣٦.
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢/ ٤٣٦.
(٣) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ٨/ ٣٤٦.
(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٧.

سَرِقاً، وحَرِمةً، وحَرِيمةً، وحِرْمَاناً»[١].

١١-قوله: «**ولا تضلنا بعده**» أي: ثبتنا على الإيمان، وجنّبنا أسباب الغواية، والضلال هو الابتعاد عن دين الله وهداه، والضياع، وبطلان العمل الفاسد المخالف للإيمان والشريعة، فـ«بُطْلاَنَ العمَل وضَياعه مأخوذ من الضلال: الضَّياع، ... يقال: ضلَّ الشيءُ: إذا ضَاع، وضَلَّ عن الطَّريق إذا حارَ»[٢]. وأيضاً: «**وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ**» أَيْ: لَا تَجْعَلنَا ضَآلِّينَ بَعْدَ الإيمان[٣]، وأيضاً: «**ولا تُضلَّنا بعده**» أي: أعذنا من الضلال، وجنِّبنا الفتنة والزَّلل بعد فقدنا له[٤].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الإلحاح على الله، ودعاؤه ﷻ بتضرع، وإخلاص للميت، دعاء يرجى له القبول إن شاء الله، قال النبي ﷺ: «**إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء**»[٥].

٢-المقصود من القرائن الأربعة التي جاءت في هذا الدعاء: الشمول، والاستيعاب، فلا يحمل على التخصيص؛ نظرًا إلى مفردات التركيب، كأنه قيل: اللَّهم اغفر للمسلمين، والمسلمات، كلهم أجمعين قاله الطيبي[٦].

٣-تكرار ألفاظ الدعاء، والتعميم فيه، والتخصيص دليل على محبة الداعي لربه؛ لأن الإنسان إذا أحب أحدًا أحب طول مناجاته، وهو دليل على شدة افتقار العبد لخالقه[٧].

٤-حث الإسلام على الدعاء للأحياء والأموات؛ لأن الكل مفتقر إلى الله ﷻ، ومن

---

(١) شرح أبي داود للعيني، ٦/ ١٤٥.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٢٠٦، مادة (ضل).
(٣) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ٨ / ٣٤٦.
(٤) فقه الأدعية والأذكار، ٣ / ٢٣٣.
(٥) أبو داود، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت، برقم ٣١٩٩، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٣١٩٩.
(٦) عون المعبود، ٥/ ٨٠.
(٧)انظر: أحكام الجنائز لابن عثيمين، ص ٣١٩.

دعا بهذا الدعاء في صلاة الجنازة، أو في غيرها، فله بكل واحد من المسلمين والمسلمات – الأحياء منهم والأموات – حسنة، وقد قال النبي ﷺ: «**من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة**»[١]. إلا أننا لا نقول لشخص بعينه أن له هذا الأجر، فهذا من العموم.

٥-قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وكان النبي ﷺ يقول في دعائه إذا صلى على الميت: «**اللهمّ من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان**»؛ لأن الأعمال بالجوارح، وإنما يتمكن منه في الحياة، فأما عند الموت، فلا يبقى غير التصديق بالقلب، ومن هنا قال المحققون من العلماء: كل مؤمن مسلم؛ فإن من حقق الإيمان، ورسخ في قلبه قام بأعمال الإسلام»[٢].

٦-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «هذا الدعاء ... هو الدعاء العام يقول المصلي على الميت: اللهم اغفر لحينا، وميتنا، وصغيرنا، وكبيرنا، وذكرنا، وأنثانا، وشاهدنا، وغائبنا، وهذه الجمل تغني عنها جملة واحدة، لو قال: اللهم اغفر لحينا، وميتنا شمل الجميع، لكن مقام الدعاء ينبغي فيه البسط والتفصيل؛ لأن الدعاء كل جملة منه عباده لله عز وجل، وإذا كررته ازددت بذلك ثواباً، فقوله: «**حينا وميتنا**» يشمل الحي الحاضر، والميت القديم، والميت في عصره، «**وصغيرنا وكبيرنا**»، كذلك أيضاً يشمل الصغير والكبير، الحي والميت وذكر الصغير مع أن الصغير لا ذنب له من باب التبعية، وإلا فإن الصغير ليس له ذنب حتى تسأل له المغفرة، «**وذكرنا وأنثانا**» مثلها عامة، «**وشاهدنا وغائبنا**» الحاضر والمسافر[٣].

---

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين، ٣/ ٢٣٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٠٢٦، وتقدم تخريجه في شرح الحديث رقم ٤٨ من أحاديث المتن في شرح الفائدة رقم ٦.

(٢) كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية رحمه الله، ص: ٥٤.

(٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٩٤٧.

٧-من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته فتوفه على الإيمان: الحياة ذكر معها الإسلام، وهو الاستسلام الظاهر، وأما الموت قال: «**توفنا على الإيمان**»؛ لأن الإيمان أفضل، ومحله القلب، والمدار على ما في القلب عند الموت، وفي يوم القيامة(١).

٨-«**اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده**» لا تحرمنا أجره: يعني بالصلاة عليه؛ لأن الإنسان يؤجر بالصلاة على الميت، كما سبق أن «**من شهدها حتى يُصلَّى عليها، فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان، قيل: وما القيراطان؟ قال:** «**مثل الجبلين العظيمين**»(٢)، كذلك أيضاً أجرٌ آخر للمصاب بهذا الميت الذي حزن لفراقه، يؤجر أيضاً على صبره على المصيبة، «**ولا تفتنا بعده**» يعني لا تضلنا عن ديننا بعده؛ لأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة مادام الإنسان لم تخرج روحه؛ فإنه عرضة لأن يفتن في دينه، والعياذ بالله؛ ولهذا قال: «**لا تفتنا بعده**» فينبغي للإنسان أن يدعو بهذا الدعاء، اقتداء برسول الله ﷺ»(٣).

***

١٥٨-(٣)«اللَّهُمَّ إِنَّ فُلاَنَ بْنَ فُلاَنٍ فِي ذِمَّتِكَ، وَحَبْلِ جِوَارِكَ، فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَقِّ، فَاغْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ»(٤).

---

(١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٩٤٧.

(٢) البخاري، كتاب الجنائز، باب من انتظر حتى تدفن، برقم ١٣٢٥، ومسلم، كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة، برقم ٩٤٥.

(٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٩٣٧.

(٤) أبو داود، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر، برقم ٣٢٠٢، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة الجنائز، برقم ١٤٩٩، وأخرجه أحمد، ٢٥/ ٣٩٩، برقم ١٦٠١٨، وابن حبان (٧/ ٤٣ ، برقم ٣٠٧٤، وحسنه محققو المسند، ٢٥/ ٤٠٠، وصححه الألباني في صحيح ابن =

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٣٧-عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ ﷺ[١]، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَسْمَعُهُ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ، وَحَبْلِ جِوَارِكَ، فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَقِّ، فَاغْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللهم إن فلان بن فلان**»: هي كقولك: عبدك بن عبدك، فهي تعبير عن الإنسان، أو العبد، قال ابن الأثير: «وفُلان وفلانة: كناية عن الذَّكَر والأنثى من الناس، فإن كَنَيْت بهما عن غير الناس قلت: الْفُلان والفُلانة»[٣].

٢-قوله: «**في ذمتك**» أي: في أمانتك وعهدك وكفالتك، قال في النهاية: «الذِّمَّة، والذِّمَام، وهُما بِمَعْنَى العَهْد، والأمَانِ، والضَّمان، والحُرمَة، والحقّ، وسُمّي أَهْلُ الذِّمَّة لدخُولهم فِي عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَانِهِمْ... أَيْ: إِذَا أَعْطَى أحدُ الجَيْشِ العَدُوَّ أَمَاناً جَازَ ذَلِكَ عَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يُخْفِرُوه، وَلَا أَنْ يَنْقُضوا عَلَيْهِ عَهْده، ولكُلِّ أحَدٍ مِنَ اللَّهِ عَهْداً بالحفْظ، والكلاءَة، فَإِذَا أَلْقى بِيَدِهِ

=

ماجه، ١/٢٥١، وصحيح أبي داود، برقم ٢٧٤٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(١) واثلة بن الأسقع ﷺ: من أصحاب الصفة، أسلم سنة تسع، وشهد غزوة تبوك، وشهد المغازي بدمشق، وحمص، ثم تحول إلى بيت المقدس، وقيل مات بها، وقد طال عمره، فهو آخر من مات من الصحابة ﷺ بدمشق، وكانت وفاته سنة ثلاث وثمانين، وهو ابن مائة وخمس سنين كما اعتمد ذلك البخاري وغيره. انظر: الاستيعاب، ٤/ ١٥٦٤، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٣٨٣، ترجمة رقم (٥٧)، والإصابة، ٦/ ٥٩١.

(٢) أبو داود، برقم ٣٢٠٢، وابن ماجه، برقم ١٤٩٩، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/٢٥١، وصحيح أبي داود، برقم ٢٧٤٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٧٣، مادة (فلل).

إِلَى التهْلُكة، أَوْ فعَل مَا حُرِّم عَلَيْهِ، أَوْ خَالَفَ مَا أُمِرَ بِهِ خَذلَتْه ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى»[١].

وقال العينيي في معنى: «**في ذمتك**»: «في أمانك، أو في ضمانك، والذمة تجيء بمعنى العهد، والأمان، والضمان، والحرمة، والحق»[٢].

٣-قوله: «**وحبل جوارك**» أي: في حفظك، وهو عطف تفسيري[٣]، وقيل: أي: أنه أصبح جارًا لك، قال ابن الأثير: «وحَبْل جِوَارك: كان من عادة العرب أن يُخِيفَ بَعْضُها بعضاً، فكانَ الرجُل إذا أراد سَفَراً أخذ عَهْداً من سَيّد كلّ قَبيلة، فَيأمَنُ به ما دام في حُدُودها، حتى ينتهي إلى الأخرى، فيأخذ مِثْل ذلك؛ فهذا حَبْلُ الجِوَارِ: أي ما دام مُجَاوِراً أرْضَه، أو هو من الإجَارة: الأمانِ والنُّصْرة»[٤].

قال العيني: «وحبل جوارك: أي: أمانك، والحبل: العهد، والميثاق، والأمان الذي يؤمن من العذاب...»[٥].

وقال العظيم أبادي: «وحبل جوارك - بكسر الجيم -: قيل عطف تفسيري، وقيل الحبل: العهد، أي: في كنف حفظك، وعهد طاعتك، وقيل: أي: في سبيل قربك، وهو الإيمان، والأظهر أن المعنى أنه متعلق ومتمسك بالقرآن...وفسره جمهور المفسرين بكتاب الله تعالى، والمراد بالجوار: الأمان، والإضافة بيانية، يعني الحبل الذي يورث الاعتصام به الأمن والأمان والإسلام، قاله القارىء»[٦].

٤-قوله: «**فقه من فتنة القبر**»: الفتنة، وهي: الامتحان، والاختبار،

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ١٦٨، مادة (ذمم)
(٢) شرح أبي داود للعيني، ٦ / ١٤٧.
(٣) عون المعبود، ٥/ ٨٢.
(٤) النهاية في غريب الأثر (١ / ٣٣٢، مادة (حبل).
(٥) شرح أبي داود للعيني، ٦ / ١٤٧.
(٦) عون المعبود، ٨/ ٣٤٨.

الاستعاذة من فتنة القبر، وفتنة الدجال، وفتنة المحيا والممات، وغير ذلك، وتفتنون: أي تمتحنون في قبوركم، ويعرف إيمانكم بالنبوة[١]، قال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: احفظه من فتنة القبر، أي: اختباره، أو عذابه»[٢]، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المراد بـ(فتنة القبر) التحير في الجواب عن الملكين»[٣]، وقال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتنة القبر تكون في السؤال عن النبوة المحمدية، فمن أجاب حين يُسأل بأنه عبد الله ورسوله، وأنه آمن به، وصدقه نجا، ومن تلعثم، أو قال: سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، عُذِّب»[٤].

٥-قوله: «**وعذاب النار**»: قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: إحراقها بعد فتنتها، كذا قرر بعضهم، وقال الطيبي: قوله: فتنة النار أي: فتنة تؤدي إلى عذاب النار»[٥].

٦-قوله: «**وعذاب القبر**»: أي: احفظه، وصنه، وأبعد عنه عذاب القبر، «فالوقاية: وقيت الشيء أقيه: إذا صنته، وسترته عن الأذى، ... وتوقى، واتقى بمعنىً»[٦]. قال العيني: «فقه: أمر من وقى، يقي، قِ فعل أمر من وقى، و(الهاء) فيها ضمير... بخلاف ما إذا قلت: قه أمر؛ فإن (الهاء) فيه للسكت والراحة، و«فتنة القبر» السؤال الذي يسأل فيه الميت»[٧].

٧-قوله: «**أنت أهل الوفاء**» أي: بما وعدت به في كتابك وعلى ألسنة

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤١٠، مادة (فتن).
(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٤٣.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٩٤.
(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٥٥٧.
(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٦٠.
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٢١٦، مادة (وقي).
(٧) شرح أبي داود للعيني، ٦ / ١٤٧.

رسلك، إشارة إلى قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[١] وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[٢]، والوفاء من التوفية وهي إتمام الحق، وعدم إنقاصه، فـ«وفى الشيء ووفى إذا تم وكمل،... وأوفى الله ذمتك: أي: أتمها»[٣].

١٦-قوله: «والحق»: الذي هو اسم من أسمائك، وكذا كل كلامك وأفعالك حق، قال الله: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾[٤]، و«في أسماء الله تعالى الحق: هو الموجود حقيقة، المتحقق وجوده، وإلهيته، والحق: ضد الباطل، ... وحق العباد على الله أي ثوابهم الذي وعدهم به، فهو واجب الإنجاز، ثابت بوعده الحق»[٥].

٨-قوله: «فاغفر له»: قال في النهاية: «في أسماء الله تعالى: «الغَفَّار، والغَفُور»، وهما من أبنِية المُبالَغة ومعْناهما: السَّاترِ لذُنوبِ عِبَاده، وعُيوبهم، المُتَجاوِز عَن خَطَاياهُم، وذنوبهم، وأصل الغَفْر: التَّغْطِية، يقال: غَفَر الله لك غَفْراً، وغُفْراناً، ومَغْفِرَةً، والمَغْفِرَة: إلْبَاس الله تعالى العَفْوَ للمُذْنِبين»[٦].

٩-قوله: «وارحمه»: وهذا دعاء للميت بأن يسبغ الله عليه شآبيب الرحمة، التي هي صفة من صفاته ﷻ، قال في النهاية: «رحم: في أسماء الله تعالى: «الرحمن، الرحيم»، وهما اسمانِ مُشْتَقَّانِ من الرَّحْمة، مثْل: نَدْمَان، ونَدِيم، وهُما من أبْنِية المبالغة، ورَحْمَان أبْلَغ من رَحِيم، والرَّحمان خاصٌّ لله، لا يُسمَّى به غيره، ولا يُوصَف، والرَّحِيمُ يُوصفُ به غيرُ الله تعالى، فيقال: رجلٌ رحيمٌ، ولا يقال رَحْمان... الرُّحمُ بالضم: الرَّحمة، يقال: رَحِم رُحْمًا،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٤.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٢١٠، مادة (وفي).
(٤) سورة يونس، الآية: ٣٢، وقد سبق شرح بقية الألفاظ قريبًا.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤١٣، مادة (حق).
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ٣٧٣، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢، حديث المتن رقم ١٥٥.

...ومكة: هي أمُّ رُحْم، أي أصلُ الرَّحمة»[١].

١٠-قوله: «**إنك أنت الغفور الرحيم**»: «إشارة إلى طلب مغفرة متفضل بها من عند الله، لا يقتضيها سبب من العبد من عمل حسن، ولا غيره، فهي رحمة من عنده، والمغفرة: الستر، وقد ذكرناها، والرحمة: إما نفس الأفعال التي يوصلها الله من الإنعام، والأفضال للعبد، ... وقوله: «إنك أنت الغفور الرحيم»: من باب المقابلة، والختم للكلام، فالغفور مقابل لقوله: «اغفر لي»، والرحيم مقابل لقوله: «**ارحمني**»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-في هذا الحديث إثبات لعذاب القبر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن الذين ينكرون عذاب القبر: «مَذْهَب «سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا» أَنَّ الْمَيِّتَ إذَا مَاتَ يَكُونُ فِي نَعِيمٍ، أَوْ عَذَابٍ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَحْصُلُ لِرُوحِهِ، وَلِبَدَنِهِ، وَأَنَّ الرُّوحَ تَبْقَى بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْبَدَنِ مُنَعَّمَةً، أَوْ مُعَذَّبَةً، وَأَنَّهَا تَتَّصِلُ بِالْبَدَنِ أَحْيَانًا، فَيَحْصُلُ لَهُ مَعَهَا النَّعِيمُ، وَالْعَذَابُ، ثُمَّ إذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى، أُعِيدَتْ الْأَرْوَاحُ إلَى أَجْسَادِهَا، وَقَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَعَادُ الْأَبْدَانِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عِنْدَ: الْمُسْلِمِينَ، وَالْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى، وَهَذَا كُلُّهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ»[٣].

٢-قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «اللهم إن فلاناً ابن فلان في ذمتك، وحبل جوارك، فقه من فتنة القبر، وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحق، فاغفر له، وارحمه، إنك الغفور الرحيم، وهذا كثير في الأحاديث؛ بل هو المقصود بالصلاة على الميت، وكذلك الدعاء له بعد الدفن»[٤].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٢٠٩، مادة (رحم).
(٢) العلم الهيب، ٣٠٤.
(٣) مجموع الفتاوى، ٤ / ٢٨٤.
(٤) الروح، ص: ١١٩.

٣-جواز الجهر بالدعاء في صلاة الجنازة على سبيل التعليم؛ لقول الراوي: صلى بنا رسول الله ﷺ على رجل من المسلمين فسمعته يقول، اللهم إن فلان بن فلان... وهو حديث المتن.

٤-الرجل ينسب لأبيه حيًّا وميتًا ويوم القيامة خلافًا لمن قال: إنه ينسب إلى أمه، وقد اعتمدوا على حديث ضعيف جدًّا عند الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما[(١)].

٥-قال ابن العربي: «قوله: «وقه عذاب النار»، وقال: «فتنه القبر» وهذا سبيل لابد لكل ميت منه، فللمؤمن النجاة، وللكافر الهلكة، وللمذنب المشيئة»[(٢)].

٦-قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «كلما أخبر به محمد ﷺ من: عذاب القبر، ومنكر، ونكير، وغير ذلك من أهوال القيامة، والصراط، والميزان، والشفاعة، والجنة، والنار، فهو حق؛ لأنه ممكن، وقد أخبر به الصادق، فيلزم صدقه[(٣)].

٧-وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن: «عَذَابِ الْقَبْرِ: هَلْ هُوَ عَلَى النَّفْسِ، وَالْبَدَنِ، أَوْ عَلَى النَّفْسِ، دُونَ الْبَدَنِ؟ وَالْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ حَيًّا أَمْ مَيِّتًا؟ وَإِنْ عَادَتْ الرُّوحُ إلَى الْجَسَدِ، أَمْ لَمْ تَعُدْ، فَهَلْ يَتَشَارَكَانِ فِي الْعَذَابِ

---

(١) انظر فتح الباري، ١٠/ ٥٦٣، ولفظه عند الطبراني في المعجم الكبير، ٨/ ٢٩٨: «عنْ سَعِيدِ بْنِ عَبدِ اللهِ الأَوْدِيّ، قَالَ: شَهِدْتُ أَبَا أُمَامَةَ وَهُوَ فِي النَّزْعِ، فَقَالَ: إِذَا أَنَا مُتُّ، فَاصْنَعُوا بِي كَمَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَصْنَعَ بِمَوْتَانَا، أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «إِذَا مَاتَ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِكُمْ، فَسَوَّيْتُم التُّرَابَ عَلَى قَبْرِهِ، فَلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ عَلَى رَأْسِ قَبْرِهِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانَةَ، فَإِنَّهُ يَسْمَعُهُ وَلاَ يُجِيبُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانَةَ، فَإِنَّهُ يَسْتَوِي قَاعِدًا، ثُمَّ يَقُولُ: يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانَةَ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: أَرْشِدْنَا رَحِمَكَ اللهُ، وَلَكِنْ لاَ تَشْعُرُونَ، فَلْيَقُلْ: اذْكُرْ مَا خَرَجْتَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا: شَهَادَةَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّكَ رَضِيتَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا، فَإِنَّ مُنْكَرًا وَنَكِيرًا يَأْخُذُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ، وَيَقُولُ: انْطَلِقْ بِنَا مَا نَقْعُدُ عِنْدَ مَنْ قَدْ لُقِّنَ حُجَّتَهُ، فَيَكُونُ اللهُ حَجِيجَهُ دُونَهُمَا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنْ لَمْ يَعْرِفْ أُمَّهُ ؟ قَالَ: «فَيَنْسُبُهُ إِلَى حَوَّاءَ، يَا فُلَانَ بْنَ حَوَّاءَ» وقد ضعفه العلماء، كالعلامة الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة، ٢ / ٦٤.

(٢) المسالك في شرح موطأ مالك، ٣ / ٥٣١.

(٣) العقيدة الأصفهانية، ص ٢١١.

وَالنَّعِيمِ؟ أَوْ يَكُونُ ذَلِكَ عَلَى أَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ ؟

فَأَجَابَ ﷺ وَجَعَلَ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ مُنْقَلَبَهُ وَمَثْوَاهُ آمِينَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، بَلْ الْعَذَابُ، وَالنَّعِيمُ عَلَى النَّفْسِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، تَنْعَمُ النَّفْسُ، وَتُعَذَّبُ مُنْفَرِدَةً عَنْ الْبَدَنِ، وَتُعَذَّبُ مُتَّصِلَةً بِالْبَدَنِ، وَالْبَدَنُ مُتَّصِلٌ بِهَا، فَيَكُونُ النَّعِيمُ وَالْعَذَابُ عَلَيْهِمَا فِي هَذِهِ الْحَالِ مُجْتَمِعِينَ، كَمَا يَكُونُ لِلرُّوحِ مُنْفَرِدَةً عَنْ الْبَدَنِ، ...فقَدْ ثَبَتَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ، أَنَّ الرُّوحَ تَبْقَى بَعْدَ فِرَاقِ الْبَدَنِ، وَأَنَّهَا مُنَعَّمَةٌ أَوْ مُعَذَّبَةٌ»[1].

٨-وقد ذكر تلميذ ابن تيمية الإمام ابن القيم رحمه الله أن أحوال العذاب والنعيم تكون في الدنيا على الجسد، والروح تبع له ينالها من العذاب أو النعيم ما الله به عليم، وفي القبر يكون العذاب والنعيم على الروح، والجسد تبع لها يناله من ذلك مالله به عليم، وأما يوم القيامة بعد البعث فيكون النعيم والعذاب على الروح والجسد على حد سواء جميعاً، فقال رحمه الله في كتاب الروح: «الله سبحانه جعل الدور ثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها، وركّب هذا الإنسان من بدن، ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان، والأرواح تبعاً لها؛ ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان، والجوارح، وإن أضمرت النفوس خلافه، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعاً لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها، والتذّت براحتها، وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب، تبعت الأبدانُ الأرواحَ في نعيمها وعذابها، والأرواح حينئذ هى التي تباشر العذاب والنعيم، فالأبدان هنا ظاهرة، والأرواح خفية، والأبدان كالقبور لها، والأرواح هناك ظاهرة، والأبدان خفية في قبورها، تجري أحكام البرزخ على الأرواح

(١) مجموع الفتاوى، ٤ / ٢٨٢.

فتسري إلى أبدانها نعيماً أو عذاباً، كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان، فتسري إلى أرواحها نعيماً أو عذاباً»[١].

٩-وقال ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: «**وأنت أهل الوفاء**» يعني بالميعاد؛ ولذلك معانٍ كثيرة، أولها الوفاء لمن مات على التوحيد، لا يعذبه البارئ؛ لانه أهل الوفاء؛ ولما قال إن الوفاء هو التوحيد، وقد قال المفسرون في قوله: ﴿**وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى**﴾[٢] قيل: التوحيد، والجزاء، الأوفى هو الإثابة على التوحيد، والنجاة من النار، والوفاء للشافعين فيه من المصلين، وشهاداتهم له بالإيمان على ما بيناه فى حديث عمر الصحيح: قول النبى ﷺ: «**من شهد له اربعه بخير أدخله الله الجنه قلنا وثلاثه قال وثلاثه قلنا واثنان قال واثنان ولم نساله عن الواحد**»[٣]»[٤]، والحديث الذي أشار إليه في البخاري، ولفظه: «عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَقَدْ وَقَعَ بِهَا مَرَضٌ، فَجَلَسْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، فَمَرَّتْ بِهِمْ جَنَازَةٌ، فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَى، فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِالثَّالِثَةِ فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا شَرًّا، فَقَالَ: وَجَبَتْ، فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: فَقُلْتُ: وَمَا وَجَبَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قُلْتُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ**» فَقُلْنَا: وَثَلَاثَةٌ؟ قَالَ: «*وَثَلَاثَةٌ*»، فَقُلْنَا: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: «**وَاثْنَانِ**»، ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنْ الْوَاحِدِ»[٥].

١٠-بوب البخاري في كتاب الأدب: باب قال فيه: ما يدعى الناس

---

(١) الروح، لابن القيم، ١/ ٣١١، بتحقيق بسام علي سلامة.
(٢) سورة النجم، الآية: ٣٧.
(٣) البخاري، برقم ١٣٦٨، ويأتي تخريجه.
(٤) المسالك في شرح موطأ مالك، ٣ / ٥٣١.
(٥) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت، برقم ١٣٦٨.

بآبائهم، واستدل بقول الرسول ﷺ: «**إن الغادر يرفع له لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان بن فلان**»[١].

قال الحافظ: «قال ابن بطال: وهذا رد لمن زعم أنهم لا يدعون يوم القيامة إلا بأمهاتهم سترًا على آبائهم»[٢].

١١-أما ما جاء عن بعض الرواة من الصحابة ﷺ وغيرهم من نسبته إلى أمه؛ فهذا من باب التمييز فقط، مثل: معاذ ومعوذ ابنا عفراء «اسم الأم» واسم الأب الحارث[٣].

ومحمد بن الحنفية رحمه الله هو ممن نسب إلى أمه، قال ابن سعد: »وهو محمد الأكبر بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمه الحنفية: خولة بنت جعفر»[٤].

١٢-قال الإمام أبو بكر بن العربي رحمه الله: «هذه الأحاديث الواردة التي ثبت

---

(١) البخاري، كتاب الأدب، باب ما يدعى الناس بآبائهم، برقم ٦١٧٧.

(٢) فتح الباري، ١٠/ ٥٦٣.

(٣) قال الإمام ابن الجوزي في كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٣٧٨: «وفي الصحابة أربعة عشر رجلاً اشتهروا بالنسبة إلى أمهاتهم: بلال بن حمامة، واسم أبيه رباح، معاذ ومعوذ ابنا عفراء، وهي أمهما، واسم أبيهما الحارث بن رفاعة، مالك بن نميلة، وهي أمه، واسم أبيه ثابت المزني، شرحبيل بن حسنة، وهي أمه، وأبوه عبد الله بن المطاع، بشير بن الخصاصية، وهي أمه، ويقال هي امرأة من جداته، وأبوه معبد بن شراحيل، عبد الله بن بحينة، وهي أمه، واسم أبيه مالك الأزدي، الحارث بن البرصاء، وهي أمه، واسم أبيه مالك بن قيس الليثي، يعلى بن منية، ومنية أمه، وقيل جدته أم أبيه، واسم أبيه أمية، يعلى بن سيابة، وهي أمه، واسم أبيه مرة الثقفي، سعد بن حبتة، وهي أمه، واسم أبيه بجير بن معاوية، ومن ولده أبو يوسف القاضي، بديل بن أم أصرم، واسم أبيه سلمة الخزاعي، خفاف بن ندبة، وهي أمه، واسم أبيه عمير بن الحارث، وقد اشتهرمن كبار العلماء بالنسبة إلى أمهاتهم خمسة: إسماعيل ابن علية، وهي أمه، واسم أبيه إبراهيم، محمد بن عثمة، وهي أمه، واسم أبيه خالد، وهو يروي عن مالك الفقيه، منصور بن صفية، وهي أمه، واسم أبيه عبد الرحمن بن طلحة، محمد بن عائشة، وهي أمه، ويقال جدة له، واسم أبيه حفص بن عمر، إبراهيم هراسة، وهي أمه، واسم أبيه سلمة».

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ٩١.

عن النبي ﷺ في الدعاء، فلا يُلتفت إلى سواها، وإلى ما صنف الناس، فيها: الفقه، والفوائد المنثورة»[(١)].

***

١٥٩ -[(٤)]«اللَّهُمَّ عَبْدُكَ وَابْنُ أَمَتِكَ احْتَاجَ إِلَى رَحْمَتِكَ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْ عَذَابِهِ، إِنْ كَانَ مُحْسِناً فَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، [وَلاَ [تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلاَ تَفْتِنَّا بَعْدَهُ][(٢)]»[(٣)].

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٣٨-عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ رُكَانَةَ بْنِ الْمُطَّلِبِ ﷺ[(٤)]، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا قَامَ لِلْجِنَازَةِ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهَا، قَالَ: «اللَّهُمَّ عَبْدُكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ احْتَاجَ إِلَى رَحْمَتِكَ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْ عَذَابِهِ إِنْ كَانَ مُحْسِنًا فَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا فَتَجَاوَزَ عَنْهُ»[(٥)].

---

(١) المسالك في شرح موطأ مالك، ٣/ ٥٢٩.

(٢) ما بين المعقوفين: أخرجه ابن حبان، ١٧/ ٣٤٢، برقم ٣٠٧٣ من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه محققه شعيب الأرناؤوط،وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٥/ ٧٢.

(٣) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١/٣٥٩، والدعوات الكبير للبيهقي، ٢/ ٢٨٦، برقم ٦٣٠، والمعجم الكبير للطبراني، ٢٢/ ٢٤٩، برقم ٦٤٧، والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم، ١/ ٣٥٧، برقم ٤٤٤، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم، ٥/ ٢٧٨٨، وفيها زيادة: «وَيَدْعُو بِمَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَدْعُوَ» وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص١٢٥، وقال: «ووافقة الذهبي، ورواه الطبراني في الكبير بالزيادة، كما في المجمع، ٤/ ٣٣، وابن قانع كما في الاصابة».

(٤) يزيد بن ركانة ﷺ، هو ابن عبد يزيد بن هاشم القرشي، له ولأبيه صحبة ورواية وقد روى عنه ابناه علي وعبد الرحمن.أسد الغابة، ٥/٤٥٢، والإصابة، ٦/ ٦٥٥.

(٥) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١/٣٥٩، وصححه الألباني في أحكام الجنائز للألباني، ص١٢٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٥٣٩-عن أبي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ[(١)] أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ[(٢)] كَيْفَ تُصَلِّي عَلَى الْجَنَازَةِ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: **أَنَا لَعَمْرُ اللهِ أُخْبِرُكَ أَتَّبِعُهَا مِنْ أَهْلِهَا فَإِذَا وُضِعَتْ كَبَّرْتُ وَحَمِدْتُ اللهَ وَصَلَّيْتُ عَلَى نَبِيِّهِ ثُمَّ أَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّهُ عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مُحْسِنًا فَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا فَتَجَاوَزْ عَنْ سَيِّئَاتِهِ اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ**»[(٣)].

٥٤٠-ولفظ ابن حبان: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، إِنْ كَانَ مُحْسِنًا فَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا فَاغْفِرْ لَهُ، وَلَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تفتنّا بعده**»[(٤)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم عبدك وابن أمتك**» أي: أنه مملوك لك هو ومن كانا سببًا في وجوده، فهو مناجاة من العبد لربه بصفة العبودية الدالة على الذلة والخضوع التام، مع اعترافه بعبوديته، وعبودية من ولده، فالمرأة يقال لها أمة، ليدل على عبوديتها، فكلهم في نسق عبيد أبناء عبيد، فـ«الْعَبْدُ: الإنسان،

---

(١) أبو سعيد المقبري: اسمه كيسان المدني مولى أم شريك، في بني ليث، سمي المقبري لأن منزله كان عند المقابر، ويقال هو الذي يقال له صاحب العباء، ثقة، ثبت، مات سنة مائة، حدث عنه الجماعة. انظر: الطبقات لخليفة بن خياط، ص ٢٤٨، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ٢/ ٤٦٣.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) موطأ مالك، ٢/ ٣١٩، برقم ٧٧٥، والسنن الكبرى للبيهقي، ٤/ ٤٠، وصححه محقق جامع الأصول عبد القادر الأرناؤوط، ٦/ ٢٢٠.

(٤) أخرجه ابن حبان، ٧/ ٣٤٢، برقم ٣٠٧٣، وصححه محققه شعيب الأرناؤوط، والألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٥/ ٧٢. ومسند أبي يعلى، ١١/ ٤٧٧، وصححه محققه عبد القادر الأرناؤوط، وصححه في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان،٣/ ٣٤.

حُرًّا كَانَ أَو رَقِيقًا، يُذْهَبُ بِذَلِكَ إِلى أَنه مَرْبُوبٌ لِبَارِيهِ، جَلَّ وَعَزَّ»[(١)].

و«الأَمَةُ: المَمْلوكةُ خِلاف الحُرَّة، وَفِي التَّهْذِيبِ: الأَمَة المرأَة ذَاتُ العُبُودة، وَقَدْ أَقَرَّت بالأُمُوَّة»[(٢)]، فقوله: «**اللهم إنه عبدك وابن عبدك وابن أمتك**» فيه مزيد الاستعطاف؛ فإن شأن الكرام السادات الصفح عن عبيدهم، ولا أكرم منه ﷻ»[(٣)].

٢-قوله: «**احتاج إلى رحمتك**» أي: وهو في هذه الحالة أشد احتياجًا لرحمتك؛ لأن عمله قد انقطع، فهو أشد ما يكون إلى عون، من الله، وطلب لمغفرته، ورحمته، قال الشنقيطي: «فإن الإنسان قد يغفر له، ولكنه يحتاج إلى الرحمة»[(٤)].

٣-قوله: «**وأنت غني عن عذابه**» أي: لا تضرك المعصية، ولا تنفعك الطاعة، فلك الغنى المطلق، وهذا كقوله: ﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا**﴾[(٥)]«فالغني هو الذي لا تعلق له بغيره، ... ولا يتصور أن يكون غنياً مطلقاً إلا الله تعالى، فالله تعالى هو الغني، وهو المغني أيضاً، ولكن الذي أغناه لا يتصور أن يكون بإغنائه غنياً مطلقاً، فمن أقل أموره أنه يحتاج إلى المغني، فلا يكون غنياً، بل يستغني عن غير الله تعالى بأن يمدّه الله تعالى بما يحتاج إليه»[(٦)]، فالغني لا يحتاج إلى أحد، وإنما غيره يحتاج إليه، وفي اللسان: «غنا: فِي أَسْماء اللهِ ﷻ: الغَنِيُّ: هُوَ الَّذِي لَا يَحْتاجُ إِلَى أَحدٍ فِي شيءٍ، وكلُّ أَحَدٍ مُحْتاجٌ إِلَيْهِ، وَهَذَا هُوَ الغِنى المُطْلَق، وَلَا

(١) لسان العرب، ٣/ ٢٧٣، مادجة (عبد).
(٢) لسان العرب، ١٤ / ٤٤، مادة (أم)
(٣) شرح الزرقاني، ٢/ ٨٥.
(٤) شرح زاد المستقنع للشنقيطي، ٥/ ٨٣.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٤٧.
(٦) انظر: إتحاف السادة المتقين، للزبيدي صاحب معجم تاج العروس، ٣/ ٢٦٨.

يُشارِكُ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ غيرُهُ، ....، وَهُوَ الَّذِي يُغني مَنْ يشاءُ مِنْ عِباده»[١].

٤-قوله: «**إن كان محسناً**»: أي: إن كان لديه حسنات، وأعمال حسنة، «والحسنة يعبر عنها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله...، والإحسان يقال على وجهين:

أحدهما: الإنعام على الغير، يقال: أحسن إلى فلان.

والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علماً حسناً، أو عمل عملاً حسناً... فالإحسان زائد على العدل، فتحري العدل واجب، وتحري الإحسان ندب وتطوع... ولذلك عظَّم اللَّه تعالى ثواب المحسنين»[٢].

٥-قوله: «**فزد في إحسانه**» أي: ضاعف له الثواب وأجزل له الأجور، ففيما أنه مفتقر إليك، ومحتاج إلى رحمتك، فأدعوك يا ربي أن تفيض عليه من فضلك، وإنعامك، وضاعف له الأجر والثواب، وقال ابن عبد البر: «وَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ» وَاللَّهُ أَعْلَمُ، يُضَاعِفُ لَهُ الْأَجْرَ فِيمَا أَحْسَنَ فِيهِ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئِ عَمَلِهِ»[٣].

وقال في شرح الزرقاني: «**فزد في إحسانه**» أي ضاعف له الأجر فيما أحسن فيه»[٤].

٦-قوله: «**وإن كان مسيئاً**» أي: اقترف شيئاً من السيئات، والذنوب والآثام، قال الراغب: «السوء: كل ما يغمّ الإنسان من الأمور الدنيوية، والأخروية، ومن الأحوال النفسية، والبدنية»[٥].

٧-قوله: «**فتجاوز عنه**» أي: بالعفو، والمغفرة، وإبدال سيئاته حسنات، ولا تؤاخذه بما قدم من ذنوب وآثام، واغفر له، وقال الزرقاني: «فتجاوز عن

---

(١) لسان العرب، ١٥ / ١٣٥، مادة (غني).
(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، ١/ ٢٣٥.
(٣) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٨ / ٢٥٧.
(٤) شرح الزرقاني لموطأ مالك، ٢/ ٨٥.
(٥) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، ١/ ٥٢١.

سيئاته: فلا تؤاخذه بها»[١].

٨-**قوله: «كان يشهد أن لا إله إلا أنت، وأن محمداً عبدك ورسولك**، وقد وعدت من يشهد بذلك بالجنة، ووعدك الحق، فمن كمال عفوك، لا تعذبه قبل ذلك»[٢].

٩-قوله: «**اللهم لا تحرمنا أجره**»: «قَالَ السُّيُوطِيُّ: بِفَتْحِ التَّاءِ وَضَمِّهَا لُغَتَانِ فَصِيحَتَانِ، وَالْفَتْحُ أَفْصَحُ، يُقَالُ حَرَمَهُ، وَأَحْرَمَهُ، وَالْمُرَادُ أَجْرُ مَوْتِهِ؛ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ أَخُو الْمُؤْمِنِ، فَمَوْتُهُ مُصِيبَةٌ عَلَيْهِ، يَطْلُبُ فِيهَا الْأَجْرَ، قَالَهُ فِي فَتْحِ الْوَدُودِ»[٣].

وقال الزرقاني: «اللهم لا تحرمنا أجره: أي: أجر الصلاة عليه، أو شهود جنازته، أو أجر المصيبة بموته؛ فإن المؤمن مصاب بأخيه المؤمن»[٤].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تحرمنا أجره، يعني بالصلاة عليه؛ لأن الإنسان يؤجر بالصلاة على الميت، كما سبق أن من شهدها حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان، كذلك أيضاً أجر آخر للمصاب بهذا الميت الذي حزن لفراقه، يؤجر أيضاً على صبره على المصيبة»[٥].

وقال الشيخ البدر: «اللَّهمَّ لا تحرمنا أجره، أي: الأجر الذي نحصله من تجهيزه، والصلاة عليه، وتشييعه، ودفنه، وكذلك الأجر الذي نحصله من صبرنا على مصيبتنا فيه، وأمَّا أجر عمله فهو له، وليس لنا منه شيء»[٦].

١٠-قوله: «ولا تفتنا»: بما يشغلنا عنك، «بعده»؛ فإن كل شاغل عن الله تعالى فتنة، وفيه أن المصلي له أن يشرك نفسه في الدعاء بما شاء، فهاتان

---

(١) شرح الزرقاني، ٢/ ٨٥.
(٢) شرح الزرقاني، ٢/ ٨٥.
(٣) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ٨ / ٣٤٦.
(٤) شرح الزرقاني، ٢/ ٨٥.
(٥) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٧.
(٦) فقه الأدعية والأذكار، للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ٣/ ٢٣٣.

الدعوتان للمصلي لا للميت»[١].

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «ولا تفتنا بعده: يعني لا تضلنا عن ديننا بعده؛ لأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة مادام الإنسان لم تخرج روحه؛ فإنه عرضة لأن يفتن في دينه، والعياذ بالله؛ ولهذا قال: «**لا تفتنا بعده**»، فينبغي للإنسان أن يدعو بهذا الدعاء اقتداء برسول الله ﷺ»[٢].

١١-قوله: «**لعمرُ الله**»: هو قسم ببقاء الله، ودوامه، وهو رفع بالابتداء، والخبر محذوف تقديره: لعمر الله قسمي، أو ما أقسم به، واللام للتوكيد؛ فإن لم تأت باللام نصبته نصب المصادر، فقلت: عمرَ الله، وعمرك الله، أي بإقرارك لله، وتعميرك له بالبقاء»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَأَمَّا صِيغَةُ الْقَسَمِ: فَتَكُونُ فِعْلِيَّةً، كَقَوْلِهِ: أَحْلِفُ بِاَللَّهِ؛ أَوْ تَاللَّهِ، أَوْ وَاَللَّهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَتَكُونُ اسْمِيَّةً، كَقَوْلِهِ: لَعَمْرُ اللَّهِ لَأَفْعَلَنَّ، وَالْحِلُّ عَلَيَّ حَرَامٌ لَأَفْعَلَنَّ»[٤].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-تنوع الأذكار الواردة عن النبي ﷺ مرجعها جميعًا إلى الثناء على الله بما هو أهله وطلب الرحمة منه للميت مخلصًا له في ذلك.

٢-إظهار العبودية، والافتقار لله وحده في جميع الأحوال، قبل الموت من العبد، وبعد الموت ممن يدعون له، فالكل لا غنى له عن ربه طرفة عين، فهو محتاج إليه في جلب المنافع، ودفع المضار في الدنيا والآخرة.

---

(١) فقه الأدعية والأذكار، ٣ / ٢٣٣.
(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٧.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٢٩٨، مادة (عمر).
(٤) مجموع الفتاوى، ٣٥ / ٢٤٦.

٣-قال ابن عبد البر: «الدُّعَاءُ لِلْمَيِّتِ اسْتِغْفَارٌ لَهُ، وَدُعَاءٌ بِمَا يَحْضُرُ الدَّاعِيَ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي يَرْجُو بِهِ الرَّحْمَةَ لَهُ وَالْعَفْوَ عَنْهُ، وَلَيْسَ فِيهِ عِنْدَ الْجَمِيعِ شَيْءٌ مُوَقَّتٌ»[١].

٤-تقرير أن من أسماء الله الحسنى، وصفاته العلا «الغني»، قال الخطابي: هو الذي استغنى عن الخلق، وعن نصرتهم وتأييدهم لملكه؛ فليست به حاجة إليهم، وهم إليه فقراء محتاجون[٢]، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾[٣].

٥-**قال ابن عبد البر** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِي هَذَا الْحَدِيثِ جَوَابُ السَّائِلِ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَذَلِكَ إِذَا أَرَادَ الْمَسْئُولُ تَعْلِيمَ مَا يَعْلَمُ أَنَّ بِهِ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ، وَفِيهِ قَصْدُ الْجِنَازَةِ إِلَى مَوْضِعِهَا فِي حِينِ حَمْلِهَا»[٤].

٦-بينت أحاديث صلاة الجنازة مدى فقر العبد لربه في كل أحواله، قال ابن القيم: وفقر العباد إلى ربهم فقران:

أ- فقر اضطراري: وهو فقر عام، لا خروج لبر، ولا فاجر عنه.

ب – فقر اختياري: وهو نتيجة لعلمين شريفين:

أحدهما: معرفة العبد بربه.

والثاني: معرفته بنفسه، فمتى حصلت له هاتان المعرفتان أنتجتا فقرًا هو عين غنى العبد وعنوان فلاحه وسعادته[٥].

٧-قال العظيم أبادي: «فَهَذِهِ صِيَغُ الْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ، وَقَدْ وَقَعَ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ ذِكْرُ أَدْعِيَةٍ غَيْرِ المأثورة عن النبي ﷺ، والتمسك بالثابت عنه أَلْزَمُ، وَأَوْكَدُ، وَاخْتِلَافُ

---

(١) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٨ / ٢٥٧.
(٢) شأن الدعاء، ص ٩٣.
(٣) سورة محمد، الآية: ٣٨.
(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٨/ ٢٥٦.
(٥) انظر: طريق الهجرتين، الفصل الأول، ص ٢٢.

الْأَحَادِيثِ فِي ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو لِمَيِّتٍ بِدُعَاءٍ، وَلِآخَرَ بآخر، والذي أمر به إِخْلَاصَ الدُّعَاءِ، فَلِلرَّجُلِ الْمُتَّبِعِ لِلسُّنَّةِ أَنَّهُ يَدْعُو بِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْوَارِدَةِ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ؛ سَوَاءً كَانَ الْمَيِّتُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، وَلَا يُحَوِّلُ»[(١)].

٨-«**اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده**» فهذا دعاء للحي، ولكنه يتعلق بالميت، فالذي يبدو أن المقصود منه هو أن الإنسان يجتهد ويقبل على الله، ويهتم بالدعاء، فلا يكون هناك ذهول ولا غفلة؛ حتى يحصل المقصود من الصلاة على الجنازة[(٢)].

٩-قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: الْحَلِفُ «بِعِزَّةِ اللَّهِ»[(٣)]، و«لَعَمْرُ اللَّهِ»[(٤)]، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْحَلِفِ بِغَيْرِ اللَّهِ الَّذِي نُهِيَ عَنْهُ، وَالِاسْتِغَاثَةُ بِمَعْنَى أَنْ يُطْلَبَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ مَا هُوَ اللَّائِقُ بِمَنْصِبِهِ، لَا يُنَازِعُ فِيهَا مُسْلِمٌ، وَمَنْ نَازَعَ فِي هَذَا الْمَعْنَى، فَهُوَ إِمَّا كَافِرٌ إِنْ أَنْكَرَ مَا يَكْفُرُ بِهِ، وَإِمَّا مُخْطِئٌ ضَالٌّ»[(٥)].

***

---

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم (٨/ ٣٥٧)

(٢) شرح سنن أبي داود للعباد، ٣٦٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ وَمَنْ حَلَفَ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، برقم ٧٣٨٣، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، برقم٢٧١٧، ولفظ البخاري: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ».

(٤) البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب قول الرجل: لعمر الله، برقم ٦٦٦٢، ومسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، برقم ٢٧٧٠، ولفظ البخاري: «عن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا، فَبَرَّأَهَا اللَّهُ، وَكُلٌّ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنْ الْحَدِيثِ، وَفِيهِ: فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ».

(٥) مجموع الفتاوى، ١ / ١١٢.

٥٦ ـــ الدُّعَاءُ للفرَطِ في الصَّلاةِ عَلَيْهِ

١٦٠-(١)«اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»[١].

وإن قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ فَرَطاً وَذُخْراً لِوَالِدَيْهِ، وَشَفِيعاً مُجَاباً، اللَّهُمَّ ثَقِّلْ بِهِ مَوَازِينَهُمَا، وَأَعْظِمْ بِهِ أُجورَهُمَا، وَأَلْحِقْهُ بِصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاجْعَلْهُ فِي كَفَالَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَقِهِ بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ الْجَحِيمِ، وَأَبْدِلْهُ دَاراً خَيْراً مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلاً خَيْراً مِنْ أَهْلِهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَسْلَافِنَا، وَأَفْرَاطِنَا، وَمَنْ سَبَقَنَا بِالْإِيمَانِ»[٢].

الشـــرح:

اولاً: لفظ الأثر:

٥٤١-عن سَعِيدِ بْنَ الْمُسَيَّبِ[٣] قال: صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٤] عَلَى صَبِيٍّ لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»[٥].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، ١/٢٨٨، برقم ٥٣٦، وابن أبي شيبة في المصنف، ٣/٢١٧، والبيهقي، ٤/٩، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لشرح السنة للبغوي، ٥/٣٥٧، وصححه عبد القادر الأرناؤوط في تحقيقه لجامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، ٦/ ٢٢٤.

(٢) انظر: المغني لابن قدامة، ٣/٤١٦، والدروس المهمة لعامة الأمة، للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله، ص١٥ .

(٣) سعيد بن المسيب: هو ابن حزن أبو محمد القرشي، كَانَ مِنْ سَادَاتِ التَّابِعِينَ فِقْهًا وَدِينًا، وَوَرَعًا، وَعِلْمًا، وَعِبَادَةً، وَفَضْلا، وَكَانَ أَبُوهُ يَتَّجِرُ فِي الزَّيْتِ، سيد التابعين في زمانه، رأى عمر، وسمع عثمان وعليًّا وعائشة وابن عباس وغيرهم ﷺ، وكانت وفاته سنة أربع وتسعين وكان يُقال لهذه السنة سنة الفقهاء؛ لكثرة من مات منهم فيها. انظر: الثقات لابن حبان، ٢/ ١٦٥، وسير أعلام النبلاء، ٤/ ٢١٧ ترجمة رقم (٨٨).

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) الموطأ، ١/٢٨٨، برقم ٥٣٦، وابن أبي شيبة، ٣/٢١٧، والبيهقي، ٤/٩، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لشرح السنة للبغوي، ٥/٣٥٧، وصححه عبد القادر الأرناؤوط في تحقيقه لجامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، ٦/ ٢٢٤ .

٥٤٢-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا أَعْلَمُ - شَكَّ مُوسَى - قَالَ: «ذَرَارِيُّ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَنَّةِ يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ ﷺ»[(١)].

٥٤٣-وعن سَمُرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا»، قَالَ: فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالاَ لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا...» فذكر الحديث بطوله، ثم قالا للنبي ﷺ في آخر هذه القصة العجيبة: «... وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ؛ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ، فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ» . قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلاَدُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَوْلاَدُ الْمُشْرِكِينَ...»[(٢)].

٥٤٤- وَدَفَنَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ[(٣)] ابْنًا لَهُ، فَقَالَ: «اللهُمَّ جَافِ الْأَرْضَ عَنْ جَنْبِهِ، وَافْتَحْ، أَبْوَابَ السَّمَاءِ لِرُوحِهِ، وأبدله دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ»[(٤)].

٥٤٥- رُوِيَ عَنْ أَبِي حنيفة، إِذَا كَانَ الْمَيِّتُ صَبِيًّا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا

---

(١) أخرجه أحمد، ١٤/ ٧١، برقم ٨٣٢٤، و الحاكم، ١/٥٤١، وقال: «صحيح على شرط الشيخين» والبيهقي في البعث، ص ١٥٥، برقم ٢١١، وابن أبي شيبة، ٣/٥٤، برقم ١٢٠٥٢، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٢١٩/٧: «فيه عبد الرحمن بن ثابت، وثقه المديني، وجماعة، وضعفه ابن معين وغيره، وبقية رجاله ثقات»وحسنه محققو المسند، ١٤/ ٧١، والعلامة الألباني في السلسلة الصحيحة، ٣ / ٤٥١.

(٢) البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، برقم ٧٠٤٧، وقد تقدم الحديث بطوله في شرح أحاديث المتن رقم ١١٤، ورقم ١١٥ في شرح آداب الرؤيا، في الأدب السابع: «لا فضل في رؤيا الليل على رؤيا النهار».

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة، ٣/ ١٩، برقم ١١٧٠٢، والمعجم الكبير للطبراني، ١/ ٢٤٤، برقم ٦٨٧، والأوسط لابن المنذر، ٥/ ٥٠٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٥/ ٢٠١، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٣/ ٤٤: «ورواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات»، وصححه علي بن نايف الشحود في كتابه: الاستعداد للموت، ص ٢٤٠.

فَرَطًا، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا ذُخْرًا، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا شَافِعًا وَمُشَفَّعًا»[١].

٥٤٦- وَقِيلَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ثَقِّلْ مَوَازِينَهُمَا، وَأَعْظِمْ بِهِ أُجُورَهُمَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ فِي كَفَالَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَأَلْحِقْهُ بِصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِسَلَفِنَا، وَفَرَطِنَا، وَمَنْ سَبَقَنَا بِالْإِيمَانِ»[٢].

٥٤٧-وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال أصحابنا: فإن كان الميت طفلاً دعا لأبويه، فقال: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَهُما فَرَطاً، واجْعَلْهُ لَهُما سَلَفاً، واجْعَلْهُ لَهُما ذُخْراً، وَثَقِّلْ بِهِ مَوَازِينَهُما، وأفرغ الصَّبْرَ على قُلوبِهِما، وَلا تَفْتِنْهُما بَعْدَهُ وَلا تَحْرِمْهُما أَجْرَهُ. هذا لفظ ما ذكره أبو عبد الله الزبيري من أصحابنا في كتابه الكافي، وقاله الباقون بمعناه، وبنحوه قالوا، ويقول معه: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنا وَمَيِّتِنا، إلى آخره. قال الزبيري: فإن كانتْ امرأةً قال: اللَّهُمَّ هَذِهِ أَمَتُكَ، ثم يُنَسِّقُ الكلام، والله أعلم»[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «اللهمّ أعذه من عذاب القبر»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «معناها يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب...»[٤]، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «العوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به، يقال: عاذ فلان بفلان»[٥]، وقال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) العيال لابن أبي الدنيا، ٢/ ٥٩٨، موقوفاً على الحسن،وذكره العيني في العناية على شرح الهداية، ٣/ ٢٢٣. وانظر: عون المعبود، ٨/ ٣٦٣.

(٢) هذا النص مجموعاً بهذا اللفظ موجود في أكثر كتب الفقهاء على المذاهب الأربعة بألفاظ متقاربة، انظر: البناية شرح الهداية للعيني الحنفي، ٣/ ٢٢٣، والرسالة للقيرواني المالكي، ص ٥٨، وحاشية البجيرمي الشافعي، ٤/ ٢٦٣، والمغني لابن قدامة الحنبلي، ٤١٦/٣، والدروس المهمة لعامة الأمة، للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، ص١٥ .

(٣) الأذكار النووية للإمام النووي، ص ٢١٦.

(٤) جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، ص ١٤٣، وتقدم التفصيل في شرحها في شرح ألفاظ حديث المتن رقم ١، شرح المفردة رقم ٦.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩١١.

«استعاذ منه؛ لأنه أول منزل من منازل الآخرة، فسأل الله أن لا يتلقاه في أول قدم يضعه في الآخرة في قبره عذاب ربه»[(١)].

٢-قوله: «**اللهم اجعله فرطًا**»: الفرط هو السابق أي: اجعل صبرهما على فراقه أجرًا متقدمًا عندك، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَرَطَ يَفْرِطُ، فَهُو فَارِطٌ وفَرَطٌ إِذَا تقَدَّم وسَبَق الْقَوْمَ لِيَرْتادَ لَهُمُ الْمَاءَ، وَيُهَيِّئَ لَهُمُ الدِّلاء والأَرشِيَة، وَمِنْهُ الدُّعَاءُ للطِّفل الميِّت: اللَّهُمَّ اجْعَلْه لَنَا فَرَطاً، أَيْ: أَجْراً يَتَقَدَّمُنا. يُقَالُ: افْتَرَطَ فُلان ابْناً لَهُ صَغيرا إِذَا مَاتَ قَبْله»[(٢)].

٣-**قوله**: «**وسلفاً**»: أي: جعل هذا الطفل الذي سبقنا بالموت، فصار لنا سلفاً، وخلفناه بعد موته مقدمة لنا في الأجر، قال ابن الأثير: «قيل: هو من: سلف المال؛ كأنه قد أسلفه، وجعله ثمناً للأجر، والثواب الذي يجازى على الصبر عليه، وقيل: سلف الإنسان: من تقدمه بالموت من آبائه، وذوي قرابته؛ ولهذا سُمّي الصدر الأول من التابعين: السلف الصالح»[(٣)].

٤-قوله: «**وذخرًا لوالديه**» أي: وديعة لهما عندك يرجعان إليه عند الحاجة إليها يوم القيامة، اجعله في صحائف والديه مدخراً، وذخيرة، «والذخيرة: ما ادخر كالذخر، جمعه: أذخار»[(٤)]، وقال في اللسان: «ذَخَرَ الشيءَ، يَذْخُرُه ذُخْراً، واذَّخَرَهُ اذِّخاراً: اخْتَارَهُ، وَقِيلَ: اتَّخَذَهُ، وَكَذَلِكَ اذَّخَرْتُه ... وَكَذَلِكَ الذُّخْرُ، وَالْجَمْعُ أَذْخارٌ، وذَخَرَ لِنَفْسِهِ حَدِيثًا حَسَناً: أَبقاه، وَهُوَ مَثَلٌ بِذَلِك»[(٥)].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٦٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٣٤، مادة (فرط).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٩٠، مادة (سلف).

(٤) القاموس المحيط، ص ٥٠٦، مادة (ذخر).

(٥) لسان العرب، ٤/ ٣٠٢، مادة (ذخر).

٥-قولـه: «**وشـفيعًا مجابًـا**» أي: مقبـولًا منـه الشـفاعة لوالديـه يـوم القيامـة؛ لأن الشافع ربما تقبل شفاعته، أو ترد عليه، قال في النهاية: «شفع يشفع شفاعة فهو شافع وشفيع والمُشَفِّع الذي يقبل الشفاعة، والمُشفَّع الذي تقبل شفاعته، وإنه ليشفع علي بالعداوة: أي يعين عليّ، ويضارّني،... ولا تنفعها شفاعة: نفي للشافع، أي: ما لها شافع فتنفعها شفاعته»[(١)]، وأما مجاباً: فهو إذا دعا استجاب الله له دعاءه، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «**شفيعاً**» الشفيع: بمعنى الشافع، كالسميع بمعنى السامع، والشفيع: هو الذي يتوسط لغيره بجلب منفعة، أو دفع مضرة، وسُمي شفيعاً؛ لأنه يجعل المشفوع له اثنين بعد أن كان وتراً، فصار بضم صوته إلى صوت المشفوع له شفيعاً له، قوله: «مجاباً» لأن الشفيع قد يجاب، وقد لا يجاب، فسأل الله أن يكون شفيعاً مجاباً»[(٢)].

٦-قوله: «**اللهم ثقل به موازينهما**»: وذلك لعظم جزاء الصبر على المصيبة، فالمؤمن يحتاج إلى تثقيل ميزانه يوم القيامة، والتثقيل هو زيادة الأعمال الصالحة، وكثرتها فتجعل الميزان ثقيلاً عند الله، قال العدوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَثَقِّلْ بِهِ أَيْ: بِأَجْرِ مُصِيبَتِهِ، مَوَازِينَهُمْ: أَيْ: مَوْزُونَاتِهِمْ؛ لأنه الموصوف بالثقل، أي: بحيث ترجح حسناتهم على سيئاتهم»[(٣)].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «اللهم ثقل به موازينهما» أي: موازين الأعمال، وذلك في كونه أجراً لهما؛ لأنه كلما كان أجراً ثقلت به الموازين، والموازين: جمع ميزان، وهو: ما توزن به أعمال العباد يوم القيامة»[(٤)].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٨٥، مادة (شفع).

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٥/ ٢٢٧.

(٣) الثمر الداني، للأبي الأزهري، ١/ ٢٩١، وانظر: حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، ٣/ ٣٤٨.

(٤) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٥/ ٢٢٧.

٧-قوله: «**وأعظم به أجورهما**» أي: ضاعف لهما الأجر، وأجزله لهما، فتعظيم الأجور زيادتها وإضعافها أضعافاً، قال الأبي رحمه الله: «وأعظم: أي: كثِّر به، أي: بأجر مصيبته أجورهم، ولما كان لا يلزم من التكثير التثقيل، ولا من التثقيل التكثير أتى بقوله: وأعظم به إلخ بعد قوله: وثقّل به إلخ»[١].

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وأعظم به أجورهما»، أي: اجعل أجورهما عظيمة، وهنا إشكال نحوي حيث قال: «أجورهما» مع أن المضاف إليه مثنى، أي لم يقل: عظم به أجريهما؟»[٢].

٨-قوله: «**وألحقه بصالح المؤمنين**»: وهم الذين أسكنتهم جنات النعيم، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله مبيّناً من هم صالح المؤمنين: «وقَد اختَلَفَ أَهل التَّأوِيل فِي المُراد بِقَولِهِ تَعالَى: ﴿وصالِح المُؤمِنِينَ﴾ [٣] عَلَى أَقوال:

أَحَدها: الأَنبِياء، أَخرَجَهُ الطَّبَرِيُّ، وابن أَبِي حاتِم عَن قَتادَةَ، وأَخرَجَهُ الطَّبَرِيُّ، وذَكَرَهُ ابن أَبِي حاتِم عَن سُفيان الثَّورِيّ، وأَخرَجَهُ النَّقّاش عَن العَلاء بن زِياد.

الثّانِي: الصَّحابَة أَخرَجَهُ ابن أَبِي حاتِم عَن السُّدِّيّ، ونَحوه فِي تَفسِير الكَلبِيّ، قالَ: هُم أَبُو بَكر، وعُمَر، وعُثمان، وعَلِيّ، وأَشباههم مِمَّن لَيسَ بِمُنافِقٍ.

الثّالِث: خِيار المُؤمِنِينَ، أَخرَجَهُ ابن أَبِي حاتِم عَن الضَّحّاك.

الرّابِع: أَبُو بَكر، وعُمَر، وعُثمان، أَخرَجَهُ ابن أَبِي حاتِم عَن الحَسَن البَصرِيّ.

الخامِس: أَبُو بَكر، وعُمَر، أَخرَجَهُ الطَّبَرِيُّ، وابن مَردَويهِ عَن ابن مَسعُود مَرفُوعًا وسَنَده ضَعِيف»[٤].

---

(١) الثمر الداني للأبي الأزهري، ١/ ٢٩١.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٥/ ٢٢٨.

(٣) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٤) فتح الباري، ١٠ / ٤٢١.

٩-قوله: «واجعله في كفالة إبراهيم» أي: معه عليه الصلاة والسلام في الجنة، والكافل هو ضامن مؤمن حاجة من يكفلهم، قال ابن الأثير: «الكَافِل: القائم بأمْرِ اليَتيم، المُرَبِّي له، وهو من الكَفِيل: الضَّمِين»[١]،

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «وألحقه بصالح سلف المؤمنين، واجعله في كفالة إبراهيم» ، أي: بصغار المؤمنين الذين سلفوا، وذلك أن الصغار من الولدان يكونون في كفالة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد رآهم النبي ﷺ حينما عُرج به - عند إبراهيم وسأل عنهم، فقيل له: هؤلاء ولدان المؤمنين ؛ ولهذا قال: «واجعله في كفالة إبراهيم»»[٢].

١٠-قوله: «وقه برحمتك عذاب الجحيم»: قال ابن سيده رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقاه: صانه، ووقاه مَا يكره: حماه مِنْهُ، ... والتوقية: الكلاءة وَالْحِفْظ»[٣]، وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: اجْعَلْه مِمَّن شملته رحمتك، وناله عفوك، وعد على مَا تعلم من ذنوبه بِرَحْمَتك، وعَلى مَا سلف من تقصيره عَن طَاعَتك مَا وعدت من الْإِحْسَان من نَفسك يَا ذَا الْجلَال وَالْإِكْرَام[٤]، وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيْ: زَحْزِحْهُ عَنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ، وَهُوَ الْعَذَابُ الْمُوجِعُ الْأَلِيمُ»[٥].

١١-قوله: «وأبدله دارًا خيرًا من داره» أي: أدخله الجنة، التي هي دار السلام، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «أبدله داراً خيراً من داره؛ لأنه انتقل من دار الدنيا إلى دار البرزخ، ودار الدنيا كما نعلم دار محن، وأذىً، وكدر، فيقول: أبدله داراً

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ٣٤٢، مادة (كفل).

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٥/ ٢٢٩.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، ٦/ ٥٩٨، مادة (قوي).

(٤) انظر: بستان الواعظين ورياض السامعين، ص ٢٦٧.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير، ٧/ ١٣١.

خيراً من داره؛ ليكون منعماً في قبره»[١].

١٢-قوله: «**وأهلًا خيرًا من أهله**» أي: بصحبة أهل الجنان؛ حيث لا غلّ، ولا حسد، ويدخل في الأهل: الزوجة، والخدم، والأهل هنا المصاحبون له في حياته، كما يصاحب الرجل زوجه، أي: يلازمون، قال القرطبي: «الأهل هنا: عبارة عن الخدم، والخوَل، ولا تدخل هنا الزوجة فيهم؛ لأنه قد خصّها بالذكر بعد ذلك؛ حيث قال: «وزوجًا خيرًا من زوجِه»»[٢]. وقال ابن عثيمين رحمه الله: «وأهلاً خيراً من أهله: أهله ذووه، كأمه، وخالته، وبناته، وأبيه، وابنه، وما أشبه ذلك»[٣].

١٣-قوله: «**اللهم اغفر لأسلافنا**» أي: من سبقنا بالموت، والرحيل إليك من الآباء والأمهات وغيرهم، فالسلف هم المتقدمون، فـ «سَلَف الإنسان مَن تقَدَّمه بالمَوت من آبائه، وَذَوِي قَرابته؛ ولهذا سُمِّي الصَّدْر الأوّل من التَّابعين السَّلَف الصالح... والمَاضُون منها»[٤].

١٤-قوله: «**وأفراطنا**»: قال النووي رحمه الله: أي: مَن سَبقنا، وَالْفَرَطُ وَالْفَارِطُ هُوَ الَّذِي يَتَقَدَّمُ الْقَوْمَ إِلَى الْمَاءِ لِيُهَيِّئَ لَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْه[٥].

١٥-قوله: «**ومن سبقنا بالإيمان**»: يشمل كل مؤمن ومؤمنة استجابوا لله وللرسول قبلنا من الأحياء والأموات.

١٦-**قوله**: «**لم يعمل خطيئة قط**» لموته قبل البلوغ، مأخوذ من حديث رفع القلم عن ثلاثة، فعدّ الصبي حتى يحتلم، وقال عمر: الصغير يكتب له الحسنات،

---

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٥، وتقدم في شرح المفردة رقم ١١، من حديث لمتن رقم ١٥٦.
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ٩١، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢، من حديث المتن رقم ١٥٦.
(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٥، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢، من حديث المتن رقم ١٥٦.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٩٨١، مادة (سلف).
(٥) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢/ ٢٠٤.

ولا تكتب عليه السيئات، «فسمعته يقول: **اللهمّ أعذه من عذاب القبر**»، قال ابن عبد البر: عذاب القبر غير فتنته، بدلائل من السنة الثابتة، ولو عذب الله عباده أجمعين لم يظلمهم، وقال بعضهم: ليس المراد بعذاب القبر هنا عقوبته، ولا السؤال، بل مجرد الألم بالغمّ، والهمّ، والحسرة، والوحشة، والضغطة، وذلك يعم الأطفال وغيرهم»[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية الصلاة على الطفل الصغير؛ لقول الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ ﷺ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**الطِّفْلُ يُصَلَّى عَلَيْهِ**»[٢]، ولو مات بعد فترة يسيرة جدًّا من ولادته لقول النبي ﷺ: «**إذا استهل الصبي صُلي عليه وورث**»[٣] ومعنى استهل أي: ولد صارخًا.

٢-قال ابن عبد البر: «وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفِقْهِ الصَّلَاةُ عَلَى الْأَطْفَالِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا كَالصَّلَاةِ عَلَى الرِّجَالِ بَعْدَ أَنْ يَسْتَهِلَّ الطِّفْلُ، وَعَلَى هَذَا جَمَاعَةُ الْفُقَهَاءِ، وَجُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ»[٤].

٣-قال الباجي: «قَوْلُهُ صَلَّى عَلَى صَبِيٍّ لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ: الصَّلَاةُ عَلَى الصَّبِيِّ قُرْبَةٌ لَهُ، وَرَغْبَةٌ فِي إلْحَاقِهِ بِصَالِحِ السَّلَفِ، وَلَا خِلَافَ فِي وُجُوبِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَقَوْلُهُ: «**اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَبُو هُرَيْرَةَ اعْتَقَدَهُ لِشَيْءٍ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ عَامٌّ فِي الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَأَنَّ الْفِتْنَةَ فِيهِ لَا

---

(١) شرح الزرقاني، ٢/ ٨٥.

(٢) ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على الطفل، برقم ١٥٠٧، والحاكم، ١/ ٥٠٧، وصححه، والألباني في أحكام الجنائز، ص ٧٣.

(٣) ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على الطفل، برقم ١٥٠٨، وصححه الألباني، في السلسلة الصحيحة، برقم ١٥٣.

(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٨/ ٢٥٨.

تَسْقُطُ عَنْ الصَّغِيرِ لِعَدَمِ التَّكْلِيفِ فِي الدُّنْيَا»[١].

٤-إثبات شفاعة الأفراط للوالدين إلا أن النبي ﷺ هو المقدم في كل شفاعة، ثم من بعده من الأنبياء، والملائكة، وأهل الإيمان[٢].

٥-إثبات الميزان، وهو ميزان حقيقي خلافًا للمعتزلة، ومن وافقهم، أنه كناية عن إقامة العدل، والصواب أنه ميزان حسي؛ لقول النبي ﷺ في حديث صاحب البطاقة: «**أن ذنوبه تجعل في كفة ولا إله إلا الله في كفة**»[٣]، ولكن هاتين الكفتين لا نعلم كيفيتهما؛ لأنهما من أمور الغيب، والذي عليه الجمهور أن الذي يوزن هو العمل، وليس العامل، أو صحائف الأعمال[٤].

قال العلامة محمد بن عثيمين رحمه الله: «... وهل الذي يوزن العمل، أو العامل، أو صحائف العمل؟

على أقوال ثلاثة للعلماء:

القول الأول: أن الذي يوزن العمل.

القول الثاني: أن الذي يوزن العامل.

القول الثالث: أن الذي يوزن صحائف الأعمال.

وذلك لاختلاف النصوص في ذلك.

---

(١) المنتقى شرح الموطأ لسليمان بن خلف الباجي، ٢/ ١٦.

(٢) سبق الحديث عن الشفاعة في تفسير آية الكرسي، في شرح حديث المتن رقم ٧١، في شرح المفردات، المفردة رقم ٦، ورقم ٧، وانظر: ٢٠٠ س، ج في العقيدة، رقم ١٣٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه، برقم ٤٣٠٠، والترمذي، برقم ٢٦٣٩، وابن حبان، ١/ ٤٦١، برقم ٢٢٥، والحاكم، ١/ ٧١٠، وقال: «صحيح الإسناد» وصحح إسناده محقق ابن حبان، والألباني في صحيح الجامع، برقم ٨٠٩٥، وتقدم تخريجه في شرح حديث المتن رقم ١٥٣ في الفائدة رقم ١١: «من جملة فضائل لا إله إلا الله في الفضيلة السابقة».

(٤) انظر: أحكام الجنائز لابن عثيمين ص ٣٣٧ وما بعدها.

- فحجة من قال: إن الذي يوزن العمل: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾[١]

- و قول النبي ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان**»[٢].

- وحجة من قال إن الذي يوزن صاحب العمل: قوله تعالى: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾[٣].

وحديث ابن مسعود ﷺ: لما قام فهبت الريح فضحك الناس منه؛ لأنه ﷺ دقيق الساقين، فقال النبي ﷺ: «**إن ساقيه في الميزان أعظم من أُحد**»[٤].

- وحجة من قال: إن الذي يوزن صحائف الأعمال: حديث صاحب البطاقة «**الذي يؤتى له بسجلات عظيمة كلها ذنوب، حتى إذا رأى أنه قد هلك، قيل له: إن لك عندنا حسنة واحدة، فيؤتى ببطاقة صغيرة فيها لا إله إلا الله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم شيئاً، ثم توضع البطاقة في كفة، وبقية الأعمال في كفة، فترجح بهنَّ وتميل**»[٥].

- فيجاب: إن حقيقة هذا وزن الأعمال؛ لأن الصحائف إنما تثقل، وتخف بما فيها من العمل.

---

(١) سورة الزلزلة، الآية : ٧.

(٢) البخاري، برقم ٦٤٠٤، ومسلم، برقم ٢٦٩٤، وسيأتي تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٢٥٦.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٠٥.

(٤) الطبقات الكبرى، ٣/ ١٥٦، ومسند أحمد ٧/ ٩٨، برقم ٣٩٩١، وصححه لغيره محققو المسند، ٧/ ٩٩، والألباني في السلسلة الصحيحة، ٦/ ٢٤٩، والطيالسي، ٢/ ٤٠٣، برقم ١١٧٤، ومسند أبي يعلى الموصلي، ٩/ ٢٠٩، وحسنه محققه، ولفظ أحمد: عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الأَرَاكِ ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ ؟» قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ».

(٥) أخرجه ابن ماجه، برقم ٤٣٠٠، والترمذي، برقم ٢٦٣٩، وابن حبان، ١/ ٤٦١، برقم ٢٢٥، والحاكم، ١/ ٧١٠، وقال: «صحيح الإسناد» وصحح إسناده محقق ابن حبان، والألباني في صحيح الجامع، برقم ٨٠٩٥، وتقدم تخريجه في شرح حديث المتن رقم (١٥٣)، الفائدة رقم ١١، الفضيلة السابقة.

- وقد يقال: إن الأكثر وزن الأعمال، وقد توزن صحائف الأعمال.

- ولكن الراجح والذي عليه الجمهور أن الذي يوزن العمل»[١].

وقال الإمام ابن باز رحمه الله في شرح العقيدة الطحاوية: «والمعوَّل على نفس الأعمال، ولكن الله جلّ وعلا قد يزن نفس العامل، ونفس الصحيفة، ونفس العمل، وقد جاءت النصوص بهذا وهذا: وزن الأعمال نفسها، ووزن الصحف، ووزن العامل، وربك جل وعلا هو الحكم العدل، والاعتبار بهذا كله بذات العمل، لا بذات الإنسان، ولا بصحيفته، الاعتماد بهذا كله على العمل»[٢].

٦-وقال في تفسير آية: ﴿**فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ...**﴾[٣].

فتوضع البطاقة في كفة وتلك السجلات في كفة فترجح البطاقة بها، فهذا يدل على أن الذي يوزن هو صحائف العمل .

وأما الذين قالوا إن الذي يوزن هو العامل نفسه فاستدلوا بقوله تعالى: ﴿**فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾[٤] وبأن النبي ﷺ قال حين ضحك الناس على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه نحيفاً، فقام إلى شجرة أراك في ريح شديدة، فجعلت الريح تهزّه هزّاً، فضحك الناس من ذلك، فقال النبي ﷺ: «**أتضحكون**»، أو قال ﷺ: «**أتعجبون من دقة ساقيه، والذي نفسي بيده إنهما في الميزان لأثقل من جبل أحد**»[٥]، وهذا يدل على أن الذي يوزن هو العامل نفسه، والمهم أنه يوم القيامة

---

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٥/ ٢٢٨.

(٢) التعليقات البازية على شرح الطحاوية، ٢/ ٩٩٠.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٢- ١٠٣.

(٤) سورة الكهف، الاية: ١٠٥.

(٥) مسند أحمد، ٧/ ٩٨، برقم ٣٩٩١، والطيالسي، برقم ٣٥٥، وابن سعد في الطبقات، ٣/١٥٥، والبزار، ٢٦٧٨، وأبو يعلى، ٩/ ٢٠٩، برقم ٥٣١٠، ورقم ٥٣٦٥، والطبراني في المعجم الكبير، =

توزن: الأعمال، أو صحائف الأعمال، أو العمال»[١].

٧-بيان أن أطفال المؤمنين في الجنة، وفي كفالة إبراهيم وقد رآه النبي ﷺ ليلة أسري به وحوله أولاد المؤمنين[٢] وفي لفظ: «**أولاد الناس**»[٣] وفي لفظ: «**وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة**»[٤] وعلى هذا يدخل فيهم أولاد المشركين والله أعلم، وإنما اختص إبراهيم بذلك لأنه أبو المسلمين وقد جاء في لفظٍ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوْلاَدُ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَبَلٍ فِي الْجَنَّةِ يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ إِلَى آبَائِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٥]. قال تعالى: ﴿**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ**﴾[٦].

إلا أنه لا يجزم لأحد من الأطفال مات بعينه أنه من أهل الجنة؛ لأن عائشةلما صلى النبي ﷺ على صبي من الأنصار قالت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل سوء ولم يدركه، فقال لها: «**أو غير ذلك يا عائشة...**»[٧].

=

٩/ ٧٥، برقم ٨٤٥٢، ورقم ٨٤٥٣، وأبو نعيم في الحلية، ١/١٢٧،وابن أبي شيبة، ١٢/١١٣، وصححه لغيره محققو المسند، ٧/ ٩٩، وحسن إسناده حسين أسد محقق مسند أبي يعلى، وصححه بطرقه العلامة الألباني في سلسلة أحاديث الصحيحة، ٦ / ٥٧٠، برقم ٢٧٥٠.

(١) شرح رياض الصالحين، باب ذكر الموت وقصر الأمل، بعد الحديث رقم ٥٧٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، برقم ٢٦٦٢، ولفظه: عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ طُوبَى لِهَذَا عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ، لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ، وَلَمْ يُدْرِكْهُ. قَالَ: «أَوَغَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلاً، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلاَبِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلاً، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِى أَصْلاَبِ آبَائِهِمْ».

(٣) البخاري، كتاب الجنائز، باب حدثنا موسى بن إسماعيل، برقم ١٣٨٦.

(٤) البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، برقم ٧٠٤٧.

(٥) المستدرك، ١/ ٣٨٤، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» والبعث والنشور للبيهقي، ص ١٣٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٣/ ٤٥١، برقم ١٤٦٧.

(٦) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٧) مسلم، برقم ٢٦٦٢، وتقدم تخريجه قبل أسطر.

٨-قال ابن عبد البر رحمه الله في مسألة الأطفال: أطفال المسلمين، وأطفال الكافرين.
رَوَى أَبُو رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيُّ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الْحَدِيثَ الطَّوِيلَ حَدِيثَ الرُّؤْيَا، وَفِيهِ قَوْلُهُ عليه السلام: «**وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ، فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ** عليه السلام، **وَأَمَّا الْوِلْدَانُ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ**»، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «**وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ**»[١].

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ أَبِي رَجَاءٍ عَنْ سَمُرَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «**وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَالصِّبْيَانُ حَوْلَهُ أَوْلَادُ النَّاسِ**»[٢]، فَهَذَا يَقْتَضِي ظَاهِرُهُ وَعُمُومُهُ جَمِيعَ النَّاسِ»[٣].

٩-قال النووي: «ولعله نهاها أي عائشة ل عن المسارعة إلى القطع بغير دليل، أو قال ذلك قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة[٤].

قال ابن رجب: بقية المؤمنين سوى الشهداء ينقسمون إلى: أهل تكليف وغير أهل تكليف، فهذان قسمان أحدهما: غير أهل التكليف كأطفال المؤمنين، فالجمهور على أنهم في الجنة وقد حكى الإمام أحمد الإجماع على ذلك[٥].

*****

١٦١-(٢)«اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا فَرَطاً، وَسَلَفاً، وَأَجْراً»[٦].

---

(١) البخاري، برقم ٧٠٤٧، وتقدم في لفظ أحاديث شرح المتن.
(٢) البخاري، كتاب الجنائز، باب حدثنا موسى بن إسماعيل، برقم ١٣٨٦.
(٣) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٨ / ٤٠١.
(٤) وانظر: أحكام الجنائز، للعلامة الألباني، ص ١٠٥، وهو في شرح المشكاة للطيبي، ٢/ ٥٣٧.
(٥)انظر: أهوال القبور، ص ١٣٢، وما بعدها.
(٦) كان الحسن يقرأ على الطفل بفاتحة الكتاب، ويقول... الحديث. أخرجه البغوي في شرح السنة، ٣٥٧/٥، وعبدالرزاق، برقم ٦٥٨٨، وعلقه البخاري في كتاب الجنائز، ٦٥ باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة، ٢/ ١١٣، قبل الحديث رقم ١٣٣٥، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه، ٤/ ٩.

الشـــرح:

أولاً: لفظ الأثر:

٥٤٨-في صحيح البخاري، وَقَالَ الحَسَنُ[(١)]: «**يَقْرَأُ عَلَى الطِّفْلِ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا فَرَطًا وَسَلَفًا وَأَجْرًا**»[(٢)].

٥٤٩-وعند ابن أبي شيبة: عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا فَرَطًا، وَذُخْرًا، وَأَجْرًا**»[(٣)].

٥٥٠-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[(٤)]: أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي عَلَى الْمَنْفُوسِ الَّذِي لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا فَرَطًا وَسَلَفًا وَذُخْرًا**»، قَالَ نُعَيْمٌ: وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ: أَتُصَلِّي عَلَى الْمَنْفُوسِ الَّذِي لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ؟ قَالَ: قَدْ صُلِّيَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ مَغْفُورًا لَهُ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَمْ يَعْصِ اللهَ ﷻ»[(٥)].

٥٥١-«**والسَّقطُ يُصَلَّى عليه، ويُدْعَى لِوالدَيه بالمغفرةِ والرحمةِ**»[(٦)]، وفي رواية: الترمذي وغيره: عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «**قَالَ الرَّاكِبُ خَلْفَ الْجَنَازَةِ وَالْمَاشِي حَيْثُ شَاءَ مِنْهَا وَالطِّفْلُ يُصَلَّى عَلَيْهِ**»[(٧)]

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٩٣ من أحاديث الشرح.

(٢) البخاري معلقاً، قبل الحديث رقم ١٣٣٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) ابن أبي شيبة، ٦/ ١٠٥.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) البيهقي، ٩/٤، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لشرح السنة للبغوي، ٣٥٧/٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) أخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب المشي أمام الجنازة، برقم ٣١٨٠، وأحمد، ٣٠/ ١١٠، برقم ١٨١٧٤، والبيهقي، ٨/٤، والطيالسي، ٢/ ٧٨، وصححه محققو المسند، ٣٠/ ١١٠، وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ٧٣.

(٧) الترمذي، برقم ١٠٣١، وقال: «حسن صحيح» والنسائي، برقم ١٩٤٤، وأحمد، ٣٠/ ٩٦، برقم ١٨١٦٢، وصحيح ابن حبان، ٧/ ٣٢٠، برقم ٣٠٤٩، والحاكم، ١/ ٣٥٥، وصححه محققوه، ومحققو =

ثانياً: شرح مفردات الأثر:

١- قوله: «اللهم اجعله لنا فرطًا»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اللهم: معناها يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب...»[١]، الفرط: «فرط إذا تقدم، وسبق القوم ليرتاد لهم الماء، ويهيئ لهم الدلاء والأرشية، ومنه الدعاء للطفل الميت: اللهم اجعله لنا فرطاً أي: أجراً بتقديمنا، يقال: افترط فلان ابناً له صغير إذا مات قبله»[٢].

٢-قوله: «وسلفاً»: أي: اجعل هذا الطفل الذي سبقنا بالموت، فصار لنا سلفاً، وخلفناه بعد موته، مقدمة لنا في الأجر، قال ابن الأثير: «قِيلَ هُوَ مِنْ سَلَف الْمَالِ، كَأَنَّهُ قَدْ أَسْلَفَهُ، وَجَعَلَهُ ثمنًا للأجْر والثَّواب الَّذِي يُجازَى عَلَى الصَّبْرِ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: سَلَفُ الْإِنْسَانِ مَن تقدمه بالمَوت مِنْ آبَائِهِ، وَذَوِي قَرابته؛ وَلِهَذَا سُمِّي الصَّدْر الْأَوَّلُ مِنَ التَّابعين السَّلَف الصَّالِحَ»[٣].

٣-قوله: «وذخرًا» أي: اجعله في صحائف والديه مدخراً، وذخيرة، «والذخيرة: ما ادخر كالذخر، جمعه: أذخار»[٤]، وقال في اللسان: «ذَخَرَ الشيءَ، يَذْخُرُه ذُخْراً، وادَّخَرَهُ اذِّخاراً: اخْتَارَهُ، وَقِيلَ: اتَّخَذَهُ، ... وذَخَرَ لِنَفْسِهِ حَدِيثًا حَسَناً: أَبقاه، وَهُوَ مَثَلٌ بِذَلِك»[٥].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذخر: بمعنى المذخور، أي: أنها مصدر، بمعنى

=

المسند، ٣٠/ ٩٧، وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ٧٣.

(١) جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، ص ١٤٣، وتقدم التفصيل في شرحها في شرح ألفاظ حديث المتن رقم ١، شرح المفردة رقم ٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٣٤، مادة (فرط)، وسبق شرحه في مفردات حديث المتن رقم ١٦٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٩٠، مادة (سلف)، وسبق شرحه في مفردات حديث المتن رقم ١٦٠.

(٤) القاموس المحيط، ص ٥٠٦، مادة (ذخر)، وسبق شرحه في مفردات حديث المتن رقم ١٦٠.

(٥) لسان العرب، ٤/ ٣٠٢، مادة (ذخر).

اسم المفعول، أي: مذخوراً لوالديه يرجعان إليه عند الحاجة»[١].

٤-قوله: «وأجراً»:أي اجعل هذا الطفل الذي افتقده أهله ثواباً وأجراً على صبرهم لفقده، «الأجر: الجزاء على العمل، كالإجارة، مثلثة، جمعه: أجور، وآجار، وأجره يأجره ويأجره: جزاه كآجره، ... والأجرة: الكراء، وائتجر: تصدق، وطلب الأجر»[٢]، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وأجراً» أي: اجعله لهما أجراً، وهذا ظاهر فيما إذا كانا حيَّين؛ لأنهما سوف يصابان به؛ فإذا أصيبا به فصبرا على هذه المصيبة صار أجراً لهما. أما إذا كانا ميتين، فلا يظهر هذا، لكن لعل الفقهاء ذكروا هذا بناء على الأغلب»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-«هذه الأحاديث تدل على أن أولاد المسلمين في الجنة، وهو قول جمهور العلماء، وشذت المجبرة فجعلوا الأطفال في المشيئة، وهو قول مهجور مردود بالسُّنة وإجماع الجماعة الذين لا يجوز عليهم الغلط؛ لأنه يستحيل أن يكون الله تعالى يغفر لآبائهم بفضل رحمته، ولا يوجب الرحمة للأبناء، وهذا بَيِّنٌ لا إشكال فيه»[٤].

٢-قال القاري: «دل هذا الحديث على ما يأتي:

أولاً: بيان أجر المصيبة في الأولاد ولو ماتوا صغاراً، فإنه لا جزاء لذلك إلاّ الجنة.

ثانياً: أن محبة الأبوين لولدهما ورقة قلبهما عليه، وإن كان غريزة طبيعية في النفس، إلاّ أن المرء يثاب عليها، ولذلك عوض عن فقد الأولاد بالجنة كما قال

---

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٥/ ٣٣١.

(٢) القاموس المحيط، ص ٤٣٦، مادة (أجر).

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٥/ ٣٣١.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ٣ / ٢٤٦.

النبي ﷺ: «**إلّا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم**»[(١)(٢)].

٣-فضل من مات له أولاد واحتسبهم عند الله لقول النبي ﷺ: «**مَا مِنَ النَّاسِ مِنْ مُسْلِمٍ، يُتَوَفَّى لَهُ ثَلاَثٌ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ**»[(٣)]، أي: لم يبلغوا الحلم والحنث هو الذنب، وقوله: «**لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم**»[(٤)] ومعنى تحلة القسم قوله ﷻ: ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا**﴾[(٥)]، وفي لفظ قال: «**واثنان**»[(٦)]، وقد روي في موت الواحد حديث[(٧)]، والواحد يدخل في قوله *عليه الصلاة والسلام* فيما يرويه عن ربه ﷻ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إِلَّا الجَنَّةُ**»[(٨)].

٤-الدعاء في صلاة الجنازة على الطفل يدعى فيه لوالديه، ولا يدعى بدعاء الاستفتاح في صلاة الجنازة سواء على الطفل أو الكبير؛ لأن مبنى هذه الصلاة على التخفيف؛ ولأن العبادات توقيفية، ولم ترد في صفة صلاة النبي ﷺ على الجنائز.

---

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ٢ / ٣٦٧.

(٢) وسيأتي تخريج الحديث في الذي بعده.

(٣) البخاري، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، برقم ١٢٤٨.

(٤) البخاري، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، برقم ١٢٥١.

(٥) سورة مريم، الآية: ٧١.

(٦) ولفظه: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ: أَنَّ النِّسَاءَ قُلْنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ لَنَا يَوْمًا فَوَعَظَهُنَّ، وَقَالَ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلاَثَةٌ مِنَ الوَلَدِ، كَانُوا حِجَابًا مِنَ النَّارِ» قَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: «وَاثْنَانِ» البخاري، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، برقم ١٢٤٩.

(٧) أخرجه الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من قدم ولداً، برقم ١٦٠١، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من أصيب بولده، برقم ١٦٠٦، وأبو يعلى، ٩/٥٣، برقم ٥١١٦، وضعفه الألباني في المشكاة، ١٧٥٥.

(٨) البخاري، كتاب االرقاق، باب العمل الذي يبتغى به وجه الله، برقم ٦٤٢٤.

٥-يصلى على السقط إذا تم أربعة أشهر هلالية غسل وصلي عليه وكفن لقول النبي ﷺ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، ...**»[1] الحديث، وقد قال النبي ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ السِّقْطَ لَيَجُرُّ أُمَّهُ بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ إِذَا احْتَسَبَتْهُ**»[2]، والسرر هو ما تقطعه القابلة، وللحديث السابق «**والسَّقطُ يُصَلَّى عليه، ويُدْعَى لِوالدَيه بالمغفرةِ والرحمةِ**»[3]، وفي ورواية: الترمذي وغيره: عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «**قَالَ الرَّاكِبُ خَلْفَ الْجَنَازَةِ وَالْمَاشِي حَيْثُ شَاءَ مِنْهَا وَالطِّفْلُ يُصَلَّى عَلَيْهِ**»[4].

٦-الصلاة على الطفل مشروعة والنبي ﷺ لم يصل على ابنه إبراهيم؛ لقول عائشة رضي الله عنها: «مات إبراهيم ابن النبي ﷺ وهو ابن ثمانية عشر شهرًا فلم يصل عليه رسول الله ﷺ»[5].

قال ابن القيم رحمه الله: ثم اختلف في السبب الذي لأجله لم يُصل عليه فقالت طائفة: استغنى ببنوة رسول الله ﷺ عن قربة الصلاة التي هي شفاعة له

---

(١) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، برقم ٣٢٠٨، ومعنى نطفة المني والعلقة دم جامد لتعلقه بالرحم والمضغة قطعة من اللحم بقدر ما يمضغ. انظر شرح الأربعين النووية لابن عثيمين.

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء فيمن أصيب بسقط، برقم ١٦٠٩، وأحمد، ٣٦/ ٤١٠، برقم ٢٢٠٩٠، والمعجم الكبير للطبراني، ٢٠/ ١٤٦، برقم ٣٠٠، وصححه لغيره محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١٣٠٥.

(٣) أبو داود، برقم ٣١٨٠، وأحمد، برقم ١٨١٧٤، وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ٧٣، وتقدم تخريجه.

(٤) الترمذي، برقم ١٠٣١، والنسائي، برقم ١٩٤٤، وأحمد، برقم ١٨١٦٢، وصححه محققو المسند، ٣٠/ ٩٧، وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ٧٣، وتقدم تخريجه.

(٥) أبو داود، كتاب الجنائز، باب في الصلاة على الطفل، برقم ٣١٧٨، وأحمد، ٤٣/ ٣٣٠، برقم ٢٦٣٠٥، وحسن إسناده محققو المسند، ٣٣٠، والألباني في أحكام الجنائز، ص ٧٩.

كما استغنى الشهيد بشهادته عن الصلاة عليه.

وقالت طائفة أخرى: أنه مات يوم أن كسفت الشمس فاشتغل بصلاة الكسوف عن الصلاة عليه[١].

٧-الطفل إذا مات صغيرًا جاء يوم القيامة وقد سبق أباه إلى باب الجنة يفتح لأبيه هذا الباب، وقد بشر النبي ﷺ أحد أصحابه، ففي حديث مُعَاوِيَةَ بْنَ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ مع نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغِيرٌ يَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ، فَيُقْعِدُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَهَلَكَ، فَامْتَنَعَ الرَّجُلُ أَنْ يَحْضُرَ الْحَلْقَةَ لِذِكْرِ ابْنِهِ، فَحَزِنَ عَلَيْهِ، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا لِي لَا أَرَى فُلَانًا؟**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بُنَيُّهُ الَّذِي رَأَيْتَهُ هَلَكَ، فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنْ بُنَيِّهِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلَكَ، فَعَزَّاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا فُلَانُ، أَيُّمَا كَانَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَمَتَّعَ بِهِ عُمُرَكَ، أَوْ لَا تَأْتِي غَدًا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ؟**» قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بَلْ يَسْبِقُنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَفْتَحُهَا لِي، لَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ، قَالَ: «**فَذَاكَ لَكَ**» قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، أَهَذَا لِهَذَا خَاصَّةً؟ أَوْ مَنْ هَلَكَ لَهُ طِفْلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ ذَلِكَ لَهُ قَالَ :«**بَلْ مَنْ هَلَكَ لَهُ طِفْلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ ذَلِكَ لَهُ**»[٢]، وفي رواية: أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: النَّبِيِّ ﷺ: «**أَتُحِبُّهُ؟**»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحَبَّكَ اللَّهُ كَمَا أُحِبُّهُ، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا فَعَلَ ابْنُ فُلَانٍ؟**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِيهِ: «**أَمَا تُحِبُّ أَنْ لَا تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ؟**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَهُ خَاصَّةً أَمْ لِكُلِّنَا؟ قَالَ: «**بَلْ لِكُلِّكُمْ**»[٣].

---

(١)انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ١/ ٤٩٥.

(٢) النسائي، كتاب الجنائز، في التعزية، برقم ٢٠٩٠، والسنن الكبرى للبيهقي، ٤/ ٩٨، وهذا لفظ النسائي، وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ٢٠٥.

(٣) مسند أحمد، ٢٤/ ٣٦١، برقم ١٥٥٩٥، والحاكم وصححه، ١/ ٣٨٤، والطيالسي، =

وعند مسلم عن أبي حسان قال: قُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِيَ ابْنَانِ، فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِحَدِيثٍ تُطَيِّبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ: قَالَ: نَعَمْ، «**صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ - أَوْ قَالَ أَبَوَيْهِ -، فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ - أَوْ قَالَ بِيَدِهِ -، كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَى - أَوْ قَالَ فَلَا يَنْتَهِي - حَتَّى يُدْخِلَهُ اللهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ**»[(١)]، وصنفة الثوب: هو طرفه، والدعاميص: واحدهم دُعموص بضم الدال أي صغار أهلها وأصل الدعموص دويبة تكون في الماء لا تفارقه، أي أن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها[(٢)].

٨- صفة الصلاة على الميت:

عن الزهري رحمه الله، قال: سمعت أبا أمامة بن سهل بن حنيف رضي الله عنه، يحدث سعيد بن المسيب رحمه الله قال: إن السنة في صلاة الجنازة، أن يقرأ بفاتحة الكتاب، ويصلِّي على النبي ﷺ ثم عن الشعبي، قال: «أول تكبيرة من الصلاة على الجنازة ثناء على الله ﷻ، **والثانية صلاة على النبي ﷺ، والثالثة دعاء للميت، والرابعة السلام**»[(٣)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه يكبر على الجنازة ويصلي على النبي ﷺ ثم يقول: «**اللهم بارك فيه وصل عليه واغفر له وأورده حوض نبيك ﷺ**»[(٤)].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ رحمه الله، عَنْ أَبِيهِ رحمه الله أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

=

٢/ ٤٠١، وصححه محقق المسند، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٠٠٧.

(١) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، برقم ٢٦٣٥.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/ ٣٩٧.

(٣) أخرجه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٧، برقم ٩١، وقال الألباني في تحقيق كتاب فضل الصلاة: «إسناده موقوف صحيح».

(٤) أخرجه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٧، برقم ٩٢، قال الأرناؤوط في تحقيقه على جلاء الأفهام ، ص ٩٠: «رجاله ثقات» وقال الشيخ الألباني في تحقيقه: «إسناده موقوف صحيح».

كَيْفَ تُصَلِّي عَلَى الْجَنَازَةِ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «أَنَا، لَعَمْرُ اللهِ أُخْبِرُكَ. أَتَّبِعُهَا مِنْ أَهْلِهَا. فَإِذَا وُضِعَتْ كَبَّرْتُ، وَحَمِدْتُ اللهَ، وَصَلَّيْتُ عَلَى نَبِيِّهِ». ثُمَّ أَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّهُ عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مُحْسِنًا، فَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا، فَتَجَاوَزْ عَنْ سَيِّئَاتِهِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ»(١).

وعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ بْنَ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ يُحَدِّثُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: «إِنَّ السُّنَّةَ فِي صَلَاةِ الْجِنَازَةِ أَنْ يَقْرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، ويُصَلِّي على النبي ﷺ، ثُمَّ يُخْلِصَ الدُّعَاءَ لِلْمَيِّتِ حَتَّى يَفْرُغَ، وَلَا يَقْرَأُ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، ثُمَّ يُسَلِّمُ فِي نَفْسِهِ»(٢).

***

---

(١) أخرجه مالك في موطأ، ١/ ٢٢٨، برقم ١٧، واللفظ له، والأوسط لابن المنذر، ٥/ ٤٨٣، برقم ٣١٤١، وإسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٧، برقم ٩٣، قال الأرناؤوط في تحقيقه على جلاء الأفهام ، ص ٩٠: «رجاله ثقات»وقال الشيخ الألباني في تحقيقه: «إسناده موقوف صحيح».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف، ٣/ ٤٨٩، برقم ٦٤٢٨، والأوسط لابن المنذر، ٥/ ٤٨٢، برقم ٣١٣٧، وإسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٩، برقم ٩٤، وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار لابن حجر، ٤/ ٣٨٦: «هذا موقوف، رجاله رجال الصحيح إلا نافعاً، وهو صدوق» وقال الأرناؤوط في تحقيقه على جلاء الأفهام ، ص ٩٠: «إسناده صحيح»وقال الشيخ الألباني في تحقيقه لكتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ: «إسناده صحيح».

٥٧ - دُعَاءُ التَّعْزِيَة

١٦٢-«إِنَّ للهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى... فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»(١).

وَإِنْ قَالَ: «أَعْظَمَ اللهُ أَجْرَكَ، وَأَحْسَنَ عَزَاءَكَ، وَغَفَرَ لِمَيِّتِكَ» فَحَسَنٌ(٢).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٥٢-عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه(٣) قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ إِحْدَى بَنَاتِهِ يَدْعُوهُ إِلَى ابْنِهَا فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنَّ لِلهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ، وَلْتَحْتَسِبْ»، فَأَعَادَتْ الرَّسُولَ أَنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَدُفِعَ الصَّبِيُّ إِلَيْهِ، وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي

---

(١) البخاري، كتاب التوحيد، باب قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، برقم ٦٧٣٣، وكتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه» برقم ١٢٨٤، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، برقم ٩٢٣.

(٢) الأذكار للنووي، ص١٢٦.

(٣) أسامة بن زيد رضي الله عنه: الحب ابن الحب، يكنى بأبي محمد، وقيل: بأبي زيد، أمه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ ورضي الله عنها، وأبوه زيد بن حارثة من كبار الصحابة، وكان شديد السواد بخلاف أبيه، وكان خفيف الروح، أحبه الرسول ﷺ كثيرًا ومن ذلك قوله: «لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى أنفقه» رواه أحمد، ٤٣/ ٥٠، برقم ٢٥٨٦١، وابن سعد، ٤/ ٦٢، وصححه محققو المسند، ٤٣/ ٥١، والألباني في السلسلة الصحيحة، ٣/ ٩٣، برقم ١٠١٩، وذلك لما عثر وهو صغير بباب عتبة النبي ﷺ فشج في وجهه، فجعل يمص عنه الدم ويمجه في وجهه، وقوله: «إن هذا لمن أحب الناس إلي» مسلم، برقم ٢٤٢٦، وقد مات رضي الله عنه في خلافة معاوية. انظر: الاستيعاب، ١/ ٧٥، وسير أعلام النبلاء ترجمة، ٢/ ٤٩٦، رقم الترجمة (١٠٤)، والإصابة، ١/ ٤٩.

شَنٍّ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟ قَالَ: «**هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**»(١).

٥٥٣-وفي لفظ آخر للبخاري: عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: أَرْسَلَتْ ابْنَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ فَأْتِنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ وَيَقُولُ: «**إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ، وَلْتَحْتَسِبْ**»، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ: لَيَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرِجَالٌ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيُّ، وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ، قَالَ: حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ: كَأَنَّهَا شَنٌّ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟ فَقَالَ: «**هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**»(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**إن لله ما أخذ** » أي: أن ما أعطاه لنا وديعة مصيرها أن ترد إلى صاحبها، قال النووي رحمه الله: «مَعْنَاهُ: الْحَثّ عَلَى الصَّبْر وَالتَّسْلِيم لِقَضَاءِ اللَّه، وَتَقْدِيره أَنَّ هَذَا الَّذِي أَخَذَ مِنْكُمْ كَانَ لَهُ لَا لَكُمْ، فَلَمْ يَأْخُذ إِلَّا مَا هُوَ لَهُ، فَيَنْبَغِي أَلَّا تَجْزَعُوا، كَمَا لَا يَجْزَع مَنْ اُسْتُرِدَّتْ مِنْهُ وَدِيعَة أَوْ عَارِيَة»(٣).

٢-قَوْله ﷺ: «**وَلَهُ مَا أَعْطَى**»: معنَاهُ أَنَّ مَا وَهَبَهُ لَكُمْ لَيْسَ خَارِجًا عَنْ مِلْكه؛ بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَفْعَل فِيهِ مَا يَشَاء»(٤).

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «قوله: «**فإن لله ما أخذ، وله ما أعطى**» هذه جملة عظيمة، إذا كان الشيء كله لله إن أخذ منك شيئاً فهو ملكه، وإن أعطاك شيئاً فهو ملكه، فكيف تسخط إذا أخذ منك ما يملكه هو، عليك إذا أخذ الله منك شيئاً

---

(١) البخاري، برقم ٦٧٣٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) البخاري، برقم ١٢٨٤، ومسلم، برقم ٩٢٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٢٢٥.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٢٢٥.

محبوباً، لك أن تقول هذا لله أن يأخذ ما شاء، وله أن يعطي ما شاء»(١).

٣-قوله: «**وكل شيء عنده بأجلٍ مسمّى**» أي: من الأنفس، والأموال، وغير ذلك، فالكل من عنده ﷻ.

٤-قوله: «**بأجل مسمى**» أي: توقيت محدد ومعين، قال الله: ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾(٢).

قال الإمام النووي رحمه الله: وَقَوْله ﷺ: «**وَكُلّ شَيْء عِنْده بِأَجَلٍ مُسَمَّى**» مَعْنَاهُ: اِصْبِرُوا، وَلَا تَجْزَعُوا؛ فَإِنَّ كُلّ مَنْ يَأْتِ قَدْ اِنْقَضَى أَجَله الْمُسَمَّى، فَمُحَال تَقَدُّمه، أَوْ تَأَخُّره عَنْهُ، فَإِذَا عَلِمْتُمْ هَذَا كُلّه، فَاصْبِرُوا، وَاحْتَسِبُوا مَا نَزَلَ بِكُمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»(٣).

٥-قوله: «**فلتصبر**» أي: يا أسامة، مُرها بالصبر على هذه المصيبة، وحقيقة الصبر حبس النفس عن فعل ما يغضب الله، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «فلتصبر أي: فلتحبس نفسها عن السخط وتتحمل المصيبة»(٤).

٦-قوله: «**ولتحتسب**» أي: تحتسب أجر هذه المصيبة عند الله ﷻ، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: وقوله ولتحتسب أي: تحتسب الأجر على الله بصبرها؛ لأن الناس من يصبر، ولا يحتسب، يصبر على المصيبة، ولا يتضجر؛ لكنه ما يؤمل أجرها على الله، فيفوته بذلك خير كثير، لكن إذا صبر، واحتسب الأجر على الله، فهذا هو الاحتساب(٥).

٧-«**أعظم الله أجرك**»: أعظم: فتعظيم الأجور زيادتها وإضعافها أضعافاً(٦)،

---

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث ٢٩.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٢٢٥.
(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٢٩.
(٥) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٢٩.
(٦) تقدم الكلام عليها في حديث المتن رقم ١٦٠.

«ومعنى أجره الله: أعطاه أجره، وجزاء صبره، وهمه في مصيبته»[(١)].

٨-«**وأحسن عزاءك**»: أي جعلك الله من أهل الإحسان بأن تصبر، وتتقي، قال الزبيدي: «أي رزقك الصبر الحسن، والعَزاء كسَحاب: اسم من ذلك، كالكلام من كلمه تكليماً، وتعزَّى هو تصبَّر وشعاره أن يقول: إنا لله» مع الحاضرين فإنه مرحوم»[(٢)].

٩-قوله: «**وغفر لميتك**»: قال الشيخ العباد: «تعزية المصاب بالميت، وذلك بأن يدعى له، وللميت، فيدعى للميت بالمغفرة، ويدعى له بعِظَم الأجر، وبحصول الصبر والاحتساب»[(٣)].

١٠-قوله: «**أرسلت بنت النبي**»: هِيَ زَينَبُ[(٤)] كما وقَعَ فِي رِوايَة أَبِي مُعاوِيَة عَن عاصِم المَذكُور فِي مُصَنَّف ابن أَبِي شَيبَة، وكذا ذكره ابن بشكوال»[(٥)].

١١-قوله: «**إن ابناً لها**» أي: لبنت النبي ﷺ، وقد كتب الدمياطي بخطه في الحاشية إن اسمه علي بن أبي العاص بن الربيع[(٦)].

١٢-قوله: «**قد قبض**» أي: قارب أن يقبض. أي يتوفاه الله بقبض روحه، وقبض: في أسماء الله تعالى (القابض الباسط)، وهو الذي يُمسك الرزق وغيرَه من الأشياء عن العباد بلُطْفه وحِكْمَتَه، ويَقْبِض الأرْواح عند المَمات، وقُبض المريضُ إذا تُوُفِّيَ وإذا أشْرَف على المَوتْ، وقُبض: أي هو في حال

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٢٢٠، وتقدم الكلام عليه في حديث المتن رقم ١٦٠.

(٢) إتحاف السادة المتقين للزبيدي، ٦/ ٣٠١.

(٣) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد، ٦/ ٣٦٤/ ٦.

(٤) قال العلامة الألباني في أحكام الجنائز، ١٦٣: «وفي رواية: أميمة بنت زينب» ثم علق عليها في الحاشية: «ثم عاشت أميمة هذه، (ويقال: أمامة) حتى تزوجها علي بعد فاطمة» ﵄.

(٥) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٢/ ٢٨٤، وانظر: فتح الباري لابن حجر، ٣/ ١٥٦.

(٦) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٢/ ٢٨٤.

القَبْض، ومُعالَجة النَّزع[١]، والباسط هو الذي يبسط الرزق للعباده، سواء كان ذلك من أرزاق القلوب، أو الأبدان، بل وأرزاق كل شيء بيده ﷻ.

١٣-قوله: «**تتقعقع**» أي: تتحرك، وتضطرب[٢].

١٤-قوله: «**كأنها شن**» أي: كان صوته ضعيفًا كضعف القربة البالية اليابسة[٣].

والشن:القربة البالية، وتقعقعها: حركتها وصوتها[٤].

قال النووي رحمه الله: «وَنَفْسه تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنَّة»: هُوَ بِفَتْحِ التَّاء، وَالْقَافَيْنِ، وَالشَّنَّة: الْقِرْبَة الْبَالِيَة، وَمَعْنَاهُ لَهَا صَوْت وَحَشْرَجَة، كَصَوْتِ الْمَاء إِذَا أُلْقِيَ فِي الْقِرْبَة الْبَالِيَة[٥].

وقال البغوي رحمه الله: «تَقَعْقَعُ» أَيْ: لَا يَثْبُتُ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ، كُلَّمَا صَارَتْ إِلَى حَالٍ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ صَارَتْ إِلَى أُخْرَى، يُقَالُ: تَقَعْقَعَ الشَّيْءُ: إِذَا اضْطَرَبَ وَتَحَرَّكَ[٦].

١٥-قوله: «**ما هذا؟**» أي: ما هذا البكاء يا رسول الله؟ وإنما قال هذا لظنه أن جميع أنواع البكاء لا تجوز، فبين له الرسول ﷺ أن هذا من الرحمة.

١٦-قوله: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده**»: أي: أن الله ﷻ فطر قلوب عباده على الرحمة، وأنه أمر طبعي في الإنسان، ولذلك قال العلامة ابن مفلح رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: «الْبُكَاءَ عَلَى الْمَيِّتِ عَلَى وَجْهِ الرَّحْمَةِ مُسْتَحَبٌّ وَذَلِكَ لَا يُنَافِي الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ بِخِلَافِ الْبُكَاءِ عَلَيْهِ لِفَوَاتِ حَظِّهِ مِنْهُ»[٧].

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٩، مادة (قبض).
(٢) جامع الأصول، لابن الأثير، ١١/ ٩١.
(٣) جامع الأصول، لابن الأثير، ١١/ ٩١.
(٤) جامع الأصول، لابن الأثير، ١١/ ٩١.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٢٢٥.
(٦) شرح السنة للبغوي، ٥/ ٤٢٨.
(٧) الآداب الشرعية لابن مفلح، ١/ ٣٠.

١٧-قوله: «**وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**»: قال العلامة ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَكُونُ الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ وَمِثَالِهِ، وَلِذَلِكَ كَانَ الْجَزَاءُ مُمَاثِلًا لِلْعَمَلِ مِنْ جِنْسِهِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ أَقَالَ نَادِمًا أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا ضَارَّ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ خَذَلَ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يَجِبُ نُصْرَتُهُ فِيهِ خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْضِعٍ يَجِبُ نُصْرَتُهُ فِيهِ، وَمَنْ سَمَحَ سَمَحَ اللَّهُ لَهُ، وَالرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ، وَمَنْ أَنْفَقَ أُنْفِقَ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَوْعَى أَوْعَى عَلَيْهِ، وَمَنْ عَفَا عَنْ حَقِّهِ عَفَا اللَّهُ لَهُ عَنْ حَقِّهِ، وَمَنْ تَجَاوَزَ تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ اسْتَقْصَى اسْتَقْصَى اللَّهُ عَلَيْهِ؛ فَهَذَا شَرْعُ اللَّهِ وَقَدَرُهُ وَوَحْيُهُ وَثَوَابُهُ وَعِقَابُهُ كُلُّهُ قَائِمٌ بِهَذَا الْأَصْلِ، وَهُوَ إِلْحَاقُ النَّظِيرِ بِالنَّظِيرِ، وَاعْتِبَارُ الْمِثْلِ بِالْمِثْلِ»[1].

١٨-«**فحسن**»: أي: مقبول وجيد، فـ«الإ حسان: ضد الإساءة، وهو محسن ... واستحسنه: عده حسناً»[2].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهذا الحديث من أعظم قواعد الإسلام، المشتملة على مهمات كثيرة من أصول الدين وفروعه، والآداب، والصبر على النوازل كلِّها، والهموم والأسقام وغير ذلك من الأعراض . ومعنى: «**أن لله تعالى ما أخذ**» أن العالم كله ملك لله تعالى، فلم يأخذ ما هو لكم، بل أخذ ما هو له عندكم في معنى العارية؛ ومعنى: «**وله ما أعطى**» أن ما وهبه لكم ليس خارجاً

---

(١) أعلام الموقعين، ١/ ٢٦٥.

(٢) القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص ١٥٣٥، مادة (حسن).

عن ملكه، بل هو له سبحانه يفعل فيه مايشاء، «وكل شيء عنده بأجلٍ مسمّى» فلا تجزعوا، فإن من قبضه قد انقضى أجَله المسمى، فمُحال تأخره أو تقدّمه عنه، فإذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم، والله أعلم»[1].

٢-تمام تسليم النبي ﷺ لأمر الله، والرضا بالقضاء؛ لعدم ذهابه إليها في أول مرة.

٣-جواز المشي إلى التعزية بغير إذن، بخلاف الوليمة؛ لأنه ﷺ أخذ معه رجالًا.

٤-استحباب إبرار المقسم، وأمر صاحب المصيبة بالصبر قبل وقوع الموت ليقع وهو مستشعر بالرضا مقاومًا للحزن بالصبر.

٥-تقديم النبي ﷺ الأخذ على الإعطاء، في قوله: «**إن لله ما أخذ، وله ما أعطى**»، وإن كان الأخذ متأخرًا على الإعطاء؛ لبيان أن الذي أراد أن يأخذ هو الذي أعطى ابتداءً.

٦-استحباب تقديم السلام على الكلام؛ لقول النبي ﷺ:«**السلام قبل الكلام**»[2]، وعيادة المريض ولو كان مفضولًا أو صبيًّا صغيرًا.

٧-جواز البكاء من غير نوح لأن النياحة تسخطٌ على القدر لقول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ ، وَلاَ بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا**» وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ، «**أَوْ يَرْحَمُ**»[3].

٨-قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَوْله: «فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ سَعْد: مَا هَذَا يَا رَسُول اللَّه؟ قَالَ: «**هَذِهِ رَحْمَة جَعَلَهَا اللَّه فِي قُلُوب عِبَاده، وَإِنَّمَا يَرْحَم اللَّه مِنْ عِبَاده الرُّحَمَاء**»[4] مَعْنَاهُ أَنَّ سَعْدًا ظَنَّ أَنَّ جَمِيع أَنْوَاع الْبُكَاء حَرَام، وَأَنَّ دَمْع الْعَيْن

---

(١) الأذكار النووية للإمام النووي، ص ٢٠٦.

(٢) الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، برقم ٢٦٩٩، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٨١٦، بلفظ: «السلام قبل السؤال».

(٣) البخاري، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، برقم ١٣٠٤، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، برقم ٩٢٤.

(٤) البخاري، برقم ١٢٨٤، ومسلم، برقم ٩٢٣، وتقدم تخريجه.

حَرَام، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ نَسِيَ فَذَكَرَهُ، فَأَعْلَمَهُ النَّبِيّ ﷺ أَنَّ مُجَرَّد الْبُكَاء، وَدَمَع بِعَيْنٍ لَيْسَ بِحَرَامٍ، وَلَا مَكْرُوه، بَلْ هُوَ رَحْمَة، وَفَضِيلَة، وَإِنَّمَا الْمُحَرَّم النَّوْح، وَالنَّدْب، وَالْبُكَاء الْمَقْرُون بِهِمَا، أَوْ بِأَحَدِهِمَا، كَمَا سَيَأْتِي فِي الْأَحَادِيث **«أَنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّب بِدَمْعِ الْعَيْن، وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْب، وَلَكِنْ يُعَذِّب بِهَذَا أَوْ يَرْحَم، وَأَشَارَ إِلَى لِسَانه»**[(١)]، وَفِي الْحَدِيث الْآخَر: **«الْعَيْن تَدْمَع، وَالْقَلْب يَحْزَن، وَلَا نَقُول مَا يُسْخِط اللَّه»**[(٢)]، وَفِي الْحَدِيث الْآخَر: **«مَا لَمْ يَكُنْ نَقْع أَوْ لَقْلَقَة»**[(٣)(٤)].

٩-قال الإمام ابن مفلح: «يُعْرَفُ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا بَكَى عَلَى الْمَيِّتِ وَقَالَ **«هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ»** وَإِنَّ هَذَا لَيْسَ كَبُكَاءِ مَنْ يَبْكِي لِحَظِّهِ لَا لِرَحْمَةِ الْمَيِّتِ، وَإِنَّ الْفُضَيْلَ لَمَّا مَاتَ ابْنُهُ ضَحِكَ وَقَالَ: رَأَيْتُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ قَضَى فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرْضَى بِمَا قَضَى اللَّهُ بِهِ حَالُهُ حَالٌ حَسَنٌ بِالنِّسْبَةِ إلَى أَهْلِ الْجَزَعِ، فَأَمَّا رَحْمَةُ الْمَيِّتِ وَالرِّضَاءُ بِالْقَضَاءِ وَحَمْدُ اللَّهِ كَحَالِ النَّبِيِّ ﷺ فَهَذَا أَكْمَلُ، وَقَالَ فِي الْفُرْقَانِ: وَالصَّبْرُ وَاجِبٌ بِاتِّفَاقِ الْعُقَلَاءِ، ثُمَّ ذَكَرَ فِي الرِّضَا قَوْلَيْنِ ثُمَّ قَالَ: وَأَعْلَى مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ عَلَى الْمُصِيبَةِ لِمَا يَرَى مِنْ إنْعَامِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِهَا، وَلَا يَلْزَمُ الْعَاصِيَ الرِّضَا بِلَعْنِهِ، وَلَا الْمُعَاقَبَ الرِّضَا بِعِقَابِهِ قَالَ بَعْضُهُمْ:

---

(١) البخاري، برقم ١٣٠٤، ومسلم، برقم ٩٢٤، وتقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

(٢) لفظ البخاري قريب من هذا اللفظ، وليس بنصه، ولم أجد هذا النص، وأما لفظ البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون»: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ ﵇ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﵁: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ».

(٣) البخاري، موقوفاً على عمر ﵁، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، قبل الحديث رقم ١٢٩١، والبيهقي، ٤/ ٧١، وقال في تخريج أحاديث الكشاف، ٤/ ٢٦٥: «وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيّ فِي سننه، قَالَ النَّوَوِيّ فِي الْخُلَاصَة بِسَنَد صَحِيح».

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٢٢٥.

الْمُؤْمِنُ يَصْبِرُ عَلَى الْبَلَاءِ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى الْعَافِيَةِ إِلَّا صِدِّيقٌ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: ابْتُلِينَا بِالضَّرَّاءِ فَصَبَرْنَا، وَابْتُلِينَا بِالسَّرَّاءِ فَلَمْ نَصْبِرْ»[(١)].

١٠-«وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الرَّجُلُ كُلُّ الرَّجُلِ مَنْ يَصْبِرُ عَلَى الْعَافِيَةِ، وَهَذَا الصَّبْرُ مُتَّصِلٌ بِالشُّكْرِ، فَلَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْقِيَامِ بِحَقِّ الشُّكْرِ، وَإِنَّمَا كَانَ الصَّبْرُ عَلَى السَّرَّاءِ شَدِيدًا؛ لِأَنَّهُ مَقْرُونٌ بِالْقُدْرَةِ، وَالْجَائِعُ عِنْدَ غَيْبَةِ الطَّعَامِ أَقْدَرُ عَلَى الصَّبْرِ مِنْه»[(٢)].

١١-حسن أدب الصحابة مع رسول الله ﷺ لقول سعد رضي الله عنه: يا رسول الله، قبل الاستفهام.

١٢-الترهيب من قسوة القلب وجمود العين[(٣)].

١٣-فضيلة التعزية وأنها من الأمور التي يترتب عليها فضل عظيم لقوله ﷺ: «**ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيامة**»[(٤)]، وقد روي: «**من عزى مصابًا فله مثل أجره**»[(٥)].

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح، ١/ ٣٠.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح، ١/ ٣٠.

(٣)انظر: فتح الباري، ٣/ ١٩٣، ١٩٤.

(٤) أخرجه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من عزّى مصاباً، برقم ١٦٠١، والديلمي، ٤/٢٧، برقم ٦٠٨١، قال المناوي في فيض القدير، ٥/٤٩٥: قال النووي في الأذكار: «إسناده حسن» وحسنه لغيره العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٥٠٨.

(٥) الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في أجر من عزى مصاباً، برقم ١٣٠١، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من عزّى مصاباً، برقم ١٦٠٢، والبيهقي، ٤/ ٥٩، وضعفه الألباني في المشكاة، برقم ١٧٣٧، وغيره، ولكن قال ابن التركماني في تعليقه على سنن البيهقي في الجوهر النقي لابن التركماني، ٤/ ٥٩: «قلت: آخر هذا الكلام يناقض أوله، إذ روي عن غيره أيضاً، فلم ينفرد به، وفي الكمال لعبد الغني: قيل لوكيع: غلط علي بن عاصم في حديث ابن مسعود؟ فقال وكيع أنا إسرائيل، عن محمد بن سوقة، عن إبراهيم، عن الأسود، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ: «من عزى مصاباً فله مثل أجره» وذكر المزي في أطرافه أن الثوري رواه عن ابن سوقة مثله، فهذان اثنان تابعا ابن عاصم، فروياه عن ابن سوقة كذلك» وقال العلامة ابن الملقن رحمه الله في تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج، ١/ ١٦٤ بعد أن ذكر كلام من ضعفه كالبيهقي وغيره: =

١٤-فِيهِ اِسْتِحْبَاب عِيَادَة الْمَرِيض، وَعِيَادَة الْفَاضِل الْمَفْضُول، وَعِيَادَة الْإِمَام، وَالْقَاضِي، وَالْعَالِم، وَأَتْبَاعه[(١)].

١٥-فضيلة الاحتساب لمن أصيب بمصيبة لقول الرسول ﷺ فيما يروي عن ربه: «**يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**»[(٢)].

١٦-تجوز التعزية وإن كان الفقيد عاصيًا بانتحار أو غيره، وكذلك لمن قتل قصاصًا، أو حدًّا، كالزاني المحصن، وكذا شارب المسكر حتى مات، ولا مانع من الدعاء لهم بالرحمة، ولكن لا يصلي عليهم أعيان المسلمين، مثل: السلطان، والقاضي، ونحو ذلك من باب الزجر عن عملهم السيئ[(٣)].

١٧-قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما يرحم الله من عباده الرحماء**» في هذا دليل على جواز البكاء رحمة بالمصاب، إذا رأيت مصاباً في عقله، أو بدنه، فبكيت رحمة به، فهذا دليل على أن الله جعل في قلبك رحمة، وإذا جعل الله في قلب الإنسان رحمة، كان من الرحماء الذين يرحمهم الله عَزَّوَجَلَّ، نسأل الله أن يرحمنا وإياكم برحمته.

١٨-في هذا الحديث دليل على وجوب الصبر؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**مرها فلتصبر ولتحتسب**»، وفيه دليل على أن هذه الصيغة من العزاء أفضل صيغة،

=

«قلت: قد قال هو بعد هذا، وروى أيضاً عن غيره، فكيف ينفرد به إذاً، وقد تابعه ثمانية أنفس عليه، وقال الحاكم في مستدركه في كتاب الفرائض علي بن عاصم: صدوق» وقد استشهد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الحديث في الفتاوى الكبرى، ٣/ ٧١، ومجموع الفتاوى، ٢٤/ ١٨٠: «التَّعْزِيَةُ مُسْتَحَبَّةٌ، فَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ عَزَّى مُصَابًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ».

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٢٢٥.

(٢) البخاري، برقم ٦٤٢٤، وتقدم تخريجه في شرح حديث المتن رقم ١٦١، الفائدة الثالثة.

(٣) أحكام الجنائز لابن عثيمين، ص ٩٤.

أفضل من قول بعض الناس: أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وغفر لميتك، هذه صيغة اختارها بعض العلماء[١]، لكن الصيغة التي اختارها الرسول عليه الصلاة والسلام أفضل؛ لأن المصاب إذا سمعها اقتنع أكثر.

١٩-والتعزية في الحقيقة ليست تهنئة، كما ظنها بعض العوام، يحتفل بها، ويوضع لها الكراسي، وتوضع لها الشموع، ويحضر لها القراء، والأطعمة، لا، التعزية تسلية، وتقوية للمصاب أن يصبر؛ ولهذا لو أن أحداً لم يصب بالمصيبة، كما لو مات له ابن عم، ولم يهتم به؛ فإنه لا يعزى؛ ولهذا قال العلماء: تسن تعزية المصاب، ولم يقولوا تسن تعزية القريب؛ لأن القريب ربما لا يصاب بموت قريبه، والبعيد يصاب لقوة صداقة بينهما مثلاً، أما الآن مع الأسف انقلبت الموازين، وصارت التعزية للقريب، حتى وإن فرح، وضرب الطبول لموت قريبه، فإنه يعزى.

٢٠-ربما يكون بعض الناس فقيراً، وبينه وبين ابن عمه مشكلات كثيرة، ومات ابن عمه، وله ملايين الدراهم، هل يفرح إذا مات ابن عمه في هذه الحال، أو يصاب غالباً بفرح، ويقول: الحمد لله الذي فكّني من مشاكله، وورثّني ماله، هذا لا يعزى، هذا يهنأ، لو أردنا أن نقول شيئاً، والله الموفق»[٢].

٢١-لا يشترط في التعزية أن يحد لها ثلاثة أيام لا يتجاوزها؛ لأن النبي ﷺ عزى بعد الثلاثة في حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنه، وهذا مبني على الفائدة منها، أما حديث: «**لا عزاء بعد ثلاث**» فلا أصل له[٣].

---

(١) انظر: الأذكار للإمام النووي، ص ١٢٦.
(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٢٩.
(٣) انظر: أحكام الجنائز للألباني، ص ٢٠٩.

٢٢-قال النووي رحمه الله: وأما لفظ التعزية، فبأي لفظ عزاه حصلت[١]، وإلى هذا المعنى أشار الألباني رحمه الله[٢]، أما قول بعض الناس: «**البقية في حياتك**»، فلا يجوز؛ لأن الميت ما ترك شيئًا من حياته لقول الله عز وجل: ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[٣].

٢٣-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر، ولتحتسب، فينبغي للإنسان في تعزية أخيه أن يقول له هذه الكلمات، فهي أحسن ما يعزى به، إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، اصبر، واحتسب، والله الموفق»[٤].

***

(١) الأذكار للنووي، ص ٣٠٤.
(٢) أحكام الجنائز، ص ٢٠٦، وانظر: بدع التعزية، ص ٣٢٠ في الكتاب نفسه.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.
(٤) شرح رياض الصالحين، شرحة الحديث رقم ٩٢٤.

٥٨ - الدُّعَاءُ عِنْدَ إِدْخَالِ الْمَيِّتِ الْقَبْرَ

١٦٣-«بِسْمِ اللَّهِ، وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٥٤-عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما (٢) أَنَّ النَّبِيّ ﷺ كَانَ إِذَا وَضَعَ الْمَيِّتَ فِي الْقَبْرِ قَالَ: «**بِسْمِ اللَّهِ، وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ**»(٣)، هذا لفظ أبي داود.

٥٥٥-ولفظ ابن حبان: عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا وَضَعَ الْمَيِّتَ فِي الْقَبْرِ قَالَ: «**بِسْمِ اللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ**»(٤).

٥٥٦-ولفظ الترمذي، وأحمد: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أُدْخِلَ الْمَيِّتُ الْقَبْرَ - وَقَالَ أَبُو خَالِدٍ مَرَّةً إِذَا وُضِعَ الْمَيِّتُ فِي لَحْدِهِ، قَالَ مَرَّةً: «**بِسْمِ اللَّهِ، وَبِاللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ**»(٥).

٥٥٧-ولفظ الحاكم: «**إذا وضعتم موتاكم في قبورهم، فقولوا: بسم الله،**

---

(١) أبو داود، كتاب الجنائز، باب في الدعاء للميت إذا وضع في قبره، برقم ٣٢١٣، وابن أبي شيبة، ٣/ ١٩، برقم ١١٦٩٦، وأحمد، ٩/ ١٨٨، برقم ٥٢٣٤، وصححه محققو المسند، ٩/ ١٨٩، والألباني في إرواء الغليل، ٣/ ١٩٧.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٣٢١٣، وابن أبي شيبة، ٣/ ١٩، برقم ١١٦٩٦، وأحمد، برقم ٥٢٣٤، وصححه محققو المسند، ٩/ ١٨٩، والألباني في إرواء الغليل، ٣/ ١٩٧، وتقدم تخريجه في تخريج المتن.

(٤) الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما يقول إذا أدخل الميت القبر، برقم ١٠٤٦، وصحيح ابن حبان، ٧/ ٣٧٦، برقم ٣١٠٩، وصححه محققه، وابن أبي شيبة، ٦/ ١٠٦، ٢٩٨٤١، والحاكم، ١/ ٣٦٥، وصححه، وصححه الألباني في التعليقات الحسان، ١٣/ ٣١٤، برقم ٣٠٩٩.

(٥) الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما يقول إذا أدخل الميت القبر، برقم ١٠٤٦، وزاد فيه: وَقَالَ مَرَّةً: «بِسْمِ اللَّهِ، وَبِاللَّهِ، وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» برقم ١٠٤٦، وأحمد، ٨/ ٤٢٩، برقم ٤٨١٢، وصححه محققو المسند، ٨/ ٤٣٠، والألباني في إرواء الغليل، ٣/ ١٩٧.

وعلى ملة رسول الله»[١].

٥٥٨-وفي لفظ الحاكم عن البياضي[٢]، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا وضع الميت في قبره فليقل الذين يضعونه حين يوضع في اللحد: باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله**»[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**بسم الله**» أي: أبدأ دفن هذا الميت، مستعينًا بالله، راجيًا منه التوفيق والقبول. قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «بِسْمِ اللَّهِ» أي: أبتدئ بكل اسم لله تعالى؛ لأن لفظ «اسم» مفرد مضاف، فيعم جميع الأسماء الحسنى، «اللَّهِ» هو المألوه المعبود، المستحق لإفراده بالعبادة، لما اتصف به من صفات الألوهية، وهي صفات الكمال»[٤].

٢-قوله: «**وعلى سنة رسول الله** ﷺ» أي: وعلى طريقه ودينه الإسلام، والذي هو عبادة الله بما شرع، ونبذ الشرك والبدع»[٥].

٣-قوله: «**إذا وضع الميت في القبر**»: قال الشيخ العباد: «أي: أنه عندما يوضع في لحده؛ فإن من يضعه يقول: «باسم الله، وعلى سنة رسول الله ﷺ»»[٦].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية قول هذا الذكر عند إدخال المسلم الميت القبر فيقول:

---

(١) الحاكم، ١/ ٣٦٥، وصححه، والألباني في إرواء الغليل، ٣/ ١٩٧.
(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٦٦ من أحاديث الشرح.
(٣) الحاكم، ١/ ٣٦٥، وصححه، والألباني في إرواء الغليل، ٣/ ١٩٧.
(٤) تفسير السعدي، ص ٣٩.
(٥) تفسير الجزائري، آية ٩٥ من سورة آل عمران.
(٦) شرح سنن أبي داود للعباد، ص ٣٧٠.

«بِسْمِ اللَّهِ، وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»[(١)].

أو «بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ﷺ»[(٢)].

أو «بِسْمِ اللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ»[(٣)].

٢-يدخل الميت من عند رجلي القبر، يدخل رأسه سلًّا في القبر وهذا هو الأفضل لما ثبت من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه[(٤)].

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه، حدثنا عبد الأعلى، عن خالد، عن ابن سيرين، قال: «كُنْتُ مَعَ أَنَسٍ فِي جِنَازَةٍ فَأَمَرَ بِالْمَيِّتِ فَسُلَّ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ»[(٥)].

٣-وعن جابر رضي الله عنه، عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أنه أدخل ميتا من قبل رجليه»[(٦)].

٤-وعن رافع، قال: «سَل رسولُ اللَّهِ سعداً، ورشّ على قبره ماء»[(٧)].

٥-وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الميت من قبل رجليه، ويُسل سَلاً»[(٨)].

---

(١) أبو داود، برقم ٣٢١٣، وابن أبي شيبة، ٣/ ١٩، برقم ١١٦٩٦، وأحمد، برقم ٥٢٣٤، وصححه محققو المسند، ٩/ ١٨٩، والألباني في إرواء الغليل، ٣/ ١٩٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) الترمذي، برقم ١٠٤٦، وأحمد، ٨/ ٤٢٩، برقم ٤٨١٢، وصححه محققو المسند، ٨/ ٤٣٠، والحاكم في المستدرك، ١/ ٣٦٥، والألباني في إرواء الغليل، ٣/ ١٩٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) الترمذي، برقم ١٠٤٦، وصحيح ابن حبان، ٧/ ٣٧٦، برقم ٣١٠٩ ، وصححه محققه، وصححه الألباني في التعليقات الحسان، ١٣/ ٣١٤، برقم ٣٠٩٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) وذلك لما قاله عبد الله بن زيد رضي الله عنه: «هذا من السنة» لما دفن أحد الصحابة، ولفظ الحديث: في سنن أبي داود، برقم ٣٢١١: عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: أَوْصَى الْحَارِثُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ، «فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ الْقَبْرَ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيِ الْقَبْرِ، وَقَالَ: هَذَا مِنَ السُّنَّةِ» وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ١٥٠.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة، ٣/ ١٧، برقم ١١٦٧٧، وهو في مسند أحمد،٧/ ١٦٢، برقم ٤٠٨١، وصحح إسناده محققو المسند.

(٦) مصنف بن أبي شيبة، ٣/ ١٧، برقم ١١٦٧٨، وضعفه الحافظ ابن حجر في الدراية في تخريج أحاديث الهداية، ١/ ٢٤٠.

(٧) سنن ابن ماجه، برقم ١٥٥١، وضعفه الألباني، في مشكاة المصابيح، برقم ١٧١٩.وتقدم تخريجه.

(٨) قال الحافظ ابن حجر في الدراية في تخريج أحاديث الهداية، ١/ ٢٣٩: «وروى ابن شاهين من =

٦-وعن أبي سعيد ﷺ: «أن رسول الله ﷺ أخذ من قبل القبلة، واستقبل استقبالاً»[١].

٧-وعن عمير بن سعيد: «أن علياً كبّر على يزيد بن المكفف أربعاً، وأدخله من قبل القبلة»[٢]، وأخرج أيضاً عن ابن الحنفية: «أنه ولي ابن عباس، فكبر عليه أربعاً، وأدخله من قبل القبلة»[٣].

٨-وسمعت شيخنا ابن باز رحمه الله يُبيِّن أن السنة في إدخال الميت القبر أنه يسل من قبل رجلي القبر، وقال: «**هذا أحسن ما ورد في ذلك**، ورُوي في ذلك نوعان آخران: **أحدهما: سلّه من جهة القبلة**، والثاني: سلّه من جهة رأس القبر، والأمر في هذا واسع، ولكن أحسن ما ورد ما رواه عبد الله بن زيد؛ لأن قوله من السنة في حكم المرفوع عند أهل العلم»[٤].

=

حديث أنس رفعه: «يُدخل الميت من قبل رجليه، ويسلّ سلاً» وإسناده ضعيف».

(١) سنن ابن ماجه، برقم ١٥٥٢، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه، برقم ٣٤٠.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، ٣/ ١٨، برقم ١١٦٩٠.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، ٣/ ١٨، برقم ١١٦٨٩.

(٤) سمعته أثناء تقريره على بلوغ المرام، الحديث رقم ٥٩٦، وانظر: سبل السلام للصنعاني، ٣/ ٣٧٢، والمغني لابن قدامة، ٣/ ٤٢٥.

قال الترمذي في كتاب الجنائز، باب ما جاء في الدفن بالليل، برقم ١٠٥٧ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل قبراً ليلاً، فأسرج له سِراجٌ فأخذ من قبل القبلة» قال الترمذي: «حديث ابن عباس: «حديث حسن»» وقد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا، وقال: يدخل الميت من قبل القبلة، وقال بعضهم: يسل سلاً...»» وقال عبد القادر الأرنؤوط في تحقيقه لجامع الأصول، ١٤٢/١١: «وهو حديث حسن» ولكن ضعفه جماعة من أهل العلم منهم الألباني في أحكام الجنائز، ص١٩٠، وقال المباركفوري: «... يدخل الميت القبر من قبل الرأس بأن يوضع رأس الجنازة على مؤخرة القبر ثم يدخل الميت القبر، وهو قول الشافعي وأحمد، والأكثرين وهو الأقوى والأرجح دليلاً» تحفة الأحوذي، ١٦٤/٤.

وذكر الألباني في أحكام الجنائز، ص١٩٠-١٩١ صوراً ثلاثاً هي:

أ - يدخل الميت من قبل رجلي القبر، وصححها.

ب - يدخل الميت من قبل القبلة وضعفها.

ج - يدخل الميت من قبل رأسه وضعفها. انظر: صلاة المؤمن، لمؤلفه، ص ١٣٠٤.

وتقدم حديث عبد الله بن زيد، وفيه أنه صلى على الحارث، ثم أدخله القبر من قِبَل رجل القبر، وقال: «هذا من السنة»[١].

٩-الفرق بين اللحد والشق:

أما اللحد فهو أن يحفر في قاع القبر حفرة من جهة القبلة ليوضع فيها وسمي لحدًا؛ لأنه مائل من جانب القبر والشق أن يحفر للميت في وسط المقبرة حفرة واللحد أفضل لقول النبي ﷺ: «**اللحد لنا والشق لغيرنا**»[٢] ولكن إذا احتيج إلى الشق لعلة أن الأرض رملية أو لغيرها فلا بأس[٣].

١٠-قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُقَال: لَحَدَ يَلْحَد كَذَهَبَ يَذْهَب، وَأَلْحَدَ يَلْحَد، إِذَا حَفَرَ اللَّحْد، وَاللَّحْد - بِفَتْحِ اللَّام وَضَمّهَا - مَعْرُوف، وَهُوَ الشَّقّ تَحْت الْجَانِب الْقِبْلِيّ مِنْ الْقَبْر . وَفِيهِ دَلِيل لِمَذْهَبِ الشَّافِعِيّ وَالْأَكْثَرِينَ فِي أَنَّ الدَّفْن فِي اللَّحْد أَفْضَل مِنْ الشَّقّ إِذَا أَمْكَنَ اللَّحْد ، وَأَجْمَعُوا عَلَى جَوَاز اللَّحْد وَالشَّقّ...

١١-فِيهِ: اسْتِحْبَاب اللَّحْد وَنَصْب اللَّبِن، وَأَنَّهُ فُعِلَ ذَلِكَ بِرَسُولِ الله ﷺ بِاتِّفَاقِ الصَّحَابَة ﷺ، وَقَدْ نَقَلُوا أَنَّ عَدَد لَبِنَاته ﷺ تِسْع»[٤].

١٢-وقال العظيم أبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الدَّفْنَ فِي اللَّحْدِ وَالشَّقِّ جَائِزَانِ، لَكِنْ إِنْ كَانَتِ الْأَرْض صُلْبَةٌ لَا يَنْهَارُ تُرَابُهَا، فَاللَّحْدُ أَفْضَلُ، وَإِنْ كَانَتْ رَخْوَةً فَالشَّقُّ أَفْضَلُ[٥].

* * *

(١) أبو داود، برقم ٣٢١١، وتقدم تخريجه في الفائدة الثانية من فوائد هذا الحديث.

(٢) أخرجه أبو داود، برقم ٣٢٠٨، والترمذي، برقم ١٠٤٥، وابن ماجه، برقم ١٥٥٤، وصححه الألباني في المشكاة، برقم ١٧٠١.

(٣) انظر: أحكام الجنائز لابن عثيمين، ص ٣٤٤ .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٣ / ٣٨٧.

(٥) شرح سنن أبي داود للعظيم أبادي، ٩/ ١٩.

٥٩ - الدُّعَاءُ بَعْدَ دَفْنِ المَيِّتِ

١٦٤-«اللَّهمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهمَّ ثَبِّتْهُ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٥٩-لفظ أبي داود عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ[٢] قَالَ كَانَ النَّبِي ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ**»[٣].

٥٦٠-ولفظ البيهقي عَنْ هَانِئٍ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ، قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ ﷺ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى حَتَّى يَبلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَ فَيُقَالُ لَهُ: تُذْكَرُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلاَ تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ قَالَ: فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَمَنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَمَنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**». قَالَ: وَقَالَ عُثْمَانُ ﷺ: مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلاَّ وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ، قَالَ عُثْمَانُ ﷺ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ قَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِمَيِّتِكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ». زَادَ فِيهِ غَيْرُهُ عَنْ هِشَامٍ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ:«**اسْتَغْفِرُوا**»، وَأَسْنَدَ قَوْلَهُ: مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ»[٤].

---

(١) أبو داود، كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت، برقم ٣٢٢١، والزهد للإمام أحمد، ص ٢٤٦، برقم ٦٨٨، والحاكم، ١/ ٣٧٠، وصححه وهو بلفظ: «مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِجَنَازَةٍ عِنْدَ قَبْرٍ وَصَاحِبُهُ يُدْفَنُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ، وَسَلُوا اللَّهَ لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»» والمقدسي في الأحاديث المختارة، وحسّن إسناده، ١/ ٢٢٢، والسنة لعبد الله بن أحمد، ٢/ ٥٨٩، برقم ١٤٢٥، والبيهقي في السنن الكبرى، ٤/ ٥٦، وحسنه النووي في الأذكار، ص٢٢١، ومحقق كتاب السنة، وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ١٥٦.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٩٢ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٣٢٢١، وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ١٥٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البيهقي، ٤/ ٥٦، وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ١٥٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**يبل لحيته**»: تسيل دموعه، حتى تبلل لحيته، قال ابن منظور رحمه الله: «بَلَّهُ بِالْمَاءِ وَغَيْرِهِ: يَبُلُّه بَلًّا، وبِلَّة، وبَلَّلهُ فَابْتَلَّ، وتَبَلَّلَ... بَلَّه يَبُلُّه أَي: نَدَّاه، وبَلَّله، شُدِّدَ لِلْمُبَالَغَةِ، فابْتَلَّ. والبِلال: الْمَاءُ»[1].

٢-قوله: «**منظراً قط إلا والقبر أفظع منه**»: قال الطيبي رحمه الله: «أي: ما رأيت منظراً، وهو ذو هول وفظاعة «إلا والقبر أفظع منه»، يقال: فظع الأمر بالفم فظاعة، فهو فظيع، أي: شديد، شنيع، جاوز المقدار، وعبّر بالمنظر عن الموضع مبالغة؛ فإنه إذا نُفي الشيء مع لازمه ينتفي الشيء بالطريق البرهان، و«فظع» كلمة يؤكد بها النفي في الفعل الماضي، كما أن عوض يؤكد بها النفي في المستقبل»[2].

٣-قوله: «**كان إذا فرغ من دفن الميت**»: أي: انتهى من حضور الدفن، ونزول الميت إلى حفرته. قال المناوي رحمه الله: «أي المسلم، قال الطيبي: والتعريف للجنس، وهو قريب من النكرات»[3]، وقال الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله: «فإذا فرغ الناس من دفن الميت، وأهالوا عليه التراب، ولم يبق إلا أن ينصرفوا؛ وقف»[4].

٤- قوله: «**وقف عليه**» أي: قريبًا من القبر، قال المناوي رحمه الله: «وقف عليه: أي: على قبره هو وأصحابه صفوفاً»[5]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فَالْقِيَامُ عَلَى قَبْرِهِ مِنْ جِنْسِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ»[6].

٥- قوله: «**استغفروا لأخيكم**» أي: سلوا الله له المغفرة بتضرع وإخلاص،

---

(١) لسان العرب، ١١/ ٦٣، مادة (بلل).
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٢/ ٥٩٧.
(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ١٩٢.
(٤) شرح بلوغ المرام، للشيخ عطية محمد سالم، ص ١٢٢.
(٥) فيض القدير، ٥/ ١٩٢.
(٦) مجموع الفتاوى، ١/ ١٦٥.

قال المناوي رحمه الله: «فقال: استغفروا لأخيكم في الإسلام»[(١)].

٦-قوله: «**فإنه الآن يُسأل**»: قال المناوي رحمه الله: «فهو الآن يسأل: أي: يسأله الملكان... فهو أحوج ما كان إلى الاستغفار، وذلك لكمال رحمته بأمته، ونظره إلى الإحسان إلى ميتهم، ومعاملته بما ينفعه في قبره، ويوم معاده»[(٢)].

٧-قوله: «**وسلوا**»: قال العيني رحمه الله: «قوله: «وسلوا»: أصله: اسألوا، حذفت الهمزتان للتخفيف، فوزنه: (فُلُوا)؛ لأن عين الفعل سقطت من الموزون، فسقطت من الوزن»[(٣)]، وقال المناوي رحمه الله: «وسلوا له التثبيت: أي: اطلبوا له من الله تعالى أن يثبت لسانه، وجنانه لجواب الملكين، قال الطيبي: ضمَّن سلوا معنى الدعاء... أي ادعوا الله له بدعاء التثبيت، أي: قولوا: ثبّته الله بالقول الثابت؛ فإنه الذي رأيته في أصول صحيحة قديمة من أبي داود بدل هذا، ثم سلوا له التثبيت»[(٤)]، وقال القاضي ابن العربي رحمه الله: «**استغفروا لأخيكم**»: معناه سلوا الله المغفرة، وهو أفضل ما يُسأل له»[(٥)].

٨-قوله: «**وسلوا له التثبيت**»: أي: عند سؤال الملكين الأسئلة الثلاثة:

أ – من ربك؟

ب – ما دينك؟

جـ – ما هذا الرجل الذي بعث فيكم[(٦)]؟

---

(١) فيض القدير، ٥/ ١٩٢.
(٢) فيض القدير، ٥/ ١٩٢.
(٣) شرح سنن أبي داود للعيني، ٦/ ١٧٦.
(٤) فيض القدير، ٥/ ١٩٢.
(٥) المسالك في شرح موطأ مالك، لابن العربي ٣/ ٥١٩.
(٦) أخرجه الطيالسي، برقم ٧٥٣، وأحمد، برقم ١٨٥٣٤، وأبو داود، برقم ٤٧٥٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ١٦٧٦، وقد تقدم تخريجه في الفائدة الولى من فوائد حديث المتن رقم ٥٥.

٩-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وقد ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أن الميت يسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا من دفنه، قرع النعال الخفي يسمعه الميت إذا انصرفوا من دفنه، وقد ثبت عن النبي ﷺ في حديث حسن «أنه كان إذا دفن الميت وقف عليه وقال: استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل» فيستحب إذا دفن الميت أن يقف الإنسان على قبره، ويقول: اللهم ثبته، اللهم ثبته، اللهم ثبته، اللهم اغفر له، اللهم اغفر له، اللهم اغفر له؛ لأن النبي ﷺ كان إذا سلّم سلّم ثلاثاً، وإذا دعا دعا ثلاثاً، نسأل الله تعالى أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة»[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية الوقوف على القبر بعد الدفن والاجتهاد للميت بالدعاء في هذا الموقف العصيب. قال الإمام ابن قدامة رحمه الله: «وسئل أحمد عن الوقوف على القبر بعد ما يدفن يدعى للميت؟ قال: لا بأس به، قد وقف عليٌّ، والأحنف بن قيس، وروى أبو داود بإسناده عن عثمان قال: «كان النبي ﷺ إذا دفن الرجل وقف عليه وقال: «**استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل**»[٢]»[٣]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَلِهَذَا كَانَتْ الصَّلَاةُ عَلَى الْمَوْتَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْقِيَامُ عَلَى قُبُورِهِمْ مِنْ السُّنَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ»[٤]، وقال العيني رحمه الله: «ويستفاد من الحديث ثلاث فوائد، **الأولى**: انتفاع الميت بدعاء الحي خلافاً لمن ينكر ذلك، **الثانية**: لا بد من السؤال في القبر، **الثالثة**: وقت السؤال عقيب الدفن»[٥].

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٧١١.
(٢) أبو داود، برقم ٣٢٢١، وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ١٥٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) المغني، للإمام ابن قدامة المقدسي، ٢/ ٣٧٩.
(٤) مجموع الفتاوى، ١/ ١٦٥.
(٥) شرح أبي داود للعيني، ٦/ ١٧٩.

٢-الدعاء لا يكون دعاءً جماعيًا كما يفعله بعض الناس من كونهم يُؤَمِّنُون جميعًا على دعاء واحد منهم بل كل يدعو بما فتح الله عليه، وحده، وقال الشيخ العباد: «والمقصود من ذلك: أن كل واحد يدعو بنفسه، لا أن يكون هناك واحد يدعو، ويؤمن الباقون، فالنبي ﷺ لم يقل: إني سأدعو فأمنوا، وإنما قال: «**ادعوا لأخيكم**»، ومعنى هذا: أن كل واحد يدعو من قبل نفسه»[١].

٣-إثبات سؤال القبر، وأن الميت يفهم هذه الأسئلة مهما كان جنسه ولغته[٢]، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي قوله ﷺ: «**فإنه الآن يسأل**» يعني حين يتم دفنه يسأل، يأتيه ملكان، فيسألانه عن ثلاثة أشياء: مَن ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وهذه الثلاثة هي ثلاثة الأصول التي بنى عليها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ رسالته المشهورة: ثلاثة الأصول: مَن ربك؟ ما دينك؟ مَن نبيك؟ أما المؤمن فيثبته الله عَزَّ وَجَلَّ بالقول الثابت، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد، أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم»[٣].

٤-قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه دلالة على انتفاع الميت باستغفار الحي له، وعليه ورد قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[٥]، ونحوهما.

٥-رباط الأخوة في الله ممتد في الدنيا وبعد الموت وإلى يوم القيامة بتشفيع أهل الإيمان بعضهم في بعض.

٦-لم يأتِ في السنة تحديد مدة زمنية للوقوف عند القبر بعد الدفن من

(١) شرح سنن أبي داود للشيخ عبد المحسن العباد، ص ٣٧٠.
(٢) سبق بيان ذلك في فوائد حديث المتن، رقم ٥٥ في الفائدة رقم ١.
(٣) شرح بلوغ المرام لابن عثيمين، ٣/ ٣٠١.
(٤) سورة الحشر، الآية: ١٠.
(٥) سورة محمد، الآية: ٩.

أجل الدعاء، أما ما قاله عمرو بن العاص لأهله أنهم بعد دفنه يمكثوا يدعون له قدر ما تنحر جزور وتقسم لحمها، فهذا اجتهاد منه ﷺ واتباع السنة أولى[١].

٧-قال العلامة الألباني رحمه الله: ويستحب لمن عند القبر أن يحثو من التراب ثلاث حثوات بيده جميعًا بعد الفراغ من سد اللحد؛ لقول أبي هريرة ﷺ: «إن رسول الله ﷺ صلى على جنازة، ثم أتى الميت فحثى عليه من قبل رأسه ثلاثًا»[٢]، وهذا من باب المشاركة في الدفن، وأما ما يفعله بعضهم من قولهم عند الحثية الأولى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾، والثانية: ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾، والثالثة: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[٣] فلا أصل له[٤].

٨-«فيسن للإنسان إذا فرغ الناس من دفن الميت أن يقف عنده، ويقول: اللهم اغفر له ثلاث مرات، اللهم ثبته ثلاثاً؛ لأن النبي ﷺ كان غالب أحيانه إذا دعا دعا ثلاثاً، ثم ينصرف، ولا يجلس بعد ذلك، لا للذكر، ولا للقراءة، ولا للاستغفار، هكذا جاءت به السنة، أما ما ذُكِرَ عن عمرو بن العاص ﷺ أنه أمر أهله أن يقيموا عنده إذا دفنوه قدر ما تنحر جزور، قال: «لعلِّي أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي»[٥]، يعني الملائكة، فهذا اجتهاد منه ﷺ، وهدي النبي ﷺ أكمل من هدي غيره، ولم يكن النبي ﷺ يقف، أو يجلس عند القبر بعد الدفن قدر ما تنحر الجزور، ويقسم لحمها، ولم يأمر أصحابه بذلك، غاية ما هنالك أنه أمرهم أن يقفوا على القبر، ويستغفروا لصاحبه، ويسألوا له التثبيت فقط، هذا هو السنة، ثم ينصرف الناس»[٦].

---

(١) انظر ما قاله ابن عثيمين رحمه الله في شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٤٧.
(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج، برقم ١٢١.
(٣) سورة طه، الآية: ٥٥.
(٤)انظر: أحكام الجنائز، ص ١٩٣.
(٥) إشارة إلى حديث البراء ﷺ وقد تقدم.
(٦) انظر: شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٤٧.

٩-وأما القراءة عند القبر، فالأصح أنها مكروهة، وأنه يكره للإنسان أن يذهب إلى القبر، ثم يقف، أو يجلس عنده ويقرأ؛ لأن هذا من البدع، وقد قال النبي ﷺ: «**كل بدعة ضلالة**»[١]، وأقل أحوالها أن تكون مكروهة، والله الموفق»[٢].

١٠-هل من السنة أن يقوم أحد الناس بإلقاء موعظة، وخطبة بعد الدفن، والجواب كما قال ابن عثيمين رحمه الله: «لم ينقل ذلك عن رسول الله ﷺ، وإنما جلس مع أصحابه يحدثهم عما يكون عند الاحتضار، وبعد الموت[٣]، وهو لم يقصد الجلوس للموعظة، وإنما قصد الجلوس حتى ينتهوا من إلحاد القبر، وفرقٌ بين ما يحدث اتفاقًا، وما يحصل قصدًا»[٤]، وكذلك لئلا تتخذ المقابر منابر.

وفي حديثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما[٥]، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلاَثًا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلاَئِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ** عليه السلام**، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى**

---

(١) ابن ماجه، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء، برقم ٤٢، وصححه العلامة الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٤٢.
(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٤٧.
(٣) إشارة إلى حديث البراء رضي الله عنه الآتي.
(٤) أحكام الجنائز ص ٤٩.
(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٨ من أحاديث الشرح.

يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلاَ يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلأٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ، إِلاَّ قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلاَمُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي، قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلاَئِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ،

وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلاَ يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلأٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ، إلاَّ قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ ؟ فَيَقُولُونَ: فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلاَ يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[(١)]، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ ، فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[(٢)]، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ، هَاهْ، لاَ أَدْرِي، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ، هَاهْ، لاَ أَدْرِي، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ، هَاهْ، لاَ أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرُشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاَعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لاَ تُقِمِ السَّاعَةَ»[(٣)].



---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٠.

(٢) سورة الحج، الآية: ٣١.

(٣) مسند أحمد، ٣٠/ ٤٩٩، برقم ١٨٥٣٤، وعبد الرزاق، ٣/ ٥٨٠، برقم ٦٧٣٧، وابن أبي شيبة، ٣/ ٥٤، برقم ١٢٠٥٩، والحاكم في المستدرك، ١/٣٧-٣٨، والبيهقي في إثبات عذاب القبر، ص ٥٠، برقم ٤٤، وفي شعب الإيمان له، ١/ ٣٥٦، وصححه محققو المسند، ٣٠/ ٥٠٣، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/ ٢١٩.

٦٠ - دُعَاءُ زِيَارَةِ القُبُورِ

١٦٥-«السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ»[1].

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٦١-لفظ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[2]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبُرَةَ، فَقَالَ: «السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، أَلاَ يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلاَ لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ: أَلاَ هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا»[3].

---

(١) مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، برقم ٢٤٩، وكتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، برقم ٩٧٤، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء فيما يقال إذا دخل المقابر، برقم ١٥٤٧، واللفظ له عن بريدة ﷺ، وما بين المعقوفين من حديث عائشة عند مسلم، والترمذي، كتاب الجنائز، باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر، برقم ١٠٥٣، وابن السني، ص ٥٤١، برقم ٥٨٩، وصحح الألباني حديث ابن ماجه، وابن السني في صحيح ابن ماجه، برقم ١٥٤٦، وإرواء الغليل، ٣/ ٢٣٦، وحسّن النووي رواية الترمذي في الأذكار، ص ٢٢٨.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٢٤٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٥٦٢-وفي رواية: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْمَقْبُرَةِ فَقَالَ: «**السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ**»[١].

٥٦٣-وفي لفظ لمسلم عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: «**أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي، وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ**؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا عِنْدِي، انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ، فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ، فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَفَتَحَ الْبَابَ فَخَرَجَ، ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا، فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي، وَاخْتَمَرْتُ، وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي، ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثْرِهِ، حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ فَقَامَ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ، فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ، فَلَيْسَ إِلَّا أَنِ اضْطَجَعْتُ فَدَخَلَ، فَقَالَ: «مَا لَكِ؟ يَا عَائِشُ، حَشْيَا رَابِيَةً» قَالَتْ: **قُلْتُ: لَا شَيْءَ، قَالَ: «لَتُخْبِرِينِي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»** قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «**فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتُ أَمَامِي؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، فَلَهَدَنِي فِي صَدْرِي لَهْدَةً أَوْجَعَتْنِي، ثُمَّ قَالَ: «**أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ؟**» قَالَتْ: مَهْمَا يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللهُ، نَعَمْ، قَالَ: «**فَإِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ، فَنَادَانِي، فَأَخْفَاهُ مِنْكِ، فَأَجَبْتُهُ، فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكِ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكِ وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَكِ، وَظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَدْتِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ**»، قَالَتْ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ**

---

(١) مسلم، برقم ٢٤٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلاحِقُونَ»[١].

٥٦٤-ولمسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها[٢]، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ، فَيَقُولُ: «**السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا، مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ**»[٣].

٥٦٥-ولفظ ابن ماجه عن بُرَيْدَةَ بن الخصيب رضي الله عنه[٤]، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ، كَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ**»[٥].

٥٦٦-وعند الترمذي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[٦]، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُبُورِ الْمَدِينَةِ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا، وَنَحْنُ بِالأَثَرِ**»[٧].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**السلام عليكم**»: السلام في الأصل السلامة والعافية أي: عليكم من الله الرحمات والبركات والنجاة من كل كرب وضيق. قال القرطبي رحمه الله صاحب المفهم: «وفيه معنى الدعاء لهم . ويدل أيضًا على حسن التعاهُد وكرم العَهدِ، وعلى دوام الْحُرمة ، ويحتمل أن يَرد الله أرواحهم فيستمعون ويردون[٨].

---

(١) صحيح مسلم، برقم ١٠٣- (٩٧٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.
(٣) صحيح مسلم، برقم ١٠٢- (٩٧٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣٢ من أحاديث الشرح.
(٥) ابن ماجه، برقم ١٥٤٧، وابن السني، ص ٥٤١، برقم ٥٨٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.
(٧) الترمذي، برقم ١٠٣٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٨) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٣/ ١٢٧.

٢-قوله: «**أهل الديار**»: أي: سكان القبور، وإنما قال أهل الديار لطول مكثهم فيه، فصار دارًا لهم، قال الخطابي: والدار في اللغة تقع على الربع المسكون وعلى الخراب غير المأهول[١].

٣-قوله: «**من المؤمنين والمسلمين**»: إنما بدأ بالمؤمنين؛ لأن المؤمن أعلى درجة من المسلم، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً، قال ابن علان رحمه الله: «بيان لأهل الديار وللاحتراز عمن قد يكون في المقبرة من خارج عن الملة من الجاهلية[٢]، وقال النووي رحمه الله: «الْمُسْلِم وَالْمُؤْمِن قَدْ يَكُونَانِ بِمَعْنًى وَاحِد، وَعَطْفُ أَحَدهمَا عَلَى الْآخَر لِاخْتِلَافِ اللَّفْظ، وَهُوَ بِمَعْنَى قَوْل اللَّه تَعَالَى: ﴿**فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْر بَيْت مِنْ الْمُسْلِمِينَ**﴾[٣]، وَلَا يَجُوز أَنْ يَكُون الْمُرَاد بِالْمُسْلِمِ فِي هَذَا الْحَدِيث غَيْر الْمُؤْمِن ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِن إِنْ كَانَ مُنَافِقًا لَا يَجُوز السَّلَام عَلَيْهِ وَالتَّرَحُّم[٤].

٤-قوله: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**» أي: أنتم لنا فرط[٥] والفرط السابق.قال القرطبي في المفهم: «وقوله: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»: يحتمل أوجهًا:

أحدها: أنه امتثال لقول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾[٦]، فكان يكثر من ذلك حتى أدخله فيما لا بد منه، وهو الموت.

وثانيها: أنه يكون أراد: إنا بكم لاحقون في الإيمان، ويكون هذا قبل أن

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٧/ ٤٥.
(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ١٠.
(٣) سورة الذاريات، الآيتان: ٣٥- ٣٦.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٧/ ٤٤.
(٥) ابن ماجه، ١٥٤٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٦) سورة الكهف، الآيتان: ٢٣- ٢٤.

يعلم بمآل أمره، كما قال: ﴿**وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ**﴾[١].

وثالثها: أن يكون أراد: استثناء في الواجب، كما قال تعالى: ﴿**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**﴾[٢]، وتكون فائدته التفويض المطلق.

ورابعها: أن يكون أراد: لاحقون بكم في هذه البقعةِ الخاصةِ، فإنه وإن كان قد علم أنه يموت بالمدينة ويدفن بها، فإنه قد قال للأنصار: «**المحيا محياكم، والممات مماتكم**»[٣]، لكن لم تعين له البقعة التي يكون فيها إذ ذاك، وهذا الوجه أولى من كل ما ذكر، وكلها أقوال لعلمائنا»[٤].

٥-قوله: «**أتاكم ما توعدون غداً مؤجلون**»: قال الطيبي: «أتاكم ما مؤجلونه أنتم، والأجل: الوقت المضروب المحدود في المستقبل؛ لأن ما هو آت بمنزلة الحاضر»[٥].

٦-قوله: «**وددت أنا رأينا إخواننا**»: قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه جواز التمني، لا سيما في باب الخير، ولقاء الفضلاء، والأخيار الأولياء في الله، وقيل: إن المراد تمنيه لقاءهم بعد الموت، وقوله: «**إخواننا**»: لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُومِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[٦]. وقال القرطبي صاحب المفهم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: «**وددت أنا قد رأينا إخواننا**»؛ هذا يدل على جواز تمني لقاء الفضلاء والعلماء، وهذه الأخوة هي أخوة الإيمان اليقيني، والحب الصحيح للرسول ﷺ»[٧].

٧-وقوله: «**ألسنا بإخوانِك؟**» قال: «**بل أنتم أصحابي**»: قال الباجي: «يُرِيدُ أَنَّ

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٦.
(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٧.
(٣) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، برقم ١٧٨٠.
(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٣/ ١٢٨.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٤٣٦.
(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٤٨.
(٧) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٣/ ١٢٨.

لَهُمْ مَزِيَّةً عَلَى إِخْوَانِهِ، وَاخْتِصَاصًا لِصُحْبَتِهِ، وَلَمْ يَنْفِ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونُوا إِخْوَانَهُ، وَإِنَّمَا مَنَعَ أَنْ يُسَمَّوْا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ التَّسْمِيَةَ بِذَلِكَ إِنَّمَا هِيَ عَلَى سَبِيلِ الثَّنَاءِ عَلَى الْمُسَمَّى، وَالْمَدْحِ وَالتَّرْفِيعِ مِنْ حَالِهِ، فَيَجِبُ أَنْ يُسَمَّى بِأَرْفَعِ حَالَاتِهِ، وَيُوصَفَ بِأَفْضَلِ صِفَاتِهِ، وَلِلصَّحَابَةِ بِصُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ دَرَجَةٌ لَا يَلْحَقُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ»[1].

٨-قوله: «أنتم أصحابي»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصَّحَابَةُ لَهُمُ الْأُخُوَّةُ وَمَزِيَّةُ الصُّحْبَةِ، وَلِأَتْبَاعِهِ بَعْدَهُمُ الْأُخُوَّةُ دُونَ الصُّحْبَةِ»[2].

٩-قوله: «ويرحم الله»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: الرحمة من «الله تعالى: الرضى عمّن رحمه؛ لأن من رقَّ له القلب، فقد رضي عنه، أو الإنعام، وإرادة الخير؛ لأن الملك إذا عطف على رعيته، ورقَّ لهم، أصابهم بمعروفه وإنعامه»[3]، وهذا من ثمرات الرحمة، وآثارها، ولا شك أن رحمة الله صفة من صفاته تليق بجلاله، لا يشبه في ذلك شيئاً من خلقه.

١٠-قوله: «المستقدمين» أي: السابقين لنا بالقرار في القبور من المسلمين، قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «المستقدمين: أي الذين تقدموا علينا بالموت منا، أي: معشر المؤمنين»[4].

١١-قوله: «والمستأخرين»: أي: الذين مازال في عمرهم بقية ومن سيأتي ممن هو في علم الله من المسلمين، قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمستأخرين أي المتأخرين في الموت والسين فيهما لمجرد التأكيد أي: الأموات منا والأحياء وقدم الأموات ههنا لاقتضاء المقام واستنساق الكلام»[5].

---

(١) المنتقى شرح الموطأ، ١/ ٧٠.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/ ٥٨.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠/ ٣١٧٤.

(٤) مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، ٣/ ٤٩.

(٥) مرقاة المفاتيح، ٣/ ٤٩.

١٢-قوله: «**نسأل الله لنا ولكم العافية**»: أما عافية الأحياء، فهي بمعافتهم من كل سوء، وموتهم على التوحيد، وعافية الأموات بسلامتهم من عذاب القبر، وجعله روضة من رياض الجنة، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «أما بالنسبة لنا فإنها عافية حسية كعافية البدن، وعافية معنوية من الذنوب والمعاصي، أما العافية لأهل القبور فهي: العافية من عذاب القبر»[١].

١٣-قوله: «**البهم**»:قال ابن الأثير رحمه الله: «البهم: جمع بهيم، وهو اللون الواحد الذي لايشاركه فيه لون آخر، أسود كان أوغيره»[٢].

١٤-قوله: «**ليذادن**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «ذدت فلاناً عن كذا: إذا دفعته عنه، أذوده ذوداً»[٣]، وقال رحمه الله في كتاب آخر: «**فَلَيُذَادَنَّ رجالٌ عَنْ حَوضي**» أَيْ لَيُطْرَدَنَّ، ويُروى: فَلَا تُذَادُنَّ: أَيْ: لَا تَفْعلوا فِعلاً يُوجب طَرْدَكم عَنْهُ، والأوّلُ أشْبه»[٤].

١٥-قوله: «**سحقاً**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «سحقاً: تقول، أي: بعداً له، والسحق: البعد»[٥]، وقال ابن عبد البر رحمه الله: «فسحقا: فمعناه: فبعداً، والسحق، والبعد، والإسحاق، والإبعاد سواء، بمعنى واحد، وكذلك النأي، والبعد لفظتان بمعنى واحد، إلا أن سحقاً وبُعداً هكذا إنما تجيء بمعنى الدعاء على الإنسان، كما يقال: أبعده الله، وقاتله الله، وسحقه الله، ومحقه، وأسحقه أيضاً، ومن هذا قول الله عز وجل: ﴿**فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾[٦]، يعني بعيد، وكل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله، فهو من

---

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٥/ ٣٨٧.
(٢) جامع الأصول، ٩/ ٢٠٨.
(٣) جامع الأصول، ٩/ ٢٠٨.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ١٧٢، مادة: (ذود).
(٥) جامع الأصول، ٩/ ٢٠٨.
(٦) سورة الحج، الآية: ٢٢.

المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه، والله أعلم»[١].

١٦-قوله: «**أنا فرطكم على الحوض**»: الفرط هو السابق، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفَرَط إِذَا تقَدَّم وسَبَق الْقَوْمَ لِيَرْتادَ لَهُمُ الْمَاءَ، وَيُهَيِّئَ لَهُمُ الدِّلاء والأَرِشيَة»[٢]، وقال المناوي: «أنا فرطكم: - بالتحريك- أي سابقكم «على الحوض»: أي إليه؛ لأصلحه لكم، وأهيئ لكم ما يليق بالوارد، وأحوطكم، وآخذ لكم طريق النجاة، من قولهم فرس فرط: متقدم للخيل، ذكره الزمخشري، وهذا تحريض على العمل الصالح المقرب له في الدارين، وإشارة إلى قرب وفاته، وتقدمه على وفاة صحبه»[٣].

١٧-قوله: «**غُرٌّ**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: جَمْعُ الأَغَرِّ، مِنَ الغُرَّة: بياضِ الوجْه، يُريد بَياض وجُوهِهم بِنُورِ الوُضوء يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ فِي صَوْم «**الْأَيَّامِ الغُرّ**»[٤] أَيِ البِيضِ اللَّيَالِي بالقَمَر، وهو يفيد: الحَسَن، والعَمل الصَّالِح، شبَّهه بغُرَّة الفَرس، وَكُلُّ شَيْءٍ تُرْفَع قيمتَهُ فَهُوَ غُرَّة[٥].

١٨-قوله: «**محجلة**»: الجواد المحجل «هُوَ الَّذِي يَرْتَفع الْبَيَاضُ فِي قَوائمه إِلَى مَوْضِع القَيْد، ويُجَاوِز الأرْسَاغ، وَلَا يُجَاوِز الركْبَتَين؛ لأَنَّهُما مواضِع الأَحْجَال، وَهِيَ الخَلاخِيل والقُيُود، وَلَا يَكُونُ التَّحْجِيل باليَدِ واليدَيْن مَا لَمْ يكُنْ معَها رِجْل أَوْ رِجْلان، أَيْ: بيضُ مَواضع الوُضوء مِنَ: الأيْدي، والوجْه، والأقْدام، اسْتَعار أثرَ الْوُضُوءِ فِي: الوجْه، واليَدين، والرِّجْلين لِلْإِنْسَانِ مِنَ البَياضِ الَّذِي يَكُونُ فِي وجْه الفَرس ويَدَيْه ورجْلَيْه»[٦].

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢٠/ ٢٦٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٣٤، مادة (فرط)، وتقدم مستوفى في المفردة الثانية من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٦٠.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٣/ ٥٨.

(٤) مسند أحمد، ١٤/ ١٥٤، برقم ٨٤٣٤، وصححه محققو المسند.

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٣٥٤، مادة (غرر).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣٤٦، مادة: (حجل).

١٩-قوله: «**البعير الضال**»: وجمعه ضوال، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الضوال: الضَّائِعَةُ مِنْ كُلِّ مَا يُقْتَنَى مِنَ الحَيَوان وَغَيْرِهِ، يُقَالُ: ضَلَّ الشيءُ إِذَا ضَاع، وضَلَّ عَنِ الطَّرِيق إِذَا حارَ، وَهِيَ فِي الأَصْل فاعِلَةٌ، ثُمَّ اتُّسِع فِيهَا فصَارَت مِنَ الصِّفات الغَالِبة، وتقَعُ عَلَى الذَّكَر والأُنْثى، وَالِاثْنَيْنِ والجَمْع، وتُجمَع عَلَى ضَوَالّ»[١].

٢٠-قوله: «**هلم**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفِيه لُغَتَان: فأَهْلُ الحِجاز يُطلِقُونه عَلَى الواحِدِ والجَمِيع، والاثْنَيْنِ والمُؤَنَّثِ بِلَفْظٍ واحِدٍ، مَبْنِيٌّ عَلَى الفَتْح، وبَنُو تَمِيم تُثَنِّي، وتَجْمَع، وتُؤَنِّث، فتَقُول: هَلُمَّ، وهَلُمِّي، وهَلُمَّا، وهَلُمُّوا»[٢].

٢١-قوله: «**بقيع الغرقد**»: قال ياقوت الحموي: «بالغين المعجمة: أصل البقيع في اللغة الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتى، وبه سُمي بقيع الغرقد، والغرقد كبار العوسج... وهو مقبرة أهل المدينة، وهي داخل المدينة»[٣].، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «البقيع من الأرض المكان المتسع، ولا يسمى بقيعاً إلا وفيه شجرها، وأصولها، وبقيع الغرقد: موضع بظاهر المدينة، فيه قبور أهلها، كان به شجر الغرقد، فذهب وبقي اسمه»[٤].

٢٢-قوله: «**أنتم سلفنا**»: «قال ابن الأثير: «... من تقدمه بالموت من آبائه، وذوي قرابته؛ ولهذا سُمّي الصدر الأول من التابعين: السلف الصالح»[٥]، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قيل: هو من سلف المال، كأنه أسلفه وجعله ثمنًا للأجر والثواب الذي يجازى على الصبر عليه. وقيل: سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٩٨، مادة (ضلل).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٢٧٢، مادة (هلم).
(٣) معجم البلدان، ١/ ٤٧٣، مادة (بقيع الغرقد).
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٤٣٦.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٩٠، مادة (سلف)، وتقدم مستوفى في المفردة رقم ٢ من حديث المتن رقم ١٦٠.

بالسلف الصالح»[١].

٢٣-قوله: «**ونحن على الأثر**»: قال ابن منظور رحمه الله: «الأَثر: بَقِيَّةُ الشَّيْءِ، وَالْجَمْعُ آثَارٌ وأُثور، وَخَرَجْتُ فِي إِثْره، وَفِي أَثَره، أَي: بَعْدَهُ، وأْتَثَرْتُه وتَأَثَّرْته: تَتَبَّعْتُ أَثره؛ عَنِ الْفَارِسِيِّ. وَيُقَالُ: آثَرَ كَذَا وَكَذَا بِكَذَا وَكَذَا أَي أَتْبَعه إِياه»[٢].

٢٤-قوله: «**إِلَّا رَيْثَمَا**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «الريث: الإبطاء، والمراد: مقدار ما»[٣]، وقال الإمام النووي رحمه الله: «أي قدرما»[٤].

٢٥- **قوله**: « **فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا**»: قال القاضي عياض رحمه الله: «أي: قليل، لئلا ينبهُهَا»[٥]، وقال ابن الأثير رحمه الله: « رويدا : إذا مشى على مهل»[٦]، وقال النووي رحمه الله: «أَيْ: قَلِيلًا لَطِيفًا لِئَلَّا يُنَبِّهَهَا»[٧].

٢٦-قوله: « **ثُمَّ أَجَافَهُ**»: قال القاضي عياض رحمه الله: «أي: أغلقه... فعل ذلك ﷺ لئلا تعلم بخروجه عنها، وبقائها في الليل وحدها، فيدركها ذعرٌ وتوحش، كما فسر ذلك داخل»[٨]، وقال النووي رحمه الله: «أَيْ: أَغْلَقَهُ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ ﷺ فِي خُفْيَةٍ لِئَلَّا يُوقِظَهَا، وَيَخْرُجَ عَنْهَا فَرُبَّمَا لَحِقَهَا وَحْشَةٌ فِي انْفِرَادِهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ»[٩]،

٢٧-قوله: «**وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي**»: قال الإمام النووي رحمه الله: «هَكَذَا هُوَ فِي الْأُصُولِ إِزَارِي

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٤٣٥.
(٢) لسان العرب، ٤/ ٥، مادة (أثر).
(٣) جامع الأصول، ١١/ ١٥٦.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٧/ ٤٣.
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٤٤٨.
(٦) جامع الأصول، ١١/ ١٥٦.
(٧) شرح النووي على صحيح مسلم، ٧/ ٤٣.
(٨) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٤٤٩.
(٩) شرح النووي على صحيح مسلم، ٧/ ٤٣.

بِغَيْرِ بَاءٍ فِي أَوَّلِهِ، وَكَأَنَّهُ بِمَعْنَى لَبِسْتُ إِزَارِي فَلِهَذَا عُدِّيَ بِنَفْسِهِ»[١].

٢٨-قوله: «**فَلَهَدَنِي**»: قال الإمام النووي رحمه الله: «وَرُوِيَ فَلَهَزَنِي بِالزَّاي وَهُمَا مُتَقَارِبَانِ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: لَهَدَهُ، وَلَهَّدَهُ - بِتَخْفِيفِ الْهَاءِ وَتَشْدِيدِهَا أَيْ: دَفَعَهُ، وَيُقَالُ: لَهَزَهُ: إِذَا ضَرَبَهُ بِجَمْعِ كَفِّهِ فِي صَدْرِهِ»[٢]، وقال القاضي عياض رحمه الله: «والظاهر من معنى الحديث أنها اتهمته أنه سار إلى بعض أزواجه، بدليل لهده لها في صدرها، وهو الضرب فيه»[٣].

٢٩-قوله: «**فأحضر فأحضرت**» قال النووي رحمه الله: «الإحضار: العدو»[٤]، وقال القرطبي رحمه الله: «والهرولة: فوق الإسراع، والإحضار: فوق الهرولة، وكلها مراتب الجري»[٥].

٣٠-قوله: «**مالك يَا عَائِشُ حَشْيَا رَابِيَةً**»: قال القاضي عياض رحمه الله: «مالك يا عائشة حَشْيَا رَابيةً»:، قال الإمام: قال الهروي: أي: مالك قد وقع عليك»[٦]، وقال النووي رحمه الله: «يَجُوزُ فِي عَائِشِ فَتْحُ الشِّينِ وَضَمُّهَا، وَهُمَا وَجْهَانِ جَارِيَانِ فِي كُلِّ الْمُرَخَّمَاتِ، وَفِيهِ جَوَازُ تَرْخِيمِ الِاسْمِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِيذَاءٌ لِلْمُرَخَّمِ، وَ«حَشْيَا»:... مَعْنَاهُ وَقَدْ وَقَعَ عَلَيْكِ الْحَشَا، وَهُوَ الرَّبْوُ، وَالتَّهَيُّجُ الَّذِي يَعْرِضُ لِلْمُسْرِعِ فِي مَشْيِهِ، وَالْمُحْتَدِّ فِي كَلَامِهِ مِنَ ارْتِفَاعِ النَّفَسِ، وَتَوَاتُرِهِ، يُقَالُ: امْرَأَةٌ حَشْيَاءُ، وَحَشِيَةٌ، وَرَجُلٌ حَشْيَانٌ، وَحَشِشٌ، قِيلَ:

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٧/ ٤٣.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٧/ ٤٣.
(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٤٤٩.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٧/ ٤٣.
(٥) المفهم ، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ١٠٩.
(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٤٤٩.

أَصْلُهُ مَنْ أَصَابَ الرَّبْوُ حَشَاهُ، وَقَوْلُهُ: «رَابِيَةً»: أَيْ: مُرْتَفِعَةَ الْبَطْنِ»[١].

٣١-قوله: «**فَأَنْتِ السَّوَادُ**»: قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَي: الشَّخْصُ»[٢].

٣٢-قوله: «**أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟**»: قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: يجور، ولا يصح مع هذا أن يتأول عليها غير هذا الوجه من تعلم، أو استفتاء، على ما أشار إليه بعضهم، إذ لا يقتضيه لفظ الحديث»[٣].

٣٣-قوله: «**بأبي أنت وأمي**»: قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: أفديك بهما، وأجعلهما فداءك، فضلاً عن غيرهما»[٤].

٣٤-قوله: «**وضعت ثيابك**»: أي: خلعتيها، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَضَعَتِ المرأةُ خِمارَها، وَهِيَ واضِعٌ، بِغَيْرِ هَاءٍ: خَلَعَتْه»[٥].

٣٥-قوله: «**خشيت أن تستوحشي**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْوَحْشَةِ: ضِدُّ الأُنْس. والْوَحْشَةُ: الخَلْوَة والهَمّ. وأَوْحَشَ المكانُ، إِذَا صَارَ وَحْشاً. وَكَذَلِكَ تَوَحَّشَ. وَقَدْ أَوْحَشْتُ الرَّجُلَ فَاسْتَوْحَشَ»[٦].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية الترحم على الموتى حال زيارة القبور أو المرور عليها وأن تحية الأموات كتحية الأحياء أي: بتقديم السلام عليكم بخلاف ما كانت عليه الجاهلية من قوله:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما[٧]

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٧/ ٤٣.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٧/ ٤٤.
(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٤٤٩.
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣٢٧.
(٥) لسان العرب، ٨/ ٤٠٠، مادة (وضع).
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ١٦١، مادة (وحش).
(٧) شرح النووي على صحيح مسلم، ٧/ ٤٥.

أما قول جابر بن سليم رضي الله عنه للرسول ﷺ لما لقيه: عليك السلام يا رسول الله! مرتين، فقال له: «**لا تقل عليك السلام؛ فإن عليك السلام تحية الميت**»(١)؛ فإنما قال ذلك إشارة إلى ما جرت به العادة في الجاهلية(٢).

٢-مشروعية زيارة القبور للاتعاظ والاعتبار بما سيؤول إليه الزائر؛ ولذهاب قسوة القلب؛ ولذا قال النبي ﷺ: «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**(٣) **فإنها تذكركم الآخرة**(٤)».

٣-يجب على الزائر أن يلتزم بالآداب الشرعية؛ لأن زيارة القبور على أقسام ثلاثة:

أ – **زيارة سُنية**: أي: ما كان فيها الزائر متبعًا لهدي النبي ﷺ، وهو الدعاء للأموات، والترحم عليهم والاتعاظ بحالهم، ولإحياء السنة، وتذكِّر الآخرة.

ب – **زيارة بدعية**: وهو أن يقصد الزائر قراءة القرآن عند المقبرة أو الصلاة عندها أو نحو ذلك مما هو وسيلة للشرك.

جـ - **زيارة شركية**: وهو أن يقصد الزائر دعاء الميت والذبح له أو طلب غوث أو نصر فكل ذلك شرك أكبر والعياذ بالله(٥).

٤-في قول النبي ﷺ: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**» قال ابن عثيمين: لاحقون على ماذا؟ فإذا قلنا بالموت ورد علينا إشكال، وهو تعليق ذلك بمشيئة الله مع أنه محقق والجواب عن ذلك:

أ – المراد لاحقون على الإيمان فيكون لحوقًا معنويًا لا حسيًا.

---

(١) أبو داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، برقم ٤٠٨٤، والترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في كراهية أن يقول: عليك السلام مبتدئاً، برقم ٢٧٢١، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٤٠٨٤.

(٢) انظر:أحكام الجنائز للألباني، ص ٢٦١.

(٣) مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، برقم ٩٧٧.

(٤) أحمد، ٢/ ٣٩٨، برقم ١٢٣٧، وصححه لغيره محققو المسند، والألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٥٧٧.

(٥) أحكام الجنائز لابن عثيمين، ص ١٣٦.

ب – المراد اللحاق على الموت وأن التعليق هنا تعليل أي: أن لحوقنا إياكم سيكون بمشيئة الله.

جـ - أن التعليق ليس على أصل الموت ولكن على وقته أي سنلحق بكم متى شاء الله ذلك[١].

٥-إذا مر المسلم على قبور غير المسلمين فيسن له أن يقول: أبشركم بالنار، لقوله ﷺ: «**حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار**»[٢][٣].

٦-قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه، والله أعلم، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم مثل الخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم يبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور، والظلم، وتطميس الحق، وقتل أهله، وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجميع أهل الزيغ والأهواء والبدع كل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا عنوا بهذا الخبر[٤].

٧-قال الباجي: وَلِلصَّحَابَةِ بِصُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ دَرَجَةٌ لَا يَلْحَقُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ، فَيَجِبُ أَنْ يُوصَفُوا بِهَا، وَالَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا أَتَوْا بَعْدُ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَتْ لَهُمْ دَرَجَةُ الصُّحْبَةِ؛ فَلِذَلِكَ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ إخْوَانُهُ، جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ بِرَحْمَتِهِ»[٥]، وقال

---

(١) أحكام الجنائز لابن عثيمين، ص ٣٦٠.

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين، برقم ١٥٧٣، قال البوصيري في مصباح الزجاجة، ٢/ ٤٣: «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات» وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣١٦٥.

(٣) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٤٨٧.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢٠/ ٢٦٢.

(٥) المنتقى شرح الموطأ، ١/ ٧٠.

القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأصحاب: فمن صحِبَك وصحبتَه، وذهب أبو عمر من هذا الحديث وغيره في فضل من يأتي، ومن في آخر الزمان، إلى أنه قد يكون فيمن يأتي بعد الصحابة من هو أفضل مِمن كان في جملةِ الصحابة»[1].



(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٤٨.

٦١ - دُعَاءُ الرِّيْحِ

١٦٦-(١)«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٦٧-لفظ أبي داود: عن أبي هريرة رضي الله عنه[٢]، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«الرِّيحُ من رَوح الله - قال سلمةُ: فرَوْحُ الله - تأتي بالرحمةِ، وتأتي بالعذابِ، فإذا رأيتُموها فلا تسبُّوها، وسلوا اللهَ خيرَها، واستعيذوا باللهِ مِن شرِّها»**[٣].

٥٦٨-ولفظ ابن ماجه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لاَ تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِنَّهَا مِنْ رَوْحِ اللهِ، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَالْعَذَابِ، وَلَكِنْ سَلُوا اللهَ مِنْ خَيْرِهَا، وَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا»**[٤].

٥٦٩-ولفظ أحمد عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه[٥]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«لَا تَسُبُّوا**

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا هاجت الريح، برقم ٥٠٩٩، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب النهي عن سب الريح، برقم ٣٧٢٧، والنسائي في السنن الكبرى، ما يقول إذا هاجت الريح وذكر الاختلاف على الزهري في حديث أبي هريرة في ذلك، برقم ١٠٧٦٩، والإمام أحمد في المسند، ٣٥/ ٧٥، برقم ٢١١٣٨، والبخاري في الأدب المفرد، ص ٢٥١، برقم ٧١٩، والحاكم في المستدرك، ٢/ ٢٧٢، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه محققو المسند، ٣٥/ ٧٥، والعلامة الألباني في: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦/ ٢٥٥، و٥٩٨، وصحيح سنن ابن ماجه، ٣٠٥/٢، وصحيح الأدب المفرد، برقم ٧١٩، وصحيح الجامع الصغير، برقم ٧٣١، ٧٣١٨ .

(٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أخرجه أبو داود، برقم ٥٠٩٩، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦/ ٥٩٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) ابن ماجه، برقم ٣٧٢٧، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٣٠٥/٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٥٨ من أحاديث الشرح.

الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَمِنْ خَيْرِ مَا فِيهَا، وَمِنْ خَيْرِ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَمِنْ شَرِّ مَا فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»[١].

٥٧٠-ولفظ الحاكم عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: «**لاَ تَسُبُّوا الرِّيحَ ، فَإِنَّهَا مِنْ نَفَسِ الرَّحْمَنِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[٢]، وَلَكِنْ قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**»[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللهم إني أسألك من خيرها**»: قال البجيرمي رحمه الله: «سَأَلَ اللَّهَ خَيْرَ الْمَجْمُوعَةِ، لِأَنَّهَا لِلرَّحْمَةِ»[٤]، وقال الصنعاني رحمه الله: «فإنها جند من أجناد الله، يأتي بالخير والشر، فلا يجوز سبّها؛ بل ينتقل إلى سؤال من أرسلها طلبًا لخيرها، وإعاذة من شرها»[٥].

٢-قوله: «**وأعوذ بك من شرها**»: قال البجيرمي رحمه الله: «وَتَعَوَّذَ بِهِ مِنْ شَرِّ الْمُفْرَدَةِ لِأَنَّهَا لِلْعَذَابِ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الْأُسْلُوبُ فِي كَلَامِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ»[٦]، وقال الشوكاني رحمه الله: «وبهذا يعرف أن الريح قد تأتي بالخير، وقد تأتي بالشر»[٧].

---

(١) المسند، برقم ٢١١٣٨، وصححه محققو المسند، ٣٥/ ٧٥، والعلامة الألباني في: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦/ ٢٥٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٦.

(٣) المستدرك، للحاكم، ٢/ ٢٧٢، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٧٣١٨.

(٤) تحفة الحبيب على شرح الخطيب (حاشية البجيرمي على الخطيب)، لسليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي، ٢/ ٢٥٠.

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ١١/ ١٠٥.

(٦) حاشية البجيرمي على الخطيب، ٢/ ٢٥٠.

(٧) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ٢٦٢.

٣-قوله: «من روح الله» أي: من رحمة الله بخلقه وهذا كقول: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[(١)]، قال ابن الأثير رحمه الله: «أَيْ: مِنْ رَحمتِه بِعبادِه»[(٢)]، وقال الطيبي رحمه الله: «قوله: «الريح من روح الله»: الروح: النفس، وقد أراح الإنسان إذا تنفس،... فإن قيل: كيف يكون الريح من روح الله، أي: من رحمته، مع أنه يجيء بالعذاب؟ فجوابه من وجهين: أحدهما أن الريح إذا جاءت لعذاب قوم ظالمين، كانت رحمة لقوم مؤمنين»[(٣)]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أَيْ: مِن الرُّوحِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ؛ فَإِضَافَةُ الرُّوحِ إلَى اللَّهِ إضَافَةُ مِلْكٍ، لَا إضَافَةُ وَصْفٍ؛ إذْ كُلُّ مَا يُضَافُ إلَى اللَّهِ إنْ كَانَ عَيْنًا قَائِمَةً بِنَفْسِهَا، فَهُوَ مِلْكٌ لَهُ، وَإِنْ كَانَ صِفَةً قَائِمَةً بِغَيْرِهَا لَيْس لَهَا مَحَلٌّ تَقُومُ بِهِ، فَهُوَ صِفَةٌ لِلَّهِ»[(٤)].

٤-قوله: «تأتي بالرحمة»: وذلك إذا أتت بمطر في الجدب أو هب في وقت حر وغير ذلك مما يترتب عليه منفعة للخلق.

٥-قوله: «وتأتي بالعذاب»: وذلك بهدم البيوت وإثارة الغبار وتكسير الأشجار وتفريق السحاب الذي يُطمع فيه المطر وغير ذلك[(٥)].

٦-قوله: «فلا تسبوها»: أي: لا تقولوا فيها كلامًا قبيحًا كالشتم واللعن، قال ابن منظور: «السَّبُّ القَطْعُ، سَبَّه سَبّاً قَطَعه، ...وسُبَّ أَي: عُيِّر بالبُخْلِ فَسَبَّ عَراقيبَ إِبله أَنَفةً مما عُيِّر به كالسيف يسمى سَبَّابَ العَراقيب لأَنه يَقْطَعُها، وسَبْسَبَ إِذا قَطَع رَحِمه، والتَّسابُّ: التَّقاطُعُ، والسَّبُّ: الشَّتْم وهو مصدر سَبَّه يَسُبُّه سَبّاً: شَتَمَه، وأَصله من ذلك وسَبَّبه أَكثر سَبَّه ... والسُّبَّة: العارُ، ويقال صار

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٧.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٢٧٢، مادة (روح).
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٢٧.
(٤) مجموع الفتاوى، ٩/ ٢٩٠.
(٥)انظر: العلم الهيب، ص ٤١٠.

هذا الأَمر سُبَّةً عليهم – بالضم-: أَي عاراً يُسبُّ به، ويقال بينهم أُسْبوبة يَتسابُّونَ بها أَي: شيء يَتشاتَمُونَ به، والتَّسابُّ التَّشاتُم، وتَسابُّوا تَشاتَمُوا»[١].

٧-قوله: «**اللهمّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَـٰذِهِ الرِّيحِ، وَمِنْ خَيْرِ مَا فِيهَا**»: قال الراغب الأصفهاني: «السؤال: استدعاء معرفة، أو ما يؤدي إلى المعرفة، واستدعاء مال، أو ما يؤدي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان، واليد خليفة له بالكتابة، أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللسان خليفة لها إما بوعد، أو بردّ»[٢].، وقال في تعريف الخير: «الخير: ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلاً، والعدل، والفضل، والشيء النافع، وضده: الشر. قيل: والخير ضربان: خير مطلق، وهو أن يكون مرغوباً فيه بكل حال ... وخير وشر مقيدان، وهو أن يكون خيراً لواحد شراً لآخر، كالمال الذي ربما يكون خيراً لزيد، وشراً لعمرو»[٣]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فَأَخْبَرَ أَنَّهَا تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ، وَأَمَرَ أَنْ نَسْأَلَ اللَّهَ مِنْ خَيْرِهَا، وَنَعُوذُ بِاَللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، فَهَذِهِ السُّنَّةُ فِي أَسْبَابِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَنْ يَفْعَلَ الْعَبْدُ عِنْدَ أَسْبَابِ الْخَيْرِ الظَّاهِرَةِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مَا يَجْلِبُ اللَّهُ بِهِ الْخَيْرَ، وَعِنْدَ أَسْبَابِ الشَّرِّ الظَّاهِرَةِ مِنْ الْعِبَادَاتِ مَا يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْهُ الشَّرَّ، فَأَمَّا مَا يَخْفَى مِنْ الْأَسْبَابِ فَلَيْسَ الْعَبْدُ مَأْمُورًا بِأَنْ يَتَكَلَّفَ مَعْرِفَتَهُ، بَلْ إذَا فَعَلَ مَا أُمِرَ، وَتَرَكَ مَا حُظِرَ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ الشَّرِّ، وَيَسَّرَ لَهُ أَسْبَابَ الْخَيْرِ»[٤]، وقال الراغب في تعريف الشر: «الشر: الذي يرغب عنه الكل، كما أن الخير هو الذي يرغب فيه الكل...ورجل شر وشرير: متعاط للشر، وقوم أشرار، وقد أشررته: نسبته إلى

---

(١) لسان العرب، ١/ ٤٥٥، مادة (سب).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، ١/ ٥١٦، مادة (سول).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، ١/ ٣٢٧، مادة (خير).

(٤) الفتاوى الكبرى، ١/ ٦٠.

الشر، وقيل: أشررت كذا، وأشررته: إذا نسبته إلى الشر، والشر بالضم خص بالمكروه، وشرار النار: ما تطاير منها، وسميت بذلك لاعتقاد الشر فيه»[١].

٨-قوله: «**نفس الرحمن**»: قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «والنفس: الريح الداخل والخارج في البدن من الفم والمنخر، وهو كالغذاء للنفس، وبانقطاعه بطلانها... وقوله عليه الصلاة والسلام: «**لاتسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن**» أي: مما يفرج بها الكرب. يقال: اللهم نفس عني، أي: فرج عني، وتنفست الريح: إذا هبت طيبة»[٢]، وقال ابن الأثير رحمه الله: «يُريد بِهَا أنَّها تُفَرِّج الكَرْب، وتُنْشِىء السَّحاب، وتَنْشُر الغَيْث، وتُذْهِب الجَدْب، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: النَّفَسُ فِي هَذيْن الحَديثَين: اسْمٌ وُضِعَ مَوْضعَ المصْدَرِ الْحَقِيقِيّ، مِنْ نَفَّسَ يُنَفِّسُ تَنْفِيساً ونَفَساً، كَمَا يقالُ: فَرّج يُفَرِّجُ تَفْرِيجاً وفَرَجاً، كَأَنَّهُ قَالَ: أجِدُ تَنْفيسَ ربّكُم مِنْ قِبَلِ اليَمنِ، وإنَّ الرِّيح مِنْ تَنْفِيسِ الرَّحْمَنِ بِهَا عَنِ الْمَكْرُوبِينَ»[٣]، وقال ابن الجوزي رحمه الله: «وكذلك لا تَسُبُّوا الريحَ فإنّها من نَفَسِ الرَّحْمَن أي: أنَّها تُفَرِّج الكربَ»[٤].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الريح من الآيات الباهرات الدالة على قدرة خالقها ومسيرها الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ**﴾[٥]، وقال: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ**﴾[٦].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ١/ ٥٢٩، مادة (شر).
(٢) مفردات ألفاظ القرآن، ٢/ ٤٤٦، مادة (نفس).
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، :٥/ ٩٤، مادة (نفس).
(٤) غريب الحديث لابن الجوزي، ٢/ ٤٢٥.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.
(٦) سورة الروم، الآية: ٤٦.

٢-الريح لا تتحرك إلا بأمر الله تعالى فهي جند من جنوده ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾(١) ولذلك فإن من سبها فقد تطاول على خالقه وخالقها وكذلك كل الآيات الكونية كالخسوف والكسوف وغيرهما، قال الإمام الشافعي: «لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسُبَّ الرِّيحَ فَإِنَّهَا خَلْقُ اللهِ ﷻ مُطِيعٌ وَجُنْدٌ مِنْ أَجْنَادِهِ يَجْعَلُهَا رَحْمَةً وَنِقْمَةً إِذَا شَاءَ»(٢).

٣-المسلم حال قوله لهذا الدعاء يتذكر فعل الله بعاد حيث سلط عليهم الريح فأهلكتهم، قال الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾(٣).

ومعنى صرصر أي: قوية شديدة الهبوب لها صوت أبلغ من صوت الرعد القاصف.

ومعنى عاتية أي: عتت على خزانها وزادت على الحد.

ومعنى حسومًا أي: نحسًا وشرًّا عليهم حتى دمرتهم(٤).

***

١٦٧-(٢) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»(٥).

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٣١.

(٢) الأم للشافعي، ٢/ ٥٥٦.

(٣) سورة الحاقة، الآيات: ٦ - ٨.

(٤) تفسير السعدي، ص ٨٨٢.

(٥) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤]، برقم ٤٨٢٩،وانظر كتاب بدء الخلق، باب ما جاء =

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٧١-لفظ البخاري عَنْ عَائِشَةَ ﵂، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ[١] قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ، قَالَتْ: وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ المَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الكَرَاهِيَةُ، فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ مَا يُؤْمِنِّي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؟ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ العَذَابَ، فَقَالُوا: هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا**»[٢].

٥٧٢-ولفظ مسلم عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ، قَالَ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**» قَالَتْ: وَإِذَا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ، تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ، سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: " **لَعَلَّهُ، يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾**[٣]»[٤].

=

في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الفرقان: ٤٨]، برقم ٣٢٠٦، ومسلم، واللفظ له، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح والمطر، برقم ٨٩٩.

(١) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، واللفظ له، ٢/ ٦٦٦، برقم ٨٩٩، والبخاري، ٤/ ٧٦ برقم ٣٢٠٦، ورقم ٤٨٢٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٢٤.

(٤) مسلم، واللفظ له، ٢/ ٦٦٦، برقم ٨٩٩، والبخاري، ٤/ ٧٦ برقم ٣٢٠٦، ورقم ٤٨٢٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً شرح: مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللهم إني أسألك خيرها**»: قال البجيرمي رَحِمَهُ اللهُ: «سَأَلَ اللَّهَ خَيْرَ الْمَجْمُوعَةِ، لِأَنَّهَا لِلرَّحْمَةِ»[1]، وقال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «فإنها جند من أجناد الله، يأتي بالخير والشر، فلا يجوز سبّها؛ بل ينتقل إلى سؤال من أرسلها طلبًا لخيرها، وإعاذة من شرها»[2].

٢- قوله: «**وخير ما فيها**»: قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «ما اشتملت عليه من الحكمة في إرسالها»[3]، وقال المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ: «من منافعها كلها»[4]، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وخير ما فيها: ما فيها: أي: ما تحمله من أمور قد تكون نافعة وقد تكون ضارة»[5].

٣-قوله: «**وخير ما أرسلت به**»، قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «ويحتمل من فيها الأعوان المرسلون معها، قال الطيبي: يحتمل الفتح على الخطاب ويحتمل بناؤه للمفعول »[6]، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «لأنها تارة ترسل بالخير وتارة ترسل بالشر فتسأل الله خير ما أرسلت به»[7].

٤-قوله: «**وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها**»: قال المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ: «فإنها ترسل بالخير والشر»[8].

---

(١) حاشية البجيرمي على الخطيب، ٢/ ٢٥٠.
(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ١١/ ١٠٥، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ١٦٦، المفردة رقم ١.
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٤٢٤.
(٤) تحفة الأحوذي، ٦/ ٤٣٦.
(٥) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٧٢٩.
(٦) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٤٢٤.
(٧) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٧٢٩.
(٨) تحفة الأحوذي، ٦/ ٤٣٦.

٥-قوله: «**وشر ما أرسلت به**»: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «فإذا استعاذ الإنسان من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به، وسأل الله خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، كفاه الله شرها»[١].

٦-قوله: «**عصفت**»: أي: أقبلت هائجة، قال ابن الأثير رحمه الله: «عصفت الريح : إذا هبت هبوبا شديدا»[٢].

٧-قوله: «**عارض**»: «العارض: السحاب الذي يعرض في السماء»[٣].

٨-قوله: «**تخيلت**»: أي: جاءت سحابة يظن فيها المطر مقرونة برعد وبرق، قال ابن الأثير رحمه الله: «المخيلة : السحابة التي يظن أن فيها مطراً، وتخيلت السماء : إذا تغيمت»[٤]، وقال القاضي عياض رحمه الله: «أي: تهيأت للمطر بظهور الخال دونها، وهي سحاب يتخيل فيها المطر»[٥].

٩-قوله: «**سري عنه**»: أي: كشف عنه الحزن وزال عنه القلق والخوف، قال ابن الأثير رحمه الله: سري عنه: «سري عنه هذا الأمر : إذا كشف وأزيل عنه»[٦]، وقال الطيبي رحمه الله: «أي كشف عنه الخوف، وأزيل: يقال: سروت الثوب، وسريته إذا خلعته، والتشديد فيه للمبالغة»[٧].

١٠-قوله: « **لعله**»: أي: لعل هذا الأمر أي: الريح.

١١-قوله: «**قوم عاد**»: أي: الذين أرسل الله إليهم نبي الله هود عليه السلام كما قال

---

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٧٢٩.
(٢) جامع الأصول، لابن الأثير، ٤/ ١٢.
(٣) جامع الأصول، لابن الأثير، ٤/ ١٢.
(٤) جامع الأصول، لابن الأثير، ٤/ ١٢.
(٥) مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ٢/ ٤٩٠.
(٦) جامع الأصول، لابن الأثير، ٤/ ١٢.
(٧) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٢٦.

اللَّه ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[١].

١٢-قوله: «**لهواته**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «اللَّهَوَات: جَمْعُ لَهَاة، وَهِيَ اللَّحَمَات فِي سَقْف أَقْصَى الفَمِ»[٢].

١٣-قوله: «**يُؤْمِنِّي**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «فَهُوَ مِنَ الأَمَان، والأَمْن ضِدُّ الْخَوْفِ»[٣].

١٤-قوله: «**تغير لونه**»: قال ابن منظور رحمه الله «تغَيُّر الْحَالِ، وانتقالَها مِنَ الصَّلَاحِ إِلى الْفَسَادِ، والغِيَرُ: الِاسْمُ مِنْ قَوْلِكَ غَيَّرْت الشَّيْءَ فتغيَّر»[٤].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-شدة خوف النبي ﷺ وخشيته من ربه ﷻ وشفقته على أصحابه أن يصيبهم ما أصاب الأمم الماضية من ألوان العذاب.

٢-الالتجاء إلى الله عند تغير أي مظهر من مظاهر الكون المعتادة؛ لأن الذي يملك كشفها هو الله وحده لا شريك له.

٣-قال الإمام العيني رحمه الله: اعلم أن هاهنا ثلاث خيرات:

الخير الأول: خير نفس الريح: مثل تلذذ بني آدم ببرودتها في الحر وإعطائها الطراوة والبدارة للنباتات وذهابها بالروائح الكريهة ونحو ذلك.

الخير الثاني: خير ما فيها: مثل نزول المطر النافع؛ لأن المطر لا يجيء إلا ويسبقه الريح.

الخير الثالث: خير ما أرسلت به: مثل السحاب؛ لأنه يجيء بالريح وله خير وشر، خيره مثل المطر النافع وشره مثل المطر الضار. فافهم[٥].

---

(١) سورة الشعراء: ١٢٣، ١٢٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٢٨٤، مادة (لها).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٦٩، مادة (أمن).

(٤) لسان العرب، ٥/ ٤٠، مادة (غير).

(٥) العلم الهيب، ص ٤١١.

٤-كان من جملة هديه ﷺ إذا رأى ناشئًا في أفق السحاب – أي سحابًا لم يتكامل اجتماعه – ترك العمل وإن كان في صلاة - أي: دعاء - ثم يقول: «**اللَّهم إني أعوذ بك من شرها**» فإذا مُطر قال: «**اللَّهم صيبًا هنيًا**»[1] وكانت إذا اشتدت الريح يقول: «**اللَّهم لقحًا لا عقيمًا**»[2] ولقحًا أي: حاملًا للماء والعقيم الذي لا ماء فيه.

***

---

(١)سنن أبي داود، برقم ٥٠٩٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) ابن حبان، ٣/ ٢٨٨، برقم ١٠٠٨، والحاكم، ٤/ ٢٨٦، وصححه، والطبراني في المعجم الكبير، ٧/ ٣٣، برقم ٦٢٩٦، وحسنه محققو صحيح ابن حبان، وصححه العلامة الألباني في التعليقات الحسان، ٣/ ١٠٠٤، برقم ١٠٠٤.

٦٢- دُعَاءُ الرَّعْدِ

١٦٨- «سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ»[١].

الشــرح:

أولاً: لفظ الأثر:

٥٧٣- لفظ البخاري في الأدب المفرد، ومالك: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه[٢]: أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ تَرَكَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ إِنَّ هَذَا الْوَعِيدَ لأَهْلِ الأَرْضِ شَدِيدٌ»[٣].

٥٧٤- ولفظ الإمام أحمد: أن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه كَانَ إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ، لَهَا عَنْ حَدِيثِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّ هَذَا وَعِيدٌ لأَهْلِ الأَرْضِ شَدِيدٌ»[٤].

٥٧٥- عن الأسود بن يزيد[٥]، أنه كان إذا سمع الرعد قال: «سبحان من سبَّحتَ له، أو «سبحان الذي يسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته»[٦].

---

(١) البخاري في الأدب المفرد، ص ٢٥٢، برقم ٧٢٣، ومالك في الموطأ، ٢/٩٩٢، برقم ١٨٠١، والإمام أحمد في الزهد، ١/ ٣٥٨، برقم ١١٢٣، وابن أبي شيبة، ٦/ ٢٧، برقم ٢٩٢١٤، وصححه النووي في خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، ٢/ ٨٨٨، والعلامة الألباني في صحيح الأدب المفرد، ١/ ٢٦٢، برقم ٧٢٣، وصحيح الكلم الطيب، ١٥٧.

(٢) سبقت ترجمته في الحديث ٢٤٠ من أحاديث الشرح.

(٣) الأدب المفرد، ص ٢٥٢، ومالك في الموطأ، برقم ١٨٠١، وصححه النووي في خلاصة الأحكام، ٢/ ٨٨٨، والعلامة الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٧٢٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الإمام أحمد في الزهد، برقم ١١٢٣، وتقدم تخريجه في حديث المتن.

(٥) الأسود بْن يزيد بْن قَيْس بْن عَبْد الله النخعي، أدرك النبي ﷺ ولم يره، يروي عن: أبي بكر، وعمر، روى عنه: الشعبي، والنخعي، وكان صواماً، وقواماً، حج بين أربعين حجة وعمرة، وكان فقيهاً زاهداً، مات سنة خمس وسبعين، وقيل سنة أربع وسبعين. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ٦/ ٧٠، والثقات لابن حبان، ٢/ ١٩.

(٦) تفسير الطبري، ١٦/ ٣٨٩، والدعاء للطبراني، ص ٣٠٤، برقم ٩٨٤، ووثق محقق تفسير الطبري رواة الأثر.

ثانياً: شرح مفردات الأثر:

١-قوله: «**سبحان من يسبح الرعد بحمده**» أي: أن هذا الصوت القوي هو تسبيح من الرعد لخالقه، وهذا إشارة إلى قول الله ﷻ: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾[1]، قال الإمام الطبري رحمه الله: تنزيهه سبحانه من كل سوء[2]، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فَهُوَ مُتَعَالٍ عَنْ الشُّرَكَاءِ وَالْأَوْلَادِ، كَمَا أَنَّهُ مُسَبَّحٌ عَنْ ذَلِكَ، وَتَعَالِيهِ سُبْحَانَهُ عَنْ الشَّرِيكِ هُوَ تَعَالِيهِ عَنْ السَّمِيِّ، وَالنِّدِّ، وَالْمِثْلِ، فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ مِثْلَهُ»[3].

٢-قوله: «**يسبح الرعد**»: قال ابن العربي رحمه الله: «إن الرَّعْد مَلَكٌ يزجُرُ السَّحابَ، وقد يجوزُ أن يكون زجرُه لها تسبيحًا، لقوله تعالى: ﴿**وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ**﴾[4]، والرّعدُ لا يعلمُه النّاسُ إلّا بذلك الصّوت، وجائزٌ أن يكون ذلك تسبيحَه، لقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾[5]»[6]، عن عكرمة أن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**كَانَ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ الرَّعْدِ قَالَ: سُبْحَانَ الَّذِي سَبَّحْتَ لَهُ، قَالَ: إِنَّ الرَّعْدَ مَلَكٌ يَنْعِقُ بِالْغَيْثِ، كَمَا يَنْعِقُ الرَّاعِي بِغَنَمِهِ**»[7].

٣-قوله: «**والملائكة من خيفته**» أي: من خشيته لعلمهم بعظيم قدرته وجبروت قهره وسعة ملكه. قال القرطبي رحمه الله: «(**من خيفته**): من خيفة الله، قاله الطبري وغيره، قال ابن عباس: «إن الملائكة خائفون من الله ليس

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري، ١٥/ ٣٠.

(٣) مجموع الفتاوى، ١٦/ ١٢٠.وتقدم الكلام عن التنزيه مستوفى في مفردات حديث المتن رقم ١٥، المفردة ١.

(٤) سورة الرعد، الآية: ١٣.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٦) المسالك في شرح موطأ مالك، ٧/ ٥٩١، وانظر: الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، لابن عبد البر، ٢٧/ ٣٨٠.

(٧) البخاري في الأدب المفرد، ص ٢٥٢، برقم ٧٢٢، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤/ ٤٩١، برقم ١٨٧٢.

كخوف ابن آدم، لا يعرف واحدهم من على يمينه، ومن على يساره، لا يشغلهم عن عبادة الله طعام، ولا شراب»[(١)].

٤-قوله: «**لها**»: قال الزمخشري: «هم البله الغافلون، وقيل: الذين لم يتعمدوا الذنب، وإنما فرط منهم سهواً وغفلة، يقال: لها عن الشيء، إذا غفل وشغل»[(٢)]، وقال ابن منظور: «والتَّلَهِّي بِالشَّيْءِ: التَّعَلُّلُ بِهِ والتَّمكُّثُ، يُقَالُ: تَلَهَّيْت بِكَذَا، أَي: تَعَلَّلْتُ بِهِ، وأَقَمْتُ عَلَيْهِ، وَلَمْ أُفارقُه؛ ... وَتَقُولُ: الْهُ عَنِ الشَّيْءِ أَي: اتْرُكْهُ ... والْهَ عَنْهُ، وَمِنْهُ، بِمَعْنًى وَاحِدٍ، الأَصمعي: لَهِيتُ مِنْ فُلَانٍ، وَعَنْهُ، فأَنا أَلْهَى، الْكِسَائِيُّ: لَهِيتُ عَنْهُ لَا غَيْرُ، قَالَ: وَكَلَامُ الْعَرَبِ لَهَوْتُ عَنْهُ، ولَهَوْتُ مِنْهُ، وَهُوَ أَن تَدَعَهُ وتَرْفُضَه، وفُلانٌ لَهُوٌّ عَنِ الْخَيْرِ، عَلَى فعُولٍ، الأَزهري: اللَّهْو: الصُّدُوف، يُقَالُ: لَهَوْتُ عَنِ الشَّيْءِ، أَلْهُو لَهاً، قَالَ: وَقَوْلُ الْعَامَّةِ تَلَهَّيْتُ، وَتَقُولُ: أَلْهَانِي فُلَانٌ عَنْ كَذَا أَي: شَغَلني وأَنساني»[(٣)].

٥-قوله: «**الوعيد**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «أَوْعَدَ يُوعِدُ إِيعَاداً، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ «الْوَعْدُ، والْوَعِيدُ» فالوَعْدُ يُستعمل فِي الخَير والشرِّ، يُقَالُ: وعَدْتُه خَيْراً، وَوَعَدْتُه شَرّاً، فَإِذَا أَسْقَطُوا الخيرَ والشَّر، قَالُوا فِي الْخَيْرِ: الوَعْد، والْعِدَة، وَفِي الشَّرّ: الإيعادُ، والوعيدُ»[(٤)]، وقال ابن منظور رحمه الله: «والوَعِيدُ، والتَّوَعُّدُ: التَّهَدُّدُ، وَقَدْ أَوْعدَه، وتَوَعَّدَه، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الوَعْدُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: وَفِي الْخَيْرِ الوَعْدُ والعِدةُ، وَفِي الشَّرّ الإِيعادُ والوَعِيدُ، فإِذا قَالُوا: أَوْعَدْتُه بِالشَّرِّ، أَثبتوا الأَلف مَعَ الْبَاءِ؛ ... قال الأزهري: كَلَامُ الْعَرَبِ: وعدْتُ الرجلَ خيراً، وَوَعَدْتُهُ شَرًّا، وأَوْعَدْتُه خَيْرًا، وأَوعَدْته شَرًّا،

---

(١) تفسير القرطبي، ٩/ ٢٥١.

(٢) الفائق في غريب الحديث، ٣/ ٣٣٦.

(٣) لسان العرب، ١٥/ ٢٦٠، مادة (لهو).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٢٠٦، مادة (وعد).

فإذا لَمْ يَذْكُرُوا الْخَيْرَ، قَالُوا: وَعَدْتُهُ، وَلَمْ يُدْخِلُوا أَلفاً، وإذا لَمْ يَذْكُرُوا الشَّرَّ قَالُوا: أَوعدته، وَلَمْ يُسْقِطُوا الأَلف»[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-ملك الله وعلمه لا يستطيع أحد إدراكه وفي الحديث: «**عَنْ حَكِيمِ بن حِزَامٍ، قَالَ**: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ، إِذْ قَالَ لَهُمْ: «**تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟**» قَالُوا: مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ، قَالَ: «**إِنِّي لأَسْمَعُ أَطِيطَ السَّمَاءِ، وَمَا تُلامُ أَنْ تَئِطَّ، وَمَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوْ قَائِمٌ**»[٢].

٢-من سمع صوت الرعد وهو يتكلم فيستحب له أن يقطع كلامه ويترك الحديث ويقول هذا الذكر وهذا هو الذي فعله عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

٣-الرعد والبرق والصواعق والحر والبرد جميعًا مسخرون يعملون بأمر من هو شديد المحال أي: شديد القوة والأخذ والبطش سبحانه وتعالى.

٤-قال الطيبي رحمه الله: «خص سامعوا الرعد بالحمد؛ لأن الناس عند صوت الرعد خائفون راجون، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[٣]، رجع الحمد على الخوف تفاؤلاً، أو إن جانب الرحمة أوسع»[٤].

٥-بيان سخافة عقول من يقولون: إن صوت الرعد هو علي بن أبي طالب

---

(١) لسان العرب، ٣/ ٤٦٣، مادة (وعد).

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ٣/ ٢٠١، برقم (٣١٢٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٢/ ٨٥٢، برقم ٨٥٢، وهناك رواية أوردها الألباني في هذا الموضع، وضعفها ، ولفظها كما في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم، ٢/ ٢١٧: عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ إِذْ قَالَ لَهُمْ: «تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟» فَقَالُوا: مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ قَالَ: «إِنِّي لَأَسْمَعُ أَطِيطَ السَّمَاءِ، وَلَا تُلامُ أَنْ تَئِطَّ وَمَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ».

(٣) سورة الرعد، الآية: ١٢.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٣٠.

ﷺ، وهذا شيء يسيرٌ من جملة ترهاتهم، وأباطيلهم[١].

٦-صح الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان إذا سمع صوت الرعد قال: «سبحان الذي سبحت له»، قال: «إن الرعد ملك ينعق بالغيث كما ينعق الراعي بغنمه»[٢].

٧-يقول ابن عباس رضي الله عنهما: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ؟ قَالَ: «**مَلَكٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ، مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ، مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ، يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ**»، فَقَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ؟ قَالَ: «**زَجْرُهُ بِالسَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أُمِرَ**» قَالُوا: صَدَقْتَ... الحديث[٣].

***

---

(١) انظر كتاب الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي، ص ٢٢٤، وغيره.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، ص ٢٥٢، برقم ٧٢٢، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٧٢٢.

(٣) الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة يوسف، برقم ٣١١٧، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عشرة النساء، كيف تؤنث المرأة، وكيف يذكر الرجل، برقم ٩٠٧٢، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٤/ ٤٩١، برقم ١٨٧٢.

٦٣ – مِنْ أدْعِيَةِ الاسْتِسْقَاءِ

١٦٩-(١) «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً، مَرِيئاً، مَرِيعاً، نَافِعاً غَيْرَ ضَارٍّ، عَاجِلاً غَيْرَ آجِلٍ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٧٦-عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما[٢] قَالَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ بَوَاكِي، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا، مُغِيثًا، مَرِيئًا، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ، عَاجِلاً غَيْرَ آجِلٍ». قَالَ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ[٣].

٥٧٧-عن كَعْبِ بْنَ مُرَّةَ[٤]، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَسْقِ اللَّهَ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا، مَرِيعًا، طَبَقًا، عَاجِلاً، غَيْرَ رَائِثٍ، نَافِعًا، غَيْرَ ضَارٍّ» قَالَ: فَمَا جَمَّعُوا حَتَّى

---

(١) أبو داود، كتاب صلاة الاستسقاء، باب رفع اليدين في الاستسقاء، برقم ١١٧١، عن جابر رضي الله عنه. وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١/٢١٦، برقم ١٠٣٦، وابن ماجه عن كعب بن مرة، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء في الاستسقاء، برقم ١٢٦٩، وابن ماجه عن ابن عباس، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء في الاستسقاء، برقم ١٢٧٠، وحديث ابن ماجه رقم ١٢٦٩، صححه الأرناؤوط في تحقيق سنن ابن ماجه، ٢/ ٣٢٠، والعلامة الألباني في إرواء الغليل، ٢/ ١٤٥، وصحح البوصيري في مصباح الزجاجة، ١/ ١٥١، والأرناؤوط في سنن ابن ماجه، ٢/ ٣٢١، الحديث رقم١٢٧٠.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧٢ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ١١٧١، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٠٣٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) كعب بن مرة البهزي السلمي، له صحبة، نزل الشام ونزل البصرة، وروى عنه أهلها، روى عنه شرحبيل بن السمط، وأبو الأشعث الصنعاني، وأبو صالح الخولاني، وله أحاديث، والله أعلم، ومات بها سنة تسع وخمسين، وقد قيل: إن كعب بن مرة البهزي مات بالشام سنة سبع وخمسين. انظر: طبقات ابن سعد، ٧/ ٤١٤، والاستيعاب، ١/ ٤١١، والإصابة في تمييز الصحابة، ٥/ ٦٦٥.

أُحْيُوا، قَالَ: فَأَتَوْهُ، فَشَكَوْا إِلَيْهِ الْمَطَرَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا**» قَالَ: فَجَعَلَ السَّحَابُ يَتَقَطَّعُ يَمِينًا وَشِمَالاً[(١)].

٥٧٨-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[(٢)]، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ قَوْمٍ، مَا يَتَزَوَّدُ لَهُمْ رَاعٍ، وَلاَ يَخْطِرُ لَهُمْ فَحْلٌ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا، مُغِيثًا، مَرِيئًا، طَبَقًا، مَرِيعًا، غَدَقًا، عَاجِلاً، غَيْرَ رَائِثٍ**» ثُمَّ نَزَلَ، فَمَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ مِنْ وَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، إِلاَّ قَالُوا: قَدْ أُحْيِينَا[(٣)].

٥٧٩-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه[(٤)] قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ، اللَّهِ هَلَكَتْ الْمَوَاشِي، وَانْقَطَعَتْ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمُطِرُوا مِنْ جُمُعَةٍ إِلَى جُمُعَةٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَهَدَّمَتْ الْبُيُوتُ، وَتَقَطَّعَتْ السُّبُلُ، وَهَلَكَتْ الْمَوَاشِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ عَلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ، وَالْآكَامِ، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ، فَانْجَابَتْ عَنْ الْمَدِينَةِ انْجِيَابَ الثَّوْبِ**»[(٥)].

٥٨٠-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَتِ السَّنَةُ بِأَنْ لاَ تُمْطَرُوا، وَلَكِنِ السَّنَةُ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا، وَلاَ تُنْبِتُ الأَرْضُ شَيْئًا**»[(٦)].

---

(١) ابن ماجه، برقم ١٢٦٩، وصححه الأرناؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه، ٢/ ٣٢٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٣) ابن ماجه، برقم ١٢٧٠، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٢/ ١٤٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٥) البخاري، كتاب الاستسقاء، باب الدعاء إذا انقطعت السبل من كثرة المطر، برقم ١٠١٧.

(٦) صحيح مسلم، كتاب وأشراط الساعة، باب في سكنى المدينة وعمارتها قبل الساعة، برقم ٢٩٠٤.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللهم اسقنا**»: «**اللَّهم**» بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»[١]، وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «اللهم اسقنا: بهمزة الوصل من سقى يسقي، وبهمزة القطع من أسقى يسقي، وكلاهما صحيح»[٢].

٢-قوله: «**غيثًا**»: المراد بذلك المطر، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «الغَيْث وَهُوَ الْمَطَرُ، يُقَالُ: غِيثَتِ الْأَرْضُ فَهِيَ مَغِيثَة، وغَاثَ الغَيْث الأرضَ إِذَا أَصابَهَا، وغَاثَ اللهُ البِلاد يَغِيثُها، والسُّؤالُ مِنْهُ: غِثْنَا، ومِن الإِغَاثَة بِمَعْنَى الْإِعَانَةِ: أَغِثْنَا»[٣].

٣-قوله: «**مغيثًا**»: أي: مزيلًا لما نحن فيه من شدة وبلاء، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «ومغيثاً: أي: مزيلاً للشدة؛ وذلك لأن المطر قد ينزل، ولا يزيل الشدة... وهذا يقع، فأحياناً تحصل أمطار كثيرة، ولا تنبت الأرض، وأحياناً تأتي أمطار خفيفة، ويكون الربيع كثيراً»[٤]، كما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: « **لَيسَتِ السَّنَةُ بِأَنْ لاَ تُمْطَرُوا...**» الحديث.

٤-قوله: «**هنيئاً**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «هَنأَنِي الطَّعامُ يَهْنُؤُنِي، ويَهْنِئُنِي، ويَهْنَأُنِي، وهَنَأْتُ الطَّعام: أَيْ تَهَنَّأْتُ بِهِ، وكُلُّ أمْرٍ يأتِيك مِنْ غير تَعَبٍ فَهُوَ هَنِيءٌ»[٥]، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «الهنيء: ما لا مشقة فيه، وما يفرح الناس به، ويستريحون له»[٦].

---

(١) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.
(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٥/ ٢١٩.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٠٠، مادة (غيث).
(٤) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٥/ ١٥٤.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٢٧٧، مادة (هنأ).
(٦) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٥/ ١٥٤.

٥-قوله: «مريئًا»: أي: محمود العاقبة لا غرق فيه ولا هدم، قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مريئا: المريء: الذي يمرئ، يقال: مرأني الطعام وأمرأني، قال الفراء: يقال: هنأني الطعام ومرأني، فإذا أتبعوها هنأني قالوا: مرأني بغير ألف، فإذا أفردوها قالوا: أمرأني»[١].

٦-قوله: «مريعًا»: منبتًا للزروع والثمار بفضلك، قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مريعا: قال الخطابي: يروى على وجهين، بالياء والباء، فمن رواه بالياء جعله من المراعة، وهي الخصب، يقال منه: مرع المكان: إذا أخصب، فهو مريع، بوزن: قتيل، ومن رواه بالباء، فمعناه: منبتاً للربيع، يقال: أربع الغيث يربع، فهو مربع، بوزن: مكرم»[٢].

٧-قوله: «نافعًا غير ضار» أي: يتحقق به المقصود ولا يترتب عليه مفسدة، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النَّافِعُ» هُوَ الَّذِي يُوَصِّلُ النَّفع إِلَى مَنْ يَشَاءُ مِن خَلْقِه حَيْثُ هُوَ خالِقُ النَّفْع والضَّر، والخَيْر والشَّر»[٣].

٨-قوله: «عاجلًا غير آجل» أي: في توّنا، فلا تحبسه عنا بذنوبنا، وبما فعل السفهاء منا، قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصلُ العَجَلَة: خَشَبة مُعْتَرِضَةٌ عَلَى الْبِئْرِ، والغَرْبُ مُعَلَّقٌ بها»[٤].

٩-قوله: «يواكي» بياء معجمة من تحت بنقطتين، قال: ومعناه: التحامل على يديه إذا رفعهما، ومدهما في الدعاء، ومنه التوكؤ على العصا، وهو التحامل عليها»[٥].

---

(١) جامع الأصول، ٦/ ٢١٠.

(٢) جامع الأصول، ٦/ ٢١٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٩٨، مادة (نفع).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ١٨٦، مادة (عجل).

(٥) جامع الأصول، ٦/ ٢١٠.

وقيل: «بواكي»: جمع باكية، أو نساء باكيات، لانقطاع المطر عنهم، وهذه الرواية المشهورة[١].

١٠-قوله: «**غير رائث**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «راث: علينا الأمر: إذا أبطأ فهو رائث»[٢]، وقال في موضع آخر: «أيْ غيرَ بَطيء مُتأخِّر، رَاثَ عَلَيْنَا خَبرُ فُلَانٍ يَرِيثُ إِذَا أَبْطأَ»[٣].

١١-قوله: «**فأطبقت عليهم السماء**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «أَيْ مالِئاً لِلْأَرْضِ مُغَطِّياً لَهَا، يُقَالُ غَيثٌ طَبَقٌ: أَيْ عامٌّ واسعٌ»[٤]، وقال الطيبي رحمه الله: «فأطبقت: أي ملأت، والغيث المطبق هو العام الواسع، أقول [القائل الطيبي]: عقب الغيث، وهو المطر الذي يغيث الخلق من القحط بالمغيث على الإسناد المجازي، والمغيث في الحقيقة هو الله تعالى»[٥]، وقال العيني رحمه الله: «فأطبقت عليهم السماء: أي: أطبقت عليهم المطر، من قولهم: أطبق عليه الحمى، وهي التي تدوم فلا تفارق ليلاً ولا نهاراً، ويحتمل أنه أراد: أصابتهم السماء بالمطر العام، والمستعمل في هذا الباب التطبيق، يقال: طَبَقَ الغيم تطبيقاً إذا أصاب ماؤه جميع الأرض، يقال: مطر طبْقٌ»[٦].

١٢-قوله: «**يخطر**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «أَيْ مَا يُحَرِّكُ ذَنَبهُ هُزالاً لِشِدّة القَحْطِ والجَدْبِ، يُقَالُ: خَطَرَ البَعير بذَنَبه، يَخْطِرُ، إِذَا رَفَعه وحَطَّه، وَإِنَّمَا يَفعل ذَلِكَ عِنْدَ الشِّبَع والسِّمَن»[٧].

---

(١) انظر: عون المعبود، ٢/ ٣٣٤، وانظر: ترجيح ابن القيم في الفائدة رقم ١١ من فوائد هذا الحديث الآتية بعد.

(٢) جامع الأصول، ٦/ ٢١٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٢٨٧، مادة (ريث).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ١١٣، طبق.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٢٣.

(٦) شرح أبي داود للعيني، ٥/ ١٦.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٦، مادة (خطر).

١٣-قوله: «غدقاً»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الغَدَق - بِفَتْحِ الدَّالِ -: المطَر الكِبار القَطْر، والمُغْدِق: مُفْعِل مِنْهُ، أكَّده بِهِ، يُقَال: أَغْدَقَ المَطرُ يُغْدِقُ إغْدَاقاً فَهُوَ مُغْدِق»[(١)].

١٤-قوله: «وَالْآكَامَ» قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَهِيَ: الْكُدَى وَالْجِبَالُ مِنَ التُّرَابِ، وَهِيَ جَمْعُ أَكْمَةٍ مِثْلَ رَقَبَةٍ وَرِقَابٍ وَعَتَبَةٍ وَعِتَابٍ، وَقَدْ تُجْمَعُ عَلَى آكَامٍ مِثْلَ آجَامٍ»[(٢)].

١٥-قوله: «وَمَنَابِتُ الشَّجَرِ»: قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَوَاضِعُ الْمَرْعَى حَيْثُ تَرْعَى الْبَهَائِمُ»[(٣)].

١٦-قوله: «انْجِيَابُ الثَّوْبِ»: قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «انْجِيَابُ الثَّوْبِ: انْقِطَاعُ الثَّوْبِ يَعْنِي الْخَلِقَ، يَقُولُ: صَارَتِ السَّحَابَةُ قِطَعًا وَانْكَشَفَتْ عَنِ الْمَدِينَةِ كَمَا يَنْكَشِفُ الثَّوْبُ عَنِ الشَّيْءِ يَكُونُ عَلَيْهِ»[(٤)].

ثانياً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية صلاة الاستسقاء، ومعنى الاستسقاء لغة: طلب سقي الماء من الغير للنفس أو الغير، وشرعًا طلب السقيا من الله، وتُصلى إذا أجدبت الأرض، وقحط المطر، وقد ورد ذلك عن النبي ﷺ على أوجه متعددة[(٥)].

٢-الأفضل أن تُصلى جماعة، وصفتها في موضعها، أي: في الصحراء، وأحكامها كصلاة العيد من حيث عدد التكبيرات، والقراءة فيها؛ لكنها تخالف العيد في أنها سنة، والعيد فرض كفاية[(٦)]، والصواب أن صلاة العيد فرض عين.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٣٤٥، مادة (خطر).

(٢) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٧/ ١٤٩.

(٣) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٧/ ١٥٠.

(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٧/ ١٥٠.

(٥) انظر الشرح الممتع لابن عثيمين ٥/ ٢٠١.

(٦) المصدر السابق.

٣-إذا أراد الإمام الخروج لها وعظ الناس وأمرهم بالتوبة من المعاصي والخروج من المظالم وترك التشاحن والصدقة المستحبة لأن منع الصدقة الواجبة وهي: الزكاة سبب لمنع القطر من السماء لقول النبي ﷺ: «... **وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ**»[١].

٤-كان خروج النبي ﷺ إلى هذه الصلاة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما متذللًا متواضعًا متخشعًا متضرعًا[٢]، أما التذلل فهو أشد من التواضع؛ لأن الإنسان يرى نفسه أنه ذليل أمام الله والتواضع يكون بالقول والهيئة والقلب، والخشوع هو سكون الأطراف وأن يكون على وقار وهيبة والتضرع هو شدة الإنابة[٣].

٥-ثبت أن النبي ﷺ خرج إلى المصلى فاستسقى فاستقبل القبلة وقلب رداءه وصلى ركعتين[٤] وجاءت كيفية القلب من حديث عباد بن تميم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ استسقى وعليه خميصة سوداء فأراد أن يأخذ بأسفلها فيجعله أعلاها فثقلت عليه فقلبها عليه الأيمن على الأيسر والأيسر على الأيمن[٥].

٦-أما الحكمة من التحويل فهو للتفاؤل بتحويل الحال عما هي عليه من القحط إلى نزول الغيث ويكون التحويل عند بداية الدعاء.

٧-ويسن للإمام أن يبالغ في رفع يديه حال الدعاء لقول أنس رضي الله عنه: «لم يكن النبي ﷺ يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء حتى يرى بياض إبطيه»[٦]، والمراد أنه حال الخطبة لا يرفع يديه إلا إذا دعا للاستسقاء

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات، برقم ٤٠١٩، وحسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٠٦.
(٢) صحيح ابن خزيمة، ١/ ٦٨٦، برقم ١٤٠٥، وحسنه الألباني في تعليقه على ابن خزمة، وصحيح سنن ابن ماجه، برقم ١٠٤٦.
(٣) الشرح الممتع، ٥/ ٢١١.
(٤) البخاري، كتاب الاستسقاء، باب تحويل الرداء في الاستسقاء، برقم ١٠١٢.
(٥) مسند أحمد، ٢٦/ ٣٩٤، برقم ١٦٤٧٣، وحسنه محققو المسند، وصححه الألباني في الإرواء، ٣/ ١٤١، برقم ٦٧٦.
(٦) البخاري، كتاب الاستسقاء، باب رفع الإمام يده في الاستسقاء، برقم ١٠٣١.

وكذلك المستمعون يرفعون لقول أنس ﷺ: «لما رفع يديه حين استسقى في خطبة الجمعة رفع الناس أيديهم»[١].

٨-قال الطيبي رحمه الله: «وأكد النافع بـ«غير ضار». وكذا «عاجلاً» بـ«غير آجل» اعتناء بشأن الخلق، واعتمادًا على سعة رحمة الله تعالى عليهم، فكما دعا رسول الله ﷺ هذا الدعاء، كانت الإجابة طبقًا له، حيث أطبقت عليهم السماء، فإن في إسناد الإطباق إلى السماء والسحاب - هو المطبق أيضًا - مبالغة، وعرفها، لينتفي أن ينزل المطر من سماء، أي: من أفق واحد من بين سائر الآفاق، لأن كل أفق من آفاقها سماء، والمعنى أنه غمام مطبق أخذ بآفاق السماء إجابة لدعوة نبيه ﷺ»[٢].

٩-قال ابن عبد البر رحمه الله: «فِي الْحَدِيثِ أَيْضًا مَا يَدُلُّ عَلَى الدُّعَاءِ فِي الِاسْتِصْحَاءِ عِنْدَ نَوَالِ الْغَيْثِ، كَمَا يُسْتَسْقَى عِنْدَ احْتِبَاسِهِ»[٣].

١٠-قال ابن عبد البر رحمه الله: «وَيَنْبَغِي لِمَنِ اسْتَصْحَا أَنْ لَا يَدْعُوَ فِي رَفْعِ الْغَيْثِ جُمْلَةً، وَلَكِنِ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ عليه السلام وَمَا أَدَّبَ بِهِ أُمَّتَهُ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: مَنَابِتَ الشَّجَرِ وَبُطُونَ الْأَوْدِيَةِ. يَعْنِي حَيْثُ لَا يَخْشَى هَدْمُ بَيْتٍ وَلَا هَلَاكُ حَيَوَانٍ وَلَا نَبَاتٍ»[٤].

١١-جاء في بداية هذا الحديث أن جابراً ﷺ قال: أتت النبي ﷺ بواكي، وهي جمع باكية أي: نفوس باكية أو نساء باكيات لانقطاع المطر عنهم وهذه هي الرواية المشهورة.

---

(١) مسلم، برقم ٢٠٧٢.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٢٣.
(٣) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٧/ ١٥٠.
(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٧/ ١٥٠.

قال الخطابي رحمه الله: وهناك رواية «يُواكي» أي: أن النبي ﷺ كان يتحامل على يديه أي: يرفعهما في الدعاء ومنه التوكؤ على العصا، قال النووي رحمه الله: وهذا الذي ادعاه الخطابي ليس بصواب[1].

١٢-قال النووي: الاستسقاء ثلاثة أنواع:

أحدها: الاستسقاء بالدعاء من غير صلاة. ا

الثاني: الاستسقاء في خطبة الجمعة أو في أثر صلاة مفروضة.

الثالث: وهو أكملها أن يكون بصلاة ركعتين وخطبتين ويتأهب قبله بالطاعات[2].

١٣-ثبت عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عندما سئل عَنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الِاسْتِسْقَاءِ، فَقَالَ: «**خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَبَذِّلًا مُتَوَاضِعًا، مُتَضَرِّعًا، حَتَّى أَتَى الْمُصَلَّى، وَلَمْ يَخْطُبْ خُطَبَكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ فِي الدُّعَاءِ، وَالتَّضَرُّعِ، وَالتَّكْبِيرِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَمَا يُصَلِّي فِي الْعِيدِ**»[3].

***

١٧٠-(٢)«اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا»[4].

---

(١)انظر: عون المعبود، ٢/ ٣٣٤.

(٢)انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ، ٦/ ٤٢٨.

(٣) رواه أبو داود، برقم ١١٦٥، والترمذي، برقم ٥٥٨، والنسائي، برقم ١٥٠٥، و١٥٠٧، وابن ماجه، برقم ١٢٨١، وغيرهم، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان، ٤/ ٤٢٥، برقم ٢٨٥١، وفي صحيح سنن أبي داود، برقم ١٠٥٧.

(٤) البخاري، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة، برقم ١٠١٤، وكتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة، برقم ٩٣٣، ومسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، برقم ٨- (٨٩٧، و٩-(٨٩٧)، و١٠- (٨٩٧).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٨١-لفظ البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه[1] أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكَتْ الْأَمْوَالُ، وَانْقَطَعْتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**» قَالَ أَنَسٌ: وَلَا وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلَا قَزَعَةً، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتْ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَلَا وَاللهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ المقبلة، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلَكَتْ الْأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتْ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ، وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**» قَالَ: فَأَقْلَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ، قَالَ شَرِيكٌ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ: أَهُوَ الرَّجُلُ الْأَوَّلُ؟ فَقَالَ: مَا أَدْرِي»[2].

٥٨٢-وفي رواية للبخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ أَصَابَتْ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلَكَ الْمَالُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ ﷺ، فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ، وَمِنَ الْغَدِ، وَبَعْدَ الْغَدِ، وَالَّذِي

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٢) البخاري، برقم ١٠١٤، ومسلم، برقم ٨- (٨٩٧)، وتقدم تريجه في تخريج حديث المتن.

يَلِيهِ حَتَّى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى، وَقَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ، أَوْ قَالَ غَيْرُهُ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَهَدَّمَ الْبِنَاءُ، وَغَرِقَ الْمَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلَا عَلَيْنَا**» فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِن السَّحَابِ إِلَّا انْفَرَجَتْ، وَصَارَتْ الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجَوْبَةِ، وَسَالَ الْوَادِي قَنَاة شَهْرًا، وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجَوْدِ»[(١)].

٥٨٣-وفي رواية لمسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِذْ قَامَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَ الْمَالُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَاهُ، وَفِيهِ: قَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلاَ عَلَيْنَا**» قَالَ: فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ إِلاَّ تَفَرَّجَتْ، حَتَّى رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ فِي مِثْلِ الْجَوْبَةِ، وَسَالَ وَادِي قَنَاةَ شَهْرًا، وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلاَّ أَخْبَرَ بِجَوْدٍ»[(٢)].

٥٨٤-وفي رواية لمسلم أيضاً: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَامَ إِلَيْهِ النَّاسُ فَصَاحُوا، وَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَحَطَ الْمَطَرُ، وَاحْمَرَّ الشَّجَرُ، وَهَلَكَتِ الْبَهَائِمُ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الأَعْلَى: فَتَقَشَّعَتْ عَنِ الْمَدِينَةِ، فَجَعَلَتْ تُمْطِرُ حَوَالَيْهَا، وَمَا تُمْطِرُ بِالْمَدِينَةِ قَطْرَةً، فَنَظَرْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَإِنَّهَا لَفِي مِثْلِ الإِكْلِيلِ[(٣)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**هلكت الأموال**»: المراد بالأموال الماشية والمراد بهلاكهم عدم ما يعيشون عليه من الأقوات المفقودة بحبس المطر، ويدخل في ذلك الناس كما جاءت في روايات أخرى، وقال القرطبي: «قوله: «هلكت الأموال»؛ أي: المواشي،

(١) البخاري، برقم ٩٣٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) مسلم، ٩-(٨٩٧) ، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) مسلم، برقم ١٠- (٨٩٧)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وأصل المال: كل ما يُتَموَّل، وعُرْفُه عند العرب: الإبل؛ لأنها معظم أموالهم»[١].

٢-قوله: «**وانقطعت السبل**»: والمراد بذلك أن الإبل ضعفت لقلة القوت، وقيل: نفاد ما عندهم من الطعام أو قلته، وقال القرطبي: «وقوله: و«**انقطعت السبل**»؛ أي : الطرق ؛ لهلاك الإبل ، ولعدم ما يؤكل في الطرق»[٢].

٣-قوله: «**اللهم أغثنا**» - بالهمزة رباعيًا، هكذا رويناه- ومعناه: هب لنا غيثًا ، والهمزة فيه للتعدية ، وقال بعضهم : صوابه : غِثْنا ؛ لأنه من غاث. قال: وأما أغثنا: فإنه من الإغاثة، وليس من طلب الغيث، والأول الصواب، والله أعلم»[٣].

٤-قوله: «**أن يغيثنا**»: غاث الله عباده غيثًا، وغياثًا أي: سقاهم المطر وأغاثهم أي: أجاب دعاءهم. قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُقَالُ: غِيثَتِ الْأَرْضُ، فَهِيَ مَغِيثَة، وغَاثَ الغَيْثُ الأرضَ إِذَا أَصَابَهَا، وغَاثَ اللَّهُ البِلاد يَغِيثُها، والسُّؤالُ مِنْهُ: غِثْنَا، ومِن الإِغَاثَة بِمَعْنَى الْإِعَانَةِ: أَغِثْنَا»[٤].

٥-قوله: «**فرفع رسول الله ﷺ يديه**» أي: للدعاء ورفع الناس أيديهم ونظروا إلى السماء. قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَوله: «فَرَفَعَ يَدَيهِ»؛ زادَ النَّسائِيُّ فِي رِوايَة سَعِيد، عَن يَحيَى بن سَعِيد: «ورَفَعَ النّاس أَيدِيهم مَعَ رَسُول الله ﷺ يَدعُونَ»، وزادَ فِي رِوايَة شَرِيك: «حِذاء وجهه»، ولابنِ خُزَيمَةَ مِن رِوايَة حُمَيدٍ عَن أَنَس: «حَتَّى رَأَيت بَياض إِبطَيهِ»، وتَقَدَّمَ فِي الجُمُعَة بِلَفظِ: «فَمَدَّ يَدَيهِ ودَعا»، زادَ فِي رِوايَة قَتادَة فِي الأَدَب: «فَنَظَرَ إِلَى السَّماء»[٥].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ٢٠.
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ٢٠.
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ٢٢.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٠٠، مادة (غيث).
(٥) فتح الباري، ٢/ ٥٠٣.

٦-قوله: «قحط المطر»؛ قال القرطبي رحمه الله: «أي: امتنع وانقطع، وفي البارع[1]: قَحَطَ المطر: بفتح القاف والحاء، وقحط الناسُ: بفتح الحاء وكسرها، وفي الأفعال بالوجهين في المطر، وحُكي: قُحِط الناسِ - بضم القاف وكسر الحاء -، يُقحطون، قحطًا وقحوطًا»[2].

٧-قوله: «**لا والله!**»: هذا قسم مثل وايم الله، قال القسطلاني رحمه الله: «فلا والله، أي: فلا نرى والله»[3]، وقال السيوطي رحمه الله: «وكقوله: «إي والله»، و«إنِّي والله، إنَّ شَاءَ اللَّه»، وأمّا تأكيد اليمين في يمينه في موضع، وقوله في آخَر: «وَالَّذي نَفسِي بِيَدِهِ» فإنّما هو ليتعلّم الخَلق التَّصرُّف في ذلك بذكر الله بجميع صفاته العُلَا، وأسمائه الحُسْنَى»[4].

٨-قوله: «**من سحاب ولا قزعة**»: السحاب أي: المجتمع والقزعة، أي: المتفرق، قال القاضي عياض رحمه الله: «ما في السماء من سحابة، ولا قَزَعَة»، قال الإمام: معناه: قطعة سحاب، وجمعه قَزعٌ، قال أبو عبيد: وأكثر ما يكون في الخريف»[5].

٩-قوله: «**سلع**»: جبل معروف بالمدينة.

١٠-قوله: «**من بيت ولا دار**» أي: يحجبنا عن رؤية السحاب. قال القاضي عياض رحمه الله: «ما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار»: ويحتمل - والله أعلم - لتحمل الناس عن تلك الجهة، لشدة الجدب، وحزونة الموضع،

---

(١) كتاب مشهور عند أهل اللغة، وقد ذكره صاحب معجم المصباح المنير، ٢/ ٧١٢ أثناء ذكره للكتب التي رجع إليها في تأليفه، فقال: «كتاب البارع لأبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي المعروف بالقالي» وقال الزبيدي في تاج العروس، ١/ ٣٦: «أصح ما أُلف في اللغة على حروف المعجم: كتاب البارع لأبي علي البغدادي».

(٢) المفهم، ٢/ ١٦٢.

(٣) شرح القسطلاني (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري)، ٢/ ٢٤١.

(٤) المسالك في شرح موطأ مالك، للسيوطي، ٦/ ٣٠٨.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض، ٣/ ٣٢٠.

وطلب الكلأ، والخصب، وسلْع: جبل مشهور بقرب المدينة، بفتح السين وسكون اللام قال في البخارى: هو الجبل الذى بالسوق»[(١)].

١١-قوله: «**رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لحيَتِه**» أَيْ: ينزِل ويَقْطُر، وَهُوَ يَتَفَاعَل، من الحُدُور»[(٢)]. وقال القسطلاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأليق به هنا أن يكون بمعنى مواصلة العمل في مهلة، نحو: تفكّر، وكأن المؤلّف أراد أن يبين أن تحادر المطر على لحيته عليه الصلاة والسلام، لم يكن اتفاقًا إذ كان يمكنه التوقي منه بثوب ونحوه، كما قاله في المصابيح، أو بنزوله عن المنبر أول ما وكف السقف، لكنه تمادى في خطبته حتى كثر نزوله بحيث تحادر على لحيته، كما قاله في الفتح، فترك فعل ذلك قصدًا للتمطر، وتعقبه العيني: بأن، يأتي لمعان: للتكلف، كتشجع لأن معناه كلف نفسه الشجاعة، وللاتخاذ: نحو: توسدت التراب، أي: اتخذته وسادة. وللتجنب: نحو، تأثم، أي: جانب الإثم، وللعمل: يعني: فيدل على أن أصل الفعل حصل مرة بعد مرة نحو: تجرعته، أي: شربته جرعة بعد جرعة، قال ولا دليل في قوله: حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته، على التمطر الذي هو من التفعل الدال على التكلف، ودعوى أنه قصد التمطر لا برهان عليها، وليس في الحديث ما يدل لها»[(٣)].

١٢-قوله: «**مثل الترس**» أي: سحابة مستديرة، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «فطلعت سحابة مثل الترس: قال ثابت: لم يرد - والله أعلم - في قدره، لكن في مرحاها واستدارتها، وهو أحمد السحاب عند العرب»[(٤)].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٣٢٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣٥٣، مادة (حدر).

(٣) شرح القسطلاني (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري)، ٢/ ٢٥٣.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٣٢٠.

١٣-قوله: «**فما جعل يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا تفرجت**» قال الإمام النحوي ابن مالك رحمه الله في تعليقه على شواهد الصحيح: «تضمن هذا الكلام وقوع خبر «جعل» الإنشائيةِ جملة فعليه مصدرة بـ(كلما)، وحقه أن يكون فعلاً مضارعًا كغيرها من أفعال باب المقاربة، فيقال: جعلت أفعل كذ، ولا يقال: جعلت كلما شئت فعلت، ولا نحو ذلك»[١].

١٤-قوله: «**فلما توسطت السماء**»: لكي تمطر وتعم الأرض كلها.

١٥-وقوله: «**ثم أمطرت**»: من فرق بين مطرت في الرحمة، وأمطرت في العذاب، ومن سوَّى في ذلك، وهو المعروف في كلام العرب، وقد قال الله تعالى: ﴿**هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا**﴾[٢]، وإنما زعموا مطر الرحمة»[٣].

١٦-قوله: «سبتًا» أي: أسبوعًا[٤]، قال القاضي عياض رحمه الله: «السبت: القطعة من الدهر، قال ثابت: والثاني يحملونه على أنه أراد من سبت إلى سبت، وإنما هو القطعة من الزمان، يقال: سَبت من الدهر، وسَبْتَةٌ وَسَنْبَتَة، وقد رواه الداودي: «ستاً»، وفسره: أي ستة أيام من الدهر، أي من الجمعة إلى الجمعة، وهو تصحيف»[٥]، وقال أيضاً: «وأصل السبت القطع، ومنه سُمِّي يوم السبت، قالوا: لأن الله تعالى أمر فيه بني إسرائيل بقطع الأعمال، وقيل: لأن فيه قطع الله بعض خلف الأرض»[٦].

١٧-قوله: «**فما أشار بيده إلى ناحية إلا انفرجت**»: أي: انقطعت

---

(١) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، للإمام ابن مالك النحوي، ص ١٣٥.
(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٢٤.
(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٣٢٠.
(٤)انظر: فتح الباري، ٢/ ٦٢٠ – ٦٢٤.
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٣٢٠.
(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٣٢٠.

السحاب، وبان بعضها من بعض، والفرجة - بالضمِّ - الخلل بين الشيئين، وهو معنى قوله في الحديث الآخر: «فانقلعت وخرجنا نمشي في الشمس»: وفيه وشبهه من الأحاديث جواز الاستصحاء إذا احتيج إليه، وأضرَّ المطر بالناس، ولكن ليس فيه بروز ولا صلاة، وفيه إجابة دعوة النبي ﷺ في الموطنين، وكرامته على ربّه»[١].

١٨-قوله: «**الآكام**»: قال الإمام النووي رحمه الله: «قَالَ أَهْل اللُّغَة: (الْإِكَام) بِكَسْرِ الْهَمْزَة جَمْع أَكَمَة، وَيُقَال فِي جَمْعهَا: آكَام بِالْفَتْحِ وَالْمَدّ، وَيُقَال: أَكَم بِفَتْحِ الْهَمْزَة وَالْكَاف، وَأُكُم بِضَمِّهِمَا، وَهِيَ دُون الْجَبَل وَأَعْلَى مِنَ الرَّابِيَة، وَقِيلَ : دُون الرَّابِيَة»[٢].

١٩-قوله: «**والظِّرابُ**»: «الروابي الصغار، واحدها ظَرِبٌ، ومنه الحديث: «فإذا حوت مثل الظَّرِبُ»[٣]، وقال الإمام النووي رحمه الله: «وَأَمَّا الظِّرَاب فَبِكَسْرِ الظَّاء الْمُعْجَمَة وَاحِدهَا ظَرِب بِفَتْحِ الظَّاء وَكَسْر الرَّاء، وَهِيَ الرَّوَابِي الصِّغَار»[٤].

٢٠-وقوله: «**الإكليل**»: «قال أبو عبيد: هو ما أحاط بالظفر من اللحم، والإكليل أيضًا: العصابة»[٥].

٢١-و قوله: «**الجوبة**»: «هي الفجوة بين البيوت، والفجوة أيضاً: المكان المتسع من الأرض، والمعنى: أن السحاب تقطّع حول المدينة مستديرًا، وانكشف عنها حتى باينت ما جاورها مباينة الجوبة لما حولها، وقال

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٣٢١.
(٢) شرح النووي على مسلم، ٦/ ١٩٢.
(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٣٢١.
(٤) شرح النووي على مسلم، ٦/ ١٩٢.
(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ٢٢.

الداودي : هي كالحوض المستدير، ومنه قوله: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾[١]، وواحدة الجوابي: جابية»[٢].

٢٢-وقوله: «**قناة**»: اسم وادٍ من أودية المدينة، وكأنه سمّي مكانه قناة، وقد جاء في غير الكتاب: وسال الوادي قناة شهرًا على البدل»[٣].

٢٣-قوله: «**الجَوْد**»: «الْمَطَرُ الواسِع الغَزِير، جَادَهُمُ الْمَطَرُ يَجُودُهم جَوْداً، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «تركْتُ أهلَ مَكَّةَ وَقَدْ جِيدُوا»، أَيْ: مُطِرُوا مَطَراً جَوْدًا»[٤].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-«قال المهلب: رفع اليدين في الاستسقاء وغيره مستحب؛ لأنه خضوع وتذلل، وتضرع إلى الله تعالى، وروي عن النبي ﷺ، أنه قال: «**إن الله حيي، يستحيي إذا رفع العبد إليه يديه أن يردهما صفرًا**»[٥]، وذكر ابن حبيب قال: كان مالك يرى رفع اليدين في الاستسقاء للناس والإمام، وبطونهما إلى الأرض، وذلك العمل عند الاستكانة والخوف والتضرع، وهو الرَّهَبُ، وأما الرغبة والمسألة فتبسط الأيدي ، وهو الرَّغَبُ، وهو معنى قول الله ، تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[٦]، خوفًا وطمعًا، وروي عن مالك في المجموعة أنه استحسن رفع الأيدي في الاستسقاء، والحجة له قول أنس : أن النبي ﷺ

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٣.
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ٢٢.
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ٢٢.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣١٢، مادة (جيد).
(٥) أخرجه أبو داود، كتاب الوتر، باب الدعاء، برقم ١٤٩٠، وعبد الرزاق، ٢/٢٥١، برقم ٣٢٥٠، واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٣٢٠.
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

لم يكن يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء»[١].

٢-قوْله ﷺ: «**اللَّهُـمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُـمَّ أغِثْنَا، اللَّهُـمَّ أَغِثْنَا**» هَكَذَا هُوَ مُكَرَّر ثَلَاثًا فَفِيهِ اِسْتِحْبَاب تَكَرُّر الدُّعَاء ثَلَاثًا»[٢]..

٣-فِي هَذَا الْفَصْل فَوَائِد مِنْهَا الْمُعْجِزَة الظَّاهِرَة لِرَسُولِ اللَّه ﷺ فِي إِجَابَة دُعَائِهِ مُتَّصِلًا بِهِ حَتَّى خَرَجُوا فِي الشَّمْس، وَفِيهِ أَدَبه ﷺ فِي الدُّعَاء، فَإِنَّهُ لَمْ يَسْأَل رَفْع الْمَطَر مِنْ أَصْله، بَلْ سَأَلَ رَفْع ضَرَره، وَكَشْفه عَن الْبُيُوت وَالْمَرَافِق، وَالطُّرُق بِحَيْثُ لَا يَتَضَرَّر بِهِ سَاكِن، وَلَا ابْن سَبِيل، وَسَأَلَ بَقَاءَهُ فِي مَوَاضِع الْحَاجَة بِحَيْثُ يَبْقَى نَفْعه، وَخِصْبه، وَهِيَ بُطُون الْأَوْدِيَة، وَغَيْرهَا مِنْ الْمَذْكُور ... وَفِي هَذَا الْحَدِيث اِسْتِحْبَاب طَلَب اِنْقِطَاع الْمَطَر عَلَى الْمَنَازِل وَالْمَرَافِق إِذَا كَثُرَ وَتَضَرَّرُوا بِهِ ، وَلَكِنْ لَا تُشْرَع لَهُ صَلَاة وَلَا اِجْتِمَاع فِي الصَّحْرَاء»[٣].

٤-قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وفِيهِ الأَدَب فِي الدُّعاء، حَيثُ لَم يَدعُ بِرَفعِ المَطَر مُطلَقًا لاحتِمالِ الاحتِياج إِلَى استِمراره، فاحتَرَزَ فِيهِ بِما يَقتَضِي رَفع الضَّرَر، وبَقاء النَّفع، ويُستَنبَط مِنهُ أَنَّ مَن أَنعَمَ الله عَلَيهِ بِنِعمَةٍ لا يَنبَغِي لَهُ أَن يَتَسَخَّطها لِعارِضٍ يَعرِض فِيها، بَل يَسأَل الله رَفع ذَلِكَ العارِض وإِبقاء النِّعمَة»[٤].

٥-وقال أيضاً: «وفِيهِ أَنَّ الدُّعاء بِرَفعِ الضَّرَر لا يُنافِي التَّوكُّل، وإِن كانَ مَقام الأَفضَل التَّفوِيض؛ لأَنَّهُ ﷺ كانَ عالِمًا بِما وقَعَ لَهُم مِنَ الجَدب، وأَخَّرَ السُّؤال فِي ذَلِكَ تَفوِيضًا لِرَبِّهِ، ثُمَّ أَجابَهُم إِلَى الدُّعاء لَمّا سَأَلُوهُ فِي ذَلِكَ بَيانًا لِلجَوازِ، وتَقرِير السُّنَّة فِي هَذِهِ العِبادَة الخاصَّة، أَشارَ إِلَى ذَلِكَ ابن أَبِي جَمرَة نَفَعَ الله بِهِ»[٥].

---

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٣/ ٢١.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ١٩٢.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ١٩٢.
(٤) فتح الباري، ٢/ ٥٠٧.
(٥) فتح الباري، ٢/ ٥٠٧.

٦-جواز سؤال الإمام في الخطبة للحاجة، وأنها لا تنقطع بالكلام.

٧-مشروعية تكرار الدعاء ثلاثًا.

٨-إدخال دعاء الاستسقاء في خطبة الجمعة والدعاء به على المنبر ولا تحويل فيه ولا استقبال.

٩-الاجتزاء بصلاة الجمعة عن صلاة الاستسقاء.

١٠-علم من أعلام النبوة في إجابة دعائه عقبه أو معه.

١١-الدعاء برفع الضرر لا ينافي التوكل على الله ﷻ.

١٢-جواز رفع الصوت في المسجد بسبب الحاجة المقتضية لذلك.

١٣-جواز اليمين لتأكيد الكلام، ويحتمل أن يكون ذلك جرى على لسان أنس ﷺ بغير قصد اليمين.

١٤-جواز الشكوى من غير تسخط، ولا تبرم على القدر، وإنما يكون القصد هو إظهار الحال، ولذلك لم ينكر النبي ﷺ على هذا الرجل قوله.

١٥-الأسباب لا تعمل إلا بأمر الله، وكذلك المسببات؛ لأن المطر ما حُبس إلا بأمره، وما نزل إلا بفضله(١).

١٦-قال القاضي عياض رحمه الله: «وفي إجابة النبي ﷺ لهذا السائل، ودعائه له، جواز الاستسقاء في خطبة الجمعة، والدعاء بذلك، وعلى غير سنة الاستسقاء، وليس في هذا تحويل عن القبلة، ولا تحويل رداء، وإنما هو دعاء مجرد بالسقي، كسائر الأدعية للمسلمين في الخطبة، كما جاء في هذه الأحاديث الأخر المختصة بالسائل يوم الجمعة، وإنما تختص تلك الهيئات والسنن لمن برز لها، وبهذا اعتبر الحنفي في أنه لا صلاة للاستسقاء، وفاته معرفة تلك

---

(١) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٥٠٠.

السنن المتقدمة والثابتة، وفيه جواز الاقتصار على الاستسقاء يوم الجمعة بالدعاء المجرد في خطبتها دون البروز، وهو معنى قول الشافعي: ومن أجازه بغير صلاة ممن عرف مذهبه أنه لا يبرز لها إلا بصلاة، وبه أيضاً احتج بعض السلف أن الخروج إليها عند الزوال، إذ كان دعاء النبي ﷺ في هذا الخبر يوم الجمعة، والناس كلهم على خلافه أنها بكرة كصلاة العيدين»[١].

١٧-قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْغِيَاثُ هُوَ الْمُغِيثُ، وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ: غِيَاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ، وَمَعْنَاهُ الْمُدْرِكُ عِبَادَهُ فِي الشَّدَائِدِ إِذَا دَعَوْهُ، وَمُجِيبُهُمْ، وَمُخَلِّصُهُمْ، وَفِي خَبَرِ الِاسْتِسْقَاءِ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**» يُقَالُ: أَغَاثَهُ إِغَاثَةً وَغِيَاثًا وَغَوْثًا، وَهَذَا الِاسْمُ فِي مَعْنَى الْمُجِيبِ وَالْمُسْتَجِيبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ**﴾[٢]. إِلَّا أَنَّ الْإِغَاثَةَ أَحَقُّ بِالْأَفْعَالِ وَالِاسْتِجَابَةَ أَحَقُّ بِالْأَقْوَالِ وَقَدْ يَقَعُ كُلٌّ مِنْهُمَا مَوْقِعَ الْآخَرِ، قَالُوا الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُسْتَغِيثِ وَالدَّاعِي أَنَّ الْمُسْتَغِيثَ يُنَادِي بِالْغَوْثِ، وَالدَّاعِي يُنَادِي بِالْمَدْعُوِّ وَالْمُغِيثِ، وَهَذَا فِيهِ نَظَرٌ فَإِنَّ مِنْ صِيغَةِ الِاسْتِغَاثَةِ يَا لَلَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِي أَنَّهُ كَانَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ وَا غَوْثَاهُ وَيَقُولَ إِنِّي سَمِعْت اللَّهَ يَقُولُ: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ**﴾[٣]، وَفِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بِرَحْمَتِك أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِك**»[٤]، وَالِاسْتِغَاثَةُ بِرَحْمَتِهِ اسْتِغَاثَةٌ بِهِ فِي الْحَقِيقَةِ، كَمَا أَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ بِصِفَاتِهِ اسْتِعَاذَةٌ بِهِ فِي الْحَقِيقَةِ، وَكَمَا أَنَّ الْقَسَمَ

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٣١٩.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٩.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٩.

(٤) أخرجه الحاكم وصححه، ١/٥٤٥، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/٢٧٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث ٨٨ من أحاديث المتن.

بصِفَاتِهِ قَسَمٌ بِهِ فِي الْحَقِيقَةِ، فَفِي الْحَدِيثِ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**»، وَفِيهِ: «**أَعُوذُ بِرِضَاك مِنْ سَخَطِك، وَبِمُعَافَاتِك مِنْ عُقُوبَتِك، وَبِك مِنْك لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْك، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْت عَلَى نَفْسِك**»[1]»[2].

١٨-دعا النبي ﷺ بقوله: «**اللَّهم أغثنا**»، ولم يقل: اللَّهم أمطرنا؛ لأن المطر ما جاء ذكره في القرآن إلا عذابًا[3]، لقوله تعالى:

أ- ﴿**وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[4]، قيل: إن قائل هذا هو أبو جهل، أو النضر بن الحارث، وقيل: إنهم كفار مكة ومشركوها.

ب- وقوله تعالى: ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ**﴾[5]، والمراد بذلك الحجارة التي أنزلها الله على قوم لوط.

جـ- وقوله: ﴿**وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ**﴾[6].

أما الغيث فهو الذي يأتي بالخير لقول الله ﷻ:

أ - ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[7].

ب - ﴿**كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ**﴾[8]، ومعنى الكفار أي: الزُّرَّاع.

***

---

(١) مسلم، برقم ٤٨٦، ومسند أحمد، برقم ٢٤٣١٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٤٧.
(٢) مجموع الفتاوى، ١/ ١١١.
(٣) وقد أشار إلى هذا المعنى ابن عيينة رحمه الله وانظر ما علقه البخاري قبل الحديث (٤٦٤٨) «صحيح البخاري».
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٢.
(٥) سورة الشعراء، الآية: ١٧٣.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٠٢.
(٧) سورة الشورى، الآية: ٢٨.
(٨) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

١٧١-(٣) «اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ، وَبَهَائِمَكَ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ، وَأَحْيِي بَلَدَكَ الْمَيِّتَ»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٨٥-لفظ أبي داود: عَنْ عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العَاصِ رضي الله عنهما(٢) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَسْقَى قَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ، وَبَهَائِمَكَ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ، وَأَحْيِي بَلَدَكَ الْمَيِّتَ»(٣).

٥٨٦- ولفظ مالك عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَسْقَى قَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ وَبَهِيمَتَكَ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ، وَأَحْيِ بَلَدَكَ الْمَيِّتَ»(٤).

٥٨٧-ولفظ عبد الرزاق: عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهُ ﷺ كَانَ يَسْتَسْقِي يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ، وَبَهَائِمَكَ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ، وَأَحْيِي بَلَدَكَ الْمَيِّتَ» قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه إِذَا اشْتَدَّ الْمَطَرُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ جَنِّبْهَا

---

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء، برقم ١١٧٨، والبيهقي في السنن الكبرى، ٣/ ٣٥٦، وفي الدعوات الكبير، ٢/ ٢٦٦، وموطأ مالك، ١/ ١٩٠، برقم ٤٤٩ مرسلاً، ومصنف عبد الرزاق الصنعاني، ٣/ ٩٢، برقم ٤٩١٢، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ١/ ٢١٨. وقال ابن عبد البر رحمه الله في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢٣/ ٤٣٢: «هكذا رواه مالك عن يحيى عن عمرو بن شعيب مرسلاً، وتابعه جماعة على إرساله، منهم: المعتمر بن سليمان، وعبد العزيز بن مسلم القسملي، فرووه عن يحيى بن سعيد، عن عمرو بن شعيب مرسلاً، ورواه جماعة عن يحيى بن سعيد، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده مسنداً، منهم حفص بن غياث، والثوري، وعبد الرحيم بن سليمان، وسلام أبو المنذر، فأما حديث الثوري فذكره أبو داود، قال: حدثنا سهل بن صالح، حدثنا علي بن قادم، حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا استسقى يقول: فذكر مثل لفظ حديث مالك سواء».

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ١١٧٨، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ١/ ٢١٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) موطأ مالك، ١/ ١٩٠، برقم ٤٤٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

بُيُوتَ الْمَدَرِ، اللَّهُمَّ عَلَى ظُهُورِ الْآكَامِ، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللَّهم اسق عبادك**»: هذا يشمل الرجال والنساء والعبيد والإماء وكل من لله عبد. قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «اللهم اسق عبادك: تلطفاً في المسألة؛ لأن المالك ألطف بعباده من كل لطيف»[٢]، وقال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(قال: اللهم اسق عبادك) لأنهم عبيدك المتذللون، الخاضعون لك، فالعباد هنا كالسبب للسقي»[٣].

٢-قوله: «**وبهائمك**» أي: جميع ما يدب على الأرض من الدواب، والحشرات، وغير ذلك مما يعلمه رب الأرض والسماء.قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «(وبهائمك): جمع بهيمة، وهي كل ذات أربع، ذكرهن لأنهن لا ذنب لهن، فهن إلى الرحمة أقرب»[٤]، وقال الزرقاني: «(وبهيمتك): كل ذات أربع من الدواب، وكل حيوان لا يميز، وفي إضافتهما إليه تعالى مزيد الاستعطاف، فالعباد كالسبب للسقي، والبهيمة تُرحم فتُسقى، وفي خبر ابن ماجه: «**لولا البهائم لم تمطروا**»[٥].

---

(١) مصنف عبد الرزاق الصنعاني، ٣/ ٩٢، برقم ٤٩١٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني، ٨/ ٣٢٨.

(٣) فيض القدير، ٥/ ١٢٦.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣٢٨.

(٥) شرح الزرقاني على الموطأ، ١/ ٥٤٤. ولفظ الحديث عند ابن ماجه، برقم ٤٠١٩: «عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»» وحسنه لغيره الأرناؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه، ٥٠، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٥٧، برقم ١٧٦١.

٣-قوله: «**وانشر رحمتك**» أي: ابسط رحمتك على هذه الخلائق، والعوالم بإنزال الغيث. وقال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «(وانشر رحمتك): أطلق الرحمة على السحاب الممطرة؛ لأنها متسببة عنها، ويحتمل أنه أريد نفس الرحمة، ونشرها عبارة عن العموم بالإغاثة بها»(١).

٤-قوله: «**وأحيي بلدك الميت**» أي: الذي يبس زرعه وهلك حرثه. قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يريد بعض بلاد المتبعدين عن مظان الماء، الذي لا ينبت فيه عشب للجدب، فسماه ميتًا على الاستعارة، ثم فرع عليه الإحياء»(٢).

٥-قوله: «**بيوت المدر**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُرِيدُ بِأَهْلِ المَدَر: أَهلَ القُرَى وَالْأَمْصَارِ، وَاحِدَتُهَا: مَدَرَة... ومَدَرَةُ ٢الرَّجُلِ: بَلدَته... المَدَر، وَهُوَ الطِّين المُتَماسِك؛ لِئَلَّا يَخْرُجَ مِنْهُ الْمَاءُ»(٣).

٦-قوله: «**وَالْآكَامَ**» قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَهِيَ: الْكُدَى وَالْجِبَالُ مِنَ التُّرَابِ، وَهِيَ جَمْعُ أَكْمَةٍ مِثْلَ رَقَبَةٍ وَرِقَابٍ»(٤).

٧-قوله: «**وَمَنَابِتُ الشَّجَرِ**»: قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَوَاضِعُ الْمَرْعَى حَيْثُ تَرْعَى الْبَهَائِمُ»(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-بيان شفقة النبي ﷺ على الخلق جميعًا، وهو كما قال ربنا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(٦).

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣٢٩.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٢٢.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٣٠٩، مادة (مدر).
(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٧/ ١٤٩، وتقدمت في المفردة رقم ١٣ من مفردات حديث المتن رقم ١٦٩.
(٥) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٧/ ١٥٠. وتقدمت في المفردة رقم ١٥ من مفردات حديث المتن رقم ١٦٩.
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

٢-تقرير أن إنزال المطر من السماء هو من رحمة الله بخلقه وأنه آية من آياته الدالة على كمال قدرته وتمام قيوميته. قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[(١)].

٣-الذي يحيي الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى بعد البلى وبعثهم للجزاء والحساب، قال الله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[(٢)].

٤-قال الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَإِنَّمَا فِيهِ ضَرْبٌ مِنَ الدُّعَاءِ فِي الاِسْتِسْقَاءِ، وَالدُّعَاءُ فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ مُخْتَلِفُ الْأَلْفَاظِ، مُتَّفِقُ الْمَعَانِي فِي الرَّغْبَةِ وَالضَّرَاعَةِ إِلَى اللَّهِ عَجَلَّ فِي فَضْلِهِ وَغَوْثِ عِبَادِهِ بِرَحْمَتِهِ»[(٣)].

٥-وقال أيضاً: «وَإِنَّمَا ذَكَرَ مَالِكٌ هَذَا الْبَابَ بَعْدَ الَّذِي قَبْلَهُ؛ لِأَنَّهُ أَفْرَدَ الْأَوَّلَ بِسُنَّةِ الاِسْتِسْقَاءِ مِنَ الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا عَلَى حَسَبِ مَا أَوْرَدْنَا فِيهِ، وَأَفْرَدَ هَذَا بِمَعْنَى الدُّعَاءِ؛ لِأَنَّ الاِسْتِسْقَاءَ هُوَ طَلَبُ الْمَاءِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَالدُّعَاءُ إِلَيْهِ فِيهِ»[(٤)].

***

---

(١) سورة الروم، الآية: ٤٦.
(٢) سورة الروم، الآية: ٥٠.
(٣) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٧/ ١٤٢.
(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٧/ ١٤٢.

٦٤ - الدُّعَاءُ إذَا رَأى المَطَرَ

١٧٢ -«اللَّهُمَّ صَيِّباً نَافِعاً»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٨٨-لفظ البخاري: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها(٢) «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ قَالَ: صَيِّبًا نَافِعًا»(٣).

٥٨٩-ولفظ النسائي عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا أُمْطِرَ قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ صَيِّبًا نَافِعًا»(٤).

٥٩٠-ولفظ أبي داود عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى نَاشِئًا فِي أُفُقِ السَّمَاءِ تَرَكَ الْعَمَلَ، وَإِنْ كَانَ فِي صَلاَةٍ ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا». فَإِنْ مُطِرَ قَالَ: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا هَنِيئًا»(٥).

٥٩١-وفي لفظ آخر لأبي داود عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ

(١) البخاري، كتاب الاستسقاء، باب ما يقال إذا أمطرت، برقم ١٠٣٢، والنسائي، كتاب الاستسقاء، القول عند المطر، برقم ١٥٢٣، وهذا لفظه، وأبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا هاجت الريح، برقم ٥١٠٢، ومسند أحمد، ٤٢/ ٣٦٨، برقم ٢٥٥٧٠، ومسند أحمد أيضاً، ٤٣/ ٥٢، برقم ٢٥٨٦٤، والأدب المفرد، ص ٢٣٨، برقم ٦٨٦، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٢٥٢، ومحققو المسند، وقال ابن الملقن رحمه الله في تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج، ١/ ٥٦٨: «وَفِي رِوَايَة لأبي دَاوُد، وَابْن حبَان: «صيبا هَنِيئًا» قَالَ فِي الاقتراح: «وَهِي عَلَى شَرط البُخَارِيّ».

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ١٠٣٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) النسائي، برقم ١٥٢٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا هاجت الريح، برقم ٥١٠٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

إِذَا رَأَى الْمَطَرَ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ صَيِّبًا هَنِيئًا**»[١].

٥٩٢-ولفظ أحمد.عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى نَاشِئًا مِنْ أُفُقٍ مِنْ آفَاقِ السَّمَاءِ، تَرَكَ عَمَلَهُ، وَإِنْ كَانَ فِي صَلَاتِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ**» فَإِنْ كَشَفَهُ اللَّهُ، حَمِدَ اللَّهَ، وَإِنْ مَطَرَتْ، قَالَ: «**اللهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا**»[٢].

٥٩٣-ولفظ آخر عند أحمد عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَأَى نَاشِئًا فِي السَّمَاءِ سَحَابًا، أَوْ رِيحًا اسْتَقْبَلَهُ مِنْ حَيْثُ كَانَ، وَإِنْ كَانَ فِي الصَّلَاةِ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ عز وجل مِنْ شَرِّهِ، فَإِذَا أَمْطَرَتْ قَالَ: «**اللهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا**»[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله:«**اللَّهم**» بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»[٤].

٢-قوله: «**صيبًا**»: الصيب هو المطر المنصب بغزارة والذي فيه نفع للعباد والبلاد، قال ابن الأثير رحمه الله: «الصيب : السحاب الذي يهراق ماؤه»[٥]. وقال القاضي عياش رحمه الله: «صيّباً: - بياء مكسورة مشددة – أي: مطر، ... ويقال: صاب، وأصاب السحاب إذا أمطر، وأصل الإصابة الأخذ، يقال: أصاب من الطعام إذا أكل منه»[٦].

---

(١) سنن ابن ماجه، برقم ٣٨٩٠، وصححه الشيخ الأرناؤوط في تحقيق سنن ابن ماجه، ٥/ ٥٢، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٥٠٩٩.

(٢) مسند أحمد، برقم ٢٥٥٧٠، وصححه محققو المسند، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسند أحمد، برقم ٢٥٨٦٤، والأدب المفرد، برقم ٦٨٦، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٢٥٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

(٥) جامع الأصول، لابن الأثير، ٤/ ١٢.

(٦) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، ٢/ ٥١.

٣-قوله: «**نافعًا**»: لأن الصيب قد يأتي بما يضر، كقوله ﷻ: ﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ**﴾(١). قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ونافِعًا صِفة لِلصَّيِّبِ وكَأَنَّهُ أُحتُرِزَ بِها عَن الصَّيِّب الضّارّ»(٢)، وقال الشيخ عطية سالم رحمه الله: «و «نافعًا»: تتميم في غاية من الحسن؛ لأن لفظة صيبًا مظنة للضرر والفساد، الصيب: المطر الذي يصوّب، أي: ينزل ويقع: وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء، والتنكير دل على أنه نوع من المطر شديد هائل، فتممه بقوله: «نافعًا» صيانة عن الإضرار والفساد... دعا الله أن يجعله صيباً نافعاً، وذلك مخافة أن يكون صيباً ضاراً؛ لأنه إذا زاد المطر عن مقدار تَحمُّل الخلق، أو الأرض، كان ضرره أكثر من نفعه، ونحن نشاهد، ونسمع بالكوارث والحالات التي يأتيها المطر غزيراً فيهلك الزرع، ويهدم البنيان، ويكسر الطرق والجسور، فالنبي ﷺ رحمة منه بالأمة حينما يرى المطر يقول: «**اللهم صيباً نافعاً**»»(٣).

٤-قوله: «**ناشئاً**»: قال القاري رحمه الله: «أي: سحاباً خارجاً من السماء، قال التوربشتي: سُمّي السحاب ناشئاً؛ لأنه ينشأ من الأفق، يقال: نشأ، أي: خرج، أو ينشأ في الهواء، أي: يظهر؛ ولأنه ينشأ من الأبخرة المتصاعدة من البحار، والأراضي النزهة، ونحو ذلك تعني أي: تريد عائشة بقولها: ناشئاً: السحاب جملة معترضة لتفسير اللغة من الراوي بين الشرط وجزائه، وهو قولها: ترك - أي: النبي ﷺ - عمله المشتغل به من الأمور المباحة، واستقبله أي: السحاب»(٤).

٥-قوله: «**كشفه الله**»: قال القاري رحمه الله: «كشفه الله: أي: أذهب الله ذلك

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩.
(٢) فتح الباري، ٢/ ٥١٨.
(٣) شرح بلوغ المرام للشيخ عطية محمد سالم، ٥/ ١٠٩.
(٤) مرقاة المفاتيح، ٢/ ٢٤٩.

السحاب، ولم يمطر، حمد الله أي: على النجاة من شره»[١].

٦-قوله: «**أفق من آفاق الأرض**»: قال ابن الأثير رحمه الله: آفَاق الْأَرْضِ: جهاتها ونَوَاحِيهَا، وَاحِدُهَا أُفُق[٢].

٧-قوله: «**هنيئاً**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «هَنَأَنِي الطَّعَامُ يَهْنُؤُنِي، ويَهْنِئُنِي، ويَهْنَأُنِي، وهَنَأْتُ الطَّعام: أَيْ: تَهَنَّأْتُ بِهِ، وكُلُّ أمْرٍ يأتيك مِنْ غير تَعَب فَهُوَ هَنِيءٌ، وَكَذَلِكَ الْمَهْنَأُ والْمُهَنَّأُ... إِذَا دَعَا إِنْسَانًا وَأَكَلَ طعامَه «قَالَ: لَكَ الْمَهْنَأُ، وَعَلَيْهِ الوِزْرُ» أَيْ: يَكُونُ أَكْلُكَ لَهُ هَنِيئاً، لَا تُؤَاخَذُ بِهِ، وَوِزْرُه عَلَى مَنْ كَسَبَهُ»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-استحباب قول هذا الدعاء عند نزول المطر كما في هذا الحديث ويستحب قوله مرتين أو ثلاثة ولكن يقول: «اللَّهم سيْبًا نافعًا»[٤]، وهي بسكون الياء من سيّب إذا جرى الماء على وجه الأرض من كثرته[٥].

٢-وفي لفظ: «**اللَّهم اجعله صيبًا هنيًا**»[٦].

٣-يستحب الدعاء عامة وقت نزول المطر؛ لأنه مظنة الإجابة لقوله ﷺ: «**اطلبوا إجابة الدعاء عند التقاء الجيوش وإقامة الصلاة ونزول المطر**»[٧].

---

(١) مرقاة المفاتيح، ٢/ ٢٤٩.
(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٥٦، مادة (أفق).
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٢٧٧، مادة (هنأ).
(٤) أخرجه النسائي في الكبرى، برقم ١٨٢٨، وابن حبان، ٢/ ٢٧٥، برقم ٩٩٤، والبخاري في الأدب المفرد، برقم ٦٨٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٦/ ٢٥٦، في تعليقه الحديث رقم ٢٧٥٧.
(٥) شرح سنن ابن ماجه للسندي، ٤/ ٢٩٤.
(٦) صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٥٠٩٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٧) أخرجه الشافعي في الأم، ١/٢٥٣، والبيهقي في معرفة السنن والآثار، ١٨٦/٥، وحسنه الألباني بشواهده في السلسلة الصحيحة، برقم ١٤٦٩.

٤-قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه: الدعاء في الازدياد من الخير والبركة فيه والنفع به»[١].

٥-كان من هدي النبي ﷺ عند نزول المطر أن يحسر، أي: يكشف عن بعض بدنه، ويعرضه للمطر، يقول أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر، فحسر عن ثوبه حتى أصابه المطر، فقلنا: يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال: «**لأنه حديث عهد بربه**»[٢]، قال النووي: أي: بتكوين ربه إياه وأنه رحمة فيتبرك به[٣].

***

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٣/ ٢٢.
(٢) مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الدعاء في الاستسقاء، برقم ٨٩٨.
(٣) شرح صحيح مسلم للنووي، ٦/٤٣٥.

٦٥ - الذِّكْرُ بَعْدَ نُزُولِ المَطَرِ

١٧٣-«مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٩٤-عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ[٢] أَنَّهُ قَالَ صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنْ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**»[٣].

٥٩٥- ولفظ آخر للبخاري عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ ﷺ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ، فَأَصَابَنَا مَطَرٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصُّبْحَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: «**قَالَ اللَّهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ بِي، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَبِرِزْقِ اللَّهِ، وَبِفَضْلِ اللَّهِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ:**

---

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، برقم ٨٤٦، وكتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، برقم ٤١٤٧، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، ١٢٥- (٧١)، ورقم ١٢٦- (٧٢)، و١٢٧- (٧٣).

(٢) زيد بن خالد الجهني ﷺ: أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو طلحة وهو من قبيلة جهينة. روى عن رسول الله ﷺ واحداً وثمانين حديثًا، اتفق البخاري ومسلم على خمسة أحاديث، وانفرد مسلم بثلاثة، مات ﷺ سنة ثمان وسبعين بالمدينة، وقيل: بالكوفة، وروى له أبو داود، والترمذي، وابن ماجه. انظر: الاستيعاب، ٢/٨٥٠، وأسد الغابة، ٢/٨٣٢.

(٣) البخاري، برقم ٨٤٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

مُطِرْنَا بِنَجْمِ كَذَا، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ، كَافِرٌ بِي»[١].

٥٩٦-عن أَبي هُرَيْرَةَ ﵁[٢]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَلَمْ تَرَوْا إِلَى مَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلاَّ أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ، يَقُولُونَ: الْكَوَاكِبُ وَبِالْكَوَاكِبِ**»[٣].

٥٩٧-عن ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄[٤]، قَالَ: مُطِرَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: «**أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ، وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾**[٥]، حَتَّى بَلَغَ: **﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾**[٦]»[٧].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ**»: قال ابن عبد البر ﵀: «وَذَلِكَ إِيمَانٌ بِاللَّهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْطِرُ، وَلَا يُعْطِي، وَلَا يَمْنَعُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا النَّوْءُ؛ لِأَنَّ النَّوْءَ مَخْلُوقٌ، لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ شَيْئًا، وَلَا لِغَيْرِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ وَقْتٌ»[٨].

٢-قوله: «**صلى لنا**» أي: صلى بنا وفيه جواز إطلاق ذلك مجازًا وإنما الصلاة لله تعالى، قال الزرقاني ﵀: «قال صلى لنا رسول الله ﷺ أي لأجلنا، واللام بمعنى

---

(١) البخاري، برقم ٤١٤٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.
(٣) مسلم، برقم ١٢٦- (٧٢)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.
(٥) سورة الواقعة، الآية: ٧٥.
(٦) سورة الواقعة، الآية: ٨٢.
(٧) مسلم، برقم ١٢٧- (٧٣)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن..
(٨) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٧/ ١٥٨.

الباء، أي صلَّى بنا، وفيه جواز إطلاق ذلك مجازاً وإنما الصلاة لله تعالى»[١].

٣-قوله: «**إثر سماء**»: على أثر: الأثر هو ما يعقب الشيء.

٤-قوله: «**سماء**»: أي: مطر، وأطلق عليه سماء؛ لكونه ينزل من جهة السماء، وكل جهة علو تُسمَّى سماء، قال الرافعي رحمه الله: «وقوله: «في إثر سماء»: يقال: خرجت في إثره وأثره إذا خرجت عقيبه»[٢]، وقال القرطبي رحمه الله في المفهم: «السَّمَاءُ هنا المطرُ، سُمِّي بذلك؛ لأنَّه يَنْزِلُ من السماء، وحقيقةُ السماء: كلُّ ما علاك فأظلَّك»[٣]، وقال القاضي عياض رحمه الله: «أثر سماء: السماء: المطر، وجمعه أسميَة... والسماء: السحاب، وأصل السماء: كل ما ارتفع فأظل وعلا، وسماء كل شيء ما علا منه، وبه سميت السماء والسحاب، ثم سُمي المطرُ به لمجيء السحاب به، كما سُمّيَ مُزْناً، والمزن: السحاب. «على إثر سماء»: هو بكسر الهمزة وإسكان الثاء وفتحها جميعاً لغتان مشهورتان، والسماء المطر»[٤].

٥-قوله: «**بنوء كذا وكذا**»: النوء هو النجم، ومعنى النوء سقوط نجم في المغرب من النجوم الثمانية والعشرين التي هي منازل القمر[٥]. قال ابن الأثير رحمه الله: «النوء: واحد الأنواء، وهي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة في منزلة منها، ويسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلها، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة، وطلوع رقيبها : يكون مطر، فينسبون

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ مالك، ١/ ٥٤٧.

(٢) شرح مسند الشافعي، للرافعي، ٢/ ٥٥.

(٣) المفهم، ١/ ٢٨٧، وجامع الأصول، ١١/ ٥٧٧.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ١/ ٣٣٠.

(٥)انظر: فتح الباري، ٢/ ٦٤٥، وما بعدها .

المطر إلى المنزلة، ويقولون: «مطرنا بنوء كذا»، وإنما سُمّي نوءاً؛ لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق، ينوء نوءاً، أي: نهض وطلع، وقيل: إن النوء هو الغروب، فهو من الأضداد، قال أبو عبيد: لم نسمع في النوء أنه السقوط، إلا في هذا الموضع، وإنما غلظ النبي ﷺ في أمر الأنواء؛ لأن العرب كانت تنسب المطر إليها، فأما من جعل المطر من فعل الله تعالى، وأراد بقوله: «مطرنا بنوء كذا» أي: في وقت كذا، وهو هذا النوء الفلاني؛ فإن ذلك جائز، فقد قيل: إن عمر بن الخطاب ﷺ أراد أن يستسقي، فنادى بالعباس بن عبد المطلب، كم بقي من نوء الثريا؟ فقال: إن العلماء بها يزعمون أنها تعترض في الأفق سبعاً بعد وقوعها، فما مضت تلك السبع حتى غيث الناس، وأراد عمر: كم بقي من الوقت الذي قد جرت العادة أنه إذا أتم الله بالمطر»[(١)].

٦-قوله: «كافر بي»: قال ابن الأثير رحمه الله: «فيحتمل أنه أراد به الكفر الذي هو ضد الإيمان، ويحتمل أنه أراد به الكفر الذي هو ضد الشرك، يعني أنه كفر نعمة الله، حيث نسبها إلى غيره»[(٢)].

٧-قوله: «بالحديبية»: يقال: سميت بشجرة حدباء هناك، وهي بئر قريب من مكة دون مرحلة، وهي المكان الذي وقع فيه صلح الحديبية، أو غزوة الحديبية، أو فتح الحديبية، قال القرطبي رحمه الله: «والحديبية: موضعٌ فيه ماءٌ بينه وبين مَكَّة أميال»[(٣)]، وقال ابن عبد البر رحمه الله: «حُدَيْبِيَةُ: مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ فِي آخِرِ الْجَبَلِ، وَأَوَّلِ الْحَرَمِ، وَفِيهِ كَانَ الصُّلْحُ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

---

(١) جامع الأصول، ١١/ ٥٧٧.

(٢) جامع الأصول، ١١/ ٥٧٧.

(٣) المفهم، ١/ ٢٨٧.

وَفِيهِ كَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»[١]، وقال الرافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهي قرية ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك، ومنها إلى مكة مرحلة، وإلى المدينة تسع مراحل، وعن مالك أنها من الحرم، وقيل: إنها من الحل، وقيل: بعضها من الحل وبعضها من الحرم، وعلى تقدير الحل عُدّت من مواقيت العمرة»[٢].

٨-قوله: «**فلما انصرف**» أي: من صلاته أو من مكانه، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: فَلَمَّا انْصَرَفَ، أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، أي: انصرَفَ مِنْ صلاته، وفرَغَ منها؛ فظاهره: أنَّه لم يكن يثبت في مكان صلاتِهِ بعد سلامه؛ بل كان ينتقلُ عنه ويتغيَّرُ عن حالته، وهذا الذي استحبَّهُ مالك للإمامِ في المسجد»[٣].

٩-قوله: «**أقبل على الناس**» أي: استدار من جهة القبلة وجعل وجهه لمن صلى خلفه، قال الزرقاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «أقبل على الناس بوجهه الوجيه»[٤].

١٠-«قوله: «**أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ، وَمِنْهُمْ كَافِرٌ**»، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصلُ الشكر: الظهورُ؛ ومنه قولهم: دابَّةٌ شَكُورٌ: إذا ظهر عليها من السِّمَن فوق ما تأكلُهُ من العلف، و الشاكرُ: هو الذي يُثْنِي بالنعمةِ ويُظْهِرها، ويعترفُ بها للمُنْعِم، وجَحْدُهَا كفرانُهَا؛ فمَنْ نسَبَ المطَرَ إلى الله تعالى، وعرَفَ مِنَّتَهُ فيه، فقد شكَرَ الله تعالى، ومَنْ نسبه إلى غيره، فقد جحَدَ نعمةَ الله تعالى في ذلك، وظلَمَ بنسبتها لغير المُنْعِم بها؛ فإن كان ذلك عن اعتقاد، كان كافرًا ظالمًا حقيقةً، وإن كان غير معتقد، فقد تشبَّهَ بأهلِ الكفر والظلمِ الحقيقيِّ»[٥]، وقال

(١) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار - (٧/ ١٥٤)

(٢) شرح مسند الشافعي، ٢/ ٥٥.

(٣) المفهم، ١/ ٢٨٧.

(٤) شرح الزرقاني، ١/ ٥٤٧.

(٥) المفهم ، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢/ ٢٤.

القاضي عياض رحمه الله: «قوله: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي** ... » الحديث، قال الإمام: هذا يحمل على أن المراد به تكفير من اعتقد أن المطر من فعل الكواكب، وخلقها دون أن يكون خلقاً لله، كما يقول بعض الفلاسفة من أن الله تعالى لم يخلق من الأشياء إلا واحداً وهو العقل الأول عندهم، وكان عن العقل الأول غيره، وهكذا عن واحد آخر إلى أن كان عن كل ذلك ما تحته، حتى ينتهي الأمر إلى الأمطار وإلينا، في تخليط طويل»(١).

١١-قوله: «**هل تدرون**»: لفظ استفهام معناه التنبيه، قال الزرقاني رحمه الله: «الاستفهام ومعناه التنبية وللنسائي من طريق سفيان عن صالح ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة»(٢)، وقال القاضي عياض رحمه الله: «وأما من اعتقد أن لا خالق إلا الله سبحانه، ولكن جعل في بعض الاتصالات من الكواكب دلالة على وقوع المطر من خلقه تعالى، على عادة جرت في ذلك فلا يكفر بهذا، إذا عبر عنه بعبارة لا يمنع الشرع منها، والظن بمن قال من العوام: هذا نوءُ الثُرَيّا، ونوْءُ الراعي، أنه إنما يريد هذا المعنى، وقد أشار مالك رحمه الله في موطئه إلى هذين المعنيين، وأوردهما فى بابين، وأورد فى المعنى الأول: الحديث الذي نحن فيه، وأورد في المعنى الثاني: " إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عينُ غديقةٍ، قال القاضي: قال الحربي: إنما جاءت الآثار بالتغليظ؛ لأن العرب كانت تزعم أن ذلك المطر من فعل النجم، ولا يجعلونه من سقي الله تعالى، فأما من نسبه إلى الله، وجعل النوء مثل أوقات الليل والنهار، كان ذلك واسعاً»(٣).

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ١/ ٣٣٠.

(٢) شرح الزرقاني، ١/ ٥٤٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ١/ ٣٣١.

١٢-قوله ﷻ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[(١)]، قال القاضي ابن العربي رحمه الله: «ذلك في الأنواء، وهذا قولُ جماعة أهل التّفسير، ورُوي عن سعيد بن أُمَيَّة؛ أنّ النّبيّ ﷺ سمعَ رَجُلًا في بعض أَسْفَارِهِ يقولُ: مُطِرْنَا بِبَعْضِ عثانين الأسد، فقال رسول اللَّه ﷺ: «كذبتَ، بل هو سُقْيَا الله وَرِزْقُه[(٢)]»[(٣)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-استحباب استقبال الإمام للمصلين عقيب انتهائه من الصلاة[(٤)].

٢-جواز طرح الإمام المسألة على أصحابه وتشويقهم لمعرفة الإجابة، قال الزرقاني رحمه الله: «فيه طرح الإمام المسألة على أصحابه، وإن كانت لا تدرك إلا بدقة نظر»[(٥)].

٣-حسن أدب الصحابة ﷺ مع الرسول ﷺ وقولهم: «اللَّه ورسوله أعلم» وعدم التجرؤ على الفتيا بغير علم، أما حديث: «**أجرأكم على الفتيا أجرأكم على النار**» ففيه نظر[(٦)].

٤-إثبات صفة الكلام لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل[(٧)].

٥-الإجابة بـ«اللَّه ورسوله أعلم» تكون في الأمور الشرعية، أي: مسائل

---

(١) سورة الواقعة، الآية: ٨٢.

(٢) أخرجه الطّبريّ في تفسيره، ٢٦/ ٢٠٥، ٢٠٨، وابن عبد البرّ في التمهيد، ١٦/ ٢٨٤، وفي الاستذكار أيضاً، ٧/ ١٥٨، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٣) المسالك في شرح موطأ مالك، ٣/ ٣٢٨.

(٤) راجع الفائدة السادسة والفائدة الثامنة من فوائد الحديث رقم ٦٦ من أحاديث متن هذا الكتاب.

(٥) شرح الزرقاني، ١/ ٥٤٨.

(٦) سنن الدارمي، ١/ ٣٩، برقم ١٥٩، وضعفه العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة، ١٨١٤.

(٧) سبق شرح هذا في المفردة الثانية من مفردات الحديث رقم ٩٧، من أحاديث المتن.

الحلال والحرام، أما الأمور الكونية القدرية، فلا يقال إلا: الله أعلم؛ لأن هذا أمر غيبي، لا يطلع عليه إلا الله، كنزول المطر، وما يكون في غد، وذهب بعض أهل العلم إلى أن قول: الله ورسوله أعلم أي: في الأمور الشرعية، كانت تقال في حياته، أما بعد موته ﷺ فيقال: الله أعلم، ولا شك، ولا ريب أن الصواب أن يقال بعد موته ﷺ: «الله أعلم».

٦-من كمال التوحيد الواجب نسبة النعم جميعها إلى مسببها، وواهبها، أما نسبتها إلى غيره بالقول فقط، مع اعتقاد قلبه أنها من الله، فهذا ينقص كمال التوحيد، ومن هنا يظهر خطأ من يتابع «الطقس غدًا» معتقدًا صدقهم[١].

٧-قال الإمام ابن رجب رحمه الله: «مَن أضافَ نعمةَ الغيثِ وإنزالهِ إلى الأرضِ إلى اللهِ عز وجل وفضلِه ورحمتِه، فهو مؤمنٌ باللهِ حقًّا، ومَن أضافَه إلى الأنْواءِ، كما كانتِ الجاهليةُ تعتادُه، فهو كافر باللهِ، مؤمنٌ بالكوكبِ»[٢].

٨-قال الحافظ في الفتح[٣]: قال الشَّافِعِيّ: مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا عَلَى مَا كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الشِّرْكِ يَعْنُونَ مِنْ إِضَافَةِ الْمَطَرِ إِلَى أَنَّهُ مَطَرُ نَوْءِ كَذَا، فَذَلِكَ كُفْرٌ ،كَمَا جاء في الحديث؛ لِأَنَّ النَّوْءَ وَقْتٌ، وَالْوَقْتَ مَخْلُوقٌ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ، وَلَا لِغَيْرِهِ شَيْئًا، وَمَنْ: قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا عَلَى مَعْنَى مُطِرْنَا فِي وَقْتِ كَذَا، فَلَا يَكُونُ كُفْرًا، وَغَيْرُهُ مِنَ الْكَلَامِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، يَعْنِي حَسْمًا لِلْمَادَّةِ، وَعَلَى ذَلِك يحمل إِطْلَاق الحَدِيث[٤].

٩-قال ابن الأثير رحمه الله: «علم النجوم المنهي عنه: هو ما يدَّعيه أهل التنجيم من علم الكائنات، والحوادث التي لم تقع، وستجيء في المستقبل، وأنهم

---

(١) أي: الأرصاد الجوية.

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي، ٢/ ٣٤٧.

(٣) فتح الباري لابن حجر، ٢/ ٥٢٣.

(٤) البخاري، برقم ١٠٣٩.

يدركون معرفتها بتسيير الكواكب، وانتقالاتها، واجتماعها، وافتراقها، وأن لها تأثيراً اختيارياً في العالم، فأما من يعرف من النجوم لمعرفة الأوقات، والاهتداء بها في الطرقات، ومعرفة القبلة، وأشباه ذلك، فليس به بأس»[١].

١٠-قال القرطبي رحمه الله في المفهم: «قابل في هذا الحديث بين الشكر والكفر؛ فدلَّ ظاهره على: أن المراد بالكفر هنا: كفرانُ النعم، لا الكفرُ بالله تعالى، ويحتملُ: أن يكون المرادُ به الكفرَ الحقيقيَّ؛ ويؤيِّد ذلك استدلالُ النبيِّ ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[٢]، أي تجعلون شُكْرَ رزقِكُمُ التكذيبَ؛ على حذفِ المضاف؛ قاله المفسِّرون، وقرأ عليٌّ: وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ؛ فعبَّر عن الرزق بالشُّكرِ، والرزق: الشكرُ بلغَةِ أَزْدِ شَنُوءة، يقال: ما أرزقَهُ، أي: ما أشكَرهُ، وما رزَقَ فلانٌ فلانًا، أي: ما شَكَره»[٣].

١١-من فقه البخاري وحسن ترتيبه لصحيحه إيراده لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**مِفْتَاحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ...**»، وفيه: «**وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ المَطَرُ**»[٤]، وفيه: «**وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ المَطَرُ**» بعد حديث: «**مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ**»[٥]، أي: أن المطر ينزل بقضاء الله وأنه لا تأثير للكواكب في نزوله. وانظر ما قاله الحافظ ابن حجر هناك[٦].

١٢-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وإنما أُلقي عليهم هذا السؤال من

---

(١) جامع الأصول، ١١/ ٥٧٧.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٨٢.

(٣) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢/ ٢٤.

(٤) البخاري، برقم ١٠٣٩.

(٥) البخاري، برقم ١٠٣٨.

(٦) انظر: فتح الباري، ٢/ ٥٢٥.

أجل أن ينتبهوا؛ لأن إلقاء الأسئلة يوجب الانتباه، قالوا: الله ورسوله أعلم، وهكذا كل إنسان يجب عليه إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله ورسوله أعلم في الأمور الشرعية، أما الأمور الكونية القدرية، فهذا لا يقول: الله ورسوله أعلم؛ لأن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، كما لو قال قائل مثلاً: أتظن المطر ينزل غداً؟ تقول: الله أعلم، ولا تقل: الله ورسوله أعلم؛ لأن الرسول ﷺ لا يعلم مثل هذه الأمور، لكن لو قال لك هل هذا حرام أم حلال؟ تقول: الله ورسوله أعلم؛ لأن النبي ﷺ عنده علم الشريعة، المهم أنهم قالوا: الله ورسوله أعلم، وهذا من الأدب، قال: قال يعني أن الله قال ﷻ: «**أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر بي**» يعني في تلك الليلة، قال الله ﷻ فيما أوحاه إلى نبيه: «**أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر بي، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب**»[1]، والباء هنا للسببية، يعني معناه: أنك إذا أضفت المطر إلى النوء، فقلت: هذا النجم نجم بركة، وخير يأتي بالمطر، فهذا حرام عليك، كفرٌ بالله ﷻ، وإضافة للشيء إلى سببه من نسيان المسبب، وهو الله ﷻ، وأما إذا قلت: مُطرنا بفضل الله ورحمته في هذا النوء، فلا بأس؛ لأن هذا اعتراف منك بأن المطر بفضل الله، ولكنه صار في هذا بالنوء كثير من العامة عندنا يقولون: مُطرنا بالفصل مطرنا كذا وكذا»[2].

١٣-قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَيُشْرِكُهُ بِهِ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: هُوَ كَقَوْلِهِمْ كَانَتْ الرِّيحُ طَيِّبَةً وَالْمَلَّاحُ حَاذِقًا؛ وَلِهَذَا قَرَنَ الشُّكْرَ بِالتَّوْحِيدِ فِي الْفَاتِحَةِ وَغَيْرِهَا: أَوَّلُهَا شُكْرٌ وَأَوْسَطُهَا

(١) البخاري، برقم ٨٤٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٧٣١.

تَوْحِيدٌ وَفِي الْخُطَبِ الْمَشْرُوعَةِ لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ تَحْمِيدٍ وَتَوْحِيدٍ وَهَذَانِ هُمَا رُكْنٌ فِي كُلِّ خِطَابٍ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَذْكُرُ الْمُتَكَلِّمُ مِنْ مَقْصُودِهِ مَا يُنَاسِبُ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ»[1].

١٤-قال ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ اللهُ: «الكبيرة الثانية عشرة بعد المائة: قول الإنسان إثر المطر: مطرنا بنوء نجم كذا، أي وقته معتقداً أن له تأثيراً... تنبيه عد هذا كبيرة هو ما وقع في كلام غير واحد، وليس بصحيح؛ لأن من قال ذلك معتقداً ما ذكر كافر حقيقة، والكلام إنما هو في الكبائر التي لا تزيل الإسلام، وقد قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: من قال مطرنا بنوء كذا، وهو يريد أن النوء نزل بالماء، فهو كافر، حلال دمه إن لم يتب، وفي الروضة إن اعتقد أن النوء ممطر حقيقة كفر، وصار مرتداً، وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: إن اعتقد أن النوء سبب ينزل الله به الماء على ما قدره، وسبق في علمه، فهو وإن كان مباحاً، فقد كفر بنعمة الله، وجهل بلطيف حكمته»[2].

والخلاصة أن من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، وهو يعتقد أن النوء هو الفاعل الذي أنزل المطر، فهذا كفر أكبر، يخرج من ملّة الإسلام، أما من قال ذلك، وهو يعتقد أن الله الذي ينزل المطر، ولكن جعل النوء سبباً في إنزال المطر، فهو كفر أصغر، ولا يُخرج من الملّة.

***

(١) مجموع الفتاوى، ٨/ ٣٣.

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ١/ ٣٠٥.

٦٦ - مِنْ أدْعِيَةِ الاسْتِصْحَاءِ

١٧٤-«اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ»[١].

الشـــرح):

أولاً: لفظ الحديث:

٥٩٨-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ[٢] أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتْ الْأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**» قَالَ أَنَسٌ: وَلَا وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلَا قَزَعَةً، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتْ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتْ الْأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتْ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ، وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**» قَالَ: فَأَقْلَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ، قَالَ شَرِيكٌ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ: أَهُوَ الرَّجُلُ الْأَوَّلُ؟ فَقَالَ: مَا أَدْرِي»[٣].

---

(١) البخاري، برقم ٩٣٣، ومسلم، برقم ٨- (٨٩٧)، وتقدم تخريجه في تخريج الحديث رقم ١٧٠ من أحاديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ١٠١٤، ومسلم، برقم ٨- (٨٩٧)، وتقدم تريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث[1]:

١-قوله: «**هلكت الأموال**»: هلكت الأموال وانقطعت السبل أي: بسبب غير السبب الأول، والمراد أن كثرة الماء قد انقطع المرعى بسببها، فهلكت المواشي من عدم الرعي، أو لعدم ما يكنها من المطر. قال القرطبي: «قوله: «**هلكت الأموال**»؛ أي: المواشي، وأصل المال: كل ما يُتَمَوَّل»[2]، وقال القرطبي: «وقوله: و«**انقطعت السبل**»؛ أي : الطرق ؛ لهلاك الإبل ، ولعدم ما يؤكل في الطرق»[3].

٢-قوله: «**اللَّهم حوالينا**»: المراد به صرف المطر عن الأبنية والدور.

٣-قوله: «**ولا علينا**»: فيه بيان للمراد بقوله: «حوالينا» لأنها تشمل الطرق التي حولهم فأراد إخراجها بقوله: «ولا علينا».

٤-قوله: «**على الآكام**»: أي: الأرض المرتفعة وقيل غير ذلك، قوله: «الآكام»: قال الإمام النووي رحمه الله: «... وَهِيَ دُون الْجَبَل وَأَعْلَى مِنَ الرَّابِيَة، وَقِيلَ : دُون الرَّابِيَة»[4].

٥-قوله: «**والظراب**»: أي: الجبل المنبسط ليس بالعالي، قال القاضي عياض رحمه الله: «الروابي الصغار، واحدها ظَرِبٌ»[5].

٦-قوله: «**وبطون الأودية**»: المراد بها ما يتحصل فيه الماء لينتفع به[6]، قال الإمام النووي رحمه الله: «وَكَشْفه عَنِ الْبُيُوت وَالْمَرَافِق، وَالطُّرُق بِحَيْثُ لَا يَتَضَرَّر بِهِ سَاكِن، وَلَا ابْـن سَـبِيل، وَسَـأَلَ بَقَـاءَهُ فِـي مَوَاضِـع الْحَاجَـة بِحَيْـثُ يَبْقَـى نَفْعـه،

---

(١) تقدم ذكر أكثر المفردات في شرح حديث المتن رقم ١٧٠.
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ٢٠، وتقدمت في المفردة رقم ١ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٧٠.
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ٢٠، وتقدمت في المفردة رقم ١ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٧٠.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ١٩٢، وتقدمت في المفردة رقم ١٨ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٧٠.
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٣٢١، وتقدمت في المفردة رقم ١٩ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٧٠.
(٦) فتح الباري ٢/ ٦٢٢، وما بعده.

وَخِصْبه، وَهِيَ بُطُون الْأَوْدِيَة، وَغَيْرهَا مِنْ الْمَذْكُور»[١].

٧-قوله: «**وَمَنَابِتُ الشَّجَرِ**»: أي: مكان إنباته لينتفع به وتحصل الفائدةقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَوَاضِعُ الْمَرْعَى حَيْثُ تَرْعَى الْبَهَائِمُ»[٢].

٨-قوله: «**أن يغيثنا**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُقَالُ: غِيثَتِ الْأَرْضُ، فَهِيَ مَغِيثَة، وغَاثَ الغَيْثُ الأرضَ إِذَا أَصَابَهَا»[٣].

٩-قوله: «**ولا قزعة**»: قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «معناه: قطعة سحاب، وجمعه قَزَعٌ، قال أبو عبيد: وأكثر ما يكون في الخريف»[٤].

١٠-قوله: «**مثل الترس**» قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: قال ثابت: لم يرد - والله أعلم - في قدره، لكن في مرحاها واستدارتها»[٥].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-بيان أدبه ﷺ في الدعاء فإنه لم يسأل رفع المطر من أصله بل سأل رفع ضرره وكشفه عن البيوت والمرافق والطرق بحيث لا يتضرر به ساكن ولا ابن سبيل وسأل بقاءه في مواضع الحاجة[٦].

٢-جواز طلب الدعاء من الرجل الصالح الحي القادر، الحاضر؛ فإن هذا من التوسل الجائز كما في قصة العباس وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٧]؛ لأن النبي ﷺ أقر الرجل على طلبه في الاستسقاء والاستصحاء وأجابه على ما طلبه منه.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ١٩٢.
(٢) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٧/ ١٥٠. وتقدمت في المفردة رقم ١٥ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٦٩.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٠٠، مادة (غيث)، وتقدمت في المفردة رقم ٣ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٧٠.
(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض، ٣/ ٣٢٠. وتقدمت في المفردة رقم ٨ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٧٠.
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٣٢٠، وتقدمت في المفردة رقم ١٢ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٧٠.
(٦)شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٤٣٣.
(٧) البخاري، برقم ١٠١٠.

٣-التوسل خمسة أقسام[١]:

القسم الأول: التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وهو مشروع لقول الله ﷻ: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾[٢] ولقول النبي ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة**»[٣]، وهذا توسل مشروع.

القسم الثاني: التوسل إلى الله بعمل صالح للداعي وهو مشروع لقصة أصحاب الغار[٤].

القسم الثالث: التوسل بدعاء الرجل الصالح الحي الحاضر، القادر مثل حديثنا هذا وتوسل عمر بالعباس رضي الله عنهما، فهذا توسل مشروع أيضاً.

القسم الرابع: التوسل بالجاه أو بالحق كأن يقول القائل أتوسل إليك بجاه النبي ﷺ أو بحق النبي ﷺ أو بحق فلان، فهذا توسل بدعي، وهو من وسائل الشرك والوسائل لها أحكام ومقاصد ولكنه لا يخرج صاحبه من الإسلام أما ما يُنسب زورًا إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم» فقد قال شيخ الإسلام: كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث[٥].

القسم الخامس: التوسل بالذات وهذا ما يفعله المشركون مع أصنامهم فكانوا يتوسلون بها إلى الله تعالى ويقولون: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾[٦]، وهذا شرك المشركين.

***

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام للشيخ/ عبد الله البسام ٣/ ٩١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٣) البخاري، برقم ٢٧٣٦، وتقدم تخريجه.

(٤) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، برقم ٣٤٦٥.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ١/ ٣١٩.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٣، وانظر ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة».

٦٧ - دُعَاءُ رُؤْيَةِ الهِلاَلِ

١٧٥-«اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلاَمَةِ وَالْإِسْلاَمِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّ رَبَّنَا وَتَرْضَى، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٩٩-لفظ الدارمي عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ[٢]، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ»[٣].

٦٠٠-ورواية الترمذي عن طلحة بن عبيدِ اللهِ ﷺ[٤] أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأى الهِلاَلَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ أهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأمْنِ وَالإيمانِ، وَالسَّلاَمَةِ وَالإِسْلاَمِ،

---

(١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول عند رؤية الهلال، برقم ٣٤٥١، والدارمي بلفظه، ٢/ ١٠٥٠، والطبراني في الكبير، ١٢/ ٣٥٦، برقم ١٣٣٣٠، / برقم ٤٤٠٩، وقال في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ١٠/ ٢٠٢: «رواه الطبراني وإسناده حسن» وحسنه الزين العراقي في تخريج أحادي الإحياء، ٢/ ٨٢٥والحاكم، ٤/ ٢٨٥، وحسنه العلامة الألباني في ظلال الجنة، ١/ ١٧٢، وفي صحيح الترمذي، ٣/١٥٧.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول عند رؤية الهلال، برقم ٣٤٥١، والدارمي بلفظه، ١/٣٣٦، والطبراني في الكبير، ١٢/ ٣٥٦، برقم ١٣٣٣٠، والحاكم، ٤/ ٢٨٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/١٥٧.

(٤) طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التيمي، من أوائل المسلمين، هاجر إلى المدينة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين كعب بن مالك، وأبلى طلحة يوم أحد بلاء حسناً، ووقى رسول الله ﷺ بنفسه، واتقى النبل عنه بيده حتى شلت إصبعه، وضرب الضربة في رأسه، وحمل رسول الله ﷺ على ظهره حتى استقل على الصخرة، ثم شهد طلحة المشاهد كلها، وشهد الحديبية، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى، وأخبر أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راض، استشهد ﷺ يوم الجمل، سنة ست وثلاثين، وكان عمره يوم قتل ابن أربع وستين سنة، وقيل ابن اثنتين وستين سنة. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ٣/ ٢١٤، والاستيعاب لابن عبد البر، ٢/ ٧٦٥، والإصابة لابن حجر العسقلاني، ٣/ ٥٢٩.

رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، هِلالُ رُشْدٍ وخَيْرٍ»[١].

٦٠١-ورواية الطبراني في الكبير عَنْ رَافِعِ بن خَدِيجٍ[٢]، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَى الْهِلالَ، قَالَ: «هِلالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ»، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذَا»، ثَلاثًا، «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذَا الشَّهْرِ، وَخَيْرِ الْقَدَرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ»، ثَلاثَ مَرَّاتٍ[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**الله أكبر**» أي: أكبر من كل كبير، وإنما جاء التكبير في هذا الموضع؛ لأن الهلال آية دالة على مدبر الملكوت، ومسير الأفلاك، فقوله: «**الله أكبر**»: أي أكبر من كل كبير، وأكبر من أن يعرف كنه[٤] كبريائه وعظمته ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[٥]؛ ولذلك نهى النبي ﷺ عن التفكر في الله: «**تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله ﷻ**»[٦].

٢-قوله: «**أهله علينا**» أي: أطلعه علينا وأرنا إياه، قال الطيبي رحمه الله: «قوله: «أهله»: الإهلال في الأصل رفع الصوت، نقل منه إلى رؤية الهلال؛ لأن

---

(١) الترمذي، برقم ٣٤٥١، وقال حديث حسن، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) رافع بن خديج بن رافع بن عدي الأنصاري النجاري الخزرجي، يكنى أبا عبد الله، وقيل أبا خديج، رده رسول الله ﷺ يوم بدر؛ لأنه استصغره، وأجازه يوم أحد، فشهد أحداً، والخندق، وأكثر المشاهد، وأصابه يوم أحد سهم، وانتقضت جراحته في زمن عبد الملك بن مروان فمات قبل ابن عمر بيسير وهو ابن ست وثمانين سنة بالمدينة سنة أربع وسبعين، وصلَّى عليه ابن عمر رضي الله عنهما ثم مات بعده أو مات . انظر: الاستيعاب، ٢/ ٤٧٩، والإصابة في تمييز الصحابة، ٢/ ٤٣٦.
(٣) الطبراني في الكبير، ١٢/ ٣٥٦، برقم ١٣٣٣٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) الكنه: قال ابن الأثير: «كنه الأمر: حقيقته، وقيل: وقته، وقدره ...». النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٢٠٦، مادة (كنه).
(٥) سورة طه، الآية: ١١٠.
(٦) أخرجه أبو الشيخ في العظمة، برقم ١، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم ١٢٠، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٧٨٨.وتقدم في المفردة الثالثة من مفردات حديث المتن رقم ٦٩.

الناس يرفعون أصواتهم إذا رأوه بالإخبار عنه، ولذلك سمي الهلال هلالاً، ثم نقل منه إلى طلوعه؛ لأنه سبب لرؤيته، ومنه إلى اطلاعه، وفي الحديث بهذا المعنى، أي: أطلعه علينا، وأرنا إياه مقترنا بالأمن والإيمان»[١].

٣-قوله: «**بالأمن**» أي: مقترنًا بالأمن من المخاوف الدينية والدنيوية، قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: أطلعه علينا، وأرنا إياه مقترناً: بالأمن والإيمان، قلت أي الصنعاني: ويجوز أن يراد به الزمان نفسه، والمراد: أدخله علينا مصاحباً بالأمن، واليمن، من سرور الدارين، والإيمان بكل ما أمرت بالإيمان به»[٢].

٤-قوله: «**والإيمان**» أي: وفقنا فيه للإيمان القولي، والفعلي، واجعلنا صادقين في ذلك، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «الأمن، والإيمان، والسلامة، والإسلام»: طلب في كل من الفرقتين دفع ما يؤذيه من المضار، وجلب ما يرفقه من المنافع، وعبربـ«الإيمان، والإسلام» عنها دلالة على أن نعمة الإيمان، والإسلام شاملة للنعم كلها، ومحتوية على المنافع بأسرها، فدل ذلك على عظم شأن الهلال؛ حيث جعله وسيلة لهذا المطلوب... واللطف فيه أنه ﷺ جمع بين طلب دفع المضار، وجلب المنافع في ألفاظ يجمعها معنى الاشتقاق»[٣].

٥-قوله: «**والسلامة**»: وذلك شامل لسلامة الدين والدنيا معًا، قال الزبيدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأمن من سائر المخاوف، والإيمان الطمأنينة بالله، كأنه سأل دوامها، والسلامة والإسلام أن يدوم له الإسلام، ويسلم له شهره، فإن لله في كل شهر حكماً وقضاً»[٤].

٦-قوله: «**والإسلام**» أي: اجعلنا في هذا الشهر مستسلمين لك قلبًا وقالبًا.

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٧.
(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣٩٨.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٨.
(٤) إتحاف السادة المتقين الزبيدي، ٥/ ١٠١.

٧-قوله: «**والتوفيق لما تحب وترضى**»: قال الصنعاني: «لما تحب وترضى من الأعمال الصالحات»[١].

٨-قوله: «**ربي وربك الله**»: خطاب للهلال الذي استهل، وابتدأ في الظهور، قال الطيبي رحمه الله: «ربي وربك الله: تنزيه للخالق أن يشاركه في تدبير ما خلق شيء، وفيه ردٌّ للأقاويل الداحضة في الآثار العلوية، بأوجز ما يمكن، وفيه تنبيه على أن الدعاء مستحب، لاسيما عند ظهور الآيات، وتقلب أحوال النَّيِّرات، وعلى أن التوجه فيه إلى الرب لا إلى المربوب، والالتفات في ذلك إلى صنع الصانع، لا إلى المصنوع»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-«في هذا الحديث: مشروعية الدعاء عند رؤية الهلال، وقد ورد في ذلك أدعية مشهورة»[٣].

٢-من أعظم منافع الأهلة معرفة العباد مواقيت عبادتهم، ومعيشتهم، ومناسكهم، وتمييز الأشهر والسنين، وغير ذلك من الآيات.

٣-استحباب الدعاء عند ظهور الآيات الدالة على بديع صنع الله بما ورد عن الرسول ﷺ.

٤-الإيمان والإسلام ليسا شيئًا واحدًا عندما يجتمعان في الذكر؛ لأن الإيمان يراد به الاعتقادات الباطنة، والإسلام يراد به الأعمال الظاهرة، وأما عند إفراد كل واحد منهما بالذكر؛ فإنه يكون متناولًا لمعنى الآخر[٤].

٥-مشروعية التكبير عند الآيات العظام؛ ليستولي على القلب كبرياء الله،

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣٩٩.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٨.
(٣) تطريز رياض الصالحين، للشيخ فيصل المبارك، ص ٦٩١.
(٤) فقه الأدعية والأذكار، ص ٢٥٦.

وعظمته، فيتحقق للعبد مقصودان: مقصود العبادة بتكبير قلوبهم لله، ومقصود الاستعانة بانقياد سائر المطالب لكبريائه[1].

٦-الوقت هو رأس مال العبد الذي يجب أن يتاجر فيه مع ربه بالأعمال الصالحة حتى يرد إليه غير مفلس، قال ابن القيم رحمه الله: «السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعة، فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية، فثمرته حنظل، وإنما يكون الجذاذ يوم المعاد، فعند الجِذاذ يتبين حلو الثمار من مرها»[2].

٧-أشار القرآن الكريم إلى عظم آية ظهور الأهلة بقوله تعالى: ﴿**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾[3] أي: ينزلها، كل ليلة ينزل منها واحدة، إلى أن يصغر جدًّا، فيكون كالعرجون القديم، أي: كعذقة النخل إذا قدم وصغر حجمه، وانحنى ،ثم يُهل في أول الشهر، ويبدأ يزيد شيئًا فشيئًا حتى يتم نوره ويتسق ضياؤه[4].

٨-سمي الهلال هلالًا لأن الناس يرفعون أصواتهم بالإخبار عنه من الإهلال الذي هو رفع الصوت والهلال، يكون أول ليلة، والثانية، والثالثة، ثم بعد ذلك يكون قمرًا[5].

٩-يشرع للمسلم أن يتعوذ بالله عند طلوع القمر؛ لقول عائشة رضي الله عنها: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فإذا القمر حين طلع فقال: «**تعوذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب**»[6]، أما حديث: «**هلال خير ورشد**» ثلاث مرات ثم قوله:

(١) انظر: كلام شيخ الإسلام، مجموع الفتاوى، ٢٤/ ٢٢٦.

(٢) الفوائد، ص ٢٩٢.

(٣) سورة يس، الآية: ٣٩.

(٤) فقه الأدعية والأذكار، ص ٢٥٤.

(٥) العلم الهيب، ص ٤٢٠.

(٦) أخرجه أحمد، ٤٠/ ٣٧٨، برقم ٢٤٣٢٣، والسنن الكبرى للنسائي، ٦/ ٨٤، ١٠١٣٨، وحسنه محققو المسند، ٤٠/ ٣٧٩، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، الحديث رقم ٣٧٢.

«**آمنت بالذي خلقك**» ثلاث مرات، ففي ثبوته نظر(١).

١٠-قال الألباني رحمه الله: يستقبل كثير من الناس الهلال عند الدعاء، كما يستقبلون بمثله القبر، وكل ذلك لا يجوز؛ لما تقرر في الشرع أنه لا يستقبل بالدعاء إلا ما يستقبل بالصلاة، ولذلك كان علي رضي الله عنه لا يرفع رأسه عند قوله هذا الدعاء، وكذلك ابن عباس رضي الله عنهما كره الانتصاب للهلال(٢).

***

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقول، إذا رأى الهلال، برقم ٥٠٩٢، ولفظه: «عن قتادة، أنه بلغَه: أن النبيَّ ﷺ كان إذا رأى الهلالَ قال: «هلالُ خَيرٍ ورُشدٍ، هلالُ خَيرٍ ورُشدٍ، هلالُ خَيرٍ ورُشدٍ، آمنتُ بالذي خلقَكَ» ثلاثَ مراتٍ، ثم يقولُ: «الحمدُ للهِ الذي ذهبَ بشهرِ كذا، وجاءَ بشهرِ كذا»» وحسنه لغيره الأرناؤوط محقق سنن أبي داود، ٧/ ٤٢٣، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود، برقم ١٠٨٩.

(٢) تعليق الألباني على كتاب الكلم الطيب، برقم ١٦٢.

٦٨ - الدُّعَاءُ عِنْدَ إِفْطَارِ الصَّائِمِ

١٧٦-(١) «ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ العُرُوقُ، وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٠٢-عن مَرْوَان بْن سَالِمٍ[٢] قَالَ: رَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما[٣] يَقْبِضُ عَلَى لِحْيَتِهِ فَيَقْطَعُ مَا زَادَ عَلَى الْكَفِّ، وَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: «**ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ، وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**»[٤].

٦٠٣-وعن أنس رضي الله عنه: «**كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم يكن، فعلى تمرات فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء**»[٥].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**يَقْبِضُ عَلَى لِحْيَتِهِ فَيَقْطَعُ مَا زَادَ عَلَى الْكَفِّ**»: وهذا من اجتهاد ابن

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصيام، باب القول عند الإفطار، برقم ٢٣٥٩، والسنن الكبرى للنسائي، كتاب الصيام، ما يقول إذا افطر، برقم ٣٣٢٩، والحاكم، ١/ ٤٢٢، وصححه، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٧/ ١٢٣، برقم ٢٠٤١، وصحيح الجامع، برقم ٤٦٧٨.

(٢) مروان بن سالم المقفع، مصري، مقبول، من الرابعة، روى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وروى عنه الحسين بن واقد المروزي، وأخرج له أبو داود، والنسائي. انظر: تهذيب الكمال للمزي، ٢٧/ ٣٩٠، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ٤/ ٩٧.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٤) أخرجه أبو داود، برقم ٢٣٥٩، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود١٢٣، برقم ٢٠٤١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) أخرجه أحمد، ٢٠/ ١١٠، برقم ١٢٦٧٦، وأبو داود، كتاب الصيام، باب ما يفطر عليه، برقم ٢٣٥٦، والترمذي، كتاب الصوم، باب ما يستحب عليه الإفطار، برقم ٦٩٦، وصحح إسناده محققو المسند، وحسنه الألباني في إرواء الغليل، برقم ٩٢٢.

عمر رضي الله عنهما، ولا اجتهاد مع النص، فيؤخذ بروايته، ولا يؤخذ برأيه في هذا المسألة رضي الله عنه؛ لأن النبي ﷺ أمر بتوفير اللحى، وهذا يبين بأنه لا يجوز أخذ شيء منها، ومن هذه الأحاديث التي نهى النبي ﷺ عن أخذ شيء من اللحى حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**خالفوا المشركين وفِّروا اللحى وأحفّوا الشوارب**» وفي لفظ: «**أنهكوا الشوارب وأعفوا اللحى**»[(١)]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه: «**جزُّوا الشوارب وأرخوا اللحى، خالفوا المجوس**»[(٢)]. وفي حديث زيد بن أرقم: «**من لم يأخذ من شاربه فليس منا**»[(٣)]. فلا يجوز لمسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ حقاً بعد سماعه لهذه الأحاديث أن يأخذ من لحيته شيئاً، والله المستعان.

٢-قوله: «**ذهب الظمأ**»: الظمأ: هو العطش الناتج عن الصيام، قال النووي رحمه الله: «الظمأ مهموز الآخر مقصور: وهو العطش»[(٤)].

٣-قوله: «**ابتلت العروق**» أي: بالري بعد ما كان فيها من اليبوسة، قال الصنعاني رحمه الله: «وابتلت العروق: خص ذهاب الظمأ مع أنه قد ذهب الجوع؛ لأن الالتذاذ بالماء في البلاد الحارة، كالمدينة، ومكة أشد؛ ولأنه أول ما يفطرون به، والإخبار بذلك شكراً على النعمة بإنالة المستلذ بعد المنع عنه شرعاً»[(٥)].

٤-قوله: «**وثبت الأجر**» أي: حصل الثواب الذي يرجوه العبد من ربه فضلًا منه ونعمة، قال الطيبي رحمه الله: «استبشار منهم؛ لأن من فاز ببغيته، ونال مطلوبه بعد التعب والنصب، وأراد أن يستلذ بما أدركه مزيد استلذاذ، ذكر تلك المشقة،

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، البخاري برقم ٥٨٩٢، ورقم ٥٨٩٣، ومسلم، برقم ٢٥٩.
(٢) مسلم، برقم ٢٦٠.
(٣) الترمذي، برقم ٢٧٦١، والنسائي، برقم ١٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٦٥٣٣، وفي غيره.
(٤) الأذكار النووية للإمام النووي، ١/ ٢٣٨.
(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣٤٣.

ومن ثم حَمِدَ أهل السعادة في الجنة بعد ما أفلحوا»[(١)].

٥-قولـه: «**إن شـاء الله**»: لأن قبـول الصـيام تحـت مشـيئة الله ﷻ، قـال الصنعاني رحمه الله: «وثبوت الأجر متوقف على مشيئة الله؛ ولذا قال: «إن شاء الله»، أو لأنه سلك طريقة الترقي، وفيه أن العبد لا يثق، ولا يقطع بحصول الأجر على فعل من أفعال البر، ويحتمل أن التقييد للثبوت، لا لنفس حصول الأجر؛ فإنه قد يحصل ثم تعقبه[(٢)] ما يبطله»[(٣)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية قول هذا الدعاء عند الإفطار لقول الراوي كان النبي ﷺ إذا أفطر قال: «**ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلت العروق...**» الحديث.

٢-يسن تعجيل الإفطار بعد التحقق من غروب الشمس لقوله ﷺ: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**»[(٤)] وهذا بخلاف السحور الذي يستحب فيه التأخير إلى ما قبيل الفجر لقول زيد بن ثابت رضي الله عنه تسحرنا مع رسول الله ﷺ، ثم قمنا إلى الصلاة فسأله أنس رضي الله عنه كم كان قدر ما بينهما؟ قال: خمسين آية[(٥)].

٣-لا يجزم لأحد بقبول صيامه وثبوت أجره؛ لأن هذا دعاء عام وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة بخلاف المعتزلة فإنهم يوجبون على الله الثواب للعبد.

٤-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «ذهاب الظمأ بالشرب واضح، وابتلال العروق بذلك واضح، فالإنسان إذا شرب وهو عطشان يحس بأن الماء من حين وصوله إلى المعدة يتفرق في البدن، ويحس به إحساساً ظاهراً، فيقول

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٥٨٨.
(٢) هكذا وجدته في الأصل الذي نقلت منه، والمعنى: ثم يعقبه ما يبطله، والله أعلم.
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣٤٤.
(٤) مسلم، كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه....، برقم ١٠٩٨.
(٥) مسلم، كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه....، برقم ١٠٩٧.

بقلبه: سبحان الله الحكيم العليم الذي فرقه بهذه السرعة، وظاهر الحديث أن هذا الذكر فيما إذا كان الصائم ظمآن والعروق يابسة»[(١)].

٥-حديث أن النبي ﷺ كان إذا أفطر قال: «**بسم الله، اللَّهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت**» في ثبوته نظر[(٢)]، والأولى قول ما صح عن الرسول ﷺ.

٦-قال ابن القيم رحمه الله: «وَفِي فِطْرِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الصَّوْمِ عَلَيْهِ[(٣)]، أَوْ عَلَى التَّمْرِ، أَوِ الْمَاءِ تَدْبِيرٌ لَطِيفٌ جِدًّا، فَإِنَّ الصَّوْمَ يُخَلِّي الْمَعِدَةَ مِنَ الْغِذَاءِ، فَلَا تَجِدُ الْكَبِدُ فِيهَا مَا تَجْذِبُهُ، وَتُرْسِلُهُ إِلَى الْقُوَى وَالْأَعْضَاءِ، وَالْحُلْوُ أَسْرَعُ شَيْءٍ وُصُولًا إِلَى الْكَبِدِ، وَأَحَبُّهُ إِلَيْهَا، وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ رُطَبًا، فَيَشْتَدُّ قَبُولُهَا لَهُ، فَتَنْتَفِعُ بِهِ هِيَ وَالْقُوَى، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ، فَالتَّمْرُ لِحَلَاوَتِهِ وَتَغْذِيَتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ، فَحَسَوَاتُ الْمَاءِ تُطْفِئُ لَهِيبَ الْمَعِدَةِ، وَحَرَارَةَ الصَّوْمِ، فَتَتَنَبَّهُ بَعْدَهُ لِلطَّعَامِ، وَتَأْخُذُهُ بِشَهْوَةٍ»[(٤)].

٧-وقال المناوي رحمه الله: «وكان النبي ﷺ يحض على الفطر بالتمر، فإن لم يجد فعلى الماء، وهذا من كمال شفقته على أمته، ونصحه لهم؛ فإن إعطاء الطبيعة الشيء الحلو مع خلو المعدة أدعى إلى قبوله، وانتفاع القوى به، خاصة القوة الباصرة، أما الماء؛ فإنه يرطب الكبد بعد نوع من اليبوس، فإن التمر والماء لهما تأثير في صلاح القلب لا يعلمها إلا أطباء القلوب»[(٥)]، وقد قال النبي ﷺ: «**بيت لا تمر فيه جياع أهله**»[(٦)]، وقال: «**بيت لا تمر فيه كالبيت لا طعام فيه**»[(٧)].

---

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٦/ ٤٤١.
(٢) أخرجه أبو داود، برقم ٢٣٥٨، وفي المراسيل، برقم ٩١، وضعفه الألباني في الإرواء، ٣/ ٣٧، وقد نبه رحمه الله على عدة علل للحديث فليراجع.
(٣) أي: الرُّطَب.
(٤) زاد المعاد، ٤/ ٢٨٧.
(٥) فيض القدير، ٥/ ٣٠٠.
(٦) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب في ادخار التمر ونحوه من الأقوات للعيال، برقم ٢٠٤٦.
(٧) سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب التمر، برقم ٣٣٢٨، وحسنه الأرناؤوط محقق ابن ماجه، =

١٧٧-(٢)«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٠٤-لفظ ابن ماجه: «عن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما(٢) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ**»، قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنهما يَقُولُ إِذَا أَفْطَرَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي**»(٣).

= والطبراني، ٢٤/٢٩٨، برقم ٧٥٧، وحسّن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٧٧٦.

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الصيام، باب في الصائم لا ترد دعوته، برقم ١٧٥٣، من دعاء عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، والحاكم، ١/ ٤٢٢، وحسنه الحافظ في تخريج الأذكار، انظر: شرح الأذكار، ٤/٣٤٢، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة، ٢/ ٨١: «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، رواه الحاكم في المستدرك، عن عبد العزيز بن عبد الرحمن الدباس، عن محمد بن علي بن زيد، عن الحكم بن موسى، عن الوليد به، حدثنا إسحاق، فذكره ورواه، البيهقي من طريق إسحاق بن عبيد الله، قال عبد العظيم المنذري في كتاب الترغيب: وإسحاق هذا مدني لا يعرف، قلت [القائل هو البوصيري]: قال الذهبي في الكاشف: صدوق، وذكره ابن حبان في الثقات؛ لأن إسحاق بن عبيد الله بن الحارث قال النسائي: ليس به بأس، وقال أبو زرعة: ثقة، وباقي رجال الإسناد على شرط البخاري» وحسن إسناده الأرناؤوط في سنن ابن ماجه، ٢/ ٦٣٧، وضعفه الألباني في إرواء الغليل، ٤/ ٤١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب الصيام، باب في الصائم لا ترد دعوته، برقم ١٧٥٣، وابن السني في عمل اليوم والليلة، ص ٤٣٢، والحاكم، ١/ ٤٢٢، وصححه ووافقه الذهبي، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، ١/٢٩٩، والبيهقي في شعب الإيمان، ٣/٤٠٧، قال الكناني في مصباح الزجاجة، ٢/٨١: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» وحسن إسناده الأرناؤوط في سنن ابن ماجه، ٢/ ٦٣٧. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، برقم ١٩٦٥.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**دعوةً ما تُرَدُّ**»: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في أهمية الدعاء عند الإفطار: «وينبغي أن يدعُوَ عندفِطرِه بما أحَبَّ، ففي سنن ابن ماجة عن النبيّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ للصائِمِ عند فطْرِه دعوةً ما تُرَدُّ»[(١)].

٢-قوله: «**اللَّهُمَّ**»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَلله، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»[(٢)].

٣-قوله: «**أسألك**» أي: أتوسل إليك، وأدعوك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «سؤال الله، والتوسل إليه بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وفعل ما يحبه»[(٣)].

٤-قوله: «**برحمتك**»: لأن من أسمائك الرحمن والرحيم والرحمة صفة لك.وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرَّحْمة: الرِّقَّةُ والتَّعَطُّفُ، والمرْحَمَةُ مِثْلُهُ، وَقَدْ رَحِمْتُهُ وتَرَحَّمْتُ عَلَيْهِ. وتَراحَمَ القومُ: رَحِمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. والرَّحْمَةُ: الْمَغْفِرَةُ»[(٤)]، ورحمة الله ليست كرحمة خلقه، وصفة الرحمة لله عَزَّ وَجَلَّ تليق بجلاله، لا يشبه شيئاً من خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[(٥)].

٥-قوله: «**التي وسعت كل شيء**» أي: عمت جميع مخلوقاتك.قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي لا نهاية لها، أي: من دخل فيها لم تعجز عنه، وقيل: وسعت كل

(١) مجالس شهر رمضان، لابن عثيمين، ص ٥٠.

(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في شرح المفردة، رقم ٦.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ٢/ ٣٢٢.

(٤) لسان العرب، ١٢/ ٢٣٠، مادة (رحم).

(٥) سورة الشورى، الآية: ١١.

شيء من الخلق، حتى إن البهيمة لها رحمة وعطف على ولدها»[(١)]، وقال العلامة الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذه الرحمة العامة قد أعطاها تعالى عباده، ووسعتهم، وبسببها فتح لهم الباب إلى سؤاله، ودلهم على ما يقربهم إليه، كما أشار إليه: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾[(٢)]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[(٣)]، ودعاهم إلى دعائه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[(٤)]، فما أحد إلا وله من الرحمة العامة جزء موفور؛ فإذا عرفت هذا علمت أنه سبحانه قد أعطى عباده الرحمة، فهم بين قابل لها، وراد لها كالكافر لم يقبلها، فالمسؤول هنا هو الرحمة الخاصة الكائنة بعد المغفرة، وهي التي ينزل الله بها عباده غرف الجنان... فهذه رحمة وراء المغفرة، فالمغفرة سترت الذنوب، وتجنب العبد من العذاب، وبالرحمة الخاصة يدخل الجنة»[(٥)].

٦-قوله: «**أن تغفر لي**» أي: تستر ذنوبي وتمحوها عني يا تواب يا غفور. قال ابن منظور: «الغَفْر: التَّغْطِيَةُ، وَالسَّتْرُ ... غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي: سَتَرَهَا... والغَفْرُ، والمَغْفِرَةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ، والعفوُ عَنْهَا»[(٦)].

ثانياً: ما يستفاد من الحديث:

١-المؤمن يطمع في رحمة الله، ومن ذلك طلبه من ربه مغفرة ذنوبه قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[(٧)] وقال: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ

---

(١) تفسير القرطبي، ٧/ ٢٦١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٤) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير (٤/ ٥٣٥)

(٦) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم مستوفى في المفردة رقم ٢ من مفردات ألفاظ حديث المتن رقم ٤٨.

(٧) سورة غافر، الآية: ٧.

ذُو الرَّحْمَةِ﴾[١].

فهو ﷻ مع كونه غنيًّا عن خلقه فهو ذو رحمة بهم وهذا هو غاية الكرم والفضل.

٢-قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المُراد أَنَّ رَحمَة الله لا يُشبِهها شَيء لِمَن سَبَقَ لَهُ مِنها نَصِيب مِن أَيّ العِباد كانَ حَتَّى الحَيَوانات.

٣-وفِيهِ إِشارَة إِلَى أَنَّهُ يَنبَغِي لِلمَرءِ أَن يَجعَل تَعَلُّقه فِي جَمِيع أُمُوره بِاللهِ وحده ، وأَنَّ كُلّ مَن فُرِضَ أَنَّ فِيهِ رَحمَة ما حَتَّى يُقصَد لأَجلِها فالله سُبحانه وتَعالَى أَرحَم مِنهُ ، فَليَقصِد العاقِل لِحاجَتِهِ مَن هُو أَشَدّ لَهُ رَحمَة»[٢].

٤-قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَرَحمته وسعت كل شَيْء، وغضبه لم يسع كل شَيْء، وَهُوَ سُبْحَانَهُ كتب على نَفسه الرَّحْمَة، وَلم يكْتب على نَفسه الْغَضَب، ووسع كل شَيْء رَحْمَة وعلماً، وَلم يسع كل شَيْء غضباً وانتقاماً، فالرحمة وَمَا كَانَ بهَا، ولوازمها، وآثارها غالبة على الْغَضَب»[٣].

٥-مما يقوي في النفس الطمع في رحمة الله ما يلي: قوله ﷻ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾[٤] ففي هذه الآية لطائف منها: أن الله أكد ذكر الرحمة والمغفرة بمؤكدات ثلاثة:

أ- قوله: «أني».

ب- «أنا».

ج- التعريف في «الغفور الرحيم».

وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة، ولم يقل في ذكر العذاب

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٨.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ١٠/ ٤٣١.

(٣) الفوائد، للإمام ابن القيم، ص ١٢٥.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٤٩، ٥٠.

أني أنا المعذب ولم يصف نفسه بذلك. بل قال على سبيل الإخبار[١]: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾.

وكذلك: قول النبي ﷺ: «**لما أغرق الله فرعون قال: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾[٢] فقال جبريل: يا محمد، فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر[٣]، فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة**»[٤] والآيات في هذا الباب والأحاديث كثيرة بحمد الله.

٦- مشروعية التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا[٥].

***

---

(١) فتح البيان، ٧/١٧٧.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩٠.

(٣) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤٦٢، مادة (حول): «الحالُ: الطين الأسود كالحَمْأة».

(٤) الترمذي، برقم ٣١٠٧، ومسند أحمد، ٤/ ٨٢، برقم ٢٢٠٣، وضعفه محققو المسند، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/٢٥٦.

(٥) سبقت الإشارة إليه.

٦٩ - الدُّعَاءُ قَبْلَ الطَّعَامِ

١٧٨-[(١)] «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَاماً فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ بسمِ اللهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ»[(١)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٠٥-لفظ أبي داود عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها[(٢)] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ**»[(٣)].

٦٠٦-ولفظ الترمذي: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ**». وَبِهَذَا الإِسْنَادِ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْكُلُ طَعَامًا فِي سِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَأَكَلَهُ بِلُقْمَتَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ لَوْ سَمَّى لَكَفَاكُمْ**»[(٤)].

٦٠٧-وفي رواية لأبي داود، عن أُمَيَّةَ بْنِ مَخْشِيٍّ رضي الله عنه[(٥)] وَكَانَ مِنْ

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام، برقم ٣٧٦٧، ورقم ٣٧٦٨، والترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية على الطعام، برقم ١٨٥٨، وابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب التسمية عند الطعام، برقم ٣٢٦٤، وصحيح ابن حبان، ١٢/ ١٢، وحسن رواية عائشة رضي الله عنها في أبي داود، والترمذي ورواية أمية بن مخشي في ابن حبان: الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٩/ ٥٢١، وصحح الألباني رواية الترمذي في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/ ٦١١، وصحح رواية ابن حبان الأرناؤوط صحيح ابن حبان، ١١/ ١٢، والألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٢٥/ ١٣٧٠.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٣٧٦٧، وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٩/ ٥٢١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الترمذي، برقم ١٨٥٨، وابن ماجه، برقم ٣٢٦٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن، وصححه الألباني في إرواء الغليل، برقم ١٩٦٥.

(٥) أمية بن مخشي الخزاعي، ويكنى أبا عبدالله، له صحبة، سكن البصرة، وأعقب بها، روى عن المثنى ابن =

أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا، وَرَجُلٌ يَأْكُلُ، فَلَمْ يُسَمِّ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ إِلاَّ لُقْمَةٌ، فَلَمَّا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «**مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ ﷻ اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ**»[١].

٦٠٨-وفي رواية لابن حبان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[٢] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ في أَولِ طَعَامِهِ، فَلْيَقُلْ حِينَ يَذْكُرُ: بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، فَإِنَّهُ يَسْتَقْبِلُ طَعَاماً جَدِيداً، وَيَمْنَعُ الْخَبِيثَ مَا كان يُصِيبُ بِهِ**»[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**إذا أكل أحدكم**» أي: إذا قدم له الطعام ليأكل.

٢-قوله: «**طعامًا**»: حلالًا وكذلك الشراب.

٣-قوله: «**فليقل**»: ظاهر ذلك الوجوب لما يترتب على قول النبي ﷺ: «**ما زال الشيطان يأكل معه**».

٤-قوله: «**بسم الله**» أي: متبركًا باسم الله راجيًا أن ينفعني به، قال الخرشي رحمه الله: «بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ: لَعَلَّ الْفَائِدَةَ فِي ذَلِكَ لُحُوقُ بَرَكَتِهِ لِلْآكِلِ فِيمَا تَقَدَّمَ لَهُ فِي الْأَكْلِ»[٤]، وقال المباركفوري رحمه الله: «فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ:

=

عبدالرحمن بن مخشي وهو ابن أخيه له حديث واحد في التسمية على الأكل، رواه أبو داود، والنسائي، وأحمد، والحاكم. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ١/ ١٠٧، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ١/ ١١٩.

(١) أخرجه أبو داود، برقم ٣٧٦٨، وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٩/ ٥٢١ ، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح.

(٣) صحيح ابن حبان، ١٢/ ١٢، وصححه الأرناؤوط صحيح ابن حبان، ١١/ ١٢، والألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٢٥/ ١٣٧٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) شرح مختصر خليل للخرشي، ٢/ ١٧٣.

وَالْمَعْنَى فِي جَمِيعِ أَجْزَائِهِ، كَمَا يَشْهَدُ لَهُ الْمَعْنَى الَّذِي قَصَدَ بِهِ التَّسْمِيَةَ، فَلَا يُقَالُ ذِكْرُهُمَا يُخْرِجُ الْوَسَطَ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[1]، مع قوله ﷻ" ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾[2]، وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: الْمُرَادُ بِأَوَّلِهِ النِّصْفُ الْأَوَّلُ، وَبِآخِرِهِ النِّصْفُ الثَّانِي، فَيَحْصُلُ الِاسْتِيفَاءُ، وَالِاسْتِيعَابُ»[3].

٥-قوله: «**الخبيث**»: الخَبِيث، وَهُوَ الشَّيْطَانُ الذَّكر، ويَجْعَلُ الخَبائِثَ جَمْعًا للخَبيثة مِن الشَّيَاطِينِ،... »[4].

٦-قوله: «**فإن نسي في أوله**» أي: أنساه الشيطان أن يقول: بسم الله، قال المباركفوري رحمه الله: «فَإِنْ نَسِيَ: - بِفَتْحِ النُّونِ، وَكَسْرِ السِّينِ الْمُخَفَّفَةِ- أَيْ: تَرَكَ نِسْيَانًا، «فِي أَوَّلِهِ» أَيْ: فَإِنْ نَسِيَ حِينَ الشُّرُوعِ فِي الْأَكْلِ، ثُمَّ تَذَكَّرَ فِي أَثْنَائِهِ أَنَّهُ تَرَكَ التَّسْمِيَةَ أَوَّلًا»[5].

٧-قوله: «**بسم الله في أوله وآخره**»: قال ابن علان رحمه الله: «**أوله وآخره**»: «أي فيهما، والمراد جميع أجزاء الطعام»[6].

٨-قوله: «**لو سمى لكفاكم**»، قال ابن العربي رحمه الله: «أخبر أنه لم يسم هذا الأعرابي، فأكل الشيطان بيده منه، فارتقت البركة عنه، فلم يكفهم، ولو سمى لم يكن للشيطان مدخل، ولا للبركة عنها مزحل»[7]، وقال ابن علان رحمه الله: «لو سمى لكفاكم) أي معه بأن يبارك فيه فتأكلون ويأكل ويكفي الجميع،

---

(١) سورة مريم، الآية: ٦٢.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٥.
(٣) تحفة الأحوذي، ٥/ ٤٨٣.
(٤) لسان العرب، ٢/ ١٤١، مادة (خبث)، وتقدم في المفردة رقم ١٠، من شرح مفردات حديث المتن رقم ٧٥.
(٥) تحفة الأحوذي، ٥/ ٤٨٣.
(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لابن علان، ٦/ ٢٠.
(٧) عارضة الأحوذي، ١/ ٥٧.

لكن يترك التسمية عليه نزعت منه البركة حتى أكل في لقمتين»[١].

٩-قال ابن علان رحمه الله: «ما زال الشيطان يأكل معه، أي: في دوام تناوله الطعام، تاركاً التسمية فيه »[٢].

١٠-**قوله: «بلقمتين»**: قال ابن منظور رحمه الله: «واللُّقْمة: اسم لما يُهيِّئه الإِنسان للالتقام، واللَّقْمةُ أَكلُها بمرّة، تقول: أَكلت لُقْمة بلَقْمَتين، وأَكلت لُقْمَتين بلَقْمة»[٣]. وقال الأزهري رحمه الله: «واللقمة: اسم لما يهيئه الإنسان للألتقام، واللقمة: أكلها بمرة. تقول أكلت لقمة بلقمتين، وأكلت لقمتين بلقمة»[٤].

١١-قوله: «**استقاء ما في بطنه**»: قال الخرشي رحمه الله: «أَيْ: خَارِجَ الْإِنَاءِ وَفِيهِ إشَارَةٌ إلَى أَنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ حَقِيقَةً»[٥]، وقال العظيم أبادر رحمه الله: «(اسْتَقَاءَ) أَيِ: الشَّيْطَانُ (مَا فِي بَطْنِهِ) أَيْ: مِمَّا أَكَلَهُ، وَالِاسْتِقَاءُ اسْتِفْعَالٌ مِنَ الْقَيْءِ، بِمَعْنَى الِاسْتِفْرَاغِ، وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ، أَوِ الْمُرَادُ الْبَرَكَةُ الذَّاهِبَةُ بِتَرْكِ التَّسْمِيَةِ، كَأَنَّهَا كَانَتْ فِي جَوْفِ الشَّيْطَانِ أَمَانَةً، فَلَمَّا سَمَّى رَجَعَتْ إِلَى الطَّعَامِ، قَالَ التُّورْبَشْتِيُّ أَيْ صَارَ مَا كَانَ لَهُ وَبَالًا عَلَيْهِ مُسْتَلَبًا عَنْهُ بِالتَّسْمِيَةِ»[٦].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-حرص الرسول ﷺ على تعليم أمته أمور دينهم ودنياهم.

٢-للتسمية قبل الطعام فوائد عظيمة منها البركة في الطعام ولذلك قال النبي ﷺ لبعض أصحابه الذين شكوا أنهم يأكلون ولا يشبعون: «فاجتمعوا

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٠.
(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٠.
(٣) لسان العرب، ١٢/ ٥٤٦، مادة (لقم).
(٤) تهذيب اللغة، للأزهري، ٣/ ٢٣٥، مادة (لقم).
(٥) شرح مختصر خليل للخرشي، ٢/ ١٧٣.
(٦) عون المعبود، ١٠/ ١٧٣.

على طعامكم يبارك لكم فيه»[١].

٣-التسمية على الطعام والشراب تطرد الشيطان وتدحره لقوله ﷺ: «**إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه**»[٢] فإن نسي التسمية أول الطعام ثم تذكرها جاء بها.

٤-السنة في التسمية هو قول: «بسم الله»، ولا تجزئ تسمية واحد عن الجميع، ولو قال: بسم الله الرحمن الرحيم فلا حرج؛ لأن الرحمن والرحيم اسمان من أسماء الله الحسنى.

٥-قال ابن القيم رحمه الله: «وَالصَّحِيحُ وُجُوبُ التَّسْمِيَةِ عِنْدَ الْأَكْلِ، وَهُوَ أَحَدُ الْوَجْهَيْنِ لِأَصْحَابِ أحمد، وَأَحَادِيثُ الْأَمْرِ بِهَا صَحِيحَةٌ صَرِيحَةٌ، وَلَا مُعَارِضَ لَهَا، وَلَا إِجْمَاعَ يُسَوِّغُ مُخَالَفَتَهَا وَيُخْرِجُهَا عَنْ ظَاهِرِهَا، وَتَارِكُهَا شَرِيكُهُ الشَّيْطَانُ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ»[٣].

٦-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «الإنسان إذا لم يسم الله على طعامه فإن الشيطان يأكل معه لحديث أمية بن مخشي أن رجلا أكل طعاما فلم يسم فلما بقى لقمة واحدة تذكر فسمى الله تعالى فضحك النبي ﷺ وأخبر أن الشيطان كان يأكل معه فلما ذكر الله قاء الشيطان ما أكله وهذه من نعمة الله سبحانه وتعالى أن الشيطان يحرم أن يأكل معنا إذا سمينا في أول الطعام وكذلك إذا سمينا في آخره وقلنا بسم الله أوله وآخره فإن ما أكله يتقيؤه فيحرم إياه وفي الحديث دليل على أن الشيطان يأكل لأنه أكل من هذا

---

(١) أبو داود، كتاب الأطعمة، باب في الاجتماع على الطعام، برقم ٣٧٦٤، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٦٦٤.

(٢) مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامها، برقم ٢٠١٧.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢/ ٣٦٢.

الطعام فالشيطان يأكل ويشرب ويشارك الآكل والشارب إذا لم يسم الله تعالى على أكله وشربه»[١].

٧-لم يرد في أمر الكلام أثناء الطعام أمر ولا نهي فهو من المباحات ويكون الكلام حسب المصلحة التي تترتب عليه كإيناس ضيف أو إجابة سائل أو نحو ذلك، وكذلك إذا سكت طيلة أكله فلا شيء عليه.

***

١٧٩-(٢) «مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ الطَّعَامَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَأَطْعِمْنَا خَيْراً مِنْهُ، وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ لَبَناً فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَزِدْنَا مِنْهُ»[٢].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٠٩-لفظ الترمذي: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[٣]، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَخَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ[٤] عَلَى مَيْمُونَةَ[٥]، فَجَاءَتْنَا بِإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبَ رَسُولُ

---

(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٨١٤.

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أكل طعاماً، برقم ٣٤٥٥، وأبو داود، كتاب الأشربة، باب ما يقول إذا شرب اللبن، برقم ٣٧٣٠، وأحمد، ٣/ ٤٢٩، برقم ١٩٧٨، والطبقات الكبرى، لابن سعد، ١/ ٣٩٧، وحسنه محققو المسند، ٣/ ٤٤٠، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٣٧٣٠، وصحيح الترمذي، برقم ٢٧٤٩، وصحيح سنن ابن ماجة، برقم ٣٣٢٢.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٨٧ من أحاديث الشرح.

(٥) أم المؤمنين زوج النبي ﷺ ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية، أخت أم الفضل لبابة زوج العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، كان اسم ميمونة برة فسماها رسول الله ﷺ ميمونة، وكانت قبل النبي ﷺ عند حويطب بن عبد العزى، وفي رواية أنها هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ تزوجها رسول الله ﷺ وبنى بها بسرف، وتوفيت في هذا الموضع الذي ابتنى بها فيه رسول الله ﷺ، وذلك سنة إحدى وخمسين، وقيل توفيت بسرف سنة ست وستين، وقيل توفيت سنة ثلاث وستين، وصلى عليها ابن عباس. انظر: =

اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا عَلَى يَمِينِهِ، وَخَالِدٌ عَلَى شِمَالِهِ، فَقَالَ لِي: «الشَّرْبَةُ لَكَ، فَإِنْ شِئْتَ آثَرْتَ بِهَا خَالِدًا»، فَقُلْتُ: مَا كُنْتُ أُوثِرُ عَلَى سُؤْرِكَ أَحَدًا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ الطَّعَامَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ لَبَنًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَزِدْنَا مِنْهُ». وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ يَجْزِي مَكَانَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ غَيْرُ اللَّبَنِ»(١).

٦١٠-ولفظ أبي داود عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما(٢) قَالَ: كُنْتُ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ رضي الله عنها فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَجَاؤُوا بِضَبَّيْنِ مَشْوِيَّيْنِ عَلَى ثُمَامَتَيْنِ، فَتَبَزَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ خَالِدٌ: إِخَالُكَ تَقْذُرُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَجَلْ»، ثُمَّ أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلَبَنٍ، فَشَرِبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَإِذَا سُقِيَ لَبَنًا فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَزِدْنَا مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزِئُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلاَّ اللَّبَنُ»(٣).

٦١١-ولفظ أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما(٤)، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَلَى مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رضي الله عنها، فَقَالَتْ: أَلَا نُطْعِمُكُمْ مِنْ هَدِيَّةٍ أَهْدَتْهَا لَنَا أُمُّ عُفَيْقٍ؟ (٥)، قَالَ: فَجِيءَ بِضَبَّيْنِ مَشْوِيَّيْنِ، فَتَبَزَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ رضي الله عنه: كَأَنَّكَ تَقْذَرُهُ ؟ قَالَ: «أَجَلْ» قَالَتْ: أَلا أُسْقِيكُمْ مِنْ لَبَنٍ

=

الاستيعاب، لابن عبد البر، ٤/ ١٩١٤، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ٨/ ١٢٦].

(١) الترمذي، برقم ٣٤٥٥، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٣٧٣٠، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٣٧٣٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٥) أم عفيق: هي أم حفيد خالة ابن عباس، وخالة خالد بن الوليد رضي الله عنه، قَالَ أَبُو عُمَرَ ابن عبد البر رحمه الله: «وَهَذِهِ الْأُخْتُ الْأَعْرَابِيَّةُ، هِيَ هُذَيْلَةُ أُمُّ حُفَيْدٍ، وَأَخَوَاتُ مَيْمُونَةَ لِأَبِيهَا: لُبَابَةُ الصُّغْرَى، وَعَصْمَاءُ، وَغَرَّاءُ، وَهُذَيْلَةُ أُمُّ حُفَيْدٍ ... ، وَهُنَّ تِسْعُ أَخَوَاتٍ ؛ مِنْهُنَّ سِتٌّ لِأَبٍ وَأُمٍّ، وَثَلَاثٌ لِأُمٍّ». الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٢٧/ ١٨٦.

أَهْدَتْهُ لَنَا؟ فَقَالَ: بَلَى، قَالَ: فَجِيءَ بِإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَشَرِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَخَالِدٌ عَنْ شِمَالِهِ، فَقَالَ لِي: «**الشَّرْبَةُ لَكَ، وَإِنْ شِئْتَ آثَرْتَ بِهَا خَالِدًا**»: فَقُلْتُ: مَا كُنْتُ لأُوثِرَ بِسُؤْرِكَ عَلَيَّ أَحَدًا، فَقَالَ: «**مَنْ أَطْعَمَهُ اللهُ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَمَنْ سَقَاهُ اللهُ لَبَنًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَزِدْنَا مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزِئُ مَكَانَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ غَيْرَ اللَّبَنِ**»[(١)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**من أطعمه الله طعاماً**»: قال الشوكاني رحمه الله: «فإذا فرغ من الأكل والشرب»[(٢)].

٢-قوله: «**إذا أكل أحدكم طعاماً**»: قال المباركفوري رحمه الله: «أَيْ: أَرَادَ أَنْ يَأْكُلَ طَعَامًا، أَيْ غَيْرَ لَبَنٍ»[(٣)].

٣-قوله: «**الشربة لك**» أي: لكونك على يميني فأنت مستحق لها فلا تدفع لغيرك إلا بإذنك. قال المباركفوري رحمه الله: «قَوْلُهُ الشَّرْبَةُ لَكَ أَيْ: أَنْتَ مُسْتَحِقٌّ لَهَا لِأَنَّكَ عَلَى جِهَةِ يَمِينِي فَإِنْ شِئْتَ آثَرْتَ بِهَا خَالِدًا أَيِ: اخْتَرْتَ بِالشَّرْبَةِ عَلَى نَفْسِكَ خَالِدًا»[(٤)].

٤-قوله: «**آثرت**» أي: تركتها لخالد عن رغبة منك. قال ابن منظور رحمه الله: «المأْثُرة، بِفَتْحِ الثَّاءِ، وَضَمِّهَا: الْمَكْرُمَةُ؛ لأَنها تُؤْثَر، أَي: تُذْكَرُ، ويأْثُرُها قَرْنٌ عَنْ قَرْنٍ يَتَحَدَّثُونَ بِهَا... مآثِرُ الْعَرَبِ: مكارِمُها، ومفاخِرُها الَّتِي تُؤْثَر عَنْهَا،

---

(١) أحمد، برقم ١٩٧٨، وحسنه محققو المسند، ٣/ ٤٤٠. وهذه القصة أصلها في الصحيحين، البخاري، برقم ٢٥٧٥، ومسلم، برقم ١٩٤٥، وأحد ألفاظ البخاري: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «أَهْدَتْ أُمُّ حُفَيْدٍ خَالَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَقِطًا وَسَمْنًا وَأَضُبًّا، فَأَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الأَقِطِ، وَالسَّمْنِ، وَتَرَكَ الضَّبَّ تَقَذُّرًا»، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ٢٢٤.

(٣) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٩٦.

(٤) تحفة الأحوذي (٩/ ٢٩٦)

أَي تُذْكَر وَتُرْوَى... وآثَره عَلَيْهِ: فَضَّلَهُ، وآثَر، كُلُّهُ: فَضَّل وقَدّم. وآثَرْتُ فُلَانًا عَلَى نَفْسِي: مِنَ الإِيثار، آثَرْتُك إِيثاراً أَي: فَضَّلْتُك»[(١)].

٥-قوله: «**سؤرك**»: السؤر: هو البقية، والفضلة بعد الشرب، قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «السُّؤْرُ - بِضَمِّ السِّينِ، وَسُكُونِ الْهَمْزَةِ -: الْبَقِيَّةُ، وَالْفَضْلَةُ، وَالْمَعْنَى: مَا كُنْتُ لِأَخْتَارَ عَلَى نَفْسِي بِفَضْلٍ مِنْكَ أَحَدًا مِنْ أَطْعِمَةِ اللَّهِ»[(٢)].

٦-قوله: «**أطعمه الله طعاماً**» أي: ساق له هذا الطعام ليأكله. قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الطَّعامُ: اسمٌ جامعٌ لِكُلِّ مَا يُؤكَلُ، وَقَدْ طَعِمَ يَطْعَمُ طُعْماً، فَهُوَ طاعِمٌ إِذا أَكَلَ أَو ذاقَ... وقولُه تَعَالَى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَما أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾[(٣)]: مَعْنَاهُ: مَا أُريدُ أَن يَرْزُقُوا أَحداً مِنْ عِبادِي، وَلَا يُطْعِمُوه لأَني أَنا الرَّزَّاقُ المُطْعِمُ»[(٤)].

٧-قوله: «**فليقل: اللهم بارك لنا فيه**» أي: اجعل هذا الخير في نماء دائمًا واجعله عونًا لنا على طاعتك. قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «بَارِكْ لَنَا فِيهِ: مِنَ الْبَرَكَةِ وَهِيَ زِيَادَةُ الْخَيْرِ وَنُمُوُّهُ، وَدَوَامُهُ، وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ مِنْ طَعَامِ الْجَنَّةِ، أَوْ أَعَمَّ»[(٥)].

٨-قوله: «**ومن سقاه الله لبناً فليقل: اللهم بارك لنا فيه**»: قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «دليل على أن اللبن أرفع حالاً من الطعام، ووجه ذلك أن النبي ﷺ طلب أن يطعمه الله ما هو خير من الطعام»[(٦)].

٩-قوله: «**وأطعمنا خيرًا منه**» أي: من طعم الجنة العالية ذات القطوف

---

(١) لسان العرب، ٤/ ٦، مادة (أثر).
(٢) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٩٦.
(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٧.
(٤) لسان العرب، ١٢/ ٣٦٣، مادة (طعم).
(٥) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٩٦.
(٦) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ٢٢٤.

الدانية، قال الشوكاني رحمه الله: «طلب أن يطعمه الله ما هو خير من الطعام، ولم يطلب ذلك في اللبن، وإنما طلب الزيادة منه»[(١)]، وقال المباركفوري رحمه الله: «وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ مِنْ طَعَامِ الْجَنَّةِ، أَوْ أَعَمَّ»[(٢)].

١٠-قوله: «**وزدنا منه**»: قال الصنعاني رحمه الله: «لا خير من اللبن في المشروب، فيسأل إنما يطلب الزيادة منه، وقد بين ﷺ أخيريته بإغنائه، أي: إجزائه عن الطعام والشراب، فدل أن الخيرية في النفع والكفاية، لا في التلذذ والرفاهية»[(٣)].

١١-قوله: «**يجزئ**»: أي: يكفي لدفع الجوع والعطش، قال المباركفوري رحمه الله: «لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزِئُ بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ الزَّايِ بَعْدَهَا هَمْزٌ أَيْ: يَكْفِي فِي دَفْعِ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ مَعًا مَكَانَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ أَيْ: مَكَانَ جِنْسِ الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ وَبَدَلَهُمَا غَيْرُ اللَّبَنِ بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي يُجْزِئُ»[(٤)].

١٢-قوله: «**الضب**»: قال ابن منظور: «الضَّبُّ: دُوَيْبَّة مِنَ الْحَشَرَاتِ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ يُشْبِهُ الوَرَلَ؛ وَالْجَمْعُ أَضُبٌّ مِثْلُ كَفٍّ وأَكُفٍّ، وضِبابٌ وضُبَّانٌ»[(٥)].

١٣-قوله: «**مشوي**»: قال ابن منظور رحمه الله: «والشَّيُّ: مَصْدَرُ شَوَيْتُ، والشِّوَاءُ الاسمُ. وشَوَى اللَّحْمَ شَيًّا فانْشَوَى... واشْتَوَى القَوْمُ: اتَّخَذُوا شِواءً... وشَوَّاهُمْ وأَشْواهُمْ: أَطْعَمَهُم شِواءً. وأَشْواهُ لَحماً: أَطْعَمَه إِيَّاه»[(٦)].

١٤-قوله: «**ثمامتين**»: قال الخطابي رحمه الله: «الثمامتان: عودان، واحدتهما

---

(١) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ٢٢٤، والتنوير شرح الجامع الصغير، ١/ ٥٩١.

(٢) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٩٦.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ١/ ٥٩١.

(٤) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٩٦.

(٥) لسان العرب، ١/ ٥٣٨، مادة (ضبّ).

(٦) لسان العرب، ١٤/ ٤٤٦، مادة (شوي).

ثمامة، والثمام شجر دقيق العود ضعيفه»[(١)]، وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «والثُّمامُ: نَبْت مَعْرُوفٌ فِي الْبَادِيَةِ، وَلَا تَجْهَدُه النَّعَم: نَبْتٌ ضَعِيفٌ قَصِيرٌ لَا يَطُولُ... ومَا يَبِس مِنَ الأَغْصان الَّتِي توضَع تَحْتَ النَّضَدِ وبيتٌ مَثْمومٌ: مُغَطًّى بالثُّمامِ»[(٢)].

١٥-قوله: «**فتبزق**»: تكرّهاً، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «بزق: البَزْقُ والبَصْق: لُغَتَانِ فِي البُزاق، والبُصاق، بَزَق يَبْزُق بَزْقاً»[(٣)].

١٦-قوله: «**كأنك تقذره**»:قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «قذر: القَذَرُ: ضِدُّ النَّظَافَةِ؛ وَشَيْءٌ قَذِرٌ بَيِّنُ القَذارةِ... وَقَدْ قَذِرَه قَذَراً وتَقَذَّره واسْتَقْذره...والقاذورة الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا: الْفِعْلُ الْقَبِيحُ، وَاللَّفْظُ السيِئ؛ ورجل قَذُرٌ قَذِرٌ وقَذْرٌ. وَيُقَالُ: أَقْذَرْتَنا يَا فُلَانُ أَي: أَضْجَرْتَنا»[(٤)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الحث على إكرام الضيف وإن كان كثير الدخول على صاحب البيت لقرابته منه؛ لأن ميمونة هي أخت أم الفضل لبابة الكبرى الهلالية والدة ابن عباس، وأخت لبابة الصغرى الهلالية والدة خالد بن الوليد رضي الله عنهم جميعًا[(٥)].

٢-قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يجوز عندي لأحد شرب ماءً، أو لبناً، أو غير ذلك من الأشربة الحلال، وحوله من يريد أن يشرب من ذلك معه ممن به الحاجة إليه، أوليس به حاجة إليه، إذا وسعهم ذلك الشراب أن يناول من على يساره البتة بحال، فاضلاً كان أو مفضولاً، حتى يشاور من على يمينه؛ فإنه حق له بالسنة الثابتة في هذا الحديث؛ فإن أذن له فعل، وإلا فهو أحق

(١) معالم السنن، ٤/ ٢٧٦.
(٢) لسان العرب، ١٢/ ٧٩، مادة (ثمم).
(٣) لسان العرب، ١٠/ ١٩، مادة (بزق).
(٤) لسان العرب، ٥/ ٨٠، مادة (قذر).
(٥) الصواب أن أم خالد بن الوليد: لبابة الصغرى صحابية، وبه جزم الحافظ ابن حجر في الإصابة، ٨/ ١٧٨.

بالشراب من الذي على يساره، وهذا نص صحيح ثابت، لا يلتفت إلى ما خالفه من آراء الرجال، وبالله التوفيق، وهو المستعان، والشراب المذكور في هذا الحديث كان لبناً»[١].

٣-استحباب التيامن في كافة الأمور هو هديه ﷺ إلا ما استقذر، كاستنجاء أو نحوه، وإن كان من على اليسار فاضلًا، ومن كان على اليمين مفضولًا، دليل ذلك أن النبي ﷺ كان عند أنس رضي الله عنه في داره، فأعطاه لبنًا، فشرب رسول الله ﷺ وأبو بكر عن يساره، وعمر أمامه، وأعرابي عن يمينه، فلما فرغ من شربه ﷺ قال عمر: هذا أبو بكر يا رسول الله يريه إياه، فأعطى رسول الله ﷺ الأعرابي، وقال: «**الأيمنون**» ثلاثًا، قال أنس: فهي سنة، قالها ثلاثًا[٢].

٤-قال العيني رحمه الله: «وفيه فضيلة اليمين على الشمال وقد أمروا بالشرب بها والمعاطاة دون الشمال وفيه أن من استحق شيئا من الأشياء لم يدفع عنه صغيرا كان أو كبيرا إذا كان ممن يجوز إذنه»[٣].

٥-قال النووي رحمه الله: «وَتَضَمَّنَ ذَلِكَ أَيْضًا بَيَان هَذِهِ السُّنَّة، وَهِيَ أَنَّ الْأَيْمَن أَحَقّ، وَلَا يُدْفَع إِلَى غَيْره إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَأَنَّهُ لَا بَأْس بِاسْتِئْذَانِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَلْزَمهُ الْإِذْن، وَيَنْبَغِي لَهُ أَيْضًا أَلَّا يَأْذَن إِنْ كَانَ فِيهِ تَفْوِيت فَضِيلَة أُخْرَوِيَّة، وَمَصْلَحَة دِينِيَّة كَهَذِهِ الصُّورَة»[٤].

٦-واختُلف في الإيثار في الطاعات، فقيل: الإيثار المحمود إنما يكون في أمور الدنيا، وما كان فيه حظ للنفس، أما الإيثار المذموم فهو ما كان في

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢١/ ١٢١.
(٢) مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن، ونحوهما، عن يمين المبتدئ، برقم ٢٠٣٠.
(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٩/ ٩.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣/ ٢٠١.

الطاعات، فيكره أن يؤثر غيره بموضعه في الصف الأول، وكذلك نظائره[١]، وقيل: بل الإيثار بالطاعات لا بأس به، وقد يحصل المؤثر غيره على أضعاف الثواب، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في زاد المعاد: «...يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَسْأَلَ أَخَاهُ أَنْ يُؤْثِرَهُ بِقُرْبَةٍ مِنَ الْقُرَبِ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُؤْثِرَ بِهَا أَخَاهُ، وَقَوْلُ مَنْ قَالَ مِنَ الْفُقَهَاءِ: لَا يَجُوزُ الْإِيثَارُ بِالْقُرَبِ لَا يَصِحُّ، وَقَدْ آثَرَتْ عائشة عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بِدَفْنِهِ فِي بَيْتِهَا جِوَارَ النَّبِيِّ ﷺ، وَسَأَلَهَا عمر ذَلِكَ فَلَمْ تَكْرَهْ لَهُ السُّؤَالَ، وَلَا لَهَا الْبَذْلَ، وَعَلَى هَذَا فَإِذَا سَأَلَ الرَّجُلُ غَيْرَهُ أَنْ يُؤْثِرَهُ بِمَقَامِهِ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ، لَمْ يُكْرَهْ لَهُ السُّؤَالُ، وَلَا لِذَلِكَ الْبَذْلُ وَنَظَائِرُهُ، وَمَنْ تَأَمَّلَ سِيرَةَ الصَّحَابَةِ، وَجَدَهُمْ غَيْرَ كَارِهِينَ لِذَلِكَ، وَلَا مُمْتَنِعِينَ مِنْهُ، وَهَلْ هَذَا إِلَّا كَرَمٌ وَسَخَاءٌ، وَإِيثَارٌ عَلَى النَّفْسِ، بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مَحْبُوبَاتِهَا، تَفْرِيحًا لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ، وَتَعْظِيمًا لِقَدْرِهِ، وَإِجَابَةً لَهُ إِلَى مَا سَأَلَهُ، وَتَرْغِيبًا لَهُ فِي الْخَيْرِ، وَقَدْ يَكُونُ ثَوَابُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ رَاجِحًا عَلَى ثَوَابِ تِلْكَ الْقُرْبَةِ، فَيَكُونُ الْمُؤْثِرُ بِهَا مِمَّنْ تَاجَرَ فَبَذَلَ قُرْبَةً، وَأَخَذَ أَضْعَافَهَا، وَعَلَى هَذَا فَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يُؤْثِرَ صَاحِبُ الْمَاءِ بِمَائِهِ أَنْ يَتَوَضَّأَ بِهِ، وَيَتَيَمَّمَ هُوَ إِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ تَيَمُّمِ أَحَدِهِمَا، فَآثَرَ أَخَاهُ، وَحَازَ فَضِيلَةَ الْإِيثَارِ، وَفَضِيلَةَ الطُّهْرِ بِالتُّرَابِ، وَلَا يَمْنَعُ هَذَا كِتَابٌ، وَلَا سُنَّةٌ، وَلَا مَكَارِمُ أَخْلَاقٍ، وَعَلَى هَذَا، فَإِذَا اشْتَدَّ الْعَطَشُ بِجَمَاعَةٍ، وَعَايَنُوا التَّلَفَ، وَمَعَ بَعْضِهِمْ مَاءٌ، فَآثَرَ عَلَى نَفْسِهِ، وَاسْتَسْلَمَ لِلْمَوْتِ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا، وَلَمْ يُقَلْ إِنَّهُ قَاتِلٌ لِنَفْسِهِ، وَلَا أَنَّهُ فَعَلَ مُحَرَّمًا، بَلْ هَذَا غَايَةُ الْجُودِ وَالسَّخَاءِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[٢]، وَقَدْ جَرَى هَذَا بِعَيْنِهِ لِجَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي فُتُوحِ الشَّامِ، وَعُدَّ ذَلِكَ مِنْ مَنَاقِبِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ، وَهَلْ

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣/ ٢٠١.
(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

إِهْدَاءُ الْقُرَبِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهَا، وَالْمُتَنَازَعِ فِيهَا إِلَى الْمَيِّتِ إِلَّا إِيثَارٌ بِثَوَابِهَا، وَهُوَ عَيْنُ الْإِيثَارِ بِالْقُرَبِ، فَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ أَنْ يُؤْثِرَهُ بِفِعْلِهَا لِيُحْرِزَ ثَوَابَهَا، وَبَيْنَ أَنْ يَعْمَلَ ثُمَّ يُؤْثِرَهُ بِثَوَابِهَا، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ»[(١)].

٧-فعل ابن عباس رضي الله عنهما دليل على فطنته، رغم أنه كان غلامًا، وإنما فعل ذلك ليشرب من المكان الذي شرب منه النبي ﷺ تبركًا بريقه الشريف، وهذا من خصائصه ﷺ، ولاتنسحب إلى أحد من الأمة، مهما علا قدره.

٨-استحباب تقديم اللبن للضيف لفعل الصحابة رضي الله عنهم ذلك كثيرًا، وإن قُدم غيره لا شيء في ذلك، إلا أن اللبن أنفع من غيره، قال الحافظ: وبه يشتد العظم، وينبت اللحم، وهو بمجرده قوت، ولا يدخل في السرف بوجه، وهو أقرب إلى الزهد[(٢)]. وهو إشارة إلى الفطرة، ولذلك اختاره النبي ﷺ ليلة المعراج[(٣)]، لمَّا خير بين اللبن والعسل والخمر – أي خمر الجنة.

٩-**قال ابن عبد البر** رحمه الله: «وفي هذا الحديث من الفقه أن من وجب له شيء من الأشياء، لم يدفع عنه، ولم يتسور عليه فيه إلا بإذنه، صغيراً كان أو كبيراً، إذا كان ممن يجوز له إذنه، وليس هذا موضع «كبّر، كبّر»؛ لأن السن إنما يراعى عند استواء المعاني والحقوق، وكل ذي حق أولى بحقه أبداً، والمناولة على اليمين من الحقوق الواجبة في آداب المجالسة»[(٤)].

١٠-وفي هذا الحديث دليل على أن الجلساء شركاء في الهدية، وذلك على جهة: الأدب، والمروءة، والفضل، والأخوة، لا على الوجوب؛ لإجماعهم على أن

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/ ٤٤٢.
(٢)انظر: فتح الباري ١٠/ ٨٧،.
(٣) البخاري، كتاب الأشربة، باب شرب اللبن، برقم ٥٦١٠.
(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢١/ ١٢٣.

المطالبة بذلك غير واجبة لأحد، وبالله التوفيق[١].

١١-استحباب قول: «**اللَّهم بارك لنا فيه وزدنا منه**» بعد شرب اللبن واستحباب المضمضة منه بعد شربه لقوله ﷺ: «**إن له لدسمًا**»[٢].

١٢-في قوله ﷻ: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ**﴾[٣]، قال الجزائري: «فسبحان ذي القدرة العجيبة، والعلم الواسع، والحكمة التي لا يقادر قدرها، اللبن يقع بين الفرث والدم، والفرث هو الروث الموجود في الكرش، فينقل الدم إلى الكبد، فيوزعه على العروق لبقاء حياة الحيوان، واللبن يساق إلى الضرع، والفرث يبقى أسفل الكرش، ويخرج اللبن خالصًا من شائبة الدم، وشائبة الفرث، فلا يرى ذلك في لون اللبن، ولا يشم في رائحته، ولا يوجد في طعمه، بدليل أنه سائغ للشاربين، حقًّا إنها عبرة من أجلّ العبر، تنقل صاحبها إلى نور العلم، والمعرفة بالله في جلاله وكماله، فتورثه محبة الله، وتدفعه إلى طاعته، والتقرب إليه»[٤].

***

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢١/ ١٢٣.

(٢) البخاري، كتاب الوضوء، باب هل يمضمض من اللبن، برقم ٢١١.

(٣) سورة النحل، الآية: ٦٦.

(٤) تفسير الجزائري، ص ٨٩٤.

٧٠ – الدُّعَاءُ عِنْدَ الفَرَاغِ مِنَ الطَّعَامِ

١٨٠- (١) «الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ، مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦١٢-لفظ أبي داود عَنْ معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه(٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَا تَأَخَّرَ، وَمَنْ لَبِسَ ثَوْبًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»(٣).**

٦١٣-ولفظ الترمذي وغيره: عن مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٤).**

---

(١) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي: أبو داود، كتاب اللباس، باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً، برقم ٤٠٢٥، والبيهقي في شعب الإيمان، ٥/ ١٨١، وفي الدعوات الكبير له، ٢/ ٧٥، وبدون لفظ: «وما تأخر» أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا فرغ من الطعام، برقم ٣٤٥٨، وابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب ما يقال إذا فرغ من الطعام، برقم ٣٢٨٥، وحسنه الألباني في ضعيف أبي داود، برقم ٣٥٠٥، دون لفظ: «وما تأخر» وفي صحيح الترمذي، ٣/١٥٩، وصحيح ابن ماجه، برقم ٢٦٥٦، وحسن الحافظ ابن حجر رواية أبي داود في نتائج الأفكار، ١/ ١٢٢، وفي الخصال المكفرة، ص ٧٥.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٦ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٤٠٢٥، وحسنه الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار، ١/ ١٢٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الترمذي، برقم ٣٤٥٨، وابن ماجه، برقم ٣٢٨٥، وحسنه الألباني صحيح الترمذي، ٣/١٥٩، وصحيح ابن ماجه، برقم ٢٦٥٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**من أكل طعاماً**»: قال ابن علان رحمه الله: «ظاهر عمومه، ولو على وجه التداوي، لشمول الطعام له لغة وشرعاً، كما ذكره الفقهاء في باب الربا، وعدم حنث من حلف لا يأكل طعاماً، يتناوله من حيث إن مدار الأيمان على العرف، وهو لا يعدّه طعاماً»[١].

٢-قوله: «**الحمد لله**»: قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»[٢]، وقال الطيبي رحمه الله: «الحمد: الثناء على قدرته؛ ... فيشكر على ما أولى العباد بسبب الانتقال من النعم الدينية، والدنيوية ما لا يحصى»[٣].

٣-قوله: «**الذي أطعمني هذا**»: أي: جعلني آكله وأشعر بلذة طعمه فإن هذا من النعم. قال ابن منظور رحمه الله: «الطَّعامُ: اسمٌ جامعٌ لِكُلِّ مَا يُؤكَلُ»[٤]

٤-قوله: «**ورزقنيه**»: أي: يسره لي، فهو صاحب الفضل والنعمة. قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «ارزقني: يعني الرزق الذي يقوم به البدن: من الطعام، والشراب، واللباس، والمسكن، وغير ذلك، والرزق الذي يقوم به القلب، وهو العلم النافع، والعمل الصالح، وهذا يشمل هذا وهذا، فالرزق نوعان: رزق يقوم به البدن، ورزق يقوم به القلب، والدين، والإنسان إذا قال: ارزقني، فهو يسأل الله هذا وهذا»[٥]

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٢.

(٢) بدائع الفوائد، ٢/٥٣٧، وانظرها بتفصيل أكثر في شرح مفردات الحديث رقم ٢ من أحاديث المتن، في المفردة رقم ٤، ورقم ٧.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة الثانية من حديث المتن رقم ١٠٨.

(٤) لسان العرب، ١٢/ ٣٦٣، مادة (طعم)، وتقدم في شرح المفردة السادسة من حديث المتن رقم ١٧٩.

(٥) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٦٩، وتقدم الكلام على الرزق مستوفى في المفردة رقم ٦ من حديث المتن رقم ٤٩.

٥-قوله: «**من غير حول مني ولا قوة**»: أي: من غير قوة مني، تشق عليَّ ولا حيلة، بل بفضلك وحدك ورزقك، وتوفيقك، وإعانتك[١]. قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «ومعنى ذلك أنه لولا أن الله تعالى يسّر لك هذا الطعام، ما حصل لك، كما قال تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُغْرَمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ**﴾[٢]، فالإنسان لولا أن الله ييسّر له الطعام من حين أن يبذر، ثم ينبت، ثم يحصد، ثم يحضر إليه، ثم يطحن، ثم يعجن، ثم يطبخ، ثم ييسّر الله له الأكل ما تيسّر له ذلك؛ ولهذا قال بعض العلماء إن الطعام لا يصل إلى الإنسان ويقدم إليه إلا وقد سبق ذلك نحو مائة نعمة من الله لهذا الطعام، ولكننا أكثر الأحيان في غفلة عن هذا، نسأل الله أن يطعمنا وجميع المسلمين الطعام الحلال، وأن يرزقنا شكر نعمته، إنه على كل شيء قدير»[٣].

٦-قوله: «**غُفر له ما تقدم من ذنبه**»: قال ابن منظور: «الغَفر: التَّغْطِيَةُ، وَالسَّتْرُ،... غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي: سَتَرَهَا... والغَفْرُ، والمَغْفِرةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ، والعفوُ عَنْهَا»[٤]، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «بِمَعنَى أَنَّ الله أَخبَرَ أَنَّهُ لا يُؤاخِذهُ بِذَنبٍ لَو وقَعَ مِنهُ»[٥].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-حمد الله وشكره على نعمه من أسباب رضا الله على العبد، قال رسول

---

(١) الكلم الطيب، تعليق الشيخ: محمد النجدي، ٥٩.
(٢) سورة الواقعة، الآيات: ٦٣- ٦٧.
(٣) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٧٣٥.
(٤) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم مستوفى في المفردة الثانية من مفردات ألفاظ الحديث رقم ٤٨ من أحاديث المتن.
(٥) فتح الباري، ١١/ ٤٣٦.

الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»[1].

٢-الأرزاق التي يسوقها الله لعباده هي إنعام منه عليهم وكل ما يبذله العبد من سبب شرعي إنما هو بتوفيق الله وتذليله لهذه الأسباب.

٣-إظهار افتقار المسلم لربه يقوي في قلبه عبوديته لله تعالى.

٤-البشارة النبوية الكريمة لقائل هذا الذكر بالمغفرة لقوله ﷺ في نهاية الحديث: «**غفر له ما تقدم من ذنبه**».

٥-من جملة الآداب النبوية إضافة إلى ما مضى:

الأدب الأول: الأكل باليمين والأكل مما يلي الآكل لقوله ﷺ: «**سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك**»[2]، إلا إذا كان الآكل يأكل وحده فلا حرج عليه أن يأكل من الطرف الآخر لأنه لا يؤذي أحدًا بذلك ولكنه لا يأكل من الوسط لأن البركة تنزل فيها. ولكن يجوز للإنسان إذا كان الطعام أنواعًا كلحم أو غيره أن تتخطى يده ما يليها لأن النبي ﷺ كان يتتبع الدباء من الصحفة ويأكلها[3].

الأدب الثاني: عدم الأكل إلا إذا أتى كبير القوم، أو أذن لهم في ذلك؛ لقول حذيفة رضي الله عنه: كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعامًا لم نضع أيدينا حتى يضع رسول الله ﷺ يده[4].

الأدب الثالث: عدم عيب الطعام لقول أبي هريرة رضي الله عنه: «ما عاب رسول الله

---

(١) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، برقم ٢٧٣٤.

(٢) البخاري، كتاب الأطعمة، باب الأكل مما يليه، برقم ٥٣٧٨.

(٣) البخاري، كتاب الأطعمة، باب من تتبع حوالي القصعة مع صاحبه إذا لم يعرف منه كراهية، برقم ٥٣٧٩.

(٤) مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، برقم ٢٠١٧.

ﷺ طعامًا قط. إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه»[١].

الأدب الرابع: عدم النفخ في الطعام والشراب لقول ابن عباس رضي الله عنهما: «نهى النبي ﷺ أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه»[٢]. وفي لفظ: «**نهى عن النفخ في الطعام والشراب**»[٣]. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «**لا يؤكل طعام حتى يذهب بخاره**»[٤].

الأدب الخامس: غسل اليد بعد الطعام لقوله ﷺ: «**مَنْ نَامَ وَفِي يَدِهِ غَمَرٌ وَلَمْ يَغْسِلْهُ، فَأَصَابَهُ شَيْءٌ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَه**»[٥]، ومعنى غمر أي: الدسم، والوسخ، والعلة من هذا أن الهوام، أو الجان، وذوات السموم ربما تقصده لرائحته فتؤذيه. أما حديث: «**بركة الطعام في الوضوء قبله والوضوء بعده**» ففي ثبوته نظر[٦].

٦-تضمن هذا الذكر إثبات أن الرزاق من أسماء الله الحسنى، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾[٧] ومعناه المتكفل بالرزق لجميع خلقه.

---

(١) البخاري، كتاب الأطعمة، باب ما عاب النبي ﷺ طعاماً قط، برقم ٥٤٠٩.

(٢) أبو داود، كتاب الأشربة، باب في النفخ في الشراب والتنفس فيه، برقم ٣٧٢٨، وصححه الألباني، في صحيح سنن أبي داود، ٣٧٢٨.

(٣) أحمد، ٥/ ٢٦، برقم ٢٨١٧، وابن أبي شيبة، ٥/ ١٠٧، برقم ٢٤١٧٩، وصحح إسناده محققو المسند، ٥/ ٢٧، والألباني، في إرواء الغليل، ٧/ ٣٦.

(٤) البيهقي في السنن الكبرى، ٧/ ٢٨٠، وفي شعب الإيمان له، ٥/ ٩٣، وحسن إسناده محققو مسند الإمام أحمد، ٢٨/ ٦٣٩، والألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ٧/ ٣٧.

(٥) أخرجه أحمد، ١٣/ ١٦، برقم ٧٥٦٩، وأبو داود، كتاب الأطعمة، باب في غسل اليد من الطعام، برقم ٣٨٥٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/٢٧٦، وصححه محققو المسند، والألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٣٨٥٢.

(٦) أبو داود، كتاب الأطعمة، باب في كراهية ذم الطعام، برقم ٣٧٦٣، الترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الوضوء قبل الطعام وبعده، برقم ١٨٤٦، مسند أحمد، برقم ٢٣٧٣٣، وضعفه محققو المسند، والمستدرك للحاكم، ٤/ ١٠٧، والألباني في ضعيف سنن الترمذي، برقم ٣١٢، والسلسلة الضعيفة، برقم ١٦٨، وقواه ابن التركماني في الجوهر النقي على سنن البيهقي، لابن التركماني، ٧/ ٢٧٦، وقال المنذري في الترغيب والترهيب، ٣/ ١٠٩، برقم ٣٢٧٤: «قيس بن الربيع صدوق وفيه كلام لسوء حفظه لا يخرج الإسناد عن حد الحسن».

(٧) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾[(١)]، قال العلامة السعدي رحمه الله: ورزقه لعباده نوعان:

النوع الأول: رزق عام، شمل البر والفاجر، والأولين والآخرين، وهو رزق الأبدان.

النوع الثاني: ورزق خاص، وهو رزق القلوب، وتغذيتها بالعلم والإيمان[(٢)].

٧-قال المناوي رحمه الله: «وفي الحديث دليل على جواز الشبع، وردٌّ على من كرهه من الصوفية، والمكروه منه ما يزيد على الاعتدال، وهو الأكل بكل البطن، حتى لا يترك للماء، ولا للنفس مساغاً، وحينئذ قد ينتهي إلى التحريم»[(٣)].

***

١٨١- (٢) «الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلاَ مُوَدَّعٍ، وَلاَ مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا»[(٤)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦١٤-لفظ أبي داود عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه[(٥)] قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رُفِعَتِ الْمَائِدَةُ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مَكْفِيٍّ، وَلاَ مُوَدَّعٍ،**

---

(١) سورة هود، الآية: ٦.

(٢) تفسير السعدي، ص ٩٤٧.

(٣) فيض القدير، ٦/ ١١٠.

(٤) البخاري، كتاب الأطعمة، باب ما يقول إذا فرغ من طعامه، برقم ٥٤٥٨، ورقم ٥٤٥٩، وأبو داود، كتاب الأطعمة، باب ما بقول الرجل إذا طعك، برقم ٣٨٤٩، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا فرغ من الطعام، برقم ٣٤٥٦، وابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب ما يقال إذا فرغ من الطعام، برقم ٣٢٨٤، وسنن الدارمي، ٢/ ١٢٨٧، برقم ٢٠٦٦.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٥٢ من أحاديث الشرح.

وَلاَ مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبُّنَا».

٦١٥- لفظ البخاري عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا»[1].

٦١٦-وفي لفظ آخر للبخاري، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ - وَقَالَ مَرَّةً: إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ - قَالَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَانَا وَأَرْوَانَا، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلاَ مَكْفُورٍ» وَقَالَ مَرَّةً: «الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّنَا، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلاَ مُوَدَّعٍ وَلاَ مُسْتَغْنًى، رَبَّنَا»[2].

٦١٧-ولفظ الدارمي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ، غَيْرَ مَكْفُورٍ، وَلاَ مُوَدَّعٍ، وَلاَ مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا»[3].

٦١٨-ورواية للحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْهُ[4]، قَالَ: دَعَا رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ مِنْ أَهْلِ قُبَاءَ النَّبِيَّ ﷺ فَانْطَلَقْنَا مَعَهُ، فَلَمَّا طَعِمَ وَغَسَلَ يَدَيْهِ - أَوْ قَالَ: يَدَهُ - قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ، مَنَّ عَلَيْنَا فَهَدَانَا، وَأَطْعَمْنَا، وَسَقَانَا، وَكُلَّ بَلاَءٍ حَسَنٍ أَبْلاَنَا، الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مُوَدَّعٍ، وَلاَ مُكَافَئٍ، وَلاَ مَكْفُورٍ، وَلاَ مُسْتَغْنًى عَنْهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ مِنَ الطَّعَامِ، وَسَقَى مِنَ الشَّرَابِ، وَكَسَا مِنَ الْعُرْيِ، وَهَدَى مِنَ الضَّلاَلَةِ، وَبَصَّرَ مِنَ الْعَمَايَةِ، وَفَضَّلَ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»[5].

٦١٩-عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ رَجُلٌ خَدَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثَمَانِ

---

(١) البخاري، برقم ٥٤٥٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) البخاري، برقم ٥٤٥٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) أبو داود، ٣٨٤٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) الحاكم، ١/ ٥٤٦، وأخلاق النبي لأبي الشيخ، ص ٢٣٦، برقم ٦٨٠، وصححه محقق أخلاق النبي ﷺ.

سِنِينَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ طَعَامُهُ يَقُولُ: «**بِسْمِ اللَّهِ**» وَإِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ: «**اللهُمَّ أَطْعَمْتَ وَأَسْقَيْتَ، وَأَغْنَيْتَ وَأَقْنَيْتَ، وَهَدَيْتَ وَأَحْيَيْتَ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَعْطَيْتَ**»[١].

٦٢٠-عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه[٢]، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ، وَسَقَى، وَسَوَّغَهُ، وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا**»[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**الحمد لله**»: الحمد هو الوصف بالجميل، والله لفظ الجلالة علم على ذات الرب عز وجل. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»[٤]، وقال الطيبي رحمه الله: «الحمد: الثناء على قدرته؛ ... فيشكر على ما أولى العباد بسبب الانتقال من النعم الدينية، والدنيوية ما لا يحصى»[٥].

٢-قوله: «**حمدًا كثيرًا**»: المراد بالكثرة عدم النهاية لحمده، كما لا نهاية لنعمه، فله الحمد من قبل، ومن بعد. قال الطيبي رحمه الله: «حمداً» نصب بفعل

---

(١) مسند أحمد، ٢٧/ ١٤٠، برقم ١٦٥٩٥، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الدعاء بعد الأكل، نوع آخر، برقم ٦٨٩٨، وابن السني في عمل اليوم والليلة، ٤١٦، برقم ٤٦٥، وصححه محققو المسند، والألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٧٦٨.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣١٨ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، كتاب الأطعمة، باب ما يقول الرجل إذا طعم، برقم ٣٨٥١، والنسائي في الكبرى، كتاب الدعاء بعد الأكل، القول بعد الشرب، برقم ٦٨٩٤، وابن السني في عمل اليوم والليلة، ص ٢٣، برقم ٤٧٠، وصحيح ابن حبان، ١٢/ ٢٤، برقم ٥٢٢٠، وصحح إسناده النووي في الأذكار، ص ٢٩٥، ومحققو ابن حبان، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٢/ ٣٢٢، برقم ٧٠٥.

(٤) بدائع الفوائد، ٢/٥٣٧، وانظرها بتفصيل أكثر في شرح مفردات الحديث رقم ٢ من أحاديث المتن، في المفردة رقم ٤، ورقم ٧.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة الثانية من حديث المتن رقم ١٠٨.

مضمر دل عليه الحمد، ويحتمل أن يكون بدلاً عنه جارياً على محله»[١].

٣-قوله: «طيبًا»: لأن الله طيب في إنعامه وأفعاله وأسمائه وصفاته. قال الطيبي رحمه الله: « و«طيباً» وصف له، أي خالصاً عن الرياء والشبهة»[٢]، وقال ابن علان رحمه الله: «(طيباً) أي منزهاً عن سائر ما ينقصه من رياء، أو سمعة أو إخلال بإجلال»[٣].

٤-قوله: «مباركًا فيه» أي: لا ينقطع؛ لأن البركة زيادة ونماء على الدوام. قال ابن علان رحمه الله: «مباركاً فيه» يقتضي بركة وخيراً كثيراً، تترادف أرفاده، وتتضاعف أمداده»[٤]، وقال الزبيدي: «... ولمّا كانَ الخَيرُ الإلهي يَصْدُرُ من حيثُ لا يُحَسّ، وعلى وجهٍ لا يُحْصَى، ولا يُحْصَرُ، قِيل لكُلِّ ما يُشاهَدُ منه زيادَةٌ غيرُ مَحْسَوسة: هو مُبارَكٌ، وفيه بَرَكَةٌ»[٥].

٥-قوله: «غير مكفي» أي: غير محتاج إلى الطعام فيُكفى لكنه يُطعم فيكفي[٦]. وقيل: غير مردود عليه إنعامه من كفأت الإناء إذا قلبته. قال ابن الأثير رحمه الله: «قوله: غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا، مكفي: المكفي: المقلوب، من قولك: كفأت القدر: إذا قلبتها، والضمير راجع إلى الطعام، فالله سبحانه هو المطعم والكافي، وهو غير مطعم، ولا مكفي، فالمكفيّ: الإناء المقلوب للاستغناء عنه، كما قال: «غير مستغنى عنه» أو لعدمه[٧]. معناه أن الله

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ٩٩١
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ٩٩١
(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٦/ ٢١)
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ٩٩١
(٥) تاج العروس للزبيدي، ٢٧/ ٥٧، مادة (برك).
(٦) العلم الهيب صـ ٤٦٦.
(٧) انظر: جامع الأصول لابن الأثير، ٤/ ٣٠٧، معالم السنن، لأبي سليمان الخطابي، ٣/ ١٠٣.

سبحانه هو المطعم والكافي وهو غير مطعَم ولا مكفي كما قال سبحانه : ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ﴾[1]»[2].

٦-قوله: «ولا مودَّع» أي: غير متروك الطلب منه، وبكسر الدال أي: أن الداعي غير تارك لدعائه والطلب منه، فقوله : «ولا مودع» أي : غير متروك الطلب إليه، والرغبة فيما عنده ، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾[3]، أي: ما تركك ، ومعنى المتروك. المستغنى عنه»[4].

٧-قوله: «غير مكفور»: قال الحربيّ: «وقوله غير مكفور: أي: غير مجحود نِعمَ الله ﷻ فيه، بل مشكورة، غير مستور الاعتراف بها، والحمد عليها أن الضمير يعود إليه، وأن معنى قوله غير مكفيّ: أنه يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ كأنه على هذا من الكفاية، وإلى هذا ذهب غيره في تفسير هذا الحديث: أي: إن الله تعالى مستغنٍ عن معين وظهير»[5]، وقال القاضي عياض رحمه الله: «غَيْرَ مَكْفُورٍ: غير مجحود نعمة الله فيه، بل مشكورة غير مستورة الاعتراف بها، والحمد والشكر عليها، وذهب الخطابي إلى أن المراد بهذا الدعاء كله: الباري سبحانه، وأن الضمير يعود إليه، وأن معنى قوله: «غَيْرَ مَكْفِيِّ» أي: أنه يُطعِم ولا يُطعَم، كأنه هاهنا من الكفاية، وإلى هذا ذهب غيره في تفسير هذا الحرف، أي: أنه تعالى مستغن عن معين وظهير، أي: لا نكفر نعمتك علينا بهذا الطعام، فعلى هذا : التفسير الثاني يحتاج أن يكون قوله: «ربنا» مرفوعاً،

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤.

(٢) جامع الأصول، ٤/ ٣٠٧.

(٣) سورة الضحى، الآية: ٣.

(٤) جامع الأصول، ٤/ ٣٠٧.

(٥) الأذكار النووية للإمام النووي، ص ٢٩٣.

أي: ربنا غير مكفي ولا مودع، ولا مستغنى عنه، وعلى التفسير الأول: يكون «ربنا» منصوباً على النداء المضاف، وحرف النداء محذوف، أي: يا ربنا، ويجوز أن يكون الكلام راجعاً إلى الحمد، كأنه قال: حمداً كثيراً مباركاً فيه غير مكفي ولا مودع، ولا مستغنى عنه، أي: عن الحمد، ويكون «ربنا» منصوباً أيضاً كما سبق[١].

٨-قوله: «**ولا مستغنى عنه ربُّنا**»: بالرفع أي: هو ربنا وبالنصب على المدح أو الاختصاص أو بالنصب على النداء مع حذف أداة النداء[٢]، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: « وقوله: «**ولا مودّع**»: أي غير متروك الطلب منه والرغبة إليه، وهو بمعنى المستغنى عنه، وينتصب ربنا على هذا بالاختصاص، أو المدح، أو بالنداء، كأنه قال: يا ربنا اسمع حمدنا، ودعاءنا، ومن رفعه قطعه وجعله خبراً، وكذا قيده الأصيلي، كأنه قال: ذلك ربّنا: أي أنت ربنا، ويصحّ فيه الكسر على البدل من الاسم في قوله الحمد لله»[٣].

٩-قوله: «**كسا من العري** »: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقال: كَسَوْت فلاناً أَكْسُوه كِسْوةً إذا أَلبسته ثوباً، أَو ثياباً،... يقال كَسِيَ يَكْسَى ضدّ عَرِيَ يَعْرَى»[٤]، «والعُرْيُ: خلافُ اللُّبْسِ، عَرِيَ من ثَوْبه يَعْرَى عُرْياً وعُرْيَةً، فهو عارٍ، وتَعَرَّى، ... ورَجلٌ عُرْيانٌ، والجمع عُرْيانون»[٥].

١٠-قوله: «**هدى من الضلالة**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أَسماء الله

(١) مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ٣/ ٣٧٩.
(٢) تعليق الشيخ النجدي على الكلم الطيب ، ص ٦٠.
(٣) الأذكار للإمام النووي، ص ٢٩٤.
(٤) لسان العرب، ١٥/ ٢٢٣، مادة (كسا).
(٥) لسان العرب، ١٥/ ٤٤، مادة (عري).

تعالى سبحانه: (الهادي) قال ابن الأثير: هو الذي بَصَّرَ عِبادَه، وعرَّفهم طَرِيقَ معرفته حتى أَقرُّوا بِرُبُوبيَّته، وهَدى كل مخلوق إلى ما لا بُدَّ له منه في بَقائه، ودَوام وجُوده، الهُدى: ضدّ الضلال، وهو الرَّشادُ، ...الهُدَى، أَي: الصِّراط الذي دَعا إِليه هو طَرِيقُ الحقّ»[١].

١١-قوله: «**بصَّر من العماية**»: في اللسان أن التبصير التبيين، فناقة ثمود مبصرة أي: إنها تُبَصِّرهم، أَي تَجْعَلُهُمْ بُصَراء... والبَصِيرَةُ: الحجةُ وَالِاسْتِبْصَارُ فِي الشَّيْءِ»[٢]، وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأَعْمَى عن الحَق: وهو الكافِر، والبَصِير وهو المؤمن الذي يُبْصِر رُشْدَهُ، ... عَمِيَ فلانٌ عن رُشْدِه، وعَمِيَ عليه طَرِيقُه إذا لم يَهْتَدِ لِطَرِيقه... والعماية: الجهالة بالشيء، وعَمايَة الجاهِلَّيةِ: جَهالَتها»[٣].

١٢-قوله: «**وفضل على كثير ممن خلق تفضيلاً**»: قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا﴾[٤]: «ذكر لنا أن ذلك تمكنهم من العمل بأيديهم، وأخذ الأطعمة والأشربة بها ورفعها بها إلى أفواههم، وذلك غير متيسر لغيرهم من الخلق...﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ﴾ في اليدين يأكل بهما، ويعمل بهما، وما سوى الإنس يأكل بغير ذلك...»[٥]، وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفضل: الزيادة عن الاقتصاد، وذلك ضربان: محمود: كفضل العلم، والحلم، ومذموم: كفضل الغضب على ما يجب أن

---

(١) لسان العرب، ١٥/ ٣٥٣، مادة (هدي).

(٢) انظر: لسان العرب، ٤/ ٦٥، مادة (بصر).

(٣) لسان العرب، ١٥/ ٩٥، مادة (عمي).

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٥) تفسير الطبري، ١٧/ ٥٠١.

يكون عليه». والفضل في المحمود أكثر استعمالاً، والفضول في المذموم، والفضل إذا استعمل لزيادة أحد الشيئين على الآخر فعلى ثلاثة أضرب: فضل من حيث الجنس، كفضل جنس الحيوان على جنس النبات، وفضل من حيث النوع، كفضل الإنسان على غيره من الحيوان... وفضل من حيث الذات، كفضل رجل على آخر، فالأولان جوهريان، لا سبيل للناقص فيهما أن يزيل نقصه، وأن يستفيد الفضل، كالفرس والحمار لا يمكنهما أن يكتسبا الفضيلة التي خص بها الإنسان»[(١)].

١٣-قوله: «**أقنيت**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ الله: «الْقَنَا: الرِّضَا، وَأَقْنَاهُ إِذَا أَرْضَاهُ»[(٢)]، ومعنى أقنيت أي: أرضيت وهذا امتثال لقوله عز وجل: ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾[(٣)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-استحباب حمد الله عز وجل بعد الطعام وهذا من شكر واهب النعم سبحانه وتعالى وعدم جحودها، قال ابن الملقن: «أهل العلم يستحبون حمد الله تعالى عند تمام الأكل؛ أخذًا بحديث الباب وغيره، فقد روي عنه ﷺ في ذَلِكَ أنواع من الحمد والشكر»[(٤)].

٢-على العبد أن يتأمل نعم الله في الأكلة التي يأكلها والشربة التي يشربها وكيف أنها تمر بمراحل عديدة حتى ينتفع بها العبد وكيف يتخلص الجسم مما لا فائدة منه، أما حديث: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين**»، وإن كان صحيح المعنى إلا أن أهل العلم ضعفوه[(٥)].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٩٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ١١٨، مادة (قنا).

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٦/ ٢٤٦.

(٥) أبو داود، كتاب الأطعمة، باب ما يقول الرجل إذا طعم، برقم ٣٨٥٠، وسنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا فرغ من طعامه، برقم ٣٤٥٧، والسنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل =

٣-هذه الأنواع من الأدعية لا يتعين واحد منها بل يتخير المسلم أيها شاء والأفضل له أن ينوعها عملًا بالسنة جميعها وكذا يقولها المحدث والجنب والحائض؛ لأن هذا ذكر، وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ[(١)].

٤-«**الطيب**»: من أسماء الله تعالى. قال ﷺ: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا...**» الحديث[(٢)] وله من الحمد أطيبه أي: أطهره فحري بالمؤمن أن يتحلى بصفة الطيبة في مأكله ومشربه وأعماله وأقواله ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾[(٣)]، وقال النبي ﷺ: «**مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَحُولَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ مِلْءُ كَفٍّ مِنْ دَمٍ يُهْرِيقُهُ كَأَنَّمَا يَذْبَحُ دَجَاجَةً ، كُلَّمَا تَقَدَّمَ لِبَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لاَ يُدْخِلَ بَطْنَهُ إِلاَّ طَيِّبًا ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَا يُنْتِنُ مِنَ الإِنْسَانِ بَطْنُهُ**»[(٤)] وقال: «**والذي نفس محمد بيده إن المؤمن كمثل النخلة أكلت طيبًا ووضعت طيبًا**»[(٥)].

٥-الدعاء المشهور على ألسنة بعض الناس وهو قولهم: «الحمد لله حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده»[(٦)]، لم يثبت عن النبي ﷺ، قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

= اليوم والليلة، ما يقول إذا شرب اللبن وذكر الاختلاف على علي بن زيد بن جدعان في خبر بن عباس فيه، برقم ١٠١٢٠، ومسند أحمد، ١٧/ ٣٧٥، برقم ١١٢٧٦، وضعفه محققو المسند، والألباني في ضعيف أبي داود ، برقن ٣٣٥٢، وضعيف ابن ماجه، برقم ٣٢٨٣.

(١) البخاري معلقاً، كتاب الأذان، باب هل يتتبع المؤذن فاه ههنا وههنا، وهل يلتفت في الأذان، قبل الحديث رقم، ٦٣٤، ومسلم موصولاً، كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها، برقم ٣٧٣.

(٢) مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، برقم ١٠١٥.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٤) المعجم الكبير للطبراني، ٢/ ١٦٠، برقم ١٦٦٢، والبيهقي في شعب الإيمان، ٧/ ٢٦٠، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، ٤/ ٢٩٣، برقم ٢٣١٤، وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٤٤٤.

(٥) مصنف عبد الرزاق، ١١/ ٤٠٤، برقم ٢٠٨٥٢، والبعث والنشور للبيهقي، ص ١٠٨، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٢٨٨.

(٦)قال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار، ٣/ ٢٨٩: «رجاله ثقات، لكن محمد بن النضر لم يكن =

«هذا الحديث ليس في الصحيحين، ولا في أحدهما، ولا يعرف في شيء من كتب الحديث المعتمدة، ولا له إسناد معروف»[(١)]، وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: «المخلوق إذا أنعم عليك بنعمة أمكنك أن تكافيه بالجزاء، أو بالثناء، والله عَزَّوَجَلَّ لا يمكن أحداً من العباد أن يكافيه على إنعامه أبداً، فإن ذلك الشكر من نعمه أيضاً، أو نحو هذا من الكلام، فأين هذا من قوله في الحديث المروي عن آدم: «حمداً يوافي نعمه، ويكافيء مزيده» وقولهم: إن معناه يلاقي نعمه، فتحصل مع الحمد كأنهم أخذوه من قولهم: وافيت فلاناً بمكان كذا وكذا، إذا لاقيته فيه، ووافاني إذ لقيني، والمعنى على هذا: يلتقي حمده بنعمه، ويكون معها، وهذا ليس فيه كبير أمر، ولا فيه أن مسبب الحمد النعم وحالها، وإنما فيه اقترانه بها، وملاقاته لها اتفاقاً، ومعلوم أن النعم تلاقيها من الأمور الاتفاقية ما لا يكون سبباً في حصولها، فليس بين هذا الحديث، وبين النعم ارتباط يربط أحدهما بالآخر، بل فيه مجرد الموافاة والملاقاة التي هي أعم من الاتفاقية، والسببية معنى يكافي مزيده، وكذلك قولهم: يكافي مزيده أي: يكون كفواً لمزيده، ويقوم بشكر ما زاده الله من النعم والإحسان، وهذا يحتمل معنى صحيحاً، ومعنى فاسداً، فإن أريد أن حمد الله، والثناء عليه، وذكره أجلّ، وأفضل من النعم التي أنعم بها على العبد،

=

صاحب حديث، ولم يجئ عنه شيء مسند».

(١) صيغ الحمد، للإمام ابن القيم، طبعة دار العاصمة، ص ٢٠، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ أيضاً في عدة الصابرين، ص ١١٤: «فهذا ليس بحديث عن رسول الله، ولا عن أحد من الصحابة، وانما هو إسرائيلي عن آدم، ... ولا يمكن حمد العبد وشكره أن يوافي نعمة من نعم الله، فضلاً عن موافاته جميع نعمه، ولا يكون فعل العبد وحمده مكافئاً للمزيد، ولكن يحمل على وجه يصح، وهو أن الذي يستحقه الله سبحانه من الحمد حمداً يكون موافياً لنعمه، ومكافئاً لمزيده، وإن لم يقدر العبد أن يأتي به، كما إذا قال: الحمد لله ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، وعدد الرمال والتراب والحصى والقطر، وعدد أنفاس الخلائق، وعدد ما خلق الله، وما هو خالق، فهذا إخبار عما يستحقه من الحمد، لا عما يقع من العبد من الحمد» ا. هـ.

من رزقه، وعافيته، وصحته، والتوسعة عليه في دنياه، فهذا حق يشهد له قوله: «ما أنعم الله على عبد بنعمة، فقال: الحمد لله إلا كان ما أعطى أفضل مما أخذ» رواه ابن ماجه، فإن حمده لولي الحمد نعمة أخرى، هي أفضل، وأنفع له، وأجدى عائده من النعمة العاجلة؛ فإن أفضل النعم، وأجلّها على الإطلاق، نعمة معرفته تعالى، وحمده وطاعته، فإن أريد أن فعل العبد يكون كفو النعم، ومساوياً لها بحيث يكون مكافئا للنعم عليه، وما قام به من الحمد ثمناً لنعمه، وقياماً منه بشكر ما أنعم عليه به، وتوفية له؛ فهذا من أمحل المحال؛ فإن العبد لو أقدره الله على عباده الثقلين، لم يقم بشكر أدنى نعمة عليه»[1].

***

(١) صيغ الحمد للإمام ابن القيم، ص ٢٦، وانظر: فقه الأدعية والأذكار ص ٢٤٣.

٧١ – دُعَاءُ الضَّيْفِ لِصَاحِبِ الطَّعَامِ

١٨٢ - «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُم، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ»(١).

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٢١-عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ ﷺ(٢) قَالَ: نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي - قَالَ - فَقَرَّبْنَا إِلَيْهِ طَعَامًا، وَوَطْبَةً، فَأَكَلَ مِنْهَا، ثُمَّ أُتِيَ بِتَمْرٍ، فَكَانَ يَأْكُلُهُ، وَيُلْقِي النَّوَى بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ، وَيَجْمَعُ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى - قَالَ شُعْبَةُ هُوَ ظَنِّي، وَهُوَ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلْقَاءُ النَّوَى بَيْنَ الإِصْبَعَيْنِ - ثُمَّ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ - قَالَ - فَقَالَ أَبِي وَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّتِهِ: ادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ**»(٣).

٦٢٢-لفظ أبي داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ - مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ - ﷺ، قَالَ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي، فَنَزَلَ عَلَيْهِ، فَقَدَّمَ إِلَيْهِ طَعَامًا، فَذَكَرَ حَيْسًا أَتَاهُ بِهِ، ثُمَّ أَتَاهُ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ، فَنَاوَلَ مَنْ عَلَى يَمِينِهِ، وَأَكَلَ تَمْرًا، فَجَعَلَ يُلْقِي النَّوَى عَلَى ظَهْرِ أُصْبَعَيْهِ: السَّبَّابَةِ، وَالْوُسْطَى، فَلَمَّا قَامَ قَامَ أَبِي، فَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّتِهِ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ لِي، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ**»(٤).

---

(١) مسلم، كتاب الأشربة، باب اسْتِحْبَابِ وَضْعِ النَّوَى خَارِجَ التَّمْرِ، وَاسْتِحْبَابِ دُعَاءِ الضَّيْفِ لأَهْلِ الطَّعَامِ، وَطَلَبِ الدُّعَاءِ مِنَ الضَّيْفِ الصَّالِحِ، وَإِجَابَتِهِ لِذَلِكَ، برقم ٢٠٤٢، وأبو داود، كتاب الأشربة، باب في النفخ في الشراب، برقم ٣٧٢٩.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٠ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٢٠٤٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أبو داود، برقم ٣٧٢٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللهم بارك لهم فيما رزقتهم**»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَلله»[١]، وقال السمين الحلبي رَحِمَهُ اللهُ: «البركة: الزيادةُ، يقال: باركَ الله لك، أي: زادَكَ خيراً»[٢]، وقال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «وعلامة البركة القناعة وتوفيق الطاعة»[٣].

٢-قوله: «**واغفر لهم**»: قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «اغفر لهم: أي: ذنوبهم»[٤].

٣-قوله: «**وارحمهم**»: قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «وارحمهم بالتفضل عليهم»[٥].

٤-قوله: «**نزل رسول الله ﷺ علينا**»: أي: جاء لنا زائرًا في الله ﷻ، أو ملبياً، للدعوة، قال الفيروزأبادي رَحِمَهُ اللهُ: «النزول: الحلول. نزلهم، وبهم، وعليهم ينزل نزولاً، ومنزلاً: حلَّ»[٦].

٥-قوله: «**فقربنا إليه طعامًا**» أي: قدمناه له، قال الجوهري رَحِمَهُ اللهُ: «قَرُبَ الشيء بالضم يَقْرُب قُرباً، أي: دنا... وتقرَّبَ إلى الله بشيءٍ، أي: طلب به القُرْبَةَ عنده. وقَرَّبْتُه تقريباً، أي: أدنيته... والمُقْرَبُ من الخيل: الذي يُدنى ويُكرَّم»[٧].

٦-قوله: «**ووطبة**»: الحيس يجمع بين التمر والأقط المدقوق والسمن، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «**الوطبة** ، الْحَيسُ، يجمع بين التمر البَرْني، والأَقِط المدْقوق، والسَّمْن الجيّد»[٨]، بينما يرى القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «فقرّبنا إليه طعاماً ووطئة: كذا ضبطناه

---

(١) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في شرح المفردة، رقم ٦.

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ٣/ ٣١٦.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣١٨.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣١٨.

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣١٨.

(٦) القاموس المحيط، ص ١٣٧٢، مادة (نزل).

(٧) الصحاح في اللغة، ٢/ ٦٨، مادة (قرب).

(٨) جامع الأصول، ٧/ ٣٩٨.

على أبي بحر -بالواو، وكسر الطاء، مهموزاً- ، وكان في كتاب العذري مهملاً، وقيده في كتاب ابن عيسى: (رطبة) – بالراء، وفتح الطاء، وباء موحدة، والصواب من هذا كله الأول، قال ابن دريد: الوطية: التمر، يستخرج نواه، ويعجن باللبن، وفي كتاب البزار: «فقربنا له طعاماً ووطئة فجاؤوه بحيس فأكل منه»، قال أبو مروان بن سراج: لعله طعاماً وطية على البدل؛ لقوله: فأكل منها، وهو خير من العطف، وهو طعام يتخذ من اللبن»[(١)]، وأما النووي رحمه الله فيقول: «الوطبة بفتح الواو وإسكان الطاء المهملة بعدها باء موحدة: وهي قربة لطيفة يكون فيها اللبن»[(٢)]، بينما ذكر في شرحه على صحيح مسلم: «الْوَطْبَة: الْحَيْس، يَجْمَع التَّمْر الْبَرْنِيّ، وَالْأَقِط الْمَدْقُوق، وَالسَّمْن، وَكَذَا ضَبَطَهُ أَبُو مَسْعُود الدِّمَشْقِيّ وَأَبُو بَكْر الْبَرْقَانِيّ وَآخَرُونَ، وَهَكَذَا هُوَ عِنْدنَا فِي مُعْظَم النُّسَخ، وَفِي بَعْضهَا (رُطَبَة) بِرَاءٍ مَضْمُومَة، وَفَتْح الطَّاء ، وَكَذَا ذَكَرَهُ الْحُمَيْدِيّ وَقَالَ: هَكَذَا جَاءَ فِيمَا رَأَيْنَاهُ مِنْ نُسَخ مُسْلِم (رُطَبَة) بِالرَّاءِ، قَالَ: وَهُوَ تَصْحِيف مِن الرَّاوِي، وَإِنَّمَا هُوَ بِالْوَاوِ، وَهَذَا الَّذِي اِدَّعَاهُ عَلَى نُسَخ مُسْلِم هُوَ فِيمَا رَآهُ هُوَ، وَإِلَّا فَأَكْثَرهَا بِالْوَاوِ، وَكَذَا نَقَلَهُ أَبُو مَسْعُود الْبَرْقَانِيّ، وَالْأَكْثَرُونَ عَنْ نُسَخ مُسْلِم، وَنَقَلَ الْقَاضِي عِيَاض عَنْ رِوَايَة بَعْضهمْ فِي مُسْلِم (وَطِئَة) بِفَتْحِ الْوَاو، وَكَسْر الطَّاء، وَبَعْدهَا هَمْزَة، وَادَّعَى أَنَّهُ الصَّوَاب، وَهَكَذَا اِدَّعَاهُ آخَرُونَ (وَالْوَطِئَة) بِالْهَمْزِ عِنْد أَهْل اللُّغَة طَعَام يُتَّخَذ مِنْ التَّمْر كَالْحَيْسِ، هَذَا مَا ذَكَرُوهُ، وَلَا مُنَافَاة بَيْن هَذَا كُلّه، فَيُقْبَل مَا صَحَّتْ بِهِ الرِّوَايَات، وَهُوَ صَحِيح فِي اللُّغَة، وَاللَّه أَعْلَم»[(٣)].

٧-قوله: «**يلقي النوى بين أصبعيه**» أي: يجعله بينهما لقلته ليرمي به، قال النووي

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٦/ ٥٢٤.

(٢) الأذكار النووية للإمام النووي، ص ٢٩٦.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣/ ٢٢٥.

رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَوْله: (وَيُلْقِي النَّوَى بَيْن أُصْبُعَيْهِ) أَيْ يَجْعَلهَا بَيْنهمَا لِقِلَّتِهِ، وَلَمْ يُلْقِهِ فِي إِنَاء التَّمْر لِئَلَّا يَخْتَلِط بِالتَّمْرِ، وَقِيلَ: كَانَ يَجْمَعهُ عَلَى ظَهْر الْأُصْبُعَيْنِ ثُمَّ يَرْمِي بِهِ»[1].

٨-قوله: «**قَالَ شُعْبَة: هُوَ ظَنِّي، وَهُوَ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّه إِلْقَاء النَّوَى**» قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَعْنَاهُ : أَنَّ شُعْبَة قَالَ: الَّذِي أَظُنّهُ أَنَّ إِلْقَاء النَّوَى مَذْكُور فِي الْحَدِيث، فَأَشَارَ إِلَى تَرَدُّد فِيهِ وَشَكّ، وَفِي الطَّرِيق الثَّانِي جَزَمَ بِإِثْبَاتِهِ، وَلَمْ يَشُكّ، فَهُوَ ثَابِت بِهَذِهِ الرِّوَايَة، وَأَمَّا رِوَايَة الشَّكّ فَلَا تَضُرّ، سَوَاء تَقَدَّمَتْ عَلَى هَذِهِ أَوْ تَأَخَّرَتْ؛ لِأَنَّهُ تَيَقَّنَ فِي وَقْت وَشَكَّ فِي وَقْت، فَالْيَقِين ثَابِت، وَلَا يَمْنَعهُ النِّسْيَان فِي وَقْت آخَر»[2].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِيهِ اِسْتِحْبَاب طَلَب الدُّعَاء مِنْ الْفَاضِل، وَدُعَاء الضَّيْف بِتَوْسِعَةِ الرِّزْق، وَالْمَغْفِرَة، وَالرَّحْمَة، وَقَدْ جَمَعَ ﷺ فِي هَذَا الدُّعَاء خَيْرَات الدُّنْيَا وَالْآخِرَة. وَاللَّه أَعْلَم»[3].

٢-ما كان عليه رسول الله ﷺ من التواضع وتزاوره مع أصحابه.

٣-تقريب الأكل للضيف من مكارم الأخلاق، كما فعل أبو الأنبياء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما نزل الملائكة ضيوفًا عليه ﴿**فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ**﴾[4] لأن ذلك أيسر لهم وهو من الإكرام القولي والعملي. كيف لا وقد قال فيه ﷺ: «**كان أول من أضاف الضيف إبراهيم**»[5].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣/ ٢٢٥.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣/ ٢٢٥.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣/ ٢٢٥.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٢٧.

(٥) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ١/ ٤٧، وشعب الإيمان للبيهقي، ٦/ ٣٩٥، وتاريخ دمشق لابن عساكر، =

٤-الأفضل للمضيف أن يقدم المأكول على المشروب، ويجمع في ذلك بين الإكرام القولي والعملي، واستحباب أن يُدار بالمشروب من جهة اليمين، ولا يتكلف في ذلك لقول سلمان ﷺ لما دخل عليه رجل، فدعا له بما عنده ثم قال: «لولا أن رسول الله ﷺ نهانا، أو قال: لولا أنا نهينا أن يتكلف أحد لصاحبه لتكلفنا لك»[١].

٥-حسن أدبه ﷺ؛ لأنه كان لا يلقي بنوى التمر في إناء التمر؛ لئلا يختلط النوى بالتمر فتعافه النفس، وهذا من باب التعليم للأمة، وهذه أيضًا هي الحكمة من نهيه ﷺ من النفخ في الشراب والطعام؛ لأن النفخ لا يخلو من بزاق وغيره الذي تستقذره النفس[٢].

٦-استحباب أن يلتمس صاحب الطعام الدعاء من الضيفان، وعلى الضيف أن يجيبه بالدعاء له بالبركة والرحمة والمغفرة[٣].

٧-تعلم الصحابة ﷺ من الرسول ﷺ التواضع، وإكرام الضيف عمليًّا ونظريًّا، يقول عبد الله بن بسر ﷺ: كان للنبي ﷺ قصعة يقال لها: الغراء، يحملها أربعة رجال، فلما أضحوا وسجدوا الضحى، أُتي بتلك القصعة وقد ثرد فيها، فالتفوا عليها فلما كثروا، جثا رسول الله ﷺ فقال أعرابي: ما هذه الجلسة؟ قال: «**إن الله جعلني عبدًا كريمًا، ولم يجعلني جبارًا عنيدًا**»[٤].

=

٦/ ١٩٨، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٤٥١.

(١) مسند أحمد، ٣٩/ ١٣٦، برقم ٢٣٧٣٣، وقال محققو المسند: «يحتمل التحسين» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٨/ ١٠٧: «رواه أحمد، والطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد، وأحد أسانيد الكبير رجاله رجال الصحيح» وصححه الألباني في الإرواء، برقم ١٩٥٧.

(٢) عون المعبود، ٥/ ٤٣٥، وانظر: العلم الهيب، ص ٤٧٢.

(٣) العلم الهيب، ص ٤٧٢.

(٤) أبو داود، كتاب الأطعمة، باب في الأكل من أعلى، برقم ٣٧٧٣، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٣٧٧٣.

٨-ومعنى جثا: قال الفيروزأبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «جَثَا، كَدَعا ورَمَى، جثُوًّا وجُثِيًّا، بضمِّهما: جَلَسَ على رُكْبَتَيْهِ، أو قامَ على أطْرافِ أصابِعِهِ»[١].

٩-قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الغَرَّاء: كَانَتِ الْعَرَبُ تَدْعو السَّيِّدَ المِطعَام جَفْنَةً؛ لِأَنَّهُ يَضَعُهَا، ويُطْعم الناسَ فِيهَا، فَسُمي بِاسْمِهَا، والغَرَّاء: الْبَيْضَاءُ: أَيْ: أَنَّهَا مملُوءة بالشَّحْم والدُّهْن»[٢]، وقال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان له قَصْعَة: بفتح القاف، وفي المصباح: بالفتح معروفة عربية، وقيل معربة، يقال لها: الغراء: تأنيث الأغر، من الغرة: البياض في الوجه، وقيل غير ذلك»[٣].

١٠-وفيه جواز تسمية القصعة.

***

---

(١) القاموس المحيط، ص ١٢٦٩، مادة (جثو).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٨٠، مادة (جفن).
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٤٨٣.

٧٢- الدُّعَاءُ لِمَنْ سَقَاهُ أَوْ إِذَا أَرَادَ ذَلِكَ

١٨٣- «اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَاسْقِ مَنْ سَقَانِي»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٢٣-لفظ مسلم عَنِ الْمِقْدَادِ(٢) قَالَ: أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْدِ، فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا، فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ، فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا ثَلَاثَةُ أَعْنُزٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**احْتَلِبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا**» قَالَ: فَكُنَّا نَحْتَلِبُ، فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ، وَنَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَصِيبَهُ - قَالَ - فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لاَ يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ - قَالَ - ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ، فَيُصَلِّي، ثُمَّ يَأْتِي شَرَابَهُ فَيَشْرَبُ، فَأَتَانِي الشَّيْطَانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، وَقَدْ شَرِبْتُ

---

(١) مسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره،، برقم ٢٠٥٥. ومسند أحمد، ٣٩/ ٢٢٨، برقم ٢٣٨٠٩، وصححه محققو المسند ٣٩/ ٢٢٩.

(٢) المِقْدَادُ بنُ عَمْرِو بن ثَعْلَبَةَ بن مَالِكٍ الكِنْدِيُّ البهراني الحضرمي ، ويقال له: ابن الأسود الكندي، لأن أباه الأسود حالف كندة، فكان يقال له الكندي، وتزوج هناك امرأة فولدت له المقداد، وهرب إلى مكة فحالف الأسود بن عبد يغوث الزهري، فتبنى الأسودُ المقدادَ فصار يقال المقداد بن الأسود، وغلبت عليه، وأسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً، والمشاهد بعدها، وكان فارساً يوم بدر، وهو الذي قال: يا رسول الله إنا والله لا نقول لك كما قال أصحاب موسى لموسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكنا نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك وخلفك قال فرأيت رسول الله ﷺ يشرق وجهه، وسره [البخاري، برقم ٣٩٥٢]، وروى المقداد عن النبي ﷺ أحاديث روى عنه علي، وأنس، وآخرون، مات سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان، وهو بن سبعين سنة. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ٤/ ١٤٧٨، وسير أعلام النبلاء، ١/ ٣٨٥، ترجمة رقم (٨١)، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ٦/ ٢٠٢.

نَصِيبِي، فَقَالَ: مُحَمَّدٌ يَأْتِي الأَنْصَارَ فَيُتْحِفُونَهُ، وَيُصِيبُ عِنْدَهُمْ مَا بِهِ حَاجَةٌ إِلَى هَذِهِ الْجُرْعَةِ، فَأَتَيْتُهَا فَشَرِبْتُهَا، فَلَمَّا أَنْ وَغَلَتْ فِي بَطْنِي، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ - قَالَ - نَدَّمَنِي الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ! مَا صَنَعْتَ؟ أَشَرِبْتَ شَرَابَ مُحَمَّدٍ، فَيَجِيءُ فَلاَ يَجِدُهُ فَيَدْعُو عَلَيْكَ، فَتَهْلِكُ؟ فَتَذْهَبُ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ! وَعَلَيَّ شَمْلَةٌ إِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى قَدَمَيَّ خَرَجَ رَأْسِي، وَإِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي خَرَجَ قَدَمَايَ، وَجَعَلَ لاَ يَجِيئُنِي النَّوْمُ، وَأَمَّا صَاحِبَايَ فَنَامَا، وَلَمْ يَصْنَعَا مَا صَنَعْتُ - قَالَ - فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى شَرَابَهُ فَكَشَفَ عَنْهُ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقُلْتُ: الآنَ يَدْعُو عَلَيَّ فَأَهْلِكُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي»، قَالَ فَعَمَدْتُ إِلَى الشَّمْلَةِ فَشَدَدْتُهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ الشَّفْرَةَ فَانطَلَقْتُ إِلَى الأَعْنُزِ أَيُّهَا أَسْمَنُ، فَأَذْبَحُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا هِيَ حَافِلَةٌ، وَإِذَا هُنَّ حُفَّلٌ كُلُّهُنَّ، فَعَمَدْتُ إِلَى إِنَاءٍ لآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا كَانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ يَحْتَلِبُوا فِيهِ - قَالَ - فَحَلَبْتُ فِيهِ حَتَّى عَلَتْهُ رَغْوَةٌ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَشَرِبْتُمْ شَرَابَكُمُ اللَّيْلَةَ؟»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْرَبْ، فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْرَبْ، فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَلَنِي، فَلَمَّا عَرَفْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَوِيَ، وَأَصَبْتُ دَعْوَتَهُ، ضَحِكْتُ حَتَّى أُلْقِيتُ إِلَى الأَرْضِ - قَالَ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِحْدَى سَوْآتِكَ يَا مِقْدَادُ!». **فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ مِنْ أَمْرِي كَذَا وَكَذَا، وَفَعَلْتُ كَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا هَذِهِ إِلاَّ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ، أَفَلاَ كُنْتَ آذَنْتَنِي، فَنُوقِظَ صَاحِبَيْنَا فَيُصِيبَانِ مِنْهَا»** قَالَ: فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أُبَالِي إِذَا أَصَبْتَهَا وَأَصَبْتُهَا مَعَكَ مَنْ أَصَابَهَا مِنَ النَّاسِ»[(١)].

٦٢٤-ولفظ أحمد عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ، قَالَ: قَدِمْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي

---

(١) مسلم، برقم ٢٠٥٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَصَابَنَا جُوعٌ شَدِيدٌ، فَتَعَرَّضْنَا لِلنَّاسِ فَلَمْ يُضِفْنَا أَحَدٌ، فَانْطَلَقَ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَعِنْدَهُ أَرْبَعُ أَعْنُزٍ، فَقَالَ لِي: «**يَا مِقْدَادُ، جَزِّئْ أَلْبَانَهَا بَيْنَنَا أَرْبَاعًا**» فَكُنْتُ أُجَزِّئُهُ بَيْنَنَا أَرْبَاعًا، فَاحْتَبَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَحَدَّثْتُ نَفْسِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَتَى بَعْضَ الْأَنْصَارِ، فَأَكَلَ حَتَّى شَبِعَ، وَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ، فَلَوْ شَرِبْتُ نَصِيبَهُ، فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُمْتُ إِلَى نَصِيبِهِ فَشَرِبْتُهُ، ثُمَّ غَطَّيْتُ الْقَدَحَ، فَلَمَّا فَرَغْتُ أَخَذَنِي مَا قَدُمَ وَمَا حَدُثَ، فَقُلْتُ: يَجِيءُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَائِعًا، وَلَا يَجِدُ شَيْئًا فَتَسَجَّيْتُ، وَجَعَلْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي، فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ، إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ تَسْلِيمَةً يُسْمِعُ الْيَقْظَانَ، وَلَا يُوقِظُ النَّائِمَ، ثُمَّ أَتَى الْقَدَحَ فَكَشَفَهُ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا فَقَالَ: «**اللهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَاسْقِ مَنْ سَقَانِي**» وَاغْتَنَمْتُ الدَّعْوَةَ، فَقُمْتُ إِلَى الشَّفْرَةِ فَأَخَذْتُهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ الْأَعْنُزَ فَجَعَلْتُ أَجُسُّهَا أَيُّهَا أَسْمَنُ، فَلَا تَمُرُّ يَدَيَّ عَلَى ضَرْعِ وَاحِدَةٍ إِلَّا وَجَدْتُهَا حَافِلًا، فَحَلَبْتُ حَتَّى مَلَأْتُ الْقَدَحَ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ فَقَالَ: «**بَعْضُ سَوْآتِكَ يَا مِقْدَادُ، مَا الْخَبَرُ؟**» قُلْتُ: اشْرَبْ، ثُمَّ الْخَبَرَ، فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ، ثُمَّ نَاوَلَنِي فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «**مَا الْخَبَرُ؟**» فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «**هَذِهِ بَرَكَةٌ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَلَّا أَعْلَمْتَنِي حَتَّى نَسْقِيَ صَاحِبَيْنَا**» فَقُلْتُ: إِذَا أَصَابَتْنِي وَإِيَّاكَ الْبَرَكَةُ، فَمَا أُبَالِي مَنْ أَخْطَأَتْ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**الجهد**»: الجوع والمشقة، قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجَهْد، والجُهْد بالضَّمّ: الوُسْع والطَّاقة، وبالفَتْح: المَشَقَّة. وَقِيلَ المُبالَغة والْغَايَة. وَقِيل هُمَا لُغَتَان فِي الوُسْع والطَّاقَة، فأمَّا فِي المشَقَّة والْغَاية فَالْفَتْحُ لَا غَيْر... يُقَال: جُهِدَ الرجُل فَهُوَ مَجْهُود: إذَا وَجَد مَشَقَّة، وجُهِدَ النَّاس فهُم مَجْهُودُون: إذَا

(١) مسند أحمد، برقم ٢٣٨٠٩، وصححه محققو المسند ٣٩/ ٢٢٩، تقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

أَجْدَبُوا. فَأَمَّا أَجْهَد فَهُوَ مُجْهِد بالكَسْر: فَمَعْنَاهُ ذُو جَهْد ومَشَقَّة، وَهُوَ مِنْ أَجْهَدَ دابَّته إِذَا حَمَل عَلَيْهَا فِي السَّير فَوْقَ طاقَتها»[١].

٢-قوله: «**فيتحفونه**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «التحفة: الهدية والبِر، وتسكن حاؤها وتفتح، والسكون أكثر»[٢].

٣-قوله: «**جزأ ألبانها**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَراد بالتَّجْزِئَةِ أَنه قسَّمَهم ...جَزَأْتُ المالَ بَيْنَهُمْ وجَزَّأْتُه: أَي: قسَّمْته»[٣].

٤-قوله: «**وغلت في بطني**»: وغلت في بطني أي: دخلت وتمكنت منه، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وغَلَ الرجل يغل: إذا دخل في السحر، فاستعار الوغول لدخول اللبن البطن»[٤]، وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «الوغول: الدخول في الشيء، وإن لم يتعد فيه، وكل داخل فهو واغل، يقال منه: وغلت أغل وغولاً ووغلاً، ولهذا قيل للداخل على الشرب من غير أن يدعى: واغل، ووغل»[٥].

٥-قوله: «**فعمدت إلى الشملة**»: قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «العمد: قصد الشيء، والاستناد إليه، والعماد: ما يعتمد»[٦]، والشملة: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «كل مئزر من مآزر الأعراب»[٧].، وقال القرطبي في المفهم: «والشَّملة: كساء صغير يشتمل به؛ أي: يُلتحف به على كيفية مخصوصة»[٨].

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣٢٠، مادة (جهد).
(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٩/ ٧٦.
(٣) لسان العرب، ١/ ٤٥، مادة (جزأ).
(٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٩/ ٧٦.
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٦/ ٥٤٥.
(٦) مفردات ألفاظ القرآن، ٢/ ١٢٢، مادة (عمد).
(٧) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٩/ ٧٦.
(٨) المفهم، للقرطبي، ٢/ ١٣٧.

٦-قوله: «فَتَسَجَّيْتُ»: سُجُوّ اللَّيْلِ تَغْطِيَتُهُ لِلنَّهَارِ مِثْلَ مَا يُسَجَّى الرَّجُلُ بِالثَّوْبِ»[١].

٧-قوله: «حافل»: قال ابن الأثير رحمه الله: «ضرع حافل، أي: ممتلىء لبناً، والجمع حفل»[٢].

٨-قوله: «يَحْتَلِبُوا فِيهِ»: قال ابن منظور رحمه الله: «الحَلَبُ: استِخراجُ مَا فِي الضَرْعِ مِنَ اللبَنِ، يكونُ فِي الشاءِ والإِبِل والبَقَر، والحَلَبُ: مَصْدَرُ حَلَبها يَحْلُبُها ويَحْلِبُها حَلْباً وحَلَباً وحِلاباً، الأَخيرة عَنِ الزَّجَّاجِيّ، وَكَذَلِكَ احْتَلَبها»[٣].

٩-قوله: «فجعلت أجسُّها»: قال في اللسان: «جَسَسَ: الجَسُّ: اللَّمْسُ بِالْيَدِ، والمَجَسَّةُ: مَمَسَّةُ مَا تَمَسُّ. ابْنُ سِيدَهْ: جَسَّه بِيَدِهِ يَجُسُّه جَسّاً واجْتَسَّه أَي: مَسَّه ولَمَسَه، والمَجَسَّةُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي تَقَعُ عَلَيْهِ يَدُهُ إِذا جَسَّه»[٤].

١٠-قوله: «نعرض أنفسنا»: أي: لإطعامنا، قال ابن منظور رحمه الله: «عَرَضْتُ الحَوْضَ عَلَى الْبَعِيرِ. وعَرَضْتُ الجاريةَ والمتاعَ عَلَى البَيْعِ عَرْضاً، وعَرَضْتُ الكِتاب، وعَرَضْتُ الجُنْدَ عرْضَ العَيْنِ إِذا أَمْرَرْتَهم عَلَيْكَ ونَظَرْتَ مَا حالُهم، وَقَدْ عَرَضَ العارِضُ الجُنْدَ واعْتَرَضُوا هُمْ»[٥]، وقال القرطبي رحمه الله: «أي: نتعرَّض لهم ليطعمونا، وذلك لشدة ما كانوا عليه من الجوع، والضعف[٦].

١١-قوله: «فليس أحد منهم يقبلنا»: هذا محمول على أن الذين عرضوا أنفسهم عليهم كانوا مقلين ليس عندهم شيء يواسون به، وقال القرطبي رحمه الله: «أي: يطعمنا، وظاهر حالهم: أن ذلك الامتناع ممن تعرضوا له، إنَّما كان لأنهم ما وجدوا شيئًا يطعمونهم إيَّاه، كما اتفق للنبي ﷺ حيث طلب جميع بيوت نسائه،

---

(١) لسان العرب، ١٤/ ٣٧١، مادة (سجي).
(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٩/ ٧٦.
(٣) لسان العرب، ١/ ٣٢٧، مادة (حلب).
(٤) لسان العرب، ٦/ ٣٨، مادة (جس).
(٥) لسان العرب، ٧/ ١٦٧، مادة (عرض).
(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٧/ ٤٤.

فلم يجد عندهم شيئًا؛ فإنَّ الوقت كان شديدًا عليهم»[١].

١٢-قوله: «**الجرعة**»: هي الحثوة من المشروب، قال ابن منظور رحمه الله: «جرع: جَرِعَ الماءَ وجَرَعه يَجْرَعُه جَرْعاً، وأنكر الأَصمعي جَرَعْت، بِالْفَتْحِ، واجْتَرَعه وتَجَرَّعَه: بَلِعَه. وَقِيلَ: إِذا تَابَعَ الجَرْع مَرَّةً بَعْدَ أُخرى كالمُتكارِه قِيلَ: تَجَرَّعَه، ...التجرُّعُ شُرْبٌ فِي عَجَلةٍ، وَقِيلَ: هُوَ الشُّرْبُ قَلِيلًا قَلِيلًا، ... وَالِاسْمُ الجُرْعة، والجَرْعةُ وَهِيَ حُسْوة مِنْهُ، وَقِيلَ: الجَرْعة الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ، والجُرْعة مَا اجْتَرَعْته، الأَخيرة للمُهْلة عَلَى مَا أَراه سِيبَوَيْهِ فِي هَذَا النَّحْوِ، والجُرْعةُ: مِلءُ الْفَمِ يَبْتَلِعُه، وَجَمْعُ الجُرْعة جُرَعٌ. وَفِي حَدِيثِ الْمِقْدَادِ: «مَا بِهِ حاجةٌ إِلى هَذِهِ الجُرْعة»؛ قَالَ ابْنُ الأَثير: تُرْوَى بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ، فَالْفَتْحُ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ مِنْهُ، وَالضَّمُّ الِاسْمُ مِنَ الشُّرْبِ الْيَسِيرِ، وَهُوَ أَشبه بِالْحَدِيثِ»[٢].

١٣-قَوْله: «**فَحَلَبْت فِيهِ حَتَّى عَلَتْهُ رَغْوَة**»: «رغوة»: هي زبد اللبن الذي يعلوه. قال النووي رحمه الله: «هِيَ زَبَد اللَّبَن الَّذِي يَعْلُوهُ، وَهِيَ بِفَتْحِ الرَّاء وَضَمّهَا وَكَسْرهَا... وَارْتَغَيْت شَرِبَتْ الرَّغْوَة»[٣].

١٤-قوله: «**اللهم أطعم من أطعمني، وأسق من سقاني:**» قال القرطبي رحمه الله: «يدلّ على كرم أخلاقه، ونزاهة نفسه ﷺ؛ إذ لم يسأل عن نصيبه، ولم يُعرّج على كل ذلك، لكنَّه دعا الله تعالى»[٤].

١٥-قوله: «**قَدَح**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «وَهُوَ الَّذِي يُؤكل فِيهِ»[٥]، وقال

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٧/ ٤٤.
(٢) لسان العرب، ٨/ ٤٦، مادة (جرع).
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤/ ١٤.
(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٧/ ٤٤.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٢٠، مادة (قدح).

الفيومي رَحِمَهُ اللَّهُ: «آنية معروفة، والجمع أَقْدَاحٌ»[١].

١٦-قوله: «**ضَحِكْتُ حَتَّى أُلْقِيتُ إِلَى الأَرْضِ**»: قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَعْنَاهُ أَنَّهُ كَانَ عِنْده حُزْن شَدِيد؛ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَدْعُو عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ لِكَوْنِهِ أَذْهَبَ نَصِيب النَّبِيّ ﷺ، وَتعَرَّضَ لِأَذَاهُ ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَدْ رَوِيَ، وَأُجِيبَتْ دَعْوَته، فَرِحَ وَضَحِكَ حَتَّى سَقَطَ إِلَى الْأَرْض مِنْ كَثْرَة ضَحِكه؛ لِذَهَابِ مَا كَانَ بِهِ مِنْ الْحُزْن، وَانْقِلَابه سُرُورًا بِشُرْبِ النَّبِيّ ﷺ، وَإِجَابَة دَعْوَته لِمَنْ أَطْعَمَهُ وَسَقَاهُ، وَجَرَيَان ذَلِكَ عَلَى يَد الْمِقْدَاد، وَظُهُور هَذِهِ الْمُعْجِزَة، وَلِتَعَجُّبِهِ مِنْ قُبْح فِعْله أَوَّلًا، وَحُسْنه آخِرًا»[٢].

١٧-قوله: «**إحدى سوءاتك**» أي: أنك فعلت سوأة من الفعلات فما هي؟ فأخبره الخبر، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: « أي: هذه الحالة حالة سيئة من جملة حالاتك التي تسوء منكرًا لذلك؛ لأن كثرة الضحك يميت القلب»[٣].

١٨-قوله: «**رحمة من الله تعالى**»: أي: إحداث هذا اللبن في غير وقته رحمة من الله وفضل، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «معترفًا بفضل الله تعالى، وشاكرًا لنعمته، ومقرًّا بمنته، فله الحمد أولاً وآخرًا، وباطنًا وظاهرًا»[٤]، وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: إحداث هذا اللبن في غير حينه وعادته ، وإن كان الكل من فضل الله»[٥].

١٩-قوله: «**رَوِي**»: قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «بكسر الواو، وتحريك الياء في الماضي، يروَى بفتح الواو وسكون الياء: في الشرب، فأما رَوَى: بفتح الواو في الماضي، وكسره في ا لمستقبل: فهو في رواية الأخبار»[٦].

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢/ ٤٩١، مادة (قدح).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤/ ١٤.
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٧/ ٤٥.
(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٧/ ٤٥.
(٥) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٦/ ٢٨٠.
(٦) المفهم، ٢/ ١٣٨.

٢٠-قوله: «سُجِّيَ بِبُرْدِ حِبَرَةٍ»: قال ابن الأثير رحمه الله: «أَيْ غُطِّي، والْمُتَسَجِّي: الْمُتَغَطِّي، مِنَ اللَّيل السَّاجِي، لِأَنَّهُ يُغَطِّي بِظَلَامِهِ وسكونه»[١].

٢١-قوله: «بالشَّفْرة»: وهي آلة الذبح، قال ابن الأثير رحمه الله: «لِأَنَّهَا تُمْتَهَنُ فِي قَطْعِ اللَّحْمِ وغيره»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-استحباب الدعاء للمحسن والخادم ولمن سيفعل خيرًا[٣].

٢-قال الإمام النووي رحمه الله: «فِيهِ الدُّعَاء لِلْمُحْسِنِ وَالْخَادِم، وَلِمَنْ يَفْعَل خَيْرًا.

٣-وَفِيهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيّ ﷺ مِنْ الْحِلْم وَالْأَخْلَاق الْمُرضِيَة، وَالْمَحَاسِن الْمَرْضِيَة، وَكَرَم النَّفْس، وَالصَّبْر، وَالْإِغْضَاء عَنْ حُقُوقه؛ فَإِنَّهُ ﷺ لَمْ يَسْأَل عَنْ نَصِيبه مِنْ اللَّبَن»[٤].

٤-قال القرطبي رحمه الله: «فيه دليل على مشروعية السَّلام عند دخول البيت، وقد استحبَّه مالك، وأن ذلك مما ينبغي أن يكون برفق، واعتدال[٥].

٥-فيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ لكون الأعنز أصبحن كلهن حُفلاً، أي: ممتلئات باللبن.

٦-فرحة المقداد رضي الله عنه بأن دعوة النبي ﷺ قد أصابته بعد أن رُوي النبي ﷺ من اللبن، فضحك حتى سقط على الأرض؛ لأن حزنه قد حوله الله سرورًا[٦].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٤٤، مادة (سجي).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٨٤، مادة (شفر).
(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤/ ١٤.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤/ ١٤.
(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٧/ ٤٤.
(٦)شرح النووي على صحيح مسلم ، ١٤/ ٢٤٣.

٧-فيه الأدب العظيم للنبي ﷺ حيث يسلم سلاماً عند دخوله في أوقات النوم، يسمعه اليقظان، ولا يسمعه النائم، رحمة منه ﷺ، ورفقاً منه بأصحابه، فينبغي الالتزام بآدابه ﷺ

***

٧٣ – الدُّعَاءُ إذَا أَفْطَرَ عِنْدَ أَهْلِ بَيْتٍ

١٨٤- «أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلائِكَةُ»(١).

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٢٥-لفظ أبي داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه(٢): أن النبيَّ ﷺ جاءَ إلى سعدِ بن عُبَادَةَ، فجاءَ بخُبْزٍ وزَيْتٍ، فأكَلَ، ثم قال النبي ﷺ: «**أفْطَرَ عندَكُمُ الصَّائمونَ، وأَكَلَ طَعامَكُم الأبْرَارُ، وصَلَّتْ عَلَيكُم المَلائِكة**»(٣).

٦٢٦-لفظ النسائي عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ عِنْدَ أَهْلِ بَيْتٍ قَالَ: «**أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْكُمُ الْمَلائِكَةُ**»(٤).

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام، برقم ٣٨٥٦، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا أفطر عند أهل بيت، برقم ١٠٠٥٥، وأحمد، ١٩/ ٢١٥، برقم ١٢١٧٧، وصححه محققو المسند، وصححه لغيره، محقق ابن ماجه، ٢/ ٦٣٣، كتاب الصيام، باب في ثواب من فطر صائماً، برقم ١٧٤٧، وصحيح ابن حبان، ١٢/ ١٠٧، برقم ٥٢٩٦، وصححه لغيره محقق ابن حبان، وصححه النووي في الأذكار، ص ٢٤٣، وابن حجر في التلخيص الحبير، ٣/ ٣٦٨، ورواية النسائي في مسند أبي يعلى، ٧/ ٢٩١، برقم ٤٣١٩، وصححه محققه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢/٧٣٠، وفي صحيح ابن ماجه، برقم ١٤١٨.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم٢٣ من أحاديث الشرح.

(٣) سنن أبي داود، برقم ٣٨٥٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢/٧٣٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) النسائي في السنن الكبرى، برقم ١٠٠٥٥، وأحمد، برقم ١٢١٧٧، وصححه محققو المسند، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٦٢٧-وورواية ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه[١]، قَالَ: أَفْطَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ؛ فَقَالَ: «**أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ**»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**كان إذا أفطر عند قوم**»: قال الإمام الصنعاني رحمه الله: «فيه أن هذا الدعاء بخصوصه يقال لمن يفطر عندهم لا من يضيفونه ولو مفطراً»[٣].

٢-قوله: «**أفطر عندكم الصائمون**»: دعاء من الضيف للمضيف بتحصيل الأجور جزاء على ما قدم، قال الإمام الصنعاني رحمه الله: «إخبار بمحبتهم للخير فإنه لا يضيف الصائم إلا محبة يحتمل أنه دعاء بأن لا يزال يفطر عندهم الصائمون فيتوفر أجرهم ويتسع رزقهم؛ لأنه إذا دخل الضيف على قوم دخل برزقه وخرج بذنوبهم»[٤].

٣-قوله: «**وأكل طعامكم الأبرار**»: جمع بار، وهو المطيع لله عز وجل ولرسوله ﷺ، قال الإمام الصنعاني رحمه الله: «دعاء وإخبار، وهذا موجود في حق المصطفى ﷺ؛ لأنه أبر الأبرار، فإن كان إخبار فظاهر، وإن كان دعاء فهو سؤال بأن الله يجعل إطعامهم للأبرار ليكثر أجورهم»[٥].

٤-قوله: «**وصلت عليكم الملائكة**» أي: استغفرت لكم لمغفرة ذنوبكم ورفع درجاتكم، قال الإمام الصنعاني رحمه الله: «وصلت عليكم الملائكة:

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٤٠ من أحاديث الشرح.

(٢) ابن ماجه، برقم ١٧٤٧، وصححه لغيره، محقق ابن ماجه، ٢/ ٦٣٣، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١٤١٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣٤٦.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣٤٥.

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣٤٥.

استغفرت لكم، وكأنه كان هذا تارة، والأولى أخرى، وقال المناوي رحمه الله: «وأراد بالملائكة الموكلين بذلك بخصوصه إن ثبت وإلا فالحفظة أو المعقبات أو رافعي الأفعال أو الكل أو بعض غير ذلك»[١]. والملائكة كما قال المناوي رحمه الله: «أي ملائكة الرحمة بالبركة والخير الإلهي»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-قال الإمام الصنعاني رحمه الله: «هذا كان يقوله ﷺ لمن يفطر عنده، أو من أكل عنده طعامًا مطلقًا، وهو دعاء لهم بإجراء الخير على أيديهم من إطعام الأبرار، وما يتفرع عليه من صلاة الملائكة عليهم، وورد بصيغة الإخبار تفاؤلاً، كما قالوا: مات فلان رحمه الله على أحد احتماليه، كما عرف في علم البيان، ويحتمل أنه إخبار لهم، وليس المراد الإخبار بذلك؛ لأنهم عالمون به، ولا لازم الفائدة، فإنهم عالمون أنه عالم به، بل الثناء عليهم، وليعطف عليه ما يسبب عنه من الإخبار لهم بقوله: «وصلت عليكم الملائكة»، وفي غيره زيادة: وذكركم الله فيمن عنده»[٣].

٢-استحباب دعاء الضيف للمُضيف بهذا الدعاء الذي فيه خير وبركة، وقد قال النبي ﷺ: «**من فطر صائمًا كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئًا**»[٤].

٣-ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من قلة ذات اليد، وخشونة العيش، فقد قدم

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٦٩.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ١٣٧.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٥٩٠.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل من فطر صائماً، برقم ٨٠٧، وابن ماجه، كتاب الصيام، باب في ثواب من فطر صائماً، برقم ١٧٤٦، وأحمد، ٣٦/ ١٠، برقم ٢١٦٧٦، والدارمي، ٢/١٤، ، وابن حبان ، ٨/٢١٦، برقم ٣٤٢٩، وحسنه محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١٤١٧، وصحيح الجامع، برقم ٦٤١٥.

سعد بن عبادة ما عنده، وهو خبز وزيت، إلا أن الله قد حماهم الدنيا.

٤-عظيم تواضع النبي ﷺ حيث قبل هذا الطعام، ودعا لهم؛ لأنه من جملة نعم الله تعالى.

٥-وقد سأل رسول الله ﷺ يومًا أهله طعامًا، فقالوا: ما عندنا إلا خل فدعا به فجعل يأكل ويقول: «**نعم الأدم الخل، نعم الأدم الخل**»[١].

٦-قال الشيخ فيصل بن عبد العزيز المبارك: «إحضار ما سهل، وأنه لا ينافي الجود، وفيه: استحباب الدعاء من الضيف عند فراغ الأكل»[٢].

٧-قال الألباني رحمه الله: واعلم أن هذا الذكر ليس مقيدًا بالصائم بعد إفطاره، بل هو مطلق؛ لأنه ليس في الحديث التصريح بأن النبي ﷺ كان صائمًا، وهو دعاء لصاحب الطعام بالتوفيق حتى يفطر عنده الصائمون، وينال أجر إفطارهم، وهو بالنسبة إلينا لا يمكن أن يكون إلا دعاء كما لا يخفى[٣].

***

(١) مسلم، كتاب الأشربة، باب فضيلة الخل، والتأدم به، برقم ٢٠٥١.

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص ٧٠٥.

(٣)انظر: آداب الزفاف صـ ١٧١.

٧٤ – دُعَاءُ الصَّائِم إذَا حَضَرَ الطَّعَامُ وَلَمْ يُفْطِر

١٨٥- «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُم فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِماً فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِراً فَلْيَطْعَمْ»(١)، وَمَعْنَى فَلْيُصَلِّ، أَيْ: فَلْيَدْعُ.

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٢٨-لفظ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا، فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا، فَلْيَطْعَمْ»(٣).

٦٢٩-لفظ أبي داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ فَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ وَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ». قَالَ هِشَامٌ: وَالصَّلاَةُ الدُّعَاءُ(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «إذا دعي أحدكم» أي: إلى وليمة عرس أو نحوها،قال ابن عبدالبر رحمه الله: «لم يخص طعاما من طعام»(٥).

٢-قوله: « فليجب» أي: بالذهاب إلى من دعاه تأليفًا لقلبه وجبرًا لخاطره. قال ابن الملقن رحمه الله: «ولم يرخص العلماء للصائم في التخلف عن إجابة الوليمة،

---

(١) مسلم، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة، برقم ١٤٣١، وأبو داود، كتاب الصيام، باب في الصائم يدعى إلى وليمة، برقم ٢٤٦٠، والترمذي، كتاب الصوم، باب ما جاء في إجابة الصائم الدعوة، برقم ٧٨٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٧/ ٢٢٢، برقم ٢١٢٣.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ١٤٣١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أبو داود، برقم ٢٤٦٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢١٢٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ١/ ٢٧٥.

وقال الشافعي: إذا كان المجيب مفطرًا أكل، وإن كان صائمًا دعا»[(١)].

٣-قوله: «**فإن كان صائمًا**» أي: صيام تطوع، قال العظيم أبادي رحمه الله: «وأما الأفضل للصائم؛ فإن كان يشق على صاحب الطعام صومه استحب له الفطر، وإلا فلا ، هذا إذا كان صوم تطوع؛ فإن كان صوماً واجباً حرم الفطر»[(٢)].

٤-قوله: «**فليصل**» أي: فليدع لمن دعاه. قال القاضي عياض رحمه الله: «أي: فليدع لأرباب الطعام بالمغفرة والبركة»[(٣)]، وقال الطيبي رحمه الله: «أي: ليصل ركعتين في ناحية البيت، كما فعل رسول الله ﷺ في بيت أم سليم، وقيل: فليدع لصاحب البيت بالمغفرة، والضابط عند الشافعي رضي الله عنه أن الضيف ينظر، فإن كان المضيف يتأذى بترك الإفطار فالأفضل الإفطار وإلا فلا»[(٤)]، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «فليصل: يعني فليدعو؛ لأن الصلاة هنا المراد بها الدعاء كما هو في اللغة العربية أن الصلاة هي الدعاء أما في الشرع فالصلاة هي العبادة المعروفة إلا إذا دل الدليل علي أن المراد بها الدعاء فهو على ما دل عليه الدليل»[(٥)].

٥-قوله: «**وإن كان مفطراً فليطعم**» أي: فليأكل، قال في عون المعبود «أَيْ: فَلْيَأْكُلْ نَدْبًا، وَقِيلَ وجوباً، قاله بن حَجَرٍ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ يَجِبُ إِذَا كَانَ يَتَشَوَّشُ خاطر الداعي، ويحصل به المعادة إِنْ كَانَ الصَّوْمُ نَفْلًا، وَإِنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَفْرَحُ بِأَكْلِهِ، وَلَمْ يَتَشَوَّشْ بِعَدَمِهِ، فَيُسْتَحَبُّ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرَانِ مُسْتَوِيَيْنِ عِنْدَهُ فَالْأَفْضَلُ أَنْ يَقُولَ إِنِّي صَائِمٌ، سَوَاءٌ حَضَرَ، أَوْ لَمْ يَحْضُرْ»[(٦)].

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٤/ ٥٢٦.
(٢) عون المعبود، ٧/ ٩٦.
(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤/ ٦٠٤.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٦١٨.
(٥) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٧٣٨.
(٦) عون المعبود، ٧/ ٩٥.

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «فالإنسان إذا دعي إلى الطعام وحضر، فلا يكفي الحضور، بل يأكل؛ لأن الرجل الذي دعاك لم يصنع الطعام إلا ليؤكل، فقد تكلّف لك، وصنع طعاماً أكثر من طعام أهله، ودعاك إليه، فإذا قلنا لا حرج عليك إن تركت الأكل، لزم من هذا أن يبقى طعامه لم يؤكل»[1].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-وجوب إجابة الدعوة إلا لعذر لا بد منه؛ لقوله ﷺ: «**إذا دعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها**»[2]، وقوله: «**وأجيبوا الداعي**»[3]، وقد جاء بلفظ: «**أَمَرَنَا**»[4]، وقوله ﷺ: «**ومن ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله**»[5].

٢-للمدعو أن يفطر إذا كان متطوعًا في صيامه وذلك بحسب إلحاح الداعي عليه وقد قال ﷺ: «**الصَّائِمُ الْمُتَطَوِّعُ أَمِيرُ نَفْسِهِ، إِنْ شَاءَ صَامَ، وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ** »[6]، ولا يجب عليه قضاء هذا اليوم، ولكنه مستحب لقوله ﷺ لأحد أصحابه: «**أفطر وصم يومًا مكانه إن شئت**»[7]، قال الطيبي: «الضابط عند الشافعي رضي الله عنه أن الضيف ينظر، فإن كان المضيف يتأذى بترك الإفطار فالأفضل الإفطار وإلا فلا»[8]، قال ابن الملقن رحمه الله: «وقال قوم: ترك الأكل مباح، وإن لم يصم أجاب الدعوة، وقد أجاب علي بن أبي طالب ولم يأكل،

---

(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٧٣٨.

(٢) البخاري، كتاب النكاح، باب حق إجابة الوليمة والدعوة، برقم ٥١٧٣.

(٣) البخاري، كتاب النكاح، باب حق إجابة الوليمة والدعوة، برقم ٥١٧٤.

(٤) البخاري، كتاب النكاح، باب حق إجابة الوليمة والدعوة، برقم ٥١٧٥.

(٥) البخاري، كتاب النكاح، باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله، برقم ٥١٧٧.

(٦) أحمد، ٤٤/ ٤٦٣، برقم ٢٦٨٩٣، وضعفه محققو المسند، والنسائي في السنن الكبرى، ٢/ ٢٤٩، برقم ٣٣٠٢، وقال الألباني في آداب الزفاف، ص ٨٤: «صحيح الإسناد».

(٧) أخرجه البيهقي، ٢٧٩/٤، والطبراني في الأوسط، ٣٠٦/٣، برقم ٣٢٤٠، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٩/ ٢٤٨: «فِي إِسناده راوٍ ضَعِيف، لَكِنَّهُ تُوبِعَ» وحسنه الألباني في الإرواء، برقم ١٩٥٢.

(٨) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٦١٨.

وقال مالك: أرى أن يجيبه في العرس وحده إن لم يأكل، أو كان صائماً»[١].

٣-من لم يفطر دعا بالبركة لصاحب الطعام لقوله ﷺ: «**وإن كان صائمًا فليدع بالبركة**»[٢].

٤-فيه دليل على جواز إظهار نوافل العبادة إذا دعت إلى ذلك حاجة والأصل الإخفاء.

٥-لا تلبّى الدعوة التي فيها معصية لله تعالى؛ لأن ذهاب الداعي إقرار منه على هذه المعصية، إلا إذا ذهب بقصد الإنكار؛ لقوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعدن على مائدة يدار عليها بالخمر**»[٣]، ويلحق بهذا وجود التصاوير والمعازف وغير ذلك من المنكرات[٤].

٦-قال العلامة الشوكاني رحمه الله: «فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى مَنْ كَانَ صَائِمًا أَنْ لَا يَعْتَذِرَ بِالصَّوْمِ ثُمَّ إنَّهُ قَدْ اُخْتُلِفَ فِي الْمُرَادِ مِنْ الصَّلَاةِ فَقَالَ الْجُمْهُورُ الْمُرَادُ فَلْيَدْعُ لِأَهْلِ الطَّعَامِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالْبَرَكَةِ»[٥].

٧-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وقال بعض العلماء يجب أن تجيب في دعوة الطعام في العرس وغيره إلا لسبب شرعي فإذا حضرت فإن كنت مفطراً فكل، وإن كنت صائماً فادع لصاحب الطعام، وأخبره بأنك صائم حتى لا يكون في قلبه شيء، وإن رأيت أنك إذا أفطرت وأكلت صار أطيب لقلبه، فأفطر إلا أن يكون الصوم صوم فريضة، فلا تفطر، فتبين الآن أن المسألة ثلاثة أحوال:

أولاً: إذا دعاك وأنت مفطر فكل.

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (٢٤/ ٥٢٧)

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، ١٠/٢٣١، برقم ١٠٥٦٣، وابن السني، ص ١٨٣، برقم ٤٩٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٤/٥٢: «رجاله ثقات» وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٥٣٨.

(٣) أخرجه أحمد، ١/٢٧٧، برقم ١٢٥، والدارمي، برقم ٢٠٩٨، والنسائي في السنن الكبرى ٤/ ١٧١، برقم ٦٧٤١، وصححه الألباني في إرواء الغليل، برقم ١٩٤٩.

(٤) انظر: آداب الزفاف للألباني، ص ١٦١.

(٥) نيل الأوطار، ١٣/ ١٦٩.

ثانياً: إذا دعاك وأنت صائم صوم فريضة فلا تأكل ولا تفطر.

ثالثاً: إذا دعاك وأنت صائم صوم نفل فأنت بالخيار إن شئت فأفطر وكل وإن شئت فلا تأكل، وأخبره بأنك صائم، واتبع ما هو الأصلح إذا رأيت أن من الخير أن تفطر فأفطر وكل وإلا فلزوم الصيام أولى أما البطاقات فلا تجب الإجابة فيها إلا إذا علمت أن الرجل أرسل إليك البطاقة بدعوة حقيقية لأن كثيراً من البطاقات ترسل إلى الناس من باب المجاملة ولا يهمه حضرت أم لم تحضر لكن إذا علمت أنه يهمه أن تحضر لكونه قريباً لك أو صديقاً لك فأجب»[١].

٨-إذا دُعي الشخص إلى طعام وتبعه غيره استأذن من صاحب الدعوة لقول النبي ﷺ لما دعاه رجل من الأنصار ﷺ لما عرف في وجهه الجوع: «**إن هذا قد تبعنا فإن شئت أن تأذن له وإن شئت أن يرجع رجع**»[٢] فقال الرجل: لا بل قد أذنت له.

٩-تجوز الوليمة بغير لحم؛ لقول أنس رضي الله عنه: أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليالٍ يُبني عليه بصفية، فدعوت المسلمين إلى وليمة وما كان فيها من خبز ولا لحم[٣].

١٠-لا يجوز أن يخص بالدعوة الأغنياء دون الفقراء لقول النبي ﷺ: «**شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء ويمنعها المساكين**»[٤].

***

---

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٧٣٨.

(٢) البخاري، كتاب البيوع، باب ما قيل في اللحام والجزار، برقم ٢٠٨١.

(٣) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات القرد، برقم ٤٢١٣.

(٤) البخاري، كتاب النكاح، باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله، برقم ٥١٧٧.

٧٥ – مَا يَقُولُ الصَّائمُ إذَا سَابَّهُ أحَدٌ

١٨٦ -((إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ))[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٣٠-لفظ البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁[٢] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ، أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ - مَرَّتَيْنِ - وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا))[٣].

٦٣١-ولفظ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: ((إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ يَوْمًا صَائِمًا، فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَجْهَلْ، فَإِنِ امْرُؤٌ شَاتَمَهُ، أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ))[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: ((الصوم)): قال ابن عبد البر ﵀: ((الْإِمْسَاكُ مُطْلَقًا، وَكُلُّ مَنْ أَمْسَكَ عَنْ شَيْءٍ فَهُوَ صَائِمٌ مِنْهُ))[٥]، والمقصود بالصيام شرعاً: الإمساك عن جميع المفطرات ابتغاء وجه الله تعالى من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس.

٢- قوله: ((إِنِّي صَائِمٌ)): قال أبو بكر بن العربي ﵀: ((فيه وجهان من التَّأويل:

---

(١) البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، برقم ١٨٩٤، ومسلم، كتاب الصيام، باب حفظ اللسان للصائم، برقم ١١٥١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ١٨٩٤، ومسلم، برقم ١١٥١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ١١٥١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠/ ٢٤٤.

أحدهما: أنّ تقول ذلك في نَفسِكَ، فلا تجاوبه بشَتْمٍ ولا غيره، الثّاني: أنّ تقولها مجاوبًا له: إنِّي صائمٌ فلا أُجَاوِبُكَ، والأوّلُ أوْلَى لنَفْي الرِّيَاءِ»[1].

٣-وَقَوْلُهُ: «**جُنَّةٌ**»: قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَهِيَ الْوِقَايَةُ وَالسِّتْرُ عَنِ النَّارِ، وَحَسْبُكَ بِهَذَا فَضْلًا لِلصَّائِمِ»[2].

٤-قوله: «**فلا يرفث**»: أي: لا يتكلم بكلام فاحش، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرفث: السخف والفحش من الكلام والجهل مثله»[3]، وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَالرَّفَثُ هُنَا الْكَلَامُ الْقَبِيحُ، وَالشَّتْمُ، وَالْخَنَا، وَالْغَيْبَةُ، وَالْجَفَاءُ، وَأَنْ تُغْضِبَ صَاحِبَكَ بِمَا يَسُوءُهُ، وَالْمِرَاءُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ كُلِّهِ»[4].

٥-قوله: «**لا يجهل**» أي: لا يفعل أفعال أهل الجهل كالصياح والسفه ونحو ذلك، قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يَجْهَلْ: قَرِيبٌ مِمَّا يُصِيبُنَا مِنَ الشَّتْمِ وَالسِّبَابِ وَالْقِبَاحِ»[5].

٦-قوله: «**فإن امرؤٌ شاتمه**»: أي: سبه[6]، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قيل إنه يقول بلسانه ويُسمع الذي شاتمه لعلّه ينزجر، وقيل يقوله بقلبه لينكفّ عن المسافهة ويحافظ على صيانة صومه، والأوّل أظهر. ومعنى شاتمه: شتمه متعرضاً لمشاتمته، والله أعلم»[7].

٧-قوله: «**أو قاتله**»: نازعه أو دافعه[8]، وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «قاتله: أي: دافعه، ونازعه، وتكون بمعنى شاتمهُ، ولاعنه، وقد جاء القتل بمعنى

---

(١) المسالك في شرح موطأ مالك، ٤/ ٢٣٧.
(٢) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠/ ٢٤٤.
(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤/ ١٠٩.
(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠/ ٢٤٤.
(٥) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠/ ٢٤٤.
(٦) انظر: فتح الباري، ٤/ ١٠٥.
(٧) الأذكار النووية للإمام النووي، ١/ ٢٣٨.
(٨)شرح صحيح مسلم للنووي، ٨/ ٢٧٠.

اللعن»[١]، وقال ابن عبد البر رحمه الله: «وَأَمَّا قَوْلُهُ: فَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ، أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ " فَفِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَقُولَ الَّذِي يُرِيدُ مُشَاتَمَتَهُ، وَمُقَاتَلَتَهُ: إِنِّي صَائِمٌ، وَصَوْمِي يَمْنَعُنِي مِنْ مُجَاوَبَتِكَ؛ لِأَنِّي أَصُونُ صَوْمِي عَنِ الْخَنَا وَالزُّورِ، وَالْمَعْنَى فِي الْمُقَاتَلَةِ: مُقَاتَلَتُهُ بِلِسَانِهِ، ... الْمَعْنَى الثَّانِي أَنَّ الصَّائِمَ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ: إِنِّي صَائِمٌ يَا نَفْسِي، فَلَا سَبِيلَ إِلَى شِفَاءِ غَيْظِكِ بِالْمُشَاتَمَةِ، وَلَا يُعْلِنُ بِقَوْلِهِ: إِنِّي صَائِمٌ ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الرِّيَاءِ وَاطِّلَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الصَّوْمَ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي لَا يَظْهَرُ، وَكَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الصَّائِمَ أَجْرَهُ بِغَيْرِ حساب»[٢].

٨-قوله: «**يصخب**»: الصخب : الضجة والجلبة»[٣].

٩-قوله: «**الصوم لي وأنا أجزي به**»: إنما خص الصوم والجزاء عليه بنفسه عز وجل، وإن كانت العبادات كلها له، قال ابن الأثير رحمه الله: «وجزاؤها منه؛ لأن جميع العبادات التي يتقرب بها العباد إلى الله عز وجل، من صلاة، وحج، وصدقة، وتبتل، واعتكاف، ودعاء، وقربان وهدي، وغير ذلك من أنواع العبادات، قد عبد المشركون بها آلهتهم، وكانوا يتخذونه من دون الله أنداداً، ولم يُسمَع أن طائفة من طوائف المشركين، وفي الأزمان المتقادمة عبدت آلهتها بالصوم، ولاتقربت إليها به، ولا دانتها به، ولا عُرف الصوم في العبادات إلا من جهة الشرائع، فلذلك قال الله عز وجل: «**الصوم لي**» أي: لم يشاركني فيه أحد، ولا عبد به غيري، فأنا حينئذ أجزي به على قدر اختصاصه بي، وأنا أتولى الجزاء عليه بنفسي، لا أَكِلُهُ إلى أحد غيري، من ملك مقرب أو غيره، وقد ذكر العلماء في معنى هذا الحديث وجوهاً من التأويل، لاتداني هذا القول، ولا تقاربه، إذ ما من قول منها

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤/ ١٠٩.
(٢) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠/ ٢٤٦.
(٣) جامع الأصول، ٩/ ٤٥٣.

إلا وباقي العبادات تشاركه فيه»[١].

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الصَّوْمُ لِي**» - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - وَكُلُّ مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ فَهُوَ لَهُ، لَكِنَّهُ ظَاهِرٌ، وَالصَّوْمُ لَيْسَ بِظَاهِرٍ»[٢].

١٠-قَوْلُهُ: «**لَخُلُوف فَم الصَّائِمِ**»: يَعْنِي مَا يَعْتَرِيهِ فِي آخِرِ النَّهَارِ مِنَ التَّغَيُّرِ، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ»[٣]، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ولخلوف**»: خلف فم والصائم يخلف خلوفا : إذا تغيرت ريحه من ترك الأكل والشرب، والخلفة منه»[٤].

١١-قَوْلُهُ: «**أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**»: قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُرِيدُ أَزْكَى عِنْدَ اللَّهِ، وَأَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ عِنْدَكُمْ، يَحُضُّهُمْ عَلَيْهِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهِ. وَهَذَا فِي فَضْلِ الطَّعَامِ، وَثَوَابِ الصَّائِمِ»[٥].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الصيام تدريب للنفس، وترويض لها حتى يتحقق لها مقصود الصيام، وهو تقوى الله، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[٦].

٢-الرفث يطلق على فاحش القول وبذيء العبارة ويطلق على الجماع ومقدماته لقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ**﴾[٧].

٣-نهي الصائم عن الرفث والجهل والمخاصمة والمشاتمة ليس مختصًا

---

(١) جامع الأصول، ٩/ ٤٥٤.
(٢) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠/ ٢٤٩.
(٣) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠/ ٢٤٨.
(٤) جامع الأصول، ٩/ ٤٥٣.
(٥) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠/ ٢٤٨.
(٦) سورة البقرة، الاية: ١٨٣.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

بنهار رمضان فقط بل هو في كل الأوقات وإن كان ذلك يتأكد في حق الصائم.

٤-قول الصائم: «إني صائم» يكون بكلام مسموع لينزجر من يعتدي عليه بالقول أو الفعل وهذا أولى من أن يقولها في نفسه؛ لأن القول المطلق هو قول اللسان وهو ظاهر الحديث والله أعلم.

٥-قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «جاء هنا لفظ المشاتمة والمقاتلة، وهي لا تكون إلا من اثنين؟ فقيل: معناه هنا: إن امرؤ أراد هذا منه فليمتنع، وأيضاً فإن المفاعله قد تجيء لفعل الواحد؛ كقوله: سافر، وعالج الأمر، وعافاه الله، وأيضاً فقد يكون على وجهه، أي: إن بدا ذلك منهما فليرجع إلى نفسه، ويذكرها بصومه فتكف»[(١)].

٦-قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما الصيام في الشريعة فمعناه الإمساك عن الأكل والشرب ووطء النساء نهاراً، إذا كان تارك ذلك يريد به وجه الله، وينويه، هذا معنى الصيام في الشريعة عند جميع علماء الأمة، وأما أصله في اللغة فالإمساك مطلقاً، وكل من أمسك عن شيء فقد صام عنه، ويسمى صائماً ألا ترى قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً﴾[(٢)]، فسمى الإمساك عن الكلام صوماً، وكل ممسك عن حركة أو عمل أو طعام أو شراب فهو صائم في أصل اللسان، لكن الاسم الشرعي ما قدمت لك وهو يقضي في المعنى على الاسم اللغوي وقد ذكرنا شواهد الشعر على الاسم اللغوي في الصيام»[(٣)].

٧-وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِي قَوْلِهِ: «الصَّوْمُ لِي» فَضْلٌ عَظِيمٌ لِلصَّوْمِ؛ لِأَنَّهُ لَا

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤/ ١٠٩.

(٢) سورة مريم، الآية: ٢٦.

(٣) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠/ ٢٤٨.

يُضَافُ إِلَيْهِ إِلَّا أَكْرَمُ الْأُمُورِ، وَأَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، كَمَا قَالَ: «بَيْتُ اللَّهِ» فِي الْكَعْبَةِ»[١].

٨-وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ أيضاً: «الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ: مَعْنَاهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الصَّوْمَ لَا يَظْهَرُ مِنِ ابْنِ آدَمَ فِي قَوْلٍ وَلَا عَمَلٍ، وَإِنَّمَا هُوَ نِيَّةٌ يَنْطَوِي عَلَيْهَا لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، وَلَيْسَتْ مِمَّا يَظْهَرُ، فَيَكْتُبُهَا الْحَفَظَةُ كَمَا تَكْتُبُ الذِّكْرَ وَالصَّلَاةَ وَالصَّدَقَةَ، وَسَائِرَ أَعْمَالِ الظَّاهِرِ؛ لِأَنَّ الصَّوْمَ فِي الشَّرِيعَةِ لَيْسَ هُوَ بِالْإِمْسَاكِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ دُونَ اسْتِشْعَارِ النِّيَّةِ، وَاعْتِقَادِ النِّيَّةِ بِأَنَّ تَرْكَهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَالْجِمَاعَ ابْتِغَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ، وَرَغْبَتَهُ فِيمَا نَدَبَ إِلَيْهِ تَزَلُّفًا وَقُرْبَةً مِنْهُ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، لَا يُرِيدُ بِهِ غَيْرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ لَمْ يَنْوِ بِصَوْمِهِ أَنَّهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَيْسَ بِصِيَامٍ؛ فَلِهَذَا قُلْنَا: إِنَّهُ لَا تَطَّلِعُ عَلَيْهِ الْحَفَظَةُ؛ لِأَنَّ التَّارِكَ لِلْأَكْلِ وَالشُّرْبِ لَيْسَ بِصَائِمٍ فِي الشَّرْعِ إِلَّا أَنْ يَنْوِيَ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَرَضِيَهُ مِنْ تَرْكِهِ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَا لِأَحَدٍ سِوَاهُ»[٢].

٩-قال ابن القيم: فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام وصوم البطن عن الطعام والشراب، فكما أن الطعام والشراب يفسده، فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته فتصيره بمنزلة من لم يصم[٣].

قال النبي ﷺ: «**رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر**»[٤].

***

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ١٩/ ٥٣.

(٢) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠/ ٢٤٨.

(٣) الوابل الصيب، ص ٤٣.

(٤) أخرجه ابن ماجه، كتاب الصيام، باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم، برقم ١٦٩٠، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الصيام، ما ينهى عنه الصائم من قول الزور والغيبة برقم ٣٢٤٩، قال البوصيري في مصباح الزجاجة، ٢/ ٦٩: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٤٨٨.

٧٦ - الدُّعَاءُ عِنْدَ رُؤْيَةِ بَاكُورَةِ الثَّمَرِ

١٨٧ - «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا»(١).

الشـــرح:

أولاً: شرح مفردات الحديث:

٦٣٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٢)، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاؤُوا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ، وَخَلِيلُكَ، وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَمِثْلِهِ مَعَهُ»، قَالَ: ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ لَهُ، فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرَ»(٣).

٦٣٣- وفي رواية لمسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِأَوَّلِ الثَّمَرِ، فَيَقُولُ: «اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَفِي ثِمَارِنَا، وَفِي مُدِّنَا، وَفِي صَاعِنَا بَرَكَةً مَعَ بَرَكَةٍ»، ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْوِلْدَانِ إلى رسول الله ﷺ، فإذا أخذه ﷺ قال: ثم ذكر الدعاء(٤).

---

(١) مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، برقم ٤٧٣- (١٣٧٣)، ورقم ٤٧٤- (١٣٧٣)، وموطأ مالك، ٥/ ١٣٠٣، برقم (٣٣٠٣)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا دعي بأول الثمر فأخذه، برقم ١٠١٣٤، وصحيح ابن حبان ٩/ ٦٢، برقم ٣٧٤٧، وصحح إسناده محقق ابن حبان، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١١٩٩، وكلها بلفظ واحد.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، برقم ١٣٧٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ٤٧٣-(١٣٧٣)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**جاءوا به إلى النبي ﷺ**»: قال الطيبي رحمه الله: «إنما كانوا يؤثرونه بذلك على أنفسهم حبًا له وكرامة لوجهه المكرم؛ وطلبًا للبركة فيما جدد الله عليهم من نعمة، ويرونه أولى الناس بما سيق إليهم من رزق ربهم»[(١)].

٢-قوله: «**أول الثمر**»: أي: بعد أن يبدو صلاحه، قال ابن الأثير رحمه الله: «الثَّمَرَة: مَا ينْتجُه الشَّجَرُ»[(٢)].

٣-قوله: «**بمثل ما دعاك**»: قال الطيبي رحمه الله: «يعني وارزقهم من الثمرات بأن تجلب إليهم من البلاد؛ لعلهم يشكرون النعمة في أن يرزقوا أنواع الثمرات حاضرة في وادٍ يبابٍ، ليس فيه نجم، ولا شجر، ولا ماء، لا جرم أن الله عز وجل أجاب دعوته، فجعله حرمًا آمنًا تجبى إليه ثمرات كل شيء رزقًا من لدنه»[(٣)].

٤-قوله: «**إن إبراهيم**»: قال النووي رحمه الله: «إبراهيم خليل الرحمن، صلوات الله عليه وسلامه هو أبو إسماعيل إبراهيم بن آزر أنزل الله تعالى عليه صحفًا... وجعل له لسان صدق في الآخرين، أي: ثناء حسنًا، فليس أحد من الأمم إلا يحبه، وأكرمه بالخلة، وبأن جعل أكثر الأنبياء من ذريته، وختم ذلك سبحانه وتعالى بنبينا محمد ﷺ، والآيات الكريمة في بيان أحواله معلومة»[(٤)].

٥-قوله: «**وخليلك**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «والْخَلِيلُ: الصَّدِيق، فَعِيل بِمَعْنَى مُفاعِل، وَقَدْ يكُون بِمَعْنَى مَفْعول، وإنَّما قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ خُلَّتَهُ كَانَتْ مَقْصُورَة عَلَى حُبّ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَيْسَ فِيهَا لِغَيرِه مُتَّسَع وَلَا شَرِكَة مِنْ مَحابِّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة،

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ٢٠٥٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٢١، مادة (ثمر).

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ٢٠٥٤.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات، ١/ ٩٨.

وَهَذِهِ حَال شَرِيفَة لَا يَنَالها أحدٌ بِكسْب واجْتِهاد، فإنَّ الطِّبَاع غالبَة، وإنَّما يَخُصُّ اللَّهُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَاده مِثْل سَيِّد الْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ»[(١)].

٦-قوله: «لمكة»: قال ابن منظور رحمه الله: «ومَكَّةُ: مَعْرُوفَةٌ، الْبَلَدُ الْحَرَامُ، قِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِقِلَّةِ مَائِهَا، وَذَلِكَ أَنهم كَانُوا يَمْتَكُّون الْمَاءَ فِيهَا أَيْ: يَسْتَخْرِجُونَهُ، وَقِيلَ: سُمِّيَتْ مَكَّةَ لأَنها كَانَتْ تَمُكُّ مَنْ ظَلَم فِيهَا وأَلْحَدَ أَيْ: تُهْلِكُهُ»[(٢)].

٧-قوله: «اللَّهم بارك لنا»: البركة هي كثرة الشيء ونماؤه. قال المباركفوري رحمه الله: «الْبَرَكَةِ وَهِيَ زِيَادَةُ الْخَيْرِ وَنُمُوُّهُ، وَدَوَامُهُ »[(٣)]، وقال ابن عبد البر رحمه الله: «وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا» يُرِيدُ نَفْسَهُ وَأَصْحَابَهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ، وَصَدَّقُوهُ، وَاتَّبَعُوهُ عَلَى دِينِهِ، فِي زَمَانِهِ، وَتُدْرِكُ بَرَكَةُ تِلْكَ الدَّعْوَةِ فِي قَوْلِهِ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا» كُلَّ مَنْ كَانَ حَيًّا، مَوْلُودًا فِي مُدَّتِهِ، وَكُلَّ مَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ مِنْ سَاكِنِي الْمَدِينَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ عز وجل»[(٤)].

٨-قوله: «في ثمرنا»: في ثمرنا أي: في أوله وآخره بجميع أنواعه،

٩-قوله: «وبارك لنا في مدينتنا» أي: المدينة النبوية، قال ابن منظور رحمه الله: «وَالْمَدِينَةُ: اسْمُ مَدِينَةُ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، خَاصَّةً غَلَبَتْ عَلَيْهَا تَفْخِيمًا لَهَا، شرَّفها اللَّهُ وَصَانَهَا»[(٥)].

١٠-قوله: «وبارك لنا في صاعنا»: الصاع نوع من المكاييل، وهو أربعة أمداد، قال ابن الأثير: «الصَّاع فِي الْحَدِيثِ، وَهُوَ مِكْيال يَسَع أَرْبَعة أَمْدادٍ. والمدُّ مُخْتَلَفٌ

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٧٢، مادة (خلّ).

(٢) لسان العرب، ١٠/ ٤٩١، مادة (ملّك).

(٣) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٩٦، وتقدم في المفردة رقم ٧، من مفردات حديث المتن رقم ١٧٩.

(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٢٦/ ١١.

(٥) لسان العرب، ١٣/ ٤٠٢، مادة (مدن).

فِيهِ، فَقِيلَ هُوَ رِطْلٌ وَثُلُثٌ بِالْعِرَاقِيِّ، وَبِهِ يقولُ الشَّافِعِيُّ وفُقهاء الْحِجَازِ. وَقِيلَ هُوَ رطْلان، وَبِهِ أَخَذَ أَبُو حَنِيفَةَ وفُقهاء العِرَاق، فيكونُ الصَّاع خمسةَ أَرْطال وثُلُثاً، أَوْ ثَمانِيَةَ أَرْطال»[١]، والصاع أربعة أمداد، والمد ملء كفي الرجل المعتدل.

١١-قوله: «**وبارك لنا في مدنا**»: هو ملء كفي الرجل معتدل الكفين، قال ابن الأثير رحمه الله: «المُدّ: بِالضَّمِّ فِي الْحَدِيثِ، وَهُوَ رِطْلٌ وثُلُث بِالْعِرَاقِيِّ، عِنْدَ الشافعيّ وأهلِ الْحِجَازِ، وَهُوَ رِطلان عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ، وأهلِ العِراق، وَقِيلَ: إِنَّ أصلَ المُدّ مُقدَّرٌ بِأَنْ يَمُدّ الرَّجُلَ يَدَيْهِ فيَملأ كَفّيه طَعَامًا»[٢]، وقال الطيبي رحمه الله: «المراد البركة في نفس المكيل بالمدينة بحيث يكفي المد فيها لمن لا يكفيه في غيرها»[٣].

١٢-قوله: «**ثم يدعو أصغر وليد**»: قال الطيبي رحمه الله: «وأما إعطاؤه ﷺ أصغر وليد يراه، فإنه من تمام المناسبة الواقعة بين الولدان وبين الباكورة، وذلك حدثان عهدهما بالإبداع، فخص به أصغر وليد يراه»[٤].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-جواز الطواف بالباكورة على الناس، والباكورة هي أول الثمرة، قال النووي رحمه الله: «كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ رَغْبَة فِي دُعَائِهِ ﷺ فِي الثَّمَر، وَلِلْمَدِينَةِ وَالصَّاع وَالْمُدّ، وَإِعْلَامًا لَهُ ﷺ بِابْتِدَاءِ صَلَاحهَا لِمَا يَتَعَلَّق بِهَا مِنْ الزَّكَاة وَغَيْرهَا ، وَتَوْجِيه الْخَارِصِينَ»[٥].

٢-عدم جواز بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها لقول ابن عمر رضي الله عنهما نهى

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٦٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٣٠٨، مادة (صوع).

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ٢٠٥٤.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ٢٠٥٣.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٩/ ١٤٦.

رسول الله ﷺ عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها نهى البائع والمبتاع[١].

٣-استحباب إعطاء باكورة الثمرة لأصغر وليد يحضر من الولدان؛ لكونه أكثر الحاضرين رغبة فيها، وهذا من كمال شفقة النبي ﷺ بالأطفال.

٤-فِيهِ بَيَان مَا كَانَ عَلَيْهِ ﷺ مِنْ مَكَارِم الْأَخْلَاق، وَكَمَال الشَّفَقَة وَالرَّحْمَة، وَمُلَاطَفَة الْكِبَار وَالصِّغَار، وَخَصَّ بِهَذَا الصَّغِير لِكَوْنِهِ أَرْغَب فِيهِ، وَأَكْثَر تَطَلُّعًا إِلَيْهِ، وَحِرْصًا عَلَيْهِ»[٢].

٥-قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «وفيه ما كان عليه ﷺ من الرفق بالصغير والكبير، ومراعاة حقوق كل صنف منهم بحسبه، ودفع هذه الطرفة للصغار؛ إذ هم أولى بذلك لشدة حرصهم على مثل ذلك، وإعجابهم به، وقيل: يحتمل أن يفعل ذلك لطلب الأجر بدفعه لمن لا ذنب له، وإدخال المسرة عليه بذلك، وتخصيصه ذلك بأصغر وليد يحضره، لما لم يكن لقلتِه فيه ما نقسم على الولدان رحم أصغرهم به؛ إذ هو أولى بالألطاف ولقلة صبره، وحرصه وشرهه على مثل هذا بحسب صغره، وكلما كبر تخلق بأخلاق الرجال من الصبر والحياء وسماحة النفس، وقلة الشره»[٣].

٦-ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من تمام الأدب مع رسول الله ﷺ لأنهم كانوا يفعلون ذلك رغبة في دعائه، وإعلامًا له بابتداء صلاحها حتى يعلمهم ما يتعلق بها من الزكاة، وغيرها من الأمور.

٧-استمرار البركة في المدينة منذ عهده ﷺ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهذه البركة على قسمين:

---

(١) البخاري، كتاب البيوع، باب النهي للبائع أن لايُحفِّل الإبل، برقم ٢١٩٤.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٩/ ١٤٦.

(٣) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٤/ ٢٥٥.

أ- بركة دينية وهي متمثلة في كون المدينة قبلة لطلب العلم الشرعي.

ب- بركة دنيوية وهي متمثلة في الكيل فإنها كيل مبارك أكثر من غيره.

٨-قال الطيبي رحمه الله: «في إعطائه الوليد الثمر، بيان مكارم أخلاقه ﷺ، وكمال الشفقة، والرحمة ،وملاطفة الكبار والصغار، وخص به الصغير؛ لكونه أرغب وأكثر تطلعًا إليه، وحرصًا عليه»[١].

٩-قال الباجي رحمه الله: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا**» يُرِيدُ أَخْذَهُ لِيَنْظُرَ إلَيْهِ وَيَدْعُوَ لَهُمْ فِيهِ، ثُمَّ دَعَا لَهُمْ مَعَ ذَلِكَ فِي مَدِينَتِهِمْ يُرِيدُ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَرَافِقِهَا وَمَنَافِعِهَا»[٢].

١٠-وقال أيضاً: «**اللَّهُمَّ إنَّ إبْرَاهِيمَ عَبْدُك وَخَلِيلُك وَنَبِيُّك وَإِنِّي عَبْدُك وَنَبِيُّك**» يُرِيدُ إظْهَارَ وَسِيلَتِهِ إلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَذِكْرَ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ كَمَا أَنْعَمَ عَلَى إبْرَاهِيمَ، ثُمَّ قَالَ وَإِنَّ إبْرَاهِيمَ دَعَا لِمَكَّةَ يُرِيدُ ﷺ قَوْلَهُ ﷻ: ﴿**رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ**﴾[٣]»[٤].

١١-وقال الباجي رحمه الله أيضاً: «وَقَوْلُهُ ﷺ: «**وَإِنِّي أَدْعُوك لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاك بِهِ لِمَكَّةَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ**»... ويُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ أَنَّ إبْرَاهِيمَ أَيْضًا دَعَا لِأَهْلِ مَكَّةَ بِأَمْرِ آخِرَتِهِمْ، وَعَلِمَ هُوَ ﷺ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَبِمِثْلِهِ مَعَهُ، فَيَعُودُ إلَى مِثْلِ مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ أَنَّ إبْرَاهِيمَ ﷺ دَعَا لِأَهْلِ مَكَّةَ فِي ثَمَرَاتِهِمْ بِبَرَكَةٍ قَدْ أَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ فِيهِ، وَأَنَّهُ ﷺ دَعَا لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي ثَمَرَاتِهِمْ أَيْضًا بِمِثْلِ ذَلِكَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ، فَلَا

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ٢٠٥٣.

(٢) المنتقى شرح الموطأ، ٧/ ١٨٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٦.

(٤) المنتقى شرح الموطأ، ٧/ ١٨٨.

يَكُونُ هَذَا دَلِيلًا عَلَى فَضْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى مَكَّةَ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْبَرَكَةَ فِي ثِمَارِهِمْ مِثْلُ الْبَرَكَةِ فِي ثِمَارِ مَكَّةَ، إِمَّا لِقُرْبِ تَنَاوُلِهَا، أَوْ لِكَثْرَتِهَا، أَوْ لِفَضْلِهَا، أَوْ لِلْبَرَكَةِ فِي الِاقْتِيَاتِ بِهَا، أَوْ لِيُوصَلَ مَنْ يَقْتَاتُ بِهَا مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مِثْلَيْ مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ مَنْ يَقْتَاتُ فِي مَكَّةَ بِثِمَارِهَا، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ»(١).

١٢-قال الطيبي رحمه الله: «وإنما لم يذكر الخلة لنفسه - مع أنه أيضًا خليل الله تعالى، على ما دل عليه قوله ﷺ في باب مناقب أبي بكر رضي الله عنه: «**وقد اتخذ الله صاحبكم خليلًا**»(٢) رعاية للأدب في ترك المساواة بين نفسه وبين آبائه وأجداده الكرام. أقول [القائل الطيبي]: لو صرح به لقيل: عبدك وحبيبك، وفي عدم تصريحه به مع رعاية الأدب تنبيه على تنويهه، وجلالة شأنه، وأنه أرفع درجة، وأعظم قدرًا»(٣).

١٣-وقال ابن عبد البر رحمه الله: «صَرْفُ الدُّعَاءِ بِالْبَرَكَةِ إِلَى مَا يُكَالُ بِالْمِكْيَالِ وَالصَّاعِ وَالْمُدِّ مِنْ كُلِّ مَا يُكَالُ، وَهَذَا مِنْ فَصِيحِ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَأَنْ يُسَمَّى الشَّيْءُ بِاسْمِ مَا قَرُبَ مِنْهُ، وَلَوْ لَمْ تَكُنِ الْبَرَكَةُ فِي كُلِّ مَا يُكَالُ، وَكَانَتْ فِي الْمِكْيَالِ لَمْ تَكُنْ فِي ذَلِكَ مَنْفَعَةٌ، وَلَا فَائِدَةٌ، بَلْ لَوْ رُفِعَتِ الْبَرَكَةُ مِنَ الْمُكَالِ، فَكَانَتْ فِي الْمِكْيَالِ كَانَتْ مُصِيبَةً، وَهَذَا مُحَالٌ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ، وَقَدْ جَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدْعُوَ بِمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ»(٤).

١٤-وقال أيضاً: «وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْفَاقَ بِالْكَيْلِ أَفْضَلُ مِنْهُ بِغَيْرِ الْكَيْلِ»(٥).

---

(١) المنتقى شرح الموطأ للباجي، ٧/ ١٨٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برقم ٢٣٨٣.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ٢٠٥٣.

(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٢٦/ ١٠.

(٥) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٢٦/ ١٠.

١٥-من ثمار دعوة النبي ﷺ بالبركة للمدينة ما يأتي:

أ- إخباره ﷺ «**أن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها**»[١]، ومعنى يأرز أي: ينضم ويجتمع.

ب- هلكة من يكيد لها لقوله ﷺ: «**لا يكيد لأهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء**»[٢] ومعنى انماع أي: ذاب.

ج- لا يدخلها الدجال ولا الطاعون، لقوله ﷺ: «**على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**»[٣].

د- قول النبي ﷺ: «**لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي إلا كنت له شفيعًا يوم القيامة أو شهيدًا**»[٤] ومعنى لأواء أي: شدتها.

***

(١) البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب الإيمان يأرز إلى المدينة، برقم ١٨٧٦.

(٢) البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب إثم من كاد أهل المدينة، برقم ١٨٧٧.

(٣) البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، برقم ١٨٨٠. وكذلك مكة لا يدخلها الدجال لقوله ﷺ: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة...». البخاري، برقم ١٨٨١.

(٤) مسلم، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة، والصبر على لأوائها، برقم ١٣٧٧.

٧٧ – دُعَاءُ العُطَاسِ

١٨٨- (١) «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُم فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٣٤-لفظ البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٢]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»[٣].

٦٣٥- ورواية الترمذي عَنْ أَبِي أَيُّوبَ ﷺ[٤]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلْيَقُلِ الَّذِي يَرُدُّ عَلَيْهِ، يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَلْيَقُلْ هُوَ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»[٥].

---

(١) البخاري، كتاب الأدب، باب إذا عطس كيف يشمت، برقم ٦٢٢٤، وأبو داود، كتاب الأدب، باب كيف تشميت العاطس، برقم ٥٠٣٣، والترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء كيف تشميت العاطس، برقم ٢٧٤١، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب تشميت العاطس، برقم ٣٧١٥، والبخاري في الأدب المفرد، برقم ٩٣٤، وأحمد، ٢/ ٢٧٥، برقم ٩٧٢.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح..

(٣) البخاري، برقم ٦٢٢٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣١٨ من أحاديث الشرح.

(٥) الترمذي، برقم ٢٧٤١، وجوّد العلامة الألباني إسناده في المشكاة، برقم ٤٣٣٩، وصححه في صحيح الترمذي، ٣/ ٩٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٦٣٦-ورواية ابن ماجه عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه[١] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَرُدَّ عَلَيْهِ مَنْ حَوْلَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَلْيَرُدَّ عَلَيْهِمْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»[٢].

٦٣٧-ورواية البخاري في الأدب المفرد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه[٣] قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلْيَقُلْ مَنْ يَرُدُّ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَلْيَقُلْ هُوَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ»[٤].

٦٣٨-وعن أبي هريرة رضي الله عنه[٥]قال: قال النبي ﷺ: «التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال: ها، ضحك منه الشيطان»[٦].

٦٣٩-وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[٧] قال: قال النبي ﷺ: «إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه فإن الشيطان يدخل»[٨].

٦٤٠-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ، فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ الشَّيْطَانِ، فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِذَا قَالَ: هَا، ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»[٩].

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٢) ابن ماجه، برقم ٣٧١٥، وصححه العلامة الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٣٧٠٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح..

(٤) الأدب المفرد، برقم ٩٣٤، وأحمد، ٢/ ٢٧٥، برقم ٩٧٢، وحسنه لغيره محققو المسند، والعلامة الألباني في صحيح الأدب المفرد موقوفاً برقم ٩٣٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح..

(٦) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٨٩.

(٧) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح..

(٨) مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب، برقم ٢٩٩٥.

(٩) البخاري، كتاب الأدب، باب ما يستحب من العطاس، وما يكره من التثاؤب، برقم ٦٢٢٣.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**إذا عطس أحدكم**»: أي: منكم يا أمة الإسلام، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «عَطَسَ الرَّجُلُ يَعْطِس، بِالْكَسْرِ، ويَعْطُس، ...يَكُونُ مَعَ خِفَّةِ الْبَدَنِ، وَانْفِتَاحِ المسامِّ، وَتَيْسِيرِ الْحَرَكَاتِ، وَالتَّثَاؤُبِ بِخِلَافِهِ، وَسَبَبُ هَذِهِ الأَوصاف تخفيفُ الْغِذَاءِ والإقلال مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، والمَعْطِس والمَعْطَس: الأَنف لأَن العُطاس مِنْهُ يَخْرُجُ»[(١)]، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «التثاؤب بالهمزة: التنفس الذي ينفتح منه الفم، وهو إنما ينشأ من الامتلاء وثقل النفس، ولدورة الحواس، ويورث الغفلة والكسل، وسوء الفهم، ولذلك كرهه الله تعالى، وأحبه الشيطان، وضحك منه، والعطاس لمَّا كان سبباً لخفة الدماغ، واستفراغ الفضلات عنه، وصفاء الروح، وتقوية الحواس، كان أمره بالعكس»[(٢)].

٢-قوله: «**فليقل الحمد لله**»: على هذه النعمة، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»[(٣)].

وقال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «الحمد: الثناء على قدرته؛ ... فيشكر على ما أولى العباد بسبب الانتقال من النعم الدينية، والدنيوية ما لا يحصى»[(٤)].

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَوْله: (الْحَمْد لِلَّهِ): فِيهِ اِسْتِحْبَاب حَمْد الله عِنْد تَجَدُّد النِّعَم، وَحُصُول مَا كَانَ الْإِنْسَان يَتَوَقَّع حُصُوله، وَانْدِفَاع مَا كَانَ يَخَاف وُقُوعه»[(٥)].

---

(١) لسان العرب، ٦/ ١٤٢.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠/ ٣٠٧٧.

(٣) بدائع الفوائد، ٢/٥٣٧، وانظرها بتفصيل أكثر في شرح مفردات الحديث رقم ٢ من أحاديث المتن، في المفردة رقم ٤، والمفردة رقم ٧.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة الثانية من حديث المتن رقم ١٠٨.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣/ ١٨٢.

٣-قوله: «**وليَقُل لَهُ أَخُوهُ أَو صاحِبه**»: قال ابن حجر رحمه الله: «هُو شَكٌّ مِنَ الرّاوِي، وكَذا وقَعَ لِلأَكثَرِ مِن رِوايَة عاصِم بن عَلِيّ «فَليَقُل لَهُ أَخُوهُ»، ولَم يَشُكّ والمُراد بِالأُخُوَّةِ أُخُوَّة الإِسلام»[(١)].

٤-قوله: «**يرحمك الله**»: دعاء بالرحمة وتبشير له كقولك: «طهور إن شاء الله».قال ابن حجر رحمه الله: قَوله : «يَرحَمك الله»: قالَ ابن دَقِيق العِيد رحمه الله: يَحتَمِل أَن يَكُون دُعاء بِالرَّحمَةِ، ويَحتَمِل أَن يَكُون إِخبارًا عَلَى طَرِيق البِشارَة، كَما قالَ فِي الحَدِيث الآخَر: «**طَهُور إِن شاءَ الله**»[(٢)]، أَي: هِيَ طُهر لَك؛ فَكَأَنَّ المُشَمِّت بَشَّرَ العاطِس بِحُصُولِ الرَّحمَة لَهُ فِي المُستَقبَل بِسَبَبِ حُصُولها لَهُ فِي الحال لِكَونِها دَفَعَت ما يَضُرّهُ، قالَ: وهَذا يَنبَنِي عَلَى قاعِدَة، وهِيَ أَنَّ اللَّفظ إِذا أُرِيدَ بِهِ مَعناهُ لَم يَنصَرِف لِغَيرِهِ، وإِن أُرِيدَ بِهِ مَعنًى يَحتَمِلهُ انصَرَفَ إِلَيهِ، وإِن أُطلِقَ انصَرَفَ إِلَى الغالِب، وإِن لَم يَستَحضِر القائِل المَعنَى الغالِب، وقالَ ابن بَطّال: ذَهَبَ إِلَى هَذا قَوم فَقالُوا: يَقُول لَهُ: يَرحَمك الله، يَخُصّهُ بِالدُّعاءِ وحده، وقَد أَخرَجَ البَيهَقِيُّ فِي (الشُّعَب)، وصَحَّحَهُ ابن حِبّان مِن طَرِيق حَفص بن عاصِم عَن أَبِي هُرَيرَة رضي الله عنه رَفَعَهُ: «**لَمّا خَلَقَ الله آدَم عَطَسَ، فَأَلهَمَهُ رَبُّهُ أَن قالَ: الحَمد لِلَّهِ، فَقالَ لَهُ رَبّه: يَرحَمك الله**[(٣)]»[(٤)]، وقال المناوي رحمه الله: «فمعنى رحمك الله: أعطاك رحمة ترجع بها إلى حالك الأول أو يرجع بها كل عضو إلى سمته»[(٥)].

٥-قوله: «**يهديكم الله**» أي: يدلك على صراطه المستقيم، واتباع سنة سيد

(١) فتح الباري، ١٠/ ٦٠٨.

(٢) انظر الحديث، رقم ١٤٧، من أحاديث المتن.

(٣) ابن حبان، ٦/ ٤٢١، برقم ٢٠٨٠، وحسنه محققه، والبيهقي، ٧/ ٢٣، وابن عساكر ٧/ ٣٨٤،

(٤) فتح الباري، ١٠/ ٦٠٨.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ١٦٣.

المرسلين ﷺ، قال المناوي رحمه الله: «يهديكم الله ويصلح بالكم : أي حالكم، واختير الجمع ورُجِّح، واعتُرض بأن الدعاء بالهداية للمسلم تحصيل الحاصل، وهو محال، ومُنع بأنه ليس المراد بالدعاء، وبالهداية ما متلبس به من الإيمان، بل معرفة تفاصيل أجزائه، وإعانته على أعماله، وكل مؤمن يحتاج إلى ذلك في كل طرفة عين، ومن ثَمَّ أمر الله أن نسأله الهداية في كل ركعة من الصلاة»[(١)].

٦-قوله: «**يصلح بالكم**» أي: حالكم وأموركم وذلك بصلاح القلب واستقامة الجوارح على طاعة الله عز وجل، واتباع رسوله محمد ﷺ، قال القاري رحمه الله: «أي: شأنكم، وحالكم؛ لأنه إذا دعا له بالرحمة شرع في حقه دعاء بالخير له، تأليفاً للقلوب، ولفظ العموم خرج مخرج الغالب؛ فإن العاطس قلما يخلو عند عطاسه عن أصحابه، أو هو إشارة إلى تعظيمه واحترامه في الدعاء، أو إلى أمة محمد كلهم»[(٢)]، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «أي يصلح شأنكم فتدعو له بالهداية وإصلاح الشأن»[(٣)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-العطاس من النعم التي تستوجب الحمد وذلك لأمرين:

الأمر الأول: أنه يخرج الأبخرة المحتقنة في الدماغ والتي لو بقيت لأحدثت أدواء عسيرة.

الأمر الثاني: بقاء الأعضاء على هيئتها والتئامها بعد هذه الزلزلة القوية التي حدثت للبدن[(٤)].

٢-تشميت العاطس حق متبادل بين أهل الإسلام لقول النبي ﷺ: «حق

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٥١٧.
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٤/ ٤.
(٣) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٨٨١.
(٤) انظر زاد المعاد لابن القيم، ٢/٣٤٨، ٣٤٩.

المسلم على المسلم ست» وفيه: «**وإذا عطس وحمد الله فيشمته**»[١]. ومفهومه أنه لا يشمت إلا من حمد الله وعلى كل من سمعه أن يشمته لقول النبي ﷺ: «**وإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقًّا على كل مسلم سمعه أن يقول: يرحمك الله**»[٢].

٣-قال الإمام النووي رحمه الله: «قَالَ الْقَاضِي: وَالْمَشْهُور مِنْ مَذْهَب مَالِك أَنَّهُ فَرْض كِفَايَة، قَالَ: وَبِهِ قَالَ جَمَاعَة مِنْ الْعُلَمَاء كَرَدِّ السَّلَام، وَمَذْهَب الشَّافِعِيّ، وَأَصْحَابه، وَآخَرِينَ أَنَّهُ سُنَّة وَأَدَب، وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ، وَيَحْمِلُونَ الْحَدِيث عَلَى النَّدْب وَالْأَدَب كَقَوْلِهِ ﷺ : «**حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِم أَنْ يَغْتَسِل فِي كُلّ سَبْعَة أَيَّام**»[٣].

٤-قَالَ الْقَاضِي: وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاء فِي كَيْفِيَّة الْحَمْد وَالرَّدّ، وَاخْتَلَفَتْ فِيهِ الْآثَار، فَقِيلَ: يَقُول: الْحَمْد لِلَّهِ، وَقِيلَ: الْحَمْد لِلَّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ، وَقِيلَ: الْحَمْد لِلَّهِ عَلَى كُلّ حَال، وَقَالَ ابْن جَرِير: هُوَ مُخَيَّر بَيْن هَذَا كُلّه، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيح، وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ مَأْمُور بِالْحَمْدِ لِلَّهِ»[٤].

٥-العطاس من الأمور التي يحبها الله، وذلك لما فيه من النفع، والخير، ولما يترتب عليه من الحمد له، والثناء عليه، ودعائه ﷻ، وهذا بخلاف التثاؤب الذي هو من الشيطان. قال النبي ﷺ: «**إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب**»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، برقم ٢١٦٢، بلفظ: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»» وأحمد في المسند، ١٤/ ٤٣٩، برقم ٨٨٤٥.

(٢) البخاري، كتاب الأدب، باب إذا تثاءب فليضع يده على فيه، برقم ٦٢٢٦.

(٣) البخاري، كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل، برقم ٨٩٧، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الطب والسواك يوم الجمعة، برقم ٨٤٩.

(٤) شرح النووي على مسلم، ١٨/ ١٢١.

(٥) البخاري، كتاب الأدب، باب ما يستحب من العطاس وما يكره من التثاؤب، برقم ٦٢٢٣.

٦-يسن للعاطس خفض الصوت حتى لا يزعج من حوله؛ لقول أبي هريرة ﷺ: «كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده، أو ثوبه، على فيه، وخفض، أو غض صوته»[١].

٧-قالَ ابن دَقِيق العِيد رَحِمَهُ اللهُ: «ظَاهِر الحَدِيث أَنَّ السُّنَّة لا تَتَأَدَّى إِلاَّ بِالمُخاطَبَةِ، وأَمّا ما اعتادَهُ كَثِير مِنَ النّاس مِن قَولهم لِلرَّئِيسِ: يَرحَم الله سَيِّدنا، فَخِلاف السُّنَّة، وبَلَغَنِي عَن بَعض الفُضَلاء أَنَّهُ شَمَّتَ رَئِيسًا فَقالَ لَهُ: يَرحَمك الله يا سَيِّدنا، فَجَمَعَ الأَمرَينِ، وهُو حَسَن»[٢].

٨-التشميت ثلاث مرات، وما زاد فهو زكام، ويقال لصاحبه: «الرجل مزكوم» لقوله ﷺ: «**شمت أخاك ثلاثًا فما زاد إنما هو نزلة أو زكام**»[٣]، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: وقوله: «**الرجل مزكوم**»[٤]، تنبيه على الدعاء له بالعافية؛ لأن الزكمة علة، فعلى صاحبها أن يتداركها، ولا يهمدها، فيصعب أمرها، فكلامه كله حكمة، ورحمة، وعلم، وهدى[٥].

قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: «وَفِي الْبَابِ حَدِيثٌ آخَرُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ يَرْفَعُهُ: «**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيُشَمِّتْهُ جَلِيسُهُ فَإِنْ زَادَ عَلَى الثَّلَاثَةِ فَهُوَ مَزْكُومٌ، وَلَا تُشَمِّتْهُ بَعْدَ الثَّلَاثِ**»، وَهَذَا الْحَدِيثُ هُوَ حَدِيثُ أبي داود[٦] الَّذِي قَالَ فِيهِ: رَوَاهُ أَبو

---

(١) مسند أحمد، ١٥/ ٤١٢، برقم ٩٦٦٢، وأبو داود، كتاب الأدب، باب كيف تشميت العاطس، برقم ٥٠٣٢، وقوى إسناده محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٧٥٥.

(٢) فتح الباري، ١٠/ ٦٠٩.

(٣) الدعاء للطبراني، ص ٥٥٦، برقم ٢٠٠٠، والديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، ٢/ ٣٥٥، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٧١٥.

(٤) مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب تشميت العاطس وكراهة التثاؤب، برقم ٢٩٩٣.

(٥) زاد المعاد، ٢/٤٤١.

(٦) أبو داود، كتاب الأدب، باب كيف تشميت العاطس، برقم ٥٠٣٤، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٣٣٠.

نعيم، عَنْ موسى بن قيس، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ، عَنْ سعيد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ، فَإِنْ قِيلَ: إِذَا كَانَ بَهْ زُكَامٌ، فَهُوَ أَوْلَى أَنْ يُدْعَى لَهُ مِمَّنْ لَا عِلَّةَ بِهِ؟ قِيلَ: يُدْعَى لَهُ كَمَا يُدْعَى لِلْمَرِيضِ، وَمَنْ بِهِ دَاءٌ وَوَجَعٌ، وَأَمَّا سُنَّةُ الْعُطَاسِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَهُوَ نِعْمَةٌ، وَيَدُلُّ عَلَى خِفَّةِ الْبَدَنِ، وَخُرُوجِ الْأَبْخِرَةِ الْمُحْتَقِنَةِ، فَإِنَّمَا يَكُونُ إِلَى تَمَامِ الثَّلَاثِ وَمَا زَادَ عَلَيْهَا يُدْعَى لِصَاحِبِهِ بِالْعَافِيَةِ، وَقَوْلُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «**الرَّجُلُ مَزْكُومٌ**» تَنْبِيهٌ عَلَى الدُّعَاءِ لَهُ بِالْعَافِيَةِ؛ لِأَنَّ الزَّكْمَةَ عِلَّةٌ، وَفِيهِ اعْتِذَارٌ مِنْ تَرْكِ تَشْمِيتِهِ بَعْدَ الثَّلَاثِ، وَفِيهِ تَنْبِيهٌ لَهُ عَلَى هَذِهِ الْعِلَّةِ لِيَتَدَارَكَهَا، وَلَا يُهْمِلَهَا، فَيَصْعُبُ أَمْرُهَا، فَكَلَامُهُ ﷺ كُلُّهُ حِكْمَةٌ وَرَحْمَةٌ، وَعِلْمٌ وَهُدًى»[1].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «الثَّالِث المَزكُوم إذا تَكَرَّرَ مِنهُ العُطاس فَزادَ عَلَى الثَّلاث؛ فَإِنَّ ظاهِر الأَمر بِالتَّشمِيتِ يَشمَل مَن عَطَسَ واحِدَة أَو أَكثَر، لَكِن أَخرَجَ البُخارِيّ فِي الأَدَب المُفرَد مِن طَرِيق مُحَمَّد بن عَجلانَ عَن سَعِيد المَقبُرِيّ عَن أَبِي هُرَيرَة قالَ: «**يُشَمِّتهُ واحِدَة وثِنتَينِ وثَلاثًا، وما كانَ بَعد ذَلِكَ فَهُو زُكام**»[2]، هَكَذا أَخرَجَهُ مَوقُوفًا مِن رِوايَة سُفيان بن عُيَينَةَ عَنهُ... وسَمِعَ النَّبِيّ ﷺ وعَطَسَ عِندَهُ رَجُل فَقالَ لَهُ: «**يَرحَمك اللَّه**»، ثُمَّ عَطَسَ أُخرَى فَقالَ لَهُ رَسُول اللَّه ﷺ: «**الرَّجُل مَزكُوم**»، هَذا لَفظ رِوايَة مُسلِم، وأَمّا أَبُو داوُدَ والتِّرمِذِيّ فَقالا: قالَ سَلَمَة: «عَطَسَ رَجُل عِندَ النَّبِيّ ﷺ وأَنا شاهِد، فَقالَ لَهُ رَسُول اللَّه ﷺ: «**يَرحَمك اللَّه**»، ثُمَّ عَطَسَ الثّانِيَة، أَو الثّالِثَة، فَقالَ رَسُول اللَّه: «**يَرحَمك اللَّه، هَذا رَجُل مَزكُوم**» انتهى ... ويُستَفاد مِنهُ مَشرُوعِيَّة تَشمِيت العاطِس ما لَم يَزِد عَلَى ثَلاث إذا حَمِدَ اللَّه، سَواء تَتابَعَ عُطاسه أَم لا، فَلَو تَتابَعَ ولَم يَحمَد لِغَلَبَةِ العُطاس عَلَيهِ، ثُمَّ كَرَّرَ الحَمد بِعَدَدِ العُطاس، فَهَل يُشَمَّت بِعَدَدِ الحَمد؟ فِيهِ نَظَرٌ، وظاهِر الخَبَر نَعَم. ثُمَّ حَكَى

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢/ ٤٠٣.

(٢) الأدب المفرد للبخاري، برقم ٩٣٩، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٧٢٢.

النَّووِيّ عَن ابنِ العَرَبِيّ أَنَّ العُلَماء اختَلَفُوا: هَل يَقُول لِمَن تَتابَعَ عُطاسه أَنت مَزكُوم فِي الثّانِيَة، أَو الثّالِثَة، أَو الرّابِعَة ؟ عَلَى أَقوال، والصَّحِيح فِي الثّالِثَة، قالَ: ومَعناهُ إِنَّك لَست مِمَّن يُشَمَّت بَعدها؛ لأَنَّ الَّذِي بِك مَرَض، ولَيسَ مِنَ العُطاس المَحمُود النّاشِئ عَن خِفَّة البَدَنِ، كَما سَيَأتِي تَقرِيره فِي الباب الَّذِي يَلِيه، قالَ: فَإِن قِيلَ فَإِذا كانَ مَرَضًا فَيَنبَغِي أَن يُشَمَّت بِطَرِيقِ الأَولَى؛ لأَنَّهُ أَحوج إِلَى الدُّعاء مِن غَيره، قُلنا: نَعَم، لَكِن يُدعَى لَهُ بِدُعاءٍ يُلائِمهُ لا بِالدُّعاءِ المَشرُوع لِلعاطِسِ، بَل مِن جِنس دُعاء المُسلِم لِلمُسلِمِ بِالعافِيَةِ، وذَكَرَ ابن دَقِيق العِيد عَن بَعض الشّافِعِيَّة أَنَّهُ قالَ: يُكَرَّر التَّشمِيت إِذا تَكَرَّرَ العُطاس، إِلاَّ أَن يُعرَف أَنَّهُ مَزكُوم فَيَدعُو لَهُ بِالشِّفاءِ، قالَ: وتَقرِيره أَنَّ العُمُوم يَقتَضِي التَّكرار إِلاَّ فِي مَوضِع العِلَّة، وهُو الزُّكام، قالَ وعِندَ هَذا يَسقُط الأَمر بِالتَّشمِيتِ عِندَ العِلم بِالزُّكامِ؛ لأَنَّ التَّعلِيل بِهِ يَقتَضِي أَن لا يُشَمَّت مَن عُلِمَ أَنَّ بِهِ زُكامًا أَصلاً، وتَعَقَّبَهُ بِأَنَّ المَذكُور هُو العِلَّة دُون التَّعلِيل، ولَيسَ المُعَلَّل هُو مُطلَق التَّرك لِيَعُمّ الحُكم عَلَيهِ بِعُمُومِ عِلَّته، بَل المُعَلَّل هُو التَّرك بَعد التَّكرِير، فَكَأَنَّهُ قِيلَ لا يَلزَم تَكَرُّر التَّشمِيت؛ لأَنَّهُ مَزكُوم، قالَ: ويَتَأَيَّد بِمُناسَبَةِ المَشَقَّة النّاشِئَة عَن التَّكرار»[(١)].

وقال الإمام الصنعاني رحمه الله: «فلا يشرع تشميته، بل يُدعى له بالعافية، حكى النووي عن ابن العربي أنه اختلف هل يقال لمن تتابع عطاسه أنت مزكوم في الثانية، أو الثالثة، أو الرابعة، الصحيح في الثالثة»[(٢)].

٩-قال الحافظ في الفتح: قال القزاز: التشميت: التبريك، والعرب تقول شمته إذا دعا له بالبركة، وشمت عليه إذا برك عليه، وقيل: هو من الشماتة، وهو فرح الشخص بما يسوء عدوه، وقيل: هو من الشوامت جمع شامتة،

---

(١) فتح الباري، ١٠/ ٦٠٤.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ٦/ ٥١٦.

وهي القائمة يقال: لا ترك الله لك شامتة[١].

١٠-قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: والعطاس يدل على الخفة والنشاط؛ ولذلك كان محبوبًا إلى الله، وشرع للعاطس أن يقول الحمد لله، سواء كان في الصلاة، أو خارج الصلاة، أما إن عطس في الخلاء، فلا يحمد بلسانه ولكن يحمد بقلبه[٢].

١١-على العاطس والمشمت أن يلتزما بما جاء به الشرع من الأذكار الصحيحة فللعاطس أن يقول: «**الحمد لله**»[٣]، وله أن يقول: «**الحمد لله على كل حال**»[٤]، وله أن يقول: «**الحمد لله رب العالمين**»[٥].

١٢-قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن فوائد التشميت تحصيل المودة والتأليف بين المسلمين وتأديب العاطس بكسر النفس عن الكبر والحمل على التواضع لما في ذكر الرحمة من الإشعار بالذنب الذي لا يُعرف عنه أكثر المكلفين[٦].

١٣-قال الزرقاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «رجح الجمع بين الدعاء بالرحمة ويهديكم الله، إلخ، واعترض بأن الدعاء بالهداية للمسلم تحصيل الحاصل، وهو محال، ومنع بأنه ليس المراد الدعاء بالهداية للإيمان المتلبس به، بل معرفة تفاصيل أجزائه، وإعانته على أعماله، وكل مؤمن يحتاج ذلك في كل طرفة عين، ومن ثم أمره الله تَعَالَى أن يسأل الهداية في كل ركعة من الصلاة: إهدنا الصراط المستقيم»[٧].

١٤-خلاف التنوع في ألفاظ دعاء العطاس، ثبت ثلاثة أنواع للمسلم أن

---

(١)انظر: فتح الباري، ١٠/ ٧٠٢.

(٢) شرح رياض الصالحين شرح الحديث رقم (٨٧٩)، وانظر: صحيح مسلم، برقم (١١٩٩).

(٣) البخاري، برقم ٦٢٢٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) صحيح الترمذي، برقم ٢٢٠٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) البخاري في الأدب المفرد، برقم ٩٧٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) فتح الباري، ١٠/ ٧٠٣.

(٧) شرح الزرقاني، ٤/ ٤٦٧.

ينوع بينها، وهي على النحو الآتي:

النوع الأول: الحمد لله[1]، وإذا قيل له: يرحمك الله، قال: يهديكم الله، ويصلح بالكم.

النوع الثاني: الحمد لله رب العالمين[2]، وإذا قيل له: يرحمك الله، قال: يغفر الله لي ولكم.

النوع الثالث: الحمد لله على كل حال[3]، وإذا قيل له: يرحمك الله، قال: يهديكم الله، ويصلح بالكم.

١٥-التثاؤب لا يحبه الله؛ لأنه غالبًا لا يكون إلا مع ثقل البدن وامتلائه وميله إلى الكسل وله آداب نبوية مباركة منها:

أ- رده ما استطاع مع عدم قول: «ها».

ب- عدم فتح فمه أثناء التثاؤب.

ج- يجعل يده على فمه، حتى لا يدخل الشيطان ولا يضحك.

***

(١) البخاري، برقم ٦٢٢٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) البخاري في الأدب المفرد، برقم ٩٣٤/ وأحمد، برقم ٩٧٢، وحسنه لغيره محققو المسند، والألباني في صحيح الأدب المفرد موقوفاً، برقم ٩٣٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) الترمذي، برقم ٢٧٤١، وجوّد إسناده الألباني في تخريجه للمشكاة، برقم ٤٣٣٩، وصححه في صحيح الترمذي، ٣/ ٩٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٧٨ - مَا يُقَالُ لِلْكَافِرِ إِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّه

١٨٩- (٢) «يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٤١-عَنْ أَبِي موسى الأشعري ﷺ[٢]، قَالَ: كَانَتْ الْيَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجَاءَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ، فَكَانَ يَقُولُ لَهُمْ: «**يَهْدِيكُمُ اللَّهُ، وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ**»[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**يتعاطسون**»: قال ابن منظور رحمه الله: «العُطاس إنما يَكُونُ مَعَ خِفَّةِ الْبَدَنِ وَانْفِتَاحِ المسامّ، وَتَيْسِيرِ الْحَرَكَاتِ، والمَعْطِس والمَعْطَس: الأنف لأن العُطاس مِنْهُ يَخْرُجُ»[٤]، وقال الطيبي رحمه الله: «لعل هؤلاء هم الذين عرفوه حق معرفته، لكن منعهم عن الإسلام إما التقاليد وإما حب الرياسة، وعرفوا أن ذلك مذموم فتحروا أن يهديهم الله تعالى، ويزيل عنهم ذلك ببركة دعائه صلوات الله عليه»[٥]، وقال ابن علان رحمه الله: «الظاهر أن التفاعل فيه للتكلف: أي يظهرون

---

(١) الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء كيف تشميت العاطس، برقم ٢٧٤١، وأبو داود، كتاب الأدب، باب كيف يشمت الذمي، برقم ٥٠٣٨، والبخاري في الأدب المفرد، ص ٣٢٣، برقم ٩٤٠، وأحمد، ٣٢/ ٣٥٦، برقم ١٩٦٨٥، وصححه محققو المسند، والنووي في الأذكار، ص ٣٤١، وقال: «روينا في سنن أبي داود، والترمذي، وغيرهما، بالأسانيد الصحيحة» وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٥/ ١١٩، برقم ١٢٧٧، وفي صحيح الأدب المفرد، برقم ٩٤٠.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، برقم ٢٧٤١، وأبو داود، برقم ٥٠٤٠، وصححه الألباني في إرواء الغليل، برقم ١٢٧٧، وصحيح الأدب المفرد، برقم ٩٤٠.

(٤) لسان العرب، ٦/ ١٤٢، وتقدم في شرح المفردة الأولى من شرح مفردات الحديث رقم ١٨٨ من أحاديث المتن.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠/ ٣٠٧٩.

العطاس بالإتيان بصوت يشبهه أو يتسببون له بنحو كشف الرأس»[١]، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «يتعاطسون يعني يتكلفون العطاس من أجل أن يقول لهم يرحكم الله لأنهم يعلمون أنه نبي وأن دعاءه بالرحمة قد ينفعهم ولكنه لا ينفعهم لأن الكفار لو دعوت لهم بالرحمة لا ينفعهم ذلك»[٢].

٢-قوله: «**أن يقول لهم يرحمكم الله**»: قال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «لتعود عليهم بركة دعائه بها فإنهم كانوا يعلمون باطناً نبوته ورسالته، وإن أنكرو ظاهراً حسداً وعناداً»[٣].

٣-قوله: «**فيقول لهم**»: قال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «من مزيد فضله ولا يحرمهم بركة حضرته وثمرة الجلوس بين يديه»[٤].

٤-قوله: «**يهديكم الله**»: قال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «أي يدلكم على الهدى لتهتدوا، ولو أراد يوصلكم إلى الهدى لآمنوا واهتدوا»[٥].

٥-قوله: «**يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ**»: قال العظيم أبادي رَحِمَهُ اللهُ: «أَيْ وَلَا يَقُولُ لَهُمْ يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ لِأَنَّ الرَّحْمَةَ مُخْتَصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ بَلْ يَدْعُو لَهُمْ بِمَا يُصْلِحُ بَالَهُمْ مِنَ الْهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ لِلْإِيمَانِ»[٦]، وقال المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ: «قَوْلُهُ: (**كَانَ الْيَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ**): أَيْ: يَطْلُبُونَ الْعَطْسَةَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ (**يَرْجُونَ**) أَيْ: يَتَمَنَّوْنَ بِهَذَا السَّبَبِ (**فَيَقُولُ**): أَيِ: النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ عُطَاسِهِمْ، وَحَمْدِهِمْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ، وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ، وَلَا يَقُولُ: لَهُمْ يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ؛ لِأَنَّ الرَّحْمَةَ مُخْتَصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ، بَلْ يَدْعُو لَهُمْ بِمَا يُصْلِحُ بَالَهُمْ مِنَ الْهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ وَالْإِيمَانِ»[٧]، وقال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «(ويصلح بالكم) أي: ما يهتم به

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ١٧٨.
(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٢٣٨.
(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ١٧٨.
(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ١٧٨.
(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ١٧٨.
(٦) عون المعبود، ١٣/ ٢٥٧.
(٧) تحفة الأحوذي، ٨/ ١٠.

من أمر الدين، وذلك بأن يرشدهم إلى الإسلام، ويزينه لهم، ويوفقهم له»[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-جواز الدعاء لغير المسلمين بأن يهديهم الله إلى دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

٢-قالَ الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قال ابن دَقِيق العِيد رحمه الله: إذا نَظَرنا إِلَى قَول مَن قالَ مِن أَهل اللُّغَة إِنَّ التَّشمِيت الدُّعاء بِالخَيرِ دَخَلَ الكُفّار فِي عُمُوم الأَمر بِالتَّشمِيتِ ، وإِذا نَظَرنا إِلَى مَن خَصَّ التَّشمِيت بِالرَّحمَةِ لَم يَدخُلُوا، قالَ: ولَعَلَّ مَن خَصَّ التَّشمِيت بِالدُّعاءِ بِالرَّحمَةِ بَناهُ عَلَى الغالِب لأَنَّهُ تَقيِيد لِوضعِ اللَّفظ فِي اللُّغَة قُلت [القائل ابن حجر]: وهَذا البَحث أَنشَأَهُ مِن حَيثُ اللُّغَة ، وأَمّا مِن حَيثُ الشَّرع فَحَدِيث أَبِي مُوسَى دالّ عَلَى أَنَّهُم يَدخُلُونَ فِي مُطلَق الأَمر بِالتَّشمِيتِ ، لَكِن لَهُم تَشمِيت مَخصُوص وهُو الدُّعاء لَهُم بِالهِدايَةِ وإِصلاح البال وهُو الشَّأن ولا مانِع مِن ذَلِكَ ، بِخِلافِ تَشمِيت المُسلِمِينَ فَإِنَّهُم أَهل الدُّعاء بِالرَّحمَةِ بِخِلافِ الكُفّار»[٢].

٣-رحمة النبي ﷺ بكل الخلق مصداقًا لقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٣].

٤-مكر اليهود بتحايلهم بالتعاطس أمام النبي ﷺ، كما جاء في أول الحديث، طمعًا منهم في دعوته لهم بالرحمة؛ لأنهم يعرفون صدقه وإنما امتنع النبي ﷺ عن ذلك؛ لأن الرحمة خاصة بأتباع دينه وملته.

٥-اليهود يتكلفون العطاس من أجل أن يقول لهم النبي ﷺ: يرحمكم الله؛ لأنهم يعلمون أنه نبي، وأن دعاءه بالرحمة قد ينفعهم، ولكنه لا ينفعهم؛ لأن الكفار لو دعوت لهم بالرحمة لا ينفعهم ذلك، ولا يحل لك أن تدعو

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ١٧٨.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ١٠/ ٦٠٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

لهم بالرحمة إذا ماتوا، ولا بالمغفرة لقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾(١)، فإن قيل أليس إبراهيم استغفر لأبيه وإبراهيم على الحنيفية وعلى التوحيد، والجواب يتضح في قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾(٢)»(٣).

***

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٤.

(٣) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين شرح الحديث رقم ٢٣٨.

٧٩ - الدُّعَاءُ لِلْمُتَزَوِّجِ

١٩٠ -«بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٤٢-لفظ أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه[٢] أن النبيَّ ﷺ كان إذا رفَّأ الإنسانَ إذا تزَوَّج قال: «**بارَكَ اللَّهُ لَكَ، وبارَكَ عليكَ، وجَمَعَ بينكما في خيرٍ**»[٣].

٦٤٣-ورواية البخاري عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه[٤] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَثَرَ صُفْرَةٍ قَالَ: «**مَا هَذَا؟**» قَالَ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً عَلَى وَزْنِ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: «**بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**»[٥].

٦٤٤-ورواية أحمد أَنَّ عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه[٦] تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي جُشَمَ،

---

(١) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي: أبو داود، كتاب النكاح، باب ما يقال للمتزوج، برقم ٢١٣٠، والترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء فيما يقال للمتزوج، برقم ١٠٩١، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب تهنئة النكاح، برقم ١٩٠٥، ورواية عن أنس في البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء للمتزوج، برقم، ٦٣٨٦، ورقم ٥١٥٥، ومثله في النسائي في السنن الكبرى، عمل اليوم والليلة، برقم ١٠٠٩٠، وعن عقيل بن أبي طالب في مسند أحمد، ٣/ ٢٦١، برقم ١٧٣٩، وصححه لغيره محققو المسند، وصحح الألباني روايات السنن في: صحيح أبي داود، برقم ١٨٥٠، وصحيح الجامع الصغير، برقم ٤٧٢٩، وفي آداب الزفاف، ص ١٠٢.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث المتن.

(٣) أبو داود، برقم ٢١٣٠، والترمذي، برقم ١٠٩١، وابن ماجه، برقم ١٩٠٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٨٥٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث المتن.

(٥) البخاري، برقم ٦٣٨٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي يكنى أبا يزيد صحابي أسلم متأخراً قبل الحديبية، وشهد غزوة مؤتة، قدم عقيل البصرة ثم الكوفة ثم أتى الشام وتوفي في خلافة معاوية، وله دار بالمدينة مذكورة، كان عقيل قد أخرج إلى بدر مكرهاً ففداه عمه العباس، وكان ممن ثبت يوم حنين، وكان =

فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ، فَقَالُوا: بِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ، فَقَالَ: لَا تَقُولُوا ذَلِكَ، قَالُوا: فَمَا نَقُولُ يَا أَبَا يَزِيدَ ؟ قَالَ: «**قُولُوا: بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ، وَبَارَكَ عَلَيْكُمْ**» إِنَّا كَذَلِكَ كُنَّا نُؤْمَرُ»[(١)].

٦٤٥- عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ نَفَرٌ مِنَ الأَنْصَارِ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه: عِنْدَكَ فَاطِمَةُ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**مَا حَاجَةُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرْتُ فَاطِمَةَ بنتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مَرْحَبًا، وَأَهْلاً**»، لَمْ يَزِدْ عَلَيْهَا، خَرَجَ عَلِيُّ بن أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه عَلَى أُولَئِكَ الرَّهْطِ مِنَ الأَنْصَارِ يَنْتَظِرُونَهُ، قَالُوا: وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ: مَا أَدْرِي، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ لِي: «**مَرْحَبًا، وَأَهْلاً**»، فَقَالُوا: يَكْفِيكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِحْدَاهُمَا، أَعْطَاكَ الأَهْلَ وَالْمَرْحَبَ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بَعْدَمَا زَوَّجَهُ، قَالَ: «**يَا عَلِيُّ إِنَّهُ لا بُدَّ لِلْعَرُوسِ مِنْ وَلِيمَةٍ**»، قَالَ سَعْدٌ رضي الله عنه: عِنْدِي كَبْشٌ، وَجَمَعَ لَهُ رَهْطٌ مِنَ الأَنْصَارِ أَصْوعًا مِنْ ذُرَةٍ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ الْبِنَاءِ، قَالَ: «**لا تُحدِثْ شَيْئًا حَتَّى تَلْقَانِي**»، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَاءٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ أَفْرَغَهُ عَلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِمَا، وَبَارِكْ لَهُمَا فِي بِنَائِهِما**»[(٢)].

٦٤٦-عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: «**تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْنِي أُمِّي فَأَدْخَلَتْنِي الدَّارَ فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ، فَقُلْنَ: عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ**»[(٣)].

٦٤٧-عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: هَلَكَ أَبِي، وَتَرَكَ سَبْعَ أَوْ تِسْعَ بَنَاتٍ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَزَوَّجْتَ يَا جَابِرُ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟**» قُلْتُ: ثَيِّبًا، قَالَ: «**هلاَّ جَارِيَةً تُلاعِبُهَا وَتُلاعِبُكَ، أَوْ تُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ؟**» قُلْتُ: هَلَكَ أَبِي فَتَرَكَ

=

عالماً بأنساب قريش، وكان أسرع الناس جواباً وأحضرهم مراجعة في القول، وأبلغهم في ذلك، قيل: مات في خلافة معاوية، والصحيح أنه مات في أول خلافة يزيد قبل الحرة. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ٣/ ١٠٧٨، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ٤/ ٥٣١.

(١) مسند أحمد، برقم ١٧٣٩، وصححه لغيره محققو المسند، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ٢/ ٢٠، برقم ١١٥٣، حسنه الألباني في آداب الزفاف، ص ١٧٤.

(٣) البخاري، كتاب النكاح، باب الدعاء للنساء اللاتي يهدين العروس وللعروس، برقم ٥١٥٦.

سَبْعَ أَوْ تِسْعَ بَنَاتٍ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَجِيئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً تَقُومُ عَلَيْهِنَّ، قَالَ ﷺ: «فَبَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «رفّأ»: الرفاء هو الالتئام والإنفاق والبركة والنماء[٢]، قال ابن الأثير رحمه الله: «الرِّفَاءُ: الإلْتِئَام والاتِّفاقُ والبَركة والنَّمَاء، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ رَفَأْتُ الثَّوب رَفْأً ورَفَوْتُه رَفْواً. وَإِنَّمَا نَهَى عَنْهُ كَراهية؛ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ عادَتهم، وَلِهَذَا سُنَّ فِيهِ غَيْرَهُ»[٣]، وقال الطيبي رحمه الله: «إذا رفأ: إذا الأولى شرطية، والثانية ظرفية، وقوله: «قال: بارك الله» جواب الشرط. وإنما أتى بقوله: «رفأ» وقيده بالظرف؛ ليؤذن بأن الترفية محترز عنها، وأنها منسوخة بما قاله الرسول ﷺ، والترفية أن يقال للمتزوج: بالرفاء والبنين، و«الرِّفاء» بالكسر والمد: الالتئام والاتفاق، من رفأت الثوب إذا أصلحته، وقيل السكون والطمأنينة من قولهم: رفوت الرجل، إذا أسكنته، ثم استعير للدعاء للمتزوج، وإن لم يكن بهذا اللفظ، والمعنى أنه إذا أراد الدعاء للمتزوج دعا له بالبركة، ويدل قولهم في جاهليتهم: «بالرفاء والبنين» بقوله هذا؛ لأنه أتم نفعاً، وأكثر عائدة، ولما في الأول من التنفير عن البنات، والباعث على وأدها»[٤].

٢-قوله: «**قال**» أي: قال النبي ﷺ مهنئًا وداعيًا.

٣-قوله: «**بارك الله لك**» أي: في زوجك، وولدك، ومالك، وعمرك، وقال الطيبي رحمه الله: «لأنه المدعو أصالة، أي: بارك لك في هذا الأمر»[٥].

---

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء للمتزوج، برقم ٦٣٨٧.
(٢) عون المعبود، ٣/ ٣٧٧.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٢٤٠، مادة (رفأ).
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٦.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٦.

٤-قوله: «**بارك عليك**» أي: زادك من خيره وجوده وإحسانه، قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبارك عليك: جعل البركة كائنة عليك عامرة لك حتى تعلوك، وأفرد لأن المدعو له أصالة الرجل»[(١)].

٥-قوله: «**وجمع بينكما في خير**»[(٢)] أي: في الدنيا والآخرة، قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبارك عليك: أي أدخل عليك البركة في مؤنتها، ويسرها لك، وأعاد العامل لزيادة الابتهال»[(٣)]. قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجمع بينكما: ثنَّاه لأن بالجمع يحصل المطلوب، وهو التناسل. (في خير) يشمل أحوالها كلها، قال الزمخشري: معناه: أنه كان يضع الدعاء بالبركة موضع الترفية المنهي عنها، واختلف في علة النهي عن ذلك اللفظ فقيل؛ لأنه لا حمد فيه، ولا ثناء، ولا ذكر لله، وقيل: لما فيه من الإشارة إلى بغض البنات لتخصيص البنين، وقيل: غير ذلك»[(٤)].

٦-قوله: «**أولم ولو بشاة**»: أي اتخذ وليمة، ومن ذهب إلي إيجابها أخذ بظاهر الأمر، وهو محمول على الندب عند الأكثر»[(٥)]، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(الوليمة): هي الطعام الذي يصنع عند العرس، (المغرب): الوليمة اسم لكل طعام، والعرس في الأصل: اسم من الإعراس، ثم سمي به الوليمة، ويؤنث ويذكر»[(٦)].

٧-قوله: «**أثر صفرة**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصُّفْرة مِنَ الأَلْوان: مَعْرُوفَةٌ تَكُونُ فِي الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ممَّا يقبَلُها... والأَصْفران: الذَّهَبُ والزَّعْفَران، وَقِيلَ الوَرْسُ وَالذَّهَبُ، وأَهْلَكَ النِّساءَ الأَصْفَران: الذَّهَبُ

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٤٠٣.
(٢) وفي رواية: [على خير]، آداب الزفاف، ص ١٧٥.
(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٤٠٦.
(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٤٠٣.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٧/ ٢٣١٥.
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٧/ ٢٣١٤.

والزَّعْفَران، وَيُقَالُ: الوَرْس وَالزَّعْفَرَانُ. والصَّفْراء: الذَّهَبُ لِلَوْنها»[١]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والمُراد بِالصُّفرَةِ سُفرَة الخَلُوق والخَلُوق طِيب يُصنَع مِن زَعفَران وغَيره»[٢]، وقال السيوطي رحمه الله: «معناه: أنه تعلق به أثر من الزعفران، أو غيره من طيب العروس، ولم يقصده، ولا تعمَّد التزعفر، فقد ثبت النهي عن التزعفر للرجال، وقيل إنه يرخص في ذلك للشاب أيام عرسه»[٣].

٨-قوله: «**ما هذا**»: قال الطيبي رحمه الله: «ما هذا؟: يريد به السؤال عن سببه؛ ولذلك أجاب بما أجاب، ويحتمل أن يكون المراد به الإنكار؛ فإنه كان نهي عن التضمخ بالخلوق، فأجاب عنه بأنه ليس من تضمخه، بل هو شيء علق به من مخالطة العروس»[٤].

٩-قوله: «**على وزن نواة من ذهب**»: قال الطيبي رحمه الله: «أي على مقدار خمسة دراهم وزناً من الذهب، يعني ثلاثة مثاقيل ونصفاً ذهباً، وقيل معناه على ذهب تساوي قيمته خمسة دراهم، وهو لا يساعده اللفظ. وقيل: المراد بالنواة نواة التمر»[٥]، وقال السيوطي رحمه الله: «على وزن نواة: هي اسم لمقدار كان معروفاً عندهم، فُسِّرت بخمسة دراهم، وقيل ثلاثة دراهم وثلث، وقيل نواة التمر أي: وزنها»[٦].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية التهنئة للمتزوج بما صح عن النبي ﷺ.

(١) لسان العرب، ٤/ ٤٦٠، مادة (صفر).
(٢) فتح الباري، ٩/ ٢٣٣.
(٣) الديباج على مسلم، للسيوطي، ٤/ ٣٣.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٧/ ٢٣١٤.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٧/ ٢٣١٥.
(٦) الديباج على مسلم، للسيوطي، ٤/ ٣٣.

٢-قال المناوي رحمه الله: «وكانت عادة العرب إذا تزوج أحدهم قالوا له: بالرفاء والبنين، فنهى عن ذلك، وأبدله بالدعاء المذكور، قال النووي رحمه الله: ويكره أن يقال بالرفاء والبنين لهذا الحديث، ويظهر أن التسري كالتزوج، وأن المرأة كالرجل لكنه آكد لما لزمه من المؤنة فتخصيص التزوج والرجل غالبي وزاد في رواية وجمع بينكما في خير»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «اختُلِفَ فِي عِلَّة النَّهي عَن ذَلِكَ فَقِيلَ لأَنَّهُ لا حَمد فِيهِ ولا ثَناء ولا ذِكرٌ لِلَّهِ ، وقِيلَ لِما فِيهِ مِنَ الإِشارَة إِلَى بُغض البَنات لِتَخصِيصِ البَنِينَ بِالذِّكرِ»[(٢)].

قال الطيبي رحمه الله: «دعا لهما، وعدَّاه بـ(على) لمعنى الدرور عليه بالذراري والنسل؛ لأنه المطلوب بالتزوج، وأخر حسن المعاشرة والموافقة، والاستمتاع، تنبيهاً على أن المطلوب الأولي هو النسل، وهذا تابع له»[(٣)].

٣-هدم النبي ﷺ لعادات الجاهلية من قولهم: «بالرفاء والبنين»؛ لأن قولهم هذا متضمن للدعاء بالولد، والتنفير من البنات، وكان هذا من الدافع لوأد البنات.

٤-الإسلام دين مبارك وقد شرع الدعاء بالبركة في جميع شؤون الحياة ولا تكون البركة إلا من الله، قال النبي ﷺ: «**البركة من الله**»[(٤)].

***

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٤٠٦.
(٢) فتح الباري، ٩/ ٢٢٢.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٦.
(٤) صحيح البخاري، برقم ٥٦٣٩، وفيه قصة، وهو بلفظ: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ حَضَرَتِ الْعَصْرُ، وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ غَيْرَ فَضْلَةٍ، فَجُعِلَ فِي إِنَاءٍ، فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ، وَفَرَّجَ أَصَابِعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «حَيَّ عَلَى أَهْلِ الْوُضُوءِ، الْبَرَكَةُ مِنْ اللَّهِ» فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَتَفَجَّرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ وَشَرِبُوا، فَجَعَلْتُ لَا آلُو مَا جَعَلْتُ فِي بَطْنِي مِنْهُ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ بَرَكَةٌ قُلْتُ لِجَابِرٍ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ.

٨٠- دُعَاءُ المُتَزوِّجِ وَشِرَاءِ الدَّابَةِ

١٩١-إِذَا تَـزَوَّجَ أَحَـدُكُم امْـرَأَةً، أَوْ إِذَا اشْـتَرَى خَادِمـاً فَلْيَقُـلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَـرِّهَا، وَشَـرِّ مَـا جَبَلْتَهَـا عَلَيْـهِ، وَإِذَا اشْـتَرَى بَعِيـراً فَلْيَأْخُـذْ بِـذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ»[(١)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٤٨-لفظ أبي داود عَنْ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما[(٢)] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً، أَوِ اشْتَرَى خَادِمًا، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ، وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ». قَالَ أَبُو دَاوُدَ: زَادَ أَبُو سَعِيدٍ: «ثُمَّ لِيَأْخُذْ بِنَاصِيَتِهَا وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ». فِي الْمَرْأَةِ وَالْخَادِمِ[(٣)].

٦٤٩-لفظ ابن ماجه عَنْ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا اشْتَرَى أَحَدُكُمُ الْجَارِيَةَ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ، وَإِذَا

(١) أبو داود، كتاب النكاح، باب في جامع النكاح، برقم ٢١٦٠، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب ما يقول الرجل إذا دخلت عليه أهله، برقم ١٩١٨، وصححه النووي في الأذكار، ص ٣٥٣، وحسّن إسناده الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٨٧٦.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٢١٦٠، وحسّن إسناده الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٨٧٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

اشْتَرَى أَحَدُكُمْ بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ، وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ، وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**إذا تزوج أحدكم امرأة**»: «قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: وإذا تزوج رجل امرأة فأحب له أول ما يراها أن يأخذ بناصيتها، ويدعو باليُمْن والبركة»[٢]، قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «فينبغي هذا الدعاء عند شراء الرقيق والدابة وعند التزوج جمعاً بين الروايات»[٣].

٢-قوله: «**أو اشترى خادمًا**»: أي: جارية أو رقيقًا،قال العظيم أبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: جارية، أو رقيقاً، وَهُوَ يَشْمَلُ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، فَيَكُونُ تَأْنِيثُ الضَّمِيرِ فيما سَيَأْتِي بَاعْتِبَارِ النَّسَمَةِ، أَوِ النَّفْسِ»[٤].

٣-قوله: «**فليقل: اللَّهم إني أسألك خيرها**» أي: خير ذاتها. قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخير: ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلاً، والعدل، والفضل، والشيء النافع، وضده: الشر. قيل: والخير ضربان: خير مطلق، وهو أن يكون مرغوباً فيه بكل حال... وخير وشر مقيدان، وهو أن يكون خيراً لواحد شراً لآخر، كالمال الذي ربما يكون خيراً لزيد، وشراً لعمرو»[٥].

٤-قوله: «**وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ**»: أَيْ: خَلَقْتَهَا وَطَبَعْتَهَا عَلَيْهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْبَهِيَّةِ[٦].

٥-قوله: «**وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه**»: قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) ابن ماجه، كتاب النكاح، برقم ١٩١٨، وصححه النووي في الأذكار، ص ٣٥٣، وحسّن إسناده الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٨٧٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) المجموع، ١٦/ ٤١٥.

(٣) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ٢٧٢.

(٤) عون المعبود، ٦/ ١٨٣.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، ١/ ٣٢٧، مادة (خير).

(٦) عون المعبود، ٦/ ١٣٩.

«استعاذة من شر ذلك الذي يحبه الشيطان ويأمر به ويحث عليه»[(١)].

٦-قوله: «**بذروة سنامه**» أي: بأعلاه، والسنام هو أعلى موضع في ظهر البعير. قال الزرقاني رحمه الله في شرحه على الموطأ: «(فَلْيَأْخُذْ) عِنْدَ تَسْلِيمِهِ (بِذِرْوَةِ) بِكَسْرِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ وَتُضَمُّ، أَيْ: أَعْلَى (سَنَامِهِ)، أَيْ: يَقْبِضُ عَلَيْهِ بِيَدِهِ، وَالْأَوْلَى الْيَمِينُ، أَوِ الْمُرَادُ فَلْيَرْكَبْهُ»[(٢)].

٧-قوله: «**ثُمَّ لِيَأْخُذْ بِنَاصِيَتِهَا**»: قال العظيم أبادي رحمه الله: «وَهِيَ الشَّعْرُ الْكَائِنُ فِي مُقَدَّمِ الرأس»[(٣)].

ثالثا: ما يستفاد من الحديث:

١-استحباب قول الرجل هذا الدعاء عند البناء بزوجته مع وضع يده عند مقدمة رأسها؛ لما جاء في الحديث: «**ثم ليأخذ بناصيتها وليدع بالبركة في المرأة والخادم**»[(٤)] والناصية هي منبت الشعر في مقدم الرأس وفي رواية: «**وليسم الله عز وجل**»[(٥)].

٢-في الحديث دليل على أن الله عز وجل هو خالق الخير والشر، خلافًا لمن يقول - من المعتزلة وغيرهم - بأن الشر ليس من خلقه تبارك وتعالى، وليس في كون الله خالقًا للشر ما ينافي كماله تعالى؛ بل هو من كماله تبارك وتعالى[(٦)]، كخلقه لإبليس؛ لحكمة بيان الطائع من العاصي، وكذلك خلقه للنار التي أعدها للكافرين؛ فله الحكمة البالغة.

٣-خير المرأة يكون بحسن عشرتها لزوجها، وحفظه في فراشه، وماله،

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٣٦٣.
(٢) شرح الزرقاني، ٣/ ٢٤٩.
(٣) عون المعبود، ٦/ ١٣٩.
(٤) أبو داود، برقم ٢١٦٠، وحسنه الألباني في آداب الزفاف ص ٩٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٥) السنن الكبرى للبيهقي، ٧/ ١٤٨، وحسنه الألباني في آداب الزفاف ص ٩٣.
(٦) آداب الزفاف للألباني ص ٩٣.

والإحسان إلى أرحامه، وحسن التربية وفق ضوابط الشرع؛ فإن كان عكس ذلك فهي شؤم على أي مكانٍ حلت فيه، قال النبي ﷺ: «**إن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس**»[١]، قال الإمام النووي رحمه الله: «هُوَ فِي مَعْنَى الِاسْتِثْنَاء مِن الطِّيَرَة، أَيْ: الطِّيَرَة مَنْهِيّ عَنْهَا، إِلَّا أَنْ يَكُون لَهُ دَار يُكْرَه سُكْنَاهَا، أَوْ اِمْرَأَة يُكْرَه صُحْبَتهَا، أَوْ فَرَس، أَوْ خَادِم، فَلْيُفَارِقْ الْجَمِيع بِالْبَيْعِ وَنَحْوه، وَطَلَاق الْمَرْأَة، وَقَالَ آخَرُونَ: شُؤْم الدَّار: ضِيقهَا، وَسُوء جِيرَانهَا، وَأَذَاهُمْ، وَشُؤْم الْمَرْأَة: عَدَم وِلَادَتهَا، وَسَلَاطَة لِسَانهَا، وَتَعَرُّضهَا لِلرِّيَبِ، وَشُؤْم الْفَرَس: أَنْ لَا يُغْزَى عَلَيْهَا. وَقِيلَ: حِرَانهَا، وَغَلَاء ثَمَنهَا، وَشُؤْم الْخَادِم: سُوء خُلُقه، وَقِلَّة تَعَهُّده لِمَا فُوِّضَ إِلَيْهِ. وَقِيلَ: الْمُرَاد بِالشُّؤْمِ هُنَا عَدَم الْمُوَافَقَة، وَاعْتَرَضَ بَعْض الْمَلَاحِدَة بِحَدِيثِ «**لَا طِيَرَة**» عَلَى هَذَا، فَأَجَابَ اِبْن قُتَيْبَة وَغَيْره بِأَنَّ هَذَا مَخْصُوص مِنْ حَدِيث «**لَا طِيَرَة إِلَّا فِي هَذِهِ الثَّلَاثَة**»، قَالَ الْقَاضِي: قَالَ بَعْض الْعُلَمَاء: الْجَامِع لِهَذِهِ الْفُصُول السَّابِقَة فِي الْأَحَادِيث ثَلَاثَة أَقْسَام:

أَحَدهَا: مَا لَمْ يَقَع الضَّرَر بِهِ، وَلَا اِطَّرَدَتْ عَادَة خَاصَّة وَلَا عَامَّة، فَهَذَا لَا يُلْتَفَت إِلَيْهِ، وَأَنْكَرَ الشَّرْع الِالْتِفَات إِلَيْهِ، وَهُوَ الطِّيَرَة .

وَالثَّانِي: مَا يَقَع عِنْده الضَّرَر عُمُومًا لَا يَخُصّهُ، وَنَادِرًا لَا مُتَكَرِّرًا، كَالْوَبَاءِ، فَلَا يُقْدِم عَلَيْهِ، وَلَا يَخْرُج مِنْهُ .

وَالثَّالِث: مَا يَخُصّ، وَلَا يَعُمّ، كَالدَّارِ، وَالْفَرَس، وَالْمَرْأَة، فَهَذَا يُبَاح الْفِرَار مِنْهُ. وَاللَّهُ أَعْلَم»[٢].

٤ -يقال هذا الدعاء أيضًا عند شراء الخادم؛ لأنه إذا كان سيئًا؛ فإنه ينغص على صاحب البيت عيشه، ويدخل الشيطان بينهما، وأما البعير أو السيارة[٣]؛ فإنه يأخذ

---

(١) البخاري، كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة، برقم ٥٠٩٤.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤/ ٢١٨.
(٣) به قال الألباني. آداب الزفاف ص ٩٣.

بذروة سنامه، ويدعو بهذا الدعاء طردًا للشيطان، لأن ذروة البعير هي مجلس الشيطان لقول النبي ﷺ: «**على ذروة كل بعير شيطان، فامتهنوهن بالركوب**»[(١)] وفي رواية: «**على ظهر كل بعير شيطان، فإذا ركبتموها فسموا الله**»[(٢)].

٥-استحب بعض السلف للزوج والزوجة أن يصليا ركعتين معًا قبل الدخول؛ لقول أبي سعيد مولى أبي أسيد: تزوجت وأنا مملوك، فدعوت نفرًا من أصحاب النبي ﷺ فعلموني: إذا دخل عليك أهلك فصلِّ ركعتين، ثم سل الله من خير ما دخل عليك، وتعوَّذ به من شره، ثم شأنك وشأن أهلك[(٣)].

٦-قال الزرقاني في شرح الموطأ: «يفيد استحباب البسملة مع الاستعاذة، ويحتمل أن الأمر بها لما في الإبل من العزِّ، والفخر، والخيلاء، فهو استعاذة من شر ذلك الذي يحبه الشيطان، ويأمر به ويحث عليه»[(٤)].

***

---

(١) أخرجه ابن خزيمة، برقم ٢٥٤٧، والحاكم، ١/ ٤٤٤، وصححه الألباني في تعليقه على صحيح ابن خزيمة، وفي صحيح الجامع، برقم ٤٠٣٠.

(٢) أخرجه أحمد، ٤٢٦/٢٥ ، برقم ١٦٠٣٩، وابن خزيمة، برقم ٢٥٤٦، وابن حبان، ٤١١/٦، برقم ٢٦٩٤، والحاكم، ٤٤٤/١، وحسنه محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٠٣١.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، ٣/ ٥٦٠، برقم ١٧١٥٣، وصحح إسناده الألباني في آداب الزفاف، ص ٩٤.

(٤) شرح الزرقاني، ٣/ ٢١٣.

٨١ – الدُّعَاءُ قَبْلَ إِتْيَانِ الزَّوْجَةِ

١٩٢ – «بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٥٠-لفظ البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما(٢). يَبْلُغُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرُّهُ»(٣).

٦٥١-وللبخاري أيضاً عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنِي؛ فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ، وَلَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ»(٤).

٦٥٢- ولفظ ثالث للبخاري أيضاً عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبْ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا؛ فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»(٥).

٦٥٣-ولفظ النسائي في الكبرى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ

---

(١) البخاري، كتاب الوضوء، باب التسمية على كل حال وعند الوقاع، برقم ١٤١، وكتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٨٣، وكتاب النكاح، باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله، برقم ٥١٦٥، ومسلم، كتاب النكاح، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع، برقم ١٤٣٤، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عشرة النساء، ما يقول إذا أتاهن، برقم ٩٠٣٠.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ١٤١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري، برقم ٣٢٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) البخاري، برقم ٥١٦٥، ومسلم، برقم ١٤٣٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ قَالَ حِينَ يُوَاقِعُ أَهْلَهُ: بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**لو أن أحدهم**»: أي: من المسلمين لقوله ﷺ في رواية البخاري: «**لو أن أحدكم**» والخطاب موجه للصحابة رضي الله عنهم ولمن جاء بعدهم من الأمة.

٢-قوله: «**إذا أتى أهله**» أي: للجماع، قال العيني رحمه الله: «قوله إذا أتى أهله أي: جامعها، وهو كناية عن الجماع»[٢].

٣-قوله: «**يواقع أهله**»: قال ابن منظور رحمه الله: «واقَعَ الأُمورَ مُواقَعةً ووِقاعاً: دَانَاهَا؛ ... والوِقاعُ: مُواقَعةُ الرجلِ امرأَتَه، إِذا باضَعَها وخالَطَها، وواقَعَ المرأَة ووَقَعَ عَلَيْهَا: جامَعَها»[٣].

٤-قوله: «**قال: بسم الله**»: أي: نبدأ عملنا هذا، أو ابتداء عملنا هذا باسم الله، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: من قدّره باسم، تقديره: باسم الله ابتدائي، ومن قدره بالفعل أمرًا، وخبرًا نحو: أبدَأ ببسم الله أو ابتدأت ببسم الله، ...، فالمشروع ذكر اسم الله في كل أمر»[٤].

٥-قوله: «**اللَّهم جنبنا الشيطان**»: أي: أبعده عنا، قال ابن منظور رحمه الله: «وجَنَّبَ الشيءَ وتَجَنَّبه وجانَبه وتجَانَبه واجْتَنَبَهُ: بَعُدَ عَنْهُ. وجَنَبه الشيءَ وجَنَّبه إِيَّاه وجَنَبه يَجْنُبُه وأَجْنَبَه: نَحَّاهُ عَنْهُ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ إِخْبَارًا عَنْ

(١) النسائي في السنن الكبرى، برقم ٩٠٣٠، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٧/ ٧٥ ، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤/ ٩٢.
(٣) لسان العرب، ٨/ ٤٠٥، مادة (وقع).
(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ١٢١، وتقدم مستوفى في شرح المفردة الثانية من مفردات الحديث رقم ١٨ من أحاديث المتن.

إِبْـرَاهِيمَ، عَلَـى نبيِّنـا وَعَلَيْـهِ الصَّـلَاةُ وَالسَّـلَامُ: ﴿**وَاجْنُبْنِـي وَبَنِـيَّ أَنْ نَعْبُـدَ الْأَصْنَامَ**﴾[1] ؛ أَي: نَجِّني»[2].

٦-قولـه: «**وجنـب الشـيطان مـا رزقتنـا**»: أي: مـن الأولاد والبنـات، قـال ابـن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: (ما رزقتنا): أي: شيئًا رزقتنا؛ لأن المشهور أن (ما): لما لا يعقل، (ومن): لمن يعقل، وإذا كانت ما بمعنى شيء، وقعت على من يعقل وما لا يعقل»[3]. قوله: «**فقضي بينهما ولد**»: قال الجكني الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: (**فقضى بينهما**) بالتثنية، وهي أصوب، ...وقوله: (**ولد**) أي: ذكرًا كان أو أُنثى»[4].

٧-قولـه: «**لـم يضـره شـيطان أبـدًا**»: أي: لا يصرعه وقد جاء في لفظ: «**لـم يسـلط عليـه**»[5]، قـال ابـن الملقـن رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى (لـم يضـره): لا يكـون لـه عليـه سلطان ببركة اسمه جل وعز، بل يكون من جملة العباد المحفوظين، واختار الشيخ تقي الدين القشيري في شرح العمدة أن المراد: لم يضرّه في بدنه، وإن كان يحتمل الدِّين أيضًا، لكن يبعده انتفاء العصمة، وقال الداودي: لم يضره بأن يفتنه بالكفر»[6]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «واختُلِفَ فِي الضَّـرَر المَنفِيّ بَعد الاتِّفاق عَلَى ما نَقَلَ عِياض عَلَى عَدَم الحَمل عَلَى العُمُوم فِي أَنواع الضَّرَر، وإِن كانَ ظاهِرًا فِي الحَمل عَلَى عُمُوم الأَحوال مِن صِيغَة النَّفي مَعَ التَّأبِيد... ثُمَّ اختَلَفُوا فَقِيلَ: المَعنَى لَم يُسَلَّط عَلَيهِ مِن أَجلِ بَرَكَة التَّسمِيَة، بَل يَكُون مِن جُملَة

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٥.
(٢) لسان العرب، ١/ ٢٧٨، مادة (جنب).
(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٩/ ٣٣٣.
(٤) كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، ٤/ ٢٣٧.
(٥) البخاري، برقم ٣٢٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٦) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٤/ ٨٠.

العِباد الَّذِينَ قِيلَ فِيهِم ﴿إِنَّ عِبادِي لَيسَ لَكَ عَلَيهِمْ سُلْطَانٌ﴾(١)، ويُؤَيِّدهُ مُرسَل الحَسَن المَذكُور، وقِيلَ المُراد لَم يُطعَنَ فِي بَطنه، وهُو بَعِيد لِمُنابَذَتِهِ ظاهِر الحَدِيث المُتَقَدِّم، ولَيسَ تَخصِيصه بِأَولَى مِن تَخصِيص هَذا، وقِيلَ المُراد لَم يَصرَعهُ، وقِيلَ لَم يَضُرّهُ فِي بَدَنه، وقالَ ابن دَقِيق العِيد رَحِمَهُ اللهُ: يَحتَمِل أَن لا يَضُرّهُ فِي دِينه أَيضًا، ولَكِن يُبعِدهُ انتِفاء العِصمَة، وتُعُقِّبَ بِأَنَّ اختِصاص مَن خُصَّ بِالعِصمَةِ بِطَرِيقِ الوُجُوب لا بِطَرِيقِ الجَواز، فَلا مانِع أَن يُوجَد مَن لا يَصدُر مِنهُ مَعصِيَة عَمدًا، وإِن لَم يَكُن ذَلِكَ واجِبًا لَهُ، وقالَ الدّاوُدِيُّ: مَعنَى (لَم يَضُرّهُ): أَي: لَم يَفتِنهُ عَن دِينه إِلَى الكُفر، ولَيسَ المُراد عِصمَته مِنهُ عَن المَعصِيَة، وقِيلَ: لَم يَضُرّهُ بِمُشارَكَةِ أَبِيهِ فِي جِماع أُمّه، كَما جاءَ عَن مُجاهِد: «أَنَّ الَّذِي يُجامِع ولا يُسَمِّي يَلتَفّ الشَّيطان عَلَى إِحلِيله فَيُجامِع مَعَهُ»، ولَعَلَّ هَذا أَقرَب الأَجوِبَة، ويَتَأَيَّد الحَمل عَلَى الأَوَّل بِأَنَّ الكَثِير مِمَّن يَعرِف هَذا الفَضل العَظِيم يَذهَل عَنهُ عِند إِرادَة المُواقَعَة، والقَلِيل الَّذِي قَد يَستَحضِرهُ ويَفعَلهُ لا يَقَع مَعَهُ الحَمل، فَإِذا كانَ ذَلِكَ نادِرًا لَم يَبعُد»(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-استحباب التسمية والدعاء والمحافظة على ذلك حتى في حال الملاذ كالوقاع.

٢-عدم الغفلة عن ذكر الله حتى لا يكون ممن قال الله فيهم: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ...﴾(٣).

٣-العبد المسلم لربه يأتي أهله بنية صالحة، منها أن يعف نفسه وأهله عن الحرام، وأن يرزقه الله الولد ليكون عونًا له على طاعة ربه، وأن يحسن تربيته

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

(٢) فتح الباري، ٩/ ٢٢٩.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٦٤.

ليكون داعيًا إلى الله، ويكون امتداداً لعمله الصالح بعد الموت؛ لقول النبي ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثَةٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»[(١)].

٤- قال القاضي عياض رحمه الله: «قيل لهذا الضر: هو ألا يُصرع ذلك المولود، وقيل: لا يَطعن فيه الشيطان عند ولادته، كما جاء في الحديث، ولم يحمله أحد على العموم في جميع الضرر والوسوسة والإغواء»[(٢)].

٥- قال ابن الملقن رحمه الله: «الحث عَلَى المحافظة عَلَى تسميته، ودعائه في كل حال لم ينه الشرع عنه، حتَّى في حال ملاذ الإنسان»[(٣)].

٦- قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفِيهِ الاعتِصام بِذِكرِ الله، ودُعائِهِ مِنَ الشَّيطان، والتَّبرُّك بِاسمِهِ، والاستِعاذَة بِهِ مِن جَمِيع الأَسواء، وفِيهِ الاستِشعار بِأَنَّهُ المُيَسِّر لِذَلِكَ العَمَل، والمُعِين عَلَيهِ، وفِيهِ إِشارَة إِلَى أَنَّ الشَّيطان مُلازِم لابنِ آدَم لا يَنطَرِدُ عَنهُ إِلاَّ إِذا ذَكَرَ الله، وفِيهِ رَدّ عَلَى مَنع المُحدِث أَن يَذكُر الله، ويَخدِش فِيهِ الرِّوايَة المُتَقَدِّمَة «**إِذا أَرادَ أَن يَأتِي**» وهُو نَظِير ما وقَعَ مِنَ القَول عِند الخَلاء»[(٤)].

٧- يجوز للرجل أن يأتي أهله في قبلها من أي جهة شاء مقبلة أو مدبرة لقوله تعالى: ﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ**﴾[(٥)]، وفي رواية: «**أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة**»[(٦)]، ولا يجوز له أن يأتيها في دبرها بأي

---

(١) مسلم، برقم كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم ١٦٣١.
(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤/ ٦١٠.
(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٤/ ٨١.
(٤) فتح الباري، ٩/ ٢٢٩.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.
(٦) مسند أحمد، ٤/ ٤٣٤، برقم ٢٧٠٣، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، برقم =

حال من الأحوال، فإن فعل ذلك فقد عمل عملاً كبيراً خبيثاً: وهو عمل قوم لوط، والعياذ بالله ﷻ.

٨-يستحب للزوج عند معاودة الجماع أن يتوضأ لقوله ﷺ: «**إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ**»[١]، وفي رواية: «**فإنه أنشط للعود**»[٢] والغسل أفضل لقوله ﷺ: «**هذا أزكى وأطيب وأطهر**»[٣].

٩-إذا دخل بأهله في شوال فلا حرج إذا تيسر له ذلك لقول عائشة رضي الله عنها: تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال، فأي نساء النبي ﷺ كان أحظى عنده مني[٤].

١٠-يستحب له أن يولم صبيحة بنائه ويسلم على أقاربه ويدعوا لهم وأن يقابلوه بالمثل؛ لأن النبي ﷺ «أَوْلَمَ حِينَ بَنَى بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَأَشْبَعَ النَّاسَ خُبْزًا وَلَحْمًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى حُجَرِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ صَبِيحَةَ بِنَائِهِ، فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ، وَيُسَلِّمْنَ عَلَيْهِ، وَيَدْعُو لَهُنَّ، وَيَدْعُونَ لَهُ»[٥].

***

=

٢٩٨٠، والنسائي في السنن الكبرى، برقم ٨٩٧٧، ورقم١١٠٤٠، كتاب التفسير، سورة البقرة، وحسنه محققو المسند، ٤/ ٤٣٥، والألباني في آداب الزفاف، ص ١٠٣.

(١) مسلم، برقم ٣٠٨.

(٢) أخرجه ابن حبان، ١٢/٤، برقم ١٢١١، والحاكم، ١/٢٥٤، وقال : صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والبيهقي، وابن خزيمة، ١/ ١٤٥،برقم ٢٢١، وصححه محقق ابن خزيمة، ١/ ١٤٥، ومحقق ابن حبان، والألباني في آداب الزفاف، ص ١٠٧.

(٣) مسند أحمد، ٣٩/ ٢٨٨، برقم ٢٣٨٦٢، وأبو داود، كتاب الطهارة، باب الوضوء لمن أراد أن يعود، رقم ٢١٩، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب فيمن يغتسل عند كل واحدة غسلاً، برقم ٥٩٠، والنسائي في السنن الكبرى، برقم ٩٠٣٥، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٢١٦، وفي آداب الزفاف، ص ١٠٨.

(٤) مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب التزوج والتزويج في شوال، واستحباب الدخول فيه، برقم ١٤٢٣.

(٥) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لاَ تَدْخلُوا بُيُوتَ النَّبِيِ إلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾، برقم ٤٧٩٤.

٨٢ – دُعَاءُ الغَضَبِ

١٩٣ - «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٥٤-لفظ البخاري عنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ[٢] قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَّانِ، فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِن الشَّيْطَانِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ**»، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ**»، فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ»[٣].

٦٥٥-ولفظ آخر للبخاري، ومسلم عن سُلَيْمَان بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا، قَدْ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**» فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ»[٤].

---

(١) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنود، برقم ٣٢٨٢، وكتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، برقم ٦١١٥، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، برقم ٢٦١٠.

(٢) سليمان بن صُرد الخزاعي ﷺ قال الحافظ في الفتح: «يقال كان اسمه يسار فغيره النبي ﷺ» كان خيراً فاضلاً له دين وعبادة، قال الذهبي رحمه الله: «كان دينًا عابدًا» خرج في جيش تابوا إلى الله من خذلانهم الحسين الشهيد، وساروا للطلب بدمه، وسموا جيش التوابين، وقد قتل على يد أهل الشام برأس عين سنة خمس وستين، وله ثلاث وسبعون سنة. انظر: الاستيعاب، ٢/ ٦٥٠، وأسد الغابة،٢/ ٢٩٧، ترجمة رقم ٣٠٢٢، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٣٩٤، ترجمة ٦١، وفتح الباري، ١٠/٥٤٣.

(٣) البخاري، برقم ٣٢٨٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري، برقم ٦١١٥، ومسلم، برقم ٢٦١٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٦٥٦-عن أبي الأسود عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ[1]، قَالَ: كَانَ يَسْقِي عَلَى حَوْضٍ لَهُ، فَجَاءَ قَوْمٌ فَقَالَ: أَيُّكُمْ يُورِدُ عَلَى أَبِي ذَرٍّ، وَيَحْتَسِبُ شَعَرَاتٍ مِنْ رَأْسِهِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، فَجَاءَ الرَّجُلُ فَأَوْرَدَ عَلَيْهِ الْحَوْضَ فَدَقَّهُ، وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ قَائِمًا فَجَلَسَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، لِمَ جَلَسْتَ، ثُمَّ اضْطَجَعْتَ؟ قَالَ: فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَنَا: «**إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ**»[2].

٦٥٧-**عَنْ عَطِيَّةَ - وَقَدْ كَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ -[3]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ**: «إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ»[4].

٦٥٨- عن مُعَاذٍ الجهني ﷺ [5] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ ﷻ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ**»[6].

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٤٥ من أحاديث الشرح.

(٢) مسند أحمد، ٣٥/ ٢٧٨، برقم ٢١٣٤٨، وأبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب، برقم ٤٧٨٢، ورقم ٤٧٨٣، و ابن حبان، برقم ٥٦٨٨، وصححه محققو المسند، والألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٨/ ٢٠٧، برقم ٥٦٥٩.

(٣) عطية بْن عروة، وقيل ابن قيس السعدي، صحابي معروف، له أحاديث، نزل الشام، كان ممن كلّم النبيّ ﷺ في سبي هوازن. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣/ ١٠٧٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ٤٢٢.

(٤) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب، برقم ٤٧٨٤، وأحمد، ٢٩/ ٥٠٥، برقم ١٧٩٨٥، وجود إسناده الزين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، ٢/ ٨٤٦: «ولأحمد بإسناد جيد» وقال البنا رحمه الله في الفتح الرباني شرح مسند أحمد، ٥٠/ ٦٥: «وسكت عنه أبو داود، والمنذري، وحسنه الحافظ السيوطي» وقال صاحب شرح زاد المستقنع للحمد، ٢/ ٧٩: «والحديث لا بأس به» وقال الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله: «إسناده جيد». وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، برقم ٥٨٢.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٦ من أحاديث الشرح.

(٦) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب من كظم غيظاً، برقم ٤٧٧٧، والترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق، باب حدثنا عبد بن حميد، برقم ٢٤٩٣، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب الحلم، برقم =

٦٥٩-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**» فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**»[1].

٦٦٠-عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي ؟ قَالَ: «**لاَ تَغْضَبْ**»، قَالَ: قَالَ الرَّجُلُ: فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا قَالَ، فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ»[2].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**يستبان، واستب**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «السَّبُّ: الشَّتْم... والسُّبَّة: العارُ؛ وَيُقَالُ: صَارَ هَذَا الأَمر سُبَّةً عَلَيْهِمْ، بِالضَّمِّ، أَي: عَارًا يُسبُّ بِهِ... والتَّسابُّ: التَّشاتُم. وتَسابُّوا: تَشاتَمُوا. وسابَّه مُسابَّةً وسِباباً: شاتَمه. والسَّبِيبُ والسِّبُّ: الَّذِي يُسابُّكَ... وَرَجُلٌ سِبٌّ: كثيرُ السِّباب، ورجلٌ مِسَبٌّ، بِكَسْرِ الْمِيمِ: كثيرُ السِّبابِ. وَرَجُلٌ سُبَّة أَي: يَسُبُّه الناسُ؛ وسُبَبَة أَي: يَسُبُّ الناسَ»[3].

٢-قوله: «**احمر وجهه**» أي: من شدة الانفعال، فثار الدم في جسده، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُقَالُ: حَمِرَ فُلَانٌ عَلَيَّ يَحْمَرُ حَمَراً إِذا تَحَرَّقَ عَلَيْكَ غَضَبًا وَغَيْظًا»[4].

٣-قوله: «**تنتفخ أوداجه**»: جمع ودج، وهو ما أحاط من العنق من الودج التي يقطعها الذابح، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الوَدَجُ: عِرْقٌ مُتَّصِلٌ ... والوِدَاجُ عِرْقٌ فِي العُنق، والوَدَجانِ عِرْقَانِ مُتَّصِلَانِ مِنَ الرأْس إِلى السَّحْرِ، وَالْجَمْعُ أَوْداج؛

=

٤١٨٦، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٥٢٢.

(١) البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، برقم ٦١١٦.

(٢) مسند أحمد، ٣٨/ ٢٣٦، برقم ٢٣١٧١، وصححه محققو المسند، ٣٨/ ٢٣٧، وهو في مصنف عبد الرزاق، برقم ٢٠٢٨٦، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٧٤٦، وأصله عند البخاري كما تقدم، برقم ٦١١٦.

(٣) لسان العرب، ١/ ٤٥٦، مادة (سبّ).

(٤) لسان العرب، ٤/ ٢١٣، مادة (حمر).

وَهِيَ عُرُوقٌ تَكْتَنِفُ الحُلْقُوم...، والوَرِيدانِ بِجَنْبِ الوَدَجَيْن، فَالْوَدَجَانِ مِنَ الْجَدَاوِلِ الَّتِي تَجْرِي فِيهَا الدِّمَاءُ، وَالْوَرِيدَانِ النَّبْضُ والنَّفَس»[١].

٤-قوله: «إني لأعلم كلمة»: قال ابن علان رحمه الله: «المراد منها معناها اللغوي، وهي الجمل المفيدة لو قالها بصدق ويقين، ويحتمل أنه علم أن ذلك الرجل لو قالها مطلقاً»[٢].

٥-قوله: «ما يجد»: قال العيني رحمه الله: «من وجد، يجِد وَجْداً، ومَوْجِدة: إذا غضب، ووجَد وُجْداناً إذا لقي ما يطلبه»[٣].

٦-قوله: «لذهب عنه ما يجد»: من شدة الغضب ببركة الكلمات، وتأثير همته الشريفة في ذلك عنه»[٤].

٧-قوله: «أعوذ بالله»: أعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك، فإن ذلك سوء أتحاشى من تعاطيه[٥]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ الَّذِي لَمْ يُوجَدْ بَعْدُ، وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛ فَإِنَّ نَفْسَ وُجُودِهِ ضَرَرٌ، مِثَالُ الْأَوَّلِ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، وَمِثْلُ الثَّانِي: التعوذ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ»[٦].

٨-قوله: «من الشيطان الرجيم»: الشيطان: من الشطن: البعد، أي: بَعُد عن الخير، أو من الحبل الطويل، كأنه طال في الشر، أو من شاط يشيط إذا هلك،

---

(١) لسان العرب، ٢/ ٣٩٧، مادة (ودج).
(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١/ ٢٣٢.
(٣) عمدة القاري، لبدر الدين العيني، ١٥/ ١٧٦.
(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١/ ٢٣٢.
(٥) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.
(٦) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ١٨/ ٢٨٨، وتقدم مستوفى في شرح المفردة الثالثة من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

أو من استشاط غضباً إذا احتدّ في غضبه، والتهب، والأول أصح[١]، وقال ابن علان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشيطان: العاتي المتمرّد، من شاط احترق، أو من شطن بعد، والرجيم فعيل بمعنى مفعول: أي المبعد من رحمة‌الله»[٢].

٩-قوله: «**إني لست بمجنون**»: قال النووي: يحتمل أن قائل هذه الكلمة كان من المنافقين، أو من جفاة الأعراب[٣]،وقال ابن علان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله: إني لست بمجنون: إما أن يكون منافقًا، أو نفر من كلام أصحابه دون كلام رسول الله ﷺ»[٤].

١٠-قوله: «**هل بي جنون**»: قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا كلام من لم يتفقه في دين الله، ولم يتهذّب بأنوار الشريعة المكرمة جفاة الأعراب. والاستعاذة من الشيطان تذهب الغضب، وهو أقوى السلاح على دفع كيده»[٥].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الغضب والانفعال من نزغات الشيطان وبهما يخرج المسلم عن حد الاعتدال، فيتكلم بالباطل، ويفعل المذموم، ولا علاج له إلا أن يتعوذ بالله من الشيطان صادقًا في ذلك.

٢-قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قول الرجل هذا، قول من لم يتفقه في دين الله تعالى، ولم يتهذب بأنوار الشريعة المكرمة، وتوهم أن الاستعاذة مختصة بالجنون، ولم يعلم أن الغضب من نزغات الشيطان؛ ولهذا يخرج به الإنسان عن اعتدال حاله،

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٧٤، مادة (شطن)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٧ من الحديث الأول من أحاديث المتن في المقدمة في فضل الذكر.
(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١/ ٢٣٢.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/ ٣٧٨.
(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٨/ ٤٨٨.
(٥) عمدة القاري، لبدر الدين العيني ١٥/ ١٧٦.

ويتكلم بالباطل، ويفعل المذموم»[(١)].

٣-من تمام إيمان العبد أن يكون غضبه لله وقد كان ﷺ لا يغضب لنفسه قط، وكان غضبه إذا انتُهك حدٌّ من حدود الله تعالى.

٤-قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فَأَمَرَ سُبْحَانَهُ بِالِاسْتِعَاذَةِ عِنْدَ طَلَبِ الْعَبْدِ الْخَيْرَ لِئَلَّا يَعُوقَهُ الشَّيْطَانُ عَنْهُ؛ وَعِنْدَ مَا يَعْرِضُ عَلَيْهِ مِنْ الشَّرِّ لِيَدْفَعَهُ عَنْهُ عِنْدَ إرَادَةِ الْعَبْدِ لِلْحَسَنَاتِ؛ وَعِنْدَ مَا يَأْمُرُهُ الشَّيْطَانُ بِالسَّيِّئَاتِ... فَأَمَرَ بِالِاسْتِعَاذَةِ عِنْدَمَا يَطْلُبُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَهُ فِي شَرٍّ، أَوْ يَمْنَعَهُ مِنْ خَيْرٍ؛ كَمَا يَفْعَلُ الْعَدُوُّ مَعَ عَدُوِّهِ، وَكُلَّمَا كَانَ الْإِنْسَانُ أَعْظَمَ رَغْبَةً فِي الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ، وَأَقْدَرَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِ، بِحَيْثُ تَكُونُ قُوَّتُهُ عَلَى ذَلِكَ أَقْوَى، وَرَغْبَتُهُ وَإِرَادَتُهُ فِي ذَلِكَ أَتَمَّ؛ كَانَ مَا يَحْصُلُ لَهُ إنْ سَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ الشَّيْطَانِ أَعْظَمَ؛ وَكَانَ مَا يَفْتَتِنُ بِهِ إنْ تَمَكَّنَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ أَعْظَمَ»[(٢)].

٥-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «المشروع للإنسان إذا غضب أن يحبس نفسه، وأن يصبر، وأن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأن يتوضأ فإن الوضوء يطفئ الغضب، وإن كان قائماً فليقعد، وإن كان قاعداً فليضطجع، وإن خاف خرج من المكان الذي هو فيه حتى لا ينفذ غضبه فيندم بعد ذلك والله الموفق»[(٣)].

٦-قال الشيخ ابن مبارك: «في هذا الحديث: أن الشيطان هو الذي يثير الغضب ويشعل النار، وأن دواءه الاستعاذة»[(٤)].

٧-لعلاج الغضب أنواع على النحو الآتي:

أ-من أسباب السلامة من اللّجاج والخصومات كظم الغيظ، والابتعاد عن

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٢.
(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٧/ ٢٨٤.
(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٤٦.
(٤) تطريز رياض الصالحين، ص ٥٠.

الغضب وأسبابه، وعلاج الغضب بالأدوية المشروعة يكون بطريقتين:

ب-الطريقة الأولى: الوقاية، ومعلوم أن الوقاية خير من العلاج، وتحصل الوقاية من الغضب قبل وقوعه باجتناب أسبابه والابتعاد عنها، ومن هذه الأسباب التي ينبغي لكل مسلم أن يُطَهِّرَ نفسه منها: الكِبْر، والإعجاب بالنفس، والافتخار، والتِّيه، والحِرص المذموم، والمزاح في غير مناسبة، أو الهزل، أو ما شابه ذلك[1].

ج-الطريقة الثانية:العلاج إذا وقع الغضب، وينحصر في أربعة أنواع على النحو الآتي:

النوع الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؛ لقول الله تعالى: **﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[2] ، وقوله ﷻ: **﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾**[3] ، وقوله تعالى: **﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**[4] لحديث سُلَيْمَان بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا، قَدْ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ»[5].

النوع الثاني: الوضوء[6]؛ لحديث عطية ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**إن الغضب من**

---

(١) انظر: الدعائم الخلقية والقوانين الشرعية لصبحي محمصاني، ص ٢٢٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٩٧.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

(٥) البخاري، برقم ٦١١٥، ومسلم، برقم ٢٦١٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) انظر: سنن أبي داود ٢٤٩/٤، وتهذيب السنن، ١٦٥/٧-١٦٨، وعون المعبود، ١٤١/١٣، وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله: ((إسناده جيد)).

الشيطان وإن الشيطان خلق من نار وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»[١].

النوع الثالث: تغيير الحالة التي عليها الغضبان، بالجلوس، أو الاضطجاع، أو الخروج، أو الإمساك عن الكلام، أو غير ذلك؛ لحديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**»[٢].

النوع الرابع: استحضار ما ورد في فضل كظم الغيظ من الثواب، وما ورد في عاقبة الغضب من الخذلان العاجل والآجل، قال النبي ﷺ: «**من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يُخيِّرهُ من الحور ما شاء**»[٣].

***

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب، برقم ٤٧٨٤، وأحمد، برقم ١٧٩٨٥، وجود إسناده الزين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، ٢/ ٨٤٦: والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله، وتقدم تخريجه.

(٢) مسند أحمد، ٣٥/ ٢٧٨، برقم ٢١٣٤٨، وأبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب، برقم ٤٧٨٢، ورقم ٤٧٨٣، و ابن حبان، برقم ٥٦٨٨، وصححه محققو المسند، والألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٨/ ٢٠٧، برقم ٥٦٥٩.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب من كظم غيظاً، برقم ٤٧٧٧، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب في كظم الغيظ، برقم ٢٠٢١، وفي كتاب صفة القيامة والرقائق، برقم ٢٤٩٣، وقال في الموضعين: ((هذا حديث حسن غريب))، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب الحلم، برقم ٤١٨٦، وحسنه شعيب الأرنؤوط في تحقيق سنن أبي داود، ٧/ ١٥٧، والألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٤٠٧.

٨٣ – دُعَاءُ مَنْ رأى مُبْتَلى

١٩٤- «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاَكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً»(١).

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٦١-لفظ الترمذي: عَنْ عُمَرَ الخطاب رضي الله عنه(٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلاَءٍ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاَكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً، إِلاَّ عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلاَءِ، كَائِنًا مَا كَانَ مَا عَاشَ»(٣).

٦٦٢-لفظ آخر للترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه(٤) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَأَى مُبْتَلًى فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاَكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلاَءُ»(٥).

٦٦٣-ولفظ ابن ماجه عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما(٦)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ فَجِئَهُ صَاحِبُ بَلاَءٍ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاَكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى

---

(١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا رأى مبتلى، برقم ٣٤٣١، ورقم ٣٤٣٢، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا نظر إلى أهل البلاء، برقم ٣٨٩٢، وحسن الألباني رواية الترمذي الأولى، وصحح الرواية الثانية في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٢٨، و٢٧٢٩، وحسن رواية ابن ماجه في صحيح ابن ماجه، برقم ٣١٤٠.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٦١ من أحاديث الشرح..

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٣١، وحسنه في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٢٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح..

(٥) الترمذي، برقم ٣٤٣٢، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٢٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح..

كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً، عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلاَءِ ، كَائِنًا مَا كَانَ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**من فجئه**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «فَجِئَه الأمْرُ، وفَجَأَه فُجَاءَة بِالضَّمِّ وَالْمَدِّ، وفَاجَأَه مُفَاجَأَة إِذَا جَاءَهُ بَغْتَة مِنْ غَيْرِ تَقَدُّم سَبَبٍ»[٢].

٢-قوله: «**مبتلى، صاحب بلاء**»: إما بأمراض، وأسقام، وأوجاع، أو بعيب في الخلقة، وهذا بلاء دنيوي، أو مبتلى في دينه بشبهة، أو بدعة، أو معصية، قال القاري رحمه الله: «مبتلى أي في أمر بدني كبرص وقصر فاحش أو طول مفرط أو عمى أو عرج أو اعوجاج يد ونحوها أو ديني بنحو فسق، وظلم، وبدعة، وكفر وغيرها»[٣]، وقال المباركفوري رحمه الله: «أَيْ فِي الدِّينِ، وَالدُّنْيَا، وَالْقَلْبِ، وَالْقَالَبِ إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ، أَيْ: لَمْ يَرَ أَحَدٌ صَاحِبَ بَلَاءٍ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي إِلَخْ إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ»[٤].

٣-قوله: «**فقال**»: عقب رؤيته يقوله في نفسه، أو بحيث لا يسمعه، كما يأتي لئلا يكون شامتًا به»[٥].

٤-قوله: «**الحمد لله**»: الحمد هو الوصف بالجميل، والله لفظ الجلالة علم على ذات الرب عز وجل. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»[٦]، وقال الطيبي رحمه الله: «الحمد: الثناء

(١) ابن ماجه، برقم ٣٨٩٢،وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٣١٤٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤١٢، مادة (فجأ).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣١٩.

(٤) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٧٥، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٦من شرح مفردات حديث المتن رقم ٨٣، والمفردة رقم ١٢ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٨١.

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٥٦.

(٦) بدائع الفوائد، ٥٣٧/٢، وانظرها بتفصيل أكثر في شرح مفردات الحديث رقم ٢ من أحاديث المتن، في المفردة رقم ٤، ورقم ٧.

على قدرته؛ ... فيشكر على ما أولى العباد بسبب الانتقال من النعم الدينية، والدنيوية ما لا يحصى»[١].

٥-قوله: «الذي عافاني» أي: قدر لي العافية، قال المباركفوري رحمه الله: «الْعَافِيَةَ أَوْسَعُ مِنَ الْبَلِيَّةِ لِأَنَّهَا مَظِنَّةُ الْجَزَعِ وَالْفِتْنَةِ وَحِينَئِذٍ تَكُونُ مِحْنَةً أَيَّ مِحْنَةٍ، وَالْمُؤْمِنُ الْقَوِيَّ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ كَمَا وَرَدَ»[٢].

٦-قوله: «مما ابتلاك به»: قال الطيبي رحمه الله: «هذا الخطاب فيه إشعار بأن المبتلى لم يكن مريضاً، أو ناقصاً في خلقه، بل كان عاصياً متخلعاً، خليع العذار، ولذلك خاطبه بقوله: **«مما ابتلاك»**،ولو كان المراد به المريض، لم يحسن الخطاب»[٣].

٧-قوله: «وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً»: أي: على هؤلاء المبتلون فلم يجعلني منهم، فقوله: **«وفضلني على كثير ممن خلق»**: قال الطبري رحمه الله: «ذكر لنا أن ذلك تمكنهم من العمل بأيديهم، وأخذ الأطعمة والأشربة بها ورفعها بها إلى أفواههم، وذلك غير متيسر لغيرهم من الخلق...»[٤]، وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «الفضل: الزيادة عن الاقتصاد، وذلك ضربان: محمود: كفضل العلم، والحلم، ومذموم: كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه، والفضل في المحمود أكثر استعمالاً»[٥]، وقال المباركفوري رحمه الله: «أَيْ: فِي الدِّينِ، وَالدُّنْيَا، وَالْقَلْبِ، وَالْقَالَبِ إِلَّا عُوفِيَ مِنْ

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة الثانية من حديث المتن رقم ١٠٨.

(٢) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٧٥.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٨.

(٤) تفسير الطبري، ١٧/ ٥٠١.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٩٦، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ١٢ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٨١.

ذَلِكَ الْبَلَاءِ، أَيْ: لَمْ يَرَ أَحَدٌ صَاحِبَ بَلَاءٍ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي... إِلَخْ إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ»[١].

٨-قوله: «**كَائِنًا مَا كَانَ**»: أَيْ: حَالَ كَوْنِ ذَلِكَ الْبَلَاءِ أَيَّ: بَلَاءٍ كَانَ مَا عَاشَ أَيْ: مُدَّةَ بَقَائِهِ فِي الدُّنْيَا»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-قائل هذا الذكر مخلصًا من قلبه، موقنًا بصدق قائله، يتحقق له الموعود بعدم إصابته بذلك البلاء طيلة حياته.

٢-من الحكمة والفطنة أن يقول المعافى هذا الدعاء بصوت منخفض لا يسمعه المبتلى؛ لئلا يتألم قلبه، إلا إذا كان قائمًا على معصية، مصرًّا عليها، فيسمعه رجاءً أن ينزجر إذا كان في ذلك مصلحة، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماءُ من أصحابنا وغيرهم: ينبغي أن يقولَ هذا الذكرَ سِرّاً بحيثُ يُسمعُ نفسَه، ولا يُسمعُه المبتلى؛ لئلا يتألَّمَ قلبُه بذلك، إلا أن تكون بليّتُه معصيةً، فلا بأس أن يُسمعَه ذلك إن لم يخفْ من ذلك مفسدة، والله أعلم»[٣].

٣-قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويسمع صاحب البلاء الديني إذ أراد زجره، ويرجو انزجاره، وكان الشبلي إذا رأى أحداً من أرباب الدنيا دعا بهذا الدعاء، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، أي: في الدين والدنيا والقلب والقالب إلا لم يصبه ذلك البلاء كائناً ما كان، أي: حال كون ذلك البلاء أي شيء كان»[٤].

---

(١) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٧٥.

(٢) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٧٥.

(٣) الأذكار، للإمام النووي، ص ٣٧٦.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣٢٠.

٤-على المعافى ألا يركن إلى ما هو فيه من خير، بل يسأل الله دوام العافية؛ لأن الأيام دول، وعليه ألا يشمت بمبتلى، فهو لا يؤمن أن يبتلى بمثله، قال إبراهيم النخعي رحمه الله: «إني لأرى الشيء أكرهه، فما يمنعني أن أتكلم فيه إلا مخافة أن أبتلى بمثله»[١].

٥-قال القاري رحمه الله: «رؤية الصالحين والفاسقين بمنزلة سماع آيات الوعد والوعيد فينبغي أن يطلب في الأول ويستعيذ في الثاني»[٢].

***

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣٢٠.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٣/ ٥٤.



سلسلة مؤلفات سعيد بن علي بن وهف القحطاني (١١٩)

إتحاف المسلم

بشرح حصن المسلم

من أذكار الكتاب والسنة

تأليف الفقير إلى الله تعالى

د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

- ٤ -



٨٤ - مَا يُقَالُ فِي الْمَجْلِسِ

١٩٥ -«عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ يُعَدُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةُ مَرَّةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقُومَ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الغَفُورُ»»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٦٤-لفظ الترمذي عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما[٢] قَالَ: كَانَ يُعَدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةُ مَرَّةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقُومَ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ»[٣].

٦٦٥-لفظ أبي داود عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»[٤].

٦٦٦-لفظ أحمد عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّهُ كَانَ قَاعِدًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ» حَتَّى عَدَّ الْعَادُّ بِيَدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ[٥].

---

(١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقال إذا قام من المجلس، برقم ٣٤٣٤، وأبو داود، كتاب الوتر، باب في الاستغفار، برقم ١٥١٥، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل التسبيح، برقم ٣٨١٤، ومسند أحمد، ٩/ ٣٩٩، برقم ٥٥٦٤، وصححه لغيره محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٥٣/٣، وصحيح ابن ماجه، ٣٢١/٢، وصحيح أبي داود، برقم ٢٧٣١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٣٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ١٥٣/٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أبو داود، برقم ١٥١٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٧٣١. وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) مسند أحمد، برقم ٥٥٦٤، وصححه لغيره محققو المسند، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**كان يعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة**»: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالعَدُّ: إحصاء الشيء، تقول: عددت الشيءَ أعُدُّه عَدّاً، فأنا عادٌّ، والشيء معدود، والعَديد: الكثرة، وفلانٌ في عِداد الصَّالحين، أي يُعَدُّ معهم، والعَدَد: مقدار ما يُعَدُّ، ويقال: ما أكثَرَ عديدَ بني فلان وعَدَدهم. وإنّهم ليتعادُّون ويتعدَّدُون على عشرة آلاف، أي: يزيدون عليها»[١]، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المعنى: كنا نكثر أن نعد لرسول الله ﷺ قول: «رب اغفر لي» مائة مرة»[٢].

٢-قوله: «**رب اغفر لي**»: أي: أطلب منك المغفرة وهي الصفح عن الذنوب وتبديلها إلى حسنات. قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الغفران: تغطية الذنب بالعفو عنه، والغفر: الستر، وغَفَرَ الخزُّ والصوفُ ما علا فوق الثوب منها... »[٣]، وقال الإمام النوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى سؤاله ﷺ المغفرة، مع أنه مغفور له، أنه يسأل ذلك تواضعاً، وخضوعاً، وإشفاقاً، وإجلالاً؛ وليقتدى به في أصل الدعاء، والخضوع، وحسن التضرع في هذا الدعاء المعين»[٤].

٣-قوله: «**وتب علي**» أي: وفقني لتوبة نصوح تقبلها مني، وتَجُبُّ بها ما مضى من الذنوب. قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتَّوبَة تَرك الذَّنب عَلَى أَحَد الأَوجُه . وفِي الشَّرع تَركُ الذَّنب لِقُبحِهِ ، والنَّدَم عَلَى فِعله ، والعَزم عَلَى عَدَم العَود ، ورَدّ المَظلِمَة إِن كانَت أَو طَلَب البَراءَة مِن صاحِبها ، وهِيَ أَبلَغ ضُرُوب الاعتِذار ، لأَنَّ المُعتَذِر إِمّا أَن يَقُول لا أَفعَل فَلا يَقَع المَوقِع عِند مَن اعتَذَرَ لَهُ

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٤/ ٢٩، مادة (عدد).
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٥٥.
(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، ص ٢.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٥٦، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٩من شرح مفردات الحديث رقم ٧٩ من أحاديث المتن.

لِقِيامِ احتِمال أَنَّهُ فَعَلَ لا سِيَّما إِن ثَبَتَ ذَلِكَ عِنده عَنهُ ، أَو يَقُول فَعَلت لأَجلِ كَذا ويَذكُر شَيئًا يُقِيم عُذره وهُو فَوق الأَوَّل ، أَو يَقُول فَعَلت ولَكِن أَسَأت وقَد أَقلَعت وهَذا أَعلاهُ انتَهَى مِن كَلام الرّاغِب مُلَخَّصًا، وقالَ : القُرطُبِيّ فِي المُفهِم: اختَلَفَت عِبارات المَشايِخ فِيها، فَقائِل يَقُول إِنَّها النَّدَم، وآخَر يَقُول إِنَّها العَزم عَلَى أَن لا يَعُود، وآخَر يَقُول الإِقلاع عَن الذَّنب، ومِنهُم مَن يَجمَع بَين الأُمُور الثَّلاثَة وهُو أَكمَلها غَير أَنَّهُ مَعَ ما فِيهِ غَير مانِع ولا جامِع، أَمّا أَوَّلاً فَلأَنَّهُ قَد يَجمَع الثَّلاثَة، ولا يَكُون تائِبًا شَرعًا، إِذ قَد يَفعَل ذَلِكَ شُحًّا عَلَى ماله، أَو لِئَلاَّ يُعَيِّرهُ النّاس بِهِ، ولا تَصِحّ التَّوبَة الشَّرعِيَّة إِلاَّ بِالإِخلاصِ، ومَن تَرَكَ الذَّنب لِغَيرِ الله لا يَكُون تائِبًا اتِّفاقًا، وأَمّا ثانِيًا فَلأَنَّهُ يَخرُج مِنهُ مَن زَنَى مَثَلاً ثُمَّ جُبَّ ذَكَره فَإِنَّهُ لا يَتَأَتَّى مِنهُ غَير النَّدَم عَلَى ما مَضَى»[1].

٤-قوله: «**إنك أنت التواب**»: أي: الذي يتوب على عبده ويقبل توبته كلما تكررت التوبة تكرر القبول[2]. قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقَد قالَ الحَلِيمِيّ فِي تَفسِير التَّوّاب فِي الأَسماء الحُسنَى: أَنَّهُ العائِد عَلَى عَبده بِفَضلِ رَحمَته، كُلَّما رَجَعَ لِطاعَتِهِ، ونَدِمَ عَلَى مَعصِيَته، فَلا يُحبِط عَنهُ ما قَدَّمَهُ مِن خَير، ولا يَحرِمهُ ما وعَدَ بِهِ الطّائِع مِنَ الإِحسان، وقالَ الخَطّابِيُّ: التَّوّاب الَّذِي يَعُود إِلَى القَبُول كُلَّما عادَ العَبد إِلَى الذَّنب وتابَ»[3].

٥-قوله: «**الغفور**»: الذي يكثر الستر على المذنبين من عباده، ويزيد عفوه على مؤاخذته[4]. قال ابن منظور: «الغَفُورُ الغَفّارُ:... السَّاتِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ... وأَصل الغَفْرِ: التَّغْطِيَةُ، وَالسَّتْرُ، غَفَرَ اللَّهُ

---

(١) فتح الباري، ١١/ ١٠٣.
(٢) شأن الدعاء، للخطابي، ص ٩٠.
(٣) فتح الباري، ١١/ ١٠٤.
(٤) البيهقي في الأسماء والصفات، ص ٥٥.

ذُنُوبَهُ: أَي: سَتَرَهَا... وَقَدْ غَفَرَه يَغْفِرُه غَفراً: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْته؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا... والغَفْرُ، والمَغْفِرةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ، والعفوُ عَنْهَا»[١].

٦-قوله: «**إنك أنت التواب الرحيم**»: قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنك أنت العائد على عبادك بالفضل، والمتفضل عليهم بالعفو والغفران، الرحيم بهم، المستنقذ من تشاء منهم برحمتك من هلكته، المنجي من تريد نجاته منهم برأفتك من سخطك»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقَد استَشكَلَ وُقُوع الاستِغفار مِنَ النَّبِيّ ﷺ وهُو مَعصُوم، والاستِغفار يَستَدعِي وُقُوع مَعصِيَة. وأُجِيبَ بِعِدَّةِ أَجوِبَة: مِنها ما تَقَدَّمَ فِي تَفسِير الغَين.

ومِنها قَول ابن الجَوزِيّ: هَفَوات الطِّباع البَشَرِيَّة لا يَسلَم مِنها أَحَد، والأَنبِياء وإِن عُصِمُوا مِنَ الكَبائِر فَلَم يُعصَمُوا مِنَ الصَّغائِر. كَذا قالَ، وهُو مُفَرَّع عَلَى خِلاف المُختار، والرّاجِح عِصمَتهم مِنَ الصَّغائِر أَيضًا.

ومِنها قَول ابن بَطّال: الأَنبِياء أَشَدّ النّاس اجتِهادًا فِي العِبادَة لِما أَعطاهُم الله تَعالَى مِنَ المَعرِفَة، فَهُم دائِبُونَ فِي شُكره مُعتَرِفُونَ لَهُ بِالتَّقصِيرِ انتَهَى».

ومُحَصَّل جَوابه أَنَّ الاستِغفار مِنَ التَّقصِير فِي أَداء الحَقّ الَّذِي يَجب لِلَّهِ تَعالَى، ويَحتَمِل أَن يَكُون لاشتِغالِهِ بِالأُمُورِ المُباحَة مِن أَكل أَو شُرب أَو جِماع أَو نَوم أَو راحَة، أَو لِمُخاطَبَةِ النّاس والنَّظَر فِي مَصالِحهم، ومُحارَبَة عَدُوّهُم تارَة ومُداراته أُخرَى، وتَأْلِيف المُؤَلَّفَة وغَير ذَلِكَ مِمّا يَحجُبهُ عَن

(١) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة الثانية من ألفاظ الحديث رقم ٤٨ من أحاديث المتن.
(٢) تفسير الطبري، ٣/ ٨٢.

الاشتِغال بِذِكرِ الله والتَّضَرُّع إِلَيهِ ومُشاهَدَته ومُراقَبَته ، فَيَرَى ذَلِكَ ذَنبًا بِالنِّسبَةِ إِلَى المَقام العَلِيّ وهُو الحُضُور فِي حَظِيرَة القُدس .

ومِنها أَنَّ استِغفاره تَشرِيع لأُمَّتِهِ، أَو مِن ذُنُوب الأُمَّة فَهُو كالشَّفاعَةِ لَهُم»[١][٢].

***

(١) فتح الباري، ١١/ ١٠١.
(٢)[انظر طرفاً مما يتعلق بالتوبة: الحديث رقم ١٤، ورقم ٩٦، ورقم ٢٤٨، و٢٤٩، و٢٥٠].

٨٥ - كَفَّارَةُ الـمَجْلِسِ

١٩٦-«سُبْحَانَكَ اللَّهُـمَّ وَبِحَمْـدِكَ، أَشْـهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنْـتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»[1].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٦٧-لفظ الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[2] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ»**[3].

٦٦٨-رواية أبي داود عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ ﷺ[4] قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **يَقُولُ بِأَخَرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ**

---

(١) أصحاب السنن: أبو داود، كتاب الأدب، باب في كفارة المجلس، برقم ٤٨٥٨، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلي، برقم ٣٤٣٣، والنسائي، كتاب السهو، نوع آخر من الذكر والدعاء بعد التسليم، برقم ١٣٤٤، وصححه الألباني في الروض النضير، برقم ٣٠٥، وفي صحيح الترمذي، برقم ٢٧٣٠، وفي صحيح النسائي، برقم ١٣٤٤، ومسند أحمد، ٣٣/ ٤٧، برقم ١٩٨١٢، وصححه لغيره محققو المسند، وأحمد أيضاً ٤١/ ٣٤، برقم ٢٤٤٨٦، وصححه محققو المسند ، والنسائي في الكبرى، عمل اليوم والليلة، ما ختم به القرآن، برقم ١٠١٤٠، وصححه الدكتور فاروق حمادة في تحقيقه لعمل اليوم والليلة للنسائي، ص٢٧٣، وكحققو المسند، ٤١/ ٣٤،.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٣٣، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٣٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أبو برزة الأسلمي ﷺ، اشتهر بكيته، وأصح ماقيل في اسمه: نضلة بن عبيد الأسلمي، كان إسلامه قديما وشهد فتح خيبر وفتح مكة وحنينا، وشهد مع علي قتل الخوراج بالنهروان، نزل البصرة، ومات فيها بعد ولاية ابن زياد، وقبل موت معاوية سنة ستين، وقيل بل مات سنة أربع وستين. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ٤/ ١٦١٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ٦/ ٤٣٣.

لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلاً مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى؟ قَالَ: «**كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ**»(١).

٦٦٩-لفظ أحمد عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا كَانَ بِآخِرَةٍ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ فِي الْمَجْلِسِ، فَأَرَادَ أَنْ يَقُومَ قَالَ: «**سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**» **فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ تَقُولُ الْآنَ كَلَامًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا خَلَا؟ قَالَ: «هَذَا كَفَّارَةُ مَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ»**(٢).

٦٧٠-وفي لفظ آخر لأحمد عَنْ عَائِشَةَ ﵂، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا، أَوْ صَلَّى، تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ، فَسَأَلَتْهُ عَائِشَةُ عَنِ الْكَلِمَاتِ، فَقَالَ: «**إِنْ تَكَلَّمَ بِخَيْرٍ كَانَ طَابِعًا عَلَيْهِنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ ذَلِكَ كَانَ كَفَّارَةً: سُبْحَانَكَ، وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**»(٣).

٦٧١-ورواية النسائي عَنْ عَائِشَةَ ﵂(٤) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا، أَوْ صَلَّى تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ، فَسَأَلَتْهُ عَائِشَةُ عَنِ الْكَلِمَاتِ فَقَالَ: «**إِنْ تَكَلَّمَ بِخَيْرٍ كَانَ طَابِعًا عَلَيْهِنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ ذَلِكَ كَانَ كَفَّارَةً لَهُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»(٥).

٦٧٢-وفي السنن الكبرى للنسائي عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: مَا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسًا قَطُّ، وَلاَ تَلاَ قُرْآنًا، وَلاَ صَلَّى صَلاَةً، إِلاَّ خَتَمَ ذَلِكَ بِكَلِمَاتٍ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَاكَ مَا تَجْلِسُ مَجْلِسًا، وَلاَ تَتْلُو قُرْآنًا، وَلاَ تُصَلِّي صَلاَةً، إِلاَّ خَتَمْتَ بِهَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، مَنْ قَالَ خَيْرًا**

---

(١) أبو داود، برقم ٤٨٥٨، وصححه الألباني في الروض النضير، برقم ٣٠٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسند أحمد، برقم ١٩٨١٢، وصححه لغيره محققو المسند، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسند أحمد، برقم ٢٤٤٨٦، وصححه محققو المسند، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٥) النسائي، برقم ١٣٤٤، وصححه الألباني في صحيح النسائي، برقم ١٣٤٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

خُتِمَ لَهُ طَابِعٌ عَلَى ذَلِكَ الْخَيْرِ، وَمَنْ قَالَ شَرًّا كُنَّ لَهُ كَفَّارَةً: سُبْحَانَكَ، وَبِحَمْـدِكَ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**لغطه**»: هو اللغو من القول والذي لا طائل منه مع صوت وجلبة، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «لغطه: الرديء من الكلام، والقبيح»[٢].

٢-قوله: «**قبل أن يقوم من مجلسه**» أي: في نهاية هذا المجلس عند إرادة القيام، قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي لا يفارقه»[٣].

٣-قوله: «**سبحانك**» أي: أنزهك عن كل عيب ونقص فلك الكمال المطلق، قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «قدَّم تنزيه الرب تعالى عن كل نقصٍ، ثم الحمد والشهادة بالتوحيد، ونفي الشريك، ثم طلب الاستغفار تقديما للوسائل على المطالب»[٤].

٤-قوله: «**اللهم**»: «بِمَعْنَى: يَا أَللهُ... »[٥]

٥-قوله: «**وبحمدك**»: أي: أحمدك حمدًا يليق بجلالك، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ أَهْل اللُّغَة الْعَرَبِيَّة وَغَيْرهمْ: التَّسْبِيح: التَّنْزِيه، وَقَوْلهمْ: سُبْحَان اللَّه مَنْصُوب عَلَى الْمَصْدَر، يُقَال: سَبَّحْت اللَّه تَسْبِيحًا وَسُبْحَانًا، فَسُبْحَان اللَّه مَعْنَاهُ: بَرَاءَة وَتَنْزِيهًا لَهُ مِنْ كُلّ نَقْص، وَصِفَة لِلْمُحَدِّثِ، قَالُوا: وَقَوْله: وَبِحَمْدِك أَيْ: وَبِحَمْدِك سَبَّحْتُك، وَمَعْنَاهُ: بِتَوْفِيقِك لِي، وَهِدَايَتك وَفَضْلك عَلَيَّ سَبَّحْتُك، لَا بِحَوْلِي وَقُوَّتِي، فَفِيهِ

---

(١) النسائي في الكبرى، برقم ١٠١٤٠، وصححه الدكتور فاروق حمادة في تحقيقه لعمل اليوم والليلة للنسائي، ص٢٧٣، ومحققو المسند، ٤١/ ٣٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) جامع الأصول، ٤/ ٢٧٧.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ٢٤٠.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ١٤٨.

(٥) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم في حديث المتن رقم ١، المفردة رقم ٦.

شُكْر اللَّه تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعْمَة، وَالِاعْتِرَاف بِهَا، وَالتَّفْوِيض إِلَى اللَّه تَعَالَى، وَأَنَّ كُلّ الْأَفْعَال لَهُ، وَاَللَّه أَعْلَم»[١].

٦-قوله: «**أشهد أن لا إله إلا أنت**»: قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «مَعْنَاهُ: أَعْلَمُ وَأُبَيِّنُ، ... وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ هُوَ تَيَقُّنُ الشَّيْءِ وَتَحَقُّقُهُ مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيْ: حُضُورِهِ[٢].

٧-قوله: «**أستغفرك وأتوب إليك**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «والاستغفار: طلب المغفرة، (والتوبة): الرجوع من الذنب والإخلاص في الترك، والندم على الفائت»[٣].

٨-قوله: «**كفّر الله ما كان في مجلسه ذلك**» أي: ستر، وغفر ما ألـمَّ فيه من الذنوب عدا الكبائر، ومظالم العباد، قال ابن الأثير رحمه الله: «الكفارة: الخصلة التي تمحو الذنوب، وهي المرة الواحدة من التكفير: التغطية للشيء»[٤]، فإن الكبائر لا بدّ لها من توبة، ومظالم العباد لا بد من ردِّها، واستسماحهم، وعفوهم.

٩-قوله: «**كان طابعاً**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «الطابع: الخاتم، يريد أنه يختم عليها»[٥].

١٠-قوله: «**بأَخَرة**»: قال النووي رحمه الله: «هو بهمزة مقصورة مفتوحة وبفتح الخاء، ومعناه: في آخر الأمر»[٦].

١١-قوله: «**كلمات**»: قال الطيبي رحمه الله: «وهو يحتمل وجهين، إما أن لا يُضمَر شيء فتكون الكلمات هي الجملتان الشرطيتان، واسم «كان» فيهما مبهم، ويفسره قوله: «**سبحانك اللهم**»، وإما أن يقدّر: فما فائدة الكلمات؟ فعلى هذا «الكلمات» هي قوله: «**سبحانك اللهم**»، والمضمر في «كان»

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٢٠١.

(٢) عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ٢/ ١٢٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ١٣.

(٣) الشافي في شرح مسند الشافعي، ١/ ٥٣٦، وتقدم في المفردة رقم ٢٥ من حديث المتن رقم ٢٩.

(٤) جامع الأصول، ٤/ ٢٧٨.

(٥) جامع الأصول، ٤/ ١٥٨.

(٦) الأذكار النووية للإمام النووي، ١/ ٣٧١.

راجع إليه، ففي الكلام تقديم وتأخير، وهذا الوجه أحسن بحسب المعنى، وإن كان اللفظ يساعد الأول»[١]، وقال المناوي رحمه الله: «أي: عند انتهاء لفظ ذلك المجلس، وإرادة القيام منه»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية قول هذا الدعاء الذي يُعرَفُ بكفارة المجلس، ومحله كما قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول بآخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس...[٣]، والقصد من قوله طلب المغفرة عما وقع فيه من ذلك وقد جاء في الحديث الآخر أن النبي ﷺ بيَّن أن الإنسان إن تكلم في مجلسه بخير كان هذا الذكر طابعاً عليه إلى يوم القيامة، وإن تكلم بغير الخير كان كفارة له[٤]، ومعنى طابع أي: خاتم يحفظ به العمل إلى يوم القيامة.

٢-على المسلم أن يراقب ربه في جميع أحواله وأن يعرف أن لسانه عدو له يورده المهالك إذا استخدمه في مساخط الله، قال الله تعالى: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾[٥].

٣-على المسلم العاقل أن يعمر وقته بما ينفعه يوم القيامة من ذكر لله وما ولاه قال النبي ﷺ: «**ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله تعالى فيه، ولم يصلُّوا على نبيهم فيه إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم**» والترة النقص وهي بمعنى الحسرة[٦].

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٩.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ٥١.

(٣) أبو داود، برقم ٤٨٥٨، وصححه الألباني في الروض النضير، برقم ٣٠٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) انظر: رواية النسائي، برقم ١٣٤٤، وصححه الألباني في صحيح النسائي.

(٥) سورة ق، الآية: ١٨.

(٦) الترمذي ، كتاب الدعوات، باب ما جاء في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، برقم ٣٣٨٠، وصححه =

٤-قال ابن عبد البر رحمه الله: وروي عن جماعة من أهل العلم بتأويل القرآن أن هذا الذكر هو معنى قوله ﷻ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾[(١)]، منهم: مجاهد وغيره، قال عطاء: إن كنت أحسنت ازددت إحسانًا، وإن كان غير ذلك كان كفارة[(٢)].

٥-ذكر الصنعاني رحمه الله عن القاضي عياض رحمه الله أنه قال: «كان السلف يواظبون عليه، ويقولون: ذلك كفارة المجلس، وظاهره أنه يغفر له كل شيء كان فيه حتى الغيبة والنميمة، ويحتمل أنه أريد غير حقوق المخلوقين؛ فإنه قد علم خروجها من إطلاقات الغفران، وغير الكبائر فإنها لا تكفر إلا بالتوبة، إلا أن يصحب هذا القول ندم وعزم على عدم العود، فهو توبة، وفيه دليل على أن الاستغفار وإن لم يصحبه أجزأ التوبة يؤجر فاعله، ويحتمل أنه أريد هنا لا يقولهن تائباً»[(٣)].

٦-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «من آداب المجالس: أن الإنسان إذا جلس مجلساً فكثر فيه لغطه؛ فإنه يكفّره، أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، قبل أن يقوم من مجلسه؛ فإذا قال ذلك فإن هذا يمحو ما كان منه من لغط، وعليه فيستحب أن يختم المجلس الذي كثر فيه اللغط بهذا الدعاء: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، ومما ينبغي في المجالس أيضاً أن تكون واسعة؛ فإن سعة المجالس من خير المجالس، كما قال ﷺ: «خير المجالس أوسعها»[(٤)]؛ لأنها إذا كانت واسعة حملت أناساً

=

الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٧٤، رقم ٨.

(١) سورة الطور، الآية: ٤٨.

(٢) بهجة المجالس، ١/ ٥٣.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٥٠٦.

(٤) مسند أحمد، ١٧/ ٢١٨، برقم ١١١٣٧، وقال محققوه: «إسناده صحيح على شرط البخاري، رجاله ثقات».والبخاري في الأدب المفرد، برقم ١١٣٦، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٨٧٠.

كثيرين، وصار فيها انشراح، وسعة صدر، وهذا على حسب الحال، قد يكون بعض الناس حجر بيته ضيقة، لكن إذا أمكنت السعة فهو أحسن؛ لأنه يحمل أناساً كثيرين؛ ولأنه أشرح للصدر»[1].

٧-وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ أيضاً: «...وفيه دليل على أنه ينبغي للإنسان ألا يفوت عليه مجلساً ولا مضطجعاً إلا يذكر الله حتى يكون ممن قال الله فيهم:﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾[2]»[3].

***

(١) شرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٨٣٢.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٩١.
(٣) شرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٨٣٧.

٨٦ - الدُّعَاءُ لِمَنْ قَالَ: غَفَرَ اللَّه لَكَ

١٩٧ -((وَلَكَ))[(١)].

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث

٦٧٣- لفظ أحمد عن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ سَرْجِسَ ﷺ[(٢)]، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَكَلْتُ مَعَهُ مِنْ طَعَامِهِ، فَقُلْتُ: غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقُلْتُ: أَسْتَغْفَرَ لَكَ ؟، قَالَ شُعْبَةُ: أَوْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ، قَالَ: ((نَعَمْ، وَلَكُمْ)) وَقَرَأَ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[(٣)]، ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى نُغْضِ كَتِفِهِ الْأَيْمَنِ، أَوْ كَتِفِهِ الْأَيْسَرِ شُعْبَةُ الَّذِي يَشُكُّ، فَإِذَا هُوَ كَهَيْئَةِ الْجُمْعِ عَلَيْهِ، الثَّآلِيلُ))[(٤)].

٦٧٤-ولفظ الترمذي والنسائي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ

---

(١) أحمد، ٣٤/ ٣٧٥، برقم ٢٠٧٧٨، والشمائل المحمدية للترمذي، ص٤٦، والنسائي في عمل اليوم والليلة، ص٢١٨، برقم ٤٢١، تحقيق الدكتور فاروق حمادة، وهو في الكبرى، برقم ١٠٢٥٥، وصحح إسناده الهلالي في عجالة المتمني، ١/ ٤١٢، ومحققو المسند، ٣٤/ ٣٧٥، وصحح العلامة الألباني رواية الترمذي في مختصر الشمائل، برقم ٢٠، وأصل القصة في صحيح مسلم، برقم ٢٣٤٦، ولفظه: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِسَ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا - أَوْ قَالَ ثَرِيدًا - قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفَرَ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَكَ، ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ قَالَ ثُمَّ دُرْتُ خَلْفَهُ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عِنْدَ نَاغِضِ كَتِفِهِ الْيُسْرَى جُمْعًا عَلَيْهِ خِيلاَنٌ كَأَمْثَالِ الثَّآلِيلِ.

(٢) عبد الله بن سرجس ﷺ: الصَّحَابِيُّ، المُعَمَّرُ، نَزِيْلُ البَصْرَةِ، مِنْ حُلفَاءِ بَنِي مَخْزُوْمٍ، وَصَحَّ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ اسْتَغْفَرَ لَهُ، وله عن النبي ﷺ أحاديث عند مسلم وغيره وروى أيضا عن عمرو وأبي هريرة، وروى عنه قتادة وعاصم الأحول وغيرهما، مات في دولة عبد الملك سنة نيف وثمانين بالبصرة. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ٣/ ٩١٦، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٢٦، ترجمة رقم (٧٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ١٠٦.

(٣) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٤) أحمد، برقم ٢٠٧٧٨، وصحح محققو المسند، ٣٤/ ٣٧٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَدُرْتُ هَكَذَا مِنْ خَلْفِهِ، فَعَرَفَ الَّذِي أُرِيدُ، فَأَلْقَى الرِّدَاءَ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَأَيْتُ مَوْضِعَ الْخَاتَمِ عَلَى كَتِفَيْهِ مِثْلَ الْجُمْعِ حَوْلَهَا خِيلانٌ كَأَنَّهَا ثَآلِيلُ، فَرَجَعْتُ حَتَّى اسْتَقْبَلْتُهُ، فَقُلْتُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «وَلَكَ»، فَقَالَ الْقَوْمُ: أَسْتَغْفَرَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ نَعَمْ وَلَكُمْ ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[1]»[2].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**فأكلت من طعامه**»: جاء عند مسلم أنه أكل خبزًا ولحمًا، أو قال: ثريدًا[3].

٢-قوله: «**غفر الله لك يا رسول الله**»: إنما قال ذلك طمعًا في أن يدعو له وقد ظفر بما أراد.

٣-قوله: «**ولكم**» أي: لعموم الآية المذكورة فكل أهل الإيمان داخلون فيها.

٤-قوله: «**نغض الكتف**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «طرف العظم العريض الذي في أعلى طرفه»[4].

٥-قوله: «**الخيلان**»: جمع خال، وهو الشامة، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «والخَالُ: الَّذِي يَكُونُ فِي الْجَسَدِ... شامَة سَوْدَاءُ فِي الْبَدَنِ، وَقِيلَ: هِيَ نُكْتَة سَوْدَاءُ فِيهِ، وَالْجَمْعُ خِيلانٌ... وَفِي صِفَةِ خَاتَمِ النبوَّة: «عَلَيْهِ خِيلانٌ» هُوَ جَمْعُ خَال وَهِيَ الشامَة فِي الْجَسَدِ»[5].

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) الشمائل المحمدية للترمذي، ص٤٦، والنسائي في السنن الكبرى، برقم ١٠٢٥٥، وصحح إسناده الهلالي في عجالة المتمني، ١/ ٤١٢، وصحح العلامة الألباني رواية الترمذي في مختصر الشمائل، برقم ٢٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسلم، برقم ٢٦٤٣، وفيه أنه رأى خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ، وتقدم في تخريج حديث المتن.

(٤) جامع الأصول، ١١/ ٢٤١.

(٥) لسان العرب، ١١/ ٢٢٩، مادة (خيل).

٦-قوله: «**والثآليل**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الثآليل: جَمْعُ ثُؤْلُول، وَهُوَ الحَبَّة تَظْهَرُ فِي الجلد كالحِمَّصة فَمَا دُونَهَا، والثُّؤْلُول: حَلَمَة الثَّدْي»[1]، وقال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثَآلِيلُ: بِمُثَلَّثَةٍ، هَمْزَةٌ مَمْدُودَةٌ عَلَى زِنَةِ قَنَادِيلَ، وَهُوَ جَمْعُ ثُؤْلُولٍ، وَهِيَ الْحَبَّةُ الَّتِي تَظْهَرُ فِي الْجِلْدِ مِثْلَ الْحُمُّصَةِ فَمَا دُونَهَا»[2].

٧-قوله: «**الجُمع**»: قال الحميدي : لعله عنى جُمْع الكف، وهو أن يجمع الرجل أصابعه ويعطفها إلى باطن الكف»[3].

٨-قوله: «**فَرَجَعْتُ**»: أَيْ: مِنْ خَلْفِهِ دَائِرًا»[4].

٩-قوله: «**حَتَّى اسْتَقْبَلْتُهُ**»: أَيْ: وَقَفْتُ أَوْ قَعَدْتُ مُسْتَقْبِلًا لَهُ»[5].

١٠-قوله: «**فَقُلْتُ: غفر الله لك**»: شُكْرًا لِإِلْقَائِهِ الرِّدَاءَ حَتَّى رَأَيْتُ الْخَاتَمَ»[6].

١١-قوله: «**فَقَالَ: وَلَكَ**»: أَيْ: وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ بِالْخُصُوصِ أَيْضًا حَيْثُ اسْتَغْفَرْتَ لِي أَوْ سَعَيْتَ لِرُؤْيَةِ خَاتَمِي، أَوْ آمَنْتَ بِي، وَانْقَدْتَ لِي، وَقِيلَ: هَذَا مِنْ مُقَابَلَةِ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ دُعَاءَهُ أَفْضَلُ مِنْ دُعَائِهِ حَقِيقَةً وَإِنْ كَانَ دُونَهُ صُورَةً»[7].

١٢-قوله: «**فَقَالَ الْقَوْمُ**»: أَيِ: الَّذِين يُحَدِّثُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَرْجِسَ، وَقَائِلُ هَذَا الْكَلَامِ هُوَ عَاصِمٌ الْأَحْوَلُ، أَوِ الْمُرَادُ أَصْحَابُهُ ﷺ، وَقَائِلُ هَذَا الْقَوْلِ هُوَ

(١) لسان العرب، ١١/ ٨١، مادة (ثأل).
(٢) جمع الوسائل في شرح الشمائل، ص ٨٨.
(٣) جامع الأصول، ١١/ ٢٤١.
(٤) جمع الوسائل في شرح الشمائل، ص ٨٨.
(٥) جمع الوسائل في شرح الشمائل، ص ٨٨.
(٦) المرجع السابق.
(٧) المرجع السابق.

عَبْدُ اللَّهِ، وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ الْمُتَبَادِرُ»[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-ما كان عليه الصحابة ﵃ من المحبة الصادقة للرسول ﷺ والحرص على صحبته ودعائه لهم.

٢-حرص النبي ﷺ على إكرام أصحابه والدعاء لهم، وبيان تمام تواضعه، وتبسطه معهم، وهو في أعلى مقامات الخشية، والعبودية لربه ﷿.

٣-فيه منقبة عظيمة لعبد الله بن سرجس﵁ حيث دعا له النبي ﷺ بالمغفرة وهو مجاب الدعوة[٢].

***

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: شرح حصن المسلم لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٥٦٧.

٨٧ - الدُّعَاءُ لِمَنْ صَنَعَ إِلَيْكَ مَعْرُوفًا

١٩٨-«جَزَاكَ اللَّهُ خَيْراً»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٧٥-عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه[٢]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ»[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله:: «**أسدى معروفاً**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «أسدى وأولى بمعنى: **أعطى**..»[٤].

٢-قوله: «**معروفاً**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «المعروف: صفة لمحذوف: أي شيئاً معروفاً، والمراد به: الجميل، والبر، والإحسان في القول والعمل»[٥].

٣-قوله: «**من صُنع إليه معروف**»: إما بالفعل أو بالقول، قال ابن منظور رحمه الله:

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الثناء بالمعروف، برقم ٢٠٣٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٢٤٤، وفي صحيح الترمذي، ٢/ ٢٠٠ ، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقال لمن صنع إليه معروف، برقم ١٠٠٠٨، وقال ابن الأثير في جامع الأصول، ٢/ ٥٦١: «وفي رواية قال: «مَنْ أُولَىَ مَعْرُوفاً- أو قال: أُسديَ إليه معروف، فقال لِلّذي أسداهُ إليه: جزاك الله خيرا ، فقد أبلغ في الثناء»» وقال العلامة الألباني في صحيح الترهيب والترغيب، ١/ ٢٣٥ وصححه: «وفي رواية: «من أولى معروفاً، أو أسدي إليه معروف، فقال للذي أسداه: جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء»». رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب، قال الحافظ: وقد أسقط من بعض نسخ الترمذي.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٥٥٢ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، برقم ٢٠٣٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٢٤٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) جامع الأصول، ٢/ ٥٦١:.

(٥) جامع الأصول، ٢/ ٥٦٢.

«والصُّنْعُ: الرِّزْق، والصُّنْعُ – بالضم –: مصدر قولك: صَنَعَ إليه معروفاً، تقول صَنَعَ إليه عُرْفاً صُنْعاً، واصْطَنَعه، كلاهما قَدَّمه، وصَنَع به صَنِيعاً قَبيحاً أَي: فَعَلَ، والصَّنِيعةُ ما اصْطُنِعَ من خير، والصَّنِيعةُ ما أَعْطَيْتَه وأَسْدَيْتَه من معروفٍ، أَو يدٍ إِلى إِنسان تَصْطَنِعُه بها، وجمعها الصَّنائِعُ»[(١)].

٤-قوله: «**جزاك الله خيراً**»: قال المناوي رحمه الله: «أي: قضى لك خيراً وأثابك عليه: يعني أطلب من الله أن يفعل ذلك بك»[(٢)].

٥-قوله: «**أبلغ في الثناء**»: أي: بالغ في الشكر، قال المناوي رحمه الله: «أي: بالغ فيه، وبذل جهده في مكافأته عليه بذكره بالجميل، وطلبه له من الله تعالى الأجر الجزيل، فإن ضم لذلك معروفاً من جنس المفعول معه، كان أكمل، هذا ما يقتضيه هذا الخبر، لكن يأتي في آخر ما يصرح بأن الاكتفاء بالدعاء إنما هو عند العجز عن مكافأته بمثل ما فعل معه من المعروف»[(٣)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-قال الصنعاني رحمه الله: «اشتمل على الدعاء والثناء لأن طلب الجزاء من الله يدل على أنه قد أسدى إليه إنعامًا، وأنه قد اعترف به وطلب من الله تعالى أن يكافئه؛ لأنه ليس في قدرته مكافأته، ونكَّر الخير لإفادة التعظيم فقد أبلغ في الثناء»[(٤)].

٢-الحث على شكر من أحسن إلى الشخص، وهذا لا ينافي شكر الله عز وجل لقوله صلى الله عليه وسلم: «**من لم يشكر الناس، لم يشكر الله**»[(٥)]؛ لأن الذي يشكر الناس من

---

(١) لسان العرب، ٨/ ٢٠٨، مادة (صنع).
(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٥٢٦.
(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٥٢٦.
(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٥٨.
(٥) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، برقم ١٩٥٥، ومسند أحمد، ١٢/ ٤٧٢، برقم ٧٥٠٤، وصححه محققو المسند، والألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٥٤١.

باب أولى أن يشكر رب الناس فهو صاحب الإحسان كله، قال الله ﷻ: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[(١)].

٣-المسلم مدعو إلى مقابلة السيئة بالحسنة أو بسيئة مثلها لقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[(٢)]، فما بالك بمن أحسن إليك؟ قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[(٣)]، وقال النبي ﷺ: **«ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»**[(٤)].

٤-في الحديث الآخر عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما[(٥)]، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«مَنْ سَأَلَكُمْ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ، وَمَنِ اسْتَجَارَكُمْ فَأَجِيرُوهُ»**[(٦)].

٥-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «إذا صنع إليك إنسان معروفاً بمال، أو مساعدة، أو علم، أو جاه يعني توجه لك أو غير ذلك؛ فإن النبي ﷺ أمر أن تكافئ صانع المعروف، فقال: **«من صنع إليكم معروفاً فكافئوه»**، والمكافأة

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

(٤) أبو داود، كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله، ولفظه كاملاً: «عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ» وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ١٧٦٢.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣من أحاديث الشرح.

(٦) أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرجل يستعيذ من الرجل، برقم ٥١٠٩، ومسند أحمد، ٩/ ٢٦٦، برقم ٥٣٦٥، وصححه محققو المسند.

تكون بحسب الحال من الناس، من تكون مكافأته أن تعطيه مثل ما أعطاك أو أكثر، ومن الناس من تكون مكافأته أن تدعو له، ولا يرضى أن تكافئه بمال؛ فإن الإنسان الكبير الذي عنده أموال كثيرة، وله جاه وشرف في قومه، إذا أهدى إليك شيئاً فأعطيته مثل ما أهدى إليك، رأى في ذلك قصوراً في حقه، لكن مثل هذا ادع الله له؛ فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه، ومن ذلك أن تقول له: «جزاك الله خيراً» إذا أعطاك شيئاً، أو نفعك بشيء، فقل له: جزاك الله خيراً، فقد أبلغت في الثناء؛ وذلك لأن الله تعالى إذا جزاه خيراً، كان ذلك سعادة له في الدنيا والآخرة»[1].

***

(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٤٩٨.

٨٨ - مَا يَعْصِمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الدَّجَّالِ

١٩٩-«مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»(١)، وَالْاسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَتِهِ عَقِبَ التَّشَهُّدِ الْأَخِيرِ مِنْ كُلِّ صَلاَةٍ(٢).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٧٦-عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه(٣)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ». وفي رواية: «مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ»(٤).

٦٧٧-وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها(٥)، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلاَةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا، وَفِتْنَةِ المَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ» فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ المَغْرَمِ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»(٦).

٦٧٨-ولفظ أحمد عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ» قَالَ حَجَّاجٌ: «مَنْ قَرَأَ

---

(١) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، برقم ٨٠٩، ومسند أحمد، ٤٥/ ٥٠٨، برقم ٢٧٥١٦، وصححه محققو المسند، ٤٥/ ٥٠٩. وصحيح ابن حبان، ٣/ ٦٦، وصحح إسناده محققه، والألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٢/ ١٨٣.

(٢) البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، برقم ٨٣٢، واللفظ له، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يُستعاذ منه في الصلاة، برقم ٥٨٩.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤ من أحاديث الشرح.

(٤) مسلم، برقم ٨٠٩، وفي رواية: من آخر الكهف، برقم ٨٠٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٦) البخاري، برقم ٨٣٢، ومسلم، برقم ٥٨٩، وتقدمت ترجمته في حديث المتن.

الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ»[١].

٦٧٩-عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ كَمَا أُنْزِلَتْ، ثُمَّ أَدْرَكَ الدَّجَّالَ لَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْهِ، أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِ سَبِيلٌ، وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ كَانَ لَهُ نُورًا مِنْ حَيْثُ قَرَأَهَا مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ»[٢].

٦٨٠-وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ»[٣].

٦٨١-وعن عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ ﷺ[٤]، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ[٥].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف»: قال القاضي

---

(١) مسند أحمد، برقم ٢٧٥١٦، وصححه محققو المسند، ٤٥/ ٥٠٩. وصحيح ابن حبان، ٣/ ٦٦، وصحح إسناده محققه، والألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٢/ ١٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر ثوبان فيما يجير من الدجال، برقم ١٠٧٩٠، والحاكم، ٤/ ٥١١، وشعب الإيمان للبيهقي، ٣/ ١١٢، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١/٢٣٩: «رجاله رجال الصحيح» وقال ابن الملقن في البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير للرافعي، ٢/ ٢٩٢: «وَرَأَيْت فِي علل الدَّارَقُطْنِيّ أَن وقف هَذَا الحَدِيث هُوَ الصَّوَاب، وَعَن النَّسَائِيّ أَن رَفعه خطأ، وَأَن الصَّوَاب وَقفه، وَلَك أَن تَقول: أَي دَلِيل عَلَى صَوَاب رِوَايَة الْوَقْف، وَخطأ رِوَايَة الرّفْع، ورواة هَذِه هم رُوَاة هَذِه؟ وَالْحق إن شَاءَ الله، الَّذِي لَا يَتَّضِح غَيره أن رِوَايَة الرّفْع صَرِيحَة صَحِيحَة كَمَا قَرَّرْنَاهُ».

(٣) رواه الحاكم، ٢/ ٣٦٨، والبيهقي، ٣/ ٢٤٩، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ١٨٠، وقال: «رواه النسائي، والبيهقي مرفوعاً، والحاكم مرفوعاً، وموقوفاً أيضاً، وقال: صحيح الإسناد».

(٤) عمران بْن حُصَيْن الخزاعي الكعبي، يكنى أَبَا نجيد، أسلم عام خيبر، وغزا عدة غزوات واستقضي على البصرة، فأقام قاضياً يسيراً، وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم، قال عنه مُحَمَّد بْن سِيرِين: من أفضل من نزل البصرة من أصحاب رَسُول اللهِ ﷺ، سكن البصرة، ومات بها سنة ثنتين وخمسين فِي خلافة مُعَاوِيَة.
انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣/ ١٢٠٨، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ٥٨٤.

(٥) مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، برقم ٢٩٤٦.

عياض رحمه الله: «لما في قصة أصاب الكهف من العجب والآيات، فمن علمهما لا يستغرب أمر الدَّجال، ولا فتن به، أو يكون هذا من خصائص الله لمن حفظ ذلك»[١]، وقال القرطبي رحمه الله: «سورة الكهف لما في قصة أصحاب الكهف من العجائب والآيات، فمن علمها لم يستغرب أمر الدجال، ولم يَهُلْهُ ذلك، فلا يفتتن به من فتنته»[٢].

٢-قوله: «**من آخر سورة الكهف**»: قال القرطبي رحمه الله: «من آخر سورة الكهف: وقيل: لما في قوله: ﴿**أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء**﴾ وما بعدها، فيه من التنبيه على أمر الدجال، والتنبيه على المفتونين، والأخسرين أعمالاً، وفي آخر الآيات من ذكر التوحيد، وأن لا يشرك بالله أحداً»[٣].

٣-قوله: «**عُصم**»: بصيغة المجهول أي: وُقي وحفظ من شره وفتنه العظيمة. قال الحافظ ابن حجر: «ومَن عَصَمَهُ الله حَماهُ مِنَ الوُقُوع فِي الهَلاك، أَو ما يَجُرُّ إِلَيهِ، يُقال: عَصَمَهُ الله مِنَ المَكرُوه: وقاهُ، وحَفِظَهُ»[٤].

٤-قوله: «**من الدجال**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «وَهُوَ الَّذِي يَظهرُ فِي آخِرِ الزمانِ يَدَّعِي الأُلوهيَّة، وفَعَّال مِنْ أبْنيَة الْمُبَالَغَةِ، أَيْ: يَكْثُرُ مِنْهُ الكَذِبُ والتَّلْبِيس»[٥]، وقال ابن الجوزي رحمه الله: «والدجال: الكذاب وقد اشتهر عند الإطلاق بالذي يخرج في آخر الزمان»[٦]، وقال النووي رحمه الله:. «الدجال عدو

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ١٧٧.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٧١.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ١٧٧، وقد استوفيت الكلام حول الفتنة والفتن في شرح المفردة رقم ٤، ورقم ٥ في شرح مفردات حديث المتن رقم ٥٦، والمفردة رقم ٥ من حديث المتن رقم ٦٠.

(٤) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ٥٠١، وتقدم في شرح المفردة الخامسة من حديث المتن رقم ٢١.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ١٠٢/ مادة (دجل).

(٦) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٤١٧.

الله: وهو المسيح الكذاب، سمى دجالاً لتمويهه، والدجل: التمويه، والتغطية، يقال: دجل فلان إذا موَّه، ودجل الحق: غطَّاه بباطله... وسمي دجالاً لكذبه، وكل كذاب دجال، وجمعه دجالون»[١].

٥-قوله: «**المسيح الدجال**»: قال الباجي رحمه الله: «وَسُمِّيَ الدَّجَّالُ مَسِيحًا؛ لِأَنَّهُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْجَوْهَرِيُّ سُمِّيَ ابْنُ مَرْيَمَ مَسِيحًا؛ لِأَنَّهُ مُسِحَ بِالْبَرَكَةِ حِينَ وُلِدَ وَسُمِّيَ الدَّجَّالُ مَسِيحًا بِالتَّخْفِيفِ مِنْ سِيَاحَتِهِ وَبِالتَّثْقِيلِ؛ لِأَنَّهُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ»[٢].

٦-قَوْلُهُ: «**فِتْنَةُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**»: قال الشوكاني رحمه الله: «قَالَ الْعُلَمَاءُ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْفِتْنَةُ: الِامْتِحَانُ وَالِاخْتِبَارُ ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الْقَتْلِ وَالْإِحْرَاقِ وَالتُّهْمَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ»[٣].

٧-قوله: «**المأثم**»: قال ابن منظور رحمه الله: «الإِثْمُ: الذَّنْبُ، وقيل: هو أَن يعمَل ما لا يَحِلُّ له... وتأَثَّم الرجل: تابَ من الإِثْم، واستغفر منه، وأَثِم فلان بالكسر يأْثَم إثْماً، ومَأْثَماً، أَي: وقع في الإِثْم، فهو آثِم، وأَثِيمٌ»[٤].

٨-قوله: «**المغرم**»: قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فإن المأثم يوجب خسارة الآخرة، والمغرم يوجب خسارة الدنيا»[٥]، وقال العلامة ابن حجر رحمه الله: «والمَغرَم: أَي: الدَّين، ... ويَحتَمِل أَن يُراد بِهِ ما هُو أَعَمّ مِن ذَلِكَ، وقَد استَعاذَ ﷺ مِن غَلَبَة الدَّين، وقالَ القُرطُبِيّ رحمه الله: «المَغرَم: الغُرم»[٦].

٩-قوله: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال**»: قال

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات، ١/ ١٨٤.
(٢) المنتقى شرح الموطأ، ٧/ ٢٣١.
(٣) نيل الأوطار، ٦/ ٣١٣.
(٤) لسان العرب، ١/ ٢٣، مادة (أثم)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٥ من شرح مفردات حديث المتن رقم ٥٦.
(٥) الفوائد، ص ٥٩.
(٦) فتح الباري، ٢/ ٣١٩. وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٦ من شرح مفردات حديث المتن رقم ٥٦.

القاضي عياض رَحِمَهُ الله: «تفسيره الحديث الذي بعده، وفيه: «**أمر أكبر من الدجال**»، فهو كبر الشأن، وعظم الفتنة، لا كبر الجسم، هذا الأظهر، وقد يحتمل أنه يشير إلى عظم الجسم»[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-فضل قراءة فواتح سورة الكهف[٢] للنجاة من فتنة الدجال والمراد بالفواتح حفظ العشر آيات الأول. قال النووي: والسبب في ذلك ما في أولها من العجائب والآيات فمن تدبرها لم يفتن بالدجال، وفي رواية: «**من آخر الكهف**»[٣] أي: من قوله: ﴿**أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ**﴾[٤].

٢-قال القرطبي رَحِمَهُ الله في سبب عصمة من حفظ هذه الآيات: «سورة الكهف لما في قصة أصحاب الكهف من العجائب والآيات، فمن علمها لم يستغرب أمر الدجال، ولم يَهُلْهُ ذلك، فلا يفتتن به من فتنته، فيكون معنى هذا الحديث: أن من قرأ هذه الآيات، وتدبَّرها، ووقف على معناها؛ حذَّره فآمن من ذلك، وقيل: هذا من خصائص هذه السورة كلها، فمن قرأها كلها عصم من الدجال، وعلى هذا تجتمع رواية من روى: «**من أول سورة الكهف**»، ورواية من روى: «**من آخرها**»، ويكون ذكر العشر على جهة الاستدراج في حفظها كلها ... فإنه يهون الصبر على فتن الدجال بما يظهر من جنته وناره، وتنعيمه وتعذيبه، ثم ذمُّه تعالى لمن اعتقد الولد؛ يفهم منه: أن من ادعى الإلهية أولى بالذم، وهو الدجال، ثم قضية أصحاب الكهف؛ فيها عبر تناسب العصمة من الفتن، وذلك أن الله تعالى

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٨/ ٥٠٤.
(٢) حديث قراءة فواتح الكهف عند مسلم (٧٢٩٩).
(٣) مسلم، برقم ٨٠٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) سورة الكهف، الآية: ١٠٢.

حكى عنهم أنهم قالوا : ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[١]، فهؤلاء قوم ابتلوا فصبروا، وسألوا إصلاح أحوالهم، فأصلحت لهم، وهذا تعليم لكل مدعوٍ إلى الشرك»[٢].

٣-عظم فتنة الدجال لمواظبة النبي ﷺ على التعوذ من فتنته عقب التشهد الأخير من كل صلاة.

٤-قد يقول قائل لماذا لم يذكر الدجال في القرآن مع أنه أعظم الفتن؟

والجواب ذكره أهل العلم بقولهم:

أ – أنه مذكور ضمن الآيات التي ذكرت في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[٣]، وهذه الآيات هي الدجال وطلوع الشمس من مغربها والدابة[٤].

ب – أن القرآن ذكر نزول عيسى عليه السلام وهو الذي يقتل الدجال فاكتفى بذكر مسيح الهدى عن ذكر مسيح الضلالة.

جـ - أنه مذكور في قوله: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[٥]، ويدخل في الناس هنا الدجال وهذا من إطلاق الكل على البعض.

د – أن القرآن لم يذكر الدجال احتقارًا له؛ لأنه يدعي الربوبية أما ذكر فرعون وقد ادعى الربوبية والألوهية؛ لأن أمره قد انتهى بخلاف الدجال[٦].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢/ ٤٣٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

(٤) مسلم، برقم ٢٩٠١، وفيه ذكر هذه الآيات بغير هذا الترتيب.

(٥) سورة غافر، الآية: ٥٧.

(٦)انظر: أشراط الساعة ليوسف الوابل، ص ٣٦٤.

٨٩ - الدُّعَاءُ لِمَنْ قَالَ: إنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ

٢٠٠-((أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ))[١].

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٨٢-لفظ أبي داود عن أنس بنِ مالكِ ﷺ[٢]: أن رجلاً كان عندَ النبيِّ ﷺ فمرَّ به رجُلٌ، فقال: يا رسولَ الله ﷺ، إني لأحِبُّ هذا، فقال له النبيُّ ﷺ: ((أَعلَمْتَه؟)) قال: لا، قال: ((أَعلِمْهُ)) قال: فلَحِقَه، فقال: إني أُحِبُّك في الله، فقال: أحبَّكَ الذي أحبَبْتَني له))[٣].

٦٨٣-رواية البخاري في الأدب المفرد عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: لَقِيَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِي مِنْ وَرَائِي، قَالَ: أَمَا إِنِّي أُحِبُّكَ ، قَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ، فَقَالَ: لَوْلاَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((**إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ أَحَبَّهُ**)) مَا أَخْبَرْتُكَ، قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ يَعْرِضُ عَلَيَّ الْخِطْبَةَ قَالَ: أَمَا إِنَّ عِنْدَنَا جَارِيَةً، أَمَا إِنَّهَا عَوْرَاءُ))[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب الرجل يحب الرجل على خير يراه، برقم ٥١٢٥، وأحمد، ١٩/ ٤١٨، برقم ١٢٤٣٠، والبخاري في الأدب المفرد، ص ١٩١، برقم ٥٤٣، وعبد الرزاق في المصنف، ١١/ ٢٠٠، برقم ٢٠٣١٩، والبيهقي في شعب الإيمان، ٦/ ٤٨٩، والطبراني في الأوسط، ٣/ ٢٢٧، والمقدسي في المختارة، ٢/ ٢٤١، وقال: ((إسناده صحيح)) وصحح إسناده الإمام النووي في رياض الصالحين، ص ٤٧٧، ومحققو مسند الإمام أحمد، ١٩/ ٤١٨، وحسّنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٩٦٥/٣، وصحح رواية الأدب المفرد، برقم ٤٢١، وحسن رواية عبد الرزاق في السلسلة الصحيحة، ١٣/ ٥٦، برقم ٣٢٥٣.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٥١٢٥، وحسّنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٩٦٥/٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري في الأدب المفرد، برقم ٥٤٣، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٤٢١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٦٨٤-ولفظ عبد الرزاق عن أنس بن مالك ﷺ قال: مَرَّ رَجُلٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ نَاسٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ عِنْدَهُ: إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا لِلَّهِ، فقال النبي ﷺ: «**أعلمته؟**» قال: لَا، قال: «**فَقُمْ إِلَيْهِ فَأَعْلِمْهُ**» فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَعْلَمَهُ، فَقَالَ: أحبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ، قال: ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، وَلَكَ مَا احْتَسَبْتَ**»[(١)].

٦٨٥-عن أَبِي ذَرٍّ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ صَاحِبَهُ، فَلْيَأْتِهِ فِي مَنْزِلِهِ، فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ لِلَّهِ**»[(٢)].

عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ رحمه الله قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ حِمْصَ، فَإِذَا فِيهِ نَحْوٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كَهْلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا فِيهِمْ شَابٌّ أَكْحَلُ الْعَيْنَيْنِ، بَرَّاقُ الثَّنَايَا سَاكِتٌ، فَإِذَا امْتَرَى الْقَوْمُ فِي شَيْءٍ أَقْبَلُوا عَلَيْهِ فَسَأَلُوهُ، فَقُلْتُ لِجَلِيسٍ لِي: مَنْ هَذَا ؟ قَالَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ[(٣)]، فَوَقَعَ لَهُ فِي نَفْسِي حُبٌّ، فَكُنْتُ مَعَهُمْ حَتَّى تَفَرَّقُوا، ثُمَّ هَجَّرْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قَائِمٌ يُصَلِّي إِلَى سَارِيَةٍ، فَسَكَتَ لَا يُكَلِّمُنِي، فَصَلَّيْتُ، ثُمَّ جَلَسْتُ فَاحْتَبَيْتُ بِرِدَائِي، ثُمَّ جَلَسَ فَسَكَتَ لَا يُكَلِّمُنِي، وَسَكَتُّ لَا أُكَلِّمُهُ، ثُمَّ قُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، قَالَ: فِيمَ تُحِبُّنِي؟ قَالَ: قُلْتُ: فِي اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَأَخَذَ بِحُبْوَتِي، فَجَرَّنِي إِلَيْهِ هُنَيَّةً، ثُمَّ قَالَ: أَبْشِرْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ**» قَالَ: فَخَرَجْتُ

---

(١) أخرجه وعبد الرزاق في المصنف، برقم ٢٠٣١٩، والمقدسي في المختارة، ٢/ ٢٤١، وقال: «إسناده صحيح» وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، ١٣/ ٥٦، برقم ٣٢٥٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسند أحمد، ٣٥/ ٢٢٠، برقم ٢١٢٩٤، وابن المبارك في الزهد، برقم ٧١٢، وضعفه محققو المسند، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ١٠/ ٥٠٠: «رواه أحمد وإسناده حسن» وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٧٩٧، وفي صحيح الجامع، برقم ٢٨١.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث الخامس من أحاديث الشرح في المقدمة، في فضل الذكر.

فَلَقِيتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رضي الله عنه[(١)]، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْوَلِيدِ، لَا أُحَدِّثُكَ بِمَا حَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فِي الْمُتَحَابِّينَ؟ قَالَ: فَأَنَا أُحَدِّثُكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْفَعُهُ إِلَى الرَّبِّ عز وجل قَالَ: «حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ»[(٢)].

٦٨٦-وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[(٣)].

٦٨٧-ولفظ مسلم عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[(٤)].

٦٨٨-وفي لفظ آخر لمسلم عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَمَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ كَانَ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ»[(٥)].

٦٨٩-وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٩ من أحاديث الشرح.

(٢) الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله، برقم ٢٣٩٠، مسند أحمد، ٣٦/ ٣٩٩، برقم ٢٢٠٨٠، واللفظ له، وصححه محققو المسند، ٣٦/ ٣٤٠، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٠١٩.

(٣) البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، برقم ١٦.

(٤) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم ٦٧-(٤٣).

(٥) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم ٦٨-(٤٣).

المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**إني لأحب هذا**»: أي في الله؛ وذلك لكونه طائعًا لربه ﷻ، قال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: كان الداعي إلى التأكيد التردد الناشئ مما يدل عليه حاله»[٢].

٢-قوله: «**أعلمته؟**»: أي: هل أخبرته بذلك؟ قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى الإعلام: هو الحث على التودد والتآلف، وذلك أنه إذا أخبره، استمال بذلك قلبه، واجتلب به وده، وفيه أنه إذا علم أنه محب له ، قبل نصحه فيما دله عليه من رشده، ولم يرد قوله فيما دعاه إليه من صلاح خفي عليه باطنه»[٣].

٣-قوله: «**فلحقه**»: أي: تبعه، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «لحق: اللَّحْقُ واللُّحُوق والإِلْحاقُ: الإدراك، لَحِقَ الشيءَ، وأَلْحَقَهُ، وَكَذَلِكَ لَحِقَ بِهِ، وأَلْحَقَ لَحاقاً، بِالْفَتْحِ، أَيْ: أَدْرَكَهُ... وَفِي الْقُنُوتِ: «إِنَّ عَذَابَكَ بِالْكَافِرِينَ مُلْحِقٌ» بِمَعْنَى لاحِق»[٤].

٤-قوله: «**أحبك الذي أحببتني له**»: أي: لأجله، وهذا دعاء وليس إخبار، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «دعاء له، أخرجه مخرج الماضي تحقيقاً له، وحرصاً على وقوعه»[٥]، وقال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إني أحبك لله: أي: لا لغيره، من إحسان أو غيره؛ فإنه أبقى للألفة، وأثبت للمودة، وبه يتزايد الحب ويتضاعف، وتجتمع الكلمة، وينتظم

---

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، برقم ٦٦٠، ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، برقم ١٠٣١.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٤/ ٨٨.

(٣) شرح السنة، للإمام البغوي، ١٣/ ٦٧.

(٤) لسان العرب، ١٠/ ٣٢٧، مادة (لحق).

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠/ ٣٢٠٥.

الشمل بين المسلمين، وتزول المفاسد والضغائن، وهذا من محاسن الشريعة»[(١)].

٥-قوله: «**فليخبره أنه يحبه**»: قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «بأن يقول له: إني أحبك»[(٢)]، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحث على التودد والتألف، وذلك أنه إذا أخبر أنه يحبه استمال قلبه بذلك، واجتلب به وده، وفيه أنه إذا علم أنه محب له واد، قَبِلَ نصحَه، ولم يردّ عليه قوله في عيب إن أخبره به»[(٣)].

٦-قوله: «**ولك ما احتسبت**»: و: «**ما اكتسبت**»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلا اللفظين قريب من الآخر في المعنى المراد منه، أقول [القائل هو الطيبي]: وذلك لأن معنى اكتسب: كسب كسباً يعتدّ به، ولا يرد عليه بسبب الرياء والسمعة، وهذا هو معنى الاحتساب؛ لأن الافتعال للاعتمال، الاحتساب من الحسب كالاعتداد من العد، وإنما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله: احتسبه؛ لأن له حينئذ أن يعتد عمله، فجعل في حال مباشرة الفعل كأنه معتد به، والحسبة: اسم من الاحتساب، كالعدة من الاعتداد»[(٤)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-استحباب إخبار المسلم لأخيه المسلم عن محبته له في الله ويستحب أن يذهب له إلى بيته.

٢-رباط العقيدة الصحيحة وطاعة الله ورسوله ﷺ أساس المحبة في الله، وقد عظَّم الله من شأن هذا الأمر، كما تقدم في الأحاديث.

٣-قال ابن مبارك: «[فيه] دليل على استحباب إظهار المحبة في الله،

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٣١٩.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٣١٩.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠/ ٣٢٠٥.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠/ ٣٢٠٥.

والدعاء لفاعل الخير مثل عمله»[١].

٣- للمحبة في الله حلاوة يجد العبد بها حلاوة الإيمان في قلبه كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ، ويكفي في ذلك أنهما من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

٤-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «من السُّنة إذا أحببت شخصاً أن تقول: إني أحبك، وذلك لما في هذه الكلمة من إلقاء المحبة في قلبه؛ لأن الإنسان إذا علم أنك تحبه أحبك، مع أن القلوب لها تعارف وتآلف، وإن لم تنطق الألسن، وكما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**»[٢]، لكن إذا قال الإنسان بلسانه، فإن هذا يزيده محبة في القلب»[٣].

٥-أعظم من يحب في الله هو رسول الله ﷺ وإخوانه من النبيين عليهم الصلاة والسلام، ثم أصحاب محمد ﷺ؛ لقول الله ﷻ: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾[٤]، فهذه صفات عظيمة توجب لهم المحبة في الله، فمن كرههم، وعاداهم فلا إيمان عنده، ولا أمان له، والآيات والأحاديث في فضلهم كثيرة جدًّا رضي الله عنهم[٥].

***

---

(١) تطريز رياض الصالحين، ص ٢٥٩.
(٢) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، برقم ٦٣٣٣، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة، برقم ٢٦٣٨.
(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٣٨٥.
(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٥) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٥٧٣.

٩٠ - الدُّعَاءُ لِمَنْ عَرَضَ عَلَيْكَ مَالَهُ

٢٠١-«بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٩٠-لفظ البخاري عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه[٢] قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ، فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًى، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَأُزَوِّجُكَ، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ، فَمَا رَجَعَ حَتَّى اسْتَفْضَلَ أَقِطًا وَسَمْنًا، فَأَتَى بِهِ أَهْلَ مَنْزِلِهِ، فَمَكَثْنَا يَسِيرًا، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَجَاءَ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَهْيَمْ!**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ، قَالَ: «**مَا سُقْتَ إِلَيْهَا؟**» قَالَ: نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: «**أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**»[٣].

٦٩١-ولفظ ثانٍ للبخاري: عَنْ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه[٤] قَالَ: لَمَّا

---

(١) البخاري، كتاب البيوع، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ اللَّهْوِ وَمِنْ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾، برقم ٢٠٤٩، وكتاب مناقب الأنصار، بَاب إِخَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، برقم ٣٧٨٠، و كتاب مناقب الأنصار، بَاب كَيْفَ آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، برقم ٣٩٣٧، وكتاب النكاح، بَاب قَوْلِ الرَّجُلِ لِأَخِيهِ: انْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ شِئْتَ حَتَّى أَنْزِلَ لَكَ عَنْهَا، برقم ٥٠٧٢، كتاب النكاح، بَاب الْوَلِيمَةِ وَلَوْ بِشَاةٍ، برقم ٥١٦٧، والقصة في صحيح مسلم، برقم ١٤٢٧، ومسند الشافعي، ص ٢٤٦، برقم ١٢١١، وصححها ابن الأثير في الشافي في شرح مسند الشافعي، ٤/ ٤٣٤.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٢٠٤٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) عبد الرحمن بن عوف: أبو محمد القُرَشِيُّ، الزُّهْرِيُّ، حرم الخمر في الجاهلية، وأسلم قبل أن =

قَدِمُوا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ، فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، أَيْنَ سُوقُكُمْ، فَدَلُّوهُ عَلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَمَا انْقَلَبَ إِلَّا وَمَعَهُ فَضْلٌ مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ، ثُمَّ تَابَعَ الْغُدُوَّ، ثُمَّ جَاءَ يَوْمًا وَبِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَهْيَمْ؟**» قَالَ: تَزَوَّجْتُ، قَالَ: «**كَمْ سُقْتَ إِلَيْهَا؟**»، قَالَ: نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، شَكَّ إِبْرَاهِيمُ»[(١)].

٦٩٢-ولفظ ثالث للبخاري: عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ، فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ، فَرَبِحَ شَيْئًا مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ أَيَّامٍ، وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَهْيَمْ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ!**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: «**فَمَا سُقْتَ فِيهَا؟**» فَقَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**»[(٢)].

٦٩٣-ولفظ آخر للبخاري: عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَدِمَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، وَعِنْدَ الْأَنْصَارِيِّ

=

يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وأَحَدُ العَشَرَةِ، وَأَحَدُ السِّتَّةِ أَهْلِ الشُّورَى، وَأَحَدُ السَّابِقِيْنَ البَدْرِيِّينَ، وَهُوَ أَحَدُ الثَّمَانِيَةِ الَّذِينَ بَادَرُوا إِلَى الإِسْلَامِ، وقد كان ﷺ شديد الإحسان إلى زوجات النبي ﷺ بعد وفاته، فباع حديقة كانت له بأربع مائة ألف، فقسمها عليهن رضي الله عنهن [الترمذي، برقم ٣٧٥٠، وحسنه الألباني في المشكاة برقم ٦١٢١]، مات عبد الرحمن ﷺ في سنة اثنتين وثلاثين وعمره خمس وسبعون سنة، ودفن بالبقيع. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ٢/ ٨٤٤، وسير أعلام النبلاء، ترجمة رقم (٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ٣٤٦.

(١) البخاري، برقم ٣٧٨٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) البخاري، برقم ٣٩٣٧، تقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

امْرَأَتَانِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ، فَأَتَى السُّوقَ فَرَبِحَ شَيْئًا مِنْ أَقِطٍ، وَشَيْئًا مِنْ سَمْنٍ، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ أَيَّامٍ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ: «**مَهْيَمْ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ!**» فَقَالَ: تَزَوَّجْتُ أَنْصَارِيَّةً، قَالَ: «**فَمَا سُقْتَ إِلَيْهَا؟**» قَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: «**أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**»[(١)].

٦٩٤-ولفظ آخر للبخاري: عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، نَزَلَ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ، فَنَزَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ عَلَى سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ: أُقَاسِمُكَ مَالِي، وَأَنْزِلُ لَكَ عَنْ إِحْدَى امْرَأَتَيَّ، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، فَخَرَجَ إِلَى السُّوقِ، فَبَاعَ وَاشْتَرَى، فَأَصَابَ شَيْئًا مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ فَتَزَوَّجَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**»[(٢)].

٦٩٥-ولفظ الشافعي: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ أَسْهَمَ النَّاسُ الْمَنَازِلَ، فَطَارَ سَهْمُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَلَى سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: تَعَالَ حَتَّى أُقَاسِمَكَ مَالِي، وَأَنْزِلَ لَكَ عَنْ أَيِّ امْرَأَتَيَّ شِئْتَ، وَأَكْفِيكَ الْعَمَلَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَأَصَابَ شَيْئًا، فَخَطَبَ امْرَأَةً فَتَزَوَّجَهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ؟**» قَالَ: **عَلَى نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»**[(٣)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**لما قدم المدينة**»: أي مهاجرًا من مكة إلى الله ورسوله ﷺ. قال ابن حزم رحمه الله: «ثم قدم المدينة ابن عبيد الله، فنزل هو وصهيب بن سنان، على

(١) البخاري، برقم ٥٠٧٢، تقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) البخاري، برقم ٥٠٧٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) مسند الشافعي، برقم ١٢١١، وصححه ابن الأثير في الشافي في شرح مسند الشافعي، ٤/ ٤٣٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

خبيب ابن إسافن في بني الحارث بن الخزرج بالسنح ، ويقال: بل نزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع في بني الحارث بن الخزرج»[١].

٢-قوله: «**آخى**»: قال ابن الملقن رحمه الله: «والمؤاخاة: مفاعلة من الأخوة، ومعناها: أن يتعاقد الرجلان عَلَى التناصر والمواساة حَتَّى يصيرا كالأخوين نسبًا»[٢].

٣-قوله: «**وكان ذا غنًى**»: قال ابن الملقن رحمه الله: «أي: المال، وكانوا يستكثرون منه للمواساة، ونعم الغبط عليه»[٣].

٤-قوله: «**وأزوجك**»: يريد إحدى زوجتيه، جاء عند البخاري «ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقهما حتى إذا حلت تزوجتها»[٤]، وكان هذا قبل نزول آية الحجاب واستقرار التشريع.

٥-قوله: «**بارك الله لك في أهلك ومالك**»: أي: زادك نماءً في مالك وجعل البركة في أهلك وولدك، أي: في زوجك، وولدك، ومالك، وعمرك، وقال الطيبي رحمه الله: «لأنه المدعو أصالة، أي: بارك لك في هذا الأمر»[٥].

٦-قوله: «**دلوني على السوق**»: يريد ليخرج إليها ويكسب فيها ويبيع ويشتري»[٦].

٧-قوله: «**سوق بني قينقاع**»: قال ابن الملقن رحمه الله: «مثلث النون، شعب من يهود المدينة، أضيف إليهم السوق، أجلاهم رسول الله ﷺ كانوا أرادوا أن

---

(١) جوامع السيرة، ص ٨٨.
(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن، ١٤/ ٢٤.
(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن، ١٤/ ٢٤.
(٤) البخاري، برقم ٣٧٨١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٦، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ١٩٠.
(٦) الشافي في شرح مسند الشافعي، ٤/ ٤٣٦.

يلقوا عليه رحى»[١].

٨-وقوله: «مَهْيَم»: قال ابن الملقن رحمه الله: «أي: ما أمرك؟ كلمة يمانية»[٢]، وقال ابن بطال رحمه الله: «كلمة موضوعة للاستفهام، ومعناها ما شأنك وما أمرك؟»[٣]، وقال ابن الأثير رحمه الله: «كلمة يمانية، بمعنى، ما أمرك، وما شأنك؟»[٤].

٩-قوله: «**أولم ولو بشاة**»: قال الطيبي رحمه الله: «أي: اتخذ وليمة»[٥]، وقال رحمه الله: «الوليمة هي الطعام الذي يصنع عند العرس...»[٦]، وقال ابن الأثير رحمه الله: «أولم الرجل على زوجته: إذا عمل للعرس طعاما»[٧].

١٠-قوله: «**أثر صفرة**»: قال ابن منظور رحمه الله: «الصُّفْرة مِنَ الأَلْوان: مَعْرُوفَةٌ تكُونُ فِي الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ»[٨]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والمُراد بِالصُّفرَةِ صُفرَة الخَلُوق والخَلُوق طِيب يُصنَع مِن زَعفَران وغَيره»[٩]، وقال السيوطي رحمه الله: «معناه: أنه تعلق به أثر من الزعفران، أو غيره من طيب العروس»[١٠].

١١-قوله: «**على وزن نواة من ذهب**»: قال الطيبي رحمه الله: «أي: على مقدار خمسة دراهم وزناً من الذهب، يعني ثلاثة مثاقيل ونصفاً ذهباً، وقيل معناه على

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٠/ ٣٨٢.
(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٠/ ٣٨٢.
(٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٧/ ١٦٧.
(٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٧/ ١٣.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٧/ ٢٣١٥.
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٧/ ٢٣١٤. وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ١٩٠.
(٧) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٧/ ١٤.
(٨) لسان العرب، ٤/ ٤٦٠، مادة (صفر).
(٩) فتح الباري، ٩/ ٢٣٣.
(١٠) الديباج على مسلم، للسيوطي، ٤/ ٣٣. وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ١٩٠.

ذهب تساوي قيمته خمسة دراهم»[١]، وقال ابن الأثير رحمه الله: «وزن نواة: النواة: اسم لما وزنه خمسه دراهم...، وقيل: إنه إنما تزوجها على ذهب قيمته خمسة دراهم، أن ذلك الذهب كان مقدار نواة، ويجوز أن يكون أراد وزن نواة»[٢]، وقال السيوطي رحمه الله: «على وزن نواة: هي اسم لمقدار كان معروفاً عندهم، فُسِّرت بخمسة دراهم، وقيل ثلاثة دراهم وثلث، وقيل نواة التمر أي: وزنها»[٣].

١٢-قوله: «**وضر**»: قال ابن الأثر رحمه الله: «الوضر: أثر من خلوقٍ، أو طيبٍ، ولطخ منه، وذلك من عادة العرس إذا بنى بأهله، والوضر: الوسخ، واللوث، ويكون الوضر من الصفرة والحمرة والطيب»[٤].

١٣-قوله: «**أسهم الناس المنازل**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «أي: أقرع بينهم، تقول ساهمت فلانًا أي: قارعته...، واستهموا: اقترعوا، فكان معنى «أسهم الناس» أي: حملهم على المساهمة، وجعل لهم في المنازل سهمًا، وذلك أن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة، وهاجر المسلمون إليه، لم يكن لهم بها منازل يسكنونها، ويأوون إليها، فاستهم الأنصار فيما بينهم أن يسكنوهم في منازلهم معهم، فاقترعوا على المهاجرين، فوقع كل واحد من المهاجرين عند أنصاري، فكان عبد الرحمن بن عوف من المهاجرين في سهم سعد بن الربيع الأنصاري»[٥].

١٤-قوله: «**فطار سهم عبد الرحمن**» قال ابن الأثير رحمه الله: «أي: خرج؛ تقول: اقتسموا دارًا فطار سهم فلان كيت وكيت، أي: خرج وجرى فيها

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٧/ ٢٣١٥. وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من مفردات حديث المتن رقم ١٩٠.
(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول (٧/ ١٣)
(٣) الديباج على صحيح مسلم، للسيوطي، ٤/ ٣٣.
(٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول (٧/ ١٣)
(٥) الشافي في شرح مسند الشافعي (٤/ ٤٣٥)

سهمه، قال الأزهري: العرب تقول: أطرت المال، وطيرته بين القوم، فطار لكل منهم سهم. أي: صار له وخرج بسهمه»[(١)].

١٥-وقوله: «**فأصاب شيئًا**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: ربح، وجُعل له كسب»[(٢)].

١٦-قوله: «**أنزل لك عن أي امرأتيَّ شئت**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: أطلّقها لأجلك فتنكحها، فكني عن الطلاق بالنزول؛ لأنه بعقد نكاحها مسْتعلٍ عليها، متمكن منها، فإذا طلقها فقد نزل عنها بزوال سبب الاستعلاء»[(٣)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-استحباب قول هذا الدعاء لمن عرض على أخيه المساعدة بالمال أو ما يقوم مقامه من مسكن أو مركب أو غير ذلك.

٢-ما كان عليه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من التضحية والفداء لدين الله وترك الأوطان والأهل والضيعات لنصرة الإسلام.

٣-فيه منقبة كبيرة لسعد بن الربيع في إيثار عبد الرحمن بن عوف على نفسه لما ذكر وما كان عليه ابن عوف من التعفف والرغبة في أن يكسب من عمل يده. قال ابن التين: وقد كان هذا القول من سعد قبل أن يطلب رسول الله ﷺ من الأنصار أن يكفوا المهاجرين عن العمل ويعطوهم نصف الثمرة[(٤)].

٤-ما كان للمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في صدر الدعوة من أثر عظيم في تقوية أواصر الإيمان والأخوة في الله.

٥-قال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه: تنزه الرجل عما يبذل له، ويعرض عليه من

---

(١) الشافي في شرح مسند الشافعي، ٤/ ٤٣٦.
(٢) الشافي في شرح مسند الشافعي، ٤/ ٤٣٦.
(٣) الشافي في شرح مسند الشافعي، ٤/ ٤٣٦.
(٤) فتح الباري، لابن حجر، ٤/ ٣٤٥.

المال وغيره، والأخذ بالشدة على نفسه في أمر معاشه»[١].

٦-وقال أيضاً: وفيه: أن العيش من متجر أو صناعة أولى بنزاهة الأخلاق من العيش من الصدقات والهبة وشبهها، وفيه: مباشرة الفضلاء للتجارات بأنفسهم، وتصرفهم في الأسواق في معايشهم، وليس ذلك بنقص لهم»[٢].

٧-وقال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: «في هذا الحديث ما كان عليه الصدر الأول من هذه الأمة من الإيثار على أنفسهم، وبذل النفيس لإخوانهم، كما وصفهم الله في كتابه... وفيه: المواعدة بطلاق امرأة لمن يحب أن يتزوجها، وفيه تنزه الرجل عما يبذل له، ويعرض عليه من المال وغيره، والأخذ بالشدة على نفسه في أمر معاشه، وفيه: أن العيش من [تجارة] أو صناعة أولى بنزاهة الأخلاق من العيش من الصدقات والهبات وشبهها، وفيه: مباشرة الفضلاء للتجارات بأنفسهم وتصرفهم في الأسواق في معايشهم وليس ذلك نقص لهم، وفيه: سؤال الرجل عن من تزوج وما نقد ليعينه الناس على وليمته ومؤنته»[٣].

٨-قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي حديث عبد الرحمن: استحبابُ الذبح في الولائم لمن وجد ذَلِكَ، وفيه: أن الوليمة قد تكون بعد البناء؛ لأن قوله: «أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ» كان بعد البناء، وروى أشهب عن مالك أنه لا بأس بالوليمة بعد البناء، وإنما معنى الوليمة اشتهار النكاح، وإعلانه إذ قد تهلك البينة، قاله ربيعة ومالك، فكيفما وقع به الاشتهار جاز النكاح»[٤].

***

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٤/ ١٩٦.
(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٤/ ١٩٧.
(٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٧/ ١٦٧.
(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٤/ ٥١٥.

٩١ - الدُّعَاءُ لِمَنْ أقْرَضَ عِنْدَ القَضَاءِ

٢٠٢-«بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ: الْحَمْدُ، وَالأَدَاءُ»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٩٦-لفظ النسائي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رُبَيِّعَةَ ﷺ(٢) قَالَ: اسْتَقْرَضَ مِنِّي النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَجَاءَهُ مَالٌ فَدَفَعَهُ إِلَيَّ، وَقَالَ: «**بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ: الْحَمْدُ وَالْأَدَاءُ**»(٣).

٦٩٧-ولفظ ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رُبَيِّعَةَ الْمَخْزُومِيُّ(٤) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَسْلَفَ مِنْهُ حِينَ غَزَا حُنَيْنًا ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَلَمَّا قَدِمَ قَضَاهَا إِيَّاهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْوَفَاءُ وَالْحَمْدُ**»(٥).

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب البيوع، الاستقراض، برقم ٦٢٨٠، وعمل اليوم والليلة، ما يقول إذا أقرض، برقم ١٠٢٠٤، وفي السنن (المجتبى) للنسائي، كتاب البيوع، الاستقراض، برقم ٤٦٨٣، وابن ماجه، كتاب الصدقات، باب حسن القضاء،، برقم ٢٤٢٤، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/٥٥، وفي إرواء الغليل، برقم ١٣٨٨ .

(٢) عبد الله بن ربيعة بن فرقد السلمي، كوفي، روى عنه عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال الحكم: له صحبة، وغيره ينفي ذلك، ويقولون حديثه مرسل، وذكر إسماعيل بن إسحاق عن علي بن المديني قال: عبد الله بن ربيعة السلمي له صحبة، توفي بعد الثمانين للهجرة. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ٣/ ٨٩٧، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٥٠٤، ترجمة رقم ١١٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ٧٩.

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم ٦٢٨٠، وصححه الألباني في إرواء الغليل، برقم ١٣٨٨،

(٤) عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي، كان عبد الله من أشراف قريش في الجاهلية أسلم يوم الفتح وكان من أحسن قريش وجها يعد في أهل المدينة ومخرج حديثه عنهم من حديثه عن النبي ﷺ أنه قال إنما جزاء السلف: الحمد والوفاء، ويقولون إنه لم يرو عنه غير ابنه إبراهيم الاستيعاب، ٣/ ٨٩٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ٧٩.

(٥) أخرجه ابن ماجه، برقم ٢٤٢٤، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/٥٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٦٩٨-عَنْ ابْنِ حُذَيْفَةَ، هُوَ عِمْرَانُ رضي الله عنهما، عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةَ رضي الله عنها، قَالَ: كَانَتْ تَدَّانُ دَيْنًا، فَقَالَ لَهَا بَعْضُ أَهْلِهَا: لاَ تَفْعَلِي، وَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: بَلَى، إِنِّي سَمِعْتُ نَبِيِّي وَخَلِيلِي ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدَّانُ دَيْنًا، يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْهُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَدَاءَهُ، إِلاَّ أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا**»[١].

٦٩٩-وعن صُهَيْبِ الْخَيْرِ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ تَدَيَّنَ دَيْنًا، وَهُوَ مُجْمِعٌ أَنْ لاَ يُوَفِّيَهُ إِيَّاهُ، لَقِيَ اللَّهَ سَارِقًا**»[٢].

٧٠٠-وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلاَفَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ**»[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**استقرض**»: أي: أخذ مني قرضًا حسنًا على سبيل السلف، قال الزبيدي: «والقَرْضُ: الاسمُ، وهو مَا يَتَجازَى به النَّاسُ بَيْنَهم ويَتَقاضَوْنَهُ وجمْعُهُ قُرُوضٌ...وفي الصّحاح: القَرْضُ: مَا تُعْطيهِ من المالِ لتُقْضاهُ»[٤].

٢-قوله: « **فدفعه لي**»: أي: رد لي ما أقرضته، قال الزبيدي رحمه الله: «دَفَعَهُ ودَفَعَ إِلَيْهِ شَيْئاً، ودَفَعَ عَنْهُ الأَذَى والشَّرَّ... وإِذا عُدِّيَ الدَّفْعُ بـ(إِلَى) اقْتَضَى معْنَى الأَمَانَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿**فادْفَعُوا إِلَيْهِم أَمْوالَهم**﴾»[٥].

٣-قوله: «**بارك الله لك في أهلك ومالك**»: البركة الزيادة والنماء، قال

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الصدقات، باب من أدان ديناً وهو ينوي قضاءه، برقم ٢٤٠٨، والطبراني في الكبير، ٢٤/٢٤، برقم ٦١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١٩٥٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه، باب الصدقات، باب من أدان ديناً لم ينو قضاءه، برقم ٢٤١٠، قال البوصيري، ٦٤/٣: «هذا إسناد حسن» والضياء المقدسي في المختارة، ٧٠/٨، وقال المنذري في الترغيب والترهيب، ٣٧٢/٢: «إسناده متصل، لا بأس به» وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٦٦، برقم ١٨٠٢.

(٣) البخاري، كتاب الاستقراض، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، برقم ٢٣٨٧.

(٤) تاج العروس، ص ٤٧١١، مادة (قرض).

(٥) تاج العروس، ص ٥٢٠٨، مادة (دفع).

العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «...وإذا أنزل اللَّهُ البركةَ لشخص فيما أعطاه، صار القليلُ منه كثيراً، وإذا نُزعت البركةُ صار الكثيرُ قليلاً، وكم مِن إنسانٍ يجعلُ اللَّهُ على يديه مِنَ الخير في أيامٍ قليلة ما لا يجعلُ على يدِ غيرِه في أيَّام كثيرةٍ؟، وكم مِن إنسانٍ يكون المالُ عنده قليلاً، لكنه متنعِّمٌ في بيته، قد بارك اللَّهُ له في مالِهِ، ولا تكون البركةُ عند شخصٍ آخرَ أكثرَ منه مالاً؟»[١]، فقوله: بارك الله لك: أي: بارك الله لك في زوجك، وولدك، ومالك، وعمرك، وقال الطيبي رحمه الله: «لأنه المدعو أصالة، أي: بارك لك في هذا الأمر»[٢].

٤-قوله: «إنما جزاء»: «فإن قلت: هذا يوهم أن الزيادة على الدين غير جائزة؛ لأن (إنما) تثبت الحكم للمذكور، وتنفيه عما سواه، قلت: هو على سبيل الوجوب؛ لأن شكر المنعم وأداء حقه واجبان، والزيادة فضل»[٣].

٥-قوله: «السَّلَفُ»: قال ابن الأثير رحمه الله: «القَرْض الَّذِي لَا مَنْفعة فِيهِ للمُقْرِض غيرَ الْأَجْرِ وَالشُّكْرِ، وَعَلَى المُقْتَرِض رَدُّه كَمَا أخذه، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي القَرْض سَلَفاً»[٤].

٦-قوله: «الحمد»: أي: حمد الله على التوفيق للسداد، ثم شكر من أقرضني، قال الصنعاني رحمه الله: «الحمد لمن أقرض أي: الثناء عليه»[٥].

٧-قوله: «والأداء»: أي: إعطاء المال، وردّه إلى صاحبه، وعدم

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٤/ ٢٦، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ١١٦.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٦، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ١٩٠.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٧/ ٢١٨٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ١٩٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٩٠، مادة (سلف).

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٤/ ١٩١.

مماطلته»[(١)]، قال الفيومي رحمه الله: «أدَّى الأمانةَ إلى أهلها تأديةً، إذا أوصلها، والاسم: الأَدَاءُ»[(٢)]، وقال الراغب الأصفهاني: «الأداء: دفع الحق دفعة وتوفيته، كأداء الخراج والجزية وأداء الأمانة»[(٣)].

٨-قوله: «**والوفاء**»: قال الصنعاني رحمه الله: «والوفاء بإعطاء ما أقرضه إياه وافياً، قال الغزالي: يستحب للمدين عند قضاء الدين أن يحمد المقضي بأن يقول له: **بارك الله لك في أهلك ومالك**»[(٤)].

٩-قوله: «**غزا حنيناً**»: قال النووي رحمه الله: «حنين: واد بين مكة والطائف وراء عرفات، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً»[(٥)]، وأما غزو النبي ﷺ لحنين فقال الكناني رحمه الله: «وفي السنة الثامنة غزوة الفَتْح في شهر رمضان، ثم غزوة رسول الله ﷺ حُنَيْناً في شوّال في اثني عشر ألفاً من المسلمين: عشرة آلاف من أهالي المدينة، وألفين من أهل مكة»[(٦)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-ما كان عليه رسول الله ﷺ من الاهتمام بمصالح الأمة؛ لأنه اقترض هذه الأموال لإنجاز ما يعود بالنفع على المسلمين.

٢-قال الزبيدي رحمه الله: «القَرْضُ: مَا تُعْطِيهِ من المالِ لتُقْضَاهُ، وقال أَبو إسحاقَ النَّحوِيُّ في قَوْله تَعَالَى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً**﴾[(٧)] قالَ: معنى

---

(١)التنوير شرح الجامع الصغير، ٤/ ١٩١.
(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٩، مادة (أدى).
(٣) مفردات ألفاظ القرآن، ١/ ٢٢.
(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٤/ ١٩١.
(٥) تهذيب الأسماء واللغات، ٣/ ٨٦.
(٦) المختصر الكبير فى سيرة الرسول ﷺ ،ص ٣٧.
(٧) سورة القرة، الآية: ٢٥٤.

القَرْضِ: البلاءُ الحَسَنُ، تقولُ العربُ: لكَ عندِي قَرْضٌ حسنٌ، وقَرْضٌ سيِّئٌ، وأَصلُ القَرْضِ: مَا يُعطيهِ الرَّجُلُ أَو يفعلَهُ ليُجازَى عَلَيْهِ، واللهُ ﷻ لا يَسْتَقْرِضُ مِنْ عَوَزٍ، ولكنَّه يبلو عبادَهُ، فالقَرْضُ كما وَصَفْنا، قالَ: وهو في الآية اسمٌ لكُلِّ مَا يُلْتَمَسُ عَلَيْهِ الجَزاءُ، ولو كانَ مصدراً لكانَ إِقْراضاً»[(١)].

٣-القرض الحسن من مفاخر هذه الشريعة الغراء، ولا يكون حسنًا إلا إذا كان من حلال، ويعطيه صاحبه عن طيب نفس، راجيًا الثواب من الله بتفريج كربة أخيه المسلم، أما القروض الربوية فهي شؤم في الدنيا و الآخرة.

٤-الواجب على من يقترض أن يحسن نيته، فيأخذ بنية الأداء في الموعد المحدد له، وعكس ذلك قوله ﷺ: «**أيما رجل تدين دينًا وهو مجمع أن لا يوفيه إياه، لقي الله سارقًا**»[(٢)] ومعنى مجمع أي: عازم.

٥-يجوز الزيادة عند رد الدين شريطة عدم اشتراط ذلك عند أخذ الدين لقول جابر رضي الله عنه: أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد، فقال: «**صل ركعتين**» وكان لي عليه دين فقضاني وزادني[(٣)].

٦-قال الطيبي رحمه الله: «إنما جزاء السلف: فإن قلت: هذا يوهم أن الزيادة على الدين غير جائزة؛ لأن «إنما» تثبت الحكم للمذكور، وتنفيه عما سواه، قلت: هو على سبيل الوجوب؛ لأن شكر المنعم، وأداء حقه واجبان، والزيادة فضل»[(٤)].

٧-حث الشرع الحنيف على إنظار المعسر، والصبر عليه؛ بل وإسقاط دينه لقوله ﷻ: ﴿**وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ**

(١) تاج العروس، ص ٤٧١١، مادة (قرض).
(٢) ابن ماجه، برقم ٢٤١٠، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٨٠٢، وتقدم تخريجه في أحاديث ألفاظ المتن.
(٣) البخاري، كتاب الاستقراض، باب حسن القضاء، برقم ٢٣٩٤.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٧/ ٢١٨٢.

لَكُمْ﴾[١] وقال النبي ﷺ: «**من أحب أن يظله الله في ظله، فلينظر معسرًا أو ليضع عنه**»[٢]، وقوله ﷺ: «**من أنظر معسرًا كان له بكل يوم صدقة ومن أنظره بعد حله كان له مثله في كل يوم صدقة**»[٣].

٨-فإذا طلبه يطلبه في رفق ولين لقول النبي ﷺ: «**مَنْ طَلَبَ حَقًّا فَلْيَطْلُبْهُ فِي عَفَافٍ، وَافٍ أَوْ غَيْرِ وَافٍ**»[٤]، ومعنى في عفاف أي: لا يقع أثناء طلبه في أي محرم قولي أو فعلي، وقوله: «**واف أو غير واف**» أي: وفَّاه المدين أم لم يوفِّهْ دينه.

***

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.

(٢) مسند أحمد/ ٢٤/ ٢٧٨، برقم ١٥٥٢٠، وابن ماجه، كتاب الصدقات، باب إنظار المعسر، برقم ٢٤١٩، والبيهقي في السنن الكبرى، ٦/٢٧-٢٨، والطبراني في الكبير، ١٩/ ٣٧٦، وصححه محققو السند، ٢٤/ ٢٧٨، والألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٢٤١٠.

(٣) ابن ماجه، كتاب الصدقات، كتاب الصدقات، باب إنظار المعسر، برقم ٢٤١٨، وأحمد، ٣٨/٦٩ ، برقم ٢٢٩٧٠، والحاكم، ٢/٣٤، والبيهقي، ٥/٣٥٧، وصححه لغيره محققو المسند، ٣٨/ ٦٩، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم ٨٦.

(٤) رواه ابن ماجه، كتاب الصدقات، باب حسن المطالبة وأخذ الحق في عفاف، برقم ٢٤٢١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٢٤١٢، وفي التعليق الرغيب، ٣/٢٠.

٩٢- دُعَاءُ الخَوْفِ مِنَ الشِّرْكِ

٢٠٣- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ أَعْلَمُ»[(١)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٠١-لفظ البخاري في الأدب المفرد قال مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ: انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه[(٢)] إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلِ الشِّرْكُ إِلاَّ مَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟ قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا أَعْلَمُ»[(٣)].

٧٠٢-ولفظ الحكيم الترمذي عن معقل بن يَسَارٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، وَشَهِدَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: ذكرَ الشِّرْك فَقَالَ: «هُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، وَسَأَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فعلْتَ أَذْهَبَ عَنْكَ صِغَارَ الشِّرْكِ وَكِبارَهُ، تقولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ فِيمَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا أَعْلَمُ»[(٤)].

---

(١) أحمد، ٣٢/ ٣٨٣، برقم ١٩٦٠٦، والأدب المفرد للبخاري، برقم ٧١٦، ونوادر الأصول في أحاديث الرسول، للحكيم الترمذي، ٤/ ١٠١، وضعفه محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٧١٦، وفي صحيح الجامع، برقم ٣٧٣١، وفي صحيح الترغيب والترهيب، ١/١٩.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١٤ من أحاديث الشرح.

(٣) الأدب المفرد للبخاري، برقم ٧١٦، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٧١٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) نوادر الأصول في أحاديث الرسول، للحكيم الترمذي، ٤/ ١٠١، وصححه الألباني في صحيح الجامع، =

٧٠٣-وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري ﷺ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟**» قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: «**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلاَتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**»(١).

٧٠٤-ولفظ أحمد عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: كُنَّا نَتَنَاوَبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَنَبِيتُ عِنْدَهُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ، أَوْ يَطْرُقُهُ أَمْرٌ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَبْعَثُنَا فَيَكْثُرُ الْمُحْتَسِبُونَ، وَأَهْلُ النُّوَبِ، فَكُنَّا نَتَحَدَّثُ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: «**مَا هَذِهِ النَّجْوَى؟ أَلَمْ أَنْهَكُمْ عَنِ النَّجْوَى؟**» قَالَ : قُلْنَا نَتُوبُ إِلَى اللهِ يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّمَا كُنَّا فِي ذِكْرِ الْمَسِيحِ فَرَقًا مِنْهُ، فَقَالَ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَسِيحِ عِنْدِي؟**» قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ: أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يَعْمَلُ لِمَكَانِ رَجُلٍ**» (٢).

٧٠٥-وفي لفظ آخر لأحمد عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، قَالَ: جَلَسْتُ أَنَا وَمُحَمَّدٌ الْكِنْدِيُّ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ، ثُمَّ قُمْتُ مِنْ عِنْدِهِ، فَجَلَسْتُ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: فَجَاءَ صَاحِبِي وَقَدِ اصْفَرَّ وَجْهُهُ، وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، فَقَالَ: قُمْ إِلَيَّ، قُلْتُ: أَلَمْ أَكُنْ جَالِسًا مَعَكَ السَّاعَةَ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: قُمْ إِلَى صَاحِبِكَ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى مَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ؟ قُلْتُ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَعَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ أَحْلِفَ بِالْكَعْبَةِ؟ قَالَ: وَلِمَ تَحْلِفُ بِالْكَعْبَةِ؟ إِذَا حَلَفْتَ بِالْكَعْبَةِ فَاحْلِفْ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ، فَإِنَّ عُمَرَ كَانَ إِذَا

=

برقم ٣٧٣١، وصحيح الترغيب والترهيب، ١/١٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة، برقم ٤٢٠٤، قال البوصيري، ٤/٢٣٧: «هذا إسناد حسن»، محسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٢٦٠٧.

(٢) أخرجه أحمد، ١٧/ ٣٥٤، برقم ١١٢٥٢، والحكيم الترمذي، ٢/٢٢٨، والحاكم وصححه، ٤/٣٦٥، وضعفه محققو المسند، ١٧/ ٣٥٥، وحسنه الألباني في المشكاة، برقم ٥٣٣٣.

حَلَفَ قَالَ: كَلاَّ وَأَبِي، فَحَلَفَ بِهَا يَوْمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لاَ تَحْلِفْ بِأَبِيكَ، وَلاَ بِغَيْرِ اللهِ، فَإِنَّهُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**»[1].

٧٠٦-ولفظ الترمذي عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَا وَالكَعْبَةِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَا يُحْلَفُ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ**»[2].

٧٠٧- وفي لفظ لأحمد عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ عُمَرُ رضي الله عنه يَحْلِفُ: وَأَبِي، فَنَهَاهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ دُونَ اللهِ تَعَالَى فَقَدْ أَشْرَكَ**»[3].

٧٠٨-وعن بُرَيْدَةَ بن الخصيب رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا**»[4].

٧٠٩-وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهَ عِدْلًا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ**»[5].

٧١٠-ولفظ البخاري في الأدب المنفرد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، قَالَ: «**جَعَلْتَ لِلَّهِ نِدًّا؟ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ**»[6].

---

(١) مسند أحمد، ٩/ ٢٧٥، برقم ٥٣٧٥، وضعفه محققو المسند، ٩/ ٢٧٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٢٠٤.

(٢) الترمذي، كتاب الأيمان والنذور، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، برقم ١٥٣٥، والحاكم، ١/ ٦٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٢٠٤.

(٣) مسند أحمد، ٨/ ٥٠٣، برقم ٤٩٠٤، ومصنف عبد الرزاق، ٨/ ٤٦٧، برقم ١٥٩٢٦، والمستدرك، ١/ ٥٢، وصححه، وقال محققو المسند: «رجاله ثقات» والألباني في السلسلة الصحيحة، ٥/ ٦٩، برقم ٢٠٤٢.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالأمانة، برقم ٣٢٥٣، والبيهقي في السنن، ١٠/ ٣٠، وصححه النووي في الأذكار، ص ٤٥٧، وشعيب الأرناؤوط في تحقيق سنن أبي داود، ٥/ ١٥٦، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٩٥٤.

(٥) مسند أحمد، ٣/ ٣٣٩، برقم ١٨٣٩، وصححه لغيره محققو المسند، المعجم الكبير، ١٢/ ٢٤٤، برقم ١٣٠٠٥، الأدب المفرد، ص ٢٧٤، برقم ٧٨٣، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ١٣٧.

(٦) الأدب المفرد للبخاري، ص ٢٧٤، برقم ٧٨٣، والمعجم الكبير للطبراني، ١٢/ ٢٤٤، برقم ١٣٠٠٥، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ١٣٧.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الانطِلاقُ: الذَّهَابُ، وَيُقَالُ: انْطُلِقَ بِهِ، عَلَى مَا لَمْ يسمَّ فَاعِلُهُ»[١].

٢-قوله: «**الشرك فيكم**»: أي: الشرك الأصغر والخطاب لأمة الإسلام، قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشرك فيكم: أيها الأمة»[٢]، وقال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشرك شركان: شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله، وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لاشريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، والشرك الأول نوعان:

أحدهما: شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك، كشرك فرعون إذ قال: ﴿**وَمَا رَبُّ العَالَمِين**﴾، وقال تعالى مخبراً عنه أنه قال: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا**﴾[٣]، والشرك والتعطيل متلازمان، فكل مشرك معطِّل، وكل معطِّل مشرك، لكن لا يستلزم أصل التعطيل، بل قد يكون المشرك مقراً بالخالق سبحانه وصفاته، ولكن عطل حق التوحيد، وأصل الشرك وقاعدته التي ترجع إليها هو التعطيل...

النوع الثاني: شرك من جعل معه إلها آخر، ولم يعطل أسماءه، وربوبيته، وصفاته، كشرك النصارى الذي جعلوه ثلاثة، فجعلوا المسيح إلهاً، وأمه إلهاً، ومن هذا شرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور،

---

(١) لسان العرب، ١٠/ ٢٣٠، مادة (طلق).
(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٤/ ٢٢٨)
(٣) سورة غافر، الآيتان: ٣٦- ٣٧.

وحوادث الشر إلى الظلمة»[١].

٣-قوله: «**أخفى من دبيب النمل**»: أي: في حركته ومشيه على الأرض فإنه لا يسمع له صوت ولا يشعر أحد بحركته، وقد جاء في رواية: «**الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا**»[٢]. قال الصنعاني رحمه الله: «خفاؤه عن نظر الناظرين إليه أو خفاؤه عن من يقصده من الفاعلين»[٣].

٤-قوله: «**وَالَّذي نَفسِي بِيَدِهِ**»: قال ابن الملقن رحمه الله إنه قسم للتأكيد[٤]، وقال ابن العربي رحمه الله: «فإنّما هو ليتعلّم الخَلق التَّصرُّف في ذلك بذكر الله بجميع صفاته العُلَا، وأسمائه الحُسْنَى»[٥]، وقال الصنعاني رحمه الله: «فوالذي نفسي: أي: روحي، بيده: في قبضته، يقبضه متى شاء، ويرسله متى شاء، وكان هذا قسمه ﷺ، والإقسام هنا ليس لرد إنكار المخاطب، بل لعظمة شأن الخبر، وتحقيق صدقه، وحقيقته ونشاط المخبر في إخباره، وأما إطلاق اليد على الله، فهو إطلاق قرآني: ﴿**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾[٦] ونحوه»[٧].

٥-قوله: «**اللهم إني أعوذ بك**»: التعويذ الدعاء إلى الله بأن يجير ويحفظ، واللجوء إلى الله، واللِّواذ به، والعَوْذ: الالتجاء، كالعياذ، والمعاذ، ...، ومعاذ الله أي: أعوذ بالله معاذاً، وكذا: معاذة الله»[٨]، وقال المناوي رحمه الله: «وذلك لأنه لا يدفع عنك

---

(١) الجواب الكافي، ص ٩٠.

(٢) الحكيم الترمذي، ٤/١٠٥، وأخرجه الحاكم، ٢/٣١٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٧٣٠.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٦/ ٥٣٨.

(٤) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٣/ ٣٠.

(٥) المسالك في شرح موطأ مالك، ٦/ ٣٠٨.

(٦) سورة الفتح، الآية ١٠.

(٧) التنوير شرح الجامع الصغير، ١/ ٣٤٢.

(٨) انظر: القاموس المحيط، ص: ٤٢٨، مادة (عوذ)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن رقم ١٤٦.

إلا من ولي خلقك، فإذا تعوذت به أعاذك؛ لأنه لا يخيب من التجأ إليه، وقصر نظر قلبه عليه، وإنما أرشد إلى هذا التعوّذ لئلا يتساهل الإنسان في الركون إلى الأسباب، ويرتبك فيها حتى لا يرى التكوين والتدويم، إلا رؤية الإيمان بالغيب، فلا يزال يضيع الأمر ويهمله حتى تحل العقدة منه عقلة الإيمان، فيكفر وهو لا يشعر، فأرشده إلى الاستعاذة بربه؛ ليشرق نور اليقين على قلبه»[١].

٦-قوله: «**أن أشرك بك**»: أي: أجعل معك شريكًا في أي قول أو عمل، أو اعتماد، أو إرادة.

٧-قوله: «**وأنا أعلم**»: أي: بما أفعله من هذا الجرم الكبير.

٨-قوله: «**وأستغفرك لما لا أعلم**»: أي: إن كنت أفعل شيئًا وهو من الشرك الخفي وأنا لا أعلمه، فإني أطلب منك المغفرة، قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: وأستغفرك لما لا أعلم: فيه أنه يستغفر عن المعاصي التي لا يعلمها العبد، وأنه قد يؤخذ بما لا يعلمه لتفريطه في التحرز عنه»[٢].

٩-قوله: «**صغار الشرك وكباره**»: قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «صغار الشرك: أي: خفيه، وكباره: أي جليّه»[٣]، وقال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الحكيم: صغار الشرك كقوله: ما شاء الله وشئت، وكباره كالرياء»[٤].

١٠-قوله: «**وَشَهِدَ بِهِ**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «والشَّهادَة خَبرٌ قاطعٌ تقولُ مِنْهُ: شَهِدَ الرجلُ عَلَى كَذَا، وَرُبَّمَا قَالُوا شَهْدَ الرجلُ، بِسُكُونِ الْهَاءِ لِلتَّخْفِيفِ»[٥].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٢٢٩.
(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ٦/ ٥٣٨.
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٦/ ٥٣٨.
(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٢٢٨.
(٥) لسان العرب، ٣/ ٢٣٩، مادة (شهد).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-من كمال التوحيد الواجب الخوف من الشرك الأصغر؛ لأن من تجرأ على الوقوع فيه يخشى عليه أن يُجر إلى الشرك الأكبر، عياذًا بالله من ذلك.

٢-خوف النبي ﷺ على أمته من الوقوع في الشرك الأصغر.

٣-الشرك الأصغر له صور أخرى، فمن ذلك الحلف بغير الله، والحلف بالنبي ﷺ، أو بالكعبة، أو بالآباء والأمهات، ورحمة فلان، وشرف فلان، وغير ذلك من هذه الصور الشركية.

٤-وجوب إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة: القولية، والعملية، ونفي العبادة عن كل ما سواه؛ لقوله ﷻ: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾(١)، وهذا هو توحيد الألوهية الذي ضده الشرك بقسميه الأكبر والأصغر، أما الشرك الأكبر فهو اتخاذ ند مع الله يدعوه ويرجوه ويخافه وهذا لا يغفره الله أبدًا لقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾(٢).

وأما الشـرك الأصغر فضابطه أنه هو كل شرك لم يصل إلى حد الأكبر بمعنى أنه كل قول أو فعل يكون وسيلة إلى الشرك الأكبر عياذًا بالله من ذلك، والضابط لتعريف الشرك الأكبر: هو صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله، وأما الشرك الأصغر: فهو كل وسيلة: قولية، أو فعلية، أو إرادية توصل إلى الشرك الأكبر، والشرك الأكبر أيضاً: هو أن تجعل لله نداً وهو خلقك، والأصغر أيضاً هو كل ما أطلق عليه الشارع في النصوص الشرك، ولكن لم يصل إلى رتبة العبادة.

٥-الصحابة ﷺ هم أكمل الأمة إيمانًا بعد النبي ﷺ، وهم الذين اكتحلت عيونهم برؤيته، وبلغوا عنه الوحي بعد ما حفظوه، ورغم ذلك خاف عليهم

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٦.

من الشرك، فما بالك بمن دونهم بمسافات شاسعة، ولاسيما أن النصوص الثابتة عن النبي ﷺ قد أخبرت بوقوع الشرك الأكبر في هذه الآية خاصة في آخر الزمان، فمن ذلك قوله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس، حول ذي الخلصة**»[1]، قال النووي: وهو بيت صنم ببلاد دوس.

٦-قال المناوي رحمه الله: «ولذلك عجز عن الوقوف على غوائله أي: الشرك الخفي سماسرة العلماء، فضلاً عن عامة العباد، وهو من أواخر غوائل النفس، وبواطن مكايدها، وإنما يبتلى به العلماء والعبّاد المشمرون عن ساق الجد؛ لسلوك سبيل الآخرة؛ فإنهم مهما نهروا أنفسهم، وجاهدوها، وفطموها عن الشهوات، وصانوها عن الشبهات، وحملوها بالقهر على أصناف العبادات، عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة، الواقعة على الجوارح، فطلبت الاستراحة إلى الظاهر بالخير، وإظهار العمل والعلم، فوجدت مخلصاً من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق، ونظرهم إليه بعين الوقار والتعظيم، فنازعت إلى إظهار الطاعة، وتوصلت إلى اطلاع الخلق، ولم تقنع باطلاع الخالق، وفرحت بحمد الناس، ولم تقنع بحمد الله، وعلمت أنهم إذا عرفوا تركه للشهوات، وتوقيه للشبهات، وتحمله مشقات العبادات، أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء، وبالغوا في الإعزاز، ونظروا إليه بعين الاحترام، وتبركوا بلقائه، ورغبوا في بركته ودعائه، وفاتحوه بالسلام والخدمة، وقدموه في المجالس والمحافل، وتصاغروا له، فأصابت النفس في ذلك لذة هي من أعظم اللذات، وشهوة هي أغلب الشهوات، فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات، واستلانت خشونة المواظبة على العبادات؛ لإدراكها في الباطن لذة اللذات، وشهوة الشهوات، فهو يظن أن

---

(١) مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، برقم ٢٩٠٦.

حياته بالله وبعبادته المرضية، وإنما حياته لهذه الشهوة الخفية التي يعمى[1] عن دَرْكها إلا العقول النافذة القوية، ويرى أنه يخلص في طاعة رب العالمين، وقد أثبت اسمه في جريدة المنافقين»[2].

٧-من ثمرات الخوف من الشرك:

١- معرفته حتى لا يقع فيه.

٢- الاستقامة على الطاعة والمجاهدة على الأخلاق الفاضلة.

٣- كثرة الاستغفار.

٤- العناية بما يكمل التوحيد.

٥- الحذر من ذرائع الشرك ومواطنه ومخالطة أهله[3].

***

(١) هكذا وجدته في الأصل، والمعنى والله أعلم: أن العقول النافذة القوية لا تعمى عن درك هذه الشهوة الخفية .

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٢٢٨.

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، شرح الشيخ/ عبد الله القصير، ص ٤١.

٩٣ - الدُّعاءُ لِمَنْ قالَ: بَارَكَ اللَّهُ فيكَ

٢٠٤- «وَفِيكَ بَارَكَ اللَّهُ»[(١)].

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧١١-لفظ النسائي عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها[(٢)] قَالَتْ: أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَاةٌ فَقَالَ: «اقْسِمِيهَا»، قَالَ: وَكَانَتْ عَائِشَةُ إِذَا رَجَعَتِ الْخَادِمُ قَالَتْ: مَا قَالُوا لَكِ؟ تَقُولُ مَا يَقُولُونَ يَقُولُ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، فَتَقُولُ عَائِشَةُ: **وَفِيهِمْ بَارَكَ اللَّهُ، تَرُدُّ عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا قَالُوا، وَيَبْقَى أَجْرُنَا لَنَا**»[(٣)].

٧١٢-ورواية البخاري في الأدب المفرد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[(٤)] قَالَ: «**لَوْ قَالَ لِي فِرْعَوْنُ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، قُلْتُ: وَفِيكَ، وَفِرْعَوْنُ قَدْ مَاتَ**»[(٥)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**أهديت**»: قال ابن منظور رحمه الله: «الهَدِيَّةُ: مَا أَتْحَفْتَ بِهِ، يُقَالُ:

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، عمل اليوم والليلة، ما يقول لمن أهدي له، برقم ١٠٣٥، وعمل اليوم والليلة لابن السني، ص ٢٤٤، برقم ٢٧٨، وجوّد إسناده الألباني في الكلم الطيب، ص ١٧٤. ورواية في الأدب المفرد، ص ٣٨١، ومصنف ابن أبي شيبة، ٥/ ٢٥٥، برقم ٢٥٨٢٥، والمعجم الكبير للطبراني، ١٠/ ٢٦٢، برقم ١٠٦٠٩، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١/ ٣٢٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٨/ ١٨٢: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ٢٦٧.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم ١٠٣٥، وعمل اليوم والليلة لابن السني، برقم ٢٧٨، وجوّد إسناده الألباني في الكلم الطيب، ص ١٧٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٥) الأدب المفرد، ص ٣٨١، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ٢٦٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

أَهْدَيْتُ لَهُ وإِليه... ، وَالْجَمْعُ هَدَايا، وهَدَاوَى»[(١)].

٢-قوله: «**اقسميها**»: أي: اجعليها أجزاءً ووزعي على الفقراء والجيران واتركي لنا جزءًا منها، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقَسَّمَه: جزَّأَه، وَهِيَ القِسْمَةُ، والقِسْم، بِالْكَسْرِ: النَّصِيبُ والحَظُّ، وَالْجَمْعُ أَقْسَام...، يُقَالُ: هَذَا قِسْمُك وَهَذَا قِسْمِي ... يُقَالُ: قَسَمْت الشَّيْءَ بَيْنَ الشُّرَكَاءِ، وأَعطيت كُلَّ شَرِيكٍ مِقْسَمه، وقِسْمه، وقَسِيمه»[(٢)].

٣-قوله: «**رجعت**»: قال الفيومي رَحِمَهُ اللَّهُ: «رجع من سفره، وعن الأمر يَرْجِعُ رَجْعًا، ورُجُوعًا... هو نقيض الذهاب، ويتعدّى بنفسه في اللغة الفصحى، فيقال: رَجَعْتُهُ عن الشيء، وإليه، رَجَعْتُ الكلام وغيره أي: رددته»[(٣)].

٤-قوله: «**الخادم**»: أي: الجارية التي تخدمها، والخادم يطلق على الذكر والأنثى، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخادم: واحدُ الخَدَمِ، غُلَامًا كَانَ أَو جَارِيَةً...وتَخَدَّمْتُ خادِماً أَي: اتَّخَذْتُ. وَلَا بُدَّ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ خادمٌ أَن يَخْتَدِم أَي يَخْدُم نفسه...، الخادِمُ: وَاحِدُ الخَدَم، وَيَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ والأُنثى لإِجرائه مُجرى الأَسماء غَيْرِ المأْخوذة مِنَ الأَفعال: كَحَائِضٍ وعاتِق»[(٤)].

٥-قوله: «**بارك الله**»: البركة الزيادة والنماء، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «...وإذا أنزل اللهُ البركةَ لشخص فيما أعطاه، صار القليلُ منه كثيراً، وإذا نُزعت البركةُ صار الكثيرُ قليلاً، وكم مِن إنسانٍ يجعلُ اللهُ على يديه مِنَ الخير في أيامٍ قليلة ما لا يجعلُ على يدِ غيرِه في أيّام كثيرةٍ؟، وكم مِن إنسانٍ يكون المالُ عنده قليلاً، لكنه متنعِّمٌ في

(١) لسان العرب، ١٥/ ٣٥٧، مادة (هدي).
(٢) لسان العرب، ١٢/ ٤٧٨، مادة (قسم).
(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٢٢٠، مادة (رجع).
(٤) لسان العرب، ١٢/ ١٦٦، مادة (خدم).

بيته، قد باركَ اللَّهُ له في مالِهِ، ولا تكون البركةُ عند شخصٍ آخرَ أكثرَ منه مالاً؟»[١].

٦-قوله: «**وفيك بارك**»: نرد عليهم مثل ما قالوا: أي: بالدعاء لهم كما دعوا لنا، قال الفيومي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ورَدَدْتُ عليه قوله، ورَدَدْتُ إليه جوابه أي: رجعت، وأرسلت، ومنه رَدَدْتُ عليه الوديعة، ورَدَدْتُهُ إلى منزله، فَارْتَدَّ إليه، وتَرَدَّدْتُ إلى فلان رجعت إليه مرة بعد أخرى»[٢].

٧-قوله: «**أجرنا**»: أي: أجر إكرامنا لهم وودنا إياهم، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «آجَرَه يُؤْجِرُه إذا أَثابه وأَعطاه الأَجر وَالْجَزَاءَ، وَكَذَلِكَ أَجَرَه يَأْجُرُه ويأْجِرُه...قِيلَ: هُوَ الذِّكْر الْحَسَنُ...، الأَجر الكريمُ: الجنةُ»[٣].

٨-قوله: «**فرعون**»: قال الزبيدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فرعون: لقب كل من ملك مصر ... أو كل عاتٍ متمرِّد: فرعون، والجمع فراعنة... وتفرعن الرجل: تخلق بخلق الفراعنة، والفرعنة: الدهاء، والنكر، والكبر والتجبر»[٤].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-قبول النبي ﷺ للهدية خلافًا للصدقة؛ فإنها لا تحل له، وكان ﷺ إذا أتي بطعام سأل عنه؛ فإن قيل هدية أكل منها، وإن قيل صدقة لم يأكل منها[٥]، والحكمة في ذلك أنه كما قال ﷺ: «**إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد**»[٦]، ومعنى أوساخ الناس أنها تطهير

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٤/ ٢٦، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ١١٦.
(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٢٢٤، مادة (رد).
(٣) لسان العرب، ٤/ ١٠، مادة (أجر).
(٤) تاج العروس، ٣٥/ ٥٠٥، مادة (فرعن).
(٥) مسلم، كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ، وعلى آله، وهم بنو هاشم، وبنو المطلب دون غيرهم، برقم ١٠٦٩.
(٦) مسلم، كتاب الزكاة، باب ترك استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة، برقم ١٠٧٢.

لأموالهم، وأنفسهم، قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾(١)، قال النووي: فهي كغسالة الأوساخ.

٢-استحباب الإهداء إلى الجيران، والفقراء تأليفًا للقلوب، وإشاعة للتراحم بين الناس.

٣-استحباب الدعاء ممن أُهدي إليه إلى من أهداه مكافأة له على حسن فعله.

٤-المسلم يقصد بأفعاله وأقواله وجه الله، ولا يفعل شيئًا من ذلك رياءً وسمعة حتى لا يضيع أجره عند الله تعالى(٢).

***

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٢) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٥٨٣.

٩٤ - دُعَاءُ كَرَاهِيَةِ الطِّيَرَةِ

٢٠٥-«اللَّهُمَّ لاَ طَيْرَ إِلاَّ طَيْرُكَ، وَلاَ خَيْرَ إِلاَّ خَيْرُكَ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧١٣-لفظ الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما[٢]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللهمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»[٣].

٧١٤-ولفظ ابن السني عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما[٤] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُسْلِمُ مَنْ أَرْجَعَتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ» ، قَالُوا: وَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ يَقُولُ أَحَدُهُمْ: «اللَّهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»[٥].

٧١٥-وحديث البزار عَنْ بريدة رضي الله عنه[٦] قَالَ : ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

---

(١) أحمد، ١١/ ٦٢٣، برقم ٧٠٤٥، والمعجم الكبير للطبراني، ١٤/ ٣٥، برقم ١٤٦٢٢، وابن السني، برقم ٢٩٢، ومسند البزار، ١٠/ ٣٧٥، برقم ٤٣٧٩، والجامع في الحديث، لابن وهب، ص ٥٦٥، وصححه محقق ابن السني، ص ٣٤٤، وحسنه محققو المسند، ١١/ ٦٢٣، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥٤/٣، برقم ١٠٦٥، أما الفأل فكان يعجب النبي ﷺ؛ ولهذا سمع من رجل كلمة طيبة فأعجبته فقال: «أخذنا فألك من فيك» أبو داود، برقم ٣٧١٩، وأحمد، برقم ٩٠٤٠، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣٦٣/٢، عند أبي الشيخ في أخلاق النبي ﷺ، ص٢٧٠.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أحمد، برقم ٧٠٤٥، والمعجم الكبير للطبراني، ١٤/ ٣٥، برقم ١٤٦٢٢، وحسنه محققو المسند، ١١/ ٦٢٣، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٠٦٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٥) ابن السني، برقم ٢٩٢، وصححه محقق ابن السني، ص ٣٤٤، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٠٦٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣٢ من أحاديث الشرح.

فَقَالَ: «مَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَلا بُدَّ» فَكَانَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «وَلا بُدَّ»، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ كَذَا، «**فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ لا طَيْرَ إِلا طَيْرُكَ، وَلا خَيْرَ إِلا خَيْرُكَ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ**»[(١)].

٧١٦- ولفظ ابن وهب سأل كعب الأحبار عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما[(٢)] فقال: هل تطير؟ فقال: نعم، قال: فكيف تقول إذا تطيرت؟ قال: أقول: **اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا رب غيرك، ولا قوة إلا بك، فقال كعب: أنت أفقه العرب، وإنها لكذلك في التوراة**»[(٣)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «**الطيرة**»: قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «وتطير فلان، واطير: أصله التفاؤل بالطير، ثم يستعمل في كل ما يُتفاءل به ويتشاءم، ﴿**قالوا: إنا تطيرنا بكم**﴾»[(٤)]، ولذلك قيل: «**لا طير إلا طيرك**»، هذا حديث، وليس قيلا»[(٥)].

٢- قوله: «**من ردته الطير**»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «قال أبو عبيدة في الغريب: أراد لا تزجروها، ولا تلتفتوا إليها، أقروها على مواضعها التي جعلها الله لها، ولا تتعدوا ذلك إلى غيره، أي: أنها لا تضرّ، ولا تنفع، وقال غيره: المعنى أقروها على أمكنتها؛ فإنهم كانوا في الجاهلية إذا أراد أحدهم سفراً، أو أمراً من الأمور، أثار الطير من أوكارها لينظر أي وجه تسلك، وإلى ناحية تطير؛ فإن خرجت ذات اليمين خرج لسفره، ومضى

---

(١) مسند البزار، برقم ٤٣٧٩، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٠٦٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٣) الجامع في الحديث، لابن وهب، ص ٥٦٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٠٦٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) سورة يس، الآية ١٨.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ٣٩، مادة (طير).

لأمره، وإن أخذت ذات الشمال رجع ولم يمض فأمرهم أن يقروها في أمكنتها، وأبطل فعلهم ذلك، ونهاهم عنه كما أبطل الاستقسام بالأزلام»[(١)]، وقال الصنعاني رحمه الله: «من ردته: منعته «الطيرة»: التطير والتشاؤم بأي أمر، «عن حاجته» التي يريدها «فقد أشرك» بالله لاعتقاده أن لله شريكاً في تقدير الخير والشر، وكأنه خرج مخرج الزجر»[(٢)].

٣-قوله: «**اللَّهُمَّ**»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَولها، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الِاسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»[(٣)].

٤-قوله: «**اللَّهم لا طير إلا طيرك**»: أي: الطير خلق من خلق الله، لا يضر، ولا ينفع، بل هو محتاج إلى رزق الله ورحمته، قال المناوي رحمه الله: «فقد أشرك بالله تعالى؛ لاعتقاده أن لله شريكاً في تقدير الخير والشر ﴿**تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً**﴾»[(٤)]، وهذا وارد على منهج الزجر والتهويل»[(٥)].

٥-قوله: «**ولا خير إلا خيرك**»: أي: أن الخير كله بيد الله وحده، فهو النافع الضار، قال الزرقاني رحمه الله في شرح الموطأ: «لا خير إلا خيرك، فإنه بيدك دون غيرك»[(٦)].

٦-قوله: «**ولا إله غيرك**»: أي: لا معبود بحق إلا أنت، فأنت المتصرف وحدك في الكون، ولا يحدث فيه إلا ما تريد، قال الزرقاني رحمه الله: «ولا إله

---

(١) مفتاح دار السعادة، ٢/ ٢٣٥.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ١٠/ ٢٣٤.

(٣) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في شرح المفردة، رقم ٦.

(٤) سورة الإسراء، الآية ٤.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٦/ ١٧٦.

(٦) شرح الزرقاني، ٤/ ٤٠٢.

غيرك يرجى لكشف الضر، وإجابة الدعاء، والإعانة على الشكر»[١]، وقال العلامة سليمان بن عبد الوهاب رحمه الله: «لا معبود بحق إلا إله واحد، وهو الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٢]، مع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[٣]. فصح أن معنى الإله هو المعبود؛ ولهذا لما قال النبي ﷺ لكفار قريش: «قولوا لا إله إلا الله» قالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[٤]، وقال قوم هود: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾[٥]، وهو إنما دعاهم إلى «لا إله إلا الله»، فهذا هو معنى لا إله إلا الله، وهو عبادة الله، وترك عبادة ما سواه، وهو الكفر بالطاغوت، وإيمان بالله، فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سوى الله ليس بإله، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره، فتضمنت نفي الإلهية عما سواه، وإثباتها له وحده لا شريك له، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه إلهًا وحده، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهًا، وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي والإثبات، كما إذا رأيت رجلاً يستفتي، أو يستشهد من ليس أهلاً لذلك، ويدع مَنْ هو أهل له، فتقول: هذا ليس بمفتٍ ولا شاهد، المفتي فلان،

---

(١) شرح الزرقاني، ٤/ ٤٠٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٤) سورة ص، الآية: ٥، والحديث أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ص، برقم ٣٢٣٢، والمقدسي في الأحاديث المختارة، ٤/ ٢٢٩، ووافق على تحسين الترمذي، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي، ١/ ٤٠٨، برقم ٦٣٥ .

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٧٠.

والشاهد فلان، فإن هذا أمر منه ونهي. وقد دخل في الإلهية جميع أنواع العبادة الصادرة عن تأله القلب لله بالحب والخضوع والانقياد له وحده لا شريك له، فيجب إفراد الله تعالى بها، كالدعاء والخوف والمحبة، والتوكل والإنابة، والتوبة، والذبح، والنذر، والسجود، وجميع أنواع العبادة فيجب صرف جميع ذلك لله وحده لا شريك له، فمن صرف شيئًا مما لا يصلح إلا لله من العبادات لغير الله، فهو مشرك ولو نطق بـ: لا إله إلا الله، إذ لم يعمل بما تقتضيه من التوحيد والإخلاص»[(١)].

٧-قوله: «**ولا قوة**»: قال العلامة ابن رجب رحمه الله: «لا تحول للعبد من حال إلى حال، ولاقوة له على ذلك إلا بالله، وهذه كلمة عظيمة، وهي كنز من كنوز الجنة، فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وترك المحظورات والصبر على المقدورات كلها في الدنيا، وعند الموت...»[(٢)].

٨-قوله: «**أفقه العرب**»: قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «الفقه: هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، فهو أخص من العلم... والفقه: العلم بأحكام الشريعة، يقال: فقه الرجل فقاهة: إذا صار فقيهاً، وفقه أي: فهم فقهاً، وفقهه أي: فهمه، وتفقه: إذا طلبه فتخصص به. قال تعالى: ﴿**لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**﴾[(٣)]»[(٤)].

٩-قوله: «**التوراة**»: قال العلامة الفوزان: «التوراة: التي أنزلها الله على موسى عليه السلام»[(٥)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-التطير من العادات الجاهلية المذمومة وهي امتداد لما كان عليه أئمة

(١) تيسير العزيز الحميد، ص ٥٢.
(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ١٩٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٤، من حديث المتن رقم ١٦.
(٣) سورة التوبة، الآية ١٢٢.
(٤) مفردات ألفاظ القرآن، ٢/ ٢٠١، مادة (فقه).
(٥) شرح العقيدة الطحاوية، لصالح الفوزان، ص ٤٤.

الكفر والضلال من قوم فرعون والمشركين. قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ**﴾(١).

٢-أصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية إذا أراد أحدهم أن يخرج لسفر أو نحوه أتى بالطير فإذا طار يمينًا تفاءل وخرج وسماه السانح وإذا طار يسارًا تشاءم ورجع وسماه البارح وقد كان ينكره بعض عقلائهم بقوله:

الزجر والطير والكهان كلهم   مضللون ودون الغيب أقفال

٣-ومما يؤسف له في هذه الأزمنة أن بعض الناس يطالعون ما يسمى بـ «حظك اليوم» اعتمادًا على خرافات وخزعبلات فيما يسمونه بالأبراج وكذلك قراءة الفناجين.

٤-الطيرة قسمان:

القسم الأول: أن يعتقد أن ما تطير به يستقل في جلب النفع أو جلب الضر وأنها تفعل بذاتها فهذا شرك في الربوبية لكونه اعتقد خالقًا مدبرًا مع الله تعالى وشرك في الألوهية لأنه تعلق قلبه بغير الله خوفًا ورجاءً فيما لا يقدر عليه إلا الله.

القسم الثاني: أن يعتقد أنها سبب للخير أو الشر أو علامة عليه والله هو الفاعل، فهذا من الشرك الأصغر لأنه جعل ما ليس سببًا - لا شرعًا ولا قدرًا - سببًا وكذلك جعله علامة على ما يخاف أو يرجو من دون حجة شرعية أو حسية(٢).

٥-المسلم الصادق يتوكل على الله تعالى ولا يلتفت إلى وساوس الشيطان ولا يسترسل معه في هذه الوساس. قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ**

---

(١) الأعراف: ١٣١.

(٢) المفيد على كتاب التوحيد، للعلامة ابن عثيمين، ص ١٧٦.

أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[(١)]، قال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**وما منا إلا – يعني يتشاءم – ولكن يذهبه الله بالتوكل**»[(٢)].

٦-الفأل الحسن لا يخل بعقيدة الإنسان ولا بعلمه وليس فيه تعلق القلب بغير الله بل هو حسن ظن بالله ولذلك استثنى من الطيرة لمضادته لها. وصفته: أن يعزم العبد على أمر مشروع أو عقد من العقود أو حالة من الأحوال المهمة، ثم يرى في تلك الحالة ما يسره أو يسمع كلامًا يسره مثل: يا غانم، أو يا رابح فيتفاءل ويزداد طمعه في حصول مقصوده[(٣)]، ويشهد لذلك قوله ﷺ: «**لا طيرة وخيرها الفأل**» قال: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: «**الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم**»[(٤)].

٧-قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «هذا الذي جعله الله سبحانه في طباع الناس، وغرائزهم من الإعجاب بالأسماء الحسنة، والألفاظ المحبوبة، وهو نظير ما جعل في غرائزهم من الإعجاب بالمناظر الأنيقة، والرياض المنورة، والمياه الصافية، والألوان الحسنة، والروائح الطيبة، والمطاعم المستلذة، وذلك أمر لا يمكن دفعه، ولا يحدّ القلب عنه انصرافاً، فهو ينفع المؤمن، ويسرّ نفسه، وينشطها ولا يضرها في إيمانها، وتوحيدها، وأخبر ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الفأل من الطيرة، وهو خيرها، فقال: «**لا طيرة، وخيرها الفأل**» فأبطل الطيرة، وأخبر أن الفأل منها، ولكنه خيرها، ففصل بين الفأل والطيرة؛ لما بينهما من الامتياز والتضاد، ونفع أحدهما، ومضرة الآخر، ونظير هذا منعه من الرقاء بالشرك، وإذنه في الرقية إذا لم تكن شركاً؛ لما

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٢) الأدب المفرد، ص ٣١٣، برقم ٩٠٩، وصححه الألباني في الأدب المفرد، برقم ٩٠٩.

(٣)انظر: المفيد على كتاب التوحيد، ص ١٧٨.

(٤) البخاري، كتاب الطب، باب الفأل، برقم ٥٧٥٥.

فيها من المنفعة الخالية عن المفسد»[١].

٨-وقال ابن القيم رحمه الله أيضاً: «واعلم أن التطير إنما يضرّ من أشفق منه وخاف، وأما من لم يبال به، ولم يعبأ به شيئاً لم يضره البتة، ولا سيما إن قال عند رؤية ما يتطير به، أو سماعه: **اللهمّ لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك**»[٢]، «**اللّهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**»[٣]، فالطيرة باب من الشرك، وإلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته يكبر ويعظم شأنها على من أتبعها نفسه، واشتغل بها، وأكثر العناية بها، وتذهب وتضمحل عمن لم يلتفت إليها، ولا ألقى إليها باله، ولا شغل بها نفسه وفكره، واعلم أن من كان معتنياً بها قائلاً بها، كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدر فتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه؛ فإذا سمع سفرجلاً[٤]، أو أُهدي إليه تطير به، وقال: سفر، وجلاء، وإذا رأى ياسميناً، أو سمع اسمه تطير به، وقال: يأس، ومين، وإذا رأى سوسنة، أو سمعها قال: سوء يبقى سنة، وإذا خرج من داره فاستقبله أعور، أو أشلّ، أو أعمى، أو

---

(١) مفتاح دار السعادة، ٢/ ٢٤٥.

(٢) مسند أحمد، ١١/ ٦٢٣، برقم ٧٠٤٥، ومسند البزار، ٢/ ١٣٧، برقم ٤٣٧٩، والمعجم الكبير للطبراني، ١٤/ ٣٥، برقم ١٤٦٢٢، وحسنه محققو المسند، وصححه الألباني في إصلاح المساجد، ص ١١٦.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الطيرة، برقم ٣٩٢٩، وحسنه لغيره شعيب الأرناؤوط في تحقيق سنن أبي داود، ٦/ ٦٢، والبيهقي، ٨/١٣٩، وابن أبي شيبة، ٥/٣١٠، برقم ٢٦٣٩٢، وقال الزين العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، ٢/ ١٣٤: «ورجاله ثقات» وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، برقم ٨٨٨.

(٤) السَّفَرْجَل: ثمر مَعْرُوفٌ، وَاحِدَتُهُ سَفَرْجَلَة، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ. انظر: لسان العرب، ١١/ ٣٣٨، مادة: سفرجل.

صاحب آفة تطير به، وتشاءم بيومه»[١].

٩-قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فينبغي لمن طرقته الطيرة أن يسأل الله تعالى الخير، ويستعيذ به من الشر، ويمضي في حاجته متوكلاً عليه»[٢].

***

(١) مفتاح دار السعادة، ٢/ ٢٣٠.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٦/ ١٧٦.

٩٥ – دُعَاءُ الرُّكُوبِ

٢٠٦-((بِسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ للهِ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾، ((الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ))[(١)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧١٧-لفظ أبي داود عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)] قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٣)]، وَأُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾[(٤)]، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ

---

(١) أبو داود، كتاب الجهاد، باب ما يقول إذا ركب، برقم ٢٦٠٢، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا ركب الناقة، برقم ٣٤٤٦، والسنن الكبرى للنسائي، عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا وضع رجله في الركاب، برقم ١٠٣٣٦، وصححه النووي في الأذكار، ص ٢٧٦، والمستدرك على الصحيحين، للحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، ٢/ ٩٨، صحيح ابن حبان، ٦/ ٤١٤، برقم ٢٦٩٨، وصححه محقق ابن حبان والألباني في التعليقات الحسان، ٤/ ٣٣١، وصحح الألباني رواية أبي داود في صحيح أبي داود، برقم ٢٣٤٢، ورواية الترمذي في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٤٢. والآيتان من سورة الزخرف، ١٣- ١٤.

(٢) أبو المغيرة الكوفي، وثقه ابن معين وغيره وهو من علماء التابعين، [يَرْوِي عن: علي، وابن عمر، روى عنه: سعيد بن عبيدة، وسلمة بن كهيل. انظر: الثقات لابن حبان، ٢/ ٣٦٠، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ٣/ ١٧٩].

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٤) سورة الزخرف، الآيتان: ١٣- ١٤.

قَالَ: **اللهُ أَكْبَرُ**. ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: **سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ**. ثُمَّ ضَحِكَ فَقِيلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَعَلَ كَمَا فَعَلْتُ، ثُمَّ ضَحِكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: «**إِنَّ رَبَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي**»[1].

٧١٨-ولفظ الترمذي عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ رَحِمَهُ اللهُ، قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ، قَالَ: **بِسْمِ اللَّهِ** ثَلاثًا، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا، قَالَ: **الحَمْدُ لِلَّهِ**، ثُمَّ قَالَ: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ**﴾[2]، ثُمَّ قَالَ: **الحَمْدُ لِلَّهِ** ثَلاثًا، **اللهُ أَكْبَرُ** ثَلاثًا، **سُبْحَانَكَ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ**، ثُمَّ ضَحِكَ. فَقُلْتُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَنَعَ كَمَا صَنَعْتُ، ثُمَّ ضَحِكَ، فَقُلْتُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرُكَ**»[3].

٧١٩-ولفظ النسائي عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ الأَسَدِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيًّا أُتِيَ بِدَابَّةٍ، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ قَالَ: **بِسْمِ اللَّهِ**، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَيْهَا قَالَ: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ**﴾[4]، ثُمَّ كَبَّرَ ثَلاثًا، وَحَمِدَ اللهَ ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ: **لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ، إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي،**

---

(١) أبو داود، برقم ٢٦٠٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٣٤٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) سورة الزخرف، الآيتان: ١٣- ١٤.

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٤٦، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٤٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) سورة الزخرف، الآيتان: ١٣- ١٤.

فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمًا مِثْلَ مَا قُلْتُ، ثُمَّ اسْتَضْحَكَ، فَقُلْتُ: مِمَّا اسْتَضْحَكْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**يَعْجَبُ رَبّنَا مِنْ قَوْلِ عَبْدِهِ: سُبْحَانَكَ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، قَالَ : عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ**»[1].

٧٢٠-ولفظ الحاكم في المستدرك عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّهُ كَانَ رِدْفًا لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ، قَالَ: **بِسْمِ اللهِ** فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِ الدَّابَّةِ، قَالَ: **الْحَمْدُ لِلَّهِ** ثَلاَثًا، **وَاللَّهُ أَكْبَرُ** ثَلاَثًا، ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ**﴾[2] الآيَةُ، ثُمَّ قَالَ: **لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ**، ثُمَّ مَالَ إِلَى أَحَدِ شِقَّيْهِ، فَضَحِكَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا يُضْحِكُكَ؟ قَالَ: إِنِّي كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ، فَصَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا صَنَعْتُ، فَسَأَلْتُهُ كَمَا سَأَلْتَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَيَعْجَبُ إِلَى الْعَبْدِ إِذَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، قَالَ: عَبْدِي عَرَفَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ، وَيُعَاقِبُ**»[3].

٧٢١-ولفظ ابن حبان عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ الأَسَدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ : رَكِبَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَابَّةً، فَقَالَ: **بِسْمِ اللَّهِ**، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَيْهَا، قَالَ: **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا، وَحَمَلَنَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَرَزَقَنَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَفَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَهُ تَفْضِيلًا**: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ**﴾[4]، ثُمَّ كَبَّرَ ثَلاَثًا،

(١) السنن الكبرى للنسائي، برقم ١٠٣٣٦، وصححه النووي في الأذكار، ص ٢٧٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ١٣.

(٣) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، ٢/ ٩٨، وصححه النووي في الأذكار، ص ٢٧٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) سورة الزخرف، الآيتان: ١٣- ١٤.

ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرُكَ، ثُمَّ قَالَ: فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ هَذَا، وَأَنَا رِدْفُهُ»[(١)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**في الركاب**»: أي: في محل الركوب. قال ابن الأثير رحمه الله: «الرِكَابِ: وَهِيَ الرَّوَاحِل مِنَ الْإِبِلِ، وَقِيلَ جمْع رَكُوبٍ، وَهُوَ مَا يُرْكَبُ مِنْ كُلِّ دَابَّة، فَعُول بِمَعْنَى مَفْعول، والرَّكُوبَةُ أخَصُّ مِنْهُ»[(٢)].

٢-قوله: «**بسم الله**»: أي: أركب باسم الله متيمنًا به راجيًا السلامة منه عز وجل[(٣)]، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «تقديره: باسم الله ابتدائي، ... أو أبدأ ببسم الله أو ابتدأت ببسم الله، فكلاهما صحيح ... فالمشروع ذكر اسم الله في كل أمر، تبركًا، وتيمنًا، واستعانة على الإتمام والتقبل»[(٤)].

٣-قوله: «**الحمد لله**»: أي: على هذه النعمة خاصة وعلى النعم التي نتقلب فيها عامة، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «يعني أنه جعل لنا ما نركب لنستقر على الظهور، فلم يجعله صعباً نزراً، لا يستوي الإنسان على ظهره، ولا يستقره، بل هو يستقر على ظهره، وهذا مشاهد في السيارات، والسفن، والطائرات، والإبل الذلول، وما أشبه ذلك»[(٥)].

٤-قوله: «**سبحان الذي سخر لنا هذا**»: أي تنزه وتقدس من أقْدَرَنا على ركوبه، والتحكم فيه، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: سبحان: تدل على التنزيه:

---

(١) صحيح ابن حبان، برقم ٢٦٩٨، وصححه محقق ابن حبان والألباني في التعليقات الحسان، ٤/ ٣٣١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٢٥٦، مادة (ركب).

(٣) عند الترمذي أنها تقال ثلاث مرات.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ١٢١.

(٥) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٧٢.

يعني تنزيه الله ﷻ عن الحاجة، وعن النقص، فكأن الإنسان يشعر إذا ركب على هذه الفلك والأنعام أنه محتاج إليه، يستعين به على حاجاته، فيسبّح الله ﷻ الذي هو مستغنٍ عن كل خلقه، فكان التسبيح في هذا المقام أنسب، مع أنه جاء في السنة أنه يحمد الله»[١]، وقال ابن الجوزي رحمه الله: «سخّر: بمعنى ذلّل لنا هذا المركوب، نجري به حيث نشاء»[٢].

٥-قوله: «**وما كنا له مقرنين**»: أي: وما كنا لذلك الركوب بمطيقين، ولا ضابطين لتسخيره، لولا معونة الله ﷻ، قال الطيبي رحمه الله: «مقرنين: مطيقين مقتدرين، من أقرن له: أطاقه، وقوي عليه، وهو اعتراف بعجزه، وأن تمكنه من الركوب عليه بإقدار الله تعالى، وتسخيره إياه»[٣].

٦-قوله: «**وإنا إلى ربنا لمنقلبون**»: أي لصائرون إليه بعد الموت ﴿**وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى**﴾[٤].قال الطيبي رحمه الله: «ومنقلبون: راجعون إليه، وفيه تنبيه على أن السفر الأعظم الذي بصدده، وهو الرجوع إلى الله تعالى، فهو أهم بأن يهتم به، ويشتغل بالاستعداد له قبل نزوله»[٥]، وقال البجيرمي رحمه الله: «﴿**وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ**﴾ رَاجِعُونَ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ، فَيَنْبَغِي لِمَنْ اتَّصَلَ بِهِ سَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ الْمَوْتِ أَنْ يَكُونَ حَامِلًا لَهُ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ فِي رُكُوبِهِ وَمَسِيرِهِ»[٦].

٧-قوله: «**الله أكبر**» أي: أكبر من كل كبير فهو ﷻ كبير الشأن، كبير القدر،

---

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٧٤.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٦٨٢.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٢.

(٤) سورة النجم، الآية: ٤٢.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٢.

(٦) تحفة الحبيب على شرح الخطيب (حاشية البجيرمي على الخطيب)، لسليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي ، ٢/ ٢٨٨.

كبير عن مشابهة أحد من خلقه، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «معناه: الله الكْبير، وقال النحويون: معناه الله أكبر من كل شيء»[١].

٨-قوله: «**يعجب**»: أي: عجبًا يليق به عَجَّلَ، فهي صفة كسائر الصفات معلومة المعنى مجهولة الكيفية نؤمن بها كما جاءت.

٩-لا أعلم في السنة دعاء مخصوص صحيح لركوب البحر وأما خبر: «**أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا أن يقولوا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾**[٢]، **﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾**[٣]» فلا أعلم أن أحداً من أهل العلم صححه[٤].

١٠-قوله: «**شهدت**»: قال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: حضرت»[٥].

١١-قوله: «**أتى بدابته**» قال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعند الترمذي بدابة بالتنوين، والدابة في أصل اللغة ما يدبّ على وجه الأرض، ثم خصها العُرْف بذات الأربع، قال في المصباح: وتخصيص الفرس، والبغل، والحمار بالدابة عند الإطلاق عرف طارئ»[٦].

١٢-قوله: «**سبحانك اللهم**»: قال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «بالنصب على المفعولية المطلقة بعامل لا يظهر وجوباً: أي: أقدسك تقديساً مطلقاً، لأن كل ما لا يليق به تعالى، فهو مقدس عنه، [وكذلك] سائر سمات الحوادث»[٧].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤/ ٥٢، مادة (كبر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٢) سورة هود، الآية: ٤١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

(٤) أخرجه ابن السني، ص ١٨٧، والطبراني في الكبير، ١٢/ ١٢٤، برقم ١٢٦٦١، وفي الأوسط، ٦/ ١٨٤، برقم ٦١٣٦، وأبو يعلى، ١٢/ ١٥٢، برقم ٦٧٨١، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ١٣٢، و١٠/ ١٣٢، وذكر الألباني في ضعيف الجامع، برقم ١٢٤٨ أنه موضوع.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٩٣.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٩٣.

(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٩٤.

١٣-قوله: «**إني ظلمت نفسي**»: قال ابن علان رحمه الله: «إني ظلمت نفسي بعدم القيام بحقك لشهود التقصير في شكر هذه النعمة العظمى، ولو بغفلة، أو خطرة، أو نظرة»[(١)].

١٤-قوله: «**فاغفر لي**»: قال ابن علان رحمه الله: «أي: استر ذنوبي بعدم المؤاخذة بالعقاب عليها»[(٢)].

١٥-قوله: «**إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»: قال ابن علان رحمه الله: «استئناف بياني كالتعليل لسؤال الغفران، وفيه إشارة بالاعتراف بتقصيره مع إنعام الله وتكثيره»[(٣)].

١٦-قوله: «**يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكت**»: قال ابن علان رحمه الله: «لما لم يظهر ما يتعجب منه مما ينشأ عنه الضحك، استفهمه عن سببه، وقدم نداءه على سؤاله كما هو الأدب في الخطاب، وفي رواية للترمذي في «شمائله» «فقلت: من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين»[(٤)]، وتقديم المسؤول عنه على ندائه لأنه أهم حينئذ؛ لأن النداء لأجله، وفي قوله يا أمير المؤمنين إيماء إلى أن القصة جرت منه أيام خلافته»[(٥)].

١٧-قوله: «**قال: رأيت النبي ﷺ صنع كما صنعت**»: قال ابن علان رحمه الله: «أي: أبصرت النبي ﷺ صنع كما صنعتُ من الركوب والذكر في أماكنه»[(٦)].

١٨-قوله: «**إذا قال: رب اغفر لي ذنوبي يعلم**» قال ابن علان رحمه الله: «جملة حالية من فاعل قال: أي: قال ذلك عالماً غير غافل أنه لا يغفر الذنوب غيري»[(٧)].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٩٤.
(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٩٤.
(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٩٤.
(٤) شمائل الترمذي، ص ٢٦٤، برقم ٢٣١، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، ص ١٢٣، برقم ١٩٨.
(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٩٤.
(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٩٤.
(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٩٤.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-استحباب قول هذا الذكر عند ركوب أي مركب دابة أو سيارة أو طائرة أو غير ذلك من وسائل النقل ويكون قول: «بسم الله» عند وضع الرجل في الركاب أما عند الاستقرار في وسيلة النقل فيقال هذا الدعاء.

٢-بيان عظيم فضل الله على خلقه ورحمته بهم بتسخير هذه الدواب وغيرها لهم كما قال الله ﷻ: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[1].

٣- قال ابن علان رحمه الله: «ثلاث مرات: في التكرير إشعار بعظم جلال الله سبحانه، وأن العبد لا يقدر الله حق قدره، وهو مأمور بالدأب في طاعته حسب استطاعته، وقيل في حكمة التكرير ثلاثاً: إن الأول لحصول النعمة، والثاني لدفع النقمة، والثالث لعموم المنحة... الله أكبر ثلاث مرات: والتكرير للمبالغة في ذلك، أو الأول إيماء إلى الكبرياء والعظمة في الذات، والثاني الكبرياء والعظمة في الصفات»[2].

٤-اشتمل هذا الدعاء على جملة من العلوم منها:

أ – قول العبد: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾[3] دليل على تنزيه الله عن النقص والحاجة فكأن قائل هذا الذكر يعلم ضعفه وعجزه وحاجته فكان التسبيح في هذا المقام مناسب جدًّا.

ب – تأسي الصحابة رضي الله عنهم بأفعال الرسول ﷺ وإشاعة ذلك العلم بين الناس

---

(١) سورة يس، الآيات: ٧١ - ٧٣.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٩٣.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ١٣.

دليل عملي على صدق الاتباع.

٥-صفة التعجب لله ﷻ هي من صفات الأفعال، والتي تصدر عن حكمة يعلمها ﷻ، وتدل على أمور تقتضيها، وصفة الله تليق به، لا يشبه فيها أحداً من خلقه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1]:

أ – صفة التعجب قد تدل على محبة الله للفعل الذي هو محل التعجب كما في هذا الحديث.

ب – قد يدل على التعجب على بغض الله للفعل الذي هو محل التعجب كما في قوله: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾[2].

جـ – قد يدل على عدم حسن الحكم مثل قوله: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾[3].

د – قد يدل أحيانًا على حسن المنع كقوله: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾[4].

٦-وإذا كان التعجب في حق الإنسان منشأه غرابة الفعل وأنه حدث على وجه يثير العجب والاستغراب حيث فوجئ الإنسان بالفعل الذي هو محل التعجب، فإن الله منزه عن كل هذه المعاني ولا ترد في حقه لوازم تعجب الإنسان[5] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[6].

٧-قال ماجد البنكانية: «وقوله ﷺ: «**سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا**

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة الصافات، الآية: ١٢، وقرأها ابن مسعود بالضم.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٦.

(٥)انظر: شرح رياض الصالحين للهلالي حديث رقم (١٨٤٠).

(٦) سورة الشورى، الآية: ١١.

له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون» فيه الثناء على الله بتسخيره للمركوبات، التي تحمل الأثقال، والنفوس إلى البلاد النائية، والأقطار الشاسعة، واعتراف بنعمة الله بالمركوبات.

٨-وهذا يدخل فيه المركوبات: من الإبل، ومن السفن البحرية، والبرية، والهوائية. فكلها تدخل في هذا.

٩-ولهذا قال نوح عليه السلام للراكبين معه في السفينة: **﴿ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾**[١].

١٠-فهذه المراكب، كلها وأسبابها، وما به تتم وتكمل، كله من نعم الله وتسخيره، يجب على العباد الاعتراف لله بنعمته فيها، وخصوصاً وقت مباشرتها.

١١-وفيه: تذكر الحالة التي لولا الباري لما حصلت، وذللت في قوله: **﴿وما كنا له مقرنين﴾** أي مطيقين، لو رَدَّ الأمر إلى حولنا وقوتنا، لكنَّا أضعف شيء علماً، وقدرة وإرادة، ولكنه تعالى سخر الحيوانات، وعلَّم الإنسان صنعة المركوبات، كما امتن الله في تيسير صناعة الدروع الواقعية»[٢].

***

(١) سورة هود، الآية: ٤١.

(٢) إتحاف الأطهار بفضل الدعاء وصحيح الأذكار وفوائدهما، لماجد البنكانية، ص ٥٢.

٩٦ – دُعَاءُ السَّفَرِ

٢٠٧ –«اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالأَهْلِ» وإذا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: «آيِبُونَ، تائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»[(١)].

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٢٢–لفظ مسلم عن عَلِيّ الأَزْدِيّ، أَخْبَرَهُ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما[(٢)] عَلَّمَهُمْ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ

---

(١) مسلم، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب لسفر الحج أو غيره، برقم ١٣٤٢، ورقم ١٣٤٣، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا سافر، برقم ٢٥٩٩، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا ركب الناقة، برقم ٣٤٤٧.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ»، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: «آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»[١].

٧٢٣-ولفظ أبي داود أَنَّ عَلِيًّا الْأَزْدِيَّ أَخْبَرَهُ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما عَلَّمَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، اللَّهُمَّ اطْوِ لَنَا الْبُعْدَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ». وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: «آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ». وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَجُيُوشُهُ إِذَا عَلَوْا الثَّنَايَا كَبَّرُوا، وَإِذَا هَبَطُوا سَبَّحُوا، فَوُضِعَتِ الصَّلَاةُ عَلَى ذَلِكَ»[٢].

٧٢٤-ولفظ الترمذي عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا سَافَرَ فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ كَبَّرَ ثَلَاثًا وَقَالَ:: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِي سَفَرِي هَذَا مِنَ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا الْمَسِيرَ، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَ الْأَرْضِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ اصْحَبْنَا فِي سَفَرِنَا، وَاخْلُفْنَا فِي أَهْلِنَا»، وَكَانَ يَقُولُ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ: «آيِبُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَائِبُونَ، عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»[٣].

---

(١) مسلم، برقم ١٣٤٢، ورقم ١٣٤٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) أبو داود، برقم ٢٥٩٩، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٧/ ٣٥١، برقم ٢٣٣٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٤٧، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٣/ ١٥٧، برقم ٢٧٣٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٧٢٥-وفي رواية لمسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ ﷺ[١]، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْنِ ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الأَهْلِ وَالْمَالِ»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**الله أكبر**» أي: أكبر من كل كبير فهو ﷻ كبير الشأن، كبير القدر، كبير عن مشابهة أحد من خلقه، وقال ابن الأثير رحمه الله: «معناه الله الكَبِير، وقال النحويون: معناه الله أكبر من كل شيء»[٣].

٢-قوله: «**سبحان الذي سخر لنا هذا**»: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: سبحان: تدل على التنزيه: يعني تنزيه الله ﷻ عن الحاجة، وعن النقص»[٤]، وقال ابن الجوزي رحمه الله: «سخّر: بمعنى ذلّل لنا هذا المركوب، نجري به حيث نشاء»[٥].

٣-قوله: «**وما كنا له مقرنين**»: قال الطيبي رحمه الله: «مقرنين: مطيقين مقتدرين، ... وهو اعتراف بعجزه، وأن تمكنه من الركوب عليه بإقدار الله تعالى، وتسخيره إياه»[٦].

٤-قوله: «**وإنا إلى ربنا لمنقلبون**»: قال الطيبي رحمه الله: «ومنقلبون: راجعون إليه،

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٦٧٣ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، برقم ١٣٤٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤/ ٥٢، مادة (كبر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٧٤.

(٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٦٨٢، وتقدم شرحها مستوفى في المفردة رقم ٤ من حديث المتن ٢٠٦.

(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٢. وتقدم شرحها مستوفى في المفردة رقم ٥ من حديث المتن ٢٠٦.

وفيه تنبيه على أن السفر الأعظم الذي بصدده، وهو الرجوع إلى الله تعالى»[١].

٥-قوله: «**اللهم إني نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى**»: البر فعل الطاعات والتقوى ترك المعاصي والذنوب[٢]، قال الإمام ابن رجب رحمه الله: «فقدْ يكونُ المرادُ بالبرِّ: معاملةَ الخلقِ بالإحسانِ، وبالتَّقوى: معاملةَ الحقّ بفعلِ طاعتِهِ، واجتنابِ محرماتِه، وقد يكونُ أُريدَ بالبرّ: فعلُ الواجباتِ، وبالتقوى: اجتنابُ المحرماتِ»[٣]، وقال ابن علان رحمه الله: «البر - بكسر الموحدة -: أي: الخير، والفضل، أو عمل الطاعة، وعليه فعطف قوله: «والتقوى» من عطف العام على الخاص إن أريد بها الكف عن المخالفة، وفعل الطاعة، وإن أريد بها الكفّ عن المعصية، فهو من عطف المغاير، وسؤال ذلك فيه؛ لأن السفر مظنة ترك البرّ والتقوى إلا بتأييد من الله سبحانه»[٤].

٦-قوله: «**ومن العمل ما ترضى**»: أي: بكونه خالصًا صوابًا، كقوله: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾[٥]. قال ابن علان رحمه الله: «ومن العمل ما ترضى) أي ما تحبه وتقبله»[٦].

٧-قوله: «**اللهم هون علينا سفرنا هذا**»: أي: يسره لنا، قال ابن علان رحمه الله: «اللهم هون علينا سفرنا: أي: مشقته، أو المشقة فيه، ووصفه بقوله: «هذا» لما تقدم»[٧].

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٢، وتقدم شرحها مستوفى في المفردة رقم ٦ من حديث المتن ٢٠٦.
(٢) فقه الأدعية والأذكار ص ٢٦٥، وقال: هذا عند اجتماعهما أما إذا انفردا فإن كل كلمة لها معنى آخر.
(٣) تفسير ابن رجب الحنبلي، ١/ ٣٨٢.
(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٨٩.
(٥) سورة الملك، الآية: ٢.
(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٨٩.
(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٨٩.

٨-قوله: «**واطو عنا بعده**»: أي قصر لنا مسافته، قال الطيبي رحمه الله: «عبارة عن تيسير السير بمنح القوة له، ولمركوبه، وأن لا يرى ما يزعجه ويوقعه في التعب »[(١)]، وقال ابن علان رحمه الله: «واطو: بوصل الهمزة: أي: أزل، أو ادفع عنا بعده أي: حقيقةً أو حكماً»[(٢)].

٩-قوله: «**الصاحب في السفر**»: المراد بالصحبة هي المعية الخاصة التي يترتب عليها: الحفظ، والرعاية، والعون، والتوفيق»، قال الطيبي رحمه الله: «الصاحب هو الملازم، وأراد ذلك مصاحبة الله إياه بالعناية والحفظ، والاستئناس بذكره، والدفاع لما ينوبه من النوائب»[(٣)]، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «الصاحب في السفر يعني تصحبني في سفري، تيسره علي: تسهله علي»[(٤)].

١٠-قوله: «**والخليفة في الأهل**»: أي: عليك وحدك المعتمد في حفظ أهلي بعدما بذلت لهم أسباب الحفظ من توفير مسكن وملبس ومال، قال الطيبي رحمه الله: «هو الذي ينوب عن المستخلف، يعني أنت الذي أرجوه وأعتمد عليه في سفري، وفي غيبتي عن أهلي، بأن يكون معيني وحافظي، وأن يلم شعثهم، ويداوي سقمهم، ويحفظ عليهم دينهم وأمانتهم»[(٥)]. ، وقال ابن علان رحمه الله: «والخليفة: أي: المعتمد عليه، والمفوض إليه حضوراً وغيبة في الأهل، ولا يطلق عليه كل من الصاحب والخليفة من غير قيد... الخليفة: هو الذي ينوب عن المستخلف عنه، والمعنى: أنت الذي أرجوه، وأعتمد عليه في غيبتي عن أهلي أن يلم شعثهم، ويداوي سقيمهم، ويحفظ

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٢.
(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٨٩.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٣.
(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٧٢.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٣.

عليهم دينهم وأمانتهم»[١].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «الخليفة في الأهل من بعدي تحوطهم برعايتك، وعنايتك، فهو جل وعلا مع الإنسان في سفره، وخليفته في أهله؛ لأنه جل وعلا بكل شيء محيط، والله الموفق»[٢].

١١-قوله: «**اللهم إني أعوذ**»: قال ابن علان رحمه الله: «أي: اعتصم»[٣]، وقال أيضاً: «المراد الاستعاذة من كل منظر يعقب النظر إليه الكآبة فهو من قبيل إضافة المسبب إلى السبب»[٤].

١٢-قوله: «**وعثاء السفر**»: أي: مشقته وعناءه، قال الإمام النووي رحمه الله: «الوَعْثاء - بفتح الواو، وإسكان العين، وبالثاء المثلثة، وبالمدّ: هي الشِدّة، وعثاء السفر : تعبه ومشقته وشدته»[٥]، وقال القاضي عياض رحمه الله: «شدته ومشقته، وأصله من الوَعْث، وهو الدَّهش، وهو الرمل الرقيق، والمشي فيه يشتد على صاحبه، فجعله مثلاً لكل ما يشق على صاحبه»[٦].

١٣-قوله: «**وكآبة المنظر**»: أي: سوء الحال الذي يترتب عليه الهم والحزن، قال الإمام النووي رحمه الله: «والكآبة - بفتح الكاف وبالمدّ-: هو تغيُّر النفس من حزن ونحوه»[٧]، وقال ابن الأثير رحمه الله: «كآبة المنظر الكآبة : الحزن»[٨]، وقال النووي رحمه الله: «الكآبة تغير النفس بالانكسار من شدة الوهم

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٨٩.
(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٧٢.
(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٨٩.
(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٩٠.
(٥) جامع الأصول، ٤/ ٢٨٤.
(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤/ ٤٥٢.
(٧) الأذكار النووية للإمام النووي، ص ٢٧٨.
(٨) جامع الأصول، ٤/ ٢٨٤.

والحزن، وقيل المراد منه الاستعاذة من كل منظر تعقبه الكآبة عند النظر إليه»[١].

١٤-قوله: «**سوء المنقلب**»: أي: الرجوع من السفر فأجد ما يحزنني في أهل أو مال أو غير ذلك، قال الطيبي رحمه الله: «أي: ينقلب إلى وطنه، فيلقى ما يكتئب منه من أمر أصابه في سفره، أو ما تقدم عليه، مثل أن يعود غير مقضي الحاجة، أو أصابت ماله آفة، أو يقدم على أهله فيجدهم مرضى، أو قد فقد بعضهم»[٢].

١٥-قوله: «**في المال والأهل**»: قال ابن علان رحمه الله: «المراد بالأهل أهل البيت من الزوجة والخدم والحشم. قال ميرك: استعاذ من أن ينقلب إلى وطنه فيلقى ما يكتئب به من سوء أصابه في سفره كأن يرجع غير مقضي الحوائج، أو يصيب ماله آفة، أو كأن يقدم أهله فيجدهم مرضى أو يفقد بعضهم، قال في «الحرز»: أو يرى بعضهم على المعصية»[٣].

١٦-قوله: «**آيبون**»: أي: نحن آيبون من آب إذا رجع والمراد راجعون سالمين غانمين»، قال ابن عبد البر رحمه الله: «وَمَعْنَى آيِبُونَ: رَاجِعُونَ»[٤].

١٧-قوله: «**تائبون**»: أي: من كل ذنب وخطيئة، قال ابن عبد البر رحمه الله: «وَمَعْنَى تَائِبُونَ: أَيْ: مِنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ عَائِدُونَ، بِمَا افْتَرَضَهُ عَلَيْهِمْ، وَرَضِيَهُ مِنْهُمْ»[٥].

١٨-قوله: «**عابدون**»: أي مخلصين العبادة لله وحده، فهو المستحق لها، قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى»[٦].

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٣.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٣.
(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٩٠.
(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٣/ ٣٢٧.
(٥) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٣/ ٣٢٧.
(٦) مفردات ألفاظ القرآن، ٢/ ٥٧، مادة (عبد).

١٩-قوله: «**لربنا حامدون**»: أي: على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ما ظهر منها وما بطن، قال ابن عبد البر رحمه الله: «حَامِدُونَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ»[(١)]، وقال ابن علان رحمه الله: «ففيه مقابلة النعم الإلهية بالخدم على قدر الطاقة، والبداءة بالإياب إلى الله تعالى من المخالفة لأنها كالتخلية بالمعجمة، ثم التوجه إلى صالح العمل، ثم حمد الله على التوفيق له وتيسيره»[(٢)].

٢٠-قوله: «**الحور بعد الكور**»: قال الطيبي رحمه الله: «أي: من النقصان بعد الزيادة، وقيل: من فساد أمورنا بعد صلاحها، وقيل: من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنا منهم، وأصله من نقض العمامة بعد لفها»[(٣)].

٢١-قوله: «**والحور بعد الكون**»: وقال النووي رحمه الله: «ورواية النون أكثر، وهي التي في أكثر أصول صحيح مسلم، بل هي المشهورة فيها»[(٤)]، وقال الطيبي رحمه الله: «والكون: الحصول على حالة جميلة، يريد التراجع بعد الإقبال»[(٥)]، وقال الشيخ مبارك: «من الحور بعد الكون» استعاذة من الهبوط بعد الرفعة، لأن السفر مظنة التفريط والظلم. ورواية الرَّاء استعاذة من النقض بعد الإبرام»[(٦)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-استحباب قول هذا الدعاء عند بداية السفر بعد الاستواء على المركب لقول الراوي«إن الرسول ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبر ثلاثًا ثم قال: «...».

٢-استحباب قول هذا الدعاء عند الرجوع من السفر مع الزيادة التي في آخر

---

(١) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٣/ ٣٢٧.
(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٣٠٧.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٣.
(٤) الأذكار النووية للإمام النووي، ص ٢٧٨.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٤.
(٦) تطريز رياض الصالحين، ص ٥٧٠.

الحديث لأن العودة سالمًا نعمة كبرى توجب الحمد.

٣-قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِي هَذَا الْحَدِيث: اِسْتِحْبَاب هَذَا الذِّكْر عِنْد اِبْتِدَاء الْأَسْفَار كُلّهَا ، وَقَدْ جَاءَتْ فِيهِ أَذْكَار كَثِيرَة»[١].

٤-السفر وإن توفرت فيه وسائل الراحة فهو كما قال النبي ﷺ: «**السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه**»[٢] وقد شُرع لنا التعوذ مما يسوء المسافر جملة وكان من دعائه أيضًا أنه يتعوذ عند سفره من «**الحور بعد الكور ودعوة المظلوم**»[٣] والمعنى: الرجوع من الإيمان إلى الكفر أو من الزيادة إلى النقص.

٥-قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنا إلى ربنا لمنقلبون: هذه الجملة جملة عظيمة، كأن الإنسان لما ركب مسافراً على هذه الذلول، أو الفلك كأنه يتذكر السفر الأخير من هذه الدنيا، وهو سفر الإنسان إلى الله ﷻ إذا مات، وحمله الناس على أعناقهم»[٤].

٦-الجزء الأخير من الدعاء وهو قوله: «**آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون**» يسن للمسلم قوله وتكراره إذا قارب على العودة إلى بلدته لقول أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ لما أشرف على المدينة قال: «**آيبون ....**» فلم يزل يقولها حتى دخل المدينة[٥].

٧-قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفيه تنبيه على أن السفر الأعظم الذي بصدده، وهو الرجوع إلى الله تعالى، فهو أهم بأن يهتم به، ويشتغل بالاستعداد له قبل نزوله»[٦].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ٤٩٦.

(٢) البخاري، كتاب العمرة، باب السفر قطعة من العذاب، برقم ١٨٠٤.

(٣) مسلم، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، برقم ١٣٤٣.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم٩٧٢.

(٥) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يقول إذا رجع من الغزو، برقم ٣٠٨٥.

(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٢.

٨-يستحب للمسافر أن يكثر من الدعاء أثناء سفره، وأن يتحلل من المظالم قبل سفره، قال النبي ﷺ: «**ثلاث دعوات مستجابات، لاشك فيهن: دعوة الوالد على ولده ودعوة المسافر ودعوة المظلوم**»(١).

٩-يستحب للمسافر إذا قدم من سفره أن يصلي ركعتين؛ لأن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين(٢) وتكون هذه الصلاة قبل دخوله على أهله وهي من السنن التي يغفل عنها كثير من الناس.

١٠-قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «كيف نبههم بالسفر الحسي على السفر إليه، وجمع لهم بين السفرين، كما جمع لهم الزادين في قوله ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾(٣) فجمع لهم بين زاد سفرهم، وزاد معادهم، وكما جمع بين اللباسين في قوله: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾(٤) فذكر سبحانه زينة ظواهرهم وبواطنهم، ونبههم بالحسي على المعنوي، وفهم هذا القدر زائد على فهم مجرد اللفظ، ووضعه في أصل اللسان، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد، ١٤/ ٢٤٣، برقم ٨٥٨١، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء بظهر الغيب، برقم ١٥٣٦، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما ذكر في دعوة المسافر، برقم، ٣٤٤٨، وحسنه لغيره محققو المسند، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣١٣٢.

(٢) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الصلاة إذا قدم من سفر، برقم ٣٠٨٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

(٥) إعلام الموقعين، ١/ ٢٢٧.

١١-المتدبر لهذه النعم حينما يركب وسيلة للسفر يتذكر سفر الآخرة لأن الإنسان في هذه الدار مسافر إلى ربه، قال الله ﷻ: ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[1]، ولذلك جاء في الآية: ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾.

* * *

(١) سورة الانشقاق، الآية: ٦.

٩٧ – دُعَاءُ دُخُولِ القَرْيَةِ أوِ البَلْدَةِ

٢٠٨-«اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ، أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ أَهْلِهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا»[(١)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٢٦-لفظ الحاكم أَنَّ كَعْبًا[(٢)] حَدَّثَهُ، أَنَّ صُهَيْبًا ﷺ[(٣)] صَاحِبَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَرَ قَرْيَةً يُرِيدُ دُخُولَهَا إلاَّ قَالَ حِينَ يَرَاهَا: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ أَهْلِهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا»[(٤)].

---

(١) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ٢/١٠٠، وابن السني، برقم ٥٢٤، والسنن الكبرى للنسائي، كتاب السير، الدعاء عند رؤية القرية التي يريد دخولها، برقم ٨٨٢٦، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي، ٨/ ٧٣، وحسنه، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب، برقم ١٧٩، وحسّنه الحافظ في تخريج الأذكار، ٥/١٥٤، قال العلامة ابن باز رحمه الله: «ورواه النسائي بإسناد حسن». انظر: تحفة الأخيار، ص٣٧.

(٢) كعب بن ماتع الحميري، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار، قرأ الكتب، وأسلم في خلافة عمر بن الخطاب، ثقة من الثانية، مخضرم كان من أهل اليمن، فسكن الشام، مات في آخر خلافة عثمان وقد زاد على المائة، سنة أربع وثلاثين. انظر: مشاهير علماء الأمصار، ص ١١٨، وتقريب التهذيب، ٣/ ٣٨٣.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣١، من أحاديث الشرح.

(٤) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ٢/١٠٠، وحسّنه الحافظ في تخريج الأذكار، ٥/١٥٤، وصححه الألباني في الكلم الطيب، برقم ١٧٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٧٢٧-ولفظ النسائي عن مَالِكٍ[١]، «أَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ قِرَاءَةَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، وَهُوَ يَؤُمُّ النَّاسَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ دَارِ أَبِي جَهْمٍ، وَقَالَ كَعْبُ الأَحْبَارِ: وَالَّذِي فَلَقَ الْبَحْرَ لِمُوسَى؛ لأَنَّ صُهَيْبًا حَدَّثَنِي أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَرَى قَرْيَةً يُرِيدُ دُخُولَهَا، إِلاَّ قَالَ حِينَ يَرَاهَا: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا»، وَحَلَفَ كَعْبٌ بِالَّذِي فَلَقَ الْبَحْرَ لِمُوسَى؛ لأَنَّهَا كَانَتْ دَعَوَاتِ دَاوُدَ ﷺ حِينَ يَرَى الْعَدُوَّ»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «قرية»: اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس من المساكن والأبنية وقد تطلق على المدن لقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾[٣] قيل هي أنطاكية، وسميت مكة أم القرى أي: أم المدن، وقال ابن الأثير رحمه الله: «والقَرْيَة مِنَ الْمَسَاكِنِ والأبنِيَة: الضِيَاع، وَقَدْ تُطلَق عَلَى المُدُن»[٤]، وقال الفيروزأبادي رحمه الله: «القرية يفتح ويكسر: المصر الجامع، والنسبة: قرئي، وقروي جمع: قرى»[٥].

---

(١) مالك بن أبي عامر: حليف عثمان بن عبيد الله التيمي القرشي، من أهل المدينة، كنيته أبو أنس، وهو جد مالك بن أنس، يروي عن عمر، وعثمان، وطلحة، روى عنه سليمان بن يسار، وابنه نافع بن مالك، وكان فيمن فرض له عثمان، وهو حليف بني تيم، ثقة من الثانية مات سنة أربع وسبعين على الصحيح. انظر: الثقات لابن حبان، ٣/ ٢٦، وتقريب التهذيب، ٤/ ٧٠.

(٢) السنن الكبرى للنسائي، برقم ٨٨٢٦، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي، ٨/ ٧٣، وحسنه، والعلامة ابن باز رحمه الله في تحفة الأخيار، ص٣٧.

(٣) سورة يس، الآية: ١٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٥٦، مادة (قري).

(٥) القاموس المحيط، ص ١٧٠٦، مادة (قري).

٢-قوله: «**اللهم رب السموات السبع**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «الرَّبُّ يُطْلَقُ فِي اللُّغة عَلَى المالِك، وَالسَّيِّدِ، والمُدَبِّر، والمُرَبِّي، والقَيِّم، والمُنْعِم، وَلَا يُطلَقُ غيرَ مُضاف إلاَّ عَلَى اللَّهِ تَعالَى، وَإِذَا أُطلِقَ عَلَى غَيره أُضِيف، فَيُقَالُ رَبُّ كَذَا»[١]، وإن الله رب كل شيء، ومالكه، والسموات جعلهن سبعاً، قال ابن جرير رحمه الله: «إن ربكم الذي له عبادة كل شيء، ولا تنبغي العبادة إلا له، هو الذي خلق السموات السبع»[٢].

٣-قوله: «**وما أظللن**»: من الإظلال: أي: ما ارتفعت عليه وعلت وكانت له كالظلة، قال ابن الأثير رحمه الله: «والظِّلّ: الفَيْءُ الحاصِلُ مِنَ الحاجِزِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الشَّمْسِ أيَّ: شَيْءٍ كانَ. وَقِيلَ: هُوَ مَخْصوصٌ بِمَا كَانَ مِنْهُ إِلَى زَوَالِ الشَّمْسِ، وَمَا كَانَ بَعْدَهُ فَهُوَ الفَيْءُ»[٣].

٤-قوله: «**ورب الأرضين السبع**»: قال ابن جرير رحمه الله: «إن ربكم الذي له عبادة كل شيء، ولا تنبغي العبادة إلا له، هو الذي خلق السموات السبع، والأرضين السبع في ستة أيام، وانفرد بخلقهما بغير شريك، ولا ظهيرٍ»[٤].

٥-قوله: «**وما أقللن**»: من الإقلال والمراد ما حملته على ظهرها من الناس والدواب والأشجار وغير ذلك، قال ابن الأثير رحمه الله: «أَقَلَّ الشيءَ يُقِلُّه، واسْتَقَلَّه يَسْتَقِلُّه إِذَا رَفعه وَحَمَلَهُ»[٥]، وقال الزبيدي رحمه الله: «من: مَلَك، وجِنٍّ، وإنسٍ، وشيطانٍ، ووحشٍ، وسبعٍ، وطيرٍ: أوَّلهم، وآخرهم بحيث لا يشذُّ منهم أحد»[٦].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ١٧٩، مادة (ربب).
(٢) تفسير الطبري، ١٥/ ١٨، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٢ من حديث المتن رقم ١٠٧.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ١٥٩، مادة (ظل).
(٤) تفسير الطبري، ١٥/ ١٨، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٢ من حديث المتن رقم ١٠٧.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ١٠٤، مادة (قل).
(٦) إتحاف السادة المتقين للزبيدي، ٢/ ٤٥٢.

٦-قوله: «ورب الشياطين»: الشيطان: من الشطن: البعد، أي بَعُد عن الخير... كأنه طال في الشر[١]، وقال ابن علان رحمه الله: «الشيطان: العاتي المتمرّد، من شاط احترق، أو من شطن بعد»[٢].

٧-قوله: «وما أضللن»: من الإضلال وهو الإغواء والصد عن سبيل الله، قال ابن الأثير رحمه الله: «وأَضْلَلْتُهُ إِذَا ضَيَّعتَه، وضَلَّ النَّاسِي إِذَا غَاب عَنْهُ حِفظُ الشيءِ. وَيُقَالُ: أَضْلَلْتُ الشيءَ إِذَا وجدتَه ضالّاً، كَمَا تقولُ: أَحْمَدْتُه، وأَبْخَلْتُه إِذَا وَجَدْتَه مَحْموداً وبَخِيلاً... ومنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى قومَه فأَضَلَّهُم أَيْ: وجَدَهم ضُلَّالاً غيرَ مُهْتَدِينَ إِلَى الحقِّ»[٣]، وقال الزبيدي رحمه الله: «أضللن: أي: أغوين»[٤].

٨-قوله: «ورب الرياح»: قال الفيومي رحمه الله: «الرِّيحُ: الْهَوَاءُ الْمُسَخَّرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...وَالْجَمْعُ أَرْوَاحٌ وَرِيَاحٌ»[٥].

٩-قوله: «وما ذرين»: أي: أطارته كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾[٦] يقال: ذرته الرياح وأذرته وتذره[٧]، وقال ابن الأثير رحمه الله: «ذَرَتْهُ الرِّيح، وأَذْرَتْهُ تَذْرُوهُ، وتُذْرِيهِ: إِذَا أَطَارَتْهُ. وَمِنْهُ تَذْرِيَةُ الطَّعام»[٨].

١٠-قوله: «أسألك» أي: أتوسل إليك، وأدعوك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «سؤال الله، والتوسل إليه بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وفعل ما يحبه»[٩].

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٧٤، مادة (شطن)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٧ من الحديث رقم ١ من أحاديث المتن في المقدمة في فضل الذكر.
(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١/ ٢٣٢، وتقدم في المفردة رقم ٨ من حديث المتن رقم ١٩٣.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (ضلل).
(٤) إتحاف السادة المتقين للزبيدي، ٦/ ٤٠٥.
(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٢٤٤، مادة (روح).
(٦) سورة الكهف، الآية: ٤٥.
(٧) فقه الأدعية والأذكار، ص ٢٧١.
(٨)النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٥٩، مادة (ذرّ).
(٩) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ٢/ ٣٢٢، وتقدم في شرح المفردة الثالثة من =

١١-قوله: «**خير هذه القرية**»: أي: السلامة فيها والعوذ من وبائها ووحمها.

١٢-قوله: «**وخير أهلها**»: أي: الاجتماع مع الصالحين والعلماء والتعارف بهم.

١٣-قوله: «**وخير ما فيها**»: أي: من العلم، والحكمة، والأمور الراجعة إلى المنافع الدينية والدنيوية.

١٤-قوله: «**وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها**»: قال المناوي رحمه الله: «أَي: شَرّ مَا اسْتَقر من الْأَوْصَاف، وَالْأَحْوَال الْخَاصَّة بهَا، وَشر مَا فِيهَا: أَي: شَرّ مَا وَقع فِيهَا، وسيق إِلَيْهَا»[١].

١٥-قوله: «**فَلَقَ الْبَحْرَ لِمُوسَى**»: قال ابن منظور رحمه الله: «الفَلْق: الشَّقُّ، والفَلْق مَصْدَرُ فَلَقَه يَفْلِقُه فَلْقاً شَقَّهُ، والتَّفْليقُ مِثْلُهُ، وفَلَّقَهُ فانْفَلَقَ وتَفَلَّقَ، والفِلَقُ: مَا تَفَلَّق مِنْهُ...، الفُلُوق: الشُّقُوقُ، وَاحِدُهَا فَلَقٌ، مُحَرَّكٌ؛ ... وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ أَراد فانْفَرَق البحرُ، فَصَارَ كَالْجِبَالِ العِظام وَصَارُوا فِي قَرَاره»[٢].

١٦-قوله: «**موسى...** »: من أنبياء بني إسرائيل، وهو نبي الله ورسوله، وصفيه، وكليمه، والآيات في فضله، وتكريم الله تعالى، والثناء عليه، وأنواع مكارمه معلومة»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-بيان عظيم قدرة الله ﷻ والتي لو تأملها العبد من خلال كلمات هذا الذكر المبارك لوقر في قلبه تعظيم الرب، ولما تجرأ على معصيته.

=

مفردات حديث المتن رقم ١٧٧.

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير، ٢/ ٢٤٨.

(٢) لسان العرب، ١٠/ ٣٠٩، مادة (فلق).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات، ٢/ ١١٨.

٢-مشروعية التوسل إلى الله ﷻ بربوبيته بهذه المخلوقات الدالة على إحاطته بالكون كله العلوي منه، والسفلي، وأنه لا تخفى عليه خافية، وأنه قد أحاط بكل شيء علمًا.

٣-اللجوء إلى الله حصن يتحصن به المسلم في جميع أحواله حضرًا وسفرًا لعموم قول الله ﷻ: ﴿**فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[(١)].

٤-الحث على رفقة أهل الفضل والديانة لأنهم يذكرون العبد بربه وهم عون له على طاعة الله، وقد قال النبي ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[(٢)].

***

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٦٤.

(٢) أخرجه أحمد، ١٧/ ٤٣٧، برقم ١١٣٣٧، وأبو داود، برقم ٤٨٣٢، والترمذي، برقم ٢٣٩٥، وقال: «حسن صحيح» وحسنه محققو المسند، ١٧/ ٤٣٧، والعلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٠٣٦.

٩٨ - دُعَاءُ دُخُولِ السُّوقِ

٢٠٩- «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٢٨-لفظ الترمذي عَنْ عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٢]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ»[٣].

٧٢٩-ورواية أخرى للترمذي أيضاً عَنْ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ فِي السُّوقِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،

---

(١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا دخلت السوق، برقم ٣٤٢٨، ورقم ٣٤٢٩، وابن ماجه، كتاب التجارات، باب الأسواق ودخولها، برقم ٢٢٣٥، وأحمد ١/ ٤١٠، برقم ٣٢٧، والحاكم، ١/ ٥٣٨، وصححه، وقوّاه عدد من العلماء، كالإمام البغوي، في شرح السنة، ٥/ ١٣٢، والنووي، في المجموع، ٤/ ٦٥٢، والمنذري في الترغيب والترهيب، ٢/ ٣٣٧، وابن القيم في حاشيته على سنن أبي داود، ١٣/ ٢٨٥، والزين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، ٢/ ١٣٣، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١٨١٧، وفي صحيح الترمذي، برقم ٢٧٢٦. وتكلم فيه عدد من العلماء، كالحافظ ابن حجر في فتح الباري، ١١/ ٢٠٦ حيث قال: «في سنده لين» وضعفه محققو المسند، ١/ ٤١١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٦١ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٢٨، وقواه الإمام النووي في المجموع، ٤/ ٦٥٢، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٢٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»[(١)].

٧٣٠-عَنْ سَلْمَانَ ﷺ، قَالَ: «لَا تَكُونَنَّ إِنِ اسْتَطَعْتَ، أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصِبُ رَايَتَهُ، قَالَ: وَأُنْبِئْتُ أَنَّ جِبْرِيلَ ؑ، أَتَى نَبِيَّ اللهِ ﷺ، وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ ؓ، قَالَ: فَجَعَلَ يَتَحَدَّثُ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ لِأُمِّ سَلَمَةَ ؓ: «مَنْ هَذَا؟» أَوْ كَمَا قَالَ: قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ، قَالَ: فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ ؓ: ايْمُ اللهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ - يُخْبِرُ خَبَرَنَا، أَوْ كَمَا قَالَ، قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي عُثْمَانَ: مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ»[(٢)].

٧٣١-عَنْ سَلْمَانَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا تَكُنْ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَفِيهَا بَاضَ الشَّيْطَانُ وفَرَّخَ»**[(٣)].

٧٣٢-وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: **«أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا»**[(٤)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**من دخل السوق**» قال الطيبي رحمه الله: «إنما خص السوق بالذكر؛ لأنه مكان الاشتغال عن الله، وعن ذكره بالبيع والشراء، فمن ذكر الله تعالى فيه دخل في زمرة من قيل في حقه: ﴿**رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾[(٥)]»[(٦)].

---

(١) الترمذي، برقم ٣٤٢٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم سلمة ؓ، برقم ٢٤٥١.

(٣) المعجم الكبير، ٦/ ٢٤٨، برقم ٦١١٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٤/ ٧٧: «فيه القاسم بن يزيد، فإن كان هو الجرمي، فهو ثقة، وبقية رجاله رجال الصحيح» وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ٧/ ٣٧٩، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، ١٤/ ١١٨٠، تحت الرقم ٧٠٧٣.

(٤) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، وفضل المساجد، برقم ٦٧١.

(٥) سورة النور، الآية: ٣٧.

(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٩

٢-قوله: «**لا إله إلى الله وحده لا شريك له**»: أي: هو المنفرد بالخلق والرزق والملك والتدبير فلا منازع له في ملكه، وهو المتفرد باستحقاق العبودية بحق، وقال العلامة سليمان بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا معبود بحق إلا إله واحد، وهو الله وحده لا شريك له... فصح أن معنى الإله هو المعبود ... فهذا هو معنى لا إله إلا الله، وهو عبادة الله، وترك عبادة ما سواه، وهو الكفر بالطاغوت، وإيمان بالله، فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سوى الله ليس بإله، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره، فتضمنت نفي الإلهية عما سواه، وإثباتها له وحده لا شريك له، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه إلهًا وحده، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهًا»[(١)].

٣-قَوْلُهُ: «**لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ**»: أي: جميع الممالك بيده العلوية والسفلية كلها تحت قبضته ولا يقع فيها شيء إلا على وفق تقديره وإرادته، قال الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ**: تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدِ، لِأَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْجِنْسِ، فَجُعِلَ جِنْسُ الْمُلْكِ وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ، وَجَعَلَ جَمِيعَ الْحَمْدِ لِلَّهِ جَلَّ؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ عَلَى الْحَقِيقَةِ سِوَاهُ، وَإِنَّمَا يُحْمَدُ غَيْرُهُ لِمَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُحْمَدَ»[(٢)].

٤-قوله: «**يحيي ويميت**»: أي: هو المنفرد بالإحياء والإماتة فلا تموت نفس بسبب أو بغير سبب إلا بإذنه[(٣)] قال الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[(٤)]، قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «يحيي ما يشاء من

---

(١) تيسير العزيز الحميد، ص ٥٢، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٦ من حديث المتن رقم ٢٠٥.
(٢) المنتقى، شرح الموطأ للباجي، ٣ / ٧٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من حديث المتن رقم ١٥٢.
(٣) تفسير السعدي، ص ٧٤٢.
(٤) سورة غافر، الآية: ٦٨.

الخلق، بأن يوجده كيف يشاء، وذلك بأن يحدث من النطفة الميتة حيواناً، بنفخ الروح فيها من بعد تارات يقلبها فيها، ونحو ذلك من الأشياء، ويميت ما يشاء من الأحياء بعد الحياة، بعد بلوغه أجله فيفنيه»(١).

٥-قوله: «**وهو حي لا يموت**»: أي: لا تعتريه هذه الآفات الدالة على العجز والنقص فهو منزه عن ذلك لأنه هو خالق الموت والحياة، قال الطيبي رحمه الله: «**وهو حي لا يموت**»: ينفي عن الله تعالى ما ينسب إلى المخلوقين»(٢)، وقال ابن جرير رحمه الله: «معنى ذلك عندي: أنه وصف نفسه بالحياة الدائمة التي لا فناءَ لها، ولا انقطاع، ونفى عنها ما هو حالٌّ بكل ذي حياة من خلقه: من الفناء، وانقطاع الحياة عند مجيء أجله، فأخبر عبادَه أنه المستوجب على خلقه العبادة، والألوهة، والحي الذي لا يموت، ولا يبيد، كما يموت كل من اتخذ من دونه ربًّا، ويبيد كلُّ من ادعى من دونه إلهًا، واحتج على خلقه بأن من كان يبيد فيزول، ويموت فيفنى، فلا يكون إلهًا يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد ولا يموت، وأنّ الإله، هو الدائم الذي لا يموت، ولا يبيد، ولا يفنى، وذلك الله الذي لا إله إلا هو»(٣).

٦-قوله: «**بيده الخير**»: أي: والشر أيضًا، إنما قال ذلك تأدبًا مع ربه عز وجل، فهو خالق الخير والشر، وكل أفعاله لها حكم بالغة، قال الطيبي رحمه الله: بيده الخير» أي: أن هذه الأشياء التي يطلبونها من الخير في يده، وهو على كل شيء قدير»(٤)، لكن الشر لا ينسب إليه لقول النبي ﷺ: «والشر ليس إليك»؛ لأنه لا يأتي منه إلا خير، والشر المحض الذي لا خير فيه لا ينسب إلى الله عز وجل،

---

(١) تفسير الطبري، ٢٣/ ١٦٥.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٩.
(٣) تفسير الطبري، ٦/ ١٥٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٠ من مفردات حديث المتن رقم ٦٧.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٩.

وقال ابن رجب رحمه الله: «إنه سبحانه الغني بذاته عمن سواه، وله الكمال المطلق في ذاته وصفاته، وأفعاله، فملكه ملك كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه على أي وجه كان، ومن الناس من قال إن إيجاده لخلقه على هذا الوجه الموجود أكمل من إيجاده على غيره، وهو خير من وجوده على غيره، وما فيه من الشر فهو شر إضافي نسبي بالنسبة إلى بعض الأشياء دون بعض، وليس شراً مطلقاً بحيث يكون عدمه خيراً من وجوده من كل وجه، بل وجوده خير من عدمه»[1].

٧-قوله: «**وهو على كل شيء قدير**»: قال ابن جرير: «وهو على إحيائكم بعد مماتكم، وعقابكم على إشراككم به الأوثانَ وغير ذلك مما أراد بكم، وبغيركم قادرٌ»[2]، ... وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «كل يوم هو في شأن: يغفر ذنباً، ويفرّج كرباً، ويفكّ عانياً، وينصر مظلوماً، ويقصم ظالماً، ويرحم مسكيناً، ويغيث ملهوفاً، ويسوق الأقدار إلى مواقيتها، ويجريها على نظامها، ويقدم ما يشاء تقديمه، ويؤخر ما يشاء تأخيره، فأزمّة الأمور كلها بيده، ومدار تدبير الممالك كلها عليه، وهذا مقصود الدعوة، وزبدة الرسالة»[3].

٨-قوله: «**وهو على كل شيء قدير**»: أي: له القدرة المطلقة؛ فإذا أراد شيئًا أنفذه، لا راد لحكمه، ولا معقب لأمره عز وجل.

٩-قوله: «**كتب الله له ألف ألف حسنة**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «يُقَالُ: كَتَبَ يَكْتُب كِتَاباً وكِتَابَة. ثُمَّ سُمّي بِهِ المَكْتُوب، ومنه... «كِتَابُ اللهِ القِصَاصُ» أَيْ: فَرْضُ اللَّهِ عَلَى لِسَان نَبِيّه»[4]، وقال الإمام النووي رحمه الله: «الْحَسَنَة فِي الدُّنْيا أَنَّهَا:

---

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ٢٢٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١١ من مفردات حديث المتن رقم ٦٧.

(٢) تفسير الطبري، ١٥/ ٢٣٢.

(٣) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ٣/ ٣٤٩، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٦٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ١٤٧، مادة (كتب).

الْعِبَادَة، وَالْعَافِيَة، وَفِي الْآخِرَة: الْجَنَّة، وَالْمَغْفِرَة، وَقِيلَ: الْحَسَنَة تَعُمّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة»[١]، وألف ألف حسنة تساوي بالأعداد في وقتنا الحاضر مليون حسنة.

١٠-قوله: «**ومحا ألف ألف سيئة**»: قال ابن منظور رحمه الله: «مَحَا الشيءَ يَمْحُوه، ويَمْحَاه مَحْواً، ومَحْياً: أَذْهَبَ أَثَرَه... المَحْوُ لِكُلِّ شَيْءٍ يَذْهَبُ أَثرُه، تَقُولُ: أَنَا أَمْحُوه وأَمْحاه، وطيء تَقُولُ مَحَيْتُه مَحْياً ومَحْواً»[٢]، وقال الصنعاني رحمه الله: «محاها من صحائفه، أو غفرها، وأغفلها حتى كأن لم يكن، والمراد بها من الصغائر؛ لما تقرر عندهم من أن الكبائر لا يمحوها إلا التوبة»[٣]، وألف ألف سيئة تساوي في أعدادنا الحالية مليون سيئة.

١١-قوله: «**ورفع له ألف ألف درجة**» قال الصنعاني رحمه الله: «ورفع في الجنة، والدرجة رتبه من رتب الإثابة، أو مرقاة حقيقة يصعد عليها غرف الجنة، فرفع الدرجة كناية عن رفع غرفته»[٤].

١٢-قوله: «**بنى الله له بيتاً في الجنة**»: قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «والبناء: اسم لما يبنى بناء»[٥]، وقال المناوي رحمه الله: «بنى الله له: إسناد البناء إليه سبحانه مجاز، وأبرز الفاعل تعظيماً وافتخاراً... وبيتاً في الجنة متعلق ببنى، وفيه أن فاعل ذلك يدخل الجنة؛ إذ القصد ببنيانه له إسكانه إياه»[٦].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-استحباب قول هذا الذكر المبارك عند دخول السوق، وبيان سعة فضل

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ١٤.
(٢) لسان العرب، ١٥/ ٢٧١، مادة (محو).
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ١/ ٢٩٠.
(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ١/ ٢٩٠.
(٥) مفردات ألفاظ القرآن، ١/ ١٢٠، مادة (بني).
(٦) فيض القدير، ٦/ ٩٥.

الله، وكرمه على قائله، فقد جاء في نهاية الحديث: «**كتب له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وبني له بيتًا في الجنة**» ولا حرج على فضل الله.

٢-الحكمة في قول هذا الذكر أن أهل الأسواق قد شغلوا بالتجارة، والمكاسب الدنيوية، والتي يكون معظمها مبني على أيمان كاذبة، فجاء قائل هذا الذكر معظمًا لربه، مثنيًا عليه بجميل صفاته، فأنعم الله عليه بمثل هذا الجزاء العظيم.

٣-إثبات اسم «**الحي**» لله ﷻ، وإثبات صفة الحياة له تبارك وتعالى وهي من الصفات الذاتية، وحياته أكمل حياة، وأتمها ليس كحياة أحد من المخلوقين، فهو حي لا يموت، قيوم لا ينام[1].

٤-«**القدير**» من أسماء الله الحسنى، ومعناه تام القدرة، لا يلابس قدرته عجز بأي وجه من الوجوه. قال ابن القيم:

وهو القدير وليس يعجزه إذا ... ما رام شيئًا قط ذو سلطان[2]

٥-جاء في بعض طرق هذا الحديث قول أحد رواته: فقدمت خرسان فأتيت قتيبة بن مسلم[3] فقلت: أتيتك بهدية، فحدثته بالحديث، فكان يركب في موكبه حتى يأتي السوق فيقول هذا الذكر ثم ينصرف[4].

---

(١) راجع الحديث رقم ٧١ من أحاديث متن هذا الكتاب، المفردة رقم ١، ورقم ٢، ورقم ٣.

(٢) النونية، ٢/٢١٨.

(٣) قتيبة بن مسلم الباهلي: بطل مغوار، تابعي، ثقة، مات في زمن المأمون ٢١٧، انظر: سير أعلام النبلاء، ٤/ ٤١٠، برقم ١٦٠.

(٤) الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ١/٥٣٨، وقال بعده: «هَذَا حَدِيثٌ لَهُ طُرُقٌ كَثِيرَةٌ، تُجْمَعُ، وَفِي أَكْثَرِهَا عَنْ أَبِي يَحْيَى عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَهْرَمَانِ آلِ الزُّبَيْرِ عَنْ سَالِمٍ، وَأَبُو يَحْيَى هَذَا لَيْسَ مِنْ شَرْطِ هَذَا الْكِتَابِ، فَأَمَّا أَزْهَرُ بْنُ سِنَانَ فَإِنَّهُ مِنْ زُهَّادِ الْبَصْرِيِّينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ وَمَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ الْمُخَرَّجِ حَدِيثُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ سَالِمٍ» وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٦-وفيه ما كان عليه الأمراء من محبة السنة وإشاعتها بين الناس.

٧-قال الشيخ العارف أبو عبد الله الحكيم الترمذي: إن أهل السوق قد افترض العدو منهم حرصهم، وشحّهم، فنصب كرسيه، وركز رايته، وبثّ جنوده، ورغبهم في هذا الفاني، فصيرها عدة وسلاحاً لفتنته بين مطفف في كيل، وطايش في ميزان، ومنفق السلعة بالحلف الكذب، وحمل عليهم حملة، فهزمهم إلى المكاسب الردية، وإضاعة الصلاة، ومنع الحقوق؛ فما داموا في هذه الغفلة، فهم على خطر من نزول العذاب، فالذاكر فيما بينهم يرد غضب الله، ويهزم جند الشيطان، ويتدارك بدفع ما حث عليهم بتلك الأفعال، قال الله تعالى: **﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾**[(١)] فيدفع بالذاكرين عن أهل الغفلة، وفي تلك الكلمات نسخ لأفعال أهل السوق»[(٢)].

***

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥١، وانظر: كتاب نوادر الأصول للحكيم الترمذي، ٢/ ١٦١.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٩.

٩٩ - الدُّعَاءُ إِذَا تَعِسَ الـمَرْكُوبُ

٢١٠-«بِسْمِ اللَّهِ»(١).

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٣٣-لفظ أبي داود عَنْ رَجُلٍ(٢)، قَالَ كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَثَرَتْ دَابَّةٌ، فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: «**لَا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ**

---

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب حدثنا مسدد، برقم ٤٩٨٢، والنسائي في الكبرى، عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا عثرت دابته، برقم ١٠٣٨٨، ومسند أحمد، ٣٤/ ١٩٨، برقم ٢٠٥٩١، وأخرجه الحاكم، ٢٩٢/٤، وصححه ووافقه الذهبي، وعبد الرزاق في المصنف، برقم ٢٠٨٩٩، وعمل اليوم والليلة لابن السني، ص ٤٥٨، وأبو يعلى في المعجم، ٨٣/١، برقم ٧١، والطبراني في الكبير، ١٩٤/١، برقم ٥١٦، والضياء المقدسي في المختارة، ١٩٦/٤، برقم ١٤١٢، ورقم ١٤١٣، وقال: «إسناده صحيح» وصححه النووي في الأذكار، ص ٣٨٣، والصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد، ٧/ ٣٨٠، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٣٢/١٠، وصححه محققو المسند، ٣٤/ ١٩٨، وقال الشوكاني في تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص ٢٣٣: «وأخرجه أحمد بإسناد جيد». وصاحب عجالة الراغب المتمني في تخريج كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني، ٢/ ٥٨٤، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٩٤١/٣، وفي صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣١٢٨، و٣١٢٩.

(٢) رجل من أصحاب النبي ﷺ: الجهالة باسم الصحابي لا تضر؛ لأنهم كلهم عدول بتعديل الله، لهم في قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله ﷺ: «خير الناس قرني» [البخاري، برقم ٣٦٥١، [وقال الإمام النووي في الأذكار، ص ٣٨٣: «فإن الرجل المجهول في رواية أبي داود صحابي، والصحابة ﷺ كلُّهم عدولٌ، لا تضرُّ الجَهَالةُ بأعيانهم»]، أما من دونهم من التابعين ومن جاء بعدهم فيلزم البحث عن عدالتهم، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة(٢).[

وجاء عند ابن السني [تعيين] اسم هذا الصحابي الذي أُبهم عند أبي داود، وأنه هو: أسامة بن عمير الهذلي: بصري، له صحبة ورواية، وهو والد أبي المليح الهذلي، واسم أبي المليح عامر بن أسامة ﷺ، ولم يرو عن أسامة هذا إلا ابنه [أبو] المليح الهذلي. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ١/ ٧٨، والإصابة، لابن حجر، ١/ ٥٠.

ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ»[١].

٧٣٤-ولفظ الإمام أحمد عَمَّنْ كَانَ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَهُ عَلَى حِمَارٍ، فَعَثَرَ الْحِمَارُ، فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ: «**لَا تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، تَعَاظَمَ الشَّيْطَانُ فِي نَفْسِهِ،** وَقَالَ: صَرَعْتُهُ بِقُوَّتِي، **فَإِذَا قُلْتَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَصَاغَرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ حَتَّى يَكُونَ أَصْغَرَ مِنْ ذُبَابٍ**»[٢].

٧٣٥-ولفظ الضياء المقدسي عن رِدْفِ رسولِ اللَّه ﷺ عَثَرَتْ بالنَّبِيِّ ﷺ الناقة، قَالَ: فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، قال: «**لَا تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ فَإِنَّهُ يَتَعَاظَمُ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الْجَبَلْ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي صَرَعْتُ، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَتَصَاغَرُ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبَابِ**»[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «رديف»: أي: راكب خلفه على الدابة، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرِّدْفُ ما تَبِعَ الشيءَ وكل شيء تَبِع شيئاً فهو رِدْفُه...ورِدْفُ كل شيء مؤخَّرُه، والرِّدْفُ الكَفَلُ والعجُزُ، ... ورَدِفَ الرجلَ وأَرْدَفَه رَكِبَ خَلْفَه، وارْتَدَفَه خَلْفَه على الدابة»[٤]، وقال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «الردف والرديف: هو الراكب خلف

---

(١) أبو داود، برقم ٤٩٨٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٣/٩٤١، وفي صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣١٢٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن

(٢) مسند أحمد، برقم ٢٠٥٩١، والحاكم، ٤/٢٩٢، وصححه النووي في الأذكار، ص ٣٨٣، والصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد، ٧/ ٣٨٠، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/١٣٢، وصححه محققو المسند، ٣٤/ ١٩٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) الضياء المقدسي في المختارة، ٤/١٩٦، برقم ١٤١٢، ورقم ١٤١٣، وقال: «إسناده صحيح» وأبو يعلى في المعجم، ١/٨٣، برقم ٧١، وصححه النووي في الأذكار، ص ٣٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) لسان العرب، ٩/ ١١٤، مادة (ردف).

الراكب، وأصله من ركوبه على الردف، وهو العجز»[١].

٢-قوله: «**عثرت**»: أي: زلقت، وتعثرت في مشيتها، قال ابن منظور رحمه الله: «عَثَر، يعثِرُ، ويَعْثُرُ عَثْراً وعِثَاراً، وتَعَثَّرَ: كَبا... والعَثْرةُ: الزلَّةُ، ويقال: عَثَرَ به فرسُهُ فسقط... والعَثْرة المرة من العِثار في المشي»[٢].

٣-قوله: «**تعس**»: أي: هلك، قال ابن الأثير رحمه الله: «تعس: أي: خاب وخسر»[٣]، وقال النووي رحمه الله: «تَعَس، فقيل معناه: هلك، وقيل سقط، وقيل عثر، وقيل لزمه الشرّ، وهو بكسر العين وفتحها»[٤]، وقال ابن الأثير رحمه الله أيضاً: «وَهُوَ دُعاء عَلَيْهِ بِالْهَلَاكِ»[٥]، وقال ابن الملقن رحمه الله: «التَّعْسُ: الكَبُّ، أي: عثر فسقط لوجهه... التعس... وقيل: هو البعد»[٦].

٤-قوله: «**تعاظم**»: أي: ظن في نفسه أنه كبير، قال ابن الأثير رحمه الله: «التَّعَظُّم فِي النَّفس: هُوَ الكِبْر والنَّخْوة أَوِ الزَّهْوُ، وَفِيهِ «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَا يَتَعَاظَمُنِي ذَنْبٌ أَنْ أَغْفِرَه»[٧] أَيْ: لَا يَعْظُمُ عليَّ وَعِنْدِي»[٨]، وقال العظيم أبادي رحمه الله: «تَعَاظَمَ: أَيْ: صَارَ عَظِيمًا، وَكَبِيرًا»[٩]، وقال الشنقيطي: «انتفخ الشيطان، وتعاظم»[١٠].

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٨/ ٢٢٧.
(٢) لسان العرب، ٤/ ٥٣٩، مادة (عثر).
(٣) جامع الأصول، ٦/ ٦٣٥.
(٤) الأذكار النووية للإمام النووي، ٣٨٣.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ١٩٠، مادة (تعس).
(٦) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٧/ ٥٨٢.
(٧) أخرجه الإمام أحمد في الزهد، ص ٧٢، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول، ٤/ ٥٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٨/ ١٩٥، واستشهد به الإمام ابن القيم في مدارج السالكين، ٣/ ١٥٢.
(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٢٦٠، مادة (عظم)
(٩) عون المعبود، ١٣/ ٢٢٣.
(١٠) شرح زاد المستقنع للشنقيطي، ١٤/ ٢٩٩.

٥-قوله: «**فَقَالَ: لَا تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ**»: قال العظيم أبادي رحمه الله: «فِي الْقَامُوسِ: التَّعِسُ: الْهَلَاكُ، وَالْعِثَارُ، وَالسُّقُوطُ، وَالشَّرُّ، وَالْبُعْدُ...: أَكَبَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَفِي الدُّعَاءِ تَعْسًا»(١).

٦-قوله: «**بقوتي**»: أي أنا الذي فعلت ذلك، وقال العظيم أبادي رحمه الله: «وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي: أَيْ: حَدَثَ ذَلِكَ الْأَمْرُ بِقُوَّتِي»(٢).

٧-قوله: «**ولكن قل بسم الله**»: قال الدمياطي رحمه الله: «من أراد أن يحيا سعيداً، ويموت شهيداً، فليقل عند ابتداء كل شيء بسم الله الرحمن الرحيم، أي: كل شيء ذي بال، بدليل الحديث»(٣).

٨-قوله: «**فإنك إذا قلت ذلك تصاغر**»: أي: عاد إلى حجمه، وحقارته، قال ابن الملقن رحمه الله: «تصاغر: من الصغار، وهو الذل والهوان، أو هو من الصغر، أي : صار صغيراً بعد عظمه»(٤)، وقال العظيم أبادي رحمه الله: «تَصَاغَرَ: أَيْ صَارَ صَغِيرًا، وَحَقِيرًا»(٥).

٩-قوله: «**حَتَّى يَكُونَ مثلَ الذُّباب**»: قال البكري رحمه الله: «يصغر حتى يصير أقل من ذبابة(٦)، وقال الشنقيطي: «إذا ذكر الله انخنس الشيطان، فذهب كالخردلة حقيراً مدحوراً بذكر الله جل جلاله»(٧)، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «الحِكمَة فِي تَشبِيهِ ذُنُوب الفاجِر بِالذُّبابِ كَون الذُّباب أَخَفّ الطَّير

---

(١) عون المعبود، ١٣/ ٢٢٣.
(٢) عون المعبود، ١٣/ ٢٢٣.
(٣) حاشية إعانة الطالبين، ١/ ١٠.
(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٧/ ٥٨٢.
(٥) عون المعبود، ١٣/ ٢٢٣.
(٦) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، ١/ ١٠.
(٧) شرح زاد المستقنع للشنقيطي، ١٤/ ٢٩٩.

وأَحقَره ، وهُو مِمّا يُعايَن ويُدفَع بِأَقَلّ الأَشياء»[1]، وقال: ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَعْنِي الشَّيطَان: أَيْ: ذَلَّ وامحَّق. وَيَجُوزُ أَنْ يكونَ مِنَ الصُّغْر والصَّغَار، وَهُوَ الذُّل والهَوان»[2]، وقال الدميري رَحِمَهُ اللَّهُ: في تعليقه على الآية الكريمة: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُباباً**﴾[3]: «وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله تعالى في تجهيل قريش، واستركاك عقولهم، ... وأدل من ذلك على عجزهم، وانتفاء قدرتهم، أن هذا الخلق الأذلّ الأقلّ، لو اختطف منهم شيئاً، فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه، لم يقدروا... فجعلت مثلاً وقالوا: «أجرأ من ذبابة»، و«أهون من ذبابة»، و«أطيش وأخطأ من الذباب»؛ لأنه يلقي نفسه في الشيء الحار، والشيء الذي يلتصق به، ولا يمكنه التخلص»[4].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-ما كان عليه النبي ﷺ من التواضع مع أصحابه رضي الله عنهم فقد أردف خلفه مرة معاذ بن جبل[5]، وأخرى أسامة بن زيد[6]، وثالثة أردف أغيلمة من بني عبد المطلب واحدًا بين يديه والآخر خلفه[7].

٢-النهي عن سب الشيطان بقول القائل: يا ابن كذا وكذا؛ لأن ذلك يوهم السامع أن الشيطان له دخلًا فيما يقع، والحق أن الكل بتقدير الله،والجائز هو لعنه كما قال الله: ﴿**لَعَنَهُ اللَّهُ**﴾[8] والاستعاذة بالله منه.

---

(١) فتح الباري، ١١/ ١٠٥.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٣٢، مادة (صغر).
(٣) سورة الحج، الآية ٧٣.
(٤) حياة الحيوان الكبرى، ١/ ٤٩٣، وانظر: إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش، ٦/ ٤٨٢.
(٥) البخاري، برقم ٥٩٦٧.
(٦) البخاري، برقم ٥٩٦٤.
(٧) البخاري، برقم ٥٩٦٥.
(٨) سورة النساء، الآية: ١١٨.

٣-الشيطان يكلم إخوانه من الشياطين ويفتخر عليهم بأمثال هذه الأمور ولكنه يخسأ ويتضاءل ويذهب كيده بذكر اسم الله، قال الله تعالى: ﴿**فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً**﴾[1]، وتعاظمه، وكونه مثل البيت وفي رواية مثل: الجبل قد يكون على الحقيقة، أو كناية عن فرحه، وكذلك تصاغره قد يكون على الحقيقة، وقد يكون كناية عن ذله وقهره.

٤-قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْقَائِلِ: أَخْزَى اللَّهُ الشَّيْطَانَ، وَقَبَّحَ اللَّهُ الشَّيْطَانَ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ يُفْرِحُهُ، وَيَقُولُ عَلِمَ ابْنُ آدَمَ أَنِّي قَدْ نِلْتُهُ بِقُوَّتِي، وَذَلِكَ مِمَّا يُعِينُهُ عَلَى إِغْوَائِهِ، وَلَا يُفِيدُهُ شَيْئًا، فَأَرْشَدَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ مَسَّهُ شَيْءٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى، وَيَذْكُرَ اسْمَهُ وَيَسْتَعِيذَ بِاللَّهِ مِنْهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْفَعُ لَهُ وَأَغْيَظُ لِلشَّيْطَانِ»[2].

٥-إنما أمروا بالاستعاذة من الشيطان فيما جعل له سلطان عليهم، وهي الوسوسة؛ لتحبيب الشر، وتكريه الخير، وإنساء ما يذكرون، وتذكير ما ينسون، وأما إعثار دوابهم وإهلاك أموالهم فلا سبب له فيها، فنهوا عن الدعاء عليه، وعند ذلك؛ لأنه يوهم أن الفعل كان منه ببعيره حتى سقط، والواقع بخلافه»[3].

***

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٦.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢/ ٣٢٤.

(٣) المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، لأبي المحاسن يوسف بن موسى بن محمد الملطي الحنفي، ٢/ ١٢٢.

١٠٠- دُعَاءُ الْمُسَافِرِ لِلْمُقِيمِ

٢١١- «أَسْتَوْدِعُكُمُ اللَّهَ الَّذِي لاَ تَضِيعُ وَدَائِعُهُ»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٣٦-لفظ ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٢)، قَالَ: وَدَّعَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهَ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ**»(٣).

٧٣٧-ولفظ النسائي في الكبرى: عن مُوسَى بْنِ وَرْدَانَ، قال: أَتَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ أُوَدِّعُهُ لِسَفَرٍ أَرَدْتُهُ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: أَلَا أُعَلِّمُكَ يَا ابْنَ أَخِي شَيْئًا عَلَّمَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقُولُهُ عِنْدَ الْوَدَاعِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: قُلْ: «**أَسْتَوْدِعُكُمُ اللَّهَ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ**»(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «ودّعني»: قال الفيروزأبادي رحمه الله: «وَدَعَهُ كَوَضَعَهُ، ووَدَّعَهُ: بمعنىً، والاسم: الوداع وهو تخليف المسافر الناس خافضين وهم يودعونه، إذا سافر

(١) ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب تشييع الغزاة ووداعهم، برقم ٢٨٢٥، وسنن النسائي الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول عند الوداع، برقم ١٠٣٤٢، وعمل اليوم والليلة لابن السني، ص ٤٥٣، وحسن إسناده الزين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، ٥/ ١٢٧، وحسنه سليم الهلالي في عجالة الراغب المتمني، ٢/ ٥٧٨.وأحمد، ١٥/ ١٢٦، برقم ٩٢٣٠، وحسن إسناده الزين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، ٥/ ١٢٧، ومحققو المسند، ١٥/ ١٢٦، والألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/١٣٣ برقم ٢٥٤٧.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) ابن ماجه، برقم ٢٨٢٥، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٢٥٤٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) سنن النسائي الكبرى، برقم ١٠٣٤٢، وعمل اليوم والليلة لابن السني، ص ٤٥٣، وحسن إسناده الزين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، ٥/ ١٢٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

تفاؤلاً بالدعة التي يصير إليها إذا قفل، أي: يتركونه وسفره[١].

٢-قوله: «**أستودعكم الله**»: أي: أجعلكم في حفظ الله ورعايته، قال ابن الأثير رحمه الله: «يُقَالُ: اسْتَوْدَعْتُهُ وَدِيعَةً، إِذَا اسْتَحْفَظْتَه إيَّاها»[٢].

٣-قوله: «**الذي لا تضيع ودائعه**»: جمع وديعة، والوديعة في الأصل اسم للمال المتروك عند أحد، من الودع وهو الترك[٣]، قال المناوي رحمه الله: «أي: الذي إذا استحفظ وديعة لا تضيع؛ فإنه تعالى إذا استودع شيئاً حفظه ... أصل الوديعة التخلي عن الشيء، وتركه، وإذا تخلى العبد عن الشيء وتركه لله، واستحفظه إياه، فقد تبرأ من الحول والقوة، ورفض الأسباب، فحصل له الحفظ والعصمة، ويندب لكل من المتوادعين أن يقول للآخر ذلك، وأن يزيد المقيم: زوّدك الله التقوى، وغفر ذنبك ووجهك للخير حيثما كنت»[٤].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-استحباب توديع المسافر للمقيمين من أهلٍ وإخوانٍ وجيران بهذا الدعاء.

٢-اليقين بأن الله هو الذي يحفظ العبد في سفره، وفي أهله، وماله، ومن يخلفه، وهذا كقول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ إِذَا اسْتُوْدِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ**»[٥].

٣-يجب على المسافر أن يحسن النية في سفره وأن يستأذن صاحب الدين إن كان مدينًا، وأن يكتب وصيته فما يدري أحدٌ متى منيَّته.

٤-يستحب للمسافر أن يكون سفره في يوم الخميس إذا تيسر له ذلك

---

(١) القاموس المحيط، ص ٩٩٤، مادة (ودع).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ١٦٨، مادة (ودع).
(٣) العلم الهيب، ص ٤٣٠.
(٤) فيض القدير، ١/ ٦٤١.
(٥) مسند أحمد، ٩/ ٤٣٠، برقم ٥٦٠٥، والنسائي في السنن الكبرى، برقم ١٠٥٣١، وصححه محققو المسند، ٩/ ٤٣٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٠٨).

لقول كعب بن مالك رضي الله عنه: «قلما كان رسول الله يخرج في سفر إلا يوم الخميس»[1]، قال الحافظ في الفتح: وقد خرج إلى تبوك في يوم الخميس ولكن هذا لا يستلزم المواظبة عليه لقيام مانع منه وقد خرج إلى بعض أسفاره يوم السبت[2].

٥-يستحب التبكير في أول النهار إذا تيسر ذلك لعموم قوله ﷺ: «**اللَّهم بارك لأمتي في بكورها**»[3].

***

(١) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من أراد غزوة فورّى بغيرها، ومن أحب الخروج إلى السفر يوم الخميس، برقم ٢٩٤٩.
(٢) انظر: فتح الباري، ٦/ ١١٣.
(٣) مسند أحمد، ٢/ ٤٣٩، برقم ١٣٢٠، وأبو داود، برقم ٢٦٠٦، وابن ماجه، برقم ٢٢٣٦، وحسنه لغيره محققو المسند، ٢، ١٣٩، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٣٤٥.

١٠١ – دُعَاءُ المُقِيْمِ للمُسَافِرِ

٢١٢-(١) أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٣٨-لفظ الترمذي كانَ ابْنُ عُمَرَ ﷺ[٢] يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا ادْنُ مِنِّي أُوَدِّعْكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوَدِّعُنَا، فَيَقُولُ: «**أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ**»[٣].

٧٣٩-وفي لفظ آخر للترمذي عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا وَدَّعَ رَجُلاً أَخَذَ بِيَدِهِ، فَلاَ يَدَعُهَا حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ يَدَعُ يَدَ النَّبِيِّ ﷺ وَيَقُولُ: «**أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَآخِرَ عَمَلِكَ**»[٤].

٧٤٠-ولفظ أبي داود عَنْ قَزَعَةَ[٥]، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عُمَرَ ﷺ: هَلُمَّ أُوَدِّعْكَ

---

(١) أحمد، ١٤/ ٣١٩، برقم ٤٥٢٤، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب الدعاء عند الوداع، برقم ٢٦٠٠، ورقم ٢٦٠٣، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا ودع إنساناً، برقم ٣٤٤٢، ورقم٣٤٤٣، وابن ماجه، كتاب الجهاد، باب تشييع الغزاة ووداعهم، برقم ٢٨٢٦، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب السير، ما يقول إذا ودع، برقم ٨٨٠٦، والحاكم، ٢/١٠٦، وصححه النووي في الأذكار، ص ٢٧٥، وصححه محققو المسند، والألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم، ٢٧٣٨، وصحيح أبي داود، برقم ٢٣٤٠، ورقم ٢٣٤١، وصحيح ابن ماجه، برقم ٢٢٧٩، وصحيح الجامع الصغير، برقم ٤٧٩٥.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٤٢ ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم، ٢٧٣٨، وصحيح الجامع الصغير، برقم ٤٧٩٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الترمذي، ورقم٣٤٤٣، ٢٨٢٦، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم، ٢٧٣٨، وصحيح، وصحيح الجامع الصغير، برقم ٤٧٩٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) قزعة بن يحيى، ويقال بن الأسود، أبو الغادية البصري، مولى زياد بن أبي سفيان، روى عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وجماعة، وعنه قتادة، ومجاهد، وآخرون، بصري تابعي ثقة، تُوفِّي فِي

كَمَا وَدَّعَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ**»[١].

٧٤١-ولفظ ابن ماجه عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَشْخَصَ السَّرَايَا يَقُولُ لِلشَّاخِصِ: «**أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ**»[٢].

٧٤٢-ورواية أخرى لأبي داود عَنْ عَبْدِ اللهِ الْخَطْمِيِّ[٣] قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَوْدِعَ الْجَيْشَ قَالَ: «**أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكُمْ، وَأَمَانَتَكُمْ، وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ**»[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**للرجل**»: أي: من صحابته ﷺ.

٢-قوله: «**كان يقول للرجل إذا أراد سفراً**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «أي: وتلبس به وبمقدماته»[٥].

٣-قوله: «**إذا أراد أحدكم سفراً**»: قال المناوي رحمه الله: «سفراً: - بالتحريك - سُمّي به؛ لأنه يسفر عن الأخلاق»[٦].

٤-قوله: «**ادن**»: أي تعال قريبًا مني. وقال ابن الأثير رحمه الله: «ادن:) أي: اقرب»[٧].

=

حُدُود الْمِائَة، وروى لَهُ الْجَمَاعَة. انظر: الوافي بالوفيات، ٢٤/ ١٨٠، وتهذيب التهذيب، ٨/ ٣٣٧.

(١) أبو داود، برقم ٢٦٠٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٣٤٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) ابن ماجه، برقم ٢٨٢٦، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٢٢٧٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) عبد الله الخطمي بفتح الخاء المعجمة ويكسر، الأوسي الأنصاري، أبو موسى؛ عبد الله بن يزيد بن حصين، حضر الحديبية وهو ابن سبع عشرة سنة، سكن الكوفة، وابتنى بها داراً، وكان أميراً عليها، وشهد مع علي رضي الله عنه صفين والجمل والنهروان، ومات في زمن بن الزبير. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ٣/ ١٠٠١، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ٤/ ٢٦٧.

(٤) أبو داود، برقم ٢٦٠٣، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٣٤١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، ٤/ ٢٩٢.

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٣٤٧.

(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٢٣٠.

٥-قوله: «**هَلُمَّ**»: بمعنى : تعال وأقبل»[١]، ..وقال ابن هشام الأنصاري رحمه الله: «هلم: اختلف فيها العرب على لغتين: إحداهما أن تلزم طريقة واحدة، ولا يختلف لفظها بحسب من هي مسندة، إليه فتقول هلم يا زيد، ... وهلم يا هند، وهلم يا هندان، وهلم يا هندات، وهي لغة أهل الحجاز، وبها جاء التنزيل... قال الله تعالى: ﴿**وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا**﴾[٢] أي: ائتوا إلينا... وهي عندهم اسم فعل، لا فعل أمر؛ لأنها وإن كانت دالة على الطلب، لكنها لا تقبل ياء المخاطبة. والثانية أن تلحقها بالضمائر البارزة بحسب من هي مسندة إليه، فتقول: هلم، وهلما، وهلموا، ... وهي عند هؤلاء فعل أمر؛ لدلالتها على الطلب»[٣].

٦-قوله: «**ادن مني أودعك كما كان رسول الله يودعنا**»: وفيه فضله، وتوديعه، مع علو مقامه لأصحابه»[٤].

٧-قوله: «**أستودع الله**»: هو طلب حفظ الوديعة»[٥]، قال الطيبي رحمه الله: «أستودع الله: هو طلب حفظ الوديعة، وفيه نوع مشاكلة للتوديع، جعل دينه وأمانته من الودائع؛ لأن السفر يصيب الإنسان فيه المشقة والخوف، فيكون ذلك سبباً لإهمال بعض الدين، فدعا له النبي ﷺ بالمعونة والمعاشرة مع الناس، فدعا له بحفظ الأمانة، والاجتناب عن الخيانة، ثم إذا انقلب إلى أهله يكون مأمون العاقبة عما يسوؤه في الدين والدنيا»[٦]، وقال الصنعاني رحمه الله: «أستودع الله»: مضارع مبني للمتكلم؛ لأنه كان يقوله ﷺ داعيًا لمن يودعه، ويخرج إلى

---

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، ٤/ ٢٩١.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ١٨.
(٣) شرح قطر الندى، لابن هشام، ص ٣١.
(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٢٣٠.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠١.
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٢.

السفر، والمراد: أسأل الله أن يجعل (دينك وأمانتك وخواتيمَ عملك) وديعة لديه، سأله أن يحفظها كما يحفظ الوديعة، وهو دعاء له بالكلأة في سفره، فلا يضيع شيئاً من الثلاثة»[1]، وقال المباركفوري رحمه الله: «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ: أَيْ: أَسْتَحْفِظُ، وَأَطْلُبُ مِنْهُ حِفْظَ دِينِكَ وَأَمَانَتَكَ»[2]، وقال ابن علان رحمه الله «**أستودع الله دينك**» أي: أودعه إياه، والسين لتأكيد ذلك، وتحقيقه»[3].

٨-قوله: «**دينك**»: «أي: أسأل الله أن يثبتك على دين الإسلام، قال ابن الأثير رحمه الله: «جعل دينه مع الودائع؛ لأن السفر تصيب المسافر فيه المشقة والتعب والخوف، فيكون ذلك سبباً لإهمال بعض الأمور المتعلقة بالدين، فدعا له بالمعونة والتوفيق فيها، وأما «**الأمانة**» هاهنا: فهي أهل الرجل وماله، ومن يخلفه»[4]، وقال الطيبي رحمه الله: «جعل دينه وأمانته من الودائع...، ولا يخلو الرجل في سفره ذلك من الاشتغال بما يحتاج فيه إلى الأخذ، والإعطاء، والمعاشرة مع الناس، فدعا له بحفظ الأمانة والاجتناب عن الخيانة، ثم إذا انقلب إلى أهله يكون مأمون العاقبة عما يسوؤه في الدين والدنيا»[5]، وقال الصنعاني رحمه الله: «أسأل الله أن يجعل دينك، وأمانتك، وخواتيمَ عملك وديعة لديه، سأله أن يحفظها كما يحفظ الوديعة، وهو دعاء له بالكلاءة في سفره، فلا يضيع شيئاً من الثلاثة»[6] وقال ابن علان رحمه الله: «وذكر الدين؛ لأن السفر مظنة التساهل في أمره لمشقته،

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٣٤٦.
(٢) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٨٤.
(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٢٣٠.
(٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، ٤/ ٢٩٢.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠١.
(٦) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٣٤٦.

ولذا رخص للمسافر في أمور من العبادات»[١].

٩-قوله: «**وأمانتك**»: أي: أهله، ومن يخلفه منهم، وماله، وما في معنى ذلك. قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأمانة هاهنا أهله، ومن يخلفه منهم، وماله الذي يودعه، ويستحفظه أمينه ووكيله، ومن في معناهما، وجرى ذكر الدين مع الودائع؛ لأن السفر موضع خوف وخطر، وقد تصيبه فيه المشقة والتعب، فيكون سبباً لإهمال بعض الأمور المتعلقة بالدين، فدعا له بالمعونه والتوفيق»[٢]، وقال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: وما ائتمنت عليه من التكاليف الشرعية، أو الحقوق الإنسانية[٣]، وقال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: حِفْظَ أَمَانَتِكَ فِيمَا تُزَاوِلُهُ مِنَ الْأَخْذِ وَالْإِعْطَاءِ وَمُعَاشَرَةِ النَّاسِ فِي السَّفَرِ إِذْ قَدْ يَقَعُ مِنْكَ هُنَاكَ خِيَانَةٌ، وَقِيلَ أُرِيدَ بِالْأَمَانَةِ الْأَهْلُ وَالْأَوْلَادُ الَّذِينَ خَلَّفَهُمْ، وَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْأَمَانَةِ التَّكَالِيفُ كُلُّهَا»[٤].

١٠-قوله: «**وخواتيم عملك**»: أي: ما يختم به عملك، ونرجو من الله أن يكون خيرًا، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «خواتيم العمل: أواخره، جمع خاتمة»[٥]. وقال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وخواتيم عملك**: ذكره اهتماماً بشأنه؛ لأن المدار عليه، وهذا الحديث شاهد لطلب وداع المسافر»[٦]، وفي رواية: «**وآخر عملك**»: قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَآخِرَ عَمَلِكَ: أَيْ: فِي سَفَرِكَ، أَوْ مطلقاً، كذا قيل، قال القاري: وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ حُسْنُ الْخَاتِمَةِ؛ لِأَنَّ الْمَدَارَ عَلَيْهَا فِي أَمْرِ

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٢٣٠.
(٢) معالم السنن، ٢/ ٢٥٨.
(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٢٣٠.
(٤) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٨٤.
(٥) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٤/ ٢٩٢.
(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٢٣٠.

الْآخِرَةِ، وَأَنَّ التَّقْصِيرَ فِيمَا قَبْلَهَا مَجْبُورٌ بِحُسْنِهَا، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ: «وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ» فِي الرِّوَايَةِ...»[١]، قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وآخر عملك: أي: في سفرك، أو مطلقاً، كذا قيل، والأظهر أن المراد به حسن الخاتمة؛ لأن المدار عليها في أمر الآخرة، وإن التقصير فيما قبلها مجبور بحسنها»[٢].

١١-قوله: «**أَخَذَ بِيَدِهِ فَلَا يَدَعُهَا**»: قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: فَلَا يَتْرُكُ يَدَ ذَلِكَ الرَّجُلِ مِنْ غَايَةِ التَّوَاضُعِ، وَنِهَايَةِ إِظْهَارِ الْمَحَبَّةِ وَالرَّحْمَةِ»[٣].

١٢-قوله: «**وَيَقُولُ**»: قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ لِلْمُوَدَّعِ»[٤].

١٣-قوله: «**حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده**»: قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «أدباً منه ﷺ وإيناساً للرجل»[٥].

١٤-قوله: «**كان النبي ﷺ إذا أراد أن يودع الجيش**»: قال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «الجماعة الخارجين للقتال»[٦].

١٥-قوله: «**أَشْخَصَ السَّرَايَا يَقُولُ لِلشَّاخِصِ**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشُّخُوصُ: السَّيْرُ مِنْ بَلَدٍ إِلى بلدٍ. وَقَدْ شَخَصَ يَشْخَصُ شُخُوصاً وأَشْخَصْتُه أَنا وشَخَصَ مِنْ بلدٍ إِلى بلدٍ شُخُوصاً أَي: ذَهَبَ»[٧]، وقال الزبيدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «شَخَصَ من بَلَد إِلى بَلَد، يَشْخَصُ شُخُوصاً: ذَهَبَ، وقِيلَ: سَارَ

---

(١) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٨٤.
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣٢٦.
(٣) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٨٤.
(٤) تحفة الأحوذي، ٩/ ٢٨٤.
(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٤٥٩.
(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٢٣٠.
(٧) لسان العرب، ٧/ ٤٦، مادة (شخص).

في ارْتفَاع، فإِنْ سَارَ في هَبُوط فهو هابِطٌ، وأَشْخَصْتُه أَنَا»[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-حرص الصحابة ﷺ على تطبيق السنة وتعليمها للجاهل بها.

٢-الحرص على سلامة الدين أهم من الحرص على المال والولد ولذا بدأ به النبي ﷺ، وإنما كان ذلك منه لأن السفر مظنة المشقة فربما كان سببًا لإهمال بعض أمور الدين[٢].

٣-الحرص الشديد على فعل الطاعات في الحل والترحال؛ لأن الإنسان لا يعرف بما يختم له وقد قال النبي ﷺ: «**من مات على شيء بعثه الله عليه**»[٣].

٤-وهذا الدعاء المبارك كان يودع به النبي ﷺ أيضاً الجيوش التي تخرج في سبيل الله بقوله: «**أستودع الله دينكم، وأمانتكم، وخواتيم أعمالكم**»[٤].

٥-قال الإمام النووي رحمه الله: «يستحب أن يودع أهله، وجيرانه، وأصدقاءه، وسائر أحبابه، وأن يودعوه، ويقول كل واحد لصاحبه: استودعك الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، زوّدك الله التقوى، وغفر لك ذنبك، ويسّر الخير لك حيثما كنت»[٥].

٦-قال السيوطي الرحيباني رضي الله عنهما: «يسُنَّ أَنْ يُقَالَ لِمُسَافِرٍ سَفَرًا مُبَاحًا: أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَك، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِك، وَزَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى»[٦].

---

(١) تاج العروس، ٨/ ١٧، مادة (شخص).

(٢)انظر: معالم السنن للخطابي، ٢/٢٢٤.

(٣) أخرجه أحمد،٢٢/ ٢٧١، برقم ٤٣٧٣، والحاكم، ٤/ ٣١٣، وصححه ووافقه الذهبي، ومسند أبي يعلى، ٤/ ١٨٤، برقم ٢٢٦٩، وقال محققه: «رجاله رجال الصحيح» وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٥٤٣.

(٤) أخرجه الترمذي، برقم ٣٤٤٢، وغيره ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٢٦٠١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) المجموع شرح المهذب، ٤/ ٣٨٨.

(٦) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، ٣/ ٢٢١.

٧-يسن أن يأخذ المقيم بيد المسافر ويقول له: «**أستودع الله دينك وأمانتك وآخر عملك**» لقول ابن عمر رضي الله عنهما كان النبي ﷺ إذا ودع رجلًا أخذ بيده، فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذي يدع يد النبي ﷺ ويقول... «ثم ذكر الدعاء»[١].

٨-قال الصنعاني رحمه الله: «والخواتيم جمع خاتم، وهو ما يختم به الشيء، وأريد به هنا ما يختم به العمل، دعا له ﷺ أن يحفظ الله له خاتمة عمله، فيحسنها، واختص هذا الموضع بهذه الدعوة؛ لأن السفر مظنة العطب؛ لأنه يتعرض فيه المسافر للمتالف، والمهالك، فقد يكون في سفره هلاكه، وتأتي أدعية أخرى يقولها من يودعه»[٢].

٩-قال المناوي رحمه الله: «ويؤخذ من الحديث أنه لو كان أقاربه أو جيرانه كفار لا يذهب إليهم، ولا يودعهم؛ لعدم انتفاعه بدعائهم الذي هو المقصود بالوداع»[٣].

***

٢١٣-(٢)«زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَى، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ، وَيَسَّرَ لَكَ الخَيْرَ حَيْثُ ما كُنْتَ»[٤].

---

(١) الترمذي، برقم٣٤٤٣، ورقم ٢٨٢٦، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم، ٢٧٣٨، وصحيح الجامع الصغير، برقم ٤٧٩٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٣٤٦.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٣٤٧.

(٤) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا عبد الله بن أبي زياد، برقم ٣٤٤٤، وابن خزيمة، ١٣٨/٤، برقم ٢٥٣٢، والحاكم، ١٠٧/٢، والضياء المقدسي في المختارة، ٤٢١/٤وقال: «إسناده حسن» وعمل اليوم والليلة لابن السني، ص ٤٥٤، والمعجم الكبير للطبراني، ١٢/ ٢٩٢، برقم ١٣١٥١، وحسنه الشيخ سليم الهلالي صاحب عجالة الراغب المتمني في تخريج كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني، ٢/ ٥٨١، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ١٥٥/٣، وفي صحيح الجامع، برقم ٣٥٧٩.

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٤٣-عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه[١] قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا فَزَوِّدْنِي، قَالَ: «**زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى**»، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: «**وَغَفَرَ ذَنْبَكَ**»، قَالَ زِدْنِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، قَالَ: «**وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ**»[٢].

٧٤٤-ورواية ابن السني عَنْ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما[٣]، قَالَ: جَاءَ غُلَامٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ هَذَا الْوَجْهَ الْحَجَّ فَمَشَى مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ، زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى، وَوَجَّهَكَ فِي الْخَيْرِ، وَكَفَاكَ الْمُهِمَّ**»، فَلَمَّا رَجَعَ الْغُلَامُ سَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ، قَبِلَ اللَّهُ حَجَّكَ، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ، وَأَخْلَفَ نَفَقَتَكَ**»[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**فزوِّدني**»: أي: بالدعاء والوصية والنصيحة، قال الطيبي رحمه الله: «فزودني»: الزاد المدَّخر الزايد عما يحتاج إليه في الوقت، والتزود أخذ الزاد، قال تعالى: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾[٥]، أقول [القائل الطيبي]: يحتمل أن الرجل طلب الزاد المتعارف، فأجابه صلوات الله عليه بما أجاب على الأسلوب الحكيم، أي: زادُكَ

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٢) الترمذي، برقم ٣٤٤٤، وابن خزيمة، وحسنه الضياء المقدسي، ٤/ ٤٢١، والألباني في صحيح الترمذي، ٣/١٥٥، وصحيح الجامع، برقم ٣٥٧٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٤) عمل اليوم والليلة لابن السني، ص ٤٥٤، والمعجم الكبير للطبراني، ١٢/ ٢٩٢، برقم ١٣١٥١، وحسنه الشيخ سليم الهلالي صاحب عجالة الراغب المتمني في تخريج كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني، ٢/ ٥٨١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

أن تتّقيَ محارمَ الله، وتتجنَّب معاصيه»[١]، قال ابن علان رحمه الله: «إني أريد سفراً فزوِّدني: يحتمل أن تكون عاطفة على مقدر: أي: فائذن لي، وزوّدني، كما تقدم من فعل عمر في استئذان النبي ﷺ، ويحتمل تقدم الإذن له في ذلك، وإنما جاء لطلب الدعاء»[٢].

٢-قوله: «**زودك الله التقوى**»: هذا دعاء في صورة الإخبار، وكذلك ما بعده، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في التقوى: «التَّقْوَى: إذَا أُفْرِدَ دَخَلَ فِيهِ فِعْلُ كُلِّ مَأْمُورٍ بِهِ، وَتَرْكُ كُلِّ مَحْظُورٍ، قَالَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ: التَّقْوَى: أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، تَرْجُو رَحْمَةَ اللَّهِ، وَأَنْ تَتْرُكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، تَخَافُ عَذَابَ اللَّهِ»[٣]، وقال أيضاً: «هِيَ الِاحْتِمَاءُ عَمَّا يَضُرُّهُ، بِفِعْلِ مَا يَنْفَعُهُ؛ فَإِنَّ الِاحْتِمَاءَ عَنِ الضَّارِّ يَسْتَلْزِمُ اسْتِعْمَالَ النَّافِعِ، وَأَمَّا اسْتِعْمَالُ النَّافِعِ فَقَدْ يَكُونُ مَعَهُ أَيْضًا اسْتِعْمَالٌ لِضَارٍّ، فَلَا يَكُونُ صَاحِبُهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، وَأَمَّا تَرْكُ اسْتِعْمَالِ الضَّارِّ وَالنَّافِعِ، فَهَذَا لَا يَكُونُ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إذَا عَجَزَ عَنْ تَنَاوُلِ الْغِذَاءِ، كَانَ مُغْتَذِيًا بِمَا مَعَهُ مِنَ الْمَوَادِّ الَّتِي تَضُرُّهُ حَتَّى يَهْلَكَ؛ وَلِهَذَا كَانَتْ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى وَلِلْمُتَّقِينَ؛ لِأَنَّهُمْ الْمُحْتَمُونَ عَمَّا يَضُرُّهُمْ، فَعَاقِبَتُهُمْ الْإِسْلَامُ وَالْكَرَامَةُ، وَإِنْ وَجَدُوا أَلَمًا فِي الِابْتِدَاءِ لِتَنَاوُلِ الدَّوَاءِ، وَالِاحْتِمَاءِ كَفِعْلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمَكْرُوهَةِ»[٤]، وقال المناوي رحمه الله: «يا من جاءنا يريد سفراً ويلتمس أن نزوده»[٥]، وقال ابن علان رحمه الله: «وإنما كانت كذلك؛ لأنها الزاد الذي يقطع به العقبة الكؤود، وينجي بها برحمة الله تعالى

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٢.
(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٢٣١.
(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٧/ ١٦٣.
(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٠/ ١٤٤.
(٥) فيض القدير، ٤/ ٨٨.

المرء في اليوم المشهود»[(١)]، وقال القاري رَحِمَهُ اللهُ: زودك الله التقوى، أي: الاستغناء عن المخلوق، أو امتثال الأوامر، واجتناب النواهي»[(٢)].

٣-قوله: «**قال: زدني**»: قال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «لا يخفى ما بين زوِّدْني وزِدْني من الجناس: أي: من هذا الزاد»[(٣)]، وقال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «قال زدني: أي: من الزاد، أو من الدعاء، قال وغفر ذنبك»[(٤)].

٤-قوله: «**بأبي أنت وأمي**»: قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «أي: أفديك بهما، وأجعلهما فداءك، فضلاً عن غيرهما»[(٥)].

٥-قوله: «**وغفر ذنبك**»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «لما طلب الزيادة قيل: «**وغفر ذنبك**» فإن الزيادة إنما تكون من جنس المزيد عليه، وربما زعم الرجل أنه يتقي الله، وفي الحقيقة لا تكون تقوى يترتب عليها المغفرة، فأشار بقوله: «**وغفر ذنبك**» أن يكون ذلك الاتقاء بحيث يترتب عليه المغفرة»[(٦)]، وقال ابن علان «أي: ما أسلفته من المخالفة»[(٧)].

٦-قوله: «**ويسّر لك الخير**»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «ثم ترقى منه إلى قوله: «**ويسر لك الخير**» فإن التعريف في «**الخير**» للجنس، فيتناول خير الدنيا والآخرة»[(٨)]، وقال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «ويسر لك الخير: أي: سهّل لك خير الدارين»[(٩)].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٢٣١.
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣٢٧.
(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٢٣١.
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣٢٧.
(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣٢٧، وتقدم في المفردة رقم ٣٣ في شرح حديث المتن رقم ١٦٥.
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٢.
(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٢٣١.
(٨) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٢.
(٩) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣٢٧.

٧-قوله: «حيثما كنت»: أي: في الحل والترحال، قال القاري رحمه الله: «حيثما كنت: أي: في أي مكان حللت، ومن لازمه: في أي زمان نزلت»[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-استحباب إعلام المسافر بسفره كبير القوم، وعالمهم، وكذلك صالحي المؤمنين، وطلب الدعاء، والنصح منهم.

٢-أهم زاد يتزود به المسلم في الدنيا هو زاد التقوى، وهذا كقوله: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[٢]؛ ولذلك بدأ بها النبي ﷺ.

٣-قال ابن مفلح رحمه الله: «وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ بَهْجَةِ الْمَجَالِسِ: إذَا خَرَجَ أَحَدُكُمْ إلَى سَفَرٍ فَلْيُوَدِّعْ إخْوَانَهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ فِي دُعَائِهِمْ بَرَكَةً، قَالَ: وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: السُّنَّةُ إذَا قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ سَفَرٍ أَنْ يَأْتِيَهُ إخْوَانُهُ فَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ، وَإِذَا خَرَجَ إلَى سَفَرٍ أَنْ يَأْتِيَهُمْ فَيُوَدِّعُهُمْ، وَيَغْنَمُ دُعَاءَهُمْ»[٣].

٤-قال الشوكاني رحمه الله: «في الحديث دليل على مشروعية الدعاء للمسافر بهذه الدعوات جعل الله التقوى زادك وغفر ذنبك ووجه لك الخير حيثما توجهت»[٤].

٥-قال المناوي رحمه الله: «فيندب لكل من ودَّع مسافراً أن يقوله له، ويحصّل أصل السنة بقوله: «**زوّدك الله التقوى**»، والأكمل الإتيان بما ذكر كله»[٥].

٦-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «يطلب الدعاء من الرجل الصالح من أجل أن ينتفع الرجل بهذا الدعاء، ولا يهمه هو أن ينتفع، لكن يحب من هذا الرجل الذي طلب

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣٢٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.
(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح، ١/ ٤٥٠.
(٤) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ٢٢٩.
(٥) فيض القدير، ٤/ ٨٨.

منه الدعاء، أن يلجأ إلى الله، وأن يسأل الله ﷻ، وأن يعلق قلبه بالله، وأن يعلم أن الله ﷻ سميع الدعاء، المهم أن يكون قصده مصلحة هذا الرجل؛ فهذا لا بأس به أيضاً؛ لأنك لم تسأله لمحض نفعك، ولكن لنفعه هو، فأنت تريد أن يزداد هذا الرجل الصالح خيراً بدعاء الله ﷻ، وأن يتقرب إلى الله بالدعاء، وأن يحصل على الأجر والثواب»[١].

٧-وقال ابن عثيمين رحمه الله أيضاً: «يطلب الدعاء من الغير لمصلحة نفسه هو؛ فهذا أجازه بعض العلماء، وقال: لا بأس أن تطلب من الرجل الصالح أن يدعو لك؛ لكن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال: لا ينبغي إذا كان قصدك مصلحة نفسك فقط؛ لأن هذا قد يدخل في المسألة المذمومة؛ لأن النبي ﷺ بايع أصحابه ألاَّ يسألوا الناس شيئاً، وكذلك لأنه ربما يعتمد هذا السائل الذي سأل غيره أن يدعو له ربما يعتمد على دعاء هذا الغير، وينسى أن يدعو هو لنفسه، فيقول: أنا قلت لفلان، وهو رجل صالح: ادْعُ الله لي، وإذا استجاب الله هذا الدعاء، فهو كاف، فيعتمد على غيره، وكذلك لأنه ربما يلحق المسؤول غرور في نفسه، وأنه رجل صالح يطمع الناس إلى دعائه، فيحصل في هذا شر على المسؤول، وعلى كل حال، فإن هذا القسم الثالث مختلف فيه، فمن العلماء من قال: لا بأس أن تقول للرجل الصالح: يا فلان ادع اللهِ لي، ومنهم من قال: لا ينبغي، والأحسن ألا تقول ذلك؛ لأنه ربما يمنّ عليك بهذا، وربما تذلّ أمامه بسؤالك، ثم إنه من الذي يحول بينك وبين ربك؟ ادع الله بنفسك، لا أحد يحول بينك وبين الله، لماذا تذهب تفتقر إلى غيرك، وتقول: ادع الله لي، وأنت ليس بينك وبين ربك واسطة ؟»[٢].

* * *

(١) شرح رياض الصالحين، ص ٧١٧.
(٢) شرح رياض الصالحين، ص ٧١٧.

١٠٢ - التَّكْبِيْرُ والتَّسْبِيحُ فِي سَيْرِ السَّفَرِ

٢١٤-قَالَ جَابِرٌ ﷺ: «كُنَّا إِذَا صَعَدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا»[١].

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٤٥-لفظ البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما[٢] قَالَ: «كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا»[٣].

٧٤٦-ولفظ آخر للبخاري عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: «كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا وَإِذَا تَصَوَّبْنَا سَبَّحْنَا»[٤].

٧٤٧-ولفظ أحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: «كُنَّا نُسَافِرُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا هَبَطْنَا سَبَّحْنَا»[٥].

٧٤٨-ولفظ النسائي قَالَ جَابِرٌ ﷺ: «كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَصَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا انْحَدَرْنَا سَبَّحْنَا»[٦].

---

(١) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب التسبيح إذا هبط وادياً، برقم ٢٩٩٣، وباب التكبير إذا علا شرفاً، برقم ٢٩٩٤، ومسند أحمد، ٢٢/ ٤٣٠، برقم ١٤٥٦٨، والسنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا انحدر من ثنية، ١٠٣٧٦.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧٢ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٢٩٩٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري، برقم ٢٩٩٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) مسند أحمد، ٢٢/ ٤٣٠، برقم ١٤٥٦٨، وصححه محققو المسند، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا انحدر من ثنية، ١٠٣٧٦. وصححه الحافظ مع رواية ابن خزيمة في تغليق التعليق على صحيح البخاري، ٥/ ١٤٨.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**كنا إذا صعدنا**»: أي: علونا على مكان مرتفع من الأرض، وقال ابن الأثير رحمه الله: «يُقَالُ صَعِدَ إِلَى فَوْق صُعُوداً إِذَا طَلَعَ، وأَصْعَدَ فِي الْأَرْضِ إِذَا مَضَى وَسَارَ... والصُّعُد- بضمَّتَين-: جَمْعُ صُعُود، وَهُوَ خِلَافُ الهَبُوط، وَهُوَ بِفَتْحَتَيْنِ خِلَافَ الصَّبَب»[١]، وقال ابن منظور: «صَعِدَ المكانَ وَفِيهِ صُعُوداً وأَصْعَدَ وصَعَّدَ: ارْتَقى مُشْرِفاً»[٢]، وقال ابن الجوزي رحمه الله: «إذا صعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبحنا؛ لمّا كان الصعود ارتفاعاً ناسبه التكبير»[٣].

٢-قوله: «**كبرنا**»: قلنا: الله أكبر ثلاث مرات[٤]، قال ابن منظور رحمه الله: «وكَبَّرَ: قَالَ: اللهُ أكبر. وَالتَّكْبِيرُ: التَّعْظِيمُ»[٥]، وقال ابن الجوزي رحمه الله: «أي: أن الله سبحانه أكبر من كل كبير، وأعلى من كل رفيع»[٦].

٣-قوله: «**وإذا نزلنا**»: أي إلى مكان منخفض كواد أو نحوه، قال ابن الجوزي رحمه الله: «لما كان النزول انهباطاً ناسبه التنزيه لمن لا يوصف بما ينافي العلو»[٧]، وقال ابن منظور رحمه الله: نزلنا: نَزَلْتُ عَنِ الأَمر إذا تركتَه كأَنك كُنْتَ مُسْتَعْلِيًا عَلَيْهِ مُسْتَوْلِيًا، وَمَكَانٌ نَزِل: يُنْزَل فِيهِ كَثِيرًا؛ عَنِ اللِّحْيَانِيِّ. ونَزَلَ مِنْ عُلْوٍ إِلى سُفْل: انْحَدَرَ»[٨].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٣٠، مادة (صعد).

(٢) لسان العرب، ٣/ ٢٥١، مادة (صعد).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٧١٥.

(٤) انظر البخاري، برقم ٢٩٩٥.

(٥) لسان العرب، ٥/ ١٢٧، مادة (كبر).

(٦) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٧١٥.

(٧) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٧١٥.

(٨) لسان العرب، ١١/ ٦٥٧، مادة (نزل).

٤-قوله: «**سبحنا**»: أي: قلنا سبحان الله، قال ابن الملقن رحمه الله: «التسبيح في اللغة: تنزيه الله تعالى من النقائص: كالولد، والشريك، والصاحبة، فسبحان الله: براءته من ذلك»[١]، قال النووي :: «فَسُبْحَان الله مَعْنَاهُ بَرَاءَة وَتَنْزِيهًا لَهُ مِنْ كُلّ نَقْص»[٢]، وقال الحافظ الزين العراقي رحمه الله: «ويحتمل أن يكون سبب التسبيح في الانهباط أن الانخفاض محل الضيق والتسبيح سبب للفرج»[٣].

٥-قوله: «**تصوبنا**»: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وإذا تَصَوَّبنا سَبَّحنا أَي: انحَدَرنا والتَّصوِيب النُّزُول»[٤]، وقال ابن منظور: «التَّصَوُّبُ: حَدَبٌ فِي حُدُورٍ، والتَّصَوُّبُ: الِانْحِدَارُ. والتَّصْويبُ: خِلَافُ التَّصْعِيدِ»[٥].

٦-قوله: «**الهُبُوطُ**»: قال ابن منظور رحمه الله: «نقِيضُ الصُّعُود، هبطَ يهْبط ويهبُطُ هُبُوطاً إِذا انْهَبط فِي هَبُوط مِنْ صَعُود، وهَبَطَ هُبوطاً: نَزَلَ، وهَبَطْته وأَهْبَطْتُه فانْهَبطَ؛ ... وهَبَطه أَي: أَنزله»[٦].

٧-قوله: «**انحدرنا**»: قال ابن منظور رحمه الله: «الحَدْرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ تَحْدُره مِنْ عُلْوٍ إِلى سُفْلٍ، ...وَكَذَلِكَ الحَدُورُ فِي سَفْحِ جَبَلٍ وَكُلِّ مَوْضِعٍ مُنْحَدِرٍ، ... حَدَرَ الشيءَ يَحْدِرُه ويَحْدُرُه حَدْراً وحُدُوراً فانَحَدَرَ: حَطَّهُ مِنْ عُلْوٍ إِلى سُفْلٍ... وَكُلُّ شَيْءٍ أَرسلته إِلى أَسفل، فَقَدْ حَدَرْته حَدْراً وحُدُوراً»[٧].

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٨/ ١٣٥.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٢٠١، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٣ من حديث المتن رقم ١٩٦.

(٣) طرح التثريب في شرح التقريب، ٥/ ١٦٠.

(٤) فتح الباري، لابن حجر، ٦/ ١٣٦.

(٥) لسان العرب، ١/ ٥٣٤، مادة (صوب).

(٦) لسان العرب، ٧/ ٤٢١، مادة (هبط).

(٧) لسان العرب، ٤/ ١٧٢، مادة (حدر).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-دوام ملازمة المسلم لذكر الله ﷻ في جميع الأحوال، فالكون كله دال على توحيد الله، وتمجيده.

٢-السنة في التكبير والتسبيح هي عدم رفع الصوت بذلك، يقول أبو موسى الأشعري ﷺ: كنا مع رسول الله ﷺ، فكنا إذا أشرفنا على وادٍ هللنا وكبرنا، ارتفعت أصواتنا، فقال ﷺ: «**يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم، ولا غائبًا، إنه معكم إنه سميع قريب تبارك اسمه وتعالى جده**»[1] ومعنى أربعوا: أي أرفقوا.

٣-قال الحافظ في الفتح: ومناسبة التكبير عند الصعود إلى المكان المرتفع أن الاستعلاء والارتفاع محبوب للنفوس لما فيه من استشعار الكبرياء، فشرع لمن تلبس به أن يذكر كبرياء الله تعالى وأنه أكبر من كل شيء، فيكبره ليشكر له ذلك فيزيده من فضله، ومناسبة التسبيح عند الهبوط لكون المكان المنخفض محل ضيق فيشرع فيه التسبيح؛ لأنه من أسباب الفرج كما وقع في قصة يونس عليه السلام حين سبح في الظلمات فنجاه الله من الغم[2]، والأهم من ذلك: تنزيه الله عن النقائص، والعيوب، ومنها: السفول، فإنه ﷻ في العلو مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله، فالاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

٤-قال ابن الملقن رحمه الله: «وتكبيره ﷺ عند إشرافه على الجبال استشعارٌ لكبرياء الله، عندما تقع عليه العين من عظيم خلقه، أنه أكبر من كل شيء كما سلف قريبًا»[3].

---

(١) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يجره من رفع الصوت في التكبير، برقم ٢٩٩٢.
(٢) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ٢١٤.
(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٨/ ١٣٤.

٥-وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وتَسبِيحه فِي بُطُون الأَودِيَة مُستَنبَط مِن قِصَّة يُونُس فَإِنَّ بِتَسبِيحِهِ فِي بَطن الحُوت نَجّاهُ الله مِنَ الظُّلُمات فَسَبَّحَ النَّبِيّ ﷺ فِي بُطُون الأَودِيَة لِيُنجِيَهُ الله مِنها»[1].

٦-وقال ابن الملقن رحمه الله: «وأما تسبيحه في بطون الأودية فهو مستنبط من قصة يونس عليه السلام وتسبيحه في بطن الحوت... فنجاه الله تعالى بذلك من الظلمات، فامتثل الشارع هذا التسبيح في بطون الأودية؛ لينجيه الله منها، ومن أن يدركه عدو، وقيل: إن تسبيح يونس صلاة قبل أن يلتقمه الحوت، فروعي فيه فضلها، والأول أولى بدليل التسبيح من الشارع في بطون الأودية، وكل منخفض، وقيل: معنى تسبيحه هنا في ذَلِكَ، أنه لما كان التكبير لله تعالى عند رؤية عظيم مخلوقاته، وجب أن يكون فيما انخفض من الأرض تسبيح لله تعالى؛ لأن التسبيح في اللغة: تنزيه الله تعالى من النقائص: كالولد، والشريك، والصاحبة، فسبحان الله: براءته من ذلك»[2].

***

---

(١) فتح الباري، لابن حجر، ٦/ ١٣٦.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٨/ ١٣٤.

١٠٣ – دُعَاءُ الـمُسَافِرِ إِذَا أَسْحَرَ

٢١٥ -«سَمَّعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَحُسْنِ بَلائِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صاحِبْنَا، وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا، عَائِذاً بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ»[١].

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٤٩-لفظ البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٢]، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ وَأَسْحَرَ يَقُولُ: «سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَحُسْنِ بَلائِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صَاحِبْنَا، وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا عَائِذًا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ»[٣].

٧٥٠-ولفظ الحاكم وابن خزيمة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ، فَبَدَا لَهُ الْفَجْرُ، قَالَ: «سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَنِعْمَتِهِ، وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صَاحِبْنَا، فَأَفْضِلْ عَلَيْنَا، سِتْرًا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ» يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَرْفَعُ به صَوْتَهُ[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «في سفر»: قال ابن الأثير رحمه الله: «السَّفْرُ: جمعُ سَافِرٍ، كَصَاحِبٍ وصَحْب، والْمُسَافِرُونَ جمعُ مُسَافِرٍ، والسَّفْرُ والْمُسَافِرُونَ بِمَعْنًى»[٥].

---

(١) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم ٢٧١٨، والحاكم، ١/ ٤٤٦، وابن خزيمة في صحيحه، ٢/ ١٢٢٤، برقم ٢٥٧١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٢٧١٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الحاكم، ١/ ٤٤٦، وصححه ووافقه الذهبي، وابن خزيمة في صحيحه، ٢/ ١٢٢٤، برقم ٢٥٧١، وصححه الألباني في تعليقه على ابن خزيمة، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٧١، مادة (سفر)

٢-قوله: «**إذا أسحر**»: السحر هو آخر الليل وهو قبيل الصبح، قال ابن منظور رحمه الله: السَّحَرُ قِطْعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ، وأَسحَرَ القومُ: صارُوا فِي السَّحَر، كَقَوْلِكَ: أَصبحوا. وأَسحَرُوا واستَحَرُوا: خَرَجُوا فِي السَّحَر. واسْتَحَرْنا أَي: صِرْنَا فِي ذَلِكَ الوقتِ»[١]، وقال النووي رحمه الله: «فَمَعْنَاهُ: قَامَ فِي السَّحَر، أَوْ اِنْتَهَى فِي سَيْره إِلَى السَّحَر، وَهُوَ آخِر اللَّيْل»[٢].

٣-قوله: «**سمع سامع بحمد الله**»: أي شهد شاهد وهو خبر بمعنى الأمر، أي: شهد شاهد على حمدنا لله على نعمه[٣]، قال ابن الأثير رحمه الله: «قوله: «**سمع سامع بحمد الله وحسن بلائه**» معناه: شهد شاهد، وحقيقته: ليسمع السامع، وليشهد الشاهد على حمد الله تعالى على نعمه، وحسن بلائه، وقيل: معناه: انتشر ذلك وظهر، وسمعه السامعون»[٤]، وقال الإمام النووي رحمه الله: «سمَّعَ - بفتح الميم المشدّدة- ومعناه: بلّغ سامع قولي هذا لغيره، تنبيهاً على الذكر في السحَر والدعاء في ذلك الوقت، وضبطه الخطابي وغيره سَمِعَ بكسر الميم المخففة؛ قال الإمام أبو سليمان الخطابي: سَمِعَ سامِعٌ معناه: شهدَ شاهدٌ. وحقيقته: ليسمع السامعُ، وليشهد الشاهدُ حَمْدنا الله تعالى على نعمته، وحسن بلائه»[٥]، وقال أيضاً: «سمع سامع»: رُوي بوجهين: أحدهما: فتح الميم من سمع، وتشديدها، والثاني: كسرها مع تخفيفها، واختار القاضي هنا، وفي المشارق، وصاحب المطالع التشديد،

---

(١) لسان العرب، ٤/ ٣٥٠، مادة (سحر).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣٩.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٤١.
(٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، ٤/ ٢٨٩.
(٥) الأذكار النووية، ١/ ١٠٩.

وأشار إلى أنه رواية أكثر رواة مسلم، قالا: ومعناه: بلغ سامع قولي هذا لغيره»[١]، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «... وقال مثله تنبيهاً على الذكر، والدعاء في هذا الوقت، وضبطه الخطابي وآخرون بالكسر والتخفيف، قال الخطابي: ومعناه شهد شاهد، وهو أمر بلفظ الخبر، وحقيقته ليسمع السامع، وليشهد الشاهد على حمدنا لله تعالى على نعمه، وحسن بلائه»[٢].

٤-قوله: «**وحسن بلائه علينا**»: أي: حسن إنعامه وعطاياه، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحسن البلاء: النعمة. والبلاء: الاختبار والامتحان، فالاختبار بالخير : ليتبين الشكر، والابتلاء بالشر: ليظهر الصبر»[٣]، وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: وحسن البلاء النعمة والبلاء الاختبار والامتحان فالاختبار بالخير ليبين الشكر والابتلاء بالشر ليظهر الصبر فإذا قيل بلاء حسن وبلاء قبيح كان على ما فسر»[٤]، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالواو في «**وحسن بلائه**»: للعطف، وإذا روي بالتخفيف، يكون بمعنى مع؛ لأن حسن البلاء غير مسمع، بل هو مبلغ، وكلاهما قريب من خطاب العام، كقوله ﷺ: «**بشر المشائين**»[٥]، يعني بلغ الأمر من فخامته وعظمة شأنه، بحيث لا يختص سامع دون سامع أن يكون مأموراً بتبليغ هذا البشارة إلى صاحبه، وبتبليغ هاتين الخلتين، وهما: حمدنا لله تعالى، وحسن بلائه علينا، وذلك أنه تعالى أنعم

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٤١.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٥.

(٣) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٤/ ٢٨٩.

(٤) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، ص ١٦٩.

(٥) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب ما جاء في المشي إلى الصلاة في الظلم، برقم ٥٦١، وسنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة، برقم ٢٢٣، وسنن ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب المشي إلى الصلاة، برقم ٧٨١، وحسنه لغيره الأرناؤوط في تحقيق سنن أبي داود، ١/ ٤٢١، وابن ماجه، ١/ ٥٠٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٣/ ٨٨، برقم ٥٧٠.

علينا فشكرناه، وابتلانا بالمحن فصبرناه؛ لأن كما ل الإيمان في الإنسان أن يكون صبَّاراً شكوراً...فيتوجه الثناء والشكر إلى الله تعالى على حصول كمال الإيمان فيه، فظهر من هذا التقدير أن معنى الأمر أبلغ وأفخم من معنى الخبر؛ لأنه بشارة، والمطلوب بها التبليغ»[(١)].

٥-قوله: «**ربنا صاحبنا**»: أي: كن لنا حافظًا ومعينًا، قال الإمام النووي رحمه الله: «قوله: «رَبّنَا صَاحِبْنَا، وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا»: أَيْ: احْفَظْنَا، وَحُطْنَا، وَاكْلَأْنَا، وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا بِجَزِيلِ نِعَمك، وَاصْرِفْ عَنَّا كُلّ مَكْرُوه»[(٢)]، وقال ابن الأثير رحمه الله: «أي: احفظنا ، ومن صحبه الله لم يضره شيء»[(٣)]، وقال ابن الجوزي رحمه الله: «ربنا صاحبنا أي: احفظنا، ومن صحبه الله لم يضره شيء، وبيانه ما روي من الزيادة فيه، وهو: «**اللهم أصحبنا منك بصحبة، وأقبلنا بذمة**»[(٤)] أي: احفظنا في سفرنا بحفظك، واقبلنا بأمانك وعهدك»[(٥)]، وقال الطيبي رحمه الله: «**ربنا صاحبنا**»:أي: أعنا واحفظنا»[(٦)]، والمقصود معية الله الخاصة؛ فإن معية الله معيّتان: معية عامة مع جميع المخلوقات، وهي العلم، والإحاطة بكل شيء، لا يخفى عليه خافية، ومعية خاصة لأوليائه: وهي معية: الحفظ، والتوفيق، والتسديد، والإعانة، والنصر، والإلهام، والتثبيت.

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٥.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٤٠.

(٣) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٤/ ٢٨٩.

(٤) معجم ابن الأعرابي، ٢/ ٨١٩، برقم ١٦٧٩: ولفظه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيّ ﷺ كَانَ إِذَا سَافَرَ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَصْحِبْنَا بِنُصْحٍ، وَأَقْبِلْنَا بِذِمَّةٍ، اللَّهُمَّ ازْوِ لَنَا الأَرْضَ، وَهَوِّنْ عَلَيْنَا السَّفَرَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ» وهو في تهذيب الآثار مسند علي، ٣/ ١٠١.

(٥) تفسير غريب ما فى الصحيحين البخارى ومسلم، ص ١٦٩.

(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٥.

٦-قوله: «**وأفضل علينا**»: أي: من واسع فضلك فإن يمينك ملأى سحاء الليل والنهار، قال الإمام النووي رحمه الله: «وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا بِجَزِيلِ نِعَمِك، وَاصْرِفْ عَنَّا كُلّ مَكْرُوه»[(١)]، وقال الطيبي رحمه الله: «وأفضل علينا بإدامة تلك النعمة ومزيدها، والتوفيق للقيام بحقوقها»[(٢)].

٧-قوله: «**عائذًا بالله من النار**»: أي: أستجير بك من النار ومن عذابها، ومن الأسباب الموصلة إليها، قال ابن الأثير رحمه الله: «وقوله : «عائذاً بالله» يحتمل وجهين، أحدهما : أن يريد : أنا عائذ بالله من النار، والآخر: أن يريد: متعوذ بالله ، كما يقال مستجار بالله، فوضع الفاعل مكان المفعول ، كقولهم : ماء دافق ، أي: مدفوق»[(٣)]. وقال الطيبي رحمه الله: «عائذاً: هو نصب على المصدر، أي: أعوذ عياذاً، أقيم اسم فاعل مقام المصدر...أو على الحال من الضمير المرفوع في: يقول، أو أسحر، ويكون من كلام الراوي، أقول [القائل هو الطيبي]: يريد أن عائذاً إذا كان مصدراً كان من كلام الرسول ﷺ، وإذا كان حالاً كان من كلام الراوي، وجوّز الشيخ محيي الدين أي: النووي أن يكون حالاً، ويكون من كلام الرسول ﷺ، حيث قال: إني أقول هذا في حال استعاذتي، واستجارتي من النار، أقول [القائل الطيبي]: والأرجح هذا؛ لئلا ينخرم النظم، وأنه ﷺ لما حمد الله تعالى على تلك النعمة الخطيرة، وأمر بإسماعها إلى كل من يتأتى منه السماع لفخامته، وطلب الثبات والمزيد عليه، قال هضماً لنفسه، وتواضعاً لله تعالى، وليضم الخوف مع الرجاء تعليما للأمة»[(٤)]، وأما قول النووي رحمه الله فهو: «مَنْصُوب عَلَى الْحَال، أَيْ: أَقُول هَذَا

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣٩.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٥.

(٣) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، ٤/ ٢٨٩.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٥.

فِي حَال اِسْتِعَاذَتِي وَاسْتِجَارَتِي بِاَللَّهِ مِنَ النَّار»[١].

٨-قوله: «سِتْرًا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ»: قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ستراً من النار: أي: حائلاً بينه وبينها، مانعاً له من دخوله إياها»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من شدة تعلق قلبه بالله عَزَّ وَجَلَّ، ودعائه في هذه الأوقات التي يتنزل فيها الله نزولًا يليق بجلاله، متفضلًا بالإجابة لمن سأله.

٢-نعم الله تعالى على عباده لا حصر لها، فإننا نتقلب في نعمه صباحًا ومساءً، وفي كل لحظة، والواجب علينا شكر هذه النعم بالقلب، واللسان، والجوارح.

٣-قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «البلاء منه عَزَّ وَجَلَّ قد يكون بالنعمة، وقد يكون بضدها، والمراد هنا النعمة، قوله: «صاحبنا»: بصيغة الأمر، دعا الله عَزَّ وَجَلَّ أن يصاحبه، ويتفضل عليه قوله عائذا بالله عَزَّ وَجَلَّ أي: حال كونه عائذاً بالله عَزَّ وَجَلَّ من جميع الشرور، ومعتصماً به مما أخاف»[٣].

٤-ومعية الله معيتان: معية عامة لجميع المخلوقات وهي العلم والاطلاع والقدرة والإحاطة، ومعية خاصة بالمؤمنين والمتقين والصابرين وهي الحفظ والتوفيق والتسديد والنصرة والإعانة، والله تعالى في جميع الأحوال على عرشه مستوٍ عليه استواء يليق بجلاله ومع ذلك لا يخفى عليه شيء فطلب المصاحبة في السفر هو طلب للمعية الخاصة.

***

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٤٠.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٦/ ٢٤٨.

(٣) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ٢٣٦.

١٠٤ – الدُّعَاءُ إذَا نَزَلَ مَنْزِلاً فِي سَفَرٍ أوْ غَيْرِهِ

٢١٦-«أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٥١-لفظ مسلم عن خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّة[٢]، قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»[٣].

٧٥٢-ولفظ أحمد عَنْ خَوْلَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَظْعَنَ مِنْهُ»[٤].

٧٥٣-ولفظ آخر لأحمد عن خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ رضي الله عنها قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْزِلُ مَنْزِلًا فَيَقُولُ حِينَ يَنْزِلُ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ- وَقَالَ يَزِيدُ: ثَلَاثًا - إِلَّا وُقِيَ شَرَّ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ حَتَّى يَظْعَنَ مِنْهُ»[٥].

ثانياً: شرح مفردات الحديث[٦]:

١-قوله: «من نزل منزلاً»: قال المناوي رحمه الله: «في سفره، لنحو: استراحة، أو

---

(١) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من سوء القضاء، برقم ٢٧٠٦، ومسند أحمد، ٤٥/ ٨٧، برقم ٢٧١٢٠، و٤٥/ ٢٩١، وبرقم ٢٧٣١٠.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٣٤٦ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٢٧٠٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسند أحمد، برقم ٢٧١٢٠، وصححه محققو المسند، والألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٥٢٤٢، و٦٥٦٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) مسند أحمد ط الرسالة، ٤٥/ ٢٩١، برقم ٢٧٣١٠، وصححه محققو المسند، والألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٥٢٤٢، و٦٥٦٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) وانظر: شرح مفردات الحديث رقم ٩٧ من أحاديث المتن.

قيلولة، أو تعريس»[١]، وقال ابن علان رحمه الله: «أي: في مكان من الأمكنة: حضراً، أو سفراً؛ وذكره لأن السفر مظنه التحوّل إلى المنازل»[٢].

٢-قوله: «**أعوذ**»: العوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به. يقال: عاذ فلان بفلان، ... وأعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك»[٣].

٣-قوله: «**بكلمات الله**»: قال القاري رحمه الله: «الكاملة الشاملة الفاضلة، وهي أسماؤه وصفاته، وآيات كتبه... والكلمات ههنا محمولة على أسماء الله الحسنى، وكتبه المنزلة؛ لأن الاستعاذة إنما تكون بها»[٤].

٤-قوله: «**التامات**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «وصف كلماته بالتمام، إذ لا يجوز أن يكون شيء من كلامه ناقصاً، ولا فيه عيب، كما يكون في كلام الآدميين، وقيل: معنى التمام هاهنا: أن ينتفع بها المتعوذ، وتحفظه من الآفات[٥]، وقال القاري رحمه الله: «ووصفها بالتامة لخلوها عن النواقص، والعوارض، بخلاف كلمات الناس؛ فإنهم متفاوتون في كلامهم على حسب تفاوتهم في العلم، واللهجة، وأساليب القول...، وكلمات الله تعالى متعالية عن هذه القوادح، فهي لا يسعها نقص، ولا يعتريها اختلال»[٦].

٥-قوله: «**من شر ما خلق**» أي: من مخلوقات الله عز وجل، قال الشيخ البعلي رحمه الله: «فَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِهِ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي فِي الْمَخْلُوقِ، فَهُوَ الَّذِي يُعِيذُ مِنْهُ، وَيُنْجِي مِنْهُ»[٧].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ٢٠٦.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٣٠٢.

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦، وقد تقدم مستوفى في شرح المفردة الأولى من الحديث رقم ٩٧ من أحاديث المتن.

(٤) مرقاة المفاتيح، ٢/ ٢٦٦، وقد تقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٢ من الحديث رقم ٩٧.

(٥) جامع الأصول، ٤/ ٢٩٣.

(٦) مرقاة المفاتيح، ٢/ ٢٦٦، وقد تقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٣ من الحديث رقم ٩٧.

(٧)مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ص ٢٥٩، وقد تقدم مستوفى في شرح

٦-قوله: «لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ»: قال الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُرِيدُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ تَعَوُّذَهُ إِنَّمَا يَتَنَاوَلُ مُدَّةَ مُقَامِهِ فِيهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ»[(١)].

٧-قوله: «وُقِيَ شَرَّ مَنْزِلِه»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَيْتُ الشَّيءَ أَقِيهِ، إِذَا صُنْتَه، وسَتَرْتَه عَنِ الْأَذَى، فلِيَقِ أَحَدُكم وجهَه النارَ، بِالطَّاعَةِ، وتَوَقَّى، واتَّقى بمعْنًى، وأصْلُ اتَّقَى: أَوْتَقى، فقُلبت الْوَاوُ يَاءً لِلْكَسْرَةِ قبْلَها، ثُمَّ أَبْدلَتْ تَاءً وأُدغمت»[(٢)].

٨-قوله: «حَتَّى يَظْعَنَ مِنْهُ»، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «ظَعَنَ يَظْعَنُ ظَعْناً وظَعَناً بالتحريك، وظُعوناً: ذهب، وسار... وأَظْعَنه هو سَيَّرَه... والظَّعْنُ سَيْرُ البادية لنُجْعَةٍ، أَو حُضُوره ماء، أَو طَلَبِ مَرْبَعٍ، أَو تَحَوُّلٍ من ماء إلى ماء، أَو من بلد إلى بلد »[(٣)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية قول هذا الذكر إذا نزل الإنسان منزلًا في سفر أو حضر حتى يرتحل منه ليكون في حفاظة رب العالمين ويشترط لهذا صدق قائله وحسن الثقة بالله تعالى، ويدخل في المنازل: السيارات، والطائرات، والقطارات؛ لأنها منازل متحركة، يأكل الإنسان فيها، ويشرب، وينام، ويقضي في بعضها حاجته.

٢-إبطال ما كان عليه أهل الجاهلية إذا نزلوا بمنزل حيث كانوا يتعوذون بالجن والأحجار والأصنام، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[(٤)].

٣-قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي الاستعاذة بكلمات الله أبين دليل على أن

=

المفردة رقم ٤ من الحديث رقم ٩٧.

(١) المنتقى شرح الموطأ، ٤/ ٤٣١.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٢١٧، مادة (وقي).

(٣) لسان العرب، ١٣/ ٢٧٠، مادة (ظعن).

(٤) سورة الجن، الآية: ٦.

كلام الله منه، تبارك اسمه، وصفة من صفاته، ليس بمخلوق؛ لأنه محال أن يستعاذ بمخلوق، وعلى هذا جماعة أهل السنة والحمد لله»[١].

٤-قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَقد اسْتدلَّ أَئِمَّة السّنة: كأحمد وَغَيره على أَن كَلَام الله غير مَخْلُوق [لِأَنَّهُ] استعاذ بِهِ فَقَالَ: «**من نزل منزلاً فَقَالَ: أعوذ بِكَلِمَات الله التَّامَّة من شَرّ مَا خلق لم يضرّهُ شَيْء حَتَّى يرتحل مِنْهُ**»، فَكَذَلِك معافاته، وَرضَاهُ، غير مَخْلُوق؛ لِأَنَّهُ استعاذ بِهِ، والعافية الْقَائِمَة ببدن العَبْد مخلوقة؛ فَإِنَّهَا نتيجة معافاته»[٢].

٥-قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يشمل من نزل منزلاً في السفر، إذا كان مسافراً ثم نزل ليستريح لغداء، أو عشاء، أو نوم، أو غير ذلك؛ فإنه إذا نزل يقول: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، وأعوذ أي: أعتصم بكلمات الله التامات، وكلمات الله التامات تشمل كلماته الكونية والشرعية، فأما الكونية فهي التي ذكرها الله ... فيحميك الله تعالى بكلماته الكونية، و يدفع عنك ما يضرك إذا قلت هذا الكلام، كذلك الكلمات الشرعية، وهي الوحي، فيها وقاية من كل سوء وشر، وقاية من الشر قبل نزوله وبعده... فاحرص يا أخي المسلم إذا نزلت منزلاً في بر، أو بحر، أو منزلاً اشتهيته للنوم، وما أشبه ذلك، فقل: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» فإنه لا يضرك شيء حتى ترتحل من منزلك ذلك، والله الموفق»[٣].

***

(١) التمهيد، ٢٤/ ١٨٦.

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية، ٢/ ١٩.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٨٣.

١٠٥ – ذِكْرُ الرُّجُوعِ مِنَ السَّفَرِ

٢١٧ -((يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ ثَلاَثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، ساجدون، لِرَبِّنا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ))[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٥٤-لفظ البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما[٢] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ))[٣].

٧٥٥-ولفظ مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَفَلَ مِنَ الْجُيُوشِ، أَوِ السَّرَايَا، أَوِ الْحَجِّ، أَوِ الْعُمْرَةِ، إِذَا أَوْفَى عَلَى ثَنِيَّةٍ أَوْ فَدْفَدٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا

---

(١) البخاري، كتاب العمرة، باب ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو، برقم ١٧٩٧، ومسلم، كتاب الحج، باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره، برقم ١٣٤٤.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ١٧٩٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث[٢]:

١-قوله: «**إذا قفل**» قال ابن الأثير رحمه الله: «قَفَل يَقْفِلُ: إذَا عَادَ مِنْ سَفَرِهِ، وقد يقال للسّفر: قُفُول، فِي الذَّهَابِ والمَجِيء، وَأَكْثَرُ مَا يُستعمل فِي الرُّجوع»[٣]، وقال الباجي رحمه الله: «إِذَا قَفَلَ مِنْ حَجٍّ أَوْ غَزْوٍ أَوْ عُمْرَةٍ يُرِيدُ يَرْجِعُ إِلَى الْمَدِينَةِ مَوْضِعَ اسْتِيطَانِهِ، وَمَقَامِهِ، وَالْقُفُولُ هُوَ الْإِيَابُ وَلَا يُسَمَّى الْمُتَوَجِّهُ مِنْ بَلَدِهِ قَافِلًا، وَإِنَّمَا يُسَمَّى بِذَلِكَ الرَّاجِعُ إِلَيْهِ»[٤].

٢-قوله: «**يكبر على كل شرف ثلاث تكبيرات**»: قال الطيبي رحمه الله: «أي: على المكان العالي، ووجه التكبيرات على الأماكن العالية، وهو استحباب الذكر عند تجديد الأحوال، والتقلب في التارات، وكان ﷺ يراعي ذلك في الزمان والمكان؛ لأن ذكر الله تعالى ينبغي أن لا ينسى في كل الأحوال»[٥]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ثُمَّ يَقُول لا إِلَه إِلاَّ الله إِلَخ: يَحتَمِل أَنَّهُ كانَ يَأتِي بِهَذا الذِّكر عَقِب التَّكبِير، وهُو عَلَى المَكان المُرتَفِع، ويَحتَمِل أَنَّ التَّكبِير يَختَصّ بِالمَكانِ المُرتَفِع وما بَعده إِن كانَ مُتَّسِعًا أَكمَلَ الذِّكر المَذكُور فِيهِ، وإِلاَّ فَإِذا هَبَطَ سَبَّحَ كَما دَلَّ عَلَيهِ حَدِيث جابِر . ويَحتَمِل أَن يُكمِل الذِّكر مُطلَقًا عَقِب التَّكبِير»[٦].

٣-قوله: «**ثنية**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «الثَّنِيَّة فِي الجَبل كالعَقَبة فِيهِ، وَقِيلَ

---

(١) مسلم، برقم ١٣٤٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) وانظر ما مضى [الحديثين من متن الكتاب] برقم ٢٠٧، ٢٠٩.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٩٢، مادة (قفل).
(٤) المنتقى شرح الموطأ، ٣/ ٧٧.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٦.
(٦) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٨٩.

هُو الطَّرِيق الْعَالِي فِيهِ، وَقِيلَ أَعْلَى المَسِيل فِي رَأْسِهِ»[١]، وقال الزرقاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: ارتفع على ثنية بمثلثة فنون فتحتية هي العقبة»[٢].

٤-قوله: «**أو فدفد**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفَدْفَد: الموضِع الَّذِي فِيهِ غِلَظٌ وَارْتِفَاعٌ»[٣]، قال الزرقاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفدفد - بفتح الفاءين، بعد كل دال مهملة-: الأشهر أنه المكان المرتفع، وقيل الأرض المستوية، وقيل الفلاة الخالية من شجر وغيره، وقيل غليظ الأودية ذات الحصى»[٤].

٥-قوله: «**ثم يقول: لا إله إلا الله**»: قال الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَوْلُهُ ﷺ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» إظْهَارٌ لِلتَّوْحِيدِ، وَإِعْلَامٌ بِهِ، وَاسْتِدَامَةٌ لِلْإِيمَانِ بِهِ»[٥]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويَحتَمِل أَن يُكمِل الذِّكر مُطلَقًا عَقِب التَّكبِير ثُمَّ يَأتِي بِالتَّسبِيح إذا هَبَطَ، قالَ القُرطُبِيّ: وفِي تَعقِيب التَّكبِير بِالتَّهلِيلِ إشارَة إلَى أَنَّهُ المُتَفَرِّد بِإِيجادِ جَمِيع المَوجُودات، وأَنَّهُ المَعبُود فِي جَمِيع الأَماكِن»[٦]، والمعنى: أن الله عَزَّ وَجَلَّ هو المعبود بحق، يعبده العابد في أي مكان، وفي أي زمان، وهو عَزَّ وَجَلَّ مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[٧].

٦-قوله: «**وحده لا شريك له**»، قال المناوي: «لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً، ... وهو تأكيد لقوله: «وحده»؛ لأن المتصف بالوحدانية لا شريك له»[٨].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٢٦، مادة (ثني).

(٢) شرح الزرقاني على موطأ مالك، ٢/ ٥٢١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٢٠، مادة (فدفد).

(٤) شرح الزرقاني، ٢/ ٥٢١.

(٥) المنتقى شرح الموطأ، ٣/ ٧٧.

(٦) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٨٩.

(٧) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٨) فيض القدير، ٥/ ٢٠٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن ٦٧.

٧-قَوْلُهُ: «لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ»: قال الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ: تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدِ... فَجُعِلَ جِنْسُ الْمُلْكِ وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ، وَجَعَلَ جَمِيعَ الْحَمْدِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ عَلَى الْحَقِيقَةِ سِوَاهُ»[١].

٨-قوله: «وهو على كل شيء قدير»: قال ابن جرير: «يقول جلّ ثناؤه: وهو على كل شيء ذو قدرة، لا يتعذّر عليه شيء أراده، من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من الأمور»[٢]، وقال الباجي: «وَقَوْلُهُ ﷺ: «عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» إعْلَامٌ أَنَّهُ هُوَ الْقَدِيرُ عَلَى مَا كَانَ يَعِدُهُمْ بِهِ مِنْ نَصْرِ عَبْدِهِ، وَإِظْهَارِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَإِذْكَارٍ لَهُمْ بِمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مِنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى، وَإِنَّهُ لَا يُغْلَبُ مَنْ نَصَرَهُ، وَلَا يُنْصَرُ مَنْ حَارَبَهُ»[٣].

٩-قوله: «آيِبُونَ»: قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «آيبون: جمع آيب أي: راجِع وزنه ومَعناهُ، وهُو خَبَر مُبتَدَأ مَحذُوف، والتَّقدِير نَحنُ آيِبُونَ، ولَيسَ المُراد الإِخبار بِمَحضِ الرُّجُوع؛ فَإِنَّهُ تَحصِيل الحاصِل، بَل الرُّجُوع فِي حالَة مَخصُوصَة، وهِيَ تَلَبُّسهم بِالعِبادَةِ المَخصُوصَة والاتِّصاف بِالأَوصافِ المَذكُورَة»[٤]، وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَعْنَى آيِبُونَ: رَاجِعُونَ، وَمَعْنَى تَائِبُونَ: أَيْ: مِنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ عَائِدُونَ، بِمَا افْتَرَضَهُ عَلَيْهِمْ، وَرَضِيَهُ مِنْهُمْ، سَاجِدُونَ لِوَجْهِهِ، لَا لِغَيْرِهِ، حَامِدُونَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ»[٥].

---

(١) المنتقى، شرح الموطأ للباجي، ٣/ ٧٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من حديث المتن رقم ١٥٢.

(٢) تفسير الطبري، ٢٣/ ١٦٥، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٦٧.

(٣) المنتقى شرح الموطأ، ٣/ ٧٧.

(٤) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٨٩.

(٥) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٣/ ٣٢٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٦ من =

١٠-قوله: «**تائبون**»: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقوله: تائِبُونَ فِيهِ إِشارَة إِلَى التَّقصِير فِي العِبادَة، وقالَهُ ﷺ عَلَى سَبِيل التَّواضُع، أَو تَعلِيماً لأُمَّتِهِ، أَو المُراد أُمَّته كَما تَقَدَّمَ تَقرِيره، وقَد تُستَعمَل التَّوبَة لإِرادَةِ الاستِمرار عَلَى الطّاعَة، فَيَكُون المُراد أَن لا يَقَع مِنهُم ذَنب»[(١)]، وقال الباجي رحمه الله: وَقَوْلُهُ ﷺ: «آيِبُونَ تَائِبُونَ» يُرِيدُ ﷺ أَنَّهُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ آيِبُونَ مِنْ سَفَرِهِمْ، تَائِبُونَ لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَا نَهَى عَنْهُ، عَابِدُونَ لَهُ دُونَ مَنْ سِوَاهُ، سَاجِدُونَ لَهُ، حَامِدُونَ عَلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّصْرِ، وَالتَّأْيِيدِ، وَالْحِفْظِ فِي السَّفَرِ، وَالْعَوْنِ عَلَيْهِ، وَالتَّوْفِيقِ لِلصَّوَابِ فِي جَمِيعِهِ»[(٢)].

١١-قوله: «**ساجدون**»: قال الحافظ العراقي رحمه الله: «وقوله: ساجدون بعد قوله: عابدون، من ذكر الخاص بعد العام، وقوله: لربنا يحتمل تعلقه بقوله ساجدون، أي: نسجد له، لا لغيره من الأصنام»[(٣)].

١٢-قوله: «**عابدون**»: قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى»[(٤)].

١٣-قوله: «**لربنا حامدون**»: حامدون أي: نحمده دون غيره لرؤيتنا النعمة منه إذ هو المنعم بها لا رب سواه»[(٥)]، وقال ابن عبد البر رحمه الله: «حَامِدُونَ عَلَى ذَلِكَ

=
مفردات حديث المتن رقم ٢٠٧.

(١) فتح الباري، ١١/ ١٨٩.

(٢) المنتقى شرح الموطأ، ٣/ ٧٧.

(٣) طرح التثريب في شرح التقريب، ٥/ ١٦٠.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، ٢/ ٥٧، مادة (عبد)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٨ من مفردات حديث المتن ٢٠٧.

(٥) طرح التثريب في شرح التقريب، ٥/ ١٦١.

كُلِّهِ»[١]، وقال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «ففيه مقابلة النعم الإلهية بالخدم على قدر الطاقة، والبداءة بالإياب إلى الله تعالى من المخالفة لأنها كالتخلية بالمعجمة، ثم التوجه إلى صالح العمل، ثم حمد الله على التوفيق له وتيسيره»[٢].

١٤-قوله: «**صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ**»: أي: أن هذا ليس فيما وعد به عَزَّ وَجَلَّ من إظهار دينه، قال الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَوْلُهُ ﷺ: «**صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ**» يُرِيدُ [و] اللهُ أَعْلَمُ أَنَّهُ الصَّادِقُ فِي وَعْدِهِ لِرَسُولِهِ ﷺ بِنَصْرِهِ، وَتَأْيِيدِهِ، وَعِصْمَتِهِ مِنَ النَّاسِ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَرَسُولَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ يُرِيدُ ﷺ أَنَّهُ تَعَالَى الْمُنْفَرِدُ بِإِعْزَازِ دِينِهِ، وَإِهْلَاكِ عَدُوِّهِ، وَغَلَبَةِ الْأَحْزَابِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ وَالْمَوَاطِنِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»[٣]، وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَوْلُهُ: صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ فِيمَا كَانَ وَعَدَهُ مِنْ ظُهُورِ دِينِهِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ اعْتِرَافٌ بِالنِّعْمَةِ، وَشُكْرٌ لَهَا»[٤].

١٥-قوله: «**ونصر عبده**»: يريد نفسه ﷺ[٥].

١٦-قوله: «**وهزم الأحزاب وحده**»: أي: من فعل أحد من الآدميين، والمراد بالأحزاب هم: كفار قريش، ومن وافقهم، واليهود يوم الخندق، وقيل المراد أعم من ذلك، وبه قال الحافظ ابن حجر[٦]، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «الأحزاب»: وهي الطوائف من الناس، جمع حزب بالكسر، ومنه الحديث ذكر يوم الأحزاب، وهو غزوة الخندق، وحديث الأحزاب مشهور في التفاسير

---

(١) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٣/ ٣٢٧.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٣٠٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٩ من مفردات حديث المتن رقم ٢٠٧.

(٣) المنتقى شرح الموطأ، ٣/ ٧٧.

(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٣/ ٣٢٨.

(٥) فتح الباري، ١١/ ١٩٠.

(٦)انظر: فتح الباري، ١١/ ١٩٠.

والمغازي...، قوله: «وحده»: أي: كفى الله تعالى المؤمنين يوم الخندق قتال تلك الأحزاب المجتمعة من قبائل شتى، بأن أرسل عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها، فهزمهم»[1]، وقال ابن عبد البر رحمه الله: «وَفِيهِ مِنَ الْخَبَرِ أَنَّ غَزْوَةَ الْخَنْدَقِ وَهِيَ غَزْوَةُ الْأَحْزَابِ، نَصَرَ اللهُ فِيهَا الْمُؤْمِنِينَ بِرِيحٍ، وَجُنُودٍ لَمْ يَرَوْهَا، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا لِآدَمِيٍّ صُنْعٌ؛ فَلِذَلِكَ قَالَ: وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»[2].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-قال الباجي رحمه الله: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ سَفَرٍ، وَإِنَّمَا كَانَتْ السِّفَارَةُ فِي أَحَدِ هَذِهِ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ: غَزْوٍ، أَوْ حَجٍّ، أَوْ عُمْرَةٍ، فَكَانَ يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الْأَرْضِ تَعْظِيمًا لِلَّهِ، وَمُوَاظَبَةً عَلَى ذِكْرِهِ، وَإِظْهَارًا لِكَلِمَتِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ يَخُصُّ بِذَلِكَ الشَّرَفَ لِأَنَّ مِنْهُ يَرَى مِنَ الْأَرْضِ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ بَصَرُهُ، فَكَانَ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا يَرَى مِنَ الْأَرْضِ، مِمَّا فَتَحَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَيَسْتَقْبِلُهُ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّعْظِيمِ؛ وَلِأَنَّ مَا شُرِعَ فِيهِ الْإِعْلَانُ مِنَ الذِّكْرِ، فَالْأَحَقُّ بِهِ مَا عَلَا مِنْ الْأَرْضِ، كَالأَذَانِ، وَالتَّلْبِيَةِ؛ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ إِظْهَارًا لِلذِّكْرِ، وَفِي تَخْصِيصِ الْمُطْمَئِنِّ بِهِ مِنْ الْأَرْضِ ضَرْبٌ مِنَ التَّسَتُّرِ»[3].

٢-استحباب قول هذا الذكر عند العودة من كل سفر إذا كان هذا السفر سفر طاعة، أو سفرًا مباحًا، أما قول الراوي: كان رسول ﷺ إذا قفل من غزو، أو حج، أو عمرة، يكبر على كل شرف من الأرض - والشرف هو المكان العالي – ثلاث تكبيرات ثم يقول هذا الدعاء، فقد قال ذلك لانحصار سفر النبي ﷺ في هذه الثلاث.

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٦.

(٢) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٣/ ٣٢٨.

(٣) المنتقى شرح الموطأ، ٣/ ٧٧.

٣-تذكير النفس بكبرياء الله وعظمته، وهذا يدفع المسلم إلى الإقرار بتوحيد الله، والثناء عليه، وتمام قدرته ﷻ.

٤-استغفار النبي ﷺ دليل على تمام الخشية منه لربه وحتى تتأسى به أمته.

٥-استشعار فضل الله على هذه الأمة لما أنعم عليها من نعمة الأمن والإيمان، بعد أن تحقق موعود الله لها بالنصر والتمكين، وأنه متى صدق العبد مع ربه نصره، وأيده ولوكره الكافرون.

٦-قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هذا الحديث الحضُّ على ذكر الله، وشكره للمسافر على أوبته، ورجعته، وشكر الله تبارك وتعالى، والثناء عليه بما هو أهله واجب، وذكر الله حسن على كل حال، والحمد لله الكبير المتعال»[(١)].

٧-قال الحافظ بن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «واختُلِفَ فِي المُراد بِالأَحزابِ هُنا فَقِيلَ هُم كُفّار قُرَيش، ومَن وافَقَهُم مِنَ العَرَب، واليَهُود الَّذِينَ تَحَزَّبُوا، أَي: تَجَمَّعُوا فِي غَزوة الخَندَق، ونَزَلَت فِي شَأنهم سُورَة الأَحزاب... وقِيلَ المُراد أَعَمّ مِن ذَلِكَ، وقالَ النَّووِيّ: المَشهُور الأَوَّل، وقِيلَ فِيهِ نَظَر؛ لأَنَّهُ يَتَوقَّف عَلَى أَنَّ هَذا الدُّعاء إِنَّما شُرِعَ مِن بَعد الخَندَق، والجَواب أَنَّ غَزَوات النَّبِيّ ﷺ الَّتِي خَرَجَ فِيها بِنَفسِهِ مَحصُورَة، والمُطابِق مِنها لِذَلِكَ غَزوة الخَندَق...والأَصل فِي الأَحزاب أَنَّهُ جَمع حِزب، وهُو القِطعَة المُجتَمِعَة مِنَ النّاس...، قالَ القُرطُبِيّ: ويَحتَمِل أَن يَكُون هَذا الخَبَر بِمَعنَى الدُّعاء، أَي: اللَّهُمَّ اهزِم الأَحزاب، والأَوَّل أَظهَر»[(٢)].

٨-قال الحافظ العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه استحباب الإتيان بهذا الذكر في القفول من سفر الغزو والحج والعمرة، وهل يختص ذلك بهذه الأسفار، أو يتعدى إلى

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ١٥/ ٢٤٢.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٩٠.

كل سفر طاعة، كالرباط، وطلب العلم، وصلة الرحم، أو يتعدى إلى السفر المباح أيضاً، كالنزهة، أو يستمر في كل سفر، ولو كان محرماً؟ يحتمل أوجهاً:

أحدها: الاختصاص، وذلك لأن هذا ذكر مخصوص، شرع بأثر هذه العبادات المخصوصة، فلا يتعدى إلى غيرها، كالذكر عقب الصلاة من التسبيح، والتحميد، والتكبير على الهيئة المخصوصة؛ فإنه لا يتعدى إلى غيرها من العبادات، كالصيام ونحوه، والأذكار المخصوصة متعبد بها في لفظها، ومحلها، ومكانها، وزمانها.

الثاني: أنه يتعدى إلى سائر أسفار الطاعة لكونها في معناها في التقرب بها.

الثالث: أنه يتعدى إلى الأسفار المباحة أيضاً، وعلى هذين الاحتمالين، فالتقييد في الحديث إنما هو لكونه عليه الصلاة والسلام لم يكن يسافر بغير المقاصد الثلاثة، فقيده بحسب الواقع، لا لاختصاص الحكم به.

الرابع: تعديه إلى الأسفار المحرمة؛ لأن مرتكب الحرام أحوج إلى الذكر من غيره؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات، وكلام النووي محتمل؛ فإنه قال في تبويبه في شرح مسلم ما يقول إذا رجع من سفر الحج وغيره، مما هو مذكور في الحديث، وهو العمرة، والغزو، وقد يريد غيره مطلقاً... فمثل بطلب العلم، وهو من الطاعات، وبالتجارة وهي من المباحات، ولم يمثل المحرم، لكنه مندرج في إطلاقه»[(١)].

***

(١) طرح التثريب في شرح التقريب، ٥/ ١٥٩.

١٠٦ - مَا يَقُولُ مَنْ أَتَاهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ أَوْ يَكْرَهُهُ

٢١٨-«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَسُرُّهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ»، وَإِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَكْرَهُهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»»[1].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٥٦-لفظ ابن ماجه عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها[2] قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ»، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»[3].

٧٥٧-ولفظ الحاكم عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ الأَمْرُ يَسُرُّهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ»، وَإِذَا أَتَاهُ الأَمْرُ يَكْرَهُهُ، قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»[4].

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، برقم ٣٨٣٠، وابن السني في عمل اليوم والليلة، ص ٣٣٤، برقم ٣٧٨، والحاكم وصححه، ١/٤٩٩، وجوّد إسناده الإمام النووي في الأذكار، ص ٣٩٦، وصحح إسناده الكناني في مصباح الزجاجة، ٤/ ١٣١، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب، طبعة المعارف، برقم ١٤٠، وفي السلسلة الصحيحة، برقم ٢٦٥، وفي صحيح الجامع، ٤/٢٠١.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٣) أخرجه ابن ماجه، برقم ٣٨٠٣ ، وجوّد إسناده الإمام النووي في الأذكار، ص ٣٩٦، وصحح إسناده الكناني في مصباح الزجاجة، ٤/ ١٣١، وصححه الألباني في، وفي صحيح الجامع، ٤/٢٠١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أخرجه الحاكم وصححه، ٤٩٩/١، وجوّد إسناده الإمام النووي في الأذكار، ص ٣٩٦، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب، طبعة المعارف، برقم ١٤٠، وفي السلسلة الصحيحة، برقم ٢٦٥، وفي صحيح الجامع، ٤/٢٠١ ، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٧٥٨-ولفظ ابن السني عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ**»، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**»[١].

٧٥٩- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أفضَلُ الذِّكْرِ لاَ إِلَهَ إلاَ اللَّهُ، وَأفضَلُ الدُّعاءَ الحَمْدُ للَّهِ**»[٢].

٧٦٠- وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه[٣]، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْحَمَّادُونَ، ثُمَّ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ مَنْ نَاوَأَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ حَتَّى يُقَاتِلُونَ الدَّجَّالَ**»[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**أتاه الأمر**»: قال ابن منظور رحمه الله: «الإِتْيان: المَجيء، أَتَيْته أَتْياً وأُتِيّاً وإِتِيّاً وإِتْياناً وإِتْيَانَةً ومَأْتَاةً: جِئْتُه»[٥]، وقال الزبيدي رحمه الله: «ما أَتاكَ مِن أَمْرِ اللَّهِ فقد أَتَيْتَه أَنْتَ... وقَوْلُه تعالى: ﴿**أَيْنما تكونُوا يأْتِ بكُم اللَّهُ جَمِيعاً**﴾[٦]. قالَ أَبو إسْحاق: مَعْناهُ يُرْجِعُكُم إلى نَفْسِه، وقَوْلُه ﷻ: ﴿**أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فلا تَسْتَعْجِلُوه**﴾[٧]؛ أَي قَرُبَ ودَنا إِتْيانُه»[٨].

---

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٣٧٨، وجوّد إسناده الإمام النووي في الأذكار، ص ٣٩٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٦٥، وفي صحيح الجامع، ٢٠١/٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في أن دعوة المسلم مستجابة، برقم ٣٣٨٣، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، أفضل الذكر وأفضل الدعاء، برقم ١٠٦٦٧، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، برقم ٣٨٠٠، والحاكم، وصححه، ٦٧٦/١، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٤٩٧.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٦٨١ من أحاديث الشرح.

(٤) أخرجه الطبراني، ١٢٤/١٨، برقم ٢٥٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ١٥٧١.

(٥) لسان العرب، ١٤/ ١٣، مادة (أتى).

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

(٧) سورة النحل، الآية: ١.

(٨) تاج العروس، ٣٧/ ٣٨، مادة (أتى).

٢-قوله: «**يسره**»: من السرور والفرحة أي: يسعده، قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «والسرور: ما ينكتم من الفرح»[١].

٣-قوله: «**قال: الحمد لله**»: قال الطيبي رحمه الله: «الحمد: الثناء على قدرته؛ ... فيشكر على ما أولى العباد بسبب الانتقال من النعم الدينية، والدنيوية ما لا يحصى»[٢].

٤-قوله: «**الذي بنعمته**»: أي: بفضله وإنعامه وإحسانه، قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «النعمة: الحالة الحسنة، وبناء النعمة بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان كالجلسة والركبة، والنعمة: التنعم، وبناؤها بناء المرة من الفعل كالضربة والشتمة، والنعمة للجنس تقال للقليل والكثير...، والإنعام: إيصال الإحسان إلى الغير... والنعماء بإزاء الضراء... وتنعَّم: تناول ما فيه النعمة وطيب العيش، يقال: نعمه تنعيما فتنعم. أي: جعله في نعمة»[٣]، وقال الزبيدي رحمه الله: «النِّعْمَةُ المَنْفَعَةُ المَفْعُولَةُ على جِهَةِ الإحْسَانِ إلى الغَيْر، قال: فخَرَجَ بِالمَنْفَعَةِ المَضَرَّةُ المَحْفِيَّةُ، والمَنْفَعَةُ المَفْعُولَةُ إلاَّ على جِهَة الإحسان إلى الغَيْر...النِّعمةُ: مَا قُصِدَ بِه الإحْسَانُ والنَّفْعُ»[٤].

٥-قوله: «**تتم الصالحات**»: أي: من الأمور المرضية في الدنيا والآخرة، قال المناوي رحمه الله: «تتم: تكمل، الصالحات: أي: النعم الحسان التي من جملتها حصول المسؤول أو قربه»[٥]، وقال الصنعاني رحمه الله: «الأمور التي تصلح بها الدنيا والآخرة، تتم بسبب إنعامه على عباده»[٦].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ١/ ٤٦٩، مادة (سر).
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة الأولى من حديث المتن رقم ١٠٨.
(٣) مفردات ألفاظ القرآن، ٢/ ٤٤٢، مادة (نعم).
(٤) تاج العروس، ٣٣/ ٤٩٨، مادة (نعم)
(٥) فيض القدير، ١/ ٤٧٢.
(٦) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٤٠٢.

٦-قوله: «**وإذا أتاه الأمر يكرهه** »: قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «الكَره والكُره واحد، نحو: الضَّعف والضُّعف، وقيل: الكره: المشقة التي تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بإكراه، والكره: ما يناله من ذاته وهو يعافه، وذلك على ضربين:

أحدهما: ما يعاف من حيث الطبع.

والثاني: ما يعاف من حيث العقل أو الشرع، ولهذا يصح أن يقول الإنسان في الشيء الواحد: إني أريده وأكرهه، بمعنى أني أريده من حيث الطبع، وأكرهه من حيث العقل أو الشرع، أو أريده من حيث العقل أو الشرع، وأكرهه من حيث الطبع»[(١)].

٧-قوله: «**الحمد لله على كل حال**» أي: سواء كان الذي أتى محببًا إلى النفس أو غير محبب، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «هذا الحمد أنه محمود على هذا الأمر المكروه لأنه حسن منه وحكمة وصواب فيستحق أن يحمد عليه»[(٢)]، وقال الصنعاني رحمه الله: فإن المكروه في ضمنه محبوب يحمد الله عليه فإن كل ما يأتي من تلقائه فهو إنعام»[(٣)]، وقال المناوي: رحمه الله: «**الحمد لله على كل حال**»: أي كل كيف من الكيفيات التي قدرها الله؛ فإن أحوال المؤمن كلها خير، وقضاء الله بالسراء والضراء رحمة ونعمة»[(٤)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الدنيا لا تصفو لأحد، فهي بين فرح وسرور، وعطية وبلية، والسعيد

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ٢/ ٢٩٣، مادة (كره).
(٢) الصواعق المرسلة، ٤/ ١٤٩٦.
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٤٠٢.
(٤) فيض القدير، ١/ ٤٧٢.

من رضي بقضاء الله وقدره، فكله خير محض.

٢-شكر النعمة يكون باللسان قولًا، وبالجوارح عملًا، حتى يتحقق موعود الله ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[(١)]، فمن تمام الشكر ألا يتقوى العبد بنعم الله على معاصيه.

٣-الصبر على البلاء، والرضا بالقضاء: من دلائل الإيمان، ومن أعظم أسباب السعادة في الدنيا والآخرة؟

٤-بيان فضل الحمد، وأنه عبادة عظيمة لله تعالى.

٥-قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الحليمي: هذا على حسن الظن بالله تعالى، وأنه لم يأت بالمكروه إلا لخير علمه لعبده فيه، وأراده به، فكأنه قال: اللهم لك الخلق والأمر، تفعل ما تريد، وأنت على كل شيء قدير»[(٢)].

٦-قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وله الحمد: يعني الكمال المطلق على كل حال، فهو جل وعلا محمود على كل حال في السراء وفي الضراء، أما في السراء، فيحمد الإنسان ربه حمد شكر، وأما في الضراء، فيحمد الإنسان ربه حمد تفويض؛ لأن الشيء الذي يضر الإنسان قد لا يتبين له وجه مصلحته فيه، ولكن الله تعالى أعلم، فيحمد الله تعالى على كل حال، وكان النبي ﷺ إذا أتاه ما يسره قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا أتاه ما لا يسره قال: الحمد لله على كل حال، وأما ما يقوله بعض الناس: الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، فهذه كلمة خاطئة لم ترد، ومعناها غير صحيح، وإنما يُقال: الحمد لله على كل حال»[(٣)].

***

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ١١٢.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤١٧.

١٠٧ - فَضْلُ الصَّلاةِ عَلَى النَّبيِّ ﷺ

٢١٩-(١) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً»[١].

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٦١-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما[٢]، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»[٣].

٧٦٢-وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»[٤].

٧٦٣-وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً وَاحِدَةً، كَتَبَ اللَّهُ عز وجل لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل ما يقول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يسأل الله له الوسيلة، برقم ٣٨٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٢٤.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أخرجه مسلم، برقم ٣٨٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، برقم ٤٠٨.

(٥) مسند أحمد، ١٢/ ٥٢٠، برقم ٧٥٦١، و٧٥٦٢، وصححه محققو المسند، ١٢/ ٥٢٠، وابن حبان في صحيحه، ٣/ ١٨٧، برقم ٩٠٥، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان، وقال الألباني مشيراً إلى بعض ألفاظ الترمذي بعد رقم ٥٨٤ في سنن الترمذي، في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٨٨، برقم ١٦٥٦: «حسن صحيح» ولفظ الترمذي موافق للفظ أحمد، وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٨، ٩، ١١، وقال الألباني في تحقيقه لفضل الصلاة على النبي ﷺ لإسماعيل القاضي، ص ٢٧: «إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح».

٧٦٤-وعَنْ عامر بن ربيعة ﷺ[١]، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ»[٢]، وهذا لفظ أحمد.

٧٦٥-ولفظ ابن ماجه عن عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ الْعَبْدُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ»[٣].

٧٦٦-عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ»[٤].

٧٦٧- ولفظ سنن النسائي عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ»[٥].

٧٦٨-وفي النسائي في السنن، عن أَبِي طَلْحَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ

---

(١) عامر بن ربيعة: أبو عبد الله العنزي، من السابقين الأولين، أسلم قبل عمر، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا، له أحاديث عن أبي بكر وعمر ﷺ، ومات بالمدينة حين نشب الناس في أمر عثمان ﷺ سنة ٣٥ هـ. انظر: طبقات خليفة بن خياط، ص ٢٣، وسير أعلام النبلاء، ٢/ ٣٣٣، ترجمة رقم (٦٧).

(٢) مسند أحمد، ٢٤/ ٤٥١، برقم ١٥٦٨٠، وحسنه محققو المسند، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩٤، برقم ١٦٦٩.

(٣) ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٩٠٧، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩٤، برقم ١٦٦٩.

(٤) مسند أحمد، ١٩/ ٥٧، برقم ١١٩٩٨، والنسائي، كتاب صفة الصلاة، باب الفضل في الصلاة على النبي ﷺ، برقم ١٢٩٧، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة، ٤/ ٣٩٤، وقال: «إسناده صحيح»، وصححه محققو المسند، ١٩/ ٥٧، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٨٨، برقم ١٦٥٧، وفي مشكاة المصابيح، ١/ ٢٠١، برقم ٩٠٢.

(٥) سنن النسائي، كتاب السهو، باب الفضل في الصلاة على النبي ﷺ، برقم ١٢٩٧، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، برقم ٦٤٣، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/ ٤١٥، وفي صحيح الأدب المفرد، ص ٢٣٩، برقم ٤٤٩، وفي صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٨٨، برقم ١٦٥٧، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لجلاء الأفهام ص٩٤، حاشية رقم ١: «وإسناده صحيح، وصححه الحاكم».

ذَاتَ يَوْمٍ وَالْبِشْرُ يُرَى فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ جَاءَنِي جِبْرِيلُ ﷺ، فَقَالَ: أَمَا يُرْضِيكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ لَا يُصَلِّيَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلَا يُسَلِّمَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا**»(١).

٧٦٩-ولفظ أحمد عن أَبِي طَلْحَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالْبِشْرُ يُرَى فِي وَجْهِهِ، فَقُلْنَا: إِنَّا لَنَرَى الْبِشْرَ فِي وَجْهِكَ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ أَتَانِي مَلَكٌ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: أَمَا يُرْضِيكَ أَنْ لَا يُصَلِّيَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ، إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا**»(٢).

٧٧٠-عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاتَّبَعْتُهُ حَتَّى دَخَلَ نَخْلًا فَسَجَدَ، فَأَطَالَ السُّجُودَ حَتَّى خِفْتُ - أَوْ خَشِيتُ - أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ تَوَفَّاهُ - أَوْ قَبَضَهُ - قَالَ: فَجِئْتُ أَنْظُرُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**مَا لَكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ**» قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، قال: فَقَالَ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ ﷺ قَالَ لِي: أَلَا أُبَشِّرُكَ إِنَّ الله ﷻ يَقُولُ لَكَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ**»(٣).

٧٧١-وفي لفظ لأحمد عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَوَجَّهَ نَحْوَ صَدَقَتِهِ فَدَخَلَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَخَرَّ سَاجِدًا، فَأَطَالَ السُّجُودَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَبَضَ نَفْسَهُ فِيهَا، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، ثُمَّ جَلَسْتُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا؟**» قُلْتُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: «**مَا شَأْنُكَ؟**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ سَجَدْتَ سَجْدَةً خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ ﷻ قَدْ قَبَضَ نَفْسَكَ فِيهَا، فَقَالَ: «**إِنَّ**

---

(١) سنن النسائي، كتاب السهو، باب الفضل في الصلاة على النبي ﷺ برقم ١٢٩٥، ورقم ١٢٨٢، وحسنه الألباني في صحيح النسائي، ١/ ٤١٠، و١/ ٤١٥، وحسنه لغيره أيضاً في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩١، برقم ١٦٦١.

(٢) مسند أحمد، ٢٦/ ٢٨٠، برقم ١٦٣٦١، وحسنه لغيره محققو المسند، ٢٦/ ٢٨١، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩١، برقم ١٦٦١: «حسن صحيح» وفي رواية لأحمد في آخر الحديث: «قَالَ: بَلَى». مسند أحمد، ٢٦/ ٢٨٣، برقم ١٦٣٦٣، وحسنه محققو المسند لغيره.

(٣) مسند أحمد، ٣/ ٢٠٠، برقم ١٦٦٢، وحسنه لغيره محققو المسند، ٣/ ٢٠٠، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٨٩، برقم ١٦٥٨.

جبْرِيلَ عليه السلام، أَتَانِي فَبَشَّرَنِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عز وجل يَقُولُ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ لِلهِ عز وجل شُكْرًا»[(١)].

٧٧٢-ولفظ لأحمد، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا طَيِّبَ النَّفْسِ، يُرَى فِي وَجْهِهِ الْبِشْرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصْبَحْتَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ، يُرَى فِي وَجْهِكَ الْبِشْرُ، قَالَ: «أَجَلْ، أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي عز وجل فَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا»[(٢)].

٧٧٣-وفي النسائي في السنن الكبرى عَنْ أَبِي بردة بن نيار رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي صَلَاةً مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ»[(٣)].

٧٧٤- ولفظ الطبراني عن أَبِي بُرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا صَلَّى عَلَيَّ عَبْدٌ مِنْ أُمَّتِي صَلَاةً صَادِقًا بِهَا فِي قَلْبِ نَفْسِهِ إِلَّا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا عَشْرَ

---

(١) مسند أحمد، ٣/ ٢٠١، برقم ١٦٦٤، والمستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ٢٢٢- ٢٢٣، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ولا أعلم في سجدة الشكر أصح من هذا الحديث» ووافقه الذهبي، وحسنه لغيره محققو المسند، ٣/ ٢٠١، وأيضاً حسنه لغيره العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٨٩، برقم ١٦٥٨، وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٧، ورقم ١٠، وقال الألباني في تحقيقه لهذا الكتاب، ص ٢٥: «حديث صحيح لطرقه وشواهده».

(٢) مسند أحمد، ٢٦/ ٢٧٢، برقم ١٦٣٥٢، وضعفه محققو المسند، ٢٦/ ٢٧٣، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩١، برقم ١٦٦١، وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ١، و٢، و٣، وصححه الألباني بمجموع طرقه في تحقيقه لهذا الكتاب، ص ٢٢.

(٣) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٩٨٩٢، ٩٨٨٣، وقال الحافظ في فتح الباري، ١١/ ١٦٧: «وعَن أَبِي بُردَة بن نِيار وأَبِي طَلحَة كِلاهُما عِند النَّسائِيِّ ورُواتهما ثِقات» وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩٠، برقم ١٦٥٩: «حسن صحيح» وقال شعيب وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام لابن القيم، ص ١٠٥: «رجاله ثقات».

دَرَجَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ بِهَا عَشْرَ سيئاتٍ»[(١)].

٧٧٥- وعن أنس، وَمَالِكَ بْنَ أَوْسِ بْنِ الْحَدَثَانِ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَتَبَرَّزُ فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا يَتْبَعُهُ، فَخَرَجَ عُمَرُ فَاتَّبَعَهُ بِفَخَّارَةٍ، أَوْ مِطْهَرَةٍ، فَوَجَدَهُ سَاجِدًا فِي مِسْرَبٍ، فَتَنَحَّى فَجَلَسَ وَرَاءَهُ، حَتَّى رَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ رَأْسَهُ فَقَالَ: «أَحْسَنْتَ يَا عُمَرُ حِينَ وَجَدْتَنِي سَاجِدًا فَتَنَحَّيْتَ عَنِّي، إِنَّ جِبْرِيلَ جَاءَنِي فَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ»[(٢)].

٧٧٦- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلْيُصَلِّ عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللهُ عز وجل عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»[(٣)].

٧٧٧- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»[(٤)].

٧٧٨- وعَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رحمه الله، أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَأْتِي كُلَّ غَدَاةٍ، فَيَزُورُ قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ، وَيَصْنَعُ ذَلِكَ مَا اشْتَهَرَهُ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: أُحِبُّ التَّسْلِيمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: هَلْ لَكَ أَنْ أُحَدِّثَكَ حَدِيثًا عَنْ أَبِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ

---

(١) الطبراني في المعجم الكبير، ٢٢/ ١٩٥، برقم ٥١٣، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩٠، برقم ١٦٥٩: «حسن صحيح».

(٢) الأدب المفرد، ص ٢٣٩، برقم ٦٤٢، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٢٣٩، برقم ٤٩٨، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٨٢٩، وفي فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٤، ٥، ١٠.

(٣) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٩٨٨٩، وعمل اليوم والليلة لابن السني، ص ٣٣٥، برقم ٣٨٠، والمعجم الأوسط للطبراني، ٣/ ١٥٣، برقم ٢٧٦٧، ومسند أبي يعلى، ٧/ ٧٥، برقم ٤٠٠٢، وقال النووي في الأذكار، ص ١٥٨: «ابن السني بإسناد جيد» وقال محقق أبي يعلى: «رجاله رجال الصحيح» وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٨٨.

(٤) أبو داود، برقم ٢٠٤٤، وأحمد، برقم ٨٨٠٤، وصححه النووي في الأذكار، ص ٢١٩، وحسنه محققو المسند، ١٤/ ٤٠٣، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٧٨٠، وتقدم تخريجه.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، وَسَلِّمُوا حَيْثُمَا كُنْتُمْ، فَسَيَبْلُغُنِي سَلامُكُمْ وَصَلاتُكُمْ»[(١)].

٧٧٩-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»[(٢)].

٧٨٠-١٩- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»[(٣)].

٧٨١- وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا بِهَا مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهَا حَتَّى يُبْلِغَنِيهَا»[(٤)].

٧٨٢- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَوْلَى النَّاسِ[(٥)]

---

(١) فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٣٣، برقم ٢٠، وبنحوه برقم ٣٠، قال الألباني في تحقيقه: «حديث صحيح بطرقه، وشواهده، وقد خرجتها في تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، ص ٩٨-٩٩».

(٢) أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، برقم ٢٠٤١، ومسند أحمد، ١٦/ ٤٧٧، برقم ١٠٨١٥، وحسنه محققو المسند، والألباني في صحيح أبي داود، ١/٣٨٣، وفي صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩٣، برقم ١٦٦٦.

(٣) النسائي، كتاب السهو، باب السلام على النبي ﷺ، برقم ١٢٨٢، ومسند أحمد، ٧/ ٢٦٠، برقم ٤٢٠٩، والحاكم، ٢/٤٢١، وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم ٢١، وصححه محققو المسند، ٢/ ٤٢١، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/٢٧٤، وصحيح الجامع الصغير، برقم ٢١٧٣، وقال في تحقيقه لفضل الصلاة على النبي ﷺ لإسماعيل القاضي، ص ٣٣: «إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح».

(٤) المعجم الكبير للطبراني، ٨/ ١٣٤، برقم ٧٦١١، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩٢، برقم ١٦٦٣، وقال الألباني تعليقاً عليه في حاشية صحيح الترغيب والترهيب، رقم ٣: «يشهد لشطره الأول ما تقدم من الأحاديث، ولشطره الآخر ما بعده، وآخر عن أيوب بلاغاً، رواه إسماعيل القاضي، رقم ٢٤».

(٥) يعني: أن أخص أمتي بي، وأقربهم مني، وأحقهم بشفاعتي- أكثرهم عليَّ صلاةً. شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن ٣/ ١٠٤٢، وقال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٥٦٠: «أقربهم مني يوم القيامة، وأولاهم بشفاعتي، وأحقهم بالإفاضة من أنواع الخيرات، ودفع المكروهات: أكثرهم علي صلاة في الدنيا؛ لأن كثرة الصلاة تدل على نصوح العقيدة، وخلوص النية، وصدق المحبة، والمداومة على الطاعة، والوفاء بحق الواسطة الكريمة، ومن كان حظه من هذه الخصال أوفرَ، كان بالقرب والولاية أحق وأجدر، قالوا: وهذه منقبة شريفة، وفضيلة منيفة، لأتباع الأثر، وحمَلَة السنة، فيا لها من مِنَّة».

بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً»(١).

٧٨٣- وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَسِيَ الصَّلاَةَ عَلَيَّ، خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ»(٢).

٧٨٤- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَسِيَ الصَّلاَةَ عَلَيَّ خطئ(٣) بِهِ طَرِيقُ الْجَنَّةِ»(٤).

---

(١) الترمذي، كتاب الوتر، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٤٨٤، وقال: «هذا حديث حسن غريب» وابن حبان في صحيحه، ٣/ ١٩٢، برقم ٩١١، ومصنف ابن أبي شيبة، ٦/ ٣٢٥، برقم ٣١٧٨٧، والمعجم الكبير للطبراني، ١٠/ ١٧، برقم ٩٨٠٠، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ١١/ ١٦٧: «وحَسَّنَهُ التِّرمِذِيّ، وصَحَّحَهُ ابن حِبّان، ولَهُ شاهِد عِند البَيهَقِيّ عَن أَبِي أُمامَةَ بِلَفظ: «صَلاة أُمَّتِي تُعرَض عَلَيَّ فِي كُلّ يَوم جُمعَة، فَمَن كانَ أَكثَرهم عَلَيَّ صَلاة كانَ أَقرَبهم مِنِّي مَنزِلَة» ولا بَأس بِسَنَدِهِ» وقال الحافظ ابن حجر أيضاً في نتائج الأفكار، ٣/ ٢٩٥: «هذا حديث حسن، أخرجه البخاري في تاريخه عن محمد بن المثنى على الموافقة، وأخرجه الترمذي عن محمد بن بشار، عن محمد بن خالد بن عثمة، وقال: حسن غريب» وقال الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٣/ ٨٤٧: «حسن لغيره» وحسنه أيضاً لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/٢٩٤، برقم ١٦٦٨ .

(٢) سنن ابن ماجه، برقم ٩٠٨، والسنن الكبرى للبيهقي، ٩/ ٢٨٦، والمعجم الكبير للطبراني، ١٢/ ١٨٠، برقم ١٢٨١٩، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ١١/ ١٦٨: «أَخرَجَهُ ابن ماجَةَ عَن ابن عَبّاس، والبَيهَقِيُّ فِي الشُّعَب مِن حَدِيث أَبِي هُرَيرَة، وابن أَبِي حاتِم مِن حَدِيث جابِر، والطَّبَرانِيُّ مِن حَدِيث حُسَين بن عَلِيّ، وهَذِهِ الطُّرُق يَشُدّ بَعضها بَعضًا» وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٣٠١، برقم ١٦٨٢، وحسنه في صحيح ابن ماجه، برقم ٧٤٠، وفي السلسلة الصحيحة، برقم ٢٣٣٧.

(٣) قال الفيومي رحمه الله في المصباح المنير، ١/ ١٧٤: «الْخَطَأُ - مَهْمُوزٌ بِفَتْحَتَيْنِ-: ضِدُّ الصَّوَابِ، وَيُقْصَرُ وَيُمَدُّ، وَهُوَ اسْمٌ مِنْ أَخْطَأَ، فَهُوَ مُخْطِئٌ، ...خَطِئَ خِطْئًا... وَأَخْطَأَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ لِمَنْ يُذْنِبُ عَلَى غَيْرِ عَمْدٍ، ...وخَطِئَ فِي الدِّينِ، وَأَخْطَأَ فِي كُلِّ شَيْءٍ عَامِدًا كَانَ أَوْ غَيْرَ عَامِدٍ، وَقِيلَ: خَطِئَ: إذَا تَعَمَّدَ مَا نُهِيَ عَنْهُ، فَهُوَ خَاطِئٌ، وَأَخْطَأَ: إذَا أَرَادَ الصَّوَابَ، فَصَارَ إلَى غَيْرِهِ... وَالْخِطْءُ الذَّنْبُ تَسْمِيَةٌ بِالْمَصْدَرِ، وَخَطَّأْتُهُ بِالتَّثْقِيلِ، قُلْتُ لَهُ: أَخْطَأْت، أَوْ جَعَلْتُهُ مُخْطِئًا، وَأَخْطَأَهُ الْحَقُّ إذَا بَعُدَ عَنْهُ وَأَخْطَأَهُ... تجاوزه» وقال المناوي رحمه الله في فيض القدير، ٦/ ١٦٧: «خطئ طريق الجنة، فلم ينجح قصده لبخله بما يرغب فيه عن مستحقه، وفي رواية لابن عاصم «من ذكرت عنده فنسي الصلاة علي خطئ طريق الجنة»... ومعنى النسيان فيه الترك، كما قال تعالى: ﴿أتتك آياتنا فنسيتها﴾ [طه: ١٢٦]، وليس المراد به الذهول؛ لأن الناسي غير مكلف».

(٤) السنن الكبرى للبيهقي، ٩/ ٢٨٦، وشعب الإيمان له، ٢/ ٢١٥، والدعوات الكبير له أيضاً، ١/ ١١٦، ومعجم ابن الأعرابي، ١/ ٣٤٨، وحسنه بطرقه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لجلاء الأفهام ، ص ١١٩.

٧٨٥- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلَّى عليَّ أو سألَ ليَ الوسيلةَ حقَّتْ عليه شفاعتي يومَ القيامة»[(١)].

٧٨٦- وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «...ورَأيْت رَجلاً مِنْ أمَّتِي يَزْحَفُ على الصِّرَاطِ مرَّةً، ويَحْبُو مَرَّةً، فَجاءَتْهُ صلاتُهُ عَلَيَّ فأَخَذَتْ بِيَدِهِ، فأقامَتْهُ على الصِّرَاطِ حَتّى جازَ...»[(٢)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «ثم صلوا عليّ» أي: بقولكم: «اللَّهم صل على محمد، وعلى آل محمد» ... إلى قوله: «إنك حميد مجيد»[(٣)]، قال ابن علان رحمه الله: «وجوب الإجابة، قال ابن قدامة في المغني: لا أعلم أحداً قال به، قلت [القائل ابن علان]: حكى الطحاوي والخطابي والقاضي عياض الوجوب عن بعض السلف، إذا سمعتم النِّداء - بكسر النون والمد -: أي: الأذان، فقولوا مثل ما يقول: تعليق الإجابة

---

(١) أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٤٩، برقم ٥٠، وصححه الألباني، في تحقيقه لهذا الكتاب.

(٢) أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال، ص ٨٤، برقم ٣٩، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، ٣/ ١٥١، وابن عساكر في تاريخ دمشق، ٣٤/ ٤٠٥، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد، ٧/ ١٨٠، والألباني في ضعيف الجامع الصغير، برقم ٢٠٨٤. واستشهد به الإمام ابن القيم في عدة مواضع من كتبه، فقال في الوابل الصيب، طبعة المؤيد، تحقيق بشير عيون، ص ١٦٩: «رواه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب الترغيب في الخصال المنجية، والترهيب من الخلال المردية، وبنى كتابه عليه، وجعله شرحاً له، وقال: هذا حديث حسن جداً، رواه عن سعيد بن المسيب عمرو بن آزر، وعلي بن زيد بن جدعان، وهلال أبو جبلة، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يعظم شأن هذا الحديث، وبلغني عنه أنه كان يقول: شواهد الصحة عليه» وقال ابن القيم في كتابه الروح، ص ٨٣: «وسمعت شيخ الإسلام يعظم أمر هذا الحديث وقال: أصول السنة تشهد له، وهو من أحسن الأحاديث» وأيد ذلك العلامة العيني في عمدة القاري، ١١/ ١٨٠، وقال الإمام الصنعاني رحمه الله في التنوير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٢٣١: «قال ابن القيم: كان شيخنا -يعني ابن تيمية- يعظم أمر هذا الحديث، ويفخم شأنه، ويعجب به، ويقول: أصول السنة تشهد له، ورونق كلام النبوة يلوح عليه، وهو من أحسن الأحاديث، وقال القرطبي: هو حديث عظيم ذكر فيه أعمال خاصة».

(٣) البخاري، برقم ٤٧٩٧، وتقدم الكلام فيه مستوفى في شرح المفردة الأولى من مفردات حديث المتن رقم ٢٤.

بسماع الأذان يقتضي ظاهره اختصاص الإجابة بالسامع دون غيره، ولو لبُعدٍ أو صممٍ »[١]، وقال الصنعاني رحمه الله: «ثم صلوا علي: أتى بـ(ثم) لإفادة أنها تراخي عن إجابتها، فتكون بعد فراغه، ويأتي في هذا الحرف كيفية الصلاة عليه»[٢].

٢-قوله: «**من صلّى عليَّ صلاةً**»: أي: قال: اللَّهم صل على محمد، قال ابن عبد البر رحمه الله: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ... وَقَالَ آخَرُونَ: لَا يَجُوزُ أَنْ يُصَلَّى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ خُصَّ بِذَلِكَ، ... قَالُوا: وَإِذَا ذكر رَسُول اللَّهِ ﷺ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ، انْبَغَى لَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ لِمَا جَاءَ فِي ذَلِكَ عَنْهُ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا**»[٣].

٣-قوله: «**صلى اللَّه عليه بها**»: قال المناوي رحمه الله: «أي: رحمه، وضاعف أجره بشهادة: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾[٤]، وقال الطيبي رحمه الله: الصلاة من العبد طلب التعظيم، والتبجيل لجناب المصطفى ﷺ، ومن الله على العبد إن كان بمعنى الغفران، فيكون من باب المشاكلة من حيث اللفظ لا المعنى، وإن كان بمعنى التعظيم، فيكون من الموافقة لفظاً ومعنىً، وهذا هو الوجه لئلا يتكرر معنى الغفران»[٥]، والصواب في معنى صلاة الله على عبده محمد ﷺ، وصلاة ملائكته: ما رواه البخاري في صحيحه بقوله: قال أبو العالية: «**صَلَاةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ**»[٦].

٤-قوله: «**عشرًا**»: أي: عشر مرات، قال الإمام النووي رحمه الله: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٣٦٩.
(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١١٠.
(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ١٧/ ٣٠٣.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٦٠.
(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٦/ ٢٢٥.
(٦) صحيح البخاري،٦/ ١٢٠، قبل الحديث رقم ٤٧٩٧.

وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا: قَالَ الْقَاضِي: مَعْنَاهُ رَحْمَتُهُ، وَتَضْعِيفُ أَجْرِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى مَنْ جاء بالحسنة فله عشرة أمثالها قَالَ وَقَدْ يَكُونُ الصَّلَاةُ عَلَى وَجْهِهَا وَظَاهِرِهَا تَشْرِيفًا لَهُ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»[١]، وقال القاضي عياض رحمه الله: «من صلى عليَّ صلاةً صلى الله عليه عشراً: هو -والله أعلم- لمن صلَّى عليه مُحتسباً، مخلصاً، قاضياً حقه بذلك، إجلالاً لمكانه، وحُباً فيه، لا لمن قصد بقوله، ودعائه ذلك مجرد الثواب، أو رجاء الإجابة لدعائه بصلاته عليه والحظ لنفسه، وهذا فيه عندي نظر»[٢]، وقال العلامة السخاوي رحمه الله: «ثواب الصلاة على رسول الله ﷺ لمن صلَّى عليه من صلاة الله ﷻ، وملائكته، ورسوله، وتكفير الخطايا، وتزكية قيراط مثل أحد من الأجر، والكيل بالمكيال الأوفى، وكفاية أمر الدنيا والآخرة؛ لمن جعل صلاته كلها صلاة عليه، ومحو الخطايا، وفضلها على عتق الرقاب، والنجاة بها من الأهوال وشهادة الرسول بها»[٣]، وقال ابن علان رحمه الله: «صلَى الله عليه بها عشراً: أي: شرّف عبده بذكره له بالرحمة اللائقة به عشر مرّات، وهذا فيه تعظيم شرف الصلاة على النبي إذ جعل جزاءها كجزاء ذكره تعالى»[٤].

٥-قوله: «الوسيلة»: قال القاضي عياض: رحمه الله: «فسَّرها في الحديث أنها منزلةٌ في الجنة، قال أهل اللغة: الوسيلة: المنزلة عند الملك، وهي مشتقة - والله أعلم - من القرب، توسَّل الرجلُ للرجل بكذا، إذا تقرَّب إليه، وتوسَّل إلى ربه بطاعته تقرَّب إليه بها»[٥]، وقال

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ١٢٨.
(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٢٥٣.
(٣) القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، للإمام السخاوي، ص ١٠٩، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ٢٤.
(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٣٧٠.
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٢٥٢.

الحافظ ابن حجر رحمه الله: «هِيَ ما يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الكَبِير ، يُقَال تَوَسَّلت أَي: تَقَرَّبت، وتُطلَقُ عَلَى المَنزِلَة العَلِيَّة »[١]، وقال الطيبي رحمه الله: «وهي في الأصل ما يُتوسل به إلي الشيء، ويُتقرب به، وجمعها وسائل، وإنما سميت تلك المنزلة من الجنة بها؛ لأن الواصل إليها يكون قريباً من الله تعالى، فائزاً بلقائه، مخصوصاً من بين سائر الدرجات بأنواع المكرمات، وأما الوسيلة المذكورة في الدعاء المروي عنه بعد فقيل: هي شفاعة، يشهد لها قوله في آخر الدعاء: «**حلت له شفاعتي**»[٢].

٦-قوله: «**فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله**»: قال الصنعاني رحمه الله: «تنكير عبد للتعظيم»[٣].

٧-قوله: «**أن أكون أنا هو**»: قال الطيبي رحمه الله: «قيل: إنَّ (هو) خبر كان، وضع بدل إياه، وقد سبق بحثه، ويحتمل أن يكون أنا للتأكيد، بل يكون مبتدأ، و(هو) خبره، والجملة خبر (أكون)، ويمكن أن يقال: إن هذا الضمير وضع موضع اسم الإشارة، أي: أكون أنا ذلك العبد»[٤].

٨-قوله: «**حلت**» قال القاضي عياض رحمه الله: «حلت: غشيته، وحلَّت عليه، قال المهلبُ: والصوابُ أن يكون (حلت) بمعنى: وجبت، كما قال أهل اللغة: حَلَّ يحِلُّ وجب، وحل يحُلُّ نزل، ويحتمل أن هذا مخصوصٌ لمن فعَل ما حضَّه ﷺ عليه، وأتى بذلك على وجهه، وفي وقته، وبإخلاصٍ، وصدق نيَّةٍ، وكان بعض من رأينا من المحققين يقول هذا»[٥].

٩-قوله: «**شفاعتي**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «كَرَّرَ ذِكر الشَّفَاعَةِ فِي الْحَدِيثِ

---

(١) فتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٩٥.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩١١.
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١١٠.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩١٢.
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٢٥٣.

فِيمَا يتعلَّق بأمُور الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهِيَ السُّؤالُ فِي التَّجاوُز عَنِ الذُّنوب، والجَرائِم بينَهم، يُقَالُ شَفَعَ يَشْفَعُ شَفَاعَةً، فَهُوَ شَافِعٌ وشَفِيعٌ، والْمُشَفِّعُ: الَّذِي يَقْبل الشَّفاعةَ، والْمُشَفَّعُ الَّذِي تُقْبَل شفاعتُه»[١]، وقال النووي رحمه الله: «قال القاضي عياض: الشَّفَاعَة فِي الْآخِرَةِ لِمُذْنِبِي الْمُؤْمِنِينَ، وَأَجْمَعَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَيْهَا، وَمَنَعَتِ الْخَوَارِجُ وَبَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ مِنْهَا، وَتَعَلَّقُوا بِمَذَاهِبِهِمْ فِي تَخْلِيدِ الْمُذْنِبِينَ فِي النَّارِ»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-بركة الصلاة على النبي ﷺ، ومضاعفة الله الأجر على ذلك، كقوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[٣] وفي لفظ: «**وحط عنه بها عشر سيئات ورفع بها عشر درجات**»[٤].

٢- امتثال أمر الله تعالى بقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[٥].

٣-قال البخاري: قال أبو العالية: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء[٦]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يصلون» يبركون. أما صلاة أمته عليه فهي دعاء له وتعظيم لقدره ﷺ.

٤-الإكثار من الصلاة عليه ﷺ مستحبة في جميع الأوقات ويتأكد ذلك

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٨٥، مادة (شفع).
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٣/ ٣٥.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.
(٤) أخرجه أحمد، ٣٨/ ٥٤٤، برقم ٢٣٨٦٥، والبخاري في الأدب المفرد، برقم ٦٤٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٥٦٣.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.
(٦) صحيح البخاري، قبل الحديث رقم ٤٧٩٧، وتقدم تخريجه.

ليلة الجمعة ويوم الجمعة؛ لقوله ﷺ: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ**»(١)، وإنما كان ذلك لأن العمل الصالح يشرف بشرف الزمان والمكان. وفي رواية: عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ؛ فَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا**»(٢).

٥-قال الإمام النووي رحمه الله: «وَفِيهِ اِسْتِحْبَاب الصَّلَاة عَلَى رَسُول الله ﷺ بَعْد فَرَاغه مِنْ مُتَابَعَة الْمُؤَذِّن، وَاسْتِحْبَاب سُؤَال الْوَسِيلَة لَهُ، وَفِيهِ أَنَّهُ يُسْتَحَبّ أَنْ يَقُول السَّامِع كُلّ كَلِمَة بَعْد فَرَاغ الْمُؤَذِّن مِنْهَا، وَلَا يَنْتَظِر فَرَاغه مِنْ كُلّ الْأَذَان، وَفِيهِ أَنَّهُ يُسْتَحَبّ أَنْ يَقُول بَعْد قَوْله: وَأَنَا أَشْهَد أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول الله، رَضِيت بِاَللَّهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَفِيهِ أَنَّهُ يُسْتَحَبّ لِمَنْ رَغَّبَ غَيْره فِي خَيْر أَنْ يَذْكُر لَهُ شَيْئًا مِنْ دَلَالَته لِيُنَشِّطهُ لِقَوْلِهِ ﷺ: «**فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّة صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، وَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَة حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَة**»، وَفِيهِ أَنَّ الْأَعْمَال يُشْتَرَط لَهَا الْقَصْد وَالْإِخْلَاص؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «**مِنْ قَلْبه**»»(٣).

٦-وقال النووي أيضاً: «قَالَ الْقَاضِي عِيَاض رحمه الله: مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ جَوَازُ الشَّفَاعَةِ عَقْلًا، وَوُجُوبُهَا سَمْعًا، بِصَرِيحِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا**﴾(٤)، وقوله: ﴿**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى**﴾(٥)، وَأَمْثَالِهِمَا، وَبِخَبَرِ الصَّادِقِ ﷺ، وَقَدْ جَاءَتِ الْآثَارُ الَّتِي بَلَغَتْ

---

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة، وليلة الجمعة، برقم ١٠٤٧، ورقم١٥٣١، والنسائي، كتاب الجمعة، إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، برقم ١٣٧٤، ومسند أحمد، برقم ١٦١٦٢، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٩٦٢.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي، ٣/ ٣٥٣، وحسنه الألباني في السلسلة االصحيحة، برقم ١٤٠٧.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٨٧.

(٤) سورة طه، الآية: ١٠٩.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

بِمَجْمُوعِهَا التَّوَاتُرَ بِصِحَّةِ الشَّفَاعَةِ فِي الْآخِرَةِ لِمُذْنِبِي الْمُؤْمِنِينَ، وَأَجْمَعَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَيْهَا، وَمَنَعَتِ الْخَوَارِجُ، وَبَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ مِنْهَا، وَتَعَلَّقُوا بِمَذَاهِبِهِمْ فِي تَخْلِيدِ الْمُذْنِبِينَ فِي النَّارِ، وَاحْتَجُّوا بقوله تعالى: ﴿**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**﴾[١]، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾[٢]، وَهَذِهِ الْآيَاتُ فِي الْكُفَّارِ، وَأَمَّا تَأْوِيلُهُمْ أَحَادِيثَ الشَّفَاعَةِ بِكَوْنِهَا فِي زِيَادَةِ الدَّرَجَاتِ فَبَاطِلٌ، وَأَلْفَاظُ الْأَحَادِيثِ فِي الْكِتَابِ وَغَيْرِهِ صَرِيحَةٌ فِي بُطْلَانِ مَذْهَبِهِمْ، وَإِخْرَاجِ مَنِ اسْتَوْجَبَ النَّارَ لَكِنَّ الشَّفَاعَةَ خمسة أقسام: **أولها**: مختصة بنبينا ﷺ، وَهِيَ الْإِرَاحَةُ مِنْ هَوْلِ الْمَوْقِفِ، وَتَعْجِيلُ الْحِسَابِ...، **الثَّانِيَةُ**: فِي إِدْخَالِ قَوْمٍ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَهَذِهِ وَرَدَتْ أَيْضًا لِنَبِيِّنَا ﷺ، وَقَدْ ذَكَرَهَا مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ، **الثَّالِثَةُ**: الشَّفَاعَةُ لِقَوْمٍ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ، فَيَشْفَعُ فِيهِمْ نَبِيُّنَا ﷺ، وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى... **الرَّابِعَةُ**: فِيمَنْ دخل النار مِنَ الْمُذْنِبِينَ، فَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ بِإِخْرَاجِهِمْ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ يُخْرِجُ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ، لَا يَبْقَى فِيهَا إِلَّا الْكَافِرُونَ، **الْخَامِسَةُ**: فِي زِيَادَةِ الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ لِأَهْلِهَا، وَهَذِهِ لَا يُنْكِرُهَا الْمُعْتَزِلَةُ، وَلَا يُنْكِرُونَ أَيْضًا شَفَاعَةَ الْحَشْرِ الْأَوَّلِ»[٣].

٧-مواضع ومواطن وأحوال وأوقات الصلاة على النبي ﷺ:

الصلاة والسلام على النبي ﷺ دلت النصوص على أنها تقال في أوقات، ومواضع، ومواطن، وأحوال معينة، كما دلت النصوص على أنه يُصلَّى ويُسلَّم

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٤٨.
(٢) سورة غافر، الآية: ١٨.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٣/ ٣٥.

على النبي ﷺ مطلقاً في أي وقت، بدون تحديد، ومن هذه الأمور ما يأتي:

الأول: الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير:

٧٨٧- ولفظ آخر للبخاري: عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ﷺ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا السَّلاَمُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ الصَّلاَةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[١].

٧٨٨- ولفظ آخر للبخاري أيضاً: عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ ﷺ، فَقَالَ: أَلاَ أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[٢].

٧٨٩- ولفظ مسلم: عن ابْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ ﷺ، فَقَالَ: أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: قَدْ عَرَفْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[٣].

٧٩٠- وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ، قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا

---

(١) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب: ٥٦]، برقم ٤٧٩٧.

(٢) البخاري، كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٦٣٥٧.

(٣) مسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، برقم ٤٠٦.

رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ**»(١).

٧٩١-ولفظ البخاري: عن أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»(٢).

٧٩٢- وعند الدارقطني عنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ إِذَا نَحْنُ صَلَّيْنَا فِي صَلَاتِنَا؟ قَالَ: فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَحْبَبْنَا أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ: «**إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»(٣).

٧٩٣- ولفظ أحمد عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو ﷺ، قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا السَّلَامُ

---

(١) مسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، برقم ٤٠٥.

(٢) البخاري، برقم ٦٣٦٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) سنن الدارقطني، ٢/ ١٦٨، وقال: «هَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ مُتَّصِلٌ» وقال شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام للإمام ابن القيم، ص ٢٩٥: «وهو حديث حسن كما قال الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ» وأقره الألباني في صفة الصلاة، ص ١٨٠، وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٥٥، برقم ٥٩، وحسن إسناده الألباني في تحقيقه.

عَلَيْكَ، فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ إِذَا نَحْنُ صَلَّيْنَا فِي صَلَاتِنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَصَمَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَحْبَبْنَا أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَسْأَلْهُ، فَقَالَ: «إِذَا أَنْتُمْ صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ فَقُولُوا: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»(١).

٧٩٤- عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ﷺ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ [ابن أبي ليلى]: وَنَحْنُ نَقُولُ وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ»(٢).

٧٩٥- وعند البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا التَّسْلِيمُ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ»، قَالَ أَبُو صَالِحٍ عَنِ اللَّيْثِ: «عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ»، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي حَازِمٍ وَالدَّرَاوَرْدِيُّ عَنْ يَزِيدَ، وَقَالَ: «كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ»(٣).

٧٩٦-وعند البخاري أيضاً عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ

---

(١) مسند أحمد، ٢٨/ ٣٠٤، برقم ١٧٠٧٢، وصححه محققو المسند.

(٢) سنن النسائي، كتاب السهو، نوع آخر، برقم ١٢٨٨، وأحمد، ٣٠/ ٣٣، برقم ١٨١٠٥، و٣٠/ ٥٢، برقم ١٨١٢٣، و٣٠/ ٥٧، برقم ١٨١٣٣، وصححها كلها محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح النسائي، برقم ١٢٨٨، وقال في صفة صلاة النبي ﷺ ص ١٨٠: «بسند جيد».

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] برقم ٤٧٩٨.

اللهِ، هَذَا السَّلَامُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي؟ قَالَ: «قُولُوا: **اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ**»[١].

٧٩٧- وعند الطحاوي عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: **اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ**»[٢].

٧٩٨- وعن عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: «كُنَّا نُعِدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ اللَّهُ ﷻ لِمَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَسْتَاكُ، وَيَتَوَضَّأُ، وَيُصَلِّي تِسْعَ رَكَعَاتٍ، لَا يَجْلِسُ فِيهِنَّ إِلَّا عِنْدَ الثَّامِنَةِ، وَيَحْمَدُ اللَّهَ، وَيُصَلِّي عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ وَيَدْعُو بَيْنَهُنَّ، وَلَا يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا، ثُمَّ يُصَلِّي التَّاسِعَةَ، وَيَقْعُدُ، وَذَكَرَ كَلِمَةً نَحْوَهَا، وَيَحْمَدُ اللَّهَ، وَيُصَلِّي عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، وَيَدْعُو، ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا يُسْمِعُنَا، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَهُوَ قَاعِدٌ»[٣].

الثاني: الصلاة عليه ﷺ في آخر التشهد الأول على الصحيح.

٧٩٩-عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ إِذَا نَحْنُ صَلَّيْنَا فِي صَلَاتِنَا؟ قَالَ: فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَحْبَبْنَا أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ: «**إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ،**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٦٣٥٨.

(٢) شرح مشكل الآثار للطحاوي، ٦/ ١٤، و معجم ابن الأعرابي، ٢/ ٤٢١، برقم ٨٢٣، قال الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ، ص ١٨١: «بسند صحيح، وعزاه ابن القيم في الجلاء لمحمد بن إسحاق السراج، ثم صححه».

(٣) سنن النسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، كيف الوتر بتسع، برقم ١٧٢٠، وبنحوه ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الوتر بثلاث وخمس وسبع وتسع، برقم ١١٩١، وصححه الألباني في صحيح النسائي، برقم ١٧٢٠، وصحيح ابن ماجه، برقم ٩٧٩.

وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[(١)].

٨٠٠- ولفظ أحمد عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا السَّلَامُ عَلَيْكَ، فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ إِذَا نَحْنُ صَلَّيْنَا فِي صَلَاتِنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَحْبَبْنَا أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَسْأَلْهُ، فَقَالَ: «إِذَا أَنْتُمْ صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ فَقُولُوا: اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»[(٢)]،[(٣)].

---

(١) سنن الدارقطني، ٢/ ١٦٨، وقال: «هَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ مُتَّصِلٌ» وقال شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام للإمام ابن القيم، ص ٢٩٥: «وهو حديث حسن كما قال الدارقطني رحمه الله» وأقره الألباني في صفة الصلاة، ص ١٨٠، وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٥٥، برقم ٥٩، وحسن إسناده الألباني في تحقيقه.

(٢) مسند أحمد، ٢٨/ ٣٠٤، برقم ١٧٠٧٢، وصححه محققو المسند.

(٣) قال الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ: «وكان ﷺ يصلي على نفسه في التشهد الأول وغيره [أبو عوانة في صحيحه ٢/٣٢٤، والنسائي]، وشرع ذلك لأمته حيث أمرهم بالصلاة عليه بعد السلام عليه، فقد قالوا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك [أي في التشهد] فكيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صلّ على محمد ...» الحديث، فلم يخص تشهداً دون تشهد، ففيه دليل على مشروعية الصلاة عليه في التشهد الأول أيضاً، وهو مذهب الإمام الشافعي، كما نص عليه في كتابه الأم، وهو الصحيح عند أصحابه، كما صرح به النووي في المجموع، ٣/ ٤٦٠، واستظهره في الروضة، ١/ ٢٦٣، طبع المكتب الإسلامي، وهو اختيار الوزير ابن هبيرة الحنبلي في الإفصاح، كما نقله ابن رجب في ذيل الطبقات، ١/ ٢٨٠، وأقره، وقد جاءت أحاديث كثيرة في الصلاة عليه ﷺ في التشهد، وليس فيها أيضاً التخصيص المشار إليه، بل هي عامة تشمل كل تشهد، وقد أوردتها في الأصل تعليقاً، ولم أورد شيئاً منها في المتن؛ لأنها ليست على شرطنا، وإن كانت من حيث المعنى يقوي بعضها بعضاً، وليس للمانعين المخالفين أي دليل يصح أن يحتج به، كما فصلته في الأصل، كما أن القول بكراهية الزيادة في الصلاة عليه في التشهد الأول على: «اللهم صل على محمد» مما لا أصل له في السنة، ولا برهان عليه، بل نرى أن من فعل ذلك لم ينفذ أمر النبي ﷺ المتقدم: «قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد... إلخ»» صفة الصلاة ص١٧٧.

=

الثالث: الصلاة عليه ﷺ في آخر دعاء القنوت:

٨٠١- عن عبد الله بن الحارث رحمه الله أَنَّ أَبَا حَلِيمَةَ مُعَاذًا الْقَارِيَّ رحمه الله **«كَانَ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الْقُنُوتِ»**(١).

الرابع: الصلاة عليه ﷺ في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية،

٨٠٢- عن الزهري رحمه الله، قال: سمعت أبا أمامة بن سهل بن حنيف رضي الله عنه، يحدث سعيد بن المسيب رحمه الله قال: إن السنة في صلاة الجنازة، أن يقرأ بفاتحة الكتاب، ويصلِّي على النبي ﷺ، ثم عن الشعبي، قال: **«أول تكبيرة من الصلاة على الجنازة ثناء على الله عز وجل، والثانية صلاة على النبي ﷺ، والثالثة دعاء للميت، والرابعة السلام»**(٢).

٨٠٣- عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه يكبر على الجنازة ويصلي على النبي ﷺ ثم يقول: **«اللهم بارك فيه وصل عليه واغفر له وأورده حوض نبيك ﷺ»**(٣).

٨٠٤- عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ رحمه الله، عَنْ أَبِيهِ رحمه الله أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ

=

قلت: اختار شيخنا العلامة الإمام ابن باز رحمه الله في كتابه صفة صلاة النبي ﷺ، وفي غيره، أن الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأول مستحبة، وهو الأفضل.

(١) أخرجه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٨٧، برقم ١٠٧، وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، ٢/ ١٥٧: «هذا موقوف صحيح، أخرجه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، وهو آخر حديث فيه» وقال الألباني: في تحقيقه لفضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٨٧: «إسناده موقوف» وقال الألباني في إرواء الغليل، ٢/ ١٧٧: «اطلعت على بعض الآثار الثابتة عن بعض الصحابة، وفيها صلاتهم على النبي ﷺ في آخر قنوت الوتر، فقلت بمشروعية ذلك، وسجلته في تلخيص صفة الصلاة ﷺ فتنبه». انتهى كلام الألباني رحمه الله، وانظر: تلخيص صفة صلاة النبي ﷺ، ص ٣٣.

(٢) أخرجه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٧، برقم ٩١، وقال الألباني في تحقيق كتاب فضل الصلاة: «إسناده موقوف صحيح».

(٣) أخرجه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٧، برقم ٩٢، قال الأرناؤوط في تحقيقه على جلاء الأفهام، ص ٩٠: «رجاله ثقات» وقال الشيخ الألباني في تحقيقه: «إسناده موقوف صحيح».

ﷺ كَيفَ تُصَلِّي عَلَى الْجَنَازَةِ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: «**أَنَا، لَعَمْرُ اللهِ أُخْبِرُكَ. أَتَّبِعُهَا مِنْ أَهْلِهَا. فَإِذَا وُضِعَتْ كَبَّرْتُ، وَحَمِدْتُ اللَّهَ، وَصَلَّيْتُ عَلَى نَبِيِّهِ**». ثُمَّ أَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مُحْسِنًا، فَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا، فَتَجَاوَزْ عَنْ سَيِّئَاتِهِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ**»[(١)].

الخامس: الصلاة على النبي ﷺ في الخطب:

٨٠٥-لحديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء**»[(٢)].

٨٠٦-عن عَوْنُ بْنُ أَبِي جُحَيْفَةَ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: كَانَ أَبِي مِنْ شُرَطِ عَلِيٍّ ﷺ، وَكَانَ تَحْتَ الْمِنْبَرِ، فَحَدَّثَنِي أَبِي: أَنَّهُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ - يَعْنِي عَلِيًّا - فَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: «**خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، وَالثَّانِي عُمَرُ، وَقَالَ: يَجْعَلُ اللهُ تَعَالَى الْخَيْرَ حَيْثُ أَحَبَّ**»[(٣)].

٨٠٧-قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «**فمن أوجب الصلاة على النبي ﷺ في الخطبة دون التشهد، فقوله في غاية الضعف**»[(٤)]، وذكر رَحِمَهُ اللهُ آثاراً عن بعض

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، ١/ ٢٢٨، برقم ١٧، واللفظ له، والأوسط لابن المنذر، ٥/ ٤٨٣، برقم ٣١٤١، وإسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٧، برقم ٩٣، قال الأرناؤوط في تحقيقه على جلاء الأفهام ، ص ٩٠: «رجاله ثقات»وقال الشيخ الألباني في تحقيقه: «إسناده موقوف صحيح».

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الخطبة، برقم ٤٨٤١، والترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، برقم ١١٠٦، وأحمد، ١٣/ ٣٩١، برقم ٨٠١٦، ولفظه: «الْخُطْبَةُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَهَادَةٌ، كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ» وقوى إسناده محققو المسند، والبيهقي ٣/٢٠٩ ، وابن حبان، ٧/٣٦، برقم ٢٧٩٦، وقال محققه الأرناؤوط: «إسناده صحيح» وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٧/ ١٣٦٠، برقم ٢٧٨٥، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: **في جلاء الأفهام** ، ص ٣٦٩: «اليد الجذماء: المقطوعة».

(٣) أخرجه أحمد، ٢/ ٢٠٢، برقم ٧٣٧، وقال محققو المسند: «إسناده قوي».، وقال شعيب وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام ، ص ٣٧٠: «إسناده حسن».

(٤) جلاء الأفهام، ص ٣٦٩.

الصحابة والتابعين تدل على الصلاة على النبي ﷺ في الخطبة، ثم قال: «فهذا دليل على أن الصلاة على النبي ﷺ في الخطب كان أمراً مشهوراً، معروفاً عند الصحابة ﷺ أجمعين، وأما وجوبها فيعتمد دليلاً يجب المصير إليه، وإلى مثله»(١).

السادس: الصلاة على النبي ﷺ بعد إجابة المؤذن

٨٠٨-عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»(٢).

السابع: الصلاة على النبي ﷺ بعد إجابة المؤذن في الإقامة:

٨٠٩-عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاَةٌ، ثَلاَثًا، لِمَنْ شَاءَ**»(٣)؛ لأن الإقامة أذان، فيُصلَّى على النبي ﷺ في نهايتها، كما دل عليه حديث عبد الله بن عمرو ﷺ في متابعة الأذان.

الثامن: الصلاة على النبي ﷺ عند الدعاء: في أوله وفي آخره:

٨١٠- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ، حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ**»(٤).

---

(١) جلاء الأفهام، ص ٣٧١.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يسأل الله له الوسيلة، برقم ٣٨٤.

(٣) البخاري، كتاب الأذان، باب كم بين الأذان والإقامة، ومن ينتظر الإقامة، برقم ٦٢٤، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بين كل أذانين صلاة، برقم ٨٣٨.

(٤) الترمذي، كتاب الوتر، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٤٨٦، وقال ابن كثير في مسند الفاروق، ١/ ١٧٦: «وهذا إسناد جيد»، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩٨، برقم ١٦٩٦، وقال الشوكاني في تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص ٤٧: «وللوقف في مثل هذا حكم الرفع؛ لأن ذلك مما لا مجال للاجتهاد فيه».

٨١١- عنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: «كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ»[١].

٨١٢-عَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ الْجَنْبِيِّ، حَدَّثَنَا أَنَّهُ سَمِعَ فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ رضي الله عنه صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ، وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عز وجل، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجِلَ هَذَا» ثُمَّ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ»[٢].

وله ثلاث مراتب[٣]:

المرتبة الأولى: يصلى عليه بعد حمد الله تعالى قبل الدعاء.

المرتبة الثانية: يصلى عليه في أول الدعاء، وأوسطه، وآخره.

المرتبة الثالثة: يصلى عليه في أول الدعاء، وآخره ويجعل حاجته بينهما.

٨-التاسع: الصلاة والسلام على النبي ﷺ عند دخول المسجد؛

٨١٣-عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال: «بسم الله، اللَّهمّ صلّ على محمّد»، وإذا خرج قال: «بسم الله، اللَّهمّ صلّ على محمّد»[٤].

---

(١) الطبراني في المعجم الأوسط، ١/ ٢٢٠، برقم ٧٢١، وفي المعجم الكبير، ١/ ١٦٨، برقم ٧٢١، والبيهقي في شعب الإيمان، ٣/ ١٥٣، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ١٦٠: «رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات» وقال المنذري في الترغيب والترهيب، ٢/ ٣٣٠: « رواه الطبراني في الأوسط موقوفاً، ورواته ثقات، ورفعه بعضهم، والموقوف أصح» وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩٧، برقم ١٦٧٥، وقال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/ ٥٤، برقم ٢٠٣٥: «وهو في حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال من قبل الرأي، كما قال السخاوي، ص ٢٢٣».

(٢) مسند أحمد، ٣٩/ ٣٦٣، برقم ٢٧٩٣٧، واللفظ له، وأبو داود، كتاب الوتر، باب الدعاء، برقم ١٤٨١، والترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا عبد الله بن معاوية، برقم ٣٤٧٧، والنسائي في السنن، كتاب السهو، باب التمجيد والصلاة على النبي ﷺ في الصلاة، برقم ١٢٨٤، وأخرجه إسماعيل القاضي، ص ٨٦، برقم ١٠٦، وقال محققو المسند، ٣٩/ ٣٦٣: «إسناده صحيح، رجاله ثقات» وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٥٢٢١، برقم ١٣٣١، وصحيح الترمذي، برقم ٢٧٦٧.

(٣) انظر: جلاء الأفهام للإمام ابن القيم، ص ٣٧٥.

(٤) عمل اليوم والليلة لابن السني، ص ١٦٧، برقم ٨٨، وصححه الألباني في الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب، ص ٦٠٧.

٨١٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دخل أحدكم المسجد - أو أتى إلى المسجد - فليسلم على النبي ﷺ، وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ، وليقل: اللهم أعذني من الشيطان الرجيم**». وقال ابن مكرم في حديثه: «**واعصمني**»[(١)].

٨١٥- ولفظ أبي داود، في الرواية الثانية له: عن أَبِي حُمَيْدٍ، أَوْ أَبِي أُسَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، فَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ**»[(٢)].

٨١٦- وعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَقُولُ: «**بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ**»، وَإِذَا خَرَجَ، قَالَ: «**بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ**»[(٣)].

العاشر: الصلاة على النبي والسلام عليه ﷺ عند الخروج من المسجد

٨١٧- لفظ ابن ماجه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»[(٤)].

---

(١) عمل اليوم والليلة لابن السني، ص ١٦٣، برقم ٨٦، وهو في الحاكم، ١/ ٣٢٥، وحسنه الألباني في الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب، ص ٦٠٨.

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل عند دخوله المسجد، برقم ٤٦٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٤٤٠.

(٣) ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، برقم ٧٧١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/١٢٨-١٢٩.

(٤) ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، برقم ٧٧١، برقم ٧٧٤، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/ ١٢٩.

٨١٨-وعَنْ فَاطِمَةَ رضي الله عنها بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَقُولُ: «بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»، وَإِذَا خَرَجَ، قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ»(١).

الحادي عشر: الصلاة على النبي ﷺ على الصفا:

٨١٩-قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «روى إسماعيل بن إسحاق في كتابه: ثنا هدبة، ثنا همام، بن يحيى، ثنا نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما **أن النبي ﷺ كان يكبر على الصفا ثلاثاً يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ثم يصلِّي على النبي ﷺ، ثم يدعو، ويطيل القيام والدعاء**، ثم يفعل على المروة نحو ذلك»(٢).

الثاني عشر: الصلاة على النبي ﷺ على المروة:

٨٢٠-قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «روى إسماعيل بن إسحاق في كتابه: ثنا هدبة، ثنا همام، بن يحيى، ثنا نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما **أن النبي ﷺ كان يكبر على الصفا ثلاثاً يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ثم يصلِّي على النبي ﷺ، ثم يدعو، ويطيل**

---

(١) ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، برقم ٧٧١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/١٢٨-١٢٩.

(٢) جلاء الأفهام ، ص ٣٧٩، وقد أخرجه كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله إسماعيل القاضي في كتابه فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٤، برقم ٨٧، قال الألباني في تحقيقه لفضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٥: «إسناده موقوف، منقطع؛ فإن نافعاً لم يدرك عمر، لكن في الجلاء [لابن القيم] ص ٣٧٩ نقلاً عن المصنف: «أن ابن عمر»؛ فإن صح هذا فيكون قد سقط من نسختنا لفظة (ابن)، ويكون السند حينئذ متصلاً صحيحاً، وهذا مما أستبعده، والله أعلم» وقال شعيب وعبد القادر الأرناؤوط بعد سياق الحديث عند ابن القيم في جلاء الأفهام ، ص ٣٧٩: «عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ كان يكبر على الصفا ثلاثاً... الحديث، قال: وإسناده صحيح، وقد سقطت لفظة (ابن) منه [أي: من كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ لإسماعيل القاضي]، فتستدرك فيه».

القيام والدعاء، ثم يفعل على المروة نحو ذلك»[١].

الثالث عشر: الصلاة على النبي ﷺ عند اجتماع القوم قبل تفرقهم

٨٢١-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»، وهذا لفظ الترمذي[٢].

٨٢٢-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَا يَذْكُرُونَ فِيهِ اللَّهَ ﷻ، وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ»[٣].

٨٢٣-عَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ ثُمَّ تَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللهِ ، وَصَلاَةٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، إِلاَّ قَامُوا عَنْ أَنْتَنِ جِيفَةٍ»[٤].

---

(١) أخرجه إسماعيل القاضي في كتابه فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٤، برقم ٨٧، وقال شعيب وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام، ص ٣٧٩: «وإسناده صحيح» وتقدم تخريجه والكلام على إسناده في الذي قبله.

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، برقم ٣٣٨٠، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٤٠، وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٥٤، وقال الألباني في تحقيقه، ص ٥٠: «حديث صحيح» وله شاهد من حديث أبي أمامة ﷺأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، والدعاء، قال السخاوي في القول البديع، ص ١٥٠: «بسند رجاله ثقات» وقال عبد القادر الأرناؤوط وشعيب الأرناؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام ، ص ١٠٢: «إسناده قوي».

(٣) مسند أحمد، ١٦/ ٤٣، برقم ٩٩٦٥، وابن حبان، ٢/ ٣٥٢، برقم ٥٩١، وصحح إسناده محققو المسند، ومحقق ابن حبان، والحاكم،١ / ٤٩٢، وصححه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠ / ٧٩: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح» وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٢/ ٦٣، برقم ٥٩٠، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/ ١٥٨، برقم ٧٦، وفي صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢١٤، برقم ١٥١٣، وله شاهد عن أبي سعيد ﷺ، أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٥٥، وقال الألباني في تحقيقه، ص ٥٢: «إسناده صحيح موقوفاً، ولكنه في حكم المرفوع».

(٤) مسند الطيالسي، ٣/ ٣١٤، برقم ١٨٦٣، والدعاء للطبراني، ص ٥٣٩، والبيهقي في شعب الإيمان، ٢/٢١٤ ، قال =

٨٢٤-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي مَجْلِسٍ ، فَتَفَرَّقُوا مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، وَالصَّلاَةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

٨٢٥- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يُصَلُّ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلاَّ كَانَتْ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ»(٢).

الرابع عشر: الصلاة على النبي ﷺ عند ذكره

٨٢٦-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَقَى الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: «آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ»، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا؟ فَقَالَ: «قَالَ لِي جِبْرِيلُ: رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ، أَوْ أَحَدَهُمَا لَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: آمِينَ، ثُمَّ قَالَ: رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَقُلْتُ: آمِينَ، ثُمَّ قَالَ: رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: آمِينَ»(٣).

=

البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة، ٦/ ٣٨٣: «هَذَا إِسْنَادٌ رواته ثقات» وقال ابن القيم في جلاء الأفهام ، ص ٩٥: «قال أبو عبد الله المقدسي: هذا عندي على شرط مسلم» وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار، ٤/ ٣٠: «ورجاله رجال الصحيح» وقال السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، ص ١٥٦: «ورجاله رجال الصحيح على شرط مسلم» وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٥٥٠٦.

(١) صحيح ابن حبان، ٢/ ٣٥١، برقم ٥٩٠، وصححه شعيب الأرناؤوط، في صحيح ابن حبان، ٢/ ٣٥١، وصححه الألباني في التعليقات الحسان، ٣/ ٢١١، برقم ٥٨٩.

(٢) النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، من جلس مجلساً لم يذكر الله تعالى فيه وذكر الاختلاف على سعيد بن أبي سعيد في خبر أبي هريرة، وشعب الإيمان للبيهقي، ٣/ ١٣٤، والمجالسة وجواهر العلم، ١/ ٤٢٩، وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار، ٤/ ٢٩: «هذا حديث صحيح» وقال السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، ص ١٥٥: «رواه الطبراني في الدعاء، والمعجم الكبير بسند رجاله ثقات» وقال محقق كتاب المجالسة وجواهر العلم، ١/ ٤٢٩، مشهور سلمان: «إسناده ضعيف، وهو صحيح بطرقه وشواهده» وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٧٦٢٤.

(٣) الأدب المفرد، ص ٢٢٥، برقم ٦٤٦، وابن حبان، ٣/ ١٨٨، برقم ٩٠٧، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٠٢: «حسن صحيح» ومثله في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٢/

=

٨٢٧- عَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: «آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ، قَالَ: أَتَانِي جِبْرِيلُ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ أَحَدَ وَالِدَيْهِ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَمَاتَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَأُدْخِلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، قَالَ: وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ»[١].

٨٢٨-عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَقَى الْمِنْبَرَ، فَلَمَّا رَقَى الدَّرَجَةَ الْأُولَى قَالَ: «آمِينَ»، ثُمَّ رَقَى الثَّانِيَةَ فَقَالَ: «آمِينَ»، ثُمَّ رَقَى الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «آمِينَ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَمِعْنَاكَ تَقُولُ: آمِينَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؟ قَالَ: «لَمَّا رَقِيتُ الدَّرَجَةَ الْأُولَى جَاءَنِي جِبْرِيلُ ﷺ فَقَالَ: شَقِيَ عَبْدٌ أَدْرَكَ رَمَضَانَ، فَانْسَلَخَ مِنْهُ وَلَمْ يُغْفَرْ لَه، فَقُلْتُ: آمِينَ، ثُمَّ قَالَ: شَقِيَ عَبْدٌ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يُدْخِلاهُ الْجَنَّةَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، ثُمَّ قَالَ: شَقِيَ عَبْدٌ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: آمِينَ»[٢].

٨٢٩- عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «احْضَرُوا الْمِنْبَرَ»، فَحَضَرْنَا، فَلَمَّا ارْتَقَى دَرَجَةً، قَالَ: «آمِينَ»، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّانِيَةَ، قَالَ: «آمِينَ»، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّالِثَةَ، قَالَ: «آمِينَ»، فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ الْيَوْمَ شَيْئًا مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ، قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ عليه الصلاة والسلام عَرَضَ لِي فَقَالَ: بُعْدًا لِمَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يَغْفَرْ لَهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّانِيَةَ قَالَ: بُعْدًا لِمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، قُلْتُ:

=

٢٥٧، وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط في صحيح ابن حبان، ٣/ ١٨٨، وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ١٨، وقال الألباني في تحقيقه، ص ٣٢: «إسناده حسن».

(١) المعجم الكبير للطبراني، ٢/ ٢٤٤، برقم ٢٠٢٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٨/ ١٣٩: «رواه الطبراني بأسانيد، وأحدها حسن؛ ولهذا الحديث طرق في الأدعية في الصلاة على النبي ﷺ».

(٢) الأدب المفرد، ص ٢٢٤، برقم ٦٤٤، وصححه لغيره الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٠٠.

آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّالِثَةَ قَالَ: بُعْدًا لِمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ عِنْدَهُ أَوْ أَحَدُهُمَا فَلَمْ يُدْخِلاَهُ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: آمِينَ»[١].

٨٣٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، فَلَمْ يُدْخِلاَهُ الْجَنَّةَ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ شَهْرُ رَمَضَانَ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ»[٢].

٨٣١- عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»[٣].

٨٣٢-عن عَلِيِّ بن حُسَيْنٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ حُسَيْنِ بن عَلِيّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَخَطِئَ الصَّلاةَ عَلَيَّ، خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ»[٤].

---

(١) المستدرك، للحاكم، ٤/ ١٥٣، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩٨، برقم ١٦٧٧، وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ١٩، وقال الألباني في تحقيقه، ص ٣٣: «حديث صحيح بشواهده» وله عند إسماعيل القاضي شواهد كثيرة، منها ما تقدم عن أبي هريرة رضي الله عنه، برقم ١٨، وعن أنس رضي الله عنه برقم ١٥، وقال الألباني في تحقيقه عن حديث أنس ص ٣٢: «حديث صحيح بشواهده».

(٢) صحيح ابن حبان، ٣/ ١٨٩، برقم ٩٠٨، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان، ٣/ ١: «إسناده صحيح على شرط مسلم» وقال الألباني في التعليقات الحسان، ٢/ ٢٥٧، برقم ٩٠٥: «حسن صحيح» وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ١٦، وقال الألباني في تحقيقه، ص ٣١: «إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح».

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل، برقم ٣٥٤٦، وأحمد، ٣/ ٢٥٧ ، برقم ١٧٣٦، والنسائي في الكبرى، برقم ٨١٠٠، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري، ١١/ ١٦٨: «أَخرَجَهُ التِّرمِذِيّ، والنَّسائِيّ، وابن حِبّان، والحاكِم، وإِسماعِيل القاضِي، وأَطنَبَ فِي تَخرِيج طُرُقه، وبَيان الاختِلاف فِيهِ مِن حَدِيث عَلِيّ، ومِن حَدِيث ابنه الحُسَين، ولا يَقصُر عَن دَرَجَة الحَسَن» وهذا الحديث من الأحاديث التي ذكرها الحافظ ابن حجر رحمه الله في فضل الصلاة على النبي ﷺ، ولم يذكرها البخاري ومسلم، وقال عنها في فتح الباري، ١١/ ١٦٨: «فَهَذا الجَيِّد مِنَ الأَحادِيث الوارِدَة فِي ذَلِكَ» وقوى إسناده محققو المسند، ٣/ ٢٥٨، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٦٨٣، وصحيح الجامع، برقم ٢٨٧٨.

(٤) الطبراني في المعجم الكبير، ٣/ ١٢٨، برقم ٢٨٨٧، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه جلاء الأفهام ، ص ٨٨: «حديث حسن» وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، =

٨٣٣- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ، خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ»(١).

٨٣٤-عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَبْخَلَ النَّاسِ لَمَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»(٢).

الخامس عشر: الصلاة على النبي ﷺ عند زيارة قبره

٨٣٥- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ رحمه الله، قَالَ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ «يَقِفُ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ»(٣).

٨٣٦-عَنْ نَافِعٍ رحمه الله: «أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ثُمَّ أَتَى الْقَبْرَ

=

٢/ ٣٠٠، برقم ١٦٨١، وفي صحيح الجامع الصغير، برقم ٦٢٤٥.

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٩٠٨، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري، ١١/ ١٦٨: «أخرجَهُ ابن ماجَةَ عَن ابن عَبّاس، والبَيهَقِيُّ فِي الشُّعَب مِن حَدِيث أَبِي هُرَيرَة رضي الله عنه، وابن أَبِي حاتِم مِن حَدِيث جابِر رضي الله عنه، والطَّبَرانِيُّ مِن حَدِيث حُسَين بن عَلِيّ، وهَذِهِ الطُّرُق يَشُدّ بَعضها بَعضًا» وهذا الحديث من الأحاديث التي ذكرها الحافظ ابن حجر رحمه الله في فضل الصلاة على النبي ﷺ، ولم يذكرها البخاري ومسلم، وقال عنها في فتح الباري، ١١/ ١٦٨: «فَهَذا الجَيِّد مِنَ الأَحادِيث الوارِدَة فِي ذَلِكَ» وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح سنن ابن ماجه، برقم ٧٤٠، وفي تخريج فضل الصلاة على النبي، ص٤٢، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٢٣٣٧.

(٢) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، ١/ ١٩٥، برقم ٥٣، وإسماعيل القاضي في تحقيق فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٤٣، برقم ٣٧، وقال السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، ص ١٥٤: «والحديث غريب، ورجاله رجال الصحيح، لكن فيهم رجل مبهم لا أعرفه» وقال عبد القادر الأرناؤوط وشعيب الأرناؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام ، ص ١٢٠: «وله شاهد من حديث علي، فهو به صحيح» وصححه الألباني لشواهده في تحقيق فضل الصلاة على النبي ﷺ، لإسماعيل القاضي، برقم ٣٧.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ، ١/ ١٦٦، برقم ٦٨، واللفظ له، وإسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٨١، برقم ٩٨، والسنن الكبرى للبيهقي، ٥/ ٤٠٣، والطبقات الكبرى، لابن سعد، ٣/ ٢١٠، قال عبد القادر وشعيب الأرناؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام ، ص ٣٢٨: «إسناده موقوف صحيح» وحسنه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في جامع الأصول، ٤/ ٤٠٧، وقال الشيخ الألباني في تحقيقه لكتاب فضل الصلاة: «إسناده موقوف صحيح».

فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا أَبَتَاهُ»[١].

٨٣٧-عن عبد الله بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: «رأيت ابن عمر رضي الله عنهما إذا قدم من سفر دخل المسجد، فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام على أبي بكر، السلام على أبي، ويصلي ركعتين»[٢].

السادس عشر: الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة

٨٣٨-عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ - يَعْنِي: بَلِيتَ - فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قد حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»[٣].

٨٣٩-وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ وَهِيَ مُسِيخَةٌ[٤] يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينَ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ، إِلاَّ الْجِنَّ وَالإِنْسَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ

---

(١) أخرجه البيهقي، ٥/ ٢٤٥، وإسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٨٢، برقم ١٠٠، وقال الشيخ الألباني في تحقيقه: «إسناده موقوف صحيح».

(٢) فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٨١، برقم ٩٩، قال الألباني في تحقيقه: «إسناده موقوف صحيح».

(٣) أبو داود، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة، برقم ١٠٤٧، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته، ودفنه ﷺ، برقم ١٦٣٦، واللفظ له، وابن ماجه أيضاً، كتاب الصلاة، باب في فضل الجمعة، برقم ١٠٨٥، والنسائي، كتاب الجمعة، إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، برقم ١٣٧٤، وأحمد، ٢٦/ ٨٤، برقم ١٦١٦٢، وصحيح ابن حبان، ٣/ ١٩١، برقم ٩١٠، وصحح إسناده محققو المسند، وقال شعيب الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم، ٣/ ١٩١، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٢/ ٢٥٨، برقم ١٠٤٧، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩٧، برقم ١٦٧٤، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٢٢، وقال الألباني في تحقيقه، ص ٣٥: «إسناده صحيح».

(٤) في الموطأ للإمام مالك: «مصيخة».

يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللهَ حَاجَةً إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهَا»، قَالَ كَعْبٌ ذَلِكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَوْمٌ، فَقُلْتُ: بَلْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، قَالَ: فَقَرَأَ كَعْبٌ التَّوْرَاةَ، فَقَالَ: صَدَقَ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: ثُمَّ لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلاَمٍ، فَحَدَّثْتُهُ بِمَجْلِسِي مَعَ كَعْبٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ قَدْ عَلِمْتُ أَيَّةَ سَاعَةٍ هِيَ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ لَهُ: فَأَخْبِرْنِي بِهَا، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ: هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَقُلْتُ: كَيْفَ هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ يُصَلِّي**»، وَتِلْكَ السَّاعَةُ لاَ يُصَلَّى فِيهَا؟ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ فَهُوَ فِي صَلاَةٍ حَتَّى يُصَلِّيَ**» قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ هُوَ ذَاكَ»[1].

٨٤٠-وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكْثِرُوا الصَّلاَةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ؛ فَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا**»[2].

٨٤١-عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاَةِ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ فَإِنَّ صَلاَةَ أُمَّتِي تُعْرَضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ، فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً**»[3].

---

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة، برقم ١٠٤٨، ومالك في الموطأ، ١/ ١٠٨، والترمذي، كتاب الجمعة، باب ما جاء في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة، برقم ٤٩١، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في سنن أبي داود، ٢/ ٢٧٨، وصحح إسناده عبد القادر الأرناؤوط، وشعيب الأرناؤوط في جلاء الأفهام ، ص ٨٥، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٤/ ٢١٢: «إسناده صحيح على شرط الشيخين» وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه جلاء الأفهام ، ص ٨٥: «فهذا الحديث الصحيح مؤيد لحديث أوس بن أوس، دال على مثل معناه».

(٢) السنن الكبرى للبيهقي، ٣/ ٣٥٣، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٤٠٧.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي، ٣/ ٢٤٩، وفي شعب الإيمان، ٣/١١٠، قال المنذري في الترغيب والترهيب، ٢/٣٢٨: «رواه البيهقي بإسناد حسن، إلا أن مكحولاً قيل لم يسمع من أبي أمامة، وقال العجلوني في كشف الخفاء، ١/١٦٧: «رواه البيهقي بإسناد جيد عن أبي أمامة» وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩٧، برقم ١٦٧٣.

السابع عشر: الصلاة على النبي ﷺ عند الهم إذا أراد أن يكفيه الله ما أهمَّه:

٨٤٢-عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ**»، قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي؟[١]، فَقَالَ: «**مَا شِئْتَ**»، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قُلْتُ: النِّصْفَ؟ قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلَّهَا، قَالَ: «**إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**»[٢].

الثامن عشر: الصلاة على النبي ﷺ يكفيه الله بها ما أهمه في الدنيا والآخرة:

٨٤٣-عن أبي بن كعب ﷺ، قال: قال رجل يا رسول الله، أرأيت إن جعلت صلاتي كلَّها عليكّ؟ قال: «**إِذاً يَكْفِيكَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا هَمَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ**»[٣].

التاسع عشر: الصلاة على النبي ﷺ عند طلب المغفرة:

---

(١) قال المنذري رحمه الله في الترغيب والترهيب، حديث رقم ٢٥٧٧: «معناه: أكثر الدعاء، فكم أجعل لك من دعائي صلاة عليك» وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه جلاء الأفهام ، ص ٧٩: «وسئل شيخنا أبو العباس عن تفسير هذا الحديث، فقال: كان لأبي بن كعب دعاء يدعو به لنفسه، فسأل النبي ﷺ هل يجعل له منه ربعه صلاة عليه، فقال: إن زدت فهو خير لك، فقال له النصف، فقال: إن زدت فهو خير لك، إلى أن قال: أجعل لك صلاتي كلها، أي: أجعل دعائي كله صلاة عليك، قال: «إذاً تكفى همك، ويغفر لك ذنبك» لأن من صلى على النبي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ومن صلى الله عليه كفاه همه، وغفر له ذنبه، هذا معنى كلامه ﷺ».

(٢) الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق، باب حدثنا هناد، برقم ٢٤٥٧، والحاكم، ٢/ ٤٢١، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في صحيح الترغيب والرهيب، ٢/ ٢٩٤، برقم ١٦٧٠: «حسن صحيح» وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ١٤، وقال الألباني في تحقيقه، ص ٣٠: «حديث جيد».

(٣) الأحاديث المختارة للضياء المقدسي، ٣/ ٣٩٠، وقال: «سنده حسن» وقال المنذري في الترغيب والترهيب، برقم ٢٥٧٧: «وإسناد هذه جيد» وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩٦، في حاشية رقم ١.

٨٤٤-عن أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ، اذْكُرُوا اللهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ**»، قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي؟[1]، فَقَالَ: «**مَا شِئْتَ**»، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قُلْتُ: النِّصْفَ؟ قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلَّهَا، قَالَ: «**إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**»[2].

العشرون: الصلاة على النبي ﷺ عند تبليغ العلم إلى الناس

٨٤٥-الصلاة على النبي ﷺ: عند التذكير، وإلقاء الدروس، وتعليم العلم في أول ذلك وآخره، ويؤيده ما كتبه عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمه الله: من عبد الله عمر أمير المؤمنين، إلى أمراء الأجناد: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أُنَاسًا مِنَ النَّاسِ الْتَمَسُوا الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ، وَإِنَّ أُنَاسًا مِنَ الْقُصَّاصِ قَدْ أَحْدَثُوا مِنَ الصَّلاَةِ عَلَى خُلَفَائِهِمْ وَأُمَرَائِهِمْ عِدْلَ صَلاَتِهِمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا، فَمُرْهُمْ أَنْ تَكُونَ صَلاَتُهُمْ عَلَى

---

(١) قال المنذري رحمه الله في الترغيب والترهيب، حديث رقم ٢٥٧٧: «معناه: أكثر الدعاء، فكم أجعل لك من دعائي صلاة عليك» وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه جلاء الأفهام ، ص ٧٩: «وسئل شيخنا أبو العباس عن تفسير هذا الحديث، فقال: كان لأبي بن كعب دعاء يدعو به لنفسه، فسأل النبي ﷺ هل يجعل له منه ربعه صلاة عليه، فقال: إن زدت فهو خير لك، فقال له النصف، فقال: إن زدت فهو خير لك، إلى أن قال: أجعل لك صلاتي كلها، أي: أجعل دعائي كله صلاة عليك، قال: «إذاً تكفى همك، ويغفر لك ذنبك» لأن من صلى على النبي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ومن صلى الله عليه كفاه همه، وغفر له ذنبه، هذا معنى كلامه رضي الله عنه».

(٢) الترمذي، برقم ٢٤٥٧، والحاكم، ٢/ ٤٢١، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في صحيح الترغيب والرهيب، ٢/ ٢٩٤، برقم ١٦٧٠: «حسن صحيح» وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ١٤، وقال الألباني في تحقيقه، ص ٣٠: «حديث جيد» وتقدم تخريجه في الصلاة على النبي ﷺ عند الهم.

النبي ﷺ، وعلى النَّبِيِّينَ، وَدُعَاؤُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً، وَيَدَعُوا مَا سِوَى ذَلِكَ»[١].

الحادي والعشرون: الصلاة على النبي ﷺ أول النهار وآخره

٨٤٦-عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْراً، وَحِينَ يُمْسِي عَشْراً، أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٢].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ٧/ ١٧٩، برقم ٣٥٠٩٣، بلفظه، وفضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٦٧، برقم ٧٦، قال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لجلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام ﷺ، ص ٤١٤: «ورجاله ثقات، لكنه منقطع» وقال الألباني في تحقيقه، ص٦٨: «إسناده مقطوع صحيح» ثم قال الألباني رحمه الله: «وقد جاءت هذه الرسالة في كتاب عمر بن عبد العزيز للإمام ابن الجوزي، وإليك نصها بتمامها: وكتب عمر بن عبد العزيز: من عبد الله عمر أمير المؤمنين، إلى أمراء الأجناد: أما بعد؛ فإن الناس ما اتبعوا كتاب الله نفعهم في دينهم، ومعاشهم في الدنيا، ومرجعهم إلى الله فيما بعد الموت، وإن الله أمر في كتابه بالصلاة على النبي ﷺ، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: من الآية٥٦]، صلوات الله على محمد رسول الله، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته، ثم قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: من الآية١٩]، فقد جمع الله تبارك وتعالى في كتابه أن أمر بالصلاة على النبي ﷺ، وعلى المؤمنين والمؤمنات، وإن رجالاً من القُصَّاص قد أحدثوا صلاة على خلفائهم، وأمرائهم، عدل ما يصلون على النبي، وعلى المؤمنين، فإذا أتاك كتابي هذا، فمر قصاصكم، فليصلوا على النبي ﷺ، وليكن فيه إطناب دعائهم وصلاتهم، ثم ليصلوا على المؤمنين والمؤمنات، وليستنصروا الله، ولتكن مسألتهم عامة للمسلمين، وليدَعُوا ما سوى ذلك، فنسأل الله التوفيق في الأمور كلها، والرشاد والصواب والهدى فيما يحب ويرضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والسلام عليكم».

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٦١، وذكره عدد من المحدثين، وأشاروا إلى مخرِّجه الطبراني، ولم أجده في معاجم الطبراني الثلاثة ولا في غيرها، وقد ذكر محقق المعجم الكبير أن فيه جزأين مفقودان، وقد ذكره الإمام ابن القيم في جلاء الأفهام ، ص: ٤١٨ بإسناده كاملاً، فقال: «قال الطبراني: حدثنا حفص بن عمر الصباح، حدثنا يزيد بن عبد ربه الجرجسي، حدثنا بقية بن الوليد، حدثني إبراهيم بن محمد بن زياد الألهاني، قال: سمعت خالد بن معدان يحدث عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى علي حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة». قال أبو موسى المديني: «رواه عن بقية غير واحد، ويزيد بن عبد ربه كان يسكن بحمص قرب كنيسة جرجس، فنسب اليها»» وقال شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط محققا جلاء الأفهام ، ص ٤١٨ عن الإسناد الذي ساقه الإمام ابن القيم معزواً إلى الطبراني: «رواته ثقات» وقال المنذري في الترغيب والترهيب، ١/ ٢٦١: «رواه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ١٢٠: «أخرجه الطبراني بإسنادين: أحدهما جيد» وقال محقق جلاء الأفهام ، طبعة مكتبة الباز، ص ٢٠٩: =

الثاني والعشرون: الصلاة على النبي ﷺ عقب الذنب إذا أراد أن يُكفَّر عنه:

٨٤٧- قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «قال ابن أبي عاصم في كتاب «الصلاة على النبي ﷺ»: حدثنا الحسن بن البزار، حدثنا شبابة، حدثنا مغيرة بن مسلم، عن أبي إسحاق، عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلُّوا عليَّ، فإنَّ الصلاةَ عليَّ كفارةٌ لكم، فمَن صلَّى عليَّ صلَّى اللهُ عليهِ عشراً**»[(١)].

الثالث والعشرون: الصلاة على النبي ﷺ في أثناء صلاة العيد:

٨٤٨-عن علقمة رحمه الله «أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ، وَأَبَا مُوسَى، وَحُذَيْفَةَ خَرَجَ عَلَيْهِمُ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ قَبْلَ الْعِيدِ يوماً، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا الْعِيدَ قَدْ دَنَا، فَكَيْفَ التَّكْبِيرُ فِيهِ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «**تَبدَأُ فَتُكَبِّرُ تكْبِيرَةً تَفْتَتِحُ بِالصَّلاَةِ، وَتَحْمَدُ رَبَّكَ، وَتُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ تَدْعُو، وَتُكَبِّرُ، وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تُكَبِّرُ وَتَفعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تُكَبِّرُ وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَقرَأُ، ثمَّ تُكبِر وَتَرْكَعُ، ثُمَّ تَقُومُ فَتَقْرَأُ وَتَحْمَدُ رَبَّكَ، وَتُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ تَدْعُو، وَتُكَبِّرُ اللهَ، وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تُكَبِّرُ وَتَفعَلُ مِثْلَ ذَلِك، ثُمَّ تَرْكَعُ**» فقال حذيفة، وأبو موسى: صدق أبو عبد الرحمن»[(٢)].

=

«إسناده صحيح، رواه الطبراني في الكبير، ١/ ١٥٨»» وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٣٥٧، كما حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/٢٧٣ الطبعة القديمة، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، برقم ٦٥٩، ثم ضعفه في سلسلة الأحاديث الضعيفة، برقم ٥٧٨٨.

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام للعلامة ابن القيم ص ٤١٩، وقال شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام ، ص ٤١٩: «إسناده حسن»» وذكره السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ص ١٥٤، وعزاه إلى ابن أبي عاصم، في الصلاة النبوية، وأبي القاسم التيمي في ترغيبه، وذكر روايات أخرى.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ٣/ ٢٩١، وأخرجه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٥، برقم ٨٨، ولفظ البيهقي: «عَنْ عَلْقَمَةَ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ وَأَبَا مُوسَى وَحُذَيْفَةَ خَرَجَ إِلَيْهِمُ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ قَبْلَ الْعِيدِ فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ هَذَا الْعِيدَ قَدْ دَنَا فَكَيْفَ التَّكْبِيرُ فِيهِ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : تَبدَأُ فَتُكَبِّرُ تَكْبِيرَةً تَفْتَتِحُ بِهَا الصَّلاَةَ وَتَحْمَدُ رَبَّكَ وَتُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ تَدْعُو وَتُكَبِّرُ وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ تُكَبِّرُ وَتَفعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ تُكَبِّرُ وَتَفعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ تُكَبِّرُ وَتَفعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ تَقْرَأُ وَتَرْكَعُ ، ثُمَّ تَقُومُ فَتَقْرَأُ وَتَحْمَدُ رَبَّكَ وَتُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ تَدْعُو ، ثُمَّ تُكَبِّرُ وَتَفْعَلُ مِثْلَ

=

٨٤٩-وعن عبد الله بن أبي بكر رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: كنا بالخيف، ومعنا عبد الله بن أبي عتبة رَحِمَهُ اللَّهُ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَدَعَا بِدَعَوَاتٍ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى بِنَا[1].

الرابع والعشرون: الصلاة على النبي ﷺ أثناء صلاة الاستسقاء:

٨٥٠-لحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: **«... خرج رسول الله ﷺ متبذّلاً، متواضعًا، متضرعًا، متخشّعًا، مترسّلاً، حتى أتى المصلى ولم يخطب كخطبتكم هذه[2]، ولكن لم يزل في الدعاء، والتضرع، والتكبير، ثم صلى ركعتين كما كان يصلي في العيد»**[3].

٨٥١-وهذا يؤكد قول الجمهور أن صلاة الاستسقاء تُصلَّى كما تُصلَّى صلاة العيد: في العدد، والجهر بالقراءة، والتكبيرات، والصلاة على النبي ﷺ بين التكبيرات، وجواز الخطبة في الاستسقاء بعد الصلاة؛ لأنها في معناها إلا

= ذَلِكَ ، ثُمَّ تُكَبِّرُ وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ تُكَبِّرُ وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ تُكَبِّرُ وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ هَذَا مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه مَوْقُوفٌ عَلَيْهِ، فَنُتَابِعُهُ فِي الْوُقُوفِ بَيْنَ كُلِّ تَكْبِيرَتَيْنِ لِلذِّكْرِ، إِذْ لَمْ يُرْوَ خِلَافُهُ عَنْ غَيْرِهِ، وَنُخَالِفُهُ فِي عَدَدِ التَّكْبِيرَاتِ، وَتَقْدِيمِهِنَّ عَلَى الْقِرَاءَةِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ جَمِيعًا، بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ فِعْلِ أَهْلِ الْحَرَمَيْنِ، وَعَمَلِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ» وحسن إسناده شعيب وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام ، ص ٤٤٢، وقال الألباني في تحقيقه لفضل الصلاة على النبي ﷺ لإسماعيل القاضي: «إسناده موقوف حسن، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين، غير حماد بن أبي سليمان فمن رجال مسلم وحده، وقال الحافظ في (التقريب): (صدوق له أوهام)، وصحح إسناده السخاوي في (القول البديع، ص ٢٩٢).

(١) أخرجه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٦، برقم ٩٠، قال الأرناؤوط في تحقيقه على جلاء الأفهام ، ص ٩٠: «رجاله ثقات» وقال الشيخ الألباني في تحقيقه لفضل الصلاة على النبي ﷺ لإسماعيل القاضي: «إسناده موقوف صحيح».

(٢) قوله:((ولم يخطب كخطبتكم هذه)) المعنى نفي للصفة لا لأصل الخطبة:أي لم يخطب كخطبتكم هذه إنما كان جل خطبته الدعاء والتضرع...)).المغني لابن قدامة، ٣/٣٣٩.

(٣) أبو داود، برقم ١١٦٥، والترمذي، برقم ٥٥٨، والنسائي برقم ١٥٠٥، ١٥٠٧، وابن ماجه، برقم ١٢٨١، وغيرهم، وتقدم تخريجه في آداب الاستسقاء.

أنه لا وقت لصلاة الاستسقاء، ولكنها لا تفعل في وقت النهي بلا خلاف[(١)]، والأفضل أن تُصلّى في وقت صلاة العيد؛ لحديث عائشة رضي الله عنها[(٢)] وغيره.

٨٥٢-وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**التكبير في الفطر: سبع في الأولى، وخمس في الآخرة، والقراءة بعدهما كلتيهما**»[(٣)]؛

٨٥٣-ولحديث عائشة رضي الله عنها «**أن رسول الله ﷺ كان يكبر في الفطر والأضحى في الأولى سبع تكبيرات، وفي الثانية خمساً سوى تكبيرتي الركوع**»[(٤)]. وسمعت شيخنا الإمام عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله يقول: «هذه السبع التكبيرات مع تكبيرة الإحرام، وفي الركعة الثانية يأتي بخمس غير تكبيرة النقل»[(٥)].

٨٥٤-ويقول بين التكبيرات في صلاة الاستسقاء، كما يقول في صلاة العيد: ما ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه بحضرة حذيفة وأبي موسى رضي الله عنهما، أن الوليد بن عقبة قال: إن العيد قد حضر فكيف أصنع؟ فقال ابن مسعود: تقول: «**الله أكبر، وتحمد الله، وتثني عليه، وتصلي على النبي ﷺ، وتدعو الله، ثم تكبر، وتحمد الله وتثني عليه، وتصلي على النبي ﷺ، ثم تكبر، وتحمد الله، وتثني عليه وتصلي**

---

(١) انظر: الإنصاف للمرداوي مع المقنع والشرح الكبير، ٥/٤١١،والمغني،لابن قدامة، ٣/٣٣٥، والكافي له، ١/٥٣٣، والروض المربع مع حاشية ابن قاسم، ٢/٥٤١.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الاستسقاء، باب رفع اليدين في الاستسقاء، برقم ١١٧٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ١١٧٣.

(٣) أبو داود، كتاب الصلاة، باب التكبير في العيدين، برقم ١١٥١، والترمذي، كتاب الجمعة، باب ما جاء في التكبير في العيدين، برقم ٥٣٦، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في تكبير الإمام في صلاة العيدين، برقم ١٢٧٩، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ١/٣١٥، وغيره، وقال الترمذي في العلل: سألت البخاري عنه فقال: ((هو صحيح)).

(٤) أبو داود، كتاب الصلاة، باب التكبير في العيدين، برقم ١١٤٩، ١١٥٠، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في كم يكبر الإمام في صلاة العيدين؟ برقم ١٢٨٠،وأحمد، ٦/٧٠،وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود،١/٣١٥ وغيره.

(٥) سمعته أثناء تقريره على بلوغ المرام، الحديث رقم ٥١٩.

على النبي ﷺ، وتدعو الله، ثم تكبر، وتحمد الله، وتثني عليه، وتصلي على النبي ﷺ وتدعو الله ثم تكبر، فقال حذيفة وأبو موسى: أصاب»[١].

الخامس والعشرون: الصلاة على النبي ﷺ مطلقاً:

٨٥٥-عن أَبِي بُرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا صَلَّى عَلَيَّ عَبْدٌ مِنْ أُمَّتِي صَلَاةً صَادِقًا بِهَا فِي قَلْبِ نَفْسِهِ إِلَّا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ بِهَا عَشْرَ سيئاتٍ»[٢].

٨-الفوائد والثمرات التي تحصل بالصلاة والسلام على النبي ﷺ:

يحصل المصلي والمسلم على النبي ﷺ على فوائد عظيمة، وثمرات جليلة كثيرة، منها الثمرات الآتية:

١-امتثال أمر الله تعالى.

٢-امتثال أمر النبي ﷺ في الأمر بالصلاة عليه.

٣-موافقة الله ﷻ في الصلاة على النبي ﷺ.

٤-موافقة الملائكة في الصلاة على النبي ﷺ.

٥-حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة.

٦-يرفع للمصلي على النبي ﷺ عشر درجات.

٧-يكتب له عشر حسنات.

---

(١) الطبراني في الكبير،٩/٣٠٣،برقم ٩٥١٥،ورقم ٩٥٢٣،وصححه الألباني في إرواء الغليل،٣/١١٥.

(٢) الطبراني في المعجم الكبير، ٢٢/ ١٩٥، برقم ٥١٣، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري، ١١/ ١٦٧: «وعَن أَبِي بُردَة بن نِيار، وأَبِي طَلحَة، كِلاهُما عِند النَّسائِيّ، ورُواتهما ثِقات، ولَفظ أَبِي بُردَة: «مَن صَلَّى عَلَيَّ مِن أُمَّتِي صَلاة مُخلِصًا مِن قَلبه، صَلَّى الله عَلَيهِ بِها عَشر صَلَوات، ورَفَعَهُ بِها عَشر دَرَجات، وكَتَبَ لَهُ بِها عَشر حَسَنات، ومَحا عَنهُ عَشر سَيِّئات» ولَفظ أَبِي طَلحَة عِنده نَحوه، وصَحَّحَهُ ابن حِبّان» وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩٠، برقم ١٦٥٩: «حسن صحيح».

٨-يُمحى عنه عشر سيئات.

٩-يُرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه وختم بها، فهي تصعد إلى رب العالمين.

١٠-سبب لشفاعة النبي ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة له.

١١-من صلى على النبي ﷺ حقَّت له الشفاعة.

١٢-سبب لغفران الذنوب.

١٣-سبب لكفاية الله العبد ما أهمه.

١٤-سبب لقرب العبد من النبي ﷺ يوم القيامة.

١٥-سبب لصلاة الله على المصلي وصلاة ملائكته عليه.

١٦-المصلي على النبي ﷺ ينجو من دعاء النبي ﷺ عليه بإلصاق أنفه بالتراب.

١٧-أولى الناس بالنبي ﷺ يوم القيامة أكثرهم عليه صلاة.

١٨-تصلي الملائكة على المصلي على النبي ﷺ.

١٩-استمرار الملائكة في الصلاة على المصلي ما دام يصلي على النبي ﷺ.

٢٠-صلاة الله وسلامه على من صلى على النبي ﷺ.

٢١-إبلاغ النبي ﷺ من الملائكة بصلاة وسلام من صلى عليه وسلم.

٢٢-سبب لرد النبي ﷺ الصلاة والسلام على المصلِّي والمسلم عليه.

٢٣-سبب لطيب المجلس وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.

٢٤-تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره.

٢٥-ترمي بصاحبها على طريق الجنة وتخطئ بتاركها عن طريقها.

٢٦-تنجي من نتن المجلس الذي لا يذكر الله ولا يصلَّى على رسوله ﷺ فيه.

٢٧-سبب لتمام الكلام الذي ابتُدئ بحمد الله والصلاة على رسوله ﷺ.

٢٨-يخرج العبد بالصلاة والسلام على النبي ﷺ عن الجفاء.

٢٩-سبب لإبقاء الله الثناء الحسن للمصلي على النبي ﷺ بين السماء والأرض؛ لأن

المصلي طالب من الله أن يثني على رسوله ويكرمه ويشرفه والجزاء من جنس العمل، فلا بد أن يحصل للمصلي نوع من ذلك.

٣٠-سبب للبركة في ذات المصلي، وعمله، وعمره، وأسباب مصالحه، لأن المصلي داعٍ ربَّه يُبارك عليه وعلى آله وهذا الدعاء مستجاب، والجزاء من جنس العمل.

٣١-سبب لنيل رحمة الله له، فلابد للمصلي من رحمة تناله.

٣٢-سبب لدوام محبة العبد للرسول ﷺ، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه، واستحضار محاسنه استولى على جميع قلبه والمثل المشهور من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

٣٣-الصلاة على النبي ﷺ سبب لمحبته للعبد، فإنها إذا كانت سبباً لزيادة محبة المصلي عليه له، فكذلك هي سبب لمحبته هو للمصلي عليه.

٣٤-سبب لهداية العبد وحياة قلبه، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه ﷺ وذكره استولت محبته على قلبه.

٣٥-سبب لعرض اسم المصلي على النبي ﷺ.

٣٦-سبب لتثبيت القدم على الصراط والجواز عليه.

٣٧-الصلاة على النبي ﷺ أداء لأقل القليل من حقه على العبد.

٣٨-الصلاة على النبي ﷺ متضمنة لذكر الله وشكره.

٣٩-الصلاة على النبي ﷺ من الدعاء، ودعاء العبد وسؤاله من ربه نوعان:

أحدهما: سؤاله حوائجه ومهماته وما ينوبه وهذا دعاء.

والثاني: سؤاله أن يثني على خليله وحبيبه[1].

٩-صفات الصلاة على النبي ﷺ:

أفضل كيفيات الصلاة على النبي ﷺ أربع صفات هي على النحو الآتي:

---

(١) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ص٤٤٥-٤٥٤.

الصفة الأولى: إحدى الصفات التي علمها النبي ﷺ لأصحابه عندما سألوه عن كيفية الصلاة عليه:

٨٥٦-عن عبد الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى قال: لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، فَقَالَ: أَلاَ أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَأَهْدِهَا لِي، فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الصَّلاَةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[(١)].

٨٥٧-عَنْ عَمْرِو بْنِ سُلَيْمٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**قُولُوا اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»[(٢)].

٨٥٨-وعَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»، قَالَ ابْنُ

---

(١) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا موسى بن إسماعيل، برقم ٣٣٧٠، وكتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ سورة الأحزاب، الآية: ٥٦، برقم ٤٧٩٧، وكتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٦٣٥٧، ومسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، برقم ٤٠٦..

(٢) مسلم، برقم ٤٠٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

طَاوُسٍ: وَكَانَ أَبِي يَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ[(١)].

الصفة الثانية: صلى الله عليه وسلم تسليماً:

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «قَوْلَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، فَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا»[(٢)].

الصفة الثالثة: صلى الله عليه وسلم.

الصفة الرابعة: عليه الصلاة والسلام.

قال العلامة المحدث عبد المحسن العباد عن هاتين الصفتين الأخيرتين: «وقد درج السلف الصالح، ومنهم المحدثون بذكر الصلاة عليه ﷺ عند ذكره بصيغتين مختصرتين إحداهما: صلى الله عليه وسلم، والثانية: عليه الصلاة والسلام، وهاتان الصيغتان قد امتلأت بهما ولله الحمد كتب الحديث، بل إنهم يدونون في مؤلفاتهم الوصايا بالمحافظة على ذلك على الوجه الأكمل من الجمع بين الصلاة والتسليم عليه»[(٣)].

قال الإمام ابن الصلاح رحمه الله: «يَنْبَغِي لَهُ [يعني كاتب حديث رسول الله ﷺ] أَنْ يُحَافِظَ عَلَى كِتْبَةِ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذِكْرِهِ، وَلَا يَسْأَمَ مِنْ تَكْرِيرِ ذَلِكَ عِنْدَ تَكَرُّرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَكْبَرِ الْفَوَائِدِ الَّتِي يَتَعَجَّلُهَا طَلَبَةُ الْحَدِيثِ، وَكَتَبَتُهُ، وَمَنْ أَغْفَلَ ذَلِكَ حُرِمَ حَظًّا عَظِيمًا... وَمَا يَكْتُبُهُ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ دُعَاءٌ يُثْبِتُهُ، لَا كَلَامٌ يَرْوِيهِ، فَلِذَلِكَ لَا يَتَقَيَّدُ فِيهِ بِالرِّوَايَةِ، وَلَا يَقْتَصِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي الْأَصْلِ، وَهَكَذَا الْأَمْرُ فِي الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ ذِكْرِ اسْمِهِ، نَحْوُ (عز وجل)، و(تَبَارَكَ وَتَعَالَى) وَمَا ضَاهَى ذَلِكَ،

---

(١) مسند أحمد، ٣٨/ ٢٣٧، برقم ٢٣١٧٤، وصححه الألباني في صفة الصلاة، ص ١٧٩، وصححه محققو المسند، ٣٨/ ٢٣٨.

(٢) تفسير ابن كثير، ٦/ ٤٧٩، وانظر: الأذكار للنووي، ص ١٥٩.

(٣) فضل الصلاة على النبي ﷺ للعلامة عبد المحسن العباد، ص ١٩.

وَإِذَا وُجِدَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ قَدْ جَاءَتْ بِهِ الرِّوَايَةُ كَانَتِ الْعِنَايَةُ بِإِثْبَاتِهِ، وَضَبْطِهِ أَكْثَرَ، وَمَا وُجِدَ فِي خَطِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رضي الله عنه مِنْ إِغْفَالِ ذَلِكَ عِنْدَ ذِكْرِ اسْمِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَعَلَّ سَبَبَهُ أَنَّهُ كَانَ يَرَى التَّقَيُّدَ فِي ذَلِكَ بِالرِّوَايَةِ، وَعَزَّ عَلَيْهِ اتِّصَالُهَا فِي ذَلِكَ فِي جَمِيعِ مَنْ فَوْقَهُ مِنَ الرُّوَاةِ.

قَالَ الْخَطِيبُ أَبُو بَكْرٍ: «وَبَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ نُطْقًا لَا خَطًّا»، قَالَ: «وَقَدْ خَالَفَهُ غَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي ذَلِكَ».

وَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ، وَعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيِّ، قَالَا: «مَا تَرَكْنَا الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي كُلِّ حَدِيثٍ سَمِعْنَاهُ، وَرُبَّمَا عَجَّلْنَا فَنُبَيِّضُ الْكِتَابَ فِي كُلِّ حَدِيثٍ حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْهِ»، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ لِيَتَجَنَّبْ فِي إِثْبَاتِهَا نَقْصَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكْتُبَهَا مَنْقُوصَةً صُورَةً، رَامِزًا إِلَيْهَا بِحَرْفَيْنِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

وَالثَّانِي: أَنْ يَكْتُبَهَا مَنْقُوصَةً مَعْنًى، بِأَنْ لَا يَكْتُبَ (وَسَلَّمَ)، وَإِنْ وُجِدَ ذَلِكَ فِي خَطِّ بَعْضِ الْمُتَقَدِّمِينَ»[١].

وقال الإمام النووي رحمه الله في كتابه الأذكار: «إذا صلّى على النبيّ ﷺ فليجمعْ بين الصلاة والتسليم، ولا يقتصرْ على أحدهما، فلا يقل (صلّى الله عليه) فقط، ولا (عليه السلام) فقط»[٢].

وقال الفيروزابادي في كتابه الصلات والبشر: «ولا ينبغي أن ترمز للصلاة [على النبي ﷺ] كما يفعله بعض الكُسالى، والجهلة، وعوام الطلبة، فيكتبون صورة (صلعم) بدلاً من ﷺ»[٣].

---

(١) مقدمة ابن الصلاح: معرفة أنواع علوم الحديث، ص ١٨٨.

(٢) الأذكار للنووي، ص ٢٠٨.

(٣) الصِّلات والبُشَر في الصلاة على خير البشر ﷺ، ص ١١٤، وانظر: فضل الصلاة على النبي ﷺ للعباد، ص ٢٠.

***

٢٢٠-(٢) وَقَالَ ﷺ: «لاَ تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلاَتَكُم تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»[١].

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٨٥٩-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[٢]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»[٣].

٨٦٠-وعَنْ عَلِيِّ[٤] بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ [٥]، أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَأْتِي كُلَّ غَدَاةٍ، فَيَزُورُ قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ، وَيَصْنَعُ ذَلِكَ مَا اشْتَهَرَهُ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: أُحِبُّ التَّسْلِيمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: هَلْ لَكَ أَنْ أُحَدِّثَكَ حَدِيثًا عَنْ أَبِي؟

---

(١) أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، برقم ٢٠٤٤، وأحمد، ١٤: ٤٠٣، برقم ٨٨٠٤، وصححه النووي في الأذكار، ص ٢١٩، وحسنه محققو المسند، ١٤/ ٤٠٣، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٧٨٠، وتقدم تخريجه في تخريج الحديث رقم ٢٠٧ من أحاديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٢٠٤٤، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٧٨٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) عليّ بن الحسين: هو الإمام زينُ العابدين، وُلِدَ فِي: سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلاَثِيْنَ ظَنّاً، وكان عند مشهد أبيه غُلامًا لم يحتلم، فأشخصوا به إلى يزيد في الشام، ثم رجع إلى المدينة، ويقال له علي الأصغر، وليس للحسين رضي الله عنه عقب إلا من ولد زين العابدين هذا؛ وهو أحد الأئمة الإثني عشر، ومن سادات التابعين، روى عن أبيه وعمه الحسن وطائفة، وروى عنه بنوه محمد وزيد وعبد الله، وآخرون كُثُر، كان ثقة، مأموناً، كثير الحديث، عالياً، رفيعاً، ورعاً، مات سنة اثنتين وتسعين. انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، ٣/ ٢٦٧، وسير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، ٤/ ٣٨٦، وإسعاف المبطأ للسيوطي، ص ٢١.

(٥) تقدمت ترجمة الحسين بن علي رضي الله عنه في الحديث رقم٤٩٥ من أحاديث الشرح.

قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي[١]، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، وَسَلِّمُوا حَيْثُمَا كُنْتُمْ، فَسَيَبْلُغَنِي سَلامُكُمْ وَصَلاتُكُمْ**»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا**»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَعْنِي: أَنَّ الْقُبُورَ مَوْضِعُ الْمَوْتَى، فَإِذَا لَمْ تُصَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ وَلَمْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا كُنْتُمْ كَالْمَيِّتِ، وَكَانَتْ كَالْقُبُورِ»[٣]، وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، أي: لا تتركوا الصلاة في بيوتكم حتى تجعلوها كالقبور التي لا يُصلَّى فيها»[٤]، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، معناه: لا تجعلوا بيوتكم كالقبور الخالية عن ذكر الله تعالى وعبادته؛ لأنها غير صالحة لها، وكذلك لا تجعلوا القبور كالبيوت محلاً للاعتياد لحوائجكم، ومكاناً للعبادة والصلاة، أو مرجعاً للسرور والزينة كالعيد»[٥].

٢-قوله: «**وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا**»: قال ابن القيم: العيد ما يعتاد مجيؤه، وقصده من زمان ومكان، مأخوذ من المعاودة والاعتياد، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: لا تتكلفوا المعاودة إلى قبري، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم. قلت: لا ارتياب أن الصلاة في الحضور مشافهة أفضل من الغيبة، لكن المنهي عنه هو الاعتياد الذي يرفع الحشمة، ويخالف التعظيم»[٦]، وقال الإمام ابن القيم

(١) تقدمت ترجمة علي بن أبي طالب في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.
(٢) فضل الصلاة على النبي ﷺ لإسماعيل القاضي، ص ٣٣، برقم ٢٠، وبنحوه برقم ٣٠، قال الألباني في تحقيقه لهذا الكتاب: «حديث صحيح بطرقه، وشواهده، وقد خرجتها في تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، ص ٩٨-٩٩».
(٣) الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٣/ ٧٣.
(٤) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، ٦/ ٢٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ١٤٣.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ١٠٤٣.
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ١٠٤٨.

رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكذلك نهيه لهم أن يتخذوا قبره عيداً، نهي لهم أن يجعلوه مجمعاً كالأعياد التي يقصد الناس الاجتماع إليها للصلاة؛ بل يُزار قبره صلوات الله وسلامه عليه، كما كان يزوره الصحابة رضوان الله عليهم على الوجه الذي يرضيه، ويحبه صلوات الله وسلامه عليه»[(١)].

٣-قوله: «**وصّلُّوا عليَّ**»: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقولك: اللهم صلِّ على محمد، يعني: اللهمّ أثنِ عليه في الملأ الأعلى، ومعنى أثنِ عليه، يعني: اذكره بالصفات الحميدة، والملأ الأعلى هم الملائكة، فكأنك إذا قلت: اللهم صل على محمد، كأنك تقول: يا ربِّ صِفْه بالصفات الحميدة، واذكره عند الملائكة حتى تزداد محبتهم له، ويزداد ثوابهم بذلك، هذا معنى اللهم صلى على محمد»[(٢)].

٤-قوله: «**فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»: أي: تصل إليّ، قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «عقّب النهي عن اتخاذه عيداً بقوله: «**وصلّوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**» يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم، فلا حاجة بكم إلى اتخاذه عيداً»[(٣)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-تحريم شد الرحال إلى قبره ﷺ، واجتماع الناس عنده اجتماعهم للعيد، والالتصاق بقبره ﷺ؛ لأن هذا يفضي إلى دعائه ﷺ من دون الله، ومن يفعل ذلك يزعم أن هذا من باب الحب له ﷺ، فقد أخطأ، قال الله ﷻ: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾[(٤)]، ولم يفعل ذلك أصدق الناس في

---

(١) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، ٦/ ٢٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ١٤٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٣٩٧.٢ ، وتقدم في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن رقم ١٤٣.

(٣) إغاثة اللهفان، ١/ ١٩٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

محبته، وهم أصحابه رضوان الله عليهم.

٢-إبطال حجج من يزعم أن الصلاة عليه عند قبره أفضل من الصلاة عليه بعيدًا عنه، والحديث ظاهر الدلالة في تكذيب ذلك القول الباطل، وهم يعتمدون في ذلك على جملة من الأحاديث الضعيفة والمكذوبة عليه ﷺ منها[١]:

أ - «**من صلى عليّ عند قبري وكل الله به ملكًا يبلغني وكفي أمر دنياه وآخرته وكنت له يوم القيامة شهيدًا أو شفيعًا**»[٢]، وهو حديث مكذوب على النبي ﷺ.

ب - «**من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ من بعيد أُعلمته**»[٣].

٣-المشروع هو شد الرحال إلى مسجده، وليس إلى قبره؛ لقول النبي ﷺ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى**»[٤]، أما من كان في مسجده ﷺ، فتستحب له الزيارة الشرعية وإنما تشد الرحال إلى المساجد الثلاثة للثواب العظيم لمن صلى فيها.

٤-قال العظيم أبادي رحمه الله: «ويؤخذ من الحديث أن اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء في يوم أو شهر مخصوص من السنة ويقولون هذا يوم مولد «الشيخ فلان» ويأكلون ويشربون وربما يرقصون فيه منهي عنه شرعًا، وعلى ولي الأمر ردعهم على ذلك، وإنكاره عليهم وإبطاله»[٥]، وتأديبهم إن امتنعوا.

---

(١) انظر: شرح حصن المسلم لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٦١٧.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي، ٣/ ١٤١، ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، ١/ ٣٠٣، وحكم عليه الألباني بالوضع في السلسلة الضعيفة، برقم ٢٠٣.

(٣) انظر: الضعيفة، برقم ٢٠٥. ذكره السيوطي في جمع الجوامع، برقم ٥٥٠٣، وعزاه إلى أبي الشيخ، وقال السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، ص ١٦٠: «أخرجه أبو الشيخ في الثواب له من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عنه ومن طريقه الديلمي وقال ابن القيم: إنه غريب، قلت: وسنده جيد كما أفاده شيخنا» [وشيخ السخاوي هو الحافظ ابن حجر رحمه الله].

(٤) البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، برقم ١١٨٩.

(٥) عون المعبود، ٣/ ٣١١.

٥-جاء في بداية هذا الحديث: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا ...**» أي: لا تتركوا صلاة النافلة وقراءة القرآن في بيوتكم فتكون كالقبور؛ وقيل: المراد لا تدفنوا في البيوت[1] وقد نهى ﷺ عن ذلك أشد النهي وكان ذلك قبل موته بليالٍ قليلة حرصًا منه على دعوة التوحيد التي بعثه الله من أجلها ومن ذلك قول النبي ﷺ:

أ - «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[2].

ب - «**لا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**»[3][4].

٦-قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَقِّقُ هَذَا التَّوْحِيدَ لِأُمَّتِهِ، وَيَحْسِمُ عَنْهُمْ مَوَادَّ الشِّرْكِ؛ إذْ هَذَا تَحْقِيقُ قَوْلِنَا: «**لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ**» فَإِنَّ الْإِلَهَ هُوَ الَّذِي تَأْلَهُهُ الْقُلُوبُ؛ لِكَمَالِ الْمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَالرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ... حَتَّى قَالَ لَهُمْ: ...«**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ مَا كُنْتُمْ**»[5].

٧-وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «لا تجعلوا القبر عيداً تكرمونه بالمجيء إليه كل سنة مرة أو مرتين، أو ما أشبه ذلك، وفيه دليل على تحريم شد الرحل لزيارة قبر النبي ﷺ، وأن الإنسان إذا أراد الذهاب إلى المدينة لا يقصد أن يسافر من أجل زيارة قبر الرسول ﷺ، ولكن يسافر من أجل الصلاة في مسجده؛ لأن الصلاة في مسجده خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، قال: «**وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم**» إذا صليت على الرسول ﷺ فإن

---

(١) المصدر السابق، ٣/٣١٠.

(٢) البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد عبى القبور، برقم ١٣٣٠.

(٣) مسلم، برقم ٥٣٢، وانظر كتاب «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» للشيخ الألباني رحمه الله، ص ١٥.

(٤) انظر: شرح حصن المسلم لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٦١٩.

(٥) مجموع الفتاوى، ١/ ١٣٦.

صلاتك تبلغه حيثما كنت في بر، أو بحر، أو جو، قريباً كنت، أو بعيداً»[١].

* * *

٢٢١-(٣) وَقَالَ ﷺ: «الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»[٢].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٨٦١-عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه[٣]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «البخيل»: أي المحروم الأجر وأصل البخل منع الشيء عن من يستحقه، قال ابن منظور: والبَخْل والبُخُول: ضِدُّ الْكَرَمِ»[٥]، وقال التهانوي رحمه الله: «البخيل هو الممتنع عن أداء الحقوق الواجبة: كالزكاة، والنفقات، وغيرها، ويقول بعضهم: البخيل هو الذي لا يعطي أحداً من ماله»[٦]، وقال الحافظ العراقي رحمه الله: «الْبُخْلَ إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ غَالِبًا فِي الْبُخْلِ بِالْمَالِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِذَلِكَ الْعِبَادَاتُ كُلُّهَا،

---

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٠٤.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل، برقم ٣٥٤٦، وأحمد، ٣/ ٢٥٧ ، برقم ١٧٣٦، والنسائي في الكبرى، برقم ٨١٠٠، وقوى إسناده محققو المسند، ٣/ ٢٥٨، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٦٨٣، وصحيح الجامع، برقم ٢٨٧٨.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٤) الترمذي، برقم ٣٥٤٦، وأحمد، برقم ١٧٣٦، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٦٨٣، وصحيح الجامع، برقم ٢٨٧٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) لسان العرب، ١١/ ٤٧، مادة (بخل).

(٦) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ١/ ٣١٢، مادة (بخل).

كَمَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ الثَّابِتِ: «الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْت عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»[١].

٢-قوله: «**من ذكرت عنده**»: أي: سمع اسمي فلم يصلِّ عليّ، قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**من ذكرتُ عنده**): أي: ذكر اسمي عنده، قال في الإتحاف: وكذا ذكر كنيته، وصفته، وما يتعلق به من معجزاته»[٢]، وقال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «**من ذكرت عنده فلم يصل عليّ**: لأنه بامتناعه من الصلاة عليه قد شحّ وامتنع من أداء حق يتعين عليه أداؤه امتثالاً للأمر؛ ولما فيه من مكافأة جزئية لمن كان سبباً في سعادته الأبدية، بل في الحقيقة إنما شح، وبخل عن نفسه، ومنعها أن يصل إليها عطاء عظيم ممن يعطي بلا حساب، ولا تنقص خزائنه بالعطاء، فبهذا الشح تفوته تلك الكنوز التي لولاه لكان يكتالها بالمكيال الأوفى، من غير أدنى مشقة، فلا أبخل من هذا»[٣].

٣-قوله: «**فلم يصل علي**»: أي: لم يقل: عليه الصلاة والسلام، أو أي صيغة من صيغ الصلاة عليه ﷺ، قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلم يصلِّ عليّ: لأنه بخل على نفسه؛ حيث حرمها أجر الصلاة على رسوله ﷺ»[٤].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الحث على الصلاة والسلام على النبي ﷺ عند ذكر اسمه أو كتابته حتى لا يحرم العبد من الأجور والأفضال المترتبة على ذلك ﷺ.

٢-عدم الصلاة والسلام عليه عند ذكره ﷺ دليل على مرض قلب من لم يصل عليه، أو موته؛ لأنه بهذا لا يعلم قدره، فأنى يحشر معه ويشرب من حوضه؟

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب، ٦/ ٣٧.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٥٨١.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٧/ ١٩٦.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٥٨١.

٣-من ترك الصلاة على النبي ﷺ عامدًا فهو متوعد بالشر والهوان؛ لقول النبي ﷺ: «**رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ**»(١).

ومعنى رغم أنف: أي: لصق بالتراب دلالة على الذل والخسارة والهوان. وقول النبي ﷺ: «**من ذكرت عنده فخطئ الصلاة عليَّ خطئ طريق الجنة**»(٢).

٤-قال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذكرت عنده فلم يصل علي: أخذ منه بعض الحنفية، وابن عبد البر من المالكية، وابن بطة من الحنابلة وجوب الصلاة عليه ﷺ كلما ذكر»(٣).

***

٢٢٢-(٤) وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلاَمَ»(٤).

الشـرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٨٦٢-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه(٥) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل...» برقم ٣٥٤٥، وأحمد، ١٢/ ٤٢١، برقم ٧٤٥١، وحسن إسناده محققو المسند، وصححه الألباني في المشكاة، برقم ٩٢٧.

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ٣/ ١٢٨، ومصنف ابن أبي شيبة، ٦/ ٣٢٦، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٣٩، برقم ١٦٨١، وفي السلسلة الصحيحة، برقم ٢٣٣٧.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٧/ ١٩٤.

(٤) النسائي، كتاب السهو، باب السلام على النبي ﷺ، برقم ١٢٨٢، ومسند أحمد، ٧/ ٢٦٠، برقم ٤٢٠٩، والحاكم، ٢/٤٢١، وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم ٢١، وصححه محققو المسند، ٢/ ٤٢١، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/٢٧٤، وصحيح الجامع الصغير، برقم ٢١٧٣، وقال في تحقيقه لفضل الصلاة على النبي ﷺ لإسماعيل القاضي، ص ٣٣: «إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح».

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح.

سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ، يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»[١].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: « **إن لله ملائكة سياحين**»: أي: يتنقلون من مكان إلى آخر، يقال: ساح في الأرض إذا ذهب فيها وأصله من السيح وهو الماء الجاري على الأرض، قال ابن منظور رحمه الله: «المَلَكُ: وَاحِدُ الْمَلَائِكَةِ... أصله مَأْلَكٌ بِتَقْدِيمِ الْهَمْزَةِ مِنَ الأَلُوكِ، وَهِيَ الرِّسَالَةُ»[٢]. وقال الطحاوي رحمه الله: «أما الْمَلَائِكَةُ فَهُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَكُلُّ حَرَكَةٍ فِي الْعَالَمِ فَهِيَ نَاشِئَةٌ عَنِ الْمَلَائِكَةِ...وَقَدْ دَلَّ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ عَلَى أَصْنَافِ الْمَلَائِكَةِ، وَأَنَّهَا مُوَكَّلَةٌ بِأَصْنَافِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَكَّلَ بِالْجِبَالِ مَلَائِكَةً، وَوَكَّلَ بِالسَّحَابِ وَالْمَطَرِ مَلَائِكَةً، وَوَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَائِكَةً تُدَبِّرُ أَمْرَ النُّطْفَةِ حَتَّى يَتِمَّ خَلْقُهَا، ثُمَّ وَكَّلَ بِالْعَبْدِ مَلَائِكَةً لِحِفْظِ مَا يَعْمَلُهُ وَإِحْصَائِهِ وَكِتَابَتِهِ، وَوَكَّلَ بِالْمَوْتِ مَلَائِكَةً، وَوَكَّلَ بِالسُّؤَالِ فِي الْقَبْرِ مَلَائِكَةً، وَوَكَّلَ بِالْأَفْلَاكِ مَلَائِكَةً يُحَرِّكُونَهَا، وَوَكَّلَ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مَلَائِكَةً، وَوَكَّلَ بِالنَّارِ وَإِيقَادِهَا وَتَعْذِيبِ أَهْلِهَا وَعِمَارَتِهَا مَلَائِكَةً، وَوَكَّلَ بالجنة وعمارتها وغرسها وَعَمَلِ آلَاتِهَا مَلَائِكَةً، فَالْمَلَائِكَةُ أَعْظَمُ جُنُودِ اللَّهِ»[٣]، وقال ابن الأثير رحمه الله: «الملائكة السَّيَّاحِينَ: غيرَ الحفَظَة، والحاضِرينَ عِنْدَ الموتِ»[٤]، وقال الشوكاني رحمه الله: «قَوْله: (سياحين) بِالسِّين الْمُهْملَة من السياحة، وَهُوَ السّير، يُقَال: ساح فِي الأَرْض، يسيح

---

(١) النسائي، برقم ١٢٨٢، ومسند أحمد، ٧/ ٢٦٠، برقم ٤٢٠٩، والحاكم، ٢/٤٢١، وصححه محققو المسند، ٢/ ٤٢١، والألباني في صحيح النسائي، ١/٢٧٤.

(٢) لسان العرب، ١٠/ ٤٩٦، مادة (ملك).

(٣) شرح الطحاوية، ص ٢٧٩.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٣٥٩، مادة (ملك).

سياحة: إذا ذهب فِيهَا، وَأَصله من السيح، وَهُوَ المَاء الْجَارِي المنبسط»[١].

٢-قوله: «**يبلغوني من أمتي**»: أي يعلمونني ويخبرونني، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «البَلَاغ مَا يَتَبَلَّغُ ويُتَوَصَّل بِهِ إِلَى الشَّيْءِ الْمَطْلُوبِ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «كُلُّ رَافِعَة رَفَعَت عَنا مِنَ البَلَاغِ فَلْتُبَلِّغْ عنَّا» يُروى بِفَتْحِ الْبَاءِ وَكَسْرِهَا، فَالْفَتْحُ لَهُ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ مَا بَلَّغَ مِنَ الْقُرْآنِ والسُّنن، وَالْآخَرُ مِنْ ذَوِي الْبَلَاغِ، أَيِ: الذين بَلَّغُونَا يَعْنِي: ذوِي التَّبليغ، فَأَقَامَ الِاسْمَ مَقَامَ الْمَصْدَرِ الْحَقِيقِيِّ، كَمَا تَقُولُ أَعْطَيْتُهُ عطَاء... كُلُّ جَمَاعَةٍ أَوْ نَفْسٍ تُبَلِّغُ عَنَّا وَتُذِيعُ مَا نَقُولُهُ فَلْتُبَلِّغْ وَلْتَحْكِ»[٢].

٣-قوله: «**السلام**»: هو قول المسلم: «اللَّهم صلِّ وسلم وبارك على محمد»، أو أي صيغة صحت في هذا الباب، قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «السلام: ممن سلَّم عليَّ منهم، وإن بعد قطره، أي: فيرد عليهم بسماعه منهم، وسكت عن الصلاة، والظاهر أنهم يبلغونها أيضاً»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-بيان عظيم قدر النبي ﷺ حيث سُخِّر ملائكةٌ كرام يسيحون في الأرض، ليس لهم إلا هذه المهمة.

٢-قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفيه تعظيم لرسول الله ﷺ، وإجلال لمنزلته، حيث سخر الملائكة الكرام لهذا الشأن المفخم»[٤].

٣-رسول الله ﷺ يُبلَّغ بالسلام، ولا يسمعه مباشرة؛ لأنه قد مات، وهذه سنة الله في خلقه، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾[٥].

---

(١) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص ٤٥.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ١٥٢، مادة (بلغ).
(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير، ١/ ٦٦٥.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ١٠٤٣.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

٤-الملائكة خلق عظيم بأمر الله يعملون، وكلهم في الأرض، وفي السماء يصلون على النبي ﷺ؛ لقول الله ﷻ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ وقد أخبر النبي ﷺ[1] بأن البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة، لا يعودون، والشاهد أن كلهم يصلون على صاحب المقام المحمود، والحوض المورود ﷺ، وهم يبلغون رسول الله ﷺ باسم صاحبه؛ لقوله ﷺ: «**أكثروا من الصلاة عليّ، فإن الله وكّل بي ملكًا عند قبري، فإذا صلى عليّ رجل من أمتي قال لي ذلك الملك: يا محمد إن فلان ابن فلان صلى عليك الساعة**»[2][3].

٥-قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فِيهِ أَنَّ سَلَامَ الْبَعِيدِ تُبَلِّغُهُ الْمَلَائِكَةُ»[4].

٦-وقال رحمه الله: «قَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْهِ، وَشَرَعَ ذَلِكَ لَنَا فِي كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ نُثْنِيَ عَلَى اللَّهِ بِالتَّحِيَّاتِ، ثُمَّ نَقُولَ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»، وَهَذَا السَّلَامُ يَصِلُ إلَيْهِ مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَكَذَلِكَ إذَا صَلَّيْنَا عَلَيْهِ ... وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عَهْدِهِ، وَعَهْدِ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ يُصَلُّونَ فِي مَسْجِدِهِ، وَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ»[5].

٧-قال الشوكاني رحمه الله: «وَفِي الحَدِيث التَّرْغِيب الْعَظِيم للاستكثار من الصَّلَاة عَلَيْهِ ﷺ؛ فَإِنه إِذا كَانَت صَلَاة وَاحِدَة من صَلَاة من صلى عَلَيْهِ تبلغه، كَانَ ذَلِك مُنشطا لَهُ أعظم تنشيط»[6].

---

(١) انظر حديث المعراج في البخاري، برقم ٣٢٠٧.

(٢) أخرجه الديلمي في معجم الفردوس، ١ ٣١، وفي زوائد البزار، برقم ٣٠٦، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٥٣٠.

(٣) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٦٢٢.

(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١/ ٢٣٧.

(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٢٧/ ٣٢٢.

(٦) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص ٤٥.

***

٢٢٣-(٥) وَقَالَ ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلاَّ رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِيَ حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ»[١].

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٨٦٣-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[٢]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»**[٣].

٨٦٤-عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»**[٤].

٨٦٥-وعنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«أَتَيْتُ - وَفِي رِوَايَةِ هَدَّابٍ: مَرَرْتُ - عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ»**[٥].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**ما من أحد**»: أي: من المسلمين، قال ابن علان رحمه الله: «أي: من مكلفي الإنس والجن، ويحتمل قصره على الأول»[٦].

٢-قوله: «**يسلم علي**»: قال الخطيب الشربيني رحمه الله: «وَأَقَلُّ السَّلَامِ عَلَيْهِ:

---

(١) أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، برقم ٢٠٤١، ومسند أحمد، ١٦/ ٤٧٧، برقم ١٠٨١٥، وحسنه محققو المسند، والألباني في صحيح أبي داود، ١/٣٨٣ .

(٢) تقدمت ترجمته في شرح الحديث رقم ٣ من أحاديث المتن.

(٣) أبو داود، برقم ٢٠٤١، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ١/٣٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أخرجه أبو يعلى، ٦/ ١٤٧، برقم ٣٤٢٥، والبزار، ١٣/ ٢٩٩، برقم ٦٨٨٨، وصحح إسناده محقق أبي يعلى، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٢٧٩١.

(٥) مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، برقم ٢٣٧٥.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٧/ ١٩٥.

السَّلَامُ عَلَيْك يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَلَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ تَأَدُّبًا مَعَهُ ﷺ، كَمَا فِي حَيَاتِهِ»[(١)]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا السَّلَامُ مَشْرُوعٌ لِمَنْ كَانَ يَدْخُلُ الْحُجْرَةَ، وَهَذَا السَّلَامُ هُوَ الْقَرِيبُ الَّذِي يَرُدُّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى صَاحِبِهِ، وَأَمَّا السَّلَامُ الْمُطْلَقُ الَّذِي يُفْعَلُ خَارِجَ الْحُجْرَةِ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ فَهُوَ مِثْلُ السَّلَامِ عَلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ، وَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ»[(٢)].

٣-قوله: «**إلاَّ ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام**»: أي: أعادها عليَّ حتى أردّ السلام، فأحدث الله عودًا على بدء[(٣)]، وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْمرَاد برد الرّوح النُّطْق؛ لِأَنَّهُ ﷺ حَيّ فِي قَبره، وروحه لَا تُفَارِقهُ؛ لما صَحَّ أَن الْأَنْبِيَاء أَحيَاء فِي قُبُورهم، كَذَا قَالَ ابْن الملقن وَغَيره، وَقَالَ ابْن حجر: الْأَحْسَن أَن يؤول رد الرّوح بِحُصُول الْفِكر، كَمَا قَالُوهُ فِي خبر: «يغان على قلبِي»، وَقَالَ الطَّيِّبِيّ مَعْنَاهُ: أَنَّهَا تكون روحه القدسية فِي الحضرة الإلهية؛ فَإِن بلغه السَّلَام من أحد من الْأمة، رد الله روحه فِي تِلْكَ الْحَالة إِلَى رد سَلام من يسلم عَلَيْه»[(٤)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الترغيب في كثرة الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ حتى ينال المسلم هذا الشرف العظيم برد الرسول ﷺ السلام عليه، وهذا يتضمن سلامة العبد في الدنيا، والبرزخ، ويوم القيامة.

٢-قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ظَاهِرُهُ أَنَّ عَوْدَ الرُّوحِ إِلَى الْجَسَدِ يَقْتَضِي انْفِصَالَهَا عَنْهُ، وَهُوَ الْمَوْتُ، وَقَدْ أَجَابَ الْعُلَمَاءُ عَنْ ذَلِكَ بِأَجْوِبَةٍ:

أَحَدِهَا: أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: «**رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي**» أَنَّ رَدَّ رُوحِهِ كَانَتْ سَابِقَةً عَقِبَ

---

(١) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ٢/ ٢٨٤.

(٢) مجموع الفتاوى، ٢٧/ ٣٢٤.

(٣) عون المعبود، ٣/ ٣٠٨.

(٤) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص ٤٦.

دَفْنِهِ، لَا أَنَّهَا تُعَادُ، ثُمَّ تُنْزَعُ، ثُمَّ تُعَادُ.

الثَّانِي: سَلَّمْنَا، لَكِنْ لَيْسَ هُوَ نَزْعَ مَوْتٍ، بَلْ لَا مَشَقَّةَ فِيهِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالرُّوحِ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِذَلِكَ.

الرَّابِعُ: الْمُرَادُ بِالرُّوحِ النُّطْقُ، فَتَجُوزُ فِيهِ مِنْ جِهَةِ خِطَابِنَا بِمَا نَفْهَمُهُ.

الْخَامِسُ: أَنَّهُ يَسْتَغْرِقُ فِي أُمُورِ الْمَلَإِ الْأَعْلَى، فَإِذَا سَلَّمَ عَلَيْهِ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهْمُهُ؛ لِيُجِيبَ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ، وَقَدِ اسْتُشْكِلَ ذَلِكَ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَهُوَ أَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ اسْتِغْرَاقَ الزَّمَانِ كُلِّهِ فِي ذَلِكَ؛ لِاتِّصَالِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ، مِمَّنْ لَا يُحْصَى كَثْرَةً، وَأُجِيبَ بِأَنَّ أُمُورَ الْآخِرَةِ لَا تُدْرَكُ بِالْعَقْلِ، وَأَحْوَالُ الْبَرْزَخِ أَشْبَهُ بِأَحْوَالِ الْآخِرَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»[(١)].

٣-الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لهم أحوال خاصة في حياتهم البرزخية؛ كما تقدم في حديث أنس رضي الله عنه.

٤-قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما كونه رأى موسى قائمًا يصلي في قبره ورآه في السماء فلا منافاة بينهما؛ فإن أمر الأرواح من جنس أمر الملائكة في اللحظة الواحدة تصعد وتهبط كالملك ليست في ذلك كالبدن ويشهد لذلك أيضًا قوله ﷺ لما سأله الصحابة رضي الله عنهم، كما روي عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**» قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ - يَقُولُونَ: بَلِيتَ -؟ فَقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ عز وجل حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**»[(٢)].

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٦/ ٤٨٨.

(٢) سنن أبي دود، كتاب الوتر، باب في الاستغفار، برقم ١٥٣١، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٩٢٥، وانظر: الحديث رقم ٩٨، والحديث رقم ٢١٩، من أحاديث المتن، فإن فيهما طرفًا من فوائد الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

٥-قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وَعَلَى هَذَا الْحَدِيثِ اعْتَمَدَ الْأَئِمَّةُ فِي السَّلَامِ عَلَيْهِ عِنْدَ قَبْرِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ»(١).

٦-وقال أيضاً: رحمه الله: «سَلَام التَّحِيَّةِ عِنْدَ اللِّقَاءِ فِي الْمَحْيَا وَفِي الْمَمَاتِ إِذَا زَارَ قَبْرَ الْمُسْلِمِ مَشْرُوعٌ فِي حَقِّ كُلِّ مُسْلِمٍ، لِكُلِّ مَنْ لَقِيَهُ حَيًّا، أَوْ زَارَ قَبْرَهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ، فَالصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ كَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ هَذَا السَّلَامَ عَلَيْهِ عِنْدَ قَبْرِهِ الَّذِي قَالَ فِيهِ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ**»(٢) لَيْسَ مِنْ خَصَائِصِهِ، وَلَا فِيهِ فَضِيلَةٌ لَهُ عَلَى غَيْرِهِ، بَلْ هُوَ مَشْرُوعٌ فِي حَقِّ كُلِّ مُسْلِمٍ: حَيٍّ، وَمَيِّتٍ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ يَرُدُّ السَّلَامَ عَلَى مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ، وَهَذَا لَيْسَ مَقْصُودًا بِنَفْسِهِ؛ بَلْ إِذَا لَقِيَهُ سَلَّمَ عَلَيْهِ، وَهَكَذَا إِذَا زَارَ الْقَبْرَ يُسَلِّمُ عَلَى الْمَيِّتِ، لَا أَنَّهُ يَتَكَلَّفُ قَطْعَ الْمَسَافَةِ وَاللِّقَاءِ لِمُجَرَّدِ ذَلِكَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ فِي الصَّلَاةِ، وَعِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ، وَالْخُرُوجِ مِنْهُ، فَهُوَ مِنْ خَصَائِصِهِ هُوَ مِنَ السَّلَامِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ يُسَلِّمُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا، كَمَا يُصَلِّي عَلَيْهِ إِذَا صَلَّى عَلَيْهِ عَشْرًا، فَهُوَ الْمَشْرُوعُ الْمَأْمُورُ بِهِ، الْأَفْضَلُ، الْأَنْفَعُ، الْأَكْمَلُ الَّذِي لَا مَفْسَدَةَ فِيهِ، وَذَاكَ جَهْدٌ لَا يَخْتَصُّ بِهِ، وَلَا يُؤْمَرُ بِقَطْعِ الْمَسَافَةِ لِمُجَرَّدِهِ؛ بَلْ قَصْدُ نِيَّةِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ وَالدُّعَاءِ هُوَ اتِّخَاذٌ لَهُ عِيدًا وَقَدْ قَالَ ﷺ: «**لَا تَتَّخِذُوا بَيْتِي عِيدًا**»(٣)، فَلِهَذَا كَانَ الْعَمَلُ الشَّائِعُ فِي الصَّحَابَةِ - الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ - أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ مَسْجِدَهُ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ»(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى، ١/ ٢٣٣.

(٢) سنن أبي دود، برقم ٢٠٤١،وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) أخرجه عبد الرزاق، ٣/ ٧١، برقم ٤٨٣٩، وأبو يعلى، ١٣١/١٢، برقم ٦٧٦١، قال الهيثمي (٢٤٧/٢: «فيه عبد الله بن نافع، وهو ضعيف») وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٣٧٨٥.

(٤) مجموع الفتاوى، ٢٧/ ٤١٣.

* * *

سلسلة مؤلفات سعيد بن علي بن وهف القحطاني (١١٩)

إتحاف المسلم

بشرح حصن المسلم

من أذكار الكتاب والسنة

تأليف الفقير إلى الله تعالى

د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

١٠٨ - إِفْشَاءُ السَّلاَمِ

٢٢٤-(١) قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُم عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُم، أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٨٦٦-لفظ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»(٣).

٨٦٧- ورواية لمسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ»(٤).

٨٦٨-ولفظ أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ يَرْفَعُهُ، قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، برقم ٩٣- (٥٤)، و٩٤- (٥٤)، وأحمد، ١٥/ ٣٩، برقم ١٤٣٠، وأبو داود، كتاب الأدب، أبواب السلام، برقم ٥١٩٣، والترمذي، كتاب الاستئذان والأدب، باب ما جاء في إفشاء السلام، برقم ٢٦٨٨، وابن ماجه، المقدمة، باب في الإيمان، برقم ٦٨، ولفظ آخر لأحمد، ١٥/ ٣٩، برقم ٩٠٨٤، وحديث ثالث لأحمد، ٣/ ٢٩، برقم ١٤١٢، وعبد بن حميد، ص ٦٣، برقم ٩٧، والترمذي، كتاب صفة القيامة، باب حدثنا أبو يحيى، برقم ٢٥١٠، والبيهقي، ١٠/ ٣٩٣، والضياء، ٣/ ٨١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٩٣- (٥٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ٩٤- (٥٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُونَ حَتَّى تَحَابُّوا، أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى رَأْسِ ذَلِكَ، أَوْ مِلَاكِ ذَلِكَ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» ، وَرُبَّمَا قَالَ شَرِيكٌ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[1].

٨٦٩-وعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رضي الله عنه[2]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ: الْحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّينِ لَا حَالِقَةُ الشَّعَرِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[3].

٨٧٠-وعند أحمد عَنْ عِمْرَانَ بن حصين رضي الله عنه[4]، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ: «عَشْرٌ» ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ: «عِشْرُونَ»، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ»[5].

٨٧١- وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْشُوا السَّلَامَ تَسْلَمُوا، وَالْأَشَرَةُ شَرٌّ»[6].

---

(١) مسند أحمد، برقم ٩٠٨٤، وصححه محققو المسند، ١٥/ ٤٠، وجود إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد، ٣/ ٣٧٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي، يكنى أبا عبد الله، أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله ﷺ، حواريّ رسول الله ﷺ وابن عمته، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشّورى، وأسلم وله اثنتا عشرة سنة وقيل ثمان سنين، واستشهد رضي الله عنه عقب معركة الجمل في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين، وله ست أو سبع وستون سنة، انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٢/ ٥١٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ٢/ ٤٥٧.

(٣) مسند أحمد، برقم ١٤١٢، والترمذي ، برقم ٢٥١٠، وجود إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٨/ ٣٠، وضعفه محققو المسند، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٣٦١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٦١ من أحاديث الشرح.

(٥) مسند أحمد، ٣٣/ ١٧٠، برقم ١٩٩٤٨، وأبو داود، كتاب برقم ٥١٩٥، والترمذي، كتاب برقم ٢٦٨٩، وقوّى إسناده محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٧١٠.

(٦) مسند أحمد، ٣٠/ ٤٩٤، برقم ١٨٥٣٠، والبخاري في الأدب المفرد، برقم ٧٨٧، ورقم ١٢٦٦، =

٨٧٢-وعَنْ زيد بْن أرقم ﷺ قَالَ: كنا إذا سلم النَّبِيّ ﷺ علينا قلنا: «وعليك السلامُ، ورحمةُ اللهِ، وبركاتُه، ومَغفِرَتُهُ»[١].

٨٧٣-وعَنْ أَبِي الزِّنَادِ قَالَ: كَانَ خَارِجَةُ يَكْتُبُ عَلَى كِتَابِ زَيْدٍ إِذَا سَلَّمَ، قَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَحْمَةُ اللهِ، وَبَرَكَاتُهُ، وَمَغْفِرَتُهُ، وَطَيِّبُ صَلَوَاتِهِ»[٢].

٨٧٤-وعن ثَابِتٍ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ كَانَ يَمْشِي مَعَ أَنَسٍ ﷺ، فَمَرَّ بِصِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَحَدَّثَ أَنَسٌ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ «فَمَرَّ بِصِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ»[٣].

٨٧٥-وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ بَدَأَ بِالسُّؤَالِ قَبْلَ

=

وأبو يعلى، برقم ١٦٨٧وابن حبان، برقم ٤٩١، وحسن إسناده محققو المسند، ٣٠/ ٤٩٥، والألباني في صحيح الجامع، برقم ١٠٨٧.

(١) التاريخ الكبير للبخاري، ١/ ٣٣٠، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣/ ٤٣٣، رقم الحديث ١٤٤٩، بعد أن ساق الحديث بإسناده عن البخاري في التاريخ الكبير: «وهذا إسناد جيد، رجاله ثقات كلهم من رجال التهذيب، إبراهيم بن المختار، وهو الرازي، روى عن جماعة من الثقات ذكرهم ابن أبي حاتم، ١ / ١ / ١٣٨، وقد ردّ الألباني رحمه الله على من استدرك عليه تصحيح الحديث. انظر هذا الرد الذي توصل فيه الألباني إلى ثبوت الحديث في مقدمة المجلد الثالث من الطبعة الثانية، ٣/ ٢ من سلسلة الأحاديث الصحيحة.
قلت: وقد سمعت الحديث عرض على سماحة شيخنا ابن باز رحمه الله عرضه عليه الشيخ سلطان الخميس، فقال بأنه حسن، ولكن للأسف، لأني أنسيت من أي كتاب كان أخذه سلطان الخميس، ولعلي أبحث عن الشيخ سلطان ليعثر على مكان تحسين شيخنا لهذا الحديث.

(٢)الأدب المفرد للبخاري، ص ٣٤٦، برقم ١٠٠١، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٤٣٦، برقم ١١٣١: «حسن الإسناد إلا الزيادة، فصحيحة الإسناد، عن أبي الزناد أَنَّهُ أَخَذَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ مِنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ وَمِنْ كُبَرَاءِ آلِ زَيْدٍ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِعَبْدِ اللهِ؛ مُعَاوِيَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، سَلَامٌ عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَحْمَةُ اللهِ؛ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّكَ تَسْأَلُنِي عَنْ مِيرَاثِ الْجَدِّ وَالْإِخْوَةِ ... فَذَكَرَ الرِّسَالَةَ [رواها الطبراني في المعجم الكبير، ٥/١٤٧/٤٨٦٠ بهذا الإسناد الحسن، ولم يذكر الذي رواه المؤلف بعدها]، وَنَسْأَلُ اللهَ الْهُدَى وَالْحِفْظَ وَالتَّثَبُّتَ فِي أَمْرِنَا كُلِّهِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ أَنْ نَضِلَّ، أَوْ نَجْهَلَ، أَوْ نكلف ما ليس لنا بعلم، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ، وَطَيِّبُ صَلَوَاتِهِ».

(٣) مسلم، كتاب كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه، ووسمه فيه، برقم ٢١٦٨.

السَّلَامِ فَلَا تُجِيبُوهُ»[(١)].

٨٧٦-وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ بَدَأَ بِالْكَلَامِ قَبْلَ السَّلَامِ فَلَا تُجِيبُوهُ»[(٢)].

٨٧٧-وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»[(٣)].

٨٧٨-وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ، وَالمَارُّ عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ»[(٤)].

٨٧٩-وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ أَوْ جِدَارٌ، أَوْ حَجَرٌ ثُمَّ لَقِيَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ أَيْضًا»[(٥)].

٨٨٠-وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ، والنَّاسُ نِيَامٌ»[(٦)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا**»: أي لا يدخل الجنة إلا من مات

(١) المعجم الأوسط للطبراني، ١/ ١٣٦، برقم ٤٢٩، وحسنه الألباني، في السلسلة الصحيحة، برقم ٨١٦.

(٢) عمل اليوم والليلة لابن السني، برقم ٢١٤، وحلية الأولياء لأبي نعيم، ٨/ ١٩٩، وحسنه الألباني، في السلسلة الصحيحة، برقم ٨١٦.

(٣) مسلم، كتاب السلام، باب يسلِّم الراكب على الماشي، والقليل على الكثير، برقم ٢١٦٠.

(٤) البخاري، كتاب الاستئذان، باب يسلم الصغير على الكبير، برقم ٦٢٣٤.

(٥) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الرجل يفارق الرجل ثم يلقاه أيسلم عليه، برقم ٥٢٠٠، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٨٦.

(٦) مسند أحمد، ٣٧/ ٥٣٩، برقم ٢٢٩٠٥، وعبد الرزاق، برقم ٢٠٨٨٣، وابن حبان، ٢/ ٦٢، برقم ٥٠٩، وحسن إسناده محققو المسند، والألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٢/ ١٨.

مؤمنًا وإن لم يكن كامل الإيمان[١]، قال عبد القادر البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «حذف النُّون من الْفِعْلَيْنِ المنفيين، فَعَلَيهِ يخرج كَمَا تَكُونُوا إِن ثَبت، وَلَا حَاجَة إِلَى ارْتِكَاب أمرٍ لم يثبت»[٢]، وقال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «(لا تدخلوا الجنة): كأن الظاهر إثبات النون على النفي؛ فكأنه شبهه بالنهي»[٣]، وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّة حَتَّى تُؤْمِنُوا: فَهُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَإِطْلَاقِهِ، فَلَا يَدْخُل الْجَنَّةِ إِلَّا مَنْ مَاتَ مُؤْمِنًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَامِلِ الْإِيمَان، فَهَذَا هُوَ الظَّاهِر مِنْ الْحَدِيث، وَقَالَ الشَّيْخ أَبُو عَمْرو ابن الصلاح رَحِمَهُ اللَّهُ: مَعْنَى الْحَدِيث لَا يَكْمُل إِيمَانُكُمْ إِلَّا بِالتَّحَابِّ، وَلَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّة عِنْدَ دُخُول أَهْلهَا إِذَا لَمْ تَكُونُوا كَذَلِكَ، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ مُحْتَمَل، وَاللَّهُ أَعْلَم»[٤].

٢-قوله: «**ولا تؤمنوا حتى تحابوا**»: أي: لا يكمل منكم الإيمان إلا بالحب في ذات الإله، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: لا يتم إيمانكم، ولا يكملُ، ولا تصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب والألفة»[٥]، وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أي: لا يكمُلُ إيمانكم، ولا يكونُ حالُكم حالَ مَنْ كَمُلَ إيمانُهُ؛ حتى تُفْشُوا السلامَ الجالبَ للمحبَّة الدينيَّة، والألفةِ الشرعيَّة»[٦]، وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا: مَعْنَاهُ لَا يَكْمُل إِيمَانكُمْ، وَلَا يَصْلُح حَالُكُمْ فِي الْإِيمَان إِلَّا بِالتَّحَابِّ»[٧].

---

(١)شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٢٢٥.
(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، ٨/ ٤٢٦.
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٦/ ٧٢.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٣٦.
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ١/ ٣٠٤.
(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، ١/ ٢٦٣.
(٧) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٣٦.

٣-قوله: «**أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟**»: قال ابن علان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أو لا أدلكم: الهمزة للاستفهام، والواو عاطفة على محذوف مقدر بعد الهمزة، أي: أتتركوا التحاب، ولا أدلكم على شي إذا فعلتموه تحاببتم، فالاستفهام وارد على الهيئة المجموعية»(١)، وقال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أنه تعالى جعل إفشاء السلام سبباً للمحبة، والمحبة سبباً لكمال الإيمان؛ لأن إفشاء السلام سبب للتحاب والتواد، وهو سبب الألفة، والجمعية بين المسلمين المسبب لكمال الدين، وإعلاء كلمة الإسلام، وفي التهاجر والتقاطع والشحناء التفرقة بين المسلمين، وهو سبب لانثلام الدين، والوهن في الإسلام، وجعل كلمة الذين كفروا العليا»(٢).

٤-قوله: «**أفشوا السلام بينكم**»: أي أشيعوه وأكثروه وانشروه بينكم، قال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَشَا الشيءُ، يَفْشُو فُشوًّا: إِذَا ظَهَرَ، وَهُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْهُ إِفْشَاء السِّرّ، وَقَدْ تَفَشَّى الحِبرُ إِذَا كُتب عَلَى كاغدٍ رَقِيقٍ فتمشَّى فِيهِ، وَيُقَالُ: تَفَشَّى بِهِمُ الْمَرَضُ وتَفَشَّاهم الْمَرَضُ إِذَا عَمَّهم»(٣)، وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَفْشُوا السَّلَام بَيْنَكُمْ: فَهُوَ بِقَطْعِ الْهَمْزَةِ الْمَفْتُوحَةِ، وَفِيهِ الْحَثُّ الْعَظِيمُ عَلَى إِفْشَاء السَّلَام، وَبَذْله لِلْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ؛ مَنْ عَرَفْت، وَمَنْ لَمْ تَعْرِف»(٤)، وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « (**أفشوا السلام بينكم**) فإنه يزيل الضغائن، ويورث التحابب، كما سلف تقريره»(٥)، وقال أيضاً: «وإفشاؤه نشره لكافة المسلمين من عرف ومن لم يعرف، قال النووي: الإفشاء: الإظهار، والمراد نشر السلام بين الناس؛ ليُحيوا سنته، وأقله أن يرفع

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٤/ ٨٠.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠/ ٣٠٣٨.
(٣) لسان العرب، ١٥/ ١٥٥، مادة (فشا).
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٣٦.
(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٣/ ٦٨٨.

صوته بحيث يسمع المسلَّم عليه، فإن لم يسمعه لم يكن آتياً بالسنة، ويستحب أن يرفع صوته بقدر ما يتحقق أنه سمعه[١]، وقال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «السلام بينكم: وذلك أن الله تعالى جعل إشاعة السلام، وإذاعته سبباً للتوادد، وقوله: أفشوا جواب لمقدر كأنهم قالوا دلنا على ذلك»[٢].

٥-قوله: «**دب إليكم**»: قال الفيروزأبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «دبّ: مشى على هينته، ودب الشراب والسقم في الجسم، والبلى في الثوب: سرى»[٣]، وقال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: سار إليكم سيراً لطيفاً، وخالطكم بحيث لا تشعرون، قال الطيبي: الدب يستعمل في الأجسام، فاستعير للسراية على سبيل التبعية»[٤].

٦-قوله: «**داء الأمم: الحسد والبغضاء**»: قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «داء الأمم الحسد والبغضاء: بيان الداء والبغضاء»[٥]، والحسد كما قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحَسَدُ: أَنْ يرَى الرجُل لِأَخِيهِ نعْمة، فيَتَمنَّى أَنْ تَزُولَ عَنْهُ وَتَكُونَ لَهُ دُونه»[٦]، وقال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْحَسَدُ مَرْكُوزٌ فِي طِبَاعِ الْبَشَرِ، وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَفُوقَهُ أَحَدٌ مِنْ جِنْسِهِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْفَضَائِلِ»[٧]، وأما البغض كما في مختار الصحاح: «الْبُغْضُ: ضِدُّ الْحُبِّ، ... وَبَغَّضَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ تَبْغِيضًا فَأَبْغَضُوهُ، أَيْ: مَقَتُوهُ، فَهُوَ مُبْغَضٌ، وَالْبَغْضَاءُ: شِدَّةُ الْبُغْضِ»[٨].

٧-قوله: «**هِيَ الْحَالِقَةُ**»: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى: الحلق: «تَنْحِيَةُ

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٢٩.
(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ١٤٣.
(٣) القاموس المحيط، ص ١٠٥، مادة (دبب).
(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٦/ ٧٢.
(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٦/ ٧٢.
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣٨٣، مادة (حسد).
(٧) جامع العلوم والحكم، ٢/ ٢٦٠.
(٨) مختار الصحاح، ص ٣٧، مادة (بغض).

الشَّعْرِ عَنِ الرَّأْسِ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ... حَلَقْتُ رَأْسِي أَحْلِقُهُ حَلْقًا، وَيُقَالُ لِلْأَكْسِيَةِ الْخَشِنَةِ الَّتِي تَحْلِقُ الشَّعْرَ مِنْ خُشُونَتِهَا: مَحَالِقُ»[١].

٨-قوله: «**حالقة الدين**»: قال الصنعاني رحمه الله: «أي: مزيلةٌ باستئصالٍ، كإزالة الموسى للشعر، شبه البغضاء بآلة القطع للشعر المحسوس، وأثبت لها الحلاقة»[٢]، وقال المناوي رحمه الله: «لا حالقة الشعر: أي: الخصله التي شأنها أن تحلق، أي: تُهلك، وتستأصل الدين، كما يستأصل الموسى الشعر، ونبَّه به على أن البغضاء أقطع من الحسد وأقبح»[٣].

٩-قوله: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**»: قسم للتأكيد»[٤]، ليتعلّم الخَلق التَّصرُّف في ذلك بذكر الله بجميع صفاته العُلَا، وأسمائه الحُسْنَى[٥]، فوالذي نفسي: أي: روحي بيده: في قبضته، يقبضه متى شاء، ويرسله متى شاء، والإقسام هنا لعظمة شأن الخبر»[٦].

١٠-قوله: «**أولا أدلكم**»: الهمزة للاستفهام، والواو عاطفة على محذوف مقدر بعد الهمزة. أي: أتتركوا التحاب ولا أدلكم»[٧]، وقال أيضاً: «الواو عاطفة دخلت أداة الاستفهام عليها مع معطوفها، والمعطوف عليه متصيد من مفهوم الكلام، أي: أتسألون سبب التحابب، أولا أدلكم؟ إلخ، والتنوين في شيء يحتمل كونه للتعظيم، باعتبار ثمرته، وللتعليل، باعتبار لفظه»[٨].

---

(١) مقاييس اللغة، ٢/ ٩٨، مادة (حلق).
(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ٦/ ٧٢.
(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير، ٢/ ٤.
(٤)انظر: المسالك في شرح موطأ مالك، ٦/ ٣٠٨.
(٥) انظر: التنوير شرح الجامع الصغير، ١/ ٣٤٢.
(٦) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٤/ ٨٠، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن رقم ٢٠٣.
(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٤/ ٨٠.
(٨) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ١٤٣.

١١-قوله: «**إذا فعلتموه تحاببتم**»: قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَخْبَرَ ﷺ بِحَالِ الْحَسَدِ، وَأَنَّ التَّحَابُبَ يَنْفِيهِ، وَأَنَّ السَّلَامَ يَبْعَثُ عَلَى التَّحَابُبِ، فَصَارَ السَّلَامُ إذًا نَافِيًا لِلْحَسَدِ»(١).

١٢-قوله: «**فرد عليه السلام**»: قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير رد السلام: «أَيْ: إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ الْمُسْلِم فَرُدُّوا عَلَيْهِ أَفْضَل مِمَّا سَلَّمَ، أَوْ رُدُّوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا سَلَّمَ، فَالزِّيَادَة مَنْدُوبَة وَالْمُمَاثَلَة مَفْرُوضَة»(٢) ، وقال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: بأن قال له: وعليكم السلام»(٣).

١٣-قوله: «**عشرون**»: قال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: الدعاء بالسلام، والدعاء بالرحمة عشرون حسنة لما مر»(٤).

١٤-قوله: «**ثلاثون**»: قال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: حسنة؛ لأن الحسنة يجزي صاحبها بعشر أمثالها، وذلك بناء على أن كلاً من: السلام ورحمة الله وبركاته حسنة مستقلة، فإذا أتى بواحدة منها حصل له عشر حسنات، وإن أتى بها كلها حصل له ثلاثون حسنة»(٥).

١٥-قوله: «**الْأَشَرَةُ**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأَشَر: البَطَر، والكذب»(٦)، وقال في كتاب آخر: «الأَشَر: البَطَر، وَقِيلَ: أَشَدُّ البَطر»(٧).

١٦-قوله: «**شَرٌّ**»: قال الفيومي رَحِمَهُ اللَّهُ: « الشَّرُّ: السوء، والفساد والظلم»(٨).

---

(١) أدب الدنيا والدين، ص ٣٣٣.
(٢) تفسير ابن كثير، ٤/ ١٨٣.
(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٣٢٩.
(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٣٢٩.
(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٣٢٩.
(٦) جامع الأصول، ٦/ ٦٠٣.
(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٥١، مادة (أشر).
(٨) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٣٠٩، مادة (شرّ).

ثالثا: ما يستفاد من الحديث:

١-الإيمان شرط لدخول الجنة، ومن كمال الإيمان الحب في الله والبغض في الله ﷻ.

٢-السلام هو تحية أهل الإسلام، فلا يبدأ إلا به في جميع الأوقات.

٣-إفشاء السلام من أعظم أسباب التآلف بين أهل الإسلام، فهو يزيل الوحشة، ويترتب عليه الأجور المضاعفة من الله تعالى.

٤-بيان عظيم فضل إفشاء السلام؛ لأن الله علق دخول الجنة بالإيمان، والإيمان معلق بالسلام، وهذا ردٌّ دامغ على من يقسمون الدين إلى قشر ولباب ويجعلون السلام من القشور[١].

٥-جعل الله السلام سببًا للسلامة في الدنيا، وهي تحية أهل الجنة؛ لقول الله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾[٢] وقوله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[٣].

٦-كان من هدي النبي ﷺ أن يسلم على الصبيان، ويبدأهم بالسلام، وعلى ذلك سار الصحابة من بعده، فكان أنس يفعله، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يخرج إلى السوق لا يبيع، ولا يشتري، ولكنه كان يخرج من أجل السلام على من يلقاه[٤].

٧-السنة أن يبدأ المتكلم بالسلام قبل الكلام.

٨-قال الطيبي رحمه الله: «واعلم أنه تعالى جعل إفشاء السلام سبباً للمحبة، والمحبة سبباً لكمال الإيمان؛ لأن إفشاء السلام سبب للتحاب والتواد، وهو سبب الألفة، والجمعية بين المسلمين المسبب لكمال الدين، وإعلاء كلمة

---

(١)انظر: شرح رياض الصالحين للهلالي ح رقم (٨٤٧).
قلت [أسامة]: وهذا قول باطل لأنه ليس في الشريعة قشور بل يقال أصول وفروع.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

(٤) موطأ مالك، ٥/ ١٤٠٠، برقم ٣٥٣٣، والطبقات الكبرى، لابن سعد، ٤/ ١٥٥، والبخاري في الأدب المفرد، ص ٣٤٨، برقم ١٠٠٦، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ١٠٠٦.

الإسلام، وفي: التهاجر، والتقاطع، والشحناء: التفرقة بين المسلمين، وهو سبب لانثلام الدين، والوهن في الإسلام، وجَعْلُ كلمة الذين كفروا العليا»[١].

٩-قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالسَّلَامُ أَوَّل أَسْبَاب التَّأَلُّف، وَمِفْتَاح اِسْتِجْلَاب الْمَوَدَّة، وَفِي إِفْشَائِهِ تَمَكُّنُ أُلْفَة الْمُسْلِمِينَ بَعْضهمْ لِبَعْضٍ، وَإِظْهَار شِعَارهمْ الْمُمَيِّز لَهُمْ مِنْ غَيْرهمْ مِنْ أَهْل الْمِلَل، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ رِيَاضَة النَّفْس، وَلُزُوم التَّوَاضُع، وَإِعْظَام حُرُمَات الْمُسْلِمِينَ... وَبَذْل السَّلَام لِلْعَالَمِ، وَالسَّلَام عَلَى مَنْ عَرَفْت وَمَنْ لَمْ تَعْرِف، وَإِفْشَاء السَّلَام كُلّهَا بِمَعْنَى وَاحِد، وَفِيهَا لَطِيفَة أُخْرَى، وَهِيَ: أَنَّهَا تَتَضَمَّنُ رَفْع التَّقَاطُع، وَالتَّهَاجُر، وَالشَّحْنَاء، وَفَسَاد ذَات الْبَيْن الَّتِي هِيَ الْحَالِقَة، وَأَنَّ سَلَامه لِلَّهِ لَا يَتْبَع فِيهِ هَوَاهُ، وَلَا يَخُصّ أَصْحَابه وَأَحْبَابه بِهِ»[٢].

١٠-قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «في هذا دليل على أن المحبة من كمال الإيمان، وأنه لا يكمل إيمان العبد حتى يحب أخاه، وأن من أسباب المحبة أن يفشي الإنسان السلام بين إخوانه، أي: يظهره، ويعلنه، ويسلِّم على من لقيه من المؤمنين؛ سواء عرفه، أو لم يعرفه؛ فإن هذا من أسباب المحبة؛ ولذلك إذا مر بك رجل، وسلم عليك أحببته، وإذا أعرض كرهته، ولو كان أقرب الناس إليك، فالذي يجب على الإنسان أن يسعى لكل سبب يوجب المودة والمحبة بين المسلمين؛ لأنه ليس من المعقول، ولا من العادة أن يتعاون الإنسان مع شخص لا يحبه، ولا يمكن التعاون على الخير والتعاون على البر والتقوى إلا بالمحبة؛ ولهذا كانت المحبة في الله من كمال الإيمان، ... [و] من السنة إذا أحببت شخصاً أن تقول: إني أحبك؛ وذلك لما في هذه الكلمة من إلقاء المحبة في قلبه؛ لأن الإنسان إذا علم أنك تحبه أحبك، مع

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠/ ٣٠٣٨.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٣٦.

أن القلوب لها تعارف وتآلف، وإن لم تنطق الألسن»[١].

١١-وقال رَحِمَهُ اللهُ أيضاً: «فالمهم أنه ينبغي لنا إحياء هذه السنة أعني: إفشاء السلام، وهو من أسباب المحبة، ومن كمال الإيمان، ومن أسباب دخول الجنة.

١٢-السلام من أعمال أهل الغرف العالية، التي يُرَى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها؛ لحديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه المتقدم في أحاديث الشرح.

***

٢٢٥-[٢] «ثَلاَثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ: الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلاَمِ لِلْعَالَمِ، وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ»[٢].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٨٨١-قَالَ عَمَّارٌ رضي الله عنه[٣]: «ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ: الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ»[٤].

---

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٣٨٥.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً مجزوماً به، كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام، قبل الحديث رقم ٢٨، عن عمار رضي الله عنه موقوفاً ، قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم، ٢/ ٣٦: «وروى غَيْرُ الْبُخَارِيِّ هَذَا الْكَلَامَ مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ» وقال الإمام ابن رجب في فتح الباري،١/ ١٢٤: «هذا الأثر معروف من رواية أبي إسحاق،... وروي مرفوعاً، خرجه البزار وغيره، برقم ١٣٩٦، ومعجم ابن الأعرابي، ١/ ٣٧٧، برقم ٧٢١، ولفظ البزار من طريق عبد الرزاق، ٤/ ٢٣٢، برقم ١٣٩٦: ولفظه: عَنْ عَمَّارٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مِنَ الإِيمَانِ: الإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ، وَالإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ١/ ٥٦: «رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، إِلَّا أَنَّ شَيْخَ الْبَزَّارِ لَمْ أَرَ مَنْ ذَكَرَهُ، وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْكُوفِيُّ» وقال العيني في عمدة القاري، ١/ ١٩٧: «رواه القاسم اللالكائي بسند صحيح». وصححه العلامة الألباني في صحيح الكلم الطيب، برقم ١٥٥.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٢٧ من أحاديث الشرح.

(٤) أخرجه البخاري معلقاً مجزوماً به، قبل الحديث رقم ٢٨، وصححه العلامة الألباني في صحيح =

٨٨٢-ولفظ البزار وابن الأعرابي مرفوعاً: عَنْ عَمَّارٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: الإِنْفَاقُ فِي الإِقْتَارِ، وَبَذْلُ السَّلامِ، وَإِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِهِ»[١].

٨٨٣-وعن أنس ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تعالى، وضعه اللهُ في في الأرض، فأفشوا السلام بينكم»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «ثلاث»: قال ابن منظور رحمه الله: «الثَّلاثة: مِن الْعَدَدِ، فِي عَدَدِ الْمُذَكَّرِ، مَعْرُوفٌ، والمؤَنث ثَلَاثٌ»[٣]، أي: ثلاث خصال من خصال الإيمان.

٢-قوله: «من جمعهن»: أي: تحققن فيه، قال ابن منظور رحمه الله: «جَمَعَ الشيءَ عَنْ تَفْرِقة، يَجْمَعُه جَمْعاً... جمعْتُ الشَّيْءَ إذا جِئْتَ بِهِ من هاهنا وهاهنا»[٤].

٣-قَوله: «فقد جمع الْإِيمَان»: قال العيني رحمه الله: «فقد جمع الإيمان: خَبره، وَالْجُمْلَة خبر الْمُبْتَدَأ الأول، وَالْفَاء، فِي: (فقد)، لتضمن الْمُبْتَدَأ معنى الشَّرْط، و(الْإِيمَان) مَنْصُوب: بِجمع، وَمَعْنَاهُ: فقد حَاز كَمَال الْإِيمَان، تدل عَلَيْهِ رِوَايَة شُعْبَة: (فقد اسْتكْمل الْإِيمَان) »[٥].

=

الكلم الطيب، برقم ١٥٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن، قلت: وله حكم المرفوع.

(١) أخرجه البزار من طريق عبد الرزاق، ٤/ ٢٣٢، برقم ١٣٩٦، ومعجم ابن الأعرابي، ١/ ٣٧٧، برقم ٧٢١، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ١/ ٥٦: «رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، إِلَّا أَنَّ شَيْخَ الْبَزَّارِ لَمْ أَرَ مَنْ ذَكَرَهُ، وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيُّ» وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) الأدب المفرد، ص ٥٥٢، برقم ٩٨٩، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٨٤.

(٣) لسان العرب، ٢/ ١٢١، مادة (ثلث).

(٤) لسان العرب، ٨/ ٥٣، مادة (جمع).

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١/ ١٩٨.

٤-قوله: «**الإنصاف من نفسك**»: أي: أداء الحقوق كاملة للخلق ومن باب أولى للخالق، قال ابن منظور رحمه الله: «والإِنْصَاف: إِعْطَاءُ الْحَقِّ، وَقَدِ انْتَصَفَ مِنْهُ، وأَنْصَفَ الرجلُ صَاحِبَهُ إِنْصافاً... أَنْصَفَ إِذَا أَخذ الْحَقّ، وأَعطى الْحَقَّ، والنَّصَفَة: اسْمُ الإِنْصَاف، وَتَفْسِيرُهُ أَن تُعْطِيَهُ مِنْ نَفْسِكَ النَّصَف أَي تُعْطيه مِنَ الْحَقِّ كَالَّذِي تَسْتَحِقُّ لِنَفْسِكَ»[١]، وقال المناوي رحمه الله: «**والإنصاف**»: أي: العدل، يقال: أنصف من نفسه، وانتصفت أنا منه، «**من نفسك**» بأداء حق الله، وحق الخلق، ومعاملتهم بما يجب أن يعاملوه به، والحكم لهم، وعليهم بما يحكم به لنفسه، وشمل إنصافه نفسه من نفسه، فلا يدعي ما ليس لها من كبر، أو عظم، وغير ذلك»[٢].

٥-قوله: «**وبذل السلام للعالم**»: أي لجميع الناس، وهذا يتضمن أن لا يتكبر على أحد، ولا يجافي أحدًا يمتنع بسببه من السلام عليه[٣]، قال ابن منظور رحمه الله: . «البَذْل: ضِدُّ المَنْع، بَذَلَه يَبْذِلُه ويَبْذُلُه بَذْلًا: أَعطاه وجادَ بِهِ، وَكُلُّ مَنْ طَابَتْ نَفْسُهُ بِإِعطاء شَيْءٍ فَهُوَ بَاذِلٌ لَهُ»[٤]، وقال الصنعاني رحمه الله: «والسلام: اسم من أسماء الله تعالى، فقوله: «السلام عليكم» أي: أنتم في حفظ الله، كما يقال: الله معك، والله يصحبك، وقيل: السلام بمعنى السلامة، أي سلامة الله ملازمة لك»[٥]، وقال ابن منظور رحمه الله: «وَيَقُولُونَ: سَلامٌ عَلَيْكُمْ، فكأَنه عَلَامَةُ المُسالَمَةِ وأَنه لَا حَرْب هُنَالِكَ، ثُمَّ جَاءَ الله بالإِسلام فَقَصَرُوا عَلَى السَّلَامِ وأُمروا بِإِفْشائِهِ، قَالَ أَبو مَنْصُورٍ: نَتَسَلَّمُ مِنْكُمْ سَلَامًا وَلَا

---

(١) لسان العرب، ٩/ ٣٣٢، مادة (نصف).
(٢) فيض القدير، ٣/ ٣٩٠.
(٣) العلم الهيب، ص ٤٧٩.
(٤) لسان العرب، ١١/ ٥٠، مادة (بذل)
(٥) سبل السلام شرح بلوغ المرام، ٣/ ٢١٩.

نُجاهلكم»[١]، وقال المناوي رحمه الله: «**وبذل السلام للعالم**»: بفتح اللام، والمراد به جميع المسلمين: من عرفته، ومن لم تعرفه، كبير أو صغير، شريف أو وضيع، معروف أو مجهول؛ لأنه من التواضع المطلوب، وفي نسخ بدل «للعالم»: «الشفقة على الخلق»، وهو بذل السلام العام»[٢].

٦-قوله: «**والإنفاق من الإقتار**»: الإقتار: أي في وقت القلة وضيق ذات اليد، قال ابن منظور رحمه الله: «أَنْفَقَ الْمَالَ: صَرَفَهُ... واسْتَنْفَقه: أذهبه. والنَّفقة: مَا أُنفِق، وَالْجَمْعُ نِفاق...، وَقَدْ أَنفقت الدَّرَاهِمُ مِنَ النَّفقة، وَرَجُلٌ مِنْفاقٌ أَيْ: كَثِيرُ النَّفَقة، والنَّفَقة: مَا أَنفَقْت، وَاسْتَنْفَقْتَ عَلَى الْعِيَالِ وَعَلَى نَفْسِكَ»[٣]، وقال رحمه الله في الإقتار: «وأَقْتَرَ الرَّجُلُ: افْتَقَرَ ...وقَتَرَ عَلَى عِيَالِهِ يَقْتُرُ ويَقْتِرُ قَتْراً وقُتُوراً، أَي: ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ فِي النَّفَقَةِ، وَكَذَلِكَ التَّقْتِيرُ والإِقْتارُ... القَتْرُ الرُّمْقةُ فِي النَّفَقَةِ...يُقَالُ: إِنه لَقَتُور مُقَتِّرٌ، وأَقْتر الرجلُ إِذا أَقَلَّ... والإِقْتارُ: التَّضْيِيقُ عَلَى الإِنسان فِي الرِّزْقِ. وَيُقَالُ: أَقْتَر اللَّهُ رِزْقَهُ أَي: ضَيَّقه وَقَلَّلَهُ»[٤]، وقال المناوي رحمه الله: «**الإنفاق من الاقتار**»: أي: القلة؛ إذ لا يصدر إلا عن قوة ثقة بالله تعالى، بإخلافه ما أنفقه، وقوة يقين وتوكل ورحمة، وزهد وسخاء، قال ابن شريف: والحديث عام في النفقة على العيال، والأضياف، وكل نفقة في طاعة، وفيه أن نفقة المعسر على أهله أعظم أجراً من نفقة الموسر»[٥].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الحث على الإنصاف عامة والبدء بالإنصاف من نفسه، وإنما يكون

---

(١) لسان العرب، ١٢/ ٢٨٩، مادة (سلم).
(٢) فيض القدير، ٣/ ٣٩٠.
(٣) لسان العرب، ١٠/ ٣٥٨، مادة (نفق).
(٤) لسان العرب، ٥/ ٧٠، مادة (قتر).
(٥) فيض القدير، ٣/ ٣٩٠.

ذلك بفعل الطاعات، وعدم الوقوع في الذنوب والموبقات.

٢-الإنفاق حال الشح يقوي في نفس العبد الثقة بالله أنه سيخلف عليه، ويرسخ عنده اليقين، فيزداد بذلك منسوب الإيمان عنده.

٣-بيان فضل السلام، وأنه من الأمور التي يتقرب بها المسلم إلى الله ﷻ؛ ولذلك كان من سنن الرسل والملائكة، ألم تر أن الملائكة لما جاءت إبراهيم عليه السلام سلمت عليه: ﴿**إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ**﴾[١]، فسلموا وسلم، كما أن السلام من أسماء الله تعالى، كما تقدم في حديث أنس رضي الله عنه.

٤-قال ابن الملقن رحمه الله: «هذِه الثلاث عليها مدار الإسلام، وهي جامعة للخير كله؛ لأن من أنصف من نفسه فيما بينه وبين الله وبين الخلق، ولم يضيّع شيئًا مما لله تعالى عليه، وللناس عليه، ولنفسه بلغ الغاية في الطاعة»[٢]

٥-هذه الثلاث خصال عليها مدار الإيمان؛ لأن العبد متى كان متصفًا بالإنصاف، كان مؤديًا لما عليه من الحقوق، ومتى كان باذلًا للسلام، كان ذلك دليلًا على تواضعه، وكرم أخلاقه، ومتى كان منفقًا حال الإقتار، فهو في حال السعة أكثر إنفاقًا واجبًا كان أم مندوبًا[٣].

٦-أول رجل في الإسلام حيًا بتحية الإسلام هو أبو ذر رضي الله عنه يقول: «أتيت النبي ﷺ حين فرغ من صلاته فكنت أول من حياه بتحية الإسلام، فقال:«**وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ**» ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ أَنْتَ؟**» قَالَ قُلْتُ: مِنْ غِفَارٍ[٤]. أما أول من سلم بها مطلقًا، فهو آدم، فلما خلقه الله قال له: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس،

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٢٥.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢/ ٦٥٧.

(٣) فتح الباري، ١/ ١٠٥.

(٤) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه، برقم ٢٤٧٣.

فذهب ﷺ وقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله[١].

٧-قال الإمام النووي رحمه الله: «قد جمعَ في هذه الكلمات الثلاث خيراتِ الآخرة والدنيا، فإنَّ الإنصافَ يقتضي أن يؤدّي إلى الله تعالى جميع حقوقه، وما أمره به، ويجتنب جميع ما نهاه عنه، وأن يؤدي للناس حقوقهم، ولا يطلب ما ليس له، وأن ينصف أيضاً نفسه فلا يوقعها في قبيح أصلاً، وأما بذلُ السلام للعالم، فمعناه لجميع الناس، فيتضمن أن لا يتكبر على أحد، وأن لا يكون بينه وبين أحد جفاء يمتنع بسببه من السلام عليه بسببه، وأما الإنفاق من الإقتار، فيقتضي كمال الوثوق بالله تعالى، والتوكل عليه، والشفقة على المسلمين، إلى غير ذلك، نسأل الله تعالى الكريم التوفيق لجميعه»[٢].

٨-قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «وقد تضَمَّنَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ أُصُولَ الْخَيْرِ وَفُرُوعَهُ، فَإِنَّ الْإِنْصَافَ يُوجِبُ عَلَيْهِ أَدَاءَ حُقُوقِ اللَّهِ كَامِلَةً مُوَفَّرَةً، وَأَدَاءَ حُقُوقِ النَّاسِ كَذَلِكَ، وَأَنْ لَا يُطَالِبَهُمْ بِمَا لَيْسَ لَهُ، وَلَا يُحَمِّلَهُمْ فَوْقَ وُسْعِهِمْ، وَيُعَامِلَهُمْ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوهُ بِهِ، وَيُعْفِيَهُمْ مِمَّا يُحِبُّ أَنْ يُعْفُوهُ مِنْهُ، وَيَحْكُمَ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ بِمَا يَحْكُمُ بِهِ لِنَفْسِهِ وَعَلَيْهَا، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا إِنْصَافُهُ نَفْسَهُ مِنْ نَفْسِهِ، فَلَا يَدَّعِي لَهَا مَا لَيْسَ لَهَا، وَلَا يُخْبِثُهَا بِتَدْنِيسِهِ لَهَا، وَتَصْغِيرِهِ إِيَّاهَا، وَتَحْقِيرِهَا بِمَعَاصِي اللَّهِ وَيُنَمِّيهَا وَيُكَبِّرُهَا وَيَرْفَعُهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَتَوْحِيدِهِ، وَحُبِّهِ، وَخَوْفِهِ، وَرَجَائِهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَإِيثَارِ مَرْضَاتِهِ، وَمَحَابِّهِ عَلَى مَرَاضِي الْخَلْقِ وَمَحَابِّهِمْ، وَلَا يَكُونُ بِهَا مَعَ الْخَلْقِ، وَلَا مَعَ اللَّهِ، بَلْ يَعْزِلُهَا مِنَ الْبَيْنِ كَمَا عَزَلَهَا اللَّهُ، وَيَكُونُ بِاللَّهِ لَا بِنَفْسِهِ فِي حُبِّهِ وَبُغْضِهِ، وَعَطَائِهِ وَمَنْعِهِ، وَكَلَامِهِ وَسُكُوتِهِ، وَمَدْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ، فَيُنْجِي نَفْسَهُ مِنَ

(١) انظر: البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، برقم ٦٢٢٧.
(٢) الأذكار للنووي، ص ٢٤٣.

الْبَيْنِ، وَلَا يَرَى لَهَا مَكَانَةً يَعْمَلُ عَلَيْهَا»[١].

***

٢٢٦-[٣] وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرو رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»[٢].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٨٨٤-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرو رضي الله عنهما[٣]، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»[٤].

٨٨٥-وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه[٥] قال: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، انْجَفَلَ النَّاسُ قِبَلَهُ، وَقِيلَ: قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ثَلَاثًا، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ، لِأَنْظُرَ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ، عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ، أَنْ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ، وَالنَّاسُ نِيَامٌ،**

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢/ ٤٠٧.

(٢) البخاري، كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام، برقم ١٢، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، برقم ٣٩.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٤) البخاري، برقم ١٢، ومسلم، برقم ٣٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٦٨ من أحاديث الشرح.

تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»(١).

٨٨٦-وعَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ، فَجِئْنَا نَمْشِي مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا رَكَعَ النَّاسُ، رَكَعَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَكَعْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ نَمْشِي، فَمَرَّ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ، وَهُوَ رَاكِعٌ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، سَأَلَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لِمَ قُلْتَ حِينَ سَلَّمَ عَلَيْكَ الرَّجُلُ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، إِذَا كَانَتِ التَّحِيَّةُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ»(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**أيُّ الإسلام خير؟**»: أي: أيُّ خصاله، وأموره، وأحواله، أكثر خيرًا، وأعظم أجرًا؟ قال الإمام النووي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَوْلُهُ: «أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ»: مَعْنَاهُ: أَيُّ خِصَالِهِ، وَأُمُورِهِ، وَأَحْوَالِهِ، قَالُوا: وَإِنَّمَا وَقَعَ اخْتِلَافُ الْجَوَابِ فِي خَيْرِ الْمُسْلِمِينَ لِاخْتِلَافِ حَالِ السَّائِلِ، وَالْحَاضِرِينَ، فَكَانَ فِي أَحَدِ الْمَوْضِعَيْنِ: الْحَاجَةُ إِلَى إِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ أَكْثَرُ، وَأَهَمُّ؛ لِمَا حَصَلَ مِنْ إِهْمَالِهِمَا، وَالتَّسَاهُلِ فِي أُمُورِهِمَا، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَفِي الْمَوْضِعِ الْآخَرِ إِلَى الْكَفِّ عَنْ إِيذَاءِ الْمُسْلِمِينَ»(٣)، وقال الإمام ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومراده: الإسلام التام الكامل، وهذه الدرجة في الإسلام فضل، وليست واجبة، إنما هي إحسان، وأما سلامة المسلمين من اللسان واليد فواجبة، إذا كانت من غير حق، فإن كانت

(١) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق، باب حدثنا محمد بن بشار، برقم ٢٤٨٥، وابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب إطعام الطعام، برقم ٣٢٥١، واللفظ له، وبنحوه في ابن ماجه برقم ١٣٣٤، وأحمد، ٣٩/ ٢٠١، برقم ٢٣٧٨٤، وصححه محققو المسند، والألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٥٦٩٠.

(٢) مسند أحمد، ٦/ ١٧٩، برقم ٣٦٦٤، والطبراني في الكبير، ٩/ ٢٩٧، برقم ٩٤٩١، وحسنه محققو المسند، والألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٦٤٨.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ١٠.

السلامة من حق كان - أيضاً - فضلا»[١].

٢-قوله: «**تطعم الطعام**»: أي: لأهلك وأضيافك، وممن يحتاج إليه، قال ابن منظور رحمه الله: «الطَّعامُ: اسمٌ جامعٌ لِكُلِّ مَا يُؤكَلُ، وَقَدْ طَعِمَ يَطْعَمُ طُعْماً، فَهُوَ طاعِمٌ إِذَا أَكَلَ أَو ذاقَ»[٢].

٣-قوله: « **وتقرأ السلام**»: أي: تسلم على المسلمين، وتفشيه سرًّا وجهرًا، قال الفيروزأبادي رحمه الله: «وقرأ عليه السلام: أبلغه، كأقرأه، ولا يقال: أقرأه إلا إذا كان السلام مكتوباً»[٣]، وقال ابن الملقن رحمه الله: «قالَ أبو حاتم: تقول: اقرأ عليه السلامَ، وأقرئه الكتاب، ولا تقول: أقرئه السلام إلا في لغة سوء، إلا أن يكون مكتوبًا، فتقول: أقرئه السلام أي: اجعله يقرؤه»[٤].

٤-قوله: «**على من عرفت ومن لم تعرف**»: أَيْ: تُسَلِّمُ عَلَى كُلِّ مَنْ لَقِيتَهُ، عَرَفْتَهُ أَمْ لَمْ تَعْرِفْهُ، وَلَا تَخُصَّ بِهِ مَنْ تَعْرِفُهُ كَمَا يَفْعَلُهُ كَثِيرُونَ مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْعُمُومَ مَخْصُوصٌ بِالْمُسْلِمِينَ، فَلَا يُسَلَّمُ ابْتِدَاءً عَلَى كَافِرٍ» [٥].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الجواب يختلف باختلاف الأحوال، فقد كان المسلمون في بداية أمرهم في أشدَّ الحاجة إلى هذه الخصال المذكورة في حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه، والحاصل أنه كلما تساهل الناس في أمر من أمور الدين جاء الحث عليها.

٢-الحث على إطعام الطعام، والجود، والاعتناء بنفع المسلمين، واجتماع

---

(١) فتح الباري لابن رجب، ١/ ٤٢.
(٢) لسان العرب، ١٢/ ٣٦٣، مادة (طعم)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ١٧٩.
(٣) القاموس المحيط، ص ٦٢، مادة (قرأ).
(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢/ ٥٠٤.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ١٠.

كلمتهم، وإخلاص ذلك كله لله، لا مصانعة، ولا ملقًا(١).

٣-التأكيد على إلقاء السلام على من تعرف، ومن لم تعرف من المسلمين، وعدم تخصيص السلام بمن تعرفه؛ لأن ذلك يوغر قلوب بقية الناس، كما أنه من علامات الساعة الصغرى.

٤-من السنة إذا قال أحد لأحد: سلم لي على فلان – أن يبلغه ذلك، وأن يقول المُبلغ: عليك وعليه السلام، والدليل على ذلك قول رسول الله ﷺ لعائشة: «**يا عائش هذا جبريل يقرئُك السلام**»(٢) فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، وقول أنس ﷺ عندما جاء جبريل إلى النبي ﷺ وعنده خديجة، فقال: «**إن الله يقرئ خديجة السلام**» فقالت: إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام، ورحمة الله وبركاته»(٣).

٥-السلام المسنون الثابت في الأحاديث الصحيحة نهايته إلى «وبركاته»، وقد جاء في الرد على السلام زيادة: «**ومغفرته**» في حديث رواه البخاري في التاريخ الكبير(٤)، ولعل هذه الزيادة تدخل في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾(٥).

---

(١)انظر: شرح النووي، ٢/ ٢٠١.

(٢) البخاري، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضل عائشة ﷺ، برقم ٣٧٦٨.

(٣) النسائي في السنن الكبرى، كتاب المناقب، مناقب خديجة بنت خويلد ﷺ، برقم ٨٣٥٩، والحاكم، ٣/ ٢٠٦، وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه العدوي في الصحيح المسند من فضائل الصحابة، ص ٥٠٩، وأصله عند البخاري، برقم ٣٨٢٠.

(٤) التاريخ الكبير للبخاري، ١/ ٣٣٠، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣/ ٤٣٣، رقم الحديث ١٤٤٩:«وهذا إسناد جيد» وتقدم تخريجه.

قلت: وقد سمعت الحديث عرض على سماحة شيخنا ابن باز ﷺ عرضه عليه الشيخ سلطان الخميس، فقال بأنه حسن، ولكن للأسف، لأني أُنسيت من أي كتاب كان أخذه سلطان الخميس، ولعلي أبحث عن الشيخ سلطان ليعثر على مكان تحسين شيخنا لهذا الحديث.

(٥) سورة النساء، الآية: ٨٦.

٦-قال الإمام النووي رحمه الله في بعض الأحاديث التي ظاهرها التعارض، وليس كذلك: «قَدْ يُسْتَشْكَلُ الْجَمْعُ بينها مَعَ مَا جَاءَ فِي مَعْنَاهَا، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ جَعَلَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ الأفضل الإيمان بالله، ثم الجهاد، ثُمَّ الْحَجُّ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ: الْإِيمَانُ، والجهاد، وفي حديث ابن مَسْعُودٍ: الصَّلَاةُ، ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، ثُمَّ الْجِهَادُ، وَتَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: «أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»، وَفِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: «أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ»»، وَصَحَّ فِي حَدِيثِ عُثْمَانَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، وَأَمْثَالُ هَذَا فِي الصَّحِيحِ كَثِيرَةٌ، وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْجَمْعِ بَيْنَهَا، فَذَكَرَ الْإِمَامُ الْجَلِيلُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَلِيمِيُّ الشَّافِعِيُّ، عَنْ شَيْخِهِ الْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ الْمُتْقِنِ أَبِي بَكْرٍ الْقَفَّالُ الشَّاشِيُّ الْكَبِيرُ... أَنَّهُ جَمَعَ بَيْنَهَا بِوَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ ذَلِكَ اخْتِلَافُ جَوَابٍ جَرَى عَلَى حَسَبِ اخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ، وَالْأَشْخَاصِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يُقَالُ: خَيْرُ الْأَشْيَاءِ كَذَا، وَلَا يُرَادُ بِهِ خَيْرُ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وَالْأَشْخَاصِ، بَلْ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ، أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ،... الوجه الثَّانِي: أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ كَذَا، أَوْ مِنْ خَيْرِهَا، أَوْ مِنْ خَيْرِكُمْ مَنْ فَعَلَ كَذَا، فَحُذِفَتْ مِنْ، وَهِيَ مُرَادَةٌ، كَمَا يُقَالُ: فُلَانٌ أَعْقَلُ النَّاسِ[1].

***

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٧٧.

١٠٩ - كَيْفَ يَرُدُّ السَّلامَ عَلَى الكَافِرِ إذَا سَلَّمَ

٢٢٧-«إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٨٨٧-لفظ البخاري عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه[٢] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ»[٣].

٨٨٨-ولفظ البزار عَن أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَجْلِسٍ، فَمَرَّ يَهُودِيٌّ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَا قَالَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، سَلَّمَ، قَالَ: فَإِنَّهُ قَالَ: السَّامُ عَلَيْكُمْ، أَيْ تسامون دِينَكُمْ، رُدُّوهُ عَلَيْهِ، قَالُوا: كَيْفَ؟ قَالَ: قُولُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا: عَلَيْكُمْ - أَيْ: عَلَيْكُمْ مَا قُلْتُمْ»[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «إذا سلم عليكم»: قال ابن منظور رحمه الله: «السَّلامُ: التَّحِيَّةُ ... قُلِ

---

(١) البخاري، كتاب الاستئذان، باب كيف يرد على أهل الذمة السلام، برقم ٦٢٥٨، ومسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب السلام وكيف يرد عليهم، برقم ٢١٦٣، ومسند البزار (البحر الزخار)، ١٣/ ٣٩٨، برقم ٧٠٩٧.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٦٢٥٨، ومسلم، برقم ٢١٦٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسند البزار، برقم ٧٠٩٧، وقواه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ١١/ ٤٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٨/ ٤٢: «رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ» وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، ٣/ ١١٨٦: «قال في آخره: عليكم، أي: عليكم ما قلتم» هكذا في نفس الحديث، ويغلب على الظن أن التفسير مدرج في الخبر من بعض رواته؛ لكن الإدراج لا يثبت بالاحتمال» ولذلك قال الحافظ ابن حجر فتح الباري، ١١/ ٤٣: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا: عَلَيْكُمْ مَا قُلْتُمْ» لَفْظُ الْبَزَّارِ».

السَّلامُ عَلَيْكَ، فإن عَلَيْكَ السَّلامُ تحيَّة المَوْتَى... والتَّسْلِيمُ: مُشْتَقٌّ مِنَ السَّلام اسْمِ اللهِ تَعَالَى؛ لِسَلامَتِهِ مِنَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصِ ...وَقِيلَ: مَعْنَاهُ اسْمُ السَّلامِ عليكَ، إذ كَانَ اسْمُ اللهِ تَعَالَى يُذْكَرُ عَلَى الأعمال تَوَقُّعاً لِاجْتِمَاعِ مَعَانِي الْخَيْرَاتِ فِيهِ، وَانْتِفَاءِ عَوارِض الْفَسَادِ عَنْهُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ سَلِمْتَ مِنِّي، فَاجْعَلْنِي أَسْلَمُ مِنْكَ، مِنَ السَّلامة بِمَعْنَى السَّلام»[(١)].

٢-قوله: «**أهل الكتاب**»: اليهود والنصارى، قال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو شامل للذمي والحربي»[(٢)].

٣-قوله: «**فقولوا**»: قال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقولوا: وجوباً، قاله المصنف وحكى قولاً بعدم الوجوب وضعفه»[(٣)].

٤-قوله: «**وعليكم**»: أي: وعليكم مثل ما قلتم، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَعْنِي الَّذِي يَقُولُونَهُ لَكُمْ رُدُّوه عَلَيْهِمْ»[(٤)]، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني لا تقولوا وعليكم السلام»[(٥)]، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «جاءت الأحاديث التي ذكرها مسلم «عليكم، وعليكم» بإثبات الواو وحذفها، وأكثر الروايات: «وعليكم» بإثباتها، وعلى هذا ففي معناه وجهان:

أحدهما: أنه على ظاهره، فقالوا: عليكم الموت، فقال: وعليكم أيضاً، أي: نحن وأنتم فيه سواء، كلنا نموت.

والثاني: أن الواو هنا للاستئناف، لا للعطف والتشريك، وتقديره: وعليكم ما تستحقونه من الذم، قال القاضي عياض: اختار بعض العلماء منهم ابن حبيب

(١) لسان العرب، ١٢/ ٢٨٩، مادة (سلم).
(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٣٤٦.
(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٣٤٦.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٢٦، مادة (سوم).
(٥) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٨٤٤.

المالكي حذف الواو، لئلا تقتضي التشريك، وقال غيره بإثباتها، كما هي في الروايات، وقال بعضهم: يقول: وعليكم السِّلام- بكسر السين- أي الحجارة، وهذا ضعيف، قال الخطابي: حذف الواو هو الصواب؛ لأنه صار كلامهم بعينه مردوداً عليهم خاصة، وإذا أثبت الواو اقتضى المشاركة معهم فيما قالوه، قال الشيخ محيى الدين النووي: والصواب أن إثبات الواو وحذفها جائزان، كما صرحت به الروايات، وإثباتها أجود، ولا مفسدة فيه؛ لأن السام الموت، وهو علينا وعليهم، فلا ضرر فيه، إثبات الواو في الرد عليكم إنما يحمل على معنى الدعاء لهم بالإسلام، إذا لم يعلم منه تعريض بالدعاء علينا، وأما إذا عُلم ذلك، فالوجه فيه أن يكون التقدير: وأقول عليكم ما تستحقونه»[(١)].

٥-قوله: «**السام**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «السَّام: الموت»[(٢)]، وقال ابن الجوزي رحمه الله: « يعنون بالسام الْمَوْت، فَلم يصلح أَن يُقَال لَهُم فِي جَوَاب هَذَا: وَعَلَيْكُم السَّلَام، وَلم يحسن فِي بَاب حسن الْخلق أَن يُقَال: وَعَلَيْكُم السام، لأَنهم كَانُوا يمجمجون الْكَلَام بِهِ فَلَا يبين لكل أحد، فَلَا يصلح أَن يُقَابل الممجمج بالمصرح، فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَعَلَيْكُم، أَي مَا قُلْتُمْ»[(٣)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-تحريم ابتداء الكافر بالسلام؛ لنهي النبي ﷺ عن ذلك.

٢-إذا سلم الكافر فيكون الرد بلفظ «وعليكم» والحكمة من هذا أن اليهود كانوا إذا مروا على النبي ﷺ قالوا: السام عليكم أي: الهلاك والموت فكان الجزاء من جنس العمل فرد عليهم دعوتهم.

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠/ ٣٠٤٠.
(٢) جامع الأصول، ٦/ ٦١٠.
(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٣/ ١٩٦.

٣-بيان أن اليهود أهل مكر، وخيانة، وغدر، وحسد، وقد قال النبي ﷺ: «**ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدوكم على السلام والتأمين**»(١).

٤-يجوز إلقاء السلام في مجلس فيه أخلاط من المسلمين وأهل الكتاب والمشركين؛ لأن النبي ﷺ لما ذهب لعيادة سعد بن عبادة رضي الله عنه، وكان راكبًا على حمار، مردفًا أسامة بن زيد وراءه – مرّ على مجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول، وكان في المجلس أخلاط من المسلمين، والمشركين، وعبدة الأوثان فسلم عليهم(٢)، وكذلك إذا كتب المسلم إلى غير المسلمين كتابًا؛ فإنه لا يبدؤهم بالسلام؛ لأن النبي ﷺ كتب إلى هرقل: «**من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى**»(٣).

٥-من سلم على أخيه في خطاب أو رسالة، فعليه أن يرد السلام كتابة؛ لقول ابن عباس رضي الله عنهما: «إني لأرى لجواب الكتاب حقًّا كرد السلام»(٤). ويلحق بهذا الرسائل القصيرة عبر الهاتف.

٦-قال ابن عثيمين رحمه الله: أما الإشارة باليد فقط، فقد نهى عنها النبي ﷺ(٥)، أما أما الجمع بين التحية والإشارة، فلا بأس، خصوصًا إذا كان الإنسان بعيدًا، أو كان أصم لا يسمع، وأما ما يفعله بعض الناس، وهو راكب لسيارته من ضرب

---

(١) ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب الجهر بآمين، برقم ٨٥٦، والأدب المفرد، للبخاري، ص ٣٤٢، برقم ٩٨٨، وصححه الألباني في الأدب المفرد، برقم ٩٨٨.

(٢) البخاري، كتاب الأدب، باب كنية المشرك، برقم ٦٢٠٧.

(٣) البخاري، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا أبو اليمان، برقم ٧.

(٤) الأدب المفرد، للبخاري، ص ٣٨٢، برقم ١١١٧، ومسند الشهاب رواه مرفوعاً، ٢/ ١١٩، برقم ١٠١٠، «وقال ابن تيمية: المحفوظ وقفه» كما التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني، ٤/ ٧٧، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ١١١٧.

(٥) انظر: صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة، والنهي عن الإشارة باليد، ورفعها عند السلام، وإتمام الصفوف الأوَل،والتراصّ فيها، والأمر بالاجتماع، برقم ٤٣١.

البوق، فهذا لا يكون سلامًا، وليس من السنة؛ لأنه جعله بدل السلام[1].

٧-قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد اختلف العلماء في رد السلام على أهل الذمة، فقيل: فرض، وهذا تأويل قوله: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾[2] الآية، قال ابن عباس وقتادة وغيرهما: هي عامة في الرد على المؤمنين والكفار، قال: وقوله: ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾ يقول: وعليكم للكفار»[3].

***

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٨٥٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ٨٦.
(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٩/ ٨٩.

١١٠- الدعاءُ عِنْدَ سَمَاعِ صِيَاحِ الدِّيَكَةِ ونَهيقِ الحِمَارِ

٢٢٨-«إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكاً وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الشَّيطَانِ؛ فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَاناً»[١].

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٨٨٩-لفظ البخاري ومسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٢]، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا»[٣].

٨٩٠-ولفظ أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ مِنَ اللَّيْلِ، فَإِنَّمَا رَأَتْ مَلَكًا، فَسَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نُهَاقَ الْحِمَارِ مِنَ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ»[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «إذا سمعتم صياح الديكة»: الديكة: جمع ديك، وهو ذكر الدجاج[٥]،

---

(١) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال، برقم ٣٣٠٣، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الدعاء عند صياح الديك، برقم ٢٧٢٩، وبنحوه في مسند أحمد، ١٣/ ٤٢٧، برقم ٨٠٦٤، والأدب المفرد للبخاري، ص ٤٢٣، برقم ١٢٣٦.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٣٣٠٣، ومسلم، برقم ٢٧٢٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسند أحمد، برقم ٨٠٦٤، والأدب المفرد للبخاري، برقم ١٢٣٦، وصححه محققو المسند، ١٣/ ٤٢٧، والألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ١٢٣٦.وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) وقد سمي الدجاج دجاجًا لإسراعه في الإقبال والإدبار من دجَّ يدج إذا أسرع، ودجاجة اسم امرأة، فتح الباري، ٦/ ٣٥٣.

قال الطيبي رحمه الله: «لعل المعنى أن الديك أقرب الحيوانات صوتاً إلى الذاكرين الله؛ لأنها تحفظ غالباً أوقات الصلوات، وأنكر الأصوات صوت الحمير، فهو أقربها صوتاً إلى من هو أبعد من رحمة الله تعالى»[1].

٢-قوله: «**فاسألوا الله من فضله**»: أي: قولوا: اللَّهم إنا نسألك من فضلك، قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «الفضل: الزيادة عن الاقتصاد، وذلك ضربان: محمود: كفضل العلم، والحلم، ومذموم: كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه، والفضل في المحمود أكثر استعمالاً»[2]، ، وقال المناوي رحمه الله: «فسلوا الله من فضله: أي زيادة إنعامه عليكم»[3]، وقال ابن علان رحمه الله: «فاسأل أن يعطيك الله مطلوبك، قال تعالى: ﴿**وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ**﴾[4]، ولا تسأل غيره؛ فإن خزائن الوجود بيده تعالى، وأزمتها إليه، إذ لا قادر، ولا معطي، ولا متفضل غيره، فهو أحق أن يقصد ويسأل، ولا فائدة في سؤال الخلق، إذ لا يملكون نفعاً ولا ضراً لأنفسهم، فضلاً عن غيرهم»[5].

٣-قوله: «**فإنها رأت ملكاً**»: قال ابن هبيرة رحمه الله: «ولما كانت الديكة يؤنس إلى أصواتها من حيث إنها في الليل توقظ النائم لأفضل الأوقات للذكر، وهو وقت السحر، كانت عند رؤية الملائكة يثور صاحبها، فيذكر الله سبحانه حينئذ، ويسأل من فضله»[6].

٤-قوله: «**وإذا سمعتم نهيق الحمار**»: أي: صوته المنكر، قال الله عز وجل:

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٢.
(٢) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٩٦.
(٣) فيض القدير، ١/ ٣٨٠.
(٤) سورة النساء، الآية: ٣٢.
(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١/ ٢٣٤.
(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٦/ ٢٩١.

﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[١]، ويقال النهاق والنهق، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «نهق: نُهَاقُ الْحِمَارِ: صَوْتُهُ، والنَّهِيقُ: صَوْتُ الْحِمَارِ... نَهْقاً، ونَهِيقاً، ونُهَاقاً، وتَنْهاقاً: صوَّت ... والنّاهِقان: عَظْمَانِ شَاخِصَانِ يَنْدُران مِنْ ذِي الْحَافِرِ فِي مَجْرَى الدَّمْعِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا النُّهَاقُ، وَيُقَالُ لَهُمَا أَيضاً النَّوَاهق... والنّاهِقُ والنَّواهِقُ مِنَ الْحَمِيرِ: حَيْثُ يَخْرُجُ النُّهاق مِنْ حُلُوقِهَا، وَهِيَ مِنَ الْخَيْلِ الْعِظَامُ النَّاتِئَةُ فِي خُدُودِهَا»[٢]، وقا ل ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما التعوذ بعد نهيق الحمار؛ فلأن الشيطان إذا حضر يُخاف شرُّه، فيُتعوَّذ منه»[٣]، وقال الدميري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما أمرنا بالتعوذ من الشيطان عند نهيق الحمير؛ لأن الشيطان يُخاف من شره عند حضوره، فينبغي أن يتعوذ منه انتهى»[٤].

٥-قوله: «**فتعوذوا بالله من الشيطان**»: أعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك، فإن ذلك سوء أتحاشى من تعاطيه[٥]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: نَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ الَّذِي لَمْ يُوجَدْ بَعْدُ، وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛ فَإِنَّ نَفْسَ وُجُودِهِ ضَرَرٌ، مِثَالُ الْأَوَّلِ: «أَعُوذُ بِاَللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، وَمِثْلُ الثَّانِي: التعوذ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ»[٦]، وقال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما كان الشيطان على نوعين: نوع يُرى عِياناً، وهو شيطان الإنس، ونوع لا يرى، وهو شيطان الجن، أمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نبيه ﷺ أن يكتفي من شر شيطان الإنس بالإعراض عنه، والعفو، والدفع

(١) سورة لقمان، الآية: ١٩.
(٢) لسان العرب، ١٠/ ٣٦١، مادة (نهق).
(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٩/ ٢٤٤.
(٤) حياة الحيوان الكبرى، ١/ ٤٧٩.
(٥) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.
(٦) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، ١٨/ ٢٨٨، وتقدم مستوفى في آخر شرح المفردة الأولى من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

بالتي هي أحسن، ومن شيطان الجن بالاستعاذة بالله منه،... والاستعاذة في القراءة والذكر أبلغ في دفع شر شياطين الجن»[١].

٦-قوله: «**فإنه رأى شيطاناً**»: قال ابن هبيرة رَحِمَهُ اللهُ: «لما كان صوت الحمار أنكر الأصوات، كان الشيطان وشيكًا بالتعرض له؛ ليثير من النهاق الذي يزعج المسلمين، فتنكره نفوسهم»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-قال الحافظ في الفتح: «وَلِلدِّيكِ خَصِيصَةٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ: مِنْ مَعْرِفَةِ الْوَقْتِ اللَّيْلِيِّ؛ فَإِنَّهُ يُقَسِّطُ أَصْوَاتَهُ فِيهَا تَقْسِيطًا لَا يَكَادُ يَتَفَاوَتُ، وَيُوَالِي صِيَاحَهُ قَبْلَ الْفَجْرِ وَبَعْدَهُ، لَا يَكَادُ يُخْطِئُ، سَوَاءٌ أَطَالَ اللَّيْلُ أَمْ قَصُرَ، ومن ثَمَّ أفتى بعض الشافعية باعتماد الديك المجرب في الوقت»[٣].

٢-استحباب الدعاء عند سماع صياح الديكة؛ وذلك لأنها ترى ملكًا، فربما يؤمِّن الملك على الدعاء، فيستجيب الله له.

٣-المسلم العاقل لا يتأفَّف، ولا ينزعج إذا كان صياح الديكة سببًا لقطع لذة النوم، بل يحمد الله على ذلك، وقد نهى النبي ﷺ عن سب الديك بقوله: «**لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة**»[٤]، والحكمة من هذا النهي أن من أعان على طاعة يستحق المدح لا الذم.

٤-قال الداودي رَحِمَهُ اللهُ: يتعلم من الديك خمس خصال:

أ- حسن الصوت.

---

(١) زاد المعاد، لابن القيم، ٢/ ٤٢٠، وتقدم مستوفى في شرح المفردة التاسعة من مفردات حديث المتن رقم ١٣٣.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٦/ ٢٩١.

(٣) فتح الباري لابن حجر، ٦/ ٣٥٣.

(٤) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الديك، برقم ٥١٠١، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، برقم ٤١٣٦.

ب – القيام في السحر.

ج – الغيرة.

د – السخاء.

هـ – كثرة الجماع[١].

ولله در القائل:

يـا أذان الـديك فـي الأصـباح	**مـا أجمـل جرسـك**
مـا أجمـل الـدرس تلقيـه	**لمـن يفقـه درسـك**
لا تُضِـع يومـك فـي التيـه	**كمـا ضـيعت أمسـك**

٥–جاء ذكر الديك في موضع آخر من السنة، من قول النبي ﷺ: «**إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض وعنقه مثنية تحت العرش وهو يقول سبحانك ما أعظمك فيرد عليه: لا يعلم ذلك من حلف بي كاذبًا**»[٢].

٦–أما حديث: «**الديك يؤذن بالصلاة، من اتخذ ديكًا أبيض حفظ من ثلاثة: من شر كل شيطان، وساحر وكاهن**»، ففي صحته نظر[٣].

٧–قال القاضي عياض رحمه الله: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكًا»: وذلك – والله أعلم – لتأمين الملائكة على دعاء بني آدم، واستغفارهم له، فرحًا ببركة ذلك، وحسن عون الملك به، إذا دعا بحضرته بالتأمين والاستغفار له، وإشهاده له بالتضرع إلى الله والإخلاص»[٤].

---

(١) فتح الباري، ٦/ ٣٥٣.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط، ٧/ ٢٢٠، برقم ٧٣٢٤، وأبو الشيخ في العظمة، ٣/ ١٠٠٣، برقم ٥٢٤، والحاكم في المستدرك، ٤/ ٣٣٠، قال المنذري في الترغيب والترهيب، ٢/ ٣٨٩: «إسناد صحيح» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٤/ ١٨٠: «رجاله رجال الصحيح» وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ١٧١٤.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ٤/٣٠٠، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، برقم ٣٠٣٠.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٨/ ٢٢٤.

٨-قال ابن الملقن رحمه الله: «فيه دلالة أن الله جعل للديك إدراكًا، كما جعله للحمير، وأن كل نوع من الملائكة والشياطين موجودان، وهذا معلوم في الشرع قطعًا، والمنكر لشيء منها كافر، كما نبه عليه القرطبي قال: وكأنه إنما أمر بالدعاء عند صراخ الديكة؛ لتؤمن الملائكة على ذلك؛ ولتستغفر له، وتشهد له بالتضرع والإخلاص، فتتوافق الدعوتان، فتقع الإجابة، ومنه يؤخذ استحباب الدعاء عند حضور الصالحين، وأما التعوذ بعد نهيق الحمار؛ فلأن الشيطان إذا حضر يخاف شره فيتعوذ منه»[١].

***

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٩/ ٢٤٣.

١١١ – دُعَاءُ نُبَاحِ الكِلاَبِ بِاللَّيلِ

٢٢٩-«إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكِلاَبِ وَنَهِيقَ الْحَمِيرِ بِاللَّيْلِ فَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهُنَّ يَرَيْنَ مَا لاَ تَرَوْنَ»[(١)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٨٩١-لفظ أبي داود عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما[(٢)]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكِلَابِ، وَنَهِيقَ الْحُمُرِ بِاللَّيْلِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ فَإِنَّهُنَّ يَرَيْنَ مَا لَا تَرَوْنَ**»[(٣)].

٨٩٢-وعَنْ عَلِيِّ بْنِ عُمَرَ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ[(٤)]، وَغَيْرِهِ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَقِلُّوا الْخُرُوجَ بَعْدَ هَدْأَةِ الرِّجْلِ، فَإِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى دَوَابَّ يَبُثُّهُنَّ فِي الْأَرْضِ**» قَالَ ابْنُ مَرْوَانَ: «**فِي تِلْكَ السَّاعَةِ**» وَقَالَ: «**فَإِنَّ لِلَّهِ خَلْقًا**» ثُمَّ ذَكَرَ نُبَاحَ الْكَلْبِ وَالْحَمِيرَ، نَحْوَهُ، وَزَادَ فِي حَدِيثِهِ قَالَ ابْنُ الْهَادِ، وَحَدَّثَنِي شُرَحْبِيلُ الْحَاجِبُ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ **مِثْلَهُ**»[(٥)].

٨٩٣-ولفظ أحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكِلَابِ، وَنُهَاقَ الْحَمِيرِ مِنَ اللَّيْلِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللهِ، فَإِنَّهَا تَرَى مَا لَا تَرَوْنَ،**

---

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في الديك والبهائم، برقم ٥١٠٥، ورقم ٥١٠٦، وأحمد، ٢٢/ ١٨٧، برقم ١٤٢٨٣، والأدب المفرد للبخاري، ص ٤٢٣، برقم ١٢٣٤، والحاكم، ٤/ ٢٨٤، وصححه، ومسند أبي يعلى الموصلي، ٤/ ١٥٥، وحسن إسناده محققو المسند، ٢٢/ ١٨٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع، حديث رقم ٦٢٠، وفي صحيح أبي داود، ٣/٩٦١، وصححه لغيره في صحيح الأدب المفرد، برقم ١٢٣٣، وصححه محقق مسند أبي يعلى ٤/ ١٥٥.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧٢ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٥١٠٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٣/٩٦١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمة الحسين بن علي في الحديث رقم ٤٩٥ من أحاديث الشرح.

(٥) أبو داود، برقم ٥١٠٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٢٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وَأَقِلُّوا الْخُرُوجَ إِذَا هَدَأَتِ الرِّجْلُ، فَإِنَّ اللهَ يَبُثُّ فِي لَيْلِهِ مِنْ خَلْقِهِ مَا شَاءَ، وَأَجِيفُوا الْأَبْوَابَ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا أُجِيفَ، وَذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، وَأَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ، وَغَطُّوا الْجِرَارَ، وَأَكْفِئُوا الْآنِيَةَ»، قَالَ يَزِيدُ: «وَأَوْكُوا الْقِرَبَ»[(١)].

٨٩٤-ولفظ البخاري في الأدب المفرد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكِلَابِ، أَوْ نُهَاقَ الْحَمِيرِ مِنَ اللَّيْلِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَجِيفُوا الْأَبْوَابَ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا أُجِيفَ، وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَغَطُّوا الْجِرَارَ، وَأَوْكِئُوا الْقِرَبَ، وأكفئوا الآنية»[(٢)].

٨٩٥-ولفظ أبي يعلى عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكِلَابِ، وَنَهِيقَ الْحُمُرِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُنَّ يَرَوْنَ مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَقِلُّوا الْخُرُوجَ إِذَا هَدَأَتِ الرِّجْلُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَبُثُّ فِي خَلْقِهِ فِي لَيْلِهِ مَا شَاءَ، وَأَجِيفُوا الْأَبْوَابَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا إِذَا أُجِيفَ، وَأَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ، وَخَمِّرُوا الْآنِيَةَ، وَأَطْفِئُوا السُّرُجَ»[(٣)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «إذا سمعتم نباح الكلاب»: قال الفراهي رحمه الله: «السمع: قوة في الأذن، به يدرك الأصوات»[(٤)]، وقال ابن منظور رحمه الله: «النَّبْحُ صوت الكلب»[(٥)]،

---

(١) أحمد، برقم ١٤٢٨٣، الأدب المفرد، ص ٤٢٣، برقم ١٢٣٤، والحاكم، ٤/ ٢٨٤، وصححه، وحسن إسناده محققو المسند، ٢٢/ ١٨٨، والألباني في صحيح الجامع، حديث رقم ٦٢٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) الأدب المفرد، برقم ١٢٣٤، والحاكم، ٤/ ٢٨٤، وصححه، وصححه الألباني لغيره في صحيح الأدب المفرد، برقم ١٢٣٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسند أبي يعلى الموصلي، ٤/ ١٥٥، وصححه محقق أبي يعلى ٤/ ١٥٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، لعبد الحميد الفراهي، ١/ ٤٩٩، مادة (سمع)

(٥) لسان العرب، ٢/ ٦٠٩، مادة (نبح).

وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نباح الكلاب: بضم النون وكسرها: صياحه»[(١)].

٢-قوله: «**دوّاب يبثهن**»: قال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كالسباع ونحوها؛ فإن الليل وقت خروجها، فيخاف من شرها»[(٢)]، وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن لله تعالى دواب ينبثهن: أي: يفرقهن وينشرهن»[(٣)].

٣-قوله: «**في الأرض تلك الساعة**»: قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: بالليل، فإذا خرجتم تلك الساعة، فإما أن تؤذوهم أو يؤذوكم: أي: يؤذي بعضكم بعضهم، وبعضهم بعضكم، فالأحوط الأسلم الكف عن الانتشار ساعتئذ»[(٤)].

٤-قوله: «**ونهيق الحمار بالليل**»: أي: صوته المنكر، قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾[(٥)]، ويقال النهاق والنهق، قال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نهق: نُهَاقُ الْحِمَارِ: صَوْتُهُ، والنَّهِيقُ: صَوْتُ الْحِمَارِ... نَهْقاً، ونَهِيقاً، ونُهَاقاً، وتَنْهاقاً: صوَّت ... والنّاهِقُ والنَّواهِقُ مِنَ الْحَمِيرِ: حَيْثُ يَخْرُجُ النُّهاق مِنْ حُلُوقِهَا، وَهِيَ مِنَ الْخَيْلِ الْعِظَامُ النَّاتِئَةُ فِي خُدُودِهَا»[(٦)]، وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بالليل: خصه لأن انتشار الشياطين والجن فيه أكثر، وكثرة فسادهم فيه أظهر، فهو بذلك أجدر، وإن كان النهار كذلك في طلب التعوذ»[(٧)]، وقا ل ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما التعوذ بعد نهيق الحمار؛ فلأن الشيطان إذا حضر يُخاف شرُّه، فيُتعوَّذ منه»[(٨)]، وقال الدميري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما أمرنا بالتعوذ من الشيطان عند نهيق الحمير؛ لأن الشيطان يُخاف من

---

(١) فيض القدير، ١/ ٣٨١.
(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ٣/ ١٩.
(٣) فيض القدير، ٢/ ٧٢.
(٤) فيض القدير، ٢/ ٧٣.
(٥) سورة لقمان، الآية: ١٩.
(٦) لسان العرب، ١٠/ ٣٦١، مادة (نهق).
(٧) فيض القدير، ١/ ٣٨٢.
(٨) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٩/ ٢٤٤.

شره عند حضوره، فينبغي أن يتعوذ منه انتهى»[١].

٥-قوله: «فتعوذوا بالله من الشيطان»: أعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك، فإن ذلك سوء أتحاشى من تعاطيه[٢]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: نَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ الَّذِي لَمْ يُوجَدْ بَعْدُ، وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛ فَإِنَّ نَفْسَ وُجُودِهِ ضَرَرٌ، مِثَالُ الْأَوَّلِ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، وَمِثْلُ الثَّانِي: التعوذ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ» [٣]، وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «ولما كان الشيطان على نوعين: نوع يُرى عِياناً، وهو شيطان الإنس، ونوع لا يرى، وهو شيطان الجن، أمر تبارك وتعالى نبيه ﷺ أن يكتفي من شر شيطان الإنس بالإعراض عنه، والعفو، والدفع بالتي هي أحسن، ومن شيطان الجن بالاستعاذة بالله منه،... والاستعاذة في القراءة والذكر أبلغ في دفع شر شياطين الجن»[٤].

٦-قوله: «فإنهن يرين ما لا ترون»: يرين: أي: من الشياطين والجن، ما لا ترون أيها الناس، قال الصنعاني: «فتعوذوا بالله من الشيطان فإنهن يرين ما لا ترون: يحتمل أنه ما مضى في نهيق الحمير، وأنه يرى شيطانًا، ويحتمل غير ذلك، وأنه ذكر في الأول بعض ما يرين»[٥]، وقال القاري رحمه الله: «يَرَيْنَ: أَيْ: يُبْصِرْنَ مِنَ الشَّيَاطِينِ مَا لَا تَرَوْنَ: أَيْ مَا لَا تُبْصِرُونَ»[٦].

٧-قوله: «وأقلوا الخروج»: قال الصنعاني رحمه الله: «من المنازل»[٧].

---

(١) حياة الحيوان الكبرى، ١/ ٤٧٩.
(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.
(٣) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ١٨/ ٢٨٨، وتقدم مستوفى في شرح المفردة التاسعة من مفردات حديث المتن رقم ١٣٣.
(٤) زاد المعاد، لابن القيم، ٢/ ٤٢٠، وتقدم مستوفى في شرح المفردة التاسعة من مفردات حديث المتن رقم ١٣٣.
(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٠٦.
(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٧/ ٢٧٦١.
(٧) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٠٦.

٨-قوله: «**إذا هدأت الأرجل**»: قال الجوهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَدَأَتِ الرِجْلُ، أي بعد ما سكن الناس بالليل، وأتانا وقد هَدَأَتِ العيونُ، وأتانا فلان هُدوءاً، إذا جاء بعد نَوْمَةٍ، وبعد هدء من الليل وبعد هدأة من الليل، أي: بعد هَزيع من الليل، وبعد ما هَدَأَ الناس، أي: ناموا»(١)، وقال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهداءة والهدوء: السكون عن الحركات، أي: بعد ما يسكن الناس عن المشي والاختلاف في الطرق»(٢)، وقال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هدأت الرِّجْلُ: إذا نام الناس إذا هدأت بالهمز من الهدوء، وهو السكون عن الحركات... الرِّجْل: أي بعد سكون الناس عن المشي والاختلاف»(٣).

٩-قوله: «**في ليلته ما يشاء**»: قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو مفعول يبث، وهو عام في كل ذي شر من الشياطين، والسباع، والهوام، و«**من خلقه**» بيان «ما»»(٤)، وقال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يبث في ليله**» بالضمير العائد إليه تعالى من خلقه ما يشاء»(٥).

١٠-قوله: «**وأجيفوا الأبواب**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأَجَافَ البَابَ: أَيْ: رَدَّه عَلَيْهِ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «أَجِيفُوا أَبْوَابكم» أَيْ رُدُّوهَا»(٦).

١١-قوله: «**واذكروا اسم الله**»: عند إجافتها عليها، فإن الشيطان لا يفتح بابًا أجيف، وذكر اسم الله عليه»(٧).

١٢-قوله: «**وغطوا الجرار**»: قال الفيومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغِطَاءُ: الستر، وهو ما يُغطَّى

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ١/ ٨٣، مادة (هدأ).
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٩/ ٢٨٨٩.
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٠٦.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٩/ ٢٨٨٩.
(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٠٦.
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣١٧، مادة (جوف).
(٧) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٠٦.

به، وجمعه: أَغْطِيَةٌ: مأخوذ من قولهم: غَطَا الليل، يَغْطُو: إذا سترت ظلمته كلّ شيء»[١]، وقال الصنعاني رحمه الله: «وغطوا - بالغين المعجمة - من التغطية، الجرار - بكسر الجيم -: جمع جرة، وبفتحها، وهي الإناء المعروف من الفخار»[٢].

١٣-قوله: «**وأوكئوا القرب**»: قال ابن الأثير رحمه الله:: «الْوِكَاءُ: الخَيْط الَّذِي تُشَدُّ بِهِ الصُّرَّة والكِيس، وَغَيْرُهُمَا... كَمَا أَنَّ الوِكاء يَمْنعُ مَا فِي القِرْبة أَنْ يَخْرُج، ...أَوْكُوا الأسْقِيَة: أَيْ: شُدُّوا رُؤوسَها بالوِكاء، لِئلا يَدْخُلَها حيوانٌ يَسْقُطَ فِيهَا شَيء، يُقَالُ: أَوْكَيْتُ السِّقاء أُوكِيهِ إِيكَاءً فَهُوَ مُوكًى»[٣]، وقال الصنعاني رحمه الله: « شدوا على أفواهها ما توكأ به»[٤].

١٤-قوله: «**وأكفئوا الآنية**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «كَفَأْتُ القِدْر: إِذَا كَبَبْتَها لِتُفْرِغ مَا فِيهَا، يُقَالُ: كَفأت الْإِنَاءَ وأَكْفَأْتُه إِذَا كَبَبْتَه، وَإِذَا أَمَلْته...يُكْفِئ لَهَا الْإِنَاءَ: أَيْ: يُميله لتَشْربَ منْه بِسُهولة»[٥]، وقال الطيبي رحمه الله: يقال: كفأت الإناء إذا كببته، وأكفأته، وكفأته أيضاً إذا أملته ليفرغ ما فيها، وفي الغريبين: المراد بإكفاء الآنية هاهنا قلبها كيلا يدبّ عليها شيء ينجسها، الآنية: جمع»[٦]، وقال الصنعاني رحمه الله: «تعميم بعد التخصيص كأنه أريد بالجرار ما فيها من الماء»[٧].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الحث على التعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند سماع نباح الكلاب،

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢/ ٤٤٩، مادة (غطو).
(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٠٦.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٢٢٢، مادة (وكأ).
(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٠٦.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ١٨٢، مادة (كفأ).
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٩/ ٢٨٨٩.
(٧) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٠٦.

ونهيق الحمير، وبيان الحكمة من هذا، وهي أنها ترى ما لا نرى من الأمور التي حجبها الله عن بني آدم، وإنما جاء ذكر «الليل» تغليبًا، وإلا فمتى سُمعت بالنهار شرع التعوذ.

٢-الليل وقت انتشار دواب يعلمها الله وحده؛ لقول النبي ﷺ: «**أقلوا الخروج بعد هدأة الليل، فإن لله تعالى دواب يبثهن في الأرض**»[(١)]، والمعنى لا تخرجوا من البيوت بعد انقطاع الأرجل عن المشي في الطريق ليلًا إلا لعارض، ومعنى يبثهن أي: ينشرهن ويفرقهن.

٣-إثبات رؤية الحمير والكلاب للشياطين وهذا دليل على أن الله ﷻ يتصرف في خلقه كما يريد؛ لحكمة يعلمها ﷻ، وقد أخبر ﷺ بسماع البهائم لعذاب القبر[(٢)].

٤-قال ابن الجوزي رحمه الله: «وَفِي الحَدِيث تَنْبِيه على خطأ جهلة المتزهدين فِي سياحاتهم بِاللَّيْلِ، ومشيهم فِي الظُّلُمَات على الْوحدَة»[(٣)].

٥-من الآداب المستحبة ردّ الأبواب بالليل، وتغطية الآنية، أو كبِّها على أفواهها، وإيكاء القرب.

***

(١) أبو داود، برقم ٥١٠٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٢٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر، برقم ٥٨٦.

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٢/ ٥٨٠.

١١٢ - الدُّعَاءُ لِمَنْ سَبَبْتَهُ

٢٣٠- قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ قُرْبَةً إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٨٩٦- لفظ البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ(٢) أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْ ذَلِكَ لَهُ قُرْبَةً إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٣).

٨٩٧- وحديث مسلم عنْ عَائِشَةَ ﷺ(٤)، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ، فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ، لَا أَدْرِي مَا هُوَ فَأَغْضَبَاهُ، فَلَعَنَهُمَا، وَسَبَّهُمَا، فَلَمَّا خَرَجَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَصَابَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا، مَا أَصَابَهُ هَذَانِ، قَالَ: «**وَمَا ذَاكِ**» قَالَتْ: قُلْتُ: لَعَنْتَهُمَا وَسَبَبْتَهُمَا، قَالَ: «**أَوَ مَا عَلِمْتِ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟ قُلْتُ: اللهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ، أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا**»(٥).

٨٩٨- ولمسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ، يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، وَإِنِّي قَدِ اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ**

---

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ: «من آذيته فاجعله له زكاة ورحمة، برقم ٦٣٦١، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه، وليس هو أهلاً لذلك، كان له زكاة وأجراً ورحمة، برقم ٢٦٠٠، ورقم ٨٩-(٢٦٠١)، ورقم ٩٠-(٢٦٠١)، ورقم ٩١-(٢٦٠١)، ورقم ٩٢-(٢٦٠١)، ٩٣-(٢٦٠١)، ورقم ٢٦٠٢، ورقم ٢٦٠٣، ورقم ٢٦٠٤، وأحمد، ٤٠/ ٢١٠، برقم ٢٤١٧٩.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٦٣٦١، ومسلم، ورقم ٨٩-(٢٦٠١)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٥) مسلم، برقم ٢٦٠٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ آذَيْتُهُ، أَوْ سَبَبْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ كَفَّارَةً، وَقُرْبَةً، تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(١)].

٨٩٩- ولفظ آخر لمسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَبَبْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْ ذَلِكَ كَفَّارَةً لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٢)].

٩٠٠- وحديث آخر لمسلم عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ﷺ[(٣)]، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي ﷻ، أَيُّ عَبْدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ، أَوْ شَتَمْتُهُ، أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا»[(٤)].

٩٠١-وحديث آخر لمسلم عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ[(٥)]، قَالَ: كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ، وَهِيَ أُمُّ أَنَسٍ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْيَتِيمَةَ، فَقَالَ: «آنْتِ هِيَهْ ؟ لَقَدْ كَبِرْتِ، لاَ كَبِرَ سِنُّكِ» فَرَجَعَتِ الْيَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: مَا لَكِ؟ يَا بُنَيَّةُ قَالَتِ الْجَارِيَةُ: دَعَا عَلَيَّ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، أَنْ لاَ يَكْبَرَ سِنِّي، فَالآنَ لاَ يَكْبَرُ سِنِّي أَبَدًا، أَوْ قَالَتْ: قَرْنِي، فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلُوثُ خِمَارَهَا، حَتَّى لَقِيَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟» فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَدَعَوْتَ عَلَى يَتِيمَتِي؟ قَالَ: «وَمَا ذَاكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟» قَالَتْ: زَعَمَتْ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لاَ يَكْبَرَ سِنُّهَا، وَلاَ يَكْبَرَ قَرْنُهَا، قَالَ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرْطِي عَلَى رَبِّي، أَنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي، بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ، أَنْ

---

(١) مسلم، برقم ٩١-(٢٦٠١)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، برقم ٩٣-(٢٦٠١)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧٢.

(٤) مسلم، برقم ٢٦٠٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣.

يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(١)].

٩٠٢-ولفظ أحمد عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلَانِ، فَأَغْلَظَ لَهُمَا وَسَبَّهُمَا، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمَنْ أَصَابَ مِنْكَ خَيْرًا، مَا أَصَابَ هَذَانِ مِنْكَ خَيْرًا؟ قَالَتْ: فَقَالَ: **«أَوَمَا عَلِمْتِ مَا عَاهَدْتُ عَلَيْهِ رَبِّي عز وجل؟ قَالَ: قُلْتُ: اللهُمَّ أَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَبَبْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، أَوْ لَعَنْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ مَغْفِرَةً، وَعَافِيَةً، وَكَذَا وَكَذَا»**[(٢)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اللهم**»: «بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، وَ... الْمِيمُ الْمُشَدَّدَةُ عِوَضٌ مِنْ يَا؛ لأنهم لَمْ يَجِدُوا يَا مَعَ هَذِهِ الْمِيمِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَوَجَدُوا اسْمَ اللَّهِ مُسْتَعْمَلًا بِيَا ... »[(٣)]، وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «لا خلاف أن لفظة: (اللهمّ) معناها يا اللَّه؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب»[(٤)].

٢-قوله: «**فأيما مؤمن**»: قال الزجاج رحمه الله: «أيّ» شرطيةٌ...وفي «ما» هذه قولان، أشهرُهما: أنها زائدةٌ كزيادتِها في أخواتِها مِنْ أدواتِ الشرط، والثاني: أنها نكرةٌ»[(٥)]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «الفاء جَواب الشَّرط المَحذُوف لِدَلالَةِ السِّياق عَلَيهِ»[(٦)]، وقال ابن الجوزي رحمه الله: « هذا الإعتذار من فعل شيء غيره أولى منه فإن العفو في الغالب أولى من العقوبة»[(٧)].

---

(١) مسلم، برقم ٢٦٠٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) أحمد، برقم ٢٤١٧٩، وصححه محققو المسند، ٤٠/ ٢١٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله).
(٤) جلاء الأفهام، ص ١٤٣، وتقدم شرح المفردة مستوفى في المفردة رقم ٦ من الحديث رقم ١ من أحاديث المتن.
(٥) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، ٤/ ١٤٢.
(٦) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٧٢.
(٧) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٨٨٤.

٣-قوله: «سببته»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «السَّبُّ: الشَّتْمُ، يُقَالُ سَبَّهُ يَسُبُّهُ سَبّاً وسِبَاباً»(١)، وقال الفيومي رَحِمَهُ اللَّهُ: «سَبَّهُ سَبًّا، فَهُوَ سَبَّابٌ، ...وَالسُّبَّةِ الْعَارُ»(٢)، وقال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو ﷺ لا يسب أحدًا، ولا يؤذيه ظالمًا له، وإنما يفعل ذلك من الواجب في شريعته، وقد يدع الانتقام لنفسه؛ لما جبله الله عليه من العفو، وكرم الخلق»(٣).

٤-قوله: «فاجعل ذلك له قُربة إليك يوم القيامة »: قال الزرقاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا يمتنع أن يقول لها ذلك لتؤجر وليكفر لها ما قالته»(٤).

٥-قوله: «شتمته»: قال الفيومي رَحِمَهُ اللَّهُ: «شَتَمَهُ شَتْمًا مِنْ بَابَ ضَرَبَ، وَالِاسْمُ الشَّتِيمَةُ»(٥).

٦-قوله: «يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ»: «الغَضَب» فِي الْحَدِيثِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنَ النَّاسِ، فَأَمَّا غَضَب اللَّهِ فَهُوَ يليق بجلاله ، فغضبه ليس كغضب خلقه، بل غضبٌ يختصُّ بجلاله، فالغضب معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيف بدعة، ويترتب على غضب الله عَزَّ وَجَلَّ إنْكار الله عَلَى مَنْ عَصاه، وسَخَطُه عَلَيْهِ، وإعْراضُه عَنْهُ، ومُعاقَبَتُه لَهُ. وَأَمَّا مِنَ الْمَخْلُوقِينَ فَمِنْهُ مَحْمُود ومَذموم، فَالْمَحْمُودُ مَا كَانَ فِي جانِب الدِّين وَالْحَقّ، والمذمومُ مَا كَانَ فِي خِلافه(٦)، وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهو عليه الصلاة والسلام لا يقول، ولا يفعل في حال غضبه ورضاه إلا صدقاً وحقاً، لكن غضبه لله تعالى قد يحمله على الشدة في

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠، مادة (سب).
(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٢٦٢.
(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٩/ ٢٩٥.
(٤) شرح الزرقاني على الموطأ، ١/ ١٥٣.
(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٣٠٤.
(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٣٧٠، مادة (غضب).

أمره، وتعجيل عقوبة مخالفه، وترك ما قد أبيح له من الإغضاء عنه والصفح»[١].

٧-قوله: «**فأغلظ لهما**»: قال الفيروزأبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الغلظ: ضِدُّ الرِّقَّةِ، والفِعْلُ،...وأغلظ له في القولِ: خَشَّنَ...وبينهما غِلْظَةٌ، ومُغالَظَةٌ: عَداوَةٌ»[٢].

٨-قوله: «**لعنته**»: قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «اللعنة قطع عن الرحمة والموت قطع عن التصرف، قال القاضي عياض: وقيل: لعنته له تقتضي قصده إخراجه عن جماعة من المسلمين، ومنعهم منافِعِه، وتكثير عددهم به، كما لو قتله، وقيل: لعنُهُ يقتضى قطْعَ منافِعه الأخروية عنه، وبُعده منها بإجابته لعنته في الدنيا، فهو كمن قُتِلَ في الدنيا، وقُطعت عنه مَنافِعه فيها، وقيل: معناه: استواؤهما في التحريم»[٣].

٩-قوله: «**لمَن أصاب منك خيراً ما أصاب هذان منك خيراً**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَصَابَ الإنسانُ مِنَ الْمَالِ وَغَيْرِهِ: أَيْ: أَخَذَ وتَناول، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «يُصِيبُون مَا أَصَابَ الناسُ» أَيْ: ينالُون مَا نالُوا»[٤]، وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الكلام من السهل الممتنع، وذلك أن معناه أن هذين الرجلين ما أصابا منك خيراً، وإن كان غيرهما قد أصابه، لكن تنزيل هذا المعنى على أفراد ذلك الكلام: فيه صعوبة، ووجه التنزيل يتبيّن بالإعراب...من: موصولة في موضع رفع بالابتداء، وصلتها: أصاب، وعائدها: المضمر في أصاب، وما بعدها متعلق به، وخبره محذوف تقديره: والله لرجل أصاب منك خيراً: فائز، أو ناج، ثم نفى عن هذين الرجلين إصابة ذلك الخير، بقوله: «ما أصابه هذان»[٥].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٨/ ٧٢.
(٢) القاموس المحيط، ص ٦٩٧، مادة (غلظ).
(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ١/ ٣٩١.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٥٧، مادة (أصاب).
(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢١/ ١١٩.

١٠-قوله: «**دعا عليّ**»: الدُّعَاءِ لِلَّهِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوجه: فضربٌ مِنْهَا توحيدهُ والثناءُ عَلَيْهِ ....، وَالضَّرْبُ الثَّانِي مسأَلة اللهِ العفوَ وَالرَّحْمَةَ وَمَا يُقَرّب مِنْهُ ....، وَالضَّرْبُ الثَّالِثُ مسألة الحَظِّ مِنَ الدُّنْيا، وَيُقَالُ: دَعَوْت اللَّهَ لَهُ بخَيْرٍ وعَلَيْه بِشَرّ»[١].

١١-قوله: «**شارطت عليه ربي**» «**اشترطت**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشَّرْطُ: إِلزامُ الشَّيْءِ والتِزامُه فِي البيع وَنَحْوِهِ، وَالْجَمْعُ شُروط...وَقَدْ شَرَط لَهُ وَعَلَيْهِ كَذَا يَشْرِطُ ويَشْرُطُ شَرْطاً واشْتَرَط عَلَيْهِ ...والاشْتِراطُ: الْعَلَامَةُ الَّتِي يَجْعَلُهَا النَّاسُ بَيْنَهُمْ... وأَشْرَط فُلَانٌ نفسَه لِكَذَا وَكَذَا: أَعْلَمها لَهُ وأَعَدَّها؛ وَمِنْهُ سُمِّيَ الشُّرَطُ لأَنهم جَعَلُوا لأَنفسهم عَلَامَةً يُعْرَفُون بِهَا»[٢].

١٢-قوله: «**فاجعله له زكاة وأجرًا**» قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فاجعله له زكاة وأجراً**»، وفي رواية: «**وكفارة، ورحمة، وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة**»، على اختلاف ألفاظ الحديث، وزيادة بعضها على بعض»[٣]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: « يَحتَمِل أَن يَكُون ما ذَكَرَهُ مِن سَبّ ودُعاء غَير مَقصُود ولا مَنوِيّ ، ولَكِن جَرَى عَلَى عادَة العَرَب فِي دَعم كَلامها وصِلَة خِطابها عِند الحَرَج والتَّأكِيد لِلعَتبِ لا عَلَى نِيَّة وُقُوع ذَلِكَ ، كَقَولِهِم عَقرَى حَلقَى وتَرِبَت يَمِينك ، فَأَشفَقَ مِن مُوافَقَة أَمثالها القَدَر ، فَعاهَدَ رَبّه ورَغِبَ إِلَيهِ أَن يَجعَل ذَلِكَ القَول رَحمَة وقُربَة انتَهَى»[٤]، وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتَقَرَّبَ إِلى اللَّهِ بشيءٍ أَي: طَلَبَ بِهِ القُرْبة عِنْدَهُ تَعَالَى»[٥].

١٣-قوله: «**وزكاة**»: قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبِزَكَاءِ النّفس وطهارتها

---

(١) لسان العرب، ١٤/ ٢٥٨، مادة (دعا).
(٢) لسان العرب، ٧/ ٣٢٩، مادة (شرط).
(٣) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٨/ ٣٤.
(٤) فتح الباري، ١١/ ١٧٢.
(٥) لسان العرب، ١/ ٦٦٤، مادة (قرب).

يصير الإنسان بحيث يستحقّ في الدّنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة، وهو أن يتحرّى الإنسان ما فيه تطهيره، وذلك ينسب تارة إلى العبد لكونه مكتسباً لذلك»[١]، وقال المناوي رحمه الله: «وزكاة: أي: طهارة من الذنوب»[٢].

١٤-قوله: «**ورحمة**»: قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «الرَّحْمَةَ من الله إنعام وإفضال»[٣].

١٥-قوله: «**أجراً**»: قال الفيروزأبادي رحمه الله: «الأجر: الجزاء على العمل، كالإجارة، مثلثة، جمعه: أجور، وآجار، وأجره يأجره ويأجره: جزاه كآجره، ... والأجرة: الكراء، وائتجر: تصدق، وطلب الأجر»[٤].

١٦-قوله: «**وكفارة**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «الكفارة: الخصلة التي تمحو الذنوب، وهي المرة الواحدة من التكفير: التغطية للشيء»[٥].

١٧-قوله: «**وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» قال المناوي رحمه الله: «وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة) ولا تعاقبه بها في العقبى والمراد أسألك أن تجعله خلاف ما يراد منه بأن تجعل ما بدا مني تطهيراً ورفع درجة للمقول له ذلك»[٦].

١٨-قَوله: «**لَيسَ لَها بِأَهلٍ**»: قال الشامي الصالحي رحمه الله: «قال النووي رحمه الله: هذه الأحاديث منبهة على ما كان عليه عليه الصلاة والسلام من الشفقة على أمته، ومن الاعتناء بمصالحهم، والاحتياط لهم، والرغبة في كل ما ينفعهم، وهذه الرواية الأخيرة تبين المراد من الروايات المطلقة، وأنه يكون دعاؤه عليهم، وسبه، ولعنه، ونحو ذلك، رحمة، وكفارة، وزكاة، ونحو ذلك، إذا لم

---

(١) المفردات في غريب القرآن، ١/ ٣٨١، مادة (زكا).
(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٥٣.
(٣) المفردات في غريب القرآن/ ١/ ٣٤٧، مادة (رحم).
(٤) القاموس المحيط، ص ٤٣٦، مادة (أجر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٤ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٦١.
(٥) جامع الأصول ٤/ ٢٧٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٩٦.
(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٥٣.

يكن أهلاً للدعاء عليه، والسب، واللعن ونحوه وكان مسلماً وإلا فقد دعا ﷺ على الكفار والمنافقين، ولم يكن رحمة لهم، فإن قيل: فكيف يدعو على من ليس بأهل للدعاء عليه، أو يسبه، أو يلعنه، ونحو ذلك؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أن المراد ليس بأهل لذلك عند الله تعالى في باطن الأمر، ولكنه في الظاهر مستوجب له، فيظهر له ﷺ استحقاقه لذلك بأمارة شرعية، ويكون في باطن الأمر ليس أهلاً لذلك، وهو ﷺ مأمور بالحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر»[1]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَوله: «لَيسَ لَها بِأَهلٍ» عِندك فِي باطِن أَمره، لا عَلَى ما يَظهَر مِمّا يَقتَضِيه حاله، وجِنايَته حِين دُعائِي عَلَيهِ، فَكَأَنَّهُ يَقُول: مَن كانَ باطِن أَمره عِندك أَنَّهُ مِمَّن تَرضَى عَنهُ، فاجعَل دَعوتِي عَلَيهِ الَّتِي اقتَضاها ما ظَهَرَ لِي مِن مُقتَضَى حاله حِينَئِذٍ طَهُورًا وزَكاة، قالَ: وهَذا مَعنًى صَحِيح لا إِحالَة فِيهِ؛ لأَنَّهُ ﷺ كانَ مُتَعَبِّدًا بِالظَّواهِرِ، وحِساب النّاس فِي البَواطِن عَلَى الله انتَهَى، وهَذا مَبنِيّ عَلَى قَول مَن قالَ: إِنَّهُ كانَ يَجتَهِد فِي الأَحكام، ويحكُم بِما أَدَّى إِلَيهِ اجتِهاده، وأَمّا مَن قالَ: كانَ لا يَحكُم إِلاَّ بِالوحيِ، فَلا يَأتِي مِنهُ هَذا الجَواب»[2].

١٩-قوله: «**اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا**» قال الزبيدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اتخذت عند الله، والاتِّخاذُ افتعَالٌ من الأَخذِ ... اتَّخَذ مِن (تَخِذَ) يَتْخَذُ، اجْتمع فِيهِ التاءُ الأَصليُّ وتاءُ الافتعال فأُدْغِمَا، وهذا قولٌ حَسَنٌ، لكنِ الأَكْثَرُون على أَنّ أَصله من الأَخْذ»، وبذلك يكون معناها بمعنى اشترطت على ربي، السابقة»[3].

٢٠-قوله: «**تخلفنيه**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والخُلْفُ، بِالضَّمِّ: الِاسْمُ مِنَ

---

(١) سبل الهدى والرشاد، ١٠/ ٤٣٤.
(٢) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٧٢.
(٣) تاج العروس، ٩/ ٣٦٩، مادة (أخذ).

الإخلاف، وَهُوَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ كَالْكَذِبِ فِي الْمَاضِي، وَيُقَالُ: أَخْلَفَه مَا وَعَده وَهُوَ أَن يَقُولَ شَيْئًا وَلَا يفْعَله عَلَى الِاسْتِقْبَالِ... الإِخْلَافُ أَن لَا يَفِي بِالْعَهْدِ، وأَن يَعِدَ الرجلُ الرجلَ العِدةَ فَلَا يُنجزها... وَيُقَالُ لِلَّذِي لَا يَكَادُ يَفِي إِذَا وَعَدَ: إِنَّهُ لمِخْلَافٌ. وَفِي الْحَدِيثِ: «**إِذَا وعَدَ أَخْلَفَ**» أَي: لَمْ يفِ بِعَهْدِهِ وَلَمْ يَصْدُقْ»[١].

٢١-قوله: «**آذيته**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأَذَى: كُلُّ مَا تأَذَّيتَ بِهِ، آذَاه يُؤذِيه أَذىً وأَذَاةً وأَذِيَّةً وتَأَذَّيْت بِهِ»[٢].

٢٢-قوله: «**جلدته**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُقَالُ: جَلَدْتُهُ بالسَّيف، والسَّوط، ونَحْوه، إِذَا ضَرَبْتَه بِهِ»[٣].

٢٣-قوله: «**هيه**»: قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «هِيهِ - بِكَسْرِ الْهَاءَيْنِ بَيْنَهُمَا تَحْتَانِيَّةٌ سَاكِنَةٌ -: قَالَ النَّوَوِيُّ بَعْدَ أَنْ ضَبَطَهَا هَكَذَا: هِيَ كَلِمَةٌ تُقَالُ فِي الِاسْتِزَادَةِ»[٤].

٢٤-قوله: « **لَقَدْ كَبِرْتِ، لاَ كَبِرَ سِنُّكِ**»: قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقولها: «**لا يكبر سني**»، أو قالت: «**قرني**»: السن، والقرن بفتح القاف سواء، يقال: هو سنه، وقرنه، أي: مماثله في المولد، فكأنهما في قوله: «لا كبر سنك، ولا كبر قرنك» تقول: لا طال عمرك؛ لأنه إذا طال عمره طال عمر قرنه وسنه»[٥]، وقال صاحب المطالع: «قِرن بكسر القاف، أي: الذي يقارنك في بطش ،أو شدة، أو قتال، أو علم، فأما في السنن فقَرن -بفتح القاف- وقرين أيضًا، ومنه حديث يتيمة أم سليم: «دَعَا عَلَيَّ أَنْ لَا يَكْبَرَ قَرْنِي أَوْ سِنِّي»، والقرين: الشيطان المقرون بالإنسان لا يفارقه... فَلْيُطْلِعْ لَنَا قَرْنَهُ أي: فليظهر لنا رأسه، ولا يستخفي،

(١) لسان العرب، ٩/ ٩٤، مادة (خلف).
(٢) لسان العرب، ١٤/ ٢٧، مادة (أذى).
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٨٥، مادة (جلد).
(٤) فتح الباري لابن حجر، ١٣/ ٢٥٨.
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٨/ ٧٤.

والقرن: جانب الرأس، كنى به عن الجملة»[١].

٢٥-قوله: «**كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ، وَهِيَ أُمُّ أَنَسٍ** رضي الله عنها»: الصحابية المشهورة، والدة أنس بن مالك»[٢]، وقال الطيبي رحمه الله: «واليتيمة اسم للصغيرة التي لا أب لها»[٣].

٢٦-قوله: «**الجارية**»: قال ابن منظور رحمه الله: «الجارِيَةُ: الفَتِيَّةُ مِنَ النِّسَاءِ بيِّنةُ الجَرَايَة...وَقَوْلُهُمْ: كَانَ ذَلِكَ فِي أَيام جَرَائها، بِالْفَتْحِ، أَي صِباها»[٤].

٢٧-قوله: «**تلوث خمارها**»: قال القاضي عياض رحمه الله: «أي: تديره على رأسها»[٥]، وقال ابن الأثير رحمه الله: «تلوث خمارها: لاث العمامة على رأسه يلوثها: إذا عصبها، ولاثت المرأة الخمار: إذا شدته على وجهها»[٦].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-قال النووي رحمه الله: هذه الأحاديث مُبيِّنة لما كان عليه النبي ﷺ من الشفقة على أمته، والاعتناء بمصالحهم، والاحتياط لهم والرغبة في كل ما ينفعهم؛ فإن قيل كيف يدعو رسول الله ﷺ على من ليس هو بأهل للدعاء عليه، أو يسبه، أو يلعنه، ونحو ذلك، فالجواب ما أجاب به العلماء، ومختصره وجهان:

أحدهما: أنه في الظاهر مستوجب لهذا بأمارة شرعية، ويكون في باطن الأمر ليس أهلًا لذلك، وهو ﷺ مأمور بالحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.

الثاني: أن ما وقع ليس بمقصود، بل هو مما جرت عليه عادة العرب في وصل

---

(١) مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لابن قرقول ٥/ ٣٤٢.
(٢) تقدمت ترجمتها مع ترجمة ابنها أنس في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٧/ ٢٢٨٣.
(٤) لسان العرب، ١٤/ ١٤٣، مادة (جرى).
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٨/ ٧٥.
(٦) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، ١٠/ ٧٧٤.

كلامها بلا نية، وهذا كان يقع منه في النادر والشاذ من الأزمان، ولم يكن فاحشًا، ولا متفحشًا، ولا لعانًا، ولا منتقمًا لنفسه ﷺ(١).

٢-وعلى ما قاله الإمام النووي رحمه الله تحمل الأحاديث الآتية:

أ- قوله ﷺ ليتيمة كانت لأم سليم رضي الله عنها: «**لقد كبرت، لا كبر سنك**»(٢) فرجعت اليتيمة تبكي، فقصت على أم سليم الخبر، فذهبت إلى النبي ﷺ، فقصت عليه ما قالت اليتيمة، فضحك ﷺ، ثم قال بنحو ما قال في الحديث السابق، وأنما خافت اليتيمة أن لا يطول عمرها.

ب - قوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «**قطع الله يدك - أو يداك**»(٣)، وذلك لما دخل عليها بأسير، ثم خرج، ثم جاء يسأل عنه، فأخبرته رضي الله عنها أنه خرج لما لهت عنه، فقال لها ذلك، ثم أمر الناس أن يبحثوا عن الأسير، فوجدوه فدخل عليها وهي تقلب يديها، فقال لها: «**ما لك أجننت؟**» فقالت: دعوت علي، فأنا أقلب يدي أنظر أيهما يقطعان، فقال ﷺ بنحو ما قال.

٣-قوله ﷺ عن معاوية رضي الله عنه: «**لا أشبع الله بطنه**»(٤)، وذلك لما قال لابن عباس رضي الله عنهما، وكان صغيرًا يلعب مع الصبيان: «**ادع لي معاوية**» فذهب إليه فإذا هو يأكل، فأخبر النبي ﷺ بذلك، ثم قال له مرة ثانية: «**ادع لي معاوية**» فذهب فإذا هو يأكل فقال ﷺ ذلك.

قال النووي رحمه الله: وقد فهم الإمام مسلم رحمه الله من هذا الحديث أن معاوية

---

(١)انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ١٦/ ٣٦٧، ٣٦٨.

(٢) مسلم، برقم ٢٦٠٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسند أحمد ١٩/ ٤٢٠، برقم ١٢٤٣١، وصححه محققو المسند، وصححه العدوي في الصحيح المسند من فضائل الصحابة، ص ٥٢٧.

(٤) مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته، برقم ٢٦٩٤.

رضي الله عنه لم يكن مستحقًّا للدعاء عليه، فأدخله في هذا الباب[١].

ومعنى ذلك أن معاوية لماصار أول ملوك الإسلام، وأكثر الناس من الدخول عليه كان رضي الله عنه كلما جاءه وفد، أكرمه بالطعام، وأكل معهم، وهذه عادة طيبة، فكان هذا الدعاء دعاء له لا عليه.

وقد قال الألباني رحمه الله: وقد يطعن بعض الناس في معاوية رضي الله عنه بهذا الحديث، ولا حجة لهم؛ لأنه جاء في بعض طرقه أنه كان من كتبة الوحي رضي الله عنه، قال الحافظ ابن عساكر: وهذا الحديث أصح ما ورد في فضله رضي الله عنه[٢].

٤-قال ابن الملقن رحمه الله: «هذا الحديث يصدقه ما ذكره الله في كتابه من صفة رسول الله ﷺ في قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿رَحِيمٌ﴾[٣]وهو ﷺ، لا يسب أحدًا، ولا يؤذيه ظالمًا له، وإنما يفعل ذلك من الواجب في شريعته، وقد يدع الانتقام لنفسه؛ لما جبله الله عليه من العفو، وكرم الخلق، ومعنى هذا الحديث -والله أعلم- التأنيس للمسبوب؛ لئلا يستولي عليه الشيطان، ويقنطه، ويوقع بنفسه أنْ سيلحقه من ضرر سبه ما يحبط به عمله، إذ سبه دعاء على المسبوب، ودعاؤه مجاب، فسأل الله تعالى أن يجعل سبه للمؤمنين قربة عنده يوم القيامة، وصلاة، ورحمة، ولا يجعله نقمة، ولا عذابًا، وهذا مما خُص به، فإنه كان يسب على جهة التأديب، غير أنه لا يتجاوز، وربما كان (سبه) دعاء يستجاب له، فجعل عوضًا من ذلك دعاؤه لمن دعا عليه ليكون الفضل إليه»[٤].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦/٣٧١.
(٢) انظر: السلسلة الصحيحة، برقم ٨٢.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.
(٤)التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٩/ ٢٩٥.

٥-وذكر الحافظ الزين العراقي رحمه الله: «... أنه ﷺ إنما يغضب لما يرى من المغضوب عليه من مخالفة الشرع، فغضبه لله لا لنفسه، فإنه ما كان يغضب لنفسه، ولا ينتقم لها، وقد قررنا في الأصول أن الظاهر من غضبه تحريم الفعل المغضوب من أجله، وعلى هذا فيجوز له أن يؤدب المخالف باللعن، والسبّ، والجلد، والدعاء عليه بالمكروه؛ وذلك بحسب مخالفة المخالف، غير أن ذلك المخالف قد يكون ما صدر منه فلتة، أوجبتها غفلة، أو غلبة نفس، أو شيطان، وله فيما بينه وبين الله عمل خالص، وحال صادق، يدفع الله عنه بسبب ذلك أثر ما صدر عن النبي ﷺ له من ذلك القول، أو الفعل، قال القاضي عياض رحمه الله: وقد يكون قوله هذا، ودعاء ربه إشفاقاً على المدعو عليه، وتأنيساً له لئلا يلحقه من الخوف، والحذر من ذلك، ومن تقبل دعائه ما يحمله على اليأس، والقنوط، وقد تكون سؤالاته لربه فيمن جلده، وسبه بوجه حق، وعقاب على جرم، أن يكون ذلك عقوبة في الدنيا، وكفارة لما فعله، وتحصناً له عن عقابه عليه في الآخرة، كما في الحديث الآخر، «**ومن أصاب شيئاً فعوقب به كان له كفارة**»[1].

٦-وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قَوله: «**وأَغضَب كَما يَغضَب البَشَر؟**» فَإِنَّ هَذا يُشِير إِلَى أَنَّ تِلكَ الدَّعوة وقَعَت بِحُكمِ سَورَة الغَضَب، لا أَنَّها عَلَى مُقتَضَى الشَّرع، فَيَعُود السُّؤال، فالجَواب أَنَّهُ يَحتَمِل أَنَّهُ أَرادَ أَنَّ دَعوته عَلَيهِ، أَو سَبّه، أَو جَلده، كانَ مِمّا خُيِّرَ بَين فِعله لَهُ عُقُوبَة لِلجانِي، أَو تَركه، والزَّجر لَهُ بِما سِوى ذَلِكَ، فَيَكُون الغَضَب لِلَّهِ تَعالَى بَعَثَهُ عَلَى لَعنه، أَو جَلده، ولا يَكُون ذَلِكَ خارِجًا عَن شَرعه، قالَ: ويَحتَمِل أَن يَكُون ذَلِكَ خَرَجَ مَخرَج الإِشفاق، وتَعلِيم أُمَّته الخَوف مِن تَعَدِّي حُدُود الله، فَكَأَنَّهُ أَظهَرَ الإِشفاق مِن أَن يَكُون

(١) طرح التثريب في شرح التقريب، ٨/ ١٢، والحديث أخرجه البخاري، برقم ١٨، ومسلم، برقم ١٧٠٩.

الغَضَب يَحمِلهُ عَلَى زِيادَة فِي عُقُوبَة الجانِي، لَولا الغَضَب ما وقَعَت، أَو إِشفاقًا مِن أَن يَكُون الغَضَب يَحمِلهُ عَلَى زِيادَة يَسِيرَة فِي عُقُوبَة الجانِي، لَولا الغَضَب ما زادَت، ويَكُون مِنَ الصَّغائِر عَلَى قَول مَن يُجَوِّزها، أَو يَكُون الزَّجر يَحصُل بِدُونِها، ويَحتَمِل أَن يَكُون اللَّعن والسَّبّ يَقَع مِنهُ مِن غَير قَصد إِلَيهِ، فَلا يَكُون فِي ذَلِكَ كاللَّعنَةِ الواقِعَة رَغبَة إِلَى الله، وطَلَبًا لِلاستِجابَةِ»[1].

***

(١) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٧٢.

١١٣ - ما يَقُولُ المُسْلِمُ إذَا مَدَحَ المُسْلِمَ

٢٣١-قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُم مَادِحاً صَاحِبَهُ لاَ مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلاَناً وَاللهُ حَسِيبُهُ، وَلاَ أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَداً، أَحْسِبُهُ - إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَاكَ - كَذَا وَكَذَا»(١).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٠٣-لفظ مسلم عن أبي بَكْرَةَ ﷺ(٢)، قَالَ: مَدَحَ رَجُلٌ رَجُلاً، عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَقَالَ: **«وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ»** مِرَارًا **«إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا صَاحِبَهُ لاَ مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلاَنًا، وَاللهُ حَسِيبُهُ، وَلاَ أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَاكَ، كَذَا وَكَذَا»**(٣).

٩٠٤-وفي لفظٍ آخر لمسلم عن أَبِي بَكْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنْ رَجُلٍ، بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَفْضَلُ مِنْهُ فِي كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ»** مِرَارًا يَقُولُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ، لاَ مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلاَنًا، إِنْ كَانَ يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ، وَلاَ أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا»**(٤).

---

(١) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، وخيف من فتنة الممدوح، برقم ٣٠٠٠، ورقم ٣٠٠١، وفي البخاري، كتاب الشهادات، باب إذا زكى رجل رجلاً كفاه، برقم ٢٦٦٢، وباب ما يكره من الإطناب في المدح، وليقل ما يعلم، برقم ٢٦٦٣.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٢١ من أحاديث الشرح.

(٣) رواه مسلم، برقم ٦٥- (٣٠٠٠)، وبنحوه في البخاري، برقم ٢٦٦٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) رواه مسلم، برقم ٦٦- (٣٠٠٠)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٩٠٥-وحديث البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه[١] قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ، وَيُطْرِيهِ فِي مَدْحِهِ، فَقَالَ: «**أَهْلَكْتُمْ - أَوْ قَطَعْتُمْ - ظَهْرَ الرَّجُلِ**»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**إذا كان أحدكم مادحاً**»: مدح: المدح هو المبالغة في الثناء، وقال ابن منظور رحمه الله:« المَدْح نقيض الهجاءِ، وهو حُسْنُ الثناءِ... ومَدَح الشاعرُ وامْتَدَح، وتَمَدَّح الرجل بما ليس عنده: تَشَبَّع، وافتخر، ويقال: فلان يَتَمَدَّحُ: إذا كان يُقَرِّظُ نفسه، ويثني عليها، والمَمادِحُ ضدّ المَقابح»[٣].

٢-قوله: «**ويثني**»: قال الفيومي رحمه الله: «وَأَثْنَيْتُ عَلَى زَيْدٍ بِالْأَلِفِ، وَالِاسْمُ الثَّنَاءُ بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ، يُقَالُ: أَثْنَيْتُ عَلَيْهِ خَيْرًا، وَبِخَيْرٍ، وَأَثْنَيْتُ عَلَيْهِ شَرًّا، وَبِشَرٍّ؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى، وَصَفْتُهُ هَكَذَا»[٤].

٣-قوله: «**ويطريه**»: قال الفيومي رحمه الله: «أَطْرَيْتُ فُلَانًا: مَدَحْتُهُ بِأَحْسَنِ مَا فِيهِ، وَقِيلَ: بَالَغْتُ فِي مَدْحِهِ، وَجَاوَزْتُ الْحَدَّ، ... أَطْرَأْتُهُ: مَدَحْتُهُ، وَأَطْرَيْتُهُ: أَثْنَيْتُ عَلَيْهِ»[٥].

٤-قوله: «**صاحبه**»: الصاحب: الرفيق الملازم لصاحبه، قال الرازي رحمه الله: «أَصْحَبَهُ الشَّيْءَ: جَعَلَهُ لَهُ صَاحِبًا، وَاسْتَصْحَبَهُ الْكِتَابَ وَغَيْرَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ لَازَمَ شَيْئًا فَقَدِ اسْتَصْحَبَهُ»[٦].

٥-قوله: « **ويحك**»: كلمة رحمة وتوجع، وويل كلمة عذاب، وقد تأتي موضع ويح على حسب السياق، قال الداودي: ويل، وويح، وويس: كلمات تقولها

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١ من أحاديث الشرح.
(٢) رواه البخاري، ، برقم ٢٦٦٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) لسان العرب، ٢/ ٥٨٩، مادة (مدح).
(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٨٥، مادة (ثني).
(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢/ ٣٧٢، مادة (طري).
(٦) مختار الصحاح، ص ١٧٣، مادة (صحب).

العرب عند الذم[١]، وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويحَكَ: بَدَلَ ويلَكَ، قالَ الهَرَوِيّ: ويل، يُقالُ لِمَن وقَعَ فِي هَلَكَة يَستَحِقُّها، وويح لِمَن وقَعَ فِي هَلَكَة لا يَستَحِقُّها»[٢].

٦-قوله: «**أهلكتم**»: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَلَكَ: الْهَاءُ وَاللَّامُ وَالْكَافُ: يَدُلُّ عَلَى كَسْرٍ، وَسُقُوطٍ، مِنْهُ: الْهَلَاكُ: السُّقُوطُ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ لِلْمَيِّتِ: هَلَكَ»[٣].

٧-قوله: «**قطعت عنق صاحبك**»: أي: أهلكتموه بقولكم هذا، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «قطعت عنق صاحبك: أي: أهلكته بالإطراء، والمدح الزائد، وتعظيمك شأنه عند نفسه، فإنه يعجب بنفسه، فيهلك، كأنك قد قطعت عنقه»[٤]، وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: « ومعنى قطع العنق هنا، وقطع الظهر: الهلاك، وأصله القتل، وهذا استعارة له من ذلك بهلاكه من جهة الدين، وربما كان من جهة الدنيا أيضاً، وما يسببه عليه عجبه»[٥].

٨-قوله: «**والله حسيبه**»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: « الله حسيبه: يعني: محاسبه على عمله الذي يحيط بحقيقة حاله، ويعلم سره، وهي جملة اعتراضية»[٦]، وقال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: « أي: أعلم بحقيقة أمره»[٧]، وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: محاسبه على أعماله؛ فإن شاء عاقبه بذنوبه»[٨]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: « قَوله: «والله حَسِيبه» بِفَتحِ أَوَّله، وكَسر ثانِيه، وبَعد التَّحتانِيَّة السّاكِنَة مُوحَّدَة، أَي:

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر، ١٠/ ٥٥٤، ٦٤٦.
(٢) فتح الباري، لابن حجر، ٣/ ٥٣٨.
(٣) مقاييس اللغة، ٦/ ٦٢، مادة (هلك).
(٤) جامع الأصول، ١١/ ٥٢.
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٨/ ٥٥٠.
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠/ ٣١١٧.
(٧) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٨/ ٥٧٦.
(٨) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٣٢٣.

كافِيهِ، ويَحتَمِل أَن يَكُون هُنا فَعِيل مِنَ الحِساب، أَي: مُحاسَبَه عَلَى عَمَله الَّذِي يَعلَم حَقِيقَته، وهِيَ جُملَة اعتِراضِيَّة»[١].

٩-قوله: «**ولا أزكي على الله أحدًا**»: أي: لا أقطع على ذلك يقينًا؛ لأن ذلك من الغيب؛ لقوله تعالى: ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾[٢]، وقال الطيبي رحمه الله: «ولا يزكي على الله أحداً: منعٌ له عن الجزم، وهو عطف على قوله: «فليقل»، أي: من كان منكم مادحاً فليقل: أحسب فلاناً كذا إن كان يرى أنه كذلك، ولا يجزم بالمدح، ولا يزكي على الله أحداً بالجزم بمدحه»[٣]. وقال ابن حجر رحمه الله: «بِهَمزَةٍ بَدَل التَّحتانِيَّة، أَي: لا أَقطَع عَلَى عاقِبَة أَحَد، ولا عَلَى ما فِي ضَمِيره؛ لِكَونِ ذَلِكَ مُغَيَّبًا عَنهُ، وجِيءَ بِذَلِكَ بِلَفظِ الخَبَر، ومَعناهُ النَّهي، أَي: لا تُزَكُّوا أَحَدًا عَلَى الله؛ لأَنَّهُ أَعلَم بِكُم مِنكُم»[٤].

١٠-وقوله: «**إن كان يرى**»: قال الطيبي رحمه الله: «الجملة الشرطية وقعت حالاً من فاعل «فليقل»، و«على» في «على الله» فيه معنى الوجوب والقطع، المعنى: فليقل: أحسب أن فلاناً كيت وكيت، والله يعلم سره فيما فعل، وهو يجازيه إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ولا يقل: أتيقن أنه محسن، والله شاهد عليه على الجزم والقطع»[٥].

١١-قوله: «**لا محالة**»: أي: لابد له من ذلك، قال ابن الملقن رحمه الله: «وقوله: لا محالة: هو بفتح الميم أي: لا بد منه»[٦].

---

(١) فتح الباري، لابن حجر، ١٠/ ٤٧٧.
(٢) سورة النجم، الآية: ٣٢.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠/ ٣١١٧.
(٤) فتح الباري، لابن حجر، ١٠/ ٤٧٧.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠/ ٣١١٧.
(٦) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٨/ ٥٧٦.

١٢-قولـه: «**أحسـبه**»: أي: أظنـه هكـذا، قـال الحـافظ ابـن حجـر رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمَعنَى فَليَقُل: أَحسِب أَنَّ فُلانًا كَذا، إِن كانَ يُحسَب ذَلِكَ مِنهُ، واللَّه يَعلَم سِرّه؛ لأَنَّهُ هُو الَّذِي يُجازِيه، ولا يَقُل: أَتَيَقَّن، ولا أَتَحَقَّق جازِمًا بِذَلِكَ»[(١)].

١٣-قوله: «**قطعتم ظهر الرجل**»: قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: « قطعتم ظهر الرجل إلى تأذيه في دينه فجعله كقطع ظهره»[(٢)]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَو قَطَعتُم، ظَهر الرَّجُل، كَذا فِيهِ بِالشَّكِّ، وكَذا لِمُسلِمٍ... «**قَطَعت عُنُق صاحِبك**» وهُما بِمَعنًى، والمُراد بِكُلٍّ مِنهُما الهَلاك؛ لأَنَّ مَن يُقطَع عُنُقه يُقتَل، ومَن يُقطَع ظَهره يَهلَك»[(٣)].

١٤-قوله: «**إن كان يعلم ذاك كذا وكذا**»: قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ابن السيِّد البطليوسي : كذا وكذا : كناية عن الأعداد المعطوف بعضها على بعض؛ من أحد وعشرين إلى تسعة وتسعين، والمميز بعد هذه الأعداد حقه أن ينصب»[(٤)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-النهي عن أن يمدح المسلم أخاه في وجهه، فيما يتعلق بالأمور الدينية: كحسن صلاة، أو بذل مالٍ، أو صيام نافلة، أو نحو ذلك؛ لأن في هذا هلاك للممدوح، فقد يجره هذا إلى العجب، والكبر، ولذلك جاء في الحديث: «**قطعتم ظهر الرجل**»[(٥)] أي: قتلتموه بقولكم هذا.

٢-بعض الناس يُلَبِّس عليهم الشيطان أعمالهم فيمدحون بالباطل وقد كره السلف ذلك، ولذلك قال النبي ﷺ: «**إذا رأيتم المداحين فاحثوا في**

---

(١) فتح الباري، لابن حجر، ١٠/ ٤٧٧.
(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٢٦٧.
(٣) فتح الباري، لابن حجر، ١٠/ ٤٧٧.
(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٤٠.
(٥) البخاري، برقم ٢٦٦٣، ومسلم، برقم ٣٠٠١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وجوههم التراب»[(١)] وقال ﷺ: «**إياكم والتمادح، فإنه الذبح**»[(٢)].

٣-الذي يجوز مدحه هو من جاء التنصيص عليه؛ لأنه قد أمنت عليه الفتنة، وعلى هذا تحمل أحاديث مدح النبي ﷺ لأصحابه، فمن ذلك قول النبي ﷺ عن أبي بكر رضي الله عنه: «**إنَّ مِنْ أمَنِّ الناسِ عليَّ في صحبته وماله أبو بكر**»[(٣)]، وهكذا ما جاء في مدح بقيتهم رضي الله عنهم.

٤-قول هذا الدعاء الذي أرشدنا إليه النبي ﷺ أمان لصاحبه من التقول على الله بغير علم؛ فإن السرائر، والخواتيم لا يعلم بها إلا من بيده مقاليد كل شيء، وهو بكل شيء عليم، وانظر كيف ربَّى الرسول ﷺ أصحابه لما بالغوا في مدحه، وهو من هو؟ قال لهم: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله**»[(٤)].

٥-قال القاضي عياض رحمه الله: «قول النبي ﷺ: «**قطعت عنق أخيك**»: قال أهل العلم: هذا كله في التفاوت في المدح، ووصف الإنسان مما ليس فيه، أو لمن يخشى عليه العجب، والفساد بسماع المدح، وإلا فقد مدح ﷺ، ومدح بحضرته غيره بالنظم والنثر، فلم ينكر، بل قد حض كعب بن زهير..وفي الحديث أنه كان ﷺ لا يقبل الثناء إلا من مكافئ، أي: من مقتصد فى المدح على أحد التأويلات، احتج أيضاً لهذا بقوله: «**لا تطروني كما**

---

(١) مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، وخيف منه فتنة على الممدوح، برقم ٣٠٠٢.

(٢)أخرجه أحمد، ٢٨/ ٥٢، برقم ١٦٨٣٧، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب المدح، برقم ٣٧٤٣، وصححه محققو المسند، ٢٨/ ٥٣، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة، ٤/١١٩: «هذا إسناد حسن» وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١١٩٦.

(٣) البخاري، كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، برقم ٤٦٧.

(٤) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، برقم ٣٤٤٥.

أطرت النصارى ابن مريم»[(١)]، وأما قوله: «**إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب**»[(٢)]، فقد حمله المقداد وغيره - ممن جاء بعد - على ظاهره، وقال: خيّبوهم، ولا تعطوهم شيئاً لأجل مدحهم»[(٣)].

٦-قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قالَ ابن بَطّال: حاصِل النَّهي أَنَّ مَن أَفرَطَ فِي مَدح آخَر بِما لَيس فِيهِ، لَم يَأمَن عَلَى المَمدُوح العُجب؛ لِظَنِّهِ أَنَّهُ بِتِلكَ المَنزِلَة، فَرُبَّما ضَيَّعَ العَمَل، والازدِياد مِنَ الخَير اتِّكالاً عَلَى ما وُصِفَ بِهِ، ولِذَلِكَ تَأَوَّلَ العُلَماء فِي الحَدِيث الآخَر «**احثُوا فِي وُجُوه المَدّاحِينَ التُّراب**» أَنَّ المُراد مَن يَمدَح النّاس فِي وُجُوههم بِالباطِلِ، وقالَ عُمَر: المَدح هُو الذَّبح، قالَ: وأَمّا مَن مُدِحَ بِما فِيهِ، فَلا يَدخُل فِي النَّهي، فَقَد مُدِحَ ﷺ فِي الشِّعر، والخُطَب، والمُخاطَبَة، ولَم يَحثُ فِي وجه مادِحه تُرابًا، انتَهَى مُلَخَّصًا»[(٤)].

***

(١) البخاري، برقم ٣٤٤٥، وتقدم تخريجه في الذي قبله.
(٢) مسلم، برقم ٣٠٠٢.
(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٨/ ٥٤٩.
(٤) فتح الباري، لابن حجر، ١٠/ ٤٧٧.

١١٤ – ما يقولُ المُسْلِمُ إذا زُكِّيَ

٢٣٢-«اللَّهُمَّ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لاَ يَعْلَمُونَ، وَاجْعَلْنِي خَيْراً مِمَّا يَظُنُّونَ»[١].

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٠٦-عَنْ عَدِيِّ بْنِ أَرْطَأَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ[٢] قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا زُكِّيَ قَالَ: «**اللَّهُمَّ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لا يَعْلَمُونَ**»[٣].

٩٠٧-وعَنْ بَعْضِ السَّلَفِ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي الرَّجُلِ يُمْدَحُ فِي وَجْهِهِ، قَالَ: «التَّوْبَةُ مِنْهُ أَنْ يَقُولَ: **اللهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَاجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ**»[٤].

ثانياً: شرح مفردات الأثر:

١-قوله: «**إذا زُكِّيَ**»: أي: وصفه أحد بحميد أفعاله، وقال الفيومي رَحِمَهُ اللَّهُ: «زَكَّيْتُهُ بِالتَّثْقِيلِ نَسَبْتُهُ إِلَى الزَّكَاءِ وَهُوَ الصَّلَاحُ، وَالرَّجُلُ زَكِيٌّ، وَالْجَمْعُ أَزْكِيَاءُ»[٥].

---

(١) البخاري في الأدب المفرد، ص ٢٦٧، برقم ٧٦١، وصحح إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٨٥، مع رواية البيهقي، وهي ما بين المعقوفين من شعب الإيمان، ٢٢٨/٤ من طريق آخر.

(٢) عَدِيُّ بنُ أَرْطَاةَ الفَزَارِيُّ الدِّمَشْقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَمِيرُ البَصْرَةِ لِعُمَرَ بن عَبْدِ العَزِيْزِ رَحِمَهُ اللَّهُ حَدَّثَ عَنْ: عَمْرِو بنِ عَبَسَةَ، وَأَبِي أُمَامَةَ، وَعَنْهُ: أَبُو سَلاَّمٍ مَمْطُوْرٌ، وَبَكْرٌ المُزَنِيُّ، وَطَائِفَةٌ، مقبول من الرابعة، قُتِلَ عَدِيٌّ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَمائَةٍ. انظر ترجمته في، الطبقات الكبرى لابن سعد، ٥/ ٣٤١، وسير أعلام النبلاء، ٥/ ٥٣، ترجمة رقم ١٧، تقريب التهذيب، لابن حجر، ٣/ ١٣٤.

(٣) البخاري في الأدب المفرد، برقم ٧٦١، وصحح إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٨٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البيهقي في شعب الإيمان، ٢٢٨/٤ من طريق آخر، وصحح إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٨٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٢٥٤، مادة (زكي).

٢-قوله: «**اللهمّ لا تؤاخذني**»: أي: لا تعاقبني، وقال ابن منظور رحمه الله: «وآخَذَه بِذَنْبِهِ مُؤاخذة: عَاقَبَهُ. ...يُقَالُ: أُخِذَ فلانٌ بِذَنْبِهِ أَي: حُبِسَ، وجُوزِيَ عَلَيْهِ، وعُوقِبَ بِهِ»[(١)].

٣-قوله: «**بما يقولون**»: أي: من الثناء والمدح، أي: بسبب قولهم، قال ابن بطال رحمه الله: «وإنما قال هذا، والله أعلم؛ لئلا يغتر الرجل بكثرة المدح، ويرى أنه عند الناس بتلك المنزلة، فيترك الازدياد من الخير، ويجد الشيطان إليه سبيلاً، ويوهمه في نفسه حتى يضع التواضع لله»[(٢)].

٤-قوله: «**واغفر لي**»: أي: استرني بمحو ذنوبي مع التجاوز عن المؤاخذة ومناقشة الحساب، قال ابن منظور: «الغَفُورُ الغَفّارُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، ... وَمَعْنَاهُمَا: السَّاتِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ، يُقَالُ: اللهمَّ اغْفِرْ لَنا مَغْفرة، وغَفراً، وغُفراناً، وَإِنَّكَ أَنت الغَفُور الغَفّار، يَا أَهل المَغْفِرة، وأَصل الغَفْرِ: التَّغْطِيَةُ، وَالسَّتْرُ، غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ: أَي: سَتَرَهَا ... وَقَدْ غَفَرَه يَغْفِرُه غَفراً: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْته؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ أَي: سَتَرَهَا ... والغَفْرُ، والمَغْفِرةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ، والعفوُ عَنْهَا»[(٣)].

٥-قوله: «**ما لا يعلمون**»: أي: من الأقوال والأفعال التي لا ترضيك يا ربي، وقد سترتها علي، قال الأصمعي رحمه الله: «قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: مَا أَحْسَنُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْكَ؟ قَالَ: بَلاءُ اللهِ عِنْدِي أَحْسَنُ مِنْ مَدْحِ الْمَادِحِينَ، وَإِنْ أَحْسَنُوا وَذُنُوبِي أَكْثَرُ مِنْ ذَمِّ الذَّامِّينَ، وَإِنْ أَكْثَرُوا فَيَا أَسَفِي فِيمَا فَرَّطْتُ، وَيَا سَوْأَتِي فِيمَا قَدَّمْتُ»[(٤)]، وقال ابن

---

(١) لسان العرب، ٣/ ٤٧٣، مادة (أخذ).
(٢) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٨/ ٤٨.
(٣) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من أحاديث المتن رقم ٤٨.
(٤) شعب الإيمان، للبيهقي، ٦/ ٥٠٤.

الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال يحيى بن معاذ: العاقل لا يدعه ما ستر الله عليه من عيوبه بأن يفرح بما أظهر من محاسنه»[١].

٦-قوله: «**واجعلني خيراً مما يظنون**»: أي: مما يتوسمونه فيَّ، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأَحسَنَ بِهِ الظنَّ: نقيضُ أساءَه»[٢]، وقال الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: فالمؤمن «يَغْلِبُ عَلَى قَلْبِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ مَا أَمْكَنَ فِيهِ الْعُذْرُ، لَا يُحِبُّ زَوَالَ النِّعَمِ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْعِبَادِ، يُدَارِي جَهْلَ مَنْ عَامَلَهُ بِرِفْقِهِ، إِذَا تَعَجَّبَ مِنْ جَهْلِ غَيْرِهِ ذَكَرَ أَنَّ جَهْلَهُ أَكْثَرُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يَتَوَقَّعُ لَهُ بَائِقَةً، وَلَا يَخَافُ مِنْهُ غَائِلَةً، النَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ، وَنَفْسُهُ مِنْهُ فِي جَهْدٍ»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الأثر:

١-ما كان عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الخوف على أنفسهم من الثناء والمدح وهذا دليل على صدق إيمانهم، رغم أنهم أفضل الخلق بعد الأنبياء والرسل.

٢-من علامات التوفيق ألا يغتر العامل بكثرة عمله وإنما يتذكر ذنوبه التي سترها الله عن أعين الخلق.

٣-قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أن ذكر محاسن النفس ضربان: مذموم ومحمود: أما المذموم: فما كان للافتخار والتميز على الأقران وما أشبه ذلك، وأما المحبوب: فهو ما كان فيه مصلحة دينية كالنصح أو التعليم أو لدفع شر عن نفسه والأدلة على ذلك كثيرة – أي من القسم المحمود – منها:

قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا سيد ولد آدم**»[٤].

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٦/ ٦٠١.

(٢) لسان العرب، ١٣/ ١١٧، مادة (ظن).

(٣) أخلاق العلماء للآجري، ص ٦٥.

(٤) مسلم، كتاب الرؤيا، باب تفضيل نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على جميع الخلائق، برقم ٢٢٧٨.

وقوله ﷺ: «**أنا أعلمكم بالله وأتقاكم**»[١].

وقول عثمان رضي الله عنه لمن خرجوا عليه: «ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «**من جهز جيش العسرة، فله الجنة**»[٢].

٤-وقول ابن مسعود رضي الله عنه: «ولقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم»[٣]. ونظائر ذلك كثيرة وهي محمولة على ما ذكرنا[٤].

٥-قال فيصل بن عبد العزيز آل مبارك: «قال العلماء: وطريق الجَمْع بين الأحاديث أنْ يُقَالَ: إنْ كان المَمْدُوحُ عِنْدَهُ كَمَالُ إيمانٍ وَيَقينٍ، وَرِيَاضَةُ نَفْسٍ، وَمَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِحَيْثُ لا يَفْتَتِنُ، وَلا يَغْتَرُّ بِذَلِكَ، وَلا تَلْعَبُ بِهِ نَفْسُهُ، فَلَيْسَ بِحَرَامٍ وَلا مَكْرُوهٍ، وإنْ خِيفَ عَلَيْهِ شَيءٌ مِنْ هذِهِ الأمورِ، كُرِهَ مَدْحُهُ في وَجْهِهِ كَرَاهَةً شَديدَةً، وَعَلَى هَذا التَفصِيلِ تُنَزَّلُ الأحاديثُ المُخْتَلِفَةُ فِي ذَلكَ»[٥].

٦-حرص جمعٍ من الصحابة رضي الله عنهم على قول هذا الذكر إذا زُكِّي أحدهم.

***

(١) هذا لفظ الحاكم في المستدرك، ١/ ٦٤٧، ولفظ البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، برقم ٥٠٦٣: «أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ».

(٢) البخاري، كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضاً أو بئراً، واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين، برقم ٢٧٧٨.

(٣) البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، برقم ٥٠٠٠.

(٤) انظر: الأذكار للنووي ص ٢٨٠.

(٥) تطريز رياض الصالحين، ص ١٠٠٦.

١١٥ – كَيْفَ يُلَبِّي المُحْرِمُ فِي الحَجِّ أَوِ العُمْرَةِ

٢٣٣-«لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ، وَالنِّعْمَةَ، لَكَ وَالْمُلْكَ، لاَ شَرِيكَ لَكَ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٠٨-لفظ البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما[٢]: أَنَّ تَلْبِيَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ، وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ، لاَ شَرِيكَ لَكَ»[٣].

٩٠٩-قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَزِيدُ فِيهَا: «لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ، لَبَّيْكَ وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ»[٤].

٩١٠-عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ، إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ قَائِمَةً عِنْدَ مَسْجِدِ ذِي الْحُلَيْفَةِ، أَهَلَّ فَقَالَ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ، وَالنِّعْمَةَ، لَكَ وَالْمُلْكَ، لاَ شَرِيكَ لَكَ»[٥].

٩١١-قَالُوا: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما، يَقُولُ: هَذِهِ تَلْبِيَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ نَافِعٌ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ رضي الله عنه يَزِيدُ مَعَ هَذَا: «لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ

---

(١) البخاري، كتاب الحج، باب التلبية، برقم ١٥٤٩، ومسلم، كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها، برقم ١٩- (١١٨٤)، ورقم ٢٠-(١١٨٤)، رقم ٢١-(١١٨٤)، وباب حجة النبي ﷺ، برقم ١٢١٨.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ١٥٤٩، ومسلم، برقم ١٩- (١١٨٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ١٩-(١١٨٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) مسلم، برقم ٢٠-(١١٨٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

بِيَدَيْكَ، لَبَّيْكَ، وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ»[١].

٩١٢-وعَنْ محمد الباقر بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَسَأَلَ عَنِ الْقَوْمِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى رَأْسِي، فَنَزَعَ زِرِّي الْأَعْلَى، ثُمَّ نَزَعَ زِرِّي الْأَسْفَلَ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ ثَدْيَيَّ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ شَابٌّ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ، يَا ابْنَ أَخِي، سَلْ عَمَّا شِئْتَ، فَسَأَلْتُهُ، وَهُوَ أَعْمَى، وَحَضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ، فَقَامَ فِي نِسَاجَةٍ مُلْتَحِفًا بِهَا، كُلَّمَا وَضَعَهَا عَلَى مَنْكِبِهِ رَجَعَ طَرَفَاهَا إِلَيْهِ مِنْ صِغَرِهَا، وَرِدَاؤُهُ إِلَى جَنْبِهِ، عَلَى الْمِشْجَبِ، فَصَلَّى بِنَا، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ حَجَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: بِيَدِهِ فَعَقَدَ تِسْعًا، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ، حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: «**اغْتَسِلِي، وَاسْتَثْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي**» فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ، نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ، مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ، فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ «**لَبَّيْكَ اللهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ**» وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهَذَا الَّذِي يُهِلُّونَ بِهِ، فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ، وَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَلْبِيَتَهُ»... الحديث[٢].

---

(١) مسلم، برقم ٢٠-(١١٨٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، برقم ١٢١٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٩١٣-عَنْ خَلاَّدِ بْنِ السَّائِبِ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه[١]، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَأَمَرَنِي أَنْ آمُرَ أَصْحَابِي، أَوْ مَنْ مَعِي، أَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ، أَوْ بِالْإِهْلاَلِ**»، يُرِيدُ أَحَدَهُمَا[٢].

٩١٤-ولفظ أحمد عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَرَنِي جِبْرِيلُ بِرَفْعِ الصَّوْتِ فِي الْإِهْلَالِ، فَإِنَّهُ مِنْ شِعَارِ الْحَجِّ**»[٣].

٩١٥-عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه[٤]، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ مُلَبٍّ يُلَبِّي إِلَّا لَبَّى مَا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ**[٥]**، حَتَّى تَنْقَطِعَ الْأَرْضُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا**»[٦].

٩١٦-عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الحَجِّ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**العَجُّ وَالثَّجُّ**»[٧]، قَالَ وَكِيعٌ: يَعْنِي بِالْعَجِّ: الْعَجِيجَ بِالتَّلْبِيَةِ، وَالثَّجُّ: نَحْرُ الْبُدْنِ.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**تلبية رسول الله**»: قال ابن عبد البر رحمه الله: «وَمَعْنَى التَّلْبِيَةِ إِجَابَةُ عِبَادِ

---

(١) خلّاد بن السائب بن خلّاد بن سويد الأنصاري، وكانت له ولأبيه صحبة. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٢/ ٤٥٢، والإصابة في تمييز الصحابة، ٢/ ٢٨٥.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، برقم ١١٩٩، والشافعي في مسنده، برقم ٧٩٤، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٠، برقم ١١٣٦.

(٣) أخرجه أحمد في مسند، برقم ١٦٥٦٧، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٠، برقم ١١٣٦.

(٤) سهل بن سعد بن مالك الخزرجي الساعدي الأنصاري، من مشاهير الصّحابة، يقال: كان اسمه حزناً، فغيّره النبيّ ﷺ، وتُوُفِّيَ النبي ﷺ وَهُوَ ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سنة، سنة إحدى وتسعين، وقد بلغ مائة سنة، وهو آخر من بقي بالمدينة من أصحاب رَسُول اللَّهِ ﷺ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٢/ ٦٦٤، الإصابة في تمييز الصحابة، ٣/ ١٦٧.

(٥) أي التراب المتلبد.

(٦) ابن ماجه، كتاب المناسك، باب التلبية، برقم ٢٩٢١، وصححه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه، ٤/ ١٥٩، والألباني في المشكاة، برقم ٢٥٥٠.

(٧) مسند الشافعي، برقم ٧٤٤، والترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء في فضل التلبية والنحر، برقم ٨٢٧، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب ما يوجب الحج، برقم ٢٨٩٦، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٥٠٠.

اللَّهِ عَجَّلَ رَبَّهُمْ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ حَجِّ بَيْتِهِ، وَالْإِقَامَةِ عَلَى طَاعَتِهِ، يُقَالُ مِنْهُ قَدْ أَلَبَّ بِالْمَكَانِ: إِذَا أَقَامَ بِهِ، ...وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ مَعْنَى التَّلْبِيَةِ إِجَابَةٌ»[(١)].

٢-قوله: «لبيك»: أي: أجيبك، ثم أجيبك قصدًا، وإخلاصًا، ومحبة إليك»، «لبيك»: أي: استجابة لندائك وامتثالًا لأمرك استجابة بعد استجابة، وإقامة على طاعتك إقامة بعد إقامة »[(٢)]، وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالتَّلْبِيَةُ فِي الْحَجِّ مِثْلُ التَّكْبِيرِ فِي الصَّلَاةِ»[(٣)].

٣-قوله: « اللَّهم لبيك»: يعني يا الله فهي منادى حذفت منها «يا» النداء وعوضت عنها بالميم، «اللهُم»: «بِمَعْنَى: يَا أَلله، وَ... الْمِيمُ الْمُشَدَّدَةُ عِوَضٌ مِنْ يَا؛ لأَنهم لَمْ يَجِدُوا يَا مَعَ هَذِهِ الْمِيمِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَوَجَدُوا اسْمَ اللَّهِ مُسْتَعْمَلًا بِيَا ... »[(٤)]، وقال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا خلاف أن لفظة: (اللهمّ) معناها يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب»[(٥)].

٤-قوله: «لا شريك لك»: أي: لا معبود بحق إلا أنت فأنت واحد في ذاتك واحد في صفاتك واحد في أفعالك لا إله إلا أنت، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «لا شريك لك»: ليزول الشبه عنه، ويستقل بالملك، والحمد، والنعمة منفردًا»[(٦)].

٥-قوله: «إن الحمد»: أي: لك جميع أنواع المحامد، والحمد دعاء وثناء محض؛ لأنه متضمن للحب والثناء[(٧)]، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الحمد»: يروى

(١) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١١/ ٩٢.
(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ١/ ٣٥٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٩ من مفردات حديث المتن ٢٩.
(٣) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١١/ ٩٤.
(٤) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله).
(٥) جلاء الأفهام، ص ١٤٣، وتقدم شرح المفردة مستوفى في المفردة رقم ٦ من الحديث رقم ١ من أحاديث المتن.
(٦) الشافي في شرح مسند الشافعي، ٣/ ٤٢٧.
(٧) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٥/١٩.

بكسر الهمزة وفتحها، وهما مشهوران عند أهل الحديث، قال الخطابي: الفتح رواية العامة، وقال: ثعلب: الكسر أجود؛ لأن معناه أن الحمد والنعمة لك على كل حال، ومعنى الفتح لبيك؛ لذلك السبب»[١].

٦-قوله: «**والنعمة**»: أي: لا نعمة على الخلق جميعهم ظاهرة وباطنة إلا منك وحدك، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: « والنعمة -بكسر النون-: الإحسان والعطاء، يريد أن النعمة منك والحمد لك، فأنت مالك السبب والمسبب، فسبب الحمد النعمة، والحمد مسبب عنها، وإذا كان السبب لك فالمسبب أولى أن يكون لك»[٢].

٧-قوله: «**لك والملك**»: أي: أنت مالكه ومتصرف فيه على وفق إرادتك وحدك، والمعنى: أن لله مطلق الملك؛ ملك الذوات والأعيان، وملك التصرف والأفعال، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: «**والملك**» بعد الحمد والنعمة، يريد تعميم أسباب الطاعة، وإيضاح وجوه الانقياد، والعبادة، فإن الملك الذي هو الحاوي جميع الموجودات لك، وبذلك يتمخض الإخلاص في العبودية، والإجابة»[٣].

٨-قوله: «**وسعديك**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: « وسعديك: حكمها حكم لبيك، يريد إسعادًا بعد إسعاد»[٤]، وقال الحافظ الزين العراقي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَوْلُهُ: «وَسَعْدَيْكَ»: قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: إعْرَابُهَا، وَتَثْنِيَتُهَا كَمَا سَبَقَ فِي لَبَّيْكَ، وَمَعْنَاهُ مُسَاعِدَةً لِطَاعَتِك بَعْدَ مُسَاعِدَةٍ، وَقَالَ الْمَازِرِيُّ: وَقِيلَ مَعْنَاهُ: أَسْعِدْنَا سَعَادَةً بَعْدَ سَعَادَةٍ، وَإِسْعَادًا بَعْدَ إسْعَادٍ، وَكَذَا قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: إنَّهُ سُؤَالٌ مِنْ اللَّهِ السَّعْدَ، وَتَأْكِيدٌ فِيهِ، وَقَالَ إبْرَاهِيمُ الْحَرْبِيُّ: لَمْ يُسْمَعْ سَعْدَيْكَ مُفْرَدًا، وَهُوَ

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٥١.
(٢) الشافي في شرح مسند الشافعي، ٣/ ٤٢٧.
(٣) الشافي في شرح مسند الشافعي، ٣/ ٤٢٧.
(٤) الشافي في شرح مسند الشافعي، ٣/ ٤٢٨.

مِنْ الْمَصَادِرِ الْمَنْصُوبَةِ بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ»[١].

٩-قوله: «**والخير في يديك**»: يريد خير الدنيا والآخرة، ليس شيء منه في يد غيرك، وفي بعض الروايات «**بيديك**» والباء فيه بمعنى في، أو هي للإلصاق، أي: أنه ملتصق بيديك، أو للتسبب إلى الخير مفعول بيديك»[٢].

١٠-وقوله: «**والرغباء إليك والعمل**»: قال القاضي عياض رحمه الله: «يُروى بفتح الراء والمدّ، وبضم الراء والقصر، ونظيره: العليا والعلياء، والنعمى والنعماء، قال القاضي: وحكي الفتح والقصر مثل سكرى، ومعناه هنا: الطلب والمسألة، أي: الرغبة إلى من بيده الخير، وهو المقصود بالعمل الحقيقي بالعبادة»[٣]، وقال ابن الأثير رحمه الله: «والرغباء -بضم الراء والقصر، وبفتح الراء والمد لغتان- بمعنى الرغبة: رغبت إليه، وفيه أرغب رغبة ورغبًا، إذا طلبت منه وسألته، ورغبت عن الشيء إذا لم تُرِدْه»[٤]، وقال الرافعي رحمه الله: «وقوله: «**والرغباء إليك**» أي: الطلب والمسألة...ويريد بقوله: «**والرغباء إليك**» أنه لما قدم في أول الحديث ذكر التلبية، التي هي دالة على الانقياد والطاعة، وقرر ثبوت النعمة له، واستحقاق الحمد عليها، وعمم بإثبات الملك له، قال: والطلب منك فالسؤال لك، لأن من كانت هذه الأشياء له، تخصصت الرغبة إليه، وتحقق العمل له»[٥].

١١-قوله: «**واستوت به ناقته**»: قال الطيبي رحمه الله: «أي: استوت ناقته قائمة ملتبسة برسول الله ﷺ»[٦].

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب، ٥/ ٩١.
(٢) الشافي في شرح مسند الشافعي، ٣/ ٤٢٨.
(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤/ ١٧٨.
(٤) الشافي في شرح مسند الشافعي، ٣/ ٤٢٨.
(٥) شرح مسند الشافعي للرافعي، ٢/ ٢٩٨.
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٥٢.

١٢-قوله: «قَامَ فِي نِسَاجَةٍ»: قال الإمام النووي ﷺ: هِيَ بِكَسْرِ النُّونِ وَتَخْفِيفِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَبِالْجِيمِ... وَوَقَعَ فِي بَعْضِ النُّسَخِ فِي سَاجَةٍ بِحَذْفِ النُّونِ... وَالسَّاجَةُ وَالسَّاجُ جَمِيعًا: ثَوْبٌ كَالطَّيْلَسَانِ وَشِبْهِهِ، قَالَ: وَرِوَايَةُ النُّونِ...وَمَعْنَاهُ ثَوْبٌ مُلَفَّقٌ... كِلَاهُمَا صَحِيحٌ، وَيَكُونُ ثَوْبًا مُلَفَّقًا عَلَى هَيْئَةِ الطَّيْلَسَانِ ... السَّاجُ وَالسَّاجَةُ الطَّيْلَسَانُ، وَجَمْعُهُ سِيجَانٌ، قَالَ: وَقِيلَ: هِيَ الْخَضِرُ مِنْهَا خَاصَّةً، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: هُوَ طَيْلَسَانٌ مُقَوَّرٌ يُنْسَجُ كَذَلِكَ، قَالَ: وَقِيلَ: هُوَ الطَّيْلَسَانُ الْحَسَنُ»[(١)].

١٣-قوله: «مسجد ذي الحليفة»: قال القاضي عياض رحمه الله: «وفيه كان ﷺ قبل إهلاله، وذو الحليفة على ستة أميال، وقيل: سبعة من المدينة، والشجرة هناك، والبيداء هناك، كله قريبٌ بعضه من بعض»[(٢)].

١٤-قوله: «فأهل»: قال القاضي عياض رحمه الله: «الإهلال: رفع الصوت بالتلبية عند الدخول في الإحرام»[(٣)]، وقال ابن عبد البر رحمه الله: «فَالْإِهْلَالُ فِي الشَّرِيعَةِ: هُوَ الْإِحْرَامُ، وَهُوَ فَرْضُ الْحَجِّ، وَهُوَ التَّلْبِيَةُ بِالْحَجِّ، أَوِ الْعُمْرَةِ، وَقَوْلُهُ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ»، وَيَنْوِي مَا شَاءَ مِنْ حَجٍّ، أَوْ عُمْرَةٍ»[(٤)].

١٥-قوله: «الْمِشْجَبِ»: قال الإمام النووي رحمه الله: «هُوَ اسْمٌ لِأَعْوَادٍ يُوضَعُ عَلَيْهَا الثِّيَابُ، وَمَتَاعُ الْبَيْتِ»[(٥)].

١٦-قوله: «يهلون بما يهلون به، ولا يرد عليهم رسول الله ﷺ شيئًا»: قال ابن الأثير رحمه الله: «يدل على جواز الزيادة في التلبية، والتلبية بما شاء الإنسان، إلا أن

(١) شرح النووي على مسلم، ٨/ ١٧١.
(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤/ ١٨١.
(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤/ ١٧٩.
(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١١/ ٩٩.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٨/ ١٧١.

تلبية رسول الله ﷺ أولى، ولا سيما وقد لزمها، ولم يزد عليها»[(١)].

١٧-قوله: «كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ»: قال الإمام النووي رحمه الله: «قَالَ الْقَاضِي: هَذَا مما يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كُلَّهُمْ أَحْرَمُوا بِالْحَجِّ؛ لِأَنَّهُ ﷺ أَحْرَمَ بِالْحَجِّ، وَهُمْ لَا يُخَالِفُونَهُ»[(٢)].

١٨-قوله: «اغْتَسِلِي، وَاسْتَثْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي»: قال الإمام النووي رحمه الله: «فِيهِ اسْتِحْبَابُ غُسْلِ الْإِحْرَامِ لِلنُّفَسَاءِ... بِالِاسْتِثْفَارِ وَهُوَ أَنْ تَشُدَّ فِي وَسَطِهَا شَيْئًا، وَتَأْخُذَ خِرْقَةً عَرِيضَةً تَجْعَلُهَا عَلَى مَحَلِّ الدَّمِ، وَتَشُدَّ طَرَفَيْهَا مِنْ قُدَّامِهَا وَمِنْ وَرَائِهَا فِي ذَلِكَ الْمَشْدُودِ فِي وَسَطِهَا، وَهُوَ شَبِيهٌ بِثَفَرِ الدَّابَّةِ - بِفَتْحِ الْفَاءِ - وَفِيهِ صِحَّةُ إِحْرَامِ النُّفَسَاءِ، وَهُوَ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ»[(٣)]، وأما الإحرام فيقول ابن الأثير رحمه الله: «والإِحْرَام: مَصْدَرُ أَحْرَمَ الرَّجُلُ يُحْرِمُ إِحْرَاماً إِذَا أهلَّ بِالْحَجِّ أَوْ بِالْعُمْرَةِ وباشَر أسْبابَهُما وشُروطَهما»[(٤)].

١٩-قوله: «بَيْدَاؤُكُمْ هَذِهِ»: قال القاضي عياض رحمه الله: «البيداء: مفازة لا شيء فيها، وبين المسجدين أرض ملساء اسمها البيداء»[(٥)]، وقال ابن عبدالبر رحمه الله: «فَإِنَّهُ أَرَادَ مَوْضِعَكُمُ الَّذِي تَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يُهِلَّ إِلَّا مِنْهُ؛ قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ مُنْكِرًا لِقَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا أَهَلَّ فِي حَجَّتِهِ حِينَ أَشْرَفَ عَلَى الْبَيْدَاءِ، وَالْبَيْدَاءُ الصَّحْرَاءُ. يُرِيدُ بَيْدَاءَ ذِي الْحُلَيْفَةِ»[(٦)].

٢٠-قوله: «والقصواء»: قال الطيبي رحمه الله: «القصواء التي قُطع طرف أذنها...

---

(١) الشافي في شرح مسند الشافعي، ٣/ ٤٣٠.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٨/ ١٧٢.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٨/ ١٧٢.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣٧٣، مادة (حرم).
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤/ ١٨١.
(٦) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١١/ ٩٩.

القصواء، والعضباء، والجذعاء اسم لناقة واحدة، كانت لرسول الله ﷺ»[(١)].

٢١-قوله: «**نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي**»: قال النووي رحمه الله: «هَكَذَا هُوَ فِي جَمِيعِ النُّسَخِ مَدِّ بَصَرِي، وَهُوَ صَحِيحٌ وَمَعْنَاهُ مُنْتَهَى بَصَرِي وَأَنْكَرَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ مَدِّ بَصَرِي وَقَالَ: الصَّوَابُ مَدَى بَصَرِي، وَلَيْسَ هُوَ بِمُنْكَرٍ، بَلْ هُمَا لُغَتَانِ الْمَدُّ أَشْهَرُ»[(٢)].

٢٢-قوله: «**وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ**»: قال النووي رحمه الله: «مَعْنَاهُ الْحَثُّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِمَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ فِعْلِهِ فِي حَجَّتِهِ تِلْكَ»[(٣)].

٢٣-قوله: «**أهوى بيده**»: قال القاضي عياض رحمه الله: « أهوى بيده، وأهوى يده للشيء: تناوله، وقال صاحب الأفعال: هوى إليه بالسيف، وأهوى: أماله إليه، ومنه: فأهويت نحو الصوت أي: ملت»[(٤)].

٢٤-قوله: « **نَزَعَ زِرّي**»: قال ابن الأثير رحمه الله: « النَّزْعِ: الجَذْب والقَلْع. وَمِنْهُ نَزْعُ الميّتِ رُوحَه، ونَزَعَ القوسَ، إذَا جَذَبها»[(٥)]، وقال عن الزر: «الزِّرُّ: وَاحِدُ الْأَزْرَارِ الَّتِي تُشَدّ بِهَا الكِلَلُ والسّتورُ عَلَى مَا يَكُونُ فِي حَجَلةِ العرُوس»[(٦)].

٢٥-قوله: «**ملتحفاً**»: قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «وأصله من اللحاف، وهو ما يتغطى به، يقال: ألحفته فالتحف»[(٧)].

٢٦-قوله: «**مرحباً بك يا ابن أخي، سل عما شئت، وحل إزاره بيده، وجعل كفه بين ثدييه**»: قال القاضي عياض رحمه الله: «كل هذ براً بالزائر،

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٥٨.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٨/ ١٧٣.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٨/ ١٧٤.
(٤) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ٢/ ٢٧٣.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٤١، مادة (نزع).
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٠٠، مادة (زر).
(٧) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ٣٣٣، مادة (لحف).

ويستفاد من هذا إكرام الزائر بنزع ردائه، وخلع خفيه»[(١)].

٢٧-قوله: «**وأنا يومئذ غلام شاب**»: قال القاضي عياض رحمه الله: «تنبيه أن موجب فعل جابر له ذلك، تأنيساً له لصغره، ورقةً عليه؛ إذ لا يفعل هذا بالرجال الكبار، من إدخال اليد في جيوبهم إكباراً لهم»[(٢)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-البيان الواضح بأن هذه هي تلبية النبي ﷺ لقول الراوي: إن تلبية رسول الله ﷺ ... ثم ذكرها. وخير الهدي هديه ﷺ ومما صح عنه أيضًا: «**لبيك إله الحق لبيك**»[(٣)]، ولا بأس بالزيادة مما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم.

٢-قال القاضي عياض رحمه الله: «قوله: تلقفت التلبية من رسول الله ﷺ بالفاء، قال الإمام: أي: أخذتها بسُرعةٍ، ويروى: «تلقنت» بالنون، قال القاضي: بالفاء رواية الكافة، وقد رويناها «تلقيت» بالياء من طريق السجزى، ومعانيها متقاربة»[(٤)].

٣-ألفاظ هذه التلبية في غاية المناسبة لحال من أحرم بالحج، أو العمرة؛ لأنها تضمنت الإقرار لله بالتوحيد والعبودية، وأنه المالك وحده على الحقيقة، وكذلك من أحرم جرد قصده لله، فلا يرجو إلا ربه، ولا يدعو إلا هو، أما التثنية فيراد بها مطلق التكرار لا حصره.

٤-استجابة الله لأذان إبراهيم بالحج حيث أمره بقوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[(٥)] فكان منه

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٤/ ١٤٠.
(٢) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٤/ ١٤٠.
(٣) ابن ماجه، كتاب المناسك، باب التلبية، برقم ٢٩٢٠، والدارقطني، برقم ٢٤٤٨، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢١٤٦.
(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤/ ١٧٨.
(٥) سورة الحج، الآية: ٢٧.

البلاغ ومن الله الإسماع فله الحمد والمنة.

٥-يستحب رفع الصوت بالتلبية للرجال قدر المستطاع كما تقدم.

٦-قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: كانوا في الجاهلية يلبون بهذه التلبية لكن يقولون: «لا شرك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك». قال: فمادام أنه له ومملوك فكيف يكون شريكًا؟ قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[1]، يعني هل عبيدكم يشاركونكم في الأموال التي بين أيديكم التي أعطيناكم إياها؟ والجواب: لا، إذًا فكيف نجعل لله شريكًا في عبادته وهو مملوك له[2]؟

٧-قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى الْقَوْلِ بِهَذِهِ التَّلْبِيَةِ، وَاخْتَلَفُوا فِي الزِّيَادَةِ فِيهَا، فَقَالَ مَالِكٌ: أَكْرَهُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى تَلْبِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ أَحَدُ قَوْلَي الشَّافِعِيِّ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ: أَنَّهُ لَا بَأْسَ أَنْ يُزَادَ فِيهَا مَا كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَزِيدُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَا أُحِبُّ أَنْ يَزِيدَ عَلَى تَلْبِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا شَيْئًا يُعْجِبُهُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ، وَقَالَ الثَّوْرِيُّ، وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَأَبُو ثَوْرٍ: لَا بَأْسَ بِالزِّيَادَاتِ فِي التَّلْبِيَةِ عَلَى تَلْبِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُ فِيهَا مَا شَاءَ، قَالَ أَبُو عُمَرَ: مِنْ حُجَّةِ مَنْ ذَهَبَ إِلَى هَذَا مَا رَوَاهُ الْقَطَّانُ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: أَهَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ التَّلْبِيَةَ بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: وَالنَّاسُ يَزِيدُونَ: لَبَّيْكَ ذَا الْمَعَارِجِ وَنَحْوَهُ مِنَ الْكَلَامِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَسْمَعُ فَلَا يَقُولُ لَهُمْ شَيْئًا، وَاحْتَجُّوا أَيْضًا بِأَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ يَزِيدُ فِيهَا مَا ذَكَرَهُ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ عَنْ نَافِعٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَمَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ بَعْدَ التَّلْبِيَةِ: لَبَّيْكَ ذَا النَّعْمَاءِ وَالْفَضْلِ

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٨.

(٢) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، ١٨٢/٩.

الْحَسَنِ، لَبَّيْكَ مَرْهُوبًا مِنْكَ، وَمَرْغُوبًا إِلَيْكَ، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي تَلْبِيَتِهِ: لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا. تَعَبُّدًا وَرِقًّا»[١].

٨-وقال ابن عبد البر رحمه الله أيضاً: وَمَنْ كَرِهَ الزِّيَادَةَ فِي التَّلْبِيَةِ احْتَجَّ بِأَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ أَنْكَرَ عَلَى مَنْ سَمِعَهُ يَزِيدُ فِي التَّلْبِيَةِ مَا لَمْ يَعْرِفْهُ، وَقَالَ: مَا كُنَّا نَقُولُ هَذَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ أَبُو عُمَرَ: مَنْ زَادَ فِي التَّلْبِيَةِ مَا يَجْمُلُ وَيَحْسُنُ مِنَ الذِّكْرِ فَلَا بَأْسَ، وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى تَلْبِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهُوَ أَفْضَلُ عِنْدِي»[٢].

٩-قال الرافعي رحمه الله: «والذي ذهب إليه الشافعي: أن المستحب أن يلبي تلبية رسول الله ﷺ، وهي ما رواه في هذا الحديث بغير زيادة ابن عمر، ثم قال: ولا يضيق أن يزيد عليها، وأختار أن يفرد تلبية رسول الله ﷺ لا يقصر عنها، ولا يجاوزها، إلا أن يرى شيئًا يعجبه، فيقول: لبيك إن العيش عيش الآخرة، فإنه لا يروى عنه من وجه يثبت أنه زاد غير هذا»[٣].

١٠-قال النووي رحمه الله: «فِيهَا فَوَائِدُ، مِنْهَا: أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِمَنْ وَرَدَ عَلَيْهِ زَائِرُونَ أَوْ ضِيفَانٌ وَنَحْوُهُمْ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُمْ؛ لِيُنْزِلَهُمْ مَنَازِلَهُمْ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رضي الله عنها: «**أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ**»[٤]، وَفِيهِ إِكْرَامُ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا فَعَلَ جَابِرٌ بِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَمِنْهَا

---

(١) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١١/ ٩٠.

(٢) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١١/ ٩٠.

(٣) شرح مسند الشافعي للرافعي، ٢/ ٢٩٨.

(٤) ذكره الإمام مسلم في المقدمة ١/ ٦، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، رقم ٤٨٤٢، والبيهقي في الآداب، برقم ٢٤٤، و٢٤٥، وقال العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس، ١/ ٢٢٢ بعد أن تكلم على الحديث كلاماً طويلاً، قال: «وبالجملة: فحديث عائشة حسن» وحسنه الأرناؤوط محقق سنن أبي داود، ٧/ ٢١٠، وقال الشيخ العباد في شرح سنن أبي داود: «ذكره مسلم معلقاً بهذا الصيغة (ذُكر)، ولكن معناه صحيح؛ إذ لا شك أن الناس ينزلون منازلهم، وليسوا كلهم بمنزلة واحدة، وهذا لا إشكال فيه».

اسْتِحْبَابُ قَوْلِهِ لِلزَّائِرِ وَالضَّيْفِ وَنَحْوِهِمَا مَرْحَبًا وَمِنْهَا مُلَاطَفَةُ الزَّائِرِ بِمَا يَلِيقُ بِهِ وَتَأْنِيسُهُ وَهَذَا سَبَبُ حَلِّ جَابِرٍ زِرَّيْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَوَضْعِ يَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، وَقَوْلُهُ: «وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ شَابٌّ» فِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ سَبَبَ فِعْلِ جَابِرٍ ذَلِكَ التَّأْنِيسَ لِكَوْنِهِ صَغِيرًا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَبِيرُ، فَلَا يَحْسُنُ إِدْخَالُ الْيَدِ فِي جَيْبِهِ، وَالْمَسْحُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ»[1].

***

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٨/ ١٧١.

١١٦ - التَّكْبيرُ إذَا أتَى الرُّكْنَ الأسْوَدَ

٢٣٤-«طَافَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْبَيْتِ عَلَى بَعِيرٍ كُلَّمَا أَتَى الرُّكْنَ أَشَارَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ عِنْدَهُ وَكَبَّرَ»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩١٧-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[٢]، قَالَ: «**طَافَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْبَيْتِ عَلَى بَعِيرٍ، كُلَّمَا أَتَى الرُّكْنَ أَشَارَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ كَانَ عِنْدَهُ، وَكَبَّرَ**»[٣].

٩١٨-وفي رواية أخرى للبخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «**طَافَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ عَلَى بَعِيرٍ، يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنٍ**»[٤].

٩١٩-وفي رواية لمسلم عن أبي الطُّفَيْلِ رضي الله عنه، قَالَ: «**رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، وَيَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنٍ مَعَهُ وَيُقَبِّلُ الْمِحْجَنَ**»[٥].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**طاف النبي ﷺ**»: أي: سبعة أشواط حول الكعبة وكان ذلك في حجة الوداع، قال ابن الأثير رحمه الله: «الطَّوَاف بِالْبَيْتِ»: وَهُوَ الدَّوَرَانُ حَوْلَهُ، تَقُولُ: طُفْتُ أَطُوفُ طَوْفا وطَوَافا، والجمعُ الأَطْوَاف»[٦].

---

(١) البخاري، كتاب الحج، باب التكبير عند الركن، برقم ١٦١٣.
(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.
(٣) البخاري، برقم ١٦١٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) البخاري، برقم ١٦٠٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٥) مسلم، كتاب الحج، باب جواز الطواف على بعير وغيره، واستلام الحجر بمحجن ونحوه للراكب، برقم ١٦٠٧.
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ١٤٣.

٢-قوله: «**بالبيت**»: أي: بالكعبة؛ لقوله ﷻ: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا**﴾[١].

٣-قوله: «**على بعير**»: هي ناقته القصواء كما قال جابر رضي الله عنه[٢]، قال الرافعي رحمه الله: «بيان أن النبي ﷺ طاف راكبًا، وأن الطواف راكبًا جائز، وإن كان الأفضل أن يطوف ماشيًا، بل أطلق الشافعي في (الأم) القول بكراهة الطواف راكبًا من غير عذر»[٣].

٤-قوله: «**كلما أتى الركن**»: أي: الركن اليماني الذي فيه الحجر الأسود، وليس الأسعد؛ لأن هذا من الغلو، قال الأزهري رحمه الله: «استلام الركن باليد، وإنما يستلم اليماني، ولا يقبله»[٤].

٥-قوله: «**أشار إليه**»: قال الشربيني الخطيب رحمه الله: «وَلَا يُنْدَبُ أَنْ يُشِيرَ إِلَى الْقِبْلَةِ بِالْفَمِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنْهُ، وَاحْتُرِزَ بِقَوْلِهِ: بِيَدِهِ، وَإِنْ كَانَ يُوهِمُ أَنَّهُ لَا يُشِيرُ بِمَا فِيهَا، مَعَ أَنَّهُ يُشِيرُ بِهِ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الْمَجْمُوعِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الِاسْتِلَامَ، وَالْإِشَارَةَ إِنَّمَا يَكُونَانِ بِالْيَدِ الْيُمْنَى، فَإِنْ عَجَزَ فَبِالْيُسْرَى»[٥]، وقال الدميري رحمه الله: «والمراد: اليد اليمنى، فإن قام بها مانع كقطع .. فالظاهر أنه لا يشير باليسرى كما تقدم في التشهد، ولا يشير إلى القبلة بالفم؛ لأنه لم ينقل»[٦].

٦-قوله: «**بشيء عنده**»: هو «المحجن»[٧]، وهو عصا منحنية الرأس، قال ابن الأثير رحمه الله: «وقوله: بشيء عنده: يريد بشيء كان معه على البعير وهو راكب»[٨].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.
(٢) مسلم، برقم ١٢١٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٢٣٣.
(٣) شرح مسند الشافعي، ٢/ ٣٣٥.
(٤) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، ص ١٢٠.
(٥) مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، ١/ ٤٨٨.
(٦) النجم الوهاج في شرح المنهاج، ٣/ ٤٨٤.
(٧) البخاري، كتاب الحج، باب استلام الركن بالمحجن، برقم ١٦٠٧.
(٨) الشافي في شرح مسند الشافعي، ٣/ ٤٨٨.

٧-قوله: «وكبر»: أي: قال الله أكبر، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: «وكبر» يريد قوله: الله أكبر، فإن التكبير مستحب عند الابتداء»[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية التكبير عند بداية الطواف بالبيت، ومحله عند محاذاة الحجر الأسود، وتكرير ذلك عند بداية كل شوط من الأشواط السبعة.

٢-من استطاع استلام الحجر الأسود فليفعل، وليقبله؛ لفعل النبي ﷺ ذلك؛ ومن لم يستطع استلمه بيده، وقبل يده، ومن لم يتيسر له ذلك استلمه بشيء، وقبَّل ذلك الشيء «**محجن أو غيره**»؛ فإن عجز عن ذلك، أشار إليه بيمناه مكبرًا، ولا يقبل يده بعد الإشارة بها؛ لعدم وجود الدليل على ذلك، وتكون الإشارة باليد اليمنى فقط، وليس كهيئة المصلي.

٣-وجوب اعتقاد أن تقبيل الحجر أمر تعبدي محض؛ لقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك»[٢]، وفي رواية: «وَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، وَأَنَّكَ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ»[٣].

٤-كان طواف النبي ﷺ في حجة الوداع على البعير؛ لحكمة بينها جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قوله: لأن يراه الناس، وليسألوه، يقول جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فإن الناس غشوه[٤]، أي: ازدحموا عليه ليسألوه ﷺ، ويفهم من هذا أن الأصل هو الطواف ماشيًا إلا لعلة من مرض أو نحوه؛ لقول أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا شكوت إلى رسول الله ﷺ

---

(١) الشافي في شرح مسند الشافعي، ٣/ ٤٨٨.
(٢) البخاري، كتاب الحج، باب تقبيل الحجر، برقم ١٦١٠.
(٣) مسلم، كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، برقم ١٢٧٠
(٤) مسلم، كتاب الحج، باب جواز الطواف على بعير وغيره، واستلام الحجر بمحجن ونحوه للراكب، برقم ١٢٧٣.

أني أشتكي فقال: «**طوفي من وراء البيت وأنت راكبة**»(١)، أما من قال: إن طوافه ﷺ على راحلته كان لمرض، فيحتاج إلى دليل(٢).

٥-ذكر النووي رحمه الله أن للبيت أربعة أركان: الركن الأسود، والركن اليماني، ويقال لهما اليمانيان على سبيل التغليب، كما يقال للشمس والقمر القمران، وأما الركنان الآخران فيقال لهما: الشاميان، فالركن الأسود فيه فضيلتان: إحداهما كونه على قواعد إبراهيم، والثانية: كونه فيه الحجر الأسود، وأما اليماني ففيه فضيلة واحدة، وهي كونه على قواعد إبراهيم، وأما الركنان الآخران، فليس فيهما شيء من هاتين الفضيلتين، فلهذا خص الحجر الأسود بشيئين: الاستلام، والتقبيل، واليماني يُستلم ولا يُقبل، فله فضيلة واحدة، وأما الركنان الآخران فلا يقبلان، ولا يستلمان(٣).

٦-صح في فضل الحجر الأسود أحاديث، منها:

أ – قول النبي ﷺ: «**ليأتين هذا الحجر يوم القيامة وله عينان يبصر بهما ولسان ينطق به ويشهد على من يستلمه بحق**»(٤).

ب – قوله ﷺ: «**نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن فسودته خطايا بني آدم**»(٥).

---

(١) البخاري، كتاب الحج، باب المريض يطوف راكباً، برقم ١٦٣٣.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب المناسك، باب الطواف الواجب، برقم ١٨٨١، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود، برقم ٣٢٧، وصححه لغيره الأرناؤوط في تحقيق سنن أبي داود، ٣/ ٢٦٦، والحافظ ابن حجر في فتح الباري حيث استشهد به، ١/ ٥٥٧.

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٩/ ٧٧.

(٤) مسند أحمد، ٤/ ٩١، برقم ٢٢١٥، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب استلام الحجر، برقم ٢٩٤٤، والترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء في الكلام في الطواف، برقم ٩٦١، وصححه محققو المسند، والألباني في تخريج المشكاة، برقم ٢٥٧٨.

(٥) الترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء في فضل الحجر الأسود والركن والمقام، برقم ٨٧٧، والضياء =

٧-وقد تعرض الحجر للقلع من مكانه مرة واحدة عام ٣١٧ هـ على أيدي القرامطة -إحدى فرق الباطنية- وقتلوا جمعًا غفيرًا من الحجيج ورموهم في بئر زمزم وقد حذر منهم -قبحهم الله- شيخ الإسلام ابن تيمية وبين فساد معتقداتهم[١].

٨-قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال ابن بطال: التكبير عند الركن دون استلام لا يُفعل اختيارًا، وإنما يفعل؛ لعذر مرض أو زحام الناس عند الحجر»[٢].

٩-قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: «واختلفوا في الطواف راكبًا أو محمولاً، فقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: لا أحب لمن أطاق الطواف ماشيًا أن يركب، فإن طاف راكبًا أو محمولاً من عذر أو غيره، فلا دم عليه، واحتج بحديث ابن عباس هذا أن النبي ﷺ طاف على راحلته، وبما رواه ابن جريج عن أبي الزبير، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **«أن النبي ﷺ طاف في حجة الوداع بالبيت، وبين الصفا والمروة على راحلته؛ ليراه الناس، وليشرف لهم وليسألوه؛ لأن الناس غَشَوْهُ»**[٣]، وذهب مالك والليث وأبو حنيفة إلى أن من طاف بالبيت راكبًا أو محمولا فإن كان من عذر أجزأه ، وإن كان من غير عذر فعليه أن يعيد إن كان بمكة ، وإن رجع إلى بلاده فعليه دم»[٤].

***

=

المقدسي في المختارة، ١٠/ ٢٦١، وفي الأحاديث المختارة للمقدسي، ١٠/ ٢٦٢: بلفظ: «أشد بياضًا من الثلج» وصححه المقدسي، والألباني في صحيح الجامع، برقم ٢٥٧٧، ورقم ٦٧٥٦.

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ٣٥/ ١٤٩.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١١/ ٣٩٢.

(٣) مسلم، برقم ١٢٧٣، وتقدم تخريجه في الفائدة رقم ٤ من هذا الحديث.

(٤) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٤/ ٢٩٣.

١١٧ – الدُّعَاءُ بَيْنَ الرُّكْنِ اليَمَانِي والحَجَرِ الأَسْوَدِ

٢٣٥- «﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾»[(١)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٢٠-لفظ أبي داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ ﷺ[(٢)]، قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾»[(٣)].

٩٢١-ولفظ أحمد والشافعي عن عَبْد اللهِ بْنِ السَّائِبِ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِيمَا بَيْنَ رُكْنِ بَنِي جُمَحَ، وَالرُّكْنِ الْأَسْوَدِ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَاعَذَابَ النَّارِ﴾»[(٤)].

---

(١) أبو داود، كتاب المناسك، باب الدعاء في الطواف، برقم ١٨٩٢، وأحمد، ٢٤/ ١١٨، برقم ١٥٣٩٨، ومسند الشافعي،٢/ ٢٥٧، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ١/٣٥٤، وقال محققو المسند، ٢٤/ ١١٩: «إسناده يحتمل التحسين» والآية رقم ٢٠١ من سورة البقرة:.

(٢) عبد الله بن السائب ﷺ؛ أبو عبد الرحمن القرشي المخزومي المكي، مقرئ مكة، وَلَهُ صُحْبَةٌ وَرِوَايَةٌ، عِدَادُهُ فِي صِغَارِ الصَّحَابَةِ، وكان أبوه شريك النبي ﷺ قبل المبعث، وقد قرأ عبد الله القرآن على أبي بن كعب، وحدث عنه وعن عمر ﷺ، وكان يسكن مكة ومات فيها في إمارة الزبير، وقام على قبره ابن عباس ﷺ يدعو له. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣/ ٩١٥، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٣٨٨، ترجمة رقم (٥٩)، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ٨٩.

(٣) أبو داود، برقم ١٨٩٢، وأحمد، ٢٤/ ١١٨، برقم ١٥٣٩٨، ومسند الشافعي،٢/ ٢٥٧، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ١/٣٥٤، وقال محققو المسند، ٢٤/ ١١٩: «إسناده يحتمل التحسين» والآية رقم ٢٠١ من سورة البقرة، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أحمد، برقم ١٥٣٩٨، ومسند الشافعي،٢/ ٢٥٧، وقال محققو المسند، ٢٤/ ١١٩: «إسناده يحتمل التحسين».

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**ما بين الركنين**»: يريد الركن اليماني والحجر الأسود[١]، قال القاري رحمه الله: «يقول ما بين الركنين أي: يدعو ويقرأ»[٢].

٢-قوله: «**ركن بني جمح**»: قال الرافعي رحمه الله: «ركن بني جمح: هو اليماني، وفي بعض روايات الحديث: «بين الركن اليماني والحجر»[٣].

٣-قوله: «**ربنا آتنا**»: أي: أعطنا، قال الراغب رحمه الله: «والإيتاء: الإعطاء»[٤].

٤-قوله: « **في الدنيا حسنة**»: أي: كل ما يسر، ولا يضر: من زوجة صالحة، وذرية صالحة، ورزق حلال، وعلم نافع، وعمل صالح، قال القاري رحمه الله: «في الدنيا حسنة أي: العلم، والعمل، أو العفو، والعافية، والرزق الحسن، أو حياة طيبة، أو القناعة، أو ذرية صالحة، وفي الآخرة حسنة أي: المغفرة والجنة والدرجة العالية، أو مرافقة الأنبياء أو الرضاء أو الرؤية أو اللقاء»[٥]، وقال العلامة السعدي رحمه الله: «والحسنة المطلوبة في الدنيا يدخل فيها كل ما يحسن وقعه عند العبد، من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة صالحة، وولد تقر به العين، وراحة، وعلم نافع، وعمل صالح، ونحو ذلك، من المطالب المحبوبة والمباحة»[٦].

٥-قوله: «**وفي الآخرة حسنة**»: أي: بالنجاة من النار وإصابة الفردوس الأعلى وكمال ذلك برؤية وجه الله الكريم، قال القاري رحمه الله: «وفي الآخرة

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن، ١١/ ٣٦٦.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٩/ ٤٩.

(٣) شرح مسند الشافعي، ٢/ ٣٣١.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، ١/ ١٢.

(٥) مرقاة المفاتيح، ٢/ ٧٩.

(٦) تفسير السعدي، ص ٩٢.

حسنة أي: المغفرة، والجنة، والدرجة العالية، أو مرافقة الأنبياء، أو الرضاء، أو الرؤية، أو اللقاء»[(١)]، وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحسنة الآخرة، هي السلامة من العقوبات، في القبر، والموقف، والنار، وحصول رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم، والقرب من الرب الرحيم، فصار هذا الدعاء، أجمع دعاء وأكمله، وأولاه بالإيثار، ولهذا كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء به، والحث عليه»[(٢)].

٦-قوله: «**وقنا**»: من الوقاية، أي: احفظنا، واصرفه عنا، قال الراغب رَحِمَهُ اللَّهُ: «الوِقَايَةُ: حفظُ الشيءِ ممّا يؤذيه ويضرّه»[(٣)]، وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: احفظنا من الشهوات، والذنوب المؤدية إلى النار»[(٤)]، وقال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقنا أي: احفظنا، عذاب النار أي: شدائد جهنم: من حرها، وزمهريرها، وسمومها، وجوعها، وعطشها، ونتنها، وضيقها، وعقاربها، وحيّاتها، وفسّر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الحسنة الأولى بالمرأة الصالحة والثانية بالحور العين، وعذاب النار بالمرأة السليطة»[(٥)].

٧-قوله: «**عذاب النار**»: أي: من حرها، وزمهريرها، وسمومها، وجوعها، وعطشها، ونتنها، وضيقها، وعقاربها، وحيّاتها[(٦)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية قول هذا الدعاء في هذا الموطن العظيم، وهو دعاء جامع

---

(١) مرقاة المفاتيح، ٢/ ٧٩.

(٢) تفسير السعدي، ص ٩٢.

(٣) المفردات في غريب القرآن، ٢/ ٨٨١، مادة (وقى).

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني، ١/ ٤٢٥.

(٥) مرقاة المفاتيح، ٢/ ٧٩.

(٦) عون المعبود، ٣/ ٢١٥.

لخيري الدنيا والآخرة.

٢-كان هذا الدعاء من أكثر ما يدعو به النبي ﷺ في الجملة[1].

٣-قال شيخ الإسلام رحمه الله: والمناسبة في ذلك أن هذا الجانب من الكعبة هو آخر الشوط وكان النبي ﷺ يختم دعاءه غالبًا بهذا الدعاء.

٤-حرص الصحابة رضي الله عنهم على نقل أفعال النبي ﷺ، وأقواله، وتقريراته في العبادة، وغيرها، وتبليغها للأمة.

***

---

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة» برقم ٦٣٨٩.

١١٨ - دُعَاءُ الوُقُوفِ عَلَى الصَّفَا والمَرْوَةِ

٢٣٦-«لَمَّا دَنَا النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» فَبَدَأَ بِالصَّفَا فَرَقِيَ عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ وَقَالَ: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذلكَ. قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ» الْحَدِيثُ. وَفِيهِ: «فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا»[١].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٢٢-... قَالَ جَابِرٌ ﷺ[٢] في حديثه عن حجة النبي ﷺ: «... حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ، اسْتَلَمَ الرُّكْنَ فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا، ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ﵇، فَقَرَأَ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[٣]، فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَكَانَ أَبِي يَقُولُ - وَلَا أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ -: كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، وَ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ

---

(١) مسلم، برقم ١٢١٨، وتقدم تخريجه في تخريج الحديث رقم ٢٣٣ من أحاديث المتن، والآية رقم ١٥٨، من سورة البقرة.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧٢ من أحاديث الشرح.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[(١)]، «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ» فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَقِيَ عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ: مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ، حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى، حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ، فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ...» الحديث[(٢)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**استلم الركن**»: قال الطيبي ﷺ: «هو افتعل من السلام: التحية، وأهل اليمن يسمون الركن الأسود (المحيا) أي: الناس يحيونه بالسلام، قيل: هو افتعل من السلام، وهي الحجارة، واحدتها سلمة بكسر اللام، يقال: استلم الحجر إذا لمسه وتناوله»[(٣)].

٢-قوله: «**فرمل ثلاثاً**»: قال النووي رحمه الله: «الرَّمَلُ: هُوَ أَسْرَعُ الْمَشْيِ مع تقارب الخطا، وَهُوَ الْخَبَبُ»[(٤)].

٣-قوله: «**كان يقرأ في الركعتين**»: قال النووي رحمه الله: «مَعْنَاهُ قَرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى بَعْدَ الْفَاتِحَةِ: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾، وَفِي الثَّانِيَةِ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾»[(٥)].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(٢) مسلم، برقم ١٢١٨، وتقدم تخريجه في تخريج الحديث رقم ٢٣٣ من أحاديث المتن.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٥٩.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٨/ ١٧٥.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٨/ ١٧٦.

٤-قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[(١)]: قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يحتمل أن يكون المراد بذلك، المقام المعروف الذي قد جعل الآن، مقابل باب الكعبة، وأن المراد بهذا، ركعتا الطواف، يستحب أن تكونا خلف مقام إبراهيم، وعليه جمهور المفسرين، ويحتمل أن يكون المقام مفرداً مضافاً، فيعم جميع مقامات إبراهيم في الحج، وهي المشاعر كلها: من الطواف، والسعي، والوقوف بعرفة، ومزدلفة ورمي الجمار والنحر، وغير ذلك من أفعال الحج، فيكون معنى قوله: ﴿مُصَلًّى﴾ أي: معبداً، أي: اقتدوا به في شعائر الحج، ولعل هذا المعنى أولى؛ لدخول المعنى الأول فيه، واحتمال اللفظ له»[(٢)].

٥- قوله: ﴿قل هو الله أحد﴾[(٣)]، ﴿قل يا أيها الكافرون﴾[(٤)]، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كذا في صحيح مسلم، وشرح السنة في إحدى الروايتين، وكان من الظاهر أن يقدم سورة الكافرين على سورة الإخلاص ترتيباً، كما في رواية المصابيح؛ ولأن البراءة عن الشرك مقدمة على إثبات التوحيد، كما في كلمة التوحيد، ولعل السر في ذلك أن سورة الإخلاص مقدمتها مسوقة لإثبات التوحيد، وساقتها لنفي الأنداد، والأضداد، والشركاء، فقدم الإثبات على النفي فيها للاهتمام بشأنه حينئذ، لاضمحلال الكفر واندراس آثاره يوم الفتح، والله أعلم»[(٥)].

٦-قوله: «لما دنا»: أي حين اقترب، قال الفيومي رَحِمَهُ اللَّهُ: « دَنَا منه، ودَنَا

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

(٢) تفسير السعدي، ص ٦٥.

(٣) سورة الإخلاص، الآية: ١.

(٤) سورة الكافرون، الآية: ١.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٥٩.

إليه قرُب، ودَانَيْتُ بين الأمرين: قاربت بينهما»[١].

٧-قوله: «**الصفا**»: في الجهة الشرقية الجنوبية، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: « الصفا: هو مبدأ السعي مقصور، وهو مكان مرتفع عند باب المسجد الحرام، وهو أنف من جبل أبي قبيس»[٢].

٨-قوله: «**والمروة**»: أنف جبل آخر مقابل الصفا من الجهة الشمالية والمسافة بينهما قرابة ٧٦٠ ذراعًا[٣]، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: « قوله: ﴿**إن الصفا والمروة**﴾ هما علمان للجبلين»[٤].

٩-قوله: «**شعائر الله**»: أي: أعلام دينه الدالة على عبادته - مفردها شعيرة، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: « و((الشعائر)) جمع شعيرة، وهي العلامة، أي: من أعلام مناسكه، ومتعبداته»[٥].

١٠-قوله: «**أبدأ بما بدأ الله به**»: أي: بالصفا إشارة إلى قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**إِنَّ الصَّفَا والْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ**﴾[٦]، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الابتداء بالصفا شرط، وعليه الجمهور»[٧]، وقال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني ابتدأ بالصفا؛ لأن الله بدأ بذكره في كلامه، فالترتيب الذكري له اعتبار في الأمر الشرعي، إما وجوبًا أو استحبابًا، وإن كانت الواو لمطلق الجمع في الآية، قال السندي: هذا يفيد أن

---

(١) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٢٠١، مادة (دنو).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات، ٣/ ١٨١.

(٣) تفسير الجزائري، ص ٨٩.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٦٠.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٦٠.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(٧) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٦٠.

بداءة الله تعالى ذكرًا تقتضي البداءة عملاً، والظاهر أنه يقتضي ندب البداءة عملاً لا وجوبًا، والوجوب فيما نحن فيه من دليل آخر»[١].

١١-قوله: «**فرقي عليه**»: أي: صعد عليه[٢]، وفيه دليل على أنه ينبغي صعود الصفا حتى يرى البيت ويستقبله إن تيسر ذلك، قال الفيومي رحمه الله: «رَقِيتُ في السلم وغيره، ورَقِيتُ السطح والجبل: علوته، ورَقَا الطائر يَرْقُو: ارتفع في طيرانه»[٣].

١٢-قوله: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾: قال السعدي رحمه الله: «أي: قل للكافرين مُعلناً ومُصرحًا»[٤].

١٣-قوله: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾: قال السعدي رحمه الله: «أي: قُلْ قولاً جازمًا به، معتقدًا له، عارفًا بمعناه، ﴿**هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له، ولا مثيل»[٥].

١٤-قوله: «**وقال: لا إله إلا الله وحده**»: قال الطيبي رحمه الله: «يحتمل أن يكون قولاً آخر غير ما سبق من التوحيد والتكبير، وأن يكون كالتفسير له والبيان، والتكبير وإن لم يكن ملفوظاً، لكن معناه مستفاد من هذا القول، و«وحده»: حال مؤكدة من «الله» ... في أحد الوجهين، ويجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً»[٦].

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٩/ ٨.

(٢) سبق شرح بقية الألفاظ في الحديث رقم (٢١٧).

(٣) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٢٣٦، مادة (رقي).

(٤) تفسير السعدي، ص ٩٣٦.

(٥) تفسير السعدي، ص ٩٣٧.

(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٦٠.

١٥-قوله: «**لا شريك له**»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «كذلك حال، أو مصدر»[(١)]، وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «لا شَرِيكَ لَهُ في العبادة، كما أنه ليس له شريك في الملك والتدبير»[(٢)].

١٦-قوله: «**وهزم الأحزاب وحده**»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «هم الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ يوم الخندق، فهزمهم الله وحده من غير قتال المسلمين، ولا سبب منهم»[(٣)]، وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: « (وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ: مَعْنَاهُ: هَزَمَهُمْ بِغَيْرِ قِتَالٍ مِنَ الْآدَمِيِّينَ، وَلَا بِسَبَبٍ مِنْ جِهَتِهِمْ، وَالْمُرَادُ بِالْأَحْزَابِ الَّذِينَ تَحَزَّبُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يوم الْخَنْدَقِ، وَكَانَ الْخَنْدَقُ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ وَقِيلَ سَنَةَ خَمْسٍ»[(٤)].

١٧-قوله: «**انصبت قدماه**»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: انحدرت في المسعى، وهذا مجاز من قولهم: صب الماء فانصب»[(٥)].

١٨-قوله: «**بطن الوادي**»: قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وهو ما بين الصفا والمروة وادٍ، وهو سوق البلد ملاصق للمسجد الحرام»[(٦)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-هذا الحديث[(٧)] بطوله هو بيان لقوله ﷺ: «**لتأخذوا مناسككم فإني لا**

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٦٠.

(٢) تفسير السعدي، ص ٢٨٢.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٦٠.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم،-٨/ ١٥٨.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٦١.

(٦) تهذيب الأسماء واللغات، ٣/ ١٨١.

(٧) أي حديث جابر الطويل، [وهو حديث المتن، تقدم تخريجه].

أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»[١].

٢-وجوب السعي بين الصفا والمروة لكل من طاف بالبيت في حج أو عمرة مع البدء بالصفا؛ لقول النبي ﷺ: «أبدأ بما بدأ الله به»[٢] وأن السعي سبعة أشواط من غير زيادة ولا نقص.

٣-السعي بين الصفا والمروة هو تعظيم لشعائر الله، وقد أمر بذلك في قوله: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[٣]، والتقوى هي طريق محبة الله، ورضوانه لمن قام بها، وهو أحد أركان الحج الأربعة مع الطواف بالبيت، والوقوف بعرفة، وقبل ذلك نية الدخول في الإحرام.

٤-رفع الحرج عن الصحابة ﷺ؛ لأنهم كانوا يتحرجون من السعي بينهما؛ لأنه كان في الجاهلية يوجد صنم على الصفا يقال له: إساف، وآخر على المروة يقال له نائلة، فجاء فعل النبي ﷺ بيانًا دامغًا لرفع هذا الحرج، كما كان يفعل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بالسعي بينهما، يقول أنس ﷺ[٤]: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا والْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾[٥][٦].

٥-قال الإمام النووي ﷺ: «وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ السَّعْيِ الشَّدِيدِ فِي بَطْنِ الْوَادِي حَتَّى يَصْعَدَ، ثُمَّ يَمْشِي بَاقِي الْمَسَافَةِ إِلَى الْمَرْوَةِ عَلَى عَادَةِ مَشْيِهِ، وَهَذَا السَّعْيُ مُسْتَحَبٌّ فِي كُلِّ مَرَّةٍ مِنَ الْمَرَّاتِ السَّبْعِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ،

---

(١) مسلم، برقم ١٢٩٧، وتقدم تخريجه.

(٢) انظر حديث المتن.

(٣) سورة الحج، الآية: ٣٢.

(٤) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا والمَرْوةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، برقم ٤٤٩٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(٦) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٧٥٣.

وَالْمَشْيُ مُسْتَحَبٌّ فِيمَا قَبْلَ الْوَادِي وَبَعْدَهُ، وَلَوْ مَشَى فِي الْجَمِيعِ، أَوْ سَعَى فِي الْجَمِيعِ أَجْزَأَهُ، وَفَاتَتْهُ الْفَضِيلَةُ، هَذَا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَمُوَافِقِيهِ، وَعَنْ مَالِكٍ فِيمَنْ تَرَكَ السَّعْيَ الشَّدِيدَ فِي مَوْضِعِهِ رِوَايَتَانِ: إِحْدَاهُمَا كَمَا ذُكِرَ، وَالثَّانِيَةُ تَجِبُ عَلَيْهِ إِعَادَتُهُ»[1].

٦-الصفا: لغة جمع صفاة، وتجمع على صفي وأصفاء، وهي الحجارة الصلبة الملساء، والمروة مفردها مرو، وهي الحجارة الصغار التي فيها لين وبيضاء.

***

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٨/ ١٧٧.

١١٩ - الدُّعَاءُ يَوْمَ عَرَفَةَ

٢٣٧-قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[(١)].

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٢٣-لفظ الترمذي عَنْ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما[(٢)] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[(٣)].

٩٢٤-ولفظ مالك عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ كَرِيزٍ[(٤)]؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «أَفْضَلُ الدُّعَاءِ، دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا، وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَحْدَهُ، لاَ شَرِيكَ لَهُ»[(٥)].

---

(١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة، برقم ٣٥٨٥، وموطأ مالك، ٣/ ٦٢٢، الدعاء للطبراني، ص ٢٧٣، برقم ٨٧٤. وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/١٨٤، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦/٤ . وحسّن العلامة الألباني رواية مالك في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٢٤٨)، برقم ١١٠٢، وفي السلسلة الصحيحة، برقم ١٥٠٣. وذكر ابن تيمية رواية الطبراني في شرح العمدة، ٣/ ٥٠٧، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٤ / ٧ ، برقم ١٥٠٣.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، برقم ٣٥٨٥، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/١٨٤، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦/٤ ، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) طلحة بن عُبيد الله بن كريز الخزاعي الكعبي: أبو المطرف التابعي: ثقة، وثقه أحمد، والنسائي، وغيرهما، روى عن ابن عمر، وأبي الدرداء، روى عنه أبو حازم الأعرج، ومحمد بن سوقة، واتفقوا على توثيقه، روى له مسلم. التاريخ الكبير للبخاري، ٤/ ٣٤٧، وتهذيب الأسماء واللغات، ١/ ٢٥٣.

(٥) موطأ مالك، ٣/ ٦٢٢، وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٢٤٨)، =

٩٢٥-ولفظ أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(١).

٩٢٦-وعند الطبراني عنْ عَلِيّ رضي الله عنه(٢) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ قَبْلِي عَشِيَّةَ عَرَفَةً لاَ إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**خير، أفضل الدعاء**»: أي: أفضله لوقوعه في أفضل أيام السنة، وقال الباجي رحمه الله: «قَوْلُهُ: أَفْضَلُ الدُّعَاءِ يَوْمَ عَرَفَةَ يَعْنِي أَكْثَرَ الذِّكْرِ بَرَكَةً وَأَعْظَمَهُ ثَوَابًا وَأَقْرَبَهُ إجَابَةً وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ الْحَاجَّ خَاصَّةً لِأَنَّ مَعْنَى دُعَاءِ يَوْمِ عَرَفَةَ فِي حَقِّهِ يَصِحُّ وَبِهِ يَخْتَصُّ وَإِنْ وَصَفَ الْيَوْمَ فِي الْجُمْلَةِ بِيَوْمِ عَرَفَةَ فَإِنَّهُ يُوصَفُ بِفِعْلِ الْحَاجِّ فِيهِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ»(٤).

٢-قوله: «**وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي**»: أي: من قبل أن يبعثني الله نبيًّا رسولًا، قال الباجي رحمه الله: « يَخُصَّ هَذَا الدُّعَاءَ بِأَنَّهُ أَفْضَلُ مَا دَعَا بِهِ هُوَ وَالنَّبِيُّونَ قَبْلَهُ يَعْنِي: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ - يَدْعُونَ بِأَفْضَلِ الدُّعَاءِ وَيَهْدُونَ إلَيْهِ فَإِذَا كَانَ أَفْضَلُ دُعَائِهِمْ فَهُوَ أَفْضَلُ الدُّعَاءِ»(٥).

=

برقم ١١٠٢، وفي السلسلة الصحيحة، برقم ١٥٠٣.

(١) مسند أحمد، ١١/ ٥٤٨، برقم ٦٩٦١، وحسنه لغيره محققو المسند.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٣) الدعاء للطبراني، برقم ٨٧٤ ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٤ / ٧ ، برقم ١٥٠٣.

(٤) المنتقى شرح الموطأ، ١/ ٣٥٨.

(٥) المنتقى شرح الموطأ، ٣/ ٧٩.

٣-قوله: «**يوم، عشية: عرفة**»: يوم عرفة هو اليوم المَشْهودُ، قال الفيروزأبادي رحمه الله: «يومُ الجُمعَة، أو يومُ القيامَةِ، أو يومُ عَرَفَةَ»(١). وقال أيضاً: «ويومُ عَرَفَةَ: التاسِعُ من ذي الحِجَّةِ، وعَرَفَاتٌ: مَوْقِفُ الحاجِّ ذلك اليَومَ، على اثْنَيْ عَشَرَ مِيلاً من مكَّةَ، وغَلِطَ الجوهرِيُّ فقال: مَوْضِعٌ بمنًى سُمِّيَتْ لأنَّ آدَمَ وحوَّاءَ تَعَارفا بها، أو لقولِ جبريل لإِبراهيمَ، عليهما السلامُ، لما عَلَّمَهُ المناسِكَ: أعَرَفْتَ؟ قال: عَرَفْتُ؛ أو لأنها مُقَدَّسَةٌ مُعَظَّمَةٌ كأنها عُرِفَتْ، أي: طُيِّبَتْ»(٢)، وأما عشية عرفة فقال الفيروزأبادي رحمه الله: «والعَشِيُّ والعَشِيَّةُ: آخِرُ النَّهارِ»(٣). وقال ياقوت الحموي رحمه الله: «عرفة وعرفات اسم لموضع واحد، ولو كان جمعاً لم يكن لمسمى واحد، ويحسن أن يقال: إن كل موضع منها اسمه عرفة، ثم جمع، ولم يتنكّر لما قلنا إنها متقاربة مجتمعة، فكأنها مع الجمع شيء واحد، وقيل: إن الاسم جمع، والمسمّى مفرد فلم يتنكر... وعرفة وعرفات واحد عند أكثر أهل العلم... وعرفة حدها من الجبل المشرف على بطن عرنة إلى جبال عرفة، وقرية عرفة: موصل النخل بعد ذلك بميلين»(٤).

٤-قوله: «**لا إله إلا الله**» قال المناوي رحمه الله: «لا إله إلا الله: من مات معتقداً لها، فهو الذي مات لا يشرك بالله شيئاً»(٥)، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «يعني: لا معبود بحق إلا الله تعالى، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله لله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود لابد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات»(٦).

٥-قوله: «**وحده لا شريك له**»، قال المناوي: «وحده: نصب على الحال،

---

(١) القاموس المحيط، ص ٢٩٢، مادة (شهد).

(٢) القاموس المحيط، ص ٨٣٦، مادة (عرف).

(٣) القاموس المحيط، ص ١٣١١، مادة (عشي).

(٤) معجم البلدان، ٤/ ١٠٤.

(٥) فيض القدير، ١/ ١٣٦.

(٦) شرح رياض الصالحين، الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١، من حديث المتن رقم ٦٧.

أي لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً، وأما الأول: فلأن وجود إلهين محال، كما تقرر في الأصول، وأما الثاني: فلقوله تعالى: ﴿أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[1]، وذلك يقتضي أن لا شريك له، وهو تأكيد لقوله: «وحده»؛ لأن المتصف بالوحدانية لا شريك له»[2].

٦-قَوْلُهُ: «**لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ**»: تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدِ، لِأَنَّ الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْجِنْسِ، فَجُعِلَ جِنْسُ الْمُلْكِ وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ، وَجَعَلَ جَمِيعَ الْحَمْدِ لِلَّهِ عَجَلَّ؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ عَلَى الْحَقِيقَةِ سِوَاهُ، وَإِنَّمَا يُحْمَدُ غَيْرُهُ لِمَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُحْمَدَ»[3].

٧-قوله: «**بيده الخير**»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «بيده الخير» أي: أن هذه الأشياء التي يطلبونها من الخير في يده، وهو على كل شيء قدير»[4] ... وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنه سبحانه الغني بذاته عمن سواه، وله الكمال المطلق في ذاته وصفاته، وأفعاله، فملكه ملك كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه على أي وجه كان ... وهو خير من وجوده على غيره»[5].

٨-قوله: «**وهو على كل شيء قدير**»: قال ابن جرير: «وهو على إحيائكم بعد مماتكم، وعقابكم على إشراككم به الأوثانَ وغير ذلك مما أراد بكم، وبغيركم قادرٌ»[6]، وقال في موضع آخر: «يقول جلّ ثناؤه: وهو على كل شيء ذو قدرة،

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) فيض القدير، ٥/ ٢٠٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢، من حديث المتن رقم ٦٧.

(٣) المنتقى، شرح الموطأ للباجي، ٣/ ٧٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣، من حديث المتن رقم ١٥٢.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٩.

(٥) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ٢٢٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١١ من مفردات حديث المتن رقم ٦٧.

(٦) تفسير الطبري، ١٥/ ٢٣٢.

لا يتعذّر عليه شيء أراده، من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من الأمور»[١]، وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كل يوم هو في شأن: يغفر ذنباً، ويفرّج كرباً، ويفكّ عانياً، وينصر مظلوماً، ويقصم ظالماً، ويرحم مسكيناً، ويغيث ملهوفاً، ويسوق الأقدار إلى مواقيتها، ويجريها على نظامها، ويقدم ما يشاء تقديمه، ويؤخر ما يشاء تأخيره، فأزمّة الأمور كلها بيده، ومدار تدبير الممالك كلها عليه، وهذا مقصود الدعوة، وزبدة الرسالة»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-بيان فضيلة الدعاء من غير إثم ولا قطيعة رحم ولا تعدٍّ ومع انتفاء موانع الإجابة في هذا اليوم المهيب وهو اليوم التاسع من ذي الحجة وذلك لما له من فضل حيث قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟**»[٣]، وهذا الدعاء مستحب للحاج وغير الحاج أن يكثر منه في هذا اليوم. قال النبي ﷺ: «**واليوم المشهود يوم عرفة**»[٤]، وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿**وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ**﴾[٥]: الشَّاهِدُ: يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ...عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: يَوْمُ الذَّبْحِ، وَيَوْمُ عَرَفَةَ، يَعْنِي الشَّاهِدَ وَالْمَشْهُودَ، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقَالَ آخَرُونَ: الْمَشْهُودُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَرَوَوْا فِي ذَلِكَ ... عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَكْثِرُوا عليَّ**

---

(١) تفسير الطبري، ٢٣/ ١٦٥.

(٢) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ٣/ ٣٤٩، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥، من حديث المتن رقم ٦٧.

(٣) مسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، برقم ١٣٤٨.

(٤) الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج مسافراً، برقم ٣٣٣٩، وبنحوه في مسند أحمد، ١٣/ ٣٥٢، برقم ٧٩٧٣، وصححه محققو المسند، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم ٣٣٣٩.

(٥) سورة البروج، الآية: ٣.

مِنَ الصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ يَوْمٌ مَشْهُودٌ، تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ»[١]، ... وَقَالَ: الْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ الشَّاهِدَ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ عَرَفَةَ»[٢].

٢-من جملة خيرية هذا اليوم أن النبي ﷺ حث على صيامه – لغير الحاج – حيث قال ﷺ في فضل صيامه أنه: «**يكفر السنة الماضية والباقية**»[٣]، والمراد بالفائتة أي التي آخرها شهر ذي الحجة أما السنة الآتية فهي التي تبدأ بشهر الله المحرم والمراد بذلك تكفير الصغائر أي: التي لا حد عليها، ولا وعيد في الآخرة.

٣-المسلم حال صومه في هذا اليوم في غير الحج، والحاج يتذكر وقوف النبي ﷺ شرقي جبل عرفة، ونزول قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً**﴾[٤] قالت اليهود لعمر رضي الله عنه: إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدًا[٥]، فله الحمد في الأولى والآخرة.

٤-بيان أن دعوة جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هي دعوة إلى توحيد الله عز وجل وإفراده وحده بالعبادة، قال الله عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[٦].

٥-على المسلم في ذلك اليوم أيضًا أن يذكر نفسه وغيره بفضائل التوحيد التي دلت عليها النصوص من الكتاب والسنة والتي منها:

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزكاة، باب من يجوز له أخذ الصدقة وهو غني، برقم ١٦٣٧ ، قال البوصيري، ٢/ ٥٩ : «هذا إسناد رجاله ثقات، إلا أنه منقطع» وقال المنذري، ٣٢٨/٢: «رواه ابن ماجه بإسناد جيد» وقال المناوي، ٨٧/٢: «قال الدميري: رجاله ثقات» وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، برقم ١١١٦.

(٢) تفسير ابن كثير، ٨/ ٣٦٥.

(٣) مسلم، كتاب الصيام، باب صوم سرر شعبان، برقم ١١٦٢.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٥) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ برقم ٤٦٠٦.

(٦) سورة النحل، الآية: ٣٦.

أ – أنه إذا كان في قلب المسلم مثقال حبة منه منعه ذلك من الخلود في النار ومن حققه بالكلية لم يدخل النار بفضل من الله وحده.

ب – أنه سبب الأمان من سوء الخاتمة والتثبيت عند الموت وعند سؤال الملكين في القبر.

جـ – أن من قال لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه فهو أسعد الناس بشفاعة رسول الله ﷺ.

د – أنه يسهل على صاحبه فعل الخيرات وترك المنكرات ويسليه عند وقوع المصائب طمعًا في رضوان الله.

هـ – حظ العبد من الخيرات والدرجات بحسب حظه من تكميل التوحيد[١].

٦-هذا الحديث فيه دليل على تفاضل الأعمال بعضها على بعض؛ لأن الأعمال تتفاضل على حسب: المكان، والزمان، والعامل، وجنس العمل، ونوعه، وكميته، وكيفيته.

فمثال المكان قول النبي ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**»[٢]، ومثال الزمان قوله: «**خير الدعاء دعاء عرفة**»[٣]، ومثال العامل قوله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»[٤]، ومثال جنس العمل قوله في الحديث القدسي: «**ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما**

(١)انظر: كتاب المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ عبد الله القصير، ص ٢٤، ٢٥.

(٢) البخاري، كتاب الأذان، باب صلاة الليل، برقم ٧٣١.

(٣) الترمذي، كتاب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة، برقم ٣٥٨٥، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/١٨٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء برفع الوباء والوجع، برقم ٦٣٧٣.

افترضه عليه»[١]، ومثال نوعه أن الصلاة أفضل من الزكاة، والزكاة أفضل من الصوم، وهكذا، ومثال كيفية العمل قوله ﷻ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[٢]، ومثال الكمية: صلاة أربع ركعات أفضل من ركعتين إلا لسبب يقتضي تفضيل الركعتين[٣].

٧-لم يثبت في الكتاب العزيز ولا في السنة الصحيحة جواز الذكر بالاسم المفرد وتكرار ذلك كقول بعض المتصوفة: «الله، الله، الله» أو قولهم: «هو، هو، هو» وهذا من تمام جهلهم بهدي النبي ﷺ لأن الذي شرع لنا الذكر بَيَّنَ لنا الكيفية في قوله. وقد زعم هؤلاء الجهال أن «لا إله إلا الله» هي ذكر العوام و«الله» للعارفين و«هو» للمحققين على حد زعمهم، وقد فند شيخ الإسلام ابن تيمية دعاوى هؤلاء بقوله: «وربما ذكر بعض المصنفين في الطريق تعظيم ذلك واستدل عليه تارة بوجد وتارة برأي، وتارة بنقل مكذوب» إلى أن قال: «فأما ذكر الاسم المفرد فلم يشرع بحال، وليس في الأدلة الشرعية ما يدل على استحبابه وكذلك بالأدلة العقلية الذوقية»[٤].

٨-قال ابن عبد البر رحمه الله: «دُعَاءَ يَوْمِ عَرَفَةَ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ، وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى فَضْلِ يَوْمِ عَرَفَةَ عَلَى غَيْرِهِ، وَفِي فَضْلِ يَوْمِ عَرَفَةَ دَلِيلٌ أَنَّ لِلْأَيَّامِ بَعْضِهَا فَضْلًا عَلَى بَعْضٍ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالتَّوْقِيفِ، وَالَّذِي أَدْرَكْنَا مِنْ ذَلِكَ بِالتَّوْقِيفِ الصَّحِيحِ فَضْلُ: يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَيَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَيَوْمِ عَرَفَةَ، وَجَاءَ فِي يَوْمِ الإِثْنَيْنِ، وَيَوْمِ الْخَمِيسِ مَا جَاءَ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا يُدْرَكُ بِقِيَاسٍ، وَلَا فِيهِ لِلنَّظَرِ مَدْخَلٌ، وَفِي الْحَدِيثِ أَيْضًا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ دُعَاءَ يَوْمِ عَرَفَةَ مُجَابٌ

---

(١) البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، برقم ٦٥٠٢.
(٢) سورة هود، الآية: ٧.
(٣) انظر: شرح ابن عثيمين لبلوغ المرام، ٨/ ٢٤٠، ٢٤١.
(٤) انظر: مجموع الفتاوى، ١٠/٥٥٦، ٥٦٥.

كُلُّهُ فِي الْأَغْلَبِ، وَفِيهِ أَيْضًا أَنَّ أَفْضَلَ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[١].

٩-وقال الإمام النووي رحمه الله: «يُستحبّ الإكثارُ من الذكر والدعاء، ويَجتهدُ في ذلك، فهذا اليوم أفضلُ أيام السنة للدعاء، وهو مُعظم الحج، ومقصودُه، والمعوّل عليه، فينبغي أن يستفرغَ الإنسانُ وُسعَه في الذكر والدعاء، وفي قراءة القرآن، وأن يدعوَ بأنواع الأدعية، ويأتي بأنواع الأذكار، ويدعو لنفسه، ويذكر في كلّ مكان، ويدعو منفرداً، ومع جماعة، ويدعو لنفسه، ووالديه، وأقاربه، ومشايخه، وأصحابه، وأصدقائه، وأحبابه، وسائر مَن أحسن إليه، وجميع المسلمين، وليحذرْ كلَّ الحذرِ من التقصير في ذلك كله، فإن هذا اليوم لا يمكن تداركه، بخلاف غيره، ولا يتكلَّفُ السجعَ في الدعاء، فإنّه يُشغل القلبَ، ويُذهبُ الانكسار، والخضوعَ، والافتقار، والمسكنة والذلّة، والخشوع، ولا بأس بأن يدعو بدعواتٍ محفوظة معه، له أو غيره، مسجوعة إذا يشتغل بتكلّف ترتيبها، ومراعاة إعرابها، والسُّنّة أن يخفضَ صوتَه بالدعاء، ويكثر من الاستغفار، والتلفّظ بالتوبة من جميع المخالفات، مع الاعتقاد بالقلب، ويلحّ في الدعاء، ويكرّره، ولا يستبطئ الإجابة، ويفتح دعاءه ويختمه بالحمد لله تعالى، والثناء عليه سبحانه وتعالى، والصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ، وليختمه بذلك، وليحرص على أن يكون مستقبلَ الكعبة وعلى طهارة»[٢].

***

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٦/ ٤١.
(٢) الأذكار للنووي، ص ١٩٨.

١٢٠ - الذِّكْرُ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الحَرَامِ

٢٣٨-«رَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ الْقَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَدَعَاهُ، وَكَبَّرَهُ، وَهَلَّلَهُ، وَوَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفاً حَتَّى أَسْفَرَ جِدّاً فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ»[(١)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٢٧-عن جابر رضي الله عنه قال: «... **ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، وَصَلَّى الْفَجْرَ، حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ، بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ، حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ، وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا، فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ...**» الحديث[(٢)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**اضطجع رسول الله ﷺ**»: «اضْطَجَع: نَامَ وَقِيلَ: اسْتَلْقى، وَوَضَعَ جَنْبَهُ بالأَرض، وأَضْجَعْتُ فُلَانًا إِذا وَضَعْتَ جَنْبَهُ بالأَرض، وضَجَعَ، وَهُوَ يَضْجَعُ نَفْسه»[(٣)].

٢-قوله: «**فإذا صلى الصبح**» قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «لم يبين متى تكون هذه الصلاة، لكن قد ثبت في السنة أن الرسول ﷺ صلاها حين تبين له الصبح، ولم يتأخر، فصلاها بغلس»[(٤)].

٣-قَوْلُهُ: «**ثُمَّ رَكِبَ**»: قال النووي رحمه الله: «فَفِيهِ أَنَّ السُّنَّةَ الرُّكُوبُ، وَأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ الْمَشْيِ»[(٥)].

---

(١) مسلم، برقم ١٢١٨، وتقدم تخريجه في تخريج الحديث رقم ٢٣٣ من أحاديث المتن.
(٢) مسلم، برقم ١٢١٨، وتقدم تخريجه في تخريج الحديث رقم ٢٣٣ من أحاديث المتن.
(٣) لسان العرب، ٨/ ٢١٩، مادة (ضجع).
(٤) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٧/ ٢٠٧.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٨/ ١٨٩.

٤-قوله: «**القصواء**»: هي لقب ناقة النبي ﷺ التي حج عليها، قال الطيبي رحمه الله: «القصواء، والعضباء، والجذعاء، اسم لناقة واحدة، كانت لرسول الله ﷺ»[(١)].

٥-قوله: «**المشعر الحرام**»: هو المكان الذي فيه المسجد الآن في مزدلفة، قال النووي رحمه الله: «الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ ... وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا قُزَحُ، ... وَهُوَ جَبَلٌ مَعْرُوفٌ فِي الْمُزْدَلِفَةِ، وَهَذَا الْحَدِيثُ حُجَّةُ الْفُقَهَاءِ فِي أَنَّ الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ هُوَ قُزَحُ، وَقَالَ جَمَاهِيرُ الْمُفَسِّرِينَ، وَأَهْلُ السِّيَرِ، وَالْحَدِيثِ: الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ جَمِيعُ الْمُزْدَلِفَةِ»[(٢)]، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وصف بالحرام؛ لأن هناك مشعراً حلالاً وهو عرفات، ففي الحج مشعران: حلال، وحرام، فالمشعر الحرام مزدلفة، والمشعر الحلال عرفة»[(٣)].

٦-قوله: «**استقبل القبلة**»: أي: جعل وجهه إلى القبلة، قال الإمام النووي رحمه الله: «قَوْلُهُ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ: يَعْنِي الْكَعْبَةَ»[(٤)].

٧-قوله: «**فدعاه**»: أي: دعا الله ﷻ، قال ابن منظور رحمه الله: «الدُّعَاءِ لِلَّهِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوجه: فضربٌ مِنْهَا توحيدهُ، والثناءُ عَلَيْهِ كَقَوْلِكَ: يَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنت، وَكَقَوْلِكَ: ربَّنا لكَ الحمدُ، إِذَا قُلْتَه فقدَ دعَوْته بِقَوْلِكَ ربَّنا، ثُمَّ أَتيتَ بِالثَّنَاءِ وَالتَّوْحِيدِ...وَالضَّرْبُ الثَّانِي مسأَلة اللهِ العفوَ وَالرَّحْمَةَ، وَمَا يُقَرِّب مِنْهُ، وَالضَّرْبُ الثَّالِثُ مسأَلة الحَظِّ مِنَ الدُّنْيَا... وَإِنَّمَا سُمِّيَ هَذَا جَمِيعُهُ دُعَاء؛ لأَن الإِنسان يُصَدِّر فِي هَذِهِ الأَشياء بِقَوْلِهِ: يَا اللَّهُ، يَا رَبُّ، يَا رحمنُ، فَلِذَلِكَ سُمِّي دُعَاءً»[(٥)].

٨-قوله: «**وكبّره**»: أي بقوله: الله أكبر، قال ابن منظور رحمه الله: «وكَبَّرَ: قَالَ:

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٥٨، وتقدم في المفردة رقم ٢٠ من حديث المتن رقم ٢٣٣.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٨/ ١٨٩.
(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٧/ ٢٠٧.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٨/ ١٨٩.
(٥) لسان العرب، ١٤/ ٢٥٧، مادة (دعا).

اللهُ أَكبر، وَالتَّكْبِيرُ: التَّعْظِيمُ»[١]، وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: أن الله سبحانه أكبر من كل كبير، وأعلى من كل رفيع»[٢].

٩-قوله: «وهلّله»: أي: بقوله لا إله إلا الله، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهَلَّلَ الرجلُ أَي: قَالَ لَا إِله إِلا اللَّهُ»[٣].

١٠-قوله: «ووحّده»: أي: قال: لا إله إلا الله وحده، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالتَّوْحِيدُ: الإِيمان بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَاللَّهُ الواحِدُ الأَحَدُ: ذُو الْوَحْدَانِيَّةِ والتوحُّدِ، وَاللَّهُ الأَوحدُ، والمُتَوَحِّدُ، وذُو الوحْدانية، وَمِنْ صِفَاتِهِ الْوَاحِدُ الأَحد»[٤].

١١-قوله: «فلم يزل واقفًا»: أي: على بعيره لقوله في نفس الحديث: «ركب حتى أتى المشعر الحرام».

١٢-قوله: « حتى أسفر جدًّا»: أي: إسفارًا بالغًا، والمعنى أنه ﷺ ظل واقفًا حتى تبين ضوء الصبح، ورأى الناس بعضهم بعضًا، والشمس لم تشرق بعد، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: « قَوْلُهُ: «أَسْفَرَ جِدًّا»: الضَّمِيرُ فِي أَسْفَرَ يَعُودُ إلى الفجر المذكور، أولاً، وقوله: «جِدًّا»: بِكَسْرِ الْجِيمِ أَيْ إِسْفَارًا بَلِيغًا»[٥].

١٣-قوله: «دفع»: أي: تحرك بناقته ﷺ[٦]، قال الرافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم دفع: سُمّي انصراف القوم من المكان إلى المكان دفعًا؛ لأنهم إذا انصرفوا ازدحم بعضهم بعضًا»[٧].

١٤-قوله: «قبل أن تطلع الشمس»: قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: ترتفع

(١) لسان العرب، ٥/ ١٢٧، مادة (كبر)،
(٢) كشف المشكل لابن الجوزي، ص ٧١٥.
(٣) لسان العرب، ١١/ ٧٠٥، مادة (هلل).
(٤) لسان العرب، ٣/ ٤٥٠، مادة (وحد).
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٨/ ١٨٩.
(٦) انظر: شرح بلوغ المرام لابن عثيمين، ٨/ ٢٠٥ إلى ٢٠٧.
(٧) شرح مسند الشافعي، ٤/ ٢٧١.

ويظهر طلوعها، وتتمكن، وتباح الصلاة»[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-حرص النبي ﷺ على تعليم أمته مناسك الحج واحدًا بعد الآخر وهذا فيه دليل على أهمية السنة النبوية؛ لأنها مُبيِّنَة لما أجمله الله في كتابه العزيز.

٢-الإكثار من الدعاء والتهليل والتكبير عند المشعر الحرام هو امتثال لقول الله ﷻ: ﴿**فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ وَاذْكُرُوهُ كَما هَداكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ**﴾[٢]، ويدخل في ذكر الله صلاة المغرب، والعشاء جمع تأخير، ثم صلاة الصبح بعد المبيت بها.

٣-الحكمة من دفع النبي ﷺ قبل شروق الشمس، هي مخالفة المشركين؛ لأنهم كانوا يدفعون منها بعد شروق الشمس، وقد خالفهم أيضًا في الدفع من عرفة، حيث كانوا يدفعون قبل الغروب، وهو قد بقي حتى غربت الشمس، وهذا من أجل أن تتميز أمته عنهم.

٤-هناك مشعران: مشعر حرام، وهو المزدلفة، وسمي حرامًا لدخوله في حدود الحرم، وسمي بالمزدلفة من الازدلاف، وهو القرب، أما المشعر الحلال، فهو عرفة[٣].

٥-قال ابن القيم رحمه الله: وكان له من الإبل القصواء والعضباء وكانت لا تسبق إلى أن سبقها أعرابي على قعود فشق ذلك على المسلمين فقال النبي ﷺ: «**إن حقًّا على الله ألا يرفع من الدنيا شيئًا إلا وضعه**»[٤] وكان له من البغال «دُلدُل» أهداها له المقوقس وأخرى يقال لها: «فضة» وكان له من الحمير «عفير» ومن الخيل «السكب»[٥].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٦٤٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٨.
(٣) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٧٦٣.
(٤) البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، برقم ٦٥٠١.
(٥) انظر: ١/ ٩٢ من زاد المعاد في ذكر دوابه ﷺ.

١٢١- التَّكْبِيرُ عِنْدَ رَمْيِ الجِمَارِ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ

٢٣٩-«يُكَبِّرُ كُلَّمَا رَمَى بِحَصَاةٍ عِنْدَ الْجِمَارِ الثَّلاَثِ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ، وَيَقِفُ يَدْعُو مُسْتَقْبِلَ الْقِبلَةِ، رَافِعاً يَدَيْهِ بَعْدَ الْجَمْرَةِ الأُولَى وَالثَّانِيَةِ، أَمَّا جَمْرَةُ الْعَقَبَةِ فَيَرْمِيهَا وَيُكَبِّرُ عِنْدَ كُلِّ حَصَاةٍ، وَيَنْصَرِفُ وَلاَ يَقِفُ عِنْدَهَا»[(١)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٢٨-لفظ البخاري عَنِ ابن عمر رضي الله عنهما[(٢)]، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا رَمَى الجَمْرَةَ الَّتِي تَلِي مَسْجِدَ مِنًى يَرْمِيهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ كُلَّمَا رَمَى بِحَصَاةٍ، ثُمَّ تَقَدَّمَ أَمَامَهَا، فَوَقَفَ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، رَافِعًا يَدَيْهِ يَدْعُو، وَكَانَ يُطِيلُ الوُقُوفَ، ثُمَّ يَأْتِي الجَمْرَةَ الثَّانِيَةَ، فَيَرْمِيهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ كُلَّمَا رَمَى بِحَصَاةٍ، ثُمَّ يَنْحَدِرُ ذَاتَ اليَسَارِ، مِمَّا يَلِي الوَادِيَ، فَيَقِفُ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ رَافِعًا يَدَيْهِ يَدْعُو، ثُمَّ يَأْتِي الجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ العَقَبَةِ، فَيَرْمِيهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ عِنْدَ كُلِّ حَصَاةٍ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ وَلاَ يَقِفُ عِنْدَهَا»[(٣)].

٩٢٩-وفي لفظ مسلم عن جابر رضي الله عنه[(٤)] قال: «... حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا، مِثْلِ حَصَى

---

(١) البخاري، كتاب الحج، إذا رمى الجمرتين، برقم ١٧٥١، وباب الدعاء عند الجمرتين، برقم ١٧٥٣، ورواه مسلم أيضاً، برقم ١٢١٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٢٣٣، وباب رمي جمرة العقبة من بطن الوادي، وتكون مكة عن يساره، ويكبر مع كل حصاة، برقم ٣٠٥- (١٢٩٦)، ورقم ٣٠٦-(١٢٩٦).

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث ٤٣ من أحاديث المتن.

(٣) البخاري، برقم ١٧٥٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث ٧٢ من أحاديث المتن.

الْخَذْفِ، رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ»[١].

٩٣٠-وفي لفظ آخر لمسلم رَمَى عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ[٢] جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ، قَالَ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أُنَاسًا يَرْمُونَهَا مِنْ فَوْقِهَا، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: هَذَا، وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، **«مَقَامُ الَّذِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»**[٣].

٩٣١-وفي لفظ آخر لمسلم كَانَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَأَتَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ، فَاسْتَبْطَنَ الْوَادِي، فَاسْتَعْرَضَهَا، فَرَمَاهَا مِنْ بَطْنِ الْوَادِي بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ، قَالَ فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ النَّاسَ يَرْمُونَهَا مِنْ فَوْقِهَا فَقَالَ: هَذَا، وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، **«مَقَامُ الَّذِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»**[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «يكبّر»: أي: عندما يرمي الجمار وليس قبل ذلك أو بعده ويقول الله أكبر، قال ابن منظور رحمه الله: «وكَبَّرَ: قَالَ: اللهُ أَكبر. وَالتَّكْبِيرُ: التَّعْظِيمُ»[٥]، وقال ابن الجوزي رحمه الله: «أي: أن الله سبحانه أكبر من كل كبير، وأعلى من كل رفيع»[٦]، وقال الباجي رحمه الله: «خَصَّ التَّكْبِيرَ بِهَذَا مِنْ بَيْنِ سَائِرِ أَلْفَاظِ الذِّكْرِ؛ لِفِعْلِ النَّبِيِّ ﷺ، كَمَا خُصَّتْ الصَّلَاةُ؛ فَإِنْ سَبَّحَ فَقَدْ قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ: مَا سَمِعْت فِيهِ شَيْئًا، وَالسُّنَّةُ التَّكْبِيرُ قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ ﷺ: وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّهُ لَا شَيْءَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ ابْنَ الْقَاسِمِ قَدْ قَالَ فِي الْمَبْسُوطِ فِيمَنْ رَمَى وَلَمْ يُكَبِّرْ هُوَ مُجْزِئٌ،

---

(١) مسلم، برقم ١٢١٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث ١٢ من أحاديث المتن.

(٣) مسلم، برقم ٣٠٥- (١٢٩٦)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ٣٠٦-(١٢٩٦)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) لسان العرب، ٥/ ١٢٧، مادة (كبر).

(٦) كشف المشكل لابن الجوزي، ص ٧١٥.

وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ ذِكْرٌ مَشْرُوعٌ فِي أَثْنَاءِ الْحَجِّ كَسَائِرِ الْأَذْكَارِ وَالْأَدْعِيَةِ»[(١)].

٢-قوله: «**كلما رمى بحصاة**»: أي: مثل حصى الخذف ليس بالصغير ولا الكبير، قال الفيروزأبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحصا: صغار الحجارة، الواحدة: حصاة، جمعها: حصيات، وحصي، وحصيته: ضربته بها، وأرض محصاة: كثيرتها»[(٢)]، وقال الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «حَصَى الْخَذْفِ وَهُوَ حَصَى مَائِلٌ إِلَى الصِّغَرِ فَتَرْمِي بِهِ الْعَرَبُ عَلَى وَجْهِ اللَّعِبِ تَجْعَلُهُ بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْإِبْهَامِ مِنْ الْيُسْرَى ثُمَّ تَقْذِفُهُ بِالسَّبَّابَةِ مِنْ الْيُمْنَى»[(٣)].

٣-قوله: «**عند الجمار**»: سميت بذلك من قولهم: تجمر القوم إذا اجتمعوا؛ لأن الناس يجتمعون عليها للرمي، وقيل: إنها من الجمار، وهي الحصى الصغار؛ لأنها ترمى بها[(٤)]، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الجِمَار، وَهِيَ الأحْجار الصِّغَارُ، وَمِنْهُ سُمّيَتْ جِمَار الْحَجِّ؛ لِلْحصى الَّتِي يُرْمَى بِهَا، وَأَمَّا مَوْضِعُ الجِمَار بمِنًى فسُمّي جَمْرَة لِأَنَّهَا تُرْمى بالجِمَار وَقِيلَ: لِأَنَّهَا مَجْمَع الحَصَى الَّتِي يُرْمَى بِهَا»[(٥)].

٤-قوله: «**الثلاث**»: هي الصغرى والوسطى والكبرى وتسمى الكبرى «العقبة»، قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «الثَّلَاثِ الَّتِي تُرْمَى أَيَّامَ التَّشْرِيقِ وَهِيَ ثَلَاثُ جَمَرَاتٍ كُلُّ جَمْرَةٍ مِنْهَا تُرْمَى بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ تُرْمَى الْأُولَى مِنْهَا وَهِيَ الَّتِي عِنْدَ الْمَسْجِدِ فَإِذَا أَكْمَلَ رَمْيَهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ تَقَدَّمَ أَمَامَهَا فَوَقَفَ طَوِيلًا لِلدُّعَاءِ بِمَا تَيَسَّرَ ثُمَّ يَرْمِي الثَّانِيَةَ وَهِيَ الْوُسْطَى وَيَنْصَرِفُ عَنْهَا ذَاتَ الشِّمَالِ فِي بَطْنِ الْمَسِيلِ وَيُطِيلُ الْوُقُوفَ عِنْدَهَا لِلدُّعَاءِ ثم يرمي الثَّالِثَةَ عِنْدَ الْعَقَبَةِ حَيْثُ رَمَى يَوْمَ النَّحْرِ جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ يَرْمِيهَا مِنْ أَسْفَلِهَا وَلَا يَقِفُ عِنْدَهَا وَلَوْ رَمَاهَا

(١) المنتقى شرح الموطأ، ٣/ ٤٦.
(٢) القاموس المحيط، ص ١٦٤٥، مادة (حصو).
(٣) المنتقى شرح الموطأ، ٣/ ٤٧.
(٤) شرح بلوغ المرام لابن عثيمين، ٨/ ٢٠٨.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٩٢، مادة (جمر).

مِنْ فَوْقِهَا أَجْزَأَهُ وَيُكَبِّرُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ كُلَّ حَصَاةٍ يَرْمِيهَا وَالْوُقُوفُ عِنْدَ الْجَمْرَتَيْنِ دُونَ الثَّالِثَةِ مَعْمُولٌ بِهَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مِنْ نَحْوِ مَا فِيهَا»[(١)].

٥-قوله: «**في بطن الوادي**»: قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «السُّنَّةَ أَنْ يَقِفَ لِلرَّمْيِ فِي بَطْنِ الْوَادِي بِحَيْثُ تَكُونُ مِنًى وَعَرَفَاتٌ وَالْمُزْدَلِفَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَمَكَّةُ عَنْ يَسَارِهِ وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ وَقِيلَ: يَقِفُ مُسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةِ وَكَيْفَمَا رَمَى أَجْزَأَهُ بِحَيْثُ يُسَمَّى رَمْيًا بِمَا يُسَمَّى حَجَرًا»[(٢)].

٦-قوله: «**مما يلي الوادي فيقف**»: قال القسطلاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «بالسهل من الأرض الذي لا ارتفاع فيه»[(٣)].

٧-قوله: «**مقام الذي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ البقرة**»: قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنما خص البقرة لِأَنَّ مُعْظَمَ أَحْكَامِ الْمَنَاسِكِ فِيهَا فَكَأَنَّهُ قَالَ: هَذَا مَقَامُ مَنْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ الْمَنَاسِكُ وَأُخِذَ عَنْهُ الشَّرْعُ وَبَيَّنَ الْأَحْكَامَ فَاعْتَمِدُوهُ وَأَرَادَ بِذَلِكَ الرَّدَّ عَلَى مَنْ يَقُولُ بِقَطْعِ التَّلْبِيَةِ مِنَ الْوُقُوفِ بِعَرَفَاتٍ»[(٤)].

٨-قوله: «**المنحر**»: قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَنْحَرَ مَوْضِعٌ مُعَيَّنٌ مِنْ مِنًى»[(٥)].

٩-قوله: «**أما جَمْرَةُ الْعَقَبَةِ فَيَرْمِيهَا، ويُكَبِّرُ عِنْدَ كُلِّ حَصَاةٍ، وينْصرِفُ، وَلَا يَقِفُ عِنْدَهَا**»: قال الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى أَنَّ مَوْضِعَ الْجَمْرَتَيْنِ الْأُولَتَيْنِ فِيهِ سَعَةٌ لِلْقِيَامِ لِلدُّعَاءِ، وَلِمَنْ يَرْمِي، وَأَمَّا جَمْرَةُ الْعَقَبَةِ، فَمَوْضِعُهَا ضَيِّقٌ لِلْوُقُوفِ عِنْدَهَا لِلدُّعَاءِ، لَا لِامْتِنَاعِ الرَّمْيِ عَلَى مَنْ يُرِيدُ الرَّمْيَ؛ وَلِذَلِكَ الَّذِي يَرْمِيهَا لَا يَنْصَرِفُ عَلَى طَرِيقِهِ، وَإِنَّمَا

---

(١) الاستذكار، ٤/ ٣٤٨.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٨/ ١٩١.
(٣) شرح القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٣/ ٢٥١.
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٩/ ٢٩.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٨/ ١٩٢.

يَنْصَرِفُ مِنْ أَعْلَى الْجَمْرَةِ، وَلَوْ انْصَرَفَ مِنْ طَرِيقِهِ ذَلِكَ لَمَنَعَ مَنْ يَأْتِي الرَّمْيَ...وأَنَّ وُقُوفَهُ عِنْدَ الْجَمْرَتَيْنِ إِنَّمَا هُوَ لِلتَّكْبِيرِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالدُّعَاءِ؛ وَلِذَلِكَ اُسْتُحِبَّ فِيهِ التَّطْوِيلُ، وَذَلِكَ قَدْرُ قُوَّةِ النَّاسِ»[١].

١٠-قوله: «**مسجد منى**»: قال عاتق البلادي: «مسجد الخَيْف: هو مسجد منى، له تأريخ طويل وفضله مشهور، يقع بسفح جبل الصابح من داخل منى، تصلى فيه صلاة عيد الأضحى»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-السنة في الحصيات أن يكبر مع رمي كل حصاة يرمي بها، ويأخذ سبع الحصيات يوم النحر بعد وقوفه في مزدلفة، أما بقية الرمي فيأخذ كل يوم في يومه[٣].

٢-قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال لي رسول الله ﷺ: «**القط لي حصىً**» فلقطت له سبع حصيات، هن حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول: «**أمثال هؤلاء فارموا**» ثم قال: «**أيها الناس إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[٤].

٣-عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما رَفَعَهُ، قَالَ: «لَمَّا أَتَى إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ عليه السلام الْمَنَاسِكَ عَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ، فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ حَتَّى سَاخَ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الثَّانِيَةِ، فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ حَتَّى سَاخَ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ فِي الْجَمْرَةِ الثَّالِثَةِ، فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ حَتَّى سَاخَ فِي الْأَرْضِ»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: «الشَّيْطَانَ تَرْجُمُونَ، وَمِلَّةَ أَبِيكُمْ تَتَّبِعُونَ»[٥].

---

(١) المنتقى شرح الموطأ للباجي، ٣/ ٣٦.
(٢) معالم مكة التأريخية والأثرية، لعاتق غيث البلادي، ص ٢٧١.
(٣) صحيح ابن ماجه، برقم ٢٤٧٣.
(٤) سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب إذا رمى جمرة العقبة لم يقف عندها، برقم ٣٠٣٢، ومصنف ابن أبي شيبة، ٣/ ٢٤٨، برقم ١٣٩٠٩، وصححه الأرنؤوط محقق سنن ابن ماجه، ٤/ ٢٢٨، والألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٢٨٣.
(٥) السنن الكبرى للبيهقي، ٥/ ٢٥٠، ومستدرك الحاكم، ١/ ٤٦٥، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٧.

١٢٢ - دُعَاءُ التَّعَجُّبِ والأمْرِ السَّارِّ

٢٤٠- (١) «سُبْحَانَ اللَّهِ!»[(١)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٣٢- لفظ البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[(٢)] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَهُ فِي بَعْضِ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ جُنُبٌ، فَانْخَنَسْتُ مِنْهُ، فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: «**أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ**» قَالَ: كُنْتُ جُنُبًا، فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ وَأَنَا عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ، فَقَالَ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ، إِنَّ الْمُسْلِمَ لاَ يَنْجُسُ**»[(٣)].

٩٣٣-ولفظ آخر للبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا جُنُبٌ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَمَشَيْتُ مَعَهُ حَتَّى قَعَدَ، فَانْسَلَلْتُ، فَأَتَيْتُ الرَّحْلَ، فَاغْتَسَلْتُ ثُمَّ جِئْتُ وَهُوَ قَاعِدٌ، فَقَالَ: «**أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هِرٍّ**»، **فَقُلْتُ لَهُ، فَقَالَ:** «**سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أَبَا هِرٍّ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لاَ يَنْجُسُ**»[(٤)].

٩٣٤-ولفظ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّهُ لَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ جُنُبٌ فَانْسَلَّ فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ، فَتَفَقَّدَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ: «**أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقِيتَنِي وَأَنَا جُنُبٌ فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ حَتَّى أَغْتَسِلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ**»[(٥)].

---

(١) البخاري، كتاب الغسل، باب عرق الجنب، وأن المسلم لا ينجس، برقم ٢٨٣، وباب الجنب يخرج ويمشي في السوق وغيره، برقم ٢٨٥، ومسلم، كتاب الحيض، باب الدليل على أن المسلم لا ينجس، برقم ٣٧١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث المتن.

(٣) البخاري، برقم ٢٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري، برقم ٢٨٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) مسلم، برقم ٣٧١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٩٣٥-وللترمذي عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»[1].

٩٣٦-ولفظ الطبراني عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ ﷺ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، ولِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، ويَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ: فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اللهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[2]، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»[3].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**فانسللت**»: قال الطيبي رحمه الله: «أي: مضيت، وخرجت بتأنٍ وتدريجٍ»[4].

٢-قوله: «**فتفقَّده**»: قال الزبيدي رحمه الله: «وافتقَدَهُ وتَفَقَّده: طَلَبَهُ عِنْدَ غَيْبَتِهِ...وَفِي الْمُفْرَدَات للرغب: التّفَقُّد تعرُّف فِقْدَانِ الشيْءِ ... من تَفَقَّدَ الخَيْرَ، وطَلَبَه فِي النّاسِ فَقَدَه، وَلم يَجِدْه، وَذَلِكَ أَنَّه رأَى الخَيْرَ فِي النادِرِ من النَّاسِ، وَلم يَجِدْه فاشِياً مَوْجُوداً»[5].

---

(١) الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، برقم ٢١٨٠، وصححه الألباني في جلباب المرأة المسلمة، ص ٢٠٣، وقال: «وفي رواية: **الله أكبر**».

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.

(٣) المعجم الكبير للطبراني، ٣/ ٢٤٤، برقم ٣٢٩١، وصححه الألباني في جلباب المرأة المسلمة، ص ٢٠٣.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٨١٦.

(٥) تاج العروس، ٨/ ٥٠٢، مادة (فقد).

٣-قوله: «**وأنا جنب**»: قال الطيبي رحمه الله: «أجنب يجنب إجناباً، إذا صار جنباً، والجنابة الاسم، وهي في الأصل البعد، وسمي الإنسان جنباً لأنه نهي أن يقرب مواضع الصلاة ما لم يتطهر، وقيل: لمجانبة الناس»(١)، وقوله في الرواية الأخرى: «كُنْتُ جُنُبًا»: قال ابن الملقن رحمه الله: «أي: ذا جنابة، يقال: جنب الرجل وأجنب إذا أصابته الجنابة»(٢).

٤-قوله: «**انخنست**»، و«**اختنست**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «بالخاء المعجمة والسين المهملة فهو من الخنوس: التأخر والاختفاء، يقال: خنس يخنس: إذا تأخر، وأخنسه غيره»(٣)، وقال ابن الملقن رحمه الله: «انْخَنَسْتُ -هو بالخاء المعجمة ثم نون ثم سين مهملة- أي: تأخرت، ورجعت، وانقبضت، وهو لازمٌ ومتعدٍّ، وفيه سبع روايات أخر...وكلها راجعة إلى الانفصال، والمزايلة على وجه التعظيم له»(٤).

٥-قوله: «**فكرهت أن أجالسك**»: قال ابن دقيق العيد رحمه الله: «يقتضي استحباب الطهارة في ملابسة الأمور العظيمة، والنبي ﷺ إنما رد ذلك؛ لأن الطهارة لم تزل بقوله: «**إن المؤمن لا ينجس**» لا رداً لما دل عليه لفظ أبي هريرة من استحباب الطهارة لملا بسته ﷺ، وفي هذا نظر»(٥).

٦-قوله: «**لا ينجس**»: قال القاضي عياض رحمه الله: «نجِس الشيء ونجُس، بالكسر والضم، ينجَس، وينجُس، بالفتح والضم، ضد طَهَر»(٦).

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٨١٦.
(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٤/ ٦٤٥.
(٣) جامع الأصول، ٧/ ٣١٢.
(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٤/ ٦٤٤.
(٥) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ص ٦٥.
(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٢٢٦.

٧-قوله: «**فأتيت الرحل**»: قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: ما بين الرحل، وهو ما كان مع المسافر من الأقمشة، والرحل أيضاً الموضع الذي نزل فيه القوم»[(١)].

٨-قوله: «**سبحان الله**»: قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَلَفْظَةُ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ**» لِإِرَادَةِ التَّعَجُّبِ كَثِيرَةٌ فِي الْحَدِيثِ، وَكَلَامِ الْعَرَبِ، كَقَوْلِهِ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ تَطَهَّرِي بِهَا**»، وَ«**سُبْحَانَ اللَّهِ الْمُسْلِمُ لَا يَنْجُسُ**»، وَقَوْلِ الصَّحَابَةِ: «**سُبْحَانَ اللَّه يارسول اللَّهِ**»، وَمِمَّنْ ذَكَرَ مِنَ النَّحْوِيِّينَ أَنَّهَا مِنْ أَلْفَاظِ التَّعَجُّبِ»[(٢)]، وقال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله ﷺ: «**سُبْحَانَ اللهِ!**»:المراد بها التعجب من أن أبا هريرة اعتقد نجاسة نفسه؛ بسبب الجنابة، وهذِه اللفظة من المصادر اللازمة للنصب. ومعناه: تنزيه الله، وبراءته عن النقصان الذي لا يليق بجلاله»[(٣)].

٩-قوله: «**ذات أنواط**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنواط: جمع نَوْط، وهو مصدر نُطْتُ به كذا وكذا، أنُوط نَوْطاً: إذا علقتَه به، ويسمَّى المَنْوط بالنَّوْط»[(٤)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-جاء قوله ﷺ: «**سبحان الله**» في عدة أحاديث عن جمع من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ومعنى تسبيح الله: هو تنزيهه عَزَّ وَجَلَّ عن كل عيب ونقص، وكان من هديه ﷺ أن يقول: «**سبحان الله**» عندما يتعجب من أمر ويستغربه فمن ذلك قوله ﷺ في الأحوال الآتية:

الحال الأولى: قوله لأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**سبحان الله يا أبا هر، إن المؤمن لا ينجس**» وذلك لما لقي النبي ﷺ أبا هريرة وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جنبًا فأخذ النبي ﷺ بيديه ومشى معه حتى قعد ﷺ يقول أبو هريرة: فانسللت – أي ذهبت في

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٢٢٦.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٣/ ١٠.
(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٤/ ٦٤٥.
(٤) جامع الأصول، ١٠/ ٣٥.

خفاء – فاغتسلت ثم جئت وهو قاعد فقال له ﷺ: «**أين كنت يا أبا هر؟**» فقال له ما صنع فتعجب النبي ﷺ من فعله وقال له ما قال[1].

الحال الثانية: قوله ﷺ للمرأة التي سألته عن غسلها من الحيض وأعطاها فِرصة من مسك – أي قطعة من صوف أو قطن – فقالت: كيف أتطهر بها؟ قال: «**سبحان الله! تطهري**»[2] ثم بينت لها عائشة رضي الله عنها ذلك.

والشاهد: تعجبه من هذا السؤال واستغرابه له لأن هذا أمر ظاهر تعلمه النساء[3].

الحال الثالثة: قوله ﷺ لأم الربيع لما جرحت أخت لها إنسانًا فاختصموا إليه ﷺ فقال: «**القصاص القصاص**» فقالت: يا رسول الله أيقتص من فلانة؟ والله لا يقتص منها فقال ﷺ: «**سبحان الله! يا أم الربيع، القصاص كتاب الله**» وفيه أنهم رضوا بالدية فقال ﷺ: «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**»[4].

والشاهد: تعجبه ﷺ من قولها: أيقتص من فلانة؟

الحال الرابعة: قوله ﷺ للرجل الذي مرض مرضًا شديدًا لما عاده: «**هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟**» قال: نعم كنت أقول اللَّهم ما كنت معاقبي به في الآخرة، فعجله لي في الدنيا فقال له: «**سبحان الله لا تطيقه – أو لا تستطيعه – أفلا قلت اللَّهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؟**»[5]. ثم دعا الله له، فشفاه. والشاهد استغرابه ﷺ من هذا الدعاء.

الحال الخامسة: وقوله ﷺ لما استيقظ ليلة فزعًا يقول: «**سبحان الله ماذا**

---

(١) البخاري، برقم ٢٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) البخاري، كتاب الحيض، باب دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض، برقم ٣١٤، ومسلم، كتاب الحيض، باب المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم، برقم ٣٣٢.

(٣) البخاري، كتاب الغسل، باب دلك المرأة نفسها إذا تطهرت من المحيض، برقم ٣١٤.

(٤) مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب إثبات القصاص في الأسنان وما في معناها، برقم ١٦٧٥.

(٥) مسلم، كتاب العلم، باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا، برقم ٣٦٨٨.

أنزل الله من الخزائن؟ وماذا أنزل من الفتن» الحديث[1].

والشاهد تعجبه ﷺ مما أنزله الله من الخزائن التي تعبر عن الرحمة كقوله: ﴿خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾[2]، وعن العذاب بالفتن لأنها من أسبابه[3].

٢-قال القاضي عياض رحمه الله: «وفيه حجةٌ على طهارة الآدميّ حيًا ومَيّتاً، وقد اختلف فيه مسلماً كان أو كافراً، ولقول الله تعالى: ﴿ولَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[4] الآية، وذهب بعض المتأخرين: أن الحكم للفضيلة إنما يتعلق بالمؤمن ويحتج بهذا الحديث وشبهه»[5].

٣-قال الطيبي رحمه الله: «فيه جواز مصافحة الجنب ومخالطته، وهو قول عامة أهل العلم، واتفقوا على طهارة عَرَق الجنب، والحائض، وفيه دليل على جواز تأخير الاغتسال للجنب، وأن يسعى في حوائجه، يمكن أن يحتج به على من قال: الحدث نجاسة حكمية، وأن من وجب عليه وضوء أو غسل، فهو نجس حكماً»[6].

٤-قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «هَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْأَئِمَّةِ: أَنَّ بَدَنَ الْجُنُبِ طَاهِرٌ، وَعَرَقُهُ طَاهِرٌ، وَالثَّوْبَ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ عَرَقُهُ طَاهِرٌ؛ وَلَوْ سَقَطَ الْجُنُبُ فِي دُهْنٍ، أَوْ مَائِعٍ لَمْ يُنَجِّسْهُ بِلَا نِزَاعٍ بَيْنَ الْأَئِمَّةِ، بَلْ وَكَذَلِكَ الْحَائِضُ: عَرَقُهَا طَاهِرٌ، وَثَوْبُهَا الَّذِي يَكُونُ فِيهِ عَرَقُهَا طَاهِرٌ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «أَنَّهُ أَذِنَ لِلْحَائِضِ أَنْ تُصَلِّيَ فِي ثَوْبِهَا الَّذِي تَحِيضُ فِيهِ، وَأَنَّهَا إذَا رَأَتْ

---

(١) البخاري، كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، برقم ٧٠٦٩.
(٢) سورة ص، الآية: ٩.
(٣) انظر: فتح الباري، ١/ ٢٦٥.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٢٢٦.
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٨١٧.

فِيهِ دَمًا أَزَالَتْهُ، وَصَلَّتْ فِيهِ»، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ: فَمِنْ أَيْنَ يَنْجُس ذَلِكَ الْبَلَاطُ؟ أَكْثَرُ مَا يُقَالُ: إِنَّهُ قَدْ يَبُولُ عَلَيْهِ بَعْضُ الْمُغْتَسِلِينَ، أَوْ يَبْقَى عَلَيْهِ، أَوْ يَكُونُ عَلَى بَدَنِ بَعْضِ الْمُغْتَسِلِينَ نَجَاسَةٌ يَطَأُ بِهَا الأَرْضَ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَجَوَابُ هَذَا مِنْ وُجُوهٍ: أَحَدُهَا: أَنَّ هَذَا قَلِيلٌ نَادِرٌ؛ وَلَيْسَ هَذَا الْمُتَيَقَّنُ مِنْ كُلِّ بُقْعَةٍ. الثَّانِي: أَنَّ غَالِبَ مَنْ تَقَعُ مِنْهُ نَجَاسَةٌ يَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ الَّذِي يُزِيلُهَا. الثَّالِثُ: أَنَّهُ إِذَا أَصَابَ ذَلِكَ الْبَلَاطَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا؛ فَإِنَّ الْمَاءَ الَّذِي يَفِيضُ مِنَ الْحَوْضِ، وَالَّذِي يَصُبُّهُ النَّاسُ: يُطَهِّرُ تِلْكَ الْبُقْعَةَ، وَإِنْ لَمْ يَقْصِدْ تَطْهِيرَهَا؛ فَإِنَّ الْقَصْدَ فِي إِزَالَةِ النَّجَاسَةِ لَيْسَ بِشَرْطٍ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ الأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ»[1].

٥-قال ابن رجب رحمه الله: «وفيه دليل على: أن الجنب لَهُ أن يذهب في حوائجه، ويجالس أهل العلم والفضل، وأنه ليس بنجس، وإذا لَم يكن نجساً ففضلاته الطاهرة باقية على طهارتها، كالدمع: والعرق، والريق، وهذا كله مجمع عليهِ بين العلماء، ولا نعلم بينهم فيهِ اختلافاً. قالَ الإمام أحمد رحمه الله: عائشة رضي الله عنها وابن عباس رضي الله عنهما يقولان: لا بأس بعرق الحائض، والجنب، وقال ابن المنذر رحمه الله: أجمع عوام أهل العلم على أن عرق الجنب طاهر. وثبت: عَن عمر وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم، أنهم قالوا ذَلِكَ، ثُمَّ سمّى جماعة ممن قالَ به بعدهم، وقال: ولا أحفظ عَن غيرهم خلافهم...وقد سبق، وقد روى وكيع، عَن مسعر، عَن حماد، في الجنب يغتسل، ثُمَّ يستدفىء بامرأته قبل أن تغتسل؟ قالَ: لا يستدفئ بها حتَّى يجف»[2].

٦-قال ابن الملقن رحمه الله: «في أحكامه أي: الحديث:

الأول: استحباب الطهارة عند مجالسة العلماء، وأهل الفضل؛ ليكون

(١) مجموع الفتاوى، ٢١/ ٥٨.
(٢) فتح الباري، لابن رجب، ١/ ٣٤٤.

على أكمل الحالات.

الثاني: أن العالم إذا رأى مِنْ تابعه أمرًا يخاف عليه فيه خلاف الصواب سأله عنه، وقال له صوابه، وبيّن له حكمه.

الثالث: جواز التعجب بسبحان الله.

الرابع: تأخير الاغتسال عن أول وقت وجوبه، وجواز انصرافه في حوائجه قبله.

الخامس: طهارة المسلم حيًّا وميتًا، أما الحيُّ فإجماع، وأما الميت فهو الأصح من قول الشافعي، وصححه القاضي عياض أيضًا»[١].

***

٢٤١-(٢) «اللَّهُ أَكْبَرُ!»[٢].

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٣٧-لفظ البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ[٣]، قَالَ: صَبَّحْنَا خَيْبَرَ بُكْرَةً، فَخَرَجَ أَهْلُهَا بِالْمَسَاحِي، فَلَمَّا بَصُرُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللهِ، مُحَمَّدٌ وَالخَمِيسُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾**[٤]»، فَأَصَبْنَا مِنْ لُحُومِ الحُمُرِ، فَنَادَى مُنَادِي النَّبِيِّ ﷺ:

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٤/ ٦٤٥.

(٢) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع، ورعل، وذكوان، وبئر معونة، برقم ٤٠٩١، وباب غزوة خيبر، برقم ٤١٩٨، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر، برقم ١٣٦٥، والترمذي، كتاب السير، باب في البيات والغارات، برقم ١٥٥٠، وباب ما جاء في الغدر، برقم ١٥٨٠، وباب ما جاء في وصية النبي ﷺ في القتال، برقم ١٦١٨، والنسائي، كتاب المواقيت، التغليس في السفر، برقم ٥٤٧.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٧٧.

«إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الحُمُرِ، فَإِنَّهَا رِجْسٌ»[١].

٩٣٨-ولفظ آخر للبخاري عن أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «**بَعَثَ خَالَهُ، أَخٌ لِأُمِّ سُلَيْمٍ، فِي سَبْعِينَ رَاكِبًا**»، وَكَانَ رَئِيسَ الْمُشْرِكِينَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، خَيَّرَ بَيْنَ ثَلَاثِ خِصَالٍ، فَقَالَ: يَكُونُ لَكَ أَهْلُ السَّهْلِ وَلِي أَهْلُ المَدَرِ، أَوْ أَكُونُ خَلِيفَتَكَ، أَوْ أَغْزُوكَ بِأَهْلِ غَطَفَانَ بِأَلْفٍ وَأَلْفٍ؟ فَطُعِنَ عَامِرٌ فِي بَيْتِ أُمِّ فُلَانٍ، فَقَالَ: غُدَّةٌ كَغُدَّةِ البَكْرِ، فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ آلِ فُلَانٍ، ائْتُونِي بِفَرَسِي، فَمَاتَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ، فَانْطَلَقَ حَرَامٌ أَخُو أُمِّ سُلَيْمٍ، وَهُوَ رَجُلٌ أَعْرَجُ، وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي فُلَانٍ، قَالَ: كُونَا قَرِيبًا حَتَّى آتِيَهُمْ فَإِنْ آمَنُونِي كُنْتُمْ، وَإِنْ قَتَلُونِي أَتَيْتُمْ أَصْحَابَكُمْ، فَقَالَ: أَتُؤْمِنُونِي أُبَلِّغْ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ، وَأَوْمَؤُوا إِلَى رَجُلٍ، فَأَتَاهُ مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ، - قَالَ هَمَّامٌ أَحْسِبُهُ - حَتَّى أَنْفَذَهُ بِالرُّمْحِ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ، فَلُحِقَ الرَّجُلُ، فَقُتِلُوا كُلُّهُمْ غَيْرَ الأَعْرَجِ، كَانَ فِي رَأْسِ جَبَلٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا، ثُمَّ كَانَ مِنَ المَنْسُوخِ: إِنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا «**فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِمْ ثَلَاثِينَ صَبَاحًا، عَلَى رِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَبَنِي لَحْيَانَ، وَعُصَيَّةَ، الَّذِينَ عَصَوُا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ**»[٢].

٩٣٩-ولفظ مسلم عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه[٣]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَزَا خَيْبَرَ، قَالَ: فَصَلَّيْنَا عِنْدَهَا صَلَاةَ الْغَدَاةِ بِغَلَسٍ، فَرَكِبَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، وَرَكِبَ أَبُو طَلْحَةَ، وَأَنَا رَدِيفُ أَبِي طَلْحَةَ، فَأَجْرَى نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فِي زُقَاقِ خَيْبَرَ، وَإِنَّ رُكْبَتِي لَتَمَسُّ فَخِذَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، وَانْحَسَرَ الْإِزَارُ عَنْ فَخِذِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، وَإِنِّي لَأَرَى بَيَاضَ فَخِذِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا دَخَلَ الْقَرْيَةَ قَالَ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ**

---

(١) البخاري، برقم ٤٠٩٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) البخاري، برقم ٤١٩١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾[(١)]، قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ ... الحديث»[(٢)].

٩٤٠-ولفظ الترمذي عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ أَتَاهَا لَيْلًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَوْمًا بِلَيْلٍ لَمْ يُغِرْ عَلَيْهِمْ حَتَّى يُصْبِحَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ، خَرَجَتْ يَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ، وَمَكَاتِلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُ، قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَافَقَ وَاللهِ مُحَمَّدٌ الخَمِيسَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ**»[(٣)].

٩٤١-ولفظ آخر للترمذي: «كانَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَبَيْنَ أَهْلِ الرُّومِ عَهْدٌ، وَكَانَ يَسِيرُ فِي بِلَادِهِمْ، حَتَّى إِذَا انْقَضَى العَهْدُ أَغَارَ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى دَابَّةٍ أَوْ عَلَى فَرَسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: اللهُ أَكْبَرُ، وَفَاءٌ لَا غَدْرٌ، وَإِذَا هُوَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ، فَسَأَلَهُ مُعَاوِيَةُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يَحُلَّنَّ عَهْدًا، وَلَا يَشُدَّنَّهُ حَتَّى يَمْضِيَ أَمَدُهُ أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ**» قَالَ: فَرَجَعَ مُعَاوِيَةُ بِالنَّاسِ»[(٤)].

٩٤٢-وحديث آخر للترمذي عَنْ ثُمَامَةَ بْنِ حَزْنٍ القُشَيْرِيِّ[(٥)]، قَالَ: شَهِدْتُ الدَّارَ حِينَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِصَاحِبَيْكُمُ اللَّذَيْنِ أَلَّبَاكُمْ عَلَيَّ... ثُمَّ قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ وَالإِسْلَامِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عَلَى ثَبِيرِ مَكَّةَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَنَا فَتَحَرَّكَ الجَبَلُ حَتَّى تَسَاقَطَتْ حِجَارَتُهُ بِالحَضِيضِ قَالَ: فَرَكَضَهُ

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٧٧.

(٢) مسلم، برقم ١٣٦٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) الترمذي، برقم ١٥٥٠، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ١٥٥٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الترمذي، برقم ١٥٨٠، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ١٥٨٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) ثمامة بن حزن بن عبد الله بن سلمة القشيريّ، كان في عهد النبي ﷺ رجلا، وعدّه مسلم في المخضرمين، وابن حبّان في ثقات التابعين، قدم على عمر بن الخطاب في خلافته وهو ابن خمس وثلاثين سنة، ولم ير النبي ﷺ، وقيل إن له صحبة. انظر: التاريخ الكبير للبخاري، ٢/ ١٧٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ١/ ٥٣١.

بِرِجْلِهِ وَقَالَ: «اسْكُنْ ثَبِيرُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ؟» قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، شَهِدُوا لِي وَرَبِّ الكَعْبَةِ أَنِّي شَهِيدٌ، ثَلَاثًا»[(١)].

٩٤٣-ولفظ النسائي عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِغَلَسٍ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْهُمْ، فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ مَرَّتَيْنِ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ**»[(٢)].

٩٤٤-وفي حديث للطبراني عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، ولِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ: فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[(٣)]، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»[(٤)].

٩٤٥- ولفظ الترمذي: عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»[(٥)].

---

(١) الترمذي، كتاب المناقب، باب حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، برقم ٣٧٠٣، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٩٢١.

(٢) النسائي، برقم ٥٤٧، وصححه الألباني في صحيح النسائي، برقم ٥٤٧ ، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨

(٤) المعجم الكبير للطبراني، ٣/ ٢٤٤، برقم ٣٢٩١، وصححه الألباني في جلباب المرأة المسلمة، ص ٢٠٣ عندما صحح رواية الترمذي، برقم ٢١٨٠، وتقدم تخريجها في تخريج حديث المتن رقم ٢٤٠ ، وقال: «وفي رواية: الله أكبر».

(٥) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، برقم ٢١٨٠، وصححه =

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**صَبَّحْنَاهُمْ**»، و«**صبَّحْنَا خَيْبَرَ**»: قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقال: صبَّحه: أتاه وقت الصبح، كله مشدَّد»[(١)]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «صبَّحنا خَيبَرَ بُكرَةً: لا يُغاير قَوله فِي رِوايَة حُمَيدٍ عَن أَنَس أَنَّهُم قَدِمُوها لَيلاً، فَإِنَّهُ يُحمَل عَلَى أَنَّهُم لَمّا قَدِمُوها وناموا دُونَها رَكِبُوا إِلَيها بُكرَة فَصَبَّحُوها بِالقِتالِ والإِغارَةِ»[(٢)]، وقال الفيروزأبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «البُكْرَةُ، بالضم: الغُدْوَةُ، كالبَكَرَةِ، محرَّكةً، واسْمُها: الإِبْكارُ... وبَكَّرَ، وابْتَكَرَ، وأَبْكَرَ، وباكَرَهُ: أتاهُ بُكْرَةً»[(٣)].

٢-قوله: «**خَيْبَرُ**»: قال الفيروزآبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «حِصْنٌ، ومدينة قُرْبَ المدينةِ النبوية»[(٤)]، وقال البكري رَحِمَهُ اللَّهُ: « بينها وبين المدينة ثمانية برد، مشي ثلاثة أيّام»[(٥)].

٣-قوله: «**بالمساحي**»: قال الفيروزأبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «بمساحيهم: المساحي جمع مسحاة، وهي المِجرفة من الحديد»[(٦)]، وقال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمساحي -بفتح الميم- جمع مسحاة: وهي مفعلة مما يفعل بها، يقال: سحا وجه الأرض بالمسحاة يسحوه إذا قشره»[(٧)].

٤-قوله: «**بصروا بالنبي** ﷺ»: قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «البَصَر: يقال للجارحة الناظرة ... وللقوّة التي فيها، ويقال لقوة القلب المدركة... ويقال

=
الألباني في جلباب المرأة المسلمة، ص ٢٠٣ .
(١) مطالع الأنوار على صحاح الآثار (٤/ ٢٥٦)
(٢) فتح الباري، ٧/ ٤٦٨.
(٣) القاموس المحيط، ص ٣٥٣، مادة (بكر).
(٤) القاموس المحيط، ص ٣٨٢، مادة (خبر).
(٥) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ٢/ ٥٢١.
(٦) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، ٢/ ٦٠٣.
(٧) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٨/ ٤٢.

من الأوّل: أبصرت، ومن الثاني: أبصرته وبصرت به، وقلّما يقال بصرت في الحاسة إذا لم تضامّه رؤية القلب»[(١)].

٥-قوله: «**الخميسُ**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخميس: الجَيْش»[(٢)]، وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: «محمدٌ والخميس»: برفع السين، قال الإمام: قال الأزهري: الخميس: الجيش، سُمّي خميساً لأنه مقسوم على خمسة: المقدمة، والساقة، والميمنة، والميسرة، والقلب، وقال غيره: سُمي الجيش خميساً؛ لأنهم يُخمسون الغنائم فيه، قال القاضي: هذا بعيد؛ لأن الخميسَ فيه إنما جاء في الشرع، وإنما كان قبل ذلك المرباع، يأخذ الرئيس الربع»[(٣)].

٦-قوله: «**عنوة**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَنْوَة فُتِحَتْ هذه البلدة عَنوة، أي: قهراً بغير صلح، كما يقال: أخذها بالسيف»[(٤)].

٧-قوله: «**فإذا نزلنا بِسَاحَةِ قوم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾**»: قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: فَإِذَا نَزَلَ الْعَذَابُ بِمَحِلَّتِهِمْ، فَبِئْسَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمُهُمْ، بِإِهْلَاكِهِمْ وَدَمَارِهِمْ، قَالَ السُّدِّيُّ: ﴿فَإِذَا نزلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ يَعْنِي: بِدَارِهِمْ، ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أَيْ: فَبِئْسَ مَا يُصْبِحُونَ، أَيْ: بِئْسَ الصَّبَاحُ صَبَاحُهُمْ»[(٥)]، وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَإِذَا نزلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ أي: نزل عليهم، وقريبا منهم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ لأنه صباح الشر والعقوبة، والاستئصال»[(٦)]، وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: «**إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**»: الساحة:

---

(١) المفردات في غريب القرآن، ١/ ١٢٧.
(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، ٨/ ٣٤٢.
(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤/ ٥٩٠.
(٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، ٨/ ٣٤٢.
(٥) تفسير ابن كثير، ٧/ ٤٥.
(٦) تفسير السعدي، ص ٧٠٩.

الفناء، وأصلها الفضاء بين المنازل، ويجمع السوح، وهي أيضاً السوحة، والسمح، والساحة: فيه جواز النزاع بآيات القرآن، والاستشهاد بها في الأمور الحقيقية، وقد جاء في هذا كثير في الآثار، ويكره عن ذلك ما كان على ضرب الأمثال في المحاورات والأمزاح ولغو الحديث، تعظيماً لكتاب الله ﷻ»[١]، وقال ابن الأثير رحمه الله: «فساء صباح المنذرين: وهم الذين جاءهم النذير، وبلغهم الإنذار؛ وأعلموا بما ينالهم إذا خالفوا الأمر»[٢]، وقال ابن الملقن رحمه الله: «أي: أصابهم السوء من القتل على الكفر والاسترقاق»[٣].

٨-قوله: «**قال: فخرجوا**» الفاء عطف على محذوف، أي: ركب النبي ﷺ، ولم يشعروا به، فخرجوا بمكاتلهم، والمكاتل جمع مكتل بكسر الميم، وهو الزنبيل الكبير، والمساحي جمع مسحاة، وهي المجرفة من الحديد»[٤].

٩-قوله: «**ومكاتلهم**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «ومكاتلهم: المكاتل جمع مكتل، وهو كالزِّنبيل يسع خمسة عشر صاعا، والصاع: خمسة أرطال وثلث عند أهل الحجاز»[٥]، وقال القاضي عياض رحمه الله: «والمكاتل: القفف، والمرور: قيل: الحبال؛ لأنها تمرُ، أي: تُفتل، كانوا يصعدون بها للنخيل، واحدها مَرْ ومِرٌ، بالفتح والكسر، قيل المرور: المساحي، واحدها مَرٌ بالفتح، وقيل: يقال لها: الحراب من اسمها، لجمعه حروفه، وقد يحمل أنه خبر على وجه الدعاء بخرابها »[٦].

١٠-قوله: «**الله أكبر خربت خيبر**»: قال القاضي عياض رحمه الله: «قيل: فقال

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٦/ ١٨٠.
(٢) الشافي في شرح مسند الشافعي، ٥/ ٣٦٢.
(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٨/ ٤٧.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٨/ ٢٦٩٨.
(٥) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، ٢/ ٦٠٣.
(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤/ ٥٩٠.

النبي ﷺ لما رآهم خرجوا بآلة الخراب والهدم، لقوله: «خرجوا بفؤوسهم ومكاتلهم ومرورهم»، وهذا من الفأل الحسن في حقه ﷺ وحق المسلمين الذي كان يستحبه، وليس من الطيرة المذمومة»[(١)]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «**اللَّهُ أَكْبَرُ**: إِثْبَاتُ عَظَمَتِهِ؛ فَإِنَّ الْكِبْرِيَاءَ تَتَضَمَّنُ الْعَظَمَةَ، وَلَكِنَّ الْكِبْرِيَاءَ أَكْمَلُ؛ وَلِهَذَا جَاءَتْ الْأَلْفَاظُ الْمَشْرُوعَةُ فِي الصَّلَاةِ وَالْأَذَانِ بِقَوْلِ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ**»؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَكْمَلُ مِنْ قَوْلِ: اللَّهُ أَعْظَمُ...»[(٢)]، وقال الطيبي رحمه الله: «وقوله: «**الله أكبر الله أكبر**» فيه معنى التعجب من أنه تعالى يقدر نزوله بساحتهم بعد ما أنذروا، ثم أصبحهم وهم غافلون عن ذلك، فيه استحباب التكبير عند لقاء العدو، وفيه جواز الاستشهاد في مثل هذا الشأن بالقرآن في الأمور المحققة، وقد جاء له نظائر منها عند فتح مكة، وطَعَن الأصنام»[(٣)].

١١-وقوله: «**خربت خيبر**»: قال الرافعي رحمه الله: «يجوز أن يعدّ دعاء، ويجوز أن يجعل خبرًا لقرب حالها من الخراب؛ إما لأنه أوحي إليه بذلك، أو على سبيل حسن الظن بنصرة الله تعالى إياهم»[(٤)].

١٢-وقوله: « **أصبناها عنوة**»: قال القاضي عياض رحمه الله: «قال الإمام: ظاهرهُ أنها كلها عنوة، وقد قال ابن شهاب: فما حكى مالك عنه بعضها عنوة، وبعضها صلح»[(٥)].

١٣-قوله: «**فأصبنا من لحوم الحمر**»: قال القاضي عياض رحمه الله: «وأصل الإصابة: الأخذ، يقال: أصاب من الطعام إذا أكل منه، ... وقوله في حديث

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤/ ٥٩٠.
(٢) مجموع الفتاوى، ١٠/ ٢٥٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ١١ من مفردات الحديث رقم ٩٣ من أحاديث المتن.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٨/ ٢٦٩٩.
(٤) شرح مسند الشافعي، ٤/ ١٠٣.
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٦/ ١٨٠.

الإسراء: «فاخترت اللبن»، فقال: أصبت أصاب الله بك»، أي: قصدت طريق الهدى، ووجهه، ووجدته، وفعلت الصواب، أو أصبت الفطرة ... أو الملة، قال ثعلب: والإصابة الموافقة»[1].

١٤-قوله: «**الحمر**»: جمع حمار، قال الفيروزأبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحِمارُ: معروف، ويكونُ وحْشِيًّا، جمعه: أحْمِرَةٌ، وحُمُرٌ، وحَمِيرٌ»[2]، وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَمَّا الْحُمُرُ الْإِنْسِيَّةُ فَقَدْ وَقَعَ فِي أَكْثَرِ الرِّوَايَاتِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِهَا»[3].

١٥-قوله: «**فإنها رجس**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرجس: النجس»[4]، وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذَا يَدُلُّ عَلَى نَجَاسَةِ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ وَهُوَ مَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ الْجُمْهُورِ»[5].

١٦-قوله: «**ثلاث خصال**»: قال الزبيدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخَصْلَةُ: الخَلَّةُ نقله الصاغانيّ، أيضاً: الفَضِيلَةُ والرَّذِيلَةُ تكون في الإِنسان، أو قد غَلَبَ على الفَضِيلةِ كما في المُحكَم، وقال الأزهريّ: الخَصلَةُ: حالاتُ الأُمورِ، جمعها: خِصالٌ بالكسر، تقول: فُلانٌ في خَصْلة حَسَنةٍ، وخَصْلة قَبِيحة، وخِصالٍ وخَصَلاتٍ كريمة»[6].

١٧-قوله: «**أهل السهل وأهل المدر**»: قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «العَرَب تُعَبِّر عَن أَهل الحَضَر بِأَهلِ المُدَر، وعَن أَهل البادِيَة بِأَهلِ الوبَر»[7]، وقال العيني

---

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ٢/ ٥١، وتقدم في شرح مفردات الحديث رقم ١١١، شرح المفردة رقم ١٤.
(٢) القاموس المحيط، ص ٣٧٩، مادة (حمر).
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣/ ٩٠.
(٤) جامع الأصول، ٧/ ٤٥٩.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢/ ١٦٨.
(٦) تاج العروس ٢٨/ ٤٠٩، مادة (خصلة).
(٧) فتح الباري، ٦/ ٣٥٢.

رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله أهل السهل: أي: البوادي، وأهل المدر: أهل البلاد»[١].

١٨-قوله: «**أَوْ أَكُونُ خَلِيفَتَكَ**»: قال الكشميري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ظنَّ الشقيُّ أن النبيَّ ﷺ ملك، كسائر الملوك، ولم يَدْرِ أنه رسول الله إلى من وُجِدَ في الأرض كافةً، وذلك أمرٌ لا يتأتى فيه الشركة، ولا الاستخلاف، وإنما هو الله، يَصْطَفِي لرسالاته من شاء من عباده»[٢].

١٩-قوله: «**فطُعن عامر**»: قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «بضم الطاء المهملة وكسر العين أي: أصابه الطاعون، وطلع له في أصل أذنه غدة عظيمة»[٣].

٢٠-قوله: «**غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْبَعِيرِ**»: قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَخْرُجُ فِي الْمَرَاقِّ وَالْآبَاطِ، قَالَ أَبُو عُمَرَ بن عبد البر: وَقَدْ تَخْرُجُ فِي الْأَيْدِي وَالْأَصَابِعِ، وَحَيْثُ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْبَدَنِ»[٤].

٢١-قوله: «**فقتلوا كلهم غير الأعرج**»: قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: لكونه كان على رأس جبل يدل على أنه قُتل منهم تسعة وستون، إذ هم سبعون كما سلف»[٥]، وقال ابن الحجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «رجل أعرج هُوَ كَعْب بن زيد الْأَنْصَارِيّ، وَهُوَ من بني أُميَّة بن زيد، كَمَا عِنْد الْإِسْمَاعِيلِيّ، قَالَ همام: وَأرَاهُ آخر مَعَه، هُوَ عَمْرو بن أُميَّة الضمرِي كَمَا فِي السِّيرَة، جُنْدُب بن سُفْيَان، هُوَ جُنْدُب بن عبد الله بن سُفْيَان العلقي البَجلِيّ، نسب إِلَى جده»[٦].

٢٢-قَوله: «**ثُمَّ كَانَ مِنَ الْمَنسُوخِ**»: قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَي:

---

(١) عمدة القاري ١٧/ ١٧٠.
(٢) فيض الباري على صحيح البخاري، ٥/ ٥١.
(٣) عمدة القاري ١٧/ ١٧٠.
(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٢٦/ ٧١.
(٥) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢١/ ٢٠٧.
(٦) فتح الباري لابن حجر، ١/ ٢٨٩.

المَنسُوخِ تِلاوتُهُ، فَلَم يَبقَ لَهُ حُكمُ حُرمَةِ القُرآنِ كَتَحرِيمِهِ عَلَى الجُنُبِ وغَيرِ ذَلِكَ»[١]، وقال ابن الملقن رَحِمَهُ اللهُ: «وقوله: فأنزل الله علينا، ثم كان من المنسوخ: (إنا قد لقينا ربنا فرضي عنا (رضينا عنه) وأرضانا): مراده: أنه بما نسخ تلاوته، وقال ابن التين: إما أن يكون كان يتلى، ثم نسخ رسمه، أو كان الناس يكثرون ذكره، وهو من الوحي، ثم تقادم حتى صار لا يذكر إلا خبرًا»[٢].

٢٣-قوله: «**فإن أمنوني**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «أمن: الأَمانُ والأَمانةُ بِمَعْنًى، وَقَدْ أَمِنْتُ فأَنا أَمِنٌ، وآمَنْتُ غَيْرِي مِنَ الأَمْن والأَمان، والأَمْنُ: ضدُّ الْخَوْفِ... الأَمْنُ نَقِيضُ الْخَوْفِ، أَمِن فلانٌ يأْمَنُ أَمْناً وأَمَناً؛ حَكَى هَذِهِ الزَّجَّاجُ، وأَمَنَةً وأَماناً فَهُوَ أَمِنٌ. والأَمَنةُ: الأَمْنُ»[٣].

٢٤-قوله: «**وأومؤوا**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «أَوَمَأَ: ومَأَ إِلَيْهِ يَمَأُ وَمْأً: أَشارَ مِثل أَوْمَأَ، ... الإِيماءُ: أَن تُومِئَ برَأْسِكَ، أَوْ بِيَدِكَ كَمَا يُومِئُ المَرِيضُ برأْسه للرُّكُوعِ والسُّجُودِ، وَقَدْ تَقُولُ الْعَرَبُ: أَوْمَأَ برأْسِه أَي قَالَ لَا»[٤].

٢٥-قوله: «**وأومؤوا إلى رجل فأتاه**»: قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «فَأَومَؤوا إِلَى رَجُلٍ فَأَتَاهُ مِن خَلفِهِ فَطَعَنَهُ»: لَم أَعرِف اسمَ الرَّجُلِ الَّذِي طَعَنَهُ، ووقَعَ فِي السِّيرَةِ لابنِ إِسحاقَ ما ظاهِرُهُ أَنَّهُ عامِرُ بنُ الطُّفَيلِ، فَلَمّا أَتاهُ لَم يَنظُر فِي كِتابِهِ بِئر مَعُونَة بَعَثُوا حَرامَ بن مِلحانَ بِكِتابِ رَسُول اللَّه ﷺ إِلَى عامِرِ بن الطُّفَيل، فَلَمّا أَتاهُ لَم يَنظُر فِي كِتابه حَتَّى عَدا عَلَيهِ فَقَتَلَهُ»[٥].

---

(١) فتح الباري، ٧/ ٣٨٨.
(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢١/ ٢٠٧.
(٣) لسان العرب، ١٣/ ٢١، مادة (أمن).
(٤) لسان العرب، ١/ ٢٠١، مادة (وما).
(٥) فتح الباري، لابن حجر، ٧/ ٣٨٨.

٢٦-قوله: «فُزت وربِّ الكَعبَةِ»: قال ابن حجر رحمه الله: «أَي: بِالشَّهادَةِ»[١]، وقال العيني رحمه الله: «فزت ورب الكعبة: القائل بهذا هو حرام، وقد صرح به في الحديث الذي يليه على ما يأتي، ومعنى قوله: فزت يعني: بالشهادة»[٢].

٢٧-قوله: «لم يُغر»: قال القاضي عياض رحمه الله: «والإغارة: النهب، أغار يغير إغارة فهو مغير»[٣]، وقال الباجي رحمه الله: «وَقَوْلُهُ: «وَكَانَ إِذَا أَتَى قَوْمًا بِلَيْلٍ»: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ ﷺ لِأَنَّ اللَّيْلَ لَيْسَ بِوَقْتِ إغَارَةٍ، لَا سِيَّمَا فِيمَا يَقْرَبُ مِنْ الْحُصُونِ وَالْقُرَى؛ لِأَنَّ مَنْ خَشِيَ أَنْ يُغَارَ عَلَيْهِ يَبِيتُ فِيهَا، فَلَا يُظْفَرُ بِهِ؛ فَإِذَا خَرَجَ عِنْدَ الصَّبَاحِ، وَانْتَشَرَتْ الْعُمَّالُ، وَسَائِرُ النَّاسِ الْمُتَصَرِّفِينَ، أَغَارَ حِينَئِذٍ لِيَظْفَرَ بِهِمْ، أَوْ بِبَعْضِهِمْ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ تَثَبُّتًا؛ فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا عِنْدَ الصَّبَاحِ أَمْسَكَ وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْهُ أَغَارَ»[٤].

٢٨-قوله: «وَكَانَ إِذَا أَتَى قَوْمَا لَيلًا لَمْ يُغِرْ حَتَّى يُصْبِحَ»: قال ابن العربي رحمه الله: «يحتمل أنّ يفعل ذلك؛ لأنّ اللّيل ليس بوقت إغارة، لا سيّما فيما يقرب من الحصون والقُرى؛ لأنّ من خشي أنّ يغار عليه يبيت فيها، فلا يفطن له، ولا يظفر به، فإذا خرج عند الصّباح، وانتشر النَّاس، أغار حينئذ ليظفر بهم أو ببعضهم، ويحتمل أنّ يفعل ذلك تثبّتًا، فإن سمع عند الصّباح أذانًا أمسك، وإن لم يسمع أذانًا أغار»[٥].

٢٩-قوله: «الغلس»: قال ابن الملقن رحمه الله: «بقايا ظلام الليل، وكان نزوله بها ليلًا فصلى الصبح بغلس ثم ركب»[٦].

---

(١) فتح الباري، لابن حجر، ٧/ ٣٨٨.
(٢) عمدة القاري، ١٧/ ١٧٢.
(٣) الشافي في شرح مسند الشافعي، ٥/ ٣٦١.
(٤) المنتقى شرح الموطأ، ٣/ ٢١٧.
(٥) المسالك في شرح موطأ مالك، ٥/ ١١٩.
(٦) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٨/ ٤٦.

٣٠-قوله: «**فأجرى نبي الله**»: قال الفيومي رحمه الله: «جَرَى الْفَرَسُ وَنَحْوُهُ جَرْيًا وَجَرَيَانًا، فَهُوَ جَارٍ، وَأَجْرَيْتُهُ أَنَا، وَجَرَى الْمَاءُ سَالَ خِلَافُ وَقَفَ وَسَكَنَ»[(١)]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «فَأَجرَى نَبِيُّ اللهِ ﷺ أي: مَركُوبه»[(٢)]، وقال الإمام النووي رحمه الله: «(فَأَجْرَى نَبِيُّ اللهِ ﷺ فِي زُقَاقِ خَيْبَرَ): دَلِيلٌ لِجَوَازِ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ لَا يُسْقِطُ الْمُرُوءَةَ، وَلَا يُخِلُّ بِمَرَاتِبِ أَهْلِ الْفَضْلِ، لَا سِيَّمَا عِنْدَ الْحَاجَةِ لِلْقِتَالِ، أَوْ رِيَاضَةِ الدَّابَّةِ، أَوْ تَدْرِيبِ النَّفْسِ، وَمُعَانَاةِ أَسْبَابِ الشَّجَاعَةِ»[(٣)].

٣١-قوله: « **رِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَبَنِي لَحْيَانَ**»: قال ابن حجر رحمه الله: «أي غزوة رِعلٍ وذَكوانَ، فَأَمّا رِعلٌ، فَبِكَسرِ الرّاءِ، وسُكُونِ المُهمَلَةِ: بَطنٌ مِن بَنِي سَلِيم يُنسَبُونَ إِلَى رِعلِ بن عَوف بن مالِك بن امرِئِ القَيسِ بن لَهِيعَةَ بن سَلِيم، وأَمّا ذَكوانُ: فَبَطن مِن بَنِي سَلِيم أَيضًا يُنسَبُونَ إِلَى ذَكوانَ بن ثَعلَبَة بن بُهثَةَ بن سَلِيم فَنُسِبَت الغَزوة إِلَيهِما»[(٤)]، وقال في موضع آخر: «بَنُو لِحيانَ - بِكَسرِ اللاَّمِ، وقِيلَ بِفَتحِها، وسُكُون المُهمَلَةِ-: ولِحيانُ، هُو ابن هُذَيلٍ نَفسه، وهُذَيلُ، هُو ابن مُدرِكَة بن إِلياس بن مُضَر، وزَعَمَ الهَمدانِيُّ النَّسّابَةُ أَنَّ أَصلَ بَنِي لِحيانَ مِن بَقايا جُرهُم دَخَلُوا فِي هُذَيلٍ فَنُسِبُوا إِلَيهِم»[(٥)].

٣٢-قوله: «**وعُصَيَّةُ الذين عصوا**»: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «عصية: بَطنٌ مِن بَنِي سُلَيمٍ، مُصَغَّر قَبِيلَةٌ تُنسَبُ إِلَى عُصَيَّةَ بن خِفافِ بن نُدبَةَ بن بُهثَةَ بنِ سُلَيمٍ»[(٦)].

٣٣-قوله: «**صَلَاةِ الْغَدَاةِ**»: قال النووي رحمه الله: «فِيهِ جَوَازُ تَسْمِيَةِ الصُّبْحِ غَدَاةً،

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٩٧، مادة (جري).
(٢) فتح الباري، لابن حجر، ١/ ٤٨٠.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٩/ ٢١٩.
(٤) فتح الباري، لابن حجر، ٧/ ٣٧٩.
(٥) فتح الباري، لابن حجر، ٧/ ٣٨١.
(٦) فتح الباري، لابن حجر، ٧/ ٣٩١.

وَهَذَا لَا خلاف فيه؛ لكن قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: سَمَّاهَا اللهُ تَعَالَى الْفَجْرَ، وَسَمَّاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الصُّبْحَ، فَلَا أُحِبُّ أَنْ تُسَمَّى بِغَيْرِ هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ»[(١)].

٣٤-قوله: «رديف»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «الرِّدْفُ ما تَبِعَ الشيءَ... ورَدِفَ الرجلَ وأَرْدَفَه رَكِبَ خَلْفَه، وارْتَدَفَه خَلْفَه على الدابة»[(٢)]، وقال ابن الملقن رَحِمَهُ اللهُ: «الردف والرديف: هو الراكب خلف الراكب»[(٣)]، وقال ابن الملقن رَحِمَهُ اللهُ: «معناه: التعاون على أفعال البر في الغزو والحج وكل سبيل الله تعالى، وأن ذَلِكَ من السنة ومن فعل السلف الصالح، وهو من باب التواضع»[(٤)].

٣٥-قَوْلُهُ: «وَأَنَا رَدِيفُ أَبِي طَلْحَةَ»: قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «دَلِيلٌ لِجَوَازِ الْإِرْدَافِ إِذَا كَانَتِ الدَّابَّةُ مُطِيقَةً»[(٥)].

٣٦-قوله: «زقاق خيبر»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «والزُّقاقُ: السِّكَّة، يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ؛ قَالَ الأَخفش: أَهل الْحِجَازِ يؤنِّثون الطَّرِيقَ وَالسِّرَاطَ وَالسَّبِيلَ والسُّوق والزُّقاقَ والكَلَّاء، وَهُوَ سُوق الْبَصْرَةِ، وَبَنُو تَمِيمٍ يذكِّرون هَذَا كُلَّهُ؛ وَقِيلَ: الزُّقاق الطَّرِيقُ الضيِّق دُونَ السِّكَّة، وَالْجَمْعُ أَزِقَّة وزُقَّان؛ ... والزُّقاقُ: طَرِيقٌ نَافِذٌ، وَغَيْرُ نَافِذٍ، ضَيِّقٌ دُونَ السِّكة»[(٦)]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وأَجرَى النَّبِيُّ ﷺ فَرَسَهُ حِينَئِذٍ فِي زُقَاقِ خَيبَر، كَما فِي الرِّوايَةِ الأُخرَى، فَوصَلَ فِي آخِرِ الزُّقاقِ إِلَى أَوَّلِ الحُصُونِ حِينَ بَزَغَت الشَّمسُ»[(٧)].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٥/ ١٠.
(٢) لسان العرب، ٩/ ١١٤، مادة (ردف).
(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٨/ ٢٢٧.
(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٨/ ١١٨.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٩/ ٢١٩.
(٦) لسان العرب، ١٠/ ١٤٣، مادة (زقق).
(٧) فتح الباري، لابن حجر، ٦/ ١١٢.

٣٧-قوله: «وَانْحَسَرَ الْإِزَارُ عَنْ فَخِذِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ»: قال الفيروز أبادي رحمه الله: «حَسَرَهُ يحسُرُهُ ويحسِرُهُ حَسْراً: كشَفهُ، وحسر الشيءُ حُسوراً: انكشفَ»[١]، وقال ابن رجب رحمه الله: «وأما (الإزار): فاختلف تفسيره: فقالت طائفة: هو مثل إزار الرجل الذي يأتزر به في وسطه»[٢]، وقال النووي رحمه الله: «وَتَأَوَّلَ أَصْحَابُنَا حَدِيثَ أَنَسٍ رضي الله عنه هَذَا عَلَى أَنَّهُ انْحَسَرَ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ؛ لِضَرُورَةِ الْإِغَارَةِ، وَالْإِجْرَاءِ، وَلَيْسَ فِيهِ أَنَّهُ اسْتَدَامَ كَشْفُ الْفَخِذِ مَعَ إِمْكَانِ السَّتْرِ، وَأَمَّا قَوْلُ أَنَسٍ؛ فَإِنِّي لَأَرَى بَيَاضَ: فَمَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَيْهِ فَجْأَةً، لَا أَنَّهُ تَعَمَّدَهُ»[٣].

٣٨-قوله: «وفاء لا غدر»: قال الطيبي رحمه الله: «أي: ليكن منكم وفاء لا غدر، يعني بعيد من أهل الله، وأمة محمد ﷺ ارتكاب الغدر؛ وللاستبعاد صدر الجملة بقوله: (الله أكبر) وكرره»[٤].

٣٩-قوله: «مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ»: قال الطيبي رحمه الله: «وإنما كره عمرو بن عبسة ذلك؛ لأنه إذا هادنهم إلى مدة، وهو مقيم في وطنه، فقد صارت مدة ميسرة بعد انقضاء المدة المضروبة، كالمشروط مع المدة في أن لا يغزوهم فيها. فإذا صار إليهم في أيام الهدنة كان إيقاعه قبل الوقت الذي يتوقعونه، فعد ذلك عمرو غدراً، وأما إن نقض أهل الهدنة، بأن ظهرت منهم خيانة، له أن يسير إليهم على غفلة منهم»[٥].

٤٠-قوله: «فَلَا يَحُلَّنَّ عَهْدًا»: قال القاري رحمه الله: «أَيْ: عَقْدَ عَهْدٍ»[٦].

---

(١) القاموس المحيط، ص ٣٧٥، مادة (حسر).
(٢) فتح الباري، لابن رجب، ٢/ ١٩٨.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢/ ١٦٣.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٩/ ٢٧٥٢.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٩/ ٢٧٥٢، وعون المعبود، ٧/ ٣١٢.
(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٦/ ٢٥٦٣.

٤١-قوله: «وَلَا يَشُدَّنَّهُ حَتَّى يَمْضِيَ أَمَدُهُ أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هكذا بجملته عبارة عن عدم التغيير في العهد، فلا يذهب إلى اعتبار معاني مفرداتها.

٤٢-قوله: «على سواء»: هو حال، أي: يعلمهم أنه يريد أن يغزوهم، وأن الصلح الذي كان بينهم قد ارتفع، فيكون الفريقان في علم ذلك على السواء»[١].

٤٣-قوله: «في الحضيض»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحضيض: قرار الأرض، وأسفل الجبل»[٢].

٤٤-قوله: «اثبت أُحد»: قال القسطلاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «منادى حذفت أداته، أي: يا أحد، ونداؤه وخطابه وهو يحتمل المجاز والحقيقة...أُحد: الجبل المعروف بالمدينة»[٣].

٤٥-قوله: «فرجف الجبل»: قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتحرك الجبل، أي: اهتز ثبير حتى تساقطت حجارته، أي: بعضها بالحضيض، أي: أسفل الجبل، وقرار الأرض، فركضه»[٤].

٤٦-قوله: «فَرَكَضَهُ بِرِجْلِهِ»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرَّكْضِ: الضَّرب بالرجْل، وَالْإِصَابَةُ بِهَا، كَمَا تُرْكَض الدَّابة، وتُصَاب بالرّجْل، أَرَادَ الأضْرار بِهَا وَالْأَذَى»[٥]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «تَأْثِيرُهُ فِي الْأَحْجَارِ، وَتَصَرُّفُهُ فِيهَا، وَتَسْخِيرُهَا لَهُ فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ أُحُدًا وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ، فَقَالَ:

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٩/ ٢٧٥٣.
(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٦/ ٩٦.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٢/ ٣٨٧٦.
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٧/ ٤٠٥.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٢٥٩، مادة (ركض).

اسْكُنْ - وَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ - فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ»[(١)]، وقال القسطلاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ابن المنير: قيل الحكمة في ذلك أنه لما أرجف أراد النبي ﷺ أن يبين أن هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما حرفوا الكلم، وأن تلك رجفة الغضب، وهذه هزة الطرب، ولهذا نص على مقام النبوّة والصديقية والشهادة التي توجب سرور ما اتصلت به، لا رجفانه، فأقر الجبل بذلك فاستقر»[(٢)].

٤٧-قوله: «فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ»: قال الشيخ عبدالمحسن العباد: «الشهيدان هما: عمر، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهذا يدل على فضلهما، وعلى أنهما نالا الشهادة»[(٣)]، قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وشهيدان أي: حقيقيان، حيث قتلا عقب الطعن، وماتا قريباً من أثر الضرب، وهما عمر وعثمان»[(٤)].

٤٨-قوله: «اسْكُنْ ثَبِيرُ»: قال الفيومي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَسَكَنَ الْمُتَحَرِّكُ سُكُونًا: ذَهَبَتْ حَرَكَتُهُ، وَيَتَعَدَّى بِالتَّضْعِيفِ فَيُقَالُ سَكَّنْتُهُ»[(٥)]، وقال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثبير: هو جبل من جبال مكة، أي: بقرب مكة، وقيل هو جبل مقابل لجبل حراء، وفي رواية قال: «حراء» مكان «ثبير»»[(٦)].

٤٩-**قوله**: «**حُنَيْنٌ**»: قال الفيومي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مصغر وادٍ بين مكة والطائف»[(٧)].

٥٠-قوله: «حَدِيثو عَهْدٍ بكفر»: قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: لَا يَعْرِفُون حُدُودَ

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، ٦/ ٢٥٥.
(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٦/ ٩٧.
(٣) شرح سنن أبي داود للعباد، ٥٢٠.
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٧/ ٤٠٥.
(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٢٨٣، مادة (سكن).
(٦) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٧/ ٤٠٥.
(٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ١٥٤، مادة (حنن).

الإسلام فقدينْكرون شَيْئًا مِنْه جَهْلًا بِهِ[١].

٥١- (**أنواط**) جمع نَوْط، وهو مصدر نُطْتُ به كذا وكذا أنُوط نَوْطاً: إذا علقتَه به، ويسمَّى المَنْوط بالنَّوْط»[٢]

٥٢-**قوله**: «**ذات أنواط**»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هي جمع نوط، وهو مصدر، سمي به المنوط، وهي هنا اسم شجرة بعينها، كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم، أي: يعلقونه بها، ويعكفون حولها، فسألوه أن يجعل لهم مثلها، فنهاهم عن ذلك»[٣].

٥٣-قوله: «**لتركبن سنن من كان قبلكم**»: قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «لتركبن: وفي لفظ: «لتتبعن» سنن: بفتح المهملة: سبيلهم، «من كان قبلكم» من الأمم... الحديث إعلام وإخبار بأن الأمة، والمراد غالبها، تشابه الأمم في المعاصي، وباقي أنواع ما يأتونه غير الكفر، وهو تحذير عن تشابه من قبلهم في أفعالهم، وأخلاقهم»[٤].

٥٤-قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾[٥]، قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قَالُوا: من جهلهم، وسفههم، لنبيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدما أراهم الله من الآيات ما أراهم: ﴿**يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ**﴾ أي: اشرع لنا أن نتخذ أصناماً آلهة كما اتخذها هؤلاء، فقَالَ لهم موسى: ﴿**إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾ وأي جهل أعظم من جهل من جهل ربه، وخالقه، وأراد أن يسوي به غيره، ممن لا يملك نفعاً، ولا ضراً، ولا موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً؟»[٦].

---

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ٢٠٥.
(٢) جامع الأصول، ١٠/ ٣٥.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن (١١/ ٣٤٢١).
(٤) انظر: التنوير شرح الجامع الصغير، ٩/ ٢٨.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨
(٦) تفسير السعدي، ص ٣٠٢.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-جاء قوله ﷺ: «**الله أكبر**» في التعجب أو الأمر السار في عدة أحاديث عن عدد من الصحابة ﷺ وكان من هديه ﷺ أن يكبر إذا وقع أمر يسرُّه، وإنما كان يكبر لبيان أن الله أكبر من كل كبير فلا يتعلق قلب العبد بشيء حتى لا يزاحم محبة الله وتعظيمه، ومن ذلك قوله ﷺ في الأحوال الآتية:

الحال الأولى: قوله ﷺ يوم خيبر: «**الله أكبر. خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**»[١]، والشاهد هو سروره بفتح خيبر التي كانت فتحًا على الإسلام وأهله.

الحال الثانية: إخباره ﷺ أن هذا الرجل الذي كان يقاتل معه أحسن القتال: «**أنه من أهل النار**» فتعجب الصحابة ﷺ ثم تبعه واحد منهم فرآه يقتل نفسه ولم يصبر على الجراحات فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال: «**الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله**»[٢] والشاهد أن تكبيره ﷺ أن الذي حدث علم من أعلام النبوة.

الحال الثالثة: تكبير الصحابة ﷺ لما بشرهم النبي ﷺ بقوله: «**أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ ثلث أهل الجنة؟ شطر أهل الجنة؟**»[٣] وهم في كل مرة يكبرون.

٢-قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «فيه استحباب التكبير عند لقاء العدو، وفيه جواز الاستشهاد في مثل هذا الشأن بالقرآن في الأمور المحققة، وقد جاء له نظائر منها عند فتح مكة وطعن الأصنام قال: «**جَاءَ الحَقُّ وزَهَقَ البَاطِلُ**»، قال العلماء: ويكره من ذلك ما كان على سبيل ضرب المثل في المحاورات،

---

(١) البخاري، برقم ٤١٩٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب في تغليظ تحريم قتل الإنسان نفسه وإن من قتل نفسه بشيء عُذّب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، برقم ١١١.

(٣) البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾، برقم ٤٧٤١.

ولغو الحديث؛ تعظيماً لكتاب الله تعالى»[(١)].

٣-قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «والذي ذهب إليه الشافعي في تبييت المشركين: أنه جائز، وأورد هذا الحديث اعتراضًا، قال: ورواية أنس أن النبي ﷺ كان لا يغير حتى يصبح، ليس بتحريم الإغارة ليلاً ولا نهارًا، ولا غارين -والله أعلم- ولكنه على أن يكون يبصر من معه كيف يغيرون، احتياطًا أن يؤتى من كمين، أو من حيث لا يشعرون، وقد تختلط الحرب إذا غاروا ليلاً، فيقتل بعض المسلمين بعضاً، ولقائل أن يقول: إنما كان يوقفه عن الإغارة ليلاً ليسمع الأذان، ويدري هل هم مسلمون أو لا، ولا يكون ذلك منعاً من الإغارة ليلاً، إنما كان يفعله احتياطاً»[(٢)].

٤-قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «التكبير شكرًا لله تعالى عندما يرى الإنسان ما يسر به كبَلَدِهِ، وكذا لولادة الغلام، ورؤية الهلال؛ لأنه إعلام بما ظهر، ورفع الصوت به إظهارًا لعلو دين الله، وظهور أمره»[(٣)].

٥-وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما فعل ﷺ هذا التكبير استشعارًا لكبرياء الله تعالى على ما تقع عليه العين من عظيم خلقه، وكبير مخلوقاته، أنه أكبر الأشياء، وليس ذَلِكَ على معنى أن غيره كبير، وإنما معنى قوله: الله أكبر: (الله) الكبير، هذا قول أهل اللغة كما نقله عنهم المهلب، وقال معمر عن أبان: لم يعط أحد التكبير إلا هذِه الأمة، وكذلك يفعل ﷺ في إشرافه على الجبال، ففرح ﷺ بما فتح الله عليه، وكبر إعظامًا لله وشكرًا له»[(٤)].

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٨/ ٢٦٩٩.
(٢) الشافي في شرح مسند الشافعي، ٥/ ٣٦٢.
(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٨/ ٤٦.
(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٨/ ١٢٨)

٦-قال ابن عبد البر رحمه الله: «فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِبَاحَةُ الْمَشْيِ بِاللَّيْلِ؛ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ جَازَ الِاسْتِخْدَامُ بِالْمَمَالِيكِ وَالْأَحْرَارِ، إِذَا اشْتَرَطَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَكَانَتْ ضَرُورَةً، وَفِيهِ إِتْعَابُ الدَّوَابِّ بِاللَّيْلِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى ذَلِكَ، مَا لَمْ يَكُنْ سَرْمَدًا؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ مُحِيطٌ أَنَّهُمْ لَمْ يَخْلُوا مِنْ مَمْلُوكٍ يَخْدِمُهُمْ، وَأَجِيرٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَفِيهِ أَنَّ الْغَارَةَ عَلَى الْعَدُوِّ إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فِي وَجْهِ الصَّبَاحِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّبْيِينِ وَالنَّجَاحِ فِي الْبُكُورِ، وَفِيهِ أَنَّ مَنْ بَلَغَتْهُ الدَّعْوَةُ مِنَ الْكُفَّارِ لَمْ يَلْزَمْ دُعَاؤُهُ، وَجَازَتِ الْغَارَةُ عَلَيْهِ، وَطَلَبُ غَفْلَتِهِ وَغِرَّتِهِ، وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي دُعَاءِ الْعَدُوِّ قَبْلَ الْقِتَالِ إِذَا كَانُوا قَدْ بَلَغَتْهُمُ الدَّعْوَةُ، فَكَانَ مَالِكٌ رحمه الله يَقُولُ: الدَّعْوَةُ أَصْوَبُ، بَلَغَهُمْ ذَلِكَ أَوْ لَمْ يَبْلُغْهُمْ، إِلَّا أَنْ يُعْجِلُوا الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَدْعُوهُمْ، وَقَالَ عنه ابن القاسم لا يبيتوا حتى يدعو، وَذَكَرَ الرَّبِيعُ عَنِ الشَّافِعِيِّ فِي كِتَابِ الْبُوَيْطِيِّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا يُقَاتَلُ الْعَدُوُّ حَتَّى يُدْعَوْا»[1].

٧-ومن فوائد هذا الحديث قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «التفاؤل؛ فإن النبي ﷺ «لما رآهم خرجوا بالمكاتل، وهي: الزبيل[2]، والقفاف، والمساحي، وهي: المجرفة، وهذه آلات الحراث، ووقع الأمر كذلك، ومنها: التكبير على العدو عند مشاهدته، ويحتمل أن يكون سر ذلك أن التكبير طارد لشيطان الجن تقارنهم، فإذا انهزمت شياطينهم المقترنة بهم انهزموا ، كما جرى للمشركين يوم بدر؛ فإن إبليس كان معهم يعدهم، ويمنيهم، فلما انهزم انهزموا»[3].

٨-قال الإمام الخطابي رحمه الله: «فيه من الفقه أن إظهار شعار الإسلام في

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢/ ٢١٥.

(٢) قال الفيومي في المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٢٥١، مادة (زبل): «وَالزَّبِيلُ: مِثَالُ: كَرِيمٍ: الْمِكْتَلُ، وَالزِّنْبِيلُ: مِثَالُ: قِنْدِيلٍ: لُغَةٌ فِيهِ».

(٣) فتح الباري، لابن رجب، ٣/ ٤٣٩.

القتال، وعند شن الغارة يحقن به الدم، وليس كذلك حال السلامة والطمأنينة التي يتسع فيها معرفة الأمور على حقائقها، واستيفاء الشروط اللازمة فيها.

٩-وفيه دليل على أن قتال الكفار من غير إحداث الدعوة جائز، وقد ذكرنا اختلاف أهل العلم في ذلك.

١٠-وقال الشافعي في هذا الحديث إنما كان رسول الله ﷺ لا يغير حتى يصبح، ليس لتحريم الغارة ليلاً أو نهاراً، ولا غارين، وفي كل حال، ولكنه على أن يكون يبصر من معه كيف يغيرون، احتياطاً أن يؤتوا من كمين، ومن حيث لا يشعرون، وقد يختلط أهل الحرب إذا غاروا ليلاً فيقتل بعض المسلمين بعضاً.

١١-قلت [القائل الخطابي]: وقد أغار رسول الله على بني المصطلق وهم غارون، وأنعامهم على الماء تسقى، وقد ذكره أبو داود في هذا الباب، وقال لأسامة: أغر على أُبْنا صباحاً، وحرق، فدل على إباحة البيات، والإيقاع بهم وهم غارون، وقال سلمة بن الأكوع: أمّرعلينا رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه، فغزونا ناساً من المشركين، فبيتناهم نقتلهم، وكان شعارنا تلك الليلة: امِتْ امت»[(١)].

١٢-قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة، والعكوف حولها، اتخاذ إله مع الله تعالى، مع أنهم لا يعبدونها، ولا يسألونها، فما الظن بالعكوف حول القبر، والدعاء به ودعائه، والدعاء عنده؟ فأي نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر؟ لو كان أهل الشرك والبدعة يعلمون.

١٣-قال بعض أهل العلم من أصحاب مالك: فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة، أو شجرة يقصدها الناس، ويعظمونها، ويرجون البرء والشفاء من قِبلها، ويضربون بها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط، فاقطعوها.

---

(١) معالم السنن، ٢/ ٢٦٨.

١٤-ومن له خبرة بما بعث الله تعالى به رسوله، وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم في هذا الباب وغيره، علم أن بين السلف وبين هؤلاء الخلوف من البعد أبعد مما بين المشرق والمغرب، وأنهم على شيء والسلف على شيء»[(١)].

***

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ١/ ٢٠٥.

١٢٣ - مَا يَفْعَلُ مَنْ أَتَاهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ

٢٤٢-«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ أَوْ يُسَرُّ بِهِ خَرَّ سَاجِداً شُكْراً لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»[(١)].

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٤٦-لفظ ابن ماجه عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ[(٢)]: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «كَانَ إِذَا أَتَاهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ أَوْ بشر بِهِ، خَرَّ سَاجِدًا، شُكْرًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»[(٣)].

٩٤٧-لفظ أبي داود عنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «أَنَّهُ كَانَ إِذَا جَاءَهُ أَمْرُ سُرُورٍ، أَوْ بُشِّرَ بِهِ، خَرَّ سَاجِدًا شَاكِرًا لِلَّهِ»[(٤)].

٩٤٨-لفظ الترمذي عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَاهُ أَمْرٌ فَسُرَّ بِهِ فَخَرَّ لِلَّهِ سَاجِدًا»[(٥)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «كان»: أي: كان من هديه وسنته ﷺ، قال المناوي رحمه الله: «كان إذا

---

(١) رواه أهل السنن إلا النسائي: أبو داود، كتاب الجهاد، باب في سجود الشكر، برقم ٢٧٧٤، والترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في سجدة الشكر، برقم ١٥٧٨، وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر، برقم ١٣٩٤، وحسنه لغيره الأرناؤوط في سنن ابن ماجه، ٢/ ٤٠٣، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١١٤٣، وإرواء الغليل، ٢/٢٢٦، وصحيح أبي داود، برقم ٢٤٧٩.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٨٢ من أحاديث الشرح.

(٣) ابن ماجه، برقم ١٣٩٤، وحسنه لغيره الأرناؤوط في سنن ابن ماجه، ٢/ ٤٠٣، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١١٤٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أبو داود، برقم ٢٧٧٤، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٤٧٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) الترمذي، برقم ١٥٧٨، حسنه الألباني في إرواء الغليل، ٢/٢٢٦، وصحيح أبي داود، برقم ٢٤٧٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

جاءه: لفظ رواية الحاكم: أتاه (أمر) أي: أمر عظيم كما يفيده التنكير»[١]، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونكّر (أمر) للتفخيم وللتعظيم»[٢].

٢-قوله: «**إذا أتاه أمر يسرُّه، سُرَّ بِه، أمر سرورٍ**»: أي: يفرحه، ويسعده ﷺ، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «والسُّرُّ، والسَّرَّاءُ، والسُّرُورُ، والمَسَرَّةُ، كُلُّه: الفَرَحُ؛ يُقَالُ: سُرِرْتُ بِرُؤْيَةِ فُلَانٍ، وسَرَّني لِقَاؤُهُ، وَقَدْ سَرَرْتُه أَسُرُّه أَي: فَرَّحْتُه»[٣]، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأن المراد بالسرور، هو سرورٌ يحصل عند هجوم نعمة ينتظرها، أو يفاجأ بها من غير انتظار، مما يندر وقوعها، لا ما استمر وقوعها، ومن ثم قدرها في الحديث بالمجيء»[٤].

٣-قوله: «**خَرَّ ساجدًا**»: هذا كقوله: ﴿**يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً**﴾[٥]، ومن سجد على وجهه فقد خرّ على ذقنه ساجداً[٦]، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «خَرَّ يَخُرُّ بِالضَّمّ وَالْكَسْرِ: إِذَا سَقَطَ مِنْ عُلْوٍ. وخَرَّ الْمَاءُ يَخِرُّ بِالْكَسْرِ»[٧]، وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «خَرَّ يَخِرُّ خَرّاً: هَوَى مِنْ عُلْوٍ إِلى أَسفل... خَرَّت خَطَايَاهُ ؛ أَي: سَقَطَتْ وَذَهَبَتْ، ... وخَرَّ لِوَجْهِهِ يَخِرُّ خَرّاً وخُرُوراً: وَقَعَ كَذَلِكَ»[٨]، وقال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: سقط على الفور هاوياً إلى إيقاع سجدة لشكر الله تعالى على ما أحدث له من السرور»[٩].

٤-قوله: «**شكراً لله**»: قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «شكراً لله على إنعامه، وتواضعاً

---

(١) فيض القدير، ٥/ ١١٨.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣١٨.
(٣) لسان العرب، ٤/ ٣٦١، مادة (سرّ).
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣١٨.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ١٠٩.
(٦) تفسير الجزائري، ص ٩٥٧، الآية ١٠٩ [من سورة الإسراء].
(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٢١، مادة (خر).
(٨) لسان العرب، ٤/ ٢٣٥، مادة (خر).
(٩) فيض القدير، ٥/ ١١٨.

له وإقبالاً عليه، وإعراضاً عن السرور بالأمور العارضة، وفيه سنية ذلك، ولا حجة لمن قال: لا يندب سجود الشكر»[١].

٥-قوله: «**تبارك**»: قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: تعالى، وتعاظم، وكثر خيره»[٢].

٦-وقوله: «**تعالى**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «جَلَّ عَنْ إفْك المفْتَرِين وعَلا شأنُه، وَقِيلَ: جَلَّ عَنْ كلِّ وَصْفٍ وثَنَاء»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-استحباب «سجدة الشكر» عند تجدد نعمة، أو اندفاع نقمة، سواء كانت النعمة خاصة لصاحبها، أم لعموم المسلمين، فمن الخاص تبشير بنجاح، أو شفاء من مرض، أو نحو ذلك» ومن العام نصر للإسلام، أو هلاك لأعدائه، أو نحو ذلك.

٢-سجود الشكر كسجود التلاوة، لا يشترط له ما يشترط للصلاة من الطهارة من الحدثين الأكبر والأصغر، واستقبال القبلة، وغير ذلك، وتختلف سجدة الشكر عن سجود التلاوة بأن سجود التلاوة يجوز في الصلاة أما سجدة الشكر فمن فعلها في صلاته فإنها تبطل بذلك إذا كان عالمًا بالحكم ذاكرًا له، وصفتها أنه يكبر إذا سجد فقط، ولا يكبر إذا رفع، ولا يسلم[٤].

٣-جرى عمل الصحابة ومن بعدهم على ذلك فمن هذا ما يأتي:

أ- سجود كعب بن مالك رضي الله عنه لما بُشر بتوبة الله عليه «لما تاب الله عليه خر ساجدًا»[٥].

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣٦٥.
(٢) تفسير السعدي، ص ٥٤٨.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٢٩٣، مادة (علا).
(٤)انظر: الشرح الممتع، ٤/ ١٠٧.
(٥) القصة بطولها في الصحيحين وهذا اللفظ عند ابن ماجه (١٣٩٣)، وصححه الألباني في الإرواء، برقم ٤٧٤.

ب- سجد عليّ ﷺ حين وجد ذا الثدية في قتلى الخوارج[١]، وكان هذا الرجل من ألد أعداء الملة.

٤-قال النووي رحمه الله: «سُجُودُ الشُّكْرِ سُنَّةٌ عِنْدَ تَجَدُّدِ نِعْمَةٍ ظَاهِرَةٍ، وَانْدِفَاعِ نِقْمَةٍ ظَاهِرَةٍ؛ سَوَاءٌ خَصَّتْهُ النِّعْمَةُ وَالنِّقْمَةُ، أَوْ عَمَّتْ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ أَصْحَابُنَا: وَكَذَا إذَا رَأَى مُبْتَلًى بِبَلِيَّةٍ فِي بَدَنِهِ، أو بغيرها، أو بِمَعْصِيَةٍ، يُسْتَحَبُّ أَنْ يَسْجُدَ شُكْرًا للهِ تَعَالَى، وَلَا يُشْرَعُ السُّجُودُ لِاسْتِمْرَارِ النِّعَمِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَنْقَطِعُ، قَالَ أَصْحَابُنَا: وَإِذَا سَجَدَ لِنِعْمَةٍ، أَوْ انْدِفَاعِ نِقْمَةٍ، لَا يَتَعَلَّقُ بِغَيْرِهِ، اسْتُحِبَّ إظْهَارُ السُّجُودِ، وَإِنْ سَجَدَ لِبَلِيَّةٍ فِي غَيْرِهِ، وَصَاحِبُهَا غير معذور، كالفاسق أظهر السُّجُودَ فَلَعَلَّهُ يَتُوبُ، وَإِنْ كَانَ مَعْذُورًا كَالزَّمِنِ وَنَحْوِهِ، أَخْفَاهُ لِئَلَّا يَتَأَذَّى بِهِ؛ فَإِنْ خَافَ مِنْ إظْهَارِهِ لِلْفَاسِقِ مَفْسَدَةً أَوْ ضَرَرًا، أَخْفَاهُ أَيْضًا»[٢].

٥-قال المناوي رحمه الله: «ندب سجود الشكر عند حصول نعمة، واندفاع نقمة، والسجود أقصى حالة العبد في التواضع لربه، وهو أن يضع مكارم وجهه بالأرض، وينكس جوارحه، وهكذا يليق بالمؤمن كلما زاده ربه محبوباً، ازداد له تذللاً، وافتقاراً، فيه ترتبط النعمة، ويجتلب المزيد ... والمصطفى ﷺ أشكر الخلق للحق؛ لعظم يقينه، فكان يفزع إلى السجود، وفيه حجة للشافعي في ندب سجود الشكر عند حدوث سرور، أو دفع بلية، ورد على أبي حنيفة في عدم ندبه، وقوله لو ألزم العبد بالسجود لكل نعمة متجددة كان عليه أن لا يغفل عن السجود طرفة عين؛ فإن أعظم النعم نعمة الحياة، وهي متجددة بتجديد الأنفاس»[٣].

---

(١) مصنف عبد الرزاق، ٣/ ٣٥٨، برقم ٥٩٦٢، ومصنف ابن أبي شيبة، ٢/ ٤٨٣، برقم ٨٥١٠، وحسنه الألباني في الإرواء، برقم ٤٧٦.
(٢) المجموع شرح المهذب، ٤/ ٦٨.
(٣) فيض القدير، ٥/ ١١٨.

١٢٤ - مَا يَقُولُ مَنْ أَحَسَّ وَجَعًا فِي جَسَدِهِ

٢٤٣ -((ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، ثَلاَثاً، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ))[(١)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٤٩-لفظ مسلم عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ ﷺ[(٢)]، أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **((ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ ثَلاَثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ))**[(٣)].

٩٥٠-ولفظ أبي داود عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ﷺ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَالَ عُثْمَانُ: وَبِي وَجَعٌ قَدْ كَادَ يُهْلِكُنِي، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **((امْسَحْهُ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ)). قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ ﷻ مَا كَانَ بِي، فَلَمْ أَزَلْ آمُرُ بِهِ أَهْلِي وَغَيْرَهُمْ))**[(٤)].

٩٥١-ولفظ أحمد أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ أَخَذَهُ وَجَعٌ قَدْ كَادَ يُبْطِلُهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَزَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: **((ضَعْ يَمِينَكَ عَلَى مَكَانِكَ الَّذِي تَشْتَكِي، فَامْسَحْ بِهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَقُلْ أَعُوذُ**

---

(١) مسلم، كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم، برقم ٢٢٠٢، وأبو داود، كتاب الطب، باب كيف الرقى، برقم ٣٨٩١، ومسند أحمد، ٢٩/ ٤٣٥، برقم ١٧٩٠٧.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٦٢ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٢٢٠٢، وتقدم تخريجه في تخريج أحاديث المتن.

(٤) أبو داود، برقم ٣٨٩١، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٤٥٣، وتقدم تخريجه في تخريج أحاديث المتن.

بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ فِي كُلِّ مَسْحَةٍ»[(١)].

٩٥٢- وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ، قَالَ: شَهِدْتُ الْأَعْرَابَ يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ ﷺ: أَعَلَيْنَا حَرَجٌ فِي كَذَا؟ أَعَلَيْنَا حَرَجٌ فِي كَذَا؟ فَقَالَ لَهُمْ: «**عِبَادَ اللَّهِ، وَضَعَ اللَّهُ الْحَرَجَ، إِلَّا مَنِ اقْتَرَضَ، مِنْ عِرْضِ أَخِيهِ شَيْئًا، فَذَاكَ الَّذِي حَرِجَ**» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ عَلَيْنَا جُنَاحٌ أَنْ لَا نَتَدَاوَى؟ قَالَ: «**تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ، سُبْحَانَهُ، لَمْ يَضَعْ دَاءً، إِلَّا وَضَعَ مَعَهُ شِفَاءً، إِلَّا الْهَرَمَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ قَالَ: «**خُلُقٌ حَسَنٌ**»[(٢)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**شكا**»: قال الباجي رحمه الله: «اشْتَكَى فُلَانٌ، إذَا أَصَابَهُ شَكْوَى مَرَضٍ»[(٣)]، وقال القاضي عياض رحمه الله: «والشكو: المرض، يقال منه: شكا يشكو، واشتكى شكاية وشكاوة وشكوًا»[(٤)].

٢-قوله: «**الذي تألم**»: تألم: أي: أصابه الوجع والمرض، قال الرازي رحمه الله: «الْأَلَمُ: الْوَجَعُ... وَالتَّأَلُّمُ: التَّوَجُّعُ وَ (الْإِيلَامُ) الْإِيجَاعُ و(الْأَلِيمُ) الْمُؤْلِمُ»[(٥)].

٣-قوله: «**على الذي تألم من جسدك**»: قال المناوي رحمه الله: «على الذي تألم من جسدك: أي: بدنك، قال ابن الكمال: والألم إدراك المنافي من حيث إنه منافي، ومقابل الشيء هو مقابل ما يلائمه، وفائدة قيد الحيثية

---

(١) مسند أحمد، برقم ١٧٩٠٧، وصححه محققو المسند، والألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، برقم ٣٨٩٤، وتقدم تخريجه في تخريج أحاديث المتن.

(٢) ابن ماجه، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، برقم ٣٤٣٦، ومسند أحمد، ٣٠/ ٣٩٨، برقم ١٨٤٥٥، وصححه محققو المسند، والألباني في صحيح الجامع، برقم ٢٩٣٠.

(٣) المنتقى شرح الموطأ للباجي، ٧/ ٢٦٠.

(٤) مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ٦/ ٥٠.

(٥) مختار الصحاح، ص ٢٠، مادة (ألم).

الاحتراز عن إدراك المنافي، لا من حيث منافاته فإنه ليس بألم»[١].

٤-قوله: «**وجعاً يجده**»: قال في مختار الصحاح: «الْوَجَعُ: الْمَرَضُ... وَالْإِيجَاعُ: الْإِيلَامُ، وَضَرْبٌ وَجِيعٌ: أَيْ: مُوجِعٌ، كَأَلِيمٍ، أَيْ: مُؤْلِمٍ، وَتَوَجَّعَ لَهُ مِنْ كَذَا أَيْ: رَثَى لَهُ»[٢].

٥-قوله: «**ضع يدك**»: قال الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ضع يدك: المخاطب عثمان بن أبي العاص؛ لأنه الشاكي للألم في جسده، والمراد بها عند الإطلاق اليد اليمين، ويأتي التصريح بها»[٣].

٦-قوله: «**فضع يدك حيث تشتكي**»: قال المنازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فضع يدك حيث تشتكي) على الموضع الذي يؤلمك ولعل حكمة الوضع أنه كبسط اليد للسؤال»[٤].

٧-قوله: «**باسم الله**»: قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «تقديره: باسم الله ابتدائي، ... أو أبدَأ ببسم الله أو ابتدأت ببسم الله، فكلاهما صحيح ... فالمشروع ذكر اسم الله في كل أمر، تبركًا، وتيمنًا، واستعانة على الإتمام والتقبل»[٥].

٨-قوله:«**ثلاثاً... سبع مرات**»: قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه اختصاص هذه الأمور بالوتر، وتخصيص الثلاث منها والسبع، وذلك كثير في موارد الشرع، لا سيما تخصيص السبع بما هو في باب الشفاء والمعافاة والنشر، ودفع السحر وأمر الشيطان والسم»[٦].

٩-قوله: «**أعوذ بالله**»: أعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٣٣٧.
(٢) مختار الصحاح، ص ٣٣٣، مادة (وجع).
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٧/ ١٠٦.
(٤)فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٣٦٥.
(٥) تفسير ابن كثير، ١/ ١٢١، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من شرح حديث المتن رقم ٢٠٦.
(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٧/ ١١٠.

أفعل ذلك، فإن ذلك سوء أتحاشى من تعاطيه، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فَإِنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مَوْجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ الَّذِي لَمْ يُوجَدْ بَعْدُ، وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛ فَإِنَّ نَفْسَ وُجُودِهِ ضَرَرٌ، مِثَالُ الْأَوَّلِ: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»، وَمِثْلُ الثَّانِي: **التعوذ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ**»[١]، وقال الباجي رحمه الله: «وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ: نَصٌّ عَلَى التَّعَوُّذِ فِيمَا نَزَلَ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْمَرَضِ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ»[٢].

١٠-قوله: «**أعوذ بعزة الله**»: أي: بقهره لكل شيء وغلبته له.

١١-قوله: «**وقدرته**»: أي: بقوته فهو القادر والقدير والمقتدر عز وجل، قال ابن منظور رحمه الله: «القَدِيرُ، والقادِرُ: مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عز وجل يَكُونَانِ مِنَ القُدْرَة وَيَكُونَانِ مِنَ التَّقْدِيرِ، ... فَاللَّهُ عز وجل عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُقَدِّرُ كُلِّ شَيْءٍ وَقَاضِيهِ،... القَدَرُ القَضاء المُوَفَّقُ، يُقَالُ: قَدَّرَ الإِله كَذَا تَقْدِيرًا، وإِذا وَافَقَ الشيءُ الشيءَ، ...القَدْرُ والقَدَرُ الْقَضَاءُ والحُكْم، وَهُوَ مَا يُقَدِّره اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ الْقَضَاءِ وَيَحْكُمُ بِهِ مِنَ الأُمور»[٣].

١٢-قوله: «**من شر ما أجد**»: أي: من الألم.

١٣-قوله: «**وأحاذر**»: أي: أخاف من وقوعه مستقبلاً.

١٤-قوله: «**ما أجد وأحاذر**»: قال ابن منظور رحمه الله: «الحِذْرُ والحَذَرُ: الْخِيفَةُ، ... ورجلُ حَذِرٌ، وحَذُرٌ، وحاذُورَةٌ وحِذْرِيانٌ: مُتَيَقِّظٌ شَدِيدُ الحَذَرِ، والفَزَعِ، مُتَحَرِّزٌ؛ وحاذِرٌ: متأَهب مُعِدٌّ كأَنه يَحْذَرُ أَن يفاجَأَ»[٤]. وقال الطيبي رحمه الله:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ١٨/ ٢٨٨، وتقدم مستوفى في شرح المفردة الثالثة من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

(٢) المنتقى شرح الموطأ، ٧/ ٢٦٠.

(٣) لسان العرب، ٥/ ٧٤، مادة (قدر).

(٤) لسان العرب، ٤/ ١٧٥، مادة (حذر).

«تعوَّذ من وجع ومكروه هو فيه، ومما يتوقع حصوله في المستقبل من الحزن والخوف؛ فإن الحذر هو الاحتراز عن مخوف»[١].

١٥-قوله: «**يهلكني**»: قال ابن فارس رحمه الله: «الْهَاءُ وَاللَّامُ وَالْكَافُ: يَدُلُّ عَلَى كَسْرٍ وَسُقُوطٍ، مِنْهُ: الْهَلَاكُ: السُّقُوطُ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ لِلْمَيِّتِ هَلَكَ»[٢]، وقال الباجي رحمه الله: «كَادَ يُهْلِكُنِي: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ لِلْعَلِيلِ أَنْ يَصِفَ مَا بِهِ مِنْ الْأَلَمِ لِاسْتِدْعَاءِ الدَّوَاءِ، أَوْ الرُّقْيَةِ أَوْ الشِّفَاءِ بِأَيِّ وَجْهٍ أَمْكَنَ»[٣].

١٦-قوله: «**امسحه بيمينك**»: قال ابن فارس رحمه الله: «قوله: امسح المسح: إِمْرَارُ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ بَسْطًا، وَمَسَحْتُهُ بِيَدِي مَسْحًا»[٤].

١٧-قوله: «**في كل مسحة**»: قال المناوي رحمه الله: «من المسحات السبع وفيه كالذي قبله ندب وضع اليد على محل الألم والذكر المذكور»[٥].

١٨-قوله: «**كاد يبطله**»: قال الفيومي رحمه الله: «بطل: فَسَدَ، أَوْ سَقَطَ حُكْمُهُ، فَهُوَ بَاطِلٌ، وَجَمْعُهُ بَوَاطِلُ،...وَفِي لُغَةٍ بَطَلَ يَبْطُلُ مِنْ بَابِ قَتَلَ فَهُوَ بَطَلٌ، بَيِّنُ الْبَطَالَةِ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِبُطْلَانِ الْحَيَاةِ عِنْدَ مُلَاقَاتِهِ، أَوْ لِبُطْلَانِ الْعَظَائِمِ بِهِ»[٦].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية قول هذا الذكر لمن أصيب بألم أو وجع، والأكمل قوله باللسان مع إمراره على قلبه معتقدًا صدق قائله ﷺ.

٢-قال المناوي رحمه الله: «هذا العلاج من الطب الإلهي؛ لما فيه من ذكر الله،

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٣٧.
(٢) مقاييس اللغة، ٦/ ٦٢، مادة (هلك).
(٣) المنتقى شرح الموطأ، ٧/ ٢٦٠.
(٤) مقاييس اللغة، ٥/ ٣٢٢، مادة (مسح).
(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٣٣٨.
(٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٥٢، مادة (بطل).

والتفويض إليه، والاستعاذة بعزته، وتكراره يكون أنجع، وأبلغ، كتكرار الدواء الطبيعي لاستقصاء إخراج المادة، وفي السبع خاصية لا توجد لغيرها»(١).

٣-قال الباجي رحمه الله: «قَوْلُهُ ﷺ: وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَقُدْرَتِهِ، مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ: نَصٌّ عَلَى التَّعَوُّذِ فِيمَا نَزَلَ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْمَرَضِ بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَقُدْرَتِهِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ الِاسْتِرْقَاءِ، وَالدُّعَاءِ؛ لِإِذْهَابِ الْمَرَضِ، وَفِي مَعْنَاهُ التَّدَاوِي بِذَلِكَ، وَيَحْتَمِلُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنْ يُرِيدَ بِهِ أَنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ مَعَ كُلِّ مَسْحَةٍ، وَهُوَ الْأَظْهَرُ عِنْدِي، وَقَوْلُ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ: «فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَنِّي مَا كَانَ بِي» يُرِيدُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - لَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ يَأْمُرُ بِهِ أَهْلَهُ، وَغَيْرَهُمْ؛ لَمَّا جَرَّبَهُ مِنْ مَنْفَعَتِهَا، وَإِذْهَابِ الْأَدْوَاءِ بِهَا»(٢).

٤-فيه سؤال الله بصفاته، وهو أمر متكرر في الدعوات النبوية، فتارة بالأسماء والصفات معًا، وتارة بأحدهما.

٥-أخذ الدواء الحسي غير المحرم، والذهاب إلى الطبيب لا ينافي التوكل.

٦-الأفضل والأكمل للعبد أن يعوذ هو نفسه ويرقيها إلا إذا غُلب على ذلك بمرض أو نحوه، وإن عرض عليه أحد ذلك فلا بأس لأنه في هذه الحالة غير طالب لها أي: غير مسترق، وقد مدح النبي ﷺ هذا الصنف بقوله: «**هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**»(٣).

٧-إذا احتاج إلى طلب الرقية لمرض شديد حلَّ به زالت الكراهية، وجاز له ذلك.

٨-قال ابن عبد البر رحمه الله: «فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّ صِفَاتِ اللَّهِ

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٣٣٨.
(٢) المنتقى شرح الموطأ، ٧/ ٢٦٠.
(٣) البخاري في مواضع عدة وفيه أن من هذه الأمة «سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» جعلنا الله منهم آمين، وانظر: البخاري، برقم ٥٧٠٥، ورقم ٦٧٤٢،

غَيْـرُ مَخْلُوقَـةٍ لِأَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ لَا تَكُـونُ بِمَخْلُـوقٍ، وَفِيـهِ أَنَّ الرقْـيَ يَـدْفَعُ الْـبَلَاءَ وَيَكْشِفُهُ اللَّهُ بِـهِ وَهُـوَ مِـنْ أَقْوَى مُعَالَجَةِ الْأَوْجَاعِ لِمَنْ صَحِبَهُ الْيَقِينُ الصَّحِيحُ وَالتَّوْفِيقُ الصَّرِيحُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»[1].

***

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢٣/ ٢٩.

١٢٥- دُعَاءُ مَنْ خَشِيَ أَنْ يُصِيبَ شَيْئًا بِعَيْنِهِ

٢٤٤-«إِذَا رَأَى أَحَدُكُم مِنْ أَخِيهِ، أَوْ مِنْ نَفْسِهِ، أَوْ مِنْ مَالِهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ»(١).

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٥٣-لفظ ابن ماجه مَرَّ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ(٢) بِسَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ﷺ(٣)، وَهُوَ يَغْتَسِلُ فَقَالَ: لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ، وَلَا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ فَمَا لَبِثَ أَنْ لُبِطَ بِهِ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: أَدْرِكْ سَهْلًا صَرِيعًا، قَالَ «مَنْ تَتَّهِمُونَ بِهِ» قَالُوا: عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ، قَالَ: «**عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ، فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ**» ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ، فَأَمَرَ عَامِرًا أَنْ يَتَوَضَّأَ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الطب، باب العين، برقم ٣٥٠٩، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٣٥٠٠، والسنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقرأ على من أصيب بعين، برقم ١٠٨٧٢، وموطأ مالك، ٥/ ١٣٧٣، برقم ٣٤٦٠، ومسند أحمد، ٢٤/ ٤٦٥، برقم ١٥٧٠٠، وصححه محققو المسند، ٢٤/ ٤٦٦، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦/ ١٤٨، و١٥٠، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، ٤/ ٢٤٠، وصححه ووافقه الذهبي، والألباني في السلسلة الصحيحة، ٦/ ١٤٨، برقم ٢٥٧٢، والضياء، ١٨٧/٨، برقم ٢١٣، وقال: «سنده حسن»، ومالك، ٢/ ٩٣٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢١٢/١، وانظر تحقيق زاد المعاد للأرناؤوط ١٧٠/٤ وصحيح ابن حبان، ١٣/ ٤٦٩، برقم ٦١٠٥، وحسنه الأرناؤوط محقق ابن حبان، وصححه الألباني في التعليقات الحسان، ٨/ ١٠١، وأبو يعلى، ١٥٢/١٣، برقم ٧١٩٥، وقال محققه حسين الأسد: «سنده جيد» وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٦ / ١٤٨، وحديث ابن عباس عند مسلم، كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، برقم ٢١٨٨.

(٢) تقدمت ترجمته في حديث رقم ٧٦٤ من أحاديث الشرح.

(٣) سهل بن حنيف: أبو ثابت الأنصاري العوفي، شهد بدرًا والمشاهد وكان ممن ثبت يوم أحد، مات بالكوفة سنة ٣٨، وصلى عليه علي ﷺ وكبر عليه خمسًا، وقال لأصحابه: إنما فعلت ذلك لتعلموا أنه بدري، حديثه بالكتب الستة. انظر: طبقات خليفة، ص ٨٥، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٥١٧، ترجمة رقم (١٢٥).

الْمِـرْفَقَيْنِ، وَرُكْبَتَيْـهِ وَدَاخِلَـةَ إِزَارِهِ، وَأَمَـرَهُ أَنْ يَصُـبَّ عَلَيْـهِ قَـالَ سُـفْيَانُ: قَـالَ مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ: وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْفَأَ الْإِنَاءَ مِنْ خَلْفِهِ»(١).

٩٥٤-ولفـظ النسائي: عَـنْ عَبْـدِ اللَّهِ بْـنِ عَـامِرِ بْـنِ رَبِيعَـةَ، عَـنْ أَبِيـهِ، قَـالَ: خَرَجْـتُ أَنَـا وَسَـهْلُ بْـنُ حُنَيْـفٍ، نَلْتَمِسُ الْخَمْـرَ، فَأَصَبْنَا غَـدِيْرًا خَمْـرًا، فَكَـانَ أَحَـدُنَا يَسْتَحِي أَنْ يَتَجَرَّدَ وَأَحَـدٌ يَـرَاهُ، فَاسْـتَتَرَ حَتَّـى إِذَا رَأَى أَنْ قَـدْ فَعَـلَ، نَـزَعَ جُبَّةَ صُوفٍ عَلَيْهِ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَأَعْجَبَنِي خَلْقُهُ، فَأَصَبْتُهُ بِعَيْنٍ، فَأَخَذَتْهُ قَعْقَعَةٌ، فَدَعَوْتُـهُ فَلَـمْ يُجِبْنِي، فَأَتَيْـتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُـهُ فَقَـالَ: «**قُومُـوا بِنَـا**» فَرَفَـعَ عَـنْ سَاقَيْهِ حَتَّى خَاضَ إِلَيْهِ الْمَاءَ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَضَحِ سَاقَيِ النَّبِيِّ ﷺ، فَضَـرَبَ صَـدْرَهُ وَقَـالَ: «**بِاسْـمِ اللَّهِ، اللهُـمَّ أَذْهِـبْ حَرَّهَـا وَبَرْدَهَـا وَوَصَبَهَـا، قُـمْ بِإِذْنِ اللَّهِ**» فَقَـامَ فَقَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا رَأَى أَحَـدُكُمْ مِـنْ نَفْسِـهِ أَوْ مَالِـهِ أَوْ أَخِيـهِ شَـيْئًا يُعْجِبُهُ فَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ، فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ**»(٢).

٩٥٥-ولفظ مالك رَأَى عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ يَغْتَسِـلُ، فَقَـالَ: مَـا رَأَيْـتُ كَـالْيَوْمِ وَلَا جِلْـدَ مُخْبَـأَةٍ، فَلُـبِطَ سَـهْلٌ، فَـأُتِيَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ، فَقِيـلَ: يَـا رَسُـولَ اللَّهِ، هَـلْ لَـكَ فِـي سَـهْلِ بْـنِ حُنَيْـفٍ؟ وَاللَّهِ مَـا يَرْفَـعُ رَأْسَـهُ، فَقَـالَ: «**هَـلْ تَتَّهِمُونَ لَهُ أَحَدًا؟**» قَالُوا: نَتَّهِمُ عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ، قَـالَ: فَـدَعَا رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ عَـامِرًا فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ، وَقَـالَ: «**عَـلَامَ يَقْتُـلُ أَحَـدُكُمْ أَخَـاهُ، أَلَّا بَرَّكْـتَ اغْتَسِـلْ لَـهُ**»، فَغَسَـلَ عَامِرٌ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ، وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَـدَحٍ، ثُمَّ صُبَّ عَلَيْهِ، فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ»(٣).

---

(١) سنن ابن ماجه، برقم ٣٥٠٩، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٣٥٠٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) السنن الكبرى للنسائي، برقم ١٠٨٧٢، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦/ ١٤٨، و١٥٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) موطأ مالك، ٥/ ١٣٧٣، برقم ٣٤٦٠،وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦/ ١٤٨، =

٩٥٦-ولفظ أحمد انْطَلَقَ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ وَسَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ يُرِيدَانِ الْغُسْلَ، قَالَ: فَانْطَلَقَا يَلْتَمِسَانِ الْخَمَرَ، قَالَ: فَوَضَعَ عَامِرٌ جُبَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ صُوفٍ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَأَصَبْتُهُ بِعَيْنِي، فَنَزَلَ الْمَاءَ يَغْتَسِلُ، قَالَ: فَسَمِعْتُ لَهُ فِي الْمَاءِ فَرْقَعَةً فَأَتَيْتُهُ، فَنَادَيْتُهُ ثَلاثًا فَلَمْ يُجِبْنِي، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ: فَجَاءَ يَمْشِي فَخَاضَ الْمَاءَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ سَاقَيْهِ، قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: **«اللهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ حَرَّهَا، وَبَرْدَهَا، وَوَصَبَهَا»** قَالَ: فَقَامَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ، أَوْ مِنْ نَفْسِهِ، أَوْ مِنْ مَالِهِ مَا يُعْجِبُهُ، فَلْيُبَرِّكْهُ فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ»**[1].

٩٥٧-ولفظ ابن حبان عن ابن سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ قال: اغْتَسَلَ أَبِي سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ بِالْخَرَّارِ، فَنَزَعَ جُبَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ، وَعَامِرُ بْنُ ربيعة ينظر، قال: وكان عامر بن ربيعة: ما أريت كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ عَذْرَاءَ، فوعِكَ سَهْلٌ مَكَانَهُ، فَاشْتَدَّ وَعَكُهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ سَهْلًا وُعِكَ، وَأَنَّهُ غَيْرُ رَائِحٍ مَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَتَاهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ سَهْلٌ الَّذِي كَانَ مِنْ شَأْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، أَلَا بَرَّكْتَ، إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ، تَوَضَّأْ لَهُ» فَتَوَضَّأَ لَهُ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ بِهِ بَأْس»**[2].

٩٥٨-ولفظ الحاكم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: خَرَجَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَمَعَهُ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ يُرِيدَانِ الْغُسْلَ فَانْتَهَيَا إِلَى غَدِيرٍ فَخَرَجَ سَهْلٌ يُرِيدُ الْخَمَرَ - قَالَ وَكِيعٌ: يَعْنِي بِهِ السِّتْرَ - حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّهُ قَدْ نَزَعَ جُبَّةً عَلَيْهِ مِنْ

=

وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(١) مسند أحمد، ٢٤/ ٤٦٥، برقم ١٥٧٠٠، وصححه محققو المسند، ٢٤/ ٤٦٦، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦/ ١٤٨، و١٥٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) صحيح ابن حبان، برقم ٦١٠٥، وحسنه الأرناؤوط محقق ابن حبان، وصححه الألباني في التعليقات الحسان، ٨/ ١٠١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

صُوفٍ فَوَضَعَهَا ثُمَّ دَخَلَ الْمَاءَ قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ فَأَصَبْتُهُ بِعَيْنِي فَسَمِعْتُ لَهُ قَرْقَفَةً فِي الْمَاءِ فَأَتَيْتُهُ فَنَادَيْتُهُ ثَلَاثًا فَلَمْ يُجِبْنِي فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَجَاءَ يَمْشِي فَخَاضَ الْمَاءَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ سَاقَيْهِ فَضَرَبَ صَدْرَهِ ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ حَرَّهَا وَبَرْدَهَا وَوَصَبَهَا**» فَقَامَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ أَخِيهِ مَا يُحِبُّ فَلْيُبَرِّكْ فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ**»[1].

٩٥٩-لفظ أبي يعلى عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَسَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ نَلْتَمِسُ الْخَمْرَ، فَوَجَدْنَا خَمْرًا وَغَدِيرًا، وَكَانَ أَحَدُنَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَغْتَسِلَ وَأَحَدٌ يَرَاهُ، فَاسْتَتَرَ مِنِّي، فَنَزَعَ جُبَّةً عَلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَاءَ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ ، فَأَصَبْتُهُ مِنْهَا بِعَيْنٍ، فَدَعَوْتُهُ، فَلَمْ يُجِبْنِي، فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَاهُ فَضَرَبَ صَدْرَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَذْهِبْ حَرَّهَا وَبَرْدَهَا، وَوَصَبَهَا**»، ثُمَّ قَالَ: «**قُمْ**»، فَقَامَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ، فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ**»[2].

٩٦٠-وحديث مسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[3]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا**»[4].

٩٦١-وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**الْعَيْنُ تُدْخِلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ ، وَالْجَمَلَ الْقِدْرَ**»[5].

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم، ٤/ ٢٤٠، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٦/ ١٤٨، برقم ٢٥٧٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي، برقم ٧١٩٥، وقال محققه سنده جيد، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٦ / ١٤٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٢ من أحاديث الشرح.

(٤) مسلم، برقم ٢١٨٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) رواه أبو نعيم، ٧/ ٩٠، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤١٤٤.

٩٦٢-وعن جابر بن عبد الله ﷺ أيضاً قال: قال رسول ﷺ: «**أَكْثَرُ مَنْ يَمُوتُ مِنْ أُمَّتِي بعدَ قَضاءِ اللهِ وقَدَرِهِ بالعَيْنِ**»(١).

٩٦٣-وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْعَيْنَ لَتُولَعُ الرَّجُلَ بِإِذْنِ اللهِ، يَتَصَعَّدُ حَالِقًا ثُمَّ يَتَرَدَّى مِنْهُ**»(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**والله ما رأيت كاليوم**»: أي: ما رأيت جلد رجل في جماله وبياضه مثل سهل، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «أَيْ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا مِثْلَ مَا رَأَيْتُ الْيَوْمَ»(٣).

٢-قوله: «**ولا جلد مخبأة**»: والمراد بالمخبأة الجارية التي لم تتزوج بعد، قال ابن عبد البر رحمه الله: «الْمُخَبَّأَةُ الْمُخَدَّرَةُ الْمَكْنُونَةُ الَّتِي لَا تَرَاهَا الْعُيُونُ، وَلَا تَبْرُزُ لِلشَّمْسِ»(٤)، وقال الطيبي رحمه الله: «المخبأة: الجارية التي في خدرها، لم تتزوج بعد؛ لأن صيانتها أبلغ ممن قد تزوَّجَتْ»(٥)، وفي رواية: «جلد عذراء»: قال القاضي عياض رحمه الله: «جلد عذراء، وهي البكر؛ لأن عادتهن التستر تحت الحجال، وأن يخبأن من الرجال، فهن ناضرات الجسوم، إذ لا يصيبهن شمس، ولا ريح يغير بشرتهن»(٦).

٣-قوله: «**فلبط**»: أي: صرع وسقط إلى الأرض من تأثير عين عامر ﷺ،

---

(١) السنة لابن أبي عاصم ومعها ظلال الجنة للألباني، ١/ ١٣٦، برقم ٣١١، والطيالسي، برقم ١٧٦٠، وحسنه الألباني في تخريج كتاب السنة، ١/ ١٣٦، وفي صحيح الجامع، برقم ١٢٠٦.

(٢) مسند أحمد، ٣٥/ ٣٧٥، برقم ٢١٤٧٢، وحسنه محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ١٦٨١.

(٣) فتح الباري لابن حجر، ٧/ ١٧٩.

(٤) الاستذكار، ٨/ ٤٠٠.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٩/ ٢٩٧٢.

(٦) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ١/ ٢٢٨.

قال ابن عبد البر رحمه الله: «ولبط: صرع على الْأَرْضِ، وَلُبِطَ، وَلُبِجَ سَوَاءٌ، أَيْ: سَقَطَ إِلَى الأرض»[(١)]، وقال الطيبي رحمه الله: «فلبط سهل: أي: صُرع، وسقط إلى الأرض، يُقال: لبط بالأرض، فهو ملبوط به»[(٢)].

٤-قوله: «**هل لك**»: أي: من خير أو مداوة؟ قال الطيبي رحمه الله: «هل لك في كذا، وهل إلى كذا، كما تقول: هل ترغب فيه، وهل ترغب إليه؟»[(٣)].

٥-قوله: «**من تتهمون، هَلْ تَتَّهِمُونَ لَهُ أَحَدًا**»: قال الباجي رحمه الله: «يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ أَصَابَهُ بِالْعَيْنِ، وَلَعَلَّهُ كَانَ بَلَغَهُ ذَلِكَ فَأَرَادَ أَنْ يَتَحَقَّقَهُ»[(٤)].

٦-قوله: «**فتغيظ عليه**»: أي بالكلام، قال ابن عبد البر رحمه الله: «وفي تَغَيُّظُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ على عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ مِنْهُ شَيْءٌ، أَوْ بِسَبَبِهِ لَمْ يَقْصِدْهُ، جَائِزٌ عِتَابُهُ، وَتَأْدِيبُهُ عَلَيْهِ»[(٥)].

٧-قوله: «**علام**»: أي: لماذا وعلى أي شيء؟ قال ابن يعيش رحمه الله: «اعلم أنّ ألفَ (مَا) إذا كانت استفهامًا، ودخل عليها حرفٌ جارٌّ، فإنها تُحذف لفظًا وخطًا»[(٦)]، وقال ابن السراج رحمه الله: «تقول في الوصل: علامَ تقول كذا وكذا... وكان الأصل: على ما، وفي ما، ولما صنعت؟»[(٧)]، وقال الطيبي رحمه الله: «وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب؛ لأن الأصل أن يقال: علام تقتل؟، كأنه ما

---

(١) الاستذكار، ٨/ ٤٠٠.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٩/ ٢٩٧٢.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٢٢٧.
(٤) المنتقى شرح الموطأ، ٧/ ٢٥٦.
(٥) الاستذكار، ٨/ ٤٠٠.
(٦) شرح المفصل لابن يعيش، ٢/ ٤٠٩.
(٧) الأصول في النحو، ٢/ ٣٨١.

التفت إليه وعم الخطاب أولا، ثم رجع إليه تأنيباً وتوبيخاً»[(١)].

٨-قوله: «**يقتل أحدكم أخاه**»: أي: بعينه، قال ابن عبد البر رحمه الله: «فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ**»: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعَيْنَ قَدْ يَأْتِي مِنْهَا الْقَتْلُ، وَالْمَوْتُ إِذَا دَنَا الْأَجَلُ»[(٢)].

٩-قوله: «**إذا رأى أحدكم من نفسه أو أو ماله، أو أخيه**»: قال الصنعاني رحمه الله: «الإنسان قد يعين نفسه أو أهله أو ماله وأن الدعاء بالبركة يدفع ضررها»[(٣)].

١٠-قوله: «**ما يعجبه**»: قال المناوي رحمه الله: «ما يعجبه: من بدنه، أو ماله، أو غير ذلك»[(٤)]، وقال الصنعاني رحمه الله: «ما يعجبه: ما يستحسنه ويرضاه»[(٥)]، وقال الشوكاني رحمه الله: «إذا رأى ما يعجبه وخاف أن يصيبه بعينه»[(٦)].

١١-قوله: «**فليدع له بالبركة**»: قال المناوي رحمه الله: «ندباً بأن يقول: **اللهم بارك فيه، ولا تضرَّه**، ويُندب أن يقول: «**ما شاء الله، لا قوة إلا بالله**»[(٧)]، وقال الصنعاني رحمه الله: «ذلك؛ لأن الإعجاب قد تتولد عنه العين، فيجب عليه دفع ضررها بأن يقول: **بارك الله لي، أو لك في نفسك، وأهلك، ومالك**؛ فإن العين حق...وفيه: أن الإنسان قد يعين نفسه، أو أهله، أو ماله، وأن الدعاء بالبركة يدفع ضررها»[(٨)].

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٩/ ٢٩٧٢.
(٢) الاستذكار، ٨/ ٤٠٠.
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٥٦.
(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٤٢٧.
(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٥٦.
(٦) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ٢٧٢.
(٧) فيض القدير، ١/ ٣٥١.
(٨) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٥٦.

١٢-قوله: «**ألا بركت؟**»: أي: هلا دعوت له بالبركة بقولك: **بارك الله عليك**، قال ابن الأثير رحمه الله: «ألا بَرَّكْت: من البركة، وهي الزيادة والنماء، أو الثبات والدوام، أي: هلا دعوت له بالبركة»[1]، وقال الطيبي رحمه الله: « قوله: «**ألا بركت**»: هو للتحضيض، أي: هلا دعوت له بالبركة»[2]، وقال ابن عبدالبر رحمه الله: «وَقَوْلُهُ ﷺ: «**أَلَا بَرَّكْتَ**»: يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ أَعْجَبَهُ شَيْءٌ فَقَالَ: تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ، وَنَحْوَ هَذَا لَمْ يَضُرُّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»[3].

١٣-قوله: «**فإن العين حق**»: قال الصنعاني رحمه الله: «فإن العين إصابتها حق أمر ثابت، لا باطل، وتخيل، كما قالت طائفة جَهِلت العقل والشرع، فإنهم أنكروا أمر العين، وقالوا: إن ذلك أوهام لا حقيقة لها، قال بعض المحققين: وهؤلاء من أجهل الناس بالعقل والسمع، ومن أعظمهم حجاباً، وأكثفهم طباعاً، وأبعدهم عن معرفة الأرواح، والنفوس، وأفعالها، وتأثيرها، وعقلاء الأمم على اختلاف مِلَلهم ونحلهم لا تدفع أمر العين ولا تنكره»[4].

١٤-قوله: «**داخلة إزاره**»: قيل: المذاكير، وقيل: الأفخاذ والورك، وقيل: طرف الإزار الذي يلي الجسد مما يلي الجانب الأيمن، قال ابن عبد البر رحمه الله: «أَمَّا دَاخِلُ إِزَارِهِ، فَإِنَّ الْإِزَارَ ها هنا هُوَ الْمِئْزَرُ عِنْدَنَا، فَمَا الْتَصَقَ مِنْهُ بِخَصْرِ الْمُؤْتَزِرِ فَهُوَ دَاخِلَةُ الْإِزَارِ»[5]، وقال ابن الأثير رحمه الله: «**دَاخِلَة إزَاره**»:هي الطرف الذي يلي جسد المؤتزر، وقيل: أراد موضع داخلة إزاره من جسده، لا إزاره، وقيل: أراد به مَذَاكِيره، فكنى عنها،

---

(١) جامع الأصول، ٧/ ٥٨٦.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٩/ ٢٩٧٢.

(٣) الاستذكار، ٨/ ٤٠٠.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٣٢٥.

(٥) الاستذكار، ٨/ ٤٠٠.

كما يُكنى عن الفرج: بالسراويل، وقيل: هو الوَرِك»[(١)].

١٥-قوله: «**توضأ له**»: قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «وَفِيهِ أَنَّ الْعَائِنَ يُؤْمَرُ بِالْوُضُوءِ، وَبِالْغُسْلِ لِلْمَعِينِ وَأَنَّهَا نُشْرَةٌ يُنْتَفَعُ بِهَا»[(٢)].

١٦-قوله: «**وأمره أن يكفأ الإناء**»: قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللهُ: «يغسله بذلك، ثم يكفأ الإناء على ظهر الأرض»[(٣)]، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «يكفأ»: يقلب ويمال: يقال: كفأت القدر إذا قلبتها لينصب عنها ما فيها»[(٤)].

١٧-قوله: «**نلتمس الخمر**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: « والالْتِماسُ: الطَّلَب، والتَلَمُّسُ: التَّطَلُّب مرَّة بَعْدَ أُخرى ... والْتَمَس الشيءَ وتَلَمَّسَه: طَلَبَه. اللَّيْثُ: اللَّمْس بِالْيَدِ أَن تَطْلُبَ شَيْئًا هَاهُنَا وَهَاهُنَا»[(٥)]، وأما الخمرة، فقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «الخمرة – بالضم، وسكون الميم-: هي كالحصير الصغير من سعف النخيل، يضفر بالسيور، ونحوها بقدر الوجه والكفين، وهي أصغر من المصلَّى يُصلَّى عليها، سُمّيت بذلك؛ لأنها تستر الوجه والكفين من بَرْد الأرض وحَرِّها»[(٦)]، وقال ابن الجزري رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَوله فِي الحَدِيث: الْخمر، هُوَ بِفَتْح الْخَاء الْمُعْجَمَة، وَالْمِيم كل مَا يستر من شجر، أَو جبل، أَو نَحوه»[(٧)].

١٨-قوله: «**غديراً خمراً**»: قال ابن الجزري رَحِمَهُ اللهُ: «والغدير: مستنقع المَاء

---

(١) جامع الأصول، ٧/ ٥٨٦.

(٢) الاستذكار، ٨/ ٤٠٠.

(٣)التوضيح لشرح الجامع الصحيح(٢٧/ ٤٠٣.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١١/ ٣٤٠٠.

(٥) لسان العرب، ٦/ ٢٠٩، مادة (لمس).

(٦) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ١/ ٢٤٠.

(٧)تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص، ٣١٧.

من الْمَطَر»[١]، وقال ابن منظور رحمه الله: «الغَدِيرُ: مُسْتَنْقَعُ الْمَاءِ ماءِ الْمَطَرِ، صَغِيرًا كَانَ أَو كَبِيرًا»[٢].

١٩-قوله: «**وكأني أنظر إلى وضح ساقي النبي ﷺ**»: قال ابن الجزري رحمه الله: «والواضح بِفَتْح الْوَاو وَالضَّاد الْمُعْجَمَة وَبِالْحَاءِ الْمُهْملَة الْبيَاض»[٣]، وقال ابن الأثير رحمه الله: «والْوَضَحُ: الْبَيَاضُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»، وفي الرواية الأخرى: «بياض ساقيه»[٤].

٢٠-قوله: «**أن يتجرد**»: قال ابن منظور رحمه الله: «جَرَدَ الشيءَ، يجرُدُهُ جَرْداً، وجَرَّدَهُ: قشَره .... وَقَدْ جَرَّده مِنْ ثَوْبِهِ؛ وجرَّده إِياه... والتجريدُ: التَّعْرِيَةُ مِنَ الثِّيَابِ...والتجرُّدُ: التعرّي»[٥].

٢١-قوله: «**نزع جبة صوف**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «النَّزْع: الجَذْب والقَلْع، وَمِنْهُ نَزْعُ الميّتِ رُوحَه، ونَزَعَ القوسَ، إِذَا جَذَبها، ... نَزَع ثوبَهُ، وأَلَاحَ بِهِ لِيُنْذِر قومَه، ويبقَى عُرْيَاناً»[٦]، وأما الجبة فقال القاضي عياض رحمه الله: « الجبة ما قطع من الثياب وخيط»[٧]، وقال ابن منظور رحمه الله: «الجُبَّةُ: ضَرْبٌ مِنْ مُقَطَّعاتِ الثِّيابِ تُلْبَس، وَجَمْعُهَا جُبَبٌ وجِبابٌ»[٨].

---

(١) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص، ٣١٧.

(٢) لسان العرب، ٥/ ٩، مادة (غدر).

(٣) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص، ٣١٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ١٩٥، مادة (وضح).

(٥) لسان العرب، ٣/ ١١٥، مادة (جرد).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٢٢٥، مادة (نزع)

(٧) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ١/ ١٣٨.

(٨) لسان العرب، ١/ ٢٤٩، مادة (جبب).

٢٢-قولـه: «**فأخذتـه قعقعـة**»: قـال ابـن منظـور رَحِمَهُ اللَّهُ: «نفسُـه تَقَعْقَـعُ: أَي: تَضْطَرِبُ، قَالَ خَالِدُ بْنُ جَنْبَةَ: مَعْنَى قَوْلِهِ نَفْسُهُ تَقَعْقَعُ أَي: كلَّما صَدَرَتْ إِلى حَالٍ لَمْ تَلْبَثْ أَن تَصِيرَ إِلى حَالٍ أُخرى تُقَرِّبُهُ مِنَ الْمَوْتِ، لَا تَثْبُتُ عَلَى حَالٍ وَاحِدَةٍ»[(١)] وفـي روايـة: «فسـمعت لـه قرقفـة»: قـال ابـن الأثيـر رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقرقف: أَيْ: يُرْعَدُ مِنَ البَرْد»[(٢)]، وقـال ابـن منظـور رَحِمَهُ اللَّهُ: «القَرْقَفَة: الرِّعْدة، وَقَدْ قَرْقَفَه الْبَرْدُ مأْخوذ مِنَ الإِرْقاف، كرِّرت الْقَافُ فِي أَولها، وَيُقَالُ: إِنّي لأُقَرْقِـف مِـنَ الْبَـرْدِ أَي: أُرْعَـدُ...وَهُـوَ يُقَرْقِـف: ... أَي: يُرْعَـدُ مِـنَ الْبَـرْدِ، والقَرْقَف: الْمَاءُ الْبَارِدُ الْمُرْعِد»[(٣)].

٢٣-قوله: «**خاض إليه الماء**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخَوْض: المَشْيُ فِي الْمَاءِ»[(٤)]، وقال الفيومي رَحِمَهُ اللَّهُ: «خَاضَ الرَّجُلُ الْمَاءَ، يَخُوضُهُ خَوْضًا: مَشَى فِيهِ، وَالْمَخَاضَةُ بِفَتْحِ الْمِيمِ: مَوْضِعُ الْخَوْضِ»[(٥)].

٢٤-قوله: «**باسم الله**»: قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «تقديره: باسم الله ابتدائي، ... أو أبدأ ببسم الله أو ابتدأت ببسم الله، فكلاهما صحيح ... فالمشروع ذكر اسم الله في كل أمر، تبركًا، وتيمنًا، واستعانة على الإتمام والتقبل»[(٦)].

٢٥-قوله: «**اللَّهم**»: يعني يا الله فهي منادى حذفت منها «يا» النداء وعوضت عنها بالميم، «**اللهم**»: «بِمَعْنَى: يَا أَللهُ، وَالْمِيمُ الْمُشَدَّدَةُ عِوَضٌ مِنْ يَا؛ لأَنهم لَمْ

(١) لسان العرب، ٨/ ٢٨٦، مادة (قعقع).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٤٩، مادة(قرقف).

(٣) لسان العرب، ٩/ ٢٨٢، مادة (قرقف).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٨٨، مادة (خاض).

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ١٨٤، مادة (خوض).

(٦) تفسير ابن كثير، ١/ ١٢١، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من شرح حديث المتن رقم ٢٠٦.

يَجِدُوا يَا مَعَ هَذِهِ الْمِيمِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَوَجَدُوا اسْمَ اللَّهِ مُسْتَعْمَلًا بِيَا ... »[١]، وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «لا خلاف أن لفظة: (اللهمّ) معناها يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب»[٢].

٢٦-قوله: «**أذهب حرها**»: قال ابن منظور رحمه الله: «الذَّهابُ: السَّيرُ والمُرُورُ؛ ذَهَبَ يَذْهَبُ ذَهاباً وذُهوباً فَهُوَ ذاهِبٌ وذَهُوبٌ. والمَذْهَبُ: مَصْدَرٌ، كالذَّهابِ. وذَهَبَ بِهِ وأَذهَبَه غَيْرُهُ: أَزالَه. وَيُقَالُ: أَذْهَبَ به»[٣]، وقال الفيومي في كلمة (حر): « الْحَرُّ بِالْفَتْحِ خِلَافُ الْبَرْدِ يُقَالُ حَرَّ الْيَوْمُ وَالطَّعَامُ يَحَرُّ مِنْ بَابِ تَعِبَ وَحَرَّ حَرًّا وَحُرُورًا مِنْ بَابَيْ ضَرَبَ وَقَعَدَ لُغَةٌ وَالِاسْمُ الْحَرَارَةُ فَهُوَ حَارٌّ وَحَرَّتْ النَّارُ تَحَرُّ مِنْ بَابِ تَعِبَ تَوَقَّدَتْ وَاسْتَعَرَتْ»[٤].

٢٧-قوله: «**وبردها**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «الإِبْراد: الدُّخول فِي البَرْد»[٥]، وقال ابن منظور رحمه الله: «البَرْدُ: ضدُّ الْحَرِّ، والبُرودة: نَقِيضُ الْحَرَارَةِ؛ بَرَدَ الشيءُ يبرُدُ بُرودة، ...رُدَ الشيءُ، بِالضَّمِّ، وبَرَدْتُه أَنا فَهُوَ مَبْرُود وبَرّدته تَبْرِيدًا»[٦].

٢٨-قوله: «**ووصبها**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «والْوَصَبُ: دَوام الوَجَع ولُزومُه، كَمرّضْتُه مِن المَرَض: أَيْ دَبَّرْتُه فِي مَرضِه، وَقَدْ يُطْلَق الْوَصَبُ عَلَى التَّعَب، والفُتُورِ فِي البَدَن»[٧]، وقال ابن الجزري رحمه الله: «قَوْله: «ووصبها»: الوصب -بِفَتْح

(١) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله).

(٢) جلاء الأفهام، ص ١٤٣، وتقدم شرح المفردة مستوفى في المفردة رقم ٦ من الحديث رقم ١ من أحاديث المتن.

(٣) لسان العرب، ١/ ٣٩٣، مادة (ذهب).

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ١٢٩، مادة (حرّ).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ١١٤، مادة (برد).

(٦) لسان العرب، ٣/ ٨٢، مادة (برد).

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ١٩٠، مادة (وصب).

الْوَاو، وَالصَّاد-: دوَام الوجع، ولزومه، كَذَا قيل، وَالظَّاهِر أَنه التَّعَب مُطلقًا»[١].

٢٩-قوله: «فوعك، واشتد وعكه»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْوَعْك»: وَهُوَ الْحُمَّى، وَقِيلَ: أَلَمُها، وَقَدْ وَعَكَهُ المرضُ وَعْكاً، ووُعِكَ فَهُوَ مَوْعُوكٌ»[٢]، وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «الوعك الحمى، وقال غيره: هو ألم التعب، وقال يعقوب: وعكت الشيء: دفعته، وشددته، وقال غيره: هو إزعاج الحمى المريض، وتحريكها إياه...الوعك شدة الحر؛ فكأنه حرّ الحمّى، وشدتها»[٣].

٣٠-قوله: « لَوْ سَبَقَ شَيْءٌ الْقَدَرَ لَسَبَقَتْهُ الْعَيْنُ»: قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِي قَوْلِهِ: «لَوْ سَبَقَ شَيْءٌ الْقَدَرَ لَسَبَقَتْهُ الْعَيْنُ»: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصِّحَّةَ وَالسُّقْمَ قَدْ عَلِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى، وَمَا علم فلا بد مِنْ كَوْنِهِ عَلَى مَا عَلِمَهُ، لَا يَتَجَاوَزُ وَقْتَهُ، وَلَكِنَّ النَّفْسَ تَسْكُنُ إِلَى الْعِلَاجِ، وَالطِّبِّ، وَالرُّقَى، وَكُلٌّ سَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ قَدَرِ اللَّهِ وَعِلْمِهِ»[٤].

٣١-قوله: « وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا»: قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَعْنِي غُسْلَ الْمُعَايَنِ الْمُصَابِ بالعين»[٥]، وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: « الِاسْتِغْسَالُ أَنْ يُقَالَ لِلْعَائِنِ: اغْسِلْ دَاخِلَةَ إِزَارِكَ مِمَّا يَلِي الْجِلْدَ؛ فَإِذَا فَعَلَ صَبَّهُ عَلَى الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ»[٦].

---

(١) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص ٣١٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٢٠٧، مادة (وعك).

(٣) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ٢/ ٢٩١.

(٤) الاستذكار، ٨/ ٤٠٣.

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢/ ٢٧١.

(٦) فتح الباري لابن حجر، ١٠/ ٢٠٤.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-إثبات أمر العين ومن ذلك أيضًا قول النبي ﷺ: «**العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين**»[١] إلا أنها لا تعمل بذاتها بل بأمر الله ﷻ وحده وقوله ﷺ: «**العين تدخل الرجل القبر، وتدخل الجمل القدر**»[٢]، والمعنى أن العين تصيب الرجل فتقتله فيدفن في القبر وتصيب الجمل فيمرض فيذبحه صاحبه قبل موته فيطبخ في القدر ومن الأدلة كذلك قوله ﷺ: «**إن العين لتولع بالرجل بإذن الله حتى يصعد حالقًا فيتردى منه**»[٣] والمعنى: أن الرجل يصعد مكانًا عاليًا فيسقط من أعلاه من أثر العين، وقوله ﷺ: «**أكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله وقدره بالعين**»[٤].

٢-قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الْعَيْنُ: عَيْنَانِ: عَيْنٌ إِنْسِيَّةٌ، وَعَيْنٌ جِنِّيَّةٌ»[٥]، وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الْعين: نظر باستحسان يشوبه شَيْء من الْحَسَد، وَيكون النَّاظر خَبِيث الطَّبْع، كذوات السمُوم، فيؤثر فِي المنظور إِلَيْهِ، وَلَوْلَا هَذَا لَكَانَ كل عاشق يُصِيب معشوقه بِالْعينِ، يُقَال: عِنت الرجل: إِذا أصبته بعَيْنِك، فَهُوَ معِين، ومعيون، وَالْفَاعِل عائن، وَمعنى قَوْله: «الْعين حق»: أَنَّهَا تصيب بِلَا شكّ عَاجلاً، كَأَنَّهَا تسابق الْقدر، وَقد أشكل إِصَابَة الْعين على قوم، فاعترضوا على هَذَا الحَدِيث، فَقَالُوا: كَيفَ تعْمل الْعين من بعد حَتَّى

---

(١) مسلم، برقم ٢١٨٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) رواه أبو نعيم، ٧/ ٩٠، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤١٤٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسند أحمد، ٣٥/ ٣٧٥، برقم ٢١٤٧٢، وحسنه محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ١٦٨١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) السنة لابن أبي عاصم ومعها ظلال الجنة للألباني، ١/ ١٣٦، برقم ٣١١، والطيالسي، برقم ١٧٦٠، وحسنه الألباني في تخريج كتاب السنة، ١/ ١٣٦، وفي صحيح الجامع، برقم ١٢٠٦ وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) الطب النبوي لابن القيم، ص ١٢١.

تمرض؟ وَالْجَوَاب: أَن طبائع النَّاس تخْتَلف كَمَا تخْتَلف طبائع الْهَوَام»[(١)].

٣-العين نظر باستحسان مشوب بحسد من خبيث الطبع يحصل للمنظور منه ضرر بقدر الله، وقد يكون ذلك سماً يصل إلى عين العائن في الهواء إلى بدن المعيون، والحق أن الله يخلق عند نظر العائن إليه، وإعجابه به إذا شاء ما شاء من ألم، وهلكة، وقد يصرفه بعد وقوعه بالرقية، أو بالاغتسال، أو بغير ذلك[(٢)].

٤-قد تكون العين من الإعجاب، ولو بغير حسد، ولو من الرجل الصالح، والمحب لصاحبه، وأن بعض الناس قد يصاب بالسقم من تَوِّهِ بمجرد النظر إليه، فتحدث له من الأحوال السيئة ما لم تكن من قبل، بل ربما تقتل أحيانًا.

٥-المشروع إذا رأى الإنسان شيئًا أعجبه من نفسه، أو ولده، أو ماله، أو غير ذلك أن يقول: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله؛ لقوله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾[(٣)]، وأن يدع بالبركة والزيادة؛ لقول النبي ﷺ في هذا الحديث: «**ألا بركت؟**» والبركة نماء وزيادة.

٦-السنة فيمن أصابته العين أن يُطلب ممن اتُهم بذلك أن يغتسل للمصاب وعلى العائن ألا يتحرج من ذلك لقول النبي ﷺ: «**وإذا استغسلتم فاغسلوا**»[(٤)]، وذلك بغسل ما جاء في الحديث من الأعضاء، ويكون الغسل في قدح، ثم يقوم شخص بصب ذلك الماء على المعيون من خلفه على رأسه، وظهره، ثم يكفأ القدح[(٥)]، وعند النسائي الصب باليمين ويكفأ الإناء

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، ٢/ ٤٤٥.

(٢)انظر: فتح الباري، ١٠/ ٢٣٢، ٢٣٣.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٣٩.

(٤) مسلم، برقم ٢١٨٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) انظر: مسند أحمد، برقم ١٥٧٠٠، وصححه محققو المسند، ٢٤/ ٤٦٦، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦/ ١٤٨، و١٥٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

من وراء ظهره على الأرض.

٧-ومن السنة كذلك لمن أصيب بنظرة أو عين أو نحوه أن يسترقي للمعيون لقول النبي ﷺ لما رأى في وجه جارية لزوجته أم سلمة سفعة، قال: «**بها نظرة، فاسترقوا لها**»[1]، والسفعة يعني: الصفرة، وقيل: هو تغير اللون بهزال أوغيره.

٨-قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قال ابن القيم رحمه الله: هذه الكيفية – أي: في الغسل – لا ينتفع بها من أنكرها ولا من سخر منها ولا من شك فيها ولا من فعلها مجربًا غير معتقد، فكأن أثر تلك العين كشعلة من نار وقعت على جسد ففي الاغتسال إطفاء لتلك الشعلة، وفيه أيضًا وصول أثر الغسل إلى القلب من أرق المواضع وأسرعها نفاذًا فتطفئ تلك النار»[2].

٩-قال ابن القيم رحمه الله: وهناك عشرة أسباب عظيمة إذا قام بها العبد وطبقها زال عنه شر الحاسد والعائن والساحر بإذن الله وهي[3] على النحو الآتي:

السبب الأول: التعوذ بالله من شره والتحصن به واللجوء إليه كما قال الله ﷻ: **﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾**[4].

السبب الثاني: تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه كقول الله: **﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾**[5].

السبب الثالث: الصبر على عدوه وألا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه

(١) مسلم، كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة، برقم ٢١٩٧.
(٢) فتح الباري، ١٠/ ٢٣٨، وانظر: زاد المعاد لابن القيم، ٤/ ١٥٨.
(٣) انظر: بدائع الفوائد، ٢/٢٣٨ - ٢٤٦.
(٤) سورة الفلق، الآيات: ١ - ٥.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

بأذاه أصلًا فما نصر على حاسده بمثل الصبر وكلما زاد الحاسد في بغيه زاد هو في صبره ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[١].

السبب الرابع: التوكل على الله لأنه من أعظم الأسباب التي ينجو بها العبد من أذى الخلق ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[٢] ومن كان الله كافيه فلا مطمع فيه لعدو.

السبب الخامس: فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه وهذا من أقوى الأسباب المعينة على اندفاع شره؛ لأنه حاسد، والحسد كالنار فإن لم يجد ما يأكله أكل بعضه بعضًا.

السبب السادس: الإقبال على الله والإخلاص له، والإنابة إليه في كل خواطر نفسه؛ لأن المخلص يأوي إلى حصن حصين قال الله ﷻ إخباراً عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٣].

السبب السابع: تجريد التوبة من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[٤].

السبب الثامن: الصدقة والإحسان ما أمكنه؛ لأن لذلك تأثيرًا عجيبًا في دفع البلاء.

السبب التاسع: إطفاء نار الحاسد بالإحسان إليه، وهذا كان فعله ﷺ مع أعدائه لما ضربوه حتى أدموه فقال: «**اللَّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[٥].

السبب العاشر: تجريد التوحيد والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٤٣.
(٢) سورة الطلاق، الآية: ٣.
(٣) سورة ص، الآيتان: ٨٢- ٨٣.
(٤) سورة الشورى، الآية: ٣٠.
(٥) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان، رقم ٣٤٧٧.

العزيز الحكيم والعلم بأن كل شيء لا يضر ولا ينفع إلا بإذن الله. قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾[(١)].

١٠-بعض الفروق بين العين والحسد:

أ- الحاسد أعم من العائن ولذلك فإذا استعاذ المسلم من شر الحاسد دخل فيه العائن لقول الله ﷻ: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[(٢)].

ب- العين سببها الإعجاب بالشيء أما الحسد فدافعه الحقد والغل وتمني زوال النعمة.

ج- الحاسد حسده قد يقع في الأمر قبل وقوعه أما العائن فلا يعين إلا ما وجد أمامه.

د- الحسد لا يقع إلا من نفس خبيثة بطبعها، أما العين فقد يقع من نفس طيبة.

هـ- الحسد والعين يشتركان فيما يترتب عليهما من وقوع الضرر ولكنهما يختلفان في السبب فالحاسد يتمنى زوال النعم والعائن غير ذلك.

١١-قال ابن بطال رحمه الله: «وقال بعض أهل العلم: إذا عرف أحد بالإصابة بالعين، فينبغى اجتنابه، والتحرز منه، وإذا ثبت عند الإمام، فينبغي للإمام منعه من مداخلة الناس، والتعرض لأذاهم، ويأمره بلزوم بيته، فإن كان فقيرًا رزقه مايقوم به، وكفَّ عن الناس عاديته، فضرُّه أشد من ضر آكل الثوم الذي منعه النبي ﷺ مشاهدة صلاة الجماعة، وضرّه أشد من ضر المجذومة التي منعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه الطواف مع الناس»[(٣)].

١٢-قال ابن عبد البر رحمه الله: «فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة الفلق، الآية: ٥.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ٩/ ٤٣١.

يُتَأَذَّى بِهَا، وَأَنَّ الرُّقَى تَنْفَعُ مِنْهَا إِذَا قَدَّرَ اللَّهُ ذَلِكَ، فَالشِّفَاءُ بِيَدِهِ سُبْحَانَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَسَبِيلُ الرُّقَى سبيل سَائِرُ الْعِلَاجِ، وَالطِّبِّ»[(١)].

١٣-قال الإمام النووي رحمه الله: «أَخَذَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ بِظَاهِرِ هَذَا الْحَدِيثِ، وَقَالُوا: الْعَيْنُ حَقٌّ، وَأَنْكَرَهُ طَوَائِفُ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى فَسَادِ قَوْلِهِمْ أَنَّ كُلَّ مَعْنًى لَيْسَ مُخَالِفًا في نفسه، ولايؤدي إلى قلب حقيقة، ولاإفساد دَلِيلٍ؛ فَإِنَّهُ مِنْ مُجَوِّزَاتِ الْعُقُولِ، إِذَا أَخْبَرَ الشرع بوقوعه وجب اعتقاده، ولايجوز تَكْذِيبُهُ، وَهَلْ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ تَكْذِيبِهِمْ بِهَذَا، وتكذيبهم بما يخبر بِهِ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ، قَالَ: وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ الطَّبَائِعِيِّينَ مِنَ الْمُثْبِتِينَ لِلْعَيْنِ أَنَّ الْعَائِنَ تَنْبَعِثُ مِنْ عَيْنِهِ قُوَّةٌ سُمِّيَّةٌ، تَتَّصِلُ بِالْعَيْنِ، فيهلك أو يفسد، قالوا: ولايمتنع هذا، كما لايمتنع انْبِعَاثُ قُوَّةٍ سُمِّيَّةٍ مِنَ الْأَفْعَى، وَالْعَقْرَبِ، تَتَّصِلُ بِاللَّدِيغِ، فَيَهْلَكُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مَحْسُوسٍ لَنَا، فَكَذَا الْعَيْنُ، قَالَ الْمَازِرِيُّ: وَهَذَا غَيْرُ مُسَلَّمٍ؛ لِأَنَّا بَيَّنَّا فِي كُتُبِ العقائد أَنَّ لافاعل إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَبَيَّنَّا فَسَادَ الْقَوْلِ بِالطَّبَائِعِ، وبينا أن المحدث لايفعل فِي غَيْرِهِ شَيْئًا، وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا، بَطَلَ مَا قَالُوهُ، ثُمَّ نَقُولُ هَذَا الْمُنْبَعِثُ مِنَ الْعَيْنِ، إِمَّا جَوْهَرٌ، وَإِمَّا عَرَضٌ، فَبَاطِلٌ أَنْ يكون عرضاً؛ لأنه لايقبل الِانْتِقَالَ، وَبَاطِلٌ أَنْ يَكُونَ جَوْهَرًا؛ لِأَنَّ الْجَوَاهِرَ مُتَجَانِسَةٌ؛ فَلَيْسَ بَعْضُهَا بِأَنْ يَكُونَ مُفْسِدًا لِبَعْضِهَا بِأَوْلَى مِنْ عَكْسِهِ، فَبَطَلَ مَا قَالُوهُ، قَالَ: وَأَقْرَبُ طَرِيقَةٍ قَالَهَا مَنْ يَنْتَحِلُ الْإِسْلَامَ، مِنْهُمْ أن قالوا لايبعد أَنْ تَنْبَعِثَ جَوَاهِرُ لَطِيفَةٌ غَيْرُ مَرْئِيَّةٍ مِنَ الْعَيْنِ، فَتَتَّصِلُ بِالْمَعِينِ، وَتَتَخَلَّلُ مَسَامَّ جِسْمِهِ، فَيَخْلُقُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْهَلَاكَ عِنْدَهَا، كَمَا يَخْلُقُ الْهَلَاكَ عِنْدَ شُرْبِ السُّمِّ، عَادَةً أَجْرَاهَا اللَّهُ تعالى، وليست ضرورة، ولاطبيعة أَلْجَأَ الْعَقْلُ إِلَيْهَا، وَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْعَيْنَ إِنَّمَا تَفْسُدُ، وَتَهْلَكُ عِنْدَ نَظَرِ الْعَائِنِ بِفِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى،

---

(١) الاستذكار، ٨/ ٤٠٣.

أَجْرَى اللَّهُ ﷻ الْعَادَةَ أَنْ يَخْلُقَ الضَّرَرَ عِنْدَ مُقَابَلَةِ هَذَا الشخص لشخص آخر، وهل ثم جواهر خفية، أم لا؟ هذا من مجوزات العقول، لايقطع فِيهِ بِوَاحِدٍ مِنَ الْأَمْرَيْنِ، وَإِنَّمَا يُقْطَعُ بِنَفْيِ الْفِعْلِ عَنْهَا، وَبِإِضَافَتِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَمَنْ قَطَعَ مِنْ أَطِبَّاءِ الْإِسْلَامِ بِانْبِعَاثِ الْجَوَاهِرِ، فَقَدْ أخطأ في قطعه، وانما هو من الجائزات هذا ما يتعلق بعلم الأصول، أما مايتعلق بِعِلْمِ الْفِقْهِ، فَإِنَّ الشَّرْعَ وَرَدَ بِالْوُضُوءِ لِهَذَا الْأَمْرِ فِي حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ لَمَّا أُصِيبَ بِالْعَيْنِ عِنْدَ اغْتِسَالِهِ فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَائِنَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ»[1].

***

(١) شرح النووي على مسلم، ١٤/ ١٧١.

١٢٦ - مَا يُقَالُ عِنْدَ الفَزَعِ

٢٤٥-«لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ!»[(١)].

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٦٤-لفظ البخاري عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ﵄[(٢)] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ، وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ ﵄: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**»[(٣)].

٩٦٥-وفي لفظ آخر للبخاري عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ﵄ أَنَّهَا قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ النَّوْمِ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ، يَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**»، وَعَقَدَ سُفْيَانُ تِسْعِينَ أَوْ

---

(١) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، برقم ٣٣٤٦، ورقم ٣٣٤٧، وكتاب الفتن، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، برقم ٧١٣٥، ورقم ٧١٣٦، ٢٢٠٨، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن، وفتح ردم يأجوج ومأجوج، برقم ٢٨٨٠، ورقم ٢٨٨١، وسنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في خروج يأجوج ومأجوج، برقم ٢١٨٧، والسنن الكبرى للنسائي، كتاب التفسير، سورة الكهف، برقم ١١٣١١.

(٢) زينب بنت جحش ﵂: أم المؤمنين وابنة عمة، رسول الله ﷺ أمها أميمة بنت عبد المطلب من المهاجرات الأول، زوجها الله تعالى بنبيه ﷺ من فوق سبع سموات، بلا ولي ولا شاهد، وكانت تفخر بذلك، وتقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق عرشه [البخاري، برقم ٧٤٢٠]، وفيها نزلت آية الحجاب [البخاري، برقم ٧٤٢١]، وكانت من سادة النساء دينًا، وورعًا، وجودًا، ومعروفًا، وقد قال فيها [النبي] ﷺ: «أسرعكن لحوقًا بي أطولكن يدًا»[مسلم، برقم ٢٤٥٢]. والمعنى أنها كانت تعمل بيدها وتتصدق، وقد كانت تسامي عائشة في المنزلة عند رسول الله ﷺ وماتت ﵂ سنة ٢٠ هـ. انظر: الاستيعاب، ٤/ ١٨٤٩، وسير أعلام النبلاء، ٢/ ٢١١، ترجمة رقم (٢١).

(٣) البخاري، برقم ٣٣٤٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

مِائَةً، قِيلَ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»(١).

٩٦٦-ولفظ الترمذي عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رضي الله عنها قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ نَوْمٍ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ، وَهُوَ يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ - يُرَدِّدُهَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ - وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» وَعَقَدَ عَشْرًا، قَالَتْ زَيْنَبُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخُبْثُ»(٢).

٩٦٧-لفظ ابن ماجه عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ»، وَعَقَدَ بِيَدِهِ عَشَرَةً، قَالَتْ زَيْنَبُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»(٣).

٩٦٨-وحديث البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه(٤)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فَتَحَ اللَّهُ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذَا» وَعَقَدَ بِيَدِهِ تِسْعِينَ»(٥).

٩٦٩-ولفظ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ». وَعَقَدَ وُهَيْبٌ بِيَدِهِ تِسْعِينَ»(٦).

---

(١) البخاري ،برقم ٣٣٤٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) سنن الترمذي، برقم ٢١٨٧، والسنن الكبرى للنسائي، برقم ١١٣١١، وصححه الألباني السلسلة الصحيحة، ٢ / ٧٢٠، برقم ٩٨٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) وابن ماجه، برقم ٣٩٥٣، وصححه محقق ابن ماجه، ٥/ ١٠٠، والألباني في صحيح ابن ماجه، ص ٤٥، برقم ٣٩٤٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) البخاري، برقم ٧١٣٥، ومسلم، برقم ٢٨٨٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) مسلم، برقم ٢٨٨١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**دخل عليها فزعًا**»: أي: خائفًا مذعورًا، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفَزَعُ: الفَرَقُ، والذُّعْرُ مِنَ الشَّيْءِ ... وأَفْزَعه وفَزَّعَه: أَخافَه، ورَوَّعَه، فَهُوَ فَزِعٌ»[١]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمًا فَزِعًا -بِفَتْحِ الْفَاءِ، وَكَسْرِ الزَّاي - فِي رِوَايَة بن عُيَيْنَةَ: «اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ النَّوْمِ مُحْمَرًّا، وَجْهُهُ يَقُولُ فَيُجْمَعُ عَلَى أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهَا بَعْدَ أَنِ اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ فَزِعًا، وَكَانَتْ حُمْرَةُ وَجْهِهِ مِنْ ذَلِكَ الْفَزَعِ»[٢].

٢-قوله: «**لا إله إلا الله**»: قال العلامة سليمان بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «... هو عبادة الله، وترك عبادة ما سواه، وهو الكفر بالطاغوت، وإيمان بالله، فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سوى الله ليس بإله، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره، فتضمنت نفي الإلهية عما سواه، وإثباتها له وحده لا شريك له، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه إلهًا وحده، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهًا»[٣].

٣-قوله: «**ويل**»: كلمة عذاب وتوعد، قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: (ويل): كلمة تقال لمن وقع في هلكة يترحم عليه، وقد سلف، وقوله: للعرب يعني: للمسلمين؛ لأن أكثر المسلمين العرب ومواليهم»[٤].

٤-قوله: «**من شر قد اقترب**»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أراد به الاختلاف الذي ظهر بين المسلمين، من وقعة عثمان رضي الله عنه، وما وقع بين علي رضي الله عنه ومعاوية»[٥]،

---

(١) لسان العرب، ٨/ ٢٥١، مادة (فزع).
(٢) فتح الباري لابن حجر، ١٣/ ١٠٧.
(٣) تيسير العزيز الحميد، ص ٥٢، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٦ من حديث المتن رقم ٢٠٥.
(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٠/ ١٨٥.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١١/ ٣٤١٨.

وقال ابن حجر رحمه الله: «خُصَّ الْعَرَبُ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا حِينَئِذٍ مُعْظَمَ مَنْ أَسْلَمَ، وَالْمُرَادُ بِالشَّرِّ مَا وَقَعَ بَعْدَهُ مِنْ قَتْلِ عُثْمَانَ، ثُمَّ تَوَالَتِ الْفِتَنُ حَتَّى صَارَتِ الْعَرَبُ بَيْنَ الْأُمَمِ كَالْقَصْعَةِ بَيْنَ الْأَكَلَة»[(١)].

٥-قوله: «من ردم»: المراد به السد الذي بناه ذو القرنين، قال ابن الأثير رضي الله عنهما: «ردم: ردمت الثلمة ردماً: إذا سددتها، والاسم والمصدر سواء: الردم[(٢)].

٦-قوله: «يأجوج ومأجوج»: اسمان لقبيلتين موجودتين وراء السد المذكور، أما يأجوج فمشتق من أجت النار أجيجًا إذا التهبت، أو من الأُجاج وهو الماء الشديد الملوحة المحرق من ملوحته وقيل من الأج، وهو سرعة العدو، وأما مأجوج فقيل من ماج: إذا اضطرب[(٣)]، قال ابن الجوزي رحمه الله: «يَأْجُوج وَمَأْجُوج»: فهما اسمان أعجميان، وَقد قَرَأَ عَاصِم بهمزهما، قَالَ اللَّيْث: الْهَمْز لُغَة رَدِيئَة، قَالَ ابْن عَبَّاس: يَأْجُوج رجل، وَمَأْجُوج رجل، وهما ابْنا يافث بن نوح، فيأجوج وَمَأْجُوج عشرَة أَجزَاء، وَولد آدم كلهم جُزْء، وهم شبر، وشبران وَثَلَاثَة أشبار، وَقَالَ عَليّ رضي الله عنه: مِنْهُم من طوله شبر، وَمِنْهُم من هُوَ مفرط فِي الطول، وَقَالَ السّديّ: التّرْك سَرِيَّة من يَأْجُوج وَمَأْجُوج، خرجت تغير، فجَاء ذُو القرنين فَضرب السد، فَبَقيت خَارجه»[(٤)].

٧-قوله: «حلّق وعقد عشراً»: قال ابن الأثير رحمه الله: «حلّق: أي: جعل أصبعه كالحلقة»[(٥)]، وقال ابن الأثير رحمه الله أيضاً: «وعقد عشراً: هي من مواضعات الحساب، وهو أن تجعل رأس أصبعك السبابة في وسط أصبعك

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ١٣/ ١٠٧.
(٢) جامع الأصول، ٢/ ٢٣٢.
(٣) أشراط الساعة/ يوسف الوابل صـ ٣٦٥.
(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٣/ ١٤٩.
(٥) جامع الأصول، ٢/ ٢٣٢.

الإبهام من باطنها شبه الحلقة، وعقد التسعين مثلها، إلا أنها أضيق منها ، حتى لا يبين في الحلقة إلا خلل يسير»[١].

٨-قوله: «**مثل هذه**»: أي: مثل الحلقة، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «أَيْ: جَعَلَهُمَا مِثْلَ الْحَلَقَةِ»[٢].

٩-قوله: «**أنهلك وفينا الصالحون؟**»: أي: أنعذب؟، قال ابن الملقن رحمه الله: «أي: يدعون بصرف الفتن، قال الداودي: قال ابن التين: أرادت: يقع الهلاك بقوم فيهم من لا يستحق ذلك»[٣].

١٠-قوله: «**الصالحون؟**»: قال الفيومي رحمه الله: «بِالصَّلَاحِ وَهُوَ الْخَيْرُ وَالصَّوَابُ»[٤]، وقال ابن بطال رحمه الله: «فإذا ظهرت المعاصي، ولم تُغيّر، وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة، والهرب منها، فإن لم يفعلوا، فقد تعرضوا للهلاك، إلا أن الهلاك طهارة للمؤمنين، ونقمة على الفاسقين»[٥].

١١-وقوله: «**نَعَمْ**»: قال السمين الحلبي رحمه الله: «نعم: حرفُ جوابٍ كأجل، وإي، وجَيْر، وبلى، ونقيضتها لا، ونعم: تكون لتصديق الإخبار، أو إعلام استخبار، أو وَعْدِ طالب»[٦].

١٢-قوله: «**الخبث**»: أي: الزنا والفسوق والفجور، قال ابن الأثير رحمه الله: «الخبث : بضم الخاء وسكون الباء الموحدة: الفسق والفجور[٧]، وقال

---

(١) جامع الأصول، ٢/ ٢٣٢.
(٢) فتح الباري لابن حجر، ١٣/ ١٠٧.
(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٠/ ١٨٥.
(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٣٤٥، مادة (صلح).
(٥) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ١٠/ ٦.
(٦) الدر المصون للسمين الحلبي، ٧/ ١٤٢.
(٧) جامع الأصول، ٢/ ٢٣٢.

القاضي عياض رحمه الله: «نعم، إذا كثر الخَبَثُ، ويروى: الخُبُثُ، قال الإمام: إذا كثر الفسوق والفجور، قال القاضي: العرب تسمى الزنا خبثاً، وخبثة، ... وقيل: إذا كثر الخبث: أي: أولاد الزنا، وقيل: إذا كثر الزنا»[١]، وقال ابن عبدالبر رحمه الله: «وَأَمَّا قَوْلُهُ فِيهِ: إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ: فَمَعْنَاهُ عِنْدَ أَكْثَرِهِمْ: الزِّنَا، وَأَوْلَادُ الزِّنَا، وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ عِنْدِي فِي مَعْنَاهُ: أَنَّهُ اسْمٌ جَامِعٌ، يَجْمَعُ الزِّنَا وَغَيْرَهُ مِنَ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ وَالْمُنْكَرِ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-مشروعية قول «**لا إله إلا الله**» إذا قام الإنسان من نومه فزعًا؛ لقول زينب رضي الله عنها: استيقظ النبي ﷺ من النوم محمرًا وجهُهُ يقول: «**لا إله إلا الله...**»[٣]، وإنما بدأ النبي ﷺ الكلام بهذا طردًا لما أصابه من خوف، وفزع مما رآه؛ لأنها حصن حصين وسد منيع.

٢-خصّ النبي ﷺ العرب بذلك؛ لأنهم كانوا حينئذ معظم من أسلم، والمراد بالشر ما وقع بعده من قتل عثمان، وتوالي الفتن على الأمة، وقيل المراد هو كثرة الأموال الناتجة عن كثرة الفتوح، والذي جر بعد ذلك إلى التنافس والفتن.

٣-خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة الكبرى، والأدلة على ذلك ثابتة في الكتاب والسنة الصحيحة، وأنهما سوف يخرجان فسادًا في الأرض من السد الذي بناه ذو القرنين؛ ليحجب بينهم وبين جيرانهم الذين استغاثوا به منهم ﴿**فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا**﴾[٤].

٤-ظهور المعاصي والمجاهرة بها هلاك للصالح والطالح من هذه الأمة

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٨/ ٤١٢.
(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢٤/ ٣٠٧، وانظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٠/ ١٨٥.
(٣) البخاري، برقم ٧٠٥٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٩٥.

والواجب على أهل الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل على حسب سلطانه، وطاقته، وعلمه.

٥-قال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذا غاية في التحذير من الفتن، والخوض فيها حين يجعل الموت خيرًا من مباشرتها، وكذلك أخبر في حديث أسامة بوقوع الفتن خلال بيوتهم؛ ليتوقفوا ولا يخوضوا فيها ويتأهبوا لنزولها بالصبر، ويسألوا الله العصمة منها والنجاة من شرها»(١).

٦-الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، نجاة للأمة من الهلاك العام.

٧-نجاة الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، عند وقوع الهلاك العام، أما الساكتون من الصالحين، فعليهم خطر، ولهذا قال الله تعالى: **﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾**(٢).

***

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٣٢/ ٢٩٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٥.

١٢٧ – مَا يَقُولُ عِنْدَ الذَّبْحِ أوِ النَّحْرِ

٢٤٦ –«بِسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ مِنْكَ، وَلَكَ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي»[(١)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٧٠-لفظ مسلم عَنْ أَنَسٍ ﷺ[(٢)]، قَالَ: «**ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ، أَقْرَنَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّى وَكَبَّرَ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا**»[(٣)].

٩٧١-وفي لفظ آخر لمسلم عَنْ أَنَسٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: وَيَقُولُ: «**بِاسْمِ اللهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ**»[(٤)].

٩٧٢-وحديث أبي داود عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما[(٥)]، قَالَ: ذَبَحَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الذَّبْحِ كَبْشَيْنِ: أَقْرَنَيْنِ، أَمْلَحَيْنِ، مُوجَأَيْنِ، فَلَمَّا وَجَّهَهُمَا قَالَ: «**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ بِاسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ**» ثُمَّ ذَبَحَ[(٦)].

---

(١) مسلم، كتاب الأضاحي، باب استحباب الضحية، وذبحها مباشرة بلا توكيل، والتسمية والتكبير، برقم، ١٧ – (١٩٦٦)، ورقم ١٨ –(١٩٦٦)، ورقم ١٩٦٧، وسنن أبي داود، كتاب الضحايا، باب ما يستحب من الضحايا، برقم ٢٧٩٥، وابن ماجه، كتاب الأضاحي، باب أضاحي رسول الله ﷺ برقم ٣١٢١، ومسند أحمد، ٢٣/ ١٣٤، برقم ١٤٨٣٧.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم، ١٧- (١٩٦٦)، وتقدم تخريجه في تخرج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ١٨-(١٩٦٦)، وتقدم تخريجه في تخرج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧٢ من أحاديث الشرح.

(٦) سنن أبي داود، برقم ٢٧٩٥، وابن ماجه، برقم ٣١٢١، وحسنه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ٤/ ٣٥٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٩٧٣-ولفظ أحمد عن جابرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِيدَ الْأَضْحَى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى بِكَبْشٍ فَذَبَحَهُ، فَقَالَ: «**بِسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللهُمَّ إِنَّ هَذَا عَنِّي وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحِّ مِنْ أُمَّتِي**»[(١)].

٩٧٤-وحديث مسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها[(٢)]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِكَبْشٍ أَقْرَنَ يَطَأُ فِي سَوَادٍ، وَيَبْرُكُ فِي سَوَادٍ، وَيَنْظُرُ فِي سَوَادٍ، فَأُتِيَ بِهِ لِيُضَحِّيَ بِهِ، فَقَالَ لَهَا: «**يَا عَائِشَةُ، هَلُمِّي الْمُدْيَةَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**اشْحَذِيهَا بِحَجَرٍ**»، فَفَعَلَتْ: ثُمَّ أَخَذَهَا، وَأَخَذَ الْكَبْشَ فَأَضْجَعَهُ، ثُمَّ ذَبَحَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**بِاسْمِ اللَّهِ، اللهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ ضَحَّى بِهِ**»[(٣)].

٩٧٥-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ**﴾ قَالَ: «**قِيَامًا عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمَ، مَعْقُولَةً بِسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ مِنْكَ وَإِلَيْكَ**»[(٤)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «ضحّى»: قال القرافي رحمه الله: «الأضحية: الْجَمْعُ أَضَاحِيُّ، وَضَحِيَّةٌ عَلَى وَزْنِ فَعْلِيَّةٍ، وَالْجَمْعُ ضَحَايَا، وَأَضْحَاتٌ ...وبهما سُمِّيَ يَوْمُ الْأَضْحَى، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الضُّحَى بِالْقَصْرِ، وَهُوَ وَقْتُ طُلُوعِ الشَّمْسِ، أو من الضحاء المدود مَعَ فَتْحِ الضَّادِ، وَهُوَ حِينَ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ؛ لِأَنَّهَا تُذْبَحُ فِيهِمَا»[(٥)].

---

(١) مسند أحمد، برقم ١٤٨٣٧، وصححه محققو المسند، ٢٣/ ١٣٥، وحسنه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ٤/ ٣٥٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ١٩٦٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٢٦٠، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» ووافقه الذهبي، وقال الحافظ ابن حجر في الدراية في تخريج أحاديث الهداية، ٢/ ٢٠٦: «وَرِجَاله ثِقَات».

(٥) الذخيرة للقرافي، ٤/ ١٤٠.

٢-قوله: «**ذبح**»: الذبح هو: فري الأوداج، وقطع الحلقوم والمريء، وأما النحر فهو الطعن في لبة الإبل، وهي التي فوق الترقوة، وتحت الرقبة[١]، وقال ابن منظور رحمه الله: « الذَّبْحُ قَطْعُ الحُلْقوم من باطنٍ عند النَّصِيل، وهو موضع الذَّبْحِ من الحَلْق، والذَّبْحُ مصدر ذَبَحْتُ الشاة... وكذلك التيس، والكبش من كِباشٍ ذَبْحَى وذَباحَى، والذَّبِيحة الشاة المذبوحة ...الذبيح المذبوح والأُنثى ذبيحة»[٢].

٣-قوله: «**أقرنين**»: أي: لكل واحد منهما قرنان حسنان، قال ابن منظور رحمه الله: « القَرْنُ للثَّور وغيره: الرَّوْق، والجمع قُرون... وموضعه من رأْس الإنسان قَرْنٌ أَيضاً، وجمعه قُرون، وكَبْشٌ أَقْرَنُ: كبير القَرْنَين، وكذلك التيس»[٣]، وقال الطيبي رحمه الله: « والأقرن: العظيم القرن، والأنثى قرناء»[٤]، وقال النووي رحمه الله: «وصف الكبش بأنه أقرن لأنه أحسن وأكمل في صورته»[٥].

٤-قوله: «**أملحين**»: الأملح هو الأبيض الذي يشوبه سواد، وقيل غير ذلك[٦]، وقال الطيبي رحمه الله: «الأملح: الذي بياضه أكثر من سواده، وقيل: هو النقي البياض»[٧].

٥-قوله: «**موجوأين**»: أي: خصيين لذهاب شهوة الجماع، وهذا يزيد اللحم طيبًا، ويبعد عنه الزهومة وسوء الرائحة، قال الطيبي رحمه الله: «الوجاء: أن يُرضّ أنثيا الفحل رضّاً شديدًا يذهب شهوة الجماع، وجئ وجأ فهو موجوء،

(١) شرح حصن المسلم/ مجدي عبد الوهاب صـ ٣٣٦.
(٢) لسان العرب ، ٢/ ٤٣٦، مادة (ذبح).
(٣) لسان العرب، ١٣/ ٣٣١، مادة (قرن).
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٠٠.
(٥) المجموع شرح المهذب، ٤/ ٥٤٠.
(٦) شرح النووي، ١٣/ ١٢٢.
(٧) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٠٠.

وقيل: هو أن تُوجأ العروق والخصيتان بحالهما»[١].

٦-قوله: «**وجّههما**»: أي: نحو القبلة، قال الباجي رحمه الله: «وَيُوَجِّهُهُنَّ إِلَى الْقِبْلَةِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّ نَحْرَهُنَّ قِيَامًا مَصْفُوفَةً أَيْدِيهُنَّ هُوَ الشَّأْنُ، وَالسُّنَّةُ، وَيُوَجِّهُهُنَّ إِلَى الْقِبْلَةِ؛ لِمَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ أَنَّهُ نُسُكٌ مُتَعَلِّقٌ بِالْبَيْتِ يُمْكِنُ التَّوَجُّهُ فِيهِ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سُنَّتِهِ»[٢]، وقال الطيبي رحمه الله: «أي: جعل وجههما تلقاء القبلة»[٣].

٧-قوله: ﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ أَيْ: إِنَّمَا أَعْبُدُ خَالِقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَمُخْتَرِعَهَا، وَمُسَخِّرَهَا، وَمُقَدِّرَهَا، وَمُدَبِّرَهَا، الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ وَإِلَهُهُ»[٤]، وقال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا**﴾ أي: لله وحده، مقبلاً عليه، معرضاً عن من سواه. ﴿**وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ فتبرأ من الشرك، وأذعن بالتوحيد، وأقام على ذلك البرهان، وهذا الذي ذكرنا في تفسير هذه الآيات، هو الصواب، وهو أن المقام مقام مناظرة، من إبراهيم لقومه، وبيان بطلان إلهية هذه الأجرام العلوية وغيرها، وأما من قال: إنه مقام نظر في حال طفوليته، فليس عليه دليل»[٥].

٨-قوله: «﴿**مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ**﴾: قال الإمام بن كثير رحمه الله: «أَيْ: عَنْ طَرِيقَتِهِ وَمَنْهَجِهِ»[٦]،

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٠٣.
(٢) المنتقى شرح الموطأ، ٢/ ٣١٣.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٠٣.
(٤) تفسير ابن كثير، ٣/ ٢٩٢.
(٥) تفسير السعدي، ص ٢٦٢.
(٦) تفسير ابن كثير، ١/ ٤٤٥.

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «ملة إبراهيم في التوحيد، وترك الشرك، أمرهم باتباعه بتعظيم بيته الحرام بالحج وغيره»(١).

٩-قوله: ﴿**إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «يَأْمُرُهُ تَعَالَى أَنْ يُخْبِرَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ، وَيَذْبَحُونَ لِغَيْرِ اسْمِهِ، أَنَّهُ مُخَالِفٌ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ صَلَاتَهُ لِلَّهِ وَنُسُكَهُ عَلَى اسْمِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾(٢)، أَيْ: أَخْلِصْ لَهُ صَلَاتَكَ، وَذَبِيحَتَكَ؛ فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، وَيَذْبَحُونَ لَهَا، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تعالى بِمُخَالَفَتِهِمْ، وَالِانْحِرَافِ عَمَّا هُمْ فِيهِ، وَالْإِقْبَالِ بِالْقَصْدِ، وَالنِّيَّةِ، وَالْعَزْمِ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ تَعَالَى...وَقَوْلُهُ: ﴿**وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ قَالَ قَتَادَةُ: أَيْ: مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهُوَ كَمَا قَالَ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ كُلَّهُمْ كَانَتْ دَعْوَتُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَصْلُهُ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ»(٣)، وقال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي**﴾ أي: ذبحي، وذلك لشرف هاتين العبادتين وفضلهما، ودلالتهما على محبة الله تعالى، وإخلاص الدين له، والتقرب إليه بالقلب، واللسان، والجوارح، وبالذبح الذي هو بذل ما تحبه النفس من المال، لما هو أحب إليها وهو الله تعالى، ومن أخلص في صلاته ونسكه، استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله، وقوله: ﴿**وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي**﴾ أي: ما آتيه في حياتي، وما يجريه الله عليَّ، وما يقدر عليَّ في مماتي، الجميع ﴿**لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ ﴿**لَا شَرِيكَ لَهُ**﴾ في العبادة، كما أنه ليس له شريك في الملك والتدبير، وليس هذا الإخلاص لله ابتداعاً مني، وبدعاً أتيته من تلقاء نفسي، بل ﴿**بِذَلِكَ أُمِرْتُ**﴾ أمراً

---

(١) تفسير السعدي، ص ١٣٨.
(٢) سورة الكوثر، الآية: ٢.
(٣) تفسير ابن كثير، ٣/ ٣٨١.

حتماً، لا أخرج من التبعة إلا بامتثاله ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة»[١].

١٠-قوله: «بسم الله»: أي: نبدأ عملنا هذا، أو ابتداء عملنا هذا باسم الله، قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: من قدّره باسم، تقديره: باسم الله ابتدائي، ومن قدره بالفعل أمرًا، وخبرًا نحو: أبدَأ ببسم الله أو ابتدأت ببسم الله، ...، فالمشروع ذكر اسم الله في كل أمر»[٢]، وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَسَمَّى: فِيهِ إِثْبَاتُ التَّسْمِيَةِ عَلَى الضَّحِيَّةِ، وَسَائِرِ الذَّبَائِحِ، وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ»[٣]، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثم قال: بسم الله، فإن قلت: التسمية ينبغي أن تكون قبل الذبح، فما معنى «ثم» هنا؟ قلت: معناه التراخي في الرتبة، وأنها هي المقصودة الأولية، ومن ثم كنى بها عن الذبح»[٤].

١١-قَوْلُهُ: «والله أكبر»، «وَكَبَّرَ»: قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فِيهِ اسْتِحْبَابُ التَّكْبِيرِ مَعَ التَّسْمِيَةِ، فَيَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»[٥].

١٢-قوله: «وصفاحهما»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «صفاحهما»: صفح كل شيء وجهه وناحيته»[٦]، وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: « قَوْلُهُ: (وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا) أَيْ: صَفْحَةِ الْعُنُقِ وَهِيَ جَانِبُهُ وَإِنَّمَا فَعَلَ هَذَا لِيَكُونَ أَثْبَتَ له وأمكن لئلا تضطرب الذبيحة برأسها فتمنعهن إِكْمَالِ الذَّبْحِ أَوْ تُؤْذِيهِ»[٧]، وقال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: « الصفاح بكسر الصاد يعني: جانبي وجهها، وعبارة الداودي: الصفاح: جانب الوجه

---

(١) تفسير السعدي، ص ٢٨٢.
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ١٢١، وتقدم مستوفى في شرح المفردة الثانية من مفردات الحديث رقم ١٨ من أحاديث المتن.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣/ ١٢١.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٠١.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣/ ١٢١.
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٠٠.
(٧) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣/ ١٢١.

ففيه وضع القدم، وقال غيره: أراد صفح العنق أي: ناحيته»[١].

١٣-قوله: «**اللَّهم منك**»: أي: هذه الذبيحة عطية، وفضلًا منك علي، قال الطيبي رحمه الله: «أي: هذه منحة منك صادرة عن محمد، خالصة لك»[٢].

١٤-قوله: «**ولك**»: أي: أبتغي بها وجهك تقربًا وطاعة إليك، قال القاري رحمه الله: «اللَّهُمَّ مِنْك وَإِلَيْك عَن فلَان، كَانَ الْكفَّار يدعونَ ويذبحون على أَسمَاء أصنامهم، فَبين الله تَعَالَى أَن الْوَاجِب الذّبْح على اسْمه»[٣]، وقال العظيم أبادي رحمه الله: « مِنْكَ وَلَكَ: أَيْ: مَذْبُوحَةٌ وَخَالِصَةٌ لَكَ»[٤].

١٥-قوله: «**هلمي**» قال الطيبي رحمه الله: «تعالي، وفيه لغتان: فأهل الحجاز يطلقونه على الواحد، والجمع، والاثنين، والمؤنث بلفظ واحد مبني على الفتح، وبنو تميم تثني، وتجمع، وتؤنث»[٥].

١٦-قوله: «**اشحذيها**»: قال الطيبي رحمه الله:«يقال: شحذت السيف والسكين إذا حددته بالمسن، وغيره»[٦]، وقال النووي رحمه الله: «قَوْلُهُ ﷺ «**اشْحَذِيهَا بِحَجَرٍ**»: هُوَ بِالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ، وَالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ الْمَفْتُوحَةِ، وبالذال المعجمة، أَيْ: حَدِّدِيهَا»[٧].

١٧-قَوْلُهُ: «**هَلُمِّي الْمُدْيَةَ**»: قال الإمام النووي رحمه الله: «أَيْ: هَاتِيهَا، وَهِيَ بِضَمِّ الْمِيمِ، وَكَسْرِهَا، وَفَتْحِهَا، وَهِيَ السِّكِّينُ»[٨].

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٦/ ٦٢٧.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٠٤.
(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٩/ ١٢٩.
(٤) عون المعبود، ٧/ ٣٥١.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٠١.
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٠١.
(٧) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣/ ١٢١.
(٨) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣/ ١٢١.

١٨-قوله: «**يطأ في سواد**»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو مجاز عن سواد القوائم»[(١)].

١٩-قوله: «**ويبرك في سواد**»: قال الطيبي: «ويبرك في سواد من سواد البطن»[(٢)].

٢٠-قوله: «**وينظر في سواد**»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وينظر في سواد عن سواد العينين»[(٣)].

٢١-قوله: «**عني**»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: اجعله أضحية عني، وعن أمتي»[(٤)].

٢٢-قوله: «**من أمة محمد**»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليس معناه أن الغنم الواحد يضحي عن اثنين فصاعدًا، بل معناه: المشاركة في الثواب بالأمّة»[(٥)]، وقال الرافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «عن أمته، وعن نفسه وآله، ذكر الأصحاب فيه أن الشاة الواحدة، وإن كان لا يضحي بها إلا واحد، لكن إذا ضحى بها من أهلٍ تأدى الشعار والسنة لجميعهم، وكما أن الفرض ينقسم إلى: فرض عين، وفرض على الكفاية، فكذلك السنة، والتضحية مسنونة على الكفاية لكل أهل بيت، وهذا ظاهر في آله المخصوصين به، وأما في الأمة؛ فلأن رابطة الإِسلام تجعل النبي ﷺ والأمة كأهل بيت واحد»[(٦)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-النحر من جملة العبادات التي يجب أن تصرف لله وحده، وهي عبادة مالية، قرن الله بينها وبين الصلاة كعبادة بدنية بقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[(٧)]، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي﴾ [(٨)] وقد جاء الوعيد الشديد لمن ذبح لغير الله

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٠٠.
(٢) شرح المشكاة للطيبي، ٤/ ١٣٠٤.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق، ٤/ ١٣٠٤.
(٥) المرجع السابق، ٤/ ١٣٠١.
(٦) شرح مسند الشافعي، ٣/ ١١٦.
(٧) سورة الكوثر، الآية: ٢.
(٨) سورة الأنعام، الآية: ١٦٣.

في قوله ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»[١] واللعن طرد عن رحمة الله وهذا الفعل مضاد للتوحيد.

٢-وجوب التسمية على سائر الذبائح بقول الذابح: «بسم الله، والله أكبر» مع مراعاة الرفق بالذبيحة حال ذبحها لقوله ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته**»[٢]، والقتلة بكسر القاف هي الهيئة والحالة.

٣-المراد بالذبح هو إزهاق روح ما يؤكل لحمه بالتذكية الشرعية، وهو نوعان:

أ- ذبح عادة: كالذبح للأكل وللضيف، ونحو ذلك، فذلك عادة باعتبار الأصل تجري فيه الأحكام الخمسة بحسب ما يقترن به، أو يحمل عليه، وهي الاستحباب، والوجوب، والكراهة، والتحريم، والإباحة؛ فإن ذبح لضيف إكرامًا لما جاء به في الشرع، فهو سنة، ومستحب، وإذا ذبح للنفقة على العيال، فقد يكون واجبًا، وقد يكون غير ذلك.

ب - ذبح عبادة، وهو أنواع:

النوع الأول: فما ذبح تقربًا لله تعالى، كالهدي، والأضاحي، والعقيقة، ونحو ذلك، فهو عبادة لله، وتوحيد له.

النوع الثاني: ما ذبح تقربًا لغير الله فهو شرك أكبر، كالذبح للقبور، والجن، ونحو ذلك.

النوع الثالث: ما ذبح بدعة، كالذبح في الموالد، وعند القبور تقربًا إلى الله تعالى، إكرامًا لسدنتها، ومجاوريها، أو من يقصدها، فهذا محرم؛ لكونه على خلاف الشرع، وذريعة إلى الشرك، وإعانة على بدعة، وإكرامًا لمبدعين محدثين في دين الله[٣].

---

(١) مسلم، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، برقم ١٩٧٨.

(٢) مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة، برقم ١٩٥٥.

(٣) انظر: المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ عبد الله القصير، ص ٨٣، ٨٤.

٤-قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذبح الرجل أضحيته بيده هي السنة، والعلماء يستحبون ذلك، قال أبو إسحاق السبيعي: كان أصحاب محمد يذبحون ضحاياهم بأيديهم، قال مالك: وذلك من التواضع لله تعالى، وأن رسول الله ﷺ كان يفعله، فإن أمر بذلك مسلمًا أجزأته، وبئس ما صنع، وكذلك الهدى، وقد كان أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأمر بناته أن يذبحن نسكهن بأيديهن»[(١)].

٥-قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ إِضْجَاعِ الْغَنَمِ فِي الذبح، وأنها لاتذبح قائمة، ولاباركة، بَلْ مُضْجَعَةً؛ لِأَنَّهُ أَرْفَقُ بِهَا، وَبِهَذَا جَاءَتِ الْأَحَادِيثُ، وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ، وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ، وَعَمَلُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ إِضْجَاعَهَا يَكُونُ عَلَى جَانِبِهَا الْأَيْسَرِ؛ لِأَنَّهُ أَسْهَلُ عَلَى الذَّابِحِ فِي أَخْذِ السِّكِّينِ بِالْيَمِينِ، وَإِمْسَاكِ رَأْسِهَا بِالْيَسَارِ»[(٢)].

٦-قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفيه: أن الاختيار، والسنة للمرء أن يذبح أضحيته بيده، والعلماء على استحبابه؛ فإن كان به عذر جاز أن يستنيب بغيره؛ لأن الأعذار تسقط معها أحكام الاختيار، فإن استناب مع القدرة أتى مكروهًا وأجزأه»[(٣)].

***

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال، ٦/ ٢١.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣/ ١٢٢.
(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٦/ ٦٢٧.

١٢٨ - مَا يَقُولُ لِرَدِّ كَيْدِ مَرَدَةِ الشَّيَاطِينِ

٢٤٧ -«أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لاَ يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلاَ فَاجِرٌ: مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَبَرَأَ وَذَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلاَّ طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ»[1].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٧٦-لفظ أحمد: قال أَبو التَّيَّاح: قُلْتُ: لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَنْبَشٍ التَّمِيمِيِّ ﷺ[2]، وَكَانَ كَبِيرًا، أَدْرَكْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ، فَقَالَ: إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَحَدَّرَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَوْدِيَةِ، وَالشِّعَابِ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ بِيَدِهِ شُعْلَةُ نَارٍ، يُرِيدُ أَنْ يُحْرِقَ بِهَا وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَهَبَطَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُلْ، قَالَ: «مَا أَقُولُ؟» قَالَ: «قُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ

---

(١) مسند أحمد، ٢٤/ ٢٠٠، برقم ١٥٤٦٠، وابن السني في عمل اليوم والليلة، ص ٥٩٤، برقم ٦٣٧، ومسند أبي يعلى الموصلي، ١٢/ ٢٣٨، برقم ٦٨٤٤، وضعفه محققو المسند، وحسنه بشواهده سليم الهلالي في عجالة الراغب المتمني في تخريج كتاب عمل اليوم والليلة، لابن السني، ٢/ ٧٢٧، و صحح إسناده محقق مسند أبي يعلى، والأرناؤوط في تخريجه للطحاوية ص١٣٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٢/ ٤٩٥.

(٢) عبد الرحمن بن خنبش ﷺ التميمي، قال ابن حبان: له صحبة، سكن البصرة، وبعضهم شك في صحبته، والمعتمد على من جزم بأن له صحبة. انظر: الاستيعاب، ٢/ ٨٣١، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ٣٠٠.

وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ»، قَالَ: فَطَفِئَتْ نَارُهُمْ، وَهَزَمَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[١].

٩٧٧-ولفظ ابن السني: سَأَلَ رَجُلٌ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ خَنْبَشٍ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، فَقَالَ: يَا ابْنَ خُنَيْسٍ، كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ؟ فَقَالَ: انْحَدَرَتِ الشَّيَاطِينُ مِنَ الْأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ، يُرِيدُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَهَمَّ شَيْطَانٌ مَعَهُ شُعْلَةٌ مِنْ نَارٍ أَنْ يَحْرِقَ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَآهُمْ فَزِعَ، فَجَاءَهُ جِبْرَئِيلُ عليه السلام، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ، مِنْ شَرِّ مَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، وَمَنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمَنْ شَرِّ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ قَالَ: فَطُفِئَتْ نَارُ الشَّيْطَانِ، وَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عز وجل**»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**وكان شيخاً كبيراً**»: قال الفيروزأبادي رحمه الله: «الشيخ: مَنِ اسْتَبَانَتْ فيه السِّنُّ، أو من خَمْسِينَ، أو إحْدَى وخَمْسِينَ إلى آخِرِ عُمُرِهِ، أو إلى الثمانينَ»[٣].

٢-قوله: «**كادته**»: أي: مكرت به لإيذائه ﷺ، وقال ابن الأثير رحمه الله: «كادها بارئها: أَيْ: أرادها بِسُوء، يَقَال: كِدْت الرجُل أَكِيده، والكَيْد: الاحْتِيال، والاجْتِهَاد، وَبه سُمِّيت الحَرْب كَيْداً»[٤]. وقال الفيومي رحمه الله: «كَادَهُ كَيْدًا مِنْ بَابِ بَاعَ: خَدَعَهُ، وَمَكَرَ بِهِ، وَالِاسْمُ الْمَكِيدَةُ»[٥].

---

(١) مسند أحمد، برقم ١٥٤٦٠، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٢/ ٤٩٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) عمل اليوم والليلة، لابن السني، برقم ٦٣٧، وحسنه بشواهده سليم الهلالي في عجالة الراغب المتمني في تخريج كتاب عمل اليوم والليلة، لابن السني، ٢/ ٧٢٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) القاموس المحيط، ص ٢٥٤، مادة (شيخ).
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٢١٧، مادة (كيد).
(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢/ ٥٤٥، مادة (كيد).

٣-قوله: «**الشياطين**»: أي: الجنِّيَّة، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشيطان: من الشطن: البعد، أي: بَعُد عن الخير، أو من الحبل الطويل، كأنه طال في الشر، أو من شاط يشيط إذا هلك، أو من استشاط غضباً إذا احتدّ في غضبه، والتهب، والأول أصح»[(١)].

٤-قوله: «**انحدرت، تحدّرت**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحَدْرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ تَحْدُرُه مِنْ عُلْوٍ إِلى سُفْلٍ، ...وَكُلُّ شَيْءٍ أَرسلته إِلى أَسفل، فَقَدْ حَدَرْتَه حَدْراً وحُدُوراً»[(٢)].

٥-قوله: «**الأودية والشعاب**»: قال الفيومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الْوَادِي: وَهُوَ كُلُّ مُنْفَرَجٍ بَيْنَ جِبَالٍ، أَوْ آكَامٍ يَكُونُ مَنْفَذًا لِلسَّيْلِ، وَالْجَمْعُ أَوْدِيَةٌ»[(٣)]، وأما «الشعاب» فيقول الفيومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « الشِّعْبُ بِالْكَسْرِ: الطَّرِيقُ، وَقِيلَ: الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ، وَالْجَمْعُ شِعَابٌ»[(٤)].

٦-قوله: «**فزع**»: أي: أصابه الخوف والهلع، قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الْفَزَعُ، يُقَالُ فَزِعَ يَفْزَعُ فَزَعًا، إِذَا ذُعِرَ. وَأَفْزَعْتُهُ أَنَا. وَهَذَا مَفْزَعُ الْقَوْمِ، إِذَا فَزِعُوا إِلَيْهِ فِيمَا يَدْهَمُهُمْ»[(٥)]، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أَيْ: هَبَّ وانْتَبه. يُقَالُ: فَزِعَ مِنْ نَوْمِهِ، وأَفْزَعْتُه أَنَا، وَكَأَنَّهُ مِنَ الفَزَع: الخَوْفِ، لِأَنَّ الَّذِي يُنَبَّه لَا يَخْلُو مِنْ فَزَعٍ مَا»[(٦)].

٧-قوله: «**فهمّ شيطان**»: قال الفيروزأبادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هَمَّ بِالْأَمْرِ يَهُمُّ، إِذَا عَزَم عَلَيْهِ»[(٧)].

٨-قوله: «**شعلة نار**»: الشُّعْلَةُ، بالضم: ما أَشْعَلْتَ فيه من الحَطَبِ، ولَهَبُ النارِ»[(٨)].

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٧٤، مادة (شطن)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من حديث المتن رقم ١.
(٢) لسان العرب، ٤/ ١٧٢، مادة (حدر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧، من حديث المتن رقم ٢١٤.
(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢/ ٦٥٥، مادة (ودي).
(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٣١٣، مادة (شعب).
(٥) مقاييس اللغة، ٤/ ٥٠١، مادة (فزع).
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٤٤، مادة (فزع).
(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٢٧٤، مادة (همّ).
(٨) القاموس المحيط، ص ١٠١٨، مادة (شعل).

٩-قوله: «**هبط جبريل**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نَقِيضُ الصُّعُود، هبطَ يهْبِط ويهبُطُ هُبُوطاً إِذا انْهَبط فِي هَبُوط مِنْ صَعُود، وهَبَطَ هُبوطاً: نَزَلَ، وهَبَطْته وأَهْبَطْتُه فانْهَبطَ؛ ... وهَبَطه أَي: أَنزله»[(١)].

١٠-قوله: «**فجاء جبريل**»: أي: نزل عليه بأمر من الله عَزَّ وَجَلَّ، و«جبريل»: من الملائكة، قال الفيومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جبريل: عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: هو اسم مركب من (جبر)، وهو العبد، و(إيل)، وهو الله تعالى »[(٢)].

١١-قوله: «**أعوذ**»: أي: ألتجئ، وأتحصن، وأعتصم، وأستجير، العوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به. يقال: عاذ فلان بفلان، ... وأعذته بالله أعيذه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك[(٣)]، وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أعوذ»: أي: ألجأ، وألوذ، وأعتصم»[(٤)]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَسْتَعِيذَ بِالْعُوَذِ الشَّرْعِيَّةِ؛ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ كَانَتْ تَعْرِضُ لِلْأَنْبِيَاءِ فِي حَيَاتِهِمْ، وَتُرِيدُ أَنْ تُؤْذِيَهُمْ، وَتُفْسِدَ عِبَادَتَهُمْ، كَمَا جَاءَتْ الْجِنُّ إلَى النَّبِيِّ ﷺ بِشُعْلَةِ مِنْ النَّارِ تُرِيدُ أَنْ تُحْرِقَهُ»[(٥)].

١٢- قوله: «**كلمات الله**»: الكاملة الشاملة الفاضلة، وهي أسماؤه وصفاته، وآيات كتبه[(٦)]، والكلمات ههنا محمولة على أسماء الله الحسنى، وكتبه المنزلة؛ لأن الاستعاذة إنما تكون بها[(٧)].

١٣-قوله: «**التامات**»: وصفها بالتامة لخلوها عن النواقص، والعوارض،

(١) لسان العرب، ٧/ ٤٢١، مادة (هبط)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٦، من حديث المتن رقم ٢١٤.
(٢) انظر: المصباح المنير، ١/ ٩٠، مادة (جبر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ٥٢.
(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.
(٤) تفسير السعدي، ص ٩٣٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ٩٧.
(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١/ ١٦٩.
(٦) مرقاة المفاتيح، ١/ ٤٠٢.
(٧) مرقاة المفاتيح، ٢/ ٢٦٦، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من حديث المتن رقم ٩٧.

بخلاف كلمات الناس؛ فإنهم متفاوتون في كلامهم على حسب تفاوتهم في العلم، واللهجة، وأساليب القول ... ، وكلمات الله تعالى متعالية عن هذه القوادح، فهي لا يسعها نقص، ولا يعتريها اختلال، واحتجّ الإمام أحمد بها على القائلين بخلق القرآن، فقال: لو كانت كلمات الله مخلوقة، لم يعذبها الله؛ إذ لا يجوز الاستعاذة بمخلوق»(١).

١٤-قوله: «**من شر ما خلق**» أي: من مخلوقات الله - عز وجل -، قال البعلي رحمه الله: «فَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِهِ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي فِي الْمَخْلُوقِ، فَهُوَ الَّذِي يُعِيذُ مِنْهُ، وَيُنْجِي مِنْهُ»(٢).

١٥-قوله: «**لا يجاوزهن**»: أي: لا يتعداهن، وقال ابن الأثير رحمه الله: «جَازَه يَجُوزُه إِذَا تَعدّاه وعَبَر عَلَيْهِ»(٣)، وقال ابن الجزري رحمه الله: «لَا يجاوزهن»: أَي: لَا يحيد عَنْهُن وَلَا يمِيل»(٤)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فلا يخرج بَرٌّ، ولا فاجر عن تكوينه، ومشيئته، وقدرته»(٥).

١٦-قوله: «**بَرٌّ**»: البار هو المطيع لله ورسوله ﷺ صادقًا في ذلك، قال ابن الأثير رحمه الله: « بَرَّ يَبَرُّ فَهُوَ بَارّ، وَجَمْعُهُ بَرَرَة، وَجَمْعُ البَرّ أَبْرَار، وَهُوَ كَثِيرًا مَا يُخَص بِالْأَوْلِيَاءِ وَالزُّهَّادِ والعبَّاد»(٦).

١٧-قوله: «**ولا فاجر**»: أي: شديد الظلم لنفسه، ولغيره، قال ابن الأثير

(١) مرقاة المفاتيح، ٢/ ٢٦٦، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من حديث المتن رقم ٩٧.
(٢) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ص ٢٥٩، وقد تقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٤ من حديث المتن رقم ٩٧.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣١٤، مادة (جوز).
(٤) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص ١٤١.
(٥) أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص ١١٦.
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ١١٦، مادة (برر).

رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفَاجِر، وَهُوَ المُنْبَعِث فِي المَعاصِي، والمحَارِم، وَقَدْ فَجَرَ يَفْجُرُ فُجُوراً... وَ«مِن أَفْجَرِ الفُجُور» أَيْ: مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ»[١].

١٨-قوله: «وبرأ»: أي: أوجد، وأبدع لأن من أسمائه البارئ ﷻ، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «بَرَأَ: فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى: «الْبارِئُ»: هُوَ الَّذِي خلَق الخلْق لَا عَنْ مِثَالٍ؛ وَلِهَذِهِ اللَّفْظَةِ مِنَ الِاخْتِصَاصِ بخَلْق الْحَيَوَانِ مَا لَيْس لَهَا بِغَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وقلَّما تَستَعمل فِي غَيْرِ الحيوان، فيقال: بَرَأَ الله النسَمَة، وخلَق السموات وَالْأَرْضَ»[٢].

١٩-قوله: «ذرأ»: أي خلق على ظهرها من كل ما يخاف شره، قال ابن الأثير :: «ذَرَأَ اللهُ الخلقَ يَذْرَؤُهُم ذَرْءاً إِذَا خَلَقَهُمْ، وكأنَّ الذَّرْءَ مُختصٌّ بخلْق الذُّرِّيَّة»[٣]، وقال الباجي :: «وَقَوْلُهُ: وَشَرِّ مَا ذَرَأَ مِنْ الْأَرْضِ يُرِيدُ، وَاَللَّهُ أَعْلَمُ مَا خَلَقَهُ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ»[٤].

٢٠-قوله: «ومن شر ما ينزل من السماء»: أي: من أنواع العقوبات، كالصواعق، والأمطار الضارة، والريح الشديدة، قال الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَوْلُهُ مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَشَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا يَحْتَمِلُ - وَاَللَّهُ أَعْلَمُ - مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ فَيُصِيبُ أَهْلَ الْأَرْضِ»[٥].

٢١-قوله: «ومن شر ما يعرج فيها»: أي: يصعد إليها من الأعمال والأقوال الفاسدة التي تغضب الرب وتوجب العقوبة، قال الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَوْ يَعْرُجُ بِهِ إلَيْهَا يُرِيدُ يَعْرُجُ بِسَبَبِهِ فَيُعَاقِبُ أَهْلَ الْأَرْضِ، أَوْ بَعْضَهُمْ مِنْ أَجْلِهِ بِالشَّرِّ»[٦].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤١٣، مادة (فجر).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ١١١، مادة (برأ).
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ١٥٦، مادة (ذرأ).
(٤) المنتقى شرح الموطأ، ٧/ ٢٧١.
(٥) المنتقى شرح الموطأ، ٧/ ٢٧١.
(٦) المنتقى شرح الموطأ، ٧/ ٢٧١.

٢٢-قوله: «**ومن شر ما ذرأ في الأرض**»: قال النفراوي المالكي رحمه الله: «... خلَقَ، وذَرَأَ، وبَرَأَ: وَمَعْنَى الثَّلَاثَةِ وَاحِدٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ، وَهُوَ الْإِيجَادُ مِنْ الْعَدَمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ**﴾[1]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾[2]، وَقَالَ: ﴿**فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ**﴾[3]، أَيْ: خَالِقُكُمْ، فَلَعَلَّهُ ذَكَرَهَا لِلتَّنْبِيهِ عَلَى اتِّحَادِ مَعْنَاهَا»[4].

٢٣-قوله: «**وَمن شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا**»: قال الباجي رحمه الله: «مِمَّا خَلَقَهُ فِي بَاطِنِهَا، ثُمَّ يُخْرِجُهُ مِنْهَا لِيُصِيبَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ»[5]، وقال النفراوي المالكي رحمه الله: «وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا كَالْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبِ»[6].

٢٤-قوله: «**ومن شر فتن الليل والنهار**»: أي: ما يتعرض له العبد من الفتن آناء الليل وأطراف النهار، قال الشوكاني رحمه الله: «قَالَ الْعُلَمَاءُ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْفِتْنَةُ: الِامْتِحَانُ وَالِاخْتِبَارُ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الْقَتْلِ وَالْإِحْرَاقِ وَالتُّهْمَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ»[7]، وقال الباجي رحمه الله: «وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ الَّتِي تُصِيبُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَوْ تُخْلَقُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ الْفِتَنَ الَّتِي سَبَبُهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، مِمَّا يَسْتَعِينُ أَهْلُ الْفِتَنِ عَلَيْهَا بِاللَّيْلِ، فَيَسْتَتِرُونَ بِهَا وَيَتَوَصَّلُونَ فِيهِ إِلَيْهَا وَكَذَلِكَ النَّهَارُ»[8].

٢٥-قوله: «**ومن شر كل طارق**»: أي: واقع وحادث أثناء الليل بعلم الله عز وجل،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٩.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٧٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٥٤.
(٤) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ٢/ ٣٣٤.
(٥) المنتقى شرح الموطأ، ٧/ ٢٧١.
(٦) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ٢/ ٣٣٤.
(٧) نيل الأوطار، ٦/ ٣١٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من حديث المتن رقم ٦٠.
(٨) المنتقى شرح الموطأ، ٧/ ٢٧١.

قال الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الطَّارِقُ: مَا جَاءَكَ لَيْلًا، وَوَصْفَ مَا يَأْتِي بِالنَّهَارِ طَارِقًا عَلَى سَبِيلِ الْإِتْبَاعِ»[١]، وقال ابن الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «طوارق: جمع طَارق، وَهُوَ من الطّرق، وَقيل: أَصله من الدق، وَسمي الْآتِي بِاللَّيْلِ طَارِقًا لاحتياجه إِلَى الدق»[٢].

٢٦-قوله: «إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ»: قال النفراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «وَالطَّارِقُ هُوَ الَّذِي يَأْتِي بَغْتَةً... عَلَى أَنَّ الطَّارِقَ لَا يَكُونُ إلَّا بِاللَّيْلِ»[٣]، وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخَيْرُ: ما يرغب فيه الكلّ، كالعقل مثلاً، والعدل، والفضل، والشيء النافع»[٤].

٢٧-قوله: «يا رحمن»: قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَرَحْمَنُ: أَشَدُّ مُبَالَغَةً مِنْ رَحِيمٍ، وَفِي كَلَامِ ابْنِ جَرِيرٍ مَا يُفْهِم حِكَايَةَ الِاتِّفَاقِ عَلَى هَذَا، وَفِي تَفْسِيرِ بَعْضِ السَّلَفِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْأَثَرِ، عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ قَالَ: وَالرَّحْمَنُ رَحْمَنُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ... الرَّحْمَنُ: اسْمٌ عَامٌّ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الرَّحْمَةِ يَخْتَصُّ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى»[٥]، وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة، وأئمتها، الإيمان بأسماء الله، وصفاته، وأحكام الصفات، فيؤمنون مثلاً بأنه رحمن رحيم، ذو الرحمة التي اتصف بها، المتعلقة بالمرحوم، فالنعم كلها، أثر من آثار رحمته»[٦].

٢٨-قوله: «هزمهم الله»: هزم العَدُوَّ: كسَرَهُمْ، وفَلَّهُم، والاسمُ: الهَزِيمَةُ والهِزِّيمَى، كخِلِّيفى، وهزم البِئْرَ: حَفَرَها[٧].

---

(١) المنتقى شرح الموطأ، ٧/ ٢٧١.
(٢) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص ١٤١.
(٣) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ٢/ ٣٣٤.
(٤) المفردات في غريب القرآن، ١/ ٣٠٠، مادة (خير).
(٥) تفسير ابن كثير، ١/ ١٢٤.
(٦) تفسير السعدي، ص ٣٩.
(٧) القاموس المحيط، ص ١١٦٩، مادة (هزم).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-حرص السلف الصالح على معرفة هدي النبي ﷺ في كافة أحواله، حتى يكون العلم قبل العمل، وهذا هو طريق السداد؛ لقول الله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾(١)، فقدم العلم على العمل.

٢-حفظ الله لنبيه ﷺ من مكر الماكرين، ومن الشياطين كافة، حتى يبلغ الدعوة، ويقيم به الله الملة.

٣-صدق اللجوء إلى الله، والتوكل عليه، مع عدم إغفال الأسباب التي أمر بها الشرع فإنها سند متين، يكشف الله به الكرب.

٤-بيان عظيم قدرة الله تعالى وإحاطته بجميع مخلوقاته ﴿**يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾(٢).

٥-يجب على المسلم أن يتخير الطيب من القول والعمل لعلمه أن الأعمال تعرض على الله ولا يكون من الذين تعرض صحائفهم على الله بسيئ العمل، قال النبي ﷺ في يومي الإثنين والخميس عندما سُئل: «إِنَّكَ تَصُومُ حَتَّى لَا تَكَادَ تُفْطِرُ، وَتُفْطِرُ حَتَّى لَا تَكَادَ أَنْ تَصُومَ، إِلَّا يَوْمَيْنِ إِنْ دَخَلَا فِي صِيَامِكَ وَإِلَّا صُمْتَهُمَا، قَالَ: «أَيُّ يَوْمَيْنِ؟» قُلْتُ: يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، قَالَ: «**ذَانِكَ يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ**»(٣). والذي يقوم بعرض الأعمال هم الملائكة.

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٣) النسائي، كتاب الصيام، صوم النبي ﷺ بأبي هو وأمي وذكر اختلاف الناقلين للخبر في ذلك، برقم ٢٣٥٧، وأبو داود، كتاب الصيام، باب في صوم الإثنين، برقم ٢٤٣٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢/ ٧٨، وقال في صحيح سنن النسائي، ٢/ ١٥٤: «حسن صحيح» وانظر: إرواء الغليل للألباني، برقم ٩١٩.

٦-قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وكَلِمَاتُ اللهِ التَّامَّاتُ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ: هِيَ الَّتِي كَوَّنَ بِهَا الْكَائِنَاتِ، فَلَا يَخْرُجُ بَرٌّ، وَلَا فَاجِرٌ عَنْ تَكْوِينِهِ، وَمَشِيئَتِهِ، وَقُدْرَتِهِ، وَأَمَّا كَلِمَاتُهُ الدِّينِيَّةُ: وَهِيَ كُتُبُهُ الْمُنَزَّلَةُ، وَمَا فِيهَا مِنْ أَمْرِهِ، وَنَهْيِهِ، فَأَطَاعَهَا الأَبْرَارُ، وَعَصَاهَا الْفُجَّارُ، وَأَوْلِيَاءُ اللهِ الْمُتَّقُونَ هُمْ الْمُطِيعُونَ لِكَلِمَاتِهِ الدِّينِيَّةِ، وَجَعْلِهِ الدِّينِيِّ، وَإِذْنِهِ الدِّينِيِّ، وَإِرَادَتِهِ الدِّينِيَّةِ، وَأَمَّا كَلِمَاتُهُ الْكَوْنِيَّةُ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهَا بَرٌّ، وَلَا فَاجِرٌ؛ فَإِنَّهُ يَدْخُلُ تَحْتَهَا جَمِيعُ الْخَلْقِ حَتَّى إِبْلِيسَ وَجُنُودَهُ، وَجَمِيعَ الْكُفَّارِ، وَسَائِرَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ، فَالْخَلْقُ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا فِي شُمُولِ الْخَلْقِ، وَالْمَشِيئَةِ، وَالْقُدْرَةِ، وَالْقَدَرِ لَهُمْ، فَقَدْ افْتَرَقُوا فِي الْأَمْرِ، وَالنَّهْيِ، وَالْمَحَبَّةِ، وَالرِّضَا، وَالْغَضَبِ، وَأَوْلِيَاءُ اللهِ الْمُتَّقُونَ هُمْ الَّذِينَ فَعَلُوا الْمَأْمُورَ، وَتَرَكُوا الْمَحْظُورَ، وَصَبَرُوا عَلَى الْمَقْدُورِ، فَأَحَبَّهُمْ، وَأَحَبُّوهُ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ، وَرَضُوا عَنْهُ، وَأَعْدَاؤُهُ أَوْلِيَاءُ الشَّيَاطِينِ، وَإِنْ كَانُوا تَحْتَ قُدْرَتِهِ، فَهُوَ يُبْغِضُهُمْ، وَيَغْضَبُ عَلَيْهِمْ، وَيَلْعَنُهُمْ، وَيُعَادِيهِمْ، وَبَسْطُ هَذِهِ الْجُمَلِ لَهُ مَوْضِعٌ آخرُ، وَإِنَّمَا كَتَبْت هُنَا تَنْبِيهًا عَلَى مَجَامِعِ الْفَرْقِ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، وَجَمْعُ الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا اعْتِبَارُهُمْ بِمُوَافَقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي فَرَّقَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ السُّعَدَاءِ، وَأَعْدَائِهِ الْأَشْقِيَاءِ، وَبَيْنَ أَوْلِيَائِهِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَعْدَائِهِ أَهْلِ النَّارِ، وَبَيْنَ أَوْلِيَائِهِ أَهْلِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ، وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ أَهْلِ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ، وَالْفَسَادِ، وَأَعْدَائِهِ حِزْبِ الشَّيْطَانِ، وَأَوْلِيَائِهِ الَّذِينَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الْإِيمَانَ، وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْه»[1].

***

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية، ١١/ ٢٧١.

١٢٩- الاسْتغْفارُوالتَّوْبَةُ

٢٤٨-[(١)] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ إِنِّي لأَسْتَغفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةٍ»[(١)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٩٧٨-لفظ البخاري عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[(٢)] قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»[(٣)].

٩٧٩-ولفظ ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[(٤)].

٩٨٠-ولفظ الطبراني عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ، مِائَةَ مَرَّةٍ»[(٥)].

٩٨١-ولفظ مسلم: عَنِ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ رضي الله عنه[(٦)]، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[(٧)].

٩٨٢-وفي لفظ لمسلم عَنْ أَبِي بُرْدَةَ رحمه الله، قَالَ: سَمِعْتُ الْأَغَرَّ رضي الله عنه[(٨)]، وَكَانَ

---

(١) البخاري، برقم ٦٣٠٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٩٦.
(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.
(٣) البخاري، برقم ٦٣٠٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) سنن ابن ماجه، برقم ٣٨١٥، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٣٨٠٥.
(٥) المعجم الكبير للطبراني، ١٩/ ٥٠، برقم ١٢٥، والمعجم الصغير للطبراني، ١/ ١٥١.
(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.
(٧) مسلم، برقم ٤١- (٢٧٠٢)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٨) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، يُحَدِّثُ ابْنَ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[1].

٩٨٣-وفي لفظ للطبراني عَنْ أَبِي بُرْدَةَ رَحِمَهُ اللهُ، قَالَ: جَلَسْتُ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوا، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[2].

٩٨٤-وعند النسائي في السنن الكبرى عَنْ أَبِي موسى الأشعري رضي الله عنه[3] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[4].

٩٨٥-وعند أحمد عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا ذَرِبَ اللِّسَانِ عَلَى أَهْلِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ خَشِيتُ أَنْ يُدْخِلَنِي لِسَانِي النَّارَ، قَالَ: «**فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الاِسْتِغْفَارِ؟ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: فَذَكَرْتُهُ لِأَبِي بُرْدَةَ فَقَالَ: «**وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**»[5].

٩٨٦-وعند النسائي في السنن الكبرى عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه[6] قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: أَحْرَقَنِي لِسَانِي، وَذَكَرَ مِنْ ذَرَابَتِهِ عَلَى أَهْلِهِ، قَالَ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الاِسْتِغْفَارِ؟ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[7].

٩٨٧-وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما[8]، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ

---

(١) مسلم، برقم ٤٢-(٢٧٠٢)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) المعجم الكبير، ١/ ٣٠١، برقم ٨٨٨، والدعاء للطبراني أيضاً، ص ٥١٤، برقم ١٨٣١، ورقم ١٨٣٢.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١ من أحاديث الشرح.

(٤) النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، كم يستغفر في اليوم ويتوب، برقم ١٠٢٧٤، وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ١١/ ١٠١ بهذا اللفظ رواية عن أبي سلمة رضي الله عنه.، وعزاه إلى النسائي أيضاً.

(٥) مسند أحمد، ٣٨/ ٣٨٩، برقم ٢٣٣٧١، وصححه لغيره محققو المسند، ٣٨/ ٣٩٠.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٦ من أحاديث الشرح.

(٧) النسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، كيف الاستغفار، برقم ١٠٢٨٥، و١٠٢٨٦.

(٨) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ» مِائَةَ مَرَّةٍ[(١)].

٩٨٨-وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»[(٢)].

٩٨٩-وعَن ابن عُمَر رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيّ ﷺ يَقُول: «أَستَغفِر الله الَّذِي لا إِلَه إِلاَّ هُو الحَيّ القَيُّوم، وأَتُوب إِلَيهِ، فِي المَجلِس قَبل أَن يَقُوم مِئَة مَرَّة»[(٣)].

٩٩٠-لفظ أَبِي داود عَنْ زيد رضي الله عنه[(٤)]، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»[(٥)].

٩٩١-حديث الحاكم عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه[(٦)]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلَاثًا، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَ فَارًّا مِنَ الزَّحْفِ»[(٧)].

---

(١) مسند أحمد، ٨/ ٣٥٠، برقم ٤٧٢٦، وابن أبي شيبة ٦/ ٥٧، برقم ٢٩٣٤٣، والبخاري في الأدب المفرد، ص ٢١٧، برقم ٦١٨ ، ، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، برقم ٣٤٣٤، والنسائي في الكبرى ، كتاب عمل اليوم والليلة، كيف الاستغفار، برقم ١٠٢٩٢، وصححه محققو المسند، ٨/ ٣٥٠، والألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٤٨٦.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، برقم ١٥١٦، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب الاستغفار، برقم ٣٨١٤، والأدب المفرد للبخاري، ص ٢١٧، برقم ٦١٨، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٢٤١، برقم ٤٨٢.

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري، ١١/ ١٠١: «أَخرَجَهُ النَّسائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّد مِن طَرِيق مُجاهِد ، عَن ابن عُمَر رضي الله عنهما » قلت: ولم أجده في السنن الكبرى المطبوعة، فلعله في نسخة أخرى عند ابن حجر رحمه الله.

(٤) زيد بن حارثة رضي الله عنه: أبو يسار، مولى رسول الله ﷺ، وهو من بني عمرو بن عوف، أغارت خيل لبني القين جسر في الجاهلية على أبيات بني معن فاحتملوا زيداً وهو غلام يفعة فأتوا به في سوق عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة، فوهبته للنبي ﷺ، وخيّره النبي بينه وبين أبيه وأهله، فاختار النبي ﷺ، فتبناه النبي فسمي زيد بن محمد حتى نزلت ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ﴾، وأسلم، وهاجر مع النبي، وتزوج زينب بنت جحش، وشهد بدراً وما بعدها، وقتل في غزوة مؤتة وهو أمير، واستخلفه النبي ﷺ في بعض أسفاره على المدينة. انظر: الاستيعاب، ٢/ ٥٤٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ٢/ ٥٩٨.

(٥) أبو داود، برقم ١٥١٧، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٣٥٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح.

(٧) المستدرك على الصحيحين للحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٦٩٢، وصححه الألباني في

٩٩٢-وعند أحمد عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه[١]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ، قَالَ: «ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي، وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ، ابْنَ آدَمَ، إِنْ تَلْقَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، لَقِيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً بَعْدَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ إِنْ تُذْنِبْ حَتَّى يَبْلُغَ ذَنْبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ تَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرْ لَكَ وَلَا أُبَالِي»[٢].

٩٩٣-وفي لفظ آخر عند أحمد عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عز وجل أَنَّهُ قَالَ: «يا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي، وَرَجَوْتَنِي، فَإِنِّي سَأَغْفِرُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ، وَلَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا لَلَقِيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً، وَلَوْ عَمِلْتَ مِنَ الْخَطَايَا حَتَّى تَبْلُغَ عَنَانَ السَّمَاءِ مَا لَمْ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، لَغَفَرْتُ لَكَ، ثُمَّ لَا أُبَالِي»[٣].

٩٩٤-وعند أحمد عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - أَوْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ - لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَمْلَأَ خَطَايَاكُمْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتُمُ اللَّهَ لَغَفَرَ لَكُمْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ - أَوْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - لَوْ لَمْ تُخْطِئُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُخْطِئُونَ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ»[٤].

٩٩٥-وعند الترمذي عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي، وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ

=

السلسلة الصحيحة، ٦/ ٥٠٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٤٥ من أحاديث الشرح.

(٢) مسند أحمد، ٣٥/ ٣٧٥، برقم ٢١٤٧٢، وحسنه لغيره محققو المسند، ٣٥/ ٣٧٥.

(٣) مسند أحمد، ٣٥/ ٣٩٨، برقم ٢١٥٠٥، وحسنه لغيره محققو المسند، ٣٥/ ٣٩٩.

(٤) مسند أحمد، ٢١/ ١٤٦، برقم ١٣٤٩٣، وصححه لغيره محققو المسند، ٢١/ ١٤٦.

الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[١].

٩٩٦-وعند أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ، لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، قَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي»[٢].

٩٩٧-وعند ابن ماجه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ ﷺ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا»[٣].

٩٩٨-وعند البيهقي في شعب الإيمان عَنِ الزُّبَيْرِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسُرَّهُ صَحِيفَتُهُ، فَلْيُكْثِرْ فِيهَا مِنَ الِاسْتِغْفَارِ»[٤].

٩٩٩-وعند الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً، نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ، وَاسْتَغْفَرَ، وَتَابَ، صُقِلَ قَلْبُهُ[٥]، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٦]»[٧].

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا عبد الله بن إسحق، برقم ٣٥٤٠، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٧٠، برقم ١٦١٦.

(٢) مسند أحمد، ١٧/ ٣٣٧، برقم ٢٣٧، والحاكم، ٤/ ٢٦١، وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه لطرقه محققو المسند، ١٧/ ٣٣٧، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٧٠، برقم ١٦١٧.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب الاستغفار، برقم ٣٨١٨، والبيهقي في شعب الإيمان، ٢/ ١٥٢، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٧٠، برقم ١٦١٨.

(٤) شعب الإيمان، ٢/ ١٥٣، والدعاء للطبراني، ص ٥٠٦، برقم ١٧٨٧، والمعجم الأوسط له أيضاً، ١/ ٢٥٦، برقم ٨٣٩، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة، ٣/ ٨٤، وقال: «سنده حسن» وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٧١، برقم ١٦١٩.

(٥) (صقل): في سنن الترمذي بالسين (سقل)، وقال ابن الأثير رحمه الله في النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٢: «ويُروى بِالسِّينِ عَلَى الإِبْدَالِ مِنَ الصَّاد».

(٦) سورة المطففين، الآية رقم ١٤.

(٧) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ويل للمطففين، برقم ٣٣٣٤، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يفعل فيمن بلي بذنب وما يقول، برقم ١٠٢٥١، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، برقم ٤٢٤٤، مسند أحمد، ١٣/ ٣٣٣، برقم ٧٩٥٢، وقوَّى إسناده محققو =

١٠٠٠-وعن عَلِيٍّ ﷺ[١] قَالَ: كُنْتُ رَجُلاً إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا نَفَعَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِمَا شَاءَ أَنْ يَنْفَعَنِي، وَإِذَا حَدَّثَنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ اسْتَحْلَفْتُهُ، فَإِذَا حَلَفَ لِي صَدَّقْتُهُ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ[٢] أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلاَّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ**»، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ**﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ»[٣] ».

١٠٠١-عنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ: أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي، قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»[٤]، وهذا لفظ البخاري وغيره.

١٠٠٢- ولفظ مسلم: عَنْ أَبِي بَكْرٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي، قَالَ: «**قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا - وَقَالَ قُتَيْبَةُ: كَثِيرًا - وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**»[٥].

١٠٠٣-وفي رواية لمسلم أن أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ﷺ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

=

المسند، ١٣/ ٣٣٤، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٧١، برقم ١٦٢٠.

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١٤ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، برقم ١٥٢١، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة عند التوبة، برقم ٤٠٦، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يفعل من بلي بذنب ويقول، برقم ١٠٢٤٧، وابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في أن الصلاة كفارة، برقم ١٣٩٥، وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ١١/ ٩٨، والألباني في صحيح أبي داود، ٢٨٣/١.

(٤) البخاري، برقم ٦٣٦٠، وتقدم تخريجه.

(٥) مسلم، برقم ٢٧٠٥، وتقدم تخريجه.

عَلِّمْنِي يَا رَسُولَ اللهِ دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي وَفِي بَيْتِي، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِ حَدِيثِ اللَّيْثِ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «ظُلْمًا كَثِيرًا»[١].

١٠٠٤-عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه[٢]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»، قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»[٣].

١٠٠٥- عن مِحْجَنِ بْنِ الْأَدْرَعِ رضي الله عنه[٤] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، إِذَا رَجُلٌ قَدْ قَضَى صَلَاتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا أَللَّهُ بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ غُفِرَ لَهُ»، ثَلَاثًا[٥].

١٠٠٦-وعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رضي الله عنها[٦]، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَقُولُ: «بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»، وَإِذَا خَرَجَ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ»[٧].

---

(١) مسلم، برقم ٢٧٠٥، وتقدم تخريجه.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٧٤ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٦٣٠٦، وتقدم تخريجه.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٢٢ من أحاديث الشرح.

(٥) النسائي، برقم ١٣٠٠، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/ ١٨٠، وتقدم تخريجه.

(٦) فاطمة بنت إمام المتقين؛ رسول الله صلى الله على أبيها، وآله وسلم، تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٨٨ من أحاديث الشرح.

(٧) ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، برقم ٧٧١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/ ١٢٨- ١٢٩.

١٠٠٧-وعن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ[١]، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَبَيْنَ القِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً - قَالَ أَحْسِبُهُ قَالَ: هُنَيَّةً - فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِسْكَاتُكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: «**أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ**»، هذا لفظ البخاري[٢].

١٠٠٨-عنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ[٣]، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»[٤].

١٠٠٩- وعن علي ﷺ[٥] في حديثه الطويل في صف صلاة النبي ﷺ، يرفعه إلى النبي ﷺ، وفيه: « **ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ،**

---

(١) تقدم ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٢) البخاري، برقم ٧٤٤، وتقدم تخريجه.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٤) مسلم، برقم ٢٠١- (٧٧١)، وتقدم تخريجه.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[(١)].

١٠١٠-وفي مسلم عن عبدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى ﷺ[(٢)]، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاءِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، اللهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ، وَالْبَرَدِ، وَالْمَاءِ الْبَارِدِ، اللهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْوَسَخِ»، وفي رواية مُعاذٍ: «كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّرَنِ»، وفي رواية يزيد: «مِنَ الدَّنَسِ »[(٣)].

١٠١١-وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[(٤)]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ، وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ»[(٥)].

١٠١٢-وعن حذيفة بن اليمان ﷺ[(٦)] في حديثه الطويل، وفيه أنه رأى رسول الله ﷺ يُصَلِّي من الليلِ، فساق الحديث، ثم قال: «وَكَانَ يَقْعُدُ ﷺ فِيمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْوًا مِنْ سُجُودِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَقَرَأَ فِيهِنَّ الْبَقَرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءَ، وَالْمَائِدَةَ، أَوِ الْأَنْعَامَ، شَكَّ شُعْبَةُ، هذا لفظ أبي داود، وابن ماجه[(٧)].

١٠١٣-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ[(٨)]، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي»، وهذا لفظ أبي داود[(٩)].

---

(١) مسلم، برقم ٢٠١- (٧٧١)، وتقدم تخريجه.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٥٦ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، برقم ٢٠٢-(٤٧٦).

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) مسلم، برقم ٤٨٣، وتقدم تخريجه.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٦ من أحاديث الشرح.

(٧) أبو داود، برقم ٨٧٤، وابن ماجه، برقم ٨٩٧، وتقدم تخريجه

(٨) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٩) أبو داود، برقم ٨٥٠، وتقدم تخريجه.

١٠١٤-ولفظ الترمذي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاجْبُرْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي**»[١].

١٠١٥- ولفظ ابن ماجه عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاجْبُرْنِي، وَارْزُقْنِي، وَارْفَعْنِي**»[٢].

١٠١٦-وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي**» يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ[٣].

١٠١٧-وعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه[٤]، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «**اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**» قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: «كَيْفَ الْاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: **أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ**»[٥].

١٠١٨-وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[٦] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ**»[٧].

١٠١٩-وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها[٨]، قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ

---

(١) الترمذي، برقم ٢٨٤، و٢٨٥، وتقدم تخريجه.

(٢) ابن ماجه، برقم ٨٩٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) البخاري، برقم ٧٩٤، ومسلم، برقم،٢١٦- (٤٨٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٣٤.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣٣ من أحديث الشرح.

(٥) مسلم، برقم ٥٩١، وتقدم تخريجه.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٧) الترمذي، برقم ٣٤٣٣، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٣٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ١٩٦.

(٨) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»[(١)].

١٠٢٠-وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[(٢)] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ»[(٣)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**والله!**»: هذا قسم بالله للتأكيد، قال الشعبي رحمه الله: الخالق يُقسِمُ بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي له أن يُقسِم إلا بالخالق، والذي نفسي بيده لأن أقسم بالله فأحنث، أحبّ إليَّ من أن أقسم بغيره فأبرّ»[(٤)]، وقال ابن عبد البر رحمه الله: «لَا يَجُوزُ الْحَلِفُ بِغَيْرِ اللَّهِ عز وجل فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَلَا عَلَى حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَهَذَا أَمْرٌ مُجْتَمَعٌ عَلَيْهِ»[(٥)].

٢-قوله: «**إني لأستغفر الله**»: هو دعاء الله بالمغفرة للذنوب، قال ابن منظور: «الغَفْرِ: التَّغْطِيَةُ، وَالسَّتْرُ، غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ: أَي: سَتَرَهَا ... والغَفْرُ، والمَغْفِرةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ، والعفوُ عَنْهَا»[(٦)].

٣-قوله: «**وأتوب إليه**»: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والتَّوبَة تَرك الذَّنب عَلَى أَحَد الأَوجُه، وفِي الشَّرع تَرك الذَّنب لِقُبحِهِ، والنَّدَم عَلَى فِعله، والعَزم عَلَى عَدَم العَود، ورَدّ المَظلِمَة إن كانَت أَو طَلَب البَراءَة مِن صاحِبها...فَقائِل

---

(١) البخاري، برقم، ٧٩٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٣٤.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٣٣، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٣٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ١٩٦.

(٤) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٦/ ٩٧.

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ١٤/ ٣٦٦.

(٦) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم مستوفى في المفردة الثانية من مفردات ألفاظ الحديث رقم ٤٨ من أحاديث المتن.

يَقُول إِنَّها النَّدَم، وآخَر يَقُول إِنَّها العَزم عَلَى أَن لا يَعُود، وآخَر يَقُول الإِقلاع عَن الذَّنب، ومِنهُم مَن يَجمَع بَين الأُمُور ....، ولا تَصِحّ التَّوبَة الشَّرعِيَّة إِلاَّ بِالإِخلاصِ، ومَن تَرَكَ الذَّنب لِغَيرِ الله لا يَكُون تائِبًا اتِّفاقًا، وأَمّا ثانِيًا فَلأَنَّهُ يَخرُج مِنهُ مَن زَنَى مَثَلاً ثُمَّ جُبَّ ذَكَره فَإِنَّهُ لا يَتَأَتَّى مِنهُ غَير النَّدَم عَلَى ما مَضَى»[١].

٤-قوله: «**في أكثر من سبعين مرة**»: قال ابن الجوزي رحمه الله: «اعْلَم أَن هفوات الطباع لَا يسلم مِنْهَا أحد، فالأنبياء وَإِن عصموا من الْكَبَائِر لم يعصموا من الصَّغَائِر، ثمَّ يَتَجَدَّد للطبع غفلات يفْتَقر إِلَى الاسْتِغْفَار»[٢]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وَقَعَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً فَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ الْمُبَالَغَةَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ الْعَدَدَ بِعَيْنِهِ وَقَوْلُهُ أَكْثَرَ مُبْهَمٌ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يُفَسَّرَ بِحَدِيثِ ابن عُمَرَ الْمَذْكُورِ وَأَنَّهُ يَبْلُغُ الْمِائَةَ»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث[٤]:

١-جواز الحلف من غير استحلاف.

٢-حض الأمة على الإكثار من التوبة، والإنابة إلى الله تعالى، والاستغفار.

٣-التوبة من الذنوب واجبة على الفور.

٤-تكفير الذنوب على قسمين:

أ – المحو.

ب – التبديل، ومن تأمل المقامين وجد فرقًا لطيفًا؛ لأن المغفرة فيها زيادة إحسان، وتفضل على العفو، وكلاهما خير وبشرى[٥].

---

(١) فتح الباري، ١١/ ١٠٣، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٣ من حديث المتن رقم ١٩٥.
(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٣/ ٥٢٢.
(٣) فتح الباري لابن حجر، ١١/ ١٠١.
(٤) تقدم معظم هذه الفوائد في شرح حديث المتن رقم ٩٦.
(٥) انظر كلام الشيخ سليم الهلالي في بهجة الناظرين، حديث (١٣).

٥-وقع الإشكال من وقوع الاستغفار والتوبة من النبي ﷺ، وهو معصوم؛ لأن هذا دليل على وقوع الذنب، وهذا لا إشكال فيه؛ لأنه قال ذلك على سبيل التواضع، وتعليم الأمر، ثم إن هذا هو هدي الأنبياء من قبله، ألم يقل إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1]، وهذا كليم الله موسى ﷺ لما أفاق قال: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

٦-قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد ذكر الفقهاء والمفسّرون وجوهاً عديدةً في استغفاره ﷺ منها: أنّه يراد به ما كان من سهوٍ أو غفلةٍ، أو أنّه لم يكن عن ذنبٍ، وإنّما كان لتعليم أمّته، ورأي السّبكيّ: أنّ استغفار النّبيّ ﷺ لا يحتمل إلاّ وجهاً واحداً، وهو: تشريفه من غير أن يكون ذنبٌ[3].

٧-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «فإذا تاب الإنسان إلى ربه حصل بذلك فائدتين:

الفائدة الأولى: امتثال أمر الله ورسوله؛ وفي امتثال أمر الله ورسوله كل الخير، فعلى امتثال أمر الله ورسوله تدور السعادة في الدنيا والآخرة.

والفائدة الثانية: الاقتداء برسول الله ﷺ حيث كان ﷺ يتوب إلى الله في اليوم مائة مرة؛ يعني: يقول: أتوب إلى الله، أتوب إلى الله»[4].

***

٢٤٩-[2] وَقَالَ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي**

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.
(٣) أسباب رفع العقوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٤.
(٤) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٤.

الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[(١)].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٢١-لفظ مسلم عن الْأَغَرِّ المزني ﷺ[(٢)]، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، يُحَدِّثُ ابْنَ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاس تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ، مَرَّةٍ**»[(٣)].

١٠٢٢-لفظ أحمد عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ[(٤)]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ، وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ**» فَقُلْتُ لَهُ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ، اللهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ: اثْنَتَانِ أَمْ وَاحِدَةٌ؟ فَقَالَ: «**هُوَ ذَاكَ**» أَوْ نَحْوَ هَذَا»[(٥)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**يا أيها الناس**»: قال القاري رحمه الله: «الظاهر إن المراد بهم المؤمنون»[(٦)].

٢- قوله: «**توبوا إلى الله**»: قال ابن علان رحمه الله: «أي: ارجعوا إليه بامتثال ما أمركم به، واجتناب ما نهاكم عنه، ومما أمركم به التوبة، فهي واجبة من كل

---

(١) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والإكثار منه، برقم ٢٧٠٢، ومسند أحمد، ٣٠/ ٢٢٥، برقم ١٨٢٩٣.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٢٧٠٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) هو الأغر المزني كما في حاشية مسند الإمام أحمد، ٣٠/ ٢٢٥، وفي السلسلة الصحيحة للألباني، ٣/ ٤٣٥، والأغر المزني تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

(٥) أحمد، برقم ١٨٢٩٣، وصححه محققو المسند، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٤٥٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ١٤.

ذنب، ولو صغيرة، إجماعاً»[١].

٣- قوله: «**فإني أتوب إليه**»: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والتَّوبَة تَرك الذَّنب عَلَى أَحَد الأَوجُه، وفِي الشَّرع تَرك الذَّنب لِقُبحِهِ، والنَّدَم عَلَى فِعله، والعَزم عَلَى عَدَم العَود، ورَدّ المَظلِمَة إِن كانَت، أَو طَلَب البَراءَة مِن صاحِبها»[٢].

٥-قوله: «**وأستغفره**»: قال ابن منظور: «الغَفْرِ: التَّغْطِيَةُ، وَالسَّتْرُ، غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ: أَي: سَتَرَهَا ... والغَفْرُ، والمَغْفِرةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ، والعفوُ عَنْهَا»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث[٤]:

١-جواز الحلف من غير استحلاف.

٢-حض الأمة على الإكثار من التوبة، والاستغفار.

٣-التوبة من الذنوب واجبة على الفور.

٤-قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد ذكر الفقهاء والمفسّرون وجوهاً عديدةً في استغفاره ﷺ منها: أنّه يراد به ما كان من سهوٍ أو غفلةٍ، أو أنّه لم يكن عن ذنبٍ، وإنّما كان لتعليم أمّته»[٥].

٥-قال ابن القيم رحمه الله[٦]: ومنزلة التوبة أول المنازل، وأوسطها وآخرها، فلا يفارقه[٧]

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١/ ٩٥.

(٢) فتح الباري، ١١/ ١٠٣، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٣ من حديث المتن رقم ١٩٥، والمفردة رقم ٣ من حديث المتن رقم ٢٤٨.

(٣) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم مستوفى في المفردة الثانية من مفردات ألفاظ الحديث رقم ٤٨ من أحاديث المتن.

(٤) تقدم معظم هذه الفوائد في شرح حديث المتن رقم ٩٦، ورقم ٢٤٨.

(٥) أسباب رفع العقوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٤، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من حديث المتن رقم ٩٦.

(٦) انظر: مدارج السالكين، ١/ ١٧٨.

(٧) يعني رحمه الله: مقام التوبة.

العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات، وإن ارتحل به، واستصحبه معه ونزل به، فالتوبة هي بداية العبد ونهايته وحاجته إليها في النهاية ضرورية، كما أن حاجته إليها في البداية كذلك. قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١] وقال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٢].

٦-قرر هذا الحديث أن من أسماء الله الحسنى «التواب» قال الخطابي ما ملخصه: «التواب الذي يتوب على عبده ويقبل توبته، كلما تكررت التوبة تكرر القبول، يقال: تاب الله على العبد بمعنى وفقه للتوبة ومعنى التوبة: عود العبد إلى الطاعة بعد المعصية»[٣].

٧-قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكذلك التواب من أوصافه ... والتواب في أوصافه نوعان
أذن بتوبة عبده وقبولها ... بعد المتاب بمنه المنان[٤]

***

٢٥٠-[٣] وَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيهِ، غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»[٥].

---

(١) سورة النور، الآية: ٣١.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١١.
(٣) شأن الدعاء (٩٠).
(٤) النونية، ٢/ ٢٣١.
(٥) أبو داود، كتاب الدعاء، باب في الاستغفار، برقم ١٥١٧، والترمذي طبعة أحمد شاكر، كتاب الدعوات، باب في دعاء الضيف، برقم ٣٥٧٧، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٣٥٨، وصحيح الترمذي، ٣/ ٤٦٩، برقم ٣٥٧٧، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٦٩٢، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٦/ ٥٠٧.

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٢٣-لفظ أبي داود عَنْ زيد ﷺ[١]، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»[٢].

١٠٢٤-ولفظ الترمذي عَنْ زيد مولى النبي ﷺ أنه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ العظيم الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنْ الزَّحْفِ»[٣].

١٠٢٥-حديث الحاكم عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ[٤]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلَاثًا، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَ فَارًّا مِنَ الزَّحْفِ»[٥].

الثالث: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**أستغفر الله**»: هو دعاء الله بالمغفرة للذنوب، قال ابن منظور: «الغَفْرُ: التَّغْطِيَةُ، وَالسَّتْرُ، غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا ... والغَفْرُ، والمَغْفِرةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى

---

(١) زيد بن حارثة تقدمت ترجمته في الحديث ٩٩٠ من أحاديث الشرح.

(٢) أبو داود، برقم ١٥١٧، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٣٥٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) سنن الترمذي، برقم ٣٥٧٧، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٣٥٧٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح.

(٥) المستدرك على الصحيحين للحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٥١١، بلفظ كلمة «العظيم» والموضع الثاني في الحاكم، ٢/ ١١٨، بدون كلمة «العظيم» وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٦/ ٥٠٧، برقم ٢٧٢٧، إلا كلمة «العظيم» في الموضع الأول، فقال الألباني في السلسلة الصحيحة، ٦/ ٥١١: «لم تثبت»، قلت: وكلمة «العظيم» في رواية الترمذي، في طبعة أحمد شاكر، كما تقدم، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

الذُّنُوبِ، والعفوُ عَنْهَا»[(١)]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «الِاسْتِغْفَارُ طَلَبُ الْمَغْفِرَةِ: إِمَّا بِاللِّسَانِ، أَوْ بِالْقَلْبِ، أَوْ بِهِمَا، فَالْأَوَّلُ فِيهِ نَفْعٌ؛ لِأَنَّهُ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ؛ وَلِأَنَّهُ يَعْتَادُ قَوْلَ الْخَيْرِ، وَالثَّانِي نَافِعٌ جِدًّا، وَالثَّالِثُ أَبْلَغُ مِنْهُمَا، لَكِنَّهُمَا لَا يُمَحِّصَانِ الذَّنْبَ حَتَّى تُوجَدَ التَّوْبَةُ؛ فَإِنَّ الْعَاصِيَ الْمُصِرَّ يَطْلُبُ الْمَغْفِرَةَ»[(٢)].

٢-قوله: «**العظيم**» الذي تتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة، فسبحان من له العظمة العظيمة، والكبرياء الجسيمة، والقهر، والغلبة لكل شيء»[(٣)].

٣-قوله: «**الذي لا إله إلا هو**»: التوجه إلى الله وحده، دون غيره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «تتضمن إخلاص الإلهية له، فلا يجوز أن يتأله القلب غيره، لا بحب، ولا خوف، ولا رجاء، ولا إجلال، ولا إكرام، ولا رغبة، ولا رهبة، بل لا بد أن يكون الدين كله لله»[(٤)].

٤-قوله: «الحي القيوم»: قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «صِفَةَ الْحَيَاةِ مُتَضَمِّنَةٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، مُسْتَلْزِمَةٌ لَهَا، وَصِفَةُ الْقَيُّومِيَّةِ مُتَضَمِّنَةٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ، وَلِهَذَا كَانَ اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى: هُوَ اسْمُ الْحَيِّ الْقَيُّومِ»[(٥)].

٥-قوله: «**وأتوب إليه**»: قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والتَّوبَة ترك الذَّنب عَلَى أَحَد الأوجُه، وفِي الشَّرع ترك الذَّنب لِقُبحِهِ، والنَّدَم عَلَى فِعله، والعَزم عَلَى عَدَم

---

(١) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم مستوفى في المفردة الثانية من مفردات ألفاظ الحديث رقم ٤٨ من أحاديث المتن.
(٢) فتح الباري لابن حجر، ١٣/ ٤٧٢.
(٣) تفسير السعدي، ص ١١٠، وقد تقدم في شرح حديث المتن رقم ٧١، في المفردة رقم ١٤.
(٤) اقتضاء الصراط المستقيم، ١/ ٤٥٢.
(٥) زاد المعاد، ٤/ ١٨٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١، من شرح مفردات حديث المتن رقم ٨٨.

العَود، ورَدّ المَظلِمَة إن كانَت أَو طَلَب البَراءَة مِن صاحِبها... »[١].

٦-قوله: «غفر الله له، غفرت ذنوبه»: قال ابن علان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: غفرت صغائر ذنوبه المتعلقة بحق ربه، وإن كان قد اقترف ما هو من الكبائر فلا يمنع ذلك من غفر الصغائر بالذكر المذكور أو غفرت الذنوب حتى الكبائر عنده لا به، فلا يخالف ما عليه المحققون من أن أعمال البر لا تكفر إلا الصغائر المتعلقة بحق الله تعالى»[٢]، وقال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «غفرت ذنوبه: كبائرها وصغائرها»[٣].

٧-قوله: «فر من الزحف»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَرَّ، يَفِرُّ فَرّاً، فَهُوَ فَارٌّ: إِذَا هرَب»[٤]، كلمة الزحف: قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لقاء العدو في الحرب»[٥]، وقال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كأنه يزحف، أي: يدب دبيباً، من زحف الصبي، إذا دب على استه قليلاً قليلاً... «فر من الزحف» فرمن حرب الكفار؛ حيث لا يجوز له الفرار، وذلك بأن لا يكون عدد الكفار على مثلي عدد جيش المسلمين»[٦].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-بيان عظيم فضل الاستغفار ولكن ذلك ليس قولًا باللسان فقط ولكنه ينتج عن توبة صادقة بشروطها المعروفة[٧].

٢-قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، وَالْمُسْتَغْفِرُ

---

(١) فتح الباري، ١١/ ١٠٣، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٣ من حديث المتن رقم ١٩٥.
(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٨/ ٧١٨.
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ١٠/ ٨٩.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٢٧، مادة (فرر).
(٥) جامع الأصول، ٤/ ٣٩٠.
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٥٥.
(٧) انظرها في حديث المتن رقم (٩٦).

مِنْ ذَنْبٍ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ كَالْمُسْتَهْزِئِ بِرَبِّهِ ﷻ»[١].

٣-التوبة النصوح تجب أي تمحو ما قبلها من الذنوب وإن كانت من الكبائر كالفرار من الزحف، قال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» وذكر منها: «**والتولي يوم الزحف**»[٢].

٤-قال الطيبي رحمه الله: «وفي تخصيص ذكر الفرار عن الزحف إدماج لمعنى أن هذا الذنب من أعظم الكبائر؛ لأن سياق الكلام، وارد في الاستغفار، وعبارته في المبالغة عن حط الذنوب عنه، فيلزم بإشارته أن هذا الذنب أعظم الذنوب»[٣].

***

٢٥١-[٤] وَقَالَ ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ؛ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ»[٤].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٢٦-لفظ الترمذي عن عمْرُو بْنُ عَبَسَةَ رضي الله عنه[٥]، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ:

---

(١) جامع العلوم والحكم، ٢/ ٤٠٩، وأكد وقفه على ابن عباس، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ١٣/ ٤٧١: «وَالرَّاجِحُ أَنَّ قَوْلَهُ: «وَالْمُسْتَغْفِرُ...» إِلَى آخِره مَوْقُوف، وأوله عِنْد بن ماجه، وَالطَّبَرَانِيّ من حَدِيث ابن مَسْعُودٍ، وَسَنَدُهُ حَسَنٌ».

(٢) البخاري، كتاب الوصايا، باب قوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾، برقم ٢٧٦٦.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٥٥.

(٤) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا محمود، برقم ٣٥٧٩، والنسائي، كتاب المواقيت، النهي عن الصلاة بعد العصر، برقم ٥٧٢، والحاكم، ١/ ٣٠٩، وصححه ابن الأثير في جامع الأصول بتحقيق الأرناؤوط، ٤/١٤٤، والألباني في صحيح الترمذي، ٣/١٨٣، وصحيح الجامع الصغير، ١/ ٢٥٩، برقم ١١٧٣.

(٥) عمرو بن عبسة رضي الله عنه السلمي، يكنى أبا نجيح، أسلم قديماً في أول الإسلام، وقال: فلقد رأيتني وأنا ربع الإسلام، ولحق بقومه، وهاجر بعد خيبر إلى المدينة وقبل الفتح، فشهدها، يعد في الشاميين فقد سكن في =

«أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ»[١].

١٠٢٧-ولفظ النسائي عن عَمْرِو بْنَ عَبَسَةَ ﷺ، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ مِنْ سَاعَةٍ أَقْرَبَ مِنَ الْأُخْرَى أَوْ هَلْ سَاعَةٌ يُتَّقَى ذِكْرُهَا؟، قَالَ: «نَعَمْ إِنَّ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الرَّبِّ جَوْفَ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَنْ يذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَهِيَ سَاعَةُ صَلَاةِ الْكُفَّارِ فَدَعِ الصَّلَاةَ حَتَّى تَرْتَفِعَ قِيدَ رُمْحٍ، وَيَذْهَبَ شُعَاعُهَا، ثُمَّ الصَّلَاةُ مَحْضُورَةٌ مَشْهُودَةٌ حَتَّى تَعْتَدِلَ الشَّمْسُ اعْتِدَالَ الرُّمْحِ بِنِصْفِ النَّهَارِ فَإِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَتُسْجَرُ فَدَعِ الصَّلَاةَ حَتَّى يَفِيءَ الْفَيْءُ، ثُمَّ الصَّلَاةُ مَحْضُورَةٌ مَشْهُودَةٌ حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ فَإِنَّهَا تَغِيبُ بَيْنَ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ، وَهِيَ سَاعَةُ صَلَاةِ الْكُفَّارِ»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**أقرب ما يَكُونُ الْعَبْدُ من الرب**»: قال النووي رحمه الله: «مَعْنَاهُ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ وَفَضْلِهِ»[٣].

٢-قوله: «**في جوف الليل الآخر**»: أي: الثلث الأخير منه، قال ابن الأثير رحمه الله: «**جوف اللَّيْلِ الآخِرُ**» أَيْ: ثُلثُه الآخِرُ، وَهُوَ الجُزء الخامِس مِنْ أَسْدَاسِ

=

الشام، ويقال إنه مات بحمص، على الأرجح مات في أواخر خلافة عثمان. انظر: الاستيعاب، ٣/ ١١٩٢، وسير أعلام النبلاء، ٢/ ٤٥٦، ترجمة رقم (٨٨)، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ٤/ ٦٥٨.

(١) الترمذي، برقم ٣٥٧٩، صححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/١٨٣، وصحيح أبي داود، ٥/ ٢٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) النسائي، برقم ٥٧٢، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ١١٧٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٢٠٠.

اللَّيْلِ»[(١)]، وقال الطيبي رحمه الله: «جوف الليل: على أن ينصف الليل، ويجعل لكل نصف جوف، والقرب يحصل في جوف النصف الثاني، وابتداؤه يكون من الثلث الأخير، وهو وقت القيام للتهجد»[(٢)].

٣-قوله: «**فإن استطعت أن تكون**»: قال الطيبي رحمه الله: «إشارة إلى تعظيم شأن الأمر، وتفخيمه، وفوز من يستسعد به»[(٣)]، وقال القاري رحمه الله: «فَإِنِ اسْتَطَعْتَ: أَيْ: قَدَرْتَ، وَوُفِّقْتَ»[(٤)].

٤-قوله: «**ممن يذكر الله**»: أي: بالصلاة لاشتمالها على ذلك وزيادة، قال الطيبي رحمه الله: «أن تكون ممن يذكر الله، أي: تنخرط في زمرة الذاكرين لله، ويكون ذلك مساهمة فيهم، وهو أبلغ من أنه لو قيل: إن استطعت أن تكون ذاكراً»[(٥)]، قال العيني: « ... وقد يطلق ذكر الله، ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه الله تعالى، أو ندب إليه، كقراءة القرآن، وقراءة الحديث، ومدارسة العلم، والتنفل بالصلاة،...والألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد، والذكر بالقلب: التفكر في أدلة الذات والصفات، وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي حتى يطّلع على أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله تعالى، والذكر بالجوارح: هو أن تصير مستغرقة في الطاعات»[(٦)].

٥-قوله: «**في تلك الساعة**» قال العلامة ابن رجب رضي الله عنه: «يعني: جوف الليل»[(٧)]،

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣١٦، مادة (جوف).
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٢٠٨.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٢٠٨.
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/ ٩٢٨.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٢٠٨.
(٦) عمدة القاري، ٢٣/ ٢٦، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ١ في مقدمة فضل الذكر.
(٧) فتح الباري، لابن رجب، ٥/ ٥٠.

وقال المناوي رحمه الله: «فِي تِلْكَ السَّاعَة فكُن: هَذَا أبلغ مِمَّا لَو قيل: إِن اسْتَطَعْت أَن تكون ذَاكِرًا فكُن؛ لأنّ الأولى فِيهَا صفة عُمُوم شَامِل للأنبياء والأولياء، فَيكون دَاخِلا فيهم»[١].

٦-قوله: «**ساعة أقرب من الأخرى**»: قال ابن رجب رحمه الله: «هل من ساعة أقرب من الله؟»[٢].

٧-قوله: «**يتقى ذكرها**»: قال ابن عبد البر رحمه الله: هذا النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس، وعند استوائها، وعند غروبها»[٣].

٨-قوله: «**الصلاة مشهودة محضورة**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «أي: تشهدها الملائكة، وتكتب أجرها للمصلي»[٤]، وقال في موضع آخر: «مشهودة: تشهدها الملائكة ويحضرونها»[٥]، وقال النووي رحمه الله: «أَيْ: تَحْضُرهَا الْمَلَائِكَة فَهِيَ أَقْرَب إِلَى الْقَبُول وَحُصُول الرَّحْمَة»[٦].

٩-قوله: «**تطلع بين قرني الشيطان**» قال الطيبي رحمه الله: «قيل: المراد بـ«قرني الشيطان»: حزبه وأتباعه، وقيل: قوته وغلبته، وانتشار الفساد، وقيل: القرنان ناحيتا الرأس، وهذا هو الأقوى، يعني أنه يدني رأسه إلي الشمس في هذه الأوقات؛ ليكون الساجدون لها من الكفار كالساجدين له في الصورة»[٧].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الترغيب في مناجاة العبد لربه بالصلاة، والذكر، والاستغفار في هذه

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير، ١/ ١٩٥.
(٢) فتح الباري، لابن رجب، ٥/ ٤٤.
(٣) التمهيد، ٤/ ٢٣)
(٤) جامع الأصول، ٥/ ٢٥٨.
(٥) جامع الأصول، ٩/ ١١٩.
(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ١١١.
(٧) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١١١٩.

الأوقات الشريفة؛ لأن الله كما قال النبي ﷺ: «**ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**»(١)، ونزوله ﷻ نزول حقيقي يليق به ليس كنزول أحد من المخلوقين ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾(٢).

٢-حرص النبي ﷺ على إرشاد أمته لنيل أعلى الدرجات في الجنة، والتي لا تنال إلا بمجاهدة: النفس، والدنيا، والشيطان، والهوى، وكله بتوفيق الله تعالى.

***

٢٥٢-(٥) وَقَالَ ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»(٣).

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٢٨-لفظ الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه(٤) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**»(٥).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وهو ساجد**»: قال القاضي عياض رحمه الله: «القرب هاهنا من الله معناه: من رحمة ربه وفضله، ولذلك حضه على

---

(١) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا الله﴾، برقم٧٤٩٤.
(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٣) مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم ٤٨٢.
(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.
(٥) مسلم، برقم ٤٨٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

السؤال والطلب»[(١)]، وقال الصنعاني رحمه الله: «هذا يدلك أنه ليس بقرب مكاني، بل قرب رضا، ومحبة؛ وذلك لأن هيئة الساجد أكمل هيئة في تواضعه لمولاه»[(٢)]، وصفاه تعالى تليق بجلاله، وعظمته لا يشبه أحداً من خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[(٣)]، ولا منافاة بين قرب الله تعالى من عبده وهو ساجد، وبين علوِّه على عرشه بجلاله، فهو قريب في علوِّه، عليٌّ في دنوه، وهو أقرب إلى أحدنا من عنق راحلته، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[(٤)].

٢-قوله: «**فأكثروا الدعاء**»: أي: استزيدوا منه، قال الصنعاني رحمه الله: «فأكثروا الدعاء: فإنه مع القرب مجاب»[(٥)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-قال مجاهد رحمه الله: «أقرب ما يكون العبد من ربه إذا كان ساجدًا، ألم تر إلى قوله: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾[(٦)]»[(٧)].

٢-الحث على كثرة السجود مع الطمأنينة فيه ولذلك لما سأل ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من خدامه أن يرافقه في الجنة قال له: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»[(٨)].

٣-السجود الذي يتضمن تعظيم الله تعالى من الطرق الموصلة لنيل

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٣٩٨.
(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ٣/ ٨.
(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٤) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٣/ ٨.
(٦) سورة العلق، الآية: ١٩.
(٧) مسند الشافعي، ص ٥٢.
(٨) مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه، برقم ٤٨٩.

الدرجات العالية في الجنة ومغفرة الذنوب لقوله عليه الصلاة والسلام لمولاه ثوبان رضي الله عنه: «**عليك بكثرة السجود، فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة**»[١] وقد جاء تفسير أن هذه الدرجة في الجنة من قوله ﷺ: «**إلا رفعه الله بها درجة في الجنة**»[٢].

٤-الدعاء من أعظم العبادات لله تعالى، قال الله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[٣]، فسمى الدعاء عبادة، وقوله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»[٤].

٥-السجود لله تعالى من الأمور التي يتقرب بها العبد لمولاه، قال الله تعالى: ﴿**وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ**﴾[٥]؛ ولذلك فإن المسلم وإن دخل النار ابتداءً ليمحص من ذنوبه فإن النار لا تأكل أثر السجود كما قال ذلك ﷺ[٦] وقوله: «**إن قومًا يخرجون من النار يحترقون فيها، إلا دارات وجوههم حتى يدخلون الجنة**»[٧].

٦-قال النووي رحمه الله: وفي هذا الحديث دليل لمن يقول أن السجود أفضل

---

(١) مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه، برقم ٤٨٨.

(٢) أخرجه ابن سعد، ٧/٥٠٧، وأحمد، ٢٤/٢٨٦ ، برقم ١٥٥٢٧، وصححه محققو المسند، والألباني في صحيح الجامع، ١٢٠٤.

(٣) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ص ٢٤٩، برقم ٧١٤، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء، برقم ١٤٧٩، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، برقم ٢٩٦٩، وأحمد، ٣٠/ ٢٩٧، برقم ١٨٣٥٢، وصححه محققو المسند، ٣٠/ ٢٩٨، والألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٤٠٧.

(٥) سورة العلق، الآية: ١٩.

(٦) انظر: صحيح البخاري، برقم ٧٤٣٧، وهو حديث طويل وفيه: «... حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ...» الحديث .

(٧) مسلم، كتاب الحيض، باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة، وغسل الرجل والمرأة في إناء واحد في حالة واحدة، وغسل أحدهما بفضل الآخر، برقم ٣١٩-(١٩١).

من القيام وسائر أركان الصلاة، وفي هذه المسألة ثلاثة مذاهب:

الأول: أن تطويل السجود وتكثير الركوع والسجود أفضل وبه قال ابن عمر والترمذي وغيرهما.

الثاني: أن تطويل القيام أفضل لقول النبي ﷺ: «**أفضل الصلاة طول القنوت**»[١]، والمراد بالقنوت القيام، وبه قال الشافعي وجماعة.

الثالث: أنهما سواء. وتوقف أحمد بن حنبل رحمه الله في المسألة وقال إسحاق بن راهويه: أما في النهار فتكثير الركوع والسجود أفضل وأما في الليل فتطويل القيام أفضل إلا أن يكون للرجل جزء بالليل يأتي عليه والله أعلم[٢].

٧-قال الصنعاني رحمه الله: «إن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ فإنها حالة ذل، وانكسار، وخضوع، وإقبال، وكونه بين التراب أتم في الذل، والانكسار»[٣].

٨-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله[٤]: لا منافاة بين قرب الله من عبده وهو ساجد وبين علوه عز وجل، لأن الشيء قد يكون قريبًا بعيدًا، هذا بالنسبة للمخلوق فكيف بالخالق؟ فالرب عز وجل قريب مع علوه، أقرب إلى أحدنا من عنق راحلته كما قال ذلك ﷺ[٥].

***

٢٥٣-[٦] وَقَالَ ﷺ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[٦].

---

(١) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أفضل الصلاة طول القنوت، برقم ٧٥٦.
(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٤٢٣ .
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٩/ ٤٦٣.
(٤) شرح الواسطية لابن عثيمين، ٢/ ٥٥.
(٥) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، برقم ٢٧٠٤.
(٦) مسلم، برقم ٢٧٠٢، تقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٩٦.

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٢٩-عَنِ الأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ ﷺ[١]، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ**»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**ليغان على قلبي**»: قال ابن الأثير ﷫، أي: ليُغطَّى ويُغشى، والمراد به: السهو؛ لأنه كان ﷺ لا يزال في مزيد من الذكر والقربة ودوام المراقبة، فإذا سها عن شيء منها في بعض الأوقات، أو نسي، عَدّهُ ذَنباً على نفسه، ففزع إلى الاستغفار[٣]، وقال القاضي عياض ﷫: «وقيل: ذلك الغين همه بسبب أمته، وما اطلع عليه من أحوالها بعده، حتى يستغفر لهم، ... فيرى شغله لذلك ! إن كان من أعظم الطاعات، وأفضل الأعمال نزولاً عن عليّ درجته، ورفيع مقامه، من حضوره بهمه كله مع الله، ومشاهدته عنده، وفراغه عن غيره إليه، وخلوصه له عمن سواه، فيستغفر لذلك... واستغفاره إظهار للعبودية، والافتقار، وملازمة الخضوع، شكراً لما أولاه به»[٤].

٢-قوله: «**في اليوم مائة مرة**»: أي: من نوى المائة قالها؛ فيكون بذلك ذكرًا مقيدًا، والحكمة في تحديد المائة يعلمها الله تعالى وحده[٥].

٣-قوله: «**إني لأستغفر الله**»: هو دعاء الله بالمغفرة للذنوب، قال ابن منظور:

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، برقم ٢٧٠٢، تقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٩٦.

(٣) انظر: جامع الأصول، ٤/ ٣٨٦، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من حديث المتن رقم ٩٦.

(٤) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٨/ ٩٦.

(٥) تقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ٩١.

«الغَفْرِ: التَّغْطِيَةُ، وَالسَّتْرُ، غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ: أَي: سَتَرَهَا ... والغَفْرُ، والمَغْفِرةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ، والعفوُ عَنْهَا»[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-ما كان عليه رسول الله ﷺ من إظهار العبودية، والافتقار إلى ربه ﷻ مع علو منزلته عند الله، وذلك لأنه كلما ارتقى العبد في مراتب العبودية ازداد خشية من ربه.

٢-قال النووي رحمه الله: إنَّ سبب هذا الغين هو همه بسبب أمته، وما اطلع عليه من أحوالها بعده، فيستغفر لهم، وقيل سببه اشتغاله بالنظر في مصالح أمته، ومحاربة العدو، وتأليف المؤلفة ونحو ذلك[٢].

٣-الحث على كثرة الاستغفار باللسان، مع مواطئة القلب على ذلك؛ لأن المؤمن لا يدري بأي ذنب يؤخذ؟ قال ابن مسعود رضي الله عنه: «**إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ**» فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو شِهَابٍ: بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ»[٣].

٤-للاستغفار فوائد عظيمة في الدنيا قبل الآخرة لقول الله تعالى عن قول نوح: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**﴾[٤]، أما ما روي في الحديث: «**مَنْ لَزِمَ الاستغفارَ جَعَلَ الله له من كل ضيق مَخرَجاً، ومن كل هم فرَجاً، ورزقَه من حيث لا يحتسب**»[٥]، فهو صحيح المعنى، وإن كان في سنده مقال.

---

(١) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم مستوفى في المفردة الثانية من مفردات ألفاظ الحديث رقم ٤٨ من أحاديث المتن.

(٢)انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٢٦.

(٣) البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، برقم ٦٣٠٨.

(٤) سورة نوح، الآيات: ١٠ - ١٢.

(٥) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الاستغفار، برقم ١٥١٨، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل التسبيح، برقم ٣٨١٩، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود، برقم ٢٦٨، وفي ضعيف سنن ابن ماجه، برقم ٨٣٤، وفي ضعيف الترغيب والترهيب، برقم ١٠٠٢، وضعيف الجامع، برقم ٥٨٢٩.

١٣٠ - فَضْلُ التَّسْبِيحِ، وَالتَّحْمِيدِ، والتَّهْلِيلِ، وَالتَّكْبِيرِ

٢٥٤-[(١)] قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[(١)].

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٣٠-لفظ البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[(٢)]: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»[(٣)].

١٠٣١-ولفظ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[(٤)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**سبحان الله**»: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً ... ، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله»[(٥)].

---

(١) البخاري، برقم ٦٤٠٥، ومسلم، برقم ٢٦٩١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٩١.
(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.
(٣) البخاري، برقم ٦٤٠٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٩١.
(٤) مسلم، برقم ٢٦٩١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٩١.
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠، مادة (سبح)، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ٩٣، شرح المفردة رقم ٥.

٢-قوله: «وبحمده»: أي: بتوفيقك، وإعانتك ياربي سبحتك، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: نَزَّه الله «عما يصفه به الواصفون، وسَلَّمَ على المرسلين لسلامة ما وصفوه به من كل نقص وعيب، وحمد نفسه»[١].

٣-قوله:«لا إله إلا الله»: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني: لا معبود بحق إلا الله ﷻ، وألوهية الله فرع عن ربوبيته؛ لأن من تأله لله فقد أقر بالربوبية؛ إذ إن المعبود [بحق] لابد أن يكون رباً، ولا بد أن يكون كامل الصفات»[٢].

٤-قوله: «وحده لا شريك له»، قال المناوي: «لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً»[٣].

٥-قَوْلُهُ: «لَهُ الْمُلْكُ»: تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدِ، ...؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ»[٤].

٦-قوله: «وله الحمد»: أي: الحمد المطلق، ... وكان النبي ﷺ إذا أتاه ما يسره قال: «الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات»[٥]، وإذا أتاه ما لا يسره قال: «الحمد لله على كل حال»[٦].

٧-قوله: «وهو على كل شيء قدير»: قال ابن جرير: «وهو على كل شيء ذو قدرة، لا يتعذّر عليه شيء أراده، من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من الأمور»[٧].

---

(١) جلاء الأفهام لابن القيم، ص: ١٧٠. وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ٩١، شرح المفردة رقم ٢.
(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ٩٢، شرح المفردة رقم ١.
(٣) فيض القدير، ٥/ ٢٠٠، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ٩٢، شرح المفردة رقم ٢.
(٤) المنتقى، شرح الموطأ للباجي، ٣ / ٧٧، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ٩٢، شرح المفردة رقم ٣.
(٥) سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، برقم ٣٨٠٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٦٥.
(٦) انظر: التخريج في الحاشية السابقة، فهما حديث واحد، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ٩٢، شرح المفردة رقم ٤.
(٧) تفسير الطبري، ٢٣/ ١٦٥، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ٩٢، شرح المفردة رقم ٥.

٨-قوله: «مائة مرة»: قال الإمام النووي رحمه الله: «مَنْ قَالَ هَذَا التَّهْلِيلَ مِائَةَ مَرَّةٍ فِي يَوْمِهِ سَوَاءٌ قَالَهُ مُتَوَالِيَةً أَوْ مُتَفَرِّقَةً فِي مَجَالِسَ أَوْ بَعْضَهَا أَوَّلَ النَّهَارِ وَبَعْضَهَا آخِرَهُ لَكِنَّ الْأَفْضَلَ أَنْ يَاتِيَ بِهَا مُتَوَالِيَةً فِي أَوَّلِ النَّهَارِ لِيَكُونَ حِرْزًا لَهُ فِي جَمِيعِ نَهَارِه»[١]..

٩-قوله: «عدل رقبة»: قال ابن الأثير رحمه الله: « العِدْل والعَدْل ... بِمَعْنَى المِثْل، وَقِيلَ: هُوَ بِالْفَتْحِ مَا عَادَلَه مِنْ جِنْسِه، وَبِالْكَسْرِ مَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِه. وَقِيلَ بِالْعَكْسِ»[٢]، وقال ابن الملقن رحمه الله: «أي: مثل أجرها» [٣].

١٠-قوله: «حرز من الشيطان»: قال ابن الأثير رحمه الله: « يُقَالُ: أَحْرَزْتُ الشيءَ أُحْرِزُهُ إِحْرَازاً إِذَا حَفظْتَه وضَمَمْته إِلَيْكَ وصُنْته عَنِ الأخْذ» [٤]، وقال ابن منظور رحمه الله: «وَيُسَمَّى التَّعْوِيذُ حِرْزاً. واحْتَرَزْتُ مِنْ كَذَا وتَحَرَّزْتُ أَي: تَوَقَّيْتهُ» [٥]، وأما الشيطان: فهو من الشطن: البعد، أي: بَعُد عن الخير ... كأنه طال في الشر»[٦]، وقال ابن علان رحمه الله: «الشيطان: العاتي المتمرّد، من شاط احترق، أو من شطن بعد» [٧].

١١-قوله: «لم يأتِ أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به»: قال المباركفوري رحمه الله: «قال القاري: أي: فيهما، بأن يَأْتِيَ بِبَعْضِهَا فِي هَذَا، أَوْ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَهُوَ الْأَظْهَرُ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ، أَيِ: الْقَائِلُ بِهِ، وَهُوَ قَوْلُ الْمِائَةِ الْمَذْكُورَةِ، ...»[٨].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ٥٢.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ١٩١، مادة (عدل).
(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٩/ ٣٦٢، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ٩٢، شرح المفردة رقم ٦.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣٦٦.
(٥) لسان العرب، ٥/ ٣٣٣، مادة (حرز).
(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٧٤، مادة (شطن).
(٧) دليل الفالحين، ١/ ٢٣٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨ من مفردات حديث المتن رقم ١٩٣.
(٨) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، ٩/ ٣٠٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن رقم ٩١.

١٢-قوله: «**إلا أحد قال مثل ما قال**»: قال المباركفوري: «إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ ... وَالتَّقْدِيرُ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَهُ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِمُسَاوَاتِهِ، أو التَّقْدِيرِ: لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ، أَوْ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ... إِلَخْ»[١].

١٣-قوله: «**زاد عليه**»: قال القاضي عياش رَحِمَهُ اللَّهُ: «جائز أن يزاد على هذا العدد فيكون لقائله من الفضل بحسابه ، لئلا يظن أنها من الحدود التي نهى عن اعتدائها ، وأنه لا فضل في الزيادة عليها كالزيادة على ركعات السنن المحدودة أو أعداد الطهارة» [٢].

١٤-قوله: «**حطت خطاياه**»: قال ابن قرقول رَحِمَهُ اللَّهُ: « أسقطت وأزيلت؛ لأنه كان حاملاً لها، فحط حملها كما يحط حمل الدابة» [٣].

١٥-قوله: «**مثل زبد البحر**»: أي: كرغوة البحر، والزبد هو: وصر غليان الماء أو جريانه في الأنهار، قال الله تعالى: ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ**﴾[٤]. والمعنى: أن الله يغفرها وإن كانت كثيرة فلا حرج على فضله[٥]، وقال ابن قرقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَزَبَدُ الْبَحْرِ: رغوة مائه عند تموجه، واضطرابه»[٦]، وقال الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: « يُرِيدُ فِي كَثْرَتِهَا فَإِنَّ مَا قَالَهُ يَعْدِلُ ذَلِكَ» [٧]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَعْنِي: لِأَنَّ عَدَدَ زَبَدِ الْبَحْرِ

---

(١) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، ٩/ ٣٠٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٩١.
(٢) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض، ٨/ ٩٣.
(٣) مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ٢/ ٢٧٢.
(٤) سورة الرعد، الآية: ١٧، وانظر تفسير الجزائري، ص ٨٢٧.
(٥) انظر شرح الحديث تامًّا في حديث المتن رقم (٩١) من هذا الكتاب.
(٦) مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ٣/ ٢٢٢.
(٧) المنتقى شرح الموطأ، ١/ ٣٥٥.

أَضْعَافُ أَضْعَافِ الْمِائَةِ»[١].

١٦-قوله: «**كتب له مائة حسنة**»: أي: في صحيفة حسناته التي يلقى الله بها يوم القيامة، قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى كتب: «أُثْبِتَ أَجْرَهُ فِي صَحِيفَةِ عَمَلِهِ إِثْبَاتًا»[٢].

١٧-قوله: «**محيت عنه مائة سيئة**»: قال الفيومي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَحَوْتُهُ مَحْوًا مِنْ بَابِ قَتَلَ، وَمَحَيْتُهُ مَحْيًا بِالْيَاءِ مِنْ بَابِ نَفَعَ لُغَةٌ: أَزَلْتُهُ، وَانْمَحَى الشَّيْءُ ذَهَبَ أَثَرُهُ»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «في أكثر الأحاديث قرن مع التسبيح حمد الله تعالى؛ وذلك لأن التسبيح هو تنزيه الله عن النقائص والعيوب، والتحميد فيه إثبات المحامد كلها لله عَزَّ وَجَلَّ، والإثبات أكمل من السلب، ولهذا لم يرد التسبيح مجردًا، لكن ورد مقرونًا بما يدل على إثبات الكمال، فتارة يقرن بالحمد كما في هذا الحديث وتارة باسم من الأسماء الدالة على العظمة والجلال، كقول: «**سبحان الله العظيم، سبحان ربي الأعلى**»[٤].

٢-التنزيه لا يكون مدحًا إلا إذا تضمن معنى ثبوتيًا، ولهذا عندما نزه الله تبارك وتعالى نفسه عما لا يليق به مما وصفه به أعداء الرسل، سلم على المرسلين الذين يثبتون لله صفات كماله ونعوت جلاله على الوجه اللائق به، وذلك في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[٥] فجمع الله عَزَّ وَجَلَّ بين التنزيه عن

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ١١/ ٢٠٦.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨، من مفردات حديث المتن رقم ٩٣.
(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢/ ٥٦٥، مادة (محا).
(٤) جامع العلوم والحكم، ص ٢٠٤.
(٥) سورة الصافات، الآيات: ١٨٠ - ١٨٢.

العيوب بالتسبيح وإثبات الكمال بالحمد[١].

٣-قال السيوطي رحمه الله: «مثل زبد البحر قيل ظاهره أن التسبيح أفضل؛ لأن في التهليل ومحيت عنه مائة سيئة، وقد قال في التهليل: ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، وأجاب القاضي بأن التهليل أفضل، ويكون ما فيه من زيادة الحسنات، ومحو السيئات، وما فيه من فضل عتق الرقاب، وكونه حرزاً من الشيطان، زائداً على ما في التسبيح من تكفير الخطايا» [٢].

٤-عظيم الأجر والثواب يحصل بكلمات يسيرة على من يسّرها الله عليه، وهذا من فضل الله على عباده المؤمنين.

***

٢٥٥-[٢] وَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مِرَارٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»[٣].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٣٢-لفظ البخاري عَنْ عَمْرو بن مَيْمونٍ[٤] قال: «**مَنْ قال عشْراً؛ كانَ كمَنْ أعتقَ رقَبةً مِنْ وَلَدِ إسْماعيلَ**»، وفي روايةٍ: عَنِ الشَّعْبيّ عَنْ ربيعِ بن خُثَيْمٍ مِثْلَه،

---

(١)انظر: فقه الأدعية والأذكار، ١/ ١٩٨.

(٢) الديباج على مسلم، ٦/ ٥٤.

(٣) البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التهليل، برقم ٦٤٠٤، ومسلم بلفظه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم ٢٦٩٣، وانظر: فضل من قالها في اليوم مائة مرة: الدعاء رقم ٩٣ من أحاديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٢٣ من أحاديث الشرح.

فَقُلْتُ: لِلرَّبيع: مِمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ فقال: مِنْ عَمْرِو بن مَيْمونٍ، فَأَتَيْتُ عَمْرَو بن مَيْمونٍ، فَقُلْتُ: مِمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ فقال: مِنَ ابْنِ أبي لَيْلى، فأتيتُ ابنَ أبي ليْلى، فقُلتُ: مِمَّنْ سَمِعتَه؟ فقال: مِنْ أبي أيُّوبَ الأَنْصاريِّ ﷺ[١] يُحَدِّثُهُ عَنِ النبيّ ﷺ[٢].

١٠٣٣-لفظ مسلم عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مِرَارٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ**»، وقَالَ سُلَيْمَانُ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي السَّفَرِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، بِمِثْلِ ذَلِكَ، قَالَ: فَقُلْتُ لِلرَّبِيعِ: مِمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ: مِنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ فَأَتَيْتُ عَمْرَو بْنَ مَيْمُونٍ فَقُلْتُ: مِمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ مِنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ فَأَتَيْتُ ابْنَ أَبِي لَيْلَى فَقُلْتُ: مِمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ: مِنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ يُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[٣].

ثانياً: مفردات الحديث وفوائده:

تقدمت مفردات الحديث وشرحه وفوائده في شرح مفردات وفوائد الأحاديث رقم ٩١، و٩٢، و٩٣، و٢٥٣، و٢٥٤ من أحاديث المتن، وأما المفردات التي لم ترد في الأحاديث السابقة فهي:

قوله: «**من ولد إسماعيل**»: قال ابن الجوزي رحمه الله: « إِسْمَاعِيل اسْم أعجمي، وَفِيه لُغَتَانِ بِاللَّامِ وَالنُّون...وَإِنَّمَا خص إِسْمَاعِيل لِأَنَّهُ أَبُو الْعَرَب،

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣١٨ من أحاديث الشرح.

(٢) البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التهليل، برقم ٦٤٠٤، ومسلم بلفظه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم ٢٦٩٣، وانظر: فضل من قالها في اليوم مائة مرة: الدعاء رقم ٩٣ من حديث المتن.

(٣) البخاري، برقم ٦٤٠٤، ومسلم بلفظه، برقم ٢٦٩٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وَالْعرب أفضل من غَيرهم، وَعتق الْأَفْضَل أفضل»[1]، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله في قوله ﷺ: «**كان كمن أعتق أربعة أنفس**»: « يعني يعادل عتق أربع رقاب لكن لو كان عليه عتق رقبة وقال ذلك ما نفعه ذلك فهناك فرق بين المعادلة في الثواب والمعادلة في الإجزاء»[2].

***

٢٥٦-[3] وَقَالَ النبي ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ**»[3].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٣٤-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[4] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ**»[5].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**كلمتان**»: خبر وما بعدها صفة والمبتدأ سبحان الله وبحمده إلى آخر الكلام وجاء تقديم الخبر تشويقًا، وقال ابن هبيرة رحمه الله: «كلمتان: وهي

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٢/ ٨٩.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٠١١، ورقم ١٤١٥.

(٣) البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم، برقم ٦٦٨٢، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم ٢٦٩٤.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) البخاري، برقم ٦٦٨٢، ومسلم، برقم ٢٦٩٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

كلمات، فالمعنى: أنهما جملتان، والعرب تسمي القصيدة كلمة، فتقول: قلت في كلمتي كذا، كما يعنون القصيدة»(١).

٢-قوله: «**خفيفتان على اللسان**»: أي: يسهل قولهما بسهولة ويسر، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «شبه سهولة جريان الكلمتين على اللسان بما يخف على الحامل من بعض الأمتعة، فلا يتعبه كالشيء الثقيل، فذكر المشبه به وأراد المشبه، وأما الثقل فعلى الحقيقة عند علماء أهل السنة؛ إذ الأعمال تتجسم حينئذ، والخفة والسهولة من الأمور النسبية»(٢)، وقال ابن هبيرة رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويجوز أن يكون معنى قوله: (خفيفتان على اللسان): أن كل كلمتين من هاتين الجملتين خفيفة على اللسان»(٣).

٣-قوله: «**ثقيلتان في الميزان**»: أي: لعظم أجرهما يوم القيامة، قال ابن هبيرة رَحِمَهُ اللَّهُ: «في هذا الحديث أن الكلم في الميزان لا يكون عن كثرة حروفها، ولكن عن عظم معناها؛ فإن «**سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»، إنما ثقلتا في الميزان من حيث إن معناهما أجل عظيم»(٤)، وقال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَالْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ وَاجِبٌ بِمَا ذَكَرْنَا، ثُمَّ كَيْفِيَّةُ الْوَزْنِ فَقَدْ قِيلَ: تُوضَعُ صُحُفُ الْحَسَنَاتِ فِي إِحْدَى كِفَّتَيِ الْمِيزَانِ، وَصُحُفُ السَّيِّئَاتِ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى ثُمَّ تُوزَنُ وَقَدْ وَرَدَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يُحْدِثَ اللَّهُ تَعَالَى أَجْسَامًا مُقَدَّرَةً بِعَدَدِ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ بِحَيْثُ يَتَمَيَّزُ إِحْدَاهُمَا مِنَ الْأُخْرَى، ثُمَّ تُوزَنُ كَمَا تُوزَنُ الْأَجْسَامُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَمَا وَرَدَ بِهِ خَبَرُ الصَّادِقِ نُؤْمِنُ بِهِ وَنَحْمِلُهُ عَلَى وَجْهٍ يَصِحُّ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ»(٥).

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٧/ ١٥٦.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٢٠.
(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٧/ ١٥٦.
(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٧/ ١٥٦.
(٥) الاعتقاد للبيهقي، ص ٢١١.

٤-قوله: «**حبيبتان إلى الرحمن**»: لأنهما يتضمنان التنزيه، والتحميد، والتعظيم له ﷻ، وإنما خص الرحمن من الأسماء للتنبيه على سعة رحمته تعالى، قال ابن هبيرة رَحِمَهُ اللَّهُ: « قوله: «**حبيبتان إلى الرحمن**»؛ فلأجل أنهما جمعتا بين التنزيه والتعظيم، فالتنزيه: ناف لكل ما لا يجوز، والتعظيم: لكل ما لا يجب»[(١)]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَوله حبيبتان فِيهِ حث على ذكرهمَا لمحبة الرَّحْمَن إيَّاهُمَا»[(٢)].

٥-قوله: «**سبحان الله**»: أي: له الكمال المطلق وهو منزه عن كل عيب ونقص، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً ... ، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله»[(٣)].

٦-قوله: «**وبحمده**»: أي: بتوفيقك، وإعانتك ياربي سبحتك، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: نَزَّه الله «عما يصفه به الواصفون، وسَلَّمَ على المرسلين لسلامة ما وصفوه به من كل نقص وعيب، وحمد نفسه»[(٤)].

٧-قوله: «**العظيم**»: أي: عظيم في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ: «العظيم هو ذو العظمة، والجلال، ومعناه ينصرف إلى عظم الشأن، وجلالة القدر، دون العظيم الذي هو من نعوت الأجسام»[(٥)]، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «**العظيم**» فهذا الاسم، والعظمة هي الوصف، والعظمة وصف للعظيم نفسه، لا تتعدى إلى غيره»[(٦)].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٧/ ١٥٧.
(٢) فتح الباري لابن حجر، ١/ ٤٧٣.
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠، مادة (سبح)، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ٩٣، شرح المفردة رقم ٩.
(٤) جلاء الأفهام لابن القيم، ص: ١٧٠، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ٩١، شرح المفردة رقم ٢.
(٥) الأسماء والصفات للبيهقي، ص ٦٠.
(٦) أسماء الله وصفاته، وموقف أهل السنه منها، ص ١٤.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-جواز إطلاق كلمة أو كلمتان على الكلام، وهذا مثل كلمة الإخلاص، وكلمة الشهادة[(١)].

٢-الإشارة إلى أن سائر التكاليف شاقة على النفس، أما هذه الكلمات، فهي سهلة مع كونها تثقل الميزان، وهذا دليل على أن العبد قد يبلغ بالعمل اليسير الذي فيه إخلاص لله ﷻ، ومتابعة لرسوله ﷺ ما لا يبلغه غيره، وقد أتي بأكثر منه، ولكنه لم يحقق شروط القبول.

٣-إثبات أن الأعمال توزن يوم القيامة بميزان حقيقي[(٢)] وقد ختم البخاري صحيحه بهذا الحديث تحت باب قال فيه: باب: قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[(٣)]، وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن[(٤)].

٤-جواز السجع في الدعاء، وأن النهي عنه محمول على ما كان فيه نوع تكلف، أو تضمن أمورًا باطلة، أما ما جاء من غير قصد، فلا شيء فيه.

٥-هذه الكلمات الطيبات من أسباب محبة الله لعبده؛ لأن الله إذا أحب العمل ،وحث عليه، أحب فاعله، وأثابه، وهي امتثال لقول الله ﷻ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾[(٥)].

٦- إثبات صفة المحبة لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه، لا يشبه في ذلك أحداً من خلقه، والأدلة على ذلك كثيرة، فمن ذلك قوله ﷻ: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ

---

(١)انظر: فتح الباري، ١٣/ ٦٣٨.

(٢) انظر الكلام على الميزان حديث رقم (١٦٠) من أحاديث المتن، المفردة رقم ٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

(٤) انظر الحديث، رقم ٧٥٦٣ في صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٩٨.

اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١]، وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[٢]، فهو ﷻ المستحق أن يحب لذاته، وكل محبة يجب أن تكون فيه، وكذا كل أعمال العبد يجب أن تكون فيما يحبه الله تعالى.

٧-قال المناوي رحمه الله: «وفيه حث على المواظبة عليها، وتحريض على ملازمتها، وتعريض بأن سائر التكاليف صعبة شاقة على النفس ثقيلة، وهذه خفيفة سهلة عليها، مع أنها تثقل في الميزان ثقل غيرها من التكاليف، فلا يتركوها، إذ روي في الآثار أنه سئل عيسى عليه السلام: ما بال الحسنة تثقل، والسيئة تخف؟ فقال: لأن الحسنة حضرت مرارتها، وغابت حلاوتها، فلذلك ثقلت عليكم، فلا يحملنكم ثقلها على تركها، فإن بذلك ثقلت الموازين يوم القيامة، والسيئات حضرت حلاوتها، وغابت مرارتها، فخفت عليكم، فلا يحملنكم على فعلها خفتها، فإن بذلك خفت الموازين يوم القيامة»[٣].

***

٢٥٧-[٤] وَقَالَ النبي ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»[٤].

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٣٥-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[٥]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ،**

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٣) فيض القدير، ٥/ ٤٠.
(٤) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم ٢٦٩٥.
(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»[١].

١٠٣٦-عن النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه[٢] قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ التَّسْبِيحَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّحْمِيدَ يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟**»[٣].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**سبحان الله**»: أي له الكمال المطلق وهو منزه عن كل عيب ونقص. قال ابن الأثير رحمه الله: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً ... ، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله»[٤].

٢-قوله: «**والحمد لله**»: قال الطيبي رحمه الله: «الحمد: الثناء على قدرته؛ ... فيشكر على ما أولى العباد بسبب الانتقال من النعم الدينية، والدنيوية ما لا يحصى»[٥].

٣-قوله: «**ولا إله إلا الله**»: قال الباجي رحمه الله: «وَقَوْلُهُ ﷺ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» إِظْهَارٌ لِلتَّوْحِيدِ، وَإِعْلَامٌ بِهِ، وَاسْتِدَامَةٌ لِلْإِيمَانِ بِهِ»[٦]، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله.

---

(١) مسلم، برقم ٢٦٩٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) النعمان بْن بشير بْن سعد بْن ثَعْلَبَة الأنصاري، أمه عمرة بِنْت رواحة، أخت عَبْد اللهِ بْن رواحة، ولد قبل وفاة النَّبِيّ ﷺ بثمان سنين، وُلد هُوَ وعَبْد اللهِ بْن الزُّبَيْر عام اثنين من الهجرة، وروى عن النّبي ﷺ، وعن خالد بن عبد الله بن رواحة، وعمر، استعمله معاوية على الكوفة، وحمص، وقتل سنة خمس وستين. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٤/ ١٤٩٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ٦/ ٣٤٦.

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل التسبيح، برقم ٣٨٠٩، أحمد، ٣٠/ ٣١٢، برقم ١٨٣٦٢، وصححه محققو المسند، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٧/ ١٠٧٦، برقم ٣٣٥٨.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠، مادة (سبح)، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ٩٣، شرح المفردة رقم ٩.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة الأولى من حديث المتن رقم ١٠٨.

(٦) المنتقى شرح الموطأ، ٣/ ٧٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من حديث المتن ١٥٢.

٤-قوله: «**والله أكبر**»: قال شيخ الإسلام ابن تيمية:: «اللَّهُ أَكْبَرُ: إِثْبَاتُ عَظَمَتِهِ؛ فَإِنَّ الْكِبْرِيَاءَ تَتَضَمَّنُ الْعَظَمَةَ، وَلَكِنَّ الْكِبْرِيَاءَ أَكْمَلُ»[١].

٥-قوله: «**أحب إلي**»: أي: أحب إلي قلبي ونفسي، قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: هي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، هي أحب إليّ من كل شيء؛ لأنه لا شيء إلا الدنيا والآخرة، فأخرج الخبر عن ذكر الشيء بذكر الدنيا؛ إذ كان لا شيء سواها إلا الآخرة. والوجه الثاني: أن يكون خاطب أصحابه بذلك، على ما قد جرى من استعمال الناس بينهم في مخاطبتهم، من قولهم إذا أراد أحدهم الخبر عن نهاية محبته للشيء: هو أحب إليّ من الدنيا، وما أعدل به من الدنيا شيئًا»[٢].

٦-قوله: «**مما طلعت عليه الشمس**»: أي: من الدنيا وما فيها، قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأنها الباقيات الصالحات، وفيه أن الذكر أفضل من الصدقة... بل وأفضل من جميع العبادات»[٣].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-الحث النبوي الكريم على اغتنام الأوقات بذكر الله تعالى، وبيان أن ذلك خير من كنوز الأرض، وزخارفها الزائلة، قال الله ﷻ: ﴿**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ**﴾[٤].

٢-بيان فضل ذكر الله تعالى بهذه الكلمات المباركات.

٣-المسلم العاقل يعلق قلبه بالله وحده وذلك بالإكثار من ذكره تعالى فيسبق

---

(١) مجموع الفتاوى، ١٠/ ٢٥٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ١١ من مفردات حديث المتن رقم ٩٣.
(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال، ١٠/ ٢٥٠.
(٣) فيض القدير، ٥/ ٢٥٦.
(٤) سورة النحل، الآية: ٩٦.

بذلك أقرانه من أهل الدنيا ويتشبه بالملائكة الذين لا يفترون عن ذكر الله وتمجيده.

وسبب الزيادة في ثواب الحمد هو أن الحمد لا يقع غالبًا إلا بعد سبب كأكل أو شرب أو حدوث نعمة، فكأنه وقع في مقابلة ما أسدي إليه وقت الحمد، فإذا أنشأ العبد الحمد من قبل نفسه دون أن يدفعه لذلك تجدد نعمة زاد ثوابه[١].

٥- قال ابن عبد البر رحمه الله في قول النبي ﷺ: «**أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس**»: «ذلك تحقير منه ﷺ بِالدُّنْيَا وَتَعْظِيمٌ لِلْآخِرَةِ وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يُحَقِّرَ مَا حَقَّرَ اللَّهُ وَيُعَظِّمَ مَا عَظَّمَ اللَّهُ»[٢].

***

٢٥٨-[٥] وَقَالَ ﷺ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُم أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ»[٣].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٣٧-لفظ مسلم عن سَعْد بن أبي وقاص رضي الله عنه[٤] قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟**» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «**يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ**

---

(١) فقه الأدعية والأذكار، ١/١٥٣.

(٢) الاستذكار، ٢/ ٤٩٦.

(٣) مسلم،كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم ٢٦٩٨، ومسند أحمد، ٣/ ٨٨، برقم ١٤٩٦.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٩٦ من أحاديث الشرح.

لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ»[(١)].

١٠٣٨-ولفظ أحمد عَنْ سَعْدِ بن أبي وقاص ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ فِي الْيَوْمِ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟» قَالَ: وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، وَتُمْحَى عَنْهُ أَلْفُ سَيِّئَةٍ»[(٢)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**أيعجز أحدكم**»: استفهام القصد منه الإنكار، والمعنى: لا يعجز أحدكم، وقال القسطلاني رحمه الله: «أيعجز أحدكم: الهمزة للاستفهام الاستخباري... والعجوز: بالضم: الضعف... فهو عاجز من عواجز»[(٣)].

٢-قوله: «**أحدكم**»: قال ابن الجوزي رحمه الله: «الْأَحَد عِنْد الْأَكْثَرين بِمَعْنى الْوَاحِد، وَفرّق قوم فَقَالُوا: الْوَاحِد فِي الذَّات، والأحد فِي الْمَعْنى»[(٤)].

٣-قوله: «**يكسب**»: أي: يربح حسنات تدوَّن في صحيفته، قال ابن الأثير رحمه الله: « والكَسْب: الطَّلَب، والسَّعْي فِي طَلَبِ الرِّزْقِ وَالْمَعِيشَةِ»[(٥)]، وقال ابن منظور رحمه الله: « عَبَّر عن الحسنة بِكَسَبَتْ، وعن السيئة باكْتَسَبَتْ لأَن معنى كَسَبَ دون معنى اكْتَسَبَ لِما فيه من الزيادة وذلك أَن كَسْبَ الحسنة بالإِضافة إِلى اكْتِسابِ السيئة أَمْرٌ يسير ومُسْتَصْغَرٌ،...أَفلا ترى أَن الحسنةَ تَصْغُر بإِضافتها إِلى جَزائها ضِعْفَ الواحدِ إِلى العشرة ؟ ولما كان جَزاءُ السيئة إِنما هو بمثلها لم تُحْتَقَرْ إِلى الجَزاءِ عنها، فعُلم بذلك قُوَّةُ فِعْلِ السيئة

(١) مسلم، برقم ٢٦٩٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسند أحمد، برقم ١٤٩٦، وصححه محققو المسند، ٣/ ٨٩، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١٨/ ١٩، برقم ٣٦٠٢. وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) شرح القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٧/ ٤٦٤.

(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٢/ ١٦٧.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ١٧١، مادة (كسب).

على فِعْلِ الحسنة»[١]، وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «والحسنة يعبر عنها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله»[٢].

٤- قوله: «**كل يوم ألف حسنة**»: قال ابن هبيرة رحمه الله: «الترغيب في التسبيح، وحصره بعدد لا أراه إلا لأن المؤمن إذا كان منور القلب لم ير مربيًا إلا كان ذلك من الأسباب التي تقتضي عنده تسبيح الله تعالى، فهو على المعنى إذا سبح الله في كل يوم مائة مرة كان قد شهد لله عز وجل بالتسبيح في مائة طريق»[٣].

٥-قوله: «**جلسائه**»: جمع جليس، والمراد بهم الصحابة رضي الله عنهم، قال ابن منظور رحمه الله: «الجُلُوسُ: القُعود، جَلَسَ يَجْلِسُ جُلوساً، فَهُوَ جَالِسٌ مِنْ قَوْمٍ جُلُوسٍ ...وَهُمُ الجُلَساءُ والجُلَّاسُ... وَيُقَالُ: فُلَانٌ جَلِيسِي، وأَنا جَلِيسُه، وَفُلَانَةُ جَلِيسَتي، وجالَسْتُه فَهُوَ جِلْسي وجَلِيسي»[٤].

٦-قوله: «**يسبح مائة تسبيحة**»: قال ابن علان رحمه الله: «أي: كأن يقول سبحان الله مائة مرة»[٥]، وقال ابن الملقن رحمه الله: «التسبيح في اللغة: تنزيه الله تعالى من النقائص: كالولد، والشريك، والصاحبة، فسبحان الله: براءته من ذلك»[٦]، وقال النووي رحمه الله: «فَسُبْحَانَ اللَّه مَعْنَاهُ: بَرَاءَة وَتَنْزِيهًا لَهُ مِنْ كُلّ نَقْص»[٧]، وقال ابن هبيرة رحمه الله: «في ذكر التسبيح مائة مرة على الإطلاق ليكون هذا النطق متناولاً من يقول: «سبحان الله» مائة مرة، على معنى أن أصل ذلك هو عن الموجب

---

(١) لسان العرب، ١/ ٧١٦، مادة (كسب).
(٢) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، ١/ ٢٣٥، وتقدم في شرح المفردة رقم ٤ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٥٩.
(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ١/ ٣٥٨.
(٤) لسان العرب، ٦/ ٣٩، مادة (جلس).
(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٧/ ٢٢٨.
(٦) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٨/ ١٣٥.
(٧) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٢٠١.

الذي قدم ذكره، فيحسبه الله تعالى لقائله من حيث إن ذلك مطلعه، وإليه مرجعه»[(١)]، وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذكر هذا العدد من المائة، وهذا الحصر لهذه الأذكار لا دليل على أنها غاية، وحدٌّ لهذه الأجور»[(٢)].

٧-قوله: «**فيكتب له ألف حسنة**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُقَالُ: كَتَبَ يَكْتُبُ كِتَاباً وكِتَابَة. ثُمَّ سُمّي بِهِ المَكْتُوب، ومنه ... «كِتَابُ اللَّهِ القِصَاصُ» أَيْ: فَرْضُ اللَّهِ عَلَى لِسَان نَبِيّه»[(٣)].

٨-قوله: «**أو يُحطُّ عنه ألف خطيئة**»: أي: تمحى من ديوان سيئاته، ولا يؤاخذ بها، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: يعفو الله عنه، ويتجاوز عما فعله من ذنوب وآثام، «وهي فِعْلة من حَطَّ الشيءَ يحُطه، إذا أنْزله وألقاه»[(٤)]، وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا يدل على أن الذكر يمحو السيئات ويبقى ثوابه لعامله مضاعفا وكذلك سيئات التائب توبة نصوحا تكفر عنه وتبقى له حسناته»[(٥)].

٩-قوله: «**ألف خطيئة**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخَطِيئَةُ: الذَّنْبُ عَلَى عَمْدٍ، والخِطْءُ: الذَّنْبُ ... والخَطِيئَةُ، عَلَى فَعِيلة: الذَّنْب»[(٦)].

١٠-قوله: «**ومن يطيق ذلك**» قال الفيومي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَطَقْتُ الشَّيْءَ إطَاقَةً: قَدَرْتُ عَلَيْهِ فَأَنَا مُطِيقٌ، وَالِاسْمُ الطَّاقَةُ مِثْلُ الطَّاعَةِ مِنْ أَطَاعَ»[(٧)].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ١/ ٣٥٨.
(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٨/ ١٩١.
(٣) النهاية، ٤/ ١٧٤، مادة (كتب)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٩ من مفردات حديث المتن ٢٠٩.
(٤)النهاية في غريب الحديث والثر، ١/ ٤٠١، مادة(حطط)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ١٤٩.
(٥) جامع العلوم والحكم، ض ١٧٥.
(٦) لسان العرب، ١/ ٦٧، مادة (خطأ).
(٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢/ ٣٨١، مادة (طوق).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-بيان سعة فضل الله ورحمته بعباده وأنه لا حرج على فضله فهي سحاء الليل والنهار ومن ذلك أنه جعل الحسنة بعشر أمثالها من قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾(١)، وهو يضاعف لمن يشاء.

٢-جواز سؤال العالم عما أشكل على السامع وأن هذا من جنس السؤال المحمود الذي يبنى عليه العمل، ولا يراد به التعنت.

٣-كثرة أبواب الفضل لهذه الأمة وأنه من أتى الله يوم القيامة قد غلبت آحاده عشراته فلا يلومن إلا نفسه.

٤-قال ابن هبيرة رحمه الله: «في هذا الحديث الترغيب في التسبيح، وحصره بعدد لا أراه إلا لأن المؤمن إذا كان منور القلب، لم ير مربيًا إلا كان ذلك من الأسباب التي تقتضي عنده تسبيح الله تعالى، فهو على المعنى إذا سبح الله في كل يوم مائة مرة، كان قد شهد لله عز وجل بالتسبيح في مائة طريق»(٢).

***

٢٥٩-(٦) «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ»(٣).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ١/ ٣٥٨.

(٣) أخرجه، الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا أحمد بن منيع، برقم ٣٤٦٤، والحاكم، ٥٠١/١، وصححه ووافقه الذهبي، والألباني في صحيح الجامع، ٥٣١/٥، وصحيح الترمذي، ١٦٠/٣، والسنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من قال سبحان الله العظيم، برقم ١٠٦٦٣، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٠٧، برقم ١٥٤٠، ومسند أحمد، ٢٤/ ٤٠٢، برقم ١٥٦٤٥، وحسنه لغيره محققو المسند، ٢٤/ ٤٠٣، والطبراني في المعجم الأوسط، ٨/ ٢٢٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٦ / ٨٩٠ :، برقم ٢٨٨٠.

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٣٩-لفظ الترمذي عَنْ جَابِرٍ ﷺ[١] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ»[٢].

١٠٤٠-ولفظ النسائي عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ غُرِسَتْ لَهُ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ»[٣].

١٠٤١-وحديث أحمد عَنْ معاذ بن أنس ﷺ[٤]، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، نَبَتَ لَهُ غَرْسٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَكْمَلَهُ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، أَلْبَسَ وَالِدَيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجًا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتٍ مِنْ بُيُوتِ الدُّنْيَا، لَوْ كَانَتْ فِيهِ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهِ»[٥].

١٠٤٢-وحديث الطبراني : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما[٦] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ غَرَسَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ»[٧].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**من قال: سبحان اللَّه العظيم**»: قال ابن الملقن رحمه الله: «التسبيح في اللغة: تنزيه اللَّه تعالى من النقائص: كالولد، والشريك، والصاحبة، فسبحان

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧٢ من أحاديث الشرح.
(٢) الترمذي، برقم ٣٤٦٤، والحاكم، ٥٠١/١، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٥٣١/٥، وصحيح الترمذي، ١٦٠/٣.
(٣) السنن الكبرى للنسائي، برقم ١٠٦٦٣، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٠٧، برقم ١٥٤٠.
(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٦ من أحاديث الشرح.
(٥) مسند أحمد، برقم ١٥٦٤٥، وحسنه لغيره محققو المسند، ٢٤/ ٤٠٣
(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.
(٧) الطبراني في المعجم الأوسط، ٨/ ٢٢٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٨٨٠.

الله: براءته من ذلك»[(١)]، قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَسُبْحَان الله مَعْنَاهُ: بَرَاءَة وَتَنْزِيهًا لَهُ مِنْ كُلّ نَقْص»[(٢)]، قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العظيم هو ذو العظمة، والجلال، ومعناه ينصرف إلى عظم الشأن، وجلالة القدر، دون العظيم الذي هو من نعوت الأجسام»[(٣)]، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**العظيم**» فهذا الاسم، والعظمة هي الوصف، والعظمة وصف للعظيم نفسه، لا تتعدى إلى غيره»[(٤)].

٢-قوله: «وبحمده»: قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نَزَّه الله «عما يصفه به الواصفون، وسَلَّمَ على المرسلين لسلامة ما وصفوه به من كل نقص وعيب، وحمد نفسه»[(٥)]، وقال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَبِحَمْدِك سَبَّحْتُك، وَمَعْنَاهُ: بِتَوْفِيقِك لِي، وَهِدَايَتك وَفَضْلك عَلَيَّ سَبَّحْتُك، لَا بِحَوْلِي وَقُوَّتِي»[(٦)].

٣-قوله: «غرست له بها نخلة في الجنة»: أي: وضعت له في أرض الجنة، قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: غرست له بكل مرة نخلة فيها، وخص النخل لكثرة منافعه، وطيب ثمره، ...قال العراقي : وغرس، وغرز: كلاهما بمعنى وضع على جهة الثبوت»[(٧)].

٤-قوله: «نخلة في الجنة»: أي: بكل مرة نخلة، قال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «غرس لك بكل كلمة: تحتمل كل حرف، ويحتمل كل جملة منها شجرة في الجنة قد أفاد هذا الحديث فضل هذه الكلمات، وأنها خير من الدنيا، وغراسها، وأشجارها»[(٨)].

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٨/ ١٣٥.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٢٠١، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٣ من حديث المتن رقم ١٩٦.
(٣) الأسماء والصفات للبيهقي، ص ٦٠.
(٤) أسماء الله وصفاته، وموقف أهل السنه منها، ص ١٤، وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من الحديث رقم ٢٥٦ من أحاديث المتن.
(٥) جلاء الأفهام لابن القيم، ص: ١٧٠. وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ٩١، شرح المفردة رقم ٢.
(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٢٠١. وانظر: شرح المفردة رقم ٥ من حديث المتن رقم ١٩٦.
(٧) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٦/ ١٩٠.
(٨) التنوير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٣٦٦.

٥-قوله: «**نبت له غرس**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النَّبْتُ: النَّباتُ... كلُّ مَا أَنْبَتَ اللَّهُ فِي الأَرض، فَهُوَ نَبْتٌ؛ والنَّباتُ فِعْلُه، ويَجري مُجْرى اسمِه، يُقَالُ: أَنْبَتَ اللهُ النَّبات إِنْباتاً»[(١)].

٦-قوله: «**قرأ القرآن**»: قال في النهاية: «قد تكرر في الحديث ذكر القراءة، والاقتراء، والقارئ، والقرآن، والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته، وسمي القرآن قرآناً؛ لأنه جمع: القصص، والأمر، والنهي، والوعد، والوعيد، والآيات، والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران، والكفران»[(٢)]، وقال القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قرأ القرآن: أي: فأحكمه، كما في رواية أي: فأتقنه، وقال ابن حجر: أي: حفظه عن ظهر قلب»[(٣)].

٧-قوله: «**ألبس والديه تاجاً**»: قال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَيُقَالُ: تَوَّجَهُ فتَتَوَّجَ أَي أَلبسه التاجَ فَلَبِسَهُ، والإِكْلِيلُ والقُصَّةُ والعِمامةُ: تاجٌ عَلَى التَّشْبِيهِ، والعربُ تُسَمِّي العمائمَ التاجَ»[(٤)]، وقال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تاجاً: تخصيص ذكر التاج كناية عن الملك والسيادة، كما يقال: قعد فلان على السرير كناية عنه»[(٥)].

٨-قوله: «**أحسن من ضوء الشمس**»: قال الخادمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَعَلَّهُ يُرَادُ بِهِ مُجَرَّدُ كَمَالِ الْحُسْنِ وَالْبَهْجَةِ، بِحَيْثُ يَظْهَرُ مَا فِي الْبَيْتِ وَيُرَى مِنْ لَطَافَتِهِ»[(٦)]، وقال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولم يقل: أنور وأشرف؛ لأن تشبيه التاج مع ما فيه من الجواهر

---

(١) لسان العرب، ٢/ ٩٥، مادة (نبت).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٢٩، مادة (قرأ)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٣ من مفردات حديث المتن رقم ١٢٠.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٧/ ٨.

(٤) لسان العرب، ٢/ ٢١٩، مادة (توج).

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٦٦١.

(٦) بريقة محمودية، ١/ ٤٢.

النفيسة الثمينة بالشمس، ليس لمجرد الإشراق والضوء، بل مع الزينة والحسن، وأيضاً فيه تتميم صيانة من الإحراق، وكلال النظر بسبب أشعتها»[(١)].

٩-قوله: «**لو كانت فيكم**»: قال الطيبي رحمه الله: «تتميم للمبالغة، فإن الشمس مع ضوئها وحسنها لو كانت في داخل البيت، كان آنس، وأتم، وأكمل مما كانت خارجة عنه، وحسنه وإشراقه فيه، وهذا التشبيه مما يزيد حسناً، ومبالغة بالشرط»[(٢)].

١٠-قوله: «**فما ظنكم بالذي**»: قال الطيبي رحمه الله: «استفهامية مؤكدة لمعنى استقصار الظان في كنه معرفة ما يعطى للقارئ العامل به من الكرامة، والملك، الذي ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[(٣)].

١١-قوله: «**بالذي عمل بهذا**» قال الطيبي رحمه الله: «هو قوله: «مافيه»، في قوله: «عمل بما فيه»، لكن المشار إليه المذكور في قوله: قرأ وعمل بما فيه؛ لأن المراد فما ظنكم بمن قرأ، وعمل بما فيه»[(٤)].

١٢-قوله: «**الحمد لله**»: قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»[(٥)]، وقال الطيبي رحمه الله: «الحمد: الثناء على قدرته؛ ... فيشكر على ما أولى العباد بسبب الانتقال من النعم الدينية، والدنيوية ما لا يحصى»[(٦)].

١٣-قوله: «**لا إله إلا الله**»: قال الباجي رحمه الله: «وَقَوْلُهُ ﷺ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٦٦١.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٦٦١.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٦٦١.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٦٦١.
(٥) بدائع الفوائد، ٢/٥٣٧، وانظرها في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن ١٠٨.
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ١٠٨.

إظْهَارٌ لِلتَّوْحِيدِ، وَإِعْلَامٌ بِهِ، وَاسْتِدَامَةٌ لِلْإِيمَانِ بِهِ»[١]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «... وفِي تعقِيب التَّكبِير بِالتَّهلِيلِ إشارَة إِلَى أَنَّهُ المُتَفَرِّد بِإِيجادِ جَمِيع المَوجُودات، وأَنَّهُ المَعبُود فِي جَمِيع الأَماكِن»[٢]، أي: المعبود بحق؛ فإن الآلهة الأخرى تُعبد بالباطل، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[٣]، وهو مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

١٤-قوله: «**الله أكبر**»: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ**: إِثْبَاتُ عَظَمَتِهِ؛ فَإِنَّ الْكِبْرِيَاءَ تَتَضَمَّنُ الْعَظَمَةَ، وَلَكِنَّ الْكِبْرِيَاءَ أَكْمَلُ؛ وَلِهَذَا جَاءَتْ الْأَلْفَاظُ الْمَشْرُوعَةُ فِي الصَّلَاةِ وَالْأَذَانِ بِقَوْلِ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ**»؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَكْمَلُ مِنْ قَوْلِ: اللَّهُ أَعْظَمُ...»[٤]

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-غراس الجنة هو ذكر الله تعالى.

٢-الغرس الطيب يزداد طيبًا بالأرض الطيبة، فالمسك هو تراب الجنة؛ لقول النبي ﷺ: «**أُدخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك**»[٥] وفي لفظ: «**وترابها الزعفران**»[٦] وفي رواية: «**أرض الجنة خبزة بيضاء**»[٧] قال ابن

---

(١) المنتقى شرح الموطأ، ٣/ ٧٧.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٨٩، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من حديث المتن ٢١٧.

(٣) سورة لقمان، الآية: ٣٠.

(٤) مجموع الفتاوى، ١٠/ ٢٥٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ١١ من مفردات الحديث رقم ٩٣ من أحاديث المتن.

(٥) البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، برقم ٣٤٩.

(٦) مسند أحمد، ١٣/ ٤١٠، برقم ٨٠٤٣، وصححه محققو المسند، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/ ٢٥٩، برقم ٣٧١١.

(٧) العظمة لأبي الشيخ الأصفهاني، ٣/ ١٠٩٩، برقم ٥٧٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٨٩٩.

القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فهذه ثلاث صفات في تربتها لا تعارض بينها؛ لأن التربة متضمنة للنوعين المسك والزعفران ويحتمل أن يكون التراب من زعفران فإذا عجن بالماء صار مسكًا أو أن يكون الزعفران باعتبار اللون مسكًا باعتبار الرائحة(١).

٣-إنما خصت النخلة دونًا عن غيرها لعموم نفعها وبركتها، قال الحافظ ابن حجر: وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها، فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعًا، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها، حتى النوى في علف الدواب والليف في الحبال وغير ذلك مما لا يخفى، وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته، وقد ذهب البخاري إلى أن المراد بالشجرة الطيبة التي ذكرت في سورة إبراهيم أنها النخلة، وقد سأل النبي ﷺ كما روى ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشْبِهُ، أَوْ: كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ: لاَ يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا، وَلاَ، وَلاَ، تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ**» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ لاَ يَتَكَلَّمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ فَلَمَّا لَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هِيَ النَّخْلَةُ**»، فَلَمَّا قُمْنَا قُلْتُ لِعُمَرَ: يَا أَبَتَاهُ، وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكَلَّمَ؟ قَالَ: لَمْ أَرَكُمْ تَكَلَّمُونَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، أَوْ أَقُولَ شَيْئًا، قَالَ عُمَرُ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا»(٢) وإنما ذكر النفي ثلاث مرات على سبيل الاكتفاء، فقيل في تفسيره: ولا ينقطع ثمرها ولا

---

(١) انظر: حادي الأرواح، ص ١٢٢، ١٢٣.

(٢) البخاري، ٤٦٩٨، كتاب التفسير، با قوله: ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء توتي أكلها كل حين﴾، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار، برقم ٤٦ بلفظ: «عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ شِبْهِ، أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا» قَالَ إِبْرَاهِيمُ: لَعَلَّ مُسْلِمًا قَالَ: وَتُؤْتِي أُكُلَهَا، وَكَذَا وَجَدْتُ عِنْدَ غَيْرِي أَيْضًا، وَلَا تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لَا يَتَكَلَّمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا».

يعدم فيؤها ولا يبطل نفعها[1].

***

٢٦٠-[7] وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ»؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «قُلْ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ»[2].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٤٣-لفظ البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه[3]، قَالَ: لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ، أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ»**، وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ لِي: **«يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ»**. قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **«أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ»** قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، قَالَ: **«لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»**[4].

---

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ١/ ١٤٥.

(٢) البخاري،كتاب المغازي، باب غزوة ذات القرد،برقم ٤٢٠٥، وفي كتاب الدعوات، باب إذا علا عقبة، برقم ٦٣٨٤، ومسلم، كتابالذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، برقم ٢٧٠٤. مسند أحمد، ١٣/ ٤٤٧، برقم ٨٠٨٥.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١ من أحاديث الشرح.

(٤) البخاري،برقم ٤٢٠٥، ومسلم، برقم ٢٧٠٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

١٠٤٤-وفي رواية أخرى للبخاري عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ، وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا»، ثُمَّ أَتَى عَلَيَّ، وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ»، أَوْ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»[(١)].

١٠٤٥-وفي رواية أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي نَخْلٍ لِبَعْضِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، هَلَكَ الْمُكْثِرُونَ، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: حَثَا بِكَفَّيْهِ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ يَسَارِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ -، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ»، ثُمَّ مَشَى سَاعَةً فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟» فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ»، ثُمَّ مَشَى سَاعَةً فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ النَّاسِ عَلَى اللَّهِ، وَمَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَحَقٌّ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ»[(٢)].

١٠٤٦-وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثِرُوا مِنْ غَرْسِ الْجَنَّةِ؛ فَإِنَّهُ عَذْبٌ مَاؤُهَا، طَيِّبٌ تُرَابُهَا، فَأَكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِهَا: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»[(٣)].

---

(١) البخاري، برقم ٦٣٨٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسند أحمد، برقم ٨٠٨٥، وصححه محققو المسند، ١٣/ ٤٤٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ١/ ٥٠: «وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ أَثْبَاتٌ» وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في المطالب العالية، ١٤/ ١٦٠: «وهذا إسناد صحيح» وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) أخرجه الطبراني، ١٢/٣٦٤، برقم ١٣٣٥٤، وفي الدعاء له، ص ٤٧٤، برقم ١٦٥٨، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ١٢١٣.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**يا عبد الله بن قيس**»: هو اسم أبي موسى الأشعري ﷺ[١].

٢-قوله: «**ألا**»: كلمة تنبيه ليهيئ المستمع إلى شيء مهم، ويرى العلامة ابن هشام الأنصاري رحمه الله أَن تكون ألا: للتّنْبِيه فتدل على تحقق مَا بعْدهَا، وَتدْخل على الجملتين ... وفِيهَا حرف استفتاح يفيد التَّحْقِيق من جِهَة تركيبها من الْهمزَة وَلَا، وهمزة الِاسْتِفْهَام إِذا دخلت على النَّفْي أفادت التَّحْقِيق... ومن معاني ألا: الْعرض والتحضيض، ومعناهما: طلب الشَّيْء، لَكِن الْعرض طلب بلين، والتحضيض طلب بحث، وتختص أَلا هَذِه بالفعلية، وهي هنا جاءت قبل الجملة الفعلية[٢]، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «والاستفهام هنا للتشويق يعني: يشوقه الرسول ﷺ إلى أن يستمع إلى ما يقول»[٣].

٣-قوله: «**أدلك**»: أي: أرشدك وأعلمك، قال ابن منظور رحمه الله: « ودَلَّه عَلَى الشَّيْءِ يَدُلُّه دَلًّا ودَلالةً فانْدَلَّ: سدَّده إِليه ... ودَلَلْت بِهَذَا الطَّرِيقِ: عَرَّفْتُه»[٤].

٤-قوله: «**على كنز**»: أي: في نفاسته، والمراد الأجر المترتب على قولها، وقال السيوطي رحمه الله: أَي: ثَوَاب نَفِيس مدخر فِيهَا»[٥].

٥-قوله: «**على كنز من كنوز الجنة**» قال الطيبي رحمه الله: «قد سبق مثل هذا التركيب أنه ليس باستعارة؛ لذكر المشبه، وهو الحوقلة، والمشبه به، وهو الكنز، ولا التشبيه الصرف؛ لبيان الكنز بقوله: «**من كنوز الجنة**»؛ بل هو من إدخال الشيء في جنس، وجعل أحد أنواعه على التغليب... فالكنز إذن نوعان:

---

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١ من أحايث الشرح.
(٢)انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص ٩٥.
(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٤٣.
(٤) لسان العرب، ١١/ ٢٤٨، مادة (دلل).
(٥) شرح السيوطي على مسلم، ٦/ ٦١.

المتعارف، وهو المال الكثير يجعل بعضه فوق بعض، ويحفظ، وغير المتعارف، وهي هذه الكلمة الجامعة المكتنزة بالمعاني الإلهية، كما أنها محتوية على التوحيد الخفي... وأثبتت لله على سبيل الحصر، وبإيجاده، واستعانته، وتوفيقه، لم يخرج شيء من ملكه وملكوته، ومن الدلالة على أنها دالة على التوحيد الخفي قول رسول الله ﷺ لأبي موسى: «**ألا أدلك على كنز من الكنوز**» مع أنه كان يذكرها في نفسه، والدلالة إنما تستقيم على ما لم يكن عليه، وهو أنه لم يعلم أنه توحيد خفي، وكنز من الكنوز، ولأنه لم يقل: ما ذكرته كنز من الكنوز، بل صرح بها، وقال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» تنبيهاً له على هذا السر»[(١)].

٦-قوله: «**قلت: بلى**»: أي: نعم، قال ابن منظور رحمه الله: « وبَلَى: جَوَابُ اسْتِفْهَامٍ فِيهِ حَرْفُ نَفْيٍ، كَقَوْلِكَ: أَلم تَفْعَلْ كَذَا؟ فَيَقُولُ: بَلَى، وبَلَى: جَوَابُ اسْتِفْهَامٍ مَعْقُودٍ بِالْجَحْدِ، وَقِيلَ: يَكُونُ جَوَابًا لِلْكَلَامِ الَّذِي فِيهِ الْجَحْدُ ...لأَنها رُجُوعٌ عَنِ الْجَحْدِ إِلَى التَّحْقِيقِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ بَلْ، وَبَلْ سَبِيلُهَا أَن تَأْتِي بَعْدَ الْجَحْدِ»[(٢)].

٧-قوله: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»: أي: لا حيلة في دفع شر ولا قوة في جلب خير إلا بإرادته وإعانته ﷻ، قال الإمام النووي رحمه الله: « وَيُعَبَّرُ عَنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ بِالْحَوْقَلَةِ، وَالْحَوْلَقَةِ... وَيُقَالُ أَيْضًا: لَا حَيْلَ، وَلَا قُوَّةَ في لغة غريبة»[(٣)]، وقال الطيبي رحمه الله: «الأصل في الحول تغيير الشيء، وانفصاله عن غيره، فيفسر بالحالة، وهي ما يتوصل به إلى حيلة ما خفية، وقيل: الحيلة هي الحول، قلبت واوه ياء لانكسار ما قبلها، والمعنى لا توصل إلا تدبير أمر، وتغيير حال إلا بمشيئتك ومعونتك، وقيل: الحول الحركة، يقال: حال الشخص إذا تحرك، فالمعنى لا حركة ولا استطاعة إلا

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٢٤.
(٢) لسان العرب، ١٤/ ٨٨، مادة (بلى).
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٢٧.

بمشيئة الله»[١]، وقال ابن رجب رحمه الله: «لَا تَحَوُّلَ لِلْعَبْدِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَلَا قُوَّةَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَهَذِهِ كَلِمَةٌ عَظِيمَةٌ»[٢].

٨-قوله: «**غزا رسول الله ﷺ خيبر**»: قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «الْغَزْوُ: الخروج إلى محاربة العدوّ»[٣]، وخيبر: قال الفيروزآبادي رحمه الله: «حِصْنٌ، ومدينة قُرْبَ المدينةِ النبوية»[٤]، وقال الإمام النووي رحمه الله: «اخْتَلَفَ أَهْلُ الْمَغَازِي فِي عَدَدِ غزَوَاتِهِ ﷺ، وسراياه، فذكر ابن سَعْدٍ وَغَيْرُهُ عَدَدَهُنَّ مُفَصَّلَاتٍ عَلَى تَرْتِيبِهِنَّ، فَبَلَغَتْ سَبْعًا وَعِشْرِينَ غَزَاةً، وَسِتًّا وَخَمْسِينَ سَرِيَّةً، قَالُوا: قَاتَلَ فِي تِسْعٍ مِنْ غَزَوَاتِهِ، وَهِيَ: بَدْرٌ، وَأُحُدٌ، وَالْمُرَيْسِيعُ، وَالْخَنْدَقُ، وَقُرَيْظَةُ، وَخَيْبَرُ، وَالْفَتْحُ، وَحُنَيْنٌ، وَالطَّائِفُ، هَكَذَا عَدُّوا الْفَتْحَ فِيهَا، وَهَذَا عَلَى قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: فُتِحَتْ مَكَّةُ عَنْوَةً»[٥].

٩-قوله: «**توجه رسول الله**»: قال ابن منظور رحمه الله: «ووَجَّهَ إِلَيْهِ كَذَا: أَرسله، ووجَّهْتُهُ فِي حاجةٍ ووجَّهْتُ وجْهِيَ لِلَّهِ وتوَجَّهْتُ نحوَكَ وَإِلَيْكَ»[٦]، وقال العيني رحمه الله: «ظَاهر هَذَا يُوهم أَن ذَلِك وَقع وهم ذاهبون إِلَى خَيْبَر، وَلَيْسَ كَذَلِك، بل إِنَّمَا وَقع ذَلِك حَال رجوعهم لِأَن أَبَا مُوسَى إِنَّمَا قدم بعد فتح خَيْبَر مَعَ جَعْفَر، فَحِينَئِذٍ يحْتَاج إِلَى تَقْدِير ليَصِح الْكَلَام، تَقْدِيره: لما توجه النَّبِي ﷺ، إِلَى خَيْبَر فحاصرها فَفتحهَا ففرغ، فَرجع فَأَشْرَف النَّاس»[٧].

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٢٤.
(٢) جامع العلوم والحكم، ١/ ٤٨٢.
(٣) المفردات في غريب القرآن، ص ٦٠٦، مادة (غزو).
(٤) القاموس المحيط، ص ٣٨٢، مادة (خبر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٤١.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢/ ١٩٥، وانظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي، ٢/ ١٨.
(٦) لسان العرب، ١٣/ ٥٥٧، مادة (وجه).
(٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٧/ ٢٤١.

١٠-قوله: «أشرف الناس على واد»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَشْرَفْتُ الشيءَ أَيْ: عَلَوتُه، وأَشْرَفْتُ عَلَيْهِ: اطَّلعْتُ عَلَيْهِ مِنْ فَوق»[١]، وقال الفيومي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْوَادِي: وَهُوَ كُلُّ مُنْفَرَجٍ بَيْنَ جِبَالٍ، أَوْ آكَامٍ، يَكُونُ مَنْفَذًا لِلسَّيْلِ، وَالْجَمْعُ أَوْدِيَةٌ»[٢].

١١-قوله: «رفعوا أصواتهم بالتكبير»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: كبّروا لأَنهم قد علموا أنهم قد قربوا»[٣].

١٢-قوله: «الله أكبر»: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ: إثْبَاتُ عَظَمَتِهِ؛ فَإِنَّ الْكِبْرِيَاءَ تَتَضَمَّنُ الْعَظَمَةَ، وَلَكِنَّ الْكِبْرِيَاءَ أَكْمَلُ»[٤].

١٣-قوله: «لا إله إلا الله»: قال الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَوْلُهُ ﷺ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» إظْهَارٌ لِلتَّوْحِيدِ، وَإِعْلَامٌ بِهِ، وَاسْتِدَامَةٌ لِلْإِيمَانِ بِهِ»[٥]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «... وفِي تَعقِيب التَّكبير بِالتَّهلِيلِ إِشارَة إِلَى أَنَّهُ المُتَفَرِّد بِإِيجادِ جَمِيع المَوجُودات، وأَنَّهُ المَعبُود فِي جَمِيع الأَماكِن»[٦]، أي: المعبود بحق، وهو مستوٍ على عرشه، استواءً يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

١٤-قوله: «اربعوا»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقال: اربع على نفسك، أي: تثبت، وانتظر»[٧]، وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ارْبَعُوا: مَعْنَاهُ ارْفُقُوا بِأَنْفُسِكُمْ، وَاخْفِضُوا أَصْوَاتَكُمْ؛ فَإِنَّ رَفْعَ الصَّوْتِ إِنَّمَا يَفْعَلُهُ الْإِنْسَانُ لِبُعْدِ مَنْ يُخَاطِبُهُ لِيُسْمِعَهُ، وَأَنْتُمْ تدعون الله تعالى، وليس هو بأصم، ولاغائب، بَلْ هُوَ سَمِيعٌ

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٦٢، مادة (شرف).
(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢/ ٦٥٤، مادة (ودي).
(٣) لسان العرب، ٤/ ٦٠١، مادة (رفع).
(٤) مجموع الفتاوى، ١٠/ ٢٥٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ١١ من مفردات حديث المتن رقم ٩٣.
(٥) المنتقى شرح الموطأ، ٣/ ٧٧.
(٦) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٨٩.
(٧) جامع الأصول، ٤/ ١٦٢.

قَرِيبٌ، وَهُوَ مَعَكُمْ بِالْعِلْمِ وَالْإِحَاطَةِ»[١]، وقال الطيبي رحمه الله: «أي: ارفقوا بها، يقال: أربع على نفسك، أي: انتظر، وقيل: المعنى أمسكوا عن الجهر، وقفوا عنه،من أربع الرجل بالمكان، إذا وقف عن السير وأقام»[٢].

١٥-قوله: «**لا تدعون أصم ولا غائباً**»: قال ابن حجر رحمه الله: «نَفْيُ الْآفَةِ الْمَانِعَةِ مِنَ السَّمْعِ، وَالْآفَةِ الْمَانِعَةِ مِنَ النَّظَرِ، وَإِثْبَاتُ كَوْنِهِ سَمِيعًا بَصِيرًا، قَرِيبًا، يَسْتَلْزِمُ أَنْ لَا تَصِحَّ أَضْدَادُ هَذِهِ الصِّفَاتِ عَلَيْهِ»[٣]، وهو سبحانه ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

١٦-قوله: «**إنكم تدعون سميعاً بصيراً**»: قال الطيبي رحمه الله: «كالتعليل لقوله: «لا تدعون أصم»،وقوله: «وهو معكم» لقوله: «ولا غائباً»، فإن قلت: فما فائدة الزيادة في قوله: «بصيراً»؟ قلت: السميع البصير أشد إدراكاً، وأكمل إحساساً من الضرير والأعمى»[٤].

١٧-قوله: «**والذي تدعونه**»: قال الطيبي رحمه الله: «أقرب تمثيل لمعنى قرب القريب، والمبالغة فيه، فيكون ترقياً»[٥].

١٨-قوله: «**وهو معكم**»: قال النووي رحمه الله: «وهو معكم أينما كنتم، فمعناه: بالعلم والإحاطة»[٦].

١٩-قوله: «خلف دابة»: قال القسطلاني رحمه الله: «وأنا خلف: أي: وراء»[٧].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٢٦.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٢٣.
(٣) فتح الباري لابن حجر، ١٣/ ٣٧٥.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٢٣.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٢٤.
(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٢.
(٧) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٦/ ٣٦٤.

٢٠-قوله: «**لبيك يا رسول الله**»: أي: استجابة لندائك، وامتثالًا لأمرك»[١].

٢١-قوله: «**فداك أبي وأمي**»: قال ابن الملقن رحمه الله: «هي كلمة تقال للتبجيل، ليس على الدعاء، ولا على الخبر»[٢]، وقال العيني رحمه الله: «فَدَاك أبي وَأمي، الْفِدَاء بِكَسْر الْفَاء وبالمد، وبفتح الْفَاء يقصر، يَعْنِي: أَنْت مُفدًّى بِأبي وَأمي، وَالْفِدَاء فكاك الْأَسير، فدَاء يفْدِيه فدَاء وفدًى، وفاداه يفاديه مفاداة إِذا أعْطى فداءه وأنقذه، وفداه بِنَفسِهِ فدَاء إِذا قَالَ لَهُ: جعلت فدَاك، وَقيل: المفاداة أَن يفك الْأَسير بأسير مثله»[٣].

٢٢-قوله: «**إلا من قال هكذا**»: قال الطيبي رحمه الله: «العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال، وتطلقه على غير الكلام، فيقول: قال بيده، أي: أخذ، وقال برجله، أي: مشى، وقال بالماء على يده، أي: قلب، وقال بثوبه، أي: رفعه، كل ذلك على المجاز والاتساع، وقال في الحديث بمعنى: أشار، وهكذا: صفة مصدر محذوف، أي: أشار بيده إشارة مثل هذه الإشارة»[٤].

٢٣-قوله: «**وقليل ما هم**»: قال الطيبي رحمه الله: «ما: زائدة مؤكدة للقلة، (وهم) مبتدأ، و(قليل): خبره مقدم عليه، قدم اختصاصًا، وأن الأكثر من المكثرين ليسوا على هذه الصفة»[٥].

٢٤-قوله: «**هلك المكثرون**»: قال العيني رحمه الله: «لأن كثرة المال مذمومة في الأصل، قال ﷺ: «**هلك المكثرون إلا من قال بماله هكذا وهكذا**» أي: تصدق به، ... لأن الغنى لا ثبات له، لا يستمر في يد شخص؛ لأنه يروح ويأتي»[٦].

---

(١) تقدم في شرح المفردة رقم ١٩ من مفردات حديث المتن رقم ٢٩.
(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٧/ ٤٩١.
(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢٢/ ٢٠٤.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٥٢٧.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٥٢٧.
(٦) البناية شرح الهداية، ٥/ ١١٧.

٢٥-قوله: «**ثلاث مرات حتى بكفيه**» قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: ثَلَاثَ غُرف بيَدَيْه، واحدُها حَثْيَة»[١]، وقال ابن قرقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «حَثَى، ويَحْثُو، ويَحْثِي، واحْثِ، واحْثُ، كله بمعنى: اغرف بيديك...وهو الغرف ملء اليدين، وقيل: الحثية باليد والحفنة باليدين»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-حرص الرسول ﷺ على تعليم أمته ما تثقل به موازينهم يوم القيامة، وعدم تأخير البيان عن وقت الحاجة بتعليمهم أن الله ﷻ أقرب إلى أحدهم من عنق راحلته[٣].

٢-فضل قول: «لا حول ولا قوة إلا بالله» والإكثار منها؛ لأنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله ﷻ واعتراف بالإذعان والخضوع له سبحانه وأنه هو الذي بيده مقاليد الأمور كلها، وقد جاء في رواية أنها: «**كلمة من كنز الجنة**»[٤]، و«**كنوز الجنة**»[٥]، وتعرف هذه الكلمة بالحوقلة وهذه الكلمة ليست كلمة استرجاع كما يظن بعض الناس فإنه يحوقل إذا أصيب بمكروه والسنة أن يسترجع لا أن يحوقل.

٣-قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في سبب قول: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»: «قَالَ الْعُلَمَاءُ: سبب ذلك أنها كلمة استسلام، وَتَفْوِيضٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَاعْتِرَافٍ بِالْإِذْعَانِ لَهُ، وأنه لاصانع غيره، ولارادّ لأمره، وأن العبد لايملك شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ، وَمَعْنَى الْكَنْزِ هُنَا: أَنَّهُ ثَوَابٌ مُدَّخَرٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ ثَوَابٌ نَفِيسٌ، كَمَا أَنَّ الْكَنْزَ أَنْفَسُ أَمْوَالِكُمْ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ الْحَوْلُ الْحَرَكَةُ وَالْحِيلَةُ، أَيْ: لَا حَرَكَةَ، وَلَا اسْتِطَاعَةَ، وَلَا حِيلَةَ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: لَا حَوْلَ فِي دَفْعِ

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣٣٩، مادة (حثي).
(٢) مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ٢/ ٢٣١.
(٣) انظر: مسلم، برقم ٢٧٠٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٤) مسلم، برقم ٢٧٠٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٥) البخاري، برقم ٤٢٠٥، وتقدم تخريجه في تخرج حديث المتن.

شَرٍّ، وَلَا قُوَّةَ فِي تَحْصِيلِ خَيْرٍ إِلَّا بِاللَّهِ، وَقِيلَ لَا حَوْلَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إلا بعصمته، ولاقوة على طاعته إلا بمعونته»[(١)].

٤-وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَفِيهِ النَّدْبُ إِلَى خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ إِذَا لَمْ تَدْعُ حَاجَةٌ إِلَى رَفْعِهِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا خَفَضَهُ كَانَ أَبْلَغَ فِي تَوْقِيرِهِ، وَتَعْظِيمِهِ؛ فإن دعت حاجة إلى الرَّفْعِ، رَفَعَ كَمَا جَاءَتْ بِهِ أَحَادِيثُ»[(٢)].

٥-قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْكَنْزُ: مَالٌ مُجْتَمِعٌ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى جَمْعٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا تَتَضَمَّنُ التَّوَكُّلَ، وَالِافْتِقَارَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، وَأَنَّ الْخَلْقَ لَيْسَ مِنْهُمْ شَيْءٌ إِلَّا مَا أَحْدَثَهُ اللَّهُ فِيهِمْ، فَإِذَا انْقَطَعَ طَلَبُ الْقَلْبِ لِلْمَعُونَةِ مِنْهُمْ، وَطَلَبَهَا مِنَ اللَّهِ فَقَدْ طَلَبَهَا مِنْ خَالِقِهَا الَّذِي لَا يَأْتِي بِهَا إِلَّا هُوَ... وَلِهَذَا يَأْمُرُ اللَّهُ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَحْدَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ»[(٣)].

٦-قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الكلمة فيها التبرؤ من الحول والقوة إلا بالله عَزَّ وَجَلَّ، فالإنسان ليس له حول، وليس له قوة، فلا يتحول من حال إلى حال، ولا يقوى على ذلك إلا بالله عَزَّ وَجَلَّ، فهي كلمة استعانة إذا أعياك الشيء، وعجزت عنه، قل: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فإن الله تعالى يعينك عليه، وليست هذه الكلمة كلمة استرجاع كما يفعله كثير من الناس، إذا قيل له حصلت المصيبة الفلانية، قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» ولكن كلمة الاسترجاع أن تقول: «**إنا لله وإنا إليه راجعون**»، أما هذه فهي كلمة استعانة، إذا أردت أن يعينك الله على شيء، فقل: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**» وكما مر ... في سورة الكهف قصة صاحبي الجنتين، ... فالمهم أن كلمة لا حول ولا

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٢٦.
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٢٦.
(٣) مجموع الفتاوى، ١٣/ ٣٢١.

قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة، تقولها أيها الإنسان عندما يعييك الشيء، ويثقلك، وتعجز عنه: قل: «لا حول ولا قوة إلا بالله» ييسر الله لك الأمر»[١].

***

٢٦١-[٨] وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَحَبُّ الْكَلاَمِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لاَ يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ**»[٢].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٤٧-لفظ مسلم عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه[٣]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ، وَلَا تُسَمِّيَنَّ غُلَامَكَ يَسَارًا، وَلَا رَبَاحًا، وَلَا نَجِيحًا، وَلَا أَفْلَحَ، فَإِنَّكَ تَقُولُ: أَثَمَّ هُوَ؟ فَلَا يَكُونُ فَيَقُولُ: لَا» إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ فَلَا تَزِيدُنَّ عَلَيَّ**»[٤].

١٠٤٨-ولمسلم في حديث آخر عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه[٥]، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ؟**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ: «**إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ**»[٦].

---

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٤٣.

(٢) مسلم، كتاب الآداب، باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة، وبنافع ونحوه، برقم ٢١٣٧، وكتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل سبحان الله وبحمده، برقم ٢٧٣١، والبخاري في الأدب المفرد، ص ٢٢٢.

(٣) سَمُرَةُ بنُ جُنْدُبِ بن هِلاَلٍ الفَزَارِيُّ رضي الله عنه، مِنْ عُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ، نَزَلَ البَصْرَةَ، لَهُ: أَحَادِيْثُ صَالِحَةٌ.، روى عَنْهُ: ابْنُهُ سُلَيْمَانُ، وَأَبُو قِلاَبَةَ الجَرْمِيُّ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ بُرَيْدَةَ، وَجَمَاعَةٌ، واستخلفه زياد على البصرة، وكان شديداً على الخوارج، وقتل منهم الكثير، مَاتَ سَمُرَةُ: سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِيْنَ، وَقِيْلَ: سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِيْنَ. انظر: الاستيعاب، ٢، ٦٥٣، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ١٨٣، ترجمة رقم (٣٥)، والإصابة ٣/ ١٨٧.

(٤) مسلم، برقم ٢١٣٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٤٥ من أحاديث الشرح.

(٦) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل سبحان الله وبحمده، برقم ٢٧٣١.

١٠٤٩-ولفظ البخاري في الأدب المفرد عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ**»[١].

١٠٥٠-ولفظ الترمذي عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَهُ، أَوْ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ عَادَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الكَلَامِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ﷻ؟ قَالَ: «**مَا اصْطَفَى اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ**»[٢].

١٠٥١-وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود ﷺ[٣]، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلاَ إِلَهَ غَيْرَكَ، وَإِنَّ أَبْغَضَ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: اتَّقِ اللَّهَ، فَيَقُولُ: عَلَيْكَ نَفْسَكَ**»[٤].

١٠٥٢-ولفظ النسائي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ[٥]، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**خُذُوا جُنَّتَكُمْ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ عَدُوٍّ قَدْ حَضَرَ؟ قَالَ: «**لاَ، وَلَكِنْ جُنَّتُكُمْ مِنَ النَّارِ قَوْلُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مُجَنِّبَاتٍ، وَمُعَقِّبَاتٍ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ**»[٦].

---

(١) البخاري في الأدب المفرد، ص ٢٢٢، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ص ٢٣٨.

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب أي الكلام أحب إلى الله ﷻ، برقم ٣٥٩٣، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٣٥٩٣، وفي صحيح الجامع الصغير، برقم ١٥٧، وفي صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٥٣٨.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح.

(٤) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، ذِكْرُ اخْتِلَافِ النَّاقِلِينَ لِخَبَرِ سَمُرَةَ فِي ذَلِكَ، برقم ١٠٦١٩، وابن منده في التوحيد، برقم ٦٥٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦/ ١٨٩، برقم ٢٥٩٨، وبرقم ٢٩٣٩.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٦) النسائي في الكبرى، برقم ١٠٦٤٨، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٦/ ٤٨٥، وفي صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١١٢، برقم ١٥٦٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

١٠٥٣- وعنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِشَجَرَةٍ يَابِسَةِ الوَرَقِ، فَضَرَبَهَا بِعَصَاهُ، فَتَنَاثَرَ الوَرَقُ، فَقَالَ: «**إِنَّ الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَتُسَاقِطُ مِنْ ذُنُوبِ العَبْدِ كَمَا تَسَاقَطَ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ**»(١).

١٠٥٤- وعنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عِشْرِينَ حَسَنَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ عِشْرِينَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً، أَوْ حُطَّ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً**»(٢).

١٠٥٥- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ ﷺ، أَنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي عُذْرَةَ ثَلَاثَةً، أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَأَسْلَمُوا، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ يَكْفِينِيهِمْ؟**» قَالَ طَلْحَةُ: أَنَا. قَالَ: فَكَانُوا عِنْدَ طَلْحَةَ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا، فَخَرَجَ فيه أَحَدُهُمْ فَاسْتُشْهِدَ، قَالَ: ثُمَّ بَعَثَ بَعْثًا فَخَرَجَ فِيهِ آخَرُ فَاسْتُشْهِدَ، قَالَ: ثُمَّ مَاتَ الثَّالِثُ عَلَى فِرَاشِهِ، قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدِي فِي الْجَنَّةِ، فَرَأَيْتُ الْمَيِّتَ عَلَى فِرَاشِهِ أَمَامَهُمْ، وَرَأَيْتُ الَّذِي اسْتُشْهِدَ أَخِيرًا يَلِيهِ، وَرَأَيْتُ الَّذِي اسْتُشْهِدَ أَوَّلَهُمْ آخِرَهُمْ، قَالَ: فَدَخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَمَا أَنْكَرْتَ مِنْ ذَلِكَ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَمَّرُ فِي الْإِسْلَامِ لِتَسْبِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ**»(٣).

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا محمد بن حميد، برقم ٣٥٣٣، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ١٦٠١.

(٢) سنن النسائي الكبرى، برقم ١٠٦٧٦، وأحمد، ١٣/ ٣٨٧، برقم ٨٠١٢، وصححه محققو المسند، والألباني في صَحِيح الْجَامِع، برقم ١٧١٨.

(٣) أحمد، ٣/ ١٩، برقم ١٤٠١، وصححه محققو المسند، ٣/ ٢٠، والألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٦٥٤، وانظر تخريجه أيضاً في الحاشية بعده.

١٠٥٦-وعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»[(١)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**أحب الكلام إلى الله**»: أي: من كلام الآدميين، وإلا فالقرآن أفضل من التسبيح، والتهليل المطلق، قال الإمام النووي رحمه الله: « هَذَا مَحْمُولٌ عَلَى كَلَامِ الْآدَمِيِّ، وَإِلَّا فَالْقُرْآنُ أَفْضَلُ، وَكَذَا قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ أَفْضَلُ مِنَ التَّسْبِيحِ، وَالتَّهْلِيلِ الْمُطْلَقِ، فَأَمَّا الْمَأْثُورُ فِي وَقْتٍ، أَوْ حَالٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَالِاشْتِغَالُ بِهِ أَفْضَلُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»[(٢)].

٢-قوله: «**سبحان الله** »: قال ابن الملقن رحمه الله: «التسبيح في اللغة: تنزيه الله تعالى من النقائص: كالولد، والشريك، والصاحبة، فسبحان الله: براءته من ذلك»[(٣)]، قال النووي رحمه الله: «فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَعْنَاهُ بَرَاءَة وَتَنْزِيهًا لَهُ مِنْ كُلِّ نَقْص»[(٤)].

٣-قوله: «**والحمد لله**»: قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»[(٥)]، وقال الطيبي رحمه الله: «الحمد: الثناء على قدرته؛ ... فيشكر على ما أولى العباد بسبب الانتقال من النعم الدينية، والدنيوية ما لا يحصى»[(٦)].

---

(١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا عبد الله بن أبي زياد، برقم ٣٤٦٢، والطبراني في معاجمه الثلاثة: المعجم الكبير للطبراني، ١٠/ ١٧٣، برقم ١٠٣٦٣، والمعجم الأوسط، ٤/ ٢٧١، برقم ٤١٧٠، والمعجم الصغير، ١/ ٣٢٦، برقم ٥٣٩، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٠٥.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٤٩.

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٨/ ١٣٥.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٢٠١.

(٥) بدائع الفوائد، ٢/٥٣٧، وانظرها بتفصيل أكثر في شرح فوائد الحديث رقم ١٠٨ من أحاديث المتن، في الفائدة رقم ١.

(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة =

٤-قوله: «**ولا إله إلا الله**»: قال الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَقَوْلُهُ ﷺ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» إِظْهَارٌ لِلتَّوْحِيدِ، وَإِعْلَامٌ بِهِ، وَاسْتِدَامَةٌ لِلْإِيمَانِ بِهِ»[١]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... وفِي تَعقِيب التَّكبِير بِالتَّهلِيلِ إِشارَة إِلَى أَنَّهُ المُتَفَرِّد بِإِيجادِ جَمِيع المَوجُودات، وأَنَّهُ المَعبُود فِي جَمِيع الأَماكِن»[٢]، أي: المعبود بحق، وما سواه من المعبودات من أبطل الباطل، وهو على عرشه مستوٍ، استواء يليق بجلاله، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

٥-قوله: «**والله أكبر**»: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ: إِثْبَاتُ عَظَمَتِهِ؛ فَإِنَّ الْكِبْرِيَاءَ تَتَضَمَّنُ الْعَظَمَةَ، وَلَكِنَّ الْكِبْرِيَاءَ أَكْمَلُ»[٣].

٦-قوله: «**لا يضرك بأيهن بدأت**»: أي: بأي الكلمات بدأت أولًا[٤]، قال ابن علان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يحتمل أن يكتفي في ذلك بالمعنى، فيكون من اقتصر على بعضها كفي، لأن حاصلها التعظيم والتنزيه، ومن عظمه فقد نزهه، وبالعكس... وفي قوله: «**إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله**»، بناء على أن لفظ أفضل وأحب متساويان، لكن يظهر مع ذلك تفضيل لا إله إلا الله، لأنها ذكرت بالتنصيص عليها بالأفضلية الصريحة، وذكرت مع أخواتها بالأحبية، فحصل لها الفضل تنصيصاً، وانضماماً»[٥].

٧-قوله: «**ولا تسمَّيَنَّ غلامك يسارًا ، ولا رباحًا ، ولا نجيحًا ، ولا أفلح**»

=

رقم ١ من حديث المتن رقم ١٠٨.

(١) المنتقى شرح الموطأ، ٣/ ٧٧.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٨٩.

(٣) مجموع الفتاوى، ١٠/ ٢٥٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ١١ من مفردات حديث المتن رقم ٩٣.

(٤) العلم الهيب صـ ١٠٤، ١٠٥.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٧/ ٢٣٦.

قال القرطبي رحمه الله: «هذا نهي صحيح عن تسمية العبد بهذه الأسماء، لكنه على جهة التنزيه»[١]، وقال الطيبي رحمه الله: «قال أصحابنا: يكره التسمي بالأسماء المذكورة في الحديث، وما في معناها، وهي كراهة تنزيه، لا تحريم، والعلة فيها ما نبه ﷺ بقوله: «**أثم هو؟**» فيقول: «لا» فكره لشناعة الجواب»[٢].

٨-قوله: «**أثم هو؟**»: قال الطيبي رحمه الله: «معنى هذا أن الناس يقصدون بهذه الأسماء التفاؤل؛ لحسن ألفاظها، ومعانيها، وربما ينقلب عليهم ما قصدوه إلى الضد، وسألوا، فقالوا: أثم يساراً أو نجيح؟ فقيل: «لا»، فيتطيروا بنفيه، وأضمروا اليأس من اليسر وغيره، فنهاهم عن السبب الذي يجلب سوء الظن، والإياس من الخير، ... فإذا ابتلي رجل في نفسه، أو أهله ببعض هذه الأسماء فليحوله إلى غيره، فإن لم يفعل، وقيل: أثم، أو بركة؟ فإن من الأدب أن يقال: كل ما هنا يسر وبركة والحمدلله، ويوشك أن يأتي الذي تريده. ولا يقال: «ليس هنا»، ولا «خرج»،والله أعلم»[٣].

٩-قوله: «**إنما هن أربع، فلا تزيدن علي**»: قال القرطبي رحمه الله: « قوله: فلا تزيدن عليَّ، إنما هو من قول سمرة بن جندب، وإنما قال ذلك ليحقق: أن الذي سمعه من النبي ﷺ إنما هي الأربع، لا زيادة عليها؛ تحقيقاً لما سمع، ونفيًا لأن يقول ما لم يقل، ولئن سُلِّم أن ذلك من قول النبي ﷺ؛ فليس معناه المنع من القياس، بل: عن أن يقول اسمًا لم يقله، فإنَّ الفرع ملحق بأصله في الحكم، لا في القول»[٤].

١٠-قوله: «**ألا أخبرك**»: ألا: للتّنْبِيه، فتدل على تحقق مَا بعْدهَا، وَتدْخل

(١) المفهم ، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٧/ ١٣١.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠/ ٣٠٨٤.
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠/ ٣٠٨٤.
(٤) المفهم ، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٧/ ١٣٢.

على الجملتين ... وإِذا دخلت على النَّفْي أفادت التَّحْقِيق»[١]، «وأخبرك»: قال الفيومي رحمه الله: «اسم ما يُنقل، ويُتحدَّث به (خَبَرٌ)، والجمع أَخْبَارٌ، وأَخْبَرَنِي فلان بالشيء، فَخَبَرْتُهُ»[٢].

١١-قوله: «**لا شريك له**»: قال المناوي: «لا شريك له عقلاً ونقلاً، وأما الأول: فلأن وجود إلهين محال، كما تقرر في الأصول، وأما الثاني: فلقوله تعالى: ﴿**أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾[٣]»[٤].

١٢-قَوْلُهُ: «**لَهُ الْمُلْكُ**»: تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدِ، ...؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ»[٥].

١٣-قوله: «**وهو على كل شيء قدير**»: قال ابن جرير: «وهو على كل شيء ذو قدرة، لا يتعذّر عليه شيء أراده، من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من الأمور»[٦].

١٤-قوله: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»: قال ابن رجب رحمه الله: «لا تحول للعبد من حال إلى حال، ولاقوة له على ذلك إلا بالله، ... فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كلها ... فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه»[٧].

١٥-قوله: «**عاده**»: أي: زار المريض، «وكلُّ مَن أتاك مرَّة بعد أُخْرى،

---

(١)انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص ٩٥، وتقدمت مستوفاة في شرح المفردة رقم ٢ من حديث المتن رقم ٢٦٠.
(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ١٦٢، مادة (خبر).
(٣) سورة الكهف، الآية: ١١٠.
(٤) فيض القدير، ٥/ ٢٠٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢، من حديث المتن رقم ٦٧.
(٥) المنتقى، شرح الموطأ للباجي، ٣ / ٧٧، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ٩٢، شرح المفردة رقم ٣.
(٦) تفسير الطبري، ٢٣/ ١٦٥، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ٩٢، شرح المفردة رقم ٥.
(٧) جامع العلوم والحكم، ص ١٩٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٤ من حديث المتن رقم ٢٢.

فهو عائِد، وإن اشْتَهر ذلك في عيِاَدة المريض، حتى صار كأنَّه مُخْتَصٌّ به، وقد تكررت الأحاديث في عِيادة المريض»[١].

١٦-قوله: «بأبي أنت وأمي»: قال القاري رحمه الله: «أي: أفديك بهما، وأجعلهما فداءك، فضلاً عن غيرهما»[٢]

١٧-قوله: «مَا اصْطَفَى اللَّهُ لِمَلائِكَتِهِ»: قال ابن الجوزي رحمه الله: «الْمَعْنى: اخْتَار، وصفوة الشَّيْء: خالصه... قَالَ الزّجاج: اصْطفى فِي اللُّغَة بِمَعْنى اخْتَار»[٣].

١٨-قوله: «تبارك اسمك»: أي: كثرت بركته في السموات والأرض؛ فبه تجلب النعم وترفع النقم، فـ«يراد به أن البركة في اسمك وفيما سمي عليه يدل على أن ذلك صفة لمن تبارك فإن بركة الاسم تابعة لبركة المسمى ولهذا كان قوله تعالى: «﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[٤] دليلاً على أن الأمر بتسبيح الرب بطريق الأولى فإنَّ تنزيه الاسم من توابع تنزيه المسمى»[٥].

١٩-قوله: «وتعالى جدّك»: قال الإمام النووي رحمه الله: «مفتوح الجيم، أي: ارتفعت عظمتك، وقيل المراد بالجدّ: الغِنى، وكلاهما حسن، ولم يذكر الخطابي إلا العظمة، ومنه قوله تعالى إخبارًا عن الجن: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾[٦]، أي عظمته»[٧].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٦٠١، مادة (عود)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من مفردات حديث المتن، رقم ١٤٩.
(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣٢٧، وتقدم في المفردة رقم ٣٣ في شرح حديث المتن رقم ١٦٥.
(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٤/ ١٣٥.
(٤) سورة الواقعة، الآية: ٩٦.
(٥) جلاء الأفهام، ص ٣٠٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ٢٨.
(٦) سورة الجن، الآية: ٣.
(٧) تهذيب الأسماء واللغات، ٣/ ٤٨، وتقدم في حديث المتن رقم ٢٨، المفردة رقم ٤.

٢٠-قوله: «**أبغض الكلام إلى الله**»: قال الفيومي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْبُغْضُ: ضِدُّ الْحُبِّ، وَقَدْ بَغُضَ الرَّجُلُ أَيْ: صَارَ بَغِيضًا، وَبَغَّضَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ تَبْغِيضًا، فَأَبْغَضُوهُ، أَيْ: مَقَتُوهُ فَهُوَ مُبْغَضٌ، وَالْبَغْضَاءُ: شَدَّةُ الْبُغْضِ»[(١)].

٢١-قوله: «**اتق الله**»: قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: إِذَا وُعِظَ ... فِي مَقَالِهِ وَفِعَالِهِ، وَقِيلَ لَهُ: اتَّقِ اللَّهَ، وَانْزَعْ عَنْ قَوْلِكَ وَفِعْلِكَ، وَارْجِعْ إِلَى الْحَقِّ امْتَنَعَ وَأَبَى»[(٢)]، وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا المفسد في الأرض بمعاصي الله، إذا أمر بتقوى الله تكبر وأنف، و﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ﴾ فيجمع بين العمل بالمعاصي، والكبر على الناصحين»[(٣)].

٢٢-قوله: «**عليك نفسك**»: قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَعَلَيْكُمْ اسْمُ فِعْلٍ بِمَعْنَى الْزَمُوا، وَذَلِكَ أَنَّ أَصْلَهُ أَنْ يُقَالَ: عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا... فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ**﴾ هُوَ- بِنَصْبِ أَنْفُسَكُمْ- أَيِ: الْزَمُوا أَنْفُسَكُمْ، أَيِ: احْرِصُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ»[(٤)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-بيان فضل هذه الكلمات لاشتمالها على التنزيه والتحميد والتوحيد والتمجيد، وكل هذا من محاب الله التي تجلب رضا الله عن قائلها.

٢-عدم اشتراط ترتيب هذه الكلمات فتارة يقدم التحميد على التسبيح، وتارة يقدم التكبير وتارة يؤخر وكله جائز؛ لقوله ﷺ: «**لا يضرك بأيهن بدأت**»[(٥)].

٣-قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ لأنها جامعة لجميع معاني أنواع الذكر من توحيد، وتنزيه، وصنوف أقسام

(١) مختار الصحاح، ص ٣٧، مادة (بغض).
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ٥٦٤.
(٣) تفسير السعدي، ص ٩٤.
(٤) التحرير والتنوير، ٧/ ٧٦.
(٥) مسلم، برقم ٢١٣٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

الحمد والثناء، ومشيرة إلى جميع الأسماء الحسنى؛ لأنها إما ذاتية كالله، أو جمالية كالمحسن، أو جلالية كالكبير، فأشير للأول بالتسبيح؛ لأنه تنزيه للذات، وللثاني بالتحميد؛ لأنه يستدعي النعم، وللثالث بالتكبير، وذكر التهليل لما قيل إنه تمام المئة في الأسماء، وأنه اسم الله الأعظم، وهو داخل في أسماء الجلال، «**لا يضرك**» أيها المتكلم بهن في حصول الثواب على الإتيان بهن «**بأيهن بدأت**» لاستقلال كل واحدة من الجمل، لكن هذا الترتيب حقيق بأن يراعى؛ لأن الناظر المتدرج في المعارف، يعرفه سبحانه أولاً بنعوت الجلال التي هي تنزيه ذاته عما يوجب حاجة، أو نقصاً، ثم بصفات الإكرام، وهي الصفات الثبوتية التي بها استحق الحمد، ثم يعلم أن من هذا شأنه، لا يماثله غيره، ولا يستحق الألوهية سواه، فيكشف له من ذلك أنه أكبر ... قوله لا يضرك بعد إيراده الكلمات على النسق، والترتيب يشعر بأن العزيمة أن يراعى الترتيب والعدول عنه رخصة، ورفع للحرج»[1].

٤-قال القرطبي صاحب المفهم رحمه الله: «هذا نهي صحيح عن تسمية العبد بهذه الأسماء، لكنه على جهة التنزيه...يعني: أراد أن ينهى عن ذلك نهي تحريم، وإلا فقد صدر النهي عنه على ما تقدَّم، لكنه على وجه الكراهة التي معناها: أن ترك المنهي عنه أولى من فعله؛ لأنَّ التَّسمية بتلك الأسماء تؤدي إلى أن يسمع الإنسان فألاً ما يكرهه»[2].

٥-قال القاضي عياض رحمه الله: «نهانا رسول الله ﷺ: أن نسمى رقيقنا بأربعة أسماء: أفلح، ورباح، ويسار، ونافع، وفي الحديث الآخر: نجيحًا، مكان نافع، وفي حديث جابر: نهانا أن يسمى بيعلى، أو بركة، وأفلح، ويسار،

---

(١) فيض القدير، ١/ ١٧٣.

(٢) المفهم ، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٧/ ١٣١.

ونافع، ونحو ذلك، وفي بعض نسخ مسلم: يعلى مكان مقبل، والأشبه أنه تصحيف، والمعروف: مقبل... دل اختلاف هذه الروايات مع قوله: «ونحو ذلك» على أنه لم يختص هذه الأسماء المنصوصة، بل في معناها؛ للعلة التي ذكرت في الحديث في كتاب مسلم من قوله: «أثم؟» فلا يكون فيقول: «لا» بينه في غير مسلم، يعني: يقال: أثَمَّ أفلح، أو نجيح؟، فيقال: لا»[1].

***

٢٦٢-[٩] جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلاماً أَقُولُهُ: قَالَ: «**قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيراً، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**» قَالَ: فَهَؤُلاَءِ لِرَبِّي، فَمَا لِي؟ قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي**»[٢].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٥٧-لفظ مسلم عَنْ سَعْدِ بنِ أبي وقاص رضي الله عنه[٣] قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ عَلِّمْنِي كَلاَمًا أَقُولُهُ، قَالَ: «**قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**»، قَالَ: فَهَؤُلاَءِ لِرَبِّي فَمَا لِي؟ قَالَ: «**قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي،**

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٧/ ١٢.

(٢) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التسبيح والدعاء، برقم ٢٦٩٦، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يجزئ الأمي والأعجمي من القراءة، برقم ٨٣٢.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٩٦ من أحاديث الشرح.

وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي»، قَالَ مُوسَى: أَمَّا عَافِنِي، فَأَنَا أَتَوَهَّمُ وَمَا أَدْرِي»[(١)].

١٠٥٨-وحديث أبي داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى ﷺ[(٢)]، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا، فَعَلِّمْنِي مَا يُجْزِئُنِي مِنْهُ، قَالَ: « **قُلْ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا لِلَّهِ ﷻ، فَمَا لِي؟ قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي، وَارْزُقْنِي، وَعَافِنِي، وَاهْدِنِي**» فَلَمَّا قَامَ قَالَ: هَكَذَا بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ مَلَأَ يَدَهُ مِنَ الْخَيْرِ**»[(٣)].

١٠٥٩-وحديث البيهقي عَنْ أَنَسِ بن مالك ﷺ[(٤)] قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي خَيْرًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ، فَقَالَ: «**قُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ**»، قَالَ: فَعَقَدَ الْأَعْرَابِيُّ عَلَى يَدِهِ، وَمَضَى، فَتَفَكَّرَ ثُمَّ رَجَعَ، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**تَفَكَّرَ الْبَائِسُ**» فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا لِلَّهِ، فَمَا لِي؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَعْرَابِيُّ إِذَا قُلْتَ: سُبْحَانَ اللهِ، قَالَ اللَّهُ: صَدَقْتَ، وَإِذَا قُلْتَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ قَالَ اللهُ: صَدَقْتَ، وَإِذَا قُلْتَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَالَ اللهُ: صَدَقْتَ، وَإِذَا قُلْتَ: اللهُ أَكْبَرُ قَالَ اللهُ: صَدَقْتَ، وَإِذَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي قَالَ اللَّهُ: فَعَلْتُ، وَإِذَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي قَالَ اللهُ: فَعَلْتُ، وَإِذَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي قَالَ اللَّهُ: قَدْ فَعَلْتُ**» قَالَ: فَعَقَدَ الْأَعْرَابِيُّ عَلَى سَبْعٍ فِي يَدِهِ ثُمَّ وَلَّى»[(٥)].

---

(١) مسلم، برقم ٢٦٩٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٥٦ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٨٣٢، وحسنه محقق سنن أبي داود، ٢/ ١٢٤، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٥٦١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٥) البيهقي في شعب الإيمان، ٢/ ١٣٤، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٧/ ١٠٠٥، برقم ٣٣٣٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**جاء أعرابي**»: الأعراب هم سُكَّان البادية، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأَعْرَاب: ساكنُو الْبَادِيَةِ مِنَ العَرَب الَّذِينَ لَا يُقِيمُون فِي الأمصارِ، وَلَا يَدْخُلُونَها إِلَّا لحاجةٍ»[(١)].

٢-قوله: «**علمني كلامًا**»: أي: أذكر به ربي، قال العظيم أبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: علمني شيئاً يكون لي فيه دعاء، واستغفار، وأذكره لي عند ربي»[(٢)].

٣-قوله:«**لا إله إلا الله**»: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني: لا معبود بحق إلا الله تَعَالَى، وألوهية الله فرع عن ربوبيته »[(٣)].

٤-قوله: «**وحده لا شريك له**»، قال المناوي: «لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً»[(٤)].

٥-قوله: «**الله أكبر**»: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ: إثْبَاتُ عَظَمَتِهِ؛ فَإِنَّ الْكِبْرِيَاءَ تَتَضَمَّنُ الْعَظَمَةَ، وَلَكِنَّ الْكِبْرِيَاءَ أَكْمَلُ»[(٥)].

٦-**قوله**: «**الله أكبر كبيرًا**»: قال ابن هبيرة رَحِمَهُ اللَّهُ: «والذي ذكر سيبويه أن أكبر بمعنى كبير؛ لأن أكبر من باب أفعل، وليس لله مثل، ولا أراه في هذا، إلا أنه تأكيد لمعنى إعراب هذه الكلمة، فالمعنى الله أكبر، أعني كبيرًا، فجاء هذا كالتفسير لقول: الله أكبر»[(٦)].

٧-قوله: «**الحمد لله كثيراً**»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحمد: الثناء على قدرته؛ ...

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٢٠٢، مادة (عرب).
(٢) عون المعبود، ٣/ ٤٣.
(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ٩٢، شرح المفردة رقم ١.
(٤) فيض القدير، ٥/ ٢٠٠، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ٩٢، شرح المفردة رقم ٢.
(٥) مجموع الفتاوى، ١٠/ ٢٥٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ١١ من مفردات حديث المتن رقم ٩٣.
(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح، ١/ ٣٥٥.

فيشكر على ما أولى العباد بسبب الانتقال من النعم الدينية، والدنيوية ما لا يحصى»[١]، وقال ابن هبيرة رحمه الله: «كثيرًا ها هنا: صفة مصدر محذوف بتقدير فعل، يأتي المصدر مؤكدًا له، والنكرة في هذا المقام أعم من المعرفة»[٢].

٨-قوله: «**سبحان الله رب العالمين**»: قال ابن الأثير رحمه الله: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعاً ... ، فمعنى سبحان الله: تنزيه الله»[٣]، وقال ابن هبيرة رحمه الله: «التسبيح: التبرئة، فأما العالمون: فجمع عالم ... فإنها تكون مشيرة إلى معنى الدليل... فالعالمون الدالون على الله عز وجل»[٤].

٩-قوله: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**»: قال ابن رجب رحمه الله: «لا تحول للعبد من حال إلى حال، ولاقوة له على ذلك إلا بالله، ... فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كلها ... فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه»[٥].

١٠-قوله: «**العزيز الحكيم**»: قال ابن كثير رحمه الله: «أَي: الْعَزِيزُ الذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْحَكِيمُ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، فَيَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَحَالِّهَا؛ وَحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ»[٦]، وقال العلامة السعدي رحمه الله: «الْعَزِيزُ: أي: القاهر لكل شيء، الذي لا يمتنع على قوته شيء، الْحَكِيمُ: الذي يضع الأشياء مواضعها»[٧].

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ١٠٨.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ١/ ٣٥٥.

(٣)النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠، مادة (سبح).

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ١/ ٣٥٥.

(٥) جامع العلوم والحكم، ص ١٩٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨ من حديث المتن رقم ٢٢.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ١/ ٤٤٥.

(٧) تفسير السعدي، ص ٦٦.

١١-قوله: «**فهؤلاء لربي**»: أي: أثني عليه بهذه الكلمات المباركات، قال القرطبي رحمه الله: «أي: هؤلاء الكلمات هي حق الله تعالى؟ إذ هي أوصافه»[١].

١٢-قوله: «**فما لي؟**»: أي: من الدعوات التي أدعو بها ربي عز وجل، قال القرطبي رحمه الله: «أي: فما الذي أذكره لحقي وحظي؟ فدله ﷺ على دعاء يشمل له مصالح الدنيا والاخرة»[٢]، وقال القاري رحمه الله: «فماذا لي؟ أي: علمني شيئاً يكون لي فيه دعاء، واستغفار، وأذكره لي عند ربي»[٣].

١٣-قوله: «**قل: اللَّهم اغفر لي**»: أي: ذنوبي كلها ما علمت منها، وما لم أعلم، قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «لا خلاف أن لفظة: (اللهمّ) معناها يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب ...»[٤]، و«**اغفر لي**»: قال الإمام النوي رحمه الله: «ومعنى سؤاله ﷺ المغفرة، مع أنه مغفور له، أنه يسأل ذلك تواضعاً، وخضوعاً، وإشفاقاً، وإجلالاً؛ وليقتدى به في أصل الدعاء، والخضوع، وحسن التضرع في هذا الدعاء المعين»[٥].

١٤-قوله: «**وارحمني**»: أي: بترك المعاصي والوقوع في الموبقات، قال ابن هبيرة رحمه الله: « فأراد الرحمة بعد المغفرة ليتكامل التطهير؛ ثم علمه طلب الهداية، وهي شاملة لأمور كثيرة منها: حسن الطلب من الله عز وجل»[٦]، وقال المناوي رحمه الله: «تفضَّل عليَّ، وأحسن إليَّ، وزدني إحساناً على المغفرة»[٧].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢٢/ ٨٣.
(٢) المفهم، ٢/ ٢١١.
(٣) مرقاة المفاتيح، ٣/ ٤٥٤.
(٤) جلاء الأفهام، ص ١٤٣، وتقدم شرح المفردة مستوفى في المفردة رقم ٦ من الحديث رقم ١ من أحاديث المتن.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٥٦، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ١٠ من شرح مفردات الحديث رقم ٧٩ من أحاديث المتن.
(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح، ١/ ٣٥٧.
(٧) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٥٢٣.

١٥-قوله: «**واهدني**»: أي: ثبتني على دين الإسلام، أو دلني على متابعة الأحكام، قال القرطبي رحمه الله: «واهدني إلى السبيل الموصل إليك»[(١)].

١٦-قوله: «**وارزقني**»: أي: رزقًا حلالًا، طيبًا، كافيًا، مغنيًا عن الأنام[(٢)]، قال القرطبي رحمه الله: «وارزقني ما أستعين به على ذلك، ويغنيني عن غيرك»[(٣)].

١٧-قوله: «**وعافني**»: قال المناوي رحمه الله: «أي سلمني من المكاره فيه؛ لئلا يشغلني شاغل، أو يعوقني عائق عن كمال القيام بعبادتك»[(٤)].

١٨-قوله: «**فَعَلِّمْنِي مَا يُجْزِئُنِي مِنْهُ**»: قال العيني رحمه الله: «أي: ما يكفيني من القرآن»[(٥)].

١٩-قوله: «**إلا من قال هكذا**»: قال الطيبي رحمه الله: «العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال، وتطلقه على غير الكلام... وقال في الحديث بمعنى: أشار»[(٦)]، وفي الرواية إشارة إلى قبضته: «فَعَقَدَ الْأَعْرَابِيُّ عَلَى يَدِهِ، وَمَضَى»، أو« فَعَقَدَ الْأَعْرَابِيُّ عَلَى سَبْعٍ فِي يَدِهِ ثُمَّ وَلَّى»، وفي بعض رواياته: «فقبض»، ولذلك قال الطيبي رحمه الله: « ويؤيد ما ذكرنا من أن مطلوبه ما يجعله ورداً له لا يفارقه أبداً- قبضة يديه، أي: إني لا أفارقها مادمت حياً، وما أحسن التجاوب الذي بيَّن الأخذ في مفتتح الحديث، والقبض في مختتمه»[(٧)].

٢٠-قوله: «**أتوهم وما أدري**»: قال الفيومي رحمه الله: «وَتَوَهَّمْتُ: أَيْ: ظَنَنْتُ

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢٢/ ٨٣.
(٢) انظر: عون المعبود، ٢/ ٨٣.
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢٢/ ٨٣.
(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٦٧.
(٥) شرح أبي داود للعيني، ٤/ ١٤.
(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٥٢٧، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٢٢ من مفردات حديث المتن رقم ٢٦٠.
(٧) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ١٠٠٩.

وَوَهِمَ فِي الْحِسَابِ يَوْهَمُ وَهَمًا مِثْلُ غَلِطَ يَغْلَطُ غَلَطًا»[1]، و«أدري»: قال الفيومي رحمه الله: «دَرَيْتُ الشَّيْءَ دَرْيًا مِنْ بَابِ رَمَى، وَدِرْيَةً وَدِرَايَةً عَلِمْتُهُ»[2].

٢١-قوله: «**لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا**»: قال الفيومي رحمه الله: «إني لا أستطيع أن أحفظ شيئاً من القرآن، وأتخذه ورداً لي، فأقوم به آناء الليل، وأطراف النهار، فلما علمه ما فيه تعظيم الله تعالى، طلب ما يحتاج إليه، ويختص به من الرحمة، والعافية، والهداية، والرزق»[3].

٢٢-قوله: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ مَلأَ يَدَهُ مِنَ الْخَيْرِ**»: قال القاري رحمه الله: «كناية عن أخذه مجامع الخير، بامتثاله لما أمر به، ويصح أن يكون المشير هو ﷺ حملاً له على الامتثال، والحفظ لما أمر به، وحينئذ فيكون معنى قوله فقال رسول الله إنه فهم من ذلك الرجل الامتثال، فبشره ومدحه بأنه ظفر بما لم يظفر به غيره»[4].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-حرص الرسول ﷺ على تعليم السائل أمر التوحيد، والذي هو حق الله على العباد، فبدأ به؛ لأنه الأهم، ثم أعقبه بالمهم: الثناء على الله بما هو أهله.

٢-استحباب تقديم الحمد، والثناء بين يدي الدعاء، وهذا دليل على حسن أدب العبد مع ربه ﷻ، وهو متكرر في السنة الصحيحة[5].

٣-من فقه الداعي أن يبدأ بسؤال ما ينفعه في الآخرة من المغفرة والرحمة والهداية قبل سؤال الرزق الذي هو مقدر للعبد كأجله.

٤-جاء عند أبي داود أن هذا الأعرابي لما قام من هذا المجلس قال هكذا

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢/ ٦٧٤، مادة (وهم).
(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ١٩٤، مادة (دري).
(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ١٠٠٩.
(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/ ٣٩٧.
(٥) انظر أدعية الاستفتاح من هذا الكتاب، وهي الأحاديث في المتن رقم ٢٧، و٢٨، و٢٩، و٣٠، و٣١، و٣٢.

بيده، فقال رسول ﷺ: «**أما هذا فقد ملأ يده من الخير**»[١]، قال ابن حجر المكي الفقيه: ثم بين الراوي المراد بالإشارة هو حفظ ما أمره به رسول الله ﷺ كما يحفظ الشيء النفيس بقبض اليد عليه والمراد بالخير أي: أن هذا الأعرابي إن فعل ما أمره به رسول الله ﷺ فقد نال مجامع الخير[٢].

٥-جاء في بداية رواية أبي داود أن الرجل قال: يا رسول الله إني لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئًا، فعلمني ما يجزئني منه، فذكر الحديث... قال الخطابي: وهذا في حق من لا يحسن قراءة الفاتحة لعجز في طبعه أو سوء حفظ أو عجمة لسان أو آفة تعرض له لأن الأصل أن الصلاة لا تجزئ إلا بقراءة الفاتحة[٣].

***

٢٦٣-(١٠) كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ الصَّلاَةَ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرِ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي**»[٤].

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٦٠-عنْ طارق بن أشيم ﷺ[٥]، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ، عَلَّمَهُ النَّبِيُّ

(١) أبو داود، برقم ٨٣٢، وحسنه شعيب الأرناؤوط محقق سنن أبي داود، ٢/ ١٢٤، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٥٦١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢)انظر: عون المعبود، ٣/ ٤٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، برقم ٣٥-(٢٦٩٧)، ورقم ٣٦-(٢٦٩٧).

(٥) طارق بن أشيم بن مسعود الأشجعي، والد أبي مالك الأشجعي ﷺ، ذكرته طائفة في الصحابة وهو معدود في الكوفيين؛ لأنه سكن فيها، قال مسلم: تفرد ابنه بالرواية عنه وله عنده حديثان، قال =

ﷺ الصَّلَاةَ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي**»[١].

١٠٦١-وفي رواية عَنْ طارق بن أشيم، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ أَقُولُ حِينَ أَسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: «**قُلْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي**»، وَيَجْمَعُ أَصَابِعَهُ إِلَّا الْإِبْهَامَ، «**فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ**»[٢].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**إذا أسلم**»: أي: ترك الكفر، ودخل في الإسلام بالنطق بالشهادتين، وذكر الإمام ابن كثير الدخول في الإسلام، والقيام بأداء واجباته، وبأن الله ﷻ نبه بأعلاها على أدناها، فإن أشرف الأركان بعد الشهادة الصلاة، التي هي حق الله ﷻ، وبعدها أداء الزكاة التي هي نفع متعد إلى الفقراء، والمحاويج، وهي أشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين...[٣].

٢-قوله: «**علمه الصلاة**»: أي: المفروضة من حيث العدد والكيفية، قال القاري رحمه الله: «أَيْ: جِنْسَ مَسَائِلِ الصَّلَاةِ: مِنْ شُرُوطِهَا، وَأَرْكَانِهَا، أَوِ الصَّلَاةَ الَّتِي تَحْضُرُهُ، فَإِنَّهُ فَرْضُ عَيْنِهِ»[٤]، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «فكان النبي ﷺ يعلم الرجل إذا أسلم كيف يصلي، ويأمره بهذا»[٥].

=

الحافظ ابن حجر: وفي ابن ماجه أحدهما، الاستيعاب لابن عبد البر، ٢/ ٧٥٤، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر م ٣/ ٥٠٧.

(١) مسلم، برقم ٣٥-(٢٦٩٧)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، برقم ٣٦-(٢٦٩٧)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ٤/ ١١١.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٥/ ١٧٢٢.

(٥) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم (١٤٦٩).

٣-قوله: «**أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات**» قال المباركفوري رحمه الله: «لكونها جامعة لجميع خيرات الدنيا والآخرة»[(١)].

٤-قوله: «**اللَّهم**»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «لا خلاف أن لفظة: (اللهمّ) معناها يا الله»[(٢)].

٥-قوله: «**اغفر لي**»: أي: استرني بمحو ذنوبي مع التجاوز عن المؤاخذة، ومناقشة الحساب، قال ابن منظور: «وَمِنْهُ: غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ أَي: سَتَرَهَا ... والغَفْرُ، والمَغْفِرةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ، والعفوُ عَنْهَا»[(٣)].

٦-قوله: «**وارحمني**»: قال ابن هبيرة رحمه الله: « فأراد الرحمة بعد المغفرة ليتكامل التطهير؛ ثم علمه طلب الهداية»[(٤)]، وقال المناوي رحمه الله: «تفضَّل عليَّ، وأحسن إليَّ، وزدني إحساناً على المغفرة»[(٥)].

٧-قوله: «**واهدني**»: قال القرطبي رحمه الله: «واهدني إلى السبيل الموصل إليك»[(٦)].

٨-قوله: «**وارزقني**»: أي: رزقًا حلالًا، طيبًا، كافيًا، مغنيًا عن الأنام[(٧)]، قال الإمام القرطبي رحمه الله: «وارزقني ما أستعين به على ذلك، ويغنيني عن غيرك»[(٨)].

٩-قوله: «**وعافني**»: أي: في الدنيا والآخرة والعفو هو التجاوز مع الصفح[(٩)]، قال المناوي رحمه الله: «أي: سلمني من المكاره فيه؛ لئلا يشغلني

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٢٥٠.
(٢) جلاء الأفهام، ص ١٤٣، وتقدم شرح المفردة مستوفى في المفردة رقم ٦ من الحديث رقم ١ من أحاديث المتن.
(٣) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من أحاديث المتن رقم ٤٨.
(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ١/ ٣٥٧.
(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٥٢٣.
(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢٢/ ٨٣.
(٧) انظر: عون المعبود، ٢/ ٨٣.
(٨) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢٢/ ٨٣.
(٩) سبق شرح بقية الألفاظ في الحديث السابق.

شاغل، أو يعوقني عائق عن كمال القيام بعبادتك»[١].

١٠-قوله: «**فإن هؤلاء**» قال الصنعاني رحمه الله: «**الكلمات** «**تجمع لك دنياك وآخرتك**» لاشتمالها على مطالب الدارين»[٢].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-بيان عظيم شأن الصلاة في الإسلام ويشهد لذلك قول النبي ﷺ في حديث جبريل المشهور: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»[٣].

والمراد بإقامتها مع فعل الشروط والأركان والواجبات وتكمل بسننها في الفريضة والنافلة.

٢-استحباب الدعاء بهذه الدعوات المباركات وقد جاء في بعض ألفاظ الحديث قول النبي ﷺ: «**فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك**»[٤].

٣-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «خمس كلمات يعلمها النبي ﷺ الرجل إذا أسلم: اللهم اغفر لي: يعني: الذنوب، والكافر إذا أسلم غفر الله له ذنوبه... ولكن مع ذلك طلب المغفرة يستمر حتى بعد الإسلام، فيكون من كل مسلم؛ لأن الإنسان لا يخلو من الذنوب... وارحمني يعني أسبغ علي رحمتك، ففيه طلب المغفرة، والمغفرة النجاة من السيئات، والآثام، والعقوبات، وفيه طلب الرحمة والرحمة حصول المطلوبات؛ لأن الإنسان لا

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١٦٧.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٨٢.

(٣) مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان...، برقم ٨.

(٤) مسلم، برقم ٢٦٩٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

يتم له الأمر إلا إذا نجا من المكروب، وفاز بالمطلوب، واهدني، وقد سبق لنا بيان معنى الهداية أنها هداية علم وبيان، وهداية توفيق، ورشد، وعافني، وارزقني، عافني أي: من كل مرض، والأمراض نوعان: مرض قلبي... ومرض جسمي في الأعضاء في البدن، وإذا سألت الله العافية، فالمراد من هذا، ومن هذا، ومرض القلب أعظم من مرض البدن؛ لأن مرض البدن إذا صبر الإنسان، واحتسب الأجر من الله صار رفعة في درجاته، وتكفيراً لسيئاته، والنهاية فيه الموت، والموت مآب كل حي، ولابد منه»[1].

***

٢٦٤-[11] «أَفضَلُ الذِّكْرِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ»[2].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٦٢-لفظ الترمذي وابن ماجه عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما[3]، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لِلَّهِ**»[4].

١٠٦٣-ولفظ البيهقي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث ١٤٩٦.

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، برقم ٣٣٨٣، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، برقم ٣٨٠٠، والبيهقي في شعب الإيمان، ٦/ ٢١٣، والأسماء والصفات للبيهقي، ١/ ٢٠٦، برقم ١٩٢، والشكر، لابن أبي الدنيا، ص ٣٧، والحاكم، ١/٥٠٣، وصححه ووافقه الذهبي، وغيرهم، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ١١٠٤، وفي صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٥٢٦.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧٢ من أحاديث الشرح.

(٤) الترمذي، برقم ٣٣٨٣، وابن ماجه، برقم ٣٨٠٠، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ١١٠٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

«أَفْضَلُ الدُّعَاءِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الذِّكْرِ الْحَمْدُ لِلَّهِ»[١].

١٠٦٤-وعَنْ مُطَرِّفٍ رَحِمَهُ اللهُ[٢]، قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ إِنِّي لَأُحَدِّثُكَ بِالْحَدِيثِ الْيَوْمَ لِيَنْفَعَكَ اللَّهُ بِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ: اعْلَمْ أَنَّ «خَيْرَ عِبَادِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْحَمَّادُونَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَنْ تَزَالَ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلُوا الدَّجَّالَ، وَاعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَعْمَرَ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِهِ فِي الْعَشْرِ، فَلَمْ تَنْزِلْ آيَةٌ تَنْسَخُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَنْهَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى مَضَى لِوَجْهِهِ، ارْتَأَى كُلُّ امْرِئٍ بَعْدَمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْتَئِيَ»[٣].

١٠٦٥-وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «التَّأَنِّي مِنَ اللهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا شَيْءٌ أَكْثَرَ مَعَاذِيرَ مِنَ اللهِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنَ الْحَمْدِ»[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**أفضل الذكر: لا إله إلا الله**»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: الذكر «إنما جعل التهليل أفضل الذكر؛ لأن لها تأثيراً في تطهير الباطن عن الأوصاف الذميمة التي هي معبودات في باطن الذاكر»[٥].

٢-قوله: «**أفضل الدعاء: الحمد لله**»: أي: أتمه، وأكمله، قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: « فإن الذكر كله دعاء»[٦]، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «أفضل الدعاء؛ لأن الدعاء عبارة عن ذكر الله، وأن يطلب منه حاجته»[٧].

---

(١) البيهقي في شعب الإيمان، ٦/ ٢١٣، والشكر، لابن أبي الدنيا، ص ٣٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) مطرف بن عبد الله تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٣٦ من أحاديث الشرح.
(٣) مسند أحمد، ٣٣/ ١٢٥، برقم ١٩٨٩٥، والطبراني في الكبير، ١٨/ ٢١١، وصححه محققو المسند، والألباني في صحيح الجامع، برقم ١٥٧١.
(٤) مسند أبي يعلى، ٧/ ٢٤٧، ٤٢٥٦ ، والبيهقي، ٤٠٥٨، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصَّحِيحَة، برقم ١٧٩٥.
(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٢٥.
(٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٦/ ٤٣.
(٧) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٢٦.

٣-قوله: «**الحمد لله كثيراً**»: قال الطيبي رحمه الله: «الحمد: الثناء على قدرته؛ ... فيشكر على ما أولى العباد بسبب الانتقال من النعم الدينية، والدنيوية ما لا يحصى»(١)، وقال ابن هبيرة رحمه الله: «كثيرًا ها هنا: صفة مصدر محذوف بتقدير فعل، يأتي المصدر مؤكدًا له، والنكرة في هذا المقام أعم من المعرفة»(٢).

٤-قوله:«**لا إله إلا الله**»: أي: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «يعني: لا معبود بحق إلا الله عز وجل، وألوهية الله فرع عن ربوبيته »(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-بيان فضيلة الحمد لأن حمد الله يتضمن أصلين عظيمين، الأول الإخبار بمحامده عز وجل وصفات كماله، والثاني محبة الله والشوق إليه.

٢-على المسلم أن يكثر من حمد الله بلسانه وقلبه وجوارحه.

٣-قال شيخ الإسلام رحمه الله: فسمى الحمد لله دعاء، وهو ثناء محض؛ لأن الحمد متضمن الحب والثناء، والحب أعلى أنواع الطلب، فالحامد طالب للمحبوب، فهو أحق أن يسمى داعيًا من السائل الطالب، فالحمد دعاء على الحقيقة(٤) .

٤-لكلمة التوحيد أثر عظيم في تطهير النفس عن كل وصف مذموم فهي تعلق القلب بالله وحده لمن فهم معناها وجاهد نفسه عليها فلابد من العلم والاعتقاد والنطق والإخبار بأنه لا معبود بحق إلا هو ولا تنفع هذه الكلمة قائلها حتى يكفر ويبغض ويتبرأ من عبادة الطواغيت، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ

---

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ١٠٨.
(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ١/ ٣٥٥.
(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٦٠.
(٤) مجموع الفتاوى (١٥/١٩).

سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١] وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[٢]؛ فلذلك جعلت أفضل الذكر.

٥-قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِيهِ تَفْضِيلُ الدُّعَاءِ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ، وَتَفْضِيلُ الْأَيَّامِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلَا يُعْرَفُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِتَوْقِيفٍ... وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الذِّكْرِ، فَقَالَ مِنْهَا قَائِلُونَ: أَفْضَلُ الْكَلَامِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَاحْتَجُّوا بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَمَا كَانَ مِثْلُهُ فَإِنَّهَا كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَقَالَ آخَرُونَ: أَفْضَلُ الذِّكْرِ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، فَفِيهِ مَعْنَى الشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ، وَفِيهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ مَا فِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ اللَّهَ افْتَتَحَ بِهِ كَلَامَهُ، وَخَتَمَ بِهِ، وَأَنَّهُ آخِرُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَنَّةِ»[٣].

***

٢٦٥-[١٢] «الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ»[٤].

الشـــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٦٦-لفظ أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه[٥]، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ» قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمِلَّةُ»،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

(٢) سورة الحج، الآية: ٦٢.

(٣) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٨/ ١٥٦.

(٤) أحمد، ١٨/ ٢٤١، برقم ١١٧١٣، والنسائي وفي الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من سبح الله مائة تسبيحة، وتحميدة، وتكبيرة، برقم ١٠٦٤٨ من رواية أبي سعيد رضي الله عنه، وحسنه لغيره محققو المسند، وصححه ابن حبان، برقم ٨٤٠، والحاكم، ١/ ٥٤١. وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦/ ٤٨٥، وفي صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١١٢، برقم ١٥٦٧.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح.

قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمِلَّةُ»، قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «التَّكْبِيرُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»[١].

١٠٦٧-وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا عَلَى الْأَرْضِ رَجُلٌ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، إِلَّا كُفِّرَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ، وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ»[٢].

١٠٦٨-وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُذُوا جُنَّتَكُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ عَدُوٍّ قَدْ حَضَرَ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ جُنَّتُكُمْ مِنَ النَّارِ قَوْلُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُجَنِّبَاتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ»[٣].

١٠٦٩- ولفظ الحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُذُوا جُنَّتَكُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: مِنْ عَدُوٍّ قَدْ حَضَرَ؟ قَالَ: «لَا جُنَّتَكُمْ مِنَ النَّارِ، قُولُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهَا يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُنْجِيَاتٍ، وَمُقَدِّمَاتٍ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ»[٤].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**الباقيات الصالحات**»: أي: الأعمال الصالحة الخالصة الصائبة هي التي يبقى أجرها؛ لينتفع بها فاعلها بعد موته، ويوم القيامة، قال ابن العربي رحمه الله: «الباقيات الصّالحات: كلّ عملٍ صالحٍ، وهو الّذي وعد بالثّواب عليه»[٥].

---

(١) أحمد، ١٨/ ٢٤١، برقم ١١٧١٣، وحسنه لغيره محققو المسند، وصححه ابن حبان، برقم ٨٤٠، والحاكم، ١/ ٥٤١. وصححه بشواهده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٣٢٦٤.

(٢) السنن الكبرى للنسائي، برقم ١٠٥٨٩، ومسند أحمد، ١١/ ١٥، برقم ٦٤٧٩، وحسنه محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٥٦٣٦.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى، برقم ١٠٦٨٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٢١٤.

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى، برقم ١٠٦٨٤، والحاكم، ١/٧٢٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٢١٤.

(٥) المسالك في شرح موطأ مالك، ٣/ ٤٣١.

٢-قوله: «سبحان الله»: قال ابن الأثير رحمه الله: «التسبيح: التنزيه، والتقديس، والتبرئة من النقائص ... فمعنى سبحان الله: تنزيه الله»[١].

٣-قوله: «والحمد لله»: قال الطيبي رحمه الله: «الحمد: الثناء على قدرته؛ ... فيشكر على ما أولى العباد بسبب الانتقال من النعم الدينية، والدنيوية ما لا يحصى»[٢].

٤-قوله: «ولا إله إلا الله»: قال الباجي رحمه الله: «وَقَوْلُهُ ﷺ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» إظْهَارٌ لِلتَّوْحِيدِ، وَإِعْلَامٌ بِهِ، وَاسْتِدَامَةٌ لِلْإِيمَانِ بِهِ»[٣].

٥-قوله: «والله أكبر»: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «اللَّهُ أَكْبَرُ: إثْبَاتُ عَظَمَتِهِ؛ فَإِنَّ الْكِبْرِيَاءَ تَتَضَمَّنُ الْعَظَمَةَ، وَلَكِنَّ الْكِبْرِيَاءَ أَكْمَلُ»[٤].

٦-قوله: «ولا حول ولا قوة إلا بالله»: قال ابن رجب رحمه الله: «لا تحول للعبد من حال إلى حال، ولاقوة له على ذلك إلا بالله، ... فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كلها ... فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه»[٥].

٧-قوله: «استكثروا من الباقيات الصالحات»: قال الصنعاني رحمه الله: «أي: أكثروا، أو اطلبوا من أنفسكم الإكثار، واللام فيها يحتمل أنه للعهد، وأنه أريد بها ما في قوله: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾[٦] الآية، إن قدّر أن الآية متقدمة، فقد فُسرت بها، ويُحتمل أن اللام جنسية، وأن هذا النوع من

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٣٠، مادة (سبح)، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ٩٣، شرح المفردة رقم ٩.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ١٠٨.
(٣) المنتقى شرح الموطأ، ٣/ ٧٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من حديث المتن ٢١٧.
(٤) مجموع الفتاوى، ١٠/ ٢٥٣، وتقدم في شرح المفردة رقم ١١ من مفردات حديث المتن رقم ٩٣.
(٥) جامع العلوم والحكم، ص ١٩٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٤ من حديث المتن رقم ٢٢.
(٦) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

الباقيات الصالحات»[(١)].

٨-قوله: «**الملة**»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المِلَّةُ: الدِّينُ، كَمِلَّةِ الإسلامِ، والنَّصْرَانِيَّةِ، واليهودِيَّةِ، وَقِيلَ: هِيَ مُعْظَمُ الدِّينِ، وجُمْلَةُ مَا يَجيءُ بِهِ الرُّسُل»[(٢)].

٩-قوله: «**خذوا جنتكم من النار**»: قال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بضم الجيم. (من النار) أي وقايتكم»[(٣)]، وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خذوا جنتكم من النار: أي وقايتكم من نار جهنم، ومنه قيل للتُّرس جُنّة، ومجنة؛ لأن صاحبه يتستر به»[(٤)].

١٠-قوله: «**يأتين يوم القيامة مقدمات**»: قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لقائلهن»[(٥)]، وقال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**مقدمات**»: بكسر الدال: جمع مقدمة: الجماعة، أي: متقدمة أمام الجيش»[(٦)].

١١-قوله: «**معقبات**»: قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأنها عادت مرة بعد أخرى، وكل من عمل عملاً، ثم عاد إليه، فقد عقب، وقيل: المعقب من كل شيء ما خلف لعقب ما قبله، كذا في مسند الفردوس»[(٧)]، وقال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معقبات؛ لأنها عادت مرة بعد أخرى، وكل من عمل عملاً، ثم عاد إليه فقد عقب، وقيل: المعقب: لكل شيء خلف، يعقب ما قبله»[(٨)].

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٣٣٩.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٣٦٠، مادة (ملل).
(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٥/ ٤٦٩.
(٤) فيض القدير، ٣/ ٤٣٥.
(٥) فيض القدير، ٣/ ٤٣٥.
(٦) التنوير شرح الجامع الصغير، ٥/ ٤٦٩.
(٧) فيض القدير، ٣/ ٤٣٥.
(٨) التنوير شرح الجامع الصغير، ٥/ ٤٦٩.

١٢-قوله: «ومجنبات»: قال الصنعاني رحمه الله: «بكسر النون وهي التي تكون في الميمنة والميسرة فكأنهن جيش من جهات قائلهن تسترنه عن النار وفي الفردوس»[١].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-بيان فضيلة هذه الكلمات النافعات الطيبات، وأنهن من الباقيات الصالحات، ويلحق بها كل عمل صالح يعمله العبد إيمانًا واحتسابًا: من صلاة، وصيام، وصدقة، وحج، وعمرة، وبر، وإحسان، وأعمال القلب والجوارح، وغير ذلك من الإحسان للخلق، مما يجده أمامه في قبره، ويوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾[٢]، والمراد بالمرد هو: نعيم الجنة، جعلنا الله من أهلها، وأسكننا الله بفضله الفردوس الأعلى.

٢- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أَفْضَلُ الْكَلَامِ بَعْدَ الْقُرْآنِ: الْكَلِمَاتِ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ: «**سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ**»، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ لِمَنْ عَجَزَ عَنْ الْقُرْآنِ، وَقَالَ: «**هُنَّ أَفْضَلُ الْكَلَامِ بَعْدَ الْقُرْآنِ**»[٣]؛ وَلِهَذَا كَانَ أَفْضَلُ الِاسْتِفْتَاحَاتِ فِي الصَّلَاةِ مَا تَضَمَّنَتْ ذَلِكَ وَهُوَ قَوْلُهُ: «**سُبْحَانَك اللَّهُمَّ، وَبِحَمْدِك، وَتَبَارَكَ اسْمُك، وَتَعَالَى جَدُّك، وَلَا إِلَهَ غَيْرُك**»[٤]؛ لِمَا قَدْ بَيَّنَّاهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، وَذَكَرْنَا أَنَّ هَذَا ثَنَاءٌ، فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ الدُّعَاءِ، وَهُوَ ثَنَاءٌ بِمَعْنَى أَفْضَلِ الْكَلَامِ بَعْدَ الْقُرْآنِ، وَذَلِكَ مُقْتَضٍ لِلْإِجَابَةِ»[٥].

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، ٥/ ٤٦٩.

(٢) سورة مريم، الآية: ٧٦.

(٣) مسند أحمد، ٣٣/ ٣٧٥، برقم ٢٠٢٢٣، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ٨٨، ومحققو المسند.

(٤) النسائي في السنن الكبرى، برقم ٩٩٠٩، ومصنف عبد الرزاق، برقم ٧٣٠، ومسند أحمد، برقم ١٩٧٦٩، وصححه محققو المسند، ٣٣/ ١٥، و الألباني في إرواء الغليل، ٣/ ٩٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ١٥، ورقم ٢٨.

(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٢٢/ ٤٧٨.

٣-والمراد من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في قول النبي ﷺ: «**إلا كفرت ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر**»: التكفير عن صغائر الذنوب، وليس الكبائر لقول النبي ﷺ: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**»[1]؛ لأن الكبائر لا بد لها من التوبة بشروطها.

***

(١) مسلم، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، برقم ٢٣٣.

١٣١ - كَيْفَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسَبِّحُ؟

٢٦٦-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَعْقِدُ التَّسْبِيحَ» وفي زيادةٍ: «بِيَمِينِهِ»[١].

الشــــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٧٠-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما[٢]، قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْقِدُ التَّسْبِيحَ»، قَالَ ابْنُ قُدَامَةَ: «بِيَمِينِهِ»[٣].

١٠٧١-وعن يُسَيْرَةَ رضي الله عنها[٤]، وَكَانَتْ مِنَ المُهَاجِرَاتِ، قَالَتْ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُنَّ بِالتَّسْبِيحِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّقْدِيسِ، وَاعْقِدْنَ بِالأَنَامِلِ؛ فَإِنَّهُنَّ مَسْؤُولَاتٌ، مُسْتَنْطَقَاتٌ، وَلَا تَغْفُلْنَ، فَتَنْسَيْنَ الرَّحْمَةَ»[٥].

١٠٧٢-ولفظ أحمد عن يُسَيْرَةَ رضي الله عنها، وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ، قَالَتْ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا نِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ، عَلَيْكُنَّ بِالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ، وَالتَّقْدِيسِ، وَلَا

---

(١) أخرجه أبو داود بلفظه، كتاب الصلاة، أبواب الوتر، باب التسبيح بالحصا، برقم ١٥٠٢، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، برقم ٣٤٨٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/ ٤١١، برقم ١٥٠٢، وتقدم الحديث في شرح الفائدة رقم ١٢ من مفردات حديث المتن رقم ٦٩.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨١ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ١٥٠٢، والترمذي، برقم ٣٤٨٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ١٥٠٢، وتقدم تخريج الحديث في تخريج حديث المتن.

(٤) يُسيرة بنت ياسر، وقيل: تكنى أم ياسر، أو أم حميضة، كانت من المهاجرات الأول، أسلمت وبايعت وروت حديثا. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، ٤/ ١٩٢٤، والإصابة في تمييز الصحابة، ٨/ ٣٥٣.

(٥) الترمذي، كتاب الدعوات، باب في فضل التسبيح والتهليل والتقديس، برقم ٣٥٨٣، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ١٣٤٥.

تَغْفُلْنَ فَتَنْسَيْنَ الرَّحْمَةَ، وَاعْقِدْنَ بِالْأَنَامِلِ، فَإِنَّهُنَّ مَسْؤُولَاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٌ»(١).

١٠٧٣-ولفظ الحاكم عن يُسَيرَةَ رضي الله عنها، وَكَانَتْ إِحْدَى الْمُهَاجِرَاتِ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلَيْكُنَّ بِالتَّسْبِيحِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّقْدِيسِ، وَلَا تَغْفُلْنَ فَتَنْسَيْنَ التَّوْحِيدَ، وَاعْقِدْنَ بِالْأَنَامِلِ فَإِنَّهُنَّ مَسْؤُولَاتٍ وَمُسْتَنْطَقَاتٍ**»(٢).

١٠٧٤-ولفظ أبي داود عن يُسيرة رضي الله عنها أن النبي ﷺ «**أمرَهُنَّ أن يُراعِينَ بالتكبيرِ، والتقديسِ، والتهليلِ، وأن يعْقِدْنَ بالأنامِلِ، فإنهنَّ مسؤولاتٌ مستنطقاتٌ**»(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**يعقد التسبيح**»: أي: يشدهن إلى باطن اليد ويشمل ذلك التحميد والتهليل والتكبير وغير ذلك من الأذكار المقيدة، قال الأزهري رحمه الله: «الحاسب يعْقد بأصابعه إِذا حَسَب»(٤)، وقال الزبيدي رحمه الله: «وثَنَّاهُ: ثَنياً: عَطَفَهُ... وأَيْضاً: عَقَدَه، وَمِنْه: تُثْنَى عَلَيْهِ الخَناصِر»(٥)، وقال الصنعاني رحمه الله: «يعده بعقد أصابعه؛ ليعرف قدر العدد الذي شرع نحو التسبيح والتحميد والتكبير عقيب الصلوات فإنه عدد معين لا يتجاوز أو مطلق الذكر لتحوز أنامله أجر العبادة(٦)، وقال الشيخ الخضير: «عقد التسبيح هو عد هذه التسبيحات، وغيرها من الأذكار بالأصابع، بالأنامل، فإن شئت أن تجعل إبهامك على العقد مع كل ذكر:

---

(١) أخرجه أحمد، ٤٥/ ٣٥، برقم ٢٧٠٨٩، والحاكم، ٧٣٢/١، وصححه، واحتمل تحسينه محققو المسند، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ١٣٤٥.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم، ١/ ٧٣٢، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، ١/ ١٨٤، في تعليقه على الحديث الموضوع: «نعم المذكر السبحة، وإن أفضل ما يسجد عليه الأرض، وما أنبتته الأرض» وهو برقم ٨٣.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب التسبيح بالحصا، برقم ١٥٠١، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١٣٤٥.

(٤) تهذيب اللغة، ١/ ١٣٥، مادة (حسب).

(٥) تاج العروس، ٣٧/ ٣٠١، مادة (ثنى).

(٦) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٦٠١.

سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، وإن شئت ألا تجعله، المقصود من ذلك هو ضبط العدد، وإذا قلت: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر من غير وضع الإبهام على هذه العقد، فلا يمنع من ذلك -إن شاء الله تعالى-؛ لأن المقصود ضبط العدد؛ لئلا يزاد على المشروع»[١].

٢-قوله: «**بيمينه**»: أي: بيده اليمنى عادًّا ذلك على أنامله ﷺ، وقال الشيخ العباد «بيمينه: وهذا دليل على أن عقد التسبيح الأولى، والأفضل أن يكون باليمين»[٢]، وقد أخرج مسلم رحمه الله: « «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ التَّيَمُّنَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ**»[٣]، قال ابن عبد البر رحمه الله: «قَدْ قِيلَ هَذَا وَاللهُ عز وجل اَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ نَبِيُّهُ ﷺ بِتَفْضِيلِ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى، وَحَسْبُنَا التَّبَرُّكُ بِاتِّبَاعِهِ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ؛ فَإِنَّهُ مَهْدِيٌّ مُوَفَّقٌ ﷺ»[٤]، وقال ابن الملقن رحمه الله: «يعني: باليد اليمنى في جميع أفعاله، وكذلك في مناولة الأكل والشرب، ومناولة سائر الأشياء من على اليمين، وهو قول الفقهاء»[٥].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من تتبع جميع أحواله للاقتداء به في ذلك وإشاعة هذا بين الأمة.

٢-التسبيح على اليد اليمنى هو هدي صاحب السنة ﷺ، فإن الذي بلغ الذكر بين كيفيته، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾[٦]

---

(١) شرح المحرر في الحديث، ١/ ٢٩.
(٢) شرح سنن أبي داود للعباد، ٧/ ١٨٠.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب التيمن في الطهور وغيره، برقم ٢٦٨.
(٤) الاستذكار، ٨/ ٣١٤.
(٥) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٦/ ١٠٤.
(٦) آل عمران: ٣١.

وكان ﷺ يحب التيامن في أموره كلها[١].

٣-من جملة الحكم من التسبيح باليد، أن الأنامل مسؤولات مستنطقات، كما تقدم في الحديث، أما حديث التسبيح بالحصى، أو النوى، فضعفَّه بعض أهل العلم،[٢]، وقال العيني رحمه الله: «قوله: «بالأنامل»: جمع أنملة- بضم الميم- وهي رؤوس الأصابع... والخلاف في: المكتوبة، ولا خلاف في: التطوع أنه لا يكره، وقيل بالعكس، وأما خارج الصلاة: فلا يكره اتفاقاً»[٣]، وقال الشيخ العباد: « وأن يعقدن بالأنامل: يعني: أن يكون التسبيح، والتهليل، والتقديس، والتكبير بالأنامل»[٤].

٤-إذا كانت الجوارح التي تستخدم في الطاعة تشهد لصاحبها يوم القيامة، فكذلك العكس؛ لقول الله عز وجل عن أهل المعاصي العظيمة يوم القيامة: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٥]، وهذه الشهادة شهادة تكذيب وفضيحة وخزي يوم القيامة.

٥-قال العيني رحمه الله: «يُستفاد من الحديث: جواز عقد التسبيح ونحوه بالأصابع»[٦].

***

---

(١) مسلم، برقم ٢٦٨، وتقدم تخريجه في المفردة الثانية من هذا الحديث.

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب التسبيح بالحصى، برقم ١٥٠٠، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود، برقم ٢٦٥.

(٣) شرح أبي داود للعيني، ٥/ ٤١٢.

(٤) شرح سنن أبي داود للعباد، ٥/ ١٨٠.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٢١.

(٦) شرح أبي داود للعيني، ٥/ ٤٠٦.

١٣٢ - مِنْ أنْوَاعِ الخَيْرِ والآدَابِ الجَامِعَةِ

٢٦٧-قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ - أَوْ أَمْسَيْتُم - فَكُفُّوا صِبْيَانَكُم، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيلِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ الشَّيطَانَ لاَ يَفْتَحُ بَاباً مُغلَقاً، وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُم، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئاً، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ»[1].

الشــرح:

أولاً: لفظ الحديث:

١٠٧٥-لفظ البخاري عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه[2]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا اسْتَجْنَحَ اللَّيْلُ، أَوْ قَالَ: جُنْحُ اللَّيْلِ، فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَأَطْفِئْ مِصْبَاحَكَ، وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَأَوْكِ سِقَاءَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرْ إِنَاءَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ تَعْرُضُ عَلَيْهِ شَيْئًا»[3].

١٠٧٦-ولفظ البخاري ومسلم عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ، أَوْ أَمْسَيْتُمْ، فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ

(١) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٨٠، وكتاب الأشربة، باب تغطية الإناء، برقم ٥٦٢٣، ومسلم، كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، برقم ٢٠١٢.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧٢ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٣٢٨٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَحُلُّوهُمْ، فَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ»[١].

١٠٧٧-ولفظ مسلم عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، وَأَغْلِقُوا الْبَابَ، وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَائِهِ عُودًا، وَيَذْكُرَ اسْمَ اللهِ، فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ»، وَلَمْ يَذْكُرْ قُتَيْبَةُ فِي حَدِيثِهِ وَأَغْلِقُوا الْبَابَ»[٢].

١٠٧٨-وفي لفظ لمسلم عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُرْسِلُوا فَوَاشِيَكُمْ، وَصِبْيَانَكُمْ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ، حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْبَعِثُ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ، حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ»[٣].

١٠٧٩-وفي لفظ آخر لمسلم أيضاً عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ»[٤].

١٠٨٠-وفي لفظ آخر لمسلم أيضاً، عن جابر رضي الله عنه قَالَ: «فَإِنَّ فِي السَّنَةِ يَوْمًا يَنْزِلُ فِيهِ وَبَاءٌ»، وَزَادَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: قَالَ اللَّيْثُ: فَالْأَعَاجِمُ عِنْدَنَا يَتَّقُونَ ذَلِكَ فِي كَانُونَ الْأَوَّلِ»[٥].

---

(١) البخاري، برقم ٥٦٢٣، ومسلم، برقم ٩٧-(٢٠١٢)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) مسلم، برقم ٩٦-(٢٠١٢)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٣) مسلم، كتاب الأشربة، باب في شرب النبيذ وتخمير الإناء، برقم ٢٠١٣.
(٤) مسلم، كتاب الأشربة، باب في شرب النبيذ وتخمير الإناء، برقم ٢٠١٤.
(٥) مسلم، كتاب الأشربة، باب في شرب النبيذ وتخمير الإناء، برقم ٢٠١٤.

١٠٨١-وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ احْتَرَقَ بَيْتٌ بِالْمَدِينَةِ عَلَى أَهْلِهِ مِنْ اللَّيْلِ فَحُدِّثَ بِشَأْنِهِمْ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ النَّارَ إِنَّمَا هِيَ عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ»[(١)].

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١-قوله: «**جنح الليل، أجنح الليل، استجنح الليل**»: أي: أقبل مجيء ظلام الليل، وأصل الجنوح الميل، قال ابن الأثير رحمه الله: «جُنْحُ الليل: إقبال ظلامه، وكذلك جنوحه، وجنح واستجنح: إذا أقبل، وقيل: إذا اشتدت ظلمته»[(٢)]، وقال القاضي عياض رحمه الله: « إذا أجنح الليل: أي: أقبل ظلامه، وأصل الجنوح: الميل، والجنح والجُنح الظلام، بالضم والكسر»[(٣)]، وقال الطيبي رحمه الله: «وجنح الليل – بالفتح، والكسر-: طائفة من الليل، وأراد به هنا الطائفة الأولى منه عند امتداد فحمة العشاء»[(٤)]، وقريب منه قال ابن الجوزي رحمه الله: «جنح اللَّيْل، وجنحه - بِالضَّمِّ وَالْكَسْر-: طَائِفَة مِنْهُ، واستجنح من ذَلِك، وَالْمعْنَى: اشتدت ظلمته»[(٥)].

٢-قوله: «**أو أمسيتم**»: قال الصنعاني رحمه الله: «أمسيت: دخلت في المساء»[(٦)].

٣-قوله: «**فكفوا صبيانكم**»: أي: امنعوهم من الخروج في ذلك الوقت، قال الفيومي رحمه الله: «الصَّبِيُّ: الصَّغِيرُ وَالْجَمْعُ صِبْيَةٌ بِالْكَسْرِ وَصِبْيَانٌ»[(٧)]، وقال ابن الجوزي رحمه الله: «فكفوا صِبْيَانكُمْ»: وَالْمعْنَى: ضموهم إِلَيْكُم فِي الْبيُوت،

---

(١) البخاري، كتاب الاستئذان، باب لا تترك النار في البيت عند النوم، برقم ٦٢٩٤، ومسلم، كتاب الأشربة، باب في شرب النبيذ وتخمير الإناء، برقم ٢٠١٦.
(٢) جامع الأصول، ١١/ ٧٦٠.
(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٦/ ٤٨١.
(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٩/ ٢٨٨٦.
(٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٣/ ١٧.
(٦) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٧٩.
(٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٣٣٢، مادة (صبي).

وَإِنَّمَا خيف على الصّبيان خَاصَّة لشيئين: أَحدهمَا: أَن النَّجَاسَة الَّتِي تلوذ بهَا الشَّيَاطِين مَوْجُودَة مَعَهم، وَالثَّانِي: أَن الذّكر الَّذِي يستعصم بِهِ مَعْدُوم عِنْدهم، وَالشَّيَاطِين عِنْد انتشارهم يتعلقون بِمَا يُمكنهُم التَّعَلُّق بِهِ، فَإِذا ذهبت سَاعَة اشْتغل كل مِنْهُم بِمَا اكْتسب، وَمضى إِلَى مَا قدر لَهُ التشاغل بِهِ»[١]، وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكفوا صبيانكم أي: امنعوهم من الخروج»[٢].

٤-قوله: «**فإن الشياطين**»: أي: جنس الشيطان، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الشيطان: فهو من الشطن: البعد، أي: بَعُد عن الخير ... كأنه طال في الشر»[٣]، وقال ابن علان رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشيطان: العاتي المتمرّد، من شاط احترق، أو من شطن بعد» [٤].

٥-قوله: «**تنتشر حينئذ**»: أي: تتفرق فيخاف على الصبيان من إيذاء الشياطين لهم[٥]، وحينئذٍ: أي: في ذلك الوقت، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «حين انتشار الشياطين»[٦]، وقال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ: استعانةً بالظُّلْمَةِ؛ فإنّها تكرهُ النّور، وتتشاءم به، وإن كانت خُلِقَتْ من نارٍ وهي ضياءٌ، ولكنّ الله أظْلَمَ قلوبها، وخَلَق الآدميَّ من طينٍ ونَوَّرَ قَلبه، فهو يحبُّ النُّور، وكلُّ جنسٍ يميلُ إلى جنسه»[٧]، وقال القسطلاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن الشياطين تنتشر: تذهب وتجيء»[٨].

٦-قوله: «**فإذا ذهب ساعة من الليل**»: قال ابن هبيرة: «فإذا ذهب ساعة من العشاء»[٩].

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٣/ ١٨.
(٢) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ١٢٣.
(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٧٤، مادة (شطن).
(٤) دليل الفالحين، ١/ ٢٣٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨ من مفردات الحديث رقم ١٩٣.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣/ ١٨٦.
(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٢٨٠.
(٧) المسالك في شرح موطأ مالك، ٧/ ٣٨٨.
(٨) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٨/ ٣٣١.
(٩) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٨/ ٢٥٠.

٧-قوله: «**فخلوهم**»: أي: اتركوهم، قال الشوكاني رحمه الله: «قوله فخلوهم وفي رواية في صحيح البخاري بحاء مهملة أي: حلوهم عن ذلك الكف الذي كففتموهم وكأنه شبه الكف بالرباط وفي رواية بالخاء المعجمة أي: اتركوهم يدخلوا ويخرجوا»[(١)].

٨-قوله: «**وأغلقوا الأبواب، وأغلق بابك**»:قال ابن العربي رحمه الله: «ردوه كما كان مغلقاً فإنه يفتح بالنهار للتصرف»[(٢)].

٩-قوله: «**وأغلقوا الأبواب واذكروا الله**»: قال ابن العربي رحمه الله: «أَغْلِقُوا الأبْوابَ، واذْكُرُوا اسْمَ الله" وكذلك في كلِّ خَصلةٍ تقدّمت قرن بها اسم الله، فبيّن أنّ اسْمَ الله هو النّورُ العريضُ، والحجابُ الغَليظُ، بين الشَّيْطانِ والإنسانِ»[(٣)]، وقال الشوكاني رحمه الله: «ذكر هذه الأشياء التي ينبغي ذكر اسم الله سبحانه عند مباشرتها وهي إغلاق الباب وإطفاء المصباح وايكاء السقاء وتخمير الإناء»[(٤)].

١٠-قوله: «**غطُّوا الإِنَاءَ**»: قال ابن العربي رحمه الله: «فَإِنَّ في السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فيها وَبَاءٌ منَ السّماءِ، لا يمرُّ بإِناءٍ ليس عليه غطاءٌ، أو سِقَاءٍ ليس عليه وِكَاءٌ، إلّا نزل فيه ذلك الدَّاءُ»[(٥)]»[(٦)].

١١-وقوله: «**لا يفتح باباً مغلقاً**»: قال الطيبي رحمه الله: «أي: باباً أغلق مع ذكر اسم الله عليه»[(٧)].

---

(١) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ١٢٣.
(٢) عارضة الأحوذي، ٨/ ٢.
(٣) المسالك في شرح موطأ مالك، ٧/ ٣٨٩.
(٤) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ١٢٣.
(٥) المسالك في شرح موطأ مالك، ٧/ ٣٩٠.
(٦) انظر: صحيح مسلم، برقم ٢٠١٤، وتقدم تخريجه في تخريج لفظ الحديث.
(٧) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٩/ ٢٨٨٦.

١٢-قَوله: «فَإِن الشَّيْطَان لَا يحل سقاء وَلَا يفتح وكاء»: قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا يدل على أَنه إِنَّمَا يتسلط على المفرط لَا على المتحرز، فللمفرط فِيهِ نصِيبه»[١].

١٣-قوله: «وأوكوا قربكم»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الوِكاء: خيط يُشَدُّ به فم المزادة ونحوها»[٢]، وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: اربطوها، والوكاء هو الشيء الذي يسد به فم القربة»[٣]، وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: «وأوكوا السقاء: أي: شدوا فمه بالوكاء، وهو الخيط الذي يشد به ويربط، وعلى أن ذلك بالليل حمل أبو عبيد في الكتاب الأمر بتغطية الإناء في الباب كله»[٤]، وقال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: وأوكئوا السقاء: هذا وإن كان مفعولاً في الأوقات كلها، فأوكئوه الليل؛ لأن النهار عليه حافظ من الأعين، فأما الليل فهو مهمل منها، فيحض عليه»[٥].

١٤-قوله: «خمروا آنيتكم»: أي: غطوها، قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وخمر إناءك: أَي: غطه، وَإِنَّمَا أَمر بِذكر الله تَعَالَى لِأَنَّهُ كالحرز والحافظ يدْفع الشَّيْطَان عَمَّا ذكر عَلَيْهِ»[٦]، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: « قَولُهُ : «خَمِّرُوا الآنِيَة»؛ أَي: غَطُّوها»[٧].

١٥-قوله: «ولو أن تعرضوا عليها شيئًا»: أي: تضعوا على الآنية شيئًا يغطيها

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٣/ ١٨.
(٢) جامع الأصول، ١١/ ٧٦٠.
(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٣/ ١٨.
(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٦/ ٤٨٠.
(٥) عارضة الأحوذي، ١/ ٤.
(٦) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٣/ ١٨.
(٧) فتح الباري، لابن حجر، ٦/ ٣٥٦.

ولو عودًا، قال الطيبي رحمه الله: «قوله: «ولو أن تعرضوا» -هو بضم الراء، وكسرها، والأول أصح - والمذكور بعد (لو) فاعل فعل مقدر، أي: ولو ثبت أن تعرضوا عليه شيئاً، وجواب (لو) محذوف، أي: لو خمرتموها عرضاً بشيء، نحو العود وغيره، وذكرتم اسم الله تعالى لكان كافياً، والمقصود هو ذكر اسم الله تعالى مع كل فعل؛ صيانة عن الشيطان والوباء والحشرات والهوام»[(١)]، وقال ابن الجوزي رحمه الله: « وَقَوله: «وَلَو تعرض عَلَيْهِ» أَي: وَلَو أَن تعرض، وَتعرض بِضَم الرَّاء وَكسرهَا لُغَتَانِ، يُقَال: عرضت الشَّيْء أعرضه، بِكَسْر الرَّاء فِي قَول الْأَكْثَرين ...عرضت الْعود على الْإِنَاء، أعرضه، وَعرضت السَّيْف على فَخذي أعرضه، كِلَاهُمَا بِضَم الرَّاء»[(٢)]، وقال ابن العربي رحمه الله: «ولو تَعْرُضُ عليه عُودًا يعني: اجعلوا بين الشّيطان وبينه حاجزًا، ولو من علامة تدلّ على التّغطية، أو القصد إليه، وإن لم تستول بالسِّتر عليه، فإنّها كافية»[(٣)].

١٦-قوله: «**وأطفئوا مصابيحكم، واطفئوا المصباح**»: قال ابن العربي رحمه الله: «يعني: أذهبوا نوره، ولا يكون مصباحاً إلا بالنور، وإنما هو دونه فتيل»[(٤)].

١٧-قوله: «**فإن الفويسقة تضرم النار**»: قال القاضي عياض رحمه الله: «والفويسقة هنا الفأرة، وقد جاء - أيضاً - في حديث ابن عباس أنه من فعل الشيطان، وأنه ﷺ قال: «**إن الشيطان يدلها على ذلك فتحرقكم**»[(٥)]، وقال ابن الجوزي رحمه الله: « والفويسقة: الْفَأْرَة، وَسميت بذلك إِمَّا لخروجها، أَو لفعلها

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٩/ ٢٨٨٧.
(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٣/ ١٨.
(٣) المسالك في شرح موطأ مالك، ٧/ ٣٩٠.
(٤) عارضة الأحوذي، ٨/ ٢.
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٦/ ٤٨٠، والحديث في الأدب المفرد للبخاري، ص ٦٩٦، برقم ١٢٢٢، وسنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في إطفاء النار بالليل، برقم ٥٢٤٧، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٤٧٤، برقم ٩٣١، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٤٢٦.

فعل الْفُسَّاق من الْفساد»[(١)]، وقال الطيبي رحمه الله: « وقوله: «فإن الفويسقة» أي: الفأرة، سميت بها لخروجها من جحرها على الناس وإفسادها، وأضرم النار إذا أوقدها، والضرمة بالتحريك النار»[(٢)].

١٨-قوله: «**لا ترسلوا فواشيكم**»: والمراد بالفواشي كل منتشر من المال، كالإبل، والغنم، وسائر البهائم[(٣)].

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١-حرص النبي ﷺ على النصح والإرشاد للأمة بما يعود عليها بالنفع العاجل والآجل.

٢-بيان أن الشياطين تزداد حركتهم ليلًا؛ لأن الظلام أجمع للقوى الشيطانية من غيره وكذلك كل سواد ولذلك جاء في الحديث أن الكلب الأسود يقطع الصلاة[(٤)].

٣-مما يسن كفه في هذا الوقت أيضًا مع الأولاد، الفواشي، والمراد بالفواشي كل منتشر من المال كالإبل، والغنم، وسائر البهائم وغيرها، أما فحمة العشاء فظلمتها وسوادها[(٥)].

٤-الحكمة من غلق الأبواب والمنافذ في ذلك الوقت هو منع دخول الشياطين المنتشرة في ذلك الوقت؛ لأنهم لا يقدرون على فتح هذه الأبواب كما جاء في الحديث وكذلك ربط القرب وتخمير الآنية ويكون ذلك كله مصحوبًا بذكر الله فهو خير حافظًا وهو أرحم الراحمين.

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٣/ ١٨.
(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٩/ ٢٨٨٧.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣/ ١٨٦.
(٤) فتح الباري، ٦/ ٤٢٨، والحديث عند مسلم، كتاب الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي، برقم ٥١٠.
(٥) شرح النووي، ١٣/ ١٨٦.

٥-التحذير من التهاون بهذه التوجيهات النبوية فقد يترتب على تركها شر عظيم.

٦-يلحق بما مضى ترك النار حال النوم؛ لقوله ﷺ: «**إن هذه النار إنما هي عدو لكم، فإذا نمتم فأطفئوها عنكم**»[١].

٧-إطفاء المصابيح لقوله ﷺ: «**فإن الفويسقة ربما جرت الفتيلة فأحرقت أهل البيت**»[٢] والمراد بالفويسقة – الفأرة – وأن الذي حملها على ذلك هو الشيطان لعنه الله.

٨-قال ابن هبيرة رحمه الله: «فكفوا صبيانكم: يعني: أول الليل بعد صلاة العشاء، فإن الجن إذا صليت العشاء، وانكفأ المصلون إلى منازلهم؛ فكأنهم رأوا أن الطريق قد أخليت لهم في ميقات يشبه بطواف الذين لم يبلغوا الحلم، وما ملكت اليمين في العورات الثلاث، فكأنهم ما دامت الصلوات الانتشار فيها يمتنعون من أجل وقت الصلاة، فإذا انقضت استخلوا الطرق فيسعوا فيها، والجن منقسمون إلى: مؤمن مأمون على من يلقاه، ومن لا يؤمن منهم لا يؤمن لكفره، ولا يؤمن على الأطفال والصبيان، لأن الصبي غير كامل العقل الذي لا يهوله التهويل، وليس عنده من أسماء الله ﷻ ما يتحصن به من كيد الشيطان غالباً، فأمر بكف الصبيان لذلك»[٣].

٩-قال فيصل المبارك رحمه الله: «وقال ابن دقيق العيد: إذا كانت العلة في إطفاء السراج الحذر من جرِّ الفويسقة الفتيلة، فمقتضاه أنَّ السراج إذا كان على هيئة لا تصل إليها الفأرة، لا يمنع إيقاده، وأما ورود الأمر بإطفاء النار مطلقًا، فقد يتطرق منها مفسدة أخرى غير جرِّ الفتيلة، كسقوط شيء من

(١) البخاري، برقم ٢٩٤، وتقدم تخريجه في تخريج أحاديث لفظ الحديث.
(٢) البخاري، كتاب الاستئذان، باب لا تترك النار في البيت عند النوم، برقم ٦٢٩٥.
(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٨/ ٢٥١.

السراج إلى شيء من المتاع فيحرقه، فيحتاج إلى الاستيثاق من ذلك، فإذا استوثق بحيث يؤمن معه الإحراق، فيزول الحكم بزوال علته. انتهى ملخصًا، وفي الأمر بإغلاق الأبواب من المصالح الدينية والدنيوية، حراسة الأنفس والأموال، من أهل العبث والفساد، ولاسيما الشياطين، وفيه: أن ذكر اسم الله تعالى يطرد الشيطان، كما ورد في الرواية الأخرى: «**خَمِّر إناءك واذكر اسم الله، وأغلق بابك واذكر اسم الله**»[(١)].

١٠-قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «قال المؤلف النووي رحمه الله في كتابه رياض الصالحين: باب النهي عن إبقاء النار ونحوها في البيت عند النوم ونحوه، وذلك أن النار كما وصفها النبي ﷺ في هذه الأحاديث عدو للإنسان، فإذا أبقاها الإنسان، ونام فربما تأتي الفويسقة، يعني الفأرة فتنخسها، ثم تشتعل، كما هو الشأن فيما سبق، كانت السرج من النار توقد في الزمان الأول، توقد بالودك والزيت وشبهه، ثم صار توقد بالجاز، وكلها مواد سائلة، فإذا جاءت الفأرة، وعبثت بها انصب الذي في السراج على الأرض، ثم اشتعلت النار، وحصل الحريق؛ ولهذا أمر النبي ﷺ بإطفاء النار عند النوم؛ لئلا يحصل هذا الحريق، ولكن في الوقت الحاضر الوقود ليس يوقد كما كان فيما سبق، فاليوم الكهرباء سالب وموجب، يحصل بها إيقاد اللمبة مثلاً، فلو نام الإنسان وفي بيته لمبة موقدة التي يسمونها السهارية، فلا بأس؛ لأن العلة التي من أجلها نهى النبي ﷺ عن إبقاء النار غير موجودة في الكهرباء في الوقت الحاضر، نعم فيه أشياء تشبه ذلك، كالدفايات هذه لا شك أنها على خطر، ولا سيما إذا قربها الإنسان من فراشه؛ فإنه ربما ينقلب، أو ربما يمس هذه النار؛ فلهذا ينهى أن تبقى هذه الدفايات موقدة إلا في مكان آمن بعيد عن الفراش؛ لئلا يحصل الحريق،

---

(١) تطريز رياض الصالحين، ص ٩٢٩، والحديث تقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وكذلك ينبغي للإنسان إذا نام أن يجافي الباب بمعنى يغلقه، وكذلك ينبغي إذا أراد أن ينام أن يغطي الإناء، ولو بوضع عود عليه؛ لأن في ذلك حماية له من الشيطان والله الموفق»[(١)].

والله أسأل بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلا، أن ينفع بهذا الشرح، وينفع بأصله، وأن يجعله مباركاً، خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في حياتي، وبعد مماتي، وأن ينفع به كل من انتهى إليه؛ فإنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله، وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى أتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه الفقير إلى الله الكريم

سعيد بن علي بن وهف القحطاني

حرر يوم الثلاثاء ٢/ ٧/ ١٤٣٦هـ

---

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٦٥٤.

الفهارس العامة

١- فهرس أحاديث وآثار متن حصن المسلم

٢- فهرس الأحاديث والآثار الواردة في الشرح

٣- فهرس مفردات الحديث

٤- فهرس الأعلام المترجم لهم

٥- فهرس قوافي الأشعار

البيت	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
إذا مـا الليـل أظلـم كابـدوه	ابن المبارك	٢	٣٨٩
الزجـر والطيـر والكهـان كلهـم	؟	١	١٣٦٣
أنـت العزيـز ولا عزيـز سـواكا	؟	١	٦٩٨
تـاحَ لهـا بَعـدك خِنْـزابٌ وزَى	؟	شطر	٨٦٧
عليك سلام الله قيس بن عاصم	؟	١	١١٠٢
فخـر علـى وجهـه راكعًـا	؟	١	٣١١
فكم تسخنت بالأمس عين قريرة	؟	١	٣٩٤
ممـا تـواتر حـديث مـن كـذب	التاودي	٢	٤٠١
هـذا ومـن أوصـافه القـدوس	ابن القيم	١	٢٥٠
وخالف النفس والشيطان واعصهما	؟	١	٥٤٥
وكـذلك التـواب مـن أوصـافه	ابن القيم	٢	١٧٣١
وكـذلك الفتـاح مـن أسـمائه	ابن القيم	١	٥٧٦
وكـذلك القهـار مـن أوصـافه	ابن القيم	١	٦٩٩
ولفظ القنوت اعدد معانيه تجد	الزين العراقي	٣	٧٤٣
وهـو الحميـد فكـل حمـد واقـع	ابن القيم	٣	١٣١
وهو السلام على الحقيقة سالم	ابن القيم	١	٤١٦
وهو السميع يرى ويسمع كل ما	ابن القيم	٣	٥٥٤
وهـو العزيـز فلـن يـرام جنابـه	ابن القيم	٤	٨٢١
وهـو العلـي فكـل أنـواع العلـو	ابن القيم	١	٢٧٩
وهـو العليم أحـاط علمًـا بالـذي	ابن القيم	٢	٣٩٨، ٥٤٤
يـا أذان الـديك فـي الأصـباح	؟	١٥٤٦	
يـا رب أعضـاء السـجود أعتقتهـا	؟	٢	٢٨١
يـا مـن ألـوذ بـه فيمـا أؤملـه	؟	٢	١٠٩
يكفيـك رب لـم تـزل فـي فضـله	ابن القيم	١	٥٢٢

٦- فهرس المصادر والمراجع

١- ***٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة***، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (ت ١٣٧٧هـ).

٢- ***إتحاف الأطهار بفضل الدعاء وصحيح الأذكار وفوائدهما***، لماجد البنكانية.

٣- ***إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة***، أحمد بن أبي بكر البوصيري (ت ٨٤٠هـ).

٤- ***إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين***، لمحمد بن محمد الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ).

٥- ***إثبات عذاب القبر***، لأحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ).

٦- ***الآحاد والمثاني***، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت ٢٨٧هـ).

٧- ***الأحاديث الطوال***، لأحمد بن سليمان الطبراني (ت ٣٦٠هـ).

٨- ***الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة*** مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٤٣هـ).

٩- ***الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان***، محمد بن حبان البُستي (ت ٣٥٤هـ).

١٠- ***إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام***، لموسى بن علي ابن دقيق العيد (ت ٦٨٥هـ).

١١- ***أحكام الجنائز***، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت١٤٢١هـ).

١٢- ***أحكام الجنائز وبدعها***، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).

١٣- ***إحياء علوم الدين***، لمحمد بن محمد الغزالي أبو حامد (ت ٥٠٥هـ).

١٤- ***آداب الزفاف***، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).

١٥- ***الآداب الشرعية والمنح المرعية***، لمحمد بن مفلح المقدسي (ت ٧٦٣هـ).

١٦- ***أدب الدنيا والدين***، علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ).

١٧- ***الأدب المفرد***، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ).

١٨- ***الأذكار النووية*** ، لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ).

١٩- ***إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري***، لأحمد بن محمد القسطلاني (ت٩٢٣هـ).

٢٠- ***إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل***، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).

٢١- ***أساس البلاغة***، لمحمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري(ت ٥٣٨هـ).

٢٢- ***أسباب رفع العقوبة عن العبد***، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).

٢٣- ***الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار***، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر

القرطبي (ت ٤٦٣هـ).
٢٤- *الاستعداد للموت*، علي بن نايف الشحود.
٢٥- *الاستقامة*، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).
٢٦- *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ).
٢٧- *أسد الغابة في معرفة الصحابة*، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد بن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ).
٢٨- *أسماء الله الحسنى*، لعمر بن سليمان الأشقر.
٢٩- *الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً*، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي (ت ١٩٧٤م).
٣٠- *الأسماء والصفات*، لأحمد بن الحسين البيهقى (ت ٤٥٨هـ).
٣١- *الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى*، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت ٣٨٠ هـ).
٣٢- *اشتقاق أسماء الله*، لعبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي(ت ٣٣٧هـ).
٣٣- *أشراط الساعة*، ليوسف الوابل.
٣٤- *الإصابة في تمييز الصحابة*، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).
٣٥- *إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين*، عثمان بن محمد الدمياطي (ت ١٣١٠هـ).
٣٦- *إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد*، لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان.
٣٧- *الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان*، عبد الله بن محمد بن أبي الدينا القرشي (ت ٢٨١هـ).
٣٨- *الاعتقاد*، لأحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ).
٣٩- *إعراب القرآن وبيانه*، لمحيي الدين درويش.
٤٠- *إعلام الموقعين عن رب العالمين*، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).
٤١- *إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان*، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).
٤٢- *الإفصاح عن معاني الصحاح*، ليحيى بن هُبَيْرَة (ت ٥٦٠هـ)
٤٣- *اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم*، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).
٤٤- *الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل*، لموسى بن أحمد بن موسى الحجاوي المقدسي (ت ٩٦٨هـ).

٤٥- ***إكمال المعلم شرح صحيح مسلم***، للقاضي عياض اليحصبي (ت٥٤٤ هـ).

٤٦- ***أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور***، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، الحنبلي (ت ٧٩٥هـ).

٤٧- ***الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف***، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت ٣١٩هـ).

٤٨- ***الإيجاز في شرح سنن أبي داود السجستاني***، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ).

٤٩- ***أيسر التفاسير مع نهر الخير***، لأبي بكر جابر الجزائري.

٥٠- ***الإيمان الأوسط***، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ).

٥١- ***بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع***، لعلاء الدين الكاساني (ت ٥٨٧هـ).

٥٢- ***بدائع الفوائد***، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).

٥٣- ***البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير***، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت ٨٠٤هـ).

٥٤- ***بستان الواعظين ورياض السامعين***، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ).

٥٥- ***البعث والنشور*** لأحمد بن الحسين بن علي أبي بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ).

٥٦- ***بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث***، لأبي محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب ابن أبي أسامة (ت ٢٨٢هـ).

٥٧- ***البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها***، لعبد الرحمن حسن حبنكة.

٥٨- ***البناية شرح الهداية***، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى الحنفى بدر الدين العينى (ت ٨٥٥هـ).

٥٩- ***بهجة المجالس وأنس المجالس***، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ).

٦٠- ***بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين***، لسليم الهلالي

٦١- ***بيان تلبيس الجهمية***، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ).

٦٢- ***بـَيَان مُشكل الْآثَار***، أَحْمد بن مُحَمَّد بن سَلامَة أَبُو جَعْفَر الطَّحَاوِيّ (ت ٣٢١هـ).

٦٣- ***تاج العروس من جواهر القاموس***، لمحمّد بن محمّد مرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ).

٦٤- ***تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام***، محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ).

٦٥- ***التاريخ الكبير***، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ).

٦٦- ***تاريخ بغداد***، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) .

٦٧- ***تاريخ دمشق***، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ).

٦٨- ***تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد***، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).

٦٩- ***تحرير ألفاظ التنبيه***، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ).

٧٠- ***تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة***، عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ).

٧١- ***تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي***، محمد عبد الرحمن المباركفورى (ت ١٣٥٣هـ).

٧٢- ***تحفة الأخيار ببيان جملة نافعة مما ورد في الكتاب والسنة من الأدعية والأذكار***، لعبدالعزيز بن عبد الله بن باز (ت ١٤٢٠هـ).

٧٣- ***تحفة الحبيب على شرح الخطيب***، لسليمان بن محمد البُجَيْرَمِيّ (ت ١٢٢١هـ).

٧٤- ***تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين*** ، لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ).

٧٥- تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج، لابن الملقن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ).

٧٦- ***تحفة المسلم شرح حصن المسلم***، لهاني الحاج، وأسامة بن عبد الفتاح.

٧٧- ***تحفة المودود بأحكام المولود***، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).

٧٨- ***تخريج أحاديث إحياء علوم***، الدين للزين العراقي (٨٠٦ هـ).

٧٩- ***تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري***، عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (ت ٧٦٢هـ).

٨٠- ***التدوين في أخبار قزوين***، لعبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (ت ٦٢٣هـ).

٨١- ***الترغيب في الدعاء***، لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٠٠هـ) .

٨٢- ***تطريز رياض الصالحين***، لفَيْصَلْ بنِ عَبْدِ العَزِيْزِ آل مُبَارَك (ت ١٣٧٦ هـ).

٨٣- ***التعليقات البازية على شرح الطحاوية***، لعبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت ١٤٢٠هـ).

٨٤- ***التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان***، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).

٨٥- ***التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية***، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان.

٨٦- ***تغليق التعليق على صحيح البخاري***، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).
٨٧- ***تفسير ابن رجب*** (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ).
٨٨- ***تفسير أسماء الله الحسنى***، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الزجاج (ت ٣١١ هـ).
٨٩- ***تفسير أسماء الله الحسنى***، لعبد الرحمن السعدي (ت ١٣٧٦هـ).
٩٠- ***تفسير البحر المحيط***، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ).
٩١- ***تفسير الثوري*** ، لسفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (ت١٦١ هـ).
٩٢- ***تفسير الراغب الأصفهاني ومقدمته***، الحسين بن محمد بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ).
٩٣- ***تفسير القرآن العظيم***، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ).
٩٤- ***تفسير القرآن العظيم***، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ).
٩٥- ***تفسير القرآن***، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ).
٩٦- ***تفسير غريب ما فى الصحيحين البخارى ومسلم***، لمحمد بن أبي نصر الحميدي (ت ٤٨٨هـ).
٩٧- ***تفسير مقاتل بن سليمان***، أبو الحسن الأزدي البلخي (ت ١٥٠هـ).
٩٨- ***تقريب التهذيب***، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).
٩٩- ***التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير***، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).
١٠٠- ***تلخيص صفة الصلاة***، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).
١٠١- ***التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد***، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ).
١٠٢- ***التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل***، لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي العتمي اليماني(ت ١٣٨٦هـ).
١٠٣- ***تنوير الحوالك شرح موطأ مالك***، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ).
١٠٤- ***التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ***، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني (ت ١١٨٢هـ).
١٠٥- ***التهجد وقيام الليل***، عبدالله بن محمد بن عبيد القرشي (ت ٢٨١ هـ).
١٠٦- ***تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار***، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ).
١٠٧- ***تهذيب الأسماء واللغات***، محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ).

١٠٨- ***تهذيب التهذيب***، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).
١٠٩- ***تهذيب الكمال في أسماء الرجال***، ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج المزي (ت ٧٤٢هـ).
١١٠- ***تهذيب اللغة***، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت٣٧٠هـ).
١١١- ***التوحيد***، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده (ت ٣٩٥ هـ).
١١٢- ***توضيح الأحكام من بلوغ المرام***، لعَبْد الله بن عَبْد الرحمن البَسَّام.
١١٣- ***تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد***، لسليمان بن عبد الله آل الشيخ (ت ١٢٣٣هـ).
١١٤- ***تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان***، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ).
١١٥- ***التيسير بشرح الجامع الصغير***، محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ).
١١٦- ***الثقات***، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ).
١١٧- ***الثمر الداني في تقريب المعاني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني***، لصالح عبد السميع الأبي الأزهري (القرن الرابع عشر الهجري).
١١٨- ***الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب***، لمحمد ناصر الدين الالباني (ت ١٤٢٠هـ).
١١٩- ***جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ***، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ).
١٢٠- ***جامع البيان في تأويل القرآن*** (تفسير الطبري)، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبي جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ).
١٢١- ***جامع الرسائل***، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).
١٢٢- ***جامع العلوم والحكم***، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ).
١٢٣- ***جامع المسائل***، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).
١٢٤- ***الجرح والتعديل***، لأبي محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ).
١٢٥- ***جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام***، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).
١٢٦- ***جمع الوسائل في شرح الشمائل***، لعلي بن سلطان الملا القاري (ت ١٠١٤هـ).
١٢٧- ***الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح***، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).
١٢٨- ***الجواب الكافي***، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).
١٢٩- ***حادي الأرواح إلى دار الأفراح***، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).

١٣٠- ***حاشية ابن القيم على سنن أبي داود***، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).
١٣١- ***حاشية الجمل على المنهج***، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ).
١٣٢- ***حاشية السندي على النسائي***، محمد بن عبد الهادي السندي (ت ١١٣٨هـ).
١٣٣- ***حاشية السندي على سنن ابن ماجه*** محمد بن عبد الهادي السندي (ت ١١٣٨هـ).
١٣٤- ***حاشية الصاوي على الشرح الصغير***، أحمد بن محمد الصاوي (ت ١٢٤١هـ).
١٣٥- ***حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني***، علي بن أحمد العدوي (ت ١١٨٩هـ).
١٣٦- ***الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي***، علي بن محمد بن الماوردي (ت ٤٥٠هـ).
١٣٧- ***حديث التسبيح وفوائده النفيسة وعد التسبيح بالمسبحة***، لفريح بن صالح البهلال.
١٣٨- ***الحسنة والسيئة***، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).
١٣٩- ***حلية الأولياء وطبقات الأصفياء***، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ).
١٤٠- ***حياة الحيوان الكبرى***، لمحمد بن موسى الدميري الشافعي (ت ٨٠٨هـ).
١٤١- ***خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب***، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ).
١٤٢- ***خلق أفعال العباد***، لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ).
١٤٣- ***الداء والدواء***، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).
١٤٤- ***الدر المصون في علوم الكتاب المكنون***، أحمد بن يوسف السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ).
١٤٥- ***درء تعارض العقل والنقل***، لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).
١٤٦- ***الدراية في تخريج أحاديث الهداية***، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).
١٤٧- ***درر الحكام شرح غرر الأحكام***، لمحمد بن فرامرز بملا خسرو (ت ٨٨٥هـ).
١٤٨- ***الدروس المهمة لعامة الأمة***، لعبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت ١٤٢٠هـ).
١٤٩- ***دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون***، لعبد رب النبي نكري (القرن ١٢ هـ).
١٥٠- ***الدعاء***، محمد بن فضيل بن غزوان بن جرير الضبي (ت ١٩٥هـ).
١٥١- ***الدعاء***، لسليمان بن أحمد بن أيوب، أبي القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ).
١٥٢- ***الدعائم الخلقية والقوانين الشرعية***، لصبحي محمصاني.
١٥٣- ***الدعوات الكبير***، أحمد بن الحسين بن علي أبي بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ).
١٥٤- ***دلائل النبوة***، أحمد بن الحسين بن علي أبي بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ).

١٥٥- ***دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين***، محمد علي بن محمد بن علان (ت ١٠٥٧هـ).
١٥٦- ***الديباج على مسلم بن الحجاج***، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ).
١٥٧- ***ديوان*** عبد الله بن المبارك.
١٥٨- ***الذكر والدعاء والعلاج بالرقى***، للمؤلف
١٥٩- ***ذم الهوى***، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ).
١٦٠- ***رسالة في تحقيق الشكر***، لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).
١٦١- ***الرسالة***، لأبي زيد القيرواني عبد الرحمن النفزي (ت ٣٨٦هـ).
١٦٢- ***روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني***، محمود الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ).
١٦٣- ***الروح***، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).
١٦٤- ***الروض النضير***، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).
١٦٥- ***زاد المعاد في هدي خير العباد***، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).
١٦٦- ***الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي***، لمحمد بن أحمد بن الأزهري (ت ٣٧٠هـ).
١٦٧- ***الزهد والرقائق***، عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي (ت ١٨١هـ).
١٦٨- ***زوائد ابن ماجه*** (مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه)، أحمد بن أبي بكر البوصيري الكناني الشافعي (ت ٨٤٠هـ).
١٦٩- ***زوائد الأمالي والفوائد والمعاجم والمشيخات على الكتب الستة والموطأ ومسند الإمام أحمد***، نبيل سعيد جرار.
١٧٠- ***سبل السلام شرح بلوغ المرام***، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني (ت ١١٨٢هـ).
١٧١- ***سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد***، محمد بن يوسف الصالحي (ت ٩٤٢ هـ).
١٧٢- ***سلسلة الأحاديث الصحيحة***، لمحمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ).
١٧٣- ***سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة***، لمحمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ).
١٧٤- ***السنة***، لعبد الله بن أحْمَد بن مُحَمَّد بن حَنْبَل (ت ٢٩٠هـ).
١٧٥- ***سنن ابن ماجه***، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ).
١٧٦- ***سنن أبي داود***، سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ).
١٧٧- ***سنن الترمذي***، محمد بن عيسى الترمذي، (ت ٢٧٩هـ).
١٧٨- ***سنن الدارقطني***، لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥).

١٧٩- ***السنن الكبرى***، أحمد بن الحسين بن علي أبي بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ).
١٨٠- ***السنن الكبرى***، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ).
١٨١- ***سير أعلام النبلاء***، محمد بن أحمد الذَهَبي (ت ٧٤٨هـ).
١٨٢- ***الشَّافِي فِيْ شَرْحِ مُسْنَد الشَّافِعِي***، المبارَكُ بْن محمَّد بْن عَبْد الكريم بن الأثير (ت ٦٠٦هـ).
١٨٣- ***شأن الدعاء***، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨هـ).
١٨٤- ***شرح الأربعين النووية***، لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ.
١٨٥- ***شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك***، محمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت ١١٢٢هـ).
١٨٦- ***شرح السنة***، الحسين بن مسعود بن محمد البغوي الشافعي (ت ٥١٦هـ).
١٨٧- ***شرح السيوطي لسنن النسائي***، عبدالرحمن بن أبي السيوطي (ت ٩١١هـ).
١٨٨- ***شرح الطيبي على مشكاة المصابيح*** (الكاشف عن حقائق السنن)، الحسين بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣هـ) .
١٨٩- ***شرح العقيدة الأصفهانية***، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ).
١٩٠- ***شرح العقيدة الطحاوية***، محمد بن علاء الدين ابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢هـ).
١٩١- ***شرح العقيدة الطحاوية***، لصالح بن فوزان الفوزان.
١٩٢- ***شرح العقيدة الواسطية***، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ).
١٩٣- ***شرح المحرر في الحديث***، محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت ٧٤٤هـ).
١٩٤- ***الشرح المختصر على بلوغ المرام***، محمد بن صالح بن عثيمين (ت ١٤٢١هـ).
١٩٥- ***شرح المفصل للزمخشري***، يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ).
١٩٦- ***الشرح الممتع على زاد المستقنع***، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ).
١٩٧- ***شرح الواسطية***، محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ).
١٩٨- ***شرح بلوغ المرام***، عطية بن محمد سالم (ت ١٤٢٠هـ).
١٩٩- ***شرح حديث لبيك اللهم لبيك***، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ).
٢٠٠- ***شرح حصن المسلم***، أسامة بن عبد الفتاح.
٢٠١- ***شرح حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة***، مجدي بن عبد الوهاب.
٢٠٢- ***شرح رياض الصالحين***، سليم بن عيد الهلالي.

٢٠٣- ***شرح رياض الصالحين***، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ).
٢٠٤- ***شرح زاد المستقنع في اختصار المقنع***، محمد بن محمد المختار الشنقيطي.
٢٠٥- ***شرح سنن أبي داود***، محمود بن أحمد بدر الدين العينى (ت ٨٥٥هـ).
٢٠٦- ***شرح سنن أبي داود***، عبد المحسن بن حمد العباد البدر.
٢٠٧- ***شرح سنن أبي داود***، محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ).
٢٠٨- ***شرح صحيح البخاري***، علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال (ت ٤٤٩هـ).
٢٠٩- ***شرح صحيح الكلم الطيب***، لمحمد الحمود النجدي.
٢١٠- ***شرح قطر الندى وبل الصدى***، عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ).
٢١١- ***شرح مختصر خليل***، محمد بن عبد الله الخرشي (ت ١١٠١هـ).
٢١٢- ***شرحُ مُسْنَد الشَّافِعِيِّ***، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي (ت ٦٢٣هـ).
٢١٣- ***شرح مشكل الآثار***، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت ٣٢١هـ).
٢١٤- ***شرح معاني الآثار***، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت ٣٢١هـ).
٢١٥- ***شرح منتهى الإرادات*** (دقائق أولي النهى لشرح المنتهى)، منصور بن يونس البهوتي (ت ١٠٥١).
٢١٦- ***شعب الإيمان***، لأحمد بن الحسين بن علي أبي بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ).
٢١٧- ***شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل***، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).
٢١٨- ***الشمائل المحمدية***، محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ).
٢١٩- ***شَوَاهِد التَّوضيح وَالتَّصحيح لمشكلات الجامع الصَّحيح***، محمد بن عبد الله بن مالك (ت ٦٧٢هـ).
٢٢٠- ***الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية***، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ).
٢٢١- ***صحيح ابن خزيمة***، محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ).
٢٢٢- ***صحيح ابن ماجه***، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).
٢٢٣- ***صحيح الأدب المفرد***، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).
٢٢٤- ***صحيح الأذكار للنووي***، لسليم الهلالي.
٢٢٥- ***صحيح البخاري***، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ).
٢٢٦- ***صحيح الترغيب والترهيب***، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).

٢٢٧- ***صحيح الجامع الصغير***، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).
٢٢٨- ***صحيح سنن ابن ماجه***، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).
٢٢٩- ***صحيح سنن أبي داود***، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).
٢٣٠- ***صحيح سنن الترمذي***، ، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).
٢٣١- ***صحيح الكلم الطيب***، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).
٢٣٢- ***صحيح مسلم***، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ).
٢٣٣- ***الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين***، مُقْبلُ بنُ هَادِي الوادعِيُّ (ت ١٤٢٢هـ).
٢٣٤- ***الصحيح المسند من فضائل الصحابة***، مصطفى بن العدوى شلباية المصري.
٢٣٥- ***صحيح موارد الظمآن***، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).
٢٣٦- ***صحيح النسائي***، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).
٢٣٧- ***صفة الصلاة***، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).
٢٣٨- ***صفة النار***، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ).
٢٣٩- صفة صلاة النبي ﷺ، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).
٢٤٠- ***الصلاة على النبي*** ﷺ، أبو بكر أحمد بن عمر بن أبي عاصم (ت٢٨٧ هـ)
٢٤١- ***الصِّلات والبُشَر في الصلاة على خير البشر***، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ).
٢٤٢- ***صيغ الحمد***، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).
٢٤٣- ***الضعفاء الكبير***، محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي (ت ٣٢٢هـ).
٢٤٤- ***ضعيف الترغيب والترهيب***، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).
٢٤٥- ***ضعيف الجامع الصغير***، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).
٢٤٦- ***ضعيف سنن أبي داود***، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).
٢٤٧- ***الطب النبوي***، لمحمد بن أبي بكر بن ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).
٢٤٨- ***طبقات خليفة بن خياط***، خليفة بن خياط بن خليفة (ت ٢٤٠هـ).
٢٤٩- ***الطبقات الكبرى***، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ).
٢٥٠- ***طرح التثريب في شرح التقريب***، زين الدين عبد الرحيم العراقي (ت ٨٠٦هـ).
٢٥١- ***طريق الهجرتين وباب السعادتين***، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).

٢٥٢- ***ظلال الجنة في تخريج السنة***، محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ).

٢٥٣- ***عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي***، محمد بن عبد الله أبو بكر ابن العربي (ت ٥٤٣ هـ).

٢٥٤- ***عجالة الراغب المتمني في تخريج كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني***، سليم الهلالي.

٢٥٥- ***عدة الصابرين***، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).

٢٥٦- ***العظمة***، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو الشيخ الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ).

٢٥٧- ***العلم الهيب في شرح الكلم الطيب***، محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ).

٢٥٨- ***عمدة القاري شرح صحيح البخاري***، محمود بن أحمد بن موسى العيني (ت ٨٥٥هـ).

٢٥٩- ***العمدة في الأحكام***، عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٠٠هـ).

٢٦٠- ***عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه ﷺ ومعاشرته مع العباد***، أحمد بن محمد بن إسحاق ابن السُّنِّي (ت ٣٦٤هـ).

٢٦١- ***عمل اليوم والليلة***، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت ٣٠٣هـ).

٢٦٢- ***العناية شرح الهداية***، محمد بن محمد بن محمود الرومي البابرتي (ت ٧٨٦هـ).

٢٦٣- ***عون المعبود شرح سنن أبي داود***، محمد أشرف بن أمير العظيم آبادي (ت ١٣٢٩هـ).

٢٦٤- ***العيال***، عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ).

٢٦٥- ***غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب***، محمد بن أحمد السفاريني (ت ١١٨٨هـ).

٢٦٦- ***غريب الحديث***، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت ٣٨٨هـ).

٢٦٧- ***غريب الحديث***، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم (ت ٢٢٤هـ).

٢٦٨- ***غريب الحديث***، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ).

٢٦٩- ***غريب الحديث***، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ).

٢٧٠- ***الفائق في غريب الحديث والأثر***، محمود بن عمرو الزمخشري (ت ٥٣٨هـ).

٢٧١- ***فتاوى***، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ).

٢٧٢- ***الفتاوى الكبرى***، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).

٢٧٣- ***فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء***، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش.

٢٧٤- ***فتاوى نور على الدرب***، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت ١٤٢٠هـ).

٢٧٥- ***فتح الباري شرح صحيح البخاري***، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ).

٢٧٦- ***فتح الباري***، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ).

٢٧٧- ***الفتح الرباني شرح مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني***، أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي (ت ١٣٧٨هـ).
٢٧٨- ***فتح المنعم في التعليق على حصن المسلم***، للسبتي بن العربي، الجزائري.
٢٧٩- ***الفتوحات الربانية على الأذكار النووية***، لمحمد بن علان الصديقي (ت ١٠٥٧هـ).
٢٨٠- ***الفردوس بمأثور الخطاب***، أبو شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي (ت ٥٠٩ هـ).
٢٨١- ***الفرق بين الفرق***، عبدالقاهر بن طاهر بن محمد، ابن طاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ).
٢٨٢- ***الفروق اللغوية***، لأبي هلال العسكري الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ).
٢٨٣- ***فضل الصَّلَاة عَلَى النَّبِيِّ ﷺ***، إِسْمَاعِيْل بن إسحاق الْقَاضِي (ت ٢٨٢ هـ) .
٢٨٤- ***فقه الأدعية والأذكار***، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.
٢٨٥- ***الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني***، أحمد بن غنيم النفراوي (ت ١١٢٦هـ).
٢٨٦- ***الفوائد***، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).
٢٨٧- ***فوائد الفوائد***، محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١ هـ).
٢٨٨- ***الفوائد في الحديث***، تمام بن محمد بن عبد الله الرازي (ت ٤١٤هـ).
٢٨٩- ***فيض الباري شرح صحيح البخاري***، محمد أنور شاه الكشميري، (ت ١٣٥٢).
٢٩٠- ***فيض القدير شرح الجامع الصغير***، محمد عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ).
٢٩١- ***القاموس المحيط***، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ).
٢٩٢- ***القبس في شرح موطأ مالك بن أنس***، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ).
٢٩٣- ***القَولُ البَدِيعُ في الصَّلاةِ عَلَى الحَبِيبِ الشَّفِيعِ***، محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ).
٢٩٤- ***القول المفيد على كتاب التوحيد***، محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ).
٢٩٥- ***الكافية الشافية***، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).
٢٩٦- ***الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة***، عبد الله بن محمد المعروف: بابن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ).
٢٩٧- ***كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب*** عز وجل، محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ).
٢٩٨- ***الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار***، أبو بكر بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ).
٢٩٩- ***كتاب فضل قيام الليل والتهجد***، محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ (ت ٣٦٠هـ).

٣٠٠- ***كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم***، محمد بن علي التهانوي (ت ١١٥٨هـ).

٣٠١- ***كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة***، نور الدين علي الهيثمي (ت ٨٠٧هـ).

٣٠٢- ***كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس***، إسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢هـ).

٣٠٣- ***كشف المشكل من حديث الصحيحين***، عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ).

٣٠٤- ***الكلم الطيب***، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).

٣٠٥- ***لسان العرب***، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ).

٣٠٦- ***متن القصيدة النونية***، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ات ٧٥١هـ)

٣٠٧- ***المجالسة وجواهر العلم***، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت ٣٣٣هـ).

٣٠٨- ***مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر***، عبد الرحمن بن محمد الكليبولي (ت ١٠٧٨هـ).

٣٠٩- ***مجمع البحرين في زوائد المعجمين***، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ).

٣١٠- ***مجمع الزوائد ومنبع الفوائد***، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ).

٣١١- ***مجموع الفتاوى***، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).

٣١٢- ***المجموع شرح المهذب***، يحيى الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦ ه).

٣١٣- ***مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز***، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت١٤٢٠هـ).

٣١٤- ***مجموع فتاوى ورسائل*** فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ).

٣١٥- ***مجموعة الرسائل والمسائل***، لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).

٣١٦- ***محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب***، يُوسُف بن الْحسن بن عبد الْهَادِي الْمَقْدِسِي (ت ٨٨٠).

٣١٧- ***المحكم والمحيط الأعظم***، علي بن إسماعيل ابن سيده الأندلسي (ت ٤٥٨ هـ).

٣١٨- ***مختار الصحاح***، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (ت ٦٦٦هـ).

٣١٩- ***مختصر الشمائل المحمدية للترمذي***، لمحمد ناصر الدين الألباني ١٤٢٠هـ).

٣٢٠- ***مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ابن قيم الجوزية***، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي ابن الموصلي (ت ٧٧٤هـ).

٣٢١- ***مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر***، محمد بن نصر المَرْوَزِي (ت ٢٩٤هـ).

٣٢٢- ***مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين***، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).

٣٢٣- ***المراسيل***، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ).

٣٢٤- ***مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح***، عبيد الله بن محمد المباركفوري (ت ١٤١٤هـ).

٣٢٥- ***مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح***، علي بن سلطان محمد القاري (ت ١٠١٤هـ).

٣٢٦- ***المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك***، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ).

٣٢٧- ***المستدرك على الصحيحين***، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ).

٣٢٨- ***مسند ابن الجعد***، علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي (ت ٢٣٠هـ).

٣٢٩- ***مسند أبي داود الطيالسي***، سليمان بن داود بن الجارود (ت ٢٠٤ ه).

٣٣٠- ***مسند أبي يعلى***، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى الموصلي (ت ٣٠٧هـ).

٣٣١- ***مسند الإمام أحمد بن حنبل***، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ).

٣٣٢- ***مسند البزار المنشور (البحر الزخار)***، أبو بكر أحمد بن عمرو البزار (ت ٢٩٢هـ).

٣٣٣- ***مسند الدارمي*** (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله الدارمي (ت ٢٥٥هـ).

٣٣٤- ***مسند الشاميين***، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني (ت ٣٦٠هـ).

٣٣٥- ***مُسْند الفردوس فِي أسانيد فردوس الأخبار***، شهردار بن شيرويه الديلمى (ت ٥٥٨هـ).

٣٣٦- ***المسند***، محمد بن إدريس بن العباس الشافعي المطلبي (ت ٢٠٤هـ).

٣٣٧- ***مشارق الأنوار على صحاح الآثار***، عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ).

٣٣٨- ***مشاهير علماء الأمصار***، محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ).

٣٣٩- ***مشكاة المصابيح***، محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي (ت ٧٤١هـ).

٣٤٠- ***مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه***، أحمد بن أبي بكر البوصيري الكناني (ت ٨٤٠هـ) .

٣٤١- ***المصباح المنير في غريب الشرح الكبير***، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت نحو ٧٧٠هـ).

٣٤٢- ***المصنف***، عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١هـ).

٣٤٣- ***مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى***، مصطفى السيوطي الرحيباني (ت ١٢٤٣هـ).

٣٤٤- ***مطالع الأنوار على صحاح الآثار***، إبراهيم بن يوسف بن قرقول (ت ٥٦٩هـ).

٣٤٥- ***المطلع على ألفاظ المقنع***، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي (ت ٧٠٩هـ).

٣٤٦- ***معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول***، حافظ بن أحمد حكمي.
٣٤٧- ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ).
٣٤٨- ***معالم السنن***، (شرح سنن أبي داود)، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨هـ).
٣٤٩- ***معالم مكة التاريخية والأثرية***، عاتق بن غيث البلادي الحربي (ت ١٤٣١هـ).
٣٥٠- ***المعتصر من المختصر من مشكل الآثار***، يوسف بن موسى بن محمد الملطي (ت ٨٠٣هـ).
٣٥١- ***معجم ابن الأعرابي***، أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي (ت ٣٤٠هـ).
٣٥٢- ***المعجم الأوسط***، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت ٣٦٠هـ).
٣٥٣- ***المعجم الصغير***، (الروض الداني)، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت ٣٦٠هـ).
٣٥٤- ***المعجم الكبير***، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت ٣٦٠هـ).
٣٥٥- ***معجم اللغة العربية المعاصرة***، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ).
٣٥٦- ***معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع***، عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت ٤٨٧هـ).
٣٥٧- ***معجم مقاييس اللغة***، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ).
٣٥٨- ***معرفة الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة***، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ).
٣٥٩- ***معرفة الصحابة***، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ).
٣٦٠- ***مغني اللبيب عن كتب الأعاريب***، عبد الله بن يوسف بن هشام (ت ٧٦١هـ).
٣٦١- ***المغني في شرح مختصر الخرقي***، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ).
٣٦٢- ***مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة***، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).
٣٦٣- ***مفردات القرآن نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية***، عبد الحميد الفراهي (ت ١٣٤٩هـ).
٣٦٤- ***المفردات في غريب القرآن***، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ).
٣٦٥- ***المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم***، أحمَدُ بنُ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ القرطبيُّ (ت ٦٥٦هـ).
٣٦٦- ***المفيد على كتاب التوحيد***، عبد الله القصير.
٣٦٧- ***المفيد على كتاب التوحيد***، محمد بن صالح بن عثيمين (ت ١٤٢١هـ).
٣٦٨- ***مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها***، أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي (ت ٣٢٧ هـ).
٣٦٩- ***المنار المنيف***، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).
٣٧٠- ***الْمُنْتخبُ من مُسْنَد عَبْد بْنِ حُمَيْدٍ***، عَبْد بْن حُمَيْدِ بْن نَصْرٍ الكِسّيّ (ت ٢٤٩ هـ).

٣٧١- *المنتقى شرح الموطأ*، سليمان بن خلف الباجي الأندلسي (ت ٤٧٤هـ).

٣٧٢- *منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية*، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).

٣٧٣- *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*، يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ).

٣٧٤- *الموضوعات*، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ).

٣٧٥- *موطأ الإمام مالك*، مالك بن أنس الأصبحي المدني (ت ١٧٩هـ).

٣٧٦- *نتائج الأفكار لتخريج أحاديث الأذكار*، أحمد بن علي حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ).

٣٧٧- *نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر*، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).

٣٧٨- *نظم المتناثر من الحديث المتواتر*، محمد بن أبي الفيض الكتاني (م ١٣٤٥هـ).

٣٧٩- *النهاية في غريب الحديث والأثر*، المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ).

٣٨٠- *النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى*، محمد محمود النجدي.

٣٨١- *نوادر الأصول في أحاديث الرسول* ﷺ، محمد بن علي الحكيم الترمذي (ت نحو ٣٢٠هـ).

٣٨٢- *نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار*، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ).

٣٨٣- *هدي الساري مقدمة فتح الباري*، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).

٣٨٤- *الوابل الصيب*، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).

٣٨٥- *الوافي بالوفيات*، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت٧٦٤هـ).

٧- فهرس الموضوعات

كتب للمؤلف

١- العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة
٢- بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها
٣- شرح العقيدة الواسطية
٤- شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة
٥- الثمر المجتنى: مختصر شرح أسماء الله الحسنى
٦- الفوز العظيم والخسران المبين
٧- النور والظلمات في الكتاب والسنة
٨- نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة
٩- نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة
١٠- نور الإسلام وظلمات الكفر في ضوء الكتاب والسنة
١١- نور الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنة
١٢- نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة
١٣- نور الشيب وحكم تغييره في ضوء الكتاب والسنة
١٤- نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنة
١٥- قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال
١٦- الاعتصام بالكتاب والسنة
١٧- تبريد حرارة المصيبة في ضوء الكتاب والسنة
١٨- عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة (٢/١)
١٩- طهور المسلم في ضوء الكتاب والسنة
٢٠- منزلة الصلاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة
٢١- الأذان والإقامة في ضوء الكتاب والسنة
٢٢- إجابة النداء في ضوء الكتاب والسنة
٢٣- شروط الصلاة في ضوء الكتاب والسنة
٢٤- قرة عيون المصلين ببيان صفة صلاة المحسنين في ضوء الكتاب والسنة
٢٥- أركان الصلاة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة
٢٦- الخشوع في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة
٢٧- سجود السهو: مشروعيته ومواضعه وأسبابه في ضوء الكتاب والسنة
٢٨- صلاة التطوع: مفهوم وفضائل وأقسام وأنواع في ضوء الكتاب والسنة
٢٩- قيام الليل: فضله وآدابه في ضوء الكتاب والسنة
٣٠- صلاة الجماعة: مفهوم، وفضائل، وأحكام، وفوائد، وآداب
٣١- المساجد، مفهوم، وفضائل، وأحكام، وحقوق، وآداب
٣٢- الإمامة في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة
٣٣- صلاة المريض في ضوء الكتاب والسنة
٣٤- صلاة المسافر في ضوء الكتاب والسنة
٣٥- صلاة الخوف في ضوء الكتاب والسنة
٣٦- صلاة الجمعة في ضوء الكتاب والسنة
٣٧- صلاة العيدين في ضوء الكتاب والسنة
٣٨- صلاة الكسوف في ضوء الكتاب والسنة
٣٩- صلاة الاستسقاء في ضوء الكتاب والسنة
٤٠- أحكام الجنائز في ضوء الكتاب والسنة
٤١- ثواب القرب المهداة إلى أموات المسلمين في ضوء الكتاب والسنة
٤٢- صلاة المؤمن في ضوء الكتاب والسنة (٣/١)
٤٣- منزلة الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة
٤٤- زكاة بهيمة الأنعام في ضوء الكتاب والسنة
٤٥- زكاة الخارج من الأرض في ضوء الكتاب والسنة
٤٦- زكاة الأثمان: الذهب والفضة في ضوء الكتاب والسنة
٤٧- زكاة عروض التجارة في ضوء الكتاب والسنة
٤٨- زكاة الفطر في ضوء الكتاب والسنة
٤٩- مصارف الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة
٥٠- صدقة التطوع في ضوء الكتاب والسنة
٥١- الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة
٥٢- فضائل الصيام وقيام رمضان في الكتاب والسنة
٥٣- الصيام في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة
٥٤- العمرة والحج والزيارة في ضوء الكتاب والسنة
٥٥- مرشد المعتمر والحاج والزائر
٥٦- رمي الجمرات في ضوء الكتاب والسنة
٥٧- مناسك الحج والعمرة في الإسلام
٥٨- الجهاد في سبيل الله: فضله، وأسباب النصر على الأعداء
٥٩- المفاهيم الصحيحة للجهاد في ضوء الكتاب والسنة
٦٠- الربا: أضراره وآثاره في ضوء الكتاب والسنة
٦١- من أحكام سورة المائدة
٦٢- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى
٦٣- مواقف النبي ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى
٦٤- مواقف الصحابة ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى
٦٥- مواقف التابعين وأتباعهم في الدعوة إلى الله تعالى
٦٦- مواقف العلماء عبر العصور في الدعوة إلى الله تعالى
٦٧- مفهوم الحكمة في ضوء الكتاب والسنة
٦٨- كيفية دعوة الملحدين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة
٦٩- كيفية دعوة الوثنيين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة
٧٠- كيفية دعوة أهل الكتاب إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة
٧١- كيفية دعوة عصاة المسلمين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة
٧٢- مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة
٧٣- فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري رحمه الله (٢/١)
٧٤- العلاقة المثلى بين العلماء ووسائل الاتصال الحديثة
٧٥- الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة (٤/١)
٧٦- الدعاء من الكتاب والسنة
٧٧- حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة
٧٨- ورد الصباح والمساء في ضوء الكتاب والسنة
٧٩- العلاج بالرقى من الكتاب والسنة
٨٠- شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة
٨١- تصحيح شرح حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة
٨٢- تصحيح شرح الدعاء من الكتاب والسنة
٨٣- الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة
٨٤- عظمة القرآن الكريم وتعظيمه وأثره في النفوس
٨٥- صلة الأرحام في ضوء الكتاب والسنة
٨٦- بر الوالدين في ضوء الكتاب والسنة
٨٧- سلامة الصدر في ضوء الكتاب والسنة
٨٨- أنواع الصبر ومجالاته في ضوء الكتاب والسنة
٨٩- نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة
٩٠- آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة
٩١- الغفلة: خطرها، وأسبابها، وعلاجها
٩٢- إظهار الحق والصواب في حكم الحجاب في ضوء الكتاب والسنة
٩٣- الهدي النبوي في تربية الأولاد
٩٤- الاختلاط بين الرجال والنساء في ضوء الكتاب والسنة
٩٥- وداع الرسول ﷺ لأمته
٩٦- رحمة للعالمين محمد رسول الله سيد الناس ﷺ
٩٧- مواقف لا تنسى من سيرة والدتي رحمها الله
٩٨- أبراج الزجاج في سيرة الحجاج تأليف عبد الرحمن بن سعيد رحمه الله (تحقيق)
٩٩- الجنة والنار: تأليف عبد الرحمن بن سعيد رحمه الله (تحقيق)
١٠٠- غزوة فتح مكة: تأليف عبد الرحمن بن سعيد رحمه الله (تحقيق)
١٠١- سيرة الشاب الصالح عبد الرحمن بن سعيد بن علي رحمه الله
١٠٢- مجموع رسائل الشاب الصالح
١٠٣- مجموع الخطب المنبرية (تحت الطبع)
١٠٤- العقاء والمعازف في ضوء الكتاب والسنة وآثار الصحابة
١٠٥- مكفرات الذنوب والخطايا وأسباب المغفرة من الكتاب والسنة
١٠٦- سؤالات ابن وهف لشيخ الإسلام المجدد عبدالعزيز بن باز
١٠٧- العزاء في ضوء السنة المطهرة
١٠٨- الإحداد في ضوء الكتاب والسنة
١٠٩- الطاغوت في ضوء الكتاب والسنة وآثار الصحابة
١١٠- العادات والأعراف القبلية المخالفة للشريعة الإسلامية
١١١- البراهين الجلية في بطلان العادات القبلية الجاهلية المخالفة الشريعة الإسلامية
١١٢- الجبيرة بين المشروع والممنوع في ضوء الكتاب والسنة
١١٣- الإفهام شرح ابن باز لعمدة الأحكام لعبدالغني المقدسي (تحقيق)
١١٤- عمدة الأحكام للإمام عبدالغني المقدسي (تحقيق)
١١٥- الشرح الممتاز في شرح شروط الصلاة لابن باز (تحقيق)
١١٦- شروط الصلاة وأركانها وواجباتها للإمام محمد بن عبد الوهاب (تحقيق)
١١٧- الفضل الكبير في الصلاة على البشير النذير ﷺ
١١٨- العلماء والملوك والأمراء في عقيدة أهل السنة والجماعة
١١٩- إتحاف المسلم بشرح حصن المسلم

كتب (مترجمة) للمؤلف

* أولاً : حصن المسلم باللغات الآتية

١- حصن المسلم باللغة الإنجيزية
٢- حصن المسلم باللغة الفرنسية
٣- حصن المسلم باللغة الأوردية
٤- حصن المسلم باللغة الإندونيسية
٥- حصن المسلم باللغة البنغالية
٦- حصن المسلم باللغة الأمهرية
٧- حصن المسلم باللغة السواحلية
٨- حصن المسلم باللغة التركية
٩- حصن المسلم باللغة الهوساوية
١٠- حصن المسلم باللغة الفارسية
١١- حصن المسلم باللغة المالبيارية
١٢- حصن المسلم باللغة التاميلية
١٣- حصن المسلم باللغة اليوربا
١٤- حصن المسلم باللغة البشتو
١٥- حصن المسلم باللغة اللوغندية
١٦- حصن المسلم باللغة الهندية
١٧- حصن المسلم باللغة الصينية
١٨- حصن المسلم باللغة الشيشانية
١٩- حصن المسلم باللغة الروسية
٢٠- حصن المسلم باللغة الألبانية
٢١- حصن المسلم باللغة البوسنية
٢٢- حصن المسلم باللغة الألمانية
٢٣- حصن المسلم باللغة الإسبانية
٢٤- حصن المسلم باللغة الفلبينية (مرناو)
٢٥- حصن المسلم باللغة الفلبينية (تجالوج)
٢٦- حصن المسلم باللغة الصومالية
٢٧- حصن المسلم باللغة الطاجكية
٢٨- حصن المسلم باللغة الأذرية
٢٩- حصن المسلم باللغة اليابانية
٣٠- حصن المسلم باللغة النيبالية
٣١- حصن المسلم باللغة الأنكو
٣٢- حصن المسلم باللغة التلغو (جاليات الجهراء بالكويت)
٣٣- حصن المسلم باللغة الهولندية (تحت الطبع)
٣٤- حصن المسلم باللغة الشركسية (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٣٥- حصن المسلم. قرغيزي (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٣٦- حصن المسلم باللغة الرومانية (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٣٧- حصن المسلم باللغة الفيتنامية (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٣٨- حصن المسلم باللغة السنهالية (مكتب الجاليات بالربوة)
٣٩- حصن المسلم، ملايو (موقع دار الإسلام)
٤٠- حصن المسلم، سندي (موقع دار الإسلام)
٤١- شرح حصن المسلم، أوزبكي (موقع دار الإسلام)
٤٢- حصن المسلم باللغة (ايغوري) (موقع دار الإسلام)
٤٣- حصن المسلم باللغة (خميري) (موقع دار الإسلام)
٤٤- حصن المسلم باللغة الأورومو الأثيوبية (مكتب الدعوة بأم الحمام)

* ثانياً : كتب مترجمة باللغة الأوردية :

٤٥- العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٤٦- نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة
٤٧- شروط الدعاء وموانع الإجابة
٤٨- الدعاء من الكتاب والسنة
٤٩- نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة
٥٠- بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها
٥١- نور الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنة
٥٢- الربا: أضراره وآثاره في ضوء الكتاب والسنة
٥٣- نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة
٥٤- طهور المسلم (مكتب الجاليات بالسليل) (وادي الدواسر)
٥٥- منزلة الصلاة في الإسلام (الجاليات بحي السلام بالرياض)
٥٦- صلاة التطوع في ضوء الكتاب والسنة
٥٧- نور التقوى وظلمات المعاصي (دار السلام)
٥٨- نور الإسلام وظلمات الكفر (دار السلام)
٥٩- الفوز العظيم والخسران المبين (دار السلام)
٦٠- النور والظلمات في الكتاب والسنة (دار السلام)
٦١- قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال (دار السلام)
٦٢- نور الهدى وظلمات الضلال (دار السلام)
٦٣- نور الشيب وحكم تغييره (دار السلام)
٦٤- رحمة للعالمين (دار السلام)
٦٥- شرح العقيدة الواسطية (موقع دار الإسلام)
٦٦- وداع الرسول صلى الله عليه وسلم (موقع دار الإسلام)
٦٧- العمرة والحج والزيارة (موقع دار الإسلام)

* ثالثاً : كتب مترجمة للغات الأخرى

٦٨- مرشد الحاج والمعتمر والزائر (باللغة المالبيارية)
٦٩- الدعاء من الكتاب والسنة (باللغة الفارسية)
٧٠- بيان عقيدة أهل السنة والجماعة (باللغة الإندونيسية)
٧١- نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة باللغة المليبارية
٧٢- الدعاء من الكتاب والسنة (باللغة اللوغندية)
٧٣- صلاة المريض (باللغة التاميلية-دار السلام)
٧٤- رحمة للعالمين (باللغة الإنجليزية-دار السلام)
٧٥- الدعاء من الكتاب والسنة (باللغة الإنجليزية-دار السلام)
٧٦- صلاة الجماعة (باللغة البنغالية-مكتب الجاليات بالروضة)
٧٧- رحمة للعالمين باللغة البنغالية (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٧٨- نور السنة وظلمات البدعة. بنغلي (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٧٩- نور الإيمان وظلمات النفاق. بوسني (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٨٠- الدعاء من الكتاب والسنة. شيشلي (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٨١- الاعتصام بالكتاب والسنة. بسيلي (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٨٢- منزلة الصلاة في الإسلام. فارسي (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٨٣- شرح أسماء الله الحسنى. فارسي (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٨٤- صلاة المسافر. فارسي (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٨٥- العلاج بالرقى. فارسي (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٨٦- نور التوحيد وظلمات الشرك. كردي (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٨٧- نور السنة وظلمات البدعة. كردي (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٨٨- نور الإخلاص. كردي (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٨٩- العلاج بالرقى. كردي (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٩٠- مرشد الحاج والمعتمر. رومي (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٩١- الحج والعمرة. تركي (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٩٢- فضائل الصيام وقيام رمضان. فيتنامي (موقع دار الإسلام)
٩٣- الذكر والدعاء والعلاج بالرقى. يوربا (موقع دار الإسلام)
٩٤- صلاة التطوع. صيني (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٩٥- منزلة الصلاة في الإسلام. صيني (موقع دار الإسلام)
٩٦- ورد الصباح والمساء باللغة الإنجليزية (دار السلام)
٩٧- الربا أضراره وآثاره باللغة البنغالية (موقع دار الإسلام)
٩٨- صلاة المؤمن باللغة الإندونيسية (مكتب الجاليات بالسلي)
٩٩- الفوز العظيم باللغة الروسية (موقع دار الإسلام)
١٠٠- الدعاء ويليه العلاج بالرقى باللغة الأذرية (موقع دار الإسلام)
١٠١- آفات اللسان باللغة الأذرية (موقع دار الإسلام)
١٠٢- نور السنة وظلمات البدعة باللغة البوسنية (موقع دار الإسلام)
١٠٣- الدعاء من الكتاب والسنة باللغة التركية
١٠٤- الأذان والإقامة باللغة البنغالية (موقع دار الإسلام)
١٠٥- المساجد في ضوء الكتاب والسنة بنغالي (موقع دار الإسلام)
١٠٦- شروط الدعاء وموانع الإجابة كردي (موقع دار الإسلام)
١٠٧- قرة عيون المصلين بنغالي (موقع دار الإسلام)
١٠٨- قيام الليل بنغالي (موقع دار الإسلام)
١٠٩- مواقف النبي ﷺ في الدعوة بنغالي (موقع دار الإسلام)